
درر رسائل
ابن عربي
استكشف مجموعة من أهل العلم هذه
الدرر الجامعة من كتب ورسائل
الشيخ الأكبر والنور الأبهر العارف بالله
العلامة محيي الدين ابن عربي
المتوفى ٦٣٨ هـ
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

درر رسائل ابن عربي

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - مفرق حارة حريك
قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

Beirut Airport Road
Tel: 01/450426 Fax: 01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.net

فرع ثاني: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة - موبايل: ٠٧٨٠١٥٦١٩٨٠



استكشف مجموعة من أهل العلم هذه
الدرر الجامعة من كتب ورسائل

الشيخ الأكبر والنور الأبهر العارف بالله
العلامة محيي الدين ابن عربي
المتوفى ٦٣٨ هـ

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة ابن عربي

اسمه الكامل: أبو عبد الله، محمد بن علي بن محمد بن العربي، الحاتمي الطائي ولد في ١٧ من رمضان، سنة ٥٦٠ هجرية الموافق ١١٦٥/٧/٢٨ ميلادية، في مدينة مرسية. وتوفي في ٢٦ ربيع الثاني سنة ٦٣٨ هجرية، الموافق ١٢٤٠/١١/١٦ ميلادية، في مدينة دمشق.

لقبه:

ابن عربي: هي التسمية الواردة عن المؤلف نفسه وعن أتباعه ومؤرخيه القدامى. ولكن بدأ يعرف بابن عربي لدى أهل المشرق للتفرقة بينه وبين الفقيه المالكي، القاضي أبي بكر، محمد بن عبد الله الإشبيلي، المعافري المتوفي عام ٥٤٦ هجرية.

مولده ونشأته:

ولد في يوم الإثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية الموافق ٢٨ تموز/يوليو سنة ألف ومائة وخمس وستين ميلادية في مدينة "مرسية" بالأندلس، وهي مدينة أنشأها المسلمون في عهد بني أمية. وكان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقيّة ورعة نقيّة من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج محيي الدين في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان، وفيه عزمات لرجال أقوياء ينشدون نصراً وفوزاً في محاريب الهدى والطاعة.

وانتقل والده إلى إشبيلية، وحاكمها إذ ذاك السلطان محمد بن سعد، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس، وفيها شبّ محيي الدين ودرج. وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب "الكافي" فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهماً في المعاني والإشارات. ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه، يذكرهم لنا الإمام شمس الدين بن مسدي في روايته عن محيي الدين فيقول واصفاً متحدثاً عن أساتذته: "كان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق، والتقدم الذي لا يسبق، سمع في بلاده في شبابه الباكر من ابن زرقون، والحافظ ابن الجد، وأبي الوليد الحضرمي، والشيخ أبي الحسن بن نصر". ثم لا يذكر لنا التاريخ بعد ذلك شيئاً ذا بال عن شباب محيي الدين، ولا عن شيوخه، ومقدار ما حصّل من العلوم والفنون، وإنما هو يحدثنا أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً. وفي أثناء شدة الحمّى رأى في المنام أنه محوط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلحين يريدون الفتك به. وبغتةً رأى شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرقها شذر مذر، و لم يبق منها أي أثر، فيسأله محيي الدين من أنت؟ فقال له أنا سورة يس.

وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس. ثم لم يلبث أن برئ من مرضه، وألقي في روعه أنه معدّ للحياة الروحية، وآمن بوجوب سيره فيها إلى نهايتها ففعل.

وفي طليعة هذا الشباب المزهر بفضل ثروة أسرته تزوج بفتاة تعتبر مثالاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها.

وفي هذه الأثناء كان يتردد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم سراً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز والتأويلات الموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة التي تدرس لتلاميذها المبادئ الخفية والتعاليم الرمزية منذ عهد ابن مسرة المتوفى بقرطبة في سنة ٣١٩هـ/٩٣١م والذي لم يعرف المستشرقون مؤلفاته إلا عن طريق محيي الدين. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفي في سنة ١١٤١م، فلم يره محيي الدين، ولكنه تتلمذ على منتجاته وعلى رواية تلميذه المباشر وصديق محيي الدين الوفي أبي عبد الله الغزال.

ومما لا ريب فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة التقية، واختلافه إلى تلك المدرسة الرمزية، كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكرة وعلى صورة ناصعة لا تتيسر للكثيرين ممن تشوب حياتهم الأولى شوائب الغرائز والنزوات. فلم يكد يختم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني بخطوات واسعة ثابتة، وأنه بدأ يطلع على أسرار الحياة الصوفية، وأن عدداً من الخفايا الكونية قد تكشف أمامه، وأن حياته منذ ذلك العهد المبكر لم تعد سوى سلسلة من البحث المتواصل عما يحقق الكمال لتلك الاستعدادات الفطرية التي تنير أضواؤها جوانب عقله وقلبه. ولم يزل عاكفاً على ذلك النشاط الروحاني حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار. ولم تكن آماله في التغلغل إلى تلك الأسرار وبحوثه عن وسائلها الضرورية تقف عند حد، لأنه أيقن منذ نعومة أظفاره بأنه مؤمن بمبادئ عقيدة حقيقية أزلية مرت بجميع الأزمان الكونية، وطافت بكل الأجناس البشرية متممة ما فيها من نقص وقصور، وأنها جمعت كل الروحانيات في الوحدة الفطرية التي تتمثل من حين إلى آخر في صور تنسكية رفيعة تبدو على مسرح الإنسانية ردحاً من الزمن ثم تختفي، ولا يدرك حقيقتها إلا القليلون.

وأكثر من ذلك أنه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشف له من أقطاب العصور البائدة عدد من حكماء الهند وفارس والإغريق كفيثاغورس، وأمبيذوقليس، وأفلاطون ومن إليهم، ممن ألقيت على كواهلهم مسؤولية القطبية الروحية في عصورهم المتعاقبة قبل ظهور الإسلام. وهذا هو السبب في أنه قد شغف بأن يطلع على جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقين بهيئة مباشرة، وبصورة مؤسسة على الشرف العلمي الذي يحمل الباحث النزيه على الاعتماد عليه دون أدنى تردد أو ارتياب.

غير أن هذه السكينة الروحانية التي بدأت لدى هذا الشاب مبكرة والتي كانت ثمارها فيما بعد تتمثل في تلك المعرفة التي أشرنا إليها آنفاً، لم تدم طويلاً على حالة واحدة، إذ أنه لم يلبث أن تبين أول الأمر بالإلهام، ثم عن طريق الكشف الجلي أنه لم يعد له بدّ -في تلك البيئة المغربية إذ ذاك- من أحد أمرين: إما أن يجاري التيار العام الذي كان يحدق به إحداق السوار بالمعصم، وهو أن يتقيد في جميع أفكاره وتعقلاته وأحاسيسه ومشاعره وحركاته وسكناته بحرفية الدين التي لا روح فيها ولا حياة ولا سر ولا رمز ولا تأويل وبهذا تختفي شخصيته الحقيقية وتفشل رسالته الطبيعية، وهذا شيء لا يستطيعه بأي حال، وإما أن يسير على فطرته وحسب تكوين عقله وقلبه فيصطدم في كل خطوة من خطواته مع أهل الحل والعقد في البلاد. وقد حدث ذلك فعلاً حيث احتدمت بينه وبين بعض الأمراء الموحدين مجادلات عنيفة، وحيكت حوله دسائس قوية اتهمته بإحداث اضطراب في سياسة الدولة.

وإذ ذاك رأى في حالة اليقظة أنه أمام العرش الإلهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر، ورأى طائراً جميلاً بديع الصنع يحلق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق وينبئه بأنه سيكون هو مرشده السماوي، وبأن رفيقاً من البشر يدعى فلاناً ينتظره في مدينة فاس، وأن هذا الأخير قد أمر هو أيضاً بهذه الرحلة إلى الشرق، ولكنه يجب ألا يرتحل قبل أن يجيء إليه رفيق من الأندلس، فيفعل ما أمر به ويرتحل بصحبة هذا الرفيق.

وفيما بين سنتي [٥٩٧، ٦٢٠هـ/ ١٢٠٠،١٢٢٣ م] يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلى بلاد الشرق فيتجه في سنة ١٢٠١م إلى مكة فيستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح. وفي هذه الأسرة التقية يلتقي بفتاة تدعى "نظاما" وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حبتها السماء بنصيب موفور من المحاسن الجسميّة، والميزات الروحانية الفائقة، فاتخذ منها محيي الدين رمزاً ظاهرياً للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذه الرموز قصائد سجلها في ديوان ألّفه في ذلك الحين.

وفي هذه البيئة النقية المختارة له من قبل سطعت مواهبه العقلية والروحية، وتركزت حياته الصوفية، وجعلت تصعد في معارج القدس شيئاً فشيئاً حتى بلغت شأواً عظيماً. ومن ذلك أنه في إحدى طوفاته التأملية والبدنية بالكعبة يلتقي من جديد بمرشده السماوي الذي أمره سالفاً بالهجرة من الأندلس والمغرب إلى الأصقاع الشرقية، فيتلقى منه الأمر أيضاً بتأليف كتابه الجامع الخالد "الفتوحات المكية" الذي ضمّنه أكثر وأهم آرائه الصوفية والعقلية ومبادئه الروحية، والذي لا يتطاول إلى قمته في عصره أي كتاب آخر فيما نعلم من إنتاج هذا الصنف من المتنسّكين.

وفي سنة ١٢٠٤م يرتحل إلى الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم ألبس محيي الدين إياها بدوره.

وفي سنة ١٢٠٦م نلتقي به في القاهرة مع فريق من الصوفية الذين يطبقون حياة تنسكية قوية محافظة. وهنا يظهر له رائد سماوي يأمره بإدخال شيء من الكمال على مذهبه، ولكنه لا يكاد يفعل

حتى يتنمر له عدد من الفقهاء يحيكون حوله وحول أصحابه شباكاً من الدسائس تهدّد اطمئنانهم بل حياتهم، ولولا نفوذ أحد أصدقائه لوقع في ذلك الخطر، ولكنه لحسن حظه يستطيع أن ينجو بنفسه ويفر إلى مكة في سنة ١٢٠٧م فيلتقي فيها بأصدقائه القدماء الأوفياء، ويقيم بينهم في هدوء وسكينة نحو ثلاثة أعوام، ثم يرتحل إلى قونية بتركيا حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج.

وهناك يتزوج بوالدة صدر الدين القونوي، وهو أحد تلاميذه المفضلين ثم لا يلبث أن يرتحل إلى أرمينيا، ومنها إلى شاطئ الفرات.

وفي سنة ١٢١١م نلتقي به في بغداد حيث يتصل بالصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي.

وفي سنة ١٢١٤م يعود إلى مكة ولا يكاد يستقر فيها حتى يجد أن عدداً من فقهائها المنافقين الدساسين قد جعلوا يشوّهون سمعته ويرمونه بأن قصائده التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاماً كانت تصور غرامه المادي الواقعي بالفتاة "نظام" ابنة صديقه الشيخ الإيراني التي أشرنا آنفاً إلى أنه اتخذ منها رمزاً نقياً للحكمة الخالدة وعندما تبيّن هذه التهمة الرخيصة وعرف مصادرها الحقيقية حمل عليها وعلى واضعها حملة قوية كشفت زيفها للجميع بصورة جعلت القائمين بها يعترفون بأخطائهم ويعتذرون إليه عنها.

وبعد ذلك يرتحل إلى حلب فيقيم بها ردحاً من الزمن معزّزاً مكرماً من أميرها، وأخيراً يلقي عصا التسيار في دمشق في سنة ١٢٢٣م حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقائه ويظل بها يؤلف ويعلم، ويخرج التلاميذ والمريدين يحوطونه الهدوء وتحف به السكينة حتى يتوفى بها في ٢٨ ربيع الثاني من سنة ٦٣٨هـ الموافق ١٦ نوفمبر من سنة ١٢٤٠م.

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي جعل الإنسان خلاصة مملكة الكيان وزهرة شجرة الحيوان وتلخيص كتاب الأكوان أودع فيه بمحكم تقديره وبديع لطفه وتدبيره أسرار الظلمات والنور والظل والحرور والعدل والعدوان والطاعة والعصيان فما في العالم شيء مرئي بالعيان أو غائب متصور في الأذهان إلا وهو مندرج في درج ذاته معلوم مندمج في دفتر وجوده مرسوم حتى الخراب والبنيان والزيادة والنقصان جمع فيه جل من قادر حكيم وعز من فاطر عليم قوى بسائط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته لتكون كالشاهد على ما غاب في عالم الغيب على العيان خلق الشمس ضياء والقمر نورا والليل ظلمة والهواء لطافة والجبال كثافة والماء رقة فجعل النور حظ الملائكة والضياء حظ الحور والظلمة حظ الزبانية والرقة حظ الشياطين واللطافة حظ الجن والكثافة حظ الأنعام ثم صور جميع هذه الآثار في الإنسان فجعل الضياء حظ الوجه والنور حظ العين والظلام حظ الشعر واللطافة حظ الروح والكثافة حظ العظام والرقة حظ الدماغ فلهذا المعنى قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٤] خلق الإنسان من عناصر أربعة: تراب وماء ونار وهواء.

وجعله على أربع طبايع حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة. والحرارة من النار والبرودة من الهواء واليبوسة من التراب والرطوبة من الماء فلما جمع في خلق الإنسان من هذه المتضادات بالغ في الثناء على نفسه فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٤].

العالم عالمان كبير وصغير فالعالم الكبير من الفرش إلى العرش والعالم الصغير هو كل إنسان بانفراده وكل واحد من العالمين في مقابلة الآخر فجميع ما في العالم الكبير مثله موجود في العالم الصغير وبيان ذلك أن في العالم الكبير ثلاثة عشر جوهرا هي أركانه وهي العرش والكرسي والسموات السبع والأرضين السبع والنار والهواء والماء ففي العالم الصغير وهو الإنسان ثلاثة عشر جوهرا هي أركانه وهي العظم والمخ والعصب والعروق واللحم والجلد والأغشية والشعر والظفر والصفراء والدم والبلغم والسوداء وكما أن في العالم الكبير اثني عشر برجا فكذلك في العالم الصغير وهو الإنسان اثنى عشر خرقا مماثلة للبروج وهي العينان والأذنان والمنخران والسبيلان والثديان والسرّة والفرج.

وكما أن في العالم الكبير سبع كواكب سيارة بها تتعلق أسباب الكائنات فكذلك في الإنسان سبع قوى بها تجري أسباب الكائنات فيه وهي القوة الباصرة والقوة السامعة والقوة الذايقة والقوة الشامة والقوة اللامسة والقوة الناطقة والقوة العاقلة وكما أن رياسة الكواكب بالشمس والقمر وأحدهما يستمد قوته من الآخر فكذلك رياسة القوى العقل والنطق وأحدهما وهو النطق مستمد من الآخر وهو العقل وكما أن القمر ثمانية وعشرين منزلا يدور فيها في كل شهر فكذلك في الفم ثمانية وعشرين مخرجا للحروف وكما أن للقمر يظهر تأثيره بجريانه في منازله الثمانية وعشرون كذلك القوة الناطقة يظهر تأثيرها في مخارج الحروف الثمانية وعشرون وكما أن القمر يظهر في خمسة عشر ليلة

ويخفى في الباقي كذلك يدغم من الحروف ثلاثة عشر حرفا وهي النون والتاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء.

وكما أن في العالم الكبير أرضا وجبالا ومعادن وبحارا وأنهارا وجداول وسواقي فكذلك في الإنسان الذي هو العالم الصغير مثله فجسده كالأرض وعظامه كالجبال ومخه كالمعادن وجوفه كالبحر وأمعاؤه كالأنهار وعروقه كالجداول ولحمه كالطين وشعره كالنبات ومنبت الشعر كالتربة الطيبة وأنسه كالعمران وضجره كالمفاوز والقفار وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وبكاؤه كالمطر وسروره كضوء النهار وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وولادته كبدء سفره وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف وكهولته كالخريف وشيخوخته كالشتاء وموته كانقضاء مدة سفره والسنون من عمره كالبلدان والشهور كالمنازل والأسابيع كالفراسخ وأيامه كالأميال وأنفاسه كالخطا فكلما تنفس نفساً كأنه يخطو خطوة إلى أجله فلما جمع الله تعالى في الإنسان جميع ما في الكائنات بالغ على نفسه فقال: رب الأرض والسموات فتبارك الله أحسن الخالقين وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

فالإنسان واحد من جهة شخصيته اثنان من جهة روحه والجسم ثلاثة من جهة الجسد والروح والنفس أربعة من جهة الطبايع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خمسة من جهة الحواس سبعة من جهة التركيب عشرة من جهة المنافس المقدرة لمنافع الأبدان اثنى عشر من جهة الروح أربعة عشر من جهة الأعصاب ثمانية وعشرون من جهة الأطراف مائتان وأربعة وستون من جهة العظام ثلثمائة وستون من جهة العروق كل من جهة باطن النظر. بعض من جهة ظاهر العيان قلم من جهة ترجمة النطق لوح محفوظ من جهة مجموع الحكم ملك من جهة المعرفة وشيطان من جهة المكر أسد من جهة الجزء بهيمة من جهة الجهل مماثل للنبات والحيوان كالكرمة في الكرم وكالحنظلة في البخل وكالنخلة في الرفعة وكالنمر في الشدة والقوة وكالذئب في العيب والجارح في الحرص وكالنملة في الجمع وكالثعلب في المراوغة وكالفارة في السرقة فكل بينه نسبة ما وبين الإنسان مندرج في روحه الروحانية أربعة آلاف حكمة معنوية وفي محسوس جسده أربعة آلاف حكمة كذلك له في كل يوم اثنا عشر ألف نفس وفي كل ليلة اثنا عشر ألف نفس فيوم القيامة ينظر كل نفس أخرجه في غفلة عن ذكر الله ينقطع قلبه عليه حسرات حكمة اعترفت بالعجز عن إدراك حقيقة كنهها فكر فطر الأذهان.

أحمده على جزيل الإحسان وأشكره على مزيد الفضل والامتنان وأسأله لي ولكم التوبة والمغفرة وأن يجعلنا من عتقائه من النار في شهر رمضان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حي لا يقيمه الطبايع. عليم لا بفكره جنان قادر لا بمعونة أعوان مريد لما يكون وما قد كان سميع لا بآذان بصير لا بحدقة وأجفان متكلم لا بشفة ولا لسان عظيم لا بشدة أركان أول ليس له مبدأ آخر جل عن منتهى ظاهر بالدليل باطن بالحجاب أول لم يسبقه شيء آخر بعد كل شيء ظاهر يثبته العقل باطن لا

يدركه الحس ظهر بالدليل للمؤمن فوجده وبطن عن الكافر فجحده كل مخلوق محصور بحصر (نسخة: ما سوى في فطر).

والخالق باين متباين يعرف بعدم مألوف التعريف أين الأزل من الزائل إنما يقع الإشكال فيمن له إشكال وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال فأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال كيف يقال كيف والكيف في حقه محال كيف تخيله الأوهام وهي صنعه كيف تحده العقول وهي فعله كيف تحويه الأماكن وهي وضعه انقطع سير الفكر وقف سلوك الذهن ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه سبق الزمان فلا يقال كان إذ هو موجد الزمان تمجد في وحدانيته عن زحام مع أبرز عرايس المخلوقات من خدركن ثبت الحكم فلا يعارض بلم تعالى عن بعضية من وتقدس عن ظرفية في وتنزه عن شبه كان وتعظم عن نقص لو أن وعنّ عن عيب الآن وسما كماله عن تدارك لكن فهو القيوم الحي الذي ليس كمثله شيء وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله وأمينه ودليله الداعي من دار الكدر والحدثان إلى دار الروح والريحان فهو يعلمه الجمال وكل الكمال وواسطة العقد وزينة الدهر يزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر فهو صدرهم وبدرهم وعليه يدور أمرهم قطب فلكهم عن كنيتهم واسطة قلادتهم نقش فصهم بيت قصيدتهم خاتمهم شمس ضحاها هلال ليلتها درّ معاصيرها زبرجدها شرعة مقدم الخلق سيرته سر القلم فهو حامي الإيمان وماحي الكفر قيل لموسى على قُلّة جبل الطور ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢].

قيل لمحمد ﷺ على رفرف النور السلام عليك أيها النبي الكريم ركب سليمان عليه السلام جواد الريح فعلا به وانتهى. ومحمد ﷺ طار به البراق إلى سدرة المنتهى. عيسى كان يدع الميت فيقوم. ومحمد كلمه الذراع المسموم. حنّ الجذع اليابس إليه. وسلَم الحجر الجامد عليه. قرن الحق طاعته بطاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرن محبته بمحبته فقال: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقرن مبايعته بمبايعته فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وقرن اسمه باسمه فلا يذكر إلا ويذكر معه فهو سيد ولد آدم ونقطة دائرة العالم وتاج بني هاشم تارة يقسم الله تعالى بحياته: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، أي وحياتك يا محمد. وتارة يقسم بطرة غرة جبينه ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]. وتارة يقسم بتراب قدمه ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١-٢]. من أحب شيئا أكثر ذكره وبالغ في مدحه وشكره ذكر عينيه فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨]. ذكر بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧]. ذكر أُذنه فقال: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]. ذكر وجهه فقال قد نرى تقلب وجهك في السماء. ذكر لسانه فقال: فإنما يسرناه بلسانك لتعجل به. ذكر نطقه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]. ذكر صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. ذكر قلبه فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]. ذكر فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١]. ذكر ظهره فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣]. وذكر يده وعنقه فقال ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]. ذكر ثيابه فقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:

٤]. ذكر خيله فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]. ذكر نسائه فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. ذكر أهل بيته فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، إنه حميد مجيد، وذكر أصحابه فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويقول له إذا اشتقت إلينا تارة ارفع رأسك ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]. وتارة يقول اخفض رأسك واسجد واقترب اسجد بوجهك واقترب بقلبك. اسمك مشتق من اسمنا وخلقك من خلقنا ومع هذا إنك لكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. طرازكم قميص الأعمال الصلاة على الرسول والآل.

نزل جبريل من فلوات السموات على سيد السادات وقبلة الكائنات يا محمد: بشّر أمتك ما من عبد يصلي عليك مرة إلا صلى الله عليه عشرا. وفي صحيح مسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا. قال سفيان الثوري من وجد في عمله التقصير فليكثر من الصلاة على البشير النذير.

فإذا قامت القيامة فموسى صاحبه وعيسى حاجبه والخليل مقدم عسكره وآدم ينادي بلسان حاله: يا ولدي صورتي يا ولدي معناي صلى الله عليه وآله الأصفياء وصحابته الأتقياء وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بدوام أعمال العاملين تفوق صلاة كل المصلين عليه من الملائكة والأنس والجان تسليما وكرم تكريما وزاده شرفا وتعظيما.

الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

كتاب شرح أسماء الله الحسنى

وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي نوّر سماء الوجود بمصابيح أسمائه الحسنى، وفتح أبواب خزائن الجود بمفاتيح صفاته الأسنى، وخشع لهيبة جلاله الأرواح الطاهرة في السموات العُلى، وهامَ في بيداء جلاله عقول المهيّمة في الملأ الأعلى، وكشف عن بصائر أهل العرفان أكِنّةَ حُجُب الريب والعمى، حتى عرفوه بتعريفه، وشاهدوه في ملابس مراتب الصّور والمعنى، واحتجب بحجاب عزّه عن درك أبصار المحجوبين فعموا عن مشاهدة تجليات جماله الأجلى، وحُرِموا لذّة سماع خطابه الأشهى.

والصلاة على من أرسله بالبشارة العظمى، وجعله رحمة للملأ الأقصى والأدنى، فأورد عطاش فيافي الغفلة المورد الأجلى، وسقاهم بكأسات نصائحه شراب محبته الأصفى، صلى الله عليه وآله سادات الآخرة والدنيا، وأصحابه المؤمنين نجوم الطريق لأهل الهدى.

أما بعد، فلما كانت الأسماء الإلهية مواد الكائنات وأصول الممكنات، التي لا يمكن ظهور عين من أعيان الكون إلا بها، ولا يثبت قواعد أركان عالم الإمكان إلا عليها، ولولا سلطان أحكامها وتصاريف آثارها ما ظهر لوجود الكون اسم، ولا لكون الوجود رسم.

وقد طال شوقي إلى كشف بعض ما أمكن من أسرارها، وبثٍّ ما تيسّر من حقائقها، لطول استئناس بتلاوتها كل صباح ورواح، وسروري بذوق كأسات شراب الأنس عند قراءتها، التي تتضمن كل فوز ونجاح، فاستخرت الذّي ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[القصص: ٦٨].

فلما ألهمت وأيدت، قيدت ما سنح لي من حقائقها كما اقتضى حكم الوقت، بلسان أهل الذوق والإشارة من أرباب الهمم العالية والنفوس الفاضلة، لا ما وقف عنه أصحاب النظر النازلة، فإن استجلاء غوامض أسرار أسماء ربّ الأرباب تبصرة لأولي النّهى، وغذاء لأرواح أولي الألباب، واستكشاف حقائق صفات عَلّام الغيوب شفاء لما في صدور أرباب القلوب، ولا يجول في جوّ فضاء ساحات الغيب إلّا من خلص من قيود مدارك الفكر والحسّ، ولا تزول ظلمة الشّرك والرّيب إلا بشهود تصاريف تجليات الأسماء والصفات في فسيح حظائر القدس.

وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات، وإيراد الشبهات، بل بمخالفة الهوى، وقمع محبة الدّنيا، والتحقق بحقائق التقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢].

وصحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم".

فاشترك نوع الإنسان مع الملأ الأعلى في الطّلب، واختلفا في الكيفية، فإنهم يطلبونه بالأنوار العقلية لكونهم عقولاً مجرّدةً، وهو جلت عظمته محتجب عن العقول، فأنّى لهم سبيل الوصول إلى أسرار الذّات وحقائق الصّفات.

ومن هذا النوع من يطلبه به لكون الحق سمعه وبصره، ومنهم من يطلبه بنظره العقليّ.

وطالب الدليل على صحة وجدان أهل الطريقة كطالب الدّليل على حلاوة العسل ولذّة الجماع مع العنت، وهذا شيء لا يقوم عليه الدليل إلا الذوق، وفيما جرى بين الخضر وموسى عليهما السلام تبصرة لأولي الأبصار.

فالوصول إلى معرفة الذات المتعالية لا يمكن للعقل من حيث النظر، فإن العلم بالله من حيث النظر لا يزيد الناظر إلا الحيرة، وإنما يعلم بإعلام الحق على الوجه الذّي يليق بجلاله لمن اختصه من عباده.

فمن قال: إن الحق – جلّت عظمته – يُعرف بالدّليل فإنه يضرب في حديد بارد، ومن هذا قال من قال: "العلم حجاب". يريد به العلم النظريّ.

فأهل الله علموا الحق بإعلامه تعالى، لكون الحقّ علّمهم كما كان سمعهم وبصرهم.

ومثل هؤلاء لو تصور منهم نظر فكري لكان الحق عين فكرهم، لكن لا يتصور، فمن يكون مشهده هذا أنّى يكون له فكر، بل هو مع الفهم عن ضروب إلهام الحق من غير تفكر، لاستهلاك صفاته في صفات الحق، ومن كان فهمه عن تفكر فما هو من أهل الذّوق، جعلنا الله ممن ذاق لذة الوصال، وفاز بالتعرض لنفحات لطفه في الغدو والآصال.

مقدمة في الأسماء الإلهية

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

اعلم أن الأصل في الذات المقدسة – تباركت وتعالت – التعري والتنزّه عن الصفات، وإطلاقه عن التقييد بالصفات، وغناه عن العالم، لأن كل اسم وصفة يقتضي كوناً من الأكوان، ولا ظهور لها إلا بها، فلو كان في الوجود ما تطلب الأسماء ظهورها لزم منه قِدم العالم، وقد صح في الخبر الوارد: "كان الله و لم يكن معه شيء"، فلا ظهور لأحكام الأسماء إلا في القوابل، وليس ذلك إلا بإخراجها الأعيان عن حضرة الثبوت، وحصولها في عرصة الوجود، فلما اكتسى الأعيان الثابتة حلّةُ الوجود حصل مراتب أنواعها في نفس الأمر، فعند حصولها في محل سلطنة اسم الظاهر الحاكم على ولاية المظاهر ظهرت آثار الأسماء الحسنى، وبرزت نتائج الصفات العليا.

والأسماء غير متناهية، لأنها حضرات تتضمن مُلك الله الذي هو أعيان الممكنات، والأعيان لا توصف بالتناهي، لأنها عين ثبوت الحق، ولا نهاية لشؤونه دنيا وآخرة، نعم ما وجد منها فهو متناهٍ.

ويدلك على هذه الجمعية الإلهية قوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، سمى نفسه بكل ما يفتقر إليه، وهذه حقيقة سارية في جميع أفراد مراتب الأكوان أن يدخل في أجزاء أفرادها علواً وسفلاً، فإذا علمت هذا فاعلم أن الأسماء الإلهية على أقسام:

منها: الأسماء الإلهية المضمرات مثل "هو" و"نحن" و"أنا".

ومنها: الكنايات، مثل "الفالق" و"الجاعل".

ومنها: أسماء النيابة مثل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾[النحل: ٨١]، وهو الواقي – عز شأنه – والسربال ناب منه منابة في الوقاية.

ومنها: ما لم يطلق عليها أدباً وإن نطق القرآن بها، مثل: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ﴾[التوبة: ٧٩]، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤]، و﴿يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٥]، و﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾[الطارق: ١٦]، فالتحجير رفع التحجير في إطلاق الاسم عليه سبحانه بالنسبة إليه لا بالنسبة إلينا، فلا يسمّى إلا بما سَمّى نفسه وما منع منه ذلك منع أدباً.

وكذلك الأفعال، فإن من الأفعال ما تعلق الذّم بفاعله كالشرك والظلم والفساد، ومنها ما تعلق الحمد والمدح بفاعله كالإحسان والصبر والشكر، وأخبر عن نفسه تعالى بأنه يحبّ المتصفين بما يتعلق به الحمد، ويبغض الموصوفين بما يتعلق به الذم، فليس لأحد أن يتصرف في إطلاقه الأسماء عليه أو نسبة الأفعال إليه سبحانه إلا بما أطلق له التصرف فيه، ومعرفة التصاريف ثبتت بإعلامه شرعاً لا عقلاً، والحق تعالى ما نسب إلى نفسه من الأسماء الحسنى دون غيرها من الأسماء، وإن كان الكل أسماؤه في الحقيقة إلا أنه عراها عن النعت إلا بالحسنى.

وأكمل الخلق وأعلمهم بحقائق أسماء الله وصفاته الرسل، لأنهم ما علموا إلا بإعلام الحق لهم، وصحّ عن المخبر الصادق صلوات الله عليه: "إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة، مَن أحصاها دخل الجنة" وقوله: "مائة إلا واحدة" هو على وجه التأكيد كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾[البقرة: ١٩٦].

فتقييده على التأكيد عند أكثر العلماء، وهو أبعد من التصحيف في الكتابة لأن التسعة والتسعين يشبه في الكتابة السبعة والسبعين والتسعة والسبعين والسبعة والتسعين، فأزال الالتباس بالقيد.

وأما قوله عليه السلام: "من أحصاها"، الإحصاء عند علماء الظاهر بمعنى العلم، وهو معرفة ألفاظها ومعانيها، والعثور على حقائق نتائجها وآثارها. وعند أهل الله الاتصاف بها، والظهور بحقائقها، والعبور على مدارج نتائجها، بحيث يصدق عليهم إطلاق أعيانها، كما أنه تعالى وصف نفسه بأنه: ﴿خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾[آل عمران: ١٥٠]، و﴿خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧﴾[الأعراف: ٨٧]، وخير الحافظين بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾[الأنبياء: ٨٢]، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾[المائدة: ١١٤]، و﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾[الصافات: ١٢٥]، وأخبر عن نبيه أنه: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التوبة: ١٢٨].

ففي أمثال هذه التنبيهات مجال متسع لأهل العناية من أرباب القلوب وأصحاب الكشف والشهود، يتصفون بحقائقها، وينصبغون بصبغ آثارها في سلوكهم على مناهج السنن المشروعة، وسيرهم على مدارج طريقة أهل الولاية، والتخلّق بالأخلاق الإلهية، ويصير ذلك قربة لهم إليه، ووسيلة لديه.

نسأل الله الكريم المنّان أن يجعلنا من أهله، فإنه ما وَلَي مَن وَلَي إلا من أهليّة إلهية.

شرح الأسماء الحسنى

هُوَ

اعلم أن الهوية سرّ الإلهية، وهو عبارة عن موجود أزلي متفرد بصفة الجلال والكمال، وهذا أول كلمة دعا الله إليها عباده بقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، فتم بها الكلام، ثم قال: ﴿ٱللَّهُ﴾وهو الاسم الجامع الخاص الدال على الذات الأحدية بجميع أجزائه الحرفية وحقائقه الوضعية، وسر الهوية فيه،

إلا أنه لا يظهر إلا بعد تجرده عن قيود أحكام الحروف المركبة، لكمال تفرده عن الأغيار، وقوة تنزهه عن حقائق الآثار.

ثم إنه وإن كان مركباً من بعض الوجوه من الهاء والواو، ولكن الأصل الثابت هو الهاء، فإن الواو ساقطة في آخر كلمة إليه وفي التثنية والجمع كقولك: "هما" و"هم"، فبقي الهاء يدل على الأحدية المطلقة عند استهلاك الصفات، وإسقاط النسب والإضافات.

واعلم أنه للهاء في الهوية مرتبة الأولية، وفي الإلهية مرتبة الآخرية، فلها البداية في الهوية والنهاية في الإلهية، مشيرة إلى أسرار عظيمة، ومعانٍ جليلة:

منها: ما يهبّ من معانيها نسمات الرجاء على قلوب أهل الكشف، وهو أن حركة الموجود دورية، فعين النهاية عين البداية، فكما كان السبق للرحمة كذلك المآل إليها.

ومنها: جلالة الهوية ورفعتها على جميع الأسماء، وهي أن أصل الهاء الذي هو ضمير الهوية الذاتية إنما هو الرفع، إشارة إلى أن كمال الرفعة المطلقة لها ذاتية، وإنما يرد عليها وارد النصب والجر من حيث قابليتها للحركات الإعرابية، إشارة إلى جمعية قابليتها جميع النعوت والأحكام والصفات والنسب والإضافات واللوازم واللواحق والعارضات، والقوة الرفيعة التي هي أصلها استلزمت الواو أخت الضمة، ولها ضمير الجمع في العلوم العربية، كذلك لها الإحاطة والشمول بخصوصيات الحروف في مراتب المخارج، والواو باطن الهاء وحركتها عكس حركة الهاء، وكلاهما دورية، فإن حركة الهاء ومخرجها من باطن الصدر بقرب القلب عند أهل الكشف يمتد بها النّفَس، فيمر على مخارج الحروف كلها حتى ينتهي إلى ظاهر الشفتين، ثم يعود عوداً سريعاً كالبرق إلى ما منه بدأ، منصبغاً بأحكام الحروف كلها في دورها الجمعية الإحاطية، وحركة الواو عكس حركة الهاء، إذ يبتدئ مما بين الشفتين، ثم يهتدي إلى الصدر، فيمر على مخارج الحروف كما مرّ، ثم يعود إلى ما منه بدأ، وحركة الهاء من عالم الغيب إلى الشهادة، لِما يقتضي ذاتها من مرتبة المبتدائية، وحركة الواو من عالم الشهادة إلى الغيب، فلهما الإحاطة والشمول على حقائق أعيان الحروف في الدروج والعروج في مراتب المبتدائية والمعادية، وهما منطبقان حقيقةً ومعنىً، ينطبق أحدهما على الآخر انطباق أول الدائرة على الآخر، ولهما جمعية حقائق الحروف المقدسة الروحانية كلها التي هي مواد الأسماء الإلهية إذا تركب بعضها على بعض على اختلاف أوضاعها.

ومن نتائج تركيبها وآثار جمعيتها لأصحاب العلوم الروحانية تصرفات في العوالم الجسمانية والروحانية والملكوت السفلية والعلوية.

وكما أن ظاهر النفس الإنساني مادة الحروف الملفوظة كلها، كذلك ظاهر النفس الرحماني مادة حروف الوجود، وهو قيوم الكل، لا إله إلا هو، سبحانه أن يكون معه غيره، وهو العزيز الحكيم.

ونُقل عن الجنيد – قدست أسراره – أنه عطس رجل بحضرته فقال: الحمد لله، قال الجنيد: قل كما قال الحق: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة: ٢]، فقال الرجل: مَن العالم حتى يذكر مع الله؟ قال: "الآن"، فقال: وإن المــُحْدَثْ إذا قُرِنَ بالقديم لم يبق له أثر.

فالأول: مقام الفاني في الله، الغائب عن رؤية حجابيات الكثرة، الهائم في بيداء الغيرة.

والثاني: مقام المحقق الكامل الباقي ببقاء الحق بعد تعديه أطوار المراتب السبعة في الفناء وتحققه بحقيقة ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨]، أزلاً وأبداً، لأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وما كان له في نفس الأمر وجود حتى يقال إنه فنى، بل وجود الفناء مُتَوَهَّمٌ مُتَخَيَّلٌ، فزال الخيال لكشفه عن حقيقة الحال، ومعاينته أن الفاني فانٍ في كل حال، والباقي باق لا يقال، فحينئذ يقول بلسان الحق: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[الفاتحة: ٢]، وهو المعبرً عن سير الحقّيقة الجمعية الكمالية على مراتب الوجود، والله الهادي.

الله

الذي له القدرة والاختراع والخلق والأمر، الجامع للذات والصفات والأفعال.

اعلم أن شأن هذا الاسم عظيم، وأمره جليل، ليس لعيون الأفهام والعقول إلى مشاهدة أسراره سبيل، وليس للقوة البشرية أن يسلك طريق البحث والتفتيش في حقائق الأسرار الإلهية، والاطلاع على خفايا مملكة الفردانية، وليس لأهل القرب من الذات إلا الدهشة والحيرة، يترددون بين اليأس والطمع، إن نظروا إلى هيبة جلاله ييئسوا، وإن نظروا إلى أنس جماله طمعوا، فلولا أنس الجمال لتقطعت أوصال العارفين دهشة، ولولا طمع الوصال لذابت قلوب المحبين حسرةً.

وإني مشيرٌ بما مَنّ الله سبحانه على عبده – فإنه المفضل المنّان يمنّ على من يشاء بما يشاء – إلى بعض ما يمكن بثه من أسرار هذا الاسم بجلالته تباركت وتعالت.

منها: حقائقها الحرفية المشيرات إلى الأسرار الكشفية:

اعلم أن هذا الاسم عند أهل التحقيق مركبّ من خمسة أحرف رقماً وهي ستة لفظاً، إشارة إلى إحاطة الذّات المتعالية العوالم الخمسة المحسوسة والجهات الستة المختلفة وسد طرق الأبنيات، وأولها الألف، وفيه إشارات:

الإشارة الأولى منها: اختفاؤها في الهمزة لفظاً كخفاء الهمزة في الألف رقماً، إشارة إلى خفاء مظاهر الأكوان في الغيب المجهول أوّلا، كاختفاء أسرار الذات الإلهية وحقائق الصفات الأزلية في رقوم المظاهر أخيراً.

الإشارة الثانية:

ومنها: أن الألف هو عين النفس الممتد من باطن الصدر، المتعين في جميع درجات المخارج الحرفية، الظاهر بصور الحروف كلها، إذ به كانت قيامها من حيث قيوميته في عالم الحروف، فهو هيولى لحقائق الصور الحرفية، وظواهر الحروف صورٌ تفصيلية له، وهي في أحدية النفس عينه، غير أن كُلاً منها يمتاز عن غيرها في درجتها من درجات المخارج، كذلك امتداد النفس الرحماني وإحاطته بمراتب الكائنات ونفوس أفراد الممكنات من العلويات الروحانيات والسفليات الجسمانيات، فإن الكل صور كلمات الله التي لا نفاد لها، وتنوعات تجلياته، والمتغير في حروف أعيان مراتب الوجود، والظاهر في مظاهر الأكوان بحسب قابلياتها وخصوصياتها، والكل في قبضته، ووجودهم فيه، وقيامهم به، وصدورهم منه، ورجوعهم إليه: "وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما يطلبه الملأ الأسفل"، "وهو معهم أينما كانوا"، "وأقرب إليهم من حبل الوريد".

الإشارة الثالثة:

ومنها: مراتب النفس في إظهار الحروف:

اعلم أن للنفس الإنساني ثلاث مراتب:

إحداها: قبل امتداده، وهي مرتبة إجمالية وعينية قبل التعين، ووجود ظواهر الحروف مندمجة مستهلكة فيها استهلاكا لا يتميز أعيانها ولا يمكن شهودها وعيانها بل وجود الألفية المنشئة للحروف مستهلك في هذا العالم كاستهلاك صورته في وجود النقطة في عالم الرقم، وكون الحروف عينه ككونه عين النقطة، إشارة إلى هوية الغيب، وتباين المطلق، وانتفاء الكثرة الوجودية النسبية حيث "كان الله و لم يكن معه شيء"، واستهلاك الكثرة الأسمائية والصفاتية في الهوية المقدسة عن التعين واللاتعين.

الثانية: امتداد النفس وتوجهه بالإيجاد إلى أعيان الحروف حال تعيناتها في مخارجها، ورجوعها إلى الباطن عند انتهاء تحقق وجود الألفية، وهو النفس الممتد من حيث امتداده، إشارة إلى امتداد النفس الرحماني وتوجهه إلى حروف الأعيان حال تعيناتها في مراتبها، وتنزلاتها في مدارجها، ورجوعها إلى باطن عالم الغيب في معادها ومراجعها.

ثم هذا الامتداد النَّفَسيّ:

إما أن يكون عارجاً فيسمى بالفَتحة، إشارة إلى فتح أبواب الفتوحات الإلهية وجذبات العناية الربانية.

وإما هابطاً إشارة إلى التنزلات الوجودية، وورود التجليات الربانية إلى مراتب التعينات الإمكانية والحقائق الجسمانية.

الثالثة: تعين مراتب النفس في درجات المخارج، وظهوره بصور الحروف، وتشكله بأشكالها، وتعداده في عقود مراتب الأعداد بتكرار حقائقه في الامتداد، وسريانه في مراتبها، واتصافه بها، وصيرورته عينها، مع تنزهه وغنائه عنها، إشارة إلى الفيض الوجودي والتحلي الوجودي، طالعاً من مطالع الغيب اللاهوتي، سارياً في حقائق التعينات الناسوتية، ظاهراً بحقائق أحكامها ونتائج آثارها، وهو مع ذلك كله على إطلاقه الحقيقي، وغناه الأزلي، وتنزهه الأبدي، كاللون المطلق فإنه يسمى في الأبيض بياضاً وفي الأسود سواداً، إلى غير ذلك على التعيين والتقييد، وهو مع ذلك على إطلاقه في العين لا في التعين.

الإشارة الرابعة:

ومنها: حركات سورةٍ ألفيةٍ في عالم الرقم، ولها ثلاث اعتبارات:

إحداها: الحركة المستقيمة، وصورة المرقومة الألفية في هذه المرتبة ــــ سواء كانت نازلة من فوق أو صاعدة من تحت ــــ إشارة إلى حيطته بالعظمة والكبرياء والقدرة والجلال في مراتب الأكوان ومجالي الأركان، من قطان حظائر الملأ الأعلى إلى سكان حظائر الثرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]، ومساواة النسبة الفوقية والتحتية إليه عز شأنه.

الثانية: الحركة الممتدة في العرض هو الباء، وهو أول معلوم ظهر من حضرة الوحدانية الألفية، وكذلك روحه أول معلول روحه وهو العدد، فإن الاثنين أول معلول للواحد، وهو أول الأعداد ومبدء

الكثرات، إشارة إلى انتشار مجملات العلوم الخفية، وانبثاث الأسرار الخفية على صفحات ألواح المظاهر الخلقية، وفلتات ألسنة سكان العوالم السفلية والعلوية.

الثالثة: الحركة المستديرة، وهي حركة دورية إحاطية كمالية، يتصل نهايته ببدايته، لاتصال نقطته الآخرة بنقطته الأولية، إشارة إلى التجليات الرحمانية ولطائف النفحات الربانية من مراتب التعينات الوجودية ومدارج المظاهر التقييدية إلى إطلاقه الأول، ورجوعها من الشهادة إلى الغيب، وعروجها من حضيض الظلمة السفلى إلى علو فضاء النور الأعلى، وذلك:

إما بالمعراج والترقي في درجات الأحوال، والتقلب في أطوار المقامات على قانون طريقة أهل الكشف.

وإما بالموت الطبيعي ومفارقة الجوهر النفساني لهذا المركب الجسماني.

وإما بالمكاشفات البرزخية في المواطن المثالية من طريق النوم المشروطة بطهارة النفس من الأخلاق الرديئة والصفات الحجابية ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

الإشارة الخامسة:

ومنها: انفصال صورته الحرفية الرقمية عن صور الحروف كلها في أوائل الكلام، واتصال الحروف به في الغاية، إشارة إلى العلو والغنى، والرفعة، والنزاهة الذاتية، وانقطاع نسبة بين المطلق والمقيد، وعدم الرابطة بين اللاتعين والتعين، وسطوة الغيرة الأحدية، وظهور حقيقة ما للتراب ورب الأرباب، واتصال حروف الكائنات به، ورجوع أعيان الموجودات إليه آخراً، ورفعه إياها بالعناية الأزلية والكفاية السرمدية إلى إطلاقه الحقيقي وجمعه الغيبي، عند اضمحلال رسوم السائرين، واستهلاك وجود العالمين، وفناء الأعيان الوجودية في الهوية الغيبية الأحدية الجمعية.

وأما اللامان بعد الألف:

إحداهما: بيده وهو ملكوت كل شيء.

والأخرى: له وهو الملك الذي لله الواحد القهار.

فاللام الأول: إشارة إلى لوح الحقائق الملكوتية المتصلة بالتجلي، والتحلي بالحلل الوجودي في مرتبة العيان الشهودي، قبل المحسوس الشهاديّ ونظام الملك بمشاركة الأجسام والنفوس، وقبولها وجود الفيض الواصل بالتجلي النازل قبولاً أحدياً جملياً، كضرب السكة بلا واسطة كما قال عز شأنه: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[القمر: ٥٠]، ثم إضافة التجليات من تلك الحقائق الملكوتية على ما أدغم فيها - من مراتب عالم الإمكان ودرجات تعينات الأعيان - وتكميلها بالتطهير عن خبث النقائص، وإيصالها إلى إطلاقه الحقيقي بعد سريانه فيها.

واللام الثاني: إشارة إلى مجالي الظهور، وآثار تجليات الملك العزيز الجبار في سعة عرصة الملك، وتفصيل ما كان مجملاً من أحكام قدرة المالك، وأسراره في حقائق الملكوت وملكوت الملكوت.

وأما سر إدغام لام الملك في لام الملكوت إشارة إلى أن ظاهر القابل مندرج في باطن المقبول، والشهادة في الغيب، فإن ظهور الظاهر أبداً عن باطن سابق عليه، وإن كان هذا الاعتبار يعكس من

وجه، وهو أن الملك حامل للملكوت، والغيب محموله في الشهادة، فلام الملكوت من هذا الوجه مدغم في لام الملك، فلا يقدح ذلك فيما ذكر، لكون الأمر دوريا كما مرّ.

اختلاف العلماء في علمية لفظ الجلالة (اللّه) تعالى

وأما اختلاف العلماء في علميته ووجوه اشتقاقه فخارجٌ عن مشرب أهل الذوق، ولكن نذكر طرفا منها.

فاعلم أن مذهب أكثر العلماء من أهل الحق وأصحاب الكشف أن هذا الاسم علم للذات المتعالية، وأن الله تعالى أقام هذا الاسم مقام الذات موضوعا لجميع الأسماء والصفات، وأضاف سائر الأسماء الحسنى إليه، وحملها عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وحمل هذا الاسم على هويته الغيبية، ووضعه موضع المسمى، فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[التوبة: ١٢٩]، إشارة إلى نفي ما يستحيل كونه، وإثبات ما يستحيل فقده.

وأنكر المعتزلة والأشاعرة وطائفة من علماء العربية علميته وقالوا: أن وضع الاسم العلم متوقف على معرفة حقيقة الذات، وذاته غير معلومةٍ للخلق، فوضع العلم له محال.

وأجيب عنه: بأنه وإن لم يكن ذاته معلومة للخلق، وليس لهم أن يضعوا له اسماً عَلَماً تعليماً، فلا خلاف أنّ ذاته تعالى معلومة له، ولا يمتنع عليه أن يضع لذاته تعالى اسما عَلَماً، تعليما لعباده على ألسنة رسله وأوليائه.

قول من أنكر علمية لفظ الجلالة (اللّه) تعالى

ومن أنكر علمية هذا الاسم قال باشتقاقه.

فقال بعضهم: إنه مشتق من الوله، وهو شدة المحبة، الأصل فيه ولاه، فأبدل الواو همزة، وأدخلت لام التعريف، وأدغمت في لام الأصل، وفخمت للتعظيم، فقيل الله بمعنى: أنه تعالى هو المحبوب الحقيقي الذي يوله فيه العارفون، ويتوله في جماله العالمون، فيشتد به ولههم به، وتألههم فيه، وشوقهم إليه، قال جلت عظمته: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقيل: إنه مأخوذ من ألِه يأله إذا فزع ولجأ، لكونه تعالى مفزع وملجأ كل جزع، وهو المجير الذي به النفير، وإليه المفزع والمهرب للخطير والحقير.

وقيل: إنه مأخوذ من قول القائل: ألِهتُ بالمكان، أي أقمت به، وهذا كناية عن الدوام والبقاء الذاتي والإقامة والثبات على ما يقتضي ذاته المتعالية من إضافة أنوار الوجود من حضرة الربانية على أعيان المربوبات بمقتضى الكرم والجود.

وقيل: إنه مشتق من الإلهة، وهي العبادة من حيث أنه المعبود على الحقيقة بكل مكان، والمسجود في كل زمان وأوان في كل ما لله يسجد ويعبد مما يعقل ويشهد – سواء عرفه العابد والساجد أو لم يعرفه، قصده أو لم يقصده – لأنه تعالى قضى وأمر أن لا يعبدوا إلا إياه.

وقيل: إنه مشتق من الإلهية، وهي المقدرة على الإيجاد والاختراع، وهو لقادرُ بالذات، قدير على إبداع المبدعات، واختراع المخترعات، وإيجاد الموجودات من الأجناس والأنواع، المعقولات والمحسوسات إلى ما لا يتناهى من أعيان مراتب الممكنات، فلا غاية لشؤونه، ولا نهاية لتجلياته.

وقيل: إنه مشتق من لاه يلوه إذا احتجب، وهو تعالى محتجب برداء كبريائه وكمال عظمته عن العقول البشرية، والمدارك الفكرية، والإحاطة العلمية، ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقيل: إنه مشتق من لاه يليهُ: أي ارتفع، إشارة إلى أن الرفعة الحقيقية له تعالى بالذات، وإلى إطلاقه عن التقييد برفعه المكان والمكانة، لكونه عز شأنه معطياً للرفعة، وهو الرفيع الرافع، وله الرفعة الذاتية بالذات، والمرتبة والشرف على كل ما سواه من الموجودات.

وقيل: إنه مشتق من وَلِهَ الفصيل بأمه إذا ولع، وذلك أن الخلائق مولعون بالله في التضرع إليه عند الشدائد، والسؤال عنه في كل حال.

وقيل: الأصل في هذا الاسم هاء الكتابة، إشارة عن غيب ذاته وهويته المطلقة، ثم زيد فيه لام الملك، إشارة إلى أنه تعالى مالك، والكل ملكه: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]، ثم زيد على لام الملك لام التعريف نفياً، لإمكان وقوع الشركة، إشارة إلى أنه تعالى متفرد بالعظمة والكبرياء، متعزز بالقدرة والبهاء، لا مشير له في سلطانه وحكمه، ولا ظهير له في إنفاذ أحكامه وتصاريف أموره في ملكه.

وقيل: إنه مشتق من أله يأله إذا تحير، إشارة إلى حيرة عقول أولي الألباب في مبادي سبحات جلاله وسطوات إشراق أنوار كبريائه، وهذا الوجه هو مركز دائرة الوجوه كلها، لما اختص هذا الاسم من الأحوال بالخيرة والعبادة والرفعة، وهي التنزيه – وهو رفعته عن التشبيه لخلقه – والتنزيه يؤدي إلى الخير، لأن غاية التنزيه إثبات النسَب، وهي الصفات الكمالية التي يتوقف عليها وجود أعيان المظاهر.

فإن قال القائل: أن تلك النّسب أمور وجودية زائدة على ذاته تعالى، فقد صرّح أنه لا كمال للذات إلا بها، وأنَّ ذاته كان ناقصاً عند ظهورها، كاملاً بالزائد الوجودي.

وإن قال: هي هو ولا وجود لها، أو إنما هي نسب، والنسب أمور عدمية، فقد جعل للمعدوم أثراً في الوجود.

وإن قال: ما هي هو ولا غيره، كان قولا بلا روح وكلاما لا معنى لها، يدل على نقص عقل القائل.

وإن سكت الناظر ولم يقل شيئا، فقد عطل القوة النظرية، فإذا عجز العقل عن الوصول إلى العلم بشيء من هذه الأسرار لم يبق الطريق إلا الرجوع إلى الشرع، ولا يقبل أحكام الشرع إلا بالعقل، لأنه الأصل وقد عجز، فالناظر عن معرفته الفرع وثبوته أعجز.

فإن تعامى عن النظر، وقبل قول الشارع إيماناً بأمر ضروري لا يقدر على رفعه لابد له أن يسمع الشارع، ينسب إلى الحق أموراً، يقدح فيها أدلته النظرِية ويحتاج إلى التأويل، فإن تأوَّله ليرده إلى النظر العقلي فهو عائد إلى عقله، وجاعل وجود الحق سبحانه على وجوده، وثبت أن الله تعالى لا يدرك بالقياس، فهذا غاية تنزيه المنزه وقد أدّاه إلى الحيرة، وصارت الحيرة مركزاً ينتهي إليها النظر العقلي والشرعي، وكذلك العبادة وهي التي كلف بها، والتكليف لا يكون إلا على من له الاقتدار على ما كُلّفَ به وأُمِرَ، والأفعال منتفية عن المخلوق بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، والشيء لا يكلف نفسه.

ثم لا يخفى أن الحق – تعالى كبرياؤه – خاطب عباده، فأمرهم ونهاهم، ولا بد من محل يقبل الخطاب، فأثبت الأفعال للمخلوق من هذا الوجه بما يقتضي قابليته، فنفى من وجه، والنفي والإثبات متقابلان، فرماه أيضا في الحيرة، فدرجات علوم العلماء بالله تدور على مركز الحيرة، ولهذا كان بعض العارفين يقول: يا حيرة يا دهشة يا حرفاً لا يُقرأ.

واعلم أن من اختصاص هذا الاسم وجلالته أنه تعالى عصمه أن يسمى به أحد غير ذات الحق، لكمال دلالته على الذات الأحدية، وإن كان لكل اسم إلهي دلالة على ذات الحق تعالى، لكن كل اسم من الأسماء – ما عدا هذا الاسم – مع دلالته على ذات الحق يدل على معنى آخر من إثبات أو سلب، و لم يقوّ في أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم، فإن مدلولات الأسماء الزائدة على مفهوم الذات مختلفة.

منها: أسماء يفهم منها أعيان الصفات الثبوتية كالحي والعالم والمريد والقادر.

ومنها: أسماء يفهم منها النسب والإضافة كالأول والظاهر والباطن.

ومنها: أسماء يقتضي الأفعال كالخالق والرازق والمحيي والمميت.

وليس في الأسماء اسم ينوب مناب كل اسم إلهي إلا الله، فإذا قال قائل: يا الله، فإن كان القائل من أهل الكشف فهو على بصيرة في هذا النداء، وإن يكن غير ذلك، فانظر في حاله عند النداء أي اسم يختص بمراده هو الذي يناديه القائل بقوله: يا الله، لكون هذا الاسم حضرة الأسماء، فمن عرف الله عرف كل شيء، ولا يعرف الله من فاته معرفة شيء من الأشياء، لأن حكم الواحد من الأسماء حكم الكل في الدلالة على العلم بالله، والله الهادي.

الرحمان الرحيم

الرحمانُ هو المفيض للوجود والكمال الصوري على كلٍّ بحسب قابليّات الأعيان كما تقتضي الحكمة.

والرحيم هو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بما أوجب على نفسه للمتقين والتائبين من عباده كما ورد في الدّعاء المأثور: "يا رحمان الدنيا ويا رحيم الآخرة" فالرحمان لأهل الافتقار، والرحيم لأهل الافتخار.

اعلم أن الرحمان سميت باسم المبالغة لعموم آثارها، وشمول سريانها، وسعة مجال تعرفاتها، وأنه لما انقسمت رحمة الله إلى واجبةٍ وامتنان، فرحمة الامتنان فيض من حضرة الرحمان، وبهذه الرحمة ظهر ما ظهر، وبها حفظ الخلق، ورزقهم على ما هم عليه، وبها كان مآل أهل الشقاء في الدّار المعمورة بهم إلى الرحمة، ومن عموم رحمته وشمول رحموتِهِ سريان النفس الرحماني في ذوات الأشخاص ومراتب الأكوان وأفراد تعينات الإمكان، وإن وجد فيما ظهر ما يناقض الرحمة صورته عند العموم – مثل الغضب والآلام – فهو عين الرحمة من حيث الوجود كشفاً وتحقيقاً، فإن من رحمة الحق بالغضب إيجاده المغضب، وإخراجه من العدم إلى الوجود، وإزالته في الموطن الذي غضب غضبا لم يغضب مثله قبله ولا بعده – كما ورد في الخبر – رحمةً بعباده، كما كان إيجاد الغضب رحمة بالغضب، فعمّت سلطان الرحمة الامتنانية – التي وسعت كل شيء – لدخول كل شيء فيها، وهي محل سلطنةِ اسم الرحمان.

ومن عموم هذه الرحمة عِظمُ فضل الله على الأشقياء، وإن كان مآلهم إلى دار الشقاء، فإنهم يستعذبون العذاب، لأحكام آثار سريان الرحمة فيهم على الوجه الذي يليق بحالهم، فإن ظهور الفضل لا يُعظَّمَ إلا في العصاة وأهل الحرام، وأما المحسنون فما عليهم من سبيل، ومن هذا العموم أضاف الكل إليه مع إسرافهم، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، فنهاهم أن يقطنوا من رحمته، حتى أطمع إبليس في رحمته من عين المِنّةِ، ولو قنطَ لكان زيادة معصية منه، ولكان من سكنةِ النَّار، وحمل أوزار من اتّبعهُ، فالمحمول منقطع إلى أجلٍ، لأنها جزاءٌ، والجزاء يوافق الأعمال، وهو منقطع، ولا انقطاع لفضل الله لأنه خارج من الجزاء الوفاق، ورحمة الامتنان وسعت كل شيء، لا تخصُّ محلا من محل ولا داراً من دارٍ، بل هي دار الوجود دنياً وآخرة.

وأما الرحمة الواجبة لها متعلقٌ خاص بالنعت والصفات المخصوصة، يظهر فيها آثار الرحيميّةِ، وهي مجالي تجلياتها ومحالُّ سلطانها.

وهذه الرحمة داخلة في الرحمة الإنسانية دخول النوع في الجنس، ولذلك قيّدها الحق بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فأخبر أنه تعالى يرحمهم ويجزّيهم بأعمالهم، فما نالهم الرحمة منه إلاَّ بما ناله التقوى منهم، وهو الجزاءُ الوفاءُ الوفاقُ.

المَلِكُ

مَن ملكَ قلوب العابدين فأخبرها، وملك قلوب العارفين فأحرقها.

هو الذي ينسبُ إليه ملكُ السماوات والأرض وملكوتها.

فالملك لاسم الظاهر، والملكوت لاسم الباطن، وهما وزيران لاسم الملك. فباعتبار نفوذ تصرفه في عالم الشهادة هو ملك الملكِ، وباعتبار نفوذِ تصرفه في عالم الغيب مالك الملكوت، لأنه مالك يوم الدين، وهو موطنُ الجزاء حيث كان، والجزاء باطن العمل.

وبتصرفه على الإطلاق هو المليك كما ورد في الدعاء المأثور: "يا رب كل شيء ومليكه".

وانعكست الصفتان من وجود رتبة الحقيّةِ، وسرت في مرآة قوابل الخلقية، وظهرت حقائق آثارهما ونتائج أحكامهما في طريق المتابعة وامتثاله الأوامر، فمن اشتمل تصرُّفات الأوامر ظاهره وباطنه فهو المؤمن، ومن وقع آثار التصرف في ظاهره سمي بالمنافق.

ومن قبل التصرف بباطنه دون ظاهره قيل إنه العاصي.

وقد جعل الله تعالى للإنسان العينين: البصر والبصيرة لإدراك هاتين الصفتين، وأضاف إلى نفسه الأعين بلفظ الجمع الدّال على الكثرة، إشارة إلى سريان أحكام اسم البصيرة في أجزاء أعيان الكون، لظهور قيام تصرفات الأعيان به، وتعلّقها بالركن الشديد الذي هو المتصرف الحقيقي عز شأنهُ.

القدوس

القدوسُ هو المطهَّر المنزّه عن كل ما وصف به، الذي قدّس نفوس الأبرار عن أدناس المعاصي، وأخذ الأشرار بالأقدام والنواصي، وكِلا الأمرين من آثار أحكامِ قدسه ونزاهته لمن تدبر الأمر وفهم.

اعلم أن الطهارة والنزاهة مترددة بين مرتبتين: الإطلاق والتقييد، حاكمةٌ على كل عين من الأعيان، ظاهرة في مظاهرها، يشهدُ أرباب الشهود آثارها بحسب درجاتهم في الكشف، فإن من أهل الله من يشاهد هويّةَ الحق في مظاهر الممكنات، فيشهد التقديس لها بوجود الحق وظهوره في أعيانها، وتقديسها به عمّا كان يختص بها وينسبُ إليها من الاحتمالات الإمكانية والتغيرات الحدوثيّة والظلمات التقييدية، ويرى الأمر واحداً بتجليه في الأعيان القابلة الكثيرة على أن كلاً من أعيانها في أحديتها لا يتغير عينه الوجودية، وإنما يظهرُ بعضها لبعضٍ ويخفى بعضها عن بعضٍ بحسب قابليتها وخصوصيتها، فكلٌّ عينٍ في خصوصيته وقابليته لشؤون التجليات مقدس عن خصوصيةِ عينٍ أخرى.

ومن أهل الكشف من يشهد الحق عين المظهر، ويرى أحكام أعيان الممكنات ظاهرة في مرآةِ وجود الحق، فيعود التقديس في هذا الشهود إلى ذات الحق عما ظهر من تغيير أحكام الممكنات في عين الحق، فيشهد الحق مُقدساً قُدّوساً عن التغيير في ذاته بتغيّر هذه الأحكام، كتنزه نور الشمس عن الانصباغِ عند وقوعه على الزجاجات المختلفة الألوان مع شهود الحس النور متلوناً، وكذلك ظهور الملك تارةً في صورة البشر، وتارة الذَّر، وتارة بحيث يسدُّ الأفق، لتنوع الصور عليه بحسب ما يقتضي حال المدرك، وهو في ذاته الملكية منزهٌ عن التغيير.

السلام

لسلامته عن كل ما نسب إليه مما كره من خلقه أن ينسبوه إليه، ومنه السلامة لعباده، فلكل عين من الأعيان مراتب الأكوان حظ من آثار هذا الاسم مع اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم، ولا يصل إلى جناب قدسه من المجموع إلا من سلمت نفسه عن الشهوات، وصفى قلبه عن الشبهات، فالسلامة منه إليه.

وسلامة أهل الحق تنزّههم عن دنس الشك وظلمة الشرك جلياً كان أو خفياً.

وعلامة المتصف بحقائق هذا الاسم أن يكون وقوراً خمولاً متواضعاً صابراً على إيذاء أهل الغفلة، لا يقابل الغافل، ولا ينازع الجاهل، ويكون كما وصف الحق سبحانه صاحب هذا المشهد بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، إما بالقول أو بالحال، فلو أراد صاحب هذا المقام أن يزيد على قوله سلاما ما استطاع، لعدم اختياره، وعصمة الحق إياه من كونه تعالى سمعهُ وبصرهُ وجميع قواهُ، ولو وكّلهُ الحق إلى نفسه لانتَظَمَ معه في سلك الجهالة، فإن من خاصية الإنسان أنّه لم يتكلم أحدا في أمر من الأمور إلا وينصبغ بصفة ذلك الأمر، ولما تحقق عند العارف المحقق بأحوال المواطن، من أن أكثر ما ينطق به الغافل الجاهل أو يتصوره أو يعتقده أمور وهمية أو خيالية، ليس لها في الحضرة العلمية مقام يضبط عليه وجودها في حضرة الوجود، فباطلاعه على حقيقة كلام مثل هذا القائل عَلِم عدم بقائها وزوالها، لأنه لا يرى لها حقيقة ولا صورة غير محلها أصلاً، فتحقق أنه ليس لها ضابطٌ يضبط عليه الوجود، وأنها ذاهبة من الوجود بذهاب قول قائلٍ، فلذلك لا يلتفت إليه بأكثر من أن يقول سلاماً، بخلاف المحقق إنه لا يتكلم إلا بما له حقيقة في كل حضرةٍ من الحضرات الثبوتية والروحانية والوجودية، فحيث ما تكلم يشكل كل حرف من حروف المنظومة الدالة على تلك الحقائق صورا روحانية مسبحة لله سائرة في محل سلطنة القائل، وكلما أكثر من تلك الحقائق كثر جند العارف.

المؤمن

المؤمن بما صدّقَ عبادهُ، وبما يُعْطيهم الأمان إذا وفَّوا بعهده، وهو مصدرٌ من الأمان، معناه في حق الله تعالى تصديقهُ لنفسه، وهو علمه بأنه صادق، وعلمه بصدق عباده، وليس لأَحْكَامِ سُلطان هذا الاسم محل إلا الإخبارات الإلهية، إما على سبيل الوحي المسموع من ألسنة الرسل، وإما على سبيل الإلهام، والكشف لأهل الله، بدوام الحضور والمراقبة مع تجديد النظر في مواقع الإخبار ومصادره، ومعرفة الخطاب الوارد على لسان القائل - كان من كان - ومعرفة موقعه في مراتب الوجود، لينزلوا عليه ولا يتعدّون به.

ومن الأكابر من يتعب في هذا المقام ويشقُّ عليه ذلك، فإنه لا يلتفت إلى القائل، بل نظرهُ أبداً إلى من أنطقه بذلك، وهو الذي أنطق الكلّ، فيرى ذلك أمانة يأخذها من الله ليؤدي إلى أهلها، فتعين عليه أن ينظر إلى ما يُراد، وأين موقعهُ في المراتب لينزله عليه، ويوصله إلى محلّه، ليكون ممّن أدّى الأمانة إلى أهلها، ومن كان هذا صفته كان الحامل والمحمول عنه في أمانٍ، وله أجر الأمانِ.

وأكثر السامعين من أهل الحجاب يأخذون تلك الحقائق على غير المعنى المقصود، فيلحقونها بغير مراتبها، ولا تقبلها المرتبة لعدم المناسبة، وقد حيل بينها وبين المقصود لجهل السامع، وزال عنها مراتبُ الأمان فضاع، وعاد نكال التضييع على السامع الناقص، كما رجع أجر الأمان إلى الكامل، لأن المكافأة واجبة في الطبيعة، والمحقق إذا لاحظ أمثال هذا الحظر عَظُمَ تعبه عند السامع، وربما كان المتكلم المحجوب مستريحا لغفلته عن شهود من أنطقه وما ينطق به، والسامع العارف متعوبٌ.

ومن أهل الحق من يتخذ الحق وكيلاً عند السماع، فَيَكِلِ إليه أمر كل ما يرد عليه عند السماع، لينزله الحق منزلته بعلمه، فيهون عليه ذلك، فالسامع الكامل صاحب الأمان، لا لأدائه الأمانة، فهو المؤمن، والله المؤمن، والمؤمن مرآة المؤمن.

المُهيمِن

المهيمن هو الشّاهد العدل على كل ما في مُلكه ولديه بكلٍّ ما له وعليه، وهو الذي يعلمُ السّر والنّجوى، ويسمع الشكر والشكوى، ويدفع الضر والبلوى، فمن شهد هذا المشهد راعى حاله، وحفظ أوقاته، وعدّ أنفاسه.

اعلم أنّ الحقوق دائرة بين المراتب الحقّيَّة والخلقيّة، فما من عين من أعيان مراتب الوجود إلا له حقٌّ وعليه حق، وكل صاحب حق لا بد أن يكون ناظراً في حقه، شاهداً زيادته ونقصانه، فلله حقوق على عباده بما يستحقُّ جناب عزّه من التعظيم والامتثال، ولعباده حقوق على كَرَمِهِ بما أوجبه على نفسه، فالذي للحق على عباده هو الامتثال عند الأوامر والنواهي في الطاعات، والذي لديه هو حصول الدرجات، فما لله ذاتيٌّ، وما للعبد وضعيٌّ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠].

وافترق القائلون فيما للعبد:

منهم من قال: امتنان من الحق لما يقتضي جنابه تعالى من التنزيه عن أن يجب عليه شيء.

ومنهم من قال: إنه حق العبد لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، وهو أعلم بنفسه، وأنه تعالى أدخل نفسه تحت الأحكام التي شرّعها لعباده، قال تعالى في الحظر: "حرمت الظلم على نفسي"، وقال في الكراهة: "وأكره مسائته" ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال في الإجابة: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[النساء: ١٣٣]، وفي الندب: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾[البقرة: ١٩٧]، فلن تكفروه، فوصف نفسه بكل ما وصفه عباده، ليكون الأمر منه إليه، لانعكاسه ودوره بين الرب والمربوب كما ثبت عند أهل الكشف، فالشهادة من الطريقين رتبة المحصول، له من وجه وعليه من وجه، فكل عين شاهدٌ بوجدانه على كمال الموجِدِ، وهو شاهد على الكلِّ بالإيجاد، فعين الحاصل هو عين الشاهد، لاتصال العكس وقيامه بالحقيقة.

العزيز

العزيز هو الغالب الذي لا يُغلب ولا يُعجز، والخطير الذي لا يوجد مثله، ولا يُعرف كنهه، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، بل لا يصل إليه إلا به، فمن لاحظ عزَّ الحقِّ وسلطانه صَغُر الخلق في عينه، ولا يجري عليه سلطان غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فهي لله ذاتيةٌ، ولرسوله بهِ، وللمؤمنين بهما، وفي ذكر المؤمنين رائحة العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾[العنكبوت: ٥٢].

وفي هذا إشارة إلى شمول سريان العزة، لأن المنع من خصائص العزّة، فكما أن المؤمن بالعزة يمتنع أن يؤثر فيه الدّاعي المخالف الذي يدعوه إلى الكفر، كذلك الكافر بالعزة يمتنع أن يؤثر فيه الداعي الذي يدعوه إلى الإيمان، فالعزة هي الحصن المنيع للإرادة، وهي الهوا، فإنه ما اتبع من اتبع إلا بحكمها، غير أنه اختص اسم الهوى بما ذم وقوعه من العبد شرعاً.

ومن علامة تصحيح السائر في هذا المقام أن لا يؤثر فيه أثر الغير أصلا.

فإن قيل: لا أعز من نفس الحق، وقد أخبر – عز نفسه – أنه يجيب الداعي بقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والإجابة لا تكون إلا من تأثير دعوة الداعي في نفس المجيب.

فاعلم أنه تعالى أمر عباده أن يدعوه، قال جلت عظمته: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فما أمرهم بالدعاء إلا لإرادته بإجابته لهم، فما أثّر فيه إلا إرادته، وحظ كل شيء من هذه الحضرة خصوصيته التي بها يتميز عن شيء آخر، فالتميز المانع أن يكون غير ذلك الشيء عينه هو حَماهُ، المسمى بعزٍّ.

الجبَّارُ

الجبَّارُ بما جَبَر عليه عباده في اختيارهم واضطرارهم، لكونهم في قبضته.

والجبر إما بمعنى الإكراه، وإما بمعنى الإصلاح للأمور، وإما بمعنى التعاظم، فهو أصلح الأشياء بلا علاج، وأمر بالطاعة بلا احتياج، لا يرتقي إلى جنابه وهمٌ، ولا يشرف على أسرار ذاته فهمٌ.

اعلم أن الجبر على نوعين: ذاتي وعرضي.

فالذاتي هو عن تجلي في العظمة الحاكمة على كل نفس، ولهذا الجبر وجهان:

وجه إلى هوية الغيب والإطلاق الحقيقي، ويسمى العظمة.

ووجه إلى الخلق ويسمى الألوهة.

فالعظمة برزخ بيّنٌ الهوية والألوهة، والألوهية برزخ بين العظمة والخلق، فالألوهة في الجبروت الثاني، فتقابل الخلق بذاتها، وتقابل الذات بذاتها، ولهذا لها التحويل في التجليات الصورية، فهي البرزخ بين الحق والخلق، فلا علم لأحد بالذات إلا من ورائها، فلا حكم للذات إلا بها.

وأما الجبر العرضي فهو جبر الخلق في الخلق، وهو محمود ومذموم:

فالمحمود جبر الإحسان، والمجبور بهذا الطريق إما صاحب طمع، أو صاحب حياء.

فالطامع إذا رأى الإحسان ابتداء من غير استحقاق طمعه ذلك في الزيادة منه، فيطيعه بما يمكن له، ليكون إحسان المحسن إليه جزاءً وفاقا، لكراهية المنة عليه، لما جبلت عليه النفوس، فهو منفعل عن جبر لا يشعر به.

وأما صاحب الحياء يمنعه الحياء بما غمره من الإحسان أن يعترض على المحسن في إتيانه وقبوله لما يريده منه المحسن، وذلك أيضاً جزاء الإحسان، ليزول عنه حكم المنّة، وهذا من خلائص النّفوس.

وأما الجبر المذموم فهو الجبر بطريق الغلبة والقهر، وصاحبه ممقوت عند الله، لعدم أهليته واستحقاقه.

فإن قيل: المجبور مثل هذا الجبر في الظاهر، فذلك لضعفه وعدم قوة امتناعه على المقاومة، فإنه لا يقبل بباطنه أبداً، فلا أثر له إلا في الظاهر، بخلاف جبر المحسن فإن له الحكم والأثر في الظاهر والباطن، فلا جبر أعظمُ من الإحسان لمن سلك سبيله، وقليلٌ ما هُم.

المتكبر

المتكبر من الكبرياء، هو الذي لا يقدر أحد على هتك ستره، فلا يقهره أحد على ملكه، ولا أن يحسن إليه، لأنه هو الذي بيده الإحسان، ومنه الغفران.

واعلم أن الله تعالى لما وصف نفسه بأشياء هي في العموم من صفات المحدثات مثلُ: "جُعْتُ فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقيني، ومرضت فلم تعدني"، حتى ظن أهل الحجاب أنها له صفة استحقاق، فأخبر عن نفسه ـــ سبحانه وتعالى ـــ أنه المتكبر عن مفهوم هذه الإطلاقات وأمثالها، وإن اتصف بها مجازا ووصف بها نفسه، فهو من الأسرار يعلمها أهلها، والكبرياء ذاتي له، تعالى عمّا يقول الظالمون والجاهلون.

وعلامة استقرار آثار هذا الاسم في باطن العبد أن لا يقع منه مخالفة الحق أبداً ما دام العبد تحت حكمه، لغلبة استيلاء الصفة عليه، فإن وقع دل ذلك على عدم صولة الحاكم، فلا تظهر أحكام تجليات الحق المتكبر أبداً في نفس الطائع الموافق، وأما مَن أجرأه على خلاف الحق ما يشهد من صفات العفو والمغفرة وهي القنوط، فما عنده رائحة من صفة الكبرياء والمتكبر، فإن المحقق في هذا المشهد لا يخلو عن وجلٍ، وكلما ازداد معرفته وعلمه بكبرياء الحق ازداد خوفه، فإن وقوع المحظور المقدر عليه إذا اتفق أن

يقع منه بحكم القدر المحتوم، فظهور سلطان الغفلة، وامتزاج نور العقل والإيمان ـــ كما وردٍ في الخبر ـــ لا يأتي فعل المقدور إلا وقلبه وجلٌ، لعلمه برجوع ذلك العقل إلى الحق، من كونه عملاً كان أمانةً عنده، فانصبغَ في هذا المحل بما لا يليق بجناب عزه، وهو تعلق الذم به.

وإن نظر إلى حقيقة تكوين الفعل عَلِمَ أنه ما تكون حتى قيل له "كُنْ" فيدركه الوجل أيضاً، فإنه إذا نَسَبَهُ إلى نفسهِ كان ممن أشرك، وإن نَسَبَ إلى الحق فقد أساء الأدب، فهذا من أحكام كبرياء الحق المتكبر في نفس المحقق، وبهذا قال بعض أهل التحقيق: ما كبرَ الله من عصاهُ، وما عرفهُ من لم يعصهِ.

الخالق

الخلقُ هو الإبداع والاختراع والإيجاد من العدم إلى الوجود، فالخالق هو الذي أظهر الموجودات بقدرته، وقدّم بعضهم على بعض بإرادته، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والخلق خلقان:

الأول: خلق تقدير.

الثاني: وخلق إيجاد.

والأمر جبروتٌ: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠].

فخلق التقدير أمر ربّاني أحديُّ الوجود بلا تقدم ولا تأخر، كما أخبر الحق عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، فعين قوله تعالى: "كن" عين قبول الكائن في التكوين في هذه الحضرة، ثم يقع منها في الوجود ترتيب زماني.

ومِن سريان حقائق هذه الحضرة انعكاس القوة الخيالية في مرآة الأعيان، فإن لها التصرف في مراتب الوجود من الوجوب والإمكان والامتناع لإلحاقها الممتنع بالواجب في هذا الموطن.

والأعيان الثبوتية في حال عدمها كأنها موجودة في حضرتها، لتكوُّن الكائن مع قول كُن، فما عندها مُحَالٌ أصلاً، وما حكمت هذه القوة على ما خلقت إلا رجع الحكم عليها، لكون المحكوم عليه عين نفسها.

وأصل الكشف في شهود هذا الأمر على درجات:

منهم: من يرى انقلاب الموصوف بالوجود المدرك من حال العدم إلى حال الوجود.

ومنهم من يقول: بل تعلق بالوجود تعلقاً ظهوريا كتعلق الصور المرتبة، وهي في حال عدمها كما هي ثابتة، فتدرك الأعيان بعضها بعضاً في عين مرآة وجود الحق.

ومنهم من يقول: الأعيان الثابتة على ترتيبها هي على ما هي عليه من العدم، لكن الحق الوجودي هو الظاهر في تلك الأعيان، وهي مجالي تجلياته، ومظاهر آياته، فتدرك بعضها بعضاً عند ظهور الحق، فتوهم أنها استفادت الوجود، وليس إلا ظهور الحق، ولا يجمع بين الكشفين إلا الكاملُ.

البارئ

البارئ، قيل: الخالق منشئ الأعيان، والباري مدبرها، وقد وقع التفاوت في شهود أهل الحق في مجلى سلطنة هذا الاسم وظهور أحكامها على حسب درجاتهم في الكشف والتحقيق.

منهم: من يرى سلطانها على كل مخلوق من الأرض العنصري خاصة، ولا يرى لها أثراً في العلويات، فعند هؤلاء القوم ما عدا هذا الخلق المنسوب إلى الأرض العنصري فخلق آخر.

ومنهم: من يقول بعموم تصرفها في المملكة الطبيعة الكلّيّة، فيدخل في تصرّفها جميع الطبيعية من الروحانيات العلويات والجسمانيات السفليات، الظاهرة من حضرة الهيولى الكلي إلى آخر مراتب الوجود الذي هو المرتبة الإنسانية، وما سوى ذلك من اللوح والقلم والملائكة المهيّمةِ فذلك خلق آخر، والعماء الذي هو النفس الرحماني يشمل الكل، وقد ورد الخبر في خلق الخلق نفسه أيضاً، ولكن لا يقبله العقول، لعدم فهمها، وكونه خارجاً عن طور العقل، ولا يعثر على سر حقيقته إلا مَن كان في طور النبوة أو الولاية، وأما الذي يقرب شيئاً من ذلك إلى بعض الأفهام، هو أن يعلم أنه لا بد لكل صاحب مقالة في الله أنه يتصور في نفسه أمراً ما يقول فيه هو الله، فيعيده وهو الله لا غيره، فكل صاحب نظر ما عبد إلا ما وجده في محل قابليته، وما وجدَ في ذلك المحل إلا مجعول نظره، وما ألقى عليه تلك القوة المصورة إلا الله، فما خلقه في ذلك المحل إلا الله، فهذا معنى ذلك الخبر، وكل ما ظهر من صور الاعتقادات المختلفة والآراء المتباينة في محالّ أفكار أفراد الاسم ومحال أوهام أشخاص الملك فإنما هو بروز آياته، وشؤون تجلياته، تتحقق في حقائق الأعيان، وتظهر في مظاهر الأكوان بحسب خصوصياتها وقابلياتها واستعداداتها، والحق – جلت عظمته – من حيث ذاته المقدسة – كما هو – على إطلاقه الحقيقي، لا تبديل ولا تغيير في ذاته "تعالى عن ذلك علوا كبيرا".

المصور

المصور بما فتح أبواب خزائن موادِّ البهاء بمفاتيح الصور، وزين رياض صدور أهل الكشف والشهود بصور أنوار أزهار تجلياته وآثار ورود آياته، فهو مصور الصور، ومهييء الهيئات، وممثل الأمثال، الذي صور الظاهر عموماً، ونور السرائر خصوصاً.

اعلم أن حضرة التصوير هي آخر مراتب حضرات الخلق، والعلم أولها، والخلق برزخ بين العلم والتصوير، ولذلك ظهور الإنسان وقع في آخر مراتب الجسمانية في الخلق، ومن هذا السرِّ ذهب بخلقه الإنسان في نفسه عند تصوره وتوهمه، لكونه يخلق كخلق الله، ومن ذلك صورة الاعتقاد الذي يخلقه الإنسان في نفسه عند تصوره وتوهمه لكونه موجوداً جامعاً حقائق مراتب الوجود – مع ما عليه من التقييد والتعيين، والغفلة عن شهود الأمر على ما هو عليه – فاقتضت الغيرة الإلهية أن ينبهه ويطلعه على عموم التجليات الوجودية، وسريان الهوية الغيبية في حقائق مراتب الأكوان وصفائح قوابل عالم الإمكان، ليلزم الأدب عند مرافِق توهمه ومصارف تصوره – كان ما كان – لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥]، ووجه الشيء ذاته وحقيقته، فأثبت الحق سبحانه أنه في أي موضع أقام العبد فيه أو تولى إليه، وجه الحق في موضع توليه، وإن أنكر العقل ذلك لقصوره، فقد أثبته الحق، والحق أحق أن يتبع.

وأما المصورون من هذا العلم على قسمين:

منهم: من يخلق صورة جسمانية كالصور المستعدة للحياة، ولا يحييها لعدم القدرة على ذلك، وهو الذي يتعلق به الذم الإلهي.

ومنهم: من ينشئ صوراً روحانية وصور الأعمال التي تكلف بإقامة نشأتها، وأعطي القدرة والقوة على نفخ الروح فيها، وهو الإخلاص والحضور.

ومِن هؤلاءِ مَن قصّر عن مثل هذا النفخ في هذه الصور الروحانية، فتعلّق به الذم أيضاً، ولحق بالأخسرين أعمالاً.

ومنهم: من ينشئ وينفخ فيها الروح على أتم الوجوه بإذن الحق وتوفيقه، فيقوم على ناطقه مسبحة بحمد ربه، فالمخلصون العارفون أبداً في إنشاء الصور، فَهُمُ المصورون، الذين ينفخون في صور إنشائهم أرواحاً، فشؤونهم دائمٌ، وشهودهم قائم.

الغفّارُ

الغفارُ بما سَتَرَ من العيوب، الغافر بنسبةِ الشرِّ إليه، والغفور بما استدل من الستور من أكوان وغير أكوان، الذي لا يترك ذنباً إلا ستر عن عيون المناظرين، ومحاه عن صحف الملائكة المقربين.

اعلم أن من أحكام هذا الاسم هو الصّون والغيرة والحفظ، فإن المستورين في هذا الموطن على ثلاث طبقات:

الأولى: هو المستور عن العقوبة بعد حكم المعصية فيه وهو المغفور له.

الثانية: المستور عن قيام المعصية له لعدم رغبته فيه وهو المحفوظ.

الثالثة: المستغرق في تلاطم أمواج الصفات، المستهلك في أشعة أنوار الذات، الغائب عن شهود المعاصي والطاعات وهو المعصوم.

هذا في الخصوص؛ وأما في العموم فالأمور كلها مستور بعضها على بعض، وأعلاها ستر ظاهرية الحق، وذلك أن أفراد أشخاص مراتب الأكوان بأجمعها لا يزال وقوفا مع الاسمين الظاهر والباطن، فمن كان مع الاسم الباطن في حالة رؤية وشهودٍ كان اسم الباطن في حال مشاهدته ستراً على الاسم الظاهر، واسم الظاهرِ في محل سلطنته على ما هو عليه في الحكم ما تغير وكذلك من كان مع الاسم الظاهر شهوداً أو رؤيةً، فإن اسم الظاهر في حقه سترٌ على اسم الباطن، فالظاهر غيب لأهل شهود اسم الباطن، والباطن شهادتهم، كما أن الباطن غيبٌ لأهل الظاهر، فغيب أهل الظاهر شهادة أهلا الباطن، وغيب أهل الباطن شهادة أهل الظاهر، ودون ذلك ستور الأسباب والوسائط، وستور الخلق بعضهم على بعض، وألطفها ستورُ الأسماء على المسميات، وإن دلت على ذات المسمى فهي أعيان الستور، فإن الناظر يخافها لاختلاف أحكامها، فالوجود كله سترٌ وساترٌ ومستور، والخلق في عين الوجود مستورون عنه، وهو سَتْرٌ عليهم، وهم ستور عليه، والسَّتْر لا بد أن يكون مشهوداً لمستوره، والعجب أنه مستور عن الستر بالستر.

القهَّارُ

القهَّارُ الذي قهر الخلق بالفناء، والجبابرة بالعقوبة والقهر، والكل بمعنى واحد وهو الغلبة والتسليط، فهو القادر على منع غيره أن يفعل بخلاف ما يريده.

واعلم أن الكُمّل من العارفين لا يكون لهم التجلي في نفوسهم من هذا الاسم، ولا يظهر فيهم آثاره، وإنما يرونه في مرآة الغير، فلذلك لا يقع منهم المنازعة والمخالفة قصداً، وإن وقع من ذلك شيء في الظاهر إنما يكون على وجه التعليم، لكونهم محفوظين بحفظ الحق.

وترك الدعاء بعض أهل الله لما وقع لهم إنما يكون من النزاع، وذلك وَهْمٌ منهم، فإن النزاع رياسة وسلطنة، والدعاء ذلة وانكسارٌ، وأما مَن ظهرت منه هذه الصفة مع المخالفين من أهل الشرك والفجور فإنما ذلك قهرٌ بالله لا بنفس العارف.

والنزاع إما جلي وهو المخالفة، وإما خفي كالصبر والرضا، فإن الصبر على البلاء وترك رفع الشكوى إلى الحق عين النزاع ومقاومة للقهر الإلهي، ولذلك قال أيوب عليه السلام لربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، والأنبياء عليهم السلام أعلم الخلق بالحقائق وحفظ الأدب للحضرة الإلهية إلا أنه تعالى استحسن ذلك منه، وأثنى عليه، ووصفه بالصبر مع رفعه الشكوى إليه تعالى بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، ولا خفاء أن الصبر محمود، لكن من حيث حبس النفس عن الجزع وهو رفع الشكوى إلى المِثل لا إلى الحق، ورفع الشكوى إلى الله أعلى وأرفع عند الكامل، لشهود إرادة الحق في ذلك، وكذلك الرضا من النزاع الخفي، فالرضا مأخوذ من راض يروض، ومنه الرياضة، وراضت الدابة إذا جمحت لينقاد، وكذلك النفوس لولا ما فيها من الجموح الذي حجبه عن شهود الحقائق الإلهية لما راضها صاحبها بالرياضة، فإذا خُلقت مرتاضةً بالرياضة الفطرية فهي راضيةٌ مرضيةٌ، فلا فائدة في إتعابها، فإن أتعبها بعد ذلك فقد ظلم نفسه، ووضع الأمر في غير موضعه، وكان منازعاً للحكمة الإلهية.

وأيضا الرضا لا يخلو إما أن يكون متعلقهُ معيناً أو غير معين، فإن كان القضاء معيناً فيحتاج الراضي إلى ميزان الكشف والشهود هنا، فإن أنتج ما هو من آثار القهر الإلهي عاجلاً أو آجلاً فحكمه حكم الصبر كما مر، والنزاع مظهرٌ للقهر الإلهي، يظهر القهر بظهوره، ويخفى بخفائه، فمن كثر فيه النزاع الجلي يسمى عبد القهار عند أهل المعنى، وإن قل منه سمّي عبد القاهر، ومن عدم فيه وتجرد عنها فهو من الفائزين الآمنين الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، فإن القاهر لا يقهر إلا المنازع، ونزاع العارف غفلته عن الحق.

الوهاب

الوهّاب مبالغة من الواهب، وهو أن يهب من غير عوض لا يراد عليه جزاء ولا شكوراً، والحق هو الذي يهب البرّ والفاجر من غير منة، لا ينقص بالعصيان كرمه، ولا يقطع بالعصيان منحه، فالمتحقق بآثاره لا يرجو أحداً سواه، والمحكم بأحكامه لا يدعو في الشدائد إلا إياه، ولا يتوكل المتوكل إلا عليه، ولا يرفع المحتاج حوائجه إلا إليه.

اعلم أن العطاء على نوعين:

عطاء على جهة الإنعام، لا يخطر للمعطي خاطر الجزاء عليه من ذكرٍ أو شكرٍ وغيره، وهو الواهب.

وعطاء اقترن به طلب شكر أو جزاء، وهذا عطاء تجارة قابلة للربح والخسران بحسب مقصوده وفواته.

والمستمِد من هذه الحضرة، متجرد عن جميع أغراضه هباته المالية وحركاته البدنية في حق من له فيه نفع بمجرد نيّة الإنعام فقط لا لحصول ثواب، وإن كان الحق بكرمه لا يضيع أجره فذلك إلى الله لا إليه.

وكذلك المتحرك في العبادات، إن كان غرضه ونيته أن ينشئ بظهور عبادته صورة روحانية تسبّح الله عز وجل، وتزين فضاء الملكوت بزيادة المسبحين لله، فيلحق بأهل هذه الحضرة.

وإن نوى غير ذلك فليس له في هذه الحضرة قدم، فالمحقق واهب لأفعاله وأعماله صوراً كاملة روحانية كما وهبه الحق جلّت عظمته.

الرزاق

الرزاق بما رزق وأعطى كل متغذٍّ من المعادن والنبات والحيوان والإنسان من غير اشتراط ككفر ولا إيمان.

قيل: الرزق ما جعل الله لقيام الأبدان.

وقيل: ما هي للانتفاع به.

فالرازق هو الذي غذّى نفوس الأبرار بتوفيقه، وجلّى قلوب الأخيار بتوجيهه، وخص الأغنياء بوجود الأرزاق، وشرّف الفقراء بشهود الرّزاق، فمن فاز بشهود الرزاق ما ضرّه ما فاته من وجود الأرزاق.

اعلم أن الرزق على نوعين: صوري ومعنوي.

فالصوري: ما تقوم به الأجسام.

والمعنوي: ما تقوم به الأرواح.

فالأول كشف سفلي، والثاني لطيف عُلوي.

قال الله تعالى في العلوي: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

وقال تعالى في السفلي: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، فجعل كل ذلك رزقاً لتصحيح افتقار الخلائق صورة ومعنى، وانفراد الحق – سبحانه – بالغنى.

ولكل قسم من القسمين درجات.

وأرفع المنازل وأعلاها في الأرزاق المعنوية ما يظهر به عين وجود الحق، الساري في صور أحكام الممكنات، الظاهر في مظاهر أعيان الكائنات.

وعلامة المحقق بحقائق هذه الحضرة إمعان نظره في قابليات أشخاص مراتب الأكوان جمعاً وفرادى، وما يستحق كل مخلوق في مرتبة من مسمى الرزق صورياً ومعنوياً، وما يقتضي استعداده، فإن خواص الأرزاق ونتائج آثارها تتفاوت بحسب قابليات المرزوقين واختلاف أمزجتهم، وكم من رزق يعيش بها مرزوق ويموت بها آخر، كحيوان الماء الذي عيشه برزق الماء إنه يموت بالهوى إذا فارق

الماء، وكذلك حيوان البر الذي يعيش برزق الهواء، فإنه يموت في الماء لفقد الهواء وإن كان لا يخلو الماء من امتزاج الهواء، ولا الهوى من امتزاج الماء، لكن الحكم للغالب، فإذا تحقق هذا في الأرزاق المحسوسة السفلية الكثيفة، فالتفاوت في حقائق العلويات أكثر، ومجاله أوسع، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

فالعارف الكامل من ينزل المعارف في أهلها، ويشهد حقائق أعيان الأكوان على ما هي عليه من تفاوت درجاتها، وغايات توجهاتها، ونهاية كمالاتها، ومقتضى خصوصياتها، فيعطي كل ذي حق حقه.

الفَتَّاحُ

الفتّاح بما فتح من أبواب النعم والعذاب، يقال للحاكم فاتح وفتاح، لأنه يفتح بحكمه ما انغلق من الأمر بين الخصمين، فالحق هو الحاكم بين عبيده يوم القيامة، وهو الفتاح لما انغلق من أمور عباده من أسباب معايشهم، فيغني الفقير، ويفرّج عن المغموم، ويفتح على قلوب المؤمنين أنوار معرفته، وعلى المذنبين أبواب مغفرته بعنايته ينفتح كل مغلوق، وبهدايته ينكشف كل مشكل.

اعلم أن لفتوح أحكام هذا الاسم ثلاث درجات:

أوليها: علم الأسماء وما خُصّ به آدم عليه السلام.

وثانيها: علم الأذواق المخصوص بالأولياء.

وثالثها: جوامع الحكم التي أوتيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ففتح بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أبوب درجات الأسرار والعلوم الإلهية، كما فتح بآدم عليه السلام علم أسماء المظاهر الحجابيات وإحصاء اختلاف اللغات، ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كشف حقائق المسميات، وشهود أنوار أسرار الإلهيات.

ووسط هذين المرتبتين علم الأذواق والأحوال، الذي اختص به أرباب الطريقة.

ولا نهاية لعلوم هؤلاء القوم، لعدم نهاية من تعلقت به علومهم:

ومن ذلك: شهود العبد تقلّب الأحوال في بحار الحكمة، وثقته بالله عند الحاجة، وعدم اضطرابه، وكون فرجه بضمان الله أعظم من فرجه بالسبب المعين، لعلمه بصدق الوعد الإلهي، وامتناع ضمان الحق عن تطرق الآفات إليه، والذي لا يحصل سكونه إلى ما بيده من الأسباب يمكن أن تتطرق إليه الآفات.

فمن خصه الله بفتح هذا الشهود فهو أتم ذوقاً وأقوى سكوناً من صاحب السبب المزيل لألم فاقته، وهذا من علم الفتح البرزخ بين الدرجتين.

ومنها: علم الافتقار إلى الحق بالحق، وذلك أن يطلع الحق عبده على أسرار الأسماء، فيشهد [أن] حاجتها إلى التأثير في الأعيان أعظم من حاجة الأعيان إلى ظهور الأثر فيها، لأن للأسماء في ظهور آثارها الكبرياء والسلطان والعزة والمجد، بخلاف الممكن فإنه في قبول الأثر على خطر عظيم، فإنه قد يتضرر بقبوله الأثر أكثر من انتفاعه به، وقد يساوى مقابلة الحالتين فيه.

ولا تخلو عين موجود من الضرّ والألمٍ ـــ قَلّ أو كَثُرَ ـــ كما ترى الشخص متنعماً في وقت ومتألماً في وقت آخر، وفي الثبوت كان منعزلاً عن تغيير الحال، لتجرده عن التركيب الوجودي الموجب للتغيير، فإن الألم في الثبوت ما هو في عين المتألم، بل هو في عينه ملتذٌّ بثبوته، كما هو ملتذ بوجوده في

المقام، والمحل مقام به، وقد كان الحال والمحل في أعيانها الثبوتية، ولا ألم ولا لذة لعدم التأثير والتأثر بينهما، وذلك أن الثبوت بسيط لا يقوم فيه بشيء، والوجود مركب لا بُدّ [فيه] من حامل ومحمول، فالمحمول منزلته في وجود الحامل كمنزلته في الثبوت في النعيم وعدمه، بخلاف الحامل فإنه بحكم مزاجه، فإن وافق المحمول مزاج الحامل التذّ به، وإن خالف مزاجه تضرر وتألم به، وقد كان في عين ثبوته فارغاً عن تعلق المخالف لبساطته، فبقائه في حالة العدم أحبّ إليه، لأنه في تلك الحضرة لم يذق طعم الألم، بل إن صاحبه عين الألم صحبه صحبة أنس والتذاذ، فحقق صاحب هذا الشهود أن الأعيان أقل افتقاراً من الأسماء، وهذا من أدق أسرار الأسماء الإلهية ومن علوم الأوتاد.

ومنها: علم سريان الهوية في أجزاء المكونات، وظهور حقيقة ما في العالم من كونها مسبحة بحمد الحق، فمن أكرمه الله تعالى بفتح باب هذا الشهود، انكشف له حقيقة نطق كل ناطق في العالم – كان النطق ما كان مما يحمد أو يذم – أنه تسبيح لله، وفيه ثناء على الله حتى السب واللعنة، فيرى صاحب هذا الشهود إنساناً يسب إنساناً ويلعنه، وهو عند السامع المحقق تسبيح بحمد الله، فيؤجر السامع، ويأثم القائل.

وهذا من ألطف علم الفتح من فتوحات الحضرة الفتَّاحيَّة.

العليم

العليم بكثرة معلوماته، العالم بأحدية نفسه، العلام بالغيب.

اعلم أن العلم هو التعلق الخاص بعين العالم، وهو نسبة تحدث لذات العالِم من المعلوم، فالعلم متأخر عن المعلوم لأنه تابع، وإن كان نسبة القول بالإيجاد يتقدم على الموجود، والقول متأخر عن العلم، فذلك العلم الإجمالي الغيبي، والمراد هنا علم الحيرة، وليس للعلم أثر في المعلوم عند أهل الكشف خلافاً لأصحاب النظر، فإن العِلم بالمحال لا يؤثر بالمحال من ذات العالم ولا من علمه، بل المحال يعطيه العلم به أنه مُحال، وإيجاد أعيان الأكوان ثبت عن القول شرعاً وكشفاً، وعن القدرة شرعاً لا عن العلم، فتعلق العلم بظهور المعلوم وعدم ظهوره هو الأثر لأنه تعلق بظهوره الموجود عند ظهوره كما تعلق بعدم ظهوره قبل ظهوره.

والعلم إما ذاتي، وهو علم الحق جلّت عظمته.

وإما موهوب، وهو ما لم يخطر بالبال ولا للاكتساب فيه مدخل، وهو علم الأفراد ويخص به الحق من يشاء من عباده، كما اختص به الخضر عليه السلام رحمة من عنده، حتى كان الكليم مع جلالته يستفيد منه.

وطريق تحصيل ذلك العلم معرفة الوجه الخاص وجلائه، فإن لكل موجود في عالم الخلق وجهاً خاصاً إلى موجده، يتجلى الحق له، فيحصل له من العلم به ما لا يعلمه غيره، سواء علم ذلك الموجود أن له وجهاً خاصاً، وأن له من الحق علماً من ذلك الوجه أو لم يعلمه.

وتفاوت درجات الأولياء وتفاضلهم بحسب تفاوتهم في معرفة ذلك الوجه.

وأما العالون من عالم الأمر – الذين هم سكان حظائر القدس – فما لهم سوى الوجه الخاص، فهم المهيّمة في جمال الحق وكبريائه، ولذلك قيل: لا التفات للعلويات إلى السفليات.

وأما المكتسب – وهو ما يحصل بالممارسة والتعلّم – والداخل في هذه الحضرة:

إما أن يكون ذائقا من طريق التقوى.

أو ناظراً من طريق القوة الفكرية.

فصاحب الذوق هو العالم بالله ورسوله، وله مقامات:

فإنه إما أن يختص بعلم يكون متعلقه نسبة العالم إلى الله تعالى.

وإما علم متعلقه نسبة الحق إلى العالم.

وإما علم بارتفاع النسبة بين العالم والذات وإثباها بين العالم والأسماء.

وإما علم بإثبات النسبة بين العالم والذات كالقول بالعلة والمعلول.

وإما علم بالصورة التي خلق عليها العالم الصغير.

فالعلوم كثيرة، ولكل علم أهلٌ، فمن دخل الحضرة العلمية بالفكر والنظر، فإنه ينال منها على قدر ما يقتضي طوره، ومن دخلها ذوقاً من طريق التقوى فقد جاز الكل وفاز بالكل.

القابض

القابض يكوّنُ الأشياء في قبضتهِ ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ﴾[الزمر: ٦٧].

هو الذي إذا قبض قبض، حتى لا طاقة وإذا بسط بسط حتى لا فاقة.

اعلم أن القبض إما معلوم وإما مجهول.

والمعلوم: إما أن يكون بظهور شرّ أو بروز خير، والخير والشر عبارتان عما يسرّ العبد ويسوءه، وهما حالتان متعلقتان بما يلائم غرض العبد، أو يَخالفُ دنيا أو آخرة، ولا يأتي ذلك إلا على أيدي واسطتين يسمى ملكا وشيطانا.

ومن العصمة ملازمة الأدب بالإمساك عن إضافته الشر إلى جانب الحق –وإن كان الكل من عنده– ولذلك قال الأديب الكامل: "الخير كله في يديك والشر ليس إليك" فإن الخير والشر لا يتميز أحدهما عن الآخر من حيث أهما من شؤون الحق، وإنما يتميزان عند العبد بما يوافق غرضه أو يخالفه. فعين بسط الشر وظهوره عين قبض الخير.

ومن قبض المعلوم أيضا طلب الحق القرض من عباده وقبول الصدقات، قبضها لتعود أضعافها عليهم، لأنه خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم، وهو يقبل من عباده الطيب الحسن لا الخبيث، والحسنة في ذلك أن يرى المقرض والمتصدق أن يد الله هي القابضة لذلك، فتحقق أها حصلت في يد الحفيظ الكريم فَيَمنّ ولا يملّ، هذا حكم قبض المعلوم.

وأما قبض المجهول هو أن يجد العبد باطنه مقبوضا فيظهر له القبض من حيث لا يدري ولا يعرف لظهوره سبباً فمن الأدب لمن هو هذا حاله أن يسكن على ما هو عليه من القبض حتى يقضي الله أمره.

ومن أهل الطريقة من يظهر البسط مكلفا في مثل الحال لإظهار الرضا عن نفسه وهذا سوء أدب عند العارف، لأن نظره إلى إرادة الحق في هذا التجلي ومراده دخول العبد تحت سلطان القبض وانصباغه بحكمه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١].

وللذائق من هذا المشرب التحقق بكيفية ظهور عين المتعين عن ذات الحق، وقبضه إليه وحدوثه بين الاقتدار الإلهي وبين قبوله الممكن، الذي يكون كحدوث الظل بين العين المشرق والجسم، فإن الظل برزخ بين النور والظلمة، لكون تولده من نكاح نور الشمس وظلمة الجسم الكثيف، وذلك أن ما قابل النور من الجسم الكثيف أشرق، فذلك الإشراق هو نكاح النور له وولادة الظل عنه معا، فزمان النكاح زمان الحمل وزمان الحمل زمان الولادة ليس فيه تقدم ولا تأخر إلا بالتعقل، وكذلك قبض الظل إلى الجسم.

ثم اعلم أن أول رتبة القبض قبض الممكن وجوده من الحق، ثم القوة على التصرفات في الأعمال، ثم قبض الحق من الممكن علمه به، ثم قبضه التصرفات والأعمال من العامل، فأمر القبض دائر بين القابض والمقبوض منه.

الباسط

الباسط بما بسط الأرزاق بقدر معلوم، فإن الأحوال تختلف باختلاف المحال، وليست الدنيا محل إطلاق البسط، لضيق وعائها، وإفضاء زيادة البسط فيها إلى البغي وتعدي الحدود، بخلاف موطن الآخرة فإنها غير متناهية، لعموم حكم البسط في نشأة الآخرة، كما أن عموم حكم القبض في نشأة الدنيا، وحكم القبض أبداً لا يكون إلا عن بسط متقدم.

والبسط قد يكون ابتداء لسعة الرحمة الإلهية، إذ كل قبض لا بد أن يعقبه بسط، ولا يلزم عكسه، كالرحمة التي يرحم الله بها عباده بعد وقوع العذاب بهم، فهذا البسط بعد القبض، ومحال أن يعقبه قبض مؤلم.

فظهور أحكام هذه الحضرة في موطن الآخرة، أو على من هو في حكم أهل الآخرة من أهل الفناء في الله، فإن لهم إرسال عنان الفتوح في ميدان البسط، ودوام السرور بما خُصّوا من الحضرة الإلهية، من نفحات ألطاف العناية ونسمات أنوار الهداية.

ومن عباد الله من وفقهم الله لوجود أفراح العباد على أيديهم، وأدنى درجاته من يضحك الناس بما هو مباح وهو الذي يسمى مسخرة، فيهزأ الجاهل به ويضحك عليه ولا يرى له وزناً وأين الجاهل من قوله عز شأنه ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣]. فالعارف المراقب الذي يشاهد آثار تجليات الحق في أعيان الوجود يرى النعمة ظاهراً في عين المسخرة، ويعظم قدره، ولهذا كان نعيمان الأنصاري يحضر بين يدي رسول الله ﷺ فيضحك، وحاشا من منصب النبوة أن يُعتقد فيه السخرية والاستهزاء، بل كان ﷺ يشهده على الحياء، يشاهد هذا الوصف الإلهي في مادته، وحقيقة ذلك لا تنكشف إلا للعلماء بالله.

واعلم أن من البسط أيضاً ما هو مجهول والبسط المجهول قَلّما يخلو من مكر خفي، فإذا وجد العبد من نفسه بسطا وفرحا لا يعرف له سببا فينبغي أن لا يتصرف فيه، فإنه لا يعرف بما يظهر له في عاقبته، فهو في محل خطرٍ عظيم، وعلامة صحة العقل الوقوف عند الجهل بالأسباب الموجبة لبعض الأحوال حتى تنكشف لهً عواقبها، فإذا علم وأبصر كان تصرفه على بصيرة إما له وإما عليه، بحسب

التوفيق والخذلان، ومن أشد المكر رداف النعم على الممقوت قال عز من قائل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

الخافض

الخافض، معنى الخفض: الوضع والحط، وهو الذي يخفض من يشاء بعقوبته، ويرفع من يشاء إلى أعلى درجته، يخفض نفوس الأشقياء بتبعيده، ويرفع قلوب الأولياء بتقريبه.

اعلم أن آثار أحكام هذا الاسم في المحدثات الإمكانية والتعينات الكيانية، لما يقتضي وجود المحدث من تأخر مرتبته عن مرتبة القديم، فإن للمتقدم التصرف في المراتب والحضرات كما يشاء من غير منازع يقابله ويزاحمه، وليس للمتأخر ذلك، لأنه إذا تصرف لا يتصرف إلا فيما دون ما تصرف المتقدم السابق، وهو الخفض بالنسبة إليه المتأخر، فأرفع المقام في التصرف للمتقدم، ولهذا السر كان نزول الحق إلى أحكام الحادث بعد رفعته وإطلاقه، ثم نزه نفسه عن ذلك، وارتفع جناب كبريائه عن لوث الحدوث، فبالاعتبار الأول يسمي نفسه العزيز الجبار، وبالاعتبار الثاني المتكبر.

وفي حروف الخفض إشارة لمن عَقِلَهُ، وهي أن الأسماء أعلى رتبة من الحروف، ومع ذلك أثرت الحروف فيها لتعلقها كما يقول القائل: "أعوذ بالله"، فالباء عاملة، ومعمولها الهاء المشيرة إلى هوية الغيب، فانظر إلى هذا الأمر العجيب واعتبر.

ثم اعلم أن الخوافض كثيرة مثل "مِن" و "إلى" و "في" و "قبل" و "بعد" ومن خواصها أنها إذا دخلت بعضها على بعض أخرجتها عن حكم الخفض، ولم يظهر فيها عمل الخافض، لأنها بالأصالة خافضة، والخافض لا يكون مخفوضاً نحو ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

فإذا فهمت ذلك فاعلم أن مراتب الكون بأجمعها في مقام الخفض، ولا أثر لأفعال أعيان الممكنات بعضها في بعض عند أهل الكشف، لأن الحدوث الذي يشملها بمنزلة البناء للحروف، فلا مؤثر إلا الله، ولا ينفعل منفعل إلا لصورة الحق وسريان ظهوره في مظاهر الحق، ولا أثر فيه إلا المؤثر الحقيقي، وحده لا شريك له.

الرافع

الرافع بالعلو والإظهار، وهو الذي يرفع الأبرار إلى أعلى الدرجات كما يخفض الكفار في أسفل الدركات.

اعلم أن حكم الرفع للحق بالأصالة، كما أن الخفض للعبد، ومن أحكام هذا الاسم سريان الرفعة الإلهية في أعيان مراتب الإمكان، وارتفاع الكل من حضيض العدم إلى علوّ درجات الحياة والعلم، فإنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء: ٤٤]، ولا يسبح إلا حي عالم لمن يُسَبّحُ له وبما يُسَبِّح، فلكل شيء في درجته ومرتبته علم وتميُّز، يفصل به بين من ينبغي له التسبيح ومن لا ينبغي، ولا رفعة أرفع من درجة العلم، والحق هو الذي أنطق ذلك الشيء بما يسبح في درجاته، فهو المسبح والمثني على نفسه بنفسه، وله الرفعة في كل درجة، وهو رفيع الدرجات في كل عين، بل في كل نفس من أنفاس الأعيان، وذلك أن النفس هيولا صور التكوين، وللحق –جلت عظمته– شؤون في وجود الأنفاس بحسب حال العبد في وقت تنفسه، فإن النَّفَسْ الداخل إذا استقر في القلب تغير حالة الأثر الحرارة في

القلب، وتشكل فيه صورة ما في القلب من الخواطر، فتزعجه الرئة إلى الخروج لدخول غيره، فإذا أُخرج فلا يخلو صاحبه عن التكلم به أو السكوت عنه، فإن تكلم تشكل الهواء بصورة ما تلفظ به، فيزيد في صورته، وإن لم يتكلم خرج بصورة المقبول من القلب، وذلك على الدوام دنيا وآخرة، فللخلق في كل نفس تكوين، فهُم في كل آن في شأن، غير أن موطن الدنيا يقتضي إخلاط الخبيث والطيب ونشأة الآخرة لا تطلب إلا الطيب حتى يغلب على الخبيث، فيصير الحكم للغالب، وهو المآل إلى الرحمة.

ومن أحكام هذه الحضرة التسخير، فإن من كان في درجة الرفعة يُسخّر غيره، كتسخير الملوك الرعايا، وقد تكون درجة المُسَخَّر أعلى من درجة المُسَخِّر، كتسخير الرعية الملك بالحال في قيامه بمصالحهم، فدار الأمر من هذا الوجه، فإن الحق عز شأنه أمر عباده ونهاهم، ثم أمرهم أن يأمروه وينهوه فقال لهم: قولوا ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ ، و﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ ﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾[البقرة: ٢٨٦]، فأقام نفسه تعالى – مع كبريائه وعزته وجبروته – بصورة ما أقام فيه عباده على ذلهم وافتقارهم، غير أن هذا التسخير مع الاستعلاء يسمى أمراً أو نهياً، ومع الافتقار دعاء ورغبة، فالأمر منه وإليه.

المعز

المعزّ من يشاء بالقناعة واليقين والزهد في متاع دار الفناء من عرفه أعز نفسه بخدمته، وقلبه بمعرفته، وبصره بمشاهدته.

اعلم أن من آثار هذا الاسم سريان حكم الاعتزاز في العالم إلا أنه يُذمّ في موطن ويحمد في موطن، والاعتزاز هو ظهور العبد بصورة الحق، سواء تورثه تلك الصورة سعادة أو شقاوة، والمعتز المحمود السعيد باعتزازه هو العبد المحقق الكامل القائم به صفة الحق في الخلافة، فهو ممن أعزه الله بمكارم الأخلاق، ودرك الحقائق وأنواع المعارف وفنون العلم بالله، ووفقه لنصيحة عباده بحسن التعليم فيخرجهم من ظلمات الجهالة والمخالفات، وينتزع عنهم نوازع الاستكبار والرعونات، حتى تذللوا تحت عزة الحق وكبريائه، وأذعنوا لأوامره ونواهيه، فنصيب مثل هذا العبد من الاسم المعز، وحظه هو الحظ المحمود، فإنه حمى قلوب عباد الله أن يتحاكم فيهم بما لا يليق بجناب الحق، فهو معز للحق، عزيز بالحق.

وأما صاحب الاعتزاز المذموم، هو المحجوب بالصفات الحجابية كفرعون وأمثاله من الجبابرة من الملوك والحكام المفتخرين بالرئاسة والاستيلاء، ومن اعتز في نفسه على أمثاله جوراً وظلماً وجهلاً لَحِقَ بالأخسرين أعمالاً، ولا أحد أذل منهم في نفوسهم وعند الخلق إذا عزوا، وعند الله في الحالين.

وأعظم الاعتزاز في المرتبة الخلقية أن يحمل العبد نفسه من أن يقوم به وصف إلهي، لتحققه مقام العبودية المحضة، فإن الصفات على نوعين:

محصورة، وهي الأسماء الحسنى. وغير محصورة.

فالأسماء الحسنى هي الحق بالأصالة، وقد يتصف العبد بها في معارجه من حضيض البشرية إلى مقام العزّ بالتزكية والتجلية وإدمان النوافل إلى أن يصير الحق سمعه وبصره كما ورد به الخبر.

وأما الصفات التي غير الحسنى متناهية، وجميعها للعبد بالأصالة، وقد يتصف الحق بها، فمجال العبد في ميدان الصفات والأسماء أوسع نظراً إلى مراتب الكثرة، فأما عند أهل الكشف فالصفات كلها لله، وإن اتصف بها العبد.

المذل

المذلّ بما أذل رقاب الجبابرة برغبتهم عن نعيم دار البقاء، وطمعهم في متاع دار الفناء، وأذل بعض المؤمنين ليستكمل عزهم في الآخرة ويذل بدل من أورثهم الذل في الدنيا.

اعلم أن الله تعالى أوجد الممكنات من آثار أحكام هذا الاسم، ووقفهم في محل سلطانها، فالذلة أبداً شعار للممكن، لافتقاره في وجوده إلى غيره، إلا أنه تعالى خلق آدم، وجعل له حظاً من الاسمين، وجامعاً للصفتين، لما فيه من الجمعية الإلهية.

أما إعزازه، فكونه مخلوقاً على الصورة الجمعية، وسجود الملائكة له، وظهور علم الأسماء فيه، وتشريف الاجتباء والهداية له من الحق.

وأما إذلاله، واعترافه بالظلم على نفسه، ومقام التذلل بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فرئيت آثار الصفتين في أولاده:

فمنهم: من ظهر بصورة الإذلال، وجعل الافتقار والذلة شعاره، ولما تقتضي النشأة، فارتاض نفسه تحت أحكام الذل فأفلح وسعد.

ومنهم: من اعتز، فأظهر ما ليس له من الاعتزاز على أمثاله، فأورثه ذلك ذل الأبد.

فإنه إن اعتز لشرف أبيه بسجود الملائكة له فقد أمر بالسجود للبيت الجمادي.

وإن كان اعتزازه بالعلم فإنه لا يقدر على تحصيل سعادته إلا بلمة الملك وتعليمه، فالملك معلمه، بل معلم من هو خير منه من أكابر النوع الإنساني، وهم الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم–، فما له إلا إظهار الذلة والافتقار، كما تقتضي نشأته الإمكانية ومقام العبودية.

واعلم أنه يقرر عند أهل الكشف والتحقيق أنه ما من حُكم للكون إلا وله مسند إلهي يسند إليه، فمنه ما يطلق، ومنه ما يُعرف ولا يقال، بل يسكت عنه أدباً، فالذلة والافتقار من أي حقيقة من الحقائق الإلهية كان، وقد قال لأبي يزيد: تقرب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار.

واعلم أن من توقف عليه حكم من أحكام الحاكم فلا بد له أن يطلبه لإمضاء الحكم، ولو كان المطلوب حاصلاً ما عليه ما طلبه، وظهور حقائق الأسماء الإلهية متوقفة على وجود المظاهر المتعينة كربوبية الرب على المربوب، وقدرة القادر على المقدور، وعلم العالم على المعلوم، وليست المظاهر سوى آثار هذه الأسماء بل الأسماء، فإنه ما من اسم من الأسماء الإلهية إلا ويتوقف على اسم من الأسماء في الحكم بالإيجاد والإعدام، فما توقفت الأسماء إلا على الأسماء، والأسماء عين المسمى، فمنه وإليه كان الأمر.

السميع

السميع الذي يدرك المسموعات سرّاً وجهراً، لا يشغله سماع عن سماع، ولا يعزب عن إدراكه مسموع وإن يخفى، ويسمع السرّ والنجوى، بل هو أدق من ذلك وأخفى.

اعلم أن الحق – جلّت عظمته – عند سماع كل سامع بحسب استعداد ذلك السامع، كما أنه تعالى عند لسان كل قائل، وما ثم قائل إلا هو سامعٌ، فسمع كل سامعٍ لا يكون إلا من هذه الحضرة السمعية.

لكن من السامعين من لا يفهم مما يسمع إلا دعاء ونداء، فحظ مثل هذا السامع من قول المتكلم صورته دون روحه، فإن للكلام روحا وهو معناه الذي أريد به، وصورة وهو مجرد اللفظ، وهذا من ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[الأنفال: ٢١]، إلا أنه لا فرق بين الأصمّ الذي لا يسمع وبين من يسمع ولا يفهم ﴿۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

ومنهم: من يكون سماعه مع الفهم لما أريد له ذلك المسموع لكمال استعداده، وهو الذي كان الحق سمعه وبصره.

وعلامة السامع الكامل أن يكون عين سمعه عين فهمه.

فإن السامع: إما مُكاشف عارف أو غير مكاشف.

وغير المكاشف لا يسمع كلام الحق إلا من خبر إلهي على لسان رسول أو كتاب منزل أو رؤيا، فهيأ ذاته للعمل بمقتضى ما سمع، أو بالقيام على خلافه بحسب ما يحكم عليه التوفيق أو الخذلان.

والعارف يسمع وينظر في خطاب الحق إيّاه، في ما يسمعه من كل متكلم في الأكوان، فيرى نفسه مخاطباً بذلك الكلام، ويبرز له فماً يفهمه به يعمل بمقتضاه، ونفسه أيضاً عين من أعيان الأكوان، وإن كان الإنسان كثيراً ما يحدّث نفسه، بل أكثر أعمال المرء بمقتضى ما يؤمل نفسه ويحدّث به، فإذا كان المتكلم بالحديث نفس العارف، فذلك إعلام الحق في مرتبة النجوى، فيراقب نفسه، فإنه قائل في نفسه سامع منها فيما هي متكلمة بقول وبما هو ذو سمع يسمع ما يقول، فإنه ليس في كلام الشيء نفسه صمم أصلا، فإنه لا يكلم نفسه إلا بما يفهمه، فعين السمع في هذه المرتبة عين الفهم، وفيه إشارة إلى أن الحق سبحانه كان متكلما سميعا ولا كون ولا مكان، والآن على ما عليه كان.

البصير

البصير بأمور عباده، البصير عبارة عما رؤيته صفة ذاته لا بجارحة، وللمستمد من آثار هذه الحضرة ثلاث مراتب:

الأول: إما أن يعبد الله كأنه يراه.

الثاني: وإما أن يعبده لعلمه بأن الله يراه، والأول قريب إلى التشبيه، والثاني إلى التنزيه.

والثالث: أرفع منهما، وهو للكامل المحقق الذي يعبد الحق يقول بالتشبيه ويشهد التنزيه وبالعكس، ليس هو من المؤمنين به، لأن المؤمن محجوب من حيث إنه مؤمن بقول المخبر، والمكاشف صاحب شهود، يشاهد صدق المُخبر مشاهدة عين.

وصاحب هذا المقام ذو عينين: عين بصر وعين بصيرة، وإنهما له بمثابة كفتي الميزان، يخفض تارة ويرفع أخرى، لعلمه بالمواطن، وما يقتضي كل موطن من الحكم، لا يتعدى أبداً، فتراه في موطن يرحم الخلق ويرفق بهم، فإذا حضر إقامة حد من حدود الله أزال حكم الرأفة، وأقام الحد لتحققه بسعة الرحمة الإلهية، وكمال رأفته بعباده، ومع ذلك شرع الحدود، وأمر بإقامتها وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[النور: ٢].

وعذّب أقواما، وأهلكهم بأنواع العذاب بمقتضى حكمته، فصاحب البصيرة لا يزال ميزان الشرع في يديه، يزن أفعاله وأقواله قبل وقوعها، فإن علم أنها تقود به إلى محل السعادة أمضاها، وإلا أمسكها، وحمى نفسه عنها، ولما أخبر الحق –سبحانه وتعالى– أنه جعل للإنسان عينين أخبر عن نفسه تعالى أن له أعيناً، قال جل ذكره: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وهي أعين الخلق ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾[الأعراف: ١٩٨]، ولكن لا يعلمون إلا من فتح الله عينه بنور العيان فيشاهد ذلك.

ومن أهل هذا الشهود من يستنكف عن البعض، لما يرى من النقص في الإدراك.

ومنهم من يتلاشى رسمه في أشعة أنوار العظمة وينمحي رقم وجوده عن لوح التقييد، لاستغراقه في تيّار بحر الشهود، فيرسل عنان أمره مع الحق في إطلاق استرسال الرؤية، لعدم تميزه بأحكام الشهود المقدور، فيرى المقدور كما يراه الحق من حيث وقوعه، لا من حيث الحكم عليه، ويرتفع عنه الحكم بارتفاع التميُّز، وذلك لا يقدح في حاله، لأنها خارجة عن الوزن، لفناء صاحبه في الله، وفي هذا المقام يقول الحق عز سلطانه لعبده: "اعمل ما شئت فقد غفرت لك".

وصاحب هذا الحال لا يشاء إلا بمشيئة الحق، وإن كان الحق لا يبيح الفحشاء، فالفحشاء محكوم عليها في تلك الأعمال، ويزول الحكم في حق هذا الشخص، ويبقى عين العمل لوقوع الستر بينه وبين الحكم، كما وقع بين فعل المغفور وبين العقوبة، وهو كالمقتول في سبيل الله عجلت له جنته في الدنيا، وإن أقيم عليه الحد فذلك من جهل الحاكم بالمقام الذي هو فيه.

الحاكم

الحاكم بما حكم، وأنزل من الأحكام المشروعة لمنع الخلق عن الظلم، فهو الحكم الذي لا يقع في وعده ريب، ولا يوجد في فعله عيب.

اعلم أن هذا الاسم مماثل لاسم العليم من وجه، وذلك أنه من شرط الحكم أن يكون الحاكم عالماً بالحكم لا بالمحكوم له وعليه، ولذلك يجب عليه الحكم بلفظ الشهود والإقرار، وإن كان الإقرار كذبا والشهادة زوراً.

وأيضاً كما أن العلم لا أثر له في المعلوم، كذلك لا أثر للحكم في المحكوم عليه، بل المحكوم عليه جعل الحاكم حاكما، كما أن المعلوم جعل العالم عالماً، لكون العلم تبعاً للمعلوم.

ويميز عن العليم من وجه آخر، وهو أن العلم تابع للمعلوم، وليس الحكم تابعاً للمحكوم عليه أو له، بل هو تابع لشرط الحكم والشاهد أو الإقرار.

وأيضاً للحاكم أن يحكم بغلبة ظنه، وإن لم يصادف الحق في الحكم لا يذم شرعاً، ويسمى الحكم وليس العلم كذلك فإنه لا يسمى عالماً إلا بعد تحققه المعلوم، فالمحكوم عليه جعل الحاكم حَكماً

على نفسه، فهو الحكم على نفسه، لأنه ما حكم الحاكم إلا به، وهذا من سر القدر، فإن الله تعالى ما حكم على الأشياء إلا بالأشياء وما تقتضي خصوصياتها وقابلياتها واستعداداتها، فما جاءها شيء من خارج، إنما هي أعمالهم تردّ عليهم.

العدل

العدل هو الميل، وقيل: هذا مصدر أقيم مقام الاسم، هو الذي يخاف من عدله، ولا ييأس من فضله، فعدله في أفعاله دليل ما صدقه في إنزاله.

لما كان أمور مراتب الأكوان مبنيا على الميل والعدول سمى نفسه العدل، لعدوله عن الوجوب إلى الإمكان، وعدله الممكنات من حضرة الثبوت إلى حضرة الوجود، فما في الكون إلا العدل، وما ظهر الوجود إلا بالعدل، كما أن المؤمن عدل عن الباطل إلى الحق، كذلك الكافر عدل عن الحق إلى الباطل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

أخبر الحق أنه ما عدل من عدل –كان العدل ما كان– إلى الحق أو إلى الباطل إلا به وبإرادته ومشيئته، لأنه لا حول ولا قوة إلا به، وإنما سماهم كفاراً لأنهم ستروا وجه الإطلاق بتقييدهم، وإنما صدر الستر عنهم لأحد الأمرين:

الأول إما لأنهم ستروا عين البصيرة عن التصرف الصحيح، واقتصروا على ما بدا لهم، ولم يوفوا النظر حقه، ليظهر لهم حقيقة الأمر على ما هو عليه في نفسه، فحرموا بتقصيرهم الخير الكثير.

الثاني: وإما لأنهم بعد إمعان النظر علموا وأُشهدوا الأمر على ما هو عليه، ولكن جحدوا وستروا عن الغير لمنفعة كانت تحصل لهم من مال وجاه، كما فعل أحبار اليهود، فالميل عين الاستقامة لكل عين من أعيان عالم الإمكان في مراتب الوجود، وإن توهّم الناظر خلاف ذلك، كما يشاهد من اعوجاجات أغصان الشجر، وميلها، وتداخل بعضها على بعض، فإن ذلك كلها مستقيمة في عين الميل عند المحقق، لأنها مالت بحكم جريان الطبيعة في مجاري موادها، كذلك ميل أعيان أغصان الأشجار، وتداخل بعضها على بعض، فإن ذلك كلها أغصان شجرة الكون في مراتب جزئياتها واختلاف حالاتها، وتوجهها إلى غاياتها وإخراج كمالاتها إنما هو بحكم جريان حكمة فاطرها وتصرف موجدها: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦].

اللّطيف

اللطيف بسريانه في أفعال الموجودات، واختفاء لطائف حكمته في مظاهر الكائنات، هو الذي يسّرَ كل عسيّر، وجبر كل كسير.

اعلم أن حقائق هذا الاسم وأسراره عمّت مراتب الوجود، واللطيف مأخوذ من اللطف وهو الخفاءٌ، وأغرب مثله خفيات ألطافه مدّ الظل، وقبضه فإن البصر لا يدرك غير امتداده، وانقباضه حالا بعد حال، ولا قدرة له على شهود حركته المحسوسة على الدوام، فضلاً عن شهود حقيقة خروجه من الأصل الحقيقي ورجوعه إليه، فإن الظل إذا أخذ في الامتداد ما يخرج من ذات الشخص، وكذلك إذا انقبض لا ينقبض إلا إلى ما منه خرج، هذه شهادة العين ويقول الحق عز شأنه: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا

﴿يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦] إشارة إلى أن عين ما خرج منه هو الحق سبحانه، ظهر بصورة خلق فيه ظل، يبرزه تارة ويقبضه أخرى، وكما أضاف القبض إلى نفسه، كذلك أضاف امتداده إليه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] وهذا من ألطف الإشارات، فإن العين تدرك، وتشهد حركة الامتداد وانقباضه من ذات الكثيف، وهي في الحقيقة من لطائف تصرفات القوي اللطيف، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] إشارة إلى سريان هذا اللطف الإلهي الذي هو كسريان نور الشمس في أجزاء الجو وامتزاجهما بحيث لا تقع الإشارة على أحدهما إلا ويشاركه الآخر، فالإشارة إلى النور إشارة إلى الهواء، والإشارة إلى الهواء إشارة إلى النور، كذلك سبب اختفاء الذات المتعالية شدة ظهوره، واحتجابه عن الإدراك بسبحات نوره.

الخبير

الخبير بمعنى العليم، وقيل: الخبير، هو الذي أخبر عمّن شاء، لا تبديل لحكمته ولا تحويل لقوله.

اعلم أن تعلق علم الخبرة تعلق خاص وهو العلم الحاصل بعد الابتلاء، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١]، وهو يعلم ما يكون قبل كونه لعلمه به في ثبوته، ولا يقع في مراتب الأكوان الوجودية إلا ما كان ثابتا في الأعيان الثبوتية، ولكن أوجب الاختبار، والابتلاء، لإقامة الحجة، والابتلاء نتيجة الدعوى، وثمرته، وهي أصله، فحيث كانت الدعوى كان الاختبار، ومن وصف نفسه بأمر توجه عليه الاختبار والابتلاء، والتكليف ابتلاء وقد عمّ، وإن لم يعمّ الدّعوى بحكمة مستورة به كما أخبر الحقّ عنه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥].

فعمَّت البلوى كما عمّت الرحمة، ولكن لا يقاوم عمومها عموم الرحمة، لأنها عَسرة واقعة بين يُسرين، لكون موقعها بين رحمة الامتنان ورحمة الغفران.

وإنما قلنا بعموم رحمة الغفران لعموم البشارة، وهو قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] ولما لم يكن للكرم المطلق ظهور إلا بالمسرفين المذنبين عمّت البلوى لتعم المغفرة.

الحليم

الحليم الذي لا يعجل بالانتقام لمن عصاه من الأنام غفر بعد ما ستر، وعفا بعد ما نظر، وأمهل وما أهمل و لم يسارع بالمؤاخذة لمن عمل.

اعلم أن من شأن هذا الاسم إثبات الاقتدار فإن صاحب العجز عن إنفاذ اقتداره لا يسمى حليماً فلا حلم إلا بإمهال القادر على الأخذ وأصل الحلم في اللغة الإفادة، لذلك سمي النوم الحلم، لإفادة المعنى عن صورته فيعبر العارف تلك الصورة إلى المعنى الذي جاءت له فيردها إلى أصلها كما أفد العلم فأظهره في صورة اللبن، فرده رسول الله ﷺ بتأويل رؤياه إلى أصلها، وهو العلم.

وقد يقع الحلم في اليقظة أيضاً كظهور الملك في صورة البشر، فالمحجوب يبصر بشراً، والكامل لا يراعي إلا الحقيقة الملكية، ولما كان مخالفة القادر يقتضي المؤاخذة والانتقام، فأفد حكم اسم الحليم في موطنه سلطنة المنتقم بالإمهال، ولذلك قال عز من قائل: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] لاقتران

القدرة مع الحلم والإمهال، ولا يشاء إلا ما هو الأمر عليه، لأن الإرادة تتبع للعلم، والعلم يتبع المعلوم، والمعلوم ما ظهر فلا تبديل لكلمات الله.

العظيم

العظيم لعلوّ شأنه في قلوب العارفين الذي عجزت الأبصار عن إدراك سرادقات عزه، وكلَّت الألسن عن وصف جلال قدرته.

اعلم أن الواقف في مقام العظمة إما مؤمن وإما صاحب شهود، وذلك أن الأمر يعظم بقدر ما ينسب إليه من التفرد بالاقتدار ونفوذ الأحكام، فإذا كان الكبرياء والاقتدار بحيث لا قدرة لأحد على رد حكمها، ولا نفي شيء لأمرها عظم وقعها في القلب حتى ينتهي إلى الحيرة والدهش، وظهور عظمة الحق -تعالى كبريائه- في قلوب أهل الإيمان إنما هو بحسب معرفتهم بآثار الأسماء الإلهية، فمن كان معرفته بصفات الحق أكمل كانت سطوة تجليات العظمة في باطنه أتم، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: "أنا أعلمكم بالله وأخشاكم منه".

وأما صاحب الشهود فلا يحصل له صولة العظمة إلا من التجليات الجلالية، من غير أن يحصل له شيء من تأثيرات الأسماء، ولا من الأحكام الإلهية بل بمجرد التجلي يحصل العظمة في نفس من يشاهده وشهود هذه العظمة لا تحصل إلا لمن يكون الحق سمعه وبصره لا لمن شاهده بنفسه كالمشاهد بحسب عقله وما يقتضي دليله المقيد، فعلى هذا ما عُبد الله قط من حيث ما هو عليه وإنما عُبد من حيث ما هو مجهول في نفس العابد بحسب اعتقاده في الله، ولهذا السر أقام الحق عذر عباده بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] لاشتراك الكل في الجعل وتقييده المنزه وغير المنزه، فلا شهود أعظم مما ارتبطت عليه أفئدة العارفين من العقائد، الذين يشهدونه من غير تقييد، فلا يلحق عظمتهم عظمة معظّم أصلاً.

الغفور

الغفور مضى ذِكره في حقائق ذكر اسم الغفار.

الشَّكُوْر

الشكور بمعنى المشكور بما شكر عباده عليه من عملهم بطاعته، ووقوفهم عن حدوده، ليبالغوا فيما شكرهم عليه هو الذي رزق العباد، وأعطاهم ما كان عليه فرض، وإذا سألهم قال: عليَّ فرض.

اعلم أن الموجب للشكر هو الإنعام والنعمة عبارة عما يقع به إلتذاذ، وهي إما باطنة كالعلم والحكمة والمعرفة، وإما ظاهرة كالمأكول والملبوس والمنكوح، وأعظمها النكاح، وهو إما لإنتاج وإيجاد أعيان الأمثال لزيادة الشاكرين على بساط الشكر، وإما لمجرد اللذة وهو من أعظم النعم الظاهرة، ولذلك امتن به الحق على رسوله حيث حبب النساء إليه مع قلة أولاده، فلم يكن المراد إلا عين النكاح مثل نكاح أهل الجنة لمجرد اللذة لا للإنتاج ليشهد مشهد الامتنان بشهود هذه اللذة الدالة على اللذات الخالصة الجنانية.

واعلم أن الحق – عز شأنه – لما وصف نفسه بأنه شكور يشكر عباده، طالبهم بالشكر ليظهروا بصفته لكونهم على صورته، ولا يوفي العبد حق الشكر إلا بأن يرى النعمة منه، كما ورد في الخبر أنه تعالى "أوحى إلى موسى عليه السلام: أن اشكر لي الشكر، قال: ومن يقدر ذلك يا رب؟، قال: إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني".

وفيه تنبيه، وهو أن له رؤية النعمة الباطنة العلمية من العبد، كما أن للعبد رؤية النعم الظاهرة، منه لتوقف العلم على المعلوم، وزيادة تعلقاته بتنوع أحوال العبد، وهو سر قوله: حتى تعلم، وفي الحقيقة هو علمه بنفسه بحكم سريان الهوية في مراتب الكون، ولهذا قال عليه السلام: "الصدقة تقع بيد الرحمن"، وقال تعالى: ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[التوبة: ١٠٤] فيد السائل صورة حجابية عن يد الرحمن، وهي تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السائل.

ويقول تعالى له: "جعت فلم تطعمني"، وهذا ثبت في صحيح مسلم، فعند هذا القول كان الحق حجابا على العبد، وعند الأخذ والعطاء كان العبد صورة حجابية عن الحق، فتحقق أيها المنعم الطالب أنه ما أنعم إلا هو، ولا قبل الإنعام إلا هو، واشكر على نعمة هذا الشهود، فإن الشاكر والمشكور لا إله إلا هو.

العليّ

العليّ في شأنه، لعلوه بذاته عما يليق بسمات الحدوث وصفات المحدثات.

اعلم أن العلو إما أن يكون بالمكان أو بالمكانة أو بهما جميعا.

فأعلى الموجودات بالمكانة والمكان من وجب له الوجود لنفسه استقلالا لم يفتقر إلى غيره فكان له الغنى صفة ذاتية وكل ما سواه يفتقر إلى فيض وجوده ويذعن لسطوة سلطانه ويلجأ إلى جناب عزّه ،ومن كان بهذه الصفة لا بد أن يكون له علوّ قدر، ومكانة في قلوب العارفين، وكل من كان وجوده بغيره من أفراد أعيان مراتب الكون فهو مستوٍ لعلو تصرفات هذا العلي، فكل ما سوى الحق عرش الرحمن لظهوره من حقائق سريان النفس الرحمانية وقيامه به وإن لم يشعر بذلك، ومن هذا السر ظهر العلو فيمن علا في الأرض أو أراد العلو، لجهله بحقيقة العلو الذي هو رتبة لا تليق إلا بجانب من تفرد بالقدرة والبقاء، وأحاط وجوده بالكل، وأشمل لطائف وجوده الكل فهو العلي من حيث مجموعيته الأحدية وأحديته المجموعية، لا من حيث أفراده المجموع، ولذلك قال عز اسمه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[القصص: ٨٣] إشارة إلى اهتمام قلب العبد وانضمام عزمه لوقوع أمر، وإن لم يظهر في الحس فإنها واقعة في الحضرة العلمية، فطلاب الرئاسة –وإن لم يظهر ذلك منهم لمانع– فقد حرموا الخير الكثير، لأنهم أرادوه وحصل في نفوسهم، غير أنه لم يحصل في أرض النفوس، والعبد المتلبس بصفة سيده لابس ثوب زور لا تقبله ذاته، ولهذا لا يعترف مخلوق بعلوّ مخلوق قط عند مشاهدة العين، ولا يعظم أحد في عين أحدٍ إلا المحبوب في عين المحب، هذا حظ العامة من أحكام علو العلي. وأما حظ العارف من هذه الحضرة شهود علمه بذاته، وما يقتضي حدوثه من مقام الانحطاط وبعده عن رتبة العلوّ، ومطالعته العناية الإلهية والتشريف الرباني لهم، بإضافته العباد إليه الذي كان بهم عليا، لأنه لولا انحطاط الممكن ما ظهر لعلوّ العلي سلطانه.

الكبير

الكبير الذي احتجب برداء الكبرياء عن درك الإدراك، قال الحق جل ذكره: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ٣٧]، وقال تعالى: "الكبرياء ردائي"، والرداء حجاب المرتدي عن الغير وأخبر أيضا أنه تعالى: "ما وسعه سماؤه ولا أرضه ووسعه قلب عبده المؤمن" وقلب الشيء باطنه، فظاهر العبد حجاب عليه، فهو رداؤه، لكونه مخلوقا على صورته ولما كانت صورة الخلق، عين كبرياء الحق والحجاب على ذاته أو وجهه، لا يخلو الحجاب عن شهود المحتجب به لكن بوجهه الباطن، فإن للرداء ظاهراً وباطناً، فيشهده الرداء بباطنه، ومن هذا المقام قال الإمام علي كرّم الله وجهه:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت: من أنت؟ قال أنت

ولا يراه ظاهر الرداء أبدا إلا إذا انقلب، ولا ينقلب.

وعند صاحب هذا الشهود يتحقق صدق قول الفريقين: مثبت الرؤية من الأشاعرة ومنكره من المعتزلة، ويعلم أن ظاهر العالم مجالي ظاهرية للحق من الاسم الظاهر تعالى للمحقق الجامع من حيث العالم إحاطة لا يتقيد بجهة خاصة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[البقرة: ١١٥]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[فصلت: ٥٤].

والرداء حائل بين ظاهر العالم وباطن العبد، والحق ظاهر لباطن الرداء أبدا، وإن لم يشعر رداء والباطن ظاهره الذي هو الكون، فباطن الخلق حق، وظاهر الحق خلق في هذا الموطن، وبالعكس في الموطن الأول.

الحفيظ

الحفيظ الذي حفظ على العبد توفيقه، وأسبغ عليه النعم بتأييده، وحفظ على المعدوم عدمه، وعلى الموجود وجوده.

اعلم أن الحفظ فيه قضبان يدور عليهما فلك الوجود، وما يحفظ الكون إلا بالعينين: عين الحق وعين الخلق، فالحق يحفظ على الخلق وجودهم ليفيدهم بقاء الوجود، ويستفيد سر العلم، فإن المعلوم يحفظ العلم على العالم، والعلم يتقلب بتقلب معلومه في أطوار الأحوال، وسريان أحكام الحفيظ في مراتب الكون وقع اسم الحفيظ على أفراد الممكنات، فأعيان الكائنات وأشخاص الموجودات بأجمعهم حافظون لحدود الله عند أهل الكشف، فإن لكل شيء حدا في الوجود، وموقع كل شيء حدٌّ من حدود الوجود، ينحفظ ذلك الحد بوقوع ذلك الشيء فيه، فكل شيء عين من أعين الحق، كما يقال لكل عامل من عمال الملوك: هذا عين من عيون السلطان لكونه حافظا مصلحة المملكة، ولهذا وصف الحق نفسه بالأعين، فقال عز شأنه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، إشارة إلى سفينة الكون تجري من بحر الوجود بأعين الممكنات، فوجوده مجموع الخلق في الحفظ، فهو بكل شيء محفوظ كما أنه على كل شيء حفيظ.

المُقيت

المقيت بما قدَّر قوت كل مقوت بحسب حاله على المقدار المعلوم.

لهذا الاسم جهتان: الاقتدار وإيصال الرزق، فهو خالق الأقوات وموصلها إلى كل شيء لقدرها وحسبها، كالأطعمة إلى الأبدان، والمعرفة إلى قلوب أهل الشهود والإيقان.

اعلم أن القوت عبارة عما لا يقوم بقاء صورة المقوّت إلا به، وهو على مقدار خاص.

والقوت إما علوي وإما سفلي ولها خزائن ينزع منها بقدر معلوم، فأعلى الخزائن حضرة العلمية وأدناها أفكار البشرية وما بينهما خزائن صورية ومعنوية، والخزائن بأجمعها عند الله لأنه عين الوجود وإن حضرة الوجود جامع الحضرات، لشموله على الحدوث والقدم، والخالق والمخلوق، والقادر والمقدور، والملك والمالك، ولكل واحد قوت لصاحبه فالآثار قوت الأسماء، لظهور كل اسم في مظهرية أثرها، وتميز بعضها عن بعض بتعقل أعيانها في ألواح مظاهرها، فعلوه قوت أهل السماء من العالمين، ودنوه قوت أهل الأرض من العارفين: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة: ٨٥].

سئل سهل بن عبد الله التستري – قدست أسراره – عن القوت قال: ذِكر الحي الذي لا يموت، فقيل: نسألك عن قوت الأشباح، قال للسائل: ما لك ولها، دع الديار إلى بانيها إن شاء عَمّرَها وإن شاء خَرّبَها، وما جعل الحق –عز شأنه– الأقوات العلوية والسفلية إلا لإزالة أمراض الافتقار، وكل عبد مفتقر إلى سيده، وخادم القوم سيدهم، فقيام العبد بخدمة سيده لبقاء حقيقة العبودية عليه وأداء حقوقها، وقيام السيد بمصالح عبيده لبقاء اسم السيادة عليه، فإن في فناء الملك فناء اسم السيادة، فالخادم مخدوم من الوجه الذي به المخدوم خادم: ﴿لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[الرعد: ٣١]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾[الرعد: ٤٢] المستورون المحجوبون عن شهود الحقائق في هذه النشأة ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢] فإنه ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

الحسيب

الحسيب بمعنى الكافي، والحاسب الذي يعد على الخلائق نعمه، ليريهم مِننه، ويعدّ على العبد أنفاسه، ويصرف عنه بفضله بأسه.

اعلم أن هذا الاسم وحكمه برزخ بين العلم والجهل، فهي حضرة الظن والتخمين، ولم يبلغ رتبتها مبلغ العلم، ولذلك وصف الحق أهل الحجاب بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وما أحسنوا صنعا، وما كان الأمر إلا شبهة ظهرت في صورة دليل.

ومن أحكام هذا الاسم كان نزول المتشابهات التي من خاض فيها نُسب إلى الزيغ، فإن من مال إلى أحد الشبهتين فقد صيرها محكمة، فعدِل بها عن حقيقتها، لأن المتشابه لا يقبل الميل، لتساوي شِبهها بالطرفين، فالعارف الأديب من وقف عندها ولم يحكم فيها بشيء، وإن حكم بالكشف حكَم بالوجهين، ليكون ممن أعطى كل ذي حق حقه كما أُمر.

ومن أحكامها أيضا ظهور العدد في أعيان مراتب المعدودات ومراتب أعيان الموجودات، حتى تخيل وتوهَّمَ المحجوب الكثرة والاختلافات في مراتب الأعداد ومقاصد الآحاد، وليس ذلك إلا تكرار الواحد في كل مرتبة منها فكما أن بتكرار الواحد وبروزه ترتبت مراتب الأعداد، وبحذفها وإسقاطها انتفت نظامها، كذلك بظهور الحق في المظاهر الخلقية ترتبت مراتب الوجود، وتزينت باستهلاك ذرات

الأعيان وانطماسها في إشراق أنوار الهوية المطلقة واحتجاها برداء الكبرياء، وتنزلت وتجردت عن ملابس العدد وظهرت حقيقة الواحد الأحد.

الجليل

الجليل مأخوذ من الجلال الذي أفنى العارفين بكشف جلاله، وأحيَى المحبين بوصف جماله، فالعارف من غالب الكشف جلاله، والمحب من طالب بوصف جماله.

اعلم أن الجلال من صفات الوجه، بسلطان هذا الاسم دوام الحكم دنيا وآخرة، لكن عموم آثار حكمها يظهر في الباطن في هذه النشأة الدنيوية، كما يقول صاحب الخيال لشيء في طور خياله: كن فيكون ذلك الشيء في القوة المتخيلة ولا يقدر على ظهورها في الحسّ الظاهر، لضعف القوة وعدم بلوغها رتبة التصرف في حضرة الحسّ، وموطن الآخرة يقتضي إطلاق الصور الخيالية والحسية لقوة تصرف المتصرف وإطلاق الموطن، فإذا قال المريد لما يريده: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، في الحس والخيال جميعا، فيعم حكمها.

واعلم أن جلالة هذا الاسم في الأسماء الإلهية من حيث سريان آثارها وبروز لطائفها وانعكاس حقائقها في مرايا قوابل الأعيان ومظاهر أشخاص عوالم الإمكان بمنزلة الصدى في الحقائق الكونية، فإنه ما يرد إلا ما تكلم به، كذلك ما من عين من أعيان مراتب الوجود إلا وهو قابل لسريان هذا الاسم، وظاهر به، وواصف له، فجمع الأضداد بحقيقة الجمعية، وأحاط آثارها بالعارف والمعروف، وأشمل سريانها الخطير والحقير، فللعارف جلالة في رتبة الأصالة، فكما أن العظمة جلالة للتعظيم، كذلك كمال الحقارة جلالة للحقير، فما تخلصت الأكوان من مكان ظلمة المحال إلا بضياء أشعة أنوار الوجود من ذلك الجلال، لولا حقارة العبد الذليل ما ظهر آثار جلالة الجليل، ولولا استغاثة الملهوف القاصد ما عرف في الكون مجد الماجد، ولا ينضبط الجليل إلا بالجليل.

الكريم

الكريم الذي لا يحوج العبد إلى وسيلة لحصول رضائه، ويعطي الجزيل ولا يمنّ بعطائه.

اعلم أن اسم الكريم يتبع الجليل من وجهين:

أحدهما: لما تقتضي حضرة الجلالة من الجمع بين الأضداد، كذلك آثار الكرم الإلهي يشمل البرّ والفاجر.

والثاني: إزالة قنوط السامع وصف العظمة وتخيله عدم الوصول إلى العظيم لما عليه من الاحتقار والذل، فأزال الحق ذلك عنه بقوله: ﴿ذُو الْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فأخبر أنه تعالى مع عظمة شأنه وعلوّ كبريائه مكرم عبيده بنظر العناية، وراحم ورؤوف بهم بكمال جوده وكرمه، كما امتنَّ عليهم بالوجود قبل كونهم موجودا ومذكورا، فلولا سريان الكرم والجود لبقيت الممكنات في ظلمة العدم، فكرامته بهم في إعطاء خلعة الوجود إياهم أجل وأعز من كرامته بهم بعد وجودهم بما يسرهم من نيل الأغراض.

وبُنْيَة هذا الاسم وأمثالها مما هو على وزن فعيل يقتضي الفاعل والمفعول في حكم أهل الكشف، فكما أنه تعالى كريم بما أكرم عبيده بالوجود الذي هو الخير المحض، وأعطاهم جزيل الهِبات وغرائب

المِنح، كذلك مكرَّم ومتكرَّمٌ عليه بطلبه منهم القرض والصدقة، وقبوله ذلك، وهو من سريان آثار هذه الصفة في أجزاء مراتب العالم، ورجوعها إلى الحضرة المتعالية، ليكون الأمر منه إليه.

ومن عموم آثار هذا الاسم أيضا إحاطة الذات المقدسة بمراتب الإنّيات ومدارجها، مع اختلاف أحكامها وتضاد جهاتها، لإزالة الحرج عنهم، وإطلاقهم في اختيارهم وتوجهاتهم وتوليتهم، ليكون وجهتم إليه أينما توجهوا، وإن اتبعوا أهواءهم فلا يخلو عن وجه الحق: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

الرقيب

الرقيب: الشاهد على أحوال عباده بما هو عليه من لزوم الحفظ لخلقه، ليراقبوه على دوام أوقاتهم.

اعلم أن اسم الرقيب مشتق من الرقبى، وهو تمليك رقبة الشيء، ولها حكم الإحاطة، لشمول مراقبة الحق أعيان الممكنات.

والمتحقق بحقائق هذا الاسم لا يزال في زيادة علم رباني وعرفان عياني، لمشاهدة شؤون الحق بحكم المعية التي تقتضي هذه الحضرة.

ومن علامة صحة حال المراقب أن لا يخلوا ميزان الشرع من يد تصرفه، فلا يزال نظر صاحب المقام إلى ميزان الشرع إما بعين الشهود، وإما بعين الإيمان، فإذا أخذ، أخذ بالعدل، وإذا أعطى، أعطى بالفضل ليكون معصوما في مراقبته، فإن أسعد الخلق من حفظ الأدب، بدوام مراقبة الحق في المواطن والمجالي، وأكثر ما يكون سلطان هذا الاسم في حضرة الأفعال، فيراقب العبد مراقبة الحق في مراتب هذا المشهد، ويكون معه بحسب ما يقتضي ذلك المشهد، فإن ظهر له ما لا يوافق غرضه دنيا ودِيناً، سأل رفع ذلك الحكم، وإلا سأل الأصلح.

المجيب

المجيب من دعاه لقربه وسماعه دعاء عباده، هو الذي يجيب العبد قبل أن يسأله، ويعطيه فوق ما يستحقه.

اعلم أن الإجابة على نوعين: إجابة امتثال وإجابة امتنان.

فالأول: إجابة العبد أوامر الحق، وإجابة الخلق بعضهم بعضا.

والثاني: إجابة الحق دعاء الخلق، وهو شبه إجابة الإنسان نفسه لما يدعوه.

وليس بين دعاء نفس المرء وإجابته إياه زمان، بل زمان الدعاء زمان الإجابة، كذلك قرب الحق من إجابة العبد هو قرب العبد من إجابة نفسه، كما وصف الحق هذا القرب بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. فشبه قربه من العبد قرب العبد من نفسه.

ثم ما يدعو نفس العبد إليه في حاجة مخصوصة، فقد يفعل لها ذلك لأمر عارض أو مصلحة، كذلك ما يدعو العبد ربه إليه في حاجة مخصوصة فقد يفعل، لكن هذا في إجابة السؤال لا في إجابة الدعاء، فإن الدعاء هو النداء بالله، لا بد من إجابة هذا النداء بلبيك، ولا لبيك من الحق في حق كل

داع، ثم ما بعد هذا فهو خارج عن الدعاء، فيوصل ما بعد الدعاء والنداء من الحوائج – وهو ما قام في خاطره ودعا لأجله – لم يضمن المجيب ذلك، إن شاء قضى ذلك وإلا فلا بحسب قوة الرابطة وعدمها بين السائل والمجيب، وذلك إن الخلاف والوفاق في الدعاء والإجابة من علامة تصحيح النتيجة الإلهية، فإن إجابة الحق سؤال عبده في مقابلة إجابة العبد أوامره، فلو أجاب العبد ربه في كل ما أمره، لأجاب الحق عبده في كل ما سأله أو خطر له من تكوين أمر، فظهر وقوع المخالفة والموافقة من الجانبين، لأنه على صورته.

وقد يكشف للشخص عن خواص الأحوال والأسماء والأزمنة والأمكنة ما يوجب قضاء حاجته، ولا يكشف له عن حقيقة خبرية فيسأل ويعود وباله عليه إما في الدنيا وإما في الآخرة، فيكون ممن جنى على نفسه، ولهذا أكابر الأولياء الذين ملكوا الأحوال لو كشف لهم عن خفيات الأسرار لا يرى عليهم أثر المكانة والقرب والإجابة، بل لا فرق بينهم وبين العامة في الظاهر، لما يشهدون ما فيه من المكر والاستدراج، والذين ملكتهم الأحوال لهم خرق العوائد، ولا يفي فوائد ذلك بآفاته، وأدنى ما فيه من الآفات أن يذوق في ذلك طعم نفسه، وصاحب هذا الذوق لا يفلح أبدا.

الواسع

الواسع لكثرة عطائه وتتابع آلائه، الذي كثرة عطائه لا تستوفى بالحصر، وعموم آلائه لا يُستقصى بالذكر.

اعلم أن من عموم أحكام هذا الاسم اتساع العطايا، وأول ذلك خلع الوجود، ثم ما يستحقه الموجود بما به بقاؤه وصلاحه، سواء سرّ به أو ساء وإن كان السرور هو المطلوب، لكن قد يجيء ابتداء، وقد يأتي بعد ما يستوي بحسب مزاج التركيب، وقبول المحل للعوارض، فإن العوارض والوقائع من حيث الوجود أحدي العين والحكم، إنما يختلف في الأعيان آثارها بحسب اختلاف أمزجة الأشخاص، كمن يغلب الصفراء على حاسة ذوقه، فيجد العسل مرّاً، فإن قال: العسل مرّ صدق في ذوقه ووجدانه، وكذب في إضافته المرارة إلى العسل، وكم من مزاج يلتذّ بالأمر الذي يتألم به مزاج آخر، فالأمر واحد، واختلف حكمه في المحال بحسب أمزجتها وخصوصياتها وقابلياتها، فما من الحق إلا الخير، وحكم اللذة والألم إنما هو بحكم القوابل، بل الشخص الواحد ربما يتضرر بما به ينتفع هو بعينه، كما يتأذى بالحر والبرد، ويعلم أنهما مما تقتضيه الفصول بسبب أذواق الخلق، فتضرر في الحال بما هو ينتفع به في المآل، فعين الضرر عين النفع، ولكن لا يعلم كثير من الناس بعموم الستر وإسبال الحجب من حضرة الواسع، فإنه واسع المغفرة وهي الستر، فعم الستر كما عمت الرحمة، وما ستر إلا بالوجود، والوجود ظهور ومظهر، فاستتر بما ظهر به.

الحكيم

الحكيم الذي أنزل كل شيء منزلته، وجعله في مرتبته.

اعلم أن الحكمة أخص من العلم لتعلقه بالمعلوم بحسب ما رتبتها الحكمة، فكل حكيم عليم وما كل عليم حكيم، فالحكمة أعلى رتبة من العلم عند المحقق، ولذلك امتنَّ الله تعالى على داؤد عليه السلام – مع وفور علم النبوة والكتاب – بالحكمة وفصل الخطاب، وهو الإيجاز في الكلام في موطنه لصاحب

الفطنة، ورُب موطن يقتضي تكرار الكلام لتفهيم المستمع، ولذلك كان رسول الله ﷺ يكرر الكلام ثلاث مرات مراعاة للأدنى، فالحكمة تقتضي الإيجاز في موطن، وفي بعضها تقتضي الكثرة والتكرار، فالحكيم حاكم يحكم في الأمر أن يكون هكذا، أو المواطن بخصوصياتها تقتضي الحكم لذاتها، فكان الحكم للمواطن به [الحكيم] كما كان الحكم له [الحكيم] بها للمواطن، فدار الأمر منه إليه.

ومن أهل الله من يكشف له عن سر ترتيب الحكمة، فيؤديه إلى البهت والحيرة، منهم من لا يعلم ذلك إلا بعد وقوع حكمه في الوجود، فيعترف بجهله بالمصالح والحيرة.

وغاية ما ينتهي إليه طائر همة العارف أن يعلم بالجملة أن الظاهر الواقع في الوجود إنما هو في قبضة الحكمة الإلهية صادر عن حضرة الحكيم القادر وهذا هو الذي استعجل النعيم بدوام الفرح والرضا وقام به التفويض والتسليم، وزال عنه الضجر والسخط بزوال الغرض، فإن الجهل والنزاع لا يقع إلا فيما لا يوافق الغرض، وصاحب هذا الشهود لا ينافي غرضه شيء بزوال غرضه بمطالعة أسرار حكمة الحكيم.

الودود

الودود الذي يود أوليائه ويودّونه، ويحبهم ويحبونه.

الود هو ثبوت الحب، فلا يوثر فيما سبق لهم من المحبة معاصيهم، فإنها ما نزلت بهم إلا بحكمة القضاء والقدر السابق، لا للطرد والبعد.

اعلم أن الود مرتبة من مراتب الحب فإن المحبة لها أربعة أحوال، لكل حال اسم يعرف به:

فأول سقوطه في القلب يسمى بالهوى.

ثم إثباته في القلب هو الود.

ثم الخلاص عن تعلقات الغير وتصفيته وهو الحب.

ثم التفاته بالقلب التفات اللبلابة بالشجرة حتى يغيبه عن غير محبوبه وهو العشق.

فالودود هو ثبات الحب، فالحق ثابت المحبة لعباده، فإن الصانع يحب صنعه، والمحب يطلب الرحمة من المحبوب، فمقام صبابة الحب الإلهي أول مرحوم، والصبابة رقة الشوق إلى لقاء المحبوب، ومن هذه الصبابة زَيّنهُ بزينة الشهود، وأكساه خلعة الوجود وأدار أكؤوس الأفراح بين الشاهد والمشهود، فيخاطبهم بإشارات ألحاظ الجمال، ويخاطبوه بلسان التحنُّن والأحوال.

ثم قال: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ﴾[البروج: ١٤] ليكون الأمر مستورا بين المحب والمحبوب، فهو سمع المحبوب وبصره ولسانه وغير ذلك من القوى، وإن كان خلف حجاب الخرس والطرش والعمى، فكل فرد من أفراد مراتب الخلق منصة من منصات مجالي تجليات الحق.

فمن المحبين من يعرف محبوبه في الدنيا معرفة شهود، فيتلذذ بلحظاته ويتنعم في أوقاته.

ومنهم من يتوقف أمره في العرفان حتى يكشف له الغطاء، فبان له أنه كان عين الغطاء، فالعالم إنسان، والإنسان عينه، والمحبوب من الإنسان إنسان العين من العين.

المجيد

المجيد بما له من الشرف على كل موصوف بالشرف، فالمجد في اللغة الشرف، فهو الذي بمجده أغنى أولياءه بلا مال، وكفاهم بلا احتيال وأعزهم من غير رهط وإشكال.

اعلم أن لهذا الاسم الشرف والعلو والمجد عن وصف كل منزه، فإن كل واصف واقف مع نعت مخصوص، فتنزيه الحق نفسه عن ذلك النعت من حيث تقييده وتخصيصه، لا من حيث أن ذلك له أو ليس له، لأن للحق –جلت عظمته– أحدية المجموع لا أحدية كل واحد من المجموع، فالواصف إنما يصفه بأحدية كل واحد من المجموع، فهو المخاطب بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، وكل مسبح في السموات والأرض يسبح الحق وينزهه عن عقد غيره فيه، لأن نظر كل مسبح فيه جزئي فالذي يثبت له واحد هو عين ما ينفيه الآخر عنه، وكل واحد منهما مسبح بحمده، فأثبت الحق لهذا ما نفاه الأول لا ما أثبته، وأثبت الآخر عين ما نفاه الأول لا ما أثبته، وذلك لقصور نظرهم عما يقتضي الأمر كما هو عليه.

ولا يوصف بالتسبيح، ونقيضه الشامل للقيد والإطلاق إلا العبد الجامع الكامل المشاهد للجمع والتفصيل، و في الخبر: "إن المصلي إذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال الحق: مجّدني عبدي" وهذا حال الكامل العارف، فإنه لا ينطق إلا بلسان العرفان، والشهود فهو الذي مجد الحق بشهادته واعترافه بأنه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وهو مواطن الجزاء دنيا وآخرة، بخلاف ما يتوهم المحجوب، فإن الآفات والعاهات والمصائب كلها جزاء ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾[الروم: ٤١]، ولا فرق بينهما، إلا أن الجزاء في موطن الدنيا ربما يُؤجر أو يكفّر عنه، وربما لا يؤجر صاحبه ولا يكفر عنه، ولما ثبت أن أعمال العباد تعود إليهم، فلا بد أن يرجع إليهم المجد الذي مجّدوا الحق به، فالعبد مقدّس بتقديسه، ومنزّه بتنزيهه، وممجّد بتمجيده، ومن هذا المقام قال من قال: "سبحاني، وأنا الحق".

ولما كان العامل والفاعل الحقيقي الواحد الحق –وحده لا شريك له– انجذبت الأمور ورجعت الأعمال إليه بعد ظهور الدعاوي، وإليه يرجع الأمر كله.

الباعث

الباعث الذي بعث الممكنات من العدم إلى الوجود، ومن الوجود إلى البرزخ نوماً أو موتاً، ومنه إلى المحشر عموماً، وبعث الرسل إلى الأمم خصوصاً.

اعلم أن الله تعالى لما بعث الممكنات من العدم إلى الوجود، جعل نوع الإنسان خلفاء في الأرض، لما يقتضي أصل خلقته من شرف الإضافة –وهو نفخ الروح– كونهم مدبرين ممالك مسالكهم حاكمين على رعايا جوارحهم الظاهرة وقواهم الباطنة، فجعل النفوس ملوكا، ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٠﴾[المائدة: ٢٠] من سرعة طاعة رعاياها لها، فإن زمان أمرها زمان أعمال رعاياها، ثم بعث إلى بواطنهم رسلاً، كما بعث إلى ظواهرهم رسلا يتلو عليهم آياته، والرسالة لا تكون إلا بين الملوك لا بين الرعايا، فالأرواح المنفوخة في الأجسام وإن كانت من أصل مقدّس موصوف بالطهارة والنزاهة ولكن أثّر فيه بقاع الأجسام كما يورث البقعة في الماء العذب من الملوحية والمرارة وغيرهما، وكذلك الروح طيب في الأصل، فإن كان محله طيبا زاد طيبه، وإن كان خبيثا صيره بحكم مزاجه، وأطيب الخلق محلّا

الرسل والأولياء، فإنهم ما زادوا الطيب إلا طيبا، وتتفاوت مراتبهم في ذلك، وكذلك تتفاوت مراتب أهل الاختلال والاختلاط:

فمنهم: من أظهر النزاع لقوة خبث المحل.

ومنهم: من لم يظهر، فكان إرسال رسله إليهم رحمة بهم، ولكن لسبق تصرف رسل الأفكار، مال كل صاحب نظر بما أدّاه إليه نظره، فتقرر عنده أن الإله هو الذي له هذا الحكم، وما علم أن ذلك عين جعله، فما عبد الناظر إذا ما خلقه بتصوره في نفسه وسمى ذلك التصور اعتقادا، والحق –جلّت عظمته– حاكم لا محكوم، ولا تنضبط حقيقة ذاته المقدسة للعقل، بل ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]، فالموفق المعصوم من عرض معتقد فكره على ما جاءت به رسل الحق، فإن وافق فذلك نعمة من الله، وإن ظهر الخلاف فعليه باتباع رسل الحق –عز شأنه– فالحق ما بعث الرسل إليهم إلا ليبعثهم إليه – تعالى – رسل الأحوال لطلب ما يؤيدهم به في تدبير ما ولّاهم عليه، وكان الأمر منهم إليه كما كان منه إليهم، فالملك إذا ملك المُلك.

الشهيد

الشهيد لنفسه بأنه لا إله إلا هو، ولخلقه بما جاؤوا به من الخير والشر، ليريهم منته بالرحمة والغفران، فهو الذي على الأسرار رقيب ومن الأخيار قريب.

اعلم أن الأمر الإلهي منه ما لا يمكن أن يُعصى، ومنه ما يمكن أن يُعصى.

أما الأمر الذي لا يُعصى، هو توجه الخطاب من غير واسطة إلى عين الممكن بالإيجاد بأن يقول له كن فيكون، فهذا هو الأمر الذي لا يعصيه المخاطب أصلا.

وأما الأمر الذي يمكن أن يُعصى هو صيغة الأمر لا حقيقة الأمر، وهو الأمر بإتيان فعل أو تركه مع عدم الإرادة لوقوعه، وهو على الحقيقة أمر لفظي صوري لا روح له، فإن روح الأمر الإرادة، وإنما الإنسان المكلف هو محل ظهور هذا الأمر بتكوين الحق فيه، فيقول الحق للشهادة: كن فتكون الشهادة، ومالها محل إلا الإنسان الشاهد وهو القائل، فينسب الشهادة إلى من ظهرت فيه، وليس له فيها تكوين، وإنما التكوين فيها للحق في هذا المحل، وقس على هذا جميع الأفعال، فالمحقق يشاهد تكوين الأشياء في ذاته، وفي ذات غيره، أعياناً ذاكرةً مسبحة لله، وإن أطلق عليها اسم المعصية، فإن صاحب الكشف يشهد الفعل مجرداً عن الحكم، لعلمه بأنه ليس لها عين وجودية، لأن المسمى المعصية إنما هو الترك والترك لا شيء ولا عين له، فهو مثل مسمى العدم، فإنه اسم ليس تحته شيء وجودي، فإن الشأن محصور في أمر لا يفعل أو نهي لا يمتثل ليس غير ذلك شيء، فإذا قيل أقم الصلاة فلم يفعل ليس تحت لم يفعل شيء إلا أمر عدميّ لا وجود له، وكذلك إذا قيل لا تفعل و لم يمتثل، فمدلوله عدم لا وجود له، ولا بد للعبد في كل نفس أن يكون في شأن وذلك الشأن ليس له، فإن الشأن الظاهر في وجوده هو هوية الحق: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] فتظهر تلك الشؤون، وأعيانا من تلك الشؤون، ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨﴾ [آل عمران: ٩٨].

الحق

الحق بمعنى الموجود، هو الوجود الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه وجود لا عن عدم، ولا يعقبه العدم الذي أوجب الحقوق بلا علة، وباين الكل بلا عزلة.

اعلم أن من نزع الحق عن قلبه حجاب العمى، وشاهد حقيقة انقلابه في الصور وتحوله فيها، علم أن العالم في كل نفس في تحول وانقلاب عن شؤون الحق الذي يحول الليل والنهار، فتحول الكل لتحول وتقلب أموره: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس: ٣٢]، وهي الحيرة، وما بعد الحق شيء سوى الخلق وبوجودهم ظهر حكم الحيرة، لأنه سمي خلقا لاختلاف الأحكام.

فإنك إذا نظرت إليه من حيث وجوب وجوده قلت حق.

إذا نظرت إليه من حيث إمكانه قلت خلق.

وكذلك حال السالك السائر تارة يقول: "أنا أنا، وهو هو"، وتارة يقول: "أنا هو، وهو أنا" وتارة يقول: "لا أنا، ولا هو"، وهذا عند كشف سر قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فنفى وأثبت وهو من موجبات الحيرة.

وهو الحق بانفراده بوجوب الوجود ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[الأنبياء: ١٨].

وهو الشؤون التي كل يوم هو فيها أزلا وأبدا، ولا يزهق إلا ما له عين وجودية، إما في الحس وإما في الخيال، وكل ما زهقت صورته لا يرجع أبداً، لأن الرجوع تكرار، ولا تكرار لأعيان الوجود، لعدم نهاية التجليات الحقيقية، والحق ما دمغه وأذهبه عن حد الوجود الظاهر إلا ويقذف مكانه صورة أخرى، فما زهقت صورة باطل إلا بورود صورة حق، فهي من حيث ورودها حق، ومن حيث زهوقها باطل، فهي الدامغة والمدغومة، عند كشف هذا السر قال من قال: "أنا الحق، فإن الولي لا ينطق إلا بلسان الحال".

الوكيل

الوكيل بمعنى الكافي، الذي وَكَّلَهُ عباده على مصالحهم، فكفاهم وأغناهم بما فيه نفعهم، ووكلهم على التصرف في المنافع على حد معين، فهي لهم من حيث نيلهم فيها من المنفعة، وهي للحق من كونها مسبحة بحمد ربه.

اعلم أن الوكالة رتبة إلهية سرت في مراتب الأكوان سريان الحياة، فكما أن ما في الكون إلا حي كذلك ما في الكون إلا وكيل، فمن وكل الحق بقوله وإقراره أصاب الحق، ومن جهل وغفل وكله الحال، ولسان الحال أنطق من لسان المقال، والوكيل بحكم موكله لا يتصرف إلا فيما أذن له، ولا يزيد على الحد المفوض إليه فله الحجة البالغة، فمن قال لوكيله: لم فعلت كذا؟ كشف له حقيقته حتى يشاهد أنه باستعداده وخاصيته، جعله أن يفعل ما أنكر عليه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[الطلاق: ٣]، إشارة إلى أنه وجود الإنسانية لما ظهرت في آخر مراتب دائرة حقائق الوجود وبه كملت الصورة الوجودية الإلهية وفيه شهد حقائق الكنز المخفي، فهو آخر موجود، وأول مقصود، فهو حسبه كما هو حسبه وذلك لأن الممكن لا يعرف نفسه إلا بالحق، فهو الغاية التي إليها ينتهي أمره، فهو حسبه.

ولما كان ظهور أحكام الصفات الإلهية موقوفا على وجود الممكن، وما ثم مرتبة وجودية بعده، لأنه سدّ بين الوجود المطلق والعدم المطلق، فهو حامل الحكمين، وجامع الطرفين، فإن نسب إليه الوجود يصدق، لظهور نور الوجود عليه، وإن نسب إليه العدم يصدق، لبقية ظلمة العدم فيه، وبوجوده امتاز المعدوم من الموجود، فهو برزخ بين البحرين، قابل بذاته للطرفين، فلو كان للمعدوم لسان لقال: أنه على صورته، لذلك كان حسبه.

القوي

القوي بمعنى القادر، هو القوي بما عليه من العز والاقتدار بالجمع بين الأضداد.

اعلم أن حقيقة آثار هذا الاسم لا يظهر إلا على العبد الجامع، وهو الإنسان الكامل، ولهذا ما سُمع قبل خلق آدم قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي الخبر: "أن جبريل عليه السلام لما علّم آدم عليه السلام آداب الطواف بالبيت قال له: إنا طفنا بالبيت قبل أن تخلق بكذا وكذا ألف سنة. فقال له آدم عليه السلام: فما كنتم تقولون عند الطواف به؟ قال جبريل عليه السلام: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقال آدم عليه السلام: وأزيدكم أن لا حول ولا قوة إلا بالله"، فاختص آدم عليه السلام بهذا الذكر و الكمّل من ورثته الذين لم يبق صفة من صفات الإلهية إلا وظهرت في مرآة وجودهم.

ولما كان الممكن محل ظهور الاقتدار الإلهي جبر ضعف إمكانه بقوة الوجود، فوقع الدعوى والتنازع ممن وقع، وظهرت آثار المطلوب فيمن ظهرت، فأعاد إليهم المضعف الثاني: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[الحج: ٥]، وذلك أن الدنيا حاملة بالإنسان والهرم شهر ولادتها لتقذفه من بطنها إلى البرزخ، فيربيها في مهد البرزخ ليستعد في نشأة الآخرة لقبول القوة الصافية عن شوائب النزاع والدعوى، هذا حكم حقيقة باطن الاسم.

وأما حكم آثار ظاهرها سرى في أجزاء مراتب الكون حتى الضعف الذي هو ضد القوة، يقال للضعيف: قوى ضعفه وقوى عليه الضعف، والضعف مانع قوي عن الحركة، فنسبت القوة إلى الضعف، ووصفت بضده، وهذا من سريان حكم القوة في الأشياء وفيه إشارة لمن فهم، ولما غفل أكثر الناس عن سر عموم هذا الحكم، أمرهم أن يستعينوا به في الاقتدار كما استعان بهم في القبول، فكما لا قوة للممكن على ما كلفه الحق من الأعمال، كذلك لا ينفذ اقتدار الحق في أمر لا يظهر إلا بقول القابل إلا بوجود الممكن القائل فما ثم قوة مطلقة دون مساعدة، وهذا سر قوله تعالى: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي"، فإن الصلاة الوجودية لا تتم إلا بالاقتدار والقبول.

المتين

المتين بمعنى الشديد، الذي لا يحتاج إلى جند ومدد، ولا يستعين على أفعاله بأحد.

اعلم أن المتانة في المعاني كالكثافة في الأجسام، ومن متانة الحق أنه عصم اسم الله أن يسمى به غيره ملفوظاً أو مرقوماً، حتى لا يفهم من هذه الكلمة أبدا إلا هوية الحق فلا دليل على الحق أدل من هذه الكلمة إلا الإنسان الكامل، فإنه أدل على الله من هذه الكلمة، ولذلك سماه الحق كلمة، فكلمة الله لا تعلق لها إلا بالإنسان، والكلمة الإنسانية ناطقة بنفسها، فهي أقوى في الدلالة على هويته ولذلك قال عليه السلام: "إن أولياء الله الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله".

وما ظهرت أحكام المتانة إلا في مرآة الإنسان، وهي القوة المتخيلة التي هي آخر درجات الحس ولذلك إن عالم الخيال أشبه شيء بوجود الحق لإلحاقه المحال بالممكن، وجمعه بين الضدين فإن الشخص الواحد قد تكثر نسبته فيكون أباً وابناً وعبداً وسيدا، وهو لا يتغير، وأما إلحاقه المحال بالممكن فهو أن يرى العبد في منامه ما هو محال الوجود موجودا، وهذا مما لا يسع لأحد إنكاره، وما جاز هذا إلا لحضرة الخيال، وأعظم ما يظهر حكم هذا الاسم في أهل الكشف لأن الذي اعتقد في الحق بالدليل النظري إذا جاءت له شبهة أثرت في معتقده، فجعل يبحث عن ما يزيل الشبهة، أو ما يثبت له ما هو أقوى من عنده فلو كانت المتانة من صفات معتقده ما أثرت فيه الشبهة الواردة، فليست المتانة إلا للحق المطلق عن تقييد النظر، وهو الذي يستند إليه العارف المحقق ولا يدري ما هو لعلو قدر المتانة عن طور النظر والإدراك.

كما قال الإمام علي عليه السلام: "العجز عن درك الإدراك إدراك"، فبالمتانة يكون الاستناد إليه، والعلم المستند عين نفي العلم به على علم بأنه لا يعلم، فمتانته حجاب فلا يعرف.

الوليّ

الوليّ بمعنى الناصر، هو الذي نصر أولياءه وقهر أعداءه، فالولي بحسن رعايته منصور، والعدو بحكم شقاوته مقهور، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[البقرة: ٢٥٧]، الآية.

اعلم أن حكم هذا الاسم في نصر المؤمنين على نوعين:

الأول: نصرهم بإخراجهم من ظلمة العدم إلى نور الوجود في العموم.

الثاني: وإخراجهم من مضيق العلم بهم إلى سعة العلم بالله في الخصوص، وهو خروج العارف من ظلمة الحجاب إلى نور الشهود فيشهد ما كان غيبا له، فعلى الأول يكون وجود العبد فرعا عن أصل وجود الحق، وعلى الثاني يكون علم الحق فرعا عن أصل علم العبد، لأن علم العبد به فرع عن علمه بنفسه لقوله عليه السلام: "من عرف نفسه عرف ربه"، فهو عين الدليل.

وأما نصر الطاغوت منعهم إياه عن دخول الجنة، لكونهم على مزاج يتضرر بنعيمها، كما يتضرر الجُعَل برياح الورد.

وأما نصر الحق للمؤمنين في الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧] فإن كان الألف واللام للجنس فمن اتصف بالإيمان، فهو منصور، ومن هنا يظهر المؤمنين بالباطل في أوقات على المؤمنين بالحق، لا من حيث أنهم آمنوا بالباطل، ولكن لتحقق إيمانهم في قوة زعمهم أنهم ما آمنوا به من كونه باطلا، وإنما آمنوا به لاعتقادهم فيه أنه الحق، وها هنا سرّ آخر، وهو أن الإيمان إذا قوي في صاحبه بما كان فله النصر على الأضعف كيف والمشرك مؤمن بوجود الحق، وإن لم يؤمن بالتوحيد وبعض الرسالة، فهو بوجه ممن آمن بالحق لكن إيمانه لم يبلغ قوة إيمان المؤمن بالحق من حيث أحديته وهذا من أسرار تسمية الحق أهل الباطل مؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

الحميد

الحميد بمعنى الحامد، وهو الذي يُحمد على يسير الطاعة، ويجازي بكثير الثواب، وهو الحميد بما هو حامد لنفسه بنفسه إجمالا، وبلسان كل حامد تفصيلا، وبما هو محمود بكل ما هو مثني عليه، فإن عواقب الثناء تعود إليه وكل اسم فعيل من أسماء الحق يعم اسم الفاعل والمفعول بالدلالة الوضعية فهو الحامد والمحمود، ولا يطلع على سر الحمد إلا من له المقام المحمود، فما خص بعلم الثناء إلا محمد ﷺ كما أنه ما ظهر بعلم الأسماء إلا آدم عليه السلام.

واعلم أن الإنسان لما خُلق على مزاج يميز بين اللذات والآلام بحيث يتضرر بالآلام ويحزن، وينتفع باللذات ويسر، وهما حالتان من أحوال الكون، سمى علمه بمن أورثه حال النفع شكرا، وعبارته عن ذلك حمدا، وهما عين شؤون الحق، وليس الشؤون إلا التجليات الوجودية، وهو الخير المحض غير أنه تختلف أحكامها في القوابل فرُبّ أمر يتضرر به زيد ويلتذ به عمرو، والأمر واحد العين لا انقسام فيه ويختلف حكمه في الممكنات بحسب قابلياتها واستعداد ذاته، وكذلك كان رسول الله ﷺ يقول في السراء: "الحمد لله المنعم المفضل". فكان يقيده بتقييده حكمه وأثره ويقول في الضراء: "الحمد لله على كل حال"، وهذا الحمد أعظم من حمد السراء لإطلاقه واشتماله على الكل، فإن من إنعام الحق أن ألهَمَ صاحب الضراء الثناء، واستعمله بحمده، ووقاه عن الضجر والسخط فعافى باطنه بما ألهم من التحميد ثم زاده عافية بما زال الضراء عنه.

واعلم أن ما في العالم لفظ إلا وفيه ثناء جميل في طور الكشف يشهده أهله ومرجع ذلك الثناء إلى الله وإن كان له وجه إلى مذموم فلا بد أن يكون له وجه محمود عند أهل الحق، وإن لم يعثر عليه السامع والقائل فهو من حيث ما هو مذموم لا مستند له ولا حكم له، لأن مستند الذم العدم فلا يجد الذم من يتعلق به فيذهب ويبقى الحمد لله.

ثم الحامد في حال الحمد إما أن يقصد الحق أو غير الحق.

فإن حمد الله فقد حمد من هو أهله، وإن حمد غير الحق فما يحمده إلا بما يشاهد فيه من الصفات الكمالية ونعوت المحاسن وتلك الصفات عطاء ومنح له من الحضرة الربوبية، إما مركوزة في جبلته، وإما مكتسبة في تحققه وتخلقه، وهي مردودة إلى الحق فرجوع عاقبة الثناء إليه سبحانه.

وللحمد ثلاث درجات:

الأولى: حمد الحامد نفسه.

الثانية: وحمده غيره.

وهذان القسمان يتطرق إليهما الاحتمال، ويحتاج إلى قرينة الحال.

والثالثة: حمد لسان الحمد، وهو الذي لا يتطرق إليه الاحتمال، فإنه عين قيام الصفة بالموصوف، فإذا كان عين الصفة عين الواصف والموصوف كان الحمد عين الحامد والمحمود.

المحصي

المحصي بمعنى العالِم بالمعلومات، الذي بما في الخواطر بصير وبما في السرائر خبير.

اعلم أن الإحصاء أخص من الإحاطة لأن الإحاطة عامة الحكم في الموجود والمعدوم. والإحصاء لا يكون إلا في الموجود فكل محصى محاط وما كل محاط به محصى، فحكم الإحصاء سار في مراتب الوجود حتى الأنفاس فحكم هذا الاسم عُدّ على العبد أنفاسه وأعماله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[الكهف: ٤٩]، والإحصاء على نوعين:

الأول: إحصاء بواسطة.

الثاني: إحصاء لا يترك بلا واسطة.

فالواسطة هو الملك الحافظ الكاتب لفظ العبد الذي هو صورة عمله لا روحه، فإذا لفظ العبد ورمى به ينظر الملك إلى من أنطقه بذلك اللفظ، وهو الحق، فيرى نور المعية قد رمى به القابل فيأخذه الملك أدباً مع الحق، يحفظه له، وإذا عمل عملا علم الملك أنه فعل ذلك، ولكن لا يكتب إلا ما يتلفظ به، فالملك شاهد إقرار لا شاهد أعمال، لعدم إطلاعه على ما نواه العبد في العمل، ولذلك يقبل أعمالاً تستقله الملائكة، ويردّ ويضرب وجه صاحب ما تستكثره الملائكة كما ورد في الخبر: "المَلَك يراقب العبد، ويكتب حركة لسانه بإذن الله، والله يشهد على قصد العبد، وما في ضميره ونيته في ذلك العمل، فيستره الحق من المَلَك غيرةً عليه"، كما غار على الضنائن من هذا النوع الإنساني، وهم المجهولون في العالم، فلا يظهر منهم ولا عليهم ما يعرفون به، وهم لا يشهدون في الوجود إلا الله لا يعرفون ما العالم، لغيبتهم عنه بالحق واشتمال آثار أسرارهم على مراتب الكون، فالحق –عز شأنه– يحول بين نية العبد وبين شهود الملك، ويتولاها بنفسه ويتم منها ما نقصه العبد من الكمال لغفلته أو تقصيره كما يقبل الصدقة ليربيها حتى تكون أعظم من الجبل كما ورد في الخبر.

والإحصاء عين شؤون الحق، ولا نهاية لشؤونه، وإن انتهى حكم الدنيا، فإنه يشرع في شؤون النشأة الآخرة، ولا نهاية لها، فالشؤون لا تقبل الفراغ، والإحصاء لا يتناهى.

المبدئ

المبدئ بمعنى المظهر المنشئ، الذي يبدئ الخلق بالإيجاد، فالمبدئية هي الرتبة الأولى، وهي مرتبة الموجود، والرتبة الثانية هي الرتبة الأخيرة للممكن، فالممكن من حيث وجوده لا يكون له قدم في الأولى أبدا، وإنما له الأخرى، والحق معه، فالسابق في الوجود من الممكنات واللاحق سواء في الرتبة، فإن الآخرية تشملهم.

والمبدئ هو الذي أظهر الممكنات في مراتبها، وله حكم البدء في الأولى والآخرة، في كل عين من أعيان أنواع الإمكان، فلا يزال المبدأ مبدئا لأنه يحفظ حدود مراتب الوجود بإيجاد أعيانها دائما، ولهذا الاسم حكم في الأسماء الإلهية كلها، لما للأسماء حكم فيه أوجد اسم المبدئ، فالمبدئ تعالى في حق كل ما يوجده دائما مبدئ دنيا وآخرة.

المعيد

المعيد عين الفعل من حيث هو خالق، لأنه ليس في العالم شيء يتكرر، وإنما هي أمثال تحدث، وأعيان توجد، وخلق يجدد، فإن الحق إذا فرغ من خلق شيء عاد إلى خلق آخر، لا أنه يعيد عين ما ذهب، فإنه أوسع من ذلك وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[الروم: ٢٧]، يريد به الفعل لا

المخلوق، فإن عين المخلوق ما زالت عين الوجود حتى يعيده، وما عليه أهل الظاهر من إعادة الأجسام والنفوس في دار الآخرة ليس ذلك إعادة عند أهل الكشف، وإنما هو انتقال من موطن الدنيا إلى البرزخ، ومن البرزخ إلى المحشر، ومن المحشر إلى الجنة أو إلى النار، فالحق لا يزال يخلق ويعود إلى الخلق، فهو المبدئ المعيد، المبدئ لكل شيء، والمعيد لشأنه، كما يحكم الوالي في أمر ما، إذا انتهى عين ذلك الحكم في المحكوم عليه، فقد فرغ منه بالنظر إليه، وعاد هو إلى الحكم في أمر آخر، فحكم الإعادة باق في فعل الحاكم وحكمه، لا في المحكوم عليه.

المحيي

المحيي بالوجود كل عين ثابتة لها حكم قبول الإيجاد.

اعلم أن سر الحياة الإلهية سرى في الموجودات فحييت بحياة الحق.

فمنها ما ظهرت حياتها لأبصار الناظرين، ومنها ما لم تظهر في الدنيا لأبصار العامة، إلا للأنبياء وبعض الأولياء الذين كشف لهم عن سريان الحياة في كل شيء، ولشمول هذا السريان نطقت كلها مُسبحة بالثناء على موجدها، ولا يُسبح إلا حي، لكن وقعت الدعوى فيها، حتى زعم كل حي أن حياته له، فلما فزع رفع عن قلبه حجاب الغفلة والجهل، شاهد الأمر على خلاف ما اعتقد، فعلم أن حياة الكل فيض من حياة الحق وهو الحق، وهو العلي الكبير عن الحلول والمحلّ، ولكن نسب وإضافات كما قال عن نفسه تعالى كنت سمعه وبصره، فكذلك الحياة والعلم نسب للأعيان.

المميت

الذي يموت الأعيان بالانتقال من نشأة الدنيا إلى البرزخ، ومنها إلى دار الآخرة، فإن الموت عند أهل الشهود ليس إزالة الحياة في نفس الأمر كما يتوهم المحجوبون، فالشهيد حي بالنص الإلهي و الذي هو عند المحجوب ميت، فالموت عبارة عن انتقال العين من موطن الدنيا إلى موطن الآخرة، وعزل والي الروح عن هذه المدينة الجسمانية التي وكله الحق بتدبيرها أيام ولايته عليها في هذه النشأة وتوليته وال آخر من العالم الذي ينتقل إليه، لأنه لا يمكن أن تبقى المدينة بلا وال يحفظ مصالحها، والميت عند نفسهً حي وإن انعدم تصرفه بالقول والحركة، فإنه متصرف بالحال في الأًحياء، وهو قيامهم بتجهيزه وتدفينه، وإنما الميت الحقيقي من لم يصحبه شهود حياة الحق وسريان فيضه، فينسب الحياة إلى نفسه، فإن الحق قد مات في حق هذا المحجوب، فهو الميت على الحقيقة، فالمحجوب الجاهل ميت في الحقيقة، والميت حي عند المحقق.

الحي

لتحقيق ما نسب إليه مما لا يتصف به إلا الحي.

اعلم أن الحياة للحي القديم كنور الشمس للشمس، يتنور بنورها كل من قابلها، كذلك الحي بذاته يحيا به كل من يراه، وما يغيب عنه شيء، فكل شيء حي، ولما كانت حياة الأشياء فيضاً من حياة الحي المطلق عليها، فالأعيان الثابتة حية في حال ثبوتها، ولولا حياتها ما سمعت قول كن بالكلام الذي يليق بحاله، فلما ثبت سماعها وإجابتها لأمر الحق تحقق حياتها، وما عثر عليها إلا المحققون من

الكُمّل، فالعارف لا يزال في حياته الطيبة بهذا الشهود، وهو أعظم نعيم أهل الكشف وألذ العيش، وإن ظهر على ظواهرهم آثار الآلام العادية، فلا ينافي ذلك طيب حياتهم ولذة عيشهم، فإن الآلام الجسمانية لا تقابل النعم الروحانية، بل تستهلك عند سطوتها، لقوة غلبة المعنى على الصورة، فالمحجوب إذا رأى بلاء في الولي يحمل ذلك على حاله الذي يجده من نفسه عند نزول البلاء من الضجر والغم والحزن، وحكم البلاء في نفس الولي بخلاف ما يتوهم هذا المحجوب، فإن صورة ذلك صورة بلاء، والمعنى عافية ونعمة، لا يعقلها إلا أهلها.

القيوم

القيوم لقيامه على كل نفس بما كسبت.

اعلم أن طائفة من أرباب الطريقة مُنعت من التخلق بالقيومية، وقالت إنها من خصائص الحق، وعند أهل الكشف هذه الصفة أحق بالتخلق والاتصاف، لشمول سريانه، وقيام الحقائق الكونية وظهور الأسماء الإلهية بها.

ولما كانت القيومية من صفات الحي لذاته ونعوته، استصحب القيوم الحي حيث كان الحي، فكما أن كل شيء حي، فكذلك كل شيء قائم بسريان القيومية، وقد ثبتت الحياة بكل شيء من سريان القيومية، ولولا هذا السريان ما قامت أعيان الممكنات لأمر الحق بقوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فسرت أحكام القيومية وآثارها في الحقائق المعنوية ومراتب الشؤون الغيبية وبسائط الأرواح النورية وتجليات الأسماء الإلهية أولا.

وفي النفوس والأنفاس الإنسانية الكمالية الجمعية الإحاطية ثانيا.

وفي حقائق الحروف الرقمية واللفظية والذهنية الدالة على الحقائق المعنوية ثالثا.

فلولا سريانها في الحقائق العلوية المعنوية ما خرجت الأعيان الوجودية من مكان الثبوت.

ولولا آثارها في الأنفاس ما ظهرت صور الحروف البسيطة.

ولولا حكم التأليف للحروف المشيرة الدالة لما كان للكلمات الوجودية ظهور.

الواجد

لما طلب، مشتق من الوجد، ومعناه الغني الذي استغنى عن الكل، ولا يستغني عنه الكل، فلا يفوته هارب ولا يلحقه طالب.

اعلم أن ظهور آثار هذا الاسم يغلب في الخصوص، وذلك أنه تعالى كما يجد نفوذ أمره وبلوغ حكمه في كل شيء، كذلك العارفون يجدونه ويرونه في كل شيء مع أحدية عين الوجود بلا تميز كما يشاهد أحدية عين زيد، فيقدر أنه لو لم يكن في الوجود إلا هو لم يتميز عن شيء، لأنه ما ثم شيء غيره، لكن مراتب أجزائه وأعضائه متميزة عن صدره، وأذنه عن عينه، وكذا كل قوة من قواه الباطنة مختصة بحكم ليس للأخرى ذلك الحكم، فتميزت الصور في عين وحدة لا يتميز فيها، فكذلك مراتب أعيان الممكنات للوجود المطلق كالأعضاء للواحد من الممكنات: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وليس عين من أعيان النسب الذي عبّر عنه الشارع بالأسماء إلا وله معنى ليس للآخر، وذلك

المعنى منسوب إلى ذات الحق، وهو المسمى صفةٌ عند أهل الكلام، ونسبةٌ عند المحققين من أهل التصوف، والنسب متميزة بعضها عن بعض، فأين الرحيم من القهار، وأين الكلام من الحياة، والنسب حقائق معقولة غير وجودية، والذات واحدة العين لا تتكثر بها، فإن الشيء لا يتكثر إلا بالأعيان الوجودية، لا بأحكام الإضافات والنسب، والحق - تعالى كبرياؤه - في أحدية ذاته المقدسة منزه عن التغير والتكثر مع وجدان كثرة أحكام الأسماء والصفات، ومن المحال أن يطلب الواجد أمرا ما و لم يحصل، وما يتوهم أهل الحجاب من خطابه الكفار بالإيمان ممن لا يؤمن، فعند المحقق أن المانع من إيمانهم إنما كان منه تعالى، إذ لم يعطهم التوفيق، فلو قال للإيمان كن في محالهم لكان الإيمان في محل المأمور به، ولكن ما تعلقت إرادة الواجد إلا بمجرد الأمر بتكوين الإيمان في عين الكافر، وقد وجد المراد.

الماجد

مضى ما يتعلق بأحكامه في اسم المجيد.

الواحد

الذي لا ينقسم من حيث ألوهيته، ليس لوجوده أمد ولا يجري عليه حكم أحد.

اعلم أن في مضمون هذا الاسم رجاء للعموم وفتحا للخصوص، وهو خطابه للكل بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ومن عند غيره قال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، فما أشرك من أشرك إلا بسبب، وإن وقع الخطأ فالوقوع من نظرهم، ومن قصدك لأجل أمر، فذلك الأمر هو مقصوده على الحقيقة، ومن أحبك لأمر لوَلّىْ بانقضائه، ولهذا ذكر الحق أنهم يتبرؤون منهم وما أخذوا إلا من كونهم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم، لأنهم جهلوا قدر الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فوجه الحق موجود في كل جهة يتولى العبد إليها، ومع هذا لو تولى العبد في صلاته إلى غير الكعبة مع علمه بالجهة لم تُقبل صلاته، لأن الله تعالى شرع له استقبال الكعبة في حالة الصلاة خاصة، وإذا تولى في عبادة أخرى غير الصلاة إلى أي جهة شاء فهي مقبولة.

ومن خصائص الكون أنه يقبل الأضداد من حيث أحدية عينه، وهي أحكام أعيان الممكنات في العالم الذي يظهر الأسماء الإلهية المتضادة لظهورها.

ومن أهل الشهود من يرى كثرة الأحكام لظهور كثرة الأسماء.

ومنهم من يرى كثرة الأسماء لظهور كثرة الأحكام في أحدية عين الحق.

فإذا علمت ذلك، فاعلم أن الله تعالى واحد في كل شرع عينا، لكن لما كثرت أدلته العقلية تكثرت العقائد باختلافها فيه، وكلها حق ومدلول الكل صدق، وكذلك تختلف مشارب أذواق أرباب القلوب وأهل الكشف، لكثرة اختلاف التجليات الصورية والمعنوية والطبيعية والروحانية والنورانية مع أحدية العين.

ولما كان الأمر على هذا النمط فلا يمكن للمحقق أن يخطئ قائلا من أهل النظر أو الشهود، وإنما الخطأ في إثبات الشريك، والمشرك قائل بما ليس له وجود، والشريك عدم، ولذلك لا يغفره الحق، لأن

الغفر ستر ولا يستر إلا من له وجود، والشريك عدم، فأي شيء يستر، فإنه لا عين هنالك حتى تتعلق له المغفرة.

واعلم أن الأحد اسم لفرد لا يشاركه شيء في ذاته، والواحد اسم لفرد لا يشاركه شيء في صفاته.

فوحدة الحق – عز شأنه – ليس بتوحيد موحد، ولا بتوحيده لنفسه، فتكون أحديته مجعولة، لكنه تعالى واحد بنفسه لنفسه وأحديته ذاتية، وهو تفرده بالرتبة الإلهية، وحده لا شريك له.

الصمد

هو السند الذي يلجأ ويقصد إليه في الحوائج والنوائب، فصمدية الحق من حيث إنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]، والخزائن غير متناهية، لكن أقسام كلياتها ترجع إلى العلوية والسفلية والغيبية والشهادية والثبوتية والوجودية، وكلها عند الحق، ومفاتيحها بيده يفتحها لمن يشاء إذا شاء بما شاء، واختصت المختزنات الثبوتية والأعيان الوجودية بالافتقار، فإن الحقائق الثبوتية تقتضي الخروج من تلك الخزائن إلى الوجود، لرجحان قبول الوجود في ذاتها وكذلك ألقى الافتقار في الموجود منها، ليسأل الموجود الله تعالى شأنه إيجاد ما لم يوجد نيابة عنه، والافتقار إليه، فهو في سؤاله معين المختزن على خروجه، وأما الخزائن الوجودية فإنما هي أعيان الممكنات، وكل خزانة من الخزائن الوجودية مخصوصة بما لا يوجد في غيرها من الخزائن، ولذلك افتقر بعضها إلى بعض، وهو طلب كل واحد منها ما عند غيرها، كاحتياج زيد إلى ما عند عمرو، فيفتقر زيد إلى الله فيما يحتاج إليه من عند عمرو، فيسلط الحق باعثا على عمرو يقضي حاجته بما عنده بأي وجه كان، فالكون كله خزائن بعضها لبعض، ومخزون كله من وجه، والمخزون لا يزال في الانتقال من خزانة إلى خزانة، وكلها عند الله وبيده، فهو الصمد الذي يقصد إليه في الأمور، ويلجأ إليه في نوائب الدهور، ولما كانت الكيفيات والافتقار موزعة على أفراد أشخاص مراتب الوجود، فلكله عين، لكن أعيان الوجود لها حظ من الصمدية فيما لا يظهر إلا به، ولذلك نهينا أن نصمد في صلاتنا إلى السرة صمدا، فهو إشارة إلى الغيرة الإلهية، وأنه لا ينبغي للعبد أن يصمد صمدا إلا الصمد المطلق عز سلطانه.

القادر المقتدر

القادر بنفوذ الاقتدار في القوابل، الذي يريد فيها ظهور الاقتدار له لا غير، والمقتدر بما عملت أيدينا، فالاقتدار له والعمل يظهر من أيدينا، فكل يد عاملة فهي بالحق من حيث اقتدارها بالحق.

اعلم أن لاسم القادر آثار خفية في إعطاء الوجود للممكنات عند قوله للممكن: "كن" فسارع الممكن عند اقتدار إلهي إلى التكوين، فكان وظهر منه الامتثال في أول تكوينه، وهو روح الطاعة فكانت الطاعة ذاتية له وهي الأصل، والمعصية عارضة فيه، كما أن الرحمة والغضب نسبتان من النسب الإلهية، ولكن السبق للرحمة والنهاية في الحركة الدورية هو الرجوع إلى البداية، ولذلك كان للخاتمة علم السابقة، فإن حركة الوجود دورية، ولما كان السبق للرحمة، فلا بد من المآل إليها، لأن العارض لا يقابل الأصل أصلا، فكيف وقد زاده طاعة ولادة العبد على طاعة تكوينه كما أشار إليه المترجم عن الله تعالى بقوله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة" وهي الإقرار لله بالعبودية، فقد حصل له نور على نور

فأي معصية تساوي هذين النورين، ولما كان الاقتدار روح الأمر وسره فظهر القول، واختفى الاقتدار فيه، وكذلك لم يطلع الممكن على اقتدار الحق عليه بإخراجه من خزانة الثبوت إلى حضرة الوجود ولا يمكن له شهود صدورٌ لكونه قابلا بلا اقتدار، فلا يظهر الاقتدار فيه إلا بعد حصوله، ولذلك ذهب بعض أهل العلم إلى أن الممكن ليس له اقتدار، ثم إن الحق -عز شأنه- أظهر صيغة الأمر في القول، ليتصف الممكن بزلة الامتثال الموجبة لنظرات الرحمة الإلهية، وظهور تصرفات الملك والشيطان فيه هو سر الامتثال المفطور في أصل خلقته وتكوينه.

واعلم أن القدرة لا تتعلق بغير المقدور فعدم القدرة على غير المقدور لا يسمى عجزا، فإن العجز هو عبارة عن عدم القدرة عما من شأنه أن يكون مقدورا، فإذا لم يكن المقدور فبأي شيء تتعلق القدرة، وهذه لطيفة ذوقية مشيرة إلى سر من أسرار القدرة، لا ينكشف إلا لأهل المعرفة، فهذا حكم القادر.

وأما المقتدر فله حكم آخر وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهو كل ما يوجد من غير سبب، فالحق قادر من حيث الأمر، مقتدر من حيث الحق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

المقدم والمؤخر

المقدم بعض الأفعال على بعضٍ، والمؤخر بعضها عن بعض، فقدم الأحباب بخدمته، وعصمهم عن معصيته، وهو المقدم من شاء على مَن شاء، والمؤخر من شاء عمن شاء.

اعلم أن للموجود مرتبتين:

الأول: رتبة الفعل والتأثير.

الثاني: رتبة القبول.

فللممكنات الرتبة الثانية وهي القبول، وأعيان مراتب الكون بالنسبة إلى الإيجاد، ونسبة الإيجاد إليها على السوية، فإذا تقدم بعض الممكنات على بعض مع التسوية في النسبة، فذلك لرجحان أمر فيه يقتضي بروزه بها على غيره، كالنبوة والولاية والإمارة، فإنه ما من إنسان إلا وهو قابل لها، فيقدم الحق من شاء فيها بخصوصية يعلمها الحق منه، فيتأخر الباقون في هذا الزمان.

وهذا التقديم والتأخير إما أن يكون في حضرة الثبوت بحسب كمال استعدادات الأعيان الثابتة ونقصانها في قبول آثار التجليات الجمالية والجلالية، بخصوصياتها وقابلياتها وتأثيرات التجليات اللطفية والقهرية، فإن التجليات الجلالية ذات هيبة لا طاقة لحقائق الأكوان مقاومة سطوتها، فتتأخر عن البروز في مكامنها، وتأبى عن قبول كسوة الوجود لمشاهدة عظمتها، كما أبت السموات والأرض والجبال عن قبول الأمانة، وتأخرن عن حملها، فيتقدم غيرها من مجالي التجليات الجمالية اللطفية الكمالية لما ذاق من آثار اللطائف الغيبية واستنشق طيب روائح النسمات النورية، رغبة في خلعة الوجود، وشوقا إلى قضاء الشهود.

وأما التقدم والتأخر في حضرة الوجود، فهما مرتبتان للخالص والمخلص، فالخالص من لم يتغير عما كان عليه من طهارة الفطرة، فهو الخالص لنفسه، ما ملكه أحد من النفس والشيطان، فيحوجه إلى الاستخلاص منه، بل لم يزل خالصا لنفسه، طاهرا مطهرا، فبقي عهده على أصله، وهو الدين الخالص،

ما خالطه شوبٌ أصلا، ولا يشقى صاحب هذا العهد، لأنه لا يشقى إلى الجاحد والمكايد في استخلاص الدين، وهو المخلص الذي أمر باستخلاص عهده عن شوائب تصرفات النفس والشيطان، وهو صاحب الرتبة الثانية من السعادة، والرتبة الأولى لصاحب الدين الخالص، وهم الذين يغبطهم الأنبياء يوم الجمع، وإن كانوا مجهولين في الدنيا، وهم المستمدون من حضرة اسم المقدم، والمخلصون من اسم المؤخر.

الأول والآخر

الأول بالوجوب وابتدائه بالإحسان، والآخر برجوع الأمر إليه وتفضيله بالغفران، فللحق الأولية من حيث إنه الموجد لكل شيء، وله الآخرية من حيث رجوع الأمر كله إليه، وظهور مراتب الأسماء الإلهية كلها فيما بين الأولية والأخروية، فهذا من حيث إطلاق حكم الوجود.

فأما من حيث الرتبة، إذا كان الحق الأول كان الإنسان الآخر، فإنه في أخر درجات مراتب الوجود، وهو الآخر أيضا برجوع أمر العوالم إليه، لظهور نظامها وعادتها بوجوده، ولذلك إذا رحل عنها زالت أمور الدنيا، وانتقل الأمر إلى دار الآخرة بانتقاله، ليكون الأمر حيث ما كان المقصود، ولذلك قام الحق بالإحاطة لحفظه من ورائه، لئلا يلحق به العدم فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ٢٠]، وهو الأولية لصدوره منه، وترصده في الغاية: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، فالحق وراء العبد كما هو أمامه، ولو لم يكن كذلك لكان انتهاؤه إلى العدم، فإحاطة الحق لا تزال تحول بين العبد وبين العدم، ولما كان أمر الوجود دورياً كان الآخر عين الأول، ولا تزال أعيان مراتب الكون سائحا في فلك الوجود، ولا يزال وجه السائر في منازل الشهود إلى الاسم الأول، وظهره إلى اسم الآخر، ولذلك يقال لمن عدم النور في موطن الآخرة: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾ [الحديد: ١٣]، لكون الحق من ورائهم وهو النور، فلو أمكن لهم الرجوع إلى الوراء – وهي الدنيا – لوجدوا الآن الحياة الدنيا محل اكتساب أنوار المعارف، ولكن حال بينهم وبين الحياة الدنيا سور المنع فلا بد من رجوع الآخر إلى الأول.

الظاهر الباطن

الظاهر لنفسه فما زال ظاهراً، والباطن عن خلقه فلم يزل باطنا، فهو الظاهر بالكفاية، والباطن بالعناية.

اعلم أن لأهل العناية في الكشف مرتبتين، فأحدهما أعلى من الثاني:

المرتبة الأولى: فكامل يكون له به وهو السابق.

المرتبة الثانية: وعارف يكون له بنفسه وهو المقتصد المحقق بحقائق العبودية، المتصف بجميع الأحوال من الفناء والبقاء والمحو والإثبات، والغيبة والحضور، والفرق والجمع، والمتقلب في الأطوار والمقامات من التوكل، والزهد والورع والمحبة والمعرفة والصبر والشكر والرضا والتسليم وغيره، وذلك إن نفسه قابل للتغير، لما يقتضي حقيقة الوسط من تأثير أحوال الصرفين، والمقتصد برزخ بين كمال ونقصان، وهو المكلف الحقيقي، دخل كل مقام ما دعاه الحق إليه – على لسان الشارع – ذوقاً وحالاً اعتقاداً وعلماً، فإن عامة علماء الرسوم يعلمون هذه الأمور ولا قَدَم لهم فيها، فمثل هذا العارف إذا تجلى له الحق من اسم الظاهر لم يثبت لظهوره، لأنه قائم بالحقوق بنفسه والمحدث إن ظهر له القديم

يمحو أثره، فمن أين له طاقة رؤية القديم، و لم يثبت لظهور الحق إلا من كان الحق بصره، ألا ترى حال الكليم عليه السلام لما كان الحق سمعه ثبت لسماع كلام الحق، فلما وقع التجلي – و لم يكن يضره – صعق، وما ظهرت الرؤية له ولا للجبل، ولذلك وقع الصعق والإندكاك، ولو ظهر ما وقع ذلك لأنه الوجود والوجود خيرٌ كله، والخير لا يأتي إلا بالخير، والوجود لا يعطي إلا الوجود.

وأما الكامل فهو له به لا بنفسه، فله الثبات في كل موطن والشهود في كل مشهد ومظهر بالقوة الإلهية السارية في ذاته، فلا يبقى حال ولا مقام إلا ويظهر به ويتصرف فيه فهو مالك الأحوال والمقامات، يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنما نحن به وله".

والمقتصد ينكر على الكامل، لما يقتضي جماله من العبودية المُحضة، ولا ينكر الكامل عليه، لاستشرافه على المقامات بوجوده الحقاني، فإن الكامل يتصرف بالحق في الحق للحق، والعارف يتصرف بالحق في الخلق للحق، وله خرق العوائد.

فالمقتصد صاحب كرامةٍ، وهو معلوم عند الحق والخلق، ويتطرق إليه المكر والاستدراج.

والكامل صاحب منزلة معلومة عند الحق ومجهولة عند الخلق، لا يتطرق إليه المكر، لأنه على بينة من ربه، ولما ورد حقيقة الخبر الإلهي بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، وقال الشارع: "لو دليتم لهبطتم على الله". تحير المقتصد، وتنبه الكامل المعتكف على باب حضرته.

واعلم أن نسبة الصعود والهبوط على السواء في ظاهرية الحق، وعدم تحير الذات المتعالية، وبراءة ساحة الهوية عن التقييد والإطلاق والصعود والهبوط نعت، فلا صعود في ظهور الحق، ولا هبوط من حيث غيب هويته في الدائرة الوجودية، والصاعد في الدائرة عين الهابط.

وما انقسمت دائرة الوجود إلا بالخط الموهوم، ولا وجود لها إلا به، وهو عين المقيد، وإذا كان الحق سَمْعُ المقيد وبَصره ارتفع التقييد والحظ، و لم يبق سوى الدائرة.

فهو الظاهر بنفسه لنفسه والمظهر لغيره ولكمال ظهوره، وجلالة بروزه، أورثت شدة ظهوره خفاءه، فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن العقول والأبصار بشدة ظهوره.

وأما سر بطون الحق من اسم الباطن، فهو أن تعلم أن رؤية الشيء تقتضي العلم به، وهو علم الرائي أنه رأى شيئا ما، وأحاط علما بما رآه، وعند أهل الحق لا تنضبط رؤية الحق، وما لا ينضبط لا يقال فيه أنه يرى أو يعلم، وتتنوع الصور على المكاشف أيضا في تجليات المشاهد مع أحدية العين في نفس الأمر، فما رآه إلا من رأى أنه ما رآه ولا يعلمه إلا من علم أنه ما علم، ولذلك قال عز شأنه للكليم: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لأن المقصود من الرؤية حصول العلم بالمُرئي، وهو غير ممكن من الممكن، ولو فتش على دقائق تغيرات أحواله في كل نفس لعلم أن الحق عين أحواله، وأنه تعالى من حيث وجوده وراء ذلك كله، كما هو عين ذلك كله، ولهذا قال موسى عليه السلام: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾[الأعراف: ١٤٣]، أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها، فإني قد عرفت ما لم أكن أعلمه منك.

فالحجب الإلهية أبدا أسدلت بينه وبين خلقه، ولو رفعت لاحترقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه.

والحجب إن كانت غير مخلوقه فلا حجاب ولا احتجاب، وإن كانت مخلوقة فكيف لا تحرقه السبحات، فالحق فيه أنها أسرار أخفاها الله عن خلقه، سُمّي ذلك الإخفاء حجابا، فالنورية منها ما

حجب به من الأمور الطبيعية والرسمية، وليس الإحراق إلا اندراج النور الأدنى في الأعلى، كاندراج أنوار الكواكب تحت شعاع الشمس، وفي هذا المشهد ظهر الشطح عمن ظهر، ولما كانت الأشياء تنحفظ بالحدود، فإذا جاوز الشيء حده انعكس إلى ضده، كذلك ظهور الحق لما تجاوز عن حد العقول والإدراك بطن واستتر عن العامة، فلم يظهر لهم الأمر على ما هو عليه، ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ [طه: ٦٢]، وأسر المكاشفون النجوى لئلا تقع الحكمة في غير أهلها، فإن قلوب أهل الحجاب مدافن الحي من حيث إنها محل العلم به والحكم عندهم للمدفن لا للمدفون، لعدم وقوفهم عند حدوده ومراعاتهم لحضوره، فلا حكم للحق فيهم أبدا، لغلبة أحكام أهوائهم، فهو الباطن فيهم أبدا حكما ومعنى، وإن ظهر فيما ظهر إنما ظهر ليعرف حد العارفين في معرفته أن يعرفوا أنه لا يُعرف، إذ لو عرف لم يكن باطنا وهو الباطن، والبطون يختص بالممكنات، كما أن الظهور يختص بالوجود، والبطون الذي وصف به نفسه إنما هو في حق الممكن، فالممكنات باطن الخلق، والخلق ظاهره، لأنه من بطون الحق ظهر الكون، وبما ظهر استتر، وبما بطن ظهر، فالظهور عين البطون، كما أن الآخر عين الأول.

الوالي المتعالي

الوالي الحاكم الذي حكم فعدل، وأعطى فأفضل، قدّم من شاء بفضله، وأخّر من شاء بعدله، المتعالي على من أراد علوّا في الأرض وادعى ما ليس له، فالمتعالي من العلي كالمتكبر من الكبير.

اعلم أن الوالي هو الإمام الحاكم المنصوب للولاية، ولهذا المنصب مراتب غير متناهية:

فأعلاها الإمامة الكبرى والولاية العظمى لمن: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[المؤمنون: ٨٨].

وأدناها ولاية العبد على رعايا جوارحه وقواه.

وبينهما درجات غير محصورة، فَمُلكُ كل والٍ يتسع ويضيق بحسب ما يقتضي حاله، والسعيد المسدد من الأئمة والولاة من راقب أحوال مملكته معً الأنفاس، وعرف قدر ما ولاه الله عليه، وسارع لأداء حقوق الرعايا بالعدل والإحسان، فإن شغله عن ذلك التمتع باللذات ونيل الشهوات فقد عزل نفسه بفعله وحرّمه الحق عن مرتبة الولاية والسيادة، ونزل به الخيبة والعذاب والحسرة والنّدامة حيث لم ينفعه، فما من إنسان إلا وله مرتبة المملوكية من وجه ومرتبة المالكية من وجه: ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢].

والولاية المطلقة المحيطة للحق عز شأنه الرفيع الدرجات، وأكمل مراتب الولاية في هذا النوع الإنساني من والى بين الأسماء الإلهية بالتخلق والاتصاف على طريقة أهل الحق، بمحافظة الحدود والآداب عند شهود أحكامها ووجود آثارها، بتزكية النفس وتصفية القلب وتجلية الروح في تصاريف شؤونها، وظهور نتائجها، وبروز كمالاتها.

وشأن الوالي لا يكون أبداً إلا في الخير، وإن كان الأمر في صورة البلاء والشر، لكونه عقوبة ونكالاً إلا في إقامة الحدود، فإن ذلك خير من حيث إنه تطهير، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: "الخير كله بيديك والشر ليس إليك"، ولما كان العلوّ والتكبر والزهوّ والفخر من لوازم هذه المرتبة، وهذه الصفات هي الداء العِضال، أنزل الحق لهذا الداء دواءً شافياً وهو أمره بالسجود للكعبة، فمن داوم منهم شرب هذا الدواء مع الاحتماء بُرِئ من علته، وعلم أن زمام أمره بيد الوالي الحكيم الذي

يفعل ما يريده المحسن، فهو البر بإحسانه ونعمه وآلائه التي أنعم بها على خلقه، لافتقارهم إلى ذلك، ومن عموم برّه وإحسانه وشمول رحمة امتنانه أخرج الممكنات من ظلمة العدم، وأكساهم خلع الوجود، ثم سرى في أعيان مراتب الكون، ولولا ذلك ما شقي ولد والد بولده، وأكثر الخلق رحمة أقربهم إلى الرحمان، وإن الله تعالى يسرع بالبر والرحمة إلى الرحماء من عباده بخلقه، فبرحمتهم خلق الله رحمهم الله، لأن أعمالهم ترد عليهم، والإحسان أيضاً هو الحضور مع الحق، وهو أبر البرّ لقوله ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه"، وهو الحضور، فإن العبد إذ جعل في نفسه أنه يرى ربه أو يراه ربه في أعمال له انفتحت بصيرته بنور المشاهدة، فيرى العامل هوية الحق لا هويتهُ، والعبد محل لظهور ذلك العمل، فالإحسان روح الأعمال، ولا حياة للعمل إلا بالحضور، ولها دوام البقاء إذا أكساها صاحبها حلة الحضور، فلم يزل يستغفر لصاحبها وإن كان العمل معصية، فما من مؤمن يعصي إلا ويجد في نفسه ذلك ذل المعصية، لعلمه بأنها معصية، وأي حضور أشرف من الحضور العلمي، ولا بد أن يبدل هذا الروح العلمي سيئة المعصية حسنة، وإن لم ينفخ العبد روح الحضور في عمله فلا يضيعه الحق، لأنه خلق من خلقه، ولا بد أن يُنفخ فيها روحا إلهيا يسبح بحمده، وإذا كان النفخ من العبد يسبح بحمده ويستغفر للعبد، وبهذا تميز العملين.

واعلم أن صورة الحضور الإحسانية تتنوع بتنوع المواطن والاعتقادات والأحوال من المواطن، فلكل عبد حال، ولكل حال موطن بحسب حاله، يقول في الحق ما يجده في عقله، وبحسب ذلك الحال يتجلى له الحق في صورة اعتقاده، والحق وراء ذلك، فينكر تارة، ويعرف تارة، ولا يتخلص من حجاب الأفكار إلا المحسن الكامل الذي عم شهوده في المشاهد، ودام حضوره في المواقف والمظاهر.

التواب

التواب العائد على عبده ببره، الذي قابل الدعاء بالعطاء، والاعتذار بالاغتفار، والتوبة بالمغفرة.

اعلم أن من عموم رحمة الحق لعباده، أنه – تعالى – يقبل التوبة والطاعات لا المعاصي، وذلك لأن المقبول مشهود، ولا يشهد الحق من عباده إلا ما هو حسن مقبول عنده، فالحسن المقبول من الأعمال في ديوان الحق، والسيئات في ديوان الملائكة، فإن الحق طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا بد لكل عبد أن يكون على خلق من مكارم الأخلاق، وهو الأمر الطيب المقبول، وهو الشفيع لصاحبه عند الله بعد استيفاء المحاسبة في ديوان الملائكة، فإذا وقع فراغ الملك بما اقتضاه العبد، ورفع أمره إلى الحق يجد العبد في رجوعه إلى الحق شفيعاً، وهو الخلق الكريم الذي كان عليه – كان العبد من كان – فإنّ له بذلك في داره نعيما دائماً في نفسه، وإن ظهر عند غيره غير ذلك، لأن التواب حاجب على باب الكريم، يجازي على السيئة الحسنة، وفضل الله أوسع مِن أن يقيده المقيد، ولا يعظم الفضل الإلهي إلا في المذنبين وأهل الإساءة، فإن المحسنين ما عليهم من سبيل.

المنتقم

المنتقم ممن عصاه مُطهرا له من ذلك إما في الدنيا بإقامة الحدود والأسقام والآلام، وإما في الآخرة بما شاء.

اعلم أنه لما كانت النسب التي بين الحق والعالم من اسم الرحمان، وهي التي بنفسها وسعت كل شيء وأوجدته منه، والانتقام من الأشياء الذي وسعته الرحمة، فكان المنتقم قطعة من الرحمة، ولا يوجد المنتقم أبدا خالياً من الرحمة من وجه، فإن كل من غضب من الممكنات وانتقم فإنه رحم نفسه بذلكَ الانتقام، وحصل لنفسه شفاء بذلك مما كان يجد من ألم الغضب، فكل منتقم راحم من وجه مرحوم من وجه، وكذلك الأسماء الإلهية تتقابل في حق الممكن، وأسماء الفضل تترجح على أسماء الانتقام والعدل قوة وعدداً، والتقابل بين الأسماء في ميدان الرحمة التي وسعت كل شيء، فرحمة الحق عامة مطلقة بخلاف انتقامه مع شدة بطشه، فإنه تعالى لا ينتقم من عبده إلا مع انتقامه رحمة، فإن وجود الانتقام رحمة، إذ بها أخرجه الحق إلى الوجود من العدم، كما أن المخلوق إذا انتقم من عبده لا يخلو انتقامه عن شوب رحمة، لإبقاء سيادته ببقاء العبد، بخلاف الأجنبي الذي ليس بينه وبين المنتقم نسبة، فإذا انتقم ممن هذه صفته لا يشوب انتقامه رحمة، ولهذا قال أبو يزيد حين سمع القارئ يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج: ١٢]، قال: بطشي أشد من بطشه، وإن كان ذلك البطش خلقاً للحق، لكن لّما خلقه في هذا المحل أثر فيه المحل، فظهر بصورة المحل، والمحل المخلوق الأجنبي لا يطلب الانتقام من أحد في قلبه رحمة.

العفو

العفو الذي أزال عن النفوس ظلم الذلات برحمته، وعن القلوب صدمة الغفلات بكرامته.

اعلم أن حكم هذا الاسم سرى في القليل والكثير، وجمع بين الضدين في الحكم، مثاله الخبر الوارد في إعفاء اللحية، فإنها تحمل على الكثير بأن لا يُقص منها كما يقص من الشارب، فإنها إذا تركت على حالها كثرت، وقد يحتمل أنه أراد أن يأخذ منها قليلاً بحسب الزينة الإلهية كما يليق بالوجه، كما ورد: "أنه عليه السلام كان يأخذ من طول اللحية لا من عرضها".

ومع شموله الكثير والقليل وجمعه بين الضدين، لا يسري حكمه إلا في أصحاب الهمم العالية، فإن الله عز وجل أباح لعبده أن يجازي المسيء بمثل إساءته بقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، فصاحب السيئة مأثوم، والسيئة الجزائية أيضاً مثلها بالنص من أنها تسوء بالمجازي بها كالقصاص، فأبى العارف لعلوّ همته أن يكون محلاً للاتصاف بما يسميه الحق سيئة فاختار العفو على الجزاء بالمثل فإن السيئة قد ذهبت عليها وانعدمت وإن بقي أثرها فهي لا تقبل الجزاء ولا أثرها كالجرح الحاصل من فعل المسيء إذا اقتص المجروح من الجارح صار الآخر مجروحا و لم يبرئ جرح الأول، فلو قبلت السيئة أو أثرها جزاءاً لزال عينها منه، فالسيئة فعل المسيء وقد ذهب بذهاب زمان مباشرته و لم يبق إلا المسمى فأنزله الشرع منزلة السيئة وأضيف الجزاء إليه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في صاحب السيئة: "أما إنه إن قتله كان مثله"، فلو علم الناس ما في العفو ما جازى أحد من أساء إليه، ولكن الحجب على أعين البصائر مسدولة، فلا يسكن إلا بحصول الأغراض بالمؤاخذة واستعجال التشفي ومن أعظم الجنايات من بهت مؤمناً ونسب إليه من المذام، فمن كمال مكارم الأخلاق ظهور العفو منه عند ذلك وهو أن يكتم على الجاني سرّه بعدم المنازعة وإيثار الجناية على نفسه، فمثل هذا لا

تبلغ الأفهام كنه ما استحقه من الأفضال الإلهية لكون أجره على الله. وفي قول الحق: ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠]، إشارة لمن تدبّر.

ولما كان من شأن الحق أن يعفو عن كثير فلا يؤاخذ إلا على القليل، والقليل لابدّ أن يستهلك في جانب الكثير ولذلك قال تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ [الزمر: ٥٣]، وما خصّ أهل دار ولا الأشراف، وهو نصّ على أن مآل الكل إلى الرحمة.

الرؤوف

الرؤوف من الرأفة وهو ضرب من الشفقة وهو التعطف على المذنبين بالتوبة وعلى المقربين بالعصمة، والرأفة من المقلوب مثل جذب وجيد وراق ورفا وهو إلتيام الخرق وإصلاحه، فرأفة الحق إلتيام الرحمة السابقة والرحمة الخاتمة كما أشار إليه في أم الكتاب بقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة: ١]، إشارة إلى الرحمة الإيجادية السابقة، وقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: ٢]، إشارة إلى الرحمة الخاتمة، فانحصرت أمور مراتب العالم بما فيه من أحكام الأسماء المتقابلة بين إحاطة الرحمتين، فإذا فرغت الأسماء عن أحكامها وسلطنتها في المظاهر انتهى الأمر إلى الرحمة الشاملة.

وحكم هذا الاسم أيضاً في الخصوص، ولذلك وصف الحق نبيه بأنه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨]، وما قيدّ الإيمان إلا لكونه رحمة للعالمين.

المقسط

المقسط العادل، الذي لا خيفة في حكمه، ولا خوف على أوليائه.

اعلم أن الحق – جلت عظمته – من هذا الاسم أعطى كل شيء خلقه، فجعل العلو للعالي، والسفل للسافل، والجمع للجامع المجموع.

فالطيب لا يزال يعلو بخاصيته واستعداده، ولا يطالب المقصود الحق إلا من العلو، وليس للعلو نهاية إلا الحق سبحانه وتعالى.

والخبيث يهوي بخاصيته لا يطلب المقصود إلا من هذه الجهة حتى ينتهي أمره إلى الحق، والعارف يطلبه في الإحاطة بجميع الجهات، لأنه بكل شيء محيط، والجهات ما ظهرت إلا بوجوده، فله الظهور في كل صورة، فالأكمل من لم تحكم عليه جهة، ودونه من حكمت عليه جهة العلو، والهاوي دونهما، والمقسط بقسطه وعدله يتجلى لكل منهم في مرتبته بحسب حاله وعقده ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

الجامع

الجامع بوجوده، وكل موجود فيه، الذي يجمع همم العارفين على ما يكاشفهم به من أفضاله.

اعلم لهذا الاسم دوام الجمعية، وما لها حكم إلا الجمع، ومن حكم هذا الاسم أنه جمع أفراد مراتب الأكوان على التسبيح بحمده، ولولا سلطان الجمع ما ظهر كثرة أحكام الأسماء والصفات: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ [المجادلة: ٧]، وهو الواحد والإثنان ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ [المجادلة: ٧]، وهو ما لا يتناهى ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧]، بحكم المعية، فالجامع اسم لأحدية الكثرة، فلا

بُدّ من الجمع في الأحد، ولا بُدّ من الأحد في الجمع، فالجمع عين الوجود ولإحاطتها بمراتب الكون والمُكَوَّنْ، وإن تظهر في رأي العين تفرقة فذلك عين الجمع، فإن الدليل هنا عين المدلول بحكم المعية وعموم سريان الهوية، فمطلوب كل طالب عين طلبه، فإن الطلب من القوم لا يكون إلا في عين التحصيل.

الغني المغني

الغني عن العالمين بهم، ولاستغنائه عن طاعة المطيعين، المغني بمعنى الكافي الذي أغنى من شاء بفضله.

اعلم أن الغناء على نوعين:

النوع الأول: غناء الحق.

النوع الثاني: وغناء الخلق.

وأول درجة الغنى في المرتبة الخلقية القناعة والاكتفاء بالموجود.

وليس الغناء ما يتوهمه أهل الحجاب من كثرة المال مع طلب الزيادة، فإنه محكوم الفقر، وكم من حريص عنده من المال ما يفي بعمره وأولاده، وهو من شدة الحرص والحاجة يرد موارد الهلاك في طلب الزيادة.

وذلك أن الإنسان إنما خلق فقير بالذات لما يقتضي المرتبة الإمكانية، ولهذا قال من قال: الإنسان لا يكون وجيها عند الله، لأن الافتقار هو عين الذلة، والذليل لا يكون وجيها، هذا حكم إنسان الحيوان.

وأما للكامل من هذا النوع وجهان:

الأول: وجه الافتقار بالحق إلى الحق.

الثاني: ووجه الغنى إلى الكون.

فافتقاره إلى الحق هو غِناء به، ولا يفتخر إلا بوصوله إلى هذا الغناء، فافتقار العارف عين افتخاره، فإنه حاز المقام الأرفع، لشهوده سريان الهوية الإلهية في أعيان مراتب العالم، فلا يتوجه الفقر من كل فقير إلا إلى الغني الحميد، ولا تغيب حاجة المحتاج عن إحاطة البصير الشهيد، فالعارف المستغني بالحق أغنى الأغنياء، مع أنه يحزن ويحرص على طلب مَؤونةِ من كلف به، فإن ذلك من آداب الكُمّل، لقوة معرفتهم بحدود الله، والكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

وأما غناء الحق عن العالمين من حيث ذاته المقدسة ودوام إطلاقه الحقيقي لا يظهر إلا بهم، لأن كونه غنيا إنما هو غناه عنهم فإن لم يكن العالمون هناك فعّنَ من، فلابد منهم لثبوت الغناء نعتاً له.

المعطي

المعطي ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

اعلم أن العطاء الإلهي في أهل التحقيق على نوعين:

الأول: امتنان.

الثاني: واجب.

فعطاء الامتنان خلعة الوجود، فإنه تعالى بكمال جوده وعموم رحمته أنعم على أعيان العالم بمقتضى الجود، وأكساهم كسوة الوجود.

وأما عطاء الوجوب خص بها قوم منعوتون بقوله: ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، في موطن الجزاء.

ثم يعم عطاء الامتنان – وهي الرحمة التي وسعت كل شيء – بإنعام يليق بأهل المواطن وأمزجة أهل الدرجات والدركات، فلأهل كل دار نعيم من العطاء الإلهي، لا يشعر بها غير أهلها: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠]، فعم العطاء للكل مع اختلاف المشارب والأذواق، فما في الكون عين إلا ويشمله العطاء، بل هو عين العطاء، فبالعطاء انتظمت أمور العالم، وبالعالم ظهرت أحكام العطايا، فأوله تكوين وآخره تتميم، ولا نهاية للتكوين، فأحكام اسم المعطي دائم بدوام التكوين.

المانع

المانع الذي مَنْعُهُ عدل، وعطاؤه فضل.

اعلم أن حكم هذا الاسم في حضرة الإمكان، فإن المنع إنما هو عين الممكن، لعدم قبوله ما لا يقتضي استعداده وخاصيته.

فإن أبواب المواهب الإلهية مفتوحةٌ، وفيض الوجود دائم، فمن تنعم فما حصل له التنعم إلا بقابليته وخصوصيتهِ، ومن تألم فلا يلومن إلا نفسه، وإن وصف الحق نفسه بالإمساك بقوله: ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، فذلك عين العطاء من وجه الحكمة، فكم من بلاء في صورة العطاء، وكم من عصمة وآلاء في صورة الإمساك، فإنه إذا أمسك ما أمسك إلا ليظهر العبد الافتقار، وهو مفتاح أبواب العناية، فبالإمساك أعطاه ذلك، فمن أمسكه عطاء كيف يوصف بالمنع.

فاسم المانع يقتضي حكم المنع لعطاء العين، كوجود البياض في محل الأبيض إنما هو من العطاء الإلهي، وعين عطاء البياض في محل الأبيض يمنع ما يضاده من الألوان، فهو المانع في عين العطاء، والمعطي في عين المنع.

الضار

الضار بما لا يوافق الغرض، الذي يضر من يشاء بالخذلان، ويبتلي من يشاء بالحرمان.

اعلم أن لأسرار هذا الاسم دقة، لاشتمال حكمها على الحضرتين، واشتراكها بين الحق والعبد، لكون الإنسان محل النزاع دون سائر الأنواع، ولذلك لم يظهر دعوى الربوبية إلا من هذا النوع، فأول ضرر هذا الاسم كان لنفسه بإيجاده هذا النوع المنازع، لدعواه رتبة الفاعلية، فإن نفي الفعل عنه بإضافته ذلك إلى نفسه أضرّ بالعبد بما ألحقه بالعدم وإن أثبت له أضر بنفسه، وهذا من عموم حكم النسب، فإنها تفرق بحكمه بين الرب والمربوب بالقدم والحدوث، ولذلك يقول الحق –عز اسمه– لعبده: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، لأزلية رتبة العماء حيث "كان الله ولم يكن معه شيء" والآخرة

ظهور كون العبد في حد الوجود، والوجود خير له من العدم، والآخرة خير له، وما أوجد الحق هذا المنازع إلا لظهور الكنز المخفي، وهو أن يظهر بجميع أسمائه وصفاته في مرآة قابلية العبد وهو عين النفع، فهو الضار في عين النفع.

النافع

النافع بما يوافق الغرض، الذي ينفع من يشاء بما يشاء من عين الفضل.

اعلم أن ظهور حكم هذا الاسم قد يكون بمجرد إزالة ما ينافي الغرض، وقد يكون بوصول الطالب إلى مطلوبه، وقد يعم الأمرين وأكثر ما يظهر آثار حكمها في الاتباع، هو قبول العطاء الإلهي من أيدي الرسل.

فإن العطاء إما أن يكون بواسطة الرسل، وإما أن يكون من غير واسطة، فالأخذ في هذا النوع من العطاء على خطر، يحتاج إلى ميزان صحيح، وهو ما شرع الحق على ألسنة الرسل، فإن لله تعالى مكراً في عباده لا يشعر به كل واحد، قال تعالى: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٩٩].

وليس للرسل صفة المكر، لأنهم بُعثوا مُبينين هادين إلى طريق السعادة، فالقبول من الرسل على الإطلاق مع تقييد رتبتهم، ومن الحق على التقييد مع إطلاقه، فعم التقييد والإطلاق في الجانبين.

فالأخذ من الرسل أنفع للعبد وأحصل لسعادته، فالرسل مظاهر هذا الاسم.

ثم اعلم أن حكم هذا الاسم لا يتعلق إلا بالمعدوم، فإن النفع عبارة عن حصول الغرض.

وتعلق الغرض:

إما أن يكون بإزالة أمر مكروه، فيتعلق الغرض بإعدامه حتى يلحقه بالعدم.

وإما أن يكون تعلقه بتحصيل أمر محبوب، فيتعلق الغرض بإيجاده حتى يلحقه بالوجود وهو حصوله، فإن المراد معدوم، والعدم الشر المحض، والشر عين الضرر.

النور

النور هو الظاهر بنفسه، المُظهِر لغيره، وهو الذي نور قلوب أوليائه بالمعرفة، ونوّر الأرض بنور أوليائه فيها.

اعلم أن درجات الأنوار كثيرة: منها ما عنده الإدراك، ومنها ما به الإدراك، ومنها يُدرك به، ومنها ما يدرك به، ومنها ما لا يدرك في نفسه لسطوتها كالشمس، فإذا كان لنور من الأنوار المحسوسة الذي هو أخس أقسام الأنوار مثل هذه السطوة والغلبة على الإدراك، فما ظنك بكبرياء النور الأعظم المطلق عن التقييد والإطلاق.

ولولا احتجابه بحجاب الكبرياء والجلال لأحرقت سبحات وجه كل من أدركه، وما في الحجب المذكورة في الخبر الوارد حجاب النور غير الواحد، وما بقي فهي حُجب ظلمانية، ولذلك أفرد الحق النور وأجمع الظلمات حيثما ورد مشيرا إلى أحدية ذاته وكثرة الحقائق الإمكانية، ولما كان أعلى

الحجب وأعظمها حجاب النور، والحق – جلت عظمته – هو النور، وهو المحتجب فيه به، فبنفسه احتجب، وهو عين الحجاب على العبد.

ولما كان النور ما يظهر بنفسه ويظهر به غيره، وليس شيء أظهر للعبد من وجوده، فهو عين نوره، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ولا يمشي إلا لأجله، وهو من وجوده، وهو عين الهوية من حيث سريان نور الوجود من سماء الجود فما مشى إلا بربه والحق هو الذي أزال بنوره ظلمة الحدوث، وعين الممكنات لم تزل في ظلمة الثبوت ما لها وجود من نفسها، وما ظهر منها في الوجود إنما هو بحكم قابليته في مرآة الوجود، فمن ظهر حكمه من الممكنات في مرآة الوجود عَلِمَ ولَحِقَ باحتجاب النور، ومن بقي في شيئية ثبوتها لا يعلم حتى يكلم بظهور حُكمها.

ويتفاوت ذلك بحسب تفاوت درجات الأنوار المحسوسة كالشمس والقمر والسراج والنجم، والمعقولة كنور البصر والعقل والعلم والكشف.

ومفتاح الكل إنما هو نوران: العقل والشرع.

الهادي

الهادي مشتق من الهداية، الذي يهدي القلوب إلى معرفته، والنفوس إلى طاعته، والأحياء بالتقرب إليه، والعلماء إلى شهود ما هو الأمر عليه.

اعلم أن الهدى:

إما توفيقي – وهو الذي يورث السعادة – وهو ما قام به الأنبياء وخواص الأولياء.

وإما تبياني – وهو الشرع المنزل – وهو يورث العلم في العموم، والسعادة في الخصوص.

فالهدى التوفيقي اصطفاء، والتبياني ابتلاء.

ومن خصائص أحكام هذا الاسم التوفيق والبيان.

فالتوفيق هو الأَخذ والتمسك بهدى الأنبياء.

والبيان هو شرح ما جاء به الحق عن كشفٍ، لا عن ظن بحكم النظر أو تأويل بحكم الفكر، فإن البيان ما يتطرق إليه الاحتمال، ولا يظهر حقيقته إلا بالكشف أو النصّ، فإنه لا بيان أبين من بيان الحق.

ومن حكم على الشرع بنظر عقله، ونفى ما دل عليه بظاهره، وصرفه إلى معنى يوافق غرضه، فهو ممن حرمه الله بركة العلم، وضاعف حسرته، وليس له قدم في منزلة: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، والكلام كله حسن من حيث الوجود، وأحسنه ما يوافق المقصود، ولا يصادف ذلك إلا أولو الألباب، الغواصون في تيار الحقائق، المستخرجون لباب الدرر من أصداف الألفاظ، بخلاف أهل الظاهر فإنه لا يقع نظرهم إلا على الحجاب، والمحجوبون عقولهم على دونه.

ومن أهل التقييد: من قال بالرؤية وتعلق بما أثبت ذلك رسول الله ﷺ بقوله: "ترون ربكم" وصدق.

ومنهم من نفى لنفيه عليه السلام حين سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: "نور أنّى أراه"، فصدق النافي والمثبت في تقييد عقدهما، وهذا كمن أبصر صورة زيد فحكم أنه رأى زيداً وهو صادق في حكمه.

وعلم آخَرْ أن خلف هذه الصورة أمر منه بقاء الصورة وتدبيره فقال: إن زيداً هو عين ذلك الأمر لا عين الصورة، ولا يرى ذلك لاحتجابه بالصورة، وصدق بأنه ما رآه.

ومن قال إن زيداً هو مجموع هذه الصورة الظاهرة والأمر الباطن، هو الذي أصاب، كذلك من قال إن الحق ظاهر، والظاهر لا تخفى مشاهدته، فهو مشهود مرئي صدق، لأنه بكل شيء محيط، وعلى كل شيء شهيد.

ومن قال إنه باطن والباطن لا يظهر صدق لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فهو من هذا الوجه لا يشهد ولا يُرى.

والراسخ في العلم هو الذي تولى الحق تعليمه بنفسه فخصه بشهود الأمر على ما هو عليه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٨].

البديع

البديع بمعنى المبدع، هو الذي يخلق بلا مثال سابق، لا شبيه له في الإبداع، ولا شريك له في الاختراع.

اعلم أن أكثر ما يظهر حكم هذا الاسم في حضرة الخيال، فإن من شأن هذه القوة: قوة الخيال، إبداع المعاني وإنزالها في صورة الألفاظ، لينتقل المعنى إلى الصورة الحسية، ولا قدرة لها على عكس هذا الأمر، فالإبداع أمر خيالي وإن ثبت ظهور سلطانه في الكون، فالكون خيال: "فإن الناس نيام"، فالنوم خيال، ونوم النائم خيال في خيال، ومن هذا الوجه قال من قال: إن العالم ما هو عين الحق، فإنما هو ما ظهر في مرآة وجود الحق، كما تحدث الصورة في المرآة ينظر الناظر فيها، فالصورة ما هي عين الناظر، ولا الناظر عين ما ظهر في المرآة، كذلك الأمر في وجود العالم والحق، وهو إما أن تكون الأعيان مجالي آثار تجليات الحق ومظاهره، وهو الظاهر في المظاهر بحسب قابلياتها وخصوصياتها، أو تكون عين الوجود المطلق عين المرآة، فترى الأعيان من مرآة الوجود وما يقابلها فيه، ويتراءى بعضهم من حيث ما هي عليه من غير زيادة ونقصان، فانظر كيف شئت فإنه لا يخلو من إبداع، فما في الوجود إلا مُبتدع، وإن ترى ما لها أمثال من بياض وسواد وحركة وسكون، فاعلم أن الحركة في كل متحرك يسمى حركة، فيتخيل المُتخيل أنها أمثال، وليس الأمر كذلك، فإن الحركة من حيث عينها حقيقة واحدة، وحكمها سرى في كل متحرك فهي في ذاتها لا مثل لها، وكذلك البياض والسواد، والإبداع الحقيقي هو الوجه الخاص الذي للحق في كل شيء، وبه يمتاز ذلك الشيء عن سائر الأشياء.

الباقي

الباقي بدوام الوجود والإيجاد، الذي لا تقبل ذاته الزوال، ولا يجري عليه حكم الحدوث والانتقال، فهو جل ثناؤه باق ببقائه والعبد باق بإبقائه، قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]، فالعبيد وما عندهم عنده، فإن أعيان مراتب الكون بأجمعها محفوظة في خزائنه، وخزائنه عنده: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فلهم البقاء مع انتقالهم من موطن إلى موطن، وإن نفد من عند العبيد ما عندهم صورة، فلا ينفد ما عند الحق من عنده: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠]، وما عنده إلا الكون، فهو خير من حيث الوجود،

وأبقى مجموعية من أفراد مراتبه، وكونه لم يزل في درجة الإمكان، ولما كان الحكم والأمر للحق -عز شأنه- في عين الوجود، والحكم لا يزال باقيا ببقاء ذات الحق، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣]، فهو خير وأبقى ممن هو خير وأبقى.

واعلم أنه لما كانت المواطن حاكمة بخصوصياتها، يحكم على من ظهر وحصل فيها، فمن مرّ على مواطن لابد أن ينصبغ بآثار حكمها، كمن يرى الحق في النوم الذي هو موطن الخيال، فلا يرى الحق أبداً في هذا الموطن إلا في صورة -كانت الصورة ما كانت-، وهذا من حكم الموطن.

ثم إذا خرج من موطن الخيال إلى موطن النظر العقلي، لم يدرك الحق في هذا الموطن إلا منزهاً عن المثال والصورة، فقد بان أن العبد يحكم على الحق في كل موطن بحُكْمٍ غير ما حكَم به عليه في موطن قبله، فعند ذلك عرف المحقق أنه ما عرف الحق حق معرفته، فَلا يعرِف هوية الحق - جلت عظمته - كما هو إلا هو، فهذا غاية الكمّل في العلم بالله، وذلك أن ما عندهم من العلم في موطن ينفد في موطن آخر: فـــ ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النحل: ٩٦]، لأنه لا يتنوع في نفسه لنفسه، وعلمه بنفسه لا يقبل التغير والتبديل، فهو الباقي الهادي.

الوارث

الوارث لما خلفه العبيد عند انتقالهم إلى البرزخ.

اعلم أن أحكام هذا الاسم سرت في المراتب كلها من الصورية والمعنوية.

فالصورية، هي أن يرث الأرض ومن عليها عند انتقال الكل من نشأة الدنيا إلى نشأة الآخرة وجملةً، ويرث أيضاً في هذه النشأة من بعض عباده حكماً وعدلاً ليورثّها من يشاء.

وأما المعنوية فوارثيته فيما يتعلق به علمه من العلم الابتلائي كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، والمورث يخدم الوارث بما تعب في جميع ما أورثه، غير أن الإرث المعنوي الذي هو العلم لا ينقص شيئاً من مورثه بوراثة الوارث، بخلاف الدينار والدرهم فإنهما نقل العين بالوراثة من الميت إلى الوارث، والأنبياء ما ورثوا إلا العلم وهو ما ورثهم الحق، فالأنبياء ورثة الحق والعلماء ورثة الأنبياء، فالحق وارث من وجه وموّرث من جهة، وكذلك الخلق.

فمن العلماء من ورث علم الأحكام والشرع من ظاهر النبوة، ومنهم من ورث علم الأسرار والكشف من باطن النبوة، ولهما المرتبة الشأنية في الوراثة، فإنها ما حصل لها العلم حتى تقدم بها النبي المعيّن، فما يحصل للورثة من حضرة النبوة من العلم لا يقبل كما يقبلها العلم النظري فهو في غاية البيان، وأي عامل عمل بأمر مشروع وحصل له من ذلك العمل علم بالله فهو من العلم الموروث.

ثم لا يخلو من أن يكون ذلك الأمر المشروع شرعا لنبي مخصوص أو كان شرعاً لمن قبله من الأنبياء قرره نبي هذا العالم لأمته.

فإن كان مما اختص به نبي هذا العامل، فهو وارثه خاصة لا ينسب إلى غيره.

وإن كان مما تقيد به نبي قبله ثم قرره نبي هذا العامل، فهو وارثه خاصة، ووارث نبيه بما قرره، فيحشر في صفوف الأنبياء خلف الشارع والمقرر، وإن قرر ذلك ألف نبي فإن له الحشر مع الكل، وهذا

من حكم نشأة الآخرة والبرزخ، فإنه يرى الشخص الواحد نفسه في صور كثيرة وأماكن مختلفة في آن واحد وهو ليس غيره.

وكذلك يكون طلب الناس النبي ﷺ في مواطن القيامة، فيجدونه حيث طلبوا، فيجده الطالب في موطن في الوقت الذي يجده الطالب الآخر في موطن آخر بعينه، هذا حكم الورثة بالوساطة.

وأما وراثة العبد من غير واسطة أعمّ حكماً، وهو وراثة الصفات من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، فإنه لا يعقل العبد من صفات الحق إلا ما هو عليه في نفسه، فوصف الحق نفسه بالصفات وما يقتضيها من الجلال والكبرياء تعليماً لعباده، ثم نزّه نفسه عنها وقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، فقام التنزيه مقام ما ورثوه من الصفات.

الرشيد

الرشد هو الاستقامة، الذي أرشد عباده في أخذه بناصية كل دابةٌ إلى صراط مستقيم.

اعلم أن الإنسان لما كان جاهلاً بما يكون منه قبل كونه، لا يقدر على التمييز بين الأمر والإرادة، وما وقع منه ما وقع إلا بعلم الحق، والعلم يتبع المعلوم، فلا تناقض بين الأمر والإرادة، وإنما التناقض بين الأمر وما يقتضي العلم، وليس عين من أعيان الوجود إلا له استقامة ورشد كما تقتضي ذاته، لكن قد تجتمع آثار الصفات الثلاثة المكملة في شخص وهي العلم والإرادة والأمر، فله أعلى درجة الرشد والاستقامة.

وقد تتعلق الإرادة بمجرد صيغة الأمر في حق شخص، فلا حظ لهذا الشخص من الأمر إلا صيغته لا العمل به، لتعلق العلم بما هو عليه، فليس على العبد إلا أن يهيئ محل ورود الأمر بالمراقبة فقط، فإذا ورد الأمر الإلهي بالتكوين يراقب أثر الأمر في قلبه هل يجد الإباء أو القبول؟

فإن حصل القبول ينظر في أي عضو من الأعضاء السبعة يظهر أثره، فيراقب حكم العلم فيه حتى يظهر ما هو عليه، فإن الحق لا يحكم فيه إلا به، فمن كان حاله مراقبة شؤون الحق فهو في عين السعادة.

وإن وقع منه خلاف ما أمر به فإنه فائز بدرجة الرشد والاستقامة المأمور بمراقبته وحضوره مع الحق، والحضور روح الصلاة التي هي أفضل الطاعات فلا تساويه معصيته أصلاً، بل تستهلك تحت سطوتها.

ويكشف لصاحب هذا المقام سر القدر، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: شيبتني صورة هود وأخواتها لما كان فيها من أمر الاستقامة وعدم الاطلاع على سر العلم هل يوافق الأمر أم لا؟ فلما تبين له الأمر المقرر بظهور سر القدر وقف عنه الشيء، و لم يقم به هم بحصول الاستقامة والرشد.

الصبور

على ما أوذي به فلا تزعجه كثرة المعاصي إلى تعجيل العقوبة مع اقتداره على ذلك.

اعلم أن سريان حكم هذا الاسم عمت المراتب، ولذلك وصف الحق نفسه بالصبر، ووصف عباده أيضاً بالصبر، وخصهم بالمعية والهداية والصلاة والرحمة، فصبر الحق هو إمهاله من آذاه بالمخالفة

والشرك، و لم يؤاخذهم عند ذلك بل يعافي أجسامهم، ويكثر أموالهم، ويوسع في أرزاقهم بعموم رحمته وإحسانه، ويمتعهم إلى حين بكمال كرمه وامتنانه، ثم شكا إلى عباده من يؤذيه فيما ذا يؤذيه، مع بقاء اسم الصبور عليه، تعليماً لخلقه، ليعلموا أنهم إذا شكوا إليه ما نزل عليهم من البلاء، لا يقدح ذلك في نسبة الصبر إليهم، وذلك أنه ما في الوجود شيء إلا فيه سر وحكمة تجري على جريان الإرادة، فكما أن الحق ما ينعم على عبده إلا ليشكره ويحمده على ذلك، كذلك ما يبتلي المبتلى ببلاء إلا ليرفع الشكوى إلى الحق، ويتوجه إلى حضرته بالتواضع والتضرع والاستكانة والافتقار، وإن كان مقام الصبر عند أهل الطريقة يقتضي الثبوت مع الحكم الرباني، لما فيه من المصلحة وإن لم يشعر بها العبد، فذلك حكم المتعبدين من أهل المجاهدة والمكابدة الواقفين مع التخيلات النظرية والتقليدات السمعية، ولا الذائقين من مشارب عيون العيان، والفائزين بشهود حقائق العرفان، فإن للعارف الواقف في هذا المقام الشهود الدائم في اختلاف شؤون الحق، فلا يقدح في شهود شكواه إلى الحق، لأن الحق عز شأنه ما جعل حكماً ينافي غرضه ويخالف مزاجه فيه إلا ليرفع إليه الشكوى، ويسأله رفع ذلك عنه، فمن لم يشك إلى الله عند إحساسه بالبلاء فقد قاوم القهر الإلهي بجهله، ولذلك جاع أبو يزيد – قدست أسراره – فبكى، فقيل له في ذلك قال: إنما جوعني لأبكي.

فمن آداب أهل القرب في حالة الألم رفع الشكوى إلى الحق لا إلى غيره، ولهذا كان أيوب عليه السلام مع جلالة منصب النبوة يقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ووصفه الحق بالصبر وذكره في معرض المدح بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤]، أي أنا وجدناه صابراً في وقت يقتضي ضعف البشرية الاضطراب والركون إلى الأسباب، فلم يضطرب و لم يركن إلا إلينا، وهذه حقيقة العبودية التي لا تصح لعبد حتى يدع اختياره وإرادته ويكون بحسب ما يريد الحق منه، فإنه إذا كان ذا اختيار لم يذق طعم سيادة الحق، فيوليه على نفسه إذا شاء، ويعزله إذا شاء، فهو في الاختيار بحكم نفسه، والنفس منازع الحق، وفي الاضطراب بحكم ربه.

فشأن العارف الاضطراب بباطنه إلى الحق عند النوازل، والثبوت بظاهره عند نفوذ الحكم الإلهي فيه، فله الاضطراب في السكون والسكون في الاضطراب، فإن الأحوال حاكمة، والمحكوم لا بد أن يكون تحت قهر الحاكم، لنفوذ الحكم فيه.

واعلم أن للصبر ثلاث درجات:

أولها: الصبر لله، بتحمل أثقال التكاليف، وهو صبر العامة.

الثانية: الصبر بالله، لشهود معاونة التوفيق في اجتناب المخالفات، وهو صبر المريد.

الثالثة: الصبر على الله، لوصول الصابر إلى مبادئ الفناء بذهاب بشريته وتخلقه بالأخلاق الإلهية، وهو صبر المحقق الثابت الفائز بشرف الاختصاص في العلم بالله ما لا يعلمه إلا من ذاقه، المعجل طيباته في جنات الدنيا مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهو الذي خصه الحق بعنايته، ووفقه للمعاملات المعنوية، فعامل الأسماء الإلهية بالتخلق بها كما يقتضي حقيقة كل اسم إلهي من الأخلاق حتى لم يبق اسم من أسماء الحق إلا قام فيه بصورته وحاله، واطلع على أسراره ونتائج آثاره، وإن كان سريان أحكام الأسماء يشتمل كل عين من أعيان الوجود – سواء علم ذلك العين أو لم

يعلم – ولكن لا يفوز بمنصب القرب إلا من ذاق شراب الوصال من كاسات شواهده العلمي العرفاني، فإن عظم لذة العلم بقدر شرف المعلوم وأي علم أشرف مما كان متعلقه جناب الكبرياء.

فالعلم بحقائق الأسماء الإلهية، وترتيب أمور مملكة الفردانية، المحيطة بجميع المراتب الوجودية، والاطلاع على أسرار دقائق خزائن الربوبية، هو أعلى مراتب أبواب المعارف وألذّها وأطيبها وأشهاها، ومجموع أقطار ملكوت السماوات والأرض ميدان العارف، يجول في ساحاتها، ويتبوأ منها حيث يشاء من غير حركة ولا مزاحمة غير، وما أعظم حسرة عند كشف الغطاء ممن حرمه الله لذّة العلم به، فإن حسرة الجهل أعظم الحسرات، لا سيما الجهل بالله، وكل من تعلقت همته في الدنيا بكشف الأسرار الإلهية وحصل له ذلك فقد فاز في الدارين، وحاز الدرجتين، فإن لم يحصل في موطن الدنيا لا بُدّ أن يناله في النشأة الآخرة، وما بينهما من الفرق إلا ما يحل للمحصل من لذة النعيم بدوام شهود الأسرار، فالمحروم كل المحروم من لا يتعلق همته في الدنيا بتحصيل هذه المعارف في الدرجات العلى.

جعلنا الله ممن لزم الأدب عند شهود حقائق أسمائه وصفاته، وسعد بنعيم العرفان عند سواطع أنوار أسرار ذاته: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، برحمتك وفضلك وجودك يا كريم يا ودود يا تواب، والحمد لله وحده والسلام على من اتبع الهدى.

تم الكتاب بعون الله وقوته

كتاب الخيال

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تعريف البرزخ:

لما كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول، سمي برزخاً اصطلاحاً، فما من منزلة من المنازل ولا منازلة من المنازلات، ولا مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال، ولا حضرة من الحضرات، ولا جنس من الأجناس، إلا وبينهما برزخ، كالنخلة برزخ بين النبات والحيوان، والكمأة برزخ بين الجماد والنبات، والممكن برزخ بين الوجود والعدم. والبرزخ الذي بين الحق والخلق في المعنى، فيه اتصف الممكن بعالِم وقادر وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا، واتصف الحق بالتعجب والتبشش والضحك والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية، والإنسان الكامل أقامه الحق برزخاً بين الحق والعالَم، فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقاً، ويظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقاً.

فالبرزخ ما قابل الطرفين بذاته، وأبدى لذي عينين من عجائب آياته ما يدل على قوته، ويستدل به على كرمه وفتوته، فهو القلب الحوّل، والذي في كل صورة يتحول، عولت عليه الأكابر حين جهلته الأصاغر، فله المضاء في الحكم، وله القدم الراسخة في الكيف والكم، سريع الاستحالة، يعرف العارفون حاله، بيده مقاليد الأمور، وإليه مسانيد الغرور، له النسب الشريف، والمنصب الكياني المنيف، تلطَّف في كثافته، وتكثَّف في لطافته، يجرحه العقل ببرهانه، ويعدله الشرع بقوة سلطانه، يحكم في كل موجود، ويدل على صحة حكمه بما يعطيه الشهود، ويعترف به الجاهل بقدره والعالِم، ولا يقدر على رد حكمه حاكم.

علم البرزخ:

البرازخ أتم المقامات علماً بالأمور، فإن البرزخ يعم الطرفين، وهو مقام الأسماء الإلهية، فإنها برزخ بيننا وبين المسمى، فلها نظر إليه من كونها اسماً له، ولها نظر إلينا من حيث ما تعطي فينا من الآثار المنسوبة إلى المسمى، فتعرف المسمى وتعرفنا، فعلم البرازخ له من القيامة الأعراف، ومن الأسماء الاتصاف، فقد حاز الأنصاف، فما هو عين الاسم ولا عين المسمى، ولا يعرف هويته إلا من يفك المعمّى، وقد استوى فيه البصير والأعمى، وهو الظل بين الأنوار والظُلَم، والحدُّ الفاصل بين الوجود والعدم، وإليه ينتهي الطريق الأمم، وهو حدُّ الوقفة بين المقامين لمن فهم، له من الأزمنة الحال اللازم، فهو الوجود الدائم، فمن أراد العلم بصورة الحال، فليحقق علم الخيال، فيه ظهرت القدرة، وهو الذي أنار بدره، فلا يتقلب إلا في الصور، ولا يظهر إلا في مقام البشر، ولست أعني بالبشر الأناسي، فإني كنت أشهد على نفسي بإفلاسي، فما ثَمّ إلا وعاء، وآنية ملاء، فتدبر تتبصر، فإن البرزخ جامع الطرفين، والساحة بين العلمين، له ما بين النقطة والمحيط، وليس بمُركّب ولا بسيط، حظه من الأحكام

المباح، ولهذا كان له الاختيار والسراح، لم يتقيد بمحظور ولا واجب، ولا مكروه ولا مندوب إليه في جميع المذاهب.

الحقائق

اعلم أن الحقائق أربع، منها ثلاث ترجع إلى الحق تعالى، وحقيقة ترجع إلى الخلق، أما الثلاث التي ترجع إلى الحق: فحقيقة ترجع إلى الذات المقدسة، وحقيقة ترجع إلى الصفات المنزهة، وحقيقة ترجع إلى الأفعال الإلهية، وأما الحقيقة التي ترجع إلى الخلق، فهي الحقيقة التي ترجع إلى المفعولات، وهي الأكوان والمكونات، التي هي حضرة الإمكان، فإن العبودية لا تشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون إلهاً، كما أن العبد بحقائقه يكون مألوهاً، فلو وقع الاشتراك في الحقائق، لكان إلهاً واحدا أو عبداً واحداً، أي عينا واحدة، وهذا لا يصح أبدا، فلابد أن تكون الحقائق متباينة، ولو نُسبت إلى عين واحدة، ولهذا باين خلقه بقِدمه، كما باينوه بحدوثهم، واجتمعت الحضرتان - حضرة الحق وحضرة الخلق - في أن كل واحدة منهما معقولة من ثلاث حقائق، ذاتٌ، وصفةٌ، ورابطة بين الصفة والموصوف بها، غير أن العبد له ثلاثة أحوال: حالة مع نفسه لا غير - في الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كل شيء - وحالة مع الله، وحالة مع العالم، والباري سبحانه مباين لنا، فإن له حالين: حال من أجله، وحال من أجل خلقه، وليس فوقه موجود، فيكون له تعالى وصف تعلق به.

الحقيقة الكونية:

الحقيقة الكونية على ثلاث مراتب: علوية وهي المعقولات، وهي مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها أن تدرك بالعقول، وسفلية وهي المحسوسات، من شأنها أن تُدرَك بالحواس، وبرزخية ومن شأنها أن تدرك بالعقل والحواس، وهي المتخيلات، وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة، وما تصوره القوة المصورة الخادمة للعقل، وأجرى الله تعالى المعاني في المخاطبات، مجرى المحسوسات في الصور، التي تقبل التجزّي والانقسام والقلة والكثرة، وجعل محل ذلك حضرة الخيال، فتحصر المعاني في الخطاب، فتتلقاها بالتشبيه العقول، كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني، التي ليس من شأنها بالنظر إلى ذاتها، أن تكون متميزة أو منقسمة، أو قليلة أو كثيرة، أو ذات حد ومقدار وكيف وكم، وجعل لنا الدليل على قبول ما أتى به من هذا القبيل في هذه الصورة، ما يراه النائم في نومه، من العلم في صورة اللبن، فيشربه حتى يرى الري يخرج من أظفاره، فقيل له: ما أولته يا رسول الله؟ يريد ما تؤول إليه صورة ما رأيت؟ فقال: العلم، ومعلوم أن العلم ليس بجسم يسمى لبناً، ولا هو لبن، وإنما هو معنى مجرد عن الصور التي من شأنها أن تدركها الحواس، ولولا مناسبة بين العلم واللبن جامعةٌ، ما ظهر بصورته في عالم الخيال، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، وكان من تلك الحضرة ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس كما تقسم الحبوب، فمن الناس من حصل له من العقل — الممثل في الصور التي من شأنها أن تكال — القفيز والقفيزان، والأكثر والأقل، والمد والمدان، والأكثر والأقل، لما أراد الله من ذلك، وأما الموزون فالأعمال — وهي معان عرضية تعرض للعامل — فألحقها الله بالموزون، فقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾[الزلزلة: ٧] فأدخل العمل في الميزان فكان موزوناً، ولكن في هذه الحضرة المثالية، التي لا تدرك المعاني إلا في صورة المحسوس، حتى

التجلي الإلهي في النوم، فلا ترى الحق إلا صورة، وقد ورد في ذلك من الأخبار ما يغني عن الاستقصاء في تحقيق ذلك، وهو شيء يعلمه كل إنسان، إذ كل إنسان له تخيل في اليقظة والمنام، ولهذا يعبر ما يدركه الخيال، لأن الحضرات تحكم على النازل فيها، وتكسوه من خِلعِها ما تشاء، فالحكم للحضرة والموطن، لأن الحكم للحقائق، والمعاني توجب أحكامها لمن قامت به.

المعلومات:

المعلومات ثلاثة لا رابع لها: وهي الوجود المطلق الذي لا يتقيد، وهو وجود الله تعالى الواجب الوجود لنفسه، والمعلوم الآخر العدم المطلق، الذي هو عدم لنفسه، وهو الذي لا يتقيد أصلاً وهو المحال، وهو في مقابلة الوجود المطلق، وكما أسلفنا أنه ما من نقيضين متقابلين، إلا وبينهما فاصل، به يتميز كل واحد من الآخر، وهو المانع أن يتصف الواحد بصفة الآخر، وهذا الفاصل هو البرزخ الأعلى، وهو برزخ البرازخ، له وجه إلى الوجود ووجه إلى العدم، فهو يقابل كل واحد من المعلومين بذاته، وهو المعلوم الثالث، وفيه جميع الممكنات وهي لا تتناهى، كما أنه كل واحد من المعلومين لا يتناهى، وللممكنات في هذا المعلوم الثالث — الذي نسميه حضرة الإمكان، وهو البرزخ بين الوجود والعدم — أعيانٌ ثابتة من الوجه الذي ينظر إليها الوجود المطلق، ومن هذا الوجه ينطلق عليها اسم الشيء، الذي إذا أراد الحق إيجاده قال له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة: ١١٧] وليس له أعيانٌ موجودة من الوجه الذي ينظر إليه ومن العدم المطلق، ولهذا يقال له ﴿كُن﴾ وكن حرف وجودي، فإنه لو أنه كائن ما قيل له كن، وهذه الممكنات في هذا البرزخ بما هي عليه وما تكون إذا كانت، مما تتصف به من الأحوال والأعراض والصفات والأكوان، وهذا هو العالم الذي لا يتناهى، وما له طرف يُنتَهى إليه، وهو العامر الذي عمَّر الأرض التي خُلِقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، عمارة الصورة الظاهرة للرائي في الجسم الصقيل، عمارة إفاضة، ومن هذا البرزخ وجود الممكنات، وبها يتعلق رؤية الحق للأشياء قبل كونها، ويقال له الوجود الخيالي، يقول له الحق كن في الوجود العيني، فيكون – هذا السامع هذا الأمرَ الإلهي – وجوداً عينياً يدركه الحس، أي يتعلق به في الوجود المحسوس الحس، كما تعلق به الخيال في الوجود الخيالي.

حقيقة الخيال المطلق:

الخيال المطلق هو المسمى بالعماء، وهو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة، وانتشاء هذا العماء من نَفَس الرحمن، الذي هو أول ظرف قَبلَ كينونة الحق، وهو الحق المخلوق به كل شيء، وفتح الله في هذا العماء صور كل ما سواه من العالم، واختلاف أعيان الممكنات في أنفسها في ثبوتها، والحكم لها فيمن ظهر فيها، ألا إن ذلك العماء هو الخيال المحقق، ألا تراه يقبل صور الكائنات كلها، وتصوير ما ليس بكائن، هذا لاتساعه، فهو عين العماء لا غيره، وفيه ظهرت جميع الممكنات، وهذه الموجودات الممكنات التي أوجدها الحق تعالى، هي للأعيان التي يتضمنها هذا البرزخ، بمنزلة الظلالات للأجسام، ثم إن هذا العماء هو عين البرزخ، بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود، وبين الأجسام النورية والطبيعية، كالعلم والحركة، هذا في النفوس، وهذه في الأجسام، فتتجسد في حضرة الخيال، كالعلم في صورة اللبن، وكذلك تعيين النسب — وإن كانت لا عين لها في النفس ولا في الجسم — كالثبات في الأمر

نسبة إلى الثابت فيه، يظهر هذا الثبات في صورة القيد المحسوس في حضرة الخيال المتصل، وكالأرواح في صور الأجسام المتشكلة الظاهرة بها، كجبريل في صورة دحية، ومن ظهر من الملائكة في صور الذر يوم بدر، هذا في الخيال المنفصل، وكالعصا والحبال في صور الحيات تسعى، كما قال ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾يعني إلى موسى ﴿مِن سِحۡرِهِمۡ﴾أي من علمهم بما فعلوه ﴿أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[طه: ٦٦] فأقاموا ذلك في حضرة الخيال، فأدركها موسى مخيلة، ولا يعرف أنها مخيلة، بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم، ولهذا خاف فقيل له ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[طه: ٦٨].

وتلك الحضرة البرزخية، هي ظل الوجود المطلق من الاسم النور، الذي ينطلق على وجوده، ووجود الأعيان ظل لذلك الظل، والظلالات المحسوسة ظلالات هذه الموجودات في الحس، ولما كان الظل في حكم الزوال لا في حكم الثبات، وكانت الممكنات وإن وجدت في حكم العدم، سميت ظلالات، ليفصل بينها وبين من له الثبات المطلق في الوجود — وهو واجب الوجود سبحانه — وبين من له الثبات المطلق في العدم وهو المحال، لتتميز المراتب، فالأعيان الموجودات إذا ظهرت ففي هذا البرزخ هي، فإنه ما ثَمّ حضرة تخرج إليها، ففيها تكتسب حالة الوجود، والوجود فيها متناهٍ ما حصل منه، والإيجاد فيها لا ينتهي، فما من صورة موجودة إلا والعين الثابتة عينها، والوجود عليها كالثوب، ولذلك نقول: إن كل ظاهر من العالم صورة ممثلة كيانية، مضاهية لصورة إلهية من حيث الاسم الظاهر.

حضرة الخيال هو عالم الجبروت ومجمع البحرين:

إذا انتقلنا من برزخ البرازخ وهو حضرة الإمكان، من حيث إن الصور بما هي صور هي المتخيلات، والعماء الظاهرة فيه هو الخيال المطلق، وأنها حضرة علمية معقولة، إذ انتقلنا إلى الوجود الحادث، قلنا: إن العالَم عالمان، والحضرة حضرتان، وإن كان قد تولد بينهما حضرة ثالثة من مجموعهما، فالحضرة الواحدة حضرة الغيب، ولها عالم يقال له: عالم الغيب أو عالم الملكوت، وهو عالم المعاني والغيب، وهو عالم العقل، والحضرة الثانية حضرة الحس والشهادة، ويقال لعالَمها: عالَم المُلك أو عالم الشهادة والحرف، وهو عالم الحس والظهور، ومدرك هذا العالم بالبصر، ومدرك عالم الغيب بالبصيرة، والمتولد من اجتماعهما حضرة وعالم، فالحضرة الخيال أو البرزخ، والعالم عالم الخيال، ويسميه بعض أهل الطريق عالم الجبروت، وهو الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت، وهكذا هو عندي.

وعالم البرزخ هذا، تنزل المعاني فيه في الصور والقوالب الحسية، فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية، وليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجردة، وظهورها بتلك الصور أمر عارض عَرض للمدرِك لها، لا للمعنى في نفسه، كالعلم في صورة اللبن، والثبات في الدين في صورة القيد، والإسلام في صورة العَمَد، والإيمان في صورة العروة، وجبريل في صورة دحية الكلبي وفي صورة الأعرابي، وتمثل لمريم في صورة بشر سوي، ولذلك كانت حضرة الخيال أوسع الحضرات جوداً، لأنها تجمع العالَمين، فهي مجمع البحرين، بحر المعاني وبحر المحسوسات، فالمحسوس لا يكون معنى، والمعنى لا يكون محسوساً، ولذلك سمي الخيال خيالاً، لأنّا نعرف أن ذلك راجع إلى الناظر لا إلى الشيء نفسه، فالشيء في نفسه ثابت على حقيقته لا يتبدل — لأن الحقائق لا تتبدل — ويظهر إلى الناظر في صور

متنوعة، وذلك التنوع حقيقة أيضا، لا تتبدل عن تنوعها، فلا تقبل الثبوت على صورة واحدة، بل حقيقتها الثبوت على التنوع، وحضرة الخيال التي عبرنا عنه بمجمع البحرين، هو يجسد المعاني، ويلطف المحسوس، ويقلب في عين الناظر عين كل معلوم، فيجمع عالم الغيب وعالم الشهادة، فإن حضرة الغيب لا تسع عالم الشهادة، فإنه ما بقي فيها خلاء، وكذلك حضرة الشهادة، فحضرة الخيال أوسع بلا شك، فإن الخيال لقوته أوسع الكائنات وأكمل الموجودات، ويقبل الصور الروحانيات، وهو التشكل في الصور المختلفة من الاستحالة الكائنة، والاستحالة منها ما فيها سرعة، كاستحالة الأرواح صوراً جسدية، فإن الأرواح في الصور الخيالية معانٍ لا ثبات لها، فإنها سريعة الزوال، من النائم باليقظة، ومن المكاشف بالرجوع إلى حسه، وكاستحالة المعاني صوراً جسدية، تظهر في كون هذا العماء، فإن المعاني إذا تجسدت في عالم المثال، وظهرت صوراً في الجسم المشترك، كما أخبر عليه السلام من أن الزهراوين – البقرة وآل عمران – يأتيان يوم القيامة لهما لسانان وشفتان، يشهدان لمن قرأهما، ومعلوم حقيقة الكلام وأنه معنى من المعاني، جثمانياً كان أو غير جثماني، وكالدين في صورة القيد، والعلم في صورة اللبن، والإسلام في صورة العَمَد، فيقع النعت من الناعت، والوصف من الواصف لهذا المعنى، على هذه الصورة التي يظهر فيها له من عالم المثال، فيوصف بما توصف به الصور التي يتجلى فيها، وثم استحالات فيها بطء، كاستحالة العناصر، فهي وإن كانت استحالات، فما لها سرعة استحالة الصور في القوة المتخيلة في الإنسان، وهو الخيال المتصل، ولا في استحالات صور الأرواح في صور الأجسام أجساداً، كالملائكة في صور البشر، فإن السرعة هناك أقوى، وكذا زوالها، أسرع من استحالات الأجسام بعد الموت إلى ما تستحيل إليه.

فالبرزخ هو الحاكم المتحكم، الذي يحكم ولا يحكم عليه، مع كونه مخلوقاً، فإنه بين بين، وهو مقام بين هذين، فما هو أحدهما، بل هو مجموع الإثنين، فله العز الشامخ، والمجد الباذخ، والمقام الراسخ، وهو عندنا ليست له ذات قائمة، فإنك إذا أدركت الخيال وكنت عاقلاً، تعلم أنك أدركت شيئاً وجودياً وقع بصرك عليه، وتعلم قطعاً بدليل، أنه ما ثَمّ شيء رأساً وأصلاً، فهو معقول في نفسه، فما هو هذا الذي أثبت له شيئية وجودية، ونفيتها عنه في حال إثباتك إياها؟ فالخيال لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت، كما يدرك الإنسان صورته في المرآة، يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه، ويعلم قطعاً أنه ما أدرك صورته بوجه، لما يرى فيها من الدقة إذا كان جرم المرآة صغيراً، ويعلم أن صورته أكبر من التي رأى بما لا يتقارب، وإذا كان جرم المرآة كبيراً فيرى صورته في غاية الكبر، ويقطع أن صورته أصغر من التي رأى، فلا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته، ويعلم أنه ليس في المرآة صورته، ولا هي بينه وبين المرآة، فالصورة في المرآة جسد برزخي، كالصورة التي يراها النائم إذا وافقت الصورة الخارجية، وكذلك الميت والمكاشف، وصورة المرآة أصدق ما يعطيه البرزخ، إذا كانت المرآة على شكل خاص ومقدار جرم خاص، فإن لم تكن كذلك، لم تصدق في كل ما تعطيه، بل تصدق في البعض، فالجسم الصقيل أحد الأمور التي تعطي صور البرزخ، ولهذا لا تتعلق الرؤية فيها إلا بالمحسوسات، فإن الخيال لا يمسك إلا ما له صورة محسوسة، أو مركب من أجزاء محسوسة تركبها القوة المصورة، فتعطي صورة لم يكن لها في الحس وجود أصلاً، لكن أجزاء ما تركبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شك، والرائي ليس بصادق ولا كاذب في قوله، إنه رأى صورته ما رأى صورته، فما تلك الصورة المرئية، وأين محلها وما شأنها؟ فهي منفية ثابتة، موجودة معدومة، معلومة

مجهولة، أظهر الله سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال، ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز وحار في درك حقيقة هذا، وهو من العالم، و لم يحصل عنده علم بحقيقة هذا فهو بخالقها أعجز وأجهل وأشد حيرة.

الخيال له الحكم في جميع الحضرات الوجودية:

إن الخيـــــال هـــــو الـــــذي يـــــتحكم ... فـــي أصـــله وهـــو المـــزاج الأقـــدم
فتـــراه يحكـــم فـــي المـــزاج وفـــي النُّهـــى ... مـــن نفســـه فهـــو الإمـــام الأعظـــم
يقضـــي علـــى ســـر الوجـــود بحالـــه ... مَـــنْ جَسّـــم المعنـــى فـــذاك الأحكـــم
ويحـــدّ مَـــن لا يعتريـــه تحيـــز ... بتحيـــز وتـــيقن يتـــوهم
ويقســـم الأمـــر الـــذي مـــا فيـــه تقـــ ... ـــسيم ويمضـــي مـــا يشـــاء ويحكـــم

ما أوسع حضرة الخيال، فيها يظهر وجود المحال، بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال، فإن الواجب الوجود وهو الله تعالى لا يقبل الصور، وقد ظهر بالصورة في هذه الحضرة، فقد قَبِلَ المحالُ الوجودِ الوجودَ في هذه الحضرة، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، وفي هذه الحضرة يرى الجسم في مكانين، كما رأى آدم نفسه خارجاً عن قبضة الحق، فلما بسط الحق يده فإذا فيها آدم وذريته – الحديث – فهو في القبضة، وهو عينه خارج عن القبضة، فلا تقبل هذه الحضرة إلا وجود المحالات، وكذلك الإنسان في بيته نائم، ويرى نفسه على صورته المعهودة في مدينة أخرى، وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليها، وهو عينه لا غيره، فيرى الإنسان نفسه في المنام – وهو عين واحدة – في أماكن متعددة، والعقول تحيل أن يكون الجسم في مكانين، والخيال قد حكم به، فإذا كان المخلوق في قوته الإمكان، فيما أحاله دليل عقل الإنسان، فما ظنك بخالق هذا المخلوق وهو الواحد الحق؟ ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة، وهو في نفس الأمر حي يرزق ويأكل، يدركه المؤمن بإيمانه، والمكاشف ببصره، وكالميت في قبره، يشاهده ساكناً وهو متكلم يُسأل ويجيب، فإن قلت لمن يرى هذا إنه خيل له، يقول لك: بل أنت خيل لك أنه ساكت وهو متكلم، وخيل لك أنه مضطجع وهو قاعد، ويعضده في قوله الإيمان بالخبر الصحيح الوارد، فهو أقوى في الدلالة منك، فعينه أتم نظرا من عينك، والكامل النظر الذي هو أكمل من الاثنين، يقول لكل واحد منهما: صدقت، هو ساكت متكلم، مضطجع قاعد، مقتول حي، وكل صورة مشهودة فيه من الباب الذي ذكرناه، ومن ذلك الصورة في المرآة وكل جسم صقيل، إن كان الجسم الصقيل كبيراً كبرت الصورة المرئية فيه، ثم إذا نظرت إلى الصورة من خارج، وجدتها غير متنوعة فيما ظهر فيها من التنوع بتنوع المرائي، حتى في تموج الماء تظهر الصورة متموجة، وكل عين - أي كل نظرة - تقول للأخرى: إنها في مقام الخيال، وإن الحق بيدها، وتصدق كل نظرة منها، فتعلم قطعاً أن الصورة المرئية في المرائي والأجسام الصقيلة، إنما ظهورها في الخيال كرؤية النائم وتشكل الروحاني سواء، وأنها ليست في المرآة ولا في الحس، فإنها تخالف صورة الحس، من حيث تعلقه الخاص به دون المرآة، وليس في الوجود في الغيب والشهادة إلا ما ذكرناه، فثبت بذلك أنّ، الحكم للخيال بكل وجه وعلى كل حال، في المحسوس والمعقول والحواس والعقول، وفي الصور والمعاني، وفي المُحْدَث وفي القديم، وفي المحال وفي الممكن وفي الواجب، فإن الله سلّطه على المعاني يكسوها مواد يظهر فيها، لا يتمكن لمعنى يمنع نفسه منه، فحاز الخيال درجة الحس والمعنى، فلطّف المحسوس، وكثّف المعنى، فكان له الاقتدار التام.

ومن لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة، وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين، فما عندهم من المعرفة رائحة، فمن العلم الذي يختص به أهل الله تعالى، معرفة الكشف الخيالي، ثم إنه مما يؤيد ما ذكرناه، أنك لا تشك أنك مدرك لما أدركته أنه حق محسوس، لما تعلق به الحس، وأن الحديث الوارد عن النبي ﷺ في قوله: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فنبه أن ما أدركتموه في هذه الدار مثل إدراك النائم، بل هو إدراك النائم في النوم، وهو خيال، ولا تشك أن الناس في برزخ بين هذه الدار والدار الآخرة، وهو مقام الخيال، فانتباهك بالموت، هو كمن يرى أنه استيقظ في النوم في حال نومه، فيقول في النوم: رأيت كذا وكذا، وهو يظن أنه قد استيقظ، ثم إذا بعث في النشأة الآخرة، يقول المبعوث ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢]، فكأن كونه في مدة موته كالنائم في حال نومه، مع كون الشارع سماه يقظة، وهكذا كل حال تكون فيه، لابد لك من الانتقال عنه، وتبقى مثل ما كنت عليه في خيالك المتصل، وفي قوة كونه على الحقيقة في الخيال المنفصل، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، أبان الله لنا فيما ذكره في هذه الآية، أن الذي كنا نظنه حقيقة محسوسة، إنما هي متخيلة يراها رأي العين، والأمر في نفسه على خلاف ما تشهده العين، وهذا سار في جميع القوى الجسمانية والروحانية، وحقيقة الخيال التبدل في كل حال، والظهور في كل صورة، والحقائق لا تتبدل، فكل ما سوى ذات الحق فهو في مقام الاستحالة السريعة والبطيئة، وهو خيال حائل وظل زائل، فلا يبقى كون في الدنيا والآخرة وما بينهما، ولا روح ولا نفس، ولا شيء مما سوى الله — أعني ذات الحق — على حالة واحدة، بل يتبدل من صورة إلى صورة دائماً أبداً، وليس الخيال إلا هذا، فهذا هو عين معقولية الخيال، فالعالم ما ظهر إلا في خيال، فهو متخيل لنفسه، وهو كله في صور مُثُل منصوبة، فالحضرة الوجودية إنما هي حضرة الخيال، والوجود المُحْدَث خيال منصوب، ثم تقسم ما تراه من الصور إلى محسوس ومتخيل، والكل متخيل، وهذا لا قائل به إلا من أُشْهِدَ هذا المشهد، والشهود عناية من الله، أعطاها إيانا نور الإيمان، الذي أنار الله به بصائرنا، ومن علم ما قررناه، عَلِمَ عِلْمَ الأرض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، وعلم أن العالم بأسره — لا بل الموجودات — هم عمار تلك الأرض، وما خلص منها إلا الحق تعالى، خالقها ومنشيها من حيث هويته، إذ كان له الوجود ولا هي.

توجه الاسم الإلهي القوي على إيجاد الخيال:

ما أوجد الله أعظم من الخيال منزلة ولا أعَمّ حكماً، يسري حكمه في جميع الموجودات والمعدومات، من محال وغيره، فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجوداً من الخيال، فبه ظهرت القدرة الإلهية والاقتدار الإلهي، وهو حضرة المجلى الإلهي في القيامة وفي الاعتقادات، فهو أعظم شعائر الله على الله، فمن أسرار الاسم الإلهي القوي، أن خَلَق عالم الخيال ليظهر فيه الجمع بين الأضداد، لأن الحس والعقل يمتنع عندهما الجمع بين الضدين، والخيال لا يمتنع عنده ذلك، فما ظهر سلطان القوي ولا قوته، إلا في خلق القوة المتخيلة وعالم الخيال، فإنه أقرب في الدلالة على الحق، فإن الحق هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فما حاز الصورة على الحقيقة إلا الخيال، وهذا ما لا يسع أحداً إنكاره، فإنه يجده في نفسه، ويبصره في منامه، فيرى ما هو محال الوجود موجوداً.

واعلم أن في حضرة الخيال في الدنيا، يكون الحق محل تكوين العبد، فلا يخطر له خاطر في أمر ما، إلا والحق يكوّنه في هذه الحضرة، كتكوينه أعيان الممكنات إذا شاء ما يشاء منها، فمشيئة العبد في

هذه الحضرة من مشيئة الحق، فإن العبد ما يشاء إلا أن يشاء الله، فما شاء الحق إلا أن يشاء العبد في الدنيا، ويقع بعض ما يشاء العبد في الدنيا في الحس، وأما في الخيال فكمشيئة الحق في النفوذ، فالحق مع العبد في هذه الحضرة على كل ما يشاؤه العبد، كما هو في الآخرة في عموم حكم المشيئة، لأن باطن الإنسان هو ظاهره في الآخرة، فلذلك يتكون عن مشيئته كل شيء إذا اشتهاه، فالحق في تصريف الإنسان في هذه الحضرة في الدنيا، وفي شهوته في الآخرة، لا في الدنيا حساً، فالحق تابع في هذه الحضرة وفي الآخرة لشهوة العبد، كما هو العبد في مشيئته تحت مشيئة الحق، فما للحق شأن إلا مراقبة العبد، ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا، وكذلك في الآخرة، والعبد تبع للحق في صور التجلي، فما يتجلى الحق له في صورة إلا انصبغ بها، فهو يتحول في الصور لتحول الحق، والحق يتحول في الإيجاد لتحول مشيئة العبد، في هذه الحضرة الخيالية في الدنيا خاصة، وفي الآخرة في الجنة عموماً، لأن الإنسان في الآخرة يتنوع ظاهره، كما كان يتنوع باطنه في الدنيا، في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهي، فينصبغ بها انصباغاً، فذلك هو التضاهي الإلهي الخيالي، غير أنه في الآخرة ظاهر وفي الدنيا باطن، فحكم الخيال مستصحب للإنسان في الآخرة، وذلك هو المعبر عنه بالشأن الذي هو فيه الحق من قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن: ٢٩]، فلم يزل ولا يزال، فإن من حُكْم نشأةِ الآخرةِ القوة التي لا ضعف يعقبها، فيتكون عن أهل السعادة حساً، ما يتكون هنا في الدار الدنيا في خيالهم معنى، وقد يكون في متعلق خاص حساً قدرة عليه، كمن يريد أن يقوم فيقوم، ويريد أن يكتب فيكتب، وأما ما لا قدرة له، ولا قوة له عليه أن يكون منه في الحس، فإنه يقوى على إيجاده خيالاً في نفسه، فإن الروح الواحد يدبر أجساماً متعددة، إذا كان له الاقتدار على ذلك، ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة، وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطي ذلك، كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن، من يد ورجل وسمع وبصر وغير ذلك، وكما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ما يقع منها، كذلك الأجساد الكثيرة التي يدبرها روح واحد، أي شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد، وإن كان ما يقع من هذا الجسم من الفعل مثل ما يقع من الجسم الآخر، فيكون ما يلزمه من المؤاخذة على فعل أحد الجسمين يلزمه على فعل الآخر، وكل ما يكون في الآخرة محسوساً، وإن كان في قضية العقل محالاً، فما استحال وجوده في الخيال، كذلك لا يستحيل وقوعه حساً، لأن الخيال على الحقيقة إنما هو حضرة من حضرات الحس، ولهذا يُلحِق المحال محسوساً، فيكون في الآخرة أو حيث أراد الله محسوساً، ولهذا كان في الآخرة لا في الأولى، فإن الخيال في الدرجة الأخيرة من الحس، فإنه عن الحس يأخذ ما يكسوه من الصور للمحال وغيره، فلهذا حيث كان لا يكون إلا في الآخرة، وأي قوة أعظم قوةً ممن يلحق المحال الوجود بالموجود المحسوس، حتى تراه الأبصار، كوجود الجسم في مكانين، فكما تتخيله هنا كذلك يقع في الآخرة حساً سواء.

خلق الخيال:

عالم الخيال المنفصل – أرض الحقيقة – مسرح عيون العارفين، قلنا: إن الله تعالى خلق خلقاً، إن قلت فيه موجودٌ صدقت، وإن قلت فيه معدومٌ صدقت، وإن قلت فيه لا موجود ولا معدوم صدقت، وهو الخيال، وهو حضرة وجودية صحيحة، وهو حضرة الخيال الصحيح الذي لا يدخله ريب، والمتخيلات فيه موصوفة بالوجود، ذات صور جسدية تلبسها المعاني والأرواح، فإنه قد بقي بعد خلق

آدم عليه السلام فضلة من خميرة طينته، قدر السمسمة في الخفاء، فَمَدّ الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة الفضاء، إذا جعل العرش وما حواه، والكرسي والسموات والأرضين وما تحت الثرى، والجنات كلها والنار، في هذه الأرض، كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وفيها من العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره، ويبهر العقول أمره، وفي كل نَفسٍ خلق الله فيها عوالم، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وفي هذه الأرض ظهرت عظمة الله، وعظمتْ عند المشاهد لها قدرته، وكثير من المحالات العقلية – التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها – هي موجودة في هذه الأرض، وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون، وخلق الله من جملة عوالمها عالَماً على صورنا، إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها، ويقع للعارفين فيها تجليات إلهية، ومن خاصية هذه الأرض، أن صاحب الكشف العارف إذا وقع له تجل فيها، لم يفنه هذا التجلي عن شهوده، ولا اختطفه عن وجوده، وجمع له بين الرؤية والكلام، فإن التجليات الواردة على قلوب العارفين في هذه الدار، في هذه الهياكل، تأخذهم عنهم، وتفنيهم عن شهودهم، وكل ما أحاله العقل بدليله عندنا، كإيراد الكبير على الصغير، فهو في هذه الأرض ممكن وقد وقع، فإن الله على كل شيء قدير، وفيها يعلم أن العقول قاصرة، وأن الله قادر على جمع الضدين، ووجود الجسم في مكانين، وقيامِ العرض بنفسه، وانتقاله، وقيام المعنى بالمعنى، وكل حديث وآية وردت عندنا، مما صرفها العقل عن ظاهرها، توجد على ظاهرها في هذه الأرض، وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن، وكل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم، فمن أجساد هذه الأرض، ولها من هذه الأرض موضع مخصوص، ولهم رقائق ممتدة إلى جميع العالم، وعلى كل رقيقة أمين.

فإذا عاين ذلك الأمين روحاً من الأرواح، قد استعد لصورة من هذه الصور التي بيده، كساها إياها، كصورة دحية لجبريل، وسبب ذلك، أن هذه الأرض التي قد مدها الحق تعالى في البرزخ، وعَيّنَ منها موضعاً لهذه الأجساد التي تلبسها الروحانيات، وتنتقل إليها النفوس عند النوم وبعد الموت، فنحن من بعض عالمها، فإن الموت بين النشأتين الدنيا والآخرة حالة برزخية، تعمر الأرواح فيها أجساداً برزخية خيالية، مثل ما أعمرتها في النوم، وهي أجساد متولدة عن هذه الأجسام، فإن الخيال قوة من قواها، فما برحت أرواحها منها أو مما كان منها، فإذا قبض الله سبحانه الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية – حيث كانت – والعنصرية، أودعها صوراً جسدية في الحضرة البرزخية، التي هي الصور، ومن الصور هنالك ما هي مقيدة عن التصرف، ومنها ما هي مطلقة، كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء، ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار، ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه، وهو الذي تصدق رؤياه.

ومن رجال الله من ينفس الرحمن عنه بمشاهدة هذا العالم، يستصحبه ذلك دائماً، كما يستصحب الرؤيا النائم، فيخاطِب ويخاطَب، ولا يزال في صور دائماً، في لذة وفي نكاح إن جاءته شهوة جماع، ولا تكليف عليه ما دام في تلك الحال، لغيبته عن إحساسه في الشاهد، فينكح ويلتذ، ويولد له في عالم الخيال أولاد، فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه، ومنهم من يخرج ولده إلى عالم الشهادة، وهو خيال على أصله مشهود للحس، وهذا من الأسرار الإلهية العجيبة، ولا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال، كما حصل للجوهري، ذكر عن نفسه أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن، وكانت عليه جنابة، فجاء إلى شط النيل ليغتسل، فرأى وهو في الماء مثل ما يرى النائم، كأنه في بغداد،

وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين، وأولدها أولاداً، ثم رد إلى نفسه وهو في الماء، ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه، وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز، وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره في واقعته، فلما كان بعد أشهر، جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة تسأل عن داره، فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرهم، وقيل لها: متى تزوج؟ فقالت: منذ ست سنين، وهؤلاء أولاده مني، فخرج في الحس ما وقع في الخيال، وهذه من مسائل ذي النون المصري الستة التي تحيلها العقول.

وكل إنسان ذي خيال وتخيل إذا تخيل أمراً ما، فإن نظره يمتد إلى هذا البرزخ، لا يدري أنه ناظر ذلك في هذه الأرض، وفي هذه الحضرة التي يعمرها العالم الذي لا يتناهى، وما له طرف يُنتَهى إليه، وهو العامر الذي عمر الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، عمارة الصورة للرائي في الجسم الصقيل عمارة إفاضة، ومن هذه الأرض طرف يدخل في الجنة يسمى السوق.

الخيال أحق الموجودات باسم الإنسان الكامل:

إن خيـــال الكـــون أوســع حضـــرة	**مـن العقـل والإحسـاس بالبـذل والفضـل**
لـه حضـرة الأشـكال فـي الشـكل فـاعتبر	**تـراه يـرد الكـل فـي قبضـة الشـكل**
فـإن قلـت كـل فهـو جـزء معـين	**وإن قلـت جـزء قـام للكـل بالكـل**
فمـا ثَـمّ مِثْـلٌ غيـره متحقـق	**بموجـده فهـو الممثـل للمثـل**
فعلمـي بـه أحلـى إذا مـا طعمتـه	**وأشـهى إلـى أذواقنـا مـن جنـى النحـل**

للخيال الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه، كما أن الحق له الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، فالخيال موجد لله عز وجل في حضرة الوجود الخيالي، والحق موجد للخيال في حضرة الانفعال الممثل، وإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه، فهو على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل، فإنه ما ثَمّ على الصورة الحقية مثله، فإنه يوجد في نفسه كل معلوم، والحق نسبة الموجودات إليه مثل هذه النسبة، فمع كون الخيال من الموجودات الحادثة، إلا أن له هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قَبِلَ شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه، علمت أنه في غاية الوصلة.

تجلي الحق في الحضرة الخيالية

الخيال من جملة ما خلق الله، وهو رحم يصور الله فيه ما يشاء، فظهر لنا سبحانه فيه بأسمائه وصفاته صوراً، فإن المواطن تحكم بنفسها في كل ما ظهر فيها، فمن مر على موطن انصبغ به، والدليل الواضح في ذلك رؤيتك الله تعالى في النوم، وهو موطن الخيال، فلا ترى الحق فيه إلا صورة جسدية، كانت تلك الصورة ما كانت، فهذا حكم الموطن، قد حكم عليك في الحق أنك لا تراه إلا هكذا، كما أنك إذا دخلت موطن النظر العقلي، وخرجت عن خزانة الخيال وموطنه، لا تدرك الحق تعالى إلا منزهاً عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال، والحكم على الله أبداً بحسب الصورة التي يتجلى فيها، فما يصح لتلك الصورة من الصفة التي تقبلها، فإن الحق يوصف بها ويصف بها نفسه، وهذا في العموم، إذا رأى الحق أحد في المنام في صورة — أي صورة كانت — حمل عليه ما تستلزمه تلك الصورة التي رآه فيها من الصفات، وهذا ما لا ينكره أحد في النوم، ومن رجال الله من يدرك تلك الصورة في حال

اليقظة، ولكن هي في الحضرة الخيالية التي يراه فيها النائم لا غير، وهذه المرتبة يجتمع فيها الأنبياء والأولياء رضي الله عنهم، فما ظهرت صورة في جوهر العالم إلا ظهرت بجميع أحكامها، سواء كانت الصورة محسوسة أو متخيلة، فإن أحكامها تتبعها، كما قال الأعرابي لما سمع رسول الله ﷺ يصف الحق جل جلاله بالضحك، قال: لا نعدم خيراً من رب يضحك، إذ من شأن من يضحك أن يتوقع منه وجود الخير، فكما أتبع الصورة الضحك، أتبعها وجود الخير منها، وهذا في الجناب الإلهي، فكيف في جوهر العالم؟

واعلم أن للحق سبحانه في القلوب تجليين، التجلي الأول في الكثائف، وهو تجليه في الصور التي تدركها الأبصار والخيال، مثل رؤية الحق في النوم، ويعرف أنه الحق، ولا يشك الرائي، وكذلك في الكشف، ويقول له عابر الرؤيا: حقاً رأيت، وهو في الخيال المتصل، فيظهر تجلي الحق في الصور التي ينكر فيها، أو يُرَى في النوم، فيُرى الحق في صورة الخلق بسبب حضرة الخيال، فإن صاحب الرؤيا إذا رأى ربه تعالى كفاحاً في منامه – في أي صورة يراه – فيقول: رأيت ربي في صورة كذا وكذا، ويصدق، مع قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١]، فنفى عنه المماثلة في قبوله التجلي في الصور كلها، التي لا نهاية لها لنفسه، فإن كل ما سواه تعالى ممن له التجلي في الصور، لا يتجلى لشيء منها لنفسه، وإنما يتجلى فيها بمشيئة خالقه وتكوينه، فيقول للصورة التي يتجلى فيها من هذه صفته: كن، فتكون الصورة، فيظهر بها من له هذا القبول من المخلوقين، كالأرواح والمتروحنين من الأناسي، كقضيب البان كان له مقام التحول في الصور، كما للروحانيين التشكل في صور بني آدم، فلا يعرف أنه ملك، يقول الله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٨]، فجعل التركيب لله لا له، وفي نسبة الصورة لله يقال: في أي صورة شاء ظهر، من غير جعل جاعل، والتجلي الآخر في حال التخيل في عبادتك، فإنه ﷺ ما ينطق عن الهوى، وقد صح عنه أنه قال لجبريل ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»، فهذا تنزيل خيالي، فأدخل سبحانه نفسه في التخيل من أجل كاف التشبيه، فإن الإحسان عيان وفي منزلة كأنه عيان، وهو إنزال المعنى الروحاني إلى المحسوس في العيان، وليس إلا الخيال، الحاكم بالوجوب والوجود في الممكن والمحال، فجاء بكأن، ولذلك قال ﷺ للصحابي الذي قال: «كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، فقال له ﷺ: عرفت فالزم»، وهذا التجلي الآخر، ألطف من تجلي الحس بما لا يتقارب، ولهذا يسرع إليه التقلب من حال إلى حال.

لهذا يتخيل من لا معرفة له بما ينبغي لجلال الله ويتصوره، فإن الشرع قد جاء في أماكن يقرر ما ضبطه الخيال المتصل، من كينونة الحق في قبلة المصلي، وفي مواجهة المصلي إياه، فقبِلَه الخيال المتصل، فإذا تحكم الخيال المتصل على الحق بتصوره، فما ظنك بالخيال المطلق، الذي هو كينونَة الحق فيه، وهو العماء، والخيال المتصل من بعض وجوه الخيال المطلق، الذي هو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة، فمن تلك القوة ضبطه الخيال المتصل، وفي حضرة الخيال المطلق المنفصل لابد أن يتخيل المحتَضَر ما يعتقده، فإنه ليس في قوته أن يجرده عن الخيال وهو عند الاحتضار، فللاحتضار حال استشراف على حضرة الخيال الصحيح، ما هو الخيال الذي هو قوة في الإنسان في مقدم دماغه.

ولما لم يكن له تعالى ظهور إلى خلقه إلا في صورة، وصوره مختلفة في كل تجلٍ، لا تتكرر صورة، فإنه سبحانه لا يتجلى في صورة مرتين، ولا في صورة واحدة لشخصين، ولما كانَ الأمر كذلك، لم ينضبط للعقل ولا للعين ما هو الأمر عليه، ولا يمكن للعقل تقييده بصورة ما من تلك الصور، فإنه

ينتقض له ذلك التقييد في التجلي الآخر بالصورة الأخرى، وهو الله في ذلك كله، لا يشك ولا يرتاب إلا إذا تجلى له في غير معتقَدِه، فإنه يتعوذ منه كما ورد في صحيح الأخبار، فيعلم أن ثَمّ في نفس الأمر عيناً تقبل الظهور في هذه الصور المختلفة، لا يعرف لها ماهية أصلاً ولا كيفية، وإذا حكم بكيفية، فيقول: الكيفية ظهورها فيما شاء من الصور، فتكون الصور مشاءة، وكل مشاء معدوم بلا شك، فما ظهر لك إلا حادث في عين قديم، فما رأيت إلا حادثاً مثلك، لأنك ما رأيت إلا صورة يقيدها نظرك ببصر هو الحق، في عين هو الحق، أعني في العين التي ظهرت في تلك الصورة، فهو مُدْرَكٌ عيناً في الآخرة والنومِ علماً وشرعاً، وغير مدرك علماً، ولا نشك – إيماناً وكشفاً لا عقلاً – أن بهويته أدرَك المدرِك جميع ما يدرك.

الخيال هو الواسع الضيق:

لما كان الخيال يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور، لهذا كان واسعاً، قال رسول الله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه»، «والله في قبلة المصلي»، أي تخيله في قبلتك وأنت تواجهه، لتراقبه وتستحي منه وتلزم الأدب معه، وأما ما في الخيال من الضيق، فإنه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمراً من الأمور الحسية والمعنوية، والنسب والإضافة، وجلال الله وذاته، إلا بالصورة، ولو رام أن يدرك شيئاً من غير صورة لم تعط حقيقته ذلك، فمن هنا هو ضيق في غاية الضيق، فإنه لا يجرد المعاني عن المواد أصلاً، ولهذا كان الحس أقرب شيء إليه، فإنه من الحس أخذ الصور، وفي الصور الحسية يجلي المعاني، فهذا من ضيقه، فالخيال أوسع المعلومات، ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء، عجز أن يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها، فيرى العلم في صورة لبن أو عسل، ويرى الإسلام في صورة قبة وعمد، ويرى القرآن في صورة سمن وعسل، ويرى الدين في صورة قيد، ويرى الحق في صورة إنسان، وفي صورة نور، فهو الواسع الضيق.

الأجسام والأجساد:

اعلم أن كل منظور إليه بالبصر من الأجسام جسم، فالجسمية حكم عام، ونرى فيها صوراً مختلفة، منها ما يكون سريع الزوال، ومنها ما يبطئ في النظر، والجسم جسم لم يتبدل، وليس الموصوف بما ظهر إلا الجسم، وكذلك الصور الروحانية والتجلي الإلهي، وهذا علم فيه إشكال عظيم، والتخلص منه بطريق الفكر عسير جداً، والجسماني ما هو الجسم، وإنما هو ما لا تظهر له عين إلا بقيامه بالجسم أو الجوهر، وهو ما يقوم به من الصفات التي محلها الأجسام، وكذلك الروح والروحاني، وأما الجسد – قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[ص: ٣٤] – فهو كل روح أو معنى ظهر في صورة جسم نوري أو عنصري حتى يشهده السوا.

والفرقان بين الأجسام والأجساد، أن الأجسام هي هذه المعروفة في العموم، لطيفها وشفّافها وكثيفها، ما يُرى منها وما لا يُرى، والأجساد هي ما يظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثلة في صور الأجسام، وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس، وهي في نفسها ليست بالأجسام، ولما أراد الله بقاء الأرواح على ما قبلته من التمييز، خلق لها أجساداً برزخية، تميزت فيها هذه الأرواح عند انتقالها عن هذه الأجسام الدنياوية، في النوم وبعد الموت، وخلق لها في الآخرة

أجساما طبيعية، كما جعل لها في الدنيا ذلك، غير أن المزاج مختلف، فنقلها عن جسد البرزخ إلى أجسام نشأة الآخرة، فتميزت أيضاً بحكم تميز صور أجسامها، ثم لا تزال كذلك أبد الآبدين، فلا ترجع إلى الحال الأول من الوحدة العينية أبداً، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[النساء: ١].

فما ظهرت قدرة الحي القيوم إلا في إنشاء الجسوم، وما ثَمّ إلا رسم، فما ثَمّ إلا جسم، لكن الأجسام، مختلفة النظام، فمنها الأرواح اللطائف، ومنها الأشباح الكثائف، والصفات والأعراض توابع، لهذا الجسم الجامع، فإنه مركب، والمركب مركب، فإن كل مخلوق لابد له من صورة وروح مدبر لهذه الصورة، والصورة التي جعلها الله تنقسم قسمين: صورة جسمية عنصرية تتضمن صورة جسدية خيالية، والقسم الآخر صورة جسمية نورية، وهو صورة أجسام الملائكة، ولما أكمل الله تعالى هذه الصور النورية والعنصرية، بلا أرواح تكون غيباً لهذه الصور، تجلى لكل صنف من الصور بحسب ما هي عليه، فتكون عن الصور وعن هذا التجلي أرواح الصور، فخلق الأرواح وأمرها بتدبير الصور، وكان تميز الأرواح بحسب قبول الصور من ذلك التجلي، وليست الصور بأينيات لهذه الأرواح على الحقيقة، إلا أن هذه الصور لها كالمُلك في حق الصور العنصرية، وكالمظاهر في حق الصور كلها، والأرواح المدبرة حكمها في الأجسام النورية، تشكلها في الصور خاصة، كما أن حكمها في الأجسام الحيوانية التشكل في القوة الخيالية، مع غير هذا من الأحكام، فإن الأجسام النورية لا خيال لها، بل هي عين الخيال، والصور تقلباتها عن أرواحها المدبرة لها، وكما لا يخلو خيال الإنسان عن صورة، كذلك ذات المَلَك لا تخلو عن صورة، والخيال أوسع من الأرواح في التنوع في الصور، فإن الأرواح أقبل للتشكل في الصور من سائر العناصر، والخيال يقبل ما له صورة ويصور ما ليست له صورة.

وقد أحدث الله الصور الجسدية الخيالية بتجل آخر بين اللطائف والصور، وتتجلى في تلك الصور الجسدية الصور النورية والنارية ظاهرة للعين، وتتجلى الصور الحسية حاملة للصور المعنوية في هذه الصور الجسدية، في النوم وبعد الموت وقبل البعث، وهو البرزخ الصوري، وهو قرن من نور، أعلاه واسع وأسفله ضيق، فإن أعلاه العماء وأسفله الأرض، وهذه الأجساد الصورية التي يظهر فيها الجن والملائكة وباطن الإنسان، وهي الظاهرة في النوم وصور سوق الجنة، وهي هذه الصور التي تعمر أرض الحقيقة، أرض السمسمة.

واعلم أن الأرواح لها اللطافة، فإذا تجسدت وظهرت بصورة الأجسام كثفت في عين الناظر إليها، والملائكة لما كانوا من عالم السخافة واللطف، قبلوا التشكل فيما يريدونه من الصور الحسية، فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني، إنما هي أول صورة قَبِل عندما أوجده الله تعالى، ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها، والأجسام لها الكثافة، شفّافها وغير شفّافها، فإذا تحولت في الصور في عين الرائي أو احتجبت مع الحضور، فقد تروحنت، أي صار لها حكم الأرواح في الاستتار وتنوع الصور عليها، فالإنس يتلطف معناه بحيث يظهر في ألطف من صورة الجن، فيسري بذاته في باطن الجن سريان الجن في باطن الإنس، فيجهله الجني ويتخيل أن ذلك من حكم نفسه عليه، وهو حكم هذا الإنسي المتروحن، وأما سبب كثافة الأرواح وهي من عالم اللطف، فلكونهم خلقوا من الطبيعة، وإن كانت أجسامهم نورية فمن نور الطبيعة، فلهذا قبلوا الكثافة، فظهروا بصور الأجسام الكثيفة، وأما الكثيف يرجع لطيفا فسببه التحليل، فإن الكثائف من عالم الاستحالة، وكل ما يقبل الاستحالة يقبل الصور المختلفة والمتضادة.

وإذا تجلى الروح في صورة طبيعية مشى الحكم عليها، من حيث قبول تلك الصورة للظاهر والباطن، فإن الأعيان التي من حقيقتها أن لا تكون على صورة طبيعية جسدية في نفسها، إذا ظهرت لمن ظهرت له في صورة طبيعية جسدية في عالم التمثيل، كالملك يتمثل بشراً سوياً، وكالتجلي الإلهي في الصور، فظهر جبريل في صورة أعرابي بكلامه وحركته المعتادة من تلك الصورة في الإنسان، وهي في الصورة الممثلة كما هي في الإنسان، أو هي من الصورة كما هي الصورة المتخيلة أيضا، ويتبع تلك الصورة جميع أحكامها، من القوى القائمة بها في الإنسان، كما قام بها الكلام والحركة والكيفيات الظاهرة، فهو في الحقيقة إنسان خيالي، فإذا ذهبت تلك الصورة ذهبت أحكامها لذهابها، فما ظهرت صورة في جوهر العالم إلا ظهرت بجميع أحكامها، سواء كانت تلك الصورة محسوسة أو متخيلة، فإن أحكامها تتبعها، فإذا قبل الروح الصورة الطبيعية في الأجساد المتخيلة – لا في الأجسام المحسوسة التي جرت العادة بإدراكها – مشى الحكم عليها، فإن الأجساد المتخيلة أيضا معتادة الإدراك، لكن ما كل من يشهدها يفرق بينها وبين الأجسام الحقيقية، ولهذا لم يعرف الصحابة جبريل حين نزل في صورة الأعرابي، وما علمت أن ذلك جسد متخيل، حتى عرفهم النبي ﷺ لما قال لهم "هذا جبريل"، ولم يقم بنفسهم شك أنه عربي، وكذلك مريم حين تمثل لها الملك بشراً سوياً، لأنه ما كانت عندها علامة في الأرواح إذا تجسدت، وكذا إبراهيم الخليل ولوط عليهما السلام، وكذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة، فيتعوذون منه لعدم معرفتهم به، فكان الحكم في الجناب الإلهي والروحاني من الصور، سواء في حق المتجلى له، من الجهل به، فلابد لمن اعتنى الله به من علامة يعرف بها تجلي الحق، من تجلي الملك، من تجلي الجان، من تجلي البشر إذا أعطوا قوة الظهور، كقضيب البان وأمثاله، فإذا كان البشر بهذه النشأة الترابية العنصرية، له قوة التحول في الصور في عين الرائي وهو على صورته، فهذا التحول في الأرواح أقرب، وهذا من باب المعرفة في علم الخيال.

فمن ظهر في صورة كان له حكمها، بحسب ما تقرر في العرف والوضع العادي والشرعي، ألا ترى الروح الجني إذا لبس صورة الحية، والحُكْمُ فيها منا القتل، قتلناه لصورته، ولو علمنا أنه جان ما قتلناه، كما انتقل حكم الصورة في الجان، فحكمت عليه أنه حية عاملناه، فحكمنا في تلك الصورة، روينا حديثا عن شخص من جن وفد نصيبين، الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ لهؤلاء الوفد من الجن، لما كان لهم الظهور في أي صورة شاؤوا، فحَكَمَ عليهم أنه من تصور في غير صورته فقُتِلْ، فلا عَقْلَ فيه ولا قَوَد، فإنه من قتل حية أو عقرباً لا يقتل به ولا تؤخذ فيه دية، فمن ظهر في صورة مَنْ هذا حكمه، انسحب عليه هذا الحكم.

والعالم الروحاني إذا تشكل وظهر في صورة حسية يقيده البصر، بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة، ما دام البصر ينظر إليه بالخاصية، ولكن من الإنسان، فإذا قيده ولم يبرح ناظراً إليه، وليس له موضع يتوارى فيه، أظهر له هذا الروحاني صورة جعلها عليه كالستر، ثم يخيل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة، فيتبعها بصره، فإذا أتبعها بصره خرج الروحاني عن تقييده، فغاب عنه، وبمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي أتبعها بصره فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره، فإذا غاب جسم السراج فُقِدَ ذلك النور، فهكذا هذه الصورة، فمن يعرف هذا ويحب تقييده، لا يتبع الصورة بصره، وهذا من الأسرار الإلهية التي لا تعرف إلا بتعريف الله، وليست الصورة غير عين الروحاني، بل هي عينه ولو كانت في ألف مكان، أو في كل مكان ومختلفة الأشكال، وإذا

اتفق قتل صورة من تلك الصور وماتت في ظاهر الأمر، انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ، كما ننتقل نحن بالموت، ولا يبقى له في عالم الدنيا حديث مثلنا سواء، وتسمى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيات أجساداً.

واعلم أن الأرواح المدبرة لا تتبدل تبدل الصور، لأنها لا تقبل التبديل لأحديتها، وإنما يقبل التبديل المركب من أجسام وأجساد، حساً وبرزخاً، فتتجسد الأرواح المفارقة لاجتماع أجسامها في الحياة الدنيا، المسمى موتاً، فتتجسد أرواح الأنبياء والملائكة والصالحين في صور المعاني المتجسدة في صور المحسوسات، فإذا تجلى المعنى وظهر في صورة حسية، تبعه الروح في صورة ذلك الجسد، كان ما كان، لأن الأرواح المدبرة تطلب الأجسام طلباً ذاتياً، فحيث ما ظهر جسم أو جسد، حساً كان ذلك أو معنى تجسد، فإن الروح تلزمه أبداً، واعلم أن الروح الإنساني أوجده الله حين أوجده، مدبراً لصورة طبيعية حسية له، سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان، فأول صورة لبستها، الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار بربوبية الحق عليه، ثم إنه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية، وحبس بها في رابع شهر من تكوين صورة جسده في بطن أمه إلى ساعة موته، فإذا مات حشر إلى صورة أخرى، من حين موته إلى وقت سؤاله، فإذا جاء وقت سؤاله، حشر من تلك الصورة إلى جسده الموصوف بالموت، فيحيا به، ويؤخذ بأسماع الناس وأبصارهم عن حياته بذلك الروح، إلا من خصه الله تعالى بالكشف على ذلك، من نبيّ أو وليّ من الثقلين، وأما سائر الحيوان فإنهم يشاهدون حياته وما هو فيه عيناً، ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ يمسك فيها بل تلك الصورة هي عين البرزخ، والنوم والموت في ذلك على السواء، إلى نفخة البعث، فيبعث من تلك الصورة ويحشر إلى الصورة التي كان فارقها في الدنيا، إن كان بقي عليه سؤال، فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف، حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة، والمسؤول يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله، حُشِرَ في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار، وأهل النار كلهم مسؤولون، فإذا دخلوا الجنة واستقروا فيها، ثم دعوا إلى الرؤية وبادروا، حشروا في صورة لا تصلح إلا للرؤية، فإذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة، وفي كل صورة ينسى صورته التي كان عليها، ويرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها وحشر فيها، فإذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور، فأية صورة رآها واستحسنها حشر فيها، فلا يزال في الجنة دائماً يحشر من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له، ليعلم بذلك الاتساع الإلهي.

أثر الخيال في العلم:

نحن لا نقول: إن العلم تصور المعلوم على ما قاله صاحب النظر، وإنما العلم دَرْكُ ذات المطلوب على ما هو عليه في نفسه، فالعلوم – وأعني المعلومات – إذا ظهرت بذواتها للعلم، وأدركها العلم على ما هي عليه في ذواتها، فذلك العلم الصحيح والإدراك التام، الذي لا شبهة فيه البتة، وسواء كان ذلك المعلوم وجوداً أو عدماً، أو نفياً أو إثباتاً، أو كثيفاً أو لطيفاً، أو رباً أو مربوباً، أو حرفا أو معنى، أو جسما أو روحا، أو مركبا أو مفردا، أو ما أنتجه التركيب، أو نسبة أو صفة أو موصوفا، فمتى ما خرج شيء مما ذكرناه عن أن يبرز للعلم بذاته، وبرز له في غير صورته، فبرز العدم له في صورة الوجود وبالعكس، والنفي في صورة الإثبات وبالعكس، واللطيف في صورة الكثيف وبالعكس، والرب بصفة المربوب، والمربوب بصفة الرب، والمعاني في صور الأجسام، كالعلم في صورة اللبن، والثبات في الدين

في صورة القيد، والإيمان في صورة العروة، والإسلام في صورة العمد، والأعمال في صور الأشخاص من الجمال والقبح، فذلك هو الكدر الذي يلحق بالعلم، فيحتاج من ظهر له هذا، إلى قوة إلهية تعديه من هذه الصورة إلى المعنى الذي ظهر في هذه الصورة، فيتعب، وسبب ذلك حضرة الخيال والتمثل والقوة المفكرة، وأصل ذلك هذا الجسم الطبيعي، وهو المعبر عنه بالحوض، وقعر هذا الحوض هو خزانة الخيال، وكدر ماء هذا الحوض المستقر في قعره، هو ما يخرجه الخيال والتخيل عن صورته، فيطرأ التلبيس على الناظر بما ظهر له، فما يدري أي معنى لبس هذه الصورة، فيتحير، ولا يتخلص له ذلك أبدا من نظره إلا بحكم الموافقة، وهو على غير يقين محقق فيما أصاب من ذلك إلا بإخبار من الله.

الحوض منزل وصف الماء بالكدر ... وهي العلوم التي تختص بالبشر
فالماء في العين صاف ما به كدر ... والقعر يظهر ما فيه من الكدر
وعلة الرتق كون الفكر ينتجه ... فاطلب من العلم ما يسمو عن الفكر
إن الخيال إذا جاءته قيدها ... بالفكر في عالم الأجساد والصور
والفكر من صورها وقتاً يخلصها ... لكنه غير معصوم من الضرر

والمدرك والمدرَك كل واحد منهما على ضربين: مدرِكٌ يعلم وله قوه التخيل، ومدرِك يعلم وما له قوة التخيلِ، والمدرَك بفتح الراء على ضربين، مدرَك له صوَرة، يعلمه بصورته من ليس لهَ قوة التخيل ولا يتصوره، ويعلمه ويتصوره من له قوة التخيل، ومدرَكٌ ما له صورة يُعْلَمُ فقط، ولما كانت الموجودات على قسمين: قديم وحادث، والموجود أياً كان يطلق عليه الوجود في أربع مراتب، وبعض المعلومات له في الوجود الأربع مراتب: ذهني وعيني ولفظي وخطي، والمراد بالذهن هنا الخيال، ولكن في كل معلوم يُتَخيّل خاصة، وفي كل عالِم يَتَخَيل، لأنه يطابق العين في الصورة، واللفظي والخطي ليسا كذلك، فإن اللفظ والخط موضوعان للدلالة والتفهيم، فلا يتنزل من حيث الصورة على الصورة، ولذلك إذا وقعت المشاركة التي تُبْطِلُ الدلالة، افتقرنا إلى النعت والبدل وعطف البيان، ولا يدخل في الذهني مشاركةٍ أصلاً، فما كل معلوم يُتَصَوّر، ولا كل عالِم يَتَصَور، فإن التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلاً، والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال، وثَمّ معلومات لا يمسكها الخيال أصلا، فثبت أنها لا صورة لها، فيتصور العالِم المعلوم إذا كان العالِم ممن له خيال وتخيل، إلا أن الخيال له قوة وسلطان، فيعم جميع المعلومات ويحكم عليها ويجسدها، وهو من الضعف بحيث لا يستطيع أن ينقل المحسوس إلى المعنى، كما ينقل المعنى إلى الصورة الحسية، ومن ضعفه أنه لا يستقل بنفسه، فلابد أن يكون حكمه بين اثنين، بين متخيَّلٍ اسم مفعولٍ ومتخيِّلٍ اسم فاعلٍ، ولهذا ليس للخيال قوة الإبداع.

والإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوى الحسية، وهي على خمس: الشم والطعم واللمس والسمع والبصر، إذا كان المعلوم محسوساً، ويختلف إدراك المدركات من القرب والبعد، وأما القوة الخيالية فإنها لا تضبط إلا ما أعطاه الحس، إما على صورة ما أعطاها، وإما على صورة ما أعطاه الفكر من حمله بعض المحسوسات على بعض، وأما القوة العقلية فلا يصح أن يقبل العقل إلا ما علمه بديهة، أو ما أعطاه الفكر، وكل مدرك بقوة من القوى الظاهرة والباطنة التي في الإنسان فإنه يُتَخَيّل، وإذا تخيله الإنسان سكن إليه، فلا يقع السكون إلا لمتخيَّل من متخيِّل، وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم، وفي الخبر الصحيح «اعبد الله كأنك تراه» فلهذا كانت عقائد، والعقائد محلها الخيال، وإن قام الدليل على أن الذي اعتقده، ليس بداخل ولا خارج، ولا يشبه شيئا من المحدثات، فإنه لا يسلم من

الخيال أن يضبط أمراً، لأن نشأة الإنسان تعطي ذلك، والحكم تابع لذات الحاكم، بقبول ما يعطيه المحكوم عليه، وليس المحكوم عليه هنا إلا المتخيَّل، وهو المعتقد، فانظر ما أخفى وأقوى سريان الخيال في الإنسان، فما سَلِمَ إنسان من خيال ولا وهم، وكيف يسلم ولا خروج للعقل عن هذه الإنسانية ؟! فلو انعدمت انعدم هذا الحكم، فهو يوجد ما وجِدَت.

إدراك الخيال بعين الحِس وعين الخيال:

اعلم وفقك الله أنه لولا النور ما أدرك البصر شيئاً، فجعل الله الخيال نوراً، يدرك به تصوير كل شيء، أي أمر كان، فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجوداً، فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية، فنوره لا يشبه الأنوار، وبه تُدْرَك التجليات، وهو نور عين الخيال لا نور عين الحِس، والخيال لا يكون فاسداً قط، فمن قال بفساده فإنه لا يعرف إدراك النور الخيالي، فإن هذا القائل يخطئ الحس في بعض مدركاته، وإدراكه صحيح، والحكم لغيره لا إليه، فالحاكم أخطأ لا الحس، كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك، وما له حكم، وإنما الحكم لغيره وهو العقل، فلا ينسب إليه الخطأ، فما ثَمّ خيال فاسد قط، بل هو صحيح كله، فالخيال كله حق ما فيه شيء من الباطل، والمتخيل منه حق ومنه باطل، إلا أن المعَبِّر عنه يصيب ويخطئ، بحسب ما يراه في نزوله بالمواطن، فإن المصيب من لم يتعد بالحقائق مراتبها، وإلى حضرة الخيال يصير الإنسان في نومه وبعد موته، فيرى الأعراض صوراً قائمة بنفسها، تخاطبه ويخاطبها، أجساداً لا يشك فيها، والمكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه، والميت بعد موته، كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً، ويرى الموت كبشاً أملح يذبح، والموت نسبة مفارقة عن اجتماع.

فالمكاشف يدرك ما أدركه بنور الخيال، كما يدركه النائم ورفيقه جنبه مستيقظ لا يرى شيئاً، كذلك صاحب الكشف، ولو سألت صاحب الكشف: هل ترى ظلمة في حال كشفك ليلا؟ لقال: لا، بل يقول: أنارت البقعة حتى قلت: إن الشمس ما غابت، فأدركتُ المبصرات كما أدركها نهاراً، وهذه مسألة ما رأيت أحداً نبه عليها إلا إن كان وما وصل إلي، فصاحب الكشف إذا أظلم الليل وانغلق عليه باب بيته، ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر، وقد تساويا في عدم الكشف للمبصرات، فيكون أحدهما ممن يكشف له في أوقات، فيتجلى له نور، يجتمع ذلك النور مع نور البصر، فيدرك ما في ذلك البيت المظلم، مما أراد الله أن يكشف له منه، كله أو بعضه، يراه كما يراه بالنهار أو بالسراج، ورفيقه الذي هو معه، لا يرى إلا الظلمة، غير ذلك لا يراه، فإن ذلك النور ما تجلى له حتى يجتمع بنور بصره، فالكون كله مظلم، فلا يُرى إلا بالنورين، فكل ما يدركه المكاشف من مقامات، لا يدركها إلا بعين الخيال إذا شوهدت، فإن صورها إذا مَثَّلها الله –فيما شاء أن يمثلها– متخيلة، فتراها أشخاصاً رأي العين، كما ترى المحسوسات بالعين، وكما ترى المعاني بعين البصيرة، فإن الله إذا قلل الكثير وهو كثير في نفس الأمر، أو كثر القليل وهو قليل في نفس الأمر، فما تراه إلا بعين الخيال لا بعين الحس، وهو البصر نفسه في الحالين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]، وقال ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[آل عمران: ١٣]، وما كانوا مثليهم في الحس، فلو لم ترهم بعين الخيال، لكان ما رأيت من العدد كذباً، ولكان الذي يريه غير صادق فيما أراه إياك، وإذا كان الذي أراك ذلك أراكه بعين الخيال، كانت الكثرة في القليل حقاً، والقلة في الكثرة

حقاً، لأنه حق في الخيال، وليس بحق في الحس، كما أراك اللبن في الخيال فشربته، و لم يكن ذلك اللبن سوى عين العلم، فما رأيته لبناً وهو علم إلا بعين الخيال، ورأيت تلقينك ذلك العلم ممن تلقنته، في صورة شربك اللبن كذلك في عين الخيال، والعلم ليس بلبن، والتلقين ليس بشرب، وقد رأيته كذلك، فلو رأيته بعين الحس لكان كذباً، لأنك رأيت الأمر على خلاف ما هو عليه في نفسه، فما رأيته إلا بعين الخيال في حال يقظتك، وإن كنت لا تشعر أنت بذلك، فكذلك هو في نفس الأمر، لأن الله صادق فيما يعلمه، وهو في الخيال صدق كما رأيته، وكذلك تلقيك العلوم من الله بالضربة باليد، فعَلِمَ المضروب بتلك الضربة علم الأولين والآخرين، والعلم لا يحصل إلا بالتعليم بالخطاب من المعلم، أو بخَلْق في النفس ضرورة، وقد حصل في حضرة الخيال بالضرب، فلابد أن يكون الضرب مخيلا، والمضْروب في عينه مخيلاً، إن كان في نوم أو يقظة، لصدق الذي يُري ذلك وهو الله، كما قال الله تعالى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[طه: ٦٦]، و لم تسع في نفس الأمر، وهكذا كل ما تراه على خلاف ما هو عليه في نفسه، ما تراه إلا بعين الخيال، حتى يكون صدقاً، ولهذا يُعَبِّر كل ما وقع من ذلك، أي يجوز به العابر إلى المعنى الذي أراد الله بتلك الصورة.

ومن الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس، ومن الناس من يدركه بعين الخيال، وأعني في حال اليقظة، مثل تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشراً سويا، هل أدركته بالبصر الحسي أو بعين الخيال؟ فتكون ممن أدرك الخيال بالخيال، وأما في النوم فبعين الخيال قطعا، فإذا أراد الإنسان أن يفرق في حال يقظته – حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة – فلينظر إلى المتخيل وليقيده بنظره، فإن اختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكوينات، وهو لا ينكر أن ذلك بعينه، ولا يقيده النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحرباء في اختلاف الألوان عليها، فذلك عين الخيال بلا شك، ما هو عين الحس، فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس، وقليل من يتفطن إلى هذا، ممن يدعي كشف الأرواح النارية والنورية إذا تمثلت لعينه صوراً مدركة، لا يدري بما أدركها، هل بعين الخيال أو بعين الحس؟ وكلاهما – أعني الإدراكين – بحاسة العين، فإنها تعطي الإدراك بعين الخيال وبعين الحس، وإذا أدركت عين المتخيِّل و لم تغفل عنه، ورأته لا تختلف عليه التكوينات، ولا رأته في مواضع مختلفات معاً في حال واحدة، والذات واحدة لا يشك فيها، ولا انتقلت ولا تحولت في أكوان مختلفة، فتعلم أنها محسوسة لا متخيلة، وأنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال، ومن هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى، وهو منزه عن الصور والمثال، وضبط الإدراك إياه وتقييده، ومن العلم أن الخيال يُدرَك بنفسه – نريد بعين الخيال – أو يدرك بالبصر، فيدرك الإنسان بعين الخيال الصور الخيالية والصور المحسوسة معاً، فيدرك المتخيِّل الذي هو الإنسان بعين حسه وقتاً ما هو متخيَّل، كقوله صلى الله عليه وسلم: «مثلت لي الجنة في عرض هذا الحائط»، فأدرك بعين حسه، وإنما قلنا بعين حسه، لأنه تقدم حين رأى الجنة ليأخذ قطفا منها، وتأخر حين رأى النار وهو في صلاته، ونحن نعرف أن عنده من القوة، بحيث إنه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسه، ما أثر في جسمه تقدما ولا تأخرا، فالخيال يُدرَك بنفسه أي بعين الخيال ويدرك بالبصر، وهو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، بين حاسة العين وعين الحس، فلا تغفل عن مثل هذا العلم، وفرِّق بين الأعين، وأعلم أنك لا تقدر على ذلك إلا بقوة إلهية، يعطيها الله من شاء من عباده، فتعرض لتحصيل هذه القوة من الله، فإنك مخبر بما رأيت أنك رأيته بحسك، و لم يكن الأمر كذلك، فتحرز في العبارة فيما تراه، كما يفعله المنصف، ألا ترى الصحابة لو وفوا النظر حقه، وأعطوا

المراتب حقها، لم يقولوا في جبريل ﷺ: إنه دحية الكلبي، ولقالوا: إن لم يكن روحانيا تجسد وإلا فهو دحية الكلبي، أدركناه بالعين الحسي، فلم يحرروا ولا أعطوا الأمر الإلهي حقه، فهم الصادقون الذين ما صدقوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: هو جبريل، فحينئذ عرفوا ما رأوا وبماذا رأوا، كما قالوا فيه لما تمثل لهم في صورة أعرابي مجهول عندهم، حين جاء يعلم الناس دينهم، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون من السائل؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم» لكونه ظهر في صورة مجهولة عندهم، فقال لهم: «هذا جبريل» فإن كان هذا الحديث بعد حديث دحية فقولهم: «الله ورسوله أعلم»، يحتمل أنهم أرادوا احتمال المعنى، أو الصورة الروحية، أو يكون إنسانا في نفس الأمر، وإن كان هذا الحديث أولاً، فما جهلوا أنه إنسان، ولكن جهلوا اسمه ولمن ينتسب من قبائل العرب.

فلا يعرف الرائي أنه أدرك ما أدركه بعين الخيال، ما لم يعلم المدرَك ما هو؟ وما في الكون أعظم من شبهة من التباس الخيال بالحس، فإن الإنسان إن تمكن في هذا النظر شك في العلوم الضرورية، وإن لم يتمكن فيه أنزل بعض الأمور غير منزلتها، فإذا أعطاه الله قوة التفصيل، أبان له عن الأمور إذا رآها بأي عين رآها، فيعلم ماهي إذا علم العين التي رآها بها من نفسه، فآكد ما على أهل الله علم هذا العلم، وكثير من أهل الله من لا يجعل باله لما ذكرناه، ولولا علمه بنومه فيما يراه أنه رآه في حال نومه، ما قال إنه خيال، فكم يرى في حال اليقظة مثل هذا ويقول: إنه رأى محسوساً بحسه، ألا تراه ﷺ في صدق رؤياه، أنه ما يجري على نفسه حال في جسده، إلا ويظهر ذلك له في صورة مجسدة إذا هو نام، فيحكم على محسوسه بما علمه من صورة متخيلة، فقيل له في الوضوء عندما نام ونفخ فلم يتوضأ، وصلى بالوضوء الذي نام عليه: إن عيني تنامان ولا ينام قلبي، يقول إنه لما انقلب إلى عالم الخيال، رأى صورته هناك، وهو قد نام على طهارة، ما رأى أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء، فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه.

علاقة القوى الإنسانية بالخيال:

لما وصل الخلق إلى الإنسان الكامل، الذي أقامه الحق برزخا بين الحق والعالم — فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقاً ويظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقاً — جعله على ثلاث مراتب: عقل وحس وهما طرفان، وخيال وهو البرزخ الوسط بين الحس والمعنى، وجعل الله تعالى للروح الإنساني في الجسم — الذي جعله الله له مُلْكاً واستوى عليه — آلات طبيعية كالعين والأذن والأنف والحنك، وجعل فيها قوة سماها سمعاً وبصراً وغير ذلك، وخلق لهذه القوى الحسية وجهين: وجهاً إلى المحسوسات عالَم الشهادة، ووجهاً إلى حضرة الخيال، وجعل حضرة الخيال محلاً واسعاً، أوسع من عالم الشهادة، وجعل في القوى الإنسانية قوة تسمى الخيال، إلى قوى كثيرة روحانية معنوية، مثل المصورة والفكر والحفظ والوهم والعقل، وأمر الإنسان بالمحافظة على هذه القوى، فإذا لم يتحفظ الإنسان في غذائه، ولم ينظر في صلاح مزاجه وروحه الحيواني المدبر لطبيعة بدنه، اعتلت القوى وضعفت، وفسد الخيال والتصور من الأبخرة الفاسدة الخارجة من القلب، وضعف الفكر وقل الحفظ، وتعطل العقل بفساد الآلات التي بها يدرك الأمور، فإن المَلِكَ إنما هو بوزعته ورعاياه، وكذلك الأمر أيضا إن صلح، فإذا طرأ على محل قوة ما خلل، فإن حكمها يفسد ويتخبط، ولا يعطي علماً صحيحاً لمحل الخيال إذا طرأت فيه علة، فالخيال لا يبطل، وإنما يبطل قبوله الصحة فيما يراه علماً، وكذلك العقل وكل قوة روحانية، ولذلك فإن من

أجزاء الصديقية، العقل والفكر الصحيح، والخيال الصحيح، والإيمان بصدق المخبر وإن أحاله العقل الذي ليس بسليم، فإن بهذه القوى تدرك النفس الإنسانية الناطقة، في الإنسان الكامل والحيوان – وهو مطلق الإنسان – جميع ما يعطيها حقائق هذه القوى من المعلومات، واعلم أن القوى الخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة في الإنسان، بما هو حيوان من حيث الروح الحيواني، ولكنها في الإنسان أقوى منها في الحيوان، وخص الإنسان بالقوة المصورة والمفكرة والعاقلة، فيتميز عن الحيوان، وإليك تفصيل هذه القوى في الإنسان.

الحس:

الإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوى الحسية، وهي على خمس: الشم والطعم واللمس والسمع والبصر، إذا كان المعلوم محسوساً، ويختلف إدراك المدركات من القرب والبعد، وبالوجه الذي للبصر إلى عالم الشهادة، تدرك جميع المحسوسات، ويرفعها البصر إلى الخيال، فالحس يرفع إلى الخيال ما يدركه، وبإرسال الحواس في المحسوسات تمتلئ خزانة الخيال، فجميع ما يدركه الإنسان في النوم، هو مما ضبطه الخيال في اليقظة من الحواس، وهو على نوعين: إما ما أدرك صورته في الحس، وإما ما أدرك أجزاء صورته التي أدركها في النوم بالحس، لابد من ذلك، فإن نقصه شيء من إدراك الحواس في أصل خلقته، فلم يدرك في اليقظة ذلك الأمر، الذي فقد المعنى الحسي الذي يدركه به في أصل خلقته، فلا يدركه في النوم أبداً، فالأصل الحس، والإدراك به في اليقظة، والخيال تبع في ذلك، ولذلك سمي الخيال بالحس المشترك للمناسبة بين الحس والخيال، وكل ما يعطيه الحس من المغاليط، ليس على الحقيقة نسبة الغلط فيه إلى الحس، وإنما الغلط للحاكم وهو أمر وراء الحس.

القوة المصورة:

القوة المصورة في الإنسان تحت حكم العقل والوهم، يتصرف فيها العقل بالأمر، وكذلك الوهم أيضاً يتصرف فيها بالأمر، ومادة القوة المصورة من المحسوسات، فتركب الصورة في الخيال ما شاءته، من صور لم يوجد لها عين، لكن أجزاءها كلها موجودة حساً، فقد تأخذ القوة المصورة أموراً من موجودات مختلفة، كلها محسوسة، وتركب منها شكلاً غريباً، ما أبصرته قط حساً بمجموعه، ولكن ما فيه جزء إلا وقد أبصرته، فالقوة المصورة لها سلطان على القوة الخيالية، فهي رئيسة عليها، وإن كانت لها رئاسة أعني القوة الخيالية، فإن القوة المصورة تصور من خزانة الخيال بحسب ما تعشقت به، وإن كانت القوة المصورة قد صورت ذلك عن أمر العقل بقوة الفكر، فذلك لطلب العلم بأمر ما، والعلم مقيد بلا شك، وإن كان ما صورته المصورة عن أمر الوهم، لا من حيث ما تصرف به العقل من حكم الوهم، بل من الوهم نفسه، فإن تلك الصورة لا تبقى، فإن الوهم سريع الزوال لإطلاقه، بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفاده.

القوى الحافظة:

من القوى الروحانية في النفس الناطقة القوة الحافظة، جعلها الله على خزانة الحفظ، تمنع أن يخرج منها ما اختزنته فيها، وتأخذ ما فارق الحال فتخزنه فيها، ولهذه القوى الحافظة سادنان: الواحد

الذكر، وقد وكلته بحفظ المعاني المجردة عن المواد، والسادن الآخر الخيال، وقد وكلته بحفظ المثل في تلك الخزانة، وبقيت هي مشغولة بقبول ما يأتي إليها عند مفارقة الحال، وإن شئت قلت: إن الحواس ترفع إلى الخيال جميع المحسوسات، فيحفظها الخيال بالقوة الحافظة.

القوة الذاكرة:

اعلم أن الذاكر لابد أن يحضر مذكوره في نفسه، إن كان المذكور ذا صورة في اعتقاده، أحضره في خياله، وإن كان من غير عالم الصور أو لا صورة له، أحضرته القوة الذاكرة، فإن القوة الذاكرة من الإنسان تضبط المعاني، والقوة المتخيلة تضبط المثل التي أعطتها الحواس، وما تركبه القوة المصورة من الأشكال الغريبة التي استفادت جزئياتها من الحس، لابد من ذلك.

الفكر:

من البلاء الذي ابتلى الله تعالى به الإنسان، أن خلق فيه قوة تسمى الفكر، وجعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل، وجبر العقل مع سيادته على الفكر، أن يأخذ منه ما يعطيه، و لم يجعل للفكر محلاً إلا في القوة الخيالية، وجعل سبحانه القوى الخيالية محلاً جامعاً لما تعطيه القوى الحساسة، وجعل لها قوة يقال لها المصورة، فلا يحصل في القوة الخيالية إلا ما أعطاه الحس، أو أعطته القوة المفكرة، وقيل للفكر ميز بين الحق والباطل الذي في هذه القوة الخيالية، فكان سبب الحيرة لصاحب النظر العقلي، إنما هو اتساع عالم الخيال، فإنه ما من دليل إلا وعليه عنده دخل وشبهة، إذ القوة المفكرة ما لها تصرف إلا في الحضرة الخيالية، أو بما فيها مما اكتسبته من القوى الحسية، أو مما تصوره القوة المصورة، وبقوة الفكر يلحق الخيال الصور المحسوسة بالمعقولات، لأن الخيال قد لطف صورها التي كانت في الحس من الكثافة، فتروحنت بواسطة هذا البرزخ، فإن الخيال محل العمل في التلطيف والتكثيف.

العقل:

لا يصح أن يقبل العقل إلا ما علمه بديهة أو ما أعطاه الفكر، وهو يشهد المعاني مجردة عن المواد التي كان الخيال يعطيه إياها، ونظر العقل ممتزج بالحس من طريق الخيال، لأنه يأخذ عن الفكر عن الخيال عن الحس، إما بما يعطيه أو بما تعطيه القوة المصورة، فإن قلنا: إن الخيال فقير إلى الحواس، فلا يتخيل أصلا إلا ما تعطيه هذه القوى، ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوى، لا يبقى في الخيال منها شيء، فهو فقير إلى الحواس وإلى القوة الحافظة، ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع تحول بينها وبين الخيال، فيفوت الخيال أمور كثيرة، من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف لوجود المانع، فافتقر إلى القوة المذكرة، فتذكره ما غاب عنه، فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك، ثم إن القوة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال، افتقرت إلى القوة المصورة، لتركب بها مما ضبطه الخيال من الأمور، صورة دليل على أمر ما، وبرهانٍ تستند فيه إلى المحسوسات أو الضروريات، وهي أمور مركوزة في الجبلة، فإذا تصور الفكر ذلك الدليل، حينئذ يأخذه العقل منه، فيحكم به على المدلول، وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط، فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت، فانظر يا أخي ما

أفقر العقل، حيث لا يعرف شيئا إلا بواسطة هذه القوى، وفيها من العلل ما فيها، فإنه بالنظر إلى ذاته، لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها.

ومن أثر سلطنة الوهم على العقل، أن أثر فيه أن لا يقبل معنى – يعلم قطعاً أنه ليس بمادة ولا في مادة – إلا بتصور، وذلك التصور ليس غير الصورة التي يحكم بها الوهم، فصار العقل مقيداً بالوهم بلا شك فيما هو به عالم بالنظر، وأما علمه الضروري فليس للوهم عليه سلطان، وبه يعلم أن ثَمّ معاني ليست بمواد ولا في أعيان مواد، وإن لم يقبلها بالنظر إلا في مواد من خلف حجاب رقيق يعطيه الوهم.

الوهم:

إن للوهم حكماً في الإنسان كما للعقل حكماً فيه، فمن القوى التي خلقها الله في هذا الخليفة — بل في الإنسان الكامل والحيوان وهو مطلق الإنسان — قوة تسمى الوهم، وقوة تسمى العقل، وقوة تسمى الفكر، وميز الحضرات الثلاث لهذا الخليفة، وجعل فيه قوة مصورة تحت حكم العقل والوهم، يتصرف فيها العقل بالأمر، كذلك الوهم يتصرف فيها بالأمر، وقوى في هذه النشأة سلطان الوهم على العقل، والوهم سريع الزوال لإطلاقه، بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفاده، فأثر الأوهام في النفوس البشرية، أظهر وأقوى من أثر العقول، إلا من شاء الله تعالى، فالغالب على الخلق حكم الأوهام، لسلطنة الوهم على العقل.

فالوهم مثلاً يلحق الحق بالمحسوسات، ويتوهم في الحق أنه لا يقول للشيء كن إلا إذا أراده، ويرى أن الموجودات يتأخر وجود بعضها عن بعض، وكل موجود منها لا بد أن يكون مراداً بالوجود، ولا يتكون إلا بالقول الإلهي على جهة الأمر، فيتوهم الإنسان أو ذو القوة الوهمية أوامر كثيرة، لكل شيء كائن أمراً إلهياً، لم يقله الحق إلا عند إرادته تكوين ذلك الشيء، فبهذا الوهم عينه يتقدم الأمر الإيجاد أو الوجود، لأن الخطاب الإلهي على لسان الرسول اقتضى ذلك، فلابد من تصوره، وإن كان الدليل العقلي لا يتصوره ولا يقول به، ولكن الوهم يحضره ويصوره صورة وجودية، وإن كان لا يقع في الوجود الحسي أبداً، ولكن لها وقوع في الوهم.

والوهم الذي هو على صورة العقل، يرجح على الله ما لم يرجحه الله، وما رجح الله إلا الواقع، فأوقع ما أوقع حكمة منه، وأمسك ما أمسك حكمة منه، وهو الحكيم العليم، والعقل لا يعطي صاحبه في الواقع إلا الوقوف، فإنه يدري ممن صدر، وقد اتفق في الوجود أمر غريب، وذلك أن ثَمّ أموراً يتحقق بها العقل، ويثبت عليها ولا يتزلزل، وتتفلت من الوهم، ولا يقدر يبقى على ضبطها، مثل أن الحق ما أحب إلا نفسه في صورة العالم، وهي مسألة يثبتها العقل ولا يقدر يزول عنها، وتتفلت من الوهم ولا يقدر على ضبطها، وثَمّ أمور أخر بالعكس، تتفلت من العقل وتثبت في الوهم، ويحكم عليها ويؤثر فيها، كمن يعطيه العقل بدليله أن رزقه لابد أن يأتيه، سعى إليه أو لم يسع، فيتفلت هذا العلم عن العقل، ويحكم عليه الوهم بسلطانه، أنك إن لم تسع في طلبه تَمُتْ، فيغلب عليه، فيقوم يتعمل في تحصيله، فحقه من جهة عقله زائل، وباطله من جهة وهمه ثابت لا يتزلزل، وكمن يرى حية أو أسداً، على صورة لا يتمكن فيما يعطيه العقل أن يصل ضرره إليه، فيغيب عن ذلك الدليل ويتوهم ضرره، فينفر منه ويتغير وجهه وباطنه بحكم الوهم وسلطانه، وهذا موجود، فللوهم سلطان في مواطن، وللعقل سلطان في مواطن، فتحفظ من الوهم فإن الوهم موجود، يبرز للنفس على صورة العقل، فقد يلتبس

عليك وهو وزير مطاع، له في الإنسان تأثير عظيم، وهو المستولي على الناس، والباعث على الأفكار الرديئة، وهو يورث الوسوسة فتحفظ منه.

ولما علم الحق ما ركب عليه العالم المكلف مما ذكرناه، أرسل الرسل إلى الناس والمكلفين، فوقفوا في حضرة الخيال خاصة، ليجمعوا بين الطرفين المعاني والمحسوسات، فهو موقف الرسل عليهم السلام، فقالوا لبعض الناس من هذه الحضرة: «اعبد الله كأنك تراه»، ثم نبه هذا المخاطب المكلف - بعد هذا التقرير - على أمر آخر ألطف منه، لأنه علم أن ثَمّ رجالاً علموا أن ثَمّ معاني مجردة عن المواد، فقال له: «فإن لم تكن تراه»، أي تقف مع دليلك الذي أعلمك أنك لا تراه «فإنه» يعني الله «يراك» أي الزم الحياء منه والوقوف عندما كلفك، فعدل في الخطاب إلى حكم وَهْمٍ ألطف من الحكم الأول، فإنه لابد لهذا المكلف أن يعلم أنه يراه، إما بعقله أو بقول الشرع، وبكل وجه فلابد أن يقيده الوهم، فإن العبد بحيث يراه الله، فتنتج الأهواء مع إطلاقها، ما تنتجه العقول مع تقييدها، فلا يسلم لعقل حكم أصلاً بلا وهم في هذه النشأة، لأن النشأة لها ولادة على كل من ظهر فيها، وما ثَمّ أعلى من الحق رتبة، ومع هذا تخيلته، وقال لها: تخيليني، أمرها بذلك لكونه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ووسعها ما تعطيه حقيقتها، وجعل سعادتها في ذلك التخيل، ثم قال لها ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى: ١١]، فجمعت بين التنزيه فقيدته، وبين التشبيه فقيدته، فإنها مقيدة، فلا تعلم إلا التقييد الذي هو حقيقتها.

القوة المتخيلة:

سبق أن ذكرنا أن الاسم الإلهي القوي، ما ظهر سلطانه ولا قوته إلا في خلق القوة المتخيلة والخيال، فإن قوة الخيال ما عندها مُحَال أصلاً، ولا تعرفه، فلها إطلاق التصرف في الواجب الوجود والمحال، وكل هذا عندها قابل بالذات إمكان التصور، وهذه القوة وإن كان لها هذا الحكم فيمن خلقها، فهي مخلوقة، وهذا الحكم لها وصف ذاتي نفسي، لا يكون لها وجود عين فيمن خُلقت فيه، إلا ولها هذا الحكم، فإنه عين نفسها، وما حازها إلا هذا النشء الإنساني، وبها يرتب الإنسان الأعيان الثبوتية في حال عدمها كأنها موجودة، وكذلك هي، لأن لها وجوداً متخيلاً في الخيال.

وقد علمنا أن الحق ميز الحضرات الثلاث للنفس الناطقة وولاها عليها: حضرة المحسوسات، وحضرة المعاني المجردة في نفسها عن المواد — وإن لم يظهر بعضها إلا في بعض المواد — وحضرة الخيال الذي هو حضرة متوسطة بين طرفي الحس والمعنى، وهو خزانة الجبايات التي تجبيها الحواس، فالخيال خزانة المحسوسات، فإن الحس يرفع إليه جميع ما يدركه، فيحفظها الخيال بالقوة الحافظة، بعد ما تصورها القوة المصورة، وجعل القوة الخيالية في مقدم الدماغ الإنساني، وجعلها فقيرة إلى الحواس، فلا تتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى، ولما كان الخيال من عالم الطبيعة، فإنه إذا جسد ما ليس بجسد، كان ذلك من فعل الطبيعة، ولذلك كان للسُكْر أثر قوي في القوة المتخيلة، فإن له أثراً في تخيل السكران وخياله.

ثم اعلم أن الله تعالى جعل للروح الإنساني في الجسم الذي جعله الله له مُلكاً واستوى عليه، جعل فيه هذه القوى والآلات الحسية والمعنوية، وقيل له: خذ العلوم منها وصرفها على حد كذا وكذا، وجعلت له هذه الآلات على مراتب، فالقوى المعنوية كلها قوى كاملة، إلا قوة الخيال فإنها خُلِقَت ضعيفة، والقوة الحساسة، وجعلت هاتان القوتان تابعتين للجسم، فكلما نما الجسم وكبر وزادت

كميته، كلما تقوى حسه وخياله، إذ كانت جميع القوى لا تأخذ الأشياء إلا من الخيال، وهي قوة هيولانية قابلة لجميع ما يعطيها الحس من الصور، وقابلة لما تفتح فيها القوة المصورة من الصور، التي تركبها من أمور موجودة، قد أمسكها الخيال من القوة الحساسة، وليس في القوى من يشبه الهيولى في قبول الصور إلا الخيال، فإذا تقوى الخيال، حينئذ وجد الفكر حيث يتصرف ويظهر سلطانه، والوهم كذلك، والعقل كذلك، والقوة الحافظة كذلك، فلم تكن لطيفة الإنسان من حيث ذاتها مدركة لما تعطيها هذه القوى إلا بواسطتها، فلو اتفق أن تعطيها هذه القوى المعلومات من أول ما يظهر الولد في عالم الحس، قبلها الروح الإنساني قبولاً ذاتياً، ألا ترى أن الله قد خرق العادة في بعض الناس في ذلك، وهو ما ذكر من صبي يوسف حين شهد له بالبراءة، وكلام عيسى عليه السلام حين شهد بالبراءة، وصبي جريج حين شهد له بالبراءة، هذا سبب تأخير التكليف عن الروح الإنساني إلى الحلم، الذي هو حد كمال هذه القوى في علم الله، فلم يبق عند ذلك عذر للروح الإنساني في التخلف عن النظر والعمل بما كلفه ربه.

ومع كون الخيال من موالي النفس الناطقة، فإن له التحكم فيها، وما له فيها تحكم إلا أنه يصورها في أي صورة شاء، وإن كانت النفس على صورة في نفسها، ولكن لا يتركها هذا الخيال من المتخيِّل، إلا على حسب ما يريده من الصور في تخيله، وليس للخيال قوة تخرجه عن درجة المحسوسات، لأنه ما تولد ولا ظهر عينه إلا في الحس، فكل تصرف يتصرفه في المعدومات والموجودات، ومما له عين في الوجود أو لا عين له، فإنه يصوره في صورة محسوس، له عين في الوجود، أو يصور صورة ما لها بالمجموع عين في الوجود، ولكن أجزاء تلك الصورة كلها أجزاء وجودية محسوسة، لا يمكن أن يصورها إلا على هذا الحد، فقد جمع الخيال بين الإطلاق العام، الذي لا إطلاق يشبهه، فإن له التصرف العام في الواجب والمحال والجائز، وما ثَمّ من له حكم هذا الإطلاق، وهذا هو تصرف الحق في المعلومات بوساطة هذه القوة، كما أن له التقييد الخاص المنحصر، فلا يقدر أن يصور أمراً من الأمور إلا في صورة حسية، كانت موجودة تلك الصورة المحسوسة أو لم تكن، لكن لابد من أجزاء الصورة المتخيلة أن تكون كلها كما ذكرنا، موجودة في المحسوسات، أي قد أخذها من الحِس حين أدركها متفرقة، لكن المجموع قد لا يكون في الوجود.

تأثير الخيال في الحس:

الاحتلام:

فإن قلت هل في قوة الخيال أن يعطي صورة حسية حقيقية، فلا يكون للحس فضل على الخيال، لأن الحس يعطي الصور للخيال؟ وكيف يكون المؤثَّر فيه مؤثراً فيمن هو مؤثر فيه؟ قلنا: نعم، فإن عالم البرزخ أشد قوة في التأثير من عالم الحس، فإنه يؤثر في عالم الحس ما يؤثره الحس، والحس لا يقدر أن يؤثر في الخيال، ألا ترى النائم يرى في الخيال أنه ينكح، فينزل منه الماء في عالم الحس، ولذلك كان على صاحب مقام الورع أن يجتنب في خياله ما يجتنب في ظاهره، لأن الخيال تبع للحس، ولهذا إذا احتلم المريد برؤيا عاقبه شيخه، ألا ترى أنه ما احتلم نبي قط، ولا ينبغي له ذلك، فإن الاحتلام برؤيا في النوم

أو في التصور في اليقظة، إنما هو من بقية طبيعية في خياله، وهو كذب، فإنه يظن أنه في الحس الظاهر، فلو اجتنبه في الحس لأثر في خياله.

ويرى النائم ما يفزعه فيتأثر لذلك جسم النائم، بحركة أو صوت يصدر منه، أو كلام مفهوم أو عرق، لقوة سلطان الخيال، وأنت ترى نائماً إلى جنبك، وهو يبصر نفسه، معذباً أو منعماً أو تاجراً أو مَلِكاً أو مسافراً، ويطرأ عليه خوف في منامه في خياله، فيصيح ويزعق، والذي إلى جانبه لا علم له بذلك ولا بما هو فيه، وربما إذا اشتد الأمر تغير له المزاج، فأثر في الصورة الظاهرة النائمة حركة أو زعاقاً أو كلاماً أو احتلاماً، كل ذلك من غلبة تلك القوة على الروح الحيواني، فيتغير البدن في صورته.

ويظهر الخيال في صورة الحس ما ليس في نفسه بمحسوس، ويلحقه بالحس، فقد يتخيل الإنسان أنه رأى المَلَكَ أو الجني، وهو ما رأى إلا أمثلة في خياله، قامت له لقوة سلطان الخيال عليه خارجة عن وهمه – وهو ما نسميه الوهم – فهو يصدق فيما يراه، ويخطئ في الحكم أنه رأى مَلَكَاً أو جاناً، وذلك المرئي ليس بملك ولا جان، ولهذا يحتاج إلى علامة للتمييز بين صحة الكشف والتخيل – أقول فلو علم المتخيل أن ما يراه إنما هو فعل القوة المتخيلة، ولا وجود له في الحس، لم يكن متوهماً، ولكان متخيلاً.

الوحم:

ولذلك نقول: إن الخيال وإن كان من الطبيعة، فله سلطان عظيم على الطبيعة، بما أيده الله به من القوة الإلهية، وإذا أردت تأنيسا لذلك، فانظر في علم الطبيعة إذا توحمت المرأة وهي حامل على شيء، خرج الولد يشبه ذلك الشيء، فإن الشهوة إرادة طبيعية مقيدة عن تخيل صوري، وإذا نظرت المرأة عند الجماع، أو تخيل الرجل، صورة عند الوقاع وإنزال الماء، يكون الولد على خلق صورة ما تخيل، ولذلك كانت الحكماء تأمر بتصوير صور الفضلاء من أكابر الحكماء في الأماكن، بحيث تنظر إلى تلك الصورة المرأة عند الجماع والرجل، فتنطبع في الخيال فتؤثر في الطبيعة، فتخرج تلك القوة التي كانت عليها تلك الصورة، في الولد الذي يكون من ذلك الماء، وهو سر عجيب في علم الطبيعة، كما قالت الحكماء إذا أراد الإنسان أن ينجب ولده، فليقم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته، صورة من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يحكم أمر ذلك، فليصورها في صورتها التي نقلت إليه أو رآها عليها المصور، ويذكر لامرأته حسن ما كانت عليه تلك الصورة، وإذا صورها المصور فليصورها على صورة حسن علمه وأخلاقه، وإن كانت الصورة المحسوسة قبيحة المنظر، فلا يصورها إلا حسنة المنظر، بقدر حسن علمه وأخلاقه، كأنه يجسد تلك المعاني، ويحضر تلك الصورة لامرأته ولعينه عند الجماع، ويستفرغان في النظر إلى حسنها، فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع، أثر في ذلك الحمل ما تخيلا من تلك الصورة في النفس، فيخرج المولود بتلك المنزلة ولابد، حتى إن لم يخرج كذلك، فلأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم، أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران، وتعبر عنه العامة بتوحم المرأة، وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين، صورة كلب أو أسد أو حيوان ما، فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه، على صورة ما وقع للوالدين من تخيل ذلك الحيوان، وإن اختلفا فيظهر في الولد صورة ما تخيله الوالد وصورة ما تخيلته الأم، حتى في الحسن الظاهر في الصورة أو في القبح، وهم مع معرفتهم بهذا السلطان لا يرفعون به رأساً، وانظر ما أثر سلطان الخيال في زكريا في ابنه يحيى عليهما السلام، حين استفرغت قوة زكريا في حسن

حال مريم عليها السلام، وانظر في تكوين عيسى عليه السلام عن مشاهدة مريم جبريل في صورة بشر، كيف جمع بين كونه روحاً يحيي الموتى وبين كونه بشراً، إذ كان الروح به تحيا الأجسام الطبيعية.

ولد الرؤيا:

حتى إذا دلت الرؤيا على وجود ولد، فذلك الولد مخلوق من عين تلك الرؤيا ماءً في صلب أبيه، وإن كان الماء قد نزل في الرحم، تصورت فيه تلك الرؤيا ولداً، فهو ولد رؤيا، وإن لم تتقدم له رؤيا، فهو على أصل نشأته كما هو سائر الأولاد، فاعلم ذلك فإنه سر عجيب وكشف صحيح، وكل ولد يكون عن رؤيا ترى له تمييزاً على غيره، ويكون أقرب إلى الأرواح من غيره، إن جعلت بالك هكذا تبصره، وكل مخلوق من حالة أو عرض أو نسبة من ولاية أو غيرها يكون عن رؤيا، يكون له ميز على من ليس عن رؤيا، وانظر ذلك في رؤيا آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبدو لك صحة ما ذكرناه، فكان صلى الله عليه وآله وسلم عين رؤيا أمه، ظهرت في ماء أبيه بتلك الصورة التي رأته أمه، ولذلك كثرت المرائي فيه صلى الله عليه وآله وسلم فتميز عن غيره.

إيراد الكبير على الصغير:

إيراد الكبير على الصغير، هو اتساع الصغير لدخول الكبير فيه، مع بقاء الصغير على صغره والكبير على كبره، كالجمل يلج في سَمّ الخياط، يشاهد ذلك حساً لا خيالاً، يحدث هذا في حضرة الخيال، فإن ذلك من حقيقته، رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة والنار في عرض الحائط، وقد ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج وفي يده كتابان مطويان، قابضاً بكل يد على كتاب، فسأل أصحابه أتدرون ما هذان الكتابان؟ فأخبرهم أن في الكتاب الذي بيده اليمنى، أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم، من أول من خلقه الله إلى يوم القيامة، وفي اليد الأخرى في الكتاب الآخر، أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم إلى يوم القيامة، فهذا من إيراد الكبير على الصغير، من غير تصغير الكبير أو تكبير الصغير، وإلا فأي ديوان يحصر أسماء هؤلاء، مع صغر حجم الكتاب وكثرة الأسماء، ويُعْلَم من هذا، أن الأمر الذي يحيله العقل، لا يستحيل نسبة إلهية، فتعلم أن الله قادر على المحال العقلي، كإدخال الجمل في سَمّ الخياط، مع بقاء هذا على صغره وهذا على كبره، وهذا المقام وراء طور العقل، من حيث ما يستقل بإدراكه من كونه مفكراً، لا من كونه قابلاً.

تمكن الشيطان من حضرة الخيال:

إن الله تعالى قد مكن الشيطان من حضرة الخيال، وجعل له سلطاناً فيها، فيخيل الشيطان للإنسان أو النفس، إذ حضرة الخيال تنشئ كل صورة، فللشيطان في كل كشف يطلعك الحق عليه أمر من عالم الخيال، ينصبه لك مشابهاً لحالك الذي أنت به في وقتك، فإن لم يكن لك علم قوي بما تميز به بين الحق وبين ما يخيله لك، وإلا التبس عليك الأمر، كما خيلت السحرة للعامة أن الحبال والعصي حيات، فلا يفرق بين الخيال والحقيقة، أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله، ومن أجل ذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتعوذ في كل صلاة من فتنة المحيا والممات، فإن فتنة المحيا قد تكون هي فتنة المسيح الدجال، لما يظهره من دعواه الألوهية، وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة، من إحياء الموتى

وغير ذلك، مما ثبتت الروايات بنقله، وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه، وهي مسألة في غاية الإشكال، لأنها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات، فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه، وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد، وأما فتنة الممات فمنها ما يكون في حال النزع والسياق، من رؤية الشياطين الذين يتصورون للمحتَضَر، على صورة ما سلف من آبائه وأقربائه وإخوانه، فيقولون له: مُتْ نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً أو معطِّلاً، ليحولوا بينه وبين الإسلام، ولذلك شرّع التلقين عند الموت إذا احتضر، فإن الهول شديد والمقام عظيم، وهو وقت الفتنة التي قد تكون هي فتنة المحيا من بعض الوجوه، بما يكشفه المحتضر عند كشف الغطاء عن بصره، فيعاين ما لا يعاينه الحاضر، ويتمثل له من سلف من معارفه على الصور التي يعرفهم فيها، وهم الشياطين تتمثل للمحتضر على صورهم بأحسن زي وأحسن صورة، يعرفونه أنهم ما وصلوا إلى ما هم فيه من الحسن، إلا بكونهم ماتوا مشركين بالله، فينبغي للحاضرين عنده في ذلك الوقت من المؤمنين، أن يلقنوه شهادة التوحيد، ويعرفوه بصورة هذه الفتنة لينتبه بذلك، فيموت مسلماً موحداً مؤمناً، فإنه عندما يتلفظ بشهادة التوحيد ويتحرك بها لسانه، أو يظهر نورها في قلبه بتذكره إياها، فإن ملائكة الرحمة تتولاه، وتطرد عنه تلك الصور الشيطانية التي تحضره.

الحروف والسيمياء:

كما أن للحروف وعلم السيمياء تأثيراً في حضرة الخيال فإنك إذا أكلت بالسيمياء أكلت ولا تجد شبعاً، وإذا أراك صاحب العلم السيماوي تدخل الحمام ثم ترجع إلى نفسك لا ترى لذلك حقيقة، فكل ما تراه بطريق السيمياء إنما هو مثل ما يراه النائم فإذا انتبه لم يجد شيئا مما رآه، فإن صاحب علم السيمياء له سلطان وتحكم على خيالك بخواص الأسماء والحروف يخطف به بصر الناظر عن الحس ويصرفه إلى خياله، فيرى مثل ما يرى النائم وهو في يقظته، وأما حضرة الخيال الحق فإنك إذا أكلت بها شبعت، وإن أمسكت فيه شيئاً من ذهب أو ثياب أو ما كان بقي معك على حاله لا يتغير، ومن هذا المقام قال رسول الله ﷺ: لست كهيئتكم إني أبيت معي مطعم يطعمني وساق يسقيني وفي رواية يطعمني ربي ويسقيني، فلمْ يكن في تلك الجماعة التي خاطبها في ذلك الوقت من له هذا المقام، فكان إذا أكل شبع وواصل على قوة معتادة، ولما كان الأكل في حضرة الخيال لا في حضرة الحس صح أن يكون مواصلا.

السحر – الفرق بين عصا موسى وعصيّ السحرة:

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، اعلم أن من خرق العوائد قسماً يرجع إلى ما يدركه البصر، أو بعض القوى، على حسب ما يظهر لتلك القوة مما ارتبطت في العادة بإدراكه، وهو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوة، وهذا القسم داخل تحت قدرة البشر، ومنه ما يرجع إلى خواص أسماء، إذا تلفظ بتلك الأسماء، ظهرت تلك الصور في عين الرائي أو في سمعه خيالاً، وما ثَمّ في نفس الأمر – أعني في المحسوس – شيء من صورة مرئية ولا مسموعة، وهو فعل الساحر، وهو على علم أنه ما شيء مما وقع في الأعين والأسماع، وللأسماع سلطان على خيال الحاضرين، فتخطف أبصار الناظرين، فيرى صوراً في خياله كما يرى النائم في نومه، وما ثَمّ في الخارج

شيء مما يدركه، لذا قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾يعني إلى موسى، فإن موطن الخيال يعطي في أعين الناظرين حياة الجمادات وحركتها، وهي في نفسها ليست بتلك الحياة التي تدركها الأبصار، كحبال سحرة موسى عليه السلام وعصيهم، يخيل إلى موسى ﴿مِن سِحۡرِهِمۡ﴾الذي سحروا به أعين الناس وعلمهم بما فعلوه، والسحر مأخوذ من السَحَر، وهو اختلاط الضوء والظلمة، فالسَحَر له وجه إلى الظلمة، وليس ظلاماً خالصاً، وله وجه إلى الضوء وليس ضوءاً خالصاً، كذلك السحر له وجه إلى الحق، وهو ما ظهر إلى بصر الناظر أنه حق، وله وجه إلى الباطل، لأنه ليس الأمر في نفسه على ما أدركه البصر، فلهذا سمته العرب سحراً، وسمي العامل به ساحراً لا العالم به ﴿أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ وليست بساعية في نفس الأمر، أقاموا ذلك في حضرة الخيال المنفصل، أمام الجميع، فرأوا العصي والحبال في صور الحيات، وكذلك أدركها موسى مخيلة، ولا يعرف أنها مخيلة، بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم، فهي ساعية في نظر موسى ونظر الحاضرين، إلا السحرة فإنهم يروها حبالاً، والغريب لو ورد لرآها كما يراها السحرة، فكان فعل السحرة عن حكم أسماء كانت عندهم، لها في عيون الناظرين خاصية النظر إلى ما يريد الساحر إظهاره، فله بتلك الأسماء قلب النظر، لا قلب المنظور فيه، وهذا بخلاف عصا موسى عليه السلام حين ألقاها عن الأمر الإلهي، فانقلب المنظور فيه فتبعه النظر، فتلك حبال نشأت بين الخيال وبين أعين الناظرين أنها تسعى، وهي أجسام في عينها، لا حكم لها في السعي، فظهرت في عين موسى بصورة الجسم الذي له سعي، والأمر في نفسه ليس كذلك، وامتلأ الوادي من حبالهم وعصيهم، ورآها موسى فيما خيل له حيات تسعى، فلهذا خاف موسى عليه السلام ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧]، لم يكن نسبة الخوف إلى موسى عليه السلام في هذا الوقت نسبة الخوف الأول، فإن الخوف الأول لما ألقى موسى عصاه فكانت حية تسعى، خاف منها على نفسه على مجرى العادة، فولى مدبراً ولم يعقب، حتى أخبره الله تعالى، وكان خوفه الثاني الذي ظهر منه للسحرة، عندما ألقت السحرة الحبال والعصي، فصارت حيات في أبصار الحاضرين، كان هذا الخوف الآخر على الحاضرين من الأمة، لئلا تظهر عليه السحرة بالحجة، فيلتبس الأمر على الناس، فلا يفرقون بين الخيال والحقيقة، أو ما بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله، فاختلف تعلق الخوفين، فإنه عليه السلام على بينة من ربه، قوي الجأش بما تقدم له في الإلقاء الأول ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١]، أي ترجع عصاً كما كانت في عينك، فلما خاف موسى عليه السلام على الأمة قال الله له: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٨] لما ادعى فرعون الفوقية اللائقة بالربوبية، وهي الفوقية الحقيقية في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، كذبه الله تعالى بقوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ولما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه، وما علموا متعلق هذا الخوف، أي شيء هو؟ علموا أنه ليس عند موسى من علم السحر شيء، فإن الساحر لا يخاف مما يفعله، لعلمه أنه لا حقيقة له من خارج، وأنه ليس كما يظهر لأعين الناظرين، فأمر الله موسى أن يلقي عصاه، وأخبر أنها تلقف ما صنعوا، فقال تعالى: ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾[طه: ٦٩]، فلما ألقى موسى عصاه فكانت حية، تلقفت تلك الحية جميع ما كان في الوادي من الحبال والعصي، أي تلقف صور الحيات منها المتخيلة في عيون الحاضرين، فأبصرت السحرة والناس حبال السحرة وعصيهم التي ألقوها حبالاً وعصياً كما هي، وأخذ الله بأبصارهم عن ذلك، فهذا كان تلقفها، لا أنها انعدمت الحبال والعصي، إذ لو انعدمت لدخل عليهم التلبيس في عصا موسى، وكانت الشبهة تدخل عليهم، فإن الله يقول: ﴿تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْ﴾[طه: ٦٩] وما صنعوا الحبال ولا العصي، وإنما

صنعوا في أعين الناس صور الحيات، وهي التي تلقفت عصا موسى، وما قال تعالى: تلقف حبالهم وعصيهم ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ أي فعلوا ما يقارب الحق فإن الكيد من كاد، وكاد من أفعال المقاربة، أي فعلوا ما يقارب الحق في الصورة الظاهرة للبصر ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[طه: ٦٩]، فكانت الآية عند السحرة خوف موسى، وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي، فكان ظهور حجته على حجتهم، أن بقيت حبالهم وعصيهم في صور حبال وعصي، فلما رأى الناس الحبال حبالاً، علموا أنها مكيدة طبيعية، يعضدها قوة كيدية روحانية، وأما العامة فنسبوا ما جاء به موسى، إلى أنه من قبيل ما جاءت به السحرة، إلا أنه أقوى منهم وأعلم بالسحر، بالتلقف الذي ظهر من حية عصا موسى، فقالوا: هذا سحر عظيم، ولم تكن آية موسى عند السحرة، إلا خوفه وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي خاصة، فمثل هذا خارج عن قوة النفس، فتخيل السحرة أن موسى خاف من الحيات، وكان موسى في نفس الأمر غير خائف من الحيات، لما تقدم له في ذلك من الله في الفعل الأول، حين قال له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾[طه: ٢١]، فنهاه عن الخوف منها، وأعلمه أن ذلك آية له، فكان خوفه الثاني على الناس، لئلا يلتبس عليهم الدليل والشبهة، والسحرة تظن أنه خاف من الحيات، فلبّس الله عليهم خوفه كما لبّسوا على الناس، لأن السحرة لو علمت أن خوف موسى من الغلبة بالحجة، لما سارعت إلى الإيمان، ثم إنه كان لحية موسى التلقف، ولم يكن لحياتهم تلقف ولا أثر، لأنها حبال وعصي في نفس الأمر، فلما علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوة الحجة، وأنه خارج عما جاؤوا به، وتحققت شفوف ما جاء به على ما جاؤوا به، ورأوا عصاه حية حقيقة، علموا عند ذلك أنه أمر غيب من الله، الذي يدعوهم إلى الإيمان به، وما عنده من علم السحر خبر، لما علمت من خوف موسى أنه لو كان ذلك منه وكان ساحراً، ما خاف، لأنه يعلم ما يجري، فآية موسى عند السحرة خوفه، وآيته عند الناس تلقف عصاه، وعلم السحرة أن أعظم الآيات في هذا الموطن، تلقف هذه الصور من أعين الناظرين، وإبقاء صورة حية عصا موسى في أعينهم، والحال عندهم واحدة، فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم إليه، وأن هذا الذي أتى به خارج عن الصور والحيل المعلومة عند السحرة، فهو أمر إلهي ليس لموسى عليه السلام فيه تعمل، فصدقوا برسالته على بصيرة، وآمنت السحرة ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، لما علمت السحرة أن الذي جاء به موسى من عند الله، آمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم، وخروا سجداً عند هذه الآية، قيل كانوا ثمانين ألف ساحر، آمنوا واختاروا عذاب فرعون على عذاب الله، وآثروا الآخرة على الدنيا، وعلموا من علمهم بذلك أن الله على كل شيء قدير، وقالت السحرة ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[طه: ٧٠]، قالت ذلك لرفع اللبس من أذهان السامعين.

الخيال المتصل والخيال المنفصل:

نعلم من خلاصة ما سبق، أن الخيال المنفصل هو حضرة البرزخ الجامعة الشاملة، حضرة التضاهي الخيالي، وعالم الحقائق والامتزاج، فيها يتجلى الحق في الصور، أياً كانت الصور، وفيها تظهر الروحانيات من الملائكة والجان في التشكل في الصور، مثل تمثل جبريل لمريم في صورة البشر، وتمثل الملائكة لإبراهيم عليه السلام في صورة الضيوف، وفيه تتنزل المعاني، في الصور والقوالب الحسية، وفيه يتروحن البشر في الصور، ويدخل فيما شاء من الصور، كقضيب البان وغيره، وكل ما يظهر في حضرة الخيال المنفصل فهو أجساد لا أجسام، لا يمكن تمييزها إلا بقوة إلهية يعطيها الحق من شاء من عباده،

وأما الخيال المتصل، فهو القوة المتخيلة المخلوقة في الإنسان، وبها يدخل حضرة الخيال المنفصل في اليقظة والمنام.

ولذلك نقول: إن للخيال حالين، حال اتصال، وهذا الحال له بوجود الإنسان وبعض الحيوان، وحال انفصال، وهو ما يتعلق به الإدراك الظاهر منحازاً في نفس الأمر، كجبريل في صورة دحية ومن ظهر من عالم الستر من الجنة من مَلَكٍ وغيره، والفرقان بين الخيال المتصل والخيال المنفصل، أن المتصل يذهب بذهاب المتخيِّلِ (اسم فاعل)، والمنفصل حضرة ذاتية قابلة دائما للمعاني والأرواح، فتجسدها بخاصيتها لا يكون غير ذلك، ومن هذا الخيال المنفصل يكون الخيال المتصل، والخيال المتصل على نوعين: منه ما يوجد عن تخيل، ومنه ما لا يوجد عن تخيل، كالنائم ما هو عن تخيل ما يراه من الصور في نومه، والذي يوجد عن تخيل ما يمسكه الإنسان في نفسه، من مثل ما أحس به، أو ما صورته القوة المصورة، إنشاء لصورة لم يدركها الحس من حيث مجموعها، لكن آحاد المجموع لابد أن يكون محسوساً، فقد يندرج المتخيَّل (اسم مفعول) الذي هو صورة المَلَك في صورة البشر، وهو من الخيال المنفصل في الخيال المتصل، فيرفعه في الخيال المتصل، وهو حال بينهما صورة حسية، لولاها ما رفع مثالها الخيال المتصل، وأنت قد عاينت في حسك وعلى ما تعطيه نشأتك في نفسك، المعاني والروحانيين يتخيلون ويتمثلون في الأجساد المحسوسة في نظرك، بحيث إذا وقع أثر في ذلك المتصور، تأثر المعنى المتصور فيه في نفسه، ولا شك أنك أحق بحضرة الخيال من المعاني ومن الروحانيين، فإن فيك القوة المتخيلة، وهي من بعض قواك التي أوجدك الحق عليها، فأنت أحق بملكها والتصرف فيها من المعنى، إذ المعنى لا يتصف بأن له قوة خيال، ولا الروحانيون من الملأ الأعلى بأن لهم في نشأتهم قوة خيال، ومع هذا فلهم التميز في هذه الحضرة الخيالية بالتمثل والتخيل، فأنت أولى بالتخيل والتمثل منهم، حيث فيك هذه الحضرة حقيقة، فالعامة لا تعرفها ولا تدخلها إلا إذا نامت، ورجعت القوى الحساسة إليها، والخواص يرون ذلك في اليقظة لقوة التحقق بها، فتصور الإنسان في عالم الغيب في حضرة الخيال أقرب وأولى، ولا سيما وهو في نشأته له في عالم الغيب دخول، بروحه الذي هو باطنه، وله في عالم الشهادة دخول، بجسمه الذي هو ظاهره، والروحاني ليس كذلك، وليس له دخول في عالم الشهادة إلا بالتمثل في عالم الخيال، فيشهده الحس في الخيال صورة ممثلة نوماً ويقظة، فإنْ تميَّزَ الإنسان في عالم الغيب فله ذلك، فإنه يتميز فيه حقيقة لا خيالاً، من حيث روحه الذي لا يدركه الحس، وهو من عالم الغيب، وإن أراد أن يتروحن بجسمه ويظهر به في عالم الغيب، وجد المساعد وهو روحه المرتبط بتدبيره، فهو أقرب إلى التمثل في حضرة الغيب من الروحاني المتمثل في صورة عالم الشهادة، وهذا مقام يكتسب وينال ففي قوة الإنسان ما ليس في قوة عالم الغيب، فإن في قوة الإنسان من حيث روحه، التمثل في غير صورته في عالم الشهادة، فيظهر الإنسان في أي صورة شاء من صور بني آدم أمثاله، وفي صور الحيوانات والنبات والشجر والحجر، فإن هذه النشأة الإنسانية تعطي القبول لأي صورة كانت، فإذا علم الإنسان أنه على أصل وحقيقة تقبل الصور، فيتعمل في تحصيل أمر يتوصل به إلى معرفة الأمر، فإذا فُتِحَ له فيه، ظهر في عالم الشهادة في أي صورة من صور عالم الشهادة شاء، وظهر في عالم الغيب والملكوت في أي صورة من صوره شاء، غير أن الفرق بيننا وبين عالم الغيب، أن الإنسان إذا تروحن وظهر للروحانيين في عالم الغيب، يعرفون أنه جسم تروحن، والناس في عالم الشهادة إذا أبصروا روحاً تجسد، لا يعلمون أنه روح تجسد ابتداءً حتى يعرفوا بذلك، كما قال عليه السلام حين دخل عليه الروح

الأمين، في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، قال الراوي: لا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وذكر حديث سؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان، والساعة وما لها من الشروط، فلما فرغ من سؤاله قام ينصرف، فلما غاب قال النبي ﷺ لأصحابه: أتدرون من الرجل؟ وفي رواية: ردوا عليّ الرجل، فالتمس فلم يجدوه، فقال ﷺ: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم.

غير أن بعض الناس يعرفون الروحاني إذا تجسد من خارج من غيره من الناس، أو من جنس تلك الصورة التي يظهر فيها، وما كل أحد يعرف ذلك، ويفرقون أيضاً بين الصور الروحانية والمعنوية المتجسدة، وبين الصور الممثلة من داخل، بعلامات يعرفونها، فيعرفون الروح إذا تجسد من خارج أو من داخل، من الصورة الجسمية الحقيقية، والعامة لا تعرف ذلك، والملائكة كلهم يعرفون الإنسان إذا تروحن وظهر فيهم بصورة أحدهم، أو بصورة غريبة لم يروا مثلها، فيزيدون على عالم البشر بهذا، وينقصهم أن يظهروا في عالمهم على صور بعضهم كما نظهر في عالمنا، إذا كان لنا هذا المقام في صورة جنسنا، وقد روينا أن جبريل ظهر في صورة الحس رجلاً معروفاً، كظهوره في صورة دحية، وفي وقت رجلاً غير معروف، ولم يبلغنا أنه ظهر في عالم الغيب في الملائكة في صورة غيره من الملائكة، فجبريل لا يظهر في الملائكة وفي عالم الغيب في صورة ميكائيل أو إسرافيل، وقد رأينا من له قوة التمثل من البشر، يظهر في البشر في صورة بشر آخر غير صورته، فيظهر زيد في صورة عمرو، وليس للمَلَك ذلك في عالم الغيب، وكما ظهر جبريل في صورة البشر، يظهر الإنسان في عالم الغيب عند الملائكة في صورة ملك من الملائكة، أي صورة ملك شاء.

أثر الحب في الخيال:

أحببت شخصاً جميع الناس تعرفه	**من كان في بدوه أو كان في حضره**
الشمس من نوره فالقلب منزله	**والمسك من ريحه والشهد من أثره**
إذا أعاينه تسري الحياة به	**في خده فيذوب القلب من خفره**
لما بحثت عليه لا أراه سوى	**ما قام بالنفس منه فهو من أثره**
فما يهيّم قلباً في الهوى أبداً	**إلا تخيله لا غير من نظره**
فبالخيال نعيم الناس أجمعهم	**كما به الألم الآتي على قدره**
إذا علمت بهذا قد نعمت بما	**تشكو نواه إذا ما غاب في سفره**

سبحان واضع الحكم وناصب الآيات، ومظهر جمال الدلالات، ومن أجملها عيناً، وأكملها كوناً، عالم الخيال، وبه ضرب الله الأمثال، ألا ترى الرؤيا وبعينها يدرك الخيال، يرى ما يكون قبل كونه وما كان، وما هو الوقت عليه، وأي حضرة تجد فيها هذه الجمعية إلا حضرة الخيال، وكل من تعشق بأمر ما، فما تعشق به إلا بعد أن حصله في خياله، وجعل له في وهمه مثالاً، وطبق محبوبه على مثاله، ولو لم يكن الأمر كذلك، لكان إذا فارقه من تعلق بصره به أو سمعه أو شيء من حواسه، فارق التعلق به، ونحن لا نجد الأمر كذلك، فدل على أن المحبوب عند المحب، على مثال صوّره وأنشأه في خياله، فلزم مشاهدته، فتضاعف وجده وتزايد حبه، وصار ذلك المثال الذي صوره، يحرض مصوره على طلب من صوّره على صورته، فإن ذلك الأصل هو روح هذا الخيال، وبه بقاؤه، وهو الذي يحفظه، وما اشتد حب المحب إلا في صنعته وفعله، فإن الصورة التي تعشق بها في خياله هي من صنعته.

ومن أحوال المحبين، طائفة نظرت إلى المثال الذي في خيالها، من الموجود الذي يظهر محبوبه فيه، ويعاين وجود محبوبه، وهو الاتصال به في خياله، فيشاهده متصلاً به اتصال لطف، ألطف منه في عينه في الوجود الخارج، وهو الذي اشتغل به قيس المجنون عن ليلى، حين جاءته من خارج، فقال لها (إليك عني) لئلا تحجبه كثافة المحسوس منها، عن لطف هذه المشاهدة الخيالية، فإنها في خياله ألطف منها في عينها وأجمل، وهذا ألطف المحبة، وصاحب هذا النعت لا يزال مُنَعّماً لا يشكو الفراق، ولنا في هذا النعت اليد الطولى بين المحبين، فإن مثل هذا في المحبين عزيز الوجود، لغلبة الكثافة عليهم، وسبب ذلك عندنا، أنه من استفرغ في حب المعاني المجردة عن المواد، فغايته إذا كثفها أن ينزلها إلى الخيال، ولا ينزل بها أكثر، فمن كان أكثف حاله الخيال، فما ظنك بلطافته في المعاني؟! وهذا الذي حاله هذا، هو الذي يمكن أن يحب الله، فإن غايته في حبه إذا لم يجرده عن التشبيه، أن ينزله إلى الخيال، وهو قوله عليه السلام: «اعبد الله كأنك تراه» فإذا أحببنا ونحن بهذه الصفة موجودا، نحب ظهور محبوبنا فيه من المحسوسات عالم الكثائف، نلطفه بأن نرفعه إلى الخيال، لنكسوه حسناً فوق حسنه، ونجعله في حضرة لا يمكنه الهجر معها ولا الانتقال عنها، فلا يزال في اتصال دائم، ولنا في ذلك:

ما لمجنون عامر من هواه — غير شكوى البعاد والاغتراب
وأنا ضده فإن حبيبي — في خيالي فلم أزل في اقتراب
فحبيبي مني وفي وعندي — فلماذا أقول ما بي وما بي

وعلامة الحب الإلهي حب جميع الكائنات في كل حضرة، معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة، ولكل حضرة عين من اسمه النور، فإذا نزل العبد إلى عالم خياله، وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدة، وقد كان قبل ذلك عرفها علماً وإيماناً، رأى الحق في حضرة الخيال صورة حسية فلم ينكره، وأنكره العابر والأجانب، وقد بلغ بي قوة الخيال، أن كان حبي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني، كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ﷺ، فلا أقدر أنظر إليه، ويخاطبني وأصغي إليه وأفهم عنه، ولقد تركني أياماً لا أسيغ طعاماً، كلما قدمت لي المائدة يقف على حرفها وينظر إلي ويقول لي بلسان أسمعه بأذني: تأكل وأنت تشاهدني؟! فأمتنع عن الطعام، ولا أجد جوعاً، وأمتلئ، حتى سمنت وعبلت من نظري إليه، فقام لي مقام الغذاء، وكان أصحابي وأهل بيتي يتعجبون من سمني مع عدم الغذاء، لأني كنت أبقى الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقا، ولا أجد جوعاً ولا عطشاً، لكنه كان لا يبرح نصب عيني، في قيامي وقعودي وحركتي وسكوني.

واعلم أن الحواس كلها وجميع القوى، لا تدرك شيئاً حساً وخيالاً إلا بالله تعالى، والكل بحمد الله خيال في نفس الأمر، لأنه لا ثبات لها دائماً على حالة واحدة «والناس نيام» وكل ما يراه النائم قد عرف ما يرى، وفي أي حضرة يرى «فإذا ماتوا انتبهوا» من هذا النوم، فما برحوا نائمين، فما برحوا في أنفسهم في هذا التنوع، وما برح ما يدركونه في أعينهم في التنوع، فلم يزل الأمر كذلك، ولا يزال الأمر في الحياة الدنيا وفي الآخرة هكذا، فالخيال عين الكمال، لولاه ما فضل الإنسان على سائر الأحوال، به جال وصال، وافتخر وطال، وبه قال ما قال، فله الشتات، والجمع بين أضداد الصفات، حكم على المحال والواجب، بما شاءه من المذاهب، يخرق فيهما العادة، ويلحقهما بعالم الشهادة، فيجسدهما في عين الناظر، ويلحق الأول في الحكم بالآخر، لا يثبت على حال، وله الثبوت على تقلب

الأحوال، فله من آي القرآن ما جاء في سورة الرحمن ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن: ٢٩]، فمن ذلك سر تعشق القوم بالنوم.

النوم

اعلم أيدك الله أن للإنسان حالتين: حالة تسمى النوم وحالة تسمى اليقظة، وفي كلتا الحالتين قد جعل الله له إدراكاً يدرك به الأشياء، تسمى تلك الإدراكات في اليقظة حساً، وتسمى في النوم حساً مشتركاً، فكل شيء تبصره في اليقظة يسمى رؤية، وكل ما تبصره في النوم يسمى رؤيا مقصوراً، وقد يتقوى الأمر على بعض الناس، فيدركون في اليقظة ما كانوا يدركونه في النوم، وذلك نادر، وهو لأهل هذا الطريق من نبي وولي.

النوم جامع أمر ليس يجمعه ... غير المنام ففكر فيه واعتبر
إن الخيال له حكم وسلطنة ... على الوجودين من معنى ومن صور
وليس يدرك في غير المنام ولا ... تبدو له صورة من حضرة السور
تختص بالصاد لا بالسين حضرته ... فهو المحيط بما في الغيب من صور

فالنوم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى البرزخ، فإذا نام الإنسان نظر البصر بالوجه الذي له إلى عالم الخيال، وهو أكمل العالم فلا أكمل منه، هو أصل مصدر العالم، له الوجود الحقيقي والتحكم في الأمور كلها، يجسد المعاني، ويرد ما ليس قائماً بنفسه قائماً بنفسه، وما لا صورة له يجعل له صورة، ويرد المُحَال ممكناً، ويتصرف في الأمور كيف يشاء، فالخيال له قدرة على المحال، والخيال خلق من خلق الله، ولا تشك فيما تراه من المعاني التي جسدها لك، وأراك إياها أشخاصاً قائمة، فكذلك يأتي الله بأعمال بني آدم – مع كونها أعراضاً – صوراً قائمة توضع في الموازين لإقامة القسط، ويؤتى بالموت – مع كونه نسبة فوق العَرَض في البعد عن التجسيد – في صورة كبش أملح، يقال نام فلان فرأى كذا، أي مقلوبه من مان [مقلوب نام]، أي كذب في عرف العادة، فإن العلم ما هو لبن – والقرآن ما هو عسل، ولكن هكذا تراه، فإذا كَمُلْتَ رأيته علماً في حضرة المعاني، في حال رؤيتك إياه لبناً في حضرة البرزخ، وهو هو لا غيره، وما جعل الله النوم في العالم الحيواني، إلا لمشاهدة حضرة الخيال في العموم، فيعلم أن ثَمّ عالماً آخر يشبه العالم الحسي، ونبه بسرعة استحالة تلك الصور الخيالية للنائمين من العقلاء، على أن في العالم الحسي والكون الثابت استحالات مع الأنفاس، لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواس، إلا في الكلام خاصة وفي الحركات، وما عدا هذين الصنفين، فلا تدرك صورة الاستحالات والتغيرات فيها إلا بالبصيرة، وهو الكشف، أو بالفكر الصحيح في بعض هذه الصور لا في كلها، فإن الفكر يقصر عن ذلك.

والنوم هو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة الموجبة للراحة، لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة في حال اليقظة. من الحركة، وإن كان في هواها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾ [النبأ: ٩] يقول: وجعلنا النوم لكم راحة تستريح به النفوس، وهو على قسمين، قسم انتقال وفيه بعض الراحة، أو نيل غرض أو زيادة تعب، والقسم الآخر قسم راحة خاصة، وهو النوم الخالص الصحيح الذي ذكر الله أنه جعله راحة، لما تعبت فيه هذه الآلات والجوارح والأعضاء البدنية في حال اليقظة، وجعل زمانه الليل وإن وقع بالنهار، كما جعل النهار للمعاش وإن وقع بالليل، ولكن الحكم للغالب، فأما قسم

الانتقال فهو النوم الذي يكون معه الرؤيا، فتنتقل هذه الآلات من ظاهر الحس إلى باطنه، ليرى ما تقرر في خزانة الخيال، الذي رفعت إليه الحواس ما أخذته من المحسوسات، وما صورته القوة المصورة، التي هي من بعض خدم هذه الخزانة، لترى هذه النفس الناطقة – التي مَلّكَها الله هذه المدينة الإنسانية – ما استقر في خزانتها، كما جرت العادة في الملوك إذا دخلوا خزائنهم، في أوقات خلواتهم ليطلعوا على ما فيها، وعلى قدر ما كمل لهذه النشأة، من الآلات التي هي الجوارح، والخدام الذين هم القوى الحسية، يكون الاختزان، فثَمّ خزانة كاملة لكمال الحياة، وثَمّ خزانة ناقصة، كالأكمه فإنه لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الألوان، والخِرس لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الأصوات ولا الحروف اللفظية، هذا كله إذا عدمها في أصل نشأته، وأما إذا طرأت عليه هذه الآفات فلا، فإنه إذا انتقل بالنوم إلى باطن النشأة ودخل الخزانة، وجد صور الألوان التي اختزنها فيها قبل طرق الآفة، وكذلك كل ما أعطته قوة من قوى الحس الذين هم جباة هذه المملكة، ولله تجلٍ في هذه الخزانة في صور طبيعية بصفات طبيعية، مثل قوله ﷺ: «رأيت ربي في صورة شاب»، وهو ما يراه النائم في نومه من المعاني في صور المحسوسات، لأن الخيال هذه حقيقته، أن يجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً، وذلك لأن حضرته تعطي ذلك، وما ثَمّ في طبقات العالم من يعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحضرة الخيالية، فإنها تجمع بين النقيضين، وفيها تظهر الحقائق على ما هي عليه، لأن الحق في الأمور أن تقول في كل أمر تراه أو تدركه – بأي قوة كان الإدراك – إن ذلك الذي أدركته هو لا هو، كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧] فلا تشك في حال الرؤيا في الصورة التي تراها، أنها عين ما قيل لك إنه هو، وما تشك في التعبير إذا استيقظت، أنه ليس هو، ولا تشك في النظر الصحيح أن الأمر هو لا هو، فالحق الظاهر بالصورة هو لا هو، فهو المحدود الذي لا يُحَدّ، والمرئي الذي لا يُرَى، وما ظهر هذا الأمر إلا في هذه الحضرة الخيالية في حال النوم، أو الغيبوبة عن ظاهر المحسوسات، بأي نوع كان، وهو في النوم أتم وجوداً وأعمه، لأنه للعارفين والعامة، وحال الغيبة والفناء والمحو وشبه ذلك ما عدا النوم، لا يكون للعامة في الإلهيات، فما أوجد الله شيئاً من الكون على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه، إلا هذه الحضرة الخيالية، فلها الحكم العام في الطرفين، كما للممكن قبول النقيضين، فيكون له ذلك ذوقاً، فأوجد الله هذه الحضرة الخيالية ليظهر فيها الأمر – الذي هو الأصل – على ما هو عليه، وجعل تعالى هذه الحضرة كالجسر بين الشطين، للعبور عليه من هذا الشط إلى هذا الشط، فجعل النوم معبراً، وجعل المشي عليه عبوراً، قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[يوسف: ٤٣]، وجعل إدراك ذلك في حالة تسمى راحة وهي النوم، وإنما سمينا هذه الحالة من النوم بانتقال، لأن المعاني تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس المواد، كظهور الحق في صور الأجسام، والعلم في صورة اللبن وما أشبه ذلك، والانتقال الثاني، انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى هذه الحضرة بالظاهر المحسوس، ولكن ما له في هذه الحضرة ثبوته الذي له في حضرة اليقظة، فإنه سريع التبدل في هذه الحضرة، ولهذا تعبر الرؤيا ولا يعبر ما أدركه الحس، وأما القسم الآخر من التقسيم، فهو قسم الراحة وهو النوم، الذي لا يرى فيه رؤيا، فهو لمجرد الراحة البدنية لا غير.

قال ﷺ: «الناس نيام»، فما أعجب الأخبار النبوية، لقد أبانت عن الحقائق على ما هي عليه، وعظمت ما استهونه العقل القاصر، فإنه ما صدر إلا من عظيم، وهو الحق، فإذا ارتقى الإنسان في درج المعرفة، علم أنه نائم في حال اليقظة المعهودة، وأن الأمر الذي هو فيه رؤيا إيماناً وكشفاً، ولهذا ذكر الله

أموراً واقعة في ظاهر الحس وقال: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ﴾ [الحشر: ٢]، وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً ﴾ [آل عمران: ١٣]، أي جوزوا واعبروا مما ظهر لكم من ذلك، إلى علم ما بطن به وما جاء له، لذلك قال ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، ولكن لا يشعرون، ولهذا قلنا: إيماناً، فالوجود كله نوم ويقظته نوم.

الدخول إلى عالم الخيال الحقيقي

الرياضة والمجاهدة:

الرياضة ومنها رضت الدابة، هو الإذلال، ولا يوصف به إلا الجموح، والجموح نزاع، وإنما يراض المهر الصغير لجموحه وجهله بما خُلِقَ له، فإنه خُلِقَ للتسخير والركوب والحمل عليه، والمهر يأبى ذلك، فإنه ما يعلمه، فيراض حتى ينقاد في أعنة الحكم الإلهي، وكذلك رياضة النفوس، لولا ما فيها من الجموح، ما راضها صاحبها، فإن النفوس الإنسانية لما خلقها الله على الصورة الإلهية، شمخت على جميع العالم ممن ليست له هذه الحقيقة، وانحجبت عن الحقائق الإلهية، التي تستند إليها حقائق العالم حقيقة حقيقة، فاكتسبت الرياضة لأجل هذا الشموخ، فذلت تحت سلطانه، وحُمِدَت على ذلك، والرياضة تذليل الصعب من الأمور، فمن ذلل صعباً فقد راضه، وأزال عن النفس جموحها، فإنها تحب الرياسة والتقدم على أشكالها، والرياضة تمنع النفس من هذا الخاطر وسلطانه، ولا ترى لها شفوفا على غيرها، لاشتراكها معهم في العبودية، وإحاطة القبضة بالكل، فبماذا ترأس؟! فتمتثل أمر الله من حيث إنها مخاطبة من عند الله بذلك، وتود أن يكون كل مخاطب من العبيد مسارعاً إلى امتثال أمر سيده، إيثاراً لجنابه، ما يخطر لها في المسارعة أن تسبق غيرها من النفوس، فيكون لها بذلك مزية على غيرها، لا يقتضي مقام الرياضة ذلك، فإن الرياضة خروج عن الأغراض النفسية مطلقاً من غير تقييد.

والمجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية، المؤثرة في المزاج وَهناً وضعفاً، كما أن الرياضة تهذيب الأخلاق النفسية، بحملها على احتمال الأذى في العِرْض، والخارج عن بدنه مما لا حركة فيه بدنية، فبالرياضة تهذبت أخلاق الإنسان وسهل انقياده، وبالمجاهدة قلّ فضوله، ويعطي حكم ذوق العقل الرياضات النفسية وتهذيب الأخلاق، فتتضمن الرياضة المجاهدات البدنية، ولا تتضمن المجاهدة الرياضات، والرياضات أتم في الحكم، فإن النبي ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فمن جُبِلَ عليها فهو منور الذات مقدس، ومن لم يجبل عليها، فإن الرياضة تلحقه بها وتحكم عليه.

تم كتاب الخيال

كتاب الجلال والجمال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

به الحول والقوة

الحمد لله العظيم جلاله لظهور جماله، القريب في دنوه، الرقيب في سموه، ذي العزة والسناء والعظمة والكبرياء الذي جلت ذاته أن تشبه الذوات وتعالت عن الحركات والسكنات والالتفات وعن درك الإشارات والعبارات كما جلت عن التكييف والحدود وعن النزول بالحركة والصعود وعن الاستواء المماس للمستوى عليه والقعود وعن الهرولة لطلب المقصود وعن التبشبش المعهود للقاء المفقود إذا صح منه المقصود كما جلت أن تفصل أو تجمل أو يقوم بها ملل أو تتغير باختلاف الملل أو تلتذ أو تتألم بالعمل أو توصف بغير الأزل كما جلت عن التحيز والانقسام أو يجوز عليها ما تتصف به الأجسام أو تحيط بكنه حقيقتها الأفهام أو تكون كما تكيفها الأوهام أو تدرك على ما هي عليه من اليقظة أو المنام أو تتقيد بالأماكن والأيام أو يكون استمرار وجودها بمرور الشهور عليها والأعوام أو يكون لها الفوق أو التحت أو اليمين أو الشمال أو الخلف أو الأمام أو تضبط جلالها النهى أو الأحلام كما جلت أن تدركها العقول بأفكارها أو أرباب المكاشفات بأذكارها أو حقائق العارفين بأسرارها والوجوه بأبصارها على ما يعطيه جلال مقدارها لأنها جلت عن القصر خلف حجبها وأستارها، فهي لا تدرك في غير أنوارها كما جلت أن تكون على صورة الإنسان أو تفقد من وجود الأعيان أو يرجع إليها حالة لم يكن عليها من خلقها الأكوان أو تكون في تقييد ظرفيّة السّوداء الخرساء وإن ثبت لها بها الإيمان أو تتحيز بكونها تجلّ في العيان أو ينطلق عليها الماضي أو المستقبل أو الآن كما جلت أن تقوم بها الحواس أو يقوم بها الشك والالتباس أو تدرك بالمثال أو القياس أو تتنوع كالأجناس أو يوجد للعالم طلبا للإيناس أو يكون ثالث ثلاثة للجلاس كما جلت عن الصاحبة والولد أو يكون لها كفؤا أحدا، ويسبق وجودها عدم أو توصف بجارحة اليد والذراع والقدم أو يكون معها غيرها في القدم جلت عن الضحك والفرح المعهودين بتوبة العباد وعن الغضب والتعجب المعتاد وعن التحول في الصور كما يكون في البشر فسبحانه من عزيز في كبريائه وعظيم في بهائه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أما بعد فإن الجلال والجمال مما اعتنى بهما المحققون العالمون بالله من أهل التصوف وكل واحد منهما نطق فيهما بما يرجع إلى حاله وإن أكثرهم جعلوا الأنس بالجمال مربوطا والهيبة بالجلال مربوطة وليس الأمر كما قالوه وهو أيضا كما قالوه بوجه ما وذلك أن الجلال والجمال وصفان لله تعالى والهيبة والأنس وصفان للإنسان فإذا شاهدت حقائق العارفين الجلال هابت وانقبضت وإذا شاهدت الجمال أنست وانبسطت فجعلوا الجلال للقهر والجمال للرحمة وحكموا في ذلك بما وجدوه في أنفسهم، وأريد إن شاء الله أن أُبين عن هاتين الحقيقتين على قدر ما يساعدني الله به في العبارة.

فأقول أولا إن الجلال لله معنى يرجع إليه منه وهو منعنا من المعرفة به تعالى، والجمال معنى يرجع منه إلينا وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندنا به والتنزلات والمشاهدات والأحوال وله فينا أمران الهيبة والأنس وذلك لأن لهذا الجمال علوا ودنوا، فالعلو نسميه جلال الجمال وفيه يتكلم العارفون وهو الذي يتجلى لهم ويتخيلون أنهم يتكلمون في الجلال الأول الذي ذكرناه وهذا جلال الجمال قد اقترن معه منا الأنس والجمال الذي هو الدنو قد اقترنت معه منا الهيبة فإذا تجلى لنا جلال الجمال آنسنا ولولا ذلك لهلكنا فإن الجلال والهيبة لا يبقى لسلطانهما شيء فيقابل ذلك الجلال منه بالأنس منا لنكون في المشاهدة على الاعتدال حتى نعقل ما نرى ولا نذهل، وإذا تجلى لنا الجمال هنا فإن الجمال مباسطة الحق لنا، والجلال عزته عنا فنقابل بسطه معنا في جماله بالهيبة فإن البسط مع البسط يؤدي إلى سوء الأدب، وسوء الأدب في الحضرة سبب الطرد والبعد، ولهذا قال من المحققين ممن عرف هذا المعنى اقعد على هذا البساط وإياك والانبساط فإن جلاله في أنفسنا يمنعنا في الحضرة من سوء الأدب كما أن هيبتنا في جماله وبسطه معنا يمنعنا من سوء الأدب، فكشف أصحابنا صحيحٌ وحكمهم بأن الجلال يقبضهم وإن الجمال يبسطهم غلطٌ وإذا كان الكشف صحيحا فلا نبالي فهذا هو الجلال كما تعطيه الحقائق.

واعلم أن القرآن يحوي على جلال الجمال وعلى الجمال، فأما الجلال المطلق فليس لمخلوق في معرفته مدخلٌ ولا شهودٌ، انفرد الحق به وهو الحضرة التي يرمي فيها الحق سبحانه نفسه بما هو عليه فلو كان لنا فيه مدخلٌ لأحطنا علما بالله وبما عنده وهذا محال.

واعلم يا أخي أن الله تعالى لما كانت له الحقيقتان ووصف نفسه باليدين وعرفنا بالقبضتين خرج على هذا الحد الوجود فما في الوجود شيء إلا وفيه ما يقابله، وغرضنا من هذه المقابلة ما يرجع إلى الجلال والجمال خاصة وأعني بالجلال جلال الجمال كما ذكرنا فليس في الحديث المأثور عن المخبرين عن الله تعالى شيء يدل على الجلال إلا وفيه ما يقابله من الجمال وكذلك في الكتب المنزلة وفي كل شيء كما أنه ما من آية في القرآن تتضمن رحمة إلا ولها أخت تقابلها تتضمن نقمة كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ يقابله ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، وقوله: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الحجر: ٤٩]، يقابله ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[الحجر: ٥٠]، وقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨﴾ [الواقعة: ٢٧-٢٨]، الآيات يقابلها ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢﴾ [الواقعة: ٤١-٤٢]، الآيات وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، يقابلها ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾[القيامة: ٢٤]، وقوله: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ يقابله ﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾[آل عمران: ١٠٦]، وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤﴾ [الغاشية: ٢-٤]، الآيات يقابله ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩﴾ [الغاشية: ٨-٩]، وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾ [عبس: ٣٨-٣٩]، يقابله ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١﴾ [عبس: ٤٠-٤١]، وإذا تتبعت القرآن وجدته كله في هذا النوع على هذا الحد وهذا كله من أجل الرّقيبتين الإلهية في قوله: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾[الإسراء: ٢٠]، وقوله: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾[الشمس: ٨]، وقوله في المعطى المصدق ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٧]، ويقابله في البخيل المكذب قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾[الليل: ١٠]، فاعلم، وهكذا أيضا آيات الجلال والجمال في كتاب الله، وأنا أحب أن أذكر من آياتهما قليلاً وأتكلم عليها من طريق الإشارات بما تدركه الأفهام المتفرغة لطلب هذه المعاني المقدسة عن الكدورات

البشرية والشهوات الحيوانية والله يؤيد بالعصمة والإصابة في القول والعمل آمين بعزته وأجعلها إشارات بدلا من قولنا فصل أو بابٌ. وأبتدي بآية الجلال ثم أردفها بآية جمالها ثم أنتقل إلى آية جلال أخرى على هذا الحدّ إن شاء الله وقد يكون للآية وجهان، وجهٌ في الجلال ووجهٌ في الجمال فأسوقها بعينيها في الجلال والجمال لكونها تتضمن التقابل إن شاء الله تعالى.

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ وهذه آية تقابلها فيها وتقابلها أيضا تمامها وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، ويقابلها من الأحاديث قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته»، فاعلم يا من غرق في بحر المشاهدة أن المثلية في الجلال معقولةٌ كما أن المثلية في الجمال لغويةٌ، فنفى بهذه الآية المماثلة التي في الاشتراك في صفات النفس وهنا بحورٌ عظامٌ منها أن المماثلة بين الشيئين لا يقضى بالكمال فيهما، والفضائل وغير ذلك فإن تماثلا من طريق صفات النفس فقد تماثلا أو تناقضا من طريق صفات المعاني كرجلين قد اشتركا في صفات النفس الواحد منهما عاجزٌ قاصرٌ جاهلٌ أبكم أعمى أصم والآخر عالمٌ قادرٌ مريدٌ متكلم بصيرٌ سميعٌ وقد جمعهما حدٌّ واحد، وهو أنهما حيوانٌ ناطق مائتٌ مثلاً، فإذ كان ذلك فهي إشارةٌ فافهم كما يقع الاشتراك والتماثل في صفات المعاني ولا يقع الاشتراك بالمثلية وإن كانت حقيقة الشيء من صفات نفسه فتعدد ويشتركه شيء آخر في بعضها فليس ذلك الشيء بمثل لذلك الشيء الآخر من جميع الوجوه، كالحيوان الذي يطلق على الإنسان وعلى البهيمة فليس الإنسان بمثل للفرس لأن من شرط المثلية الاشتراك في جميع الصفات النفسية ولا يكون ذلك إلا في أشخاص النوع الواحد.

وهذه المثلية تسمى عقلية فلتكن هذه المماثلة الكاملية الكلية والمماثلة الجزئية هو أن يقع الاشتراك في بعض صفات النفس وهو مثل من حيث ذلك ثم يقع الانفصال وتأبى الحقائق أن تقبل المماثلة في صفة المعاني فإنها ليست بحقيقة لذات الموصوفة بها فهي كالأعراض وان كانت لازمةً أو يستحيل عدمها لأن المماثل هناك إنما هو بين المعنيين لا بين الشيئين اللذين قام بهما هذان المعنيان المتماثلان كالعالمين فوقع التماثل بين العالمين عقلاً وحقيقةً فإن تماثل العالمان فمن غير هذا الوجه وتشخصت المعاني بتشخص من قامت بهم، فتشخصها بحكم التبعية كتحيز العرض بالتبعية في تحيز محلّه لأنه بحيث محله لأن العرض يتحيز فهذه إشارة إلى أن الباري ليس بيننا وبينه اشتراك في صفات النفس بوجه كلي ولا جزئي فلهذا انتفت المثلية من جهة الحقائق بيننا وبينه، ولا يغرنك أن وصفك بما وصف نفسه من كونه عالما ومريدا وغير ذلك وكذلك البهيمة سمعية وبصيرة ومريدةٌ فافهم ذلك.

الجمال:

الآية بعينها قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى: ١١]، مثلية لغوية كقولهم زيد مثل الأسد، والكاف هنا بمعنى الصفة فيقول ليس مثل مثله شيء فنزل الحق في مقام البسط بصفة الجمال لقلوب العارفين به ونفى في هذه الآية أن يشبههم شيء من جميع مخلوقاته كما نفى فيها من كونها جلالا أن تشبهه فنبه بهذه الآية على شرف الإنسان على جميع المبدعات والمخلوقات فحقيقته لا أينَ وأثبت له

صفات التمام والكمال فجعله فياضا وملّكه مقاليد الأسماء وبهذه المثلية اللغوية صحت له الخلافة وتعمرت به الداران وبها سخر الأرواح وبها قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [الجاثية: ١٣]، فهذه الآية تدل على مباسطة إلهية إذا تجلت إلى قلب المحقق يكون حاله في ذلك الوقت المعاني التي تقدم في جلالها كما أنه إذا تجلى إلى قلب المحقق جلال هذه الآية يكون حاله في ذلك الوقت معنى جمالها، وهكذا في كل تجلّ كما قررناه، فجلالها بفرض المثل ونفي شبهه ومماثله وجمالها بوجد المثل ونفي مماثله، فالجلال يثبت تقديس الحق والجمال يثبت رفعة العبد وكما قال في جلاله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، في حقائقه المقابلة للحقائق الإلهية ثم ارتفع في مقابله نزول الحق مقام المثلية بالسميع البصير فافهم هذه الإشارة فإن بقاء العبد بأوصاف نفسه ببقاء الله وإن بقاءه بأوصاف كماله الثابتة في الربوبية العارضة في العبودية بإبقاء الله فالمحقق ببقاء الله مشغوفٌ لأنه في مشاهدةٍ لا تنقطع فإنه مع التقابل، وغير المحقق بإبقاء الله مشغوف لأنه محجوب بالتألِه فهو مع الله من طريق الفعل في الكون على التماثل وهو الحال، يقول أهل الجنة في الجنة للشيء يريدونه كن فيكون فيرى المحقق تكوين ذلك الشيء عن معنى قوله لا عن قوله ويرى غير المحقق ذلك التكوين عن القول لوقوعه عنده وقد اشتركا في نفي القدرة عنهما فافهم.

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، فيها تقابلها، وقيل للنبي ﷺ أرأيت ربّك؟ فقال: نوراً أنّى أراه. فلا يزال حجاب العزة منسدلاً لا يرفع أبداً جلّ أن تحكم عليه الأبصار هكذا عند مشاهدتها إياه لأنها في مقام الحيرة والعجز فرؤيتها لا رؤيتها كما قال الإمام عليّ عليه السلام:

العجـــــــــــز عــــــــــن درك الإدراك إدراكٌ والبحـــــث عـــــن ســــر ذات الله إشـــــراك

إشارة:

لا تدرك الأبصار الهواء لكونها سابحةً فيه، فمن كان في قبضه شيءٌ فإنه لا يدرك ذلك الشيء.

إشارة:

يريد البصر أن يدرك لون الماء والشّفافة الغالية في الصفاء فلا يدركها لأنه لو أدركها لقيدها وذلك لأنها أشبهته في الصفاء والإدراك لا يدرك نفسه لأنه في نفسه ويدركها فهو البصر المبصر.

إشارة:

إذا نظر البصر إلى الشيء الصقيل فيرى فيه الصورة فإدراكه للصورة للجسم الصقيل لأنه لو جهد أن يدرك ما يقابل الصورة التي في الصقيل من الصقيل لم يقدر، والصقيل لا يتقيد فإذا سئل ما رأى فلا يقدر أن يقول رأيت الصقيل لأنه لا يتقيد ولا يحكم عليه بشيء وإن قال ذلك فهو جاهل لا معرفة له بما شاهده ولكن يقول رأيت فيخبر عن الصورة أو الصور التي رآها وهو الصدق فقد عرت هذه الأشياء عن إدراك البصر مع كونها مخلوقة فافهم، ولكنه أدرك هذه الأشياء بغير تقييد، وقبول هذه الأشياء إلى الصور ذاتي لا ينفك عن الصورة البتة عند رؤية الرائي وهي رؤيتك فتحقق ما ذكرناه.

واعلم أن الله تعالى أن يحيط به بصرٌ أو عقلٌ ولكن الوهم السخيف يقدره ويحده والخيال الضعيف يمثله ويصوره. هذا في حق بعض العقلاء الذين قد نزهوه عما تخيلوه وتوهموه ثم بعد التنزيل يتسلط عليهم سلطان الوهم والخيال فيحكم عليه بالتقدير وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]، وهو رجوعهم إلى ما أعطاهم العقل بالبرهان الصحيح من التنزيه عن ذلك.

الجمال:

وأما جمال هذا الجلال فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فنزل سبحانه في جماله مباسطةً معنا إلى أن ندركه بأبصارنا، وينظر إلى هذا قوله عليه السلام: «ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحابٌ لا تضارون في رؤيته». وقال تعالى في حق أصحاب الجحيم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]، والنظر بإلى في كلام العرب لا يكون إلا بالبصر وبفي يكون بالعقل وبالفكر وباللام يكون للرحمة وبغير أداة يكون للتقابل والمكافحة والتأخير.

والإبصار من صفات الوجوه وليس العقل منها فلا بدّ من رؤيته، وقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لموسى عليه السلام حكمٌ يرجع إلى حال ما علمه من سؤال موسى عليه السلام لا يسعنا التكلم فيه وقد أحاله على الجبل ودك الجبل وصعق موسى، والإدراك لا يصعق وليس من شرطه بنيةٌ مخصوصةٌ ولا البنية من شرطه، وإنما من شرطه موجودٌ يقوم به لأنه معنى، والصعق قام بالبنية الكثيفة فلما أفاق سبح ولا فائدة للتسبيح عند القيام من ذلك الموطن إلا لمشاهدة ما ثم أعطته المعرفة التوبة من اشتراط البنية ثم أقر بأنه أول المؤمنين بما رآه في تلك الصعقة لأن الإيمان لا يتصور إلا بالرؤية في أي عالم كان، ولهذا قال النبي عليه السلام لحارثة: «ما حقيقة إيمانك»، قال: «كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً»، الحديث.

فأثبت الرؤية في عالم ما، وبها صحت له حقيقة الإيمان وأقر له النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالمعرفة، وما عدا هذا فهو الإيمان المجازي فلا فائدة للإيمان بالغيب إلا لحوقه بالمشاهدة، ولهذا لا يدخله الريب، فموسى أول من أدرك بالبصر على وجه ما، وهذه المرتبة لها حالٌ ومقامٌ فإن كان في المقام فهو أول من أدركه وإن كان في الحال فيمكن أن رآه غيره، وتكون الأولية موقوفة على الحال بكمال القصة وهذا يوجد كثيرا فإذا باسطك الحق في المشاهدة لهذه الآية فتقنع بأنه لا يدركه الإبصار وإن لم تفعل هلكت كما أخبرتك، وإياك أن تبسط بل تكون الهيبة عليك قائمة فهي حافظتك فاعلم، والله المرشد سبحانه.

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[الجن: ٢٨]، إشارة إلى الإحاطة الإلهية بجميع الأسماء الكائنة الماضية والكائنة في الحال والكائنة في المستقبل فهي لا تختص إلا بالوجود الكائن والذي كان ويكون فهو تعلقٌ أخصٌ من تعلق قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[الطلاق: ١٢]، من الواجبات والجائزات والمستحيلات وإن كان بعض العلماء لا يسمي شيئا إلا الموجود فلا نبالي فإن الله قد أحاط بكل شيء علماً وقد علم المحال ولو خصص صاحب هذا الاصطلاح العلم المحيط في هذه الآية بالموجودات فليس

له دليل على ذلك إلا كونه اصطلح على أنه لا يسمي شيئا إلا الموجود فالإحاطة هنا على بابها من العموم.

والإحصاء يقتضي التناهي في الشيء الذي أحصي، والإحاطة إنما هو عبارة عن تعلق العلم بالمعلومات الغير المتناهية هنا، وقد يكون الإحصاء ههنا على العموم بمعنى الإحاطة ولكن كما قلنا في الكائنات المستقبلة وهي لا تتناهى، فإن مقدورات الله لا تتناهى ومعلوماته كذلك أكثر من مقدوراته وغير ذلك، والإحصاء بالعدد لا يتعلق به لأنه لا يجوز عليه فيحصي نفسه، والمحال لا يوصف بالعدد فيتعلق به الإحصاء ولكن يحيط به العلم أي معنى لعلمه من جميع الوجوه، فإذا كان الحق قد أحصى كل شيء عددا فأنت من الأشياء المعدودة، فحفظه ورقبته عليك، فإذا شاهدته الأسرار من هذه الآية تاهت في جلال الحق وحارت في أنفاسها ولحظاتها ولمحاتها ونفحاتها وخطراتها وكل ما يكون فيها ومنها، فإذا تحققت بهذه المشاهدة بسطها الحق بالآية التي أذكرها بعد هذا في جمال هذا الجلال، فعندما تريد الأنس بذلك يتجلى لها في هذا الجلال في تلك الآية فيحيره ويتلفه فافهم.

الجمال:

قال الله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾[الصافات: ١٤٧]، فجاء بأو التي للشك وهذا محال على الله تعالى، فلما نزل الحق في جماله في هذه الآية مباسطة معنا والشك منوط بها فقام للعبد ضربٌ من المناسبة، فإن كان العبد جاهلا حمل ربه على نفسه ووصفه بالشك فضلّ، وإن كان محققا هرب إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[الجن: ٢٨]، فوقف على سر ذلك وألحق الشك بالرؤية البشرية المعتادة على الخطاب المتعارف بين العرب بالكثرة فيعود الشك على المخلوق، وإن أراد إحصاء العدد وأراد أن ينزه نفسه من غير الوجه الذي نزه بارئه فليأخذها على إرادة الكثرة لا عن العدد، وإن كانت لا تخلو عن عدد محقق ولكن لم يرد القائل هنا الإعلام بتعيين العدد وإنما تعلقت الإرادة بالإعلام بالكثرة فهذه الصيغة إذا كانت المتعارفة بين المرسولين إليهم لا يريدون بها الوقوف على عدد محقق، فإذا شاهد العبد إرادة الكثرة هنا انكشف له إحصاء ما علمه من وقت وجوده إلى وقته وما يكون إلى ما يتناهى ولكن بحقيقة يخالفنا فيها بعض العلماء من المتكلمين وذلك أن يكون العلم يتعلق بمعلومين فصاعدا وهذا محال عند بعضهم ومن جوز ذلك كالإمام أبي عمرو السلالِفيّ رضي الله عنه فإنه لا يخالفنا في هذه المسألة.

وأما قول الاسفرائني أبي إسحاق: "إن القلب لا يحمل في الزمان إلا علم واحد"، فقد يمكن أن يشير إلى ما ذهبنا إليه، وكذلك في حده العلم بما يتصور منه إحكام الفعل وإتقانه ففيه أيضا تلويحٌ إلى هذا ونحن إنما نتكلم مع أرباب الحقائق والأسرار من أهل الله تعالى، وإنما اطلب التعلق ببعض أقوال علماء الرسوم تأنيسا للقلوب الشاردة عن هذه الطريقة من جهة هذه الحقائق، فاعلم ذلك، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾.

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [البقرة: ١٦٣]، تقابلها فيها أيضا، هو خطابٌ ينسحب على كل مألوهٍ متعبد.

إشارة:

وذلك أن سر الألوهية لولا ما وجدها كل عابد في معبوده أي عند عبادته لمعبوده ما عبده، وهكذا لو مكنوا من فصل الخطاب لقالوا وإنما ضل المضل لنسبة الألوهية لمن ليس بإله وهو إنما عبد من ذلك المعبود سر الألوهية التي هي لله تعالى لما انسحب أثرها على ذلك المعبود ربنا تبارك وتعالى، فهذا روح قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[البقرة: ١٦٣]، فأثبت عين ما نفى في حكم الحقيقة وإنما أخذوا هؤلاء بالنسبة التي أضافوها لما نحتوه وسموه ونصبوه ورفعوا إليه حوائجهم، فافهم ذلك فإنه سر عجيب.

إشارة:

نفى الشريك الذي لا وجود له، فما نفى شيئا، فإن الشريك موضوع غير موجود، والموضوعات إضافات، والإضافات لا حقيقة لها، فإذا نفى الشرك إثبات الوحدانية، وإثبات الوحدانية أمر يرجع إلى الوجود، ونفي الشرك أمرٌ يرجع إلى العدم فافهم.

إشارة:

تجلي الوحدانية وهو الاستواء الإلهي على العرش الإنساني وهو بخلاف الاستواء الرحماني، فإن الاستواء الإلهي في نقطة الدائرة وهو قوله تعالى: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن". والاستواء الرحماني محيط للدائرة وهو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، فالعرش في الاستواء الرحماني بمنزلة الحق في الاستواء الإنساني والقلب في الاستواء الإلهي بمنزلة الحق في الاستواء الرحماني فإذا تجلت الوحدانية لم يعاين المشاهد سوى نفسه سواء كان في مقام وحدانيته أو في غيرها، فإن كان في مقام وحدانيته فهو بمنزلة ضرب الواحد في الواحد فلا يخرج لك إلا الواحد في الأعداد على المثال والتقريب هكذا: اضرب ١ في ١ يخرج لك ١ فإذا كان غير وحدانية فهو بمنزلة من يضرب واحدا في اثنين فإنه لا يخرج له إلا اثنان وكذلك في جمع الأعداد بالغا ما بلغ مثال ذلك أن تضرب ١ في ١٥ الخارج ١٥ أو تضرب واحدا في ١٥٥ الخارج لك ما ضربت فيه الواحد وهو ١٥٥ فافهم ذلك.

الجمال:

وأما جمال هذا الجلال فقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الاسراء: ١١٠]، نزل الحق في جماله مباسطة معنا برحمانيته وبهذا الاسم استوى على العرش وهي المعرفة العامة وإليها ينتهي العارفون وفيها ينبسط المحققون ويقبضهم جلالها وهو قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣]. ولما كان الله جامعا لكل شيء وكان الرحمن جامعا لحقائق العالم وما يكون فيه ولهذا قيل رحمن الدنيا والآخرة، لهذا قيل لهم: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ فإن دعاءهم إنما هو تعلقهم به لمنافعهم على قدر معارفهم وهي عند اسمه ﴿الرَّحْمَٰنَ﴾، وهذا الاسم ﴿الرَّحْمَٰنَ﴾، يتضمن جميع الأسماء الحسنى إلا الله فإن له الأسماء الحسنى والرحمن وما يتضمنه الاسم الله وإذا ناديت الله فإنما تنادي منه الرحمن خاصة وتنادي من الرحمن الاسم الذي تطلبه الحقيقة الداعية إلى الدعاء فيقول الغريق يا

غياث والجائع يا رزاق والمذنب يا غفار يا غفور، وكذلك في جميع الأسماء فافهم ما أشرنا به إليك فإنه باب عظيم نافع.

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[الأنبياء: ٢٣]، وهذه الآية متعلقة بالقهر والجبروت وإثبات الملك فإذا ثبتت هذه الأوصاف في قلب العبد استحال عليه طلب العلة وكل ما يكون فيه اعتراضٌ.

إشارة:

من علم ما في نفسه فإنه لا يسأل نفسه إلا بتقدير سائل لا يعلم يقيمه فيوقع السؤال منه فإذا كان هذا فلا يسأل عما يفعل فإنه ليس إلا الله وصفاته وأفعاله، ويجاب هذا المعنى في هذه الآية قوله: ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣]، فإن الحقيقة واحدةٌ، فإنه السائل عن فعله بهم وما ظهر عنهم فلا يجيبون إلا بفعله فيهم، فافهم فإني أريد الإيجاز لأهل الإشارات.

الجمال:

جمال هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾[النساء: ٧٧]، نزل في جماله مباسطة فنطقنا بالسؤال، جمال هذه الآية إدلالنا بمغيبنا عن معرفة الجلال في ذلك الوقت فينبغي للعبد أن يحضر عند هذا السؤال مع قوله لا يسأل عما يفعل. إشارة هذه البنية بعد بنائها إنما يعسر على من يتكلف ويتعنى في إقامتها ومن لا كلفة عليه في ذلك، بل الخلق وعدمه في حقه سواء فلا يقال فيه إذا فعل هذا إنه ليس بحكيم.

إشارة:

من أن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها ومنها رد الصور على ما يقتضيه الموطن الذي تكون فيه وليس موطن الآخرة كموطن الدنيا فلا ينبغي أن تكون نشأة الدنيا نشأة الآخرة بل كما قال عليه السلام من الصفاء والرقة والحسن والاعتدال في أهل النعيم ونقيضه في أهل الجحيم فإن الدنيا كدرة متغيرة فنشأتها مريضةٌ سقيمة مظلمة ولا بد من النقلة فلا بد من تغير النشأة، ولما تحققوا هذا قالوا في آخر الآية: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[النساء: ٧٧]، فإنه لا بد من تغير النشأة.

إشارة:

﴿ لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾[النساء: ٧٧]، طلب المعرفة بالله من طريق الفكر وردّ الشبه المظلمة، وطلب المشاهدة بالمجاهدة والمكابدة، وهذا كله من بسط الحق لهم فحكم عليهم بالإدلال فأساؤوا الأدب بخلاف المحققين.

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء: ٤٨]، دائرة لا إله إلا الله تعم كل موحد ولا يخلد في النار، ولا يظهر سلطانها إلا فيمن ليس له خير غيرها ولا يشفع في أصحابها إلا أرحم الراحمين خاصة وما سوى الله فإن شفاعته إنما تكون فيمن عنده مثقال ذرة من خير من غير التوحيد، وغرضنا أن نفرد

كتابا إن شاء الله في لا إله الله وأهلها خاصة فجلال لا إله إلا الله صعبٌ فإنه يقتضي أن لا يكون في البشر اعتماد على غير هذا المعنى وهذا صعب فبسطهم هذا الجلال الأعظم في سريان سر الألوهية بالفعل العام في الموجودات المعبودات من الأداني إلى الأعالي فإذا وقفوا على هذا السريان سر الألوهية بالفعل انبسطوا في الأسباب وعرفوا منه ما خلقوا له وما خلق لهم، فافهم هذا.

الجمال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣]، والشرك من الذنوب وهو لا يغفر، نزل الحق في جماله مباسطة لنا فأشهدنا سريان الألوهية في المعبودات فانبسطوا في الشرك فقبضهم جلال قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[النساء: ٤٨]، لما ستروه في نفوسهم فأظهروا نقيض ما هم عليه، ستر الله ما كان منهم من المخالفة عليهم جزاء لسترهم إياه في قلوبهم وقسمهم في ذلك الستر على قسمين، فقسم سترهم عن غيرهم وقسم سترهم عن نفوسهم كما سترهم عن الآلام أن تراهم إذا دخلوا النار بأن يميتهم فيها إماتة فذلك الذي ستروه في قلوبهم من توحيده هو الذي ستر القلب الذي هو محل الآلام أن تراه عين الآلام وهذه إشارة بديعة يبسط القلوب جمالها ويورث الإدلال حنانها ولطفها.

إشارة:

لما لم يستروه لم يسترهم في موطن من المواطن فأفضحهم على رؤوس الأشهاد.

إشارة:

الله هنا معناه الغفار وإنما جاء بالاسم الجامع لكونه قال في الآية جميعا، والغفار ليس له مقام الجمع فقال [الله].

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[الأنعام: ٩١]. المعرفة تتعلق بأمرين من كل معروف الأمر الواحد الحق والآخر الحقيقة، فالحق من مدارك العقول من جهة الدليل، والحقيقة من مدارك الكشف والمشاهدة، وليس ثم مدرك ثالث البتة، فلهذا قال حارثة: "أنا مؤمن حقاً"، فأتى بالمدرك الأول فكان عنده مؤيداً بالمدرك الثاني، ولكن سكت فقال له النبي ﷺ: «فما حقيقة إيمانك»، يرى إن كان عنده المدرك الثاني، فأجابه بالاستشراف والاطلاع والكشف، فقال له النبي ﷺ: «عرفت فالزم»، فلا تصح المعرفة للشيء على الكمال إلا بهاتين الحقيقتين: الحق والحقيقة.

فإذا أخبر الله تعالى بأنا عاجزون عن إدراك حق قدره فكيف لنا بحقيقة قدره، وليست القدر ههنا إلا المعرفة بما يقتضيه مقام الألوهية من التعظيم ونحن قد عجزنا عنه فأحرى أن نعجز عن معرفة ذاته جلت وتعالت علوا كبيرا.

فلما عاين المحققون هذا الإجلال وقطعوا أنهم لا يقدرون قدره مع ما تقرر عندهم من التعظيم وقدر ما هم بالتقصير فعرفوا أنه ليس في وسع المحدثات أن تقدر قدر القديم لأن ذلك موقوف على ضربٍ من المناسبة الحقيقية، ولا مناسبة في مفاوز الحيرة لهذا الجلال.

الجمال:

جمال هذا الجلال قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، فأنست نفوس المحققين وتحققوا أنه ما أحالهم إلا على ما هم متمكنين من تحصيله بتوفيقه، فلما تحققوا ببسط هذا المقام قبضهم جلال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧].

إشارة:

إذا أردت أن تعرف حد المعرفة التي طلب منك في هذه الآية فانظر إلى ما خلقه من أجلك وأجعلك سلطانا عليه وانظر ما تجد في نفسك أن تطلب من ذلك المخلوق من أجلك أن يعرفك ذلك بعينه طلب الحق منك أن تعرفه به من غير زيادة ولا نقصان وإنك لا تطيق ذلك لعدم توفيقك ومما أوحى الله تعالى به في توراته: يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك.

إشارة:

إذا اعتاص عليك ما خلق من أجلك فلا تذمه فإن الذم منك إنما يطلب الفاعل لذلك الأمر الذي لم ترضه وما ثم إلا الله وليس بأهل للذم فقد شهدت على نفسك بالجهل وسوء الأدب، ومن هذه المباسطة تفرع ولهذا استعمل الهيبة منا عند الجمال فإن لم يكن عندنا في وقت هذه المباسطة وما قدروا الله بجلالها وإلا هلكنا.

تنبيه:

إذا اعتاص عليك من خلق من أجلك فانظر ما طلبت منه وارجع إلى نفسك وانظر ما يناسب ذلك الطلب منك مما يطلبك به ربك فإنه تجده قد طلب ذلك واعتصت وأبيت فاعتاص عليك ذلك الأمر المناسب فإن الله تعالى إذا أوقر في نفسك طلبا ما ممن خلق من أجلك سواء كان مثلك أو لم يكن فإن الله تعالى قد طلب ذلك منك وأنت لم تشعر فإن كنت أطعته في ذلك فإن ذلك يطيعك وإن كانت الأخرى فذلك كذلك واعلم أن الله خلق هذا النوع الإنساني من أجل الإنسان قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[الزخرف: ٣٢]، فافهم هذه الإشارة ترشد إن شاء الله تعالى.

إشارات الجلال:

قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]. ما من آية في كتاب الله تعالى ولا كلمة في الوجود إلا ولها ثلاثة أوجه: جلالٌ وجمالٌ وكمالٌ، فكمالها معرفة ذاتها وعلة وجودها وغاية مقامها، وجلالها وجمالها معرفة توجهها على من تتوجه عليه بالهيبة والأنس والقبض والبسط والخوف والرجاء لكل صنف شربٌ معلومٌ منها، وإنما عدلنا في هذا الجزء إلى ذكر جلال آية وجمال أخرى ليعرف الطالب المريد صور المناسبة بين المتباينين فليس لكلمة مقامٌ رابعٌ ويظهر سرُّ ذلك في الإلهية في معرفة الحق نفسه ويديه وقبضته فاعلم ذلك فأفزع المحققون جلال هذا القول إذ أحالهم على استطاعتهم فرمى بهم في بحر البعد وظهر في عزته فما قدر أحد من المكلفين أن يفي باستطاعته في تقواه فأهلكهم جلال

هذا السهل الممتنع فلما اشتد عليهم هذا الجلال حتى كاد أن يهلكهم بسطهم الحق وآنسهم فأشهدهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[آل عمران: ١٠٢].

الجمال:

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[آل عمران: ١٠٢]، فنزل إليهم في جماله مباسطة حين أمرهم بالوفاء بالحق فأنسوا واطمأنوا فخافوا على أنفسهم من غوائل البسط فاستعملوا نفوسهم وأسرارهم في ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[التغابن: ١٦]، فحفظت عليهم هذه الآية أدب الحضرة إشارة، اتقوا الله بالله وهو قوله ﷺ: "وأعوذ بك منك"، قال الله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩]، وقال: ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[غافر: ٣٥]، إشارة اتقوا الله من كونه ساخطا بالله من كونه راضيا.

إشارة عامية كونية:

اتقوا الله المعاقب بالله المعافي، فمن عرف حقائق الأسماء فقد أعطي مفاتيح العلوم، ويكفي هذا القدر فإن الغرض من ذكرى تفصيل هذه الآيات تعليم المدخل إلى هذا الفن ومعرفة مأخذه فإنه مأخذ عزيزٌ، والله يعصمنا وإياك من الدعوى.

تنبيه:

اعلم يا أخي أن القرآن العزيز خاطبنا الحق به على طريقين منه آيات خاطبنا بها يعرفنا فيها بأحوال غيرنا وما كان منهم وإلى أين كان مبدؤنا وإلى أين كانت غايتنا وهو الطريق الواحد، ومنه آيات خاطبنا بها لنخاطبه بها وهي على قسمين: خاطبنا بآيات لنخاطبه بها مخاطبة فعلية مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ١١٠]، ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦]، وغير ذلك، ومخاطبة لفظية مثل قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦]، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾[المؤمنون: ١٠٩]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأشباهُ ذلك كثيرٌ وليس القرآن يحوي على غير هذا، وينبغي لك أن تتنبه للتفرقة في كلام الله تعالى إذ قرأته مثل قوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ﴾[البقرة: ١٤]، وقف هنا وبين قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾[البقرة: ١٤]، وقف ثم قل: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ﴾[البقرة: ١٤]، وقف ثم قل: ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾[البقرة: ١٤]، وقف ثم قل ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ﴾[البقرة: ١٥]، فإنك إذا قرأته على هذا الحد عرفت أسراره وميزت مواقع الخطاب وحكايات الأحوال والأقوال والأعمال وتناسب الأشياء فاعلم ذلك وقد تبين المقصود فلنقبض العنان. والله ينفعنا وإياكم بالعلم ويجعلنا من أهله والحمد لله رب العالمين.

تم كتاب الجلال والجمال

كتاب الجلالة وهو كلمة الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

به الحول والقوة

الحمد لله حمدا لا تعلمه الأسرار ولا تعرفه الأرواح ولا تدركه العقول ولا تضمره القلوب ولا تستشرف عليه النفوس ولا تنطق به الأفواه، الجامع للمحامد الأزلية والممد للمحامد الأبدية بالتقديس للحامدين عن النظراء والأشباه، والصلاة على السيد المؤتى جوامع الكلم محمد الذي عنت لقيومية مَشرِفِهِ الوجوه وسجدت له الجباه صلاة دائمة قائمة ما نطقت بمجده الألسنة وتحركت بالصلاة عليه الشفاه وسلم تسليما عليه وعلى الذين اصطفى من كل حليم أواهٍ.

أما بعد: فإني ذاكر في هذا الكتاب بعض ما تحوي عليه الجلالة من الأسرار والإشارات فأقول إن الله للأسماء بمنزلة الذات لما تحمله من الصفات فكل اسم فيه يندرج ومنه يخرج وإليه يعرج وهو عند المحققين للتعلق لا للتخلق وحقيقته أنه دليل الذات لا غير ثم أنه يظهر في مواطن كثيرة ومراتب جمّةٍ إذ لا فائدة لتصور الذات في تلك المواطن لما تطلبه تلك المراتب من المعاني والأحكام فتكون الجلالة في ذلك الموطن تعطي بما تحتوي عليه من معاني الأسماء ما يعطيه ذلك الاسم من جهة ذلك المعنى الذي يختص به وفيه شرف ذلك الاسم من حيث أن الجلالة قامت مقامه في ذلك الموطن بمهيمنيتها على جميع الأسماء وخصوصيتها بالإحاطية فيها كالمذنب إذا قال يا الله اغفر لي، فالجلالة ههنا نائبةٌ مناب الغفار فلا يجيبه منها إلا معنى الاسم الغفار وتبقى الجلالة مقدسة عن التقييد. ثم إنها غيب كلها ما فيها من عالم الشهادة شيء إلا استرواح ما في وقت تحريكها بالضم في قولك الله لا غير فإن الهو يظهر هناك وما عدا هذا فغيبٌ مجرد أعني في اللفظ وأما في الخط والرقم فغيب مطلق لا غير.

قال: واعلموا أنها تحوي من الحروف على ستة أحرف وهي [ا ل ل ا ه]، وأربعة منها ظاهرةٌ في الرقم وهي الألف الأولية ولام بدء الغيب وهي المدغمة ولام بدء الشهادة وهي المنطوق بها مشدّة وهاء الهوية. وأربعة منها ظاهر في اللفظ وهي ألف القدرة ولام بدء الشهادة وألف الذات وها الهو وحرفٌ واحدٌ منها لا ظاهر في اللفظ ولا في الرقم لكنه مدلولٌ عليه وهو واو الهو في اللفظ و واو الهوية في الرقم وانحصرت حروفه، واللام للعالم الأوسط وهو البرزخ وهو معقول والهاء للغيب والواو لعالم الشهادة ولما كان الله هو الغيب المطلق وكان فيه واو عالم الشهادة لأنها شفهية ولا يتمكن ظهورها في الله، لهذا لم تظهر في الرقم ولا في اللفظ فكانت غيبا في الغيب وهذا هو الغيب ومن هنا صح شرف الحس على العقل فإن الحس اليوم غيبٌ في العقل والعقل هو الظاهر فإذا كان غدا في الدار الآخرة كانت الدولة في الحظيرة الإلهية وكثيب الرؤية للحس فنظرت إليه الأبصار وكانت الغايات للأبصار والبدايات للعقول ولولا الغايات ما التفت أحد إلى البدايات فانظر ما هنا من الأسرار وهو أن الآخرة أشرف من الدنيا قال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقال: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].

ثم أن الآخرة لها البقاء والدنيا لها الزوال والفناء، والبقاء والديمومية أحسن وأشرف من الذهاب والفناء.

ثم إن المعرفة بالله ابتداء علم وغايتها عينٌ، وعين اليقين أشرف من علم اليقين، والعلم للعقل والعين للبصر، فالحس أشرف من العقل، فإن العقل إليه يسعى ومن أجل العين ينظر فصار عالم الشهادة غيب الغيب، ولهذا ظهر في الدنيا من أجل الدائرة فإنه ينعطف آخرها على أولها فصار عالم الشهادة أولا وهو مقيد عما يجب له من الإطلاق فلا يبصر البصر إلا في جهة ولا تسمع الأذن إلا في قرب. فخلافه إذا مشى حقيقة وانطلق من هذا التقييد. وصار عالم الغيب وسطا وهو عالم العقل فإنه يأخذ عن الحس براهينه لما يريد العلم به وصار عالم الشهادة المطلق غيبا في الغيب وله يسعى العقل ويخدم.

فصل: لكل شيء ظلٌّ، وظلُّ الله العرش، غير أنه ليس كل ظل يمتد والعرش في الألوهية ظل غير ممتد لكنه غيبٌ، ألا ترى الأجسام ذوات الظل المحسوس إذا أحاطت بها الأنوار كان ظلها فيها، والنور ظله فيه والظلمة ضياؤها فيها، ولما استوى الله على قلب عبده فقال: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي»، حين استوى الاسم الرحمنُ على العرش المعروف الظاهر، فالعرش الظاهر ظل الرحمن والعرش الإنساني ظل الله وبين العرشين في المرتبة ما بين الاسم الله والرحمن وإن كان قد قال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الإسراء: ١١٠]، فلا يخفى من كل وجه على كل عاقل تفاوت المراتب بين الاسمين ولهذا قال المكلفون: وما الرحمن حين قيل لهم: ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠]، ولم يقولوا: وما الله، قيل له اعبدوا الله. ولما كان العرش سريرا صار غيبا في الرحمانية، ولما كان الاستواء الإلهي على القلب من باب وسعني صارت الألوهية غيبا في الإنسان فشهادته إنسان وغيبه إله ولسريان الألوهية الغيبية في هذا الشخص الإنساني ادعى الألوهية بالاسم الإله فقال فرعون: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[القصص: ٣٨]، ولم يتحر من أجل أن قالها عن المشيئة لا عن الحال لا من طريق الأمر أن يقول: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾[طه: ١٤]، ولا قال إله وإنما قالها بلفظة غيري فتفطن وصرحّ بالربوبية لكونها لا تقوى قوة الألوهية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، بخلاف من قالها عن الحال من طريق الأمر بمساعدة المشيئة فكان جمعا مثل أبي يزيد حين قال: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني وقال مرة: أنا الله فلم يكن للألوهية فيه موضع فراغ ترمي سهمها فيه لكمال سعة السريان، فعزة الألوهية على سائر المراتب الأسمائية ظاهرة وغالبة فلا مقاومة لاسم معها البتة.

فصل: الله كلمة نفي شدت في العالم العلوي فارتفع بها الترجمان ومن عاد نفيا بعد الإثبات فلا عين له ولو ظهر في اللفظ كما نفى الشريك بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾[الأنعام: ١٦٣]، فلا عين له في الحكم واللفظ به موجودٌ وما بقي بعد نفي لا إلا الألفان وهو الأول والآخر فاضرب أحدهما في الآخر يخرج الهاء بينهما وينتفيان وهو الهو فإن الأول له تعالى اسم إضافي لا حقيقة له فيه فإنه بوجودنا وحدوث عيننا كان له حكم الأولية وبتقدير فناء أعياننا كان حكم الآخرية ونحن من جانب الحقيقة في عين: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[مريم: ٩]، ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[الإنسان: ١]، فكأنا لم نكن فلا أولية إذن ولا آخرية إذ لا نحن فبقي هو خاصة وهو المطلوب.

فصل: لام هذا الاسم الأولى لام المعرفة، فإن الألف واللام للتعريف كما جاء، والألف الأولى لكان الله ولا شيء معه فبقيت اللام الثانية والهاء وكلامنا على صورة الرقم فهي لام الملك فإن بزوال الألف واللام الأولى تبقى صورة له فهي لام الملك والهاء كناية عن غيب الذات المطلقة فإن الهاء أول الحروف ولها المبدأ وهي غيبٌ في الإنسان ولكن أقصي الغيب فصار هذا الاسم بهذه الإشارات يحوي على كان الله ولا شيء معه من حيث الألف ويحوي على مقام المعرفة من حيث اللام الأولى ويحوي

على مقام الملك وفيه ظهور كل ما سواه من حيث اللام الثانية ويحوي على ذكر العالم له من حيث الهاء لأنها دليل الغيب وهو غيبٌ عنهم فلا يطلقون عليه تعالى إلا هو فبالألف يذكر نفسه وبالهاء يذكره خلقه وبالوجه الذي يلي الألف من لام المعرفة يعرف نفسه أزلا وبالوجه الآخر منها الذي هي لام الملك يعرفه خلقه أبدا بالمعرفة المحدثة ومن حيث اللام نفسها التي هي لام المعرفة تعرفه المعرفة فقد كمل في هذا الاسم الوجود المحدث والقديم صفته حقيقة، وموصوفه، فانظرنا أتم هذا الاسم وما أكمله. وأما الألف الظاهرة في اللفظ بعد لام الملك المتصلة بالهاء في الخط والواو الغيبية في الهاء إذا نطق بالهاء الروح فإن نطق بها الجسم عادت الواو ياء فإن نطقت بها النفس المثلية عادت ألفاً فحكم هذه الألف النطقية والواو المتحولة من صورة إلى صورة بحسب الناطق حكم آخر وذلك أن الهاء لما كانت تنظر إلى الألف الأولى ومقام الألف هناك أن لا يتصل به شيء ظهرت الألف بعد اللام فاتصلت بها اللام في النطق فبقيت الهاء ولا شيء معها مادام الكون لا يذكرها فهي ساكنة سكون حياة لا سكون موت فإن نطق بها الكون أو ذكرها فلا بد أن يكون الذاكرة كما قدمنا فيظهر بعدها من الحروف كما ذكرنا.

فصل: ثم تحقق ما ذكرناه في الهو والهاء والهي في كتاب الهو من التحام الهويات لإيجاد الكائنات إذا نطقت بقولك بالله بكسر الهاء والله بفتح الهاء والله بضم الهاء تجد الهو في الضم والها في الفتح والهي في الخفض وبقي في السَكون لهذا الباب كما ذكرناه وهو الثبوت.

فصل: لما كانت له المهيمنية على سائر الأسماء سرت فيه الأسماء إذا ظهر وسرى فيها إذا ظهرت سريان الماء في الماء وكان التعيين عن واحد من هذه الأسماء فيها أو تعيينها فيه للحكم والأثر وما توجهت عليه، فالقصص تبدي الأسماء والألوهية في العلم والأسماء، والألوهية توجد القصص فكأن الأمر دوري.

فصل: حكم هذا الاسم في العالم الذي يخصه الزائد له على مقام الجمعية والمهيمنية هو الحيرة السارية في كل شيء عندما يريد المعرفة به والمشاهدة وحضرته الفعل وهو المشهد الذي لا يشهده منه سواه، وكل من تكلم فيه فقد جهل ما يتكلم فيه ويتخيل أنه قد أصاب وهو مخطئ، وبهذا المشهد الكوني والحضرة الفعلية صحت الألوهية لا غير حتى أن العقلاء وأصحاب القياس من أصحابنا مثل أبي حامد وغيره تخيل أن المعرفة به تتقدم على المعرفة بنا عند الأكابر وهو غلط نعم يعرفونه من حيث التقسيم العقلي أن الموجودات تنقسم قسمين إلى ماله أول وإلى ما لا أول له وغير ذلك، وهذا كله صحيح ولكن لا يفرقون أبدا كونه إلها ابتداء قبل معرفتهم بهم وكونه ذاتا معلوما صحيح غير كونه إلها، وكلامنا إنما هو في الألوهية لا في أنه ثم ذات قديمة يستحيل عليها العدم فالقائلون بهذا القول لا تثبت لهم المعرفة بالألوهية واسمه الله إلا بعد معرفتهم به ولهذا صرح الشرع بالربوبية على حد ما ذكرناه فقال من عرف نفسه عرف ربه و لم يقل من عرف الرب عرف نفسه، فإنه لا يصح فإذا كانت الربوبية التي هي الباب الأقرب إلينا لم تتمكن معرفتنا بها إلا بنا فأين أنت والألوهية، وقد كنى الشرع عن هذا المقام الإلهي أن حضرته الحيرة في قوله حين قيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض فقال ﷺ "في عما"، بالقصر والمد، "ما فوقه هواء وما تحته هواء"، كلمة نفي، فالقصر للحيرة وجعلها للاسم الله، فلهذا حارت البصائر والألباب في إدراكه من أي وجه طلبته، لأنه لا يتقيد بالأين، والمد للسحاب وهو الجو الحامل للماء الذي هو الحياة ومنه كل شيء فهو في ذاته لا يقال فيه أين ودل عليه بموجود برزخي بين السماء والأرض وفي البرازخ حارت الحيرات فكيف المتحيرون كالخط بين الظل

والشمس والمتوهم بين النقطتين وبين الخطين وبين السطحين وبين كل شيئين فعادت الكلمة البرزخية إلى الحيرة بعينها فما ثمّ إلا الحيرة فما حصل أحدٌ منه إلا ما عنده، لم يحصل غريبا ولا ينبغي أن يحصل، فإن قلت هو هو فهو هو وإن قلت ليس هو هو فليس هو هو وحارت الحيرة.

ولما أراد الله تعالى تحيير بعض المخلوق من باب بعيد خلق القدرة الحادثة في القادر الحادث وأحال التأثير وخلق التوجه من القادر الحادث على الفعل وهو الكسب فظهر ما لم يكن فقال القادر الحادث فهو فعلي فقال القادر الحادث الآخر هو كسبي فقال القادر الحادث الثالث ليس فعلي ولا كسبي وقال القادر القديم هو فعلي وقال الحق و لم يستحل عند السليم العقل أن يكون مقدور بين قادرين وإنما الذي يستحيل مؤثر بين مؤثرين فتفهم هذا الفصل ترشد إن شاء الله. فالله تعالى لا يعلم ولا ينعلم ولا يجهل ولا ينجهل ولا يشهد ولا يكشف ولا يرى بطريق الإحاطة ولا يعقل ولا يدرك وإنما يتعلق هذه الإدراكات كلها بأسماء الألوهية وبأحكام الأسماء التي تستحق كالرّب والمالك والمؤمن ولهذا أثبت الكتاب والسنة الرؤية في الدار الآخرة للربوبية وفي هذه الدار فقال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[الأعراف: ١٤٣]، فلم يجعل الألوهية مدخلا بل قد نفى فقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[الأنعام: ١٠٣]، فأتى بالهو وأثبت أنه لا يدرك وهو الصحيح وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وبها علق الحجاب فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال عليه السلام: «ترون ربكم كما ترون القمر»، وفي حديث «كما ترون الشمس»، ذكره مسلم في صحيحه جاء في الحديث الصحيح في كتاب مسلم: إن الرب يتجلى على طائفة في الحشر فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتنا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورته التي يعرفون فيقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾[النازعات: ٢٤]، فيقولون أنت ربنا فما ظهر لهم إلا الرب وما عرفوا إلا الرب ولا خاطبهم إلا الرب، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾[الفجر: ٢٢]، ولو جاء الله فإنما معناه الرب كما قدمناه فإن الأحوال والقرائن تطلب بحقائقها من الله الأسماء الخاصة بها، والله هو الجامع المحيط.

فصل: ما أحسن ما نبه الله تعالى حين أمر نبيه وأدرجنا معه في ذلك الأمر فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله، فهذه الكلمة تدل على أن النفي هو عين الإثبات هو عين النافي هو عين المثبت هو عين المثبَت هو عين المنفي فإنه ما نفى إلا الألوهية وما أثبت إلا الألوهية وما كان الثابت والمَثبت إلا الألوهية والمثبت، فإنه لو لم تثبت هي في عينها لم يصح أن يثبتها سواها، ولو أثبت مثبت ما ليس بثابت لكان كذبا فهي المثبتة نفسها حقيقة وكلامنا في مقام الحقائق من مقام الحقائق فهذه ستة أحكام، هي واحدةٌ في الحقيقة، وهكذا الوجود كله هو واحدٌ في الحقيقة لا شيء معه، ولهذا ما ألطف إشارة الشرع ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧]، فالشهيد هو الهو والقلب والسمع فقال كان الله ولا شيء معه وتممها العلماء بالله فقالوا وهو الآن على ما هو عليه فالآن هو الهو وكان هو الهو فما ثم إلا هو ونحن موجودون وقد أثبت أن الحال الحال والعين العين فما ثم إلا غيب ظهر وظهورٌ غاب ثم ظهر ثم غاب، ثم ظهر ثم غاب، هكذا ما شئت فلو تتبعت الكتاب والسنة ما وجدت سوى واحد أبدا وهو الهو فلم يزل الهو غائبا أبدا.

وقد أجمع المحققون أن الله لا يتجلى قط في صورة واحدة لشخص مرتين ولا في صورة واحدة لشخصين وهذا هو توسع الهو، وقال أبو طالب: لا يرى من ليس كمثله شيءٌ إلا من ليس كمثله شيء

فالرائي عين المرئي، وقد قال: ليس كمثله شيءٌ فإن كان كما زعم زاعمٌ ليس كهو شيء فالشيء هو الهو، وإن كانت الكاف صفة أو زائدة كيف ما كانت فلا تبال، فإن كان صفة كان لماما، قال أبو طالب: وإن لم تكن صفة كان ليس هو الهو وكان الشيء هو الهو والهو هو فلا هو إلا هو.

ومما يؤيد ما ذكرناه في الله قوله ﷺ: "إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"، فهذا هو الله وهو الهو كما ذكرناه، فما أعلمه ﷺ بالمقامات وما أكشفه للأشياء وليس المراد العدد وإنما المراد أن الله لا يمكن أن يظهر، وأيد الكلام بالبصر، وهذا من أشرف البصر أنه وصف لله، والعقل ليس كذلك لأن العقل متعلقه بالغيب وما في حق البارئ غيب، فالكل له شهادة، فلهذا كان البصر و لم يكن العقل.

ومن هذا الباب على ما قدمناه أن حضرة الحيرة ما دخل من الحيرة على النظار وأرباب الأفكار والاستبصار في الصفات، أعني في إثبات أعيانها لله أو نفيها وأما أحكامها فلا خلاف بين العقلاء في ذلك، وصورة الحيرة في ذلك أن من أثبت أعيانها زائدة على الذات الموصوفة فقد أثبت العدد والكثرة والافتقار في الله وهو واحدٌ من جميع الوجوه [غني بالذات كامل بالذات]، فكيف يكون هذا وإن قلنا لا يلزم مثلا من هذا إثبات العدد على وجه ما فثم ما هو علينا أشد من العدد وهو أن تكون الذات كاملة بغيرها وكل كامل بغيره ناقص بذاته، ومن نفى أعيانها وفر من مثل هذين المقامين إما الكثرة وإما النقص تلقاه أمر آخر وهو أن الحكم لا يقدر من جهة الدليل الذي قد نصبتموه على معرفة الله إن ثبتت هذه الأحكام للذات مجردة فإنه إذا أثبتت كونه قادرا لنفسه وقع الفعل أزلا، وهذا محال، فإثباته قادرا لنفسه محال.

ثم إن القلب لا يجد ذلك الجلاء بقياس الشاهد على الغائب ولا سيما وقد عرف مأخذ العقول من أين هو ومن أين يركب براهينها وأدلتها فالقصور منوط والإقدام على هذه الأمور غير حسن، وكل ما لا يمكن حصوله إلا بالمشاهدة والرؤية أو التعريف فحصوله من غير هذه الطرق افتيات على المقام وجرأة.

فالأولى بأصحاب العقول الوقوف والإقرار بالوجود وإحكام الصفات، ولا سبيل للتعرض لا لنفيها ولا لإثباتها، فإن العقل أعجز من أن يقف على مثل هذا، بل على أقل شيء، فانظر تسلط هذا الاسم العجيب والكلمة العجيبة على جميع العوالم بالحيرة والعمى فيه، فأصحاب العقول انظر ما أشد حيرتهم، ما اجتمعوا على شيء لا المثبتين ولا غيرهم من النفاة وأصحاب المشاهدات قد ظهر إليهم ووقع الإنكار والعياذ منه حين لم يوافق صورة معرفتهم به، فمعرفتهم به رأوا وهو الظاهر لم يزل، لكن إذا كان مطلوبك في المرآة أن ترى فيها وجهك فلم تأتها على التقابل بل جئتها على جانب فرأيت صورة غيرك فيها فلم تعرفها وقلت ما هذا أردت، فقابلتك المرآة فرأيت صورتك فقلت هذا صحيح فالعيب منك لا من المرآة.

ولما قيدت الطلب بصورة معقولة فاتك خيرٌ كثير فقد صار أهل المشاهدة في حيرة أشد من حيرة أصحاب العقول مع المشاهدة، وكذلك أصحاب الرؤية أول رؤية تقع لهم، فإن الرؤية خلاف المشاهدة، ولهذا جاء الخبر بالرؤية غدا لا بالمشاهدة، وقد ذكرنا هذا الفصل في كتاب العين فلينظر هناك، فيمسكون أصحاب الرؤية على ما وقع لهم فيها فإذا رأوه مرة أخرى رأوا خلاف ذلك، وكذلك في كل رؤية، فحاروا كما حار أهل المشاهدة هنا، فما ثم إلا حيرة في حيرة، فلو كان الهو

ظاهرا لما صحّ هذا الخلاف، ولو كان الهو ظاهرا ما كان الهو ولكان الأنا ولابد من الهو فلا بد من الخلاف، ولنا فيه من قصيدة:

وإذا أردت تمتعــــــــــــــا بوجــــــــــــــوده	**قســمت مــا عنـــدي علـــى الغرمـــاء**
وعــــدمت مــــن عينـــي مكـــان وجـــوده	**فظهـــــوره وقـــــف علـــــى إخفـــاء**

فصار ظهور الهو الذي هو الله إذا لم أكن أنا حتى لا يكون هو الهو هو وإلا لو بقيت أنا عند ظهور الهو لكان الأنت والهو لا بد منه فيبقى لا بد منه ولا بقاء لي، وما ينتفي الهو إلا في الهو، فإن الهو ليس من نفسه في الهو ولا في غيره، ومن هذا الباب باب الحيرة الإلهية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وافعل يا عبدي ما لست بفاعل بل أنا فاعله ولا أفعله إلا بك لأنه لا يتمكن أن أفعله بي فأنت لا بد منك وأنا بدك اللازم فلا بد مني، فصارت الأمور موقوفة علي وعليه فحرت وحارت الحيرة وحار كل شيء وما ثم إلا حيرة في حيرة، وكم قلت:

الـــــرب حــــــق والعبـــــد حــــــق	**يــــا ليــــت شــــعري مـــن المكلــــف**
إن قلـــــت عبـــــد فـــــذاك نفـــــي	**أو قلــــــت رب فمــــــا يكلــــــف**

وكم قلت:

حيـــــرة مـــــن حيـــــرة صـــــدرت	**ليــــت شــــعري ثــــم مــــن لا يحــــار**
أنـــــا مجبـــــور ولا فعـــــل لـــــي	**فالـــــــذي أفعلـــــــه باضـــــــطرار**
والـــــذي أســـــند فعلـــــي لـــــه	**لـــــيس فـــــي أفعالـــــه بالخيـــــار**
أنـــــا إن قلـــــت أنـــــا قـــــال لا	**وهـــــو إن قـــــال أنـــــا لـــــم يغـــــار**
فأنـــــا وهـــــو علـــــى نقطـــــة	**ثبتـــــت لـــــيس لهـــــا مـــــن قـــــرار**

وكم قلت:

تعجبـــت مـــن تكليـــف مـــا هـــو خـــالق	**لـــــه وأنـــــا لا فعـــــل لـــــي فـــــأراه**
فيـــا ليـــت شـــعري مـــن يكـــون مكلفـــا	**ومـــــا ثـــــم إلا الله لـــــيس ســـــواه**

ومع قولي هذا كله قيل لي افعل، ومن باب الحيرة الإلهية قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]، فالعاقل يأخذه على إمضاء الحكم وإنفاذه ولا مرد له بقوته، والمحقق يأخذه من باب الحيرة، وإنه لا يتمكن إلا هذا وإلا فكما وصلت الخمسون إلى خمسة و لم يتمكن أن ينقص منها، كذلك لم يتمكن أن تبقى الخمسين أصلا، لما سبق بها القول، فهذا بعض ما في الجلالة من الجلالة وقد نجز الغرض الذي أعطاه الوقت، والحمد لله.

تم كتاب الجلالة

كتاب أيام الشأن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حقيقة: اعلم أن الأيام وإن كثرت فإن الأحكام الفعلية الذي هو الشأن يقللها إلى أن يردها أسبوعاً لا غير، وتتكرر هذه الأيام في الشهور كما تكرر الليل والنهار في الأيام وكما تتكرر الساعات في الليل والنهار، وكذلك الشهور في السنين، والسنون في الدهور والأعصار، فالله لم يزل يجري في الأشياء على ما تعطيها الحقائق وإن جوّز العقل خلافها فلقصوره، فإن الحقائق لا تتجلى إلا بالكشف الرباني، وأما بهذه الأدلة التي بأيدي النظار فما تعطي إلا النزر اليسير، وقد ربما لا تحصل الثقة به، فللعقول حد تقف عنده لا تتعداه، وهذه الأمور وراء طوره حسبه فيها التسليم واللجاء إلى الله حتى يلقيها فيه ضرورة أو يكشفها له عيناً، فالحق سبحانه أبداً يعطف بالإعجاز على الصدور، فالأمر دوري لا يزال في الروحانيات والجسمانيات ويحدث بينهما الأشكال العجيبة الغريبة: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[يس: ٣٩]، فنهار يكرُّ على ليل، وليل على نهار، وفلك يدور، وخلق يدور، وكلام يدور وأسماء تدور ونعيم يدور وصيف يدور وشتاء يدور وخريف يدور وربيع يدور، وسيارة تدور، كما بدأكم تعودون: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الواقعة: ٦٢]:

أنظر إلى العرش على مائه ... سفينة تجري بأسمائه
واعجب له من مركب دائر ... قد أودع الخلق بأحشائه
يسبح في بحر بلا ساحل ... في حندس الغيب وظلمائه
وموجه أحوال عشاقه ... وريحه أنفاس أنبائه
فلو تراه بالورى سائرا ... من ألف الخط إلى يائه
ويرجع العود على بدئه ... ولا نهايات لأبدائه
يكور الصبح على ليله ... وصبحه يفنى بإمسائه

فأعداد تدور وحركات تكر، فسبحان مدبرها ومديرها لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

بيان: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾[ق: ٣٨]، مع قدرته على خلقه إياها دفعة واحدة من غير تدريج، لكن القدرة لا تؤثر في القدر، وإنما أثرها في المقدور، يشاهد القدر فإن شهد بها القدر بالتأثير أثرت وإلا أمسكت عن إذن القدر لا عن أنفسها، فمن حكم القدر كونها في ستة أيام فلا سبيل إلى عدول القدرة عما حكم به القدر: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾[ق: ٢٩]، واليوم عندنا عبارة عن دورة واحدة من دورات فلك الكواكب الثابتة الذي السموات والأرض في جوفه وتحت حيطته، وهو من النطح إلى النطح، ومن البطين إلى البطين، ومن الثريا إلى الثريا آخر المنازل، ومن درجة المنزلة ودقيقتها إلى درجتها ودقيقتها وأخفى من ذلك، إلى أقصى ما يمكن الوقوف عنده، لكن أبين ما تكون فيه هذه النكتة الدرجات، فنقول إنه ما من يوم من هذه الأيام المعروفة في العامة وهو من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس أو من غروبها إلى غروبها أو من استوائها

إلى استوائها أو ما بين ذلك إلى ما بين ذلك على حسب صاحب اليوم فما من يوم قلنا من هذه الأيام إلا وفيه نهاية ثلاث مائة وستين يوماً، هذا موجود في كل يوم، ولهذا ما من يوم إلا ويصلح أن يتكون فيه كل ما يتكون في أيام السنة من أولها إلى آخرها لأن فيه نهاية كل يوم من أيام السنة ففيه حكم ذلك اليوم ولابد، لكنه يخفى من أجل أنه ما فيه منه إلا نهاية خاصة، فاليوم طوله ثلاث مائة وستون درجة، لأنه يظهر فيه الفلك كله وتعمه الحركة وهذا هو اليوم الجسماني، وفيه يوم روحاني فيه تأخذ العقول معارفها والبصائر مشاهدها والأرواح أسرارها كما تأخذ الأجسام في هذا اليوم الجسماني أغذيتها وزيادها ونموها وصحتها وسقمها وحياتها وموتها، فالأيام من جهة أحكامها الظاهرة في العالم المنبعثة من القوة الفعالة للنفس الكلية سبعة: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت، ولهذه الأيام أيام روحانية يعرفها العارفون، لها أحكام في الروح والعقول تنبعث من القوة العلامة للحق الذي قامت به السموات والأرض وهو الكلمة الإلهية، وعلى هذه الأيام السبعة يكون الكلام في هذا الكتاب فإنها التي تدور ويدور الحكم بدورانها، ولما كانت هذه الأيام سبعة من جهة الحكم الظاهر فيها لم يتمكن لنا إلا أن نثبتها كيف هي أنها ما هي على ما تشهد، لأن المشهود إنما هو يوم واحد نهار وليل، وكونها سبعة تدور ليس بمشهود، ولهذا جعلناه على ترتيب الحكم وهو أثبت في العلم.

فنقول: قال الله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[الزمر: ٥]، فهذا هو المشهود من الأيام المحسوسة، ثم أبان الحق من طريق الحكم على حقيقتين بعدها فقال في الواحدة: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾[يس: ٣٧]، فهذا قد أنبأ أن الليل أصل والنهار كان غيباً فيه ثم سلخ كاندراج النور في الظلمة، وليس معنى السلخ معنى التكوير فقد عدل في هذه المرتبة عن اليوم المشهود عند العامة فيتعين علينا أن نبين ليل كل نهار من غيره حين ينسب كل ثوب إلى لابسه، فيرد كل فرع إلى أصله، ونلحق كل ابن بأبيه، فإنه ملعون من انتسب إلى غير أبيه.

وقال تعالى في الإبانة عن الحقيقة الأخرى وهو أقوى في الحكم: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾[آل عمران: ٢٧]، فجعله نكاحاً معنوياً لما كانت الأشياء تتولد فيهما معاً وأكد هذا المعنى بقوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، من قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا﴾[الأعراف: ١٨٩]، فأراد النكاح فكنى، ولهذا كان كل واحد مولِج مولَج فيه، فكل واحد منهما لصاحبه أهل وبعل، فكل ما تولد في النهار فأمه النهار وأبوه الليل، وكل ما تولد في الليل فأمه الليل وأبوه النهار، فليس إذن حكم الإيلاج حكم السلخ، فإن السلخ إنما هو في وقت أن يرجع النهار من كونه مولِجا ومولَجا فيه، والليل كذلك، إلا أنه ذكر السلخ الواحد ولم يذكر السلخ الآخر من أجل الظاهر والباطن والغيب والشهادة والروح والجسم والحرف والمعنى وشبه ذلك. فالإيلاج روح كله والتكوير جسم هذا الروح الإيلاجي، ولهذا كور الليل والنهار في الإيلاج كما كورها في التكوير. هذا في عالم الجسم وهذا في عالم الأرواح، فتكوير النهار لإيلاج الليل، وتكوير الليل لإيلاج النهار، وجاء السلخ واحدا للظاهر لأربابه ولم يذكر السلخ الآخر لأنه معلوم فيه، ولولا ذلك التكوير ما كرره ما احتاج الناظر إلى تكرار الإيلاج لأنه لو لم

يكن تكرر كل واحد منهما لتكرار كل واحد من الآخرين لكان في الوجود روح بلا جسم أو جسم بلا روح، وهذا لا يوجد أصلا، فلا بد من تكرارهما.

إفصاح: فأقول: قال الله تعالى في اليوم المشهود في العامة المعروف عند الكافة ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[الزمر: ٥]، فكان حساب العجم تقديم النهار على الليل وزمانهم شمسي فآيات بني إسرائيل ظاهرة وكانت فيهم العجائب وقال في بلعام بن باعور: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾[الأعراف: ١٧٥]، فدل على أنها كانت عليه في الظاهر كالثوب فإنه أعطى الحروف فكان يفعل بالخاصية لا بالصدق، فليلة السبت عندهم هي الليلة التي يكون في صبيحتها يوم الأحد، وكذا باقي أيام الجمعة – وكان حساب عامة العرب بتقديم الليل على النهار وزمانهم قمري فآياتهم ممحوة من ظواهرهم مصروفة إلى بواطنهم واختصوا من بين سائر الأمم بالتجليات وقيل فيهم كُتِبَ في قلوبهم في مقابلة قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾فنحن على ما عندنا حادون فالصدق لنا – ولما كان في الخضر قوة غريبة للحوقه بنا. لهذا ما عثر صاحبه على السر الذي منه حكم بما حكم، فليلة السبت عندنا هي الليلة التي يكون في صبيحتها السبت وعامتنا أعني الدولة العربية أقرب إلى العلم من العجم فإنهم يعضدهم السلخ في هذا النظر الذي عولوا عليه، غير أنهم لم يعرفوا الحكم فنسبوا الليلة إلى غير يومها كما فعل أيضا أصحاب الشمس، وذلك لأنهم لا يعرفون سوى أيام التكوير، وأيام السلخ يعرفها العارفون، وأيام الإيلاج يعلمها العلماء الحكماء وارثوا الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

تتميم: قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾[يس: ٣٧].

اعلم أنه لما كانت الأيام شيئاً كان لها ظاهر وباطن وغيب وشهادة وروح وجسم وملك وملكوت ولطيف وكثيف، فكان لليوم نهار وليل في مقابله ظاهر وباطن وهي سبعة أيام فلكل يوم نهار وليل من جنسه وإن النهار هو ظل ذلك الليل وعلى صورته في الحكم ولكن بالحقيقة فإن كل يوم مولج في أيام الأسبوع كما قلنا أن الأيام الستة مولجة في اليوم الواحد فقد قال تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾[آل عمران: ٢٧]، فيدخل هذا في هذا وهذا في هذا على ما سنذكره إن شاء الله، وإنما جعلنا النهار ظلاً لليل لأن الليل هو الأصل. وكذلك الجسم هو الأصل فإنه بعد التسوية انسلخ منه النهار عند النفخ فكان مدرجا فيه من أجل الحجاب، فلما أحس بالنفخة الإلهية سارع إليها فظهر فكان مسلوخا منه، وقد تكلمنا في كتاب الجلالة على شرف البصر الحسي على العقلي، وتضيق هذه الأوراق عن تبيين معنى تولد الروح، وقد ذكرنا هذا في كتاب النشأة وبيّنّا فيه أن الروح تولد كما يولد الجسم ورتبناه ترتيباً عجيباً فلينظر هناك، ولما قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾[يس: ٣٧]، لم يبين أي نهار سلخ من أيَّة ليلة و لم يقل ليلة كذا سلخ منه نهار كذا، لكن أرسلها مجملة ليفصلها من ألهمه الله العلم بذلك من عباده، إنه منعم كريم، وهذا هو فصل الخطاب، والحكمة فصل الفصل، فكلامنا في السلخ من باب فصل الخطاب، وكلامنا في الإيلاج من باب الحكمة التي هي فصل في الفصل.

فأقول على مفهوم من اللسان العربي بالحساب القمري من تقديم الليل على النهار: إن ليلة أحد سلخ الله منه نهار الأربعاء فالشأن الذي هو فيه في ليلة الأحد هو فيه في نهار الأربعاء وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس، والشأن كالشأن، وسلخ من ليلة الثلاثاء نهار الجمعة، والشأن هو الشأن، وسلخ من ليلة الأربعاء نهار السبت وشأن هذا شأن هذا، وسلخ من ليلة الخميس نهار الأحد، والشأن الشأن، وسلخ من ليلة الجمعة نهار الاثنين، والشأن الشأن، وسلخ من ليلة السبت نهار الثلاثاء، والشأن الذي يفعله في ليلة السبت يفعله في نهار الثلاثاء وفرغ الأسبوع فجعل سبحانه بين كل ليلة ونهارها المسلوخ منها ثلاث ليال وثلاث نهارات فكانت ستة وهي نشأتك يا أخي ذات الجهات الست فالليالي منها للتحت والشمال والخلف، والنهار منها للفوق واليمين والأمام، فلا يكون الإنسان نهاراً ونوراً تشرق شمسه وتشرق به أرضه حتى ينسلخ من ليلة شهوته، ولا يقبل على من لا يقبل الجهات حتى يتنزه عن جهات هيكله كما بعد هذا النهار من ليله بثلاث ليال وثلاثة نهارات، وحينئذ أشرق وظهر وحكم وشاهد وشوهد، فمن أراد أن يتحقق فلينظر فيما ذكرناه ونبهنا عليه نظر منصف، وإنما يشاهد النسبة من جهة الاشتراك بينهما في الشأن، والله قد ربط الفعل هكذا، والحكم لأول ساعة من الليل ولأول ساعة من النهار، فنسب الليلة لوكيل الساعة الأولى منها الذي وكله الله بها، وهو زوجها، وكذلك النهار فلهذا نسبناه هذه النسبة.

تم كتاب أيام الشأن بحول الله وقوته

كتاب الميم والواو والنون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

به الحول والقوة

الحمد لله فاتح الغيوب وشارح الصدور، وعاطف الأعجاز بفنون الإعجاز على الصدور، وواهب العقول أنواع المعارف عند الورود ومحليه بها عند الصدور، مخصص أهل المعروف، بخصائص الأسماء وخواص الحروف، جاعل الحروف أمة من الأمم، مودعها ما تغطيه ذواتها من الحكم، عند تركيبها وانفرادها مع الهمم، كـــ (ق) و(ش) و(غ)، فهذه حروف مفردة وهي من جملة ما تفيد من الكلم، وضعها على ضروب شتى من الوضع بحكم ما تعطيه حقيقة الطبع مراتب في المعارج الروحانية، ومراتب في المخارج الظلمانية، ومراتب في المدارج الرقمية، وذلك بتقدير العزيز العليم.

ومن أسناها وجودا وأعظمها شهودا "الميم والواو والنون"، المعطوفة أعجازها على صدورها لوسائط حروف العلل المؤيدة بسلطان "كن"، ليكون ما لا بد أن يكون وهي الألف في قولك "واو"، اللازمة حضرة الجود المنزل بالقدر المعلوم، وإن كان غير مخزون، والواو والمضموم ما قبلها في قولك "نون"، وهي دليل العلل الروحانية لقوم ينظرون، والياء المكسور ما قبلها في قولك "ميم"، وهي دليل العلل الجسمانية لقوم يتفكرون.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا ما فصل القلم وأجمله النون.

أما بعد فهذا منزل شريف يعطيك من المعارف الإلهية الوجودية ما يناسب في المشاهد الميم والواو والنون الذي آخرها أولها فلا أول ولا آخر، فاعلموا وفقكم الله أن الحروف سر من أسرار الله تعالى والعلم بها من أشرف العلوم المخزونة عند الله، وهو من العلم المكنون المخصوص به أهل القلوب الطاهرة من الأنبياء والأولياء، وهو الذي يقول فيه الحكيم الترمذي [علم الأولياء]، ولنا فيه موضوعات منها باب في الفتح المكي وسيط.

ومنها باب بسيط في الفتح الفاسي، وسميناه [المبادي والغايات بما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات]، ومنها كتاب بسيط أيضا تكلمنا فيه على الحروف المجهولة التي في أوائل سور القرآن وهي بضع وسبعون حرفا بالتكرار وأربعة عشر حرفا من غير تكرار في تسعة وعشرين سورة لما فسرنا القرآن على هذه الطريقة الإلهية.

ومنها كتبٌ وجيزة مثل هذا وغيره، ولتعلموا أن العلم بالحروف مقدم على العلم بالأسماء تقدم المفرد على المركب ولا يعرف ما ينتجه المركب إلا بعد معرفة نتيجة المفردات التي تركبت عنه.

ولأصحابنا في هذه المسألة خلاف في الظاهر وليس بخلاف أصلا، إلا أن الواحد شاهدٌ مشاهد لم يشهدها الآخر وشاركه في مشاهده فهذا أعم وهذا أخص.

فلو وقف المخالف القائل بالنفي عندما شاهده و لم يتعد أنصف وإنما جعله في ذلك ربط الحضرة الإلهية في الإيجاد بعالم التركيب من الحروف وهي كلمة "كن"، فجاء بالحرفين و لم يأت بحرف واحد وهذا هو والله أعلم الذي أوقعهم في ذلك.

وليعلموا أن الواحد المفرد له في ذاته خاصية وأن المفردات إذا تركبت أعطي التركيب خاصية لا توجد في كل مفرد بعينه وهي أيضا خاصية لمفرد وما شعر بها أصحابنا فإنها خاصية التركيب وهو معنى مفرد.

وكذلك جميع النتائج لا تكون إلا عن الفردية، ألا ترى إلى المقدمتين عند المنطقي مركبة من ثلاثة يتكرر الواحد في المقدمتين فتظهر أربعة وهي ثلاثة ولولا هذا الواحد الذي أعطى الفردية لهذين الاثنين ما صح نتاج أصلا.

وكذلك الذكر والأنثى لا ينتجان أصلا ما لم تقم بينهما حركة الجماع وهي الفردية.

ولهذا يقول أصحاب العدد: أول الأفراد ثلاثة، فبالأحدية ظهرت الأشياء لأنها ظهرت عن الله تعالى الواحد من جميع الوجوه، وعند ظهور الموحد صدر بثلاثة اعتبارات وهي أصل النتاجات كلها وهو كون الذات وكون القادر وكون التوجه فبهذه الثلاثة الوجوه ظهرت الأعيان فتأمل هذه الإشارات تنفعك إن شاء الله تعالى ولنرجع إلى ما كنا بسبيله.

فنقول: للحروف ثلاث مراتب من وجه ما وهي الحروف الفكرية والحروف اللفظية والحروف الرقمية.

والحروف الرقمية في الوضع على رتبتين وضع المفرد وهي حروف - أ ب ت ث - والوضع المزدوج وهي حروف "أبي جاد"، فالوضع المفرد منه الحرف المركب وهي- لام ألف - فبقي ثمانية وعشرون حرفا على عدد المنازل، وعندنا الألف ليست من الحروف.

وعند جابر بن حيان أن الألف نصف حرف والهمزة النصف الآخر، فالألف والهمزة حرف وقد بينا هذا كثيرا في غير هذا الموضع.

وهذه الحروف لها وجوه كثيرة تكاد لا تحصى ولكل وجه خصوص أمر لا يكون إلا له بما هو ذلك الوجه.

ثم إن الحروف وإن كانت مفردة في الخط بالاصطلاح العربي وبعض ما وقفنا عليه من الأقلام فهي مركبة بعضها من بعض كالياء في بعض خاصيتها من كونها ياء خاصية الذال ولذلك كانت بنقطتين لكل نقطة وكذلك اللام مركبة من ألف ونون والنون مركبة من زاي وراء ففي اللام قوة الألف والنون زيادة على خاصيته وفي النون قوة الزاي والراء كذلك

وهكذا أيضا في المخارج فإن الهواء انبعاثه من الصدر إلى خارج الفم فيتقطع في المخارج فتبدو الحروف متميزة الذوات في حاسة السمع فالأول حرف الصدر والآخر حرف الشفة فحرف الصدر لا يعطي سوى نفسه خاصة وهو أصل وما عداه إلى حرف الشفة الذي الواو آخرها في مقابله ففي الواو خواص الحروف كلها وقواه لأنه لا يظهر عنه عند انقطاع الهواء في مخرجه حتى يمشي ذلك الهواء على جميع المخارج كلها فحصل فيه من قوة كل حرف، ثم تأخذ ما سكتنا عنه من الحروف على هذا النحو.

وكل حرف من الحروف الرقمية يصح أن يكون أولا وآخرا ووسطا وتتنوع خواصه بتنوع هذه المراتب.

وأما إن كان نبه عليها فصورها التلميذ عن غير معرفة منه فهذا هو الذي يليق بمقامه ورتبته فإنه أجل من أن يجري عليه لسان ذنب، فإني وإن كنت من بعض حسناته فإني لا أقول بهذا فأحرى مثل ذلك السيد المجتبي حسا وعلما.

وكذلك أيضا وإن كانت للحروف خواص فبعضها أكثر خاصية من بعض، فليست تشبه الحروف الرقمية العربية التي لها الاتصال البعدي وليس لها الاتصال القبلي مثل الدال والذال والراء والزاي والواو والألف وغيرها من الحروف ممن لها الاتصالات، ولا يشبه الحرف المشاكل الفلك كرأس الميم والواو والحرف المشبه لما ظهر به من الفلك كالنون الخاصية؟ فلكل صنف من الحروف ومرتبة فضائل وأمور تختص بها والحرف يشبه الحرف من وجوه كثيرة، وتارة يشبهه من جهة الصورة كالياء والباء إذا عريا عن دليلهما وهو النقط وتارة يشبهه من جهة أعداد بسائطه كالعين والغين والسين والشين وكالألف والزاي واللام وكالنون والصاد والضاد وما بقي من حروف يشبه بعضها بعضا في هذه الحقيقة مثل هؤلاء فإذا أخذوا من هذه الحروف ينوب كل واحد عن صاحبه في العمل فينوب السين مناب الشين والعين مناب الغين وكذلك كل واحد منهم وإنما نبهنا عليه لأن قد يكون الحرف يعطي في العمل معنى وتفسيرا فتنظر إلى شبيهه في البسائط ممن يعطي ضده فتجعله بدله فينجح العمل كالهاء مثلا والواو فإن بسائطهما واحدة بالعدد وأفلاكهما كذلك فيكون في الشكل حرف الواو وهو بارد والبرد يعطي البطء في الأشياء وأنت تحب السرعة فيها فتأخذ الهاء بدله الذي هو حرف حار أو الطاء أو الميم أو الفاء أو الذال.

ومن مراتب أسرار الحروف أيضا أن يكون آخر الحرف كأوله في بعض الألسنة كالميم والواو والنون في اللسان العربي وهو لساننا وهو من مراتب المخارج لا من مراتب القوم فكلامنا على أسراره كطريقة ابن مسرة الجيلي وغيره لا على خواصه فإن الكلام على خواص الأشياء يؤدي إلى تهمة صاحبه وإلى تكذيبه في أكثر الأوقات:

أما تهمته في دينه فهو أن يكون من أهل الكشف والوجود فيلحق بأهل السحر والزندقة وربما يكفر، فهو يتكلم على الأسرار التي أودعها الله في موجوداته وجعلها أمناء عليها والناس ينسبونه إلى أن يقول بنسبة الأفعال إليها فيكفرونه بذلك فيأثمون عند الله حيث لم يوفوا من النظر حقنا ما يجب عليهم ولا فحصوا عن ذلك فهذا وجه تكفيرهم.

وأما وجه تكذيبهم فإن المجرمين لهذه الأشياء ينبغي أن يكونوا عارفين بصور التركيب وأوقاته وأقلامه وغير ذلك فمتى نقصهم دقيقة من ذلك بطل العمل المقصود للعامل فيقول إنه أخطأ في التركيب أو لم يحسن وإنما يزكي نفسه ويقول إن فلانا كذب فإني جربت ما قال وما وجدت له أثرا فالسكوت عن العلوم العملية بأهل طريقتنا أولى من كل وجه بل هو حرام عليهم بسطها بحيث يدركها الخاص والعام فيستعينون بها المفسدون على فسادهم وغايته إن وضعنا نحن منها في كتبنا إيماء لأصحابنا حيث وثقنا أنه لا يعرف ما أشرنا إليه سواهم فلا يصل إليها من ليس منهم ولا أبالي من تكذيبه إياي إذ سلم لي ديني والحمد لله.

فأما الواو فهو حرفٌ شريف له وجوه كثيرة ومآخذ عزيزة، وهو أول عدد تام فإن له من العدد ستة فأجزاؤه مثله وهي النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد فإذا جمعت السدس

إلى الثلث إلى النصف كان مثل الكل، فيعطي الواو عند أصحاب الحروف ما تعطيه الستة من العدد عند العدديين كالفيثاغوريين ومن جرى على مذهبهم، وهو مولد، أعني حرف الواو حرفين شريفين وهو الباء والجيم والباء لها رتبة العقل الأولي لأنه الموجود الثاني، أي في الرتبة الثالثة من الوجود، وكذلك الباقي وجود الحروف الرقمية المزدوجة والمفردة.

والجيم أول المقامات الفردانية فإذا ضربت الباء في الجيم كان الخارج الواو، فلها أيضا من قوة أبويها ومزاجها بذلك القدر فكما يفعل الواو فعل الستة كذلك لها قوة الاثنين والثلاثة ولها حفظ نفسها خاصة ولذلك وجد في الهوية، والهوية حفظ الغيب فلا يظهر أبداً، فهو أقوى من هذا الوجه من جميع الحروف إلا الهاء فإن الهاء تحفظ نفسها وغيرها، والواو يحفظ نفسه خاصة، والهاء والواو عين الهو التي يقال لها الهوية، والغير التي تحفظه الهاء هو كاف الكون وهو ظل كن لأن كن ذات ظلها الكون، لأن نور الذات الإلهي لما ضرب في ذات كن امتد له ظل وهو عين الكون، فبين الكون والحق تعالى حجاب كن، وارتبطت الكاف بالنون لأن النون هي الخمسون التي عشرها الهاء كالخمس الصلوات الحافظة درجات الخمسين صلاة كما جاء في البخاري [هي خمسُ وهي خمسون ما يبدل القول لدي]، فالخمسة عين الخمسين من هذا الوجه.

والكاف إنما تحفظه الهاء وقد زالت عنه في كن فاعتمد على النون حيث كانت هي الهاء فانحفظ وجوده بها وعن هذه المحافظة في [كن] انحفظ الكون من العدم فإن كن لا تخرج الأمر من الوجود إلى العدم فإنه نقيض ذاته فهو يوجد ولا يعدم أصلا لحقيقة ذاته وإنما الأشياء إذا انعدمت فبوجوه غير هذه نعرفها وقد ذكرناها في أماكنها.

ثم إن الواو لتحققها بالهاء وجدت على صورتها في نوع أشكال الهاء وصلت الهاء أو قطعت فإن كانت مقطوعة فشكلها هكذا – ه – فهي واو مقلوبة أو كذا – ه – وكذا – ه – فهي رأس الواو، وكيفما كانت فما زالت عن الواو، وكيف تزول والنسبة تحوي على الخمسة احتواء طبيعيا لا يصح غيره.

وإن وصلت فالهاء شكلان والواو موجودة في الشكلين، فشكل هكذا –هـــ– فتراها فيها وشكل هكذا فتراها فيها مقلوبة وفي الأول مستقيمة.

وهذا كله دليل على قوة نسبة الروحاني إلى الجناب العالي والواو دليله عندنا، وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو القاسم بن قسي في كتاب خلع النعلين له فمن وقف على أسرار الواو تنزل بها الروحانيات العلى تنزلاً شريفاً وهي الدليل أيضا لنا على وجود الصورة فينا في قوله إن الله خلق آدم على صورته.

وبينهما حجاب الأحدية الذي هو الألف فظهر عين الكون على صورة المكون وحال بينهما حجاب العزة الإحمي والأحدية العظمى فتميزت الذوات، فإذا نظرت الكون من حيث الصورة قلت عدما فإن الصورة هي الهو فإذا نظرته من حيث ذاته قلت وجودا، ولا تعرف ذلك ما لم تعرف الفاصل بين الواوين وهو الألف فيعرفك أن هذا ليس هذا وصورة نطق الواو هكذا –واو– فالواو الأولى واو الهوية والهاء مدرجة فيها اندراج الخمسة في الستة فأغنت عنها، والواو الأخرى واو الكون وظهرت الواو في الكون والمكون إن شئت واو الهوية، ثم هي أيضا في الواسطة التي بين الهوية والكون وهي كن

غيبا غابت من أجل الأمر فإنها لو ظهرت عند الأمر لما ظهر الكون إذ لا طاقة له على مشاهدة الهو وكانت تزول حقيقة الهو فإن الهو يناقض الشهادة فهو الغيب المطلق.

ولما كانت هذه الواو لا تقبل الحركات أبدا ما دامت حرف علة لم تزل ساكنة، وسكنت النون بحكم صيغة الأمر فغابت الواو لاجتماع الساكنين إذ لا يصح اجتماعهما فبقيت غيبا من أجل ظهور الكون في مقام السكون ولا واسطة بينهما لغيب النون عنها فغابت.

والميم في المكون زائدة ليست بأصلية والعارض لا ثبات له، وغيب الواو من كن عارضٌ من أجل السكون فإذا زال السكون بالكثرة رجعت الواو فقال كونوا فظهرت الصورة واحدةً في الثلاثة بزوال العارض فكان عين المكون عين كن عين الكون، كَوْن كَوَّنَ، كُوّنَ أو مُكَوَّن إن شئت، والميم زائدة كما كانت في المكون فتحقق هذه الإشارات إلى دقائق المعرفة بالله تعالى من حيث الأسرار الإلهية المدلول عليها بكل وجه، فانظر ما أعجب هذا السريان، ولها وجوه جمةٌ من هذا الباب.

فأما النون فإن الواو الذي له حجاب بينهما، أعني فإنه ما ظهر منه في الرقم سوى نصف الدائرة مثل ما ظهر من الفلك، ومثل ما ظهر من النشأة فإن نشأة العالم كرة، نصف الكرة حس ونصفه غيب وكذلك الفلك نصف الكرة ظاهرة أبدا ونصفه غائب عن الحس، وعلتنا في عدم إدراكه كوننا في الأرض، فالأرض هي الحجاب عليه فما ندركه، وكذلك نشأ في عالم الطبع وظلمته حجبنا عن إدراك عالم الأرواح الذي هو النصف الآخر من كرة النشأة فلا نشاهد إلا آثاره.

فالنون الظاهرة في كن عنها ظهرت المحسوسات والنصف الآخر المغيب المقدر عليها هكذا: ◠ عنه ظهرت الروحانيات.

فالواحد الجسماني ظهر عن الفهوانية والروحاني ظاهر عن معنى الفهوانية، والواو روحانية الذات فتأخذ المواهب من النصف وتلقيه إلى النصف الآخر الجسماني، ولروحانيتها اتصلت النون الروحانية دون الجسمانية فأخذها منها أخذ اتصال وتعشق، وإلقاؤها على النون الجسمانية إلقاء تبليغ، ولهذا هي قليلة اللبث عندنا، وصورة الاتصال هكذا [ن]، وهذا هو المقام الجبرائيلي ويعطي المواهب مجملة من غير تفصيل فيفصلها الواو وهو القلم عالم التسطير عند الإلقاء، وهذه النون الأخرى له كاللوح، فالأمور مفصلة عندها بالقوة من حيث العلم ومن حيث ما هي نون، فهي لمن شاهدها صورة إجمال لا يعرف الناظر فيها ما وراءها وما يحمله حتى ينبعث الترجمان الذي هو اللسان وهو قلم الأقلام فسطر في لوح سمع المخاطب ما أجمله نونه فيعرف السامع بعض ما عنده وهو قدر ما سطر، فإن ارتقوا إلى إلقاء الهمم، فالهمم هناك تكون الأقلام والواوات الروحانية فتلقى على الأسماع من حيث وجه الروحانية منها فتعقل التفصيل في المجمل ولا واسطة ظاهرة: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾[الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، ولها الخمسون من حيث ما هي محسوسة والخمسون من حيث ما هي معقولة.

والواو لها الستة من حيث ثم جهات وهي ذات النون الجسمية ذات المقدار والشكل، فالنون مائة لمائة اسمٍ اسم إلهية لمائة درجة جنانية نعيمية إن كان سعيدا لمائة حجاب إلهية، ولمائة درك ناري عقابي إن كانَ شقيا ويكفي هذا القدر في النون فإن البسط فيها يؤدي إلى إبراز ما لا يسعني إبرازه فإن النون سرٌ عظيم هو باب الجود والرحمة.

وأما الميم فإنه لآدم ومحمد عليهما الصلاة والسلام والياء بينهما سبب الوصلة لهما، فإنه حرف علة، فعمل محمد ﷺ في آدم بالياء عملا روحانيا، من هذا العمل كانت روحانيته وروحانية كل مدبر في الكون من النفس الكلية إلى آخر موجود وهو الروح الإنساني «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، وعمل آدم في محمد عليهما السلام بواسطة الياء عملا جسمانيا من هذا العمل كانت جسمانية كل إنسان في العالم وجسمانية محمد ﷺ فآدم أبو محمد وأبونا وأبو عيسى في الجسمية، ومحمد أبو آدم وأبونا وجد عيسى في الروحانيات، فإن أبا عيسى روح القدس من مقام الجسدية وعالم التمثيل، وروح القدس ابن لمحمد ﷺ من حيث هو روح، فهو جد لعيسى على هذا النظام العجيب، وإن كان توجه على جسدية عيسى لما استوى في الرحم الأقدس مثل استواء كل نطفة فأعطاه بذلك التوجه الروحانية فهو أبوه مثلنا.

ولما كان الالتحام عن الصورة القدسية بالمحل الأشرف لهذا سميناه جداً حتى ننبه على نشأته الجسدية أنها لم تكن لآدم من جميع الجهات مثلنا، وإن لآدم من حيث مريم فيها حظ وللروحانية من حيث جسديتها الممثلة فيها حظ ولما كان مشتركا وكانت الروحانية غالبة عليه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه، لأن العنصر الروحاني أكثر فيه من العنصر الجسماني، وكان معصوما بالطبع لا يحتاج إلى دافع من خارج كما احتاج غيره.

ثم دل الوجود في الميم في بسم الله الرحمن الرحيم على ما ذكرناه، فإن ميم بسم لآدم لأنه صاحب الأسماء فبهذا المد الموجود فيه كان استمداد عالم الأجسام: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾[النساء: ١]، فإن حواء خلقت من آدم فلو خلقت من غيره لم يصدق من نفس واحدة من حيث الجسمية.

وميم الرحيم لمحمد ﷺ لأنه صاحب الرحمة: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، رحمة الإيمان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، رحمة الإيجاد فبهذا المد الموجود فيه كان استمداد عالم الأرواح فظهر مقامه في عالم الأجسام آخرا ومقام آدم أولا، فقيل بسم الله الرحمن الرحيم بالجسمانية الآخر بالروحانية، فأول من تشقق الأرض عنه غدا محمد ﷺ فتبدو روحانيته من أرض جسمانية فيخلع عليه ويقرب.

ولهذا الميم أسرار لا من حيث هذا المقام كثيرة تركناها أيضا مثل النون، وهذه الياء متصلة بالميمين لأنها علة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾[الكهف: ١١٠]، فاتصل الأمر بيننا وبينه من هذا الوجه، فلهذا اتصلت الياء بالميمين وبخلاف الروح.

ولهذا قال: ﴿بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾[الجمعة: ٢]، ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾[التوبة: ١٢٨]، ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[الأحزاب: ٦]، وهذا كله يعطي الاتصال فلهذا اتصلت الياء هكذا [ميم]، واتصلت الواو بالنون الأولى دون الثانية لما ذكرناه هكذا [نون]، ولم يتصل الألف بالواوين لما ذكرناه هكذا [واو]، فتحقق هذا الحكم وانتهى الغرض.

تم كتاب الميم والواو والنون

كتاب الياء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربِّ يسِّر خيرا

الحمد لله حمد الضمائر، المخصوص بالسرائر، المؤثر في الظواهر، والصلاة على محمد الداعي من مقام البصائر وعلى آله الأوائل والأواخر.

أما بعد فهذا كتاب الياء وهو كتاب الهو كتبنا به إلى أهل الإشارات والحقائق الذين أبصروا الحق في العوائق والعلائق، اعلموا وفقكم الله أن الهو كناية عن الأحدية، ولهذا قيل في النسب الإلهي قل هو الله أحدٌ، فهي الذات المطلقة التي لا تدركها الوجوه بأبصارها ولا العقول بأفكارها، ومدرك الإدراكات ذات التحول والصور، فما من مقام يكون فيه تجل من التجليات مثل تجلي الأنا والإني والأنت والك إلا والهو مبطونٌ في ذلك التجلي فيقع الإخبار عما ظهر من هذه المقامات ويقع التنزيه على الذات المطلقة بالهو فالفهوانية لا تفارق الهو أبدا، وغير الفهوانية لا تعرف الهو، وإنما تعرف الإني والأنا والأنت والك، فالعلماء بالله ما زالوا مربوطين بالهو فقالوا لا أحصي ثناء عليك، فانحجب الهو هنا بالك، أنت كما أثنيت على نفسك وانحجب الهو هنا بالأنت والك.

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "العجز عن درك الإدراك إدراك"، وهو أنه أدرَك أنه لا يُدرك فما أُدرك ولو أُدرك الهو لما كان الهو وإنما يُدرك ما سوى الهو بالهو.

وقال الآخر: "إذا نحن أثنينا عليك بصالح".

فشاهد إلك ثم قال فأنت الذي نثني– فشاهد الأنت وجعله عين الثناء، ثم قال وفوق الذي نثني– فظهر الهو بقوله وفوق يعني وفوق الأنا والأنت وأخواتهما، ثم أثبت بالياء من نثني نفسه فبقي الهو من كل وجه غير معلوم ولا مدرك ولا مشهود ولا مشار إليه، فلا هو إلا هو وما سوى الهو فهو في الأنا والأنت وأخواتهما، فسبحان من شرف الفهوانية بالهو، وحملها من بين سائر الإدراكات لا إله إلا هو، ولسريان الهو في الموجودات إذ لا وجود لها إلا بالهو ولا بقاء لها بعد الوجود إلا بالهو، صار كل ما بعد الهو في حكم البدل من الهو، وفي حكم عطف البيان، أعني يعطف عليه لبيان المراتب التي للهو لا الهو، والهو باق على إجماله وعزته فقال في غير ما موضع: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[الحشر: ٢٢]، فبدأ بالهو وختم بالهو وأظهر بالهو مرتبة الألوهية.

وقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[الحديد: ٥٧]، وقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾[الحشر: ٢٢-٢٤]، فصارت الأسماء المذكورة بعد الهو تبين عن الهو ما يريد من الأحداث في العالم خاصةً، فالأسماء كلها ترجمانات عن الهو والهو مكتنف بحجاب العزة الإحمي في أحديته وهويته، فلهذا جعلنا ما بعد الهو عطف بيان للمرتبة أو بدلا مستخلفاً في المرتبة أيضا، ولا يصح الهو لأحد إلا للذات المطلقة الموصوفة بالأحدية، ولهذا خصت

بالأحدية خصوصية ذات، فإن كل ما سوى الله تعالى موجودٌ مدرك لله ولبعضه، أعني لبعض ما سوى الله فهو في الأنت لا في الهو.

ثم إنه ليس في الكنايات من يقرب من الهو إلا الياء ولا سيما إذا اقترن معها اللام من لي أو الإن من إني فللياء سلطانٌ عظيمٌ لا يقرب أحدٌ إليه إلا حكم عليه، ولهذا إذا أراد الإن أن يبقى على مرتبة ولا يتأثر يأخذ نون الوقاية فيجعلها مجنا بينه وبين الياء فيقع الأثر على نون الوقاية ويسلم الإن في قوله إنني، فالنون الثانية نون الوقاية لا هي نون الحقيقة.

وكذلك الأفعال في ضربني ويكرمني فأكرمني لولا نون الوقاية لأثرت في الأفعال، وهذا من قوة سلطانها وهو متوسطة بين الأنا والهو، والأنا أبعد من الهو منها فإن الأنا ليس له أثرٌ ولكن الأنا أقرب إلى الهو من الأنت والك، فالأنت في غاية البعد من الهو وبقي النحن والإن في تمييز مراتبهما من الهو مع الأنا.

فأما الأنا والإن فهما أبعد من النحن مع الهو والنحن أقرب إلى الهو من الأنا والإن فإن النحن مجمل مثل الهو تفصله المراتب فهو أعني في المضمرات مثل الاسم الله في الظاهرات فكلما لا يتقيد بمرتبة مخصوصة كذلك هذا الآخر الذي هو النحن والأنا أقوى من الإن لتأثير الياء فيه.

ولهذا لما أراد شرف المقام لموسى بالاصطفائية فظهر الأنا والإن أدخل نون الوقاية حتى بقي الإن سالما مثل الأنا لتعلق المقام لموسى فيعظم الحق عنده لما لم يحصل في إنيته تأثيرٌ منه فقال جل من قائل: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[طه: ١٣-١٤]، فسلمت بالأنا الأول والأنا الآخر أعني بغايتها من الأثر حين وقيت بالنون. كذلك من طلب الانتساب إليه به وقي منه به أعني طالب الانتساب فلم يتأثر واحتمى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، فالنحن له القرب والهو له البعد، فإن النحن ناب عنه حبل الوريد، والحبل الوصل والهو بخلاف ذلك فهذا مراتب الكنايات قد بانت، ولها البناء وهو الثبوت وعدم التغير فلهذا استحقتها الألوهية أكثر من الأسماء، والرب الذي هو الثابت وصف هذه الكنايات.

وأما الظواهر يدخلها التغيير باختلاف المطالب والمراتب فلم تحم الأسماء نفسها كما حمت الكنايات فقالوا: قال الله وعبدت الله وبسم الله فوقع التغيير كما ترى واختص الهو بخصوصية عجيبة وهي ثبوته على باب واحد لا يتبدل، فتقول عبدته وأكرمه وشبه ذلك فلا يزول عن هذه المرتبة إذا تعلقت به الأكوان لبقائها، فإذا لم تتعلق به فطلبها هو كان الهو في مقام الرفعة والعزة كالأنا والأنت مع شرف هويته التي الأنا والأنت وأخواتهما ليس عليه، وأما كناية نا وني، ونا، وك، فهي أقرب إلى الهو من الأنا والأنت والإن بل لولا وجودهن في الأنا والأنت والإن ما صح لهم القرب من الهو، وتفصيل هذا الباب يطول، قال: وأما مراتب الخلق في هذه الكنايات فمختلفة باختلافها، وأشرفهم من كان هجيره الهو فإن بعض الناس، ممن لم يعرف شرف الهو ولا الفرق بين ذات الصور والتحول والذات المطلقة جعل الأنا أشرف الكنايات من أجل الاتحاد وما عرف أن الاتحاد محال أصلا وإن المعنى الحاصل عندك من الذي تريد الاتحاد به وهو الذي يقول أنا، فليس باتحاد إذن فإنه الناطق منك لا أنت فإذا قلت أنا فأنت لا هو فإنك لا تخلو أن تقول أنا بأنانيتك أو بأنانيته.

فإن قلتها بأنانيتك فأنت لا هو، وإن قلت بأنانيته فما قلت فهو القائل أنا بأنانيته فلا اتحاد البتة لا من طريق المعنى ولا من طريق الصورة، فالقائل من العلماء أنا لا يخلو إما أن يعرف الهو أو لا يعرف،

فإن عرف الهو فقوله أنا على الصحو غير جائز وإن لم يعرف تعين عليه الطلب واستغفر من أنا استغفار المذنبين، والهو أسلم بكل وجه وفي كل مقام للعالم والمحجوب وأما الأنت فأصعب من الأنا وأكثف حجابا وذلك لأن الأنت إنما يتجلى على صورة العلم. ولهذا ينكر الأنت إذا لم يكن على صورة علم من تجلى إليه، فهو مقام خطرٌ، فإن الأنا منه باق لولاه ما ثبت الأنت، والأنت ينفي عنه الهو، ومن انتفى عنه الهو خيف عليه، فإنه يحتاج صاحب الأنت أن يكون من التنزيه بحيث أن لا يمسك صورة ويكون قد ارتفع عن درجة الخيال ثم عاين مراتب الغيب الكوني كلها، وإن الهو ليس كمثله شيءٌ وحينئذٍ يسلم له تجلي الأنت فإن الحشوية والمجسمة وأهل التشبيه تجليهم إنما هو في الأنت، ولكن ليس هو ذلك الأنت المطلوب للمحققين، وهذا موضع المكر والاستدراج. نسأل الله الإخلاص.

وأما كناية الواو من فعلوا فهي للنحن كالهو للذات سواءٌ وأما كناية نا فإنه يقرب من الياء في التأثير إذ كان الأثر له في مثل قوله أكرمناكم وشبهه فأثرت في الفعل وأزالته عما وجب له من الثبات، وأما إذا لم يكن له تأثير وكان غيره مؤثرا فيه لم يقو قوته وصار مثل أنت في قوله أكرمنا إذا أكرمه غيره، لكن يقوى في الغيب من جهة الشبه بالهو وقد ثبت شرف الهو على جميع الضمائر لشرف الذات المطلقة، فكذلك ما يقرب منه، وما من شيء من هذه الكنايات إلا ولها وجوه في العلو ووجوهٌ في النزول وأُعلي شرفها إذا وقع الشبه بالهو.

واعلموا أن الهو تطلب الياء أكثر من سائر الكنايات، فإن الهو أحد عشر وهو اسم الأحدية، فالأحدية تطلب الأحد ويبقى وهو عشرة، والهو لا يكون عشرة فلا بد من الياء، ولهذا يقول عن نفسه إني ولا يقول هو فيصير الإن ليحقق الياء، فالياء فهوانية للأحدية، والهو فهوانية لنا والإن موجودٌ محقق مؤيد مطلوب لغيره وهو الياء، ثم قد يكون الهو فهوانيا للأحدية إذا تجلى الأنا على قدر علم المتجلى إليه كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، فالشهادة هنا لله وهو الجامع للأسماء، كذلك الياء ذات الأحدية المطلقة، ففي مثل هذا المقام يكون الهو فهوانيا له سبحانه، وأما الياء فهو إنية حقيقة.

تتميم وتكملة

الها والهو والهي، فأما الهو فقد بان بأنه من حيث هو الهو هو، وأما من هو حيث الهو ها أو هي فلا، فأما إذا كان الهو هي فلا يكون إلا عند إيجاد الصورة المثلية فيكون الهو فعلا والهي أهلا والها أمرا جامعا بين الهو والهي كالسبب الرابط بين المقدمتين التي تساق للإنتاج فإنها مركبة من ثلاثة، فلا بد من سبب رابطٍ، فقد كان الهو ولا شيء معه، والهو بما هو الهو لا يكون عنه وجودٌ. والهي بما هي الهي لا يكون عنها وجودٌ، والها بما هي الها لا يكون عنها وجودٌ. وسبق العلم في الياء من إني بالإيجاد لتظهر حقائق الأسماء، فحرك الها الهو والهي فالتقى الهو مع الهي بالها فكان الوجود المحدث، ولهذا كنى عن هذه الملاقاة بالحرفين وهما كن فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ذلك الشيء، فالسببية التي ظهرت في العين ليست هي السببية المتوجه عليها القول، فالشيء هو الهي وأردناه هو الهو وأن نقول هو الها وهو كن السبب الرابط فالكاف من كن هو الهو، والنون من كن هو الهي، وكذا كانت دائرة والرابط المقدر بين الكاف والنون هو الها وهو القول المستفاض على ألسنة المنطقين بأن أمر الله بين الكاف والنون، فهذا مرتبة الها، وقد نبهنا في أبيات على الهو والها والهي وقلنا نظما:

أنظر إذا ما قلت هو أو قلت ها ... وتفطن الخريت بي وتنبها
وأنا يولد منهما هي والذي ... تعطي أنا تجد الدنيَّ تألها
ما ياء إني غيروا الهو ولا ... هو ذاته عند اللطائف والنهى
إن النهى معقولة بنفوسها ... وكذا النفوس بهو وهي عقلت وها
فإذا دعاها السر في غسق الدجى ... ليحلها بالعين من عقد اللها
قالت أنا محبوسة بدعائكم ... ما بين مبدأ جودكم والمنتهى

وقد استوفينا الكلام في هذا الفصل في كتاب الألف والقاف، وهو كتاب الياء، وكان ممن تحقق في هذا المقام سيدنا محمد ﷺ لتمكنه فيه، وكذلك الأكابر من سادات هذا الطريق، وأكثر أهل الطريق عمي عليهم هذا المقام وتخيلوا أنه من مراتب النفس وهيهات وسر الوجود مرتبطٌ، فكيف يكون حجابا عنه وإنما العوائد تحجب، وكذلك مشاركة الأنقص في الصورة، وكذلك ما أنكره إلا من وقف مع الصورة والشهوة البهيمية، ولو وقف مع حكمة الإيجاد وسرعة زوال تلك اللذة كمشاهدة الذات ومنزلها من الأنوار كالبرق عرف قدر ما هام فيه وما طلب وعالم الصور كاملٌ في نفسه والعالم لا ينظر في الأشياء بغرضه ولا بما استقر في عرفِ الوجود فحسب، وإنما ينظر في الأشياء بما هي الحقائق عليه وهو عزيزٌ جدا ولقد تمنيت أن يحصل بيدي من يترك النظر في الأشياء بحكم الغرض والوضع وينظر فيها بما قلنا وما وجدناه حتى الآن، وأنا لا أزال متعوبا بما يرد عليّ ولا أجد محلا أضعه فيه فلا فهم ثاقب ولا تسليم كاملٌ وهذه نفثة مصدور.

قال ثم اعلموا أن هذه الذات المطلقة الحقيقة اختصت بالهو وهو حرفٌ سامٍ شريفٌ وحركته ساميةٌ شريفة أسرت به الأحدية على مراتب الحروف كلها حتى انتهت إلى الواو الذيً هو الآخر كانت الها الأول في الحروف، فقد أعطت الأول والآخر واندرج فيها جميع مراتب الحروف، فما من قوة في حرف إلا والها قد أخذها في هذا السرى وأعطتها منحة إلى الواو، وبها انفتحت الواو من الهو، والفتح عين الجود وباب الرحمة، ولهذا جاء: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]، فقرن الرحمة بالفتح.

فلعلك تقول فكيف تعمل في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٧]، قلنا ليس الأمر كما توهمته، فإنه قد قرن الإبلاس الذي هو البعد عند الفتح، فرحمة الفتح أعطتهم البعد بذلك القدر، فهم في عذاب هو رحمة لمقارنة عذاب آخر، وهذه عناية الفتح وإنما الشديد قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣]، فاقترن بالها والهو والهي، ثلاثة أحرف هي من أشرف الحروف وهو الواو والألف والياء وهي حروف العلة والتشبيه وحروف التأثير، واختصت الها بالألف من أجل الأحدية الذي تطلب الألف، ولهذا كان الها السبب الرابط بين الهو والهي للنتاج وهو الفرد كما ذكرناه في كتاب الألف وهو كتاب الأحدية، فلينظر هناك.

ولما كان الواو رفيعا عليا لهذا جعلناه البعل، وكان الهو بعلاً، ولما كان الهي رفيعا من حيث الأثر سفليا من أجل الكسر أعطيناه الياء وجعلناه الأهل فصار الها بمنزلة الرسالة وصار الهو بمنزلة جبريل عليه السلام المرسول إليه، فظهرت الأحكام والشرائع والمقامات والأسرار من هذا الالتحام المبارك السيد، وكذلك الألف من أنا بين الهمزة والنون والياء من إني بين الهمزة والنون ونون الخيشوم من أنت بين التاء والهمزة فإنها ملحقة بهم إذا أنت مشيت بها على أسلوب الهو وجدت الأمر على السواء.

وشبه النون بالواو والياء أقوى من شبهها بالألف، فإن الألف لها الثبات لا تتحرك أبدا، والواو والياء إذا لم يكونا في مقام العلة تغيرا عن الثبات، ولكن بالفتح خاصة فإن الكسر والرفع لا يحتملانه البتة فأشبهها النون من هذا الوجه ومن وجه آخر.

وذلك أن النون نصف قطر الواو والياء ضعفا النون، فالنون على النصف من الياء إذا خطت الياء كذا [ي]، والواو يزيد على النون بثلاثة أرباع، ثم تشبهها في الفهوانية وهي من عالم الروائح والأنفاس فأشبهت الواو في العلو والرفعة، فلهذا لحقت بالألف والواو والياء، ولقوة الشبه كانت دليلا على إعراب الأفعال مثل هؤلاء في الأسماء في مثل: يفعلون وتفعلون ويفعلان وتفعلان وتفعلين، فالنون هنا بمنزلة الياء في أبيك، والواو في هذا أبوك والألف في قصدت أباك، وأخوات الأسماء المضافة والجمع المذكر السالم وتثنية الأسماء ثم إنها تحذف لدخول العوامل كما تحذف الحركات لدخول العوامل، فلهذا الشبه دخلت في أنت وقامت الأنت مقام الواو في الهو والألف في الها والياء في الهي، فحقق نظرك في هذا الكتاب فإنه يلوح لك من ورائه أسرار رفيعة كثيرة سترها أهل طريقتنا غيرة منهم على الكشف، وما لوّحنا بهذا القدر منها إلا عن غلبة.

نُبَذٌ من مناجاة الهو

يا هو لما غيبتنا عناصرنا منا في غيب فطعمنا من حيث غيبنا فيما غاب عنا منك حين نوه بما غاب عنا منك الهو فنادانا قف على ما غاب منك عنك تعاين ما غاب عنك منا، فطلبنا التأييد فأيدت وطلبنا الإمداد فأمددتَ وطلبنا المعرفة بالدخول إلى ذلك فعرفت فنهضنا في بحر لا ساحل له في الفلك المحمدي اليثربي فتعجبت حيتان البحر ودوابه منا حيث رفعنا شراعنا واستوفينا قلاعنا نطلب فيما لا آخر له وأمد فيما لا أمد له فنودينا يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، فنكصنا على أعقابنا للساحل الذي كان منه إقلاعنا فإذا به عاد بحرا، فكان إدبارنا كإقبالنا نطلب ما لا أمد له ولا أبد ولا أول ولا آخر، فجزنا وطلبنا الإقالة فإذا بالهو ينادي يا عبادي طلبتم مني مقاما لا يراني فيه غيري كنت في العمى ولا شيء معي، وأنا كما كنت لا شيء معي بوجودك، وهذا البحر الذي أنت فيه هو العمى الذي أنت فيه فإن قطعت عماك وصلت إلى عماي، وعماك لا تقطعه أبدا ولا تصل إلي فأنت في عماك ليس معك شيءٌ، وهذا العمى هو الهو الذي لك، فإن الصورة اقتضت لك ما أنت فيه، فقلت يا هو الهو ما أصنع في الهو، قال غرق نفسك فيه، فرميت نفسي من الفلك عريانا منسلخا من ظلمة ذلك الفلك فغرقت فاسترحت، فأنا فيه لا أبرح، فما أنا في الوجود غيري، واسترحت من هم الطلب، فناداني الهو يا من فيه كل شيء، ما يصنع الشيء بالشيء وهو شيءٌ، تنزل شريف:

للحـــــقّ حـــــقٌّ وللإنســــــان إنســـــان	عنــــــد الوجــــــود وللقــــــرآن قـــــرآن
وللعيـــان عيـــان فـــي الشــــهود كمـــا	عنـــــد المناجـــــاة لـــــلآذان آذان
فـــانظر إلينـــا بعـــين الجمـــع تحـــظ بنـــا	فـــي الفـــرق فالزمـــه فالفرقـــان فرقـــان

ومن مناجاة الأنا

ناديت يا أنا فلم أسمع إجابة، فخفت من الطرد فقلت: يا أنا لم لا تجيبني؟ فقال لي: يا متناقض الحكم لو دعوتني أجبتك وإنما دعوت أنايتك فأجب نفسك عنك، فقلت يا أنا إنما قلت أنا من حيث

إن أنا في أنا أنا، كما أن الواحد في الواحد هو الواحد، قال: صدقت فأجب نفسك عني، ولا تطلب مني الإجابة، فقل لأنايتك تجبك وأنا ما أظهر لك أبدا في أنا فلا تدعني به، فإن الدعاء به هوس، إذ الدعاء يؤذن بالفرقان والكثرة والأنا يؤذن بجمع الجمع والأحدية، فكيف تدعو بأنا، لم أقل لك كن حكميا ولا تكن كصاحب حال، فإن الحكيم حاكم وصاحب الحال محكوم تحت سلطان حاله، فما لك لا تفهم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤].

ومن مناجاة الإنّ

يا إني قد تحققت بك مني فلا صبر لي عني لما أصبت مني في إني، كأنك منك لم أطلبني مني بأني لئلاّ تغار فتزول عني إلي، فإنه لا إن لي الأنا بك وإني بي ليس إني، فإن الإن ولي بك لا بي، فقال الإن صدقت في بعض وأخطأت في بعض، سلني أعلمك، فقلت يا إني علمني، قال لك إن، حقيقة ولي إن، حقيقة، غير أن لا يثبت عند إني كما لا تعلم إني عند ظهور إنك، فلا نجتمع في ظهور الإنيتين أبدا فإذا كنت في إنك فأنا معك بحكم الإمداد، وإذا كنت فيك بأني وأذهبت إنك ظهر عنك ما يظهر عني فيتخيل الناظر أن المظهر عن إنك وهو عني إني، فقد علمتك فإذا أردت إني فلا تبق لإنيتك عينا فيك، فمقامي مع الكيان محال.

ومن مناجاة الأنت

يا أنت كانت الأنانية والأنية محققة، الواحدة بألفها والأخرى بتضاعفها فيها، فجاءت بإنيتك فأذهبت قوة إنايتك وإنيتك فضعفت وظهر سلطان بأنيتك يا أنت هل يصح من جهة الحقيقة لا من جهة الوضع أن تقول لي أنت؟ فقال يا عجبا ألست إذا قلت لي أنت أليس باطنها تقول فيك أنا عنك، فإنايتك الباطنة في ظهور أنيتي لا بد أن أقول لها أنت من جهة الحقيقة كما إذا قلت لك أنت أليست إنايتي باطنة في ظهور إنينتك ونانينتك مني تقول لي أنت وما بقي الشأن إلا في فعلت، وأما أنت فالوجود يقضي به فبانيتك صحيحة كنانيتي لا بد منها، وإنما الشأن فيما يضاف إليها، فأما الأنا فالإن لها فصحيح هي وأما ما عدا هذين فاستخرجه فإني لا أعلمه لك، فطربت، فقال لي: ما أطربك؟ فقلت: قد أعلمتني قال: كيف - وهو أعلم - قلت في قولك استخرجه، قال: ألست تعرف أن لي مكراً؟ قلت: بلى، قال: فإياك أن يكون ذلك من مكري، فزال طربي، فقلت: يا أنا وإن كان مكرك حقا فالمجاز لا يدخل الحضرة، قال: صدقت وهذا هو الشأن فابحث تجد، قلت: إن كنت الواهب، قال: ألم أقل لا أعلمك، قلت: يا أنت ما هذا ما قلت لك علمني وإنما قلت لك هب لي أو اعطيني قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف: ٥٤]، قلت: يا أنت من كنت أنت فهوانيته من بحجته، أنت علمتني الحقائق. قال: وأما الك فليس له مناجاة لكن يندرج في الأنت وإن لم يقاومه كما يندرج النحن وواو الجمع في الأنا والهو، وإن كانت لكل واحد منها مراتب، لكن الغرض من هذا الكتاب هذه الزبدة المختصرة التي ظهرت، وقد نجز الغرض، والحمد لله.

تم كتاب الياء

كتاب الأزل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الله مفتّح الأبواب

إن الأزل عند المحققين حكمه حكم القدم وهو نفي الأولية، فهو نعت سلبي ليس بصفةٍ أصلا، فالأمر فيه هيّنٌ قريبٌ ويتبين ما نذكره في إيجاد العالم عن عدم، فإياك أن تتوهم كما توهمه الضعفاء من أن العالم كان يجوز أن يوجد قبل الوقت، ويعني تقدير الوقت الذي أوجده فيه ويجوز أن يتأخر عنه، فاختصاصه بذلك الوقت دون ما يجوز عليه يفتقر إلى مخصص فلا بقولهم قبل وبعد ولا زمان ولا تقدير زمان لأن التقدير في لا شيء فيه ما فيه، وما ثم شيء إلا الله، فَمِن كل وجه وحال يكون هذا خلفا من الكلام.

والذي ينبغي أن يقال إن الباري موجود بنفسه غير مستفاد الوجود من أحد فإنه ليس إلا هو سبحانه، والعالم موجود به مستفاد الوجود منه لأنه ممكن بذاته واجب الوجود بغيره من حيث أنه مستفيد، والباري واجب الوجود لذاته غير مستفيد، وبأن العالم عدم والعدم عين المعدوم لا إن العدم أمر زائد على المعدوم ولا إن الوجود أمرٌ زائد على الموجود، بل العدم نفس المعدوم والوجود نفس الموجود وإن كان يعقل الوجود ولا يعقل ماهية الموجود فيتخيل أن الوجود ليس عين الموجود بل هو حال من أحوال الماهية، ولا تُعرف من جميع وجوهها وتمتاز كما إذا قلت في الجوهر إنه شيء فلا نشك أن كونه شيء من ماهيته، ولكن ما نعقل ماهية بقولنا شيء فقط حتى نقول إن كنا أشاعرة إنه شيء قائم بنفسه متحيز قابل للعرض، فهكذا الوجود والعدم فليس بين وجود الحق والخلق امتداد كما يتوهم ولا إنه بقي كذا أو كذا ثم أوجد، فإن هذه كلها توهمات خيالية فاسدة تردها العقول السليمة من هذا التخبيط، فلا بينية عند الحق ولا عند الخلق إن في الإيجاد، إنما هو ارتباط محدث بقديم، أو ممكن بواجب، أو واجب وجود بغير واجب الوجود بذاته ليس إلا.

وربما تعترض علينا في هذا الأزل من حيث أن من محققي الصوفية فنقول قد قال بعض أئمتكم ممن تشهدون له بالسبق في طريق الحقائق حين ذكر في كتابه مراتب العباد والمريدين والعارفين والعلماء وقال في شأن الله أنه سبحانه ليس بينه وبين عباده نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل فقد أثبت الأزل قلنا تحقق أيها المعترض قول هذا المحقق أن الخطاب يكون من البليغ على حسب ما تووطي عليه في العالم حتى يفهم السامع من لغته واصطلاحه ما يريد فنفى الوقت وأثبت الأزل والأزل عبارة عن نفي الأولية والنفي عدم محض فما ثم شيء ولاثم ثم فينتفي الأزل بما يعقل من معناه مثل القدم فالمعرفة بما يعرف الناس المحققون من معنى الأزل لهذا جاء به ولو عرف أنه يتوهم منه المحققون أنه امتداد في لا شيء أو زمان مقدر يعطي بينيه بعيدة بين الخلق والحق فلما كان محصول الأزل النفي وهو عدم لذلك لم يبالِ به.

فصل: ثم نرجع ونقول بعد هذا التقرير هل كان في الأزل مع الله أحد أم لا، فقالت طائفة القدماء: أربعة، الباري والعقل والنفس والهيولى، وقالت طائفة القدماء: ثمانية، الذات والسبع الصفات،

وقالت طائفة: ما ثم قديم إلا واحد وهو الحق تعالى، وهو واحد من جميع الوجوه ولذاته حكم يسمى به قادرا، وهكذا كل ما جعلوه هؤلائك صفة.

وقالت طائفة بقول هذا وزادت معنى، وذلك المعنى يسمى حقيقة الحقائق، وهي لا موجودة ولا معدومة ولا محدثة ولا قديمة، ولكنها في القديم قديمة، وفي المحدث محدثة، تعقل ولا توجد بذاتها كالعالمية والقائلية ما أشبه ذلك. فإذن فما ثم في الأزل إلا واحد معنى أنه ما انتفت عنه الأولية إلا واحدٌ إلا أنا فإنه لنا في الأزل حكم بوجه ما، فإنا قد علمنا أنا معلومون لله تعالى ولا عين موجودة لنا وأن الأشياء لها أربع مراتب في الوجود: وجود في العلم، ووجود العين، ووجود في الكلام، ووجود في الرقم، فلنا بهذا الحكم في الأزل مرتبتان في الوجود، والمرتبة الواحدة مقطوع بها وهي مرتبة وجودنا في علمه، والأخرى غير مقطوع بها على ما قدمنا، وهو وجودنا في الأزل من كونه قائلا أو متكلما، وهنا نظرٌ، وقد ذكرنا منه طرفا فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستوفى محققا في كتاب الجداول والدوائر لنا فلينظر هناك، فإن هذه العجالة تضيق عن بسط هذه المسألة، والمقصود من هذا الكتاب إنما هو الأزل والأزلي لا غير، فنحن أزليون بهذا الاعتبار لا أن أعياننا موجودة أزلا. وإذ قد تقرر من لسان العلم في الأزل ما فيه غنية فلنرجع إلى لسان الأسرار فيه من باب التوسع، فأقول إن أفلاك الأزل سباعية التي للحق، وذلك عند حلك تركيب هذه الحروف إلى بسائطها، وهي ثلاثة أحرف لكل حرف حضرة، والحضرات ثلاثة، غير أن اللام عندنا مركبة من حرفين، فيكون على هذا أربعة مثل الله وتطابق الاسم والنعت بوجود الألفين واللام والأكثر مع الجلالة، وإنما قلنا في اللام أنه مركب من أجل رقمه، فإنه من ألف ونون، فدائرة اللام مع عطف اللام عليها دائرة كاملة، وهي دائرة الكون، ولما لم يظهر من دائرة الكون إلا القطر، لهذا يظهر الزاي بصورة النون ولم يظهر بصورة الميم والألف من حيث الرقم للذات الإلهية في كان الله ولا شيء معه، والزاي بينها وبين اللام حجاب العزة بينه وبين خلقه. ولهذا أظهر الزاي في الشكل على صورة النون، إلا أنه يقصر عنه، والسبب الموجب لذلك أن النون وهو جوف اللام لا يبدو ولا تناظر منه للزاي إلا قدر شكل الزاي، فلهذا لم يكمل الزاي كمال النون لأنه حجاب، ولو كمل مثل النون لم يكن له ما يحجب فتبطل حقيقة الحجاب، والحجاب لا بد منه فلا بد من شكل الزاي أن يكون على ما ظهر، ولما وقع الحجاب ربما بطل الكون، ولا بد من الحافظ فإنه لولا الحفظ ما بقي الكون، وقد نبه الله تعالى أنه حافظ خلقه بنفسه فقال: ﴿ وَلَا يَئُودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، فقال هو حفظهما، فهو عين الحفظ، فهو عين الحافظ، فكانت الألف التي هي قائمة اللام على رأس النون الذي هو جوف اللام ظل الألف الأولى من خلف حجاب العزة، فالكون محفوظ بالظل، ولما كان ظله ظهر على صورته فكأنه هو والظل كناية عن الرحمة، نقول: إنا في ظل فلان.

وقال تعالى: المتحابون بجلالي اليوم أظلهم بظلي يوم القيامة، وأما الألف الأولى إذا كانت في اللفظ، فهي ألف العظمة وتكون عند ذلك همزة، ويكون حجاب العزة صادرا منها، فإن الزاي في بسائط الهمزة، فإذا كان ألف العظمة كان قائمة اللام ليس بظل، وذلك لأن الألف لا يكون ظلا للهمزة لأنها على غير صورتها، ومن شرط الظل الصورة، ولهذا أقول في ظل العرش إنه ظل الرحمة وإن

الرحمة اسم من أسماء العرش فتكون قائمة اللام إذا بهذا النظر حافظة من الأمر كما قال تعالى: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[الرعد: ١١]، أي من أجل أن أمرهم الله وقال: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾[الأنعام: ٦١].

ثم إن العالم ثلاث مراتب: علوي وسفلي ومتوسط بينهما وما ثم عالم رابع، وإن المنازل التي تنزل فيها الأرواح المسخرة السيارة ثمانية وعشرون منزلة وهي النطح، والبطين، والثريا، والدبران، وإيسان، والحية، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والخرتان، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزبانا، والإكليل، والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية، والفرع المقدم، والفرع المؤخر، والرشاء، وكل منزلتين وثلث منها تسمى برجا فهي غير البروج، والأرواح السيارة التي قد جعل الله بيدها زمام تدبير العوالم سبعة وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، والكاتب، والقمر.

وبترحيل هذه الكواكب في هذه المنازل ربط الله الانفعالات في هذه العوالم فكان جماع العالم ثمانية وثلاثين والأزل ثمانية وثلاثين، فظهر العالم على صورة الأزل من طريق العدد، والأزل من نعوت الله فهو على صورته، والله خلق آدم على صورته والعالم على صورة آدم فارتبط الكل بالكل وظهرت الأربعة التي هي من أشرف المنازل: وهو العالم والإنسان والأزل والله، فتحقق ما ذكرناه فإنه من لباب المعرفة الإلهية.

ثم إنه في الأزل نكتة عجيبة وهو أن العالم لما ظهر بدعوى الظهور أراد الحق أن يطمسه بأزليته فلا يبقى للمحدث أثر فتجلى أزل، ففني العالم بظهور الألف من أزل خاصة وبقي زل في حق العالم كأن سائلا سأل أين العالم؟ فقيل له زل بظهور ألف الذات، والألف هي المطلوبة من الأزل خاصة من أجل الأحدية.

تنبيه: اعلم أن سر الأزل وروحه والذي به وجود الأزل إنما هو أنا، وهكذا إخوان الأزلية كالقديمية والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية وهذه كلها لولا أنا ما كان منها شيء، فإن صحت هذه النعوت له أزلا فأنا هناك أزلا بلا أزلية، وإن لم تصح هذه النعوت [ولا عيني]، فلست هناك، وهذا الفرقان بين أسرار النعوت وأسرار الصفات والأسماء، فالأسماء إنما هي موضوعة لله، لا له على الأشخاص من غير معنى يكون في الشخص منها، مجردة عن هذا كله إلا عن العينية.

فإن عقل من الاسم معنى في المسمى يدل عليه الاسم فليس هو المقصود بالاسم، لأن أصل الوضع في الأسماء إنما هو لتمييز عين المسمى من مسمى آخر خاصة واتفق أن هذا الاسم يدل على معنى في المسمى يستحق به هذا الاسم غير مقصود للواضع.

وقد تكون أسماء أجناس كالإنسان والملك والحيوان والفرس، والمراد بهذا الجنس، وكزيد وجعفر وهذه الشجرة، فهذا من أسماء أعيان الشخصيات، والأوصاف إنما هي لمعان تكون في الموصوف تسمى صفات كالعالم اسم من قامت به صفة العلم وهو وصف للعالم ليس باسم. واسمه مثلا علي أو زيد فهذا هو اسمه الذي يدل على عينه خاصة، فإن سمي بعالم ابتداء كما سمي بزيد وعلي فليس هو بمقصود للواضع إن سماه عالما لقيام صفة العالم أو لتوهمه أنها تكون فيه أو لأنه حيوان ناطق فيعلم علما ما فإنا نجوز أن نسمي عالما الحجر والشجرة لا بمعنى أنها تقبل صفة العلم ولا هي فيها، فمتى ما توهمها واضع الاسم فليس بمسمٍّ على الحقيقة، وإنما هو واصف، وهكذا في كل اسم يعطى الاشتقاق ويدل على معنى

يقوم بالمسمى فهو وصف في الحقيقة، والمسمى واصفا، والمراد الصفة والعين من حيث تلك الصفة لا من حيث ذاتها، فهذا هو الفرق بين الاسم والصفة، وهكذا ينبغي أن تكون أسماء الباري الخاصة أن تدل على مجرد الذات كالله والهُو إذا لم يتفق، ويصح أن يكون غير مشتق من شيء، وكذا هو عند المحققين ولهذا جعلوه الاسم الأعظم لأنه لا يتقيد بمعنى ما في الذات ولا بحكم ما من أحكام الذات، وإنما دلالته على عين الذات بخلاف اسمه القادر فإنه يدل على معنى في الذات يسمى القدرة أو حكم من أحكام الذات في مذهب النفاة، وهكذا الحي والمريد والسميع والبصير والكريم والرحيم، ولهذا قال الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الأعراف: ١٨٠]، لإزالة اللبس عند السامع وإذا ذكر له وهو غائب، وكذلك الكائنات، لهذا السبب لما وقع الاشتراك في الأسماء زال المقصود من الاسم فزادوا النعوت والكنايات مثل هذا وغير ذلك. والباري سبحانه لا يشترك في شيء مع خلقه ولا كان ثَمّ آلهة، ولا يصح، فكانت أسماء حسنى من حيث أنها لأحكام عنده أو لمعان فيها تسمى صفات، ولا شك أن هذا الاسم أعلى من ذلك الاسم الذي يطلب العين عندنا خاصة، ثم لا يخلو توهمك في أسمائه الحسنى هل تريد بكلامه أو كلامنا فإن أردت الأسماء التي سمى بها نفسه بكلامه فتلك لا يقابلها شيء ولا تتصف بشيء ولا يسمي نفسه بها بشيء زائد على الذات وإن أردت الأسماء الواردة في الكتب المنزلة التي أطلقها على نفسه في عالم العبارات والألفاظ بوجودنا فلا بد من نعت الحسنى لها، ولا نشك أن أسماءه له أزلا من كونه متكلما خاصة لأنها من أحكام الكلام، وباب الأسماء يطول الكلام فيه، وقد أفردنا له كتابا.

وأما النعوت والفرق بينها وبين الأسماء والأوصاف أنها ألفاظ لا تدل على معنى قائم بذات المنعوت ولا هي بأسماء فإنها تكون للمنعوت بها وهو مسمى باسم يعرف به، وإنما النعوت ألفاظ تدل على الذات من حيث الإضافة، وهكذا نسميها أسماء الإضافة كالأول فإن نفي الأولية عنه واجب لا بد من ذلك، فإذا نعتناه بالأولية فلا بد من وجود أعياننا وكالقدم عند مقابلة حدوثنا فإن الباري وجود مطلق لا أول له ولا آخر، هو الهُو على الحقيقة.

وكذلك الأزل إنما نعت به من أجل الزمان في حقنا وتوهمنا الامتداد في كان الله ولا شيء معه بفقد أعياننا ليس غير ذلك، وكذلك الظاهر والباطن في حق من ظهر له وبطن عنه، والباطن أتم في النعت من الظاهر فإنه ظاهر لنفسه ولا يكون باطنا لنفسه فإنه محال، فمثل هذه الأسماء تسمى عندنا وعند المحققين نعوتا لا أسماء ولا أوصافا، فالأزلي نعت لا صفة كالقديم وشبهه من أسماء الأوصاف.

وقد يتوهم العاقل أنه لا بد من معنى يعني أنه لا بد أن يعقل من هذا النعت أمر يرجع إلى الماهية إن لم تكن تعطيه الماهية فلا يجوز هذا النعت، ولهذا هو عندنا النعت أكمل من الصفة، فإن الصفة لا تعطي ماهية الموصوف، والنعت يبين عن الماهية وهو أيضا أرفع من الاسم على ما قررنا من الأسماء.

وقد شمل لفظ الأسماء، النعوت والصفات، فالأسماء أولا لأنها للعين من غير أن تعطى من الماهية شيئا ولا من معانيها القائمة، والنعت يتلوه لأنه يدل على الماهية بوجه، والوصف آخر لأنه يدل على معنى في الذات عند مثبتي الصفات ويدل على حكم عند النفاة، فقد مشى في الأزل ما فيه غُنْيَةٌ ومَقْنَعٌ لكل ذي قلب سليم.

تم كتاب الأزل بحول الله وقوته

كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

الحمد لله الذي سلخ نهاره من ليله المظلم وأطلع فيهما شمسه النيرة وبدره المعتم ونصبهما دليلين على الموضح والمبهم حمدا أوليا بلسان القدم يربى على إدراك نهاية أقصى غاية جلال جمال كمال صريف القلم في ألواح صدور الكلم المرقومة بمداد نون الجود والكرم المنزهة من وقت فتق رتق سمائها بجميع الإدراكات عن العدم الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والموقف الأقدم والشكر له على مقتضى ما مضى من حمده وتقدم شكرا باللام لا بالياء فإنه يتصرم.

والصلاة على أول مبدع كان ولا موجود ظهر هناك ولا نجم فسمى مثلا وقد أوجده فردا لا يتقسم.

في قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١]، وهو العالم الفرد العلم وأقامه ناظرا في مرآة الذات فما اتصل بها ولا انفصم فلما بدت له صورة المثل آمن بها وسلم وملكه مقاليد مملكته واستسلم فإذا الخطاب أنت الموجود الأكرم والحرم الأعظم والركن والملتزم والمقام والحجر المستلم والسر الذي في زمزم، هو لما شرب له فافهم، والمشار إليه بواسطة التركيب [المؤمن مرآة أخيه]، فلينظر ما بدا له فيها وليتكتم، وعلى آله وصحبه الطاهرين وسلم.

أما بعد فإني قصدت معاشر الصوفية أهل المعارج العقلية والمقامات الروحانية والأسرار الإلهية والمراتب العلية القدسية في هذا الكتاب المنمق الأبواب المترجم بكتاب الإسراء إلى مقام الأسرى اختصار ترتيب الرحلة من العالم الكوني إلى الموقف الأزلي وبينت فيه كيف ينكشف الكتاب بتجريد الأبواب لأولي البصائر والألباب، وإظهار الأمر العجاب، بالإسرار إلى رفع الحجاب.

وأسماء بعض المقامات إلى مقام من لا يقال ولا يمكن ظهوره بالعلم ولا بالحال وهذه معارج أرواح الوارثين، وسنن النبيين والمرسلين.

معراج أرواح لا معراج أشباح وإسراء أسرار لا أسوار رؤية جنان لأعيان وسلوك معرفة ذوق وتحقيق لا سلوك مسافة وطريق إلى سموات معنى لا مغنى ووصفت الأمر بمنثور ومنظوم وأودعته بين مرموز ومفهوم مسجع الألفاظ ليسهل على الحفاظ، وبينت الطريق، وأوضحت التحقيق، ولوحت بسر الصديق ورتبت المناجاة بإحصاء بعض اللغات وهذا حين أبتدي وعليه أتوكل وبه أهتدي.

باب سفر القلب

قال السالك: خرجت من بلاد الأندلس أريد بيت المقدس وقد اتخذت الإسلام جوادا والمجاهدة مهادا والتوكل زادا وسرت على سواء الطريق أبحث عن أهل الوجود والتحقيق، رجاء أن أتبرز في صدر ذلك الفريق.

قال السالك: فلقيت بالجدول المعين وينبوع أرين فتى روحاني الذات رباني الصفات يومئ إلي بالالتفات.

فقلت: ما وراءك يا عصام، قال: وجود ليس له انصرام، قلت: من أين وضح الراكب، قال: من عند رأس الحاجب، قلت له: ما الذي دعاك إلى الخروج، قال: الذي دعاك إلى طلب الولوج، قلت له: أنا طالب مفقود، قال: وأنا داع إلى الوجود، قلت له: فأين تريد، قال: حيث لا أريد، لكني أرسلت إلى المشرقين إلى مطلع القمرين، إلى موضع القدمين، أمراً من لقيت بخلع النعلين، قلت له: هذه أرواح المعاني، وأنا ما أبصرت إلا الأواني، فعسى حقيقة القرآن والسبع المثاني.

قال: أنت غمامة على شمسك فاعرف حقيقة نفسك، فإنه لا يفهم كلامي، إلا من رقا مقامي، ولا يرقى سوائي، فكيف تريد أن تعرف حقيقة أسمائي: لكن يعرج بك إلى سمائي، ثم أنشدني وحيرني:

أنا القرآن والسبع المثاني   وروح الروح لا ورح الأواني
فؤادي عند معلومي مقيم   أشاهده وعندكم لساني
فلا تنظر بطرفك نحو جسمي   وعد عن التنعّم بالمعاني
وغص في بحر ذات الذات تبصر   عجائب ما تبدت للعيان
وأسرار تراءت مبهمات   مسترة بأرواح المعاني
فمن فهم الإشارة فليصنها   وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت   له شمس الحقيقة بالتداني
فقال أنا هو الحق الذي لا   يغير ذاته مرُّ الزمان

فأخبرني أيها الصديق أين تريد أرشدك على الطريق ومن أين أقبلت والى أين أملت، قلت: خرجت فارا من ذلول أريد مدينة الرسول في طلب المقام الأزهر والكبريت الأحمر فقال لي: يا طالبا مثلي، أما سمعت قولي:

يا طالبا لطريق السر تقصده   ارجع وراك ففيك السر أجمعه

بينك وبين مطلوبك أيها السر اللطيف، ثلاثة حجب من لطيف وكثيف الواحد مكلل بالياقوت الأحمر وهو الأول عند أهل التحقيق، والآخر مكلل بالياقوتً الأصفر وهو الثاني الذي اعتمد عليه أهل التفريق، والثالث مكلل بالياقوت الأكهب وهو الذي اعتمد عليه أهل البرزخ في الطريق فالأحمر للذات، والأكهب للصفات والأصفر للأفعال، وهو حجاب الانفصال.

ثم قال لي: من كان رفيقك في السفر، قلت: الصحيح النظر الطيب الخبر، قال: هو الرفيق الأعلى، فهل أوقفك في الموقف الأجلى، قلت: لست أعلم هذه الأصول، لكني ابتغيت الوصول فجعلت همتي أمامي والطور إمامي فسمعت لا يراني إلا من سمع كلامي فخررت صعقا، وتكددك جسمي فرقا وبقيت طريحا بالوادي، وذهبت النعلان وبقي زادي، فلما لم أر كونا، آنست عينا.

باب عين اليقين

قال السالك: فنادتني تلك العين، أيها الفتى إلى أين قال: قلت إلى الأمير، قالت: عليك بخدمة الكاتب والوزير هما يدخلانك على مرادك، وترى حقيقة اعتقادك، قلت لها: وأين محل الكاتب والوزير، قالت: عينُ نزولك عن السرير وتجريدك عن الأينية، ونزعك رداء الأمنية، وخلعك الإلية ووقوفك في الفرق والبينونية، ودخولك في الطينية فإنك لا ترى الواحد إلا بالواحد، وهناك يتحد الغائب والشاهد، غيبته حجابك عنه، والوزير يمدك به منه هو خليفته في أرضه وسمائه، عالم بأسرار صفاته وأسمائه أسجد له الملائكة أجمعين ونزهه عن سجود اللعين فعدم من أبى وحسد وبقي الخليفة

الأحد وهو الملك والخليفة ومجتمع الحقائق الشريفة فإن وصلت إليه ونزلت عليه أكرم مثواك وحفظك وتولاك وأدخلك على مولاك.

باب صفة الروح الكلي

قال السالك: أنعتيه لي لأعرفه إذا رأيته، وأخر له ساجدا إذا أتيته، قالت: ليس ببسيط ولا مركب ولا يقصد طريقا ولا يتنكب منزه عن التحيز والانقسام، مبرأ عن الحلول في الأجسام حامل الأمانة الألية ومجتمع الصفات العلية، مواده إلى الأجسام الموضوعة بين يديه، كمواد مستخلفة إليه، ليس بداخل الذات، ولا بخارج بالصفات هو وصفٌ معروف والصفة لا تفارق الموصوف محدثٌ صدرَ من قديمٍ غنيّ، وهبةُ كل سر خفي، ومعنى جليل خفي ليس له فيء ولا كمثله شيء، هو مرآةٌ منورة، ترى حقيقتك فيها مصورة، فإذا رأيت صورتك قد تجلت لك فاعلمها فتلك بغيتك قد وصلت إليها، فالزمها.

فلم أزل أصحب الرفاق، وأجوب الآفاق، وأعمل الركاب، وأقطع اليباب، وأمتطي اليعمُلات، وتسري ببساطي الذاريات، وأركب البحار وأخرق الحجب والأستار في طلب علة الصورة الشريفة المدعوة بالخليفة فما تجلت لي صورتي مُذ فارقت العين حين رأيتك فرأيت نفسي دون مين، فخبرني من أنت من حيث أنت.

حضرة الكرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً

قال السالك: فأنشأ لي جناح العزم وطرت في جو الفهم حتى وصلت حضرة الكرسي والموقف القدسي فسألت عن مسجد الوصي فقيل لي بالمنزه الأقصى فرأيت شيخا ضخم الدسيعة فقيل لي هذا قطب الشريعة.

وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر فسلمت تسليم خجل لا تسليم وجل فقال الشيخ رضي الله عنه: مرحبا بالقاصد مقتنص الجواهر والفرائد ثم قيل لي أين تريد فهممت أن أقول أريد أن لا أريد فلما لم يكن مقامي لم يسعه كلامي فجذبني إليه ودرته بين يديه فقلت أريد مدينة الرسول صاحب الجمل والفصول قال وما تريد بمدنية أثرها قد درس ونورها قد طمس.

قلت: لست للترابية أشير ولكن لبدرها المنير وعنصر مائها النمير فقال ألم تسمع قوله عليه السلام وعلي بابها وأنا أيها الطالب بوابها فمن أراد المدينة فليقصد الباب ويتملق للبواب عند أشبح النسم يهدي إليك طرائف الحكم عند الأشباح بالغبار تعدى لك الأرواح بالأسرار قلت له يا سيدنا هل يعرف لذلك الباب مفتاح، قال: أي والعليم الفتاح:

رأيت البيت مقفولا	لسر السر قد ملكا
سألت الله يفتحه	فقال بمن فقلت بكا

قلت ناولينه، قال من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه قلت له قد عرفت حقيقة مكانه فزد في نعته وبيانه.

قال له أربعة أسنان أتقنها الحكيم الرحمن فيها أربع حركات تجري على جميع البركات فإذا فعلت ما ذكرته لك وأحكمته فزت بالمفتاح وملكته ومن ملك المفتاح فتح الباب ومن فتحه حصل على كنز السرداب فرأى الشيخ وتلميذه آمنين من الشك والارتياب مبسوطين في حضرة الوهاب قلت قد فهمت ما أردت وعثرت على السر الذي إليه أشرت ولكن زدني زادك الله من إحسانه وأسبغ عليك رداء امتنانه.

قال: أدع الله أن يمدني بإلهامه ويؤيدني بعلمه القديم وكلامه اسمع أيها السالك حسن الله أفعالك ولا جعلها أفعى لك وسدد أقوالك فإنها عند المناجاة أقوى لك حمد الله أولى ما يعربه فاه ناطق وصلواته على رسوله فاتح اختراق هذه الطرائق إلى مناجاة العليم الحكيم الرازق فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاسمع ولا تنطق.

أنض الركاب إلى رب السموات ... وانبذ عن القلب أطوار الكرامات
واعكف بشاطئ وادي القدس مرتقبا ... واخلع نعاليك تحظَ بالمناجاة
وغب عن الكون بالأسماء متصفا ... حتى تغيب عن الأوصاف بالذات
ولذ بجانب فرد لا شريك له ... ولا تعرج على أهل البطالات
بل صم وصل وفكر وافتقر أبدا ... تنل معالم من علم الخفيات
فقد قضى الله بالميراث سيدنا ... لكل عبد صدوق ذي تقيات

ألق أيها الطالب بالك أصلح الله بالك حافظ على العلوم المدنية والأسرار الإلهية وإياك وإفشاء سر الربوبية أخل القلوب وجاهد النفوس وفرق بين العلم الإلهي والمحسوس اجمع بين الظاهر والباطن يتضح لك سر الراحل والقاطن قف مع الظاهر في كل الأحوال ولا تقف ما ليس لك به علم في ظاهر الأقوال.

تلقَ الكلمات وَالحَقْ بالآباء والأمهات صل على ذي العلوم المدنية والأسرار القدسية وعلى الكليم وابن نون وانظر لمن كان الحوت عنده يبدُ لك السر المصون في الكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون لا تنظر الحوت بعين الغذاء والقوت وتأمل السرين في مجمع البحرين وكيف وقع النسيان هنالك ولم كان ذلك ولم كان حوتا ولم يكن غير ذلك ولأي فائدة اتخذ البحر مسلكاً على سائر المسالك أمط لو وليت ولولا تكن العبد والمولى ترد براء الآمنين وقف للناس في موضع القدمين وخذ من العلم حرف العين.

اخرق السفينة تلج المدينة اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين ولا تعرج على من قال سآوي إلى جبل يعصمني من الحين هما سفينتان لهما في الوجود معنيان الواحدة سلامتها في الفتق والأخرى نجاتها في الرتق ليس في الملك إلا واحد فإياك أن تخرق سفينة الشاهد اجعل السفينة من الزوجين فقد قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١]، أحي الغلام يدنك رب لأمة والغلام اقتله فإنه كافر بمواضي الأسنة والبواتر أقم الجدار وحذار من هدمه حذار اهدم الجدار فإنه مجاب هكذا رأيته في أم الكتاب افتح من السد المهرب واثبت للتيار ولا تهرب إياك أن تتناول فتحه واقنع من الوجود بأيسر لمحة.

مناجاة قاب قوسين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

قال السالك: فتنزل إلي الملك بالسلام الأسنى، فرقيت فيه إلى المستوى الأعلى فلما أنزلني قاب قوسين، قال لا تطلب أثرا بعد عين ثم تكفن في جناحيه، ونكص على عقبيه.

قال السالك: فلما لقيت قيل لي سلم يرد عليك، وسل ما شئت يوهب إليك، فسلمت كما يجب وجثيت على الركب، فسمعت كلاما مني، لا داخلا فيّ ولا خارجا عني، وهو يقول:

لله در عصابة سارت بهم ... نُجُبُ الفناء بحضرة الرحمن
قطعوا زمانهم بذكر حبيبهم ... وتخلقوا بسرائر القرآن
ورثوا النبي الهاشمي المصطفى ... من أشرف الأعراب من عدنان
ركبوا براق الحب في حرم المنى ... وسروا لقدس النور والبرهان
وقفوا على حجر الصفا فأتاهم ... لبن الهدى من منزل الفرقان
قرعوا سماع جسومهم فتفتحت ... أبوابها فبدت لهم عينان
عين تبسم ثغرها لما رأت ... أبناءها في جنة الرضوان
وسِمَالُهُم عين تحدر دمعها ... لما رأتهم في لظى النيران
قرعوا سماء الروح لما آنسوا ... جسما ترابيا بلا أركان
فبدا لهم لاهوت عيسى المجتبى ... روحا بلا نفس ولا جثمان
كمل الجمال بيوسف فتطلعوا ... لمقام إدريس العلي الشان
طلبوا الخلافة إذ رأوا هارون قد ... أربت منازله على كيوان
مالوا الخلافة عندما نالوا منا ... موسى الكليم الراحم المنان
سجد الملائكة الكرام لديهم ... دون اعتقاد وجود رب ثان
طمحت بهم هماتهم فتخللوا ... في حضرة الزلفى قِرَى الضيفان
كمُلت صفاتهم العلية وارتقوا ... عن حضرة الإيمان والإحسان
للذات كان مسيرهم فحباهم ... بشهودها عينا بلا أكوان
وصلوا إليه وعاينوا ما أضمروا ... من غيب سر السر كالإعلان
سبحانه وتقدست أسماؤه ... وعن الزيادة جل والنقصان

قال السالك: ثم قال لي أخبرني يا زهرة المحبين، ويا جمال الوارثين ماذا لقيت في طريقك إلينا وبماذا وفدت به علينا؟ قال السالك: لما فارقت الماء، عرج بي إلى أول سماء فرأيتها مزينة بالنجوم فمنها اهتداء ومنها رجوم ورأيت مقامات الخلفاء ومصابيح الظلماء فوجدتها ثمانية وعشرين وحضراتهم اثنتا عشرة للتتميم الأربعين فقيل لي هذه منازل السالكين وينابيع حكم المخلصين ثم لحظت السبعة الخلفاء في الأفلاك يسبحون فحملتها على السبعة المودعة في الفلك المشحون فنظرت في الجدي والفرقدين فإذا هم الأئمة في العالمين.

فاستفتحت سماء الأجسام فرأيت آدم عليه السلام وعلى يمينه أسورة القدم وعلى يساره أسودة العدم وهو يتردد بين بكاء الجلال وضحك الجمال لمعاينة النقص والكمال فرأيت جميع الأنبياء أمواتا حين رأيتهم أشتاتا وطلبت الحقيقة فقيل لي حتى تفنى عن الطريقة فإنه لا يبدو كمال الصورة لأهل المعراج والنهى حتى يبلغوا سدرة المنتهى هنالك تنتهي حقائق نفوسهم وتكشف لهم عن مواد شموسهم وذلك

أول مقامات الثلاثمائة والفناء على كل فئة وأما حقيقة الذات فلا تشاهدها سواه وغاية كل واصل أن يشاهد معناه فلا غاية فيما فيه الغاية ولا نهاية لموارد البداية.

فعرج بي إلى سماء النفوس وانتقلت عن العالم المحسوس فنفخ في الصور بمشاهدة المسيح فأظهر فتقا في سماء وأرض كانتا رتقا فنطقت بالحمد والثنا فأعطيت الحسن والغنا فرأيت يوسف في سماء جمال القلوب فألحقني بموارد الغيوب فشكرته شكرا سنيا فرفعني مكانا عليا فرأيت في الرابعة إدريس وتقدس السر عن التخيل والتلبيس فقلت هذا المنتهى وهذا مقام الكمال والبهاء وطلبت الخلافة عن الإمام فرفعت إلى هارون عليه السلام فقيل أتعرف ما جرى من استخلف في مقام الإحسان؟ فأخذ بلحية كليم الرحمن.

فعرج بي إلى سماء الكلام فرأيت موسى عليه السلام فرحب بي وأقعدني، وعلى موضع الرفق نبهني ثم قال لي أنا الكليم المكلم القديم لو لم تلق الألواح ما جررت برؤوس الأشباح أنت عبد مكرم ولدينا معظم قلت له أريد الخلة قال هي لمن سد عن الأنام الخلة قلت أنا ذلك قال فارق إلى السماء السابعة أيها السالك فهي سماؤها وعليه قام عمادها وبناؤها فرأيت صاحبها مسنداً ظهره إلى البيت المعمور فأدركني الجذل والسرور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك وأقيم لي في السدرة نهران ظاهران ونهران باطنان فالظاهران قراءة الكتاب ووصل السنة والباطنان التوحيد والمنة.

ثم بلغت سدرة المنتهى وقلت هذا هو الإنتها، فتلا علي الرسول الكريم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، ولا بد لك من التداني والترقي والتدلي والتلقي بالمقام المحمود، وحضور الشاهد والمشهود ثم اختطفت من تلك السدرة العلية وأنزلت بكرسي الشفعية فحفظت بها الوصية السنية ثم أنشأ لي جناح اللطائف وامتطيت ظهور الرفارف فمررت بثلاثمائة حضرة ما نظرت إليها نظرة فسمعت صريف القلم باليمين في ألواح صدور الوارثين فلما دنوت من الصريف قيل لي تقنع بالنصيف.

قال السالك: فعندما سمع مني هذه اللفظة لطني وفي ثوب العبودية غطني ثم قال لي عبدي: لا تحد حد الكلام فإني المكلم والمكلم ومني الكلام فلا يحمل كلامي سواي كما لا يسعني أرضي ولا سمائي.

آيات مناجاة الإمام

ركن المعالم والمحامد

قلت سألت والله حديد عنان الجنان ماضي سنان اللسان.

قال الترجمان ما تقول في فاتحة الكتاب قلت قسمها الباري نصفين، حتى لا يصح في الوجود إلهين اثنين قال: ما فيها من الإشارات والرموز والدرر قلت: الياقوت الأحمر والأصفر والعنبر الأشهب والعود الرطب ألا انظر أيها الترجمان أم الكتاب ليس لها انتساب بل هي الإمام المبين لجميع العالمين فمنهم من علم الإمام فاتبعه ورفعه ومنهم من جهله فحطه ووضعه هي الأصل الثابت فرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها مع استغنائها عن الماء وهي المثاني بالنظر إلى المباني والفاتحة بالنظر إلى الطرق الواضحة أم القرآن لمن تخلق بالفرقان.

قال السالك: فما زال يسألني عن جواهر القرآن ودرره سورةً سورةً حتى أتى على آخره قال فلما أكمل الترجمان سؤاله عن جواهر القرآن ودرر الفرقان طوى بساط المناظرة وسد باب المحاظرة

وتجلى لي المطلوب وقال جئت على المرغوب أنت الإكسير والهمهم النحرير ركبت جوادا لا يكبو وضربت بحسام ماض الضربة لا ينبو وهذا اللوح بين يديك فاتل ما أوحي إليك.

مناجاة التشريف والتنزيه والتعريف والتنبيه

على التقويم الأكمل الأحسن والحق الأجمل الأتقن المحفوظ المصون في الم والتين والزيتون الذي نبهت عليه بالقبس في حضرة القدس حيث قلت:

هب النسيم مع الإمساء والغلس	**بعرف روض البها من حضرة القدس**
وشم بريقا بأفق البين لاح لنا	**يدل أن عيون الماء في النبس**
ألم تروا لكليم الله كيف بدا	**له الخطاب من الأشجار في القبس**

قال السالك: كان ما قيل لي في ذلك التشريف والتنزيه والتعريف والتنبيه أن قال عبدي أنت حمدي وحامل أمانتي وعهدي أنت طولي وعرضي وخليفتي في أرضي والقائم بقسطاس حقي والمبعوث إلى جميع خلقي.

عالمك الأدنى بالعدوة الدنيا والعدوة القصوى أنت مرآتي ومجلي صفاتي ومفصل أسمائي وفاطر سمائي أنت موضع نظري من خلقي ومجتمع جمعي وفرقي أنت ردائي أنت أرضي وسمائي وأنت عرشي وكبريائي

أنت الدرة البيضاء والزبرجدة الخضراء بك ترديت وعليك استويت وإليك أتيت وبك إلى خلقي تجليت.

فسبحانك ما أعظم سلطانك، سلطانك سلطاني فكيف لا تكون عظيما ويدك يدي فكيف لا يكون عطاؤك جسيما لا مثل لك يوازيك ولا عديل لك يجاريك.

أنت سر الماء وسر نجوم السماء وحياة روح الحيوة وباعث الأموات.

أنت جنة العارفين وغاية السالكين وريحان المقربين وسلام أصحاب اليمين، ومراد الطالبين، وأنس المعتزلين المنفردين المنقطعين وراحة المشتاقين وأمن الخائفين ووحشة العالمين وميراث الوارثين وقرة عين المحبين وتحفة الواصلين، وعصمة اللائذين ونزهة الناظرين وريا المستنشقين وحمد الحامدين.

أنت درر الأصداف وبحر الأوصاف وصاحب الاتصاف ومحل الإنصاف وموقف الوصاف ومشرف الأشراف وسر الأنعام والأعراف

طوبى لسر وصل إليك وخر ساجدا بين يديك له عندي ما خبأته وراء حدي وقد ناجيتك به في المطلع عند ارتقائك عن المحل الأرفع عبدي أنت سري وموضع أمري وهذا موقف لعلوك على كل الموجودات وتشريفك.

أنت روضة الأزهار وأزهار الروضات ومغرب الأسرار وأسرار المغرب ومشرق الأنوار وأنوار المشرق.

لولاك ما ظهرت المقامات والمشاهد ولا وجد المشهود ولا الشاهد ولا حمدت المعالم والمحامد ولا ميز بين ملك وملكوت ولا تدرع لا هوت بناسوت.

بك ظهرت الموجودات وترتبت وبك تزخرفت أرضها وتزينت عبدي لولاك ما كان سلوك ولا سفر ولا عين ولا أثر ولا وصول ولا انصراف ولا كشف ولا إشراف ولا مكان ولا تمكين ولا حال

ولا تلوين ولا ذوق ولا شرب ولا قشر ولا لب ولا عبد ولا رب ولا خطاب ولا نفس ولا هيبة ولا أنس ولا نفس ولا قبس ولا فرس ولا جرس.

ولا جناح ولا رفرف ولا رياح ولا موقف ولا معراج ولا انزعاج ولا تحلي ولا تجلي ولا جود ولا وجود ولا حمد ولا محمود ولا تداني ولا ترقي ولا تدلي ولا تلقي ولا هين ولا لين ولا غان ولا رين ولا كيف ولا أين ولا جمع ولا بين ولا فتق ولا رتق ولا جمع ولا فرق ولا ختمٌ ولا ختام ولا وحي ولا كلام ولا ومض ولا برق ولا حق ولا خلق ولا إصاخة ولا استماع ولا لذة ولا استمتاع ولا سلخ ولا انخلاع ولا صدق ولا يقين ولا خفي ولا مبين ولا مشكاة ولا نور ولا ورود ولا صدور ولا ظهر لصفاتي عين ولا تحقق وصل ولا بين ولا كان عرش ولا مهد فرش ولا رفع غمام ولا أشرقت الأنوار على الأسوار ولا جرت بحار الخلق على الأطوار لولاك ما عبدت ولا وحدت ولا علمت ولا دعوت ولا أجبت ولا دُعيت ولا أَجبت ولا شكرت ولا كفرت ولا بطنت ولا ظهرت ولا قدمت ولا أخرت ولا نهيت ولا أمرت ولا أسررت ولا أعلنت ولا أخبرت ولا أوضحت ولا أشرت.

أنت قطب الفلك ومعلم الملك رهين المحبس وسلطان المقام الأقدس.

أنت كيميائي وأنت سيميائي أنت إكسير القلوب وحياض رياض الغيوب بك تنقلب الأعيان أيها الإنسان أنت الذي أردت وأنت الذي اعتقدت ربك منك إليك ومعبودك بين عينيك ومعارفك مردودة عليك ما عرفت سواك ولا ناجيت إلا إياك.

مناجاة التقديس

وأنا الواحد الذي لا تحيط بي الأفكار ولا ينتهي إلى الأسرار ولا تدركني البصائر ولا الأبصار وأنا اللطيف الخبير الحكيم القدير أنا كما كنت عدمت أو وجدت ما طرأ حال كنت عدمته ولا فقدت شيئا ثم وجدته علمي ببسيطك وقدرتي ظاهرة في تخططك تنزهت عن التنزيه وكيف عن التشبيه، في العجز معرفتي على الكمال وهي حضرة الجلال ليس لي مثل معقول ولا دلت عليه العقول والألباب حائرة في كبريائي والأسرار مطيفون بعرش ردائي أنت وأنا حرف ومعنى بل معنى ومعنى أنت المثل الخفي المنقول اللغوي وأنا الواحد والواحد في الواحد بالواحد فإذا ضرب الفرد في الفرد بقي الرب وفني العبد وهذا السر الخارج لك ولأصحاب المعارج ولا تضاعف يلوح لذي عينين ولا تكاثف إلا من حيث البين.

مناجاة أسرار مبادئ السور

عبدي بلغ إلي عني وقولي الحق وخاطب بلسان أهل الجمع والفرق فأنا المتكلم وأنت اللافظ وأنت المبلغ وأنا الحافظ قل لهم عني وأنا المخاطب إلي مني إن مبادئ السور المجهولة لأهل الصور المعقولة: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾[المائدة: ٥٤] جملتها تسعة وعشرون صورة وذلك كمال الصورة: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[يس: ٣٩]، أكملت فيها العالم بأسره وفرقت بيني وبينهم بما لوحت به من نهيه وأمره: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[طه: ١٤]، منها مفرد ومثنى ومنها جمع لمعنى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾[إبراهيم: ٧]، منها ما زيد فيه فاستغنى.

ومنها ما نقص منه فتغني: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾[الرعد: ٤١]، متماثلة الصور ومختلفة كما منها مفترقة ومؤتلفة ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾ [هود: ١١٨]، غايتها خمسة حروف

وبقي اثنان الواصف والموصوف من مقام آدم وحوا في جنة الإقامة ومأوى الإمامة: ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾[الأعراف: ١٩]، مبلغهما ثمانية وسبعون فمن كوشف بحقائقها ملأ الأعلى والدون: ﴿فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]، لكل باب منهم جزء مقسوم فما أفردت منها فلبقاء الرسم أزلا وما ثبت فلوجوده حالا وما جمعت فللأبد استمرارا: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [هود: ٥٢]، فالإفراد للبحر الأزلي وللبرزخ المحمدي والجمع للبحر الأبدي.

عبدي انحصر لك وجود هذه الحروف بالحرم إلى ثلاثمائة آلاف وخمسمائة واثنين وثلاثين على غاية البحث والحزم وأول التفصيل من نوح إلى شروق يوح ثم إلى آخر التركيب الذي تنزل فيه الكلمة والروح فبعد عدد تضربه وتجمعه وتحط منه طرحا وتضعه يبدو لك تمام الشريعة حتى إلى انخرام الطبيعة وهي التي بقيت من نون والقلم إلى آخر الكتاب العزيز الأكرم فمبعث محمد ﷺ من سورة النجم إلى كافة العرب والعجم ومن سورة البقرة إلى بعث الرسل لديها وليس لهم في الفاتحة نصيب ولا رموا فيها بسهم مصيب فاختص بها محمد عليه السلام على الرسل الكرام فهي قوله متى كنت نبيا قال: و آدم بين الماء والطين فكان مفتاح النبيين وقد ملك من سورة النجم إلى آخر القرآن العظيم وتفرد ما بينهما في أصلاب المقامات إلى عنصره الكريم فصح له الوجود أجمع واختص بالمحل الأمنع أوتيت جوامع الكلم فما بقي لك بعد الوضع والطرح فذلك أوان النزول والفتح وهو نظير المقدس من القرآن يليه الأقدس تقديسه بالنازل فيه وقد أشرت لك إلى معانيه وما يعقلها إلا العالمون.

عبدي هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه الأعداد حجب على عينك أيها الإنسان وإنما هي أسطار نور خضر خلف حجاب الترجمان تلوح لمن سقته المشيئة بوقوفه عليها حتى تودعه ما لديها فاستعمل المجاهدة وتحلَّ بالموافقة والمساعدة عساك تلتذ بهذه المشاهدة عبدي جعلت ما بعد هذه الحروف في موضع التفسير ومحلا للتعبير ومبحثا للناقد البصير صاحب السر والإكسير ومن لا يقنع من الوجود بالنزر اليسير وجعلها على ضربين لذي عينين ضرب لا ينقسم وضرب آخر ينقسم عجبا للظاهر ينقسم وللباطن لا ينقسم فالظاهر شمس في حمل والباطن في أسد حلم.

حقـــــق وانظــــــر معنــــــى ســــــترت	**مـــــن تحـــــت كثائفهـــــا الظلـــــم**
إن كـــــان خفـــــى هـــــو ذاك بـــــدا	**عجبـــــا والله همـــــا القســـــم**
فـــــافزع للشـــــمس ودع قمـــــرا	**فـــــي الـــــوتر يلـــــوح وينعـــــدم**
واخلـــــع نعلـــــي قـــــدمي كـــــوني	**علمـــــي شـــــفع يكـــــن الكلـــــم**

لكن انقسامه على ثلاث وهي حقائق الموائد الثلاث فأما الضرب الذي لا ينقسم بالبرهان فسورة آل عمران والضرب الذي ينقسم الموصوف ما عداهما من سور أسرار الحروف والثلاث الذي ينقسم إليها المخاطِب ومخاطَبٌ ومخاطَبٌ به فاستيقظ أيها الراقد من سنة الغفلة وانتبه ثم تتفرع على اثنتي عشرة عينا وهو كمال العالم الروحاني والجسماني لكل عالم إلهي والثالث عشرة الضرب الذي لا ينقسم وفيه علمت الأسماء وجوامع الكلم فمنها ما هو لرفع الشك والريب فيما ظهر من الغيب وهي البقرة و﴿الٓمٓ﴾ السجدة.

ومنها ما هي لرفع الحرج عمن يأتي ودرج وهي الأعراف وطه والشعراء ومنها للتعريف بالعناية أزلا أولياء وأنبياء ورسلا وهي يونس ومريم عليهما السلام ومنها للمتفرق والمجتمع والحجر الذي لا ينصدع

وهي هود وفصلت والشورى والدخان والمؤمن ومنها لتأكيد التبيين في المعقولات والإخبار بالمفترقات وهي يوسف والزخرف والقصص والروم.

ومنها لاعتبار التركيب لأهل النظر والتهذيب وهي قاف والجاثية ومنها لتحقيق الهداية في النبوة والولاية وهي إبراهيم والنمل ولقمان ومنها لتحقيق النزول في الإيمان بالعمل النائب عن العيان وهي الرعد ومنها لتا... التوجيه، والعصمة بالقسم في محل التنزيه وهي يونس ونون و... ومنها لطلب الدليل في مقابلة خصم الصل وهي الأحقاف ومنها لتأكيد تبيين التهديد بالوعيد وهي الحجر والعنكبوت فسلم الألف من هذه الحروف للذات وعدّ ما بقي لك منها من الصفات: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾[الرعد: ٣٣].

مناجاة إشارات أنفاس النور وهي تمحيض متفرقات الأسرار

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال السالك: ثم قال لي ما تقول من هو أنا في أنا قلت: وجود البغية والمنى والخيبة والعنا.

قال: فما تقول في هو ذلك قلت كلاهما صفتا المالك غيبة وحضور وظلام ونور ومخدرات وخدور.

قال: فما تقول في التحام الأجسام قلت: نتيجة التحام الروحانية قال: فما تقول في التوالد والتناسل قلت نتيجة التواصل والتفاصل.

قال: فما تقول في النشأة البرزخية قلت: تلك الإلهية قال: فهل الإعادة أشرف منها قلت: لا يصح الإعادة فيها ولا يتحدث بذلك عنها إنما ذلك في برزخ الحافرة المنصوب بين الدنيا والآخرة.

قال: فهل تصح العودية على البداية قلت: لا يكون ذلك في الحكمة العدلية قال: هل تعقل على أوان إخراج الذر من الظهر قلت له: كيف لا أعقل وأنا أول الشهود في المهر.

قال: فهل تعرف قبل ذلك ميثاقا ثاني قلت: له في أول وجود التداني قال: فأرى ميثاقين قلت: لا يكون غير هذين.

الإشارات الآدمية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة آدم ﷺ وقال لي: أيها الغلام من أين قالت الملائكة بالفساد في حال شهودها؟ قلت: من نفس وجودها، قال: فلم جهلت الأسماء؟ قلت: لأنهم ما برحوا في السماء.

قال: فلم وقعوا له ساجدين؟ قلت: لصحة التعيين، قال: فلم أبى من أبى واستكبر؟ قلت: لحجابه بالطينية عن النور الأزهر، قال: لَم لم يكن النجم وكانت الشجر؟ قلت: لوجود الخلاف الذي ظهر، قال: ألم نسقها من ماء واحد؟ قلت: بلى ولكن فضل بعضها على بعض في الشاهد، قال: فلم اقتحم النهي مع العصمة؟ قلت: لظهور هذه الحكمة.

قال: فما سر ظهور غاية سوءاتهما؟ قلت: معاينة ممكنات غاياتهما، قال: فلمَ طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟ قلت: ليكون لهما عن ملاحظة الأغيار جنة، قال: فما نظيرهما في الوجود؟ قلت: القلم واللوح المشهود، قال: فلم أفرد آدم بالمعصية دون أهله؟ قلت: لأنها بعض من كله، قال: لم حجر النعيم عليهما؟ قالت: ليثبت عبوديتهما، قال: لم أضيف الزلل إلى الشيطان و لم يكن له على ذلك سلطان؟ قلت: لجعلك إياه في الشاهد صفة نقص ودليل خسران، قال: لم جعل بعضهما لبعض عدوا في

هذه الدار؟ قلت: ليستغنيا بتأييدك فيصح منهما الافتقار وينفرد جلالك بالعزيز القهار، قال: لم تبت عليه بتلقيه الكلمات العلية؟ قلت: لأنه تلقاها من حضرة الربوبية، قال: لم قبل قربان الابن الواحد دون أخيه؟ قلت: لأنك جعلتهما أصلَي بنيه وهما قبضتان فلا بدّ أن يختص أحدهما بالرضا والآخر بالخسران، قال: لم كان الغراب له معلما؟ قلت: لأنك ألبسته ثوبا من الليل مظلما فأعطاه العلم فعلا وحالا فكساه من ظلام القبر سربالا.

قال: فلم أضاف خلقه ليديه؟ قلت: لما لم يتقدم عليه، قال: لم أتى إبليس ابن آدم من جميع جهاته لا من أعلاه؟ قلت: لئلا يحترق بنور الأمر من مولاه، قال: فهلا أتى من أسفله فيغويه؟ قلت: لأنه يدعوه فلا فائدة فيه، قال: لم تمكن إبليس من آدم في دار الاتصال؟ قلت: لأن في آدم جزء من الصلصال، قال: والحمأ المسنون؟ قلت: إشارة سر برزخي بين الأعلى والدّون.

قال: فلأي معنى قال "لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال" وهو حقيقة؟ قلت: لامتزاجه ببقية العناصر فاختلت عنده طريقه، قال: لم جمع له بين لا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى والترتيب على خلاف ذلك فما الحكمة أيها السالك؟ قلت: الحرارة سبب الظمأ فلذلك قرنه مع الضحى والجوع تعرية باطن الحيوان فلذلك قرنه بتعرية ظاهر الأبدان

قال: فلم اجْتُبِيَ قبل أن يُتاب عليه؟ قلت: سابقة قدمه سبقت إليه، قال: من أين صح له أحسن تقويم؟ قلت: لأنه علَى صورة القديم، قال: فلم رد إلى أسفل سافلين؟ قلت: إشارة إلى الطين، قال: فلم استثنى برفعه بالصلاح؟ قلت: إشارة إلى صفة الأرواح الواهبة علة الصلصال القائمة بالأشباح، قال: نِعم ما به أجبت، قلت له: بك تكملت.

الإشارات الموسوية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة موسى عليه السلام وقال: ما يقول العبد المستسلم لم فتن قوم موسى من بعده؟ قلت: ضيافة السيد لعبده، قال: لم ظهر لقبضة الأثر في العجل خوار؟ قلت: تنبيه على أن الحياة في اتباع الآثار، قال: لم ضرب له ميقات؟ قلت: ليعلم أنه تحت رق الأوقات، قال: لم جاء العدد بالليل ولم يجئ بالنهار؟ قلت: لاحتجابك عن الأبصار فجعلته يسلك أربعين مقاما من مغيبات الأسرار فصح له الاتصال عند الأسحار وانتظم بها في شمل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مقام الأرواح في تخلقهم بالأربعين صباح، وهو ميقات الوارثين، فشرف بذلك كليم رب العالمين، ولذلك كان منه مع محمد عليهما السلام في أمر الصلاة ما شهر لأنه في أمته فطلب الرفق بإخوته كما ذكر، وذلك لما وقع هنالك في حدسه أن محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيقول "لا يكمل عبد الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ألا تراه صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في موسى: "لو كان حيا ما وسعه إلا يتبعني"، فأوضح لنا المعنى وتبين لنا حقيقة أنه منا.

قال: لم ضرب بعصاه الحجر فانفجر والبحر المغلق فانفلق؟ قلت: سر ذلك في العصا فلذلك انفجر الحجر ماء وسر القيومية فيها فلذلك أظهرت في البحر يبسا، قال: فلم خلعت النعلان؟ قلت: إشارة لزوال شفعية الإنسان، قال: فلم خص بالكلام؟ قلت: ليتقرر في نفسه نيل حظه من ميراث محمد عليه السلام ولذلك كان في ألواحه تفصيل كل شيء علم في مقابلة جوامع الكلم، قال: فلم سأل الرؤية وهو يعجز عن النظر؟ قلت: حتى لا يبقى له من الميراث أثر، قال: فلم أمرناه أن يكون من الشاكرين؟ قلت: لتزيده في القرب والتمكين حتى يراك بعين محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين أسري به في عليين.

قال: فلم ألقيناه في التابوت؟ قلت: وهل ظهرت الحكمة إلا بوجود الناسوت، قال: فلم ألقيناه في اليم؟ قلت: إشارة إلى العلم، قال: وكيف يصح اليم مع العلم؟ قلت: ولولاه ما صح عند ذوي الفهم، قال: فلم طلب العون بأخيه؟ قلت: رحمة بمخاطبيه لئلا يذهبوا عند مشاهدة الكلام من فيه إذ من كلمك برفع الوسائط كيف يحمل خطابه كثائف الوسائط.

قال: فلم قلب العصا ثعبان؟ قلت: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، و﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، قال: ولم خاف وهو معنا في حال التمكين؟ قلت: لقوله: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، قال: لم أخرج يده من جيبه بيضاء من غير سوء؟ قلت: تنبيه للإنسان أنه عند خروجه من غيبه من العلل بُريَ، قال: فلم قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١]؟ قلت: بشرى لموسى بمقام الفنا وتصحيح اللقا، قال: فلم ألقى الألواح؟ قلت: إذا فتح الباب ما يصنع بالمفتاح، قال: فلم كانت البقرة جبروتية؟ قلت لأنها سرحت من مروج الحضرة البرزخية، قال: وهل الشرف إلا في الملكوت الأعلى؟ قلت: جمع الطرفين في حق الإنسان أشد وأعلى وأولى، قال: فلم حي الميت ببعضها؟ قلت: إشارة أن شطر الجنة من جهة عرضها، قال: فلم كانت الحياة بالضرب؟ قلت: حجاب على القلب عن معاينة القرب، قال: كيف استشاط غيظا على أخيه وفي نسخته الهدى والرحمة؟ قلت: إنما أعطيتها إياه بعدما سكت عنه الغضب لطلب النعمة.

الإشارات العيسوية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة روحه وأمدني بفيضان نوحه وقال لي: لِم كان عيسى كمثل آدم عليه السلام؟ قلت: إن الآخر نظير الأول في أكثر الأقسام قال: لِمَ لَمْ يكن له والد؟ قلت: لأنه من أركان الدليل على المفتري الجاحد قال: كيف؟ قلت: إنه الآخر وبعده محمد خاتم النبيين قلت: تلك بداءة نشأة السيادة على العالمين إذ كان نبيا وآدم بين الماء والطين فلا مناسبة بين السيد والعبد إلا من حيث العناية والوجود.

قال: لِم أيد عيسى بالروح؟ قلت: ما رقمه قلم في لوح فقذف في الرحم من غير شهوة فلم يكن له عن طرح الأكوان سلوة.

قال: فمن أين صدر هذا الروح؟ قلت: من حضرة قدوس سبوح قال: فلم تكلم في المهد؟ قلت: شاهد ثان على أهل الجحد قال: وهل تقدم قبله شاهد في العلة؟ قلت: هز مريم جذع النخلة.

الإشارات الإبراهيمية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة خليله وقال: عليك بحسن الجواب وقيله، إيه ما وجود الكوكب والقمر والشمس؟ قلت: إطاعة على الروح والعقل والنفس

قال: لم أثبتَّ لهم الربوبية؟ قلت: لما لحظ لهم القهر على النشأة الترابية.

قال: فلم، قال: ﴿وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[الانعام: ٧٩]؟ قلت: لما رأى بعضهم يفضل على بعض، قال: تراه لم نظر في النجوم، وقال إني سقيم، قلت: إشارة إلى حكمة علوية قد صدرت من اسمه الحكيم.

قال: لِم طلب رؤية الأحياء مع ثبوت الإيمان؟ قلت: ليجمع بين العلم والعيان. وفي مثل هذا قال الحسن وقد أحسن:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

قال: فلم دللناه على أربعة من الطير؟ قلت له: إشارة إلى العناصر لا غير، قال: فلم اتخذ ابنه قربانا؟ قلت: ليصح كرمه حقيقة وبرهانا، قال: ما قصد بذلك؟ قلت: قرى الوارد والمالك وذلك أنه لما نزل إلى قلبه تعينت عليه ضيافة ربه، قال: فهلا أضافه بنفسه دونه؟ قلت: لم يكن له فيها منازعون ينازعونه، قال: فلم كان الوحي في المنام؟ قلت: حتى لا يكون للحس بساحته إلمام.

قال: فلم ابتليناه بالكلمات وقد تلقاها للتوب صاحب السموات؟ قلت: ألم يقل إن الابتلاء أفضل المقامات، قال: لم أمر إبراهيم وإسمعيل بتطهير البيت للطائفين؟ قلت: عناية بمحمد سيد المرسلين، قال: فلم لم يكن إلا إسحاق دون غيره؟ قلت: لما لم يكن محمد ﷺ في ظهره، قال: فلم دعا لمكة بالبركات؟ قلت: إذا بورك في الأم بورك في البنات.

قال: حين رفع إبراهيم القواعد من البيت، لم دعا إسماعيل بالقبول؟ قلت: أظهر النقص ليصح كمال الخليل إذ الواجب على كل بنيه أن يضع من قدره عند قدر أبيه.

الإشارات اليوسفية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة يوسف بن يعقوب، فقال: ما يقول الفطن المصيب قالت النسوة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١]؟ قلت: لاختصاصه عموما بأحسن تقويم، ثم قال: لم بيع بثمن بخس؟ قلت: ليعلم أن الإنسان من حيث هو صاحب نقص فإن غلا ثمنه وعلا فلصفة زائدة على ذاته حضرها الملأ الأعلى، قال: لم جعل الصواع حجابا؟ قلت: قرع بذلك لاتصال الأحبة بابا.

الإشارات المحمدية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة محمد ﷺ وقال لي: يا من طلب الطريق إليه ليرث مما كان في يديه، ما تقول في الأفق المبين؟ قلت: محل كشف المقربين، قال: لم كان التجلي بالأفق؟ قلت: تنبيه على علو الخلق، قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[النجم: ٣]، قلت: أسرار الاستواء، قال: وفي قسمة الفاتحة؟ قلت: العبودية الواضحة، قال: فلم اختصت الرحمة بالثنا؟ قلت: ليتبين من أنت ومن أنا، قال: والملك بالتحميد؟ قلت: ليصحح التوحيد، قال: فلم وقع الشك في العبادة والعون؟ قلت: لتمييز القدرة عن عجز الكون، قال: لم اختص العبد بنصفها الثاني، قلت: ليصح عليها اسم المثاني.

قال: قد ساوى موسى محمداً في الفرقان فكيف صحت له السيادة؟ قلت: لاختصاصه بالقرآن والعبادة، قال: قد شاركه بالعبودية نوح وزكريا الوجيه؟ قلت: الآخر عبد نعمة والآخر عبد ربوبية ومحمد عبد تنزيه.

قال: قد شاركه يحيى في السيادة الفاخرة؟ قلت: تلك السيادة الظاهرة ولهذا صرح بها في الكتاب المبين وأخفى فيه سيادة محمد سيد العابدين، ثم صرح على لسانه في الشاهدين، فهذا سيد عموم وهذا سيد رسوم، قال السالك: ثم قيل قف هنا ولا تبرح وإن أعطيت المفتاح فإن شئت فافتح والحمد لله على ما منح وصلى الله على محمد الأغر الأصبح.

تم كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى

رسالة إلى الإمام الرازي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من كلام الشيخ:

اعلم أن العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام والعلويات جفنها الفوقاني والسفليات جفنها التحتاني والتفرقة الملكية في العلويات أهداب الجفن الفوقاني والسفليات جفنه التحتاني والنفس الكلية سوادها والروح الكلي بياضها والله تعالى نور هذه العين وإنما قلنا إن العلويات والسفليات أجفان العين لأنهما يحافظون على ظهور النور.

فلو قطع جفن عين الإنسان لتفرق نور عينه وانتشر بحيث لا يرى شيئا أصلا وكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله سبحانه بحيث لا يدرك منه شيئا أصلا ونعني بعين الله تعالى ما يتعين سبحانه وتعالى فيه وهو العالم بمجموعه.

تمت

كتاب الشاهد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على النبي وآله وسلم

باب شاهد الاشتراك في التقدير

قال الشاهد: الاشتراك بين الخلق والحق في جميع الأشياء إلا في الاتحاد، وقال: مشاهدة الأفعال لا تعلم بدليل أبدا ولا تعاين وهو المشهد الرابع الذي لا يشهده من الحق غير الحق، وقال: تشاهد ذات الحق كما أخبر قمراً وشمسا وتشاهد صفاته ويشهد صدور الكون منه بكن ولا يشاهد فعله ولا يحاط بذاته، وقال بالأدوار في الأكوار تظهر الأطوار، وتقصر الأوطار ويتصرف في الإفطار ويكور الليل والنهار. وقال: للخلق التقدير وليس لهم إمضاؤه، وقال: اعرف قبل أن تموت من أين جئت وكيف جئت وما قيل لك وما قلت وما أخذ عليك وما أعطيت، فإنه لا بدّ لك من الرّجوع إلى الحقّ على الطريق الذي عليه خرجت من عنده انظر في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾[الروم: ٥٤].

باب شاهد السجدتين

أنت كل من حيث حقك وحقيقتك وأنت جزء من حيث أحدهما فانظر في أية مرتبة تتميز فله عليك سجدتان لكونك على حقيقتين فاسجد له من حيث كليتك سجود العالم كله فتجدك قد

استوفيت حقائق سجودهم في سجدتك، وإن لم تجد ذلك فما سجدت، وإذا أردت أن تعرف ذلك فأصغ في سجودك إلى ندائه فإنه يناديك في السجدة الكلية بلغة كل ساجد وتعرف أنت ذلك إذا سمعته منه واسجد له أيضا سجدة الثانية التي لا تعم هو سجود الاختصاص، فلا يناديك في هذه السجدة إلا بما تختص به خاصيتك التي لا مشاركة فيها ولا تقبل السجود الخاص إلا في الصلاة وهو سجود القلب وسجود كل قلب على حد علمه وعلمه على حد ما يتجلى له، قال: هاتين السجدتين خلع الثياب وتحجير الأسباب وذبح النفس ورمي الكون وإلا فكيف يصح سجود الاختصاص بوجود الكثرة فاعلم ذلك والسلام.

باب الشاهد في الأمر الخفي والجلي

قال الشاهد: لله رحمتان رحمة سر ورحمة علانية فرحمة السر مستصحبة لوجودك مع الدوام ورحمة العلانية في وقت دون وقت، وقال: كن خماسيا واعدل فإنك ناج، وقال: لا تسبقك الإناث إلى الحق فينلن ذكوريتك وتنال أنوثيتهن، وقال: ارجع إلى عدمك فإنه وصف قدمك فإن الله راض عنك فيه، وقال: من أطاع الحق ومات فإنه لم يمت، وقال: اخرق العادة في أخلاقك تخرق لك العادة، وقال: النسب الصحيح بالدين لا بالطين، وقال: كن مع روحانيتك تكن إلى العلوم أقرب، وقال: الزم الصدق والإخلاص فبالصدق تعتصم ولا يؤثر فيك شيء وبالإخلاص تصح عبوديتك وربوبيته، وقال: اعتبر في الأرواح التي سلفت وعزلت بعد مملكتها إلى أين صارت فإلى ثم تصير، سح في الجو سبع سنين وسح في الأرض سنة تنل جميع الأسرار كلها، وقال: إذا ناداك الحق فسمعت صوتا فلا تجب فليس هو وأنت لمن أجبت.

باب المنة

قال الشاهد: حجاب الغيرة لا يرفع، وقال: رؤيتك للحق حجاب عنك منه، وقال: إنما تعرف أنك رأيته من خلف حجاب إذا رجعت إلى قصرك ضابطا لما رأيته والحق لا يضبطه مخلوق هنالك تعرف من رأيت، وقال: في رؤيتك إياه مشهود وشاهد وهو المشهود والشاهد ما حصل لك من رؤيته وهو الذي ينقلب معك وعنه تعبر لأهل منزلك فالشاهد مرئيُّكَ لا هو، وقال: رؤية القلوب على قدر صفائها ورؤية الأبصار على قدر قلوبها والبصر أتم ولهذا كان الغاية، وقال: ترى الحق بالبصيرة في الدنيا وبالبصر في الأخرى والآخرة أعلى فالبصر أعلى.

باب شاهد الغيب

عين قلبك في المثال كعين وجهك، فلا يرى إلا بعد نفوذه السبع الطباق التي جعلت جنة بينه وبين الآفات، فمشيميته طبقة كونه وصلبيته طبقة وصفه وشبكيته طبقة تعلقه وعنكبوتيته طبقة تداخل الخواطر عليه، وعينيته طبقة تخليصه وفي قرنيته طبقة رمانه وملتحمته طبقة وصلته بما يعرف، فإذا نفذ هذه الطباق وتصفح هذه الأوراق حينئذ ينفذ إلى أول منزل من منازل الغيب، وهو منزل نور الضياء والظلال التي يقع بوجودهما الإدراك والنعيم، وقال: عين قلبك وإن أعطي العلم فلا يزال خلف الحجاب حتى يؤيده البصر، وقال: أعلى معارفك التي في عين قلبك هي التي فطرها الحق عليها أو ما أعطاها الحس بارتفاع الموانع، وقال: في الحس سر الحق في الخلق وهو مطلع الصديقين.

باب البطن

قال الشاهد: من جاء إلى الحق بشيء جاء الحق به إليه، وقال: الظاهر والباطن أخوان مزدوجان لا ينفصلان فمن عرف الواحد عرف الآخر.

وقال: إنما بطن الحق لمن ظهر له لئلا يفنى فإنه من ظهر للحق بنفسه يفنى، وقال: إنما يظهر الحق لمن ظهر به فإنه لا يقوى على ظهوره غيره.

وقال: مطلع الحق في حده كبأسه في حد يده وكهو في خلقه، وقال: حدّ الحق لا تعرفه إلا من رسولك فمن وقف عنده من الرسول اطلع الحق عليه ومن اطلع عليه لا يشقى، وقال: من وقف عند حد فمطلعه غير الحق، وإن دله على الحق فذلك حدّ لا مطلع له من الحق لكن له مطلع من شكله فمن رعى حدا ما رعى مطلع ذلك الحدّ، وقال: من تقرب إلى الحق بما ليس للحق قربه الحق سواء كان ذلك على حد الحق أو لم يكن.

باب الوكالة

قال الشاهد: لا بد لمن أراد أن يعرف مراتب الوجود أن يدخل إليها وفي الدخلة فيها حل تركيبه فإن كل مرتبة تطلب مناسبتها منه إلى أن ينتهي إلى رتبة الحق ثم يرجع فيتركب فيظهر العين وقد أحاط الحقائق علما.

وقال: خلق الكون للكون وحفظه للحق ليشتغل به ويترك الكون موكلا عليه الحق وأنت الجعل للوكيل، وقال: وقتك نفسك فليس له مدة، وقال: لا تعجب بإقامة عبوديتك في جانب الربوبية فإن الجمادات أعبد منك لأن عبادتها ذاتية، وقال: أمره قوله، وقوله صفته، وصفته هو، فهو بحيث أمره فمن سمع أمره فقد رآه.

وقال: سبح الحق إذا أمرك فقد كنت ولا أمر وما حدث عنده ما لم يكن.

وقال: الوحي سار في الخلق مع كونه متفاضلا، وقال: الحق بحر قعره الأزل وساحله الأبد فاركب سفينة ذاتك ولا ترفع شراعا فإن الغرض طلب الساحل ولا ساحل فاترك الموج يسيرك فإني أخاف عليك من الشراع أن يوكلك الحق إلى تدبيرك، وقال: موج هذا البحر موج بلا زبد لأنه لا يعتمد بعضه على بعض.

وقال: ليس العجب من هذا البحر وإنما العجب من الريح التي تموجه ألا وإن الريح أنفاسك فكل سفينة لا يكون ريحها منها فهي فقيرة فعليك بوحي الماء في حق نفسك وبوحي الخمر في حق صحتك وبوحي العسل في حق روحك وبوحي اللبن في حق من يبلغه كلامك ولا يراك فإنه أنحى وأرجأ وأنجى استوفي الوارد.

تم كتاب الشاهد

كتاب التراجم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على النبي وآله وسلم

باب ترجمة

لطيفة: كل ما وقع عندك فهو منه وقد حجبك عنه فيه بنفسك فله انظر لا للحجاب.

لطيفة: انظر أدوات تركيبك الماسكة له هو الماسك ليست هي.

لطيفة: الرقائق منه في العروق منك موضع سريان الحياة فحافظ عليها ففيها تشهده.

لطيفة: انظر في قوله: أنا معك أين كنت. توصيلا لفهمك ما له أينية، فإذا لم تكن له أينية فهو معك، وإذا كانت الأينية فأنت معك لا هو وأنت سره فسره معك، وسره حفظه فحفظه معك وحفظه ثمرة صفته فصفته معك، وصفته لا هي غيره فهو معك فانظر ما بينك وبينه من الوسائط إذا كنت في الأين، وانظر ما أقربك منه إذا لم تكن أينية.

إشارة: إذا ظهر لك بعد فنائك أبقاك بظهوره لرؤيته وخلع عليك الخلع لأنك في حضرة مشاهدته، فكنت بلا كون لوجود خلعته عليك فخلعته كرامة وكرامة الكريم تشبه الكريم، فمن ظهرت عليه الكرامة سكت عنها ونطق بالكريم فتوهم الأجنبي الاتحاد وليس كذلك، وإنما المحقق غيور على نفسه أن ينطق بغير ربه وما كان منه، لأنه به مشغوف وعليه ملهوف وبه متلوف فليعذر فقد عذره فإنه أشهده ما ذهب بعقله في الذاهبين.

باب ترجمة الكبرياء

لطيفة: تكبر على من تكبر على الله فهو تواضعك ولا تتواضع تحت كبرياء المتكبرين وإن كنت تعلم أنه من الله وإن الكبر صفته ولكن للمحال حكم من أحكامه.

لطيفة: إذا رأيت متكبرا فتواضع له فإن حقيقته عبد فتذكره بتواضعك فترتاح النفس إلى أصلها من حيث لا تشعر فيحبك فإذا أحبك قربك وإذا قربك اشتهى خدمتك فأسمعه حقيقته بسياسة من حكاية أو ضرب مثل في مسامرة ومنازعة حديث يجدها من نفسه فيقبل فتكون معلمه فتنتقل رياسته إليك وأنت متحقَق بالله فتردها إلى الله فإن الله لا يأخذ إلا ممن يعرفه لأن العارف يتأدب في العطاء.

إشارة: ليس التواضع تنكيس الرأس ولا الخدمة ولا القيام بحق كذا كل ذلك تملق وتمكن في الرياسة وإنما التواضع استصحابك لمعرفتك بالله وإذا عرفت نفسك عرفت ربك وإذا عرفت ربك عرفت مالك عنده، وما له عندك فأعطيته ما له وطلبت منه ما لك فإن أعطاك ما ليس لك اختبار فردها عليه أو أخرج بها في موضعها تقوَ معرفتك.

باب ترجمة الفتح

لطيفة: أنت الكون والله المكون فتح الوجود بك وأنت المفتاح الوجود فأنت عنده ولا يعلمك إلا الله.

إشارة: أتدري أول باب فتح الله بك باب نفسك فلما ظهرت استكبرت فجوعك فافتقرت.

لطيفة: ما أعز آدم حيث نظر الحق إليها وتولاها بيديه فليس العجب من السعادة الإنسان وإنما العجب من شقاوته.

إشارة: لو كانت النفخة واحدة لكان الشقاء يعم الجميع أو السعادة وإنما نفختان كما كانت قبضتان.

لطيفة: الكون كون الحق لا كون الإنسان والإنسان المفتاح لذلك الكون فهو المفتاح وبه يقع الفتح، وعند الفتح تخرج الأسماء إلى الإنسان فمنهم من يشقى بها ومنهم من يسعد.

إشارة: المفاتيح مفتاحان بأسنان وبغير أسنان فيا ليت شعري الإنسان أي مفتاح هو.

إشارة: الإنسان مفتاح كون الوجود وكون العبادات به ظهر الأزل وهو يفتح باب الأبد.

لطيفة: ارم المفتاح أيها الإنسان واهرب إلى الله يسعدك سعادة الأبد قيل لأبي يزيد اترك نفسك وتعال.

باب ترجمة الإجابة

إشارة: ما ثم إلا عبد ورب فإليه تصعد وإليك ينزل كما قال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وينزل ربنا إلى السماء الدنيا.

لطيفة: هو منك كحبل الوريد فلا تنظر إلى سواه فإنك إن نظرت إلى سواه لم تنظر إلا نفسك ونفسك الحجاب عنه فلن تراه.

إشارة: من كان إلى الله طريقه لا يعرف الكون فإن الكون لا يوصل لأنه لو وصل إليه لكان حدا وليس بحد لشيء.

لطيفة: معرفة الحق وهبة ولك التلقي فبينك وبين الوهب مناسبة الكون فمن الحق تعرف الحق لا من الخلق وبالحق تعرف الخلق لا بك فالزم الحق للحق تجد الحق فلا تطلب الحق من الطرق فما ثم طريق إليه لارتفاع الارتباط بين الحدوث والقدم.

إشارة: انظر علمك بالحق من الحق تجده غير متصور لك فذلك هو العلم وكل متصور فهو كون.

لطيفة: علم الحق ليس صورة فالحق في علمك لا يتصور فإنه ليس بصورة ولا يقبل الصورة لكن يعلم وعلمه ليس غيره وعلمه به عين علمه به والعلم ليس المعلوم فإن الإنسان يعلم شيئا وليس هو ذلك الشيء والعلم أيضا قد يكون المعلوم فإن بالعلم يعلم العلم فلا تنكر أن العلم عين المعلوم فقد أريتك.

باب ترجمة العدل

لطيفة: لو سلط على الخلق من اسمه القاهر أدنى شيء لتلاشوا والمراد البقاء والرحمة لها البقاء فالرحمة تبقيهم ولو كانوا في العذاب.

باب ترجمة التعظيم

لطيفة: المحامد تطلب الإنسان والربوبية تطلب المحامد والعالم يطلبون الربوبية ولو نظروا لرأوا الرحمن يطلبهم والرحيم يسعدهم فلما أعرضوا وعدوا بالجزاء للمحسن والمسيء فالسعيد تذلل إلى الرحمن وسأل التأييد وافتقر والشقي ضل في تيه شهواته وأظلمت عليه أقطار مسالكه فاستفزه الشيطان ولاحق بالخسران المبين وانفردت الخلاصة من عباد الله لهدايته فيسألون ثبوتها والرسوخ فيها لأن دار التكليف دار تعذر المقام فيها على الصفوة لأن الله تعالى جعلها طريقين وجعلنا فريقين كل طريق له فريق فذا نعيم وذا حريق.

إشارة: اذكر الله قبل أن تذكر نفسك إيثار فمن آثر الحق نفسه آثره الحق.

إشارة: سمه قبل أن تسم نفسك تكتب في ديوان من همم بالحق همم به.

باب ترجمة الغيرة

إشارة: صديقان لا يجتمعان صادق وصديق يجتمع.

إشارة: أنت ثلاثة والواصل إلى الحق منك واحد، فإن وصل إليه بنفسه فتلك شبهة، وما وصل وإن وصل إليه به وصل وهو عنده صحيح.

إشارة: لولا صفات الحق التي أخذها الخلق وتحلوا بها قبل أن تعين مواطنها لرأيت الكل سعيدا.

لطيفة: كل من تنعم إنما تنعّم بشاهده القائم بقلبه وهو ما حصل من الحق عندك وهو محدث مثلك ولا يجوز التنعم بالحق عند المشاهدة لأن المشاهدة فناء ليس فيها لذة وهو العلي الكبير.

باب ترجمة الوجود

لطيفة: شأن القدم والحدوث ضدان فإن سعدت فاشكر الله وإن شقيت فلم نفسك أدبا.

إشارة: ما دامت الدنيا موجودة فالتعب موجود في السعد إلا أنها دار السبك والتخليص فأنت تدور في ستة أيام ويوم السابع هو يوم دخولك دار الأبد.

باب ترجمة الجمع

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر: ٣٥]، أليست هذه أسماءه تعالى أليس المتصفون بها في النار أليس النار محل الحجاب أليس الحجاب عدم الرؤية أليس عدم الرؤية هو الخسران المبين فما للإنسان لا يهرب إلى ربه ليجود عليه بمشاهدة نفسه الذليلة الفقيرة ألا ترى الصادق عليه السلام يقول: "وأعوذ بك منك"، وقال أبو يزيد: قلت يا رب بما أتقرب إليك، فقال: بما ليس لي، قلت: وما ليس لك، قال: الذلة والافتقار.

باب ترجمة التقديس

إشارة: الحجب المانعة من إدراك الحق عظيمة وأعظمها العلم فإنك تقول قد حصلت، هرقل كان عنده العلم بالنبوة لا الإيمان فما نفعه، اليهود علموا أن محمد رسول الله ﷺ حقا ما نفعهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، إبليس علم ما يستحق أمر الله تعالى من الإمتثال لكن ما امتثل حرم التوفيق، ففلا تغتر بالعلم، العلم يطرد الجهل لا يجلب السعادة فأصحبه الإيمان يكن نورا على نور أتعرف لما هو العلم أعظم حجاب؟ لأنه يطلب يرى المعلوم على حد علمه، وما كل معلوم يتصور هذا الطلب عليه، من لم يدع العلم بالحق وعجز وافتقر آمن بالحق في كل مقام يراه، وقد جاء الحديث الصحيح بذلك فانظر ما أشرنا إليه في هذه اللمع الأفقية.

باب ترجمة الاستواء

لطيفة: عيسى روح الله وكلمته، والرسل خلفاء الله في الأرض فهم موضع نظر الحق ومحل المعرفة وأصحاب الولاية، فاعرف قدرك.

إشارة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]، فإنه القائم على كل شيء، القائم به كل شيء.

لطيفة: الأولياء إذا طلبوا الحق بالحق فإنما هو انتقال من اسم إلى اسم باسم ومن حال إلى حال بحال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[مريم: ٨٥]، حشروا من الاسم الذي يتقونه إلى اسم الذي يلطف بهم ويرحمهم ولا تنظر إلى قول أبي يزيد لما سمع هذه الآية قال: يا عجبا كيف يحشر إليه من هو جليسه المتقي جلس الظاهر والآمن جليس الرحمن.

باب ترجمة الباطن

إشارة: إن سئلت من الظاهر الذي لا يعرف والباطن الذي لا يجهل فقل هو الحق.

لطيفة: للحق ظهوران في العالم يفنى به ويبقى فالعالم بين فناء وبقاء.

لطيفة: العالم كله من حيث الذات واحد فله البقاء والفناء في صور العالم وأشكاله.

لطيفة: لا تصح المعرفة بالله لأحد حتى يتعرف إليه ويعرفه بظهوره فيبصره من القلب عين اليقين بنور اليقين وقد قال عليه السلام مخبرا عن الله: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي".

باب ترجمة الرحمة

إشارة: من نظر إلى غير الله أخلسته نظرته من الله فلا يقل الغير عدوي أنت عدو نفسك.

لطيفة: ما أمر الحق إلا واحدة كلمح بالبصر فاحذر نظرة المقت.

إشارة: ما دامت الشمس لم تطلع من مغربها قبلت توبتك انظر حظك من طلوع الشمس من مغربها تجده رجوع سرك إلى الحق من مغرب ذاتك فلهذا لا يقبل توبتك لأن التوبة من عالم التكليف وقد رحلت عنه إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾[غافر: ٨٥]، ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[يونس: ٩١].

باب ترجمة الأنانية

إشارة: الشيء منك بالفناء هو والشيء منك بالبقاء أنت فانظر من يعز عليك فاستند إليه.

إشارة: أنا حيث ما كانت مربوطة بأنت وأنت وقتا مع الأناء وهو أنت ووقتا مع نفسك وهو هو.

إشارة: (ك) حقيقتك أمام المخاطب وكما أنت بك وبالمخاطب وكم أنت بعالمك والأسماء وك نفسك المطلوبة في المشاهدة وكن جماعة حقائقك الدنيا والقصوى كل ذلك بالحضرة فإن غبت عنها قام ها وهما وهم وهن وهو.

إشارة: الضمائر تعطي الاتصال والانفصال فانظر بأي ضمير تخاطب فتعرف عند ذلك أين أنت من المخاطب في محل قرب أو بعد.

باب ترجمة الوهب

لطيفة: من طلب الحق وجده ومن طلب منه أعطاه و لم يجده.

لطيفة: البيوت وإن كثرت فهي بيتان بيت للمعرفة وهو النفس وبيت للمشاهدة وهو السر وكل بيت يعرى عن هذين فهو خراب.

إشارة: المشرك أثبت الحق وزاد الشريك فهو صاحب علم وجهل فإذا وقع الكشف ارتفع الجهل وبقي العلم فإن العلم لا يرتفع فإنه وجود حق والجهل يرتفع لأنه صورة وجود وليس بوجود حقيقته عدم.

لطيفة: أخفى شيء في الوجود الشرك قلَّ من يعرى عنه وسبب قوة سلطانه الحجاب والحجاب لا بد منه فالشرك موجود لكن من الشرك ما هو معفو عنه وهو ما لاح على ظاهر النفس فهو سيال لا يثبت ولا ينقطع ومنه ما هو مأخوذ به وهو ما ارتبط بالعقد.

باب ترجمة الكمال

إشارة: ينبغي للإنسان أن ينظر في روحه كيف توجه إلى مدينة جسمه المزخرف ودخله ليعاين ما أودع الحق فيه من الحكم والترتيب الأحسن لأنه في أحسن تقويم، فإذا شرعت في هذا النظر فأمعن فيه ولا تترك زاوية من الإنسان حتى تدخلها وتعرف ما خزنت فإنها خزائن الحق فإنك تقف على علم عظيم: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، من عرف نفسه عرف ربه، أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه.

باب ترجمة الكثيب

إشارة: ما ثم إلا حق وخلق كل ما أقبلت على شيء أعرضت عن أمر آخر.

باب ترجمة الشريعة والحقيقة

لطيفة: تخيل من لا يعرف أن الشريعة تخالف بالحقيقة وهيهات لما تخيلوه بل الحقيقة عين الشريعة فإن الشريعة جسم وروح فجسمها علم الأحكام وروحها الحقيقة فما ثم إلا شرع.

إشارة: لا تأخذ من علم الأحكام إلا ما تعين عليك واشتغل بنفسك وارغب في تحصيل العلم الذي يكون معك حيث كنت علم التكلف هنا تتركه والعلم بالله معك تحمله العلم يطلب معلومه حيث كان.

إشارة: كل ما في الكون مسخر للإنسان ومع ذلك كفر: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾[عبس: ١٧].

إشارة: ليس الناطق من كلمك بصوته وحرفه وإنما الناطق من كان في قوته أن يوصل إليك ما عنده من المعاني ولا تقل على هذا إن الوجود بذا الاعتبار ناطق هذا فهمك لا نطقه والذي قلناه نطقه لا فهمك فاعلم.

باب ترجمة خبيبة ابن صائد

إشارة: جسمك كرسي منصوب القدمين ولطيفتك عرش محيط بك لوجود الرحمة فلماذا يتباعد الإنسان من عالم الجسوم ولا بد منها دنيي وآخرة فإنها صورة كمال وجود لا كمال تشريف.

باب ترجمة التقليب

لطيفة: ظللك على صورتك وأنت على الصورة فأنت ظل قام الدليل على أن التحريك للحق لا لك كذلك التحريك لك لا للظل غير أنك تعترض فلم تعرف قدرك وظلك لا يعترض فيا من هو ظله أعلم بقدره منه متى تفلح.

لطيفة: الشخص وإن كان واحدا فلا تقل له ظل واحد ولا صورة واحدة في المرء فعلى عدد ما يقابله من الأنوار يظهر للشخص ظلالات وعلى عدد المرأى تظهر له صور فهو واحد من حيث ذاته متكثر من حيث تجليه في الصور أو ظلالاته في الأنوار فهي المتعددة لا هو وليست الصور غيره.

إشارة: الحق هو واحد في ذاته يقبل الصور والحد للصور لا للجوهر والجوهر لا يستحيل والصورة لا تستحيل أخرى لكن تستحيل في نفسها أي تذهب فاعلم.

باب ترجمة المشاورة

إشارة: الحق واحد في الوجود الإنسان واحد في الكون.

إشارة: الكون مفطور على الزوجين فإن الأصل قبضتان ومن هناك ظهر.

لطيفة: يا أيها الإنسان إذا سافرت في بحر الكون فارفع شراعك وإذا سافرت في بحر الحق فلا ترفع شراعا سفينة نوح لما لم يكن لها شراع مرفوع قال فيها: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر: ١٤].

باب ترجمة حمد الملك

لطيفة: ما ثم مقام جمع رحمتين تاليتين لرحمتين إلا هذا المقام ومقام العظمة الجامعة فرحمة الإجمال لها التقدم ورحمة التفصيل تالية وقد جاء التنبيه في القرآن على هذا المقام فبسمل في الفاتحة ثم ذكر الرحمن الرحيم وبسمل في حمد السجدة، ثم ذكر الرحمن الرحيم، وكذا جاء قريب من هذا، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[الرحمن: ١-٢]، النزول إلى قلوب عباده المؤمنين التي وسعته فهو

نزول منه إليه فافهم فانظر أيها السالك إلى الأعلام التي رفعها الحق لك على مدرجتك إليه فاقطعها عَلَماً عَلَماً حتى تصل إليه.

إشارة: أيها السالك ما منك جزء إلا وهو عالم ناطق فلا يحجبنك أخذ سمعك عن نطقه، فلا تقل يوما أنا وحدي ما أنت وحدك ولكنك في كثرة منك: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾[النور: ٢٤]، ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾[فصلت: ٢١].

باب ترجمة المغفرة

إشارة: إذا انكشف الغطاء تبينت الأمور على ما هي عليه فيريح العالم ويخسر الجاهل فأدرك نفسك بالعلم قبل الموت فإن الظلمة أمامك ما فيها نور إلا علمك وأشرف أعمالك العلم.

إشارة: أيها السالك لا تقل ربي الله فيتمكن منك أعداؤك ولكن قل الله ربي فيقهرهم الاسم فلا يجدون إليك سبيلا.

لطيفة: لا يغتر الإنسان بكونه روح العالم فيقول أنا أشرف منه هو أخوك العالم والإنسان توأمان فاعرف أباك وأمك.

باب ترجمة الإخلاص

لطيفة: فرق بين ولد الطين وولد الدين في الميراث الدين للعلم والطين للمال ولد الدين وليك وولد الطين عدوك أبوك من أنفق عليك فإن أنفقت على أبيك فأنت أبوه.

لطيفة: أنت الدار التي يسكنها السر فنهاره ظهور السر فيه وليله غيبة عنه فتعبد بالليل وتحدث بالنهار.

إشارة: صورة الإنسان بعد الموت تتنوع بتنوع أحواله في الدنيا فكن على أحسن الحالات تكن على أحسن الصور.

إشارة: من جنى وعلم أن الحق غفار غفر له ومن لم يجن و لم يعلم أنه غفار فقد جنى.

باب ترجمة انبعاث نور الصدق

إشارة: الصدق صفة للشرف عليه دلت المعجزات كلها ولقد سألت عن صورة الإعجاز في القرآن فقيل لي كونه حق صدق والمعارض صاحب تزوير فالزم الصدق أيها السالك تر العجب العجاب في الدارين.

إشارة: أخلُ مع الحق على قدم الصدق أسبوعا بل أقل من ذلك لولا أن أتألى على الله لحلفت إن الطير تظلك والوحوش تصلي خلفك وتأنس بك ويخرج منك نور يضيء له المشارق والمغارب وأي شيء هذا في جنب ما يقول الله: "من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا".

إشارة: إذا صدق الصادق وانبعث منه النور فلينظر إلى شمسه فإذا دلكت فلينظر هل يهتز تخطيطه أم لا فإن لم يهتز فلينظر المانع فيجد سكون الريح فلينظر ما أسكنه ولينظر ما معه وما فاته بالسكون فيكن مع أعلاهما.

إشارة: عليك بإبراز القسم أيها السالك، ولا تقسم على أحد ما استطعت في أمر، لكن قل إن شاء الله فلتكن المشيئة هي الحاكمة وأنت مستريح.

إشارة: من خرج عن أصله فهو غريب وعذاب الغربة شديد الشقي غريب في الآخرة والسعيد غريب في الدنيا فطوبى للغرباء.

باب ترجمة الجمع والوجود

إشارة: الإنسان قلب الوجود وقلبه والمؤمن جنانه وروحه.

إشارة: زيادة القمر تؤذن بالبعد والمشاهدة ونقصه يؤذن بالقرب والحجاب إن هذا لشيء عجيب.

إشارة: لك ظاهر إلى الخلق ولك باطن إلى الحق فمتى ظهر الحق على ظاهرك سقطت حرمتك عند الخلق وفيها سعادتك لأنهم فرغوك إليه.

باب ترجمة مالك الملك

لطيفة: إذا امتلأ القلب من المعارف فلتحذر النفس فإنها مخربة الديار مبددة الشمل.

لطيفة: أخل قلبك من كل شيء إلا من ذكر الله فإنه قرع الباب من بالباب قيل: فلان، قيل: افتح، حصل المقصود.

لطيفة: من سجد لله سجدة حق لم يرفع رأسا أبدا بعد السجود، وكل من رفع رأسه بعد السجود فإنما سجد للحجاب لا لله قال: سهل بن عبد الله للعباد أنَّى يسجد القلب قال: إلى الأبد فلزم خدمته.

باب ترجمة الاشتراك بين النفس والروح

إشارة: العالم وسطٌ، وهو الآن قبله ما لا يتناهى وهو الأزل وبعده ما لا يتناهى وهو الأبد فاعطف الأبد على الأزل يتحد الأمر ويتبين القديم من المحدث.

إشارة: القرب من الحق بحسب تقديس الذات وتزكيتها ولا يختص بذلك ذكر دون أنثى بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقد كمل من النساء مريم وآسية.

باب ترجمة القسمة

لطيفة: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين"، كذا قال تعالى على لسان نبيه ﷺ فالكون الأكبر مخلوق على قسمين قسم للحق وقسم لك والقسم الذي للحق لا يعرفك ولا تعرف القسم الذي خلق لك ولا ينبغي له أن يعرف فإنه حين خلقهم أشهدهم فهاموا و لم يحتجب فلم يرجعوا بعد والقسم الذي خلق لك استخرج منه هيكل الأنوار ونقش فيه العلوم والحقائق ثم رفع الحجاب فشرقت عليه شمس الوجود فأشرق ونطق بالتحميد ثم نظر إلى نفسه فنطق بالتسبيح ثم نظر إلى ظله فنطق بالتمجيد ثم نظر إلى علمه فنطق بالتكبير فنودي: عرفت فالزم ثم بعد ذلك توالت عليه الأعصار فتخلخل البيت واشتعل النور بالتلفيق فانحجب عن علمه ثم: ﴿يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[النحل: ٧٠].

باب ترجمة السبب

إشارة: الوجود في الجود قال عليه السلام: يقول الله تعالى: أَنفِقْ أُنفِقُ عليك.

إشارة: العبد كل العبد من تقرب إلى الحق بالحق أو بكلام الحق وهو حق.

إشارة: الكلمات هي الموجودات وكل جوهر فرد من البحار كله فلا تكتب بالنقطة سوى نفسها فأين كلمات الأقلام وغيرها.

إشارة: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[النساء: ١]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر: ٢٩]، فالأجسام من جسم واحد والأرواح من روح واحدة تنبيه على أن العالم وجد من واحد لا إله إلا هو العليم القدير وإلهكم إله واحد.

باب ترجمة الأقصى

إشارة: الآيات كثيرة لأن الموجودات كلها آيات على الحق لقوم يعقلون فمن وقف مع آية دون غيرها فما عرف من الحق سوى ما تعطيه الآية.

إشارة: إذا عم الفساد البر والبحر فارحل عن الأرض واجعل همتك سماوية علوية مخافة الهلاك.

إشارة: المؤمن منصور بلا شك غير مخذول فمن خذل فلينظر من أين خذل فسيعدم من ذلك الأين الإيمان: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧]، قول صدق.

باب ترجمة أرض العبادة

لطيفة: الأرض أرضان أرض عبادة وأرض نعمة فمن خرج من إحدى الأرضين وقع في الأخرى وهو لمن وقع فيها.

باب ترجمة الأدب

لطيفة: اجعل قلبك مثل مكة يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدن ربك هذا من الشام هذا من مصر هذا من اليمن هذا من نجد هذا من كذا نعم كذا وجد ظاهر الصورة عطلها الحق في الحقيقة فقال: ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾، لا من هذه الجهات: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، نسبوها إلى الجهات وما ذكروا الحق.

فإذا جعلت قلبك مثل مكة تجبي إليه الثمرات حقائق الأسماء الأكوان فلا تقل هذا كون فلا أقبله الكل من لدنه وما بعثه إليك إلا لحقيقة فيك تطلبه وإن لم تشعر في الوقت صورة الكمال في العلم والعمل.

باب ترجمة السعر

إشارة: فِرَّ إليه منك تعرف مواقع القضاء فإن فررت إليه منه ردك به لتخبر عنه وإن لم تفر وبقيت واقفا محى عنك ظلك وبقيت نورا كلك قال عليه السلام: "واجعلني نورا"، هذا محو الظل فإنه ظلام الجسم.

باب ترجمة المنة

إشارة: لا يرى من ليس كمثله شيء إلا من ليس كمثله شيء قاله أبو طالب المكي رحمة الله عليه.

إشارة: رؤية القلوب على قدر صفائها ونورها ورؤية الأبصار على مقدار قلوبها، فالبصر أتم ولهذا كان الغاية رؤية البصر: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[العلق: ١٤]، بالبصيرة ترى الحق في الدنيا وبالبصر تراه في الآخرة وأنت تصير إلى الأعلى فرؤية البصر أعلى.

باب ترجمة العبادة

لطيفة: للحق ذكر ودعاء وللخلق ذكر ودعاء، فإن ذكرتَ الحق ذكركَ، وإن قلت له يا رب قال لك يا عبد وإن قلت له أعطني قال لك أعطني فاختر الذكر أو الدعاء، الدعاءُ قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[البقرة: ٤٠]، والذكر قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢].

إشارة: الدعاء عبادة والذكر سيادة فمن دعاه إليه وصل إليه ومن ذكره فهو عنده "أنا جليس من ذكرني".

إشارة: الدعاء نداء والنداء عين البعد.

إشارة: لنفسك عليك حق ولعقلك عليك حق فاذكر الحق لعقلك وادعه لنفسك بالجنة لا له.

باب ترجمة الغيب

إشارة: عين الوجه لا يدرك إلا بعد نفوذ سبع طباق: المشيمة والصلبة والشبكية والعنكبوتية والعنبية والقرنية والملتحمة قال الحكماء: فهذه طبقات العين وهو من ورائها محفوظ بها فكذلك عين القلب تنفذ بسبع طباق مثل البصر فالمشيمة كونه والصلبة وصفه والشبكية تعلقه والعنكبوتية تداخل الخواطر عليه والعنبية تخليصه والقرنية زمانه والملتحمة وصلته بمن عرف فإذا نفذ هذه الطباق وتصفح هذه الأوراق حينئذ ينفذ إلى أول منزل من منازل الغيب وهو منزل الضياء.

إشارة: عين القلب وإن أُعطِيَ العلم فلا يزال خلف الحجاب حتى يؤيده البصر.

باب ترجمة الوفاء

لطيفة: قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧]، وقال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الانعام: ١٢]، فللعبد على الحق حق وللحق على العبد حق.

باب ترجمة التسخير

إشارة: الإنسان محجوب عن الحق في الأحوال مشهود له في المقامات.

لطيفة: المقام يحجبك إن نظرته في الحق أو نظرت الحق فيه قالت الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[الصافات: ١٦٤]، وكذلك كل مودود.

باب ترجمة القدرة

إشارة: إذا تنقلت بالخيرات أشهدك أنه كأن يدك عند البطش وسمعك عند الإسماع وبصرك عند النظر فهو السميع البصير الباطش فالعناية بك في كشفك ذلك.

لطيفة: هو القائل اخسئوا فيها وهو القائل أدخلوا الجنة فاشتركا في سمع الكلام فليس المطلوب سماع الكلام.

إشارة: من تجرد عن غرضه أمن سطوة مرضه.

باب ترجمة الذكر

إشارة: من غار على الحق من نفسه فما عرف نفسه فما عرف ربه.

باب ترجمة المحبة

لطيفة: ما دعي الخلق من باب الحب ولكن من باب الجود على الأسماء حتى تظهر حقائقها فهو حب للأسماء وجود للعين.

باب ترجمة النوراني

إشارة: الرؤية حجاب وكانت الدار حجابا فإنها ظلمة والظلمة حجاب.

إشارة: ظل والرؤية ضياء فالناس بين ظل وضياء فإنهم بين حق وخلق إنه نوراني يُرى، أي حجاب دون الإبصار فكيف يرى الإبصار.

باب ترجمة الهادي

إشارة: الحيرة قبل الوصول والحيرة في الوصول والحيرة في الرجوع كيف لا تحار العقول والأسرار فيمن لا تقيده البصائر والأبصار.

باب ترجمة معرفة الرداء

إشارة: الخليفة نائب الحق في خلقه فلذلك تظهر صفاته ليس العجب مما قلت فهكذا خلقك وإنما العجب منك كيف لا تعرف ذلك ليس العجب منك كيف لا تعرف ذلك وإنما العجب كيف أقول لك كيف لا تعرف ذلك والحق ما عرفك وأنت لا تعرف حتى يعرفك.

لطيفة: لولا الألوهية لما تنوعت التجليات.

تم كتاب التراجم

كتاب المنزل القطب ومقاله وحاله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على النبي وآله وسلم تسليما

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.

اعلموا وفقكم الله أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه جعل منزل القطب من الحضرة منزل السر وهجيره من الأسماء إلا له ثم جعل منزل الإمام الذي عن يسار القطب منزل الجلال والأنس وله الاسم الرب فله صلاح العالم والنبات وعنده سر البعدية وبيده المقاليد وهو السيد الطاهر في العالم وهو سيف الإمام القطب ثم جعل منزل الإمام الذي عن يمين القطب منزل الجمال والهيبة وله الملك والسلطان بالمقام لا بالفعل وبيده مقاليد عالم الأرواح المجردين عن الصور المسخرين وكيف هيأتهم في الحضرة الإلهية إن القطب وجه بلا قفا قال ﷺ: "إني أراكم من وراء ظهري"، فأثبت الظهر حكما على المادة ونفى حقيقته بوجود النظر منه وجعل الوراء إثباتا لفقدهم وجعل إمام رِ اليسار ذا وجهين وجه مركب وهو ما يقابل به العالم ووجه بسيط وهو ما يقابل به القطب وجعل إمام اليمين ذا وجه واحد واقفا غيبه عن الشعور بقفاه فلو سئل لقال إنه وجه بلا قفا وقد بينا منزل الإمامين في الفلك القلبي من كتاب مواقع النجوم ونحن نتكلم إن شاء الله في هذا الباب على منزل القطب والإمامين بما يليق من هذا الكتاب.

منزل القطب ومقامه وحاله

القطب مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق عليه مدار العالم له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق بالخير والشر على حد واحد لا يترجح واحد على صاحبه وهو عنده لا خير ولا شر ولكن وجود ويظهر كونها خيرا وشرا في المحل القابل لها بحكم الوضع عند أهل السنة وبالعرض والعقل عند بعض العقلاء قال تعالى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]، وضعا صحيحا من سرّ الإلهي ثم ظهرت الجنة والنار وجميع النسبة في الوجود نظير الحضرة الذاتية الإلهية ومنها قوله تعالى والله باسم الذات الجامع يقبض ويبسط وبيده المنع والعطاء وعلى التحقيق الذي لا خفاء به عند المحققين أن ما ثم منع البتة بل عطاء سرمد لا ينقطع وفيض دائم وإنما المنع في الوجوب الإلهي الذي أطلق عليه لأمرين الواحد أن المعطون ليس من حقائقهم أن يقبلوا العطايا كلها في الزمن الواحد لكن يقبلوا بعضها فعدم القبول للبعض سميناه منعا إلهيا إذ قضية العقل عند من يعتد بهم عقولهم يعطي إن لو شاء لأعطي الممنوعُ الممنوعَ له في الزمن الذي منعه إياه وهذا صحيح ولكن لو حرف مشوم ما اقترن قط إلا بما لا يكون

قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤]، ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الانعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣].

وأما الأمر الذي لأجله سمي مانعا وليس بمانع وذلك أن العقول تقصر عن درك بعض ماهيات الموجودات فإن الحدود الذاتية عسيرة المنال وأكثر العقول إنما تعرف الأشياء بالحدود الرسمية واللفظية فأفاض الحق جوده على الأشياء فيضا مطلقا كفيض الشمس نورها على الأرض للمبصرين فاختلف القبول لاختلاف المحال لا أن النور مختلف ولكن قبول الأجسام الصقيلة له ليس كقبول الأجسام الدرنة.

وأما من هو في كن فليس له إلا ضد النور وهو عطاء أيضا فيصف المنع هذا المحروم الممنوع للحق وهو الذي حجب نفسه إما بحقيقته وإما بعرض مثل الفعل والكن والران والضد وغير ذلك من العوارض التي يمكن زوالها ولكنه مدركه لحجبها إدراكا صحيحا ولسوقها إلى غير حجبها سميت ممنوعة مما تشوقت إليه فمنزل القطب حضرة الإيجاد الصرف فهو الخليفة ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم وحاله الحالة العامية لا يتقيد بحاله تخصيص فإنه الستر العام في الوجود وبيده خزائن الجود والحق له متجل على الدوام.

مناجاة هذا المنزل المحمدية

تلك تميمة الولهان لطارق الإنس والجان فقل أعوذ بالإله الملك الرب من شر ما يغرا في القلب حاك في الصدور محدثات الأمور وسمة القلوب في طلب الغيوب بالسر الموهوب ذلكم حكم الله يحكم بينكم يا أيها الناس أنتم ثلاثة أطباق هلال الطبقتين في محاق وشمس الواحد في إشراق إن ربك هو الخلاق العليم يصلح العالم بعلمه ويؤتي الملك بحكمه وينفرد الوسط وإن تأخر في المسطور بسر نظمه إنه حكيم عليم سر الغيب والشهادة علم في رأسه نار يضيء للبصائر السليمة والأبصار فالله يعلم ما يسرون وما يعلنون من جاء ثم حبس لم يزل في لبس من خلق جديد والله على كل شيء شهيد ختمت اللهم بحق إبراهيم وإسمعيل وإسحاق ومحمد والحسن والحسين صلى الله عليهم أجمعين ألا شفيت صاحب هذه الأسماء وحاملها من كل داء وعصمته من شر كل شر يهجس في النفس وتجري به الرياح.

منزل الإمام الأكمل

الذي على يسار القطب بينه وبين منزل الاتحاد أن يموت القطب فينتقل السر إليه فإن الاتحاد للقطب فإن الإمام قد يموت في إمامته ويلي مكانه الإمام وينتقل واحد من الأربعة إلى مكانه الإمام الآخر وهكذا يتفق في الإمام الآخر ولهذا الإمام المسمى برب العالم وهو عبد الرب.

فمـــا قـــاتلوا عــــن ربهـــم وربيــــبهم ولا آذنــــوا جــــارا فــــيظعن ســـــالما

فعبد الإله هو القطب وليس عند الله أحد البتة وهذا الإمام عبد الرب الإمام الآخر عبد الملك وأسماء بقية العبيد على حسب مقاماتهم فلهذا الإمام معرفة سر الأسرار وله التدبير الإلهي وله في العدد أسرار الإلهية لا يعرفها غيره ويختص هذا الإمام بعلم الصنعة المعشوقة ويعلم خواص الأحجار وهي عنده مكتمة وربما يحصل له من معرفة أسماء الانفعالات ما يكون منها حقيقيا وله في المحاربات والمكائد أمر عجيب وهو على النصف من عمره مع العالم وعلى النصف مع القطب أو الحق المخلوق على السواء إلى أن ينتقل إلى القطبية أو يموت وقد تظهر صولته في عالم الكون بالسيف وقد تظهر بالهمة على حسب ما سبق له في الأزل وهذا الإمام عنه تظهر أسرار المعاملات على هذه الهياكل الترابية وله خمسة أسرار سر الثبات به يعلم حقائق الأمور وبه يدبّر ويفصل ويولد ويزوج ويعبر على سر الرموزات وفك الطلسمات وأصول الأشياء الظاهرة والباطنية والحقيقية وغير الحقيقية وله خرق السفينة وله إقامة الجدار وليس له قتل الغلام من حاله وكشفه فإن قتله يوما ما فعن أمر القطب.

وأما السر الثاني من الخمسة فهو سر التمليك به يرحم الضعفاء وينجي الغرقى ويكسب المعدوم ويقوي الضعيف ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق ويجود على من أساء ويعفو عن الجرائم ويصفح ويقيل العثرات ويجمع بين المتعاشقين والوالدة وولدها وهو يطوي الطريق على القاصدين لما اشتاقوا إليه وما أعطته الحقيقة الرحمانية على عمومها من هذا السر ينبعث ظهوره في الوجود.

وأما السر الثالث فهو سر السيادة وبه يفتخر ويبدي حقيقته ويقول أنا سيد ولد آدم وإني أنا الله لا إله إلا أنا وسبحاني وما في الجبة إلا الله وما أعطته الحقيقة التي تظهر مكانته ورفعته فمن هذا السر.

وأما السر الرابع فهو سر الصلاح وعن هذا السر الذي له يحمل الخلق على المكاره التي فيها نجاتهم وتجنبهم عن الملذوذات التي فيها هلاكهم وبهذا السر يحول بين الولد ووالدته وبين المتعاشقين وإن تحابا واجتمعا لله ويسعى في تفريق الشمل بين المخلوقات فإن هذا السر يعطيه بحقيقته إن الأشياء القلبية لم يخلق بعضها لبعض ولا يغيرها إلا الله فهو يردها إلى مقام التفريد إلى الله وهو الذي أريدت له ولذلك قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، أي ليعرفون و لم يقل وما خلقت الجن والإنس إلا ليأنس بعضهم ببعض ولا يتعشق بعضهم ببعض ولا يتعرف بعضهم أسرار بعض وإنما خلق المكلف من أجله فلا ينظر إلى غيره فبهذا السر يقطع الإمام القلوب عن غير الله ويردها إلى الله وما من حالة من هذه الأحوال إلا والناس يجدونها في نفوسهم ولا يعرفون من أين تنبعث ومعدنها قلب هذا الإمام فهو في حكمه على حسب السر الذي يقوم في حق الشخص المنظور إليه مما سبق في علم الله منه فيقيم السر في قلب الإمام على ذلك وما أعطته الحقيقة التي فيها صلاح الخلق عن هذا السر ينبعث.

وأما السر الخامس فهو سر التعدية وبه ينزل المطر ويدر الضرع ويطيب الزرع وتحدث الشهوات وتنضج الفواكه وتعذب المياه وبه تكون القوة تسري في أهل المجاهدات والمحاضرات حتى يواصلون الأيام الكثيرة من غير مشقة والسنين العديدة من غير التفات ولا ضرر وله تمد الحقيقة الإبراهيمية

والإسرافيلية والجبريلية والآدمية والرضوانية والمالكية فإن مدار بقاء العالم على هذه الثمانية وسر بقاء العالم غذاؤه ولهذا الجوهر غذاؤه تجديدا أغراضه على الدوام والتالي فمهما عرى عنه زمنا فردا عدمت عنه وبهذا السر غذاء الأغذية وقد ذكرناه في مواقع النجوم في بعض النسخ لأنا استدركناه في الكتاب وقد خرجت منه نسخ في العالم وما أعطته الحقيقة التي بها بقاء العالم ظاهرا وباطنا جسما وروحا ونفسا فعن هذا السر ينبعث فهذه خمسة أسرار يختص بها هذا الإمام واسمه عبد الرب.

منزل الإمام الروحاني

الذي على يمين القطب اعلموا أن هذا الإمام صاحب حال لا صاحب مقام مشتغل بنفسه من جهة مالكه واسمه عبد الملك وإضافته إلى الخلق إضافة غير محضة متمكن القدم في الروحانية له علم السماء وليس عنده من علم الأرض خبر للملأ الأعلى به تعشق وله نشوف أكثر من الإمام الأول لقوة المناسبة وليس عنده سر إلا منهم ولذلك هو غير مخلص فإنهم ﴿﴾ على ضربين محمول وغير محمول فالأول قائم بنفسه غير محمول وهذا محمول غير قائم واقف خلف حجب السبحات يرى نفسه وربه على حكم ربه لا على حكم نفسه بخلاف من نزل عن مرتبته فإنه يرى ربه على حكم نفسه وأوقاته مشغولة بما هو فيه فهو للقطب مرآة والآخر للقطب محل ومرآة.

وإن كان الأول حظه اللوح والقلم الأعلى فحظ هذا الثاني الإلقاء بما يناسب العلو وله سران سر العبودية وسر السيادة فبسر العبودية وهو يسبح الليل والنهار لا يفتر فالتحق بالعباد المكرمين غير أن المقام فيه أمر سفلي فإن الأعداء نطقوا بأنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا فإضافتهم إلى الرحمن إضافة محضة خالصة ولهذا انسحب عليهم اسم الأنوثية فلو كانوا عبادا لإله لغلبت عليهم الذكورية وعبد الملك من عباد الرحمن ولذلك هو منكحه للروحانيين تلقى إليه وتنزل فيه ولا يلقى إلى أحد ولا ينزل في أحد فالأسرار والمعارف والعالم العلوي ينكحه وهو لا ينكح أحدا.

تم كتاب المنزل القطب ومقاله وحاله

كتاب الكتب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم

كتاب: سلام على الشيخ الولي المبارك اللازم للطاعة القائم بالسنة والجماعة، كرَّمه الله بعبودية الاختصاص، ومنحه مفاتيح الصدق والإخلاص، كتابي للمولى كتاب عبد مفتون بنفسه، محجوب بحسه، مستمرة غفلاته، كثيرة هفواته، مطبقة ركعاته، قلبه شهواته، أنف في السماء، وأسن في الماء، دعواه دعوى العارفين، وأفعاله أفعال الشياطين، عبد ما ارتفع من مهاده، ولا نظر في غير سواده، دلاه الشيطان بغروره، وخدعه بأباطليل زوره، ونصب له حبالة أمانيه، وأعماه برؤية أسافله عن ملاحظة أعاليه، عينٌ جامدةٌ، وأرضٌ هامدة، وقلب قاس وعبد عاص، آه كيف الخلاص، من كدر الانتقاص، إلى صفوة الاجتباء والاختصاص، العبد مبعود بذنبه، مطرود عن باب ربه، أنظر إليه بعين العناية، وأرسمه في ديوان الولاية، وأنشر عليه رداء الهداية، البصر حديد النظر، في غير العبر، واليد باطشة من غير ارتباط، والقدم ساعية في محال الاختلاط، والأذن واعية لسيء الكلام لا حسنه، واللسان ناطق بزور القول وفتنه، والقلب بالوساوس معمور، وبحجاب الدعاوى مستور، قد سدت دونه أبواب التحقيق، وسلك برعيته على غير طريق، فهو تائه في قفر لا أنيس به، ولا يستيقظ لذلك ولا ينتبه، بل يخبط في عشوة ظلماء، حيث لا ظل ولا ماء.

فبينا هو يسحب أذيال عجبه، ويتردد في ظلم حجبه، إذ صرخ به الشيطان، بآية: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فافتتن بهذا الخطاب، وسكر به وطاب، وتخيل أنه على المنظر البهيج، وقد لعبت به رياح الهوج، فكان عند هواه يسير على غير هداه، حتى أشرف على شفا جرف هار، وعاين إقبال الليل وإدبار النهار، نادى بالدليل فرجع ورآه، وقال منه بالبراءة، فتحقق عند ذلك أنه اللعين إبليس، صاحب الخيال والتلبيس، فرجع إلى مولاه بالإقالة، فإذا النبأ الصادق قد قاله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] الآيات وقامت له الشواهد والدلالات، فناداه بلمته الملك، يا من أبق عن سيده وهلك، كم لي أنادي غير سميع، هلا نويت إليه سبحانه الرجوع، قلت: وإياه أريد، قال: خدعك المريد، فقلت: يا أيها الملك الكريم، ورسول العزيز الحكيم، كن إمامي واسعَ بالنور أمامي، وارفعْ لي منار الهدى، وجنبني سبيل الرّدا، أكنفني من طائشات سهام العدا، وجُد بي السير، واسترني عن الغير، حتى يتصل حبلي بحبل الرحمن، وينتظم الشمل بالأمان، وطهرني من أوضار المآثم، ونزهني من ارتكاب الجرائم، وحلني بالصفات الكرام، واهدني طريق التفويض والاستسلام، فإني أستحيي من محمد عليه السلام، حيث لم أنهج مناهجه، ولا عرجت معارجه، وعصيت أمره، ونبذت زجره، وخالفت من والاه، وحالفت من عاداه، فسلك غير بعيد، باسمه المجيد، وقال ألقِ السمع وأنت شهيد، فسمعت ترجيع الألحان، بتلاوة القرآن، فقلت: من هؤلاء الكرام، قال: أهل قيامَ الليل والناس نيام، يا نائم هكذا فليكن الاحترام.

ثم استنشقت رائحة الطِّيْب، فقال: هذا خلوف أفواه الصائمين لمناجاة الحبيب، بإبطال هكذا فليكن الاحتشام والاهتمام، و لم يزل يسيرني على مقامات المعاملات، ويخترق بي سموات المناجاة، حتى

أوقفني بحضرة الأنوار، وقال هذا محل المستغفرين بالأسحار، فتذكرت حال مولانا الزكي في ذلك المقام الكريم، في دعائه لكل ولي وحميم، فخاطبني له الملك بمن تعلق الخاطر، أيها الغادر، فقلت: بحالة من سمتني همته، وعظمت لدي قيمته، فهمت لها غراما، وذبت وجدا وسقاما، فهذا المقام هجيرها وأنيسها وسميرها، فقال لي: اقرع الباب، وانظر هل رسم في أم الكتاب، فقرعت باب الاستغفار، فتجلى من وراء الأستار، فصافحني مصافحة حبيب، وقال لي: يا أيها الغريب العذيب، لقد أطلت مغيبك، حتى شوقت إلى حميمك وقريبك، ذاتي بذاتك منوطة، وهمتي بنجاتك مربوطة، ادخل في حزب الرحمن، دخول متيم هيمان، فرأيته ضجيعا لهمة ما رضيت بالدون، وما برحت عن التعلق بنجاة المغبون، وقد اتخذت الشريعة جلباباً، والخلق الإلهية أسباباً، ودارت أكؤس راح الاشتياق، لا الأشواق.

كتاب آخر: سلام على الصالح الحبيب النازح القريب، أما بعد، فإني سافرت لكي أصح وأغنم، وأتعلم ما لم أكن أعلم، فهجرت الأهل والوطن، ورحلت من ساعتي عن أرض البدن، ورقيت في صعود، وانتقل بدر حقيقتي من سعد الذابح إلى سعد السعود، وامتطيت الجواب قاصداً حضرة الملك، وفنيت بالمنة عن العادة مخافة الهلاك، وقطعت اليباب الشاسع، حتى بلغت المقام التاسع، فسرت في المحاق ثلاث، لا فوز عند الرجوع بثلاث، وخلعت النعلين، عندما جزت موضع القدمين، وخرقت الحجاب، وفتحت الأبواب، فأشرقت على جبل الطور، وبدا لي فيه الكتاب المسطور، فرأيته جبروتيا، فنزهت نفسي عنه فتلونه ملكوتيا، فعندما تلوته ووقفت على سره فهمت، رأيت الواحد بالواحد، والتقى الغائب بالشاهد، فسر برجوعي إليه منه، فكلمني به عنه، فقال ليس وراء الله منتهى، وإن في ذلك لذكرى لأولي الألباب والنهى، ثم قال لي: متى أحطت بالسّتة، قلت: عندما طلقتها البتة، فقال: متى وقفت على مركز الدائرة، قلت: بعدما رجمت العاهرة، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد يا أخي، فإن الحق تعالى لما أظهر الدنيا بأكوانها، وأوجد الأشياء في أعيانها، كلمك بوساطة الشرع، وقال لك ألق السمع، فخاطبك من هذه الوجهة: أن ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فمن وقف مع الكون، حرم مشاهدة العين، ومن وقف مع الهِبات، حرم لذة السمات، ومن وقف مع المعرفة، حرم وجود الموصوف في الصفة، وأكثر الناس في الحجاب، ومن قرب مقارع باب، فمن فتح له وصل أمله، ومن سد دونه اتهم ظنونه، فاسعَ يا أخي في تحصيل ما لا يحصل، وتفصيل ما لا يفصل، والسلام.

كتاب آخر: لما رأيت أكرمكم الله أن البسيط يحد والوسيط يمد، والتخطيط يحل ويعد، والعرض يتميز، ومحله يتحيز، وأن حقيقة الإنسان أشرف، ونفسه أرق وألطف، وباطنه حق، وظاهره خلق، والمجد المتظاهر حيث لا باطن ولا ظاهر، أردت أن أثبت في ذلك ليبقى إذا فني الهالك، فلولا ربط الحق بالحقيقة، ما صح وجود الخليقة، فتأمل ما يصل إليك، وتجاوز عنها فإنها بعض ما لديك، والسلام.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تيمّناً وتبركاً باسمه العزيز الكريم ثم اتبعتم رضي الله عنكم ذلكم بالصلاة على الموروثة أسراره تيمنا لمقام النعمة التي ظهرت منه آثاره ثم قلتم رضي الله عنكم وسلام على المرسلين إشارة بحصر المقامات أجمعين ثم قلتم والحمد لله رب العالمين شكرا لهذه النعمة التي حاباكم بها في محل كشف المقربين ثم خاطبكم رضي الله عنكم رهين ودكم عقيب شكركم وحمدكم فقلتم أقبل ولا تخف إنك من الآمنين فكانت له البشرى هنا ويوم الدين وكنت أترقبها من كتاب الله في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي

﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾[يونس: ٦٤]، ثم قلتم لا تخف إنك أنت الأعلى وكيف يخاف عبد بهمتكم علا ثم قلتم إنني معكما أسمع وأرى فقطعت أني قد تخلقت بصفتي موسى وهارون لا على السواء ثم قلتم وليكم فلحظت من هذه الكلمة ما لحظت الصحابة من قول النبي عليه السلام: "أنا نبيكم"، ثم قلتم سلام عليكم ومن كان سلامك عليه لا يرده الحق بعد فنائه إليه.

ثم قلتم مسرور بكم وأنى للخديم أن يسر به مخدومه وللمقام به أن يلهج به قيومه ثم قلتم فأرح بما فتح الله عليكم فعلمت أن همتكم كانت بي متعلقة ولذلك لم تكن الأبواب دون وجهي مغلقة ثم قلتم ومعلم لكم بوصول المكتوب تنبيها أنه أتى على وفق المطلوب ثم قلتم الذي أرسلتم مع محمد نبهتم على استصحاب المقام اليثربي الأوحد ثم قلتم رضي الله عنكم وبموت ابن عمكم حالة جيدة وكيف لا يكون ذلك وكانت أنفاسه بهمتكم عن ملاحظة الأغيار مقيدة ثم قلتم ونسأل الله أن يثبتكم بالقول الثابت موافقة لدعاء عيسى عليه السلام لي وأنا مائت ثم قلتم وإن يشيد مشاهدكم وكيف لا تقوى وفطركم منها تشيدت.

ثم قلتم وإشراق مطالعكم وكيف لا تشرق وبكم تأيدت ثم قلتم وأن ينور بنور الحقيقة مشارقكم ومغاربكم أجيبت الدعوة بكشفكم ثم قلتم وأن يقطع قواطعكم وسوابقكم ولواحقكم إذا أعانني الله عليها نضربها بقائم سيفكم ثم قلتم وأن يوصل أنواركم وليكم بنهاركم وصلت إن شاء الله بسلوكي حميد آثاركم واهتدائي برفيع مناركم ثم قلتم ما زاغ البصر وما طغى فكيف يزيغ لعدم لا يرى ثم قلتم كتابا ورد الوصل يشملنا تفضلا منكم وتأنيسا وإلا فأي رداء يلحقنا وأنتم بالمقام الأسنى وخديمكم بالجانب الأدنى.

ثم قلتم والسلام معاد عليكم ختمتم اختصاصا بما به بدأتم وإن كنتم قد أخفيتم اسمي في [سلام على المرسلين]، فالحمد لله على ذلك رب العالمين ثم قلتم ورحمة الله وبركاته باسم الله إذ باقي أسمائه بحولها صفاته ثم قلتم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إشارة إلى فناء المحدث بظهور القديم.

ثم قلتم وكتبت يوم الأحد نبهت بذلك أن سركم في ذلك في قوة التوحيد وعين بصيرتكم لإدراك الواردات حديد ثم قلتم في العشر الأول بما كتبتموه في العشر الأول ثم قلتم في ربيع نبهتم على ابتدائيات الغيوب إما في أرض الجسوم وإما في أرض القلوب فلما قلتم ربيع الثاني علمنا أنه من مقامات الملاحظات إذ الشهور كما في كريم علمكم تجري على بدايات الطريق وغاياته ومقدماته ونهاياته وذلك أن في المحرم وهو أول السنة مقام الابتداء فيه يحرم على المريد ما كان فيه من الاعتداء.

ثم في صفر تخلى أرضه من نبات السيئات لتزول لنزول الأنواء ثم في ربيع الأول ينبت فيه ربيع المعاملات وفي الثاني ربيع الملاحظات وفي جمادى الأولى جمود الأحوال وفي الثاني جمود الأسرار عند الإقبال وفي رجب ترحيب الواردات وفي شعبان تشعيبها في البرزخيات وفي رمضان خرق العادات لثبوت الآيات وفي شوال إشالة الحجب للواصل لأهل العادات ثم في ذي القعدة قعوده لأهل البدايات ثم في ذي الحجة حجة بهم في الصفات إلى الذات وهنالك تبلغ الغايات وتتحد الشاهدات والغائبات وتجتمع الهمم والإرادات ومن هنالك ابتداء نشأة أخرى في الحضرات الإلهيات والحمد لله رب العالمين.

كتاب آخر: خاطبنا درة الكيان وزهرة العيان بحمده وقد رجع إلينا الملك من عنده وأخبر أن سر كبد النون مَحبوٌّ تحت لفظة نون فعلمنا أن السمسمة هناك وأن دونها الأملاك:

سمسمة ربة أمثالها   خلت فما تدركها سمسمه

لمـــــا رأت ســــــرك يســـــــري لنـــــا
قالــــت لـــــه يــــا ســـــيدي سِـــمْ ســــمه
فحـــــــــادت العـــــــين إلـــــــــى درة
لقــــول عجبــــا لســـــنى الشـــــمس مــــه

فأخذنا في اختراق الحجب باحتراق الذنب وما زلنا على ذلك حتى لعميق والركن الوثيق فأنخنا الركائب وقمنا على ديار الحبائب نندب آثارها الطامسة وأطلالها الدارسة وهي ملعب للرئال ومهب للصبا والشمال ديار درستها الجنائب وبكتها السحائب فراجعنا الصدا ونادى سرنا بمثل ما به لدا فانتهضنا عن الملكوتيات مرتحلين وكنا نخاطب الحقيقة مرتجلين:

أنــــا الــــذي أنــــت فمـــن ذا الــــذي
قــــال أنـــا وأنــــت أينيتـــــي
قـــال أنـــا قلـــت أنـــا قـــال قـــل
قلــــت أنــــا قــــال بــــأنيتي
أنــــت أنـــا لا أنــــت غيـــــري وقـــــد
كنــــت أنـــا وأنـــــت عينيتـــــي
قلــــت أنـــا لا بــــل أنـــا حاضــــر
وغائــــب عنـــــي وعــــن حضــــرتي
فــــالنون مثــــل الكــــاف مهمــــا مشـــت
خــــواطر التحقيـــــق فــــي نشــــأتي
أنظــــر إلـــى الحــــرف الـــذي قــد بـــدا
مـــا بــين كــاف النـــون مـــن حكمتـــي
فمـــن يكــــن غيــــري أكنــــه أنـــــا
ومـــن يكـــن ذاتـــي فيـــا وحــــدتي
أعـــــد فـــــي الخلـــــق عبيـــدا لـــــه
وإنــــــه فـــــــي بـــــــوتريتي
أعـــــد فـــي النـــاس حبيبـــا لهـــم
وإننــــي فـــــيهم بشــــــفعيتي
قــــد كشــــف الســـــر بــــدار الفنـــا
أيـــن أنــــا منـــي ومـــن حيرتـــــي
أنــــا أنـــا لســـت أنـــا قـــــائلا
عبـــــــد أنــــــا إلا بـــــــأيتي
الله رب وأنــــــــــــا عبــــــــــــده
والكـــل فـــي قهـــري وفـــي قبضـــتي

فلما امتزجت الحقائق واتحد المعشوق والعاشق برزت الألوهية في سلطانها وتبرزت العبودية في غيطانها فصار العين لديها أثرا والمشاهدة خبرا وظهر الفصل للمحسوسات مع كونها مرؤوسات فهذا هو سر الأعيان المعبر عنه بالإنسان صرح به الواحد الحي في ليس كمثله شيء وضرب الحجب دون الملك واستوى على عرشه الملك عرشه حقيقته واستواؤه مثليته لؤلؤة القدم جرت على اللسان فرقمها في لوح زمردة العيان وعبر عنها في صريف القلم الرحمن فقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، للنشأة النقية سر لو بدا ما ضل أحد ولا اهتدى هو الممد للعالم الأعلى وصاحبه الطريقة المثلى لما حملت على كل شيء ثقلت فرجحت، وسلبت الكونيات كل شيء فخفت فانحجبت فسخرت الملكوت للنقلية فحركها بالرقيقة المثالية فعنت وجوهها لقيومية النقل وزل لعز الحس سلطان العقل وأنتم أيها الحزب المفلح والفرع الكريم المنجح اعرفوا قدر من استنزل روحانية الروح الأمين بربوة ذات قرار ومعين هو الكاتب في ألواحكم والمسوي لأشباحكم وصاحب النفخ في صوركم من أرواحكم فاعلموا قدر ما نظر به منكم وما يوجد بسببه عنكم فلقد أوجده الحق درة صدفتها الغيرة ومقلة حدقتها الحيرة.

كتاب آخر:

ألا حــــــــي القبــــــــور وســــــــاكنيها
وحـــــــــي شمســــــــــها أم العـــــــــلاء
بكيـــــت وكيــــــف لا أبكــــي عليهــــا
ســــــمية بنــــــت خيــــــر الأنبيـــــاء
بكيـــــت وحـــــق لـــــي أبكـــي عليهــــا
إلــــــى يــــــوم القيامـــــة واللقــــــاء
نعيـــــت بعبــــرة المشـــــتاق حزنــــا
لعبرتهــــــا وفــــــارقني عزائــــــي
ومـــــا لـــــي لا أنــــوح أســـى وأبكــــي
وأي بـــــلاء أعظـــــم مـــــن بلائـــــي
وســــاعدت الـــــدموع فلـــــم أنـــــادي
ألا يـــــا عـــــين جـــــودي بالبكــــاء
أســـــيدة البنــــات ومــــن تخلــــت
عـــن الأشـــــياء فــــي طــــرق الحيــــاء

سقى جدثا حللت به حبيبا ... إلي مكرما صوب السماء
أجيبي واسمعي الشكوى وردي ... جواب أخ قريب منك نائي
أجيبي ما لقيت فخبريني ... من الأسرار في كشف الغطاء
أنعمى كان عند الكشف حتى ... يكون لنا النعيم على السواء
وظني بالإله لها جميل ... فحقق ظن عبدك يا رجائي
دعوتك في فطيمة مستجيرا ... بفاطمة تقبل لي دعائي
وتحشرها وإياها جميعا ... مع المختار في ظل اللواء
وتجمع شملنا ولنا سرور ... لنا دار الإقامة والتواء

إلى محل الوالدة الأخت المكرمة أم السعد بلغ الله بها حيث اسمها وقوى صبرها وربط على قلبها وأعظم أجرها ويدعو لها وقد اتصل به الأمر الذي لا بد منه ولا محيص لمخلوق عنه وفاة البنت الشهيدة الأخت الطيبة السعيدة الدرة البيضاء سمية فاطمة الزهراء المرجو لها الغفران والروح والريحان في دار الكرامة والرضوان ولعله نعيم استعجلها وأهلت له كما أهل لها حقق الله تعالى في ذلك حسن الظن والرجاء وأجاب فيها خالص النداء إنه سميع الدعاء فخاطبها ابنها معزيا ومصبرا منبها ومذكرا فأول ما استفتح به الخطاب وقدمه في صدر الكتاب وفتح به باب العز أحمد من له العزة والبقاء وثنى بالصلاة على خير الأنبياء ثم أخذ في الموعظة الحسنة على منهاج الاقتداء.

فقال أحمد الله أقدم وبه أختم وأتمم الذي جعل الموت غاية كل حي والفناء منتهى كل شيء إلا ما استثناه في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾[الزمر: ٦٨]، قهر به سطوة كل جبار عنيد وأهلك به سلطان كل شيطان مريد عم بلاؤه الصالح والطالح والمفلح والكالح مصيبة لا تنقضي أوطارها ولا يساغ صابها والصلاة على محمد صاحب المعراج والمقامات والمعجزات والكرامات وبعد الارتقاء لذلك المقام الأرفع المشهود وشهد له بالاستواء على المقام المحمود صار ضجيع اللحود تحت الجنادل والصعيد فما لنا لا نفكر وماذا نرجو وننتظر فبدار بدار الخروج من هذه الدار لما لا بد منه ودراك دراك بالأسباب المفيدة من الهلاك ما لا محيص عنه.

أما بعد: ألهم الله الأخت الحبيبة الوحيدة الغريبة إصلاح شأنها قبل حلول أوانها واقتران انقضاء زمانها وجعلها ممن نظر بالأصلح لنفسه فمهد لرمسه واستدرك في يومه ما فاته في أمسه قبل خسوف بدره وكسوف شمسه فإن الموت قاطع الآمال والأعمال ومشتت الأهل والمال ومخرب الديار السامية ومهلك الجبابرة بالطاغية لم يدع صاحب تاج وإكليل إلا أودعه بطن دارس محيل أين بنو الأصفر وخاقان وفارس قحطان وقيصر وآل ساسان ونبيط أخت كلدان أصحاب الأطواق والتيجان أبادهم ريب الزمان وأخنى عليهم الجديدان هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا إنه لو لم يكن في الموت ألا تجزع الآلام وانحلال هذه الأجرام ومفارقة الليل والنهار وإن طال الإعمار إلى محل يندرس فيه الأخبار والآثار لأطلنا التفكر والاعتبار فكيف ومن ورائه مساءلة وحساب ومناقشة وعتاب فإما إلى نعيم وإما إلى عذاب في يوم يشيب فيه الوليد ويخضع فيه كل جبار عنيد ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[الحج: ٢]، فهل من مساعد على النوح والبكاء على أن أفوز مع السعداء هيهات هيهات اشتغلنا بالترهات عما حل بالأموات اعتكفنا على أصنام لذاتنا وأرسلنا عنان شهواتنا وفرطنا في جنب الله كأننا في أمن مما توعدنا به الله فكأنا والله قد اختلسنا

بسطوته وأزعجنا إلى دار غربته وفارقنا الأحباب فاستقبلنا يوم الحساب وانتقلنا من العمران إلى الخراب وصرمت حبالنا وتقطعت بنا أسبابنا وتشتت بعد الجمع عيالنا وتقسمت بالميراث أموالنا.

أمَا حان لنا أن ننظر إلى سهام المنية، كيف أصابت قراطيس البرية، ولا بد لقرطاسنا من سهمها، ولا بد لأنفسنا من يومها، لقد رأيناها قد نصبت حبالتها، وأدارت علينا أهالتها، وعركتنا بثفالها، ورمتنا بنبالها، وأين الفرار، وكيف القرار، حجبتنا الدنيا بحسن الحال، عن تذكر الترحال، إلى دار العاقبة والمآل، مع علمنا أنها في اضمحلال، وأن نعيمها إلى زوال، أما آن لنا أن نرجع ونسمع ونقلع، لقد تيقّنا القدوم، على الحي القيوم، قلّ الحياء، وعَظُمَ الاعتداء جعلنا في آذاننا عن سماع وَقراً، فحملنا على ظهورنا من الأوزار وُقراً، تالله لقد ظهرت للعيون، ما يعبأ العلى بالدون، غرسنا الأماني بدار الغرور، وزرعنا البذور في غير معمور، وكأن بنا نجني ما غرسنا، ونحصد ما زرعنا.

سيحصد عبد الله ما كان حارثا ... فطوبى لعبد كان لله يحرث

كفى بأنفسنا اليوم حسيباً، وبربنا علينا رقيباً، والله ما خلقنا عبثاً، ولا نترك سُدى بل هو يوم مشهود، يتميز فيه الشقي من السعيد، فانظري وفّقك الله إلى ما أنت عليه صائرة، وليشغلك ذلك عما أصابك، من الحادث الذي نابك، وهل هو إلا أمر يعم الفقير، ولا بد لنا من ورود ذلك المورد العسير، وقد مات رسول الله ﷺ وهو خير البشر ومات نساؤه وصحابته ووزراؤه حتى ما بقي في الدار من أحد.

أخنى عليها الذي أخنى على لُبد

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ [الرحمن: ٢٧] فسلمي الأمر للقضاء، وقولي ما قال سيد الأنبياء، وقد دمعت عينه ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يكيد بنفسه بين يديه ﷺ، فقال: "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون"، فلا حرج عليك في إرسال الدموع، وتفجع القلب المصدوع، فإن النبي ﷺ وقد رفع له صبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة ففاضت عيناه فقال له سعد، ما هذا يا رسول الله، قال "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"، فالبكاء مباح، من غير نياحة ولا صياح.

كتاب آخر: مفاتيح الأمور بيد الله الكريم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وهو القائل سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، فطهروا قلوبكم من دنس الإعراض، وقيّدوا جوارحكم عن ارتكاب الجرائم والآثام، وجُودوا مما رزقكم الله على فقرائكم، وكونوا عباد الله إخواناً، واعتصموا بحبل الله جميعاً، واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون فإذا أحكمتم هذه الأمور وصحت العزمات في التوجه إلى من إليه المصير فأطلقوا ألسنتكم بالدعاء، واجتهدوا في إخلاص النداء، فإنه القريب المجيب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] فقرن إجابته لكم بإجابتكم له، وقد تقدم دعاؤه لكم في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] فإن استجبتم استجاب لكم وإن تصاممتم ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ۖ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]. وإنما هي أعمالكم ترد عليكم، ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الأرض، وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين، فقد غفر لكم وأجابكم إن أنتم أجبتم داعيه وكلامه حق، ووعده صدق، وإن كان ما حل بكم

عن ذنوب تقدمت، وجرائم سلفت وفرطت، ثم أقلعتم عنها وتبتم إلى الله منها، ولم تصروا على ما فعلتم وندمتم على قبيح ما صنعتم، فإن الرجاء وحسن الظن بالله تعالى يقطع إن شاء الله عز وجل على الله وكرمه بكشف ما نالكم من السوء، ودفع ما دهاكم، وإن أمراً من الله تعالى عن غير عقوبة إلا جزيل مثوبة، فالقُوا ذلكم بالتسليم والتفويض فلا رادَّ لأمره، ولا مُعقّب لحكمه، وتعلمون عند ذلكم أنكم ممن اعتنى به الله وابتلاه، فالبلاء في الدنيا نعمة معجلة من الله تعالى على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] فالبلاء على قدر المراتب عند الله تعالى، وجاء في الأثر أن النبي ﷺ قال: "ما ابتلى الله أحداً من الأنبياء بمثل ما ابتُليت به".

فسئل عن هذا بعض العلماء فقيل له إن أيوب وزكريا وما أشبههما من الأنبياء عليهم السلام قد ابتلوا بأعظم البلاء ورسول الله ﷺ ما ابتُلي بشيء من ذلك، فما هذا البلاء الذي ذكر رسول الله ﷺ أنه ناله؟ فأجاب عن ذلك المسؤول بأن قال: (وأي بلاء أعظم من بلاء رسول الله ﷺ وقد أنزله الله لمخاطبة هذا العالم الأدنى بعد مشافهة الوحي من غير واسطة في قاب قوسين أو أدنى، فأي بلاء أعظم من فراق الحبيب، فما ابتلي أحد بمثل ما ابتلي به ﷺ، وأنتم فرَّج الله عنكم ودرأ عنكم الأسواء ووقاكم ما تجدونه وجعل ما حل بكم غفراً لذنوبكم ولكم في هذا الانحصار الذي عمَّكم، والداهية الدهياء التي وطئت أرضكم، صدم الله بقوته سلطانها، ورمى برجوم الإحراق شيطانها، فلكم فيه أعظم معتبر، فانظروه بعين البصيرة لا بعين البصر.

واعلموا رحمكم الله أنه لا منجا من القدر إلا القدر، ولا يغني الاستعداد والحذر، هل هو إلا تأنيس النفوس، وحصن لاستدامة بقاء البناء المحسوس، فاتخذوا حصركم هذا واعظاً زاجرا، ومعرفاً ذاكراً، بأن العبد محصور في قبضة الاقتدار، مملوك في يد من بيده ملكوت كل شيء وهو الواحد القهار، يتصرف بالحقيقة، تحت قيد الشريعة.

فلما كان الأمر معنويا، والسر ملكوتياً مع عمى البصيرة، عن النظر في إصلاح السريرة، وارتكبت المحرمات، وتورط الجاهلون في الشبهات، فسحبوا أذيال المجون واللهو، ونفخ الشيطان في أنوفهم وسمت بالكبرياء، والزهو، وغفلوا عن انحصار معناهم، تحت قهر مولاهم، أراد سبحانه أن ينبههم بما دهاهم في معقلهم ومعناهم، تأديبا وتهذيبا، وتخليصاً لنفوسهم إن شاء الله وتقريباً، فحصرهم من قال فيهم أشد كفرا ونفاقاً، وأقلهم رحمة وإشفاقا، حتى نغّصوا عيشهم، وعطلوا عليهم فرشهم، وظل الإنسان لا يعرف قبيلاً من دبير وكأنه دهاه يوم النشور فالجأوا رحمكم الله إليه افتقاراً واضطراراً، وادعوه سراراً وجهاراً، عساه يجعل لكم فرجاً ومخرجاً، واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله وقولوا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦] يقول لكم نعم كما قال لمن سلف، فهو أرحم بعباده وأرأف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتاب آخر:

تحية مثل عرف الروض في السحر	**على الإمام الأجل السيد الخضر**
معلم العلم من جاء الكلام له	**من الإله بلا غبر ولا غير**

عالم العلماء، ورافع لواء الصفات والأسماء، علم الحقيقة، ورئيس بدلاء الخليقة، الذي وصلت حياته الفانية بباقيته، وجمع له بين سره وعلانيته، جعل الحوت عليه دليلا، فاتخذ في البحر سبيلا، فلما

اتخذ سرباً، شكا الكليم نصبا، فقال لفتاه آتنا غداءنا، فقال اتخذ في البحر سربا وراءنا، فارتد على آثارهما قصصاً، فلما أبصرا مقام ارتفاع الوسائط شخصا، فاتبعه الكليم، على الرشد والتعليم، فخرقت سفينة تابوت يمه، وقتل غلام قبطي همه، وأقام جدار حتى صدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، وقنع بالظل وإني لما أنزلت إلي من خير فقير، ثم أعطيت ما أردت وأردنا وأراد ربك ما احتوى عليه من الأدب الإلهي قلبك سر فعال في الوجود، وهمة تعالت عن السجود، وقالت أيها العابد والمعبود، إذ كانت متكلمة بغيرها، وفانية على صفتي نفعها وضرها، فتنازعنا الحديث مع الملك لياليا، وامتطينا للسباق فيما أذكره سواريا، وأظهرت بين الصديقية والنبوة مقاما لا تبلغه أكثر الأفهام.

وقد علمت ما قال أرباب المحققين من أنه لا يتخطى رقاب الصديقين، حذراً من الوقوع في المقام الذي لا ينال، ولا تبلغه سهام النضال، وأنا أتخطاه وأعلو مطاه وهيهات لما ذكروه، ويا عجبا للعارفين كيف ستروه، بل لو علموه رمَّزوه وأبدوه مكتما وألغزوه، ألست قد بينت بحقيقتك واعظا ما شاهد طريقتك حضرة بين العالمين، ورتبة بين المقامين، مع كونكم عندنا دون المقام المحتوم، بل في اتباع أسرار الرسوم، فرغبنا في جوابكم عن هذا المقام، وهل وقف عليه غيرنا من السادات الأعلام، فإنَّ أبا حامد قد صرح بحجابه في غير ما موضع من كتابه، وغيره من الأئمة على سنته وطريقته محجوب بحقه عن حقيقته، والله يؤيدني بجوابك، ويشرفني بكتابك.

بيني وبينك سر ليس يعلمه	**إلا الذي قال كن للشيء عني فكان**
إذ كنت بالسفل عني معرض وأنا	**بالعلو إذ قلت صدق ما يقول فلان**
هذا سميكم الدقاق يخبرنا	**بصورة الحال إخباراً بغير لسان**
هو الرسول إليكم من خديمكم	**على تناءٍ وإن أمسى لقاؤك دان**

كتاب آخر: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾ [المائدة: ٩٩] ما يضرنا جهل الجاهل لنا إذا كان الله يعرفنا، لله خصائص صفاهم فشرعوا شرائع دانوا الله بها فيما بينهم وبينه، فهم على بينة من ربهم ويتلوهم شاهد منهم، عاينوا الحقائق فتحكموا في الخلائق، استتروا عن الكونين، وخبأهم الحق تحت حجاب الغيرة والصون، لهم بين الخلق بعوائدهم، وهم مع الحق على صلاتهم دائمون يناجونه بعبارات روحانية، ولطائف سماوية، استقرت أقدامها في ملكوته، وسرحت أفكارها في جبروته، فلهم التعريف والتصريف، ولهم التصويب والتحريف، تجري أمورهم على قياس، وما هم في شك مما يوردونه ولا التباس، بأيديهم أزمّة الحلال والحرام، ومن عندهم تخرج مقادير الأحكام، فيأخذون من الكون ما يريدون لا ما يشتهون، فهم فيما نصب لهم الحق من التمتع فاكهون، فمن أراد أن يغترف من بحرهم وينخرط في سلكهم، فليسلم لهم أحوالهم، ولا يزنها بميزان اللسان الظاهر، فإن في خفايا الغيب في الحاضر، ما يقضي على الغابر، رسل تترى مع الأنفاس، وأنواع تنفصل من أجناس، فقد سعد من كان له محلا، وصير ذاته له حراما وحلّاً، فصير قلبه مسجدا، وذاته معبدا، يقيم العبادات فيه الروحانيات العلى، بالمنظر الأجلى، وقد أوضحنا للولد ما يقتضيه حاله، وما يبقى عنه به إن كان موفقا محاله، ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]، ونحن على ما قال الله من الشاهدين، وبرسله عامة وبمحمد خاصة مصدقين. وقد أمرنا بأمر الله ونهينا، وغير ذلك ما يجب علينا: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] سلم تسلم، والزم الصدق تغنم، وقد نصحتك، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد. فإن التجليات ضروب شتى يجمعها الفناء والبقاء، فمن طلب تجلي الفناء لم يدر ما طلب لأن الحق يعطي التجلي ويُعطى فيه، فإذا أفناه التجلي لم يدرِ ما يُعطى فيه- يا أخي.

انظر فيما حصل لك عند الانصراف من التجلي فذلك حظك وبه نعيمك، وعليه اعتمادك، تسابق العارفون إلى الله على نجب الهمم وتسابق العلماء على أفراسها، وتسابق إليه الأنبياء على بُراقاتها وتسابق إليه المحمديون على رفارفها، وغاية كل سابق بحسب مركوبه، فالرفرف تحمله الرياح، والبراق يحمله الجناح، والنجيب يحمله السوط، والفرس يحمله المهماز، فعليك بالاستعدادات فهي الوسائل، يا أخي عجب ممن يطلب التجلي ممن لا حجاب عليه، عجبت لمن غمض عينيه، وقال أريد أراه، عجبت ولمن أعطاه ظهره وقال إياك أقصد، عجبت لمن مدّ يده لغيره وقال: إياك أسأل على علالات ليس لها طائل، والسلام عليك ورحمة الله.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته – أما بعد فاعلم أن السبحات أنوار الوجه، وهي التي تدرك لا الوجه، فإنها حجاب عنه، لكن ما بين هلاك مدركها وبينها إلا وجود إدراكها، فلهذا لا تدرك لأن المراد من المشاهدة إنما هو بقاء العين لتحصيل الشاهد يا أخي. واعلم أن الأنوار أنوار بها يتراءون العوالم. لا تقل – يا أخي – كيف أراه وهو نور له ضياء وله ظلمة وظل فيوقفك في الظل ويسبح ببصرك في الضياء فتراه، ونعلم أنه ما أوجد الكون كله إلا من النور وكان ظلمة دونه، فهو النور وأنت الظلمة، واعلم أن الظلمة في النار والنور في الجنة، والرؤية إنما تكون في الكثيب لوجود الضياء والظل، والجنة حجاب لأنها نور، والنار حجاب لأنها ظلمة فافهم، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته – أما بعد. فاعلم أنه قابل الجمع بالجمع، إلا أنه جمعه بين الهوية والإنية، والعوائد ارتباط الإنية بالإنية والهوية بالهوية، فاعلم يا أخي، أنه إنما جمع لك ليعلمك أنه لم يفردك لمقام فتقف عنده، فإنه لا يحب من عبده المحمدي أن يقف في مقام فيضيق الواسع فيكون جاهلا، وهو يعظك أن تكون من الجاهلين يا أخي، غاية التقريب من الشيء أن يكون من الشيء تحت العرض بحيث جوهره وإن كانا ذاتين ودونه في القرب أن يحوي عليك وقد تحوي عليه، فالأول الرحمن على العرش استوى، والثاني ووسعني قلب عبدي، فاختر من هذه الثلاثة ما تريد يا أخي، العبدية أرفع من المعية والمعية طريق وغايتها العبدية – يا أخي (لي و بي) مقامان رفيعان وفي أرفع منها وعزته وجلاله لقد أنكحني الحروف والكواكب بالمغرب فما رأيت ألذ من نكاح (في) فاعتمد يا أخي على (عند) إذ خرجت إلى عالمك، واعتمد على (في) إذا دخلت إليه، واجعل بينهما (لي و بي) سلمة فاجعل (لي) يخدم (في) (وبي) (يخدم) (عند) وقد نصحتك، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته – أما بعد – فإن ثم عباد حجبهم عن الحق فلا يظهرون إلا بظهوره في الدار الآخرة، وثم عباد لا يظهرون لا في الدنيا ولا في الآخرة، وله عباد عرفهم أسرار الخلائق فهم يعرفون ولا يُعرفون وله عباد عرفهم به ولا يعرفون غيره مختصون، فمن عرض نفسه عنده لأي مقام شاء، باستعداده أوصله الله إليه ومنحه إياه يا أخي، لا تغتر بولاية الدنيا فإنه يولّيها من يرتضيه ومن لا يرتضيه بخلاف الآخرة، فإنه ما ولّاها إلا من يرتضيه يا ولي، اسمع من ناصح مشفق كرامات أولياء الله وخرق عوائدهم في بواطنهم لا في ظواهرهم، فإن الكرامات

الظاهرة تمحيص وبلاء، فمن وقف معها كان لها ومن هرب عنها فتح له في قلبه عينا به ينظر إليه، فينعم نعيم الأبد، ويعطيه لساناً في باطنه يكلمه به فذلك وليه الذي آثره وإليه ينظر وإياه يطلب، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته – أما بعد، فاعلم يا أخي، أن المسلم يخاطب ويناجى والمؤمن يعلم، والمحسن يؤدب، فالمسلم ينقاد، والمؤمن يصدق بما لا يعلم، والمحسن يشهد الحق فيه إذا رأوا ذكر الله، ثم لتعلم يا أخي، أنه إذا تنزلت الأرواح على الهياكل فإنها لا تنزل في هياكل أنوارها، وإنما تندرج في هيكل ممتزج ممثل من البرزخ لترتفع الأفكار وتقع المؤانسة بالجنس، فمن قعد منكم بين يدي صاحبه فليتابعه، فقد نبهتك يا أخي أجب سائلك على كل حال، وإن علمت أنه يعلم ما سأل عنه فكن أديبا نحريراً جهبذاً، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد. فإنه تناظر موسوي مع محمدي فقال الحجاب لطف الحجاب أشرف من قوة الهمة، لطف الحجاب يعطي القرب لا الضعف، فإن القوة والضعف ليس بحقيقة للعبد، إذ لا أثر لقدرته، فحاج المحمدي الموسوي، اسمع يا أخي مسبب المناظرة ما هي، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فكان كالجبل لموسى، والجبل أكثف والمقام المحمدي أشرف، فحجابه ألطف، أين لطف الغمام من لطف الجبل، هبت رياح همم العارفين، عندما تنفسوا شوقاً إليه فمزقت الغمام فظهر فخروا سجداً همة موسى دكة الجبل، فكان أقوى، فإن الغمام ألطف من الجبل فهل الشرف في قوة الهمة أم في لطف الحجاب، كما يؤذن بالقرب يؤذن بالضعف كثافة الحجاب كما يؤذن بالبعد يؤذن بالقوة، فهذا كان سبب المناظرة والمحاضرة، فاشتغل يا أخي بتلاوة كتابك تنزل السكينة غمامة عليك يستمعون الذكر فتكون جليساً للملأ الأعلى، هو أحسن من البطالة، أو كن أستاذاً يتلو عليك كتابه فيكون منزلاً من ربك بالحق غضاً جديداً لا تقليد فيه، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان، سلام عليك. أما بعد يا أخي فإني أوصيك فاعلم أن الحق إذا أوقفك في المقدار وخاطبك من خلف الأستار بينك وبينه حجابان المقدار والخطاب، أما حجاب الخطاب فإن الرؤية والكلام لا يجتمعان لأنه إذا خاطبك أفهمك وإذا أشهدك أفناك عندك فلم تعقل أنت أنت. وأما حجاب المقدار فإنه يعطي المحاذاة وهي لا تصح هناك، فأنت في البساط قاب قوسين لا في العين، أقرب قاب قوسين قطري الكرة، ومن حيث هو مقدار تساوي فيه البعيد والقريب ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وكان قاب قوسين أو أدنى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾[ق: ١٦]، مقام عام ومقام خاص يؤذن بالقرب والبعد، فهو الموجود في النور والظلم، فليس شيء أقرب إليه من شيء، فأين التفضيل، نعم الفضل عندك على قدر علمك بك، ما كل أحد يعرف نفسه دليل ما أقول من نفسه، فلماذا يجهلها عند البسط، من قال لا أعرفها فلماذا يعرفها عند القبض، فالزم الطريقة والحث على الحقيقة توفق، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان، سلام عليك، أما بعد يا أخي فإن العيون ثلاثة عين الوجه وقيده بالجهة، وعين العقل وقيده بالفكر، وعين القلب وقيده بالكشف، فكل عين مقيدة وهو لا يتقيد، فبأي عين تراه، عين القلب مجاله في الغيب، وعين الوجه مجاله في الشهادة، وعين العقل مجاله في الطلب، وهو خالق الغيب والشهادة والطلب وما ثم عين رابعة، فأين العين التي تدركه يا أخي، مشهودك فيك، وهو صورتك، لكنك لا تراها إلا فيه وإن لم تره لم ترها ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧]،

فيك أخفي مطلوبك وأنت حامله أبداً ولا تعرف، فابحث على هذا المشهد الذي نبهتك عليه، فلقد دللتك على أمر عظيم، والسلام عليك ورحمة الله بركاته.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك – أما بعد، فإنه من شاهده لم يعظم عنده شيء إلا الخاصة من عباده، فإنهم إذا شاهدوه عظم عندهم كل شيء لأنهم شاهدوه في كل شيء فلم يروا الأشياء غير ما شاهدوه، فلا حجاب دونهم ولا يأتوه حتى يناديهم من غير الاسم الذي أشهدهم فيه فيجيبوه فيروه في غير الصورة التي كانت عندهم ثم ينصرفون بها فيشهدوها في كل شيء أبداً في الدنيا بالعلم والمشاهدة وفي الآخرة بالعين والرؤية، وغير الخاصة يشهدوه ثم يرجعون بنوره، ثم يشتاقون إليه فيطلبون مشاهدته فيشهد فيجيبهم فيشهدهم ثم يردهم إليه فيشتاقون فيطلبون فيجيبهم فيشهدون، هكذا دائماً، فانظر لنفسك في أي الطائفتين تتميز وبمن تلحق، واعلم يا أخي أنه من شاهده يقوى قلبه ولا يهوله ما يرى، ومن شاهد فعله هاله كل ما يرى فيطلب لمن يأوي فيدفع منه ما يخافه من فعله، فإن خاف فعله من أجل أنه منه كان ركنه الذي يأوي إليه، وإن خاف فعله من أجل نفسه وكله لنفسه وخذله فلا ينصر، فاعرف قدرك، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان، سلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد يا أخي فكم تخاطبني بلو ولولا وإن ومهما وهي حجب من أكثف الحجب لا يقع معها معرفة ولا عين، لا يغرنك قوله لو شئنا، لو شاء فإن المشيئة منه لا تتبدل ولا تتردد، فقد شاء ما شاء وهي نافذة فاثبت واسكن تحت مجاري الأقدار، ولا يهولنك اشتداد الرياح وضعف السفينة وتلاطم الأمواج، فإنه يهلك بأقل من ذلك وينجي من أعظم من ذلك كم من غريق نجا وصار الماء عليه كالطاق، وكم من هلك على سريره في بيت أنسه وسروره مع محبوبه، وكم محفوظ في الجوانب من النوائب جاءته الطارقة فنزلت على قلبه فأخذ بغصة أو مغتالا فسلم، فقد مضى ما قضى فاجتهد في الدعاء والتضرع فلعله من القضاء، ومع هذا فالزم التسليم يلزمك السرور بالسابقة، ومن سلم لقضائه فإن ذلك من دلائل قربه، وإليه يرجع الأمر كله وأفوض أمري إلى الله وحسبي الله عليه توكلت.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان، سلام عليك – أما بعد فإن للحق في العالم وهبين، وهبا مطلقاً ووهباً مشروطا، قال في المشروط ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾[البقرة: ٤٠] والمطلق ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾[المائدة: ٥٤] ثم قسم الطوائف، فطائفة منحهم الهداية وحرمهم الدراية، وطائفة منحهم الدراية وحرمهم الهداية، وطائفة منحهما جميعا، وطائفة حرمهما معا، وطائفة منحها ذلك بالشفاعة، وطائفة لم تقبل فيهم الشفاعة، ولو كان ذلك يرجع إلينا لم يكن إلها ولا كان مشكوراً على ما أعطى كما يقول من أضله الله، فالكل راجع إليه وإلى مشيئته، فهو مخصوص وإن كان مطلقاً، ولكن مع هذا فلُم نفسك فإنه لا يستوي عنده الأديب والذي لا أدب له ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٨] فالله الله يا أخي. ملازمة الأبواب همة الكلاب، وطرح الثواب، ورشوة البواب، تحمد عاقبة المآب، والسلام.

تم كتاب الكتب

كتاب المسائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم

مسألة: أية مناسبة بين الحق سبحانه الواجب الوجود بذاته وبين الممكن وإن كان واجبا به عند من يقول بذلك من القائلين باقتضاء ذلك للذات أو القائلين باقتضاء ذلك للعلم السابق بكونه وما حدها الفكرية إنما تقوم وتصح بالبراهين الوجودية وهي إن ولا بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له تعلق بالدليل وتعلق بالمدلول ولولا ذلك الوجه ما وصل ذلك إلى مدلول دليله أبدا فلا يصح أن يجتمع الحق والخلق في وجه أبدا من حيث الذات لكن من حيث أن هذه الذات منعوتة بالإلهية فهذا علم آخر تستقل العقول بإدراكه لا تحتاج في ذلك إلى كشف بصري فكل معقول عندنا يكون موجودا يمكن أن يتقدم العلم به من حيث الدليل على شهوده إلا الحق سبحانه فإن... يتقدم على العلم به من حيث الذات لا من حيث الإلهية فإن في هذا الحكم مناقضة للذات في حكم تعلق العلم فالإلهية تعقل ولا تكشف والذات تكشف ولا تعقل وهذا البحر بحر لا ساحل له ومن وقع فيه لا يمكن أن يسبح فيه فإنه بحر الهلاك للبصائر بالذات فلا سبيل إلى الخوض فيه وكم من متخيل ممن يدعي العقل الرصين من العلماء القدماء يظن أنه يسبح في هذا البحر.

وقد عاينا منهم جماعة على هذا المذهب من الأشاعرة بمدينة فاس وهو يسبح في بحر وجوده لأنه متردد بفكره بين السلب والإثبات فالإثبات راجع إليه لأنه ما أثبت إلا ما هو عليه في نفسه ففي نفسه يتكلم وفي عينه يدل ويبرهن والحق وراء ذلك كله والسلب راجع إلى العدم والعدم نفي الإثبات فما حصل لهذا الفكر المتردد من السلب والإضافات من العلم بالله شيء هيهات فزنا وخسر المبطلون أنى للمقيد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيه ولا رائحة له منه وكيف للممكن أن يصل إلى معرفة الواجب بالذات وما من وجه للممكن إلا ويجوز عليه العدم والدثور فلو جمع بين الحق الواجب لذاته وبين العالم وجه لجاز على الحق ما جاز على العالم من ذلك الوجه من الدثور وهذا محال فإثبات وجه الجامع بين الحق والعالم محال.

مسألة: لكني أقول إن للإلهية أحكاما وإن كانت حكما وفي صور هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة حيثما كانت فأقول بالحكم الإرادي لكني لا أقول بالاختيار فإن الخطاب بالاختيار للتوصيل بما تقرر في العرف لثبوت الإيمان كأحاديث التشبيه وأمثالها وإن كان له مدخل صحيح من وجه كما ذكرنا لكن لا يقتضي ذلك ما نحن بصدده.

مسألة:

يا واهب العقل أعميت البصائر عن	مدارك الكشف فارتدت على العقب
إن أنصفت تركت أفكارها وأتت	فقيرة تستمد العلم بالأدب
فيضا على قائل فان سجيته	زكية من ضروب الشك والريب
قامت على قدم الإجلال آخذة	جواهر العلم في حق من الذهب
وأخذها بصري إذ بصيرتها	مسجونة الذات في بيت من اللهب

فما لها في وجود الحق معتمد ... سوى التعلل بالعلات والسلب
لكن لها الحكم بالتمثيل يعضدها ... عوالم الحس بالإرفاد والعطب

والمقول عليه كان الله ولا شيء معه، إنما هي الألوهية لا الذات من حيث وجودها فحسب فتحقق وكل حكم يثبت في باب العلم الإلهي للذات إنما هو بحكم الألوهية وهي أحكام كثيرة هي نسب وإضافات وسلوب ترجع إلى عين واحدة لم تتعدد من حيث الإنية والهوية وإنما تتعدد من حيث الحقائق الإمكانية والفهوانية فالكثرة في العالم حكما وعينا، وهناك حكما لا عينا ونسبا لا حقيقة، وهنا زلت أقدام طائفة من الإسلاميين حيث حكموا بمن لا يقبل التشبيه على من يقبل التشبيه واعتمدوا على ما تحققوه من الأمور الجامعة والرابطة كالدليل والمدلول والحقيقة والمحقق والعلة والشرط وهذا لا يليق بالذات لكن تقبله الألوهية من وجه وترده من وجه فالتزمت طائفة وجه القبول والتزمت طائفة أخرى وجه الرد ووقع الخلاف بينهما.

وكل واحد من الفريقين ببطلان مذهب صاحبه والألوهية تحكم بالإصابة للفريقين وسبب اختلافهم حبسهم في دائرة الفكر لم يبرحوا منها إلى المقامات الخارجة عن أطوار العقول وهي أطوار الولاية والنبوة حسب العقول التسليم لما يأتي به هذان الصنفان إن أنصفت وإن لم يوف الفكر حقه وصحبها التقصير والعمى ردت الأخبار النبوية والكشوفات وألحقتها بالخيالات الفاسدة لمناقضتها الأدلة التي قامت عند الخصم فيما يزعم وهو المخطئ في كونه اعتقد دليلا ما ليس بدليل فإن هذه الأمور لا تعارض الأدلة العقلية البتة لكن ليس كل ما يتخذه العقل دليلا هو دليل لأن غلطه كثير وليس بضروري فيستوي فيه العقلاء وهذا النبي ﷺ من جملة العقلاء بل من أجلّ العقلاء وأكملهم عقلا و لم يحل ذلك أتى به دليله بل دله العقل على إمكانه فالتسليم أولى بمن لم يذق مدارك الكشف ولا ظهر له سلطان فيها فلو أنصفوا من نفوسهم وسلموا لهذين الصنفين أحوالهم لسعدوا في الدارين واستفادوا لكن الرياسة مانعتهم من ذلك وآخر ما يخرج من القلوب الصديقين حب الرياسة.

مسألة: المتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى إنما هو الألوهية وأحكامها ونسبها وإضافاتها المعبر عنها بالأسماء والصفات، وهي التي استدعت الآثار ووجود كل ما سواها، إذ لا قاهر بلا مقهور وقادر بلا مقدور، وراحم بلا مرحوم، وخالق بلا مخلوق، إلى جميع الأسماء الإضافية لا يصح، بل لأنه منه صلاحيته من حيث الإمكان مقهور، فالقاهر بالصلاحية كذلك قاهر، فهو حكم الألوهية بالصلاحية لا بالفعل، وإن لم يتصور التنبيه بين الحق والموجود الأول، فهي تتصور في وجود الأجسام وما تحمله من المعاني بينها وبينها، لوجوه قد ذكرها الناس لا نحتاج إلى ذكرها لتداولها بين أهل هذا الشأن والوصف الخاص والعام لجميع الموجودات كونها قادرة، وتعلق حكم القادر بالمقدور لا يعلم البتة لا كشفا ولا بالدليل، إذ القدرة الحادثة عند مثبتها ممن سلم نظره في إثباتها لا أثر لها، فلا تعلق لها، فمن أين له معرفة التعلق، وكذلك الكشف وما عدا هذا الوصف الخاص الذي به وقع الامتياز عند المحققين منّا بين الحق والخلق فمدرك بالدليل والكشف.

مسألة: فأول موجود ظهر مقيد فقير موجود يسمى العقل الأول ويسمى الروح الكلي ويسمى القلم ويسمى العدل ويسمى العرش ويسمى الحق المخلوق به ويسمى الحقيقة المحمدية ويسمى روح الأرواح ويسمى الإمام المبين ويسمى كل شيء وله أسماء كثيرة باعتبار ما فيه من الوجوه وهو على

نصف الصورة المعلومة عندنا سمعا وكشفا في وجه وعلى الصورة في وجه آخر على حسب ما يقع تجليه لأن العالم كله على الصورة والإنسان من العالم على صورة العالم فهو على الصورة والروحانيات أقوى على الكمال من عالم الأجسام لاستعدادهم الأكمل ولهذا يرغب البشر في تحصيل القوة الروحانية بالطبع.

فمنهم من وصل فكَمُل، ومنهم من لم يصل لموانع عرضية وأصلية في هذا الدار، وأما في الدار الآخرة فالكل يصل إليها ويقع الامتياز بينهم بأمور أُخَرْ ترجع إلى الصورة التي يدخلون فيها.

فلما أوجد هذا الموجود الأول ظهر له من الوجوه إلى الحضرة الإلهية ثلاثمائة وستين وجها، فأفاض الحق تعالى عليه من علمه على قدر ما أوجده من الاستعداد للقبول، فكان قبوله ستة وأربعين ألف ألف نوع، وستمائة ألف نوع، وستة آلاف وخمسين ألف نوع، فظهرت لهذا العقل أحكام تعددها لا غير، ونشر منها في كل عالم بما يستحق نشر إفاضة لا نشر اختيار، فإن وجوهه مصروفة إلى موجده، والعالم يستمدون من ذاته بحسب قواهم كقبول عالم الأكوان لنور الشمس من غير إرادة الشمس في ذلك، وهذا الفرق بين الفيض الذاتي والفيض الإرادي، ذلك راجع لنفس الفيض، ألا ترون إلى فيض العالم، كلامه على الأسماع إرادي لأن له الإمساك عنه، فإذا ظهر عين الكلام في الوجود، ففيضه على الأسماع ذاتي لا إرادي، فتحقق هذا فهو هنا كذلك.

فالجمع بين الفيضين هكذا يكون، فلاحظت طائفة فيض المفاض فقالت بالفيض الذاتي، ولاحظت طائفة فيض المفيض فقالت بالفيض الإرادي، فكل واحد تخطى صاحبه، والإلهية تصوب قول كل طائفة، ولما ظهر هذا الحق المخلوق به السموات والأرض الذي هو لوح الألوهية وقلمها الأعلى باليمين أقدس الجاري بالكائنات رأس عالم الأمر الرباني، المخصوص بإضافة التشريف الفياض الذي لا يقبل حقيقة الاختيارات والأعراض، قابل التحولات، لكنه لا تقبل الأعراض ليس بمادة ولا يقبلها، صدرت عنه أنوار شريفة لطيفة أودعها بضرب من الإقبال أرواحا تناسبها في اللطافة والشرف، فكان الملأ الأعلى عالم الأمر التسخير، ولكن بعد إيجاد النفس وتوجهها عليه بضرب من الالتحام الإلهي والإقبال الرباني.

مسألة: ولما قبل هذا العدل ما لا يتناهى من العلوم قبولا ذاتيا ظهر بصورة الغنى لا يدخلها للذات التي تقتضي ذلك وبحكم الغيرة فاشتغل بالنفس اشتغال تعشق ملكي وسلطنة عظمى ومملكة كبرى ولهذا العقل فيض ذاتي وفيض إرادي كما له قبول ذاتي وقبول إرادي وهكذا الكل موجود وما من موجود من الموجودات كلها عن سبب إلا وله وجهان وجه به يقابل سببه ويأخذ عنه ويظهر لنفسه عزة في افتقاره إليه من ذلك الوجه ووجه آخر يقابل به باريه عز وجل.

فتارة ترد عليه الحكام الإلهية من طريق سببه وعلى يديه وتارة يدعو من الوجه الخاص به فإذا دعاه من الوجه الخاص به لم يبق للسبب عليه سلطان ولا يعرف أين ذهب فيحكم عليه الذل والافتقار إلى الله تعالى فيكون له التجلي ففيض النفس الله سبحانه ودعاها من الوجه الخاص فقدها العقل من حيث الفيض الإرادي ولا يقبل الفيض الإرادي إلا القول الإرادي فرجع العقل فقيرا إلى موجده فوجد الباب قد غلق دونه من حيث الاسم الخاص به فوجد الاسم القدوس قد حكمه الحق عليه فدخل تحت سلطانه حتى أظهر أثره فيه فلما أخلاه عند ذلك دخل وخدم بساط الحضرة وافتقر وهذا كان المراد ولما

كان لكل موجود مما سوى الحق تعالى وجه إليه سبحانه صح أن يتصف بالفقر والغنى إذا صرف وجهه إليه والغنى إذا صرف وجهه إلى الكون وهو متحقق بوجهه الحق منه ومتى غفل عن التحقق بذلك الوجه وشهود ذلك العين لم يكن للغنى إليه طريق وكان فقيراً محضاً.

مسألة: وبهذا الوجه الذي ذكرناه لا يكون أثرا إلا للألوهية لأن بذلك الوجه ظهرت هذه الآثار عن الأكوان كلها في الأكوان: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الاسراء: ٢٣]، قضاء صحيحا ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فلولا هذا السريان الدقيق والحجاب العجيب الرقيق والستر الأخفى ما عبدت الألوهية في الملائكة والكواكب والأفلاك والأركان والحيوانات والنباتات والأحجار والأناسي إذ الألوهية هي المعبودية من الموجودات فأخطأوا في الإضافة من وجه لا غير ولكن كان في ذلك الوجه شقاوة الأبد فالمحقق تحقق ذلك الوجه ورفع الخطأ من جهة العقل لا من جهة الحكم.

فإن النظر الإلهي كان تمكنه من هؤلاء المعبودين أكبر من غيرهم فربط الآثار بهم فظهرت عندهم ليضل من يشاء ويهدي من يشاء وربما ارتفعت طائفة عن مدرج نسبة الألوهية لهم مطلقا ولحظت الوجه الخفي فقالت ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فاتخذوهم حجبة ووزراء نعوذ بالله ولكن هي أشبه من الأولى ولو رأت هذه الطائفة هذا الوجه من أنفسها ما عبدت الألوهية في كون خارج عنها بل كانت تعبد نفسها ولكن أيضا لتحققها بها ووقوفها مع عجزها وقصورها وإتلافها لم تتمكن لها ذلك ولو لاح لها ما ذكرناه ما اختصت بعبودة الألوهية في كون بعينه ومحصول ما قلناه أن الألوهية هي المعبودة على الإطلاق لا الأكوان ولهذا قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، قضاؤه غير مردود فمن وقف على هذه الوجوه الإلهية من الأكوان فما يصح عنده أن يعبده كون أصلا ومن لم يعرفها ولا يشاهدها تعبده وجه الحق في الكون لا الكون وبهذا القدر يعاقب ويطلق عليه اسم الشرك.

مسألة: اعلم أنه ما من معبود إلا ويتبرأ من الذي يعبده هنا من حيث لا يسمع العابد إلا بخرق العوائد وفي الدار الآخرة على الكشف قال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾[البقرة: ١٦٦]، وتبرؤهم منهم أن يقولوا ما عبدوا غيرك منا فلم نكن بمعبودين لهم خوفا من العقوبة لكنهم أضافوا فيقال لهم صدقتم لكنهم عبدونا فيكم على غير بصيرة صحيحة وإن اقتضت الحقائق فأخذناهم بالعمى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[الاسراء: ٧٢]، فهم مصروفون في الدنيا والآخرة عن هذا القدر من العلم ثم إن أخذ الحق لهم من باب مظالم العباد لافترائهم على المخلوقين بنسبة الألوهية لهم فكان أخذه عدلا إقامة لحق الغير وعقوبة للجاهل حيث لم يستبصر واتبع هواه فإن الله قد ندبنا إلى العفو فيما يرجع إلينا من الحقوق وأن لا نعفو فيما يرجع إلى حقه وهو أولى بهذه الصفة.

فلذلك كان الشرك من مظالم العباد لا من حقه الذي يرجع إليه والمعبودون منهم سعيد ومنهم شقي فالسعيد ناج والمثال الذي اتخذوه معبودا على صورته يدخل معهم النار ولولا قوله: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، لكان في قصته ما يقال في زوال الآثار الإلهية عمن عبد في الآخرة فإنهم ما عبدوا إلا الفاعل المؤثر وهنا بحور طوامس.

مسألة: وحدانية الكلام حقيقة والتجلي من كونه متكلما واحد والمتجلَّى إليه مختلف متنوع مقيد بالوقت والمكان وقد يتقيد بالآلة فينقسم إلى الأوامر والنواهي والإخبارات وغير ذلك من أقسام الكلام اللفظي الموقوف على الصيغ والعبارات.

مسألة: الأسماء للذات أحكام يرجع إليه من المحدثات ما علم منها وما لا يعلم مما يصح أن يعلم فثم اسم يدل على عين الذات لإيقاع التمييز للسامع في العبارة يسمى مرتجلا أو جامدا وهذا الاسم لولا نحن ما أطلق عليه، وثم اسم ينقل منه معنى زائد على عين الذات وهل يدل على الذات أم لا؟ فيه توقف بالنظر إلى العقل وإن دل على عين الذات فهل هو عين الذات المقول عليها هذا الاسم أم ذات زائدة فذهبت طائفة إلى أنه عين الذات وهم القدماء وذهبت طائفة إلى ذات زائدة وهم الأشاعرة كقولنا عالم قادر ومريد حي وسميع وبصير وغير ذلك.

مسألة: خلق الله الخلق ليكمل مراتب الوجود وليكمل المعرفة في الوجود أي ليكمل وجود تقاسيم المعرفة فخلق الخلق ليعرفوه إذ كان كنزا لا يعرف كما ورد في بعض الأخبار المشهورة لا ليكمل هو سبحانه في ذاته تعالى الله عن ذلك فكان يعرف نفسه بنفسه فبقي من مراتب المعرفة أن يعرفه الكون فتكمل المعرفة فأوجد الخلق وأمرهم بالعلم به وكذلك الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث فلو لم يخلق الكون ما كملت مراتب الوجود فافهم.

مسألة: إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتا واحدة فهو محال لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجودا في حال الاتحاد فهما ذاتان وإن عدمت العين الواحدة وبقيت الأخرى فليس للأول حد فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه ويكون الدليل مخالفا للحس فيكون وجها كالكناية عن حركة يد الكاتب حسا وبالدليل أن الله خالقها وأنها أثر القدرة القديمة لا المحدثة فالوقوف على هذا القدر من المعرفة بطريق الكسب والشهود لا من طريق الفكر يسمى اتحادا.

وقد يكون الاتحاد عندنا عبارة عن حصول العبد في مقام الانفعال عنه بهمته وتوجه إرادته لا بمباشرة ولا معالجة فبظهوره بصفة هي للحق تعالى حقيقة تسمى اتحادا لظهور حق في صورة عبد ولظهور عبد في صورة حق. وقد يطلق الاتحاد في طريقتنا لتداخل الحق في الأوصاف والخلق فوصفنا بأوصاف الكمال من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وجميع الأسماء كلها وهي له، ووصف نفسه بأوصاف ما هو لنا من الصورة والعين واليد والرجل والذراع والضحك والنسيان والتعجب والتبشبش وأمثال ذلك مما هو لنا، فلما ظهر تداخل هذه الأوصاف بيننا وبينه سمينا ذلك اتحاداً لظهورنا به وظهوره بنا فيصح قول القائل عن هذا:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

مسألة: للعقل نور وللإيمان نور فنور العقل يصل إلى معرفة وجود الله تعالى وكونه قادرا سميعا عالما مريدا إلى غير ذلك مما يجب للألوهية وما يجوز عليها وما يستحيل وبنور الإيمان يعرف ذات الحق وما وصف نفسه به مما يقتضي التشبيه والتنزيه فيأخذها مشاهدة وهذه درجة الأنبياء والأولياء كما أن للعقل حد وللإيمان حد فحد العقل يوصله إلى التدبير في أسبابه ومصالح وجوده بحسب ما يقتضيه نظره من العادة وحد الإيمان خرق العادات عنده لتخرق العادات له فيجد اللذة في العذاب والألم في النعيم وشبهه وعلى حد العقل تجري أمور العقلاء من الخلق وعلى حد الإيمان تجري أمور بعض المنتمين إلى الله تعالى أصحاب الأحوال والأوامر الإلهية والخواطر المستقيمة الربانية.

مسألة: توجه الذات على جميع الممكنات يسمى إلها لمعنى يسمى ألوهية وتعلقها بنفسها وبجميع حقائق المحققات على ما المحقق عليه وجودا كان المحقق أو عدما يسمى علما تعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه يسمى اختيارا تعلقها بالممكن من حيث سبق العلم قبل كون المكون يسمى مشيئة تعلقها بتخصيص حد الجائزين للممكن على التعيين يسمى إرادة تعلقها بإيجاد الكون يسمى قدرة تعلقها بالأحكام قبل وقوعها يسمى قضاء تعلقها بوقت وقوع الحكم يسمى قدرا تعلقها بإسماع المكون لكونه يسمى أمرا وهو على نوعين بواسطة وبلا واسطة فبارتفاع الوسائط لا بد من الامتثال فيكون الكون ولا يلزم الكون بالواسطة ولا بد ولا هو أمر في عين الحقيقة إذ لا يقف للأمر الإلهي شيء تعلقها بإسماع المكون لصرفه عن كونه أو كون صادر منه يسمى نهيا وصورته صورة الأمر في التقسيم من الوساطة وتركها تعلقها بتحصيل ما هي عليه هي أو غيرها من الكائنات أو في ما أنفس في النفس المكون يسمى إخبارا فإن تعلقت بالمكون على طريق أي شيء عندك يسمى استفهاما فإن تعلقت به على جهة النزول إليه تعلق الأمر يسمى دعاء ومن باب تعلق الأمر إلى هذا يسمى كلاما تعلقها بالكلام من غير اشتراط علم بذلك يسمى سمعا فإن تعلق علم بذلك يسمى فهما تعلقها بكيفية النور وما يحمله من المرئيات يسمى بصرا ورؤية تعلقها بإدراك كل مدرك الذي لا يصح تعلق من هذه التعلقات كلها إلا به ويسمى حياة والعين في ذلك كله واحدة بعدد التعلقات بحقائق المتعلقات والأسماء للمسميات فتفهم.

مسألة: علم اليقين معرفة الله بك إذ أنت عين الدليل عليه وهو إثبات ذات غير مكيفة ولا معلومة لماهية محكوم عليها بالألوهية سلطانا وحجة لا ريب فيه عين اليقين مشاهدة هذه الذات بعينها لا بعينك فناء كليا لا يعقل معها نسبة ألوهية إثباتا أو نفيا لكن مشاهدة نفي الأحكام والرسوم وبمحق الآثار حق اليقين نسبة الألوهية لهذه الذات بعد المشاهدة لا قبلها وهو الفرق بين العلم والحق ليس إلا وهنا سكت المحققون وبعد هذا حقيقة اليقين ظهور الانفعالات عن البعد الكلي مع غيبته عنها فيه به غيبا كليا وفناء محققا وهذه غاية المراتب فالثلاثة كتابية علم وعين حق والرابعة سنية قال عليه السلام: "فما حقيقة إيمانك، لكل حق حقيقة"، فهذه الحقيقة بها يختبر العبد المحقق نفسه في دعواه في معرفة حق اليقين فتأمل.

مسألة: مشاهدة الحق لا تعطي الإحاطة بذاته ولذلك قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولو كانت المشاهدة تعطي معرفة مناسبة الألوهية للذات لم تكن فائدة لقول رسول الله ﷺ في التجلي الإلهي في الدار الآخرة وقوله تعالى للناس: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فيقولون نعوذ بالله منك و لم يعرفوا أنه الحق مع مشاهدتهم إياه فإذن العلم بالألوهية لا يلزم منه العلم بالذات فمدار المعرفة على الحقيقة على علوم ثلاثة: علم الألوهية وعلم الذات وعلم نسبة هذه الألوهية لهذه الذات وبعد هذا كله فلا إحاطة ولا إدراك ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[الأحزاب: ٤].

تم كتاب المسائل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

كتاب التجليات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تلميذ جعفر الصادق صلوات الله عليه: سألت سيدي ومولاي جعفر لماذا سمي الطلسم طلسما قال صلوات الله عليه لمقلوبه يعني أنه مسلط على ما وكل به وقد وصفناه بكماله في كتاب الهياكل فلينظر هناك إن شاء الله وهو من حضرة الوحدانية المطلقة التي لا تعلق للكون بها للأول الذي لا يقبل الثاني وحضرة التوحيد التي تقبل الكون لتعلقه بها مذكورة في كتاب الحروف من الفتوحات المكية الذي هذا كتاب منه فلينظر هناك إن شاء الله.

تجلي الإشارة من طريق السر

اعلم أن الرقيم المشار إليه ليس يشار إليه من حيث هو موجود لكن من حيث هو حامل لمحمول والإشارة للمحمول لا عليه وهو من بعض السنة الفهوانية فصورته في هذا المقام من طريق الشكل صورة المثلث إذا نزل إلى عالم البرازخ عالم التمثل كنزول العلم في صورة اللبن فزاوية منه تعطي رفع المناسبة بين الله وبين خلقه والزاوية الثانية تعطي رفع الالتباس عن مدارك الكشف والنظر وهو باب من أبواب العظمة والزاوية الثالثة توضح طريق السعادة إلى محل النجاة في الفعل والقول والاعتقاد وأضلاعه متساوية في حضرة التمثيل فالضلع الواحد يعطي من المناسبة ما تقع به المعرفة بين الله وبين العبد فمن شاهد هذا المشهد عرف علم الله بنا بأي كيفية تعلقه بنا ومعرفتنا به ماذا نعرف فإن معرفتنا جزء به لا يصح أن يكون متعلقها كلا.

والضلع الآخر ضلع النور يريك ما في هذا الرقيم تبصر ما رقم في درجتك وما هنالك من قرة عين في درجتك والضلع الثالث يعطيك الأمور التي تتقي بها حوادث الأقدار وما تجري به الأدوار والأكوار فتحفظ ذلك فإذا استوفيت هذا المشهد علمت أنك أنت الرقيم وأنك الصراط المستقيم وأنت السالك وفيك وإليك تسلك فأنت غاية مطلبك وفناؤك وذهابك في مذهبك فبعد السحق والمحق والتحقق بالحق والتمييز في مقعد الصدق لا تعاين سواك والعجز عن درك الإدراك إدراك.

تجلي معرفة المراتب

مشاهدة القلوب اتصالها بالمحبوب اتصال تنزيه لا اتصال تشبيه فكان بلا كون لأنك كنته ومشاهدة العيان النظر من غير تقيد بجارحة ولا بنية فالبصر والرؤية صفة اشتراك وإن كان: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، والقلب صفة خاصة لك فتشهده بالبصر من حيث يشهدك فيكون بصره لا بصرك وتشهده بالقلب من حيث لا يشهدك فمشهد القلب يبقيك ومشهد البصر يحرقك ويفنيك.

تجلي المقابلة

إذا صفت مرآتك وكسرت زجاجة وهمك وخيالك وما بقي لك سوى الحق في كل ما يتجلى لك فلا تقابل مرآتك إلا حضرة ذاتك فإنك تربح ولكن إن تلبس عليك الأمر فاقلب وجه مرآتك نحو حضرة الكون واعتبرها في الأشخاص فإن النفوس تتجلى فيها بما فيها من صور الخواطر فتكلم على

ضمائر الخلق ولا تبال حتى يسلم لك جميع من تكلمت على ضميره ولا تجد منازعا واثبت عند الاختبار فقد يرد الحق على وجهك ابتلاء فإن كنت صادقا فاثبت وإن وجدت عندك خللا عند الموافقة فما كسرت زجاجتك ولا تتعد قدرك وتعمل في التخليص.

تجلي الصدق

من كان سلوكه بالحق ووصوله إلى الحق ورجوعه من الحق بالحق فنظره الحق من كونهم حقا بالحق واستمداده من عرفانيات الحق فلم يخط له حكم فلم يجر على لسانه ولا عليه لسان باطل وكان حقا في صورة خلق بنطق حق وعبارة خلق.

تجلي التهيؤ

إذا تهيأت القلوب وصفت بأذكارها وانقطعت العلائق بأستارها وتقابلت الحضرتان وسطعت أنوار الحضرة الإلهية من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[النور: ٣٥]، والتقت بأنوار عبودية القلب وهو ساجد سجدة الأبد الذي لا رفع بعده اندرج نور العبودية في نور الربوبية إن كان فانيا فإن كان باقيا اندرج نور الربوبية في نور العبودية فكان له عينا ومعنى وروحا وكان نور العبودية شهادة ولفظا وجسما لذلك النور فسرى نور العبودية في باطنه الذي هو نور الربوبية فانتقل في أطوار الغيوب من غيب إلى غيب حتى انتهى إلى غيب الغيوب فذلك منتهى القلوب والانتقال ولا يحصى ما يرجع به من لطائف التحف التي تليق بذلك الجانب العالي.

تجلي الهمم

جمع الهمم على الهم الواحد حتى يفنى في الواحد بالواحد فيبقى الواحد يشهد الواحد ذلك من أحوال الرجال عبيد الاختصاص فيشرح لهم الصدور عما أخفى لهم فيها من قرة أعين ويسبحون في أفلاك الأقدار شموسا إن كانوا بالحق وبدورا إن كانوا بالعين ونجوما إن كانوا بالعلم فيعرفون ما يجري به الليل والنهار إلى يوم الشق والانفطار فيكور من كان شمسا ويخسف من كان بدرا أو ينطمس من كان نجما فلا يبقى نور إلا نور الحق وهو نور للوحدانية الذي لا يبقى لتجليه نور فيفيض على ذاته من ذاته نور في نور.

تجلي تارة تارة

إذا جمعك الحق به ففرقك عنك فكنت فعالا وصاحب أثر ظاهر في الوجود وإذا جمعك بك فرقك عنه في مقام العبودية فهذا مقام الولاية وحضور البساط وذلك مقام الخلافة والتحكم في الأغيار فاختر أي الجمعين شئت فجمعك بك أعلى لأنه مشهودك عينا وجمعك به غيبته عنك بظهوره منك وهذه غيبة غاية الوصلة والاتصال الذي يليق بالجناب الأقدس وجناب اللطيفة الإنسانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[الفتح: ١٠]، دونك فاعتبر.

تجلي التوحيد

التوحيد علم ثم حال ثم علم فالعلم الأول توحيد الدليل وهو توحيد العامة وأعني بالعامة علماء الرسوم وتوحيد الحال أن يكون الحق نعتك فيكون هو لا أنت في أنت: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، والعلم الثاني بعد الحال توحيد المشاهدة فترى الأشياء من حيث الوحدانية فلا ترى

إلا الواحد وبتجليه في المقامات يكون الوجدان والعالم كله وجدان ينضاف بعضها إلى بعض يسمى مركبا يكون لها وجه في هذه الإضافة يسمى إشكالا وليس لغير هذا العالم هذا المشهد.

تجلي الكمال

اسمع يا حبيبي أنت العين المقصود من الكون أنت نقطة الدائرة ومحيطها أنت مركبها وبسيطها أنت الأمر المنزل بين السماء والأرض ما خلقت لك الإدراكات إلا لتدركني بها فإذا أدركتني أدركت نفسك لا تطمع أن تدركني بإدراكك نفسك بعيني تراني ونفسك لا بعين نفسك تراني حبيبي كم أناديك فلا تسمع كم أتراءى لك فلا تبصر كم أندرج لك في الروائح فلا تشم وفي الطعوم فلا تطعم لي ذوقا ما لك لا تلمسني في الملموسات؟ ما لك لا تدركني في المشمومات؟ ما لك لا تبصرني؟ ما لك لا تسمعني؟ ما لك ما لك ما لك؟ أنا ألذ لك من كل ملذوذ أنا أشهى لك من كل مشتهى أنا أحسن لك من كل حسن أنا الجميل أنا المليح حبني حبني لا تحب غيري اعشقني هم في لا تهم في سواي ضمني قبلني ما تجد وصولا مثلي كل يريدك له وأنا أريدك لك وأنت تنفر مني يا حبيبي ما تنصفني إن تقربت إلي تقربت إليك أضعاف ما تقربت به إلي، أنا أقرب إليك من نفسك ونفسك من يفعل معك ذلك غيري من المخلوقين حبيبي عليك منك لا أحب أن أراك عند الغير ولا عندك كن عندي بي عندك كما أنت عندي وأنت لا تشعر حبيبي الوصال الوصال.

تجلي من أنت ومن هو

لست أنا ولست هو	فمن أنا ومن هو
فياه قل أنت أنا	ويا أنا هل أنت هو
لا وأنا ما هو أنا	ولا هو ما هو هو
لو كان هو ما نظرت	أبصارنا به له
ما في الوجود غيرنا	أنا وهو وهو وهو
فمن لنا بنا لنا	كما له به له

تجلي نكث المبايعة

المبايعون ثلاثة الرسل والشيوخ الورثة والسلاطين والمبايع على الحقيقة في هؤلاء الثلاثة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود لله تعالى على بيعة هؤلاء الأتباع وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القائم بأمر الله وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط تجمعها المبايعة فيما أمروا به فأما الرسل والأشياخ فلا يأمرون بمعصية أصلا فإن الرسل معصومون من هذا والشيوخ محفوظون.

وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظا وإلا كان مخذولا ومع هذا لا يطاع في معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله ومن نكث من هؤلاء الأتباع فحسبه جهنم خالدا فيها لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يزكيه ولهم عذاب أليم هذا حظه في الآخرة وأما في الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطامي في حق تلميذه لما خالفه: "دعوا من سقط من عين الله فرُئِيَ بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث"، أين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ داود الطائي الذي قال له ألق نفسك في التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه بردا وسلاما هذا نتيجة الوفاء.

تم كتاب التجليات

كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد آله وسلم

سفر الخلق والأمر وهو سفر الإبداع

يقول الله تبارك تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فصلت: ١١-١٢]، بالفتق والرتق: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وجاء بكلمة [ثم]، بعد خلق الأرض تؤذن غالبا بأن الثاني بعد الأول بمهلة وهو زمان خلق الأرض وتقدير أقواتها في أربعة أيام من أيام الشأن يومان لشأنها في عينها وذاتها ويوم لظهورها وشهادتها ويوم لبطونها وغيبتها ويومان لما أودع فيها من الأقوات الغيبية والشهادية في يومين.

ثم كان الاستواء الأقدس الذي هو المقصود والتوجه إلى فتق السموات وفطرها فلما قضاهن سبع سموات في يومين من أيام الشأن أوحى في كل سماء أمرها فأودع فيها جميع ما تحتاج إليه المولدات من الأمور في تركيبها وتحليلها وتبديلها وتغييرها وانتقالها من حال إلى حال بالأدوار والأطوار وهذا من الأمر الإلهي المودع في السموات في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، من الروحانيات العلية فبرز بالتحريكات الفلكية ليظهر التكوين في الأركان بحسب الأمر الذي يكون في تلك الحركة وفي ذلك الفلك فلما فتقها من رتقها ودارت وكانت شفافة في ذاتها وجرمها حتى لا تكون سترا لما وراءها أدركنا بالأبصار ما في الفلك الثامن من مصابيح النجوم فيتخيل أنها في السماء الدنيا والله يقول: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [فصلت: ١٢]، ولا يلزم من زينة الشيء أن يكون فيه.

وأما قوله: ﴿وَحِفْظًا﴾، فهي الرجوم التي تحدث في كرة الأثير لإحراق الذين يسترقون السمع من الشيطانين فجعل الله لذلك شهابا رصدا وهي الكواكب ذوات الأذناب ويخترق البصر الجو حتى يصل إلى السماء الدنيا فلا يرى من فطور فينفذ فيه فينقلب خاسئا وهو حسير أي قد أعي وجعل في كل سماء من هذه السبعة كوكبا سابحا وهو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فتحدث الأفلاك بحركات الكواكب لا السموات فتشهد الحركات من السبعة السيارة أن المصابيح في الفلك الثامن وزينا السماء الدنيا لأن البصر لا يدركها إلا فيها فوقع الخطاب بحسب ما تعطيه الرؤية لهذا قال: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ ولم يقل خلقناها فيها وليس من شرط الزينة أن تكون في ذات المزين بها ولا بد فإن الرجل والخيل من زينة السلطان وما هم قائمان بذاته ولما كملت البنية الإنسانية وصحت التسوية وكان التوجه الإلهي بالنفخ العلوي في حركة الفلك الرابع من السبعة وقبل هذا المسمى الذي هو الإنسان لكمال تسويته السر الإلهي الذي لم يقبله غيره وبهذا صح له المقامان مقام الصورة ومقام الخلافة.

فلما كملت الأرض البدنية وقدر فيها أقواتها وحصل فيها قواها الخاصة بها من كونها حيواناً نباتاً كالقوة الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة والنامية المغذية وفتقت طبقاتها السبعة من جلد ولحم وشحم وعرق وعصب وعضل وعظم استوى السر الإلهي الساري فيه منفخ النفخ الروحي إلى العالم

العلوي من البدن وهو بخارات تصعد كالدخان ففتق فيها سبع سموات، السماء الدنيا وهي الخنس وزينها بالنجوم والمصابيح مثل العينين وسماء الخيال وسماء الفكر وسماء العقل وسماء الذكر وسماء الحفظ وسماء الوهم.

وأوحى في كل سماء أمرها وهو ما أودع في الحس من إدراك المحسوسات ولا نتعرض للكيفية في ذلك للخلاف الواقع فيها وإن كنا نعلم ذلك فإن علمنا لا يرفع الخلاف من العالم وفي الخيال من متخيلات المستحيلات وفي العقل من المعقولات وهكذا في كل سماء ما يشاكلها من جنسها فإن أهل كل سماء مخلوقون منها فهم بحسب مزاج أماكنهم وخلق في كل سماء من هذه السبعة كوكبا سابحا في مقابلة الكواكب السيارة تسمى صفات وهي الحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم والكلام كل يجري إلى أجل مسمى فلا تدرك قوة إلا ما خلقت له خاصة فالبصر لا يرى سوى المحسوسات المبصرات والحس فينقلب خاسئا فإنه لا يجد قطرا ينفذ فيه والعقل يثبت هذا كله يشهد بذلك الحركات الفلكية التي في الإنسان وذلك بتقدير العزيز العليم فهذا سفر أسفر عن محياه ودل على تنزيه مولاه ونتج ظهور العالم العلوي فإن السفر إنما سمي سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال معناه أنه يظهر ما ينطوي عليه كل إنسان من الأخلاق المذمومة والمحمودة يقال سفرت المرأة عن وجهها إذا أزالت برقعها الذي يستر وجهها فبان للبصر ما هي عليه الصور من الحسن والقبح، قال الله تعالى يخاطب العرب: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾[المدثر: ٣٤]، معناه أظهر إلى الأبصار مبصراتها قال الشاعر:

وكنـــت إذا مـــا جئـــت ليلـــى تبرقعـــت فقـــد رابنـــي منهـــا الغـــداة ســـفورها

فإن العرب جرت عادتهم أن المرأة إذا أرادت أن تعلم أن وراءها شرا أسفرت عن وجهها وكان هذا القائل قد أعمل الحيلة في الوصول إلى محبوبته فشعر قومها به وعرفت المرأة بشعورهم فعندما بصرت به سفرت عن وجهها فعلم أن وراءها الشر فخاف عليها وانصرف وهو ينشد:

فقـــد رابنـــي منهـــا الغـــداة ســـفورها ومـــا مثـــل هـــذا الســـفر ينـــزل ربنـــا

وأشباهه وقد أغنت الإشارة عن البسط: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[الأحزاب: ٤].

سفر القرآن العزيز:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[القدر: ١]، السورة بكمالها وهو قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾[الدخان: ٣]، هذا إنزال إنذار قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾[القدر: ١]، يعني القرآن العزيز في ليلة القدر، قال أهل التفسير نقلاً نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزل منها على قلب محمد ﷺ نجوماً، وهذا سفر لا يزال أبداً ما دام متلواً بالألسنة سراً وعلانية، وليلة القدر الباقية على الحقيقة في حق العبد هي إذا صفت وزكت، ولهذا قال: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وكذلك النفس خلق فيها كل أمر حكيم فألهمها فجورها على المعنيين وتقواها كذلك، وقلبه في الاعتبار السماء الدنيا التي نزل إليها القرآن مجموعاً فعاد فرقاناً بحسب المخاطبين، فليس حظ البصر منه حظ السمع وإنما قلنا نزل إلى قلبك دفعة واحدة، فلسنا نعني أنك حفظته ووعيته، فإن كلامنا إنما هو روحاني معنوي، وإنما أعني أنه عندك ولا تعلم، فإنه ليس من شرط السماء لما نزل إليها القرآن أن تحفظ نصه.

فصل: الإنسان الكلي على الحقيقة هو القرآن العزيز نزل من حضرة نفسه إلى حضرة موحده وهي الليلة المباركة لكونها غيباً والسماء الدنيا حجاب العزة الأحمى الأدنى إليه ثم جعل هناك فرقاناً ينزل نجوماً بحسب الحقائق الإلهية فإنها تعطي أحكامها مختلفة فيعرف الإنسان لذلك فلا يزال على قلبه من ربه نجوماً حتى يجتمع هناك ويترك الحجاب وراءه فيزول عن الأين والكون ويغيب عن الغيب، فالقرآن المنزل حق كما سماه الله حقاً، ولكل حق حقيقة، وحقيقة القرآن الإنسان وكان ﷺ خلقه القرآن، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، فحقق هذا السفر تحمد عاقبته.

سفر الرؤية... الله تعالى والاعتبار من

وقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[الاسراء: ١].

سبحان من أسرى إليه بعبده ... ليرى الذي أخفاه من آياته
كحضوره في غيبه وكسكره ... في صحوه والمحو في إثباته
وترى الذي عنه تكون سره ... في منعه إن شاءه وهباته
ويزيل ما أبدى له من جوده ... بوجوده والفقد من هيآته
سبحانه من سيد ومهيمن ... في ذاته وسماته وصفاته

قرن سبحانه التسبيح بهذا السفر الذي هو الإسراء ينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن تحكم عليه خياله من أهل الشبه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق من الجهة والحد والمكان، فلهذا قال: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[الاسراء: ١]، فجعله مسافراً به ﷺ يعلم أن الأمر من عنده عز وجل هبة إلهية وعناية سبقت له مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وجعله ليلاً تمكيناً لاختصاصه بمقام المحبة لأنه اتخذه خليلاً حبيباً وأكده بقوله ليلاً مع أن الإسراء لا يكون في اللسان إلا ليلاً لا نهاراً لرفع الإشكال حتى لا يتخيل أنه أسري بروحه ويزيل بذلك من خاطر من يعتقد من الناس أن الإسراء ربما يكون نهاراً، فإن القرآن وإن كان نزل بلسان العرب فإنه خاطب به الناس أجمعين أصحاب اللسان وغيرهم، والليل أحب زماناً للمحبين لجمعهما فيه، والخلوة بالحبيب متحققة بالليل ولتكون رؤية الآيات بالأنوار الإلهية خارجة عن العادة عند العرب بما لم تكن تعرفها، فإن البصر لا يدرك شيئاً من المرئيات بنوره خاصة إلا الظلمة والنور الذي به يكشف الأشياء إذا كان حيث لا تغلب قوة نور البصر فإذا غلب حكمه مع نور البصر حكم الظلمة لا يرى سواه، إذ كان البصر لا يدرك في الظلمة الشديدة سوى الظلمة، فالبصر يرى بالنور المعتدل النور و ما يظهر له النور من الأشياء المدركة، ولا فائدة عند السامع لو كان العروج به نهاراً في رؤية الآيات، فإنه معلوم له، فلهذا كان ليلاً.

وأتى أيضاً بقوله: ﴿لَيْلًا﴾، ليحقق أن الإسراء كان بجسده الشريف ﷺ فإن قوله أسرى يغني عن ذكر الليل قليلاً في موضع الحال من عبده كما قال.

يا راحلين إلى المختار من مضر ... زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا

وأدخل الباء في قوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾، لأمرين في نظر المحققين من أهل الله، الأمر الواحد من أجل المناسبة بين العبودية التي هي الذلة وبين حرف الخفض والكسر فإن كل ذليل منكسر، وأضافه إلى الهو،

ولم يكن منها اسم ظاهر للحق إلا من الأسماء النواقص التي لا تتم إلا بصلة وعائد فأسرى بعبده صلته، والعائد إليه المضمر، والمضمر غيب بلا شك، وهو هنا مضمر فهو غيب في غيب، فكأنه هو الهو كما يقول غيب الغيب، فأنبأ بشرف الإسراء.

وكذلك ذكر المسجدين الحرام والأقصى، وهذا يناسب ما ذكرناه من باب العبد، وحرف الخفض هي الباء والمسجد مفعل موضع سجود الرجل، والسجود عبودية، والحرام يقتضي المنع والحجر فهو يطلب العبودية والأقصى يقتضي البعد، والعبودية في غاية البعد من صفات الربوبية، فاختار سبحانه لنبيه الشرف الكامل بهذين الأمرين بأعلى ما يكون من صفات الخلق وليس إلا العبودية وما يشاكلها من حروف الخفض والمساجد والحرام والأقصى، وكذلك مما شرفه به في مقابلة هذه العبودية الكلية التي تعطي المعرفة التامة بأنه ما جعل له من أسمائه ما يقيده به لأن هذه العبودية المذكورة ههنا لا تقتضي تقييداً بِاسم إلهي من أسماء التأثير ولكن يطلب من الألوهة ما يشاكلها في الرفعة والتنزيه، فإن العبد إذا رفع من جميع الوجود وأكرم نزهت عبوديته عن الصفات السيادية الربانية الإلهية فهو تنزيهها وإذا وصفت بأوصاف الربوبية شبهت، وفي التشبيه هلاكها، قال تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

وقال كذلك: ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[غافر: ٣٥]، فكذلك الألوهة إذا كني عنها في حق العبد بالأسماء التي تطلب وجود الخلق فليس ذلك بعلو ولا رفعة في حق العبد المخاطب بتلك الأسماء فإن فيها ضرباً مشابهاً بما تقتضيه العبودية من الافتقار إلى الأثر، فكما في العبودية في هذا الإسراء حقها من جميع الوجوه كذلك وفي الألوهة حق ما يقتضي هذا الوفاء المنسوب إلى العبد فأتي بالهو وبهو الهو الذي هو غيب الغيب، فلما نزل ﷺ من عبوديته إلى ما ذكرناه أسري به إلى غيب الغيب الذي ذكرناه، فمن هناك شاهد حيثية الحق أحداً فرداً، فإن المحبة تقتضي الغيرة فلا يبقى للعبد أثر فإن العبد قادر وما عليه تحجير، فما ظهر هنالك أصلاً اسم سوى هذا الهو، ولما كان الوحي كان مسامرةً لكونه ليلاً، وأعلى مجالس الحديث المسامرة لأنها خلوة في خلوة وموضع إدلال وتقريب مصطفى، وأما الآيات التي رآها فمنها في الآفاق ومنها في نفسه، قال عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[فصلت: ٥٣]، وقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[الذاريات: ٢١]، وقاب قوسين من آيات الآفاق حقق به مقام العبد من سيده وأدنى مقام المحبة والاختصاص بالهو: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، مقام المسامرة وهو هو الهو غيب الغيب وأيده: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١]، والفؤاد قلب القلب وللقلب رؤية وللفؤاد رؤية، فرؤية القلب يدركها العمى إذا صدرت عن الحق بإيثار غيره بعد تقريبه إياه: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦]، والفؤاد لا يعمى لأنه لا يعرف الكون وما له تعلق إلا بسيده ولا يتعلق من سيده إلا بغيب الغيب وهو هو الهو لمناسبة المقامات والمراتب، ولهذا قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، فإنه قد يغلط البصر كثيراً وإن كان هذا عين الجهل من قائله فإنه لا يغلط إلا الحاكم لا ما يدركه الحواس، فالذي يقول يغلط البصر لكونه يرى الأمر على خلاف ما هو عليه فيكذبه صاحبه فنفى عنه هذه الصفة لأن الكذب إنما يقع في عالم التشبيه والكثرة، وهنا ليس ثم تشبيه أصلاً، فإن العبد هنا عبد من جميع الوجوه منزه مطلق التنزيه في العبودية، وكذلك غيب الغيب الذي هو الهو، والآيات التي رآها في نفسه مشاكلته له الهو بعبودة العبودة في غيب الغيب لعين قلب القلب الذي هو الفؤاد، وما كان أحد يراها،

وآيات الآفاق ما ذكره عليه السلام مما رأى في النجوم والسماوات والمعارج العلى والرفرف الأدنى وصريف الأقلام والمستوى وما غشى الله به سدرة المنتهى، وهذا كله حول هذا المقام المخصص للعبد الذي أقيم فيه في غيب الغيب وقد نبه على هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[الإسراء: ١]، و لم يذكر بركة المقام لأنه فوق الذكر لعدم التشبيه وهو مقام يتخطف الناس منه لعزته، والمسجد الحرام للمسجد الأقصى كالجنة مع النار [حُفّت الجنة بالمكاره]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[العنكبوت: ٦٧]، [وحُفَّت النّار بالشّهوات]، ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، فبطن لظهر وظهر لبطن، وينتج هذا السفر مشاهدة ما ذكرناه من غيب الغيب، والكلام في هذا المقام يطول فنقبض العنان ويكفي هذا القدر من الإشارة التي أوردناها فيه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر الابتلاء وهو سفر الهبوط

من علو إلى سفل ومن قرب إلى بعد فيما يظهر

وكأنه مناقض للسفر الذي تقدمه وفيه ما فيه وإن لم يقو قوته

قال الله عز وجل يخاطب آدم وحوا ومن نزل معهما: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]، وقد تكلمنا على سفر الأب الأول في الروحانيات وهو أبو آدم وأبو العالم وهو حقيقة محمد صلى الله عليه وآله وروحه، فلنتكلم على سفر الأب الجسمي وهو أبو محمد صلى الله عليه وآله وأبو بني آدم كلهم خاصة، فكل واحد منهما أب وابن لصاحبه من هذا الوجه، فاعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى إذا أراد أن يحدث أمراً أشار إليه بعلامات لمن فهمها يتقدم على وجود الشيء تسمى مقدمات الكون يشعر بها أهل الشعور، وكثيراً ما يطرأ هذا في الوجود في عالم الشهادة ولا سيما إذا ظهر في موضع ما لا يليق بذلك الموضع فإنه يخاف من ظهور ما يناسب ما ظهر، وهذه الطيرة عند العرب والفال، فما كان مما تحمده النفس كان فالاً، وما كان ممن يكرهونه كان عندهم طيرة، ولهذا أحب الشارع صلى الله عليه وآله الفال، وهو الكلمة الحسنة وكره الطيرة أي كره أن يتطير بشيء، والفال عند العرب خير والطيرة شر: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ولا فاعل إلا الله.

ولما كان الأمر هكذا جارياً عرفناه بحكم العادة التجربة ولم يتقدم لآدم عليه السلام عادة ولا تجربة لهذا الفن فلم يتفطن آدم عليه السلام كتحجير الله عليه الأكل من الشجرة وموطن الجنة لا يقتضي التحجير فإنه يأكل منها فيها ما يشاء ويتبوأ منها حيث يشاء، فلما وقع التحجير في موطن لا يقتضي ذلك عرفنا أنه لا بد أن تظهر حقيقة ذلك الأثر وأنه يستنزل من عالم السعة والراحة إلى عالم الضيق والتكليف، ولو عرفها آدم ما هنأ زمان مقامه في الجنة، ومن جملة ما نسب آدم إلى نفسه من الظلم في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعراف: ٢٣]، حيث لم يتفطن لإشارتك بالتحجير والمنع في موطن التشريح والإباحة، ولهذا نهي و لم يؤمر أمر إيجاب وكان حاملاً للمخالف من ولده في ظهره والطائع فأوقع المخالفة عن حركة المخالف فلما رماه من صلبه ما بلغنا أن آدم عليه السلام عصى ربه بعد ذلك أبداً وأفرد بالمعصية دون أهله في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[طه: ١٢١]، والنهي وقع عليهما والفعل وقع عنهما لأنها جزء منه، فكأنها ما ثم إلا هو ولأنه أقرب إلى الذكرى من حواء فنسي، والمرأة أنسى من الرجل، ولهذا قامت المرأتان في الشهادة مقام الرجل الواحد لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[البقرة: ٢٨٢]، وذلك لأن المرأة شق من الرجل، فامرأتان شقان،

وشقان نشأة كاملة فامرأتان رجل واحد، فهي ناقصة الخلق معوجة في النشء لأنها ضلع فأهدرت من اللفظ و لم تذكر وذكر آدم عليه السلام لنقيض ما ذكرناه في حواء، ونسيان آدم عليه السلام إنما كان لما أخبره الله تعالى به من عداوة إبليس وما تخيل آدم عليه السلام أن أحداً يقسم بالله كاذباً فلما أقسم بالله أنه ناصح لهما فيما ذكره لهما تناولا من الشجرة المنهي عنها، وفي هذا تنبيه بأن الاجتهاد لا يسوغ مع وجود النص في المسألة، وفي عداوة إبليس لحواء بشرى لها بالسعادة لأنها لو كانت من حزب الشيطان ما كان عدواً لها، والذم تعلق بصورة الكسب لا بالفاعل المكتسب، ولو تعلق الذم بالمكتسب لبغضنا العصاة ونحن إنما نكره منهم المعصية، ولا تزال المعصية مكروهةً أعني معصية الله، وكذلك أيضاً لا تقع الكراهة منا على السبب المعصى به فإنه قد ينسخ تحريمه ويرجع حلالاً فتزول الكراهة، فلو تعلق الذم به لعينه لم يزل مذموما، فتعلق الذنب إنما هو لأمر دقيق خفي إضافي يكاد لا يثبت، وكذلك الحمد، فافهم. وتفطنت المعتزلة السر في هذه المسألة فانتبهت له الأشاعرة وهو سر دقيق حسن، فحقق النظر فيه تجد الذي عثرت عليه المعتزلة.

ثم نرجع ونقول فلما وقع ما وقع من آدم وحوا أهبطا إلى الأرض، فهذا سفر في الظاهر من عنده، وكذلك سفر إبليس من عنده، فوجد إبليس في سفره الملك والراحة التي يؤول بها إلى الشقاء الدائم، ووجد آدم المشقة والتعب والتكليف الذي يؤول به إلى السعادة، وكان من علة سفره هذا أنه سافر من شهوة نفسه إلى معرفة عبوديته، فإن الجنة لمجرد الشهوات، لهذا قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾[فصلت: ٣١]، وأكمل له هنا لباسه فإنه كان في الجنة صاحب لباس واحد وهو الريش و لم يعرف طعماً للباس التقوى، لأن الجنة ليست بمحل للتقوى لأنها نعيم كلها، والتقوى يطلب ما يتقى منه، فإذن فلا يكون في الجنة.

ولما لم يكن عنده عليه السلام لباس التقوى ووقع النهي لم يكن له علم بما يتقيه، إذ التقوى من صفات هذه الدار وما عدا الجنة، فلما نزل من الجنة أنزل عليه لباس سر النشأة ولباس التقوى، ثم نهي وأمر وكلف فلم يتصور منه بعد ذلك مخالفة حماية هذا اللباس، فصار نزوله إلى هذه الدار من تمام نشأته ومرتبته ثم رحلته إلى الجنة من كمال مرتبته ونفسه، والدنيا دار تمام والآخرة دار كمال، وليس بعد الكمال مطلب، فما بعد الدار من دار أصلاً، فأقام آدم عليه السلام في سفره هذا يقتني المعارف الكسبية من جهة التكليف التي لم يكن يحصل له دون التكليف، وهذا أن الدنيا دار تمام للعبد واقتناء المعارف الفكرية التي لا تعطيها إلا الدنيا فإن نشأة الجنة كشف كلها، واحد يقتني معارف التدبير والتفصيل والحسن والأحسن والأولى والأحرى ومعرفة الترتيب ابتداء، وهذا لا يكون إلا في الدنيا من أجل كثافة النشأة والبخارات المانعة من الكشف فيحتاج إلى قوة لا يكون له إلا بوجود هذه الموانع ولولاها لم تعطه، فهذا من تمامه، ولهذا قال سهل بن عبد الله: "ليس للعقل فائدة في الإنسان إلا ليدفع به الإنسان سلطان شهوته خاصةً، وإذا غلبت الشهوة بقي العقل لا حكم له".

ومما يؤيد ما ذكره سهل ما أطلعنا الله عليه عند كشف الأسرار فأرانا في أسرارنا بإلهامه الأنزه أن الملائكة في المعارف خلقت، وكذلك الجمادات والنباتات والحيوان خلق في المعارف والشهوة، ولهذا هو مع معرفته وشفقته من الساعة لا يرجع عن شهوته وشفقته من أجل ما يصير إليه مع ما نراه من

المخالفة منا. رأى بعضهم رجلاً يضرب رأس حمار له فنهاه عن ذلك فقال له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب.

والإنسان خلق في المعارف الضرورية والشهوة والعقل، فبعقله يرد شهوته، ومما اقتناه آدم عليه السلام في معصيته وسفره من أسماء ربه ومن آثارها ومشاهدها التي لم تكن قبل ذلك يعرفه وهو الغافر المغفرة وإن كان الغفور فمن أجل أن معصيته شديدة بالنسبة إلى مقامه يقتضي ما تقتضيه مائة ألف معصية من غيره مثلاً، وهو سبحانه في حق هذا الغير غفور، فقد يكون غفوراً في حق آدم من هذا الوجه وغافراً من كونها مخالفة واحدة، وربما وقعت بتأويل منه، ولو نسي النهي ما عوقب أصلاً وإنما نسي ما ذكرناه وكذلك اقتناء الاجتباء والتوبة والاستغفار والعفو والخوف والأمن الوارد عقيب الخوف فإنه أشد لذةً من الاستصحاب، وكذلك نتج له هذا السفر معرفة التركيب والإنشاء والتحليل فعرف من ذلك نشأة بنيته بتعاقب الأدوار شيئاً بعد شيء بخلاف تكوين الجنة فإنه دفعه في حق الناظر، وأن الهم مصروف في الجنة لمجرد اللذة والنعيم، والهم في الدنيا مصروف إلى الزيادة من العلم والبحث عنه، فلهذا يعرف من هنا ما لا يعرفه من هناك فينتج له سفره من مثل هذا كثيراً، والأسفار كثيرة، وأخاف من التطويل، وهذا السفر للآدمي يحوي على كثير يحتاج أن يفرد له ديوان، كذلك كل سفر ذكرناه ونذكره في هذا الكتاب فألحق ما سكتنا عنه بما تكلمنا عليه ما يناسب ترشد إن شاء الله.

سفر النجاة

وهو سفر نوح عليه السلام

لما عرف نوح عليه السلام أن القرآن الذي قدره الله وأجراه حكمه قد قرب وقته ورأى أن ذلك يكون في برج السرطان وهو مائي وهو البرج الذي خلق الله الدنيا به وهو منقلب غير ثابت، ولما كان البرج بهذه الصفة فكان طالع الدنيا به شاء الحق بفنائها وانقلابها إلى الدار الآخرة مثل طالعها وهو الأسد برج ثابت، وهذه حكمة عليم، فأخذ نوح عليه السلام ينشئ السفينة و لم يكن آيته ﷺ في القرآن ولا في الطوفان، فإنه ربما أدرك علم ذلك بعض أصحابه من العلماء فشورك فيه فجعل آيته التنور، ولو قال بالقرآن لكان علماً لا علامة ولا آية، ولهذا سخر به قومه.

وربما سخر به أصحاب علم التعاليم من أهل عصره حتى كان من أمره ما كان وخلف ابنه لكونه عملاً غير صالح فكان من المغرقين، وسافر نوح بأصحابه وجعل في السفينة من كل زوجين اثنين ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[هود: ٤١]، بعدما فار التنور وألقت الحاملات حملها فجمع له في الإهلاك بين المائين ماء الأرض وماء السماء، و لم تزل تجري بهم السفينة في موج كالجبال ونوح عليه السلام ينادي ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، والابن ينادي ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]، ونوح عليه السلام يقول: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾[هود: ٤٣]، وهم أهل السفينة فإن دعاءه ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، سبقت وأجيبت فغرق من آوى إلى الجبل وكل من لم يكن في السفينة ثم جاء النداء من الغيب من الهواء، فإنه لم يذكر المنادي نفسه فيه، وجاء بالقول دون النداء للقرب فبلعت الأرض ماءها وأقلعت السماء وانتقص الماء واستوت سفينة النجاة على الجودي إشارة إلى الجود الإلهي وقال هذا القول من هذا المقام: ﴿بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: ٤٤]، وهم الذين

سخروا، فاعلم أن الله عز وجل أنهى السر اللطيف الذي أقامه الحق في هذه المنزلة منزلة نبيه نوح عليه السلام قد سوى سفينتك وصنعها بيديه ووحيه، وكانت عند وحيه بعينه، يعني محفوظة بحيث أراها، يقول الله تعالى: "فمن أنت حتى ينزل الحق لك هذا النزول ولا سيما من مقام الإنابة".

ثم إن نفسك الأمارة بالسوء وشيطانك ودنياك وهواك لم يزالوا يسخرون بك ما دمت تنشئ هذه السفينة نشأة النجاة، والتنور محل النار إلى جانبك لا يقول لهم منه يخرج الماء وهم قد تحققوا أن المقابل من جميع الوجوه لا يستحيل لمقابله أصلاً فسخروا وقالوا إنك ناقص العقل فما فرقوا بين محل النار والماء، وذلك لجهلهم بجوهر العالم وصوره، فلو علموا أن النار صورة في الجوهر والماء أيضاً صورة في الجوهر لما سخروا.

وإنما تخيلوا أن الماء جوهر وأن النار جوهر ثم تقابلا تقابلاً فأحالوا ما قال وسخروا منه وأنت مشتغل بإنشاء سفينتك أي سفينة نجاتك واستعدادك لأمر الله تعالى عن أمر الله وهو الأنا فقل للساخرين إنهم إن هلكوا في شيء فهم لما هلكوا فيه لا يخرجون منه أبداً، وزيادة فاركب في سفينتك بالباء التي هي اسم الله وأقم ألف التوحيد بين الباء وسين باسم فإنك لا ترى في هذه الرحمن الرحيم. فنحن نتخلف عن سفينتك فإن جريانها بالباء وهي الحافظة، وبالباء مرساها بساحل الجود الإلهي فإن بالجود ظهر الوجود فظهر بالجودي ما كان في السفينة، وألق في سفينتك من كل زوجين اثنين للتوالد والتناسل فإن تضرب العالم العلوي في العالم السفلي تتكون أنت والمولدات كلها، فلا بد من تحصيل الزوجين في هذا السفر فإنه سفر هلاك. ولما كان الماء يماثل العلم في كون الحياة عنهما حسا ومعنى لهذا أهلكوا بالماء لردهم العلم وكان من التنور لأنهم ما كفروا إلا بماء التنور وما ردوا إلا العلم الذي شافههم به على لسان تنور جسمه وما علموا أنه مترجم عن معناه الذي هو النور المطلق فانحجبوا بماء التنور عن التنور وما علموا أنه النور دخلت عليه تاء التمام النشأة بوجود الجسم فعاد تنورا أي نورا تام الملك فهو نور النار مظهره.

وأما إحالة الاستحالة فصحبهم فيما جهل وذلك لو أنهم نظروا إلى التنور لرأوه ينبع الماء منه وليس بينهما تقابل من جميع الوجوه فإن البرودة جامعة فقد جهلوا سر الله في الطبيعة وسر الله في اختصاص التنور فهلكوا وما هلك كل من شافهه بالخطاب إلا بماء التنور خاصة لأنهم ما ردوا سواه وسائر العالم إنما أهلك بماء التنور وماء السماء، وماء السماء فهو ماء الدولاب الدائر فإنه مقطر في إنبيق الزمهرير وإنه عاد إلى مأمنه انتشار وإهلاك الله عز وجل بالنار لكن هنا واسطة الرسالة فأدرج النار في الماء لما لم يكشف عن الساق فأخرج النار الرطوبات والبخارات وأخذ علوا وقد عاد النار بخارا وأخذ في الجو أخذ الدولاب إذا خرج من الماء فما زال يصعد حتى بلغ دائرة الزمهرير فتقاطر مطرا بتقدير العزيز العليم فليست إلا دوائر التقدير في كرة الإنشاء لا تزال أبدا في الدنيا ولا في الآخرة فنتج هذا السفر وقف الحكمة الإلهية مع القدرة النافذة في التناسل على الزوجين ونتج له أن الإلهية إذا لم تكن علوية فليست بصحيحة النسب عليه ونتج له أن الجود علة تكون النجاة ألا ترى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يدعو على قومه بالهلاك دعا عليهم بالبخل فلما بخلو هلكوا وتبين أن كل كون في العالم لا بد أن يتوجه عليه القول فتارة يغيب الغيب إذا جاء القول على بناء ما لم يسم فاعله مثل: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]، وقيل بعدا ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤]، وتارة بالأنا كقوله إذا قلنا وتارة

بالألوهية مثل قال الله وتارة بالربوبية مثل قال ربك فكل قول بحسب الاسم الذي يضاف إليه فمن سافر سفر نوح فإنه سيعرف من العلوم البرزخية والكونية شيئا وفي هذا السفر يتعلم الصنعة ولهذا أخَّرها الجود فإنها من أجل الجود وجدت ويكفي هذا القدر من سفر نوح فإن سره يطول.

سفر الإقبال وعدم الالتفات

وهو سفر لوط إلى إبراهيم الخليل عليه السلام واجتماعه به في اليقين

الخبر المروي في ذلك معلوم محفوظ عند العلماء وروحه فينا هو المطلوب لنا في الاعتبار.

اعلم أن اسم لوط أعني هذه اللفظة اسم شريف جليل القدر لأنه يعطي اللصوق بالحضرة الإلهية ولهذا قال: ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود: ٨٠]، يريد القبيلة لأني لا أستطيع الانتقال من الركن الإلهي إلى الركن الكوني وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال: "يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد"، فنعم الشاهد والمشهود له فلاستناده إليه ولصوقه به في علم الله سمي لوطا لم يضف إلى غيره وجعل له السرى لأنه سفر في الغيب إذ لفظ السرى لا يطلق إلا على سير الليل ففي الاعتبار لا في التفسير قيل له أسر بأهلك أي بجميع ذاتك فشاهد الحقائق كلها إلا امرأتك فاعتبرناها فينا الأمر بترك نفسه الأمارة بالسوء التي لا حظ لها في المعارج العلى المعنوية وسار إلى اليقين وهو موضع معروف سمي بهذا الاسم وفيه كان ينتظره إبراهيم الخليل عليه السلام لأنه موطنه ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: "نحن أولى بالشك من إبراهيم في اليقين"، فحصل ذلك المقام للنبي لوط عليه السلام وفي الصبح جاء اليقين له لأنه طلوع الشمس وكشف الأشياء عينا بعدما كانت غيبا فأعطت اليقين بلا شك ولا ريب.

فهذا أنموذج من ذلك أي حظنا من سفر لوط وكذلك كل سفر أتكلم فيه إنما أتكلم فيه في ذاتي لا أقصد التفسير تفسير القصة الواقعة في حقهم وإنما هذه الأسفار قناطر وجسور موضوعة نعبر عليها إلى ذواتنا وأحوالنا المختصة بنا فإن فيها منفعتنا إذ كان الله نصبها معبرا لنا: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ﴾[هود: ١٢٠]، فما أبلغ قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ﴾، وقوله: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾، لما فيك وما عندك بما نسيته فيكون هذا الذي قصصته عليك يذكرك بما فيك وما نبهتك عليه فتعلم أنك على كل شيء وفي كل شيء ومن كل شيء.

سفر المكر والابتلاء

في ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام

اعلم أنه إذا أكرم الله عبدا سافر به في عبوديته يقول عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[الاسراء: ١]، فما سماه إلا بأشرف أسمائه عنده لأنه ما تحسن عبد بحسن أحسن ولا أزين من حسن عبوديته لأن الربوبية لا تخلع زينتها إلا على المتحققين بمقام العبودية:

يا مشبها يوسف في حسنه	رفقا على مشبه يعقوب
إن له صبرا على نائكم	يقصر عنه صبر أيوب
لولا لحوق النقص قلنا رضى	وإنه ليس بمطلوبي
وإنما مطلبي منه الذي	يعلمه فذاك مرغوبي
فالأمر ما بيني وبين الذي	أسأله الوصل بمحبوبي

واعلم أن الذين تحققوا مقام العبودة تعرض لصاحبه للبلاء ثم إن من شأن هذا الموطن أنه لا يكمل فيه عز لأحد ولا راحة ولما وهب الله عز الحسن يوسف عليه السلام ابتلي بذل الرق ومع ذلك الحسن العالي الذي لا يقاومه شيء بيع بثمن بخس دراهم معدودة من ثلاثة دراهم إلى عشرة لا غير وذلك مبالغة في الذلة تقاوم مبالغته عزة الحسن.

ثم سلب الرحمة من قلوب الإخوة والحسن مرحوم أبدا بكل وجه فظهر أن الأمر الإلهي لم يكن بيد الخلق منه شيء سوى التصريف تحت القهر فزال بهذا الذل العظيم عن ذلك الحسن العرضي فبقي في سفره طيب النفس عزيزا بالعزة الإلهية لا غير والقصة معروفة فلا معنى لذكرها في عالمها ولكن الفائدة في ذكرها في عالمنا أعني العالم الإنساني في نفسه فاعلم أن الله تعالى لما أراد من النفس المؤمنة أن تسافر إليه اشتراها من إخوتها الأمارة واللوامة بثمن بخس من عرض العاجلة وحال بينها وبين العقل الذي هو أبوها فبقي العقل حزينا لا تفتر له دمعة فإن الإلهام الإلهي والإمداد الرباني إنما كان لهذا النفس وكان العقل يتنزه في الحضرة الإلهية بوجود هذه النفس فلما حيل بينه وبينها لم يزل يبكي حتى كف بصره وذلك أن البصر وإن لم يكن مكفوفا صاحبه فإن الظلمة إذا تكاثفت وحجبت المبصرات صار صاحب البصر أعمى وإن كان البصر موجودا يبصر به الظلمة ولما كان الحزن نارا والنار تعطي الضوء لذلك قيل: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾[يوسف: ٨٤]، فجاء بالبياض فإن البياض لون جسماني كما أن الضوء نور روحاني.

ثم إنه لما وقع البيع وحصل في الملك قيل للمرأة التي هي عبارة عن النفس الكلي ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١]، فمن كرامتها به أن وهبت نفسها له، ورأته النفوس الجزئية خارجا عنها فقالت: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾[يوسف: ٣١]، لما رأته من تقديسه نفسه عن الشهوات الطبيعية، وهذا مما يدلك على عصمته من أن يهم بسوء، فإن الملك ليس من السوء في شيء، ولهذا صوبت النفس الكلي قولهم لها فاستعصم ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ﴾[يوسف: ٣٢]، فعندما هم بها ليأخذ منها ما أودع الله من الحقائق فيها من غير أمر إلهي له بذلك غار الحق أن يتصرف عبده في شيء من غير أمره فأظهر له في سره برهان عبوديته فتذكر عبوديته فامتنع من التصريف بغير أمر سيده فحبسته النفس في سجن هيكله، فلم يزل يناجي في سره سيده بالعبودة حتى أقرت النفس أنها الطالبة لا هو فأثبت له السيد الحفظ والأمانة، ولو هم بسوء لم يكن أمينا، ولو فعل لم يكن حفيظا، ولهذا قال ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ [يوسف: ٢٤]، والهم بالسوء من السوء وهو مصروف عنه أعني السوء فلم يكن يهم بسوء فولّاه الملك والسيادة بدلا من العبودية الكونية الظاهرة التي كان فيها قبل ذلك.

ثم أجدب محل العقل الذي هو الأب وسمع بالرخاء الذي في مدينة ابنه وهو لا يعلم أنه ابنه لأنه أعمى فبعث إليه بالرحم المتصلة لينيله شيئا مما أمن عليه فبعث إليه بثوبه الذي فيه رائحته وهو على صورته فلما استنشق الرائحة وألقاه على وجهه أبصر قميصه فأخذ في الرحلة إليه ابتداء في عز يناقض سفر ابنه فلما دخل عليه سجد لأنه معلمه الذي يهبه من الله ما تقوم به ذاته ويتنعم به وجوده فقد تبين أن النفس هنا بمنزلة يوسف بوجوده.

أحدها ما ذكرناه من وقوع البيع والشراء ومنها قوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾[يوسف: ١٠١]، والملك فيه المطيع والعاصي والموافق والمخالف وفي النفس قيل: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾[الشمس: ٨].

ومنها أيضا قوله: ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾[يوسف: ١٠١]، وقال: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾[يوسف: ١٠٠]، والرؤيا إنما تكون من عالم الخيال وهو العالم الوسط وهو بين عالم العقل وعالم الحس، وكذلك النفس بين عالم العقل وبين عالم الحس فتارة تأخذ من عقلها وتارة تأخذ من حسها هكذا ولهذا دفعت المرأة لغلبة الأنوثة وإن كان تأنيثها غير حقيقي مع ذلك الحس، فلو كانت الذكورية لم تدفع للنفس من أجل المودة والرحمة التي يسكن بها الذكر للأنثى والأنثى للذكر بخلاف الأنثى للأنثى والذكر للذكر فإن المودة لا تثبت بينهما ولولا الشبه الذي ظهر في الغلمان بالإناث ما حن إليهم أحد فالحنان إنما وقع على الحقيقة للأنثى إما بالحقيقة أو بالشبه ولهذا إذا بقل وجه الغلام وطر شاربه رحلت المودة والرحمة التي كانت توجب السكون إليه ولهذا قيل:

وقالوا العذار جناح الهوى ... إذا ما استوى طار عن وكره

هذا البيت أنشدنيه، قائله وهو الكاتب الأديب أبو عمرو بن مهيب بإشبيلية، عمله في حمو بن إبراهيم بن أبي بكر الهدنجي وكان أجمل أهل زمانه رآه عندنا زائرا وقد خط عذاره فقلت له يا أبا عمرو أما ترى إلى هذا الحسن الوجه فعمل الأبيات في ذلك وهي:

وقالوا العذار جناح الهوى ... إذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذاك فخيرهم ... قياما لعذري أو عذره
إذا كمل الحسن في وجنة ... فخاتمه ويك من شعره

وقد ورد أن في وجوه الغلمان لمحات من الحور العين فيا أيتها النفس المنيعة احذري في سفرك أن تغفلي عما يجب لسيدك من الوقوف عند حدوده والحفظ لحرمه فإنك إذا فعلت ذلك سينيلك حرمته بحرمته ويهبك نعمته بنعمته.

سِفر السعي على العائلة

لقد فزت بالسعي الجميل على أهلي ... بربي فجلى لي العناية في شغلي
فلولاهم، ما كنت عبداً مقرباً ... ولا كنت من أهل السيادة والفضل
ولا سلكت نفسي إذا ما زجرتها ... عن الشغل بالأكوان في أقوم السبل
وكنت من المختار في ظل عرشه ... إذا كانت الأنصار تأتي مع الرسل

قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾[طه: ١٠] فانظر ما أعجب قوة النبوة لأنه وجد الهدى، وهذا يدلك على أنه ما قطع فيما أبصر أنه نار ولا بد، وكل نار فهو نور إذا اشتعل، والأنوار محرقة بلا شك في الأجسام القابلة للاحتراق والاشتعال، ورد في الخبر الصحيح (لأحرقتْ سبحات وجه ما أدركه بصره من خلقه) والسبحات الأنوار، وأخبر أن السبحات تبلغ أشعتها مبلغ ناظر العين في الإدراك.

واعلم أن الأمر الواحد قد تكون له وجوه مختلفة من كونه كذا عنه كذا ومن كونه كذا أي حكم آخر يكون عن ذلك أمر آخر، فالأمر من كونه يرى ما هو من كونه يعلم ومن كونه ما هو من كونه يسمع وإن كان الأمر الذي يدرك به أمر واحد في عينه وتختلف تعلقاته فنقول فيه بالنظر إلى الأمر الواحد أنه يسمع بما به يبصر بما به يتكلم إلى غير ذلك، وبعض النظار يجعل لكل حكم إدراكا خاصا

غير الإدراك الآخر فتعدد، وإنْ كنا لا نقول بذلك ولكن سقناه ليعلم السامع أنا قد علمنا أن ثم من يقول بهذه المقالة، وإنْ كنا لا نرتضيها وإنما اختلف التعلقات لاختلاف المتعلَّق لا لاختلاف المتعلِّق اسم فاعل:

فــــالعين واحــــدة والحكــــم مختلــــف	**والقـــــائلون بـــــذا قـــــوم لهـــم نظــــر**
الله أعظـــــم أن تـــــدرى مقاصـــــده	**فـــي خلقـــه بـــل لـــه الآيـــات والعبـــر**
جـــل الإلــــه فـــلا عقـــل يحصـــله	**وعـــز قـــدراً فمـــا يحظـــى بـــه بشـــر**
لكـــن لـــه صـــور فينـــا محققـــة	**جـــاء الخطـــاب بهـــا فـــي ضـــمنها صـــور**
تعنـــو لصـــورة مـــن يعـــزى لـــه صـــور	**فمـــا تـــرى صـــوراً إلا لهـــا ســـور**

واعلم أن كل خير في السعي على الغير، والسعي على الأهل من ذلك، وشرف الأهل بشرف من يضاف إليه ورد في الحديث في أهل القرآن أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، فما أعظم أجر من سعى في حق الله إلا من أجل الأهلية فافهم. إذا كانت عناية الله بأهل البيت النبوي المحمدي ما ذكر الله في كتابه لنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال الفراء لما سئل عن الرجس ما هو؟ قال: القدر، فإذا كان الله تعالى مع أهل بيت النبوة يريد ذهاب الرجس وحصول التطهير فما ظنك بأهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، فالحمد لله الذي جعلنا منهم، وأقل الأهلية في ذلك حمل حروفه محفوظة في الصدور، فإن تخلق بما حمل وتحقق به وكان من صفاته فبخ على بخ.

تم كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار

كتاب الوصايا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من وصايا سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي رضي الله عنه وأرضاه.

قال: الذي أوصيك به أيها الأخ الإلهي أيدك الله بروح منه حتى تخبر به عنه أن تعرف الحق سبحانه وتعالى من حيث ما أخبرك به عن نفسه أنه عليه مع اعتمادك على ما اقتضاه البرهان الوجودي مما ينبغي أن يكون الحق عليه سبحانه من التنزيه والتقديس فتجمع بين العلم الذي أعطاك الإيمان وبين العلم الذي اقتضاه الدليل العقلي ولا تطلب الجمع بين الطريقين بل خذ كل طريقة على انفرادها واجعل الإيمان لقلبك بما أعطاك من معرفة الله بمنزلة البصر لحسك بما أعطاك من معرفة ما تقتضيه حقيقته واحذر أن تصرف نظرك الفكري فيما أعطاكه الإيمان فتحرم عين اليقين فإن الله أوسع من أن يقيده عقل عن إيمان أو إيمان عن عقل وإن كان نور الإيمان يشهد العقل من حيث ما أعطاه فكره بصحة ما أعطاه من السلوب ولا يشهد نور العقل من حيث فكره بصحة ما أعطاه نور الإيمان والكشف لكن نور العقل به يكون القبول الخارج عن الفكر يشهد بصحة ما أعطاه الكشف والإيمان:

للشـــــرع نـــــور وللألبــــاب ميــــزان	**والشـــــرع للعقـــــل تأييـــــد وســـــلطان**
والكشـــــف نـــــور ولكـــــن لـــيس تدركـــه	**إلا عقـــول لهـــا فـــي الـــوزن رجحـــان**

واعلم يا أخي أن العقول بأسرها الملكية والبشرية بل العقل الأول الذي هو أول موجود في عالم التدوين والتسطير قد علمت قصورها وجهلها بحقيقة ذات باريها وأنها ما تعرف من هذه الذات المنزهة إلا قدر ما يطلب العالم ومنها من المناسبة وتلك صفات الإله فما عرفت سوى المرتبة فاشتركت العقول البليغة والقاصرة في هذا الجهل والقصور وما عدا هذه المعرفة فهو العلم بما سوى الله والعلم بما سوى الله لا حاجة لنا به أعني الحاجة المهمة التي بحصولها يكون كمال النفس فإن الصفة النفسية التي لهذه الذات المنزهة من المحال أن تكون سوى واحدة وهي عين الذات وتعينها من حيث الإثبات محال فالعلم لها محال فإنها ذات لا تقبل التركيب فتعالت عن الفصول المقومة لها.

فإذا كان الأمر على ما ذكرناه فلم يبق إلا التهيؤ لما يكون منه من حيث الوهب الإلهي فإن القوى لا تعطي إلا ما فيها وجميع ما فيها تابع لها في الخلق فمحال أن تعلم موجدها علمه بنفسه فإذا هيأت المحل للتجلي الإلهي فهو أكمل ما يحصل من العلم وهو علم عقول الملائكة والأنبياء والخواص من عباد الله من المجردين والهياكل النورانية فلا تتعب خاطرك في التفكر في العلم بالله قال الله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[آل عمران: ٣٠]، وقال عليه السلام: "لا تتفكروا في ذات الله"، فالشغل بما لا يوصل إليه تضييع لما يستحقه الوقت.

واعلم يا أخي أنه ما انتقش من العلم الإلهي في العالم إلا قدر ما هو العالم عليه إلى يوم القيامة علوا وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾[فصلت: ١٢]، وسفلا وهو قوله تعالى حين ذكر الأرض: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾[فصلت: ١٠]، فإذا صفت النفس وصقلت مرآتها فلا تقابل بها العالم ليحصل فيها

وينتقش فيها ما في العالم بأسره فإنه لا فائدة فيه ولكن قابل بها الحضرة الذاتية من حيث ما تعلم نفسها مقابلة افتقار وتعرية ليهبها الحق من معرفته ما لا يمكن حصوله إلا بهذه الطريقة وهذا القدر من العلم ما هو مما ينتقش في العالم الخارج عنك فإن قيل لك فقد انتقش في اللوح المحفوظ جميع ما يكون إلى يوم القيامة وقد علمه القلم الذي هو العقل الأول وهذا الحاصل لك هو مما في العالم فكيف الأمر؟

قلنا ما انتقش في اللوح المحفوظ ولا سطر القلم فيه إلا العلوم التي تنقال ويأخذها النقل وأما ما لا ينقال مما يعطيه التجلي الذي أردناه هنا فما انتقش في العالم أصلا وحصوله في الإنسان إنما هو من الوجه الخاص الإلهي الذي لكل موجود وهو خارج عن علم العقل الأول وغيره مما هو دونه فاعلم ذلك.

واعلم أن السبب الموصل إلى نيل ما ذكرناه تفرغ الخاطر والقلب من كل علم ومن الفكر المطلوب لاقتناء العلوم ومحو ما كتب ونسيان ما علم والجلوس مع الله على الصفا وتجريد الباطن من التعلق بغير ذات الحق جل جلاله على ما هو عليه من الإطلاق لا تجالسه على شيء معين فإن فعلت وعينت وفتح عليك لم يحصل سوى ما عينت وليكن هجيرك في جلوسك بباطنك الله الله من غير تخيل بل بتعقل الحروف لا بخيلها ولا تنتظر الفتح الإلهي بواسطة هذا الجلوس وهذا الحال بل اذكره مثل هذا الذكر الذي يستحقه جلاله من إيثارك إياه من حيث هو لا من حيث علمك به أو عقيدتك بل بجهل عام ثم إنه إن فتح لك بابا من أبواب العلم به مما لم يتقدمك فيه ذوق وأتاك بلسان روح قدسي فلا ترده ولا تقف عنده واشتغل بما كنت عليه فإن اختلفت الأذواق بلسان الأرواح المجردة فلتكن حالك معها حالك مع الروح الأول إلى أن يقدح لك في باطنك ما هو خارج عن أذواق الملأ الأعلى و لم تشم في ذلك رائحة واسطة روح أقدس فانظر أيضا ذلك الذوق الغريب فإن دل على اسم إلهي من هذه الأسماء التي بأيدينا سواء كان اسم تنزيه أو غير تنزيه فليكن حالك مع هذا الذوق حالك مع أذواق الأرواح ولا فرق فإن وجدت ذوقا يحيرك ولا تقدر على دفعه وتجد مع تلك الحيرة تفريقا فلتكن حالك مع تلك الحيرة حالك مع الأرواح والأسماء سواء فإن وجدت ذوقا يحيرك وتجد مع الحيرة سكونا لا تقدر على دفعه فذلك المطلوب فعليه فليعتمد فإن وجدت قدرة على دفع ذلك السكون فلا تعتمد على ذلك السكون فإن تقيد لك الذوق في نفسك مرتين بينهما تمييز حتى تعلم أن قد كان ذلك مرتين فما هو المطلوب فلا تعتمد عليه فإذا تخلصت من كل ما ذكرناه فإن رددت إليك والى عالم الحس علمت من أين نطقت الرسل وتنزلت الكتب والصحف وعلمت ما بقي من الأبواب مفتوحا وما سد منها ولماذا سد منها وعلمت ما تقول وما يقال لك ورزقت الفهم عن كل شيء وأنكرت المعروف وعرفت المنكور وأنكرت المنكور وعرفت المعروف وكنت أعلم الخلق بأنك أجهل الخلق و لم يبق لك من الهجير إلا ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، فيه تحيا وفيه تموت فقد دللتك على ما فيه سعادتك في الدارين وما يؤول إليه نفوس العارفين في النشأتين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

كتاب حلية الأبدال

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أنعمت فزد

فصل في الصمت

الصمت على قسمين صمت باللسان عن الحديث بغير الله تعالى مع غير الله تعالى جملة واحدة وصمت بالقلب عن خاطر يخطر له في النفس في كون الأكوان البتة فمن صمت لسانه و لم يصمت قلبه خف وزره ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلى له ربه ومن صمت قلبه و لم يصمت لسانه فهو ناطق بلسان الحكمة ومن لم يصمت بلسانه ولا بقلبه كان مملكة للشيطان ومسخرة له فصمت اللسان من منازل العامة وأرباب السلوك وصمت القلب من صفات المقربين أهل المشاهدات وحال صمت السالكين السلامة من الآفات وحال صمت المقربين مخاطبات التأنيس.

فمن التزم الصمت في جميع الأحوال كلها لم يبق له حديث إلا مع ربه فإن الصمت على الإنسان محال في نفسه فإذا انتقل من الحديث مع الأغيار إلى الحديث مع ربه كان نجيا مقربا مؤيدا في نطقه إذا نطق نطق بالصواب لأنه ينطق عن الله قال تعال في حق نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، فالنطق بالصواب نتيجة الصمت عن الخطاء والكلام مع غير الله خطأ بكل حال ولغير الله شر من كل الوجوه قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[النساء: ١١٤]، ولكمال شروطها قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة: ٥]، ولحال الصمت مقام الوحي عن ضروبه والصمت يورث معرفة الله تعالى.

فصل في العزلة

العزلة سبب لصمت اللسان فمن اعتزل عن الناس لم يجد من يحادثه فأداه ذلك إلى الصمت باللسان والعزلة على قسمين عزلة المريدين وهي بالأجسام عن مخالطة الأغيار وعزلة المحققين وهي بالقلوب عن الأكوان فليست قلوبهم مجالاً لشيء سوى العلم بالله تعالى الذي هو شاهد الحق فيها الحاصل من المشاهدة وللمعتزلين نيات ثلاثة نية اتقاء شر الناس ونية اتقاء شر المتعدي إلى الغير وهو أرفع من الأول فإن في الأول سوء الظن بالناس وفي الثاني سوء الظن بنفسه وسوء الظن بنفسك أولى لأنك بنفسك أعرف ونية إيثار صحبة المولى من جانب الملأ الأعلى فأعلى الناس من اعتزل عن نفسه إيثارا لصحبة ربه فمن آثر العزلة على المخالطة فقد آثر ربه على غيره ومن آثر ربه لم يعرف أحد ما يعطيه الله تعالى من المواهب والأسرار فأنه لا تقع العزلة أبدا في القلب إلا من وحشة تطرأ على القلب من المعتزل عنه وأنس المعتزل إليه وهو الذي يسوقه إلى العزلة فكانت العزلة تغني عن شرط الصمت فإن الصمت لازم لها فهذا صمت اللسان.

وأما صمت القلب فلا تعطيه العزلة فقد يتحدث الواحد في نفسه بغير الله تعالى مع غير الله تعالى فلهذا جعلنا الصمت ركنا من الأركان في الطريق قائما بنفسه فمن لازم العزلة وقف على أسرار

الوحدانية الإلهية وهذا ينتج له من المعارف والأسرار أسرار الأحدية التي هي الصفة وحال العزلة التنزيه عن الأوصاف البشرية سالكا كان المعتزل أو محققا وأرفع أحوال العزلة الخلوة فإن الخلوة عزلة في العزلة فنتيجتها أقوى من نتيجة العزلة العامة فينبغي للمعتزل أن يكون صاحب يقين مع الله تعالى حتى لا يكون له خاطر متعلق خارجا عن بيت عزلته فإن حرم اليقين فليستعد لعزلته قوته زمان عزلته حتى يتقوى يقينه بما يتجلى له في عزلته لا بد من ذلك هذه شرط محكم من شروط العزلة والعزلة تورث معرفة الدنيا.

فصل في الجوع

الجوع هو الركن الثالث من أركان هذا الطريق الإلهي وهو يتضمن الركن الرابع الذي هو السهر كالعزلة تتضمن الصمت والجوع جوعان جوع اختيار وهو جوع السالكين وجوع اضطرار وهو جوع المحققين فإن المحقق لا يجوع نفسه ولكن قد يقلل أكله إن كان في مقام الأنس فإن كان في مقام الهيبة كثر أكله فكثرة الأكل للمحققين دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلوبهم بحال العظمة في مشهودهم وقلة الأكل دليل على صحة المحادثة بحال المؤانسة من مشهودهم وكثرة الأكل للسالكين دليل على بعدهم من الله وطردهم عن بابه واستيلاء النفس الشهوانية البهيمية بسلطانها عليهم وقلة الأكل لهم دليل على نفحات الجود الإلهي على قلوبهم فيشغلهم ذلك عن تدبير جسومهم والجوع بكل حال ووجه سبب داع للسالك والمحقق إلى نيل عظيم الأحوال للسالكين والأسرار للمحققين ما لم يفرط تضجر في الجائع فإنه إذا أفرط أدى إلى الهوس وذهاب العقل وفساد المزاج فلا سبيل للسالك أن يجوع الجوع المطلوب لنيل الأحوال إلا عن أمر شيخ وإما وحده فلا سبيل، لكن يتعين على السالك اذا كان وحده التقليل من الطعام واستدامة الصيام ولزوم أكلة واحدة بين الليل والنهار وأن يغبَّ بالإدام الدسم فلا يأتدم في الجمعة سوى مرتين إن أراد أن ينتفع به حتى يجد شيخا فإذا وجده سلم أمره إليه وشيخه يدبر حاله وأمره إذ الشيخ أعرف بمصاله منه وللجوع حال ومقام فحالة الخشوع والمسكنة والذلة والافتقار وعدم الفضول وسكون الجوارح وعدم الخواطر الردية هذا حال الجوع للسالكين وأما حاله في المحققين فالرقة والصفاء والمؤانسة وذهاب الكون والتنزه عن الأوصاف البشرية بالعزة الإلهية والسلطان الرباني ومقامه المقام الصمداني وهو مقام عال له أسرار وتجليات وأحوال ذكرناها في كتاب مواقع النجوم في عضو القلب، ولكن في بعض النسخ فإني استدركته فيه بمدينة الجابية سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وكان قد خرجت منه نسخ كثيرة في البلاد لم يثبت فيها هذا المنزل، فهذا فائدة الجوع لصاحب الهمة لا جوع العامة فإن جوع العامة جوع صلاح المزاج وتنعيم البدن بالصحة لا غير والجوع يورث معرفة الشيطان عصمنا الله وإياكم منه.

فصل في السهر

السهر نتيجة الجوع فإن المعدة إذا لم يكن فيها طعام ذهب النوم والسهر سهران سهر العين وسهر القلب فسهر القلب انتباهه من نومات الغفلات طلبا للمشاهدات وسهر العين رغبة في بقاء الهمة في القلب لطلب المسامرة فإن العين إذا نامت بطل عمل القلب فإن كان القلب غير نائم مع نوم العين فغايته مشاهدة سهره المتقدم لا غير وأما أن يلحظ غير ذلك فلا ففائدة السهر استمرار عمل القلب

وارتقاء المنازل العلية المخزونة عند الله تعالى وحال السهر تعمير الوقت خاصة للسالك والمحقق غير أن المحقق في حالة زيادة التخلق الرباني لا يعرفه السالك وأما مقامه فمقام القيومية وربما بعض أصحابنا منع أن يتحقق أحد بالقيومية وبعضهم منع من التخلق بها لقيت إذاً أبا عبدالله بن جنيد فوجدته يمنع من ذلك وأما نحن فلا نقول بذلك فقد أعطتنا الحقائق أن الإنسان الكامل لا يبقى له في الحضرة الإلهية اسم إلا وهو حامل له ومن توقف من أصحابنا في مثل هذه المسألة فلعدم معرفه بما هو الإنسان عليه في حقيقته ونشأته فلو عرف نفسه ما عسر عليه مثل هذا والسهر يورث معرفة النفس تمت أركان المعرفة إذ المعرفة، تدور على تحصيل الأربعة المعارف معرفة الله والنفس والدنيا والشيطان فإذا اعتزل الإنسان عن الخلق وعن نفسه وصمت عن ذكره بذكر ربه إياه وأعرض عن الغذاء الجسماني وسهر عند موافقة نوم النائمين واجتمعت فيه هذه الخصال الأربعة بدلت بشريته ملكا وعبوديته سيادة وعقله حسا وغيبه شهادة وباطنه ظاهرا إذ ترحل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية يجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الولي فإن ظهر شوق من أناسي ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركتها بدله فكلمها وكلمته وهو يتخيل أنه مطلوبه وهو غائب عنه حتى يقضي حاجته وقد تتجسد هذه الروحانية إن كان من صاحبها شوق أو تعلق همة بذلك الموطن وقد يكون هذا من غير البدل والفرق بينهما أن البدل يرحل ويعلم أنه ترك بدله وغير البدل لا يعرف ذلك وإن تركه لأنه لم يحكم هذه الأربعة الأركان التي ذكرناها وفي ذلك قلت :

يا من أراد منازل الأبدال ... من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن بها فلست من أهلها ... إن لم تزاحمهم على الأحوال
واصمت بقلبك واعتزل كل من ... يدنيك من غير الحبيب الوالي
فإذا سهرت وجعت نلت مقامهم ... وصحبتهم في الحال والترحال
بيت الولاية قسمت أركانه ... ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه العالي

والله يوفقنا وإياكم لاستعمال هذه الأركان وينزلنا وإياكم منازل الإحسان إنه هو الولي المنان والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم كتاب حلية الأبدال

كتاب نقش الفصوص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم بارك عَلَيّ وتممه

فص-١- حكمة إلهية في كلمة آدمية

اعلم أنّ الأسماء الحسنى تطلب بذواتها وجود العالم. فأوجد الله العالم جسدا مسوّى وجعل روحه آدم عليه السلام وأعني بآدم وجود العالم الإنساني ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، فإنّ الروح هو مدبّر البدن بما فيه من القوى، وكذلك الأسماء للإنسان الكامل بمنزلة القوى. ولهذا يقال في العالم، إنّه الإنسان الكبير، ولكن بوجود الإنسان فيه. وكان الإنسان مختصراً من الحضرة الإلهيّة، ولذلك خصّه بالصورة، فقال، "إنّ الله خلق آدم على صورته"، وفي رواية: "على صورة الرحمن".

وجعله الله العين المقصودة من العالم، كالنفس الناطقة من الشخص الإنساني. ولهذا تخرب الدنيا بزواله، وتنتقل العمارة إلى الآخرة من أجله فهو الأوّل بالقصد والآخر بالإيجاد والظاهر بالصورة والباطن بالسورة، أي المنزلة. فهو عبد اللّه وربّ بالنسبة للعالم. ولذلك جعله خليفة وأبناءه خلفاء. ولهذا ما ادّعى أحد من العالم الربوبيّة إلّا الإنسان لما فيه من القوّة وما أحكم أحد من العالم مقام العبودية في نفسها إلّا الإنسان. فعبد الحجارة والجمادات، التي هي أنزل الموجودات. فلا أعزّ من الإنسان بربوبيّته، ولا أذلّ منه بعبوديّته فإن فهمت فقد أبنت لك عن المقصود بالإنسان فانظر إلى عزته بالأسماء الحسنى وطلبها إياه عزته ومن ظهوره بها تعرف ذلته فافهم ومن هنا تعلم أنه نسخة من الصورتين الحق والعالم.

فص-٢- حكمة نفثية في كلمة شيثية

اعلم أن عطيات الحق على أقسام منها أنه يعطي لينعم خاصة من اسمه الوهاب وهي على قسمين: هبةٌ ذاتيةٌ، وهبةٌ أسمائية فالذاتية لا تكون إلا بتجل للأسماء وأما الأسمائية فتكون مع الحجاب ولا يقبل القابل هذه الأعطية إلا بما هو عليه من الاستعداد وهو قوله: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ [طه: ٥٠] فمن ذلك الاستعداد قد يكون العطاء عن سؤال بالحال لابد منه أو عن سؤال بالقول، والسؤال بالقول على قسمين: سؤال بالطبع وسؤال امتثال للأمر الإلهي وسؤال بما تقتضيه الحكمة والمعرفة لأنه أمير مالك يجب عليه أن يسعى في إيصال كل ذي حق إلى حقه مثل قوله: (إن لأهلك عليك حقا ولنفسك ولعينك ولزورك) الحديث

فص -٣- حكمة سبّوحية في كلمة نوحية

التنزيه من المنزه تحديد للمنزه إذ قد ميّزه عما لا يقبل التنزيه فالإطلاق لمن يجب له هذا الوصف تقييد فما ثم إلا مقيد أعلاه بإطلاقه.

واعلم أن الحق الذي طلب من العباد أن يعرفوه هو ما جاءت به ألسنة الشرائع في وصفه فلا يتعداه عقل قبل ورود الشرائع فالعلم به تنزيهه عن سمات الحدوث فالعارف صاحب معرفتين بالله: معرفة قبل ورود الشرائع ومعرفة تلقاها من الشرائع ولكن شرطها أن يرد علم ما جاءت به إلى الله فإن كشف له عن العلم بذلك فذلك من باب العطاء الإلهي الذاتي وقد تقدم في شيث.

فص -٤- حكمة قدّوسية في كلمة إدريسية

العلوّ علوّان: علوّ مكان، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥]، والعما والسما وعلوّ مكانة: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] الناس بين علم وعمل. فالعمل للمكان، والعلم للمكانة. وأمّا علوّ المفاضلة، فقوله، ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾[آل عمران: ١٣٩]﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣٥] فهذا راجع إلى تجلّيه في مظاهره، فهو في تجلّ ما أعلى منه في تجلّ آخر، مثل ﴿ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾ [الشورى: ١١]، مثل ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦] ومثل (جعت، فلم تطعمني).

فص -٥- حكمة مهيمنية في كلمة إبراهيمية

لا بدّ من إثبات عين العبد. وحينئذ يصحّ أن يكون الحقّ سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله. فعمّ قواه وجوارحه بهويّته على المعنى الذي يليق به. وهذه نتيجة حبّ النوافل وأمّا حبّ الفرائض، فهو أن يسمع الحقّ بك ويبصر بك. والنوافل تسمع به وتبصر به. فقدرك بالنوافل على قدر استعداد المحل وتدرك بالفرائض كلّ مدرك. فافهم.

فص -٦- حكمة حقية في كلمة إسحاقية

اعلم أن حضرة الخيال هي الحضرة الجامعة الشاملة لكلّ شيء وغير شيء. فلها على الكلّ حكم التصوير. وهي كلّها صدق وتنقسم قسمين: قسم يطابق لما صوّرته الصورة من خارج، وهو المعبّر عنه بالكشف وقسم غير مطابق، وفيه يقع التعبير. والناس هنا على قسمين: عالم ومتعلّم: والعالم يصدق في الرؤيا، والمتعلم يصِّدق الرؤيا حتى يعلمه الحق ما أراد بتلك الصورة التي حل له.

فص -٧- حكمة علية في كلمة إسماعيلية

وجود العالم – الذي لم يكن، ثمّ كان – يستدعى نسباً كثيرة في موجده سبحانه، أو أسما ما شئت. فقل، لا بدّ من ذلك. وبالمجموع يكون وجود العالم. فالعالم موجود عن إحدى الذات منسوب إليها أحديّة الكثرة من حيث الأسماء، لأنّ حقائق العالم تطلب ذلك منه ثمّ العالم إن لم يكن ممكنا، فما هو قابل للوجود. فما وجد العالم إلّا عن أمرين: عن اقتدار إلهيٍّ منسوب إليه ما ذكرناه وعن قبول، فإنّ المحال لا يقبل التكوين. ولهذا قال تعالى عند قوله (كُنْ)، قال (فَيَكُونُ). فنسب إلى العالم من حيث قبوله.

فص -٨- حكمة روحية في كلمة يعقوبية

الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ. ومعناه الانقياد. ومن طلب منه أمراً، فانقاد إلى الطالب فيما طلب، فهو مسلم. فافهم، فإنّه نسري والدين دينان: دين مأمور به، وهو ما جاءت به الرسل ودين معتبر، وهو

الابتداع الذي فيه تعظيم الحقّ فمن رعاه حقّ رعايته ابتغاء رضوان الله سبحانه، فقد أفلح. والأمر الإلهي أمران: أمر بواسطة، فما فيه من الأمر الإلهي إلّا صيغته واسطة، وهو الذي لا يتصوّر مخالفته. وبالواسطة قد يخالف. وليس، وأمر بلا واسطة، وإلّا لكان خاصّة، لا الموجود.

فص -٩- حكمة نورية في كلمة يوسفية

النور يَكشِفُ ويُكْشَفُ به. وأتمّ الأنوار وأعظمها نفوذا النور الذي يُكشَفُ به ما أراد الله بالصور المتجلية المرئية في النوم وهو التعبير لأن الصورة الواحدة تظهر له معاني كثيرة مختلفة يراد منها في حق صاحب الصورة معنى واحدا فمن كشفه بذلك النور فهو صاحب النور فإن الواحد يؤذن فيحج وآخر يؤذن فيسرق وصورة الأذان واحدة وآخر يؤذن فيدعو إلى الله على بصيرة والآخر يؤذن فيدعو إلى ضلالة.

فص -١٠- حكمة أحدية في كلمة هودية

غايات الطرق كلها إلى الله والله غايتها فكلها صراط مستقيم لكن تبعدنا الله بالطريق الموصل إلى سعادتنا خاصة وهو ما شرعه لنا فللأول ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فالمآل إلى السعادة حيث كان العبد وهو الوصول إلى الملائم ومن الناس من نال الرحمة من عين المنة ومنهم من نالها من حيث الوجوب ونال سبب حصولها من عين المنة، وأما المتقي فله حالان فيه وقاية لله من المذامّ وحال يكون الله له وقاية فيه وهو معلوم.

فص -١١- حكمة فتوحية في كلمة صالحية

لما أعطت الحقائق أن النتيجة لا تكون إلا عن الفردية والثلاثة أول الإفراد جعل الله إيجاد العالم عن نفسه وإرادته وقوله والعين واحدة والنسب مختلفة فقال: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ولا يحجبنك تركيب المقدمات في المنظر في المعقولات فإنها وإن كانت أربعة فهي ثلاثة لكون المفرد الواحد من الأربعة يتكرر في المقدمتين فافهم فالتثليث معتبر في الإنتاج والعالم نتيجة بلا شك.

فص -١٢- حكمة قلبية في كلمة شعيبية

اعلم أن القلب وإن كان موجودا من رحمة الله لأن الله أخبر أن قلب العبد وسعه ورحمته لا تسعه فإنها لا يتعلق حكمها إلا بالحوادث وهذه مسألة عجيبة إن عقلت وإذا كان الحق كما ورد في الصحيح يتحول في الصور مع أنه في نفسه لا يتغير من حيث هو فالقلوب له كأشكال الأوعية للماء يشكل بشكلها مع كونه لا يتغير عن حقيقته فافهم ألا ترى أن الحق ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] كذلك القلب يتقلب في الخواطر ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: ٣٧] و لم يقل عقل لأن العقل يتقيد بخلاف القلب فافهم.

فص -١٣- حكمة ملكية في كلمة لوطية

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الروم: ٥٤] فالضعف الأول بلا خلاف ضعف المزاج في العموم والخصوص والقوة التي بعده قوة المزاج، وينضاف إليه في الخصوص قوة الحال، والضعف الثاني ضعف المزاج، وينضاف إليه في الخصوص ضعف المعرفة، أي المعرفة بالله بضعفه حتى يلصقه بالتراب فلا يقدر على شيء فيصير في نفسه عند نفسه كالصغير عند أمه الرضيع ولذلك قال لوط: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود: ٨٠] يريد القبيلة ويقول رسول الله ﷺ: "يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد"، يريد ضعف المعرفة فالركن الشديد هو الحق مدبره ومربيه.

فص -١٤- حكمة قدرية في كلمة عزيرية

لله الحجة البالغة على خلقه لأنهم المعلومون والمعلوم يعطي العالم ما هو عليه في نفسه وهو العلم ولا أثر للعلم في المعلوم فما حكم على المعلوم إلا به واعلم أن كل رسول نبي وكل نبي ولي وكل رسول ولي.

فص -١٥- حكمة نبوية في كلمة عيسوية

من خصائص الروح أنه ما يمر على شيء إلا حيي ذلك الشيء ولكن إذا حيي يكون تصرفه بحسب مزاجه واستعداده لا بحسب الروح فإن الروح قدسي ألا ترى أن النفخ الإلهي في الأجسام المسواة مع نزاهة وعلو حضرته كيف يكون تصرفه بقدر استعداد المنفوخ فيه ألا ترى السامري لما عرف تأثير الأرواح كيف قبض فخار العجل فذلك استعداد المزاج.

فص -١٦- حكمة رحمانية في كلمة سليمانية

لما كانت له من حيث لا يشعر قالت بالقوة في كتاب سليمان إنه كتاب كريم وما ظهر آصف بالقوة على الإتيان بالعرش دون سليمان إلا ليعلم الحق أن شرف سليمان عظيم إذ كان لمن هو حسنة من حسناته له هذا الاقتدار ولما قالت في عرشها: كأنه هو عثور على علمها بتجديد الخلق في كل زمان فأتت بكاف التشبيه وأراها صرح القوارير كأنه لجّة وما كان لجة كما أن العرش المربي ليس عين العرش من حيث الصورة والجوهر واحد وهذا سار في العالم كله والملك الذي لا ينبغي لأحد من بعد الظهور بالمجموعة على طريق التصرف فيه تسخير الرياح تسخير الأرواح النارية لأنها أرواح في رياح بغير حساب لست محاسباً عليها.

فص -١٧- حكمة وجودية في كلمة داودية

وهب لداود فضلا معرفة به لا يقتضيها عمله. فلو اقتضاها عمله، لكانت جزاء. ووهب له فضلاً سليمان عليه السلام، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٠] وبقي قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠] هل هذا العطاء جزاء أو بمعنى الهبة؟ وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٣] ببينة المبالغة ليعمّ شكر التكليف وشكر التبرّع. فشكر التبرّع: "أفلا أكون عبدا شكورا" قول النبي ﷺ. وشكر

التكليف ما وقع به الأمر، مثل "وَاشْكُرُوا اللَّهِ" و "وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ الله". وبين الشكرين ما بين الشكورين لمن غفل عن الله. وداود منصوص على خلافته والإمامة، وغيره ليس كذلك. ومن أعطي الخلافة، فقد أعطي التحكّم والتصرّف في العالم. ترجيع الجبال معه بالتسبيح والطير توذن بالموافقة، فموافقة الإنسان له أولى.

فص -١٨- حكمة نفسية في كلمة يونسية

عادت بركته على قومه لأن الله أضافهم إليه وذلك لغضبه فكيف لو كان فيه حاله حال الرضا فظن بالله خيرا ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] يعني الصادقين في أحوالهم ومن لطفه أنبت عليه شجرة من يقطين إذ خرج كالفرخ فلو نزل عليه الذباب أذاه لما ساهمهم أدخل نفسه فيهم فعمت الرحمة جميعهم .

فص -١٩- حكمة غيبية في كلمة أيوبية

لما لم يناقض الصبر الشكوى إلى الله ولا قاوم الاقتدار الإلهي لصبره وعلم هذا منه أعطاه الله أهله ومثلهم معهم وركض برجله عن أمر ربه فأزال بتلك الركضة آلامه ونبع الماء الذي هو سر الحياة السارية في كل حي طبيعي فمن ماء خلق وبه برى فجعله رحمة له وذكرى لنا وله ورفق به فيما نذره تعليماً لنا ليتميز في الموفين بالنذر، وجعلت الكفارة في أمة محمد ﷺ لسترهم عما يعرض لها من العقوبة في الحنث، والكفارة عبادة والأمر بها أمر بالحنث إذ رأى خيراً مما حلف عليه فراعى الإيمان وإن كان في معصيته فإنه ذاكر الله فيطلب العضو الذاكر نتيجة ذكره إياه وكونه في معصية أو طاعة حكم آخر لا يلزم الذاكر منه شيء.

فص -٢٠- حكمة جلالية في كلمة يحيوية

أنزله منزلته في الأسماء، فلم يجعل له من قبل سميّا. فبعد ذلك وقع الاقتداء به في اسمه ليرجع إليه. وأثّرت فيه همّة أبيه لما أشرب قلبه من مريم، وكانت منقطعة من الرجال فجعله حصورا بهذا التخيّل. والحكماء عثرت على مثل هذا فإذا جامع أحد أهله، فليتخيّل في نفسه عند إنزاله الماء أفضل الموجودات، فإنّ الولد يأخذ من ذلك بحظّ وافر، إن لم يأخذ كلّه.

فص -٢١- حكمة مالكية في كلمة زكرياوية

لّما فاز زكريّا برحمة الربوبيّة، ستر نداء ربّه عن أسماع الحاضرين. فناداه بسرّه، فأنتج من لم تجر العادة بإنتاجه: فإنّ العقم مانع، ولذلك قال، "الرِّيحَ الْعَقِيمَ"، وفرق بينها وبين "اللواقح". وجعل الله يحيى ببركة دعائه وارث ما عنده، فأشبه وارث جماعة من آل إبراهيم.

فص -٢٢- حكمة إيناسية في كلمة إلياسية

يقول: "أَحْسَنُ الْخالِقِينَ"، ويقول الله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[النحل: ١٧] فخلق الناس التقدير، وهذا الخلق الآخر الإيجاد.

فص -٢٣- حكمة إحسانية في كلمة لقمانية

لّما علم لقمان أنّ الشرك ظلم عظيم للشريك مع الله، فهو من مظالم العباد. وله الوصايا بالجناب الإلهي، وصايا المرسلين، وشهد الله له بأنّه آتاه الحكمة – فحكم بها نفسه – وجوامع الخير.

فص -٢٤- حكمة إمامية في كلمة هارونية

هارون لموسى بمنزلة نواب محمد ﷺ بعد انفصاله إلى ربه فلينظر الوارث من ورث وفيما استنيب فتعينه صحة ميراثه ليقوم فيه مقام رب المال فمن كان على أخلاقه في تصرف كان كأنه هو.

فص -٢٥- حكمة علُوية في كلمة موسوية

سرت إليه حياة كل من قتله فرعون من أجله ففراره لما خاف إنما كان لإبقاء حياة المقتولين فكأنه في حق الغير فأعطاه الله الرسالة والكلام والإمامة التي هي الحكم وكلمة الله في غير حاجته لاستفراغ همه فيها فعلمنا أن الجمعية مؤثرة وهو الفعل بالهمة ولما عَلِمَ عِلْمَ مَنْ عَلِمْ مثل هذا ضل عن طريق هداه حين اهتدى غيره به فأقامه مقام القرآن في المثل المضروب فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. وهم الخارجون عن طريق الهدى الذي فيه.

فص -٢٦- حكمة صمدية في كلمة خالدية

جعل آيته بعد انتقاله إلى ربه فأضاع آلاءه، وأضاع قومه فأضاعوه ولهذا قال ﷺ في ابنته: "مرحباً بابنة نبي أضاعه قومه"، وما أضاعه إلا بنوه حيث لم يتركوا الناس ينبشونه لما يطرأ على العرب من العار المعتاد.

فص -٢٧- حكمة فردية في كلمة محمدية

معجزته القرآن والجمعية إعجاز على أمر واحد لما هو الإنسان عليه من الحقائق المختلفة كالقرآن بالآيات المختلفة بما هو كلام الله مطلقا وبما هو كلام الله وحكاية الله فمن كونه كلام الله مطلقا هو معجز وهو الجمعية وعلى هذا يكون جمعية الهمة: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] أي ما ستر عنه شيء ولا بضنين فما بخل بشيء مما هو لكم ولا بضنين أي ما يتهم في أنه بخل بشيء من الله هو لكم الخوف مع الضلال قال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٢] أي ما خاف في حيرته لأنه من علم أن الغاية في الحق هي الحيرة فقد اهتدى فهو صاحب هدى وبيان في إثبات الحيرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

تم كتاب نقش الفصوص

كتاب الوصية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال النبي ﷺ: "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله"، لا تحقر شيئا من عملك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجبه فإنه ما كلف بالأمر إلا وله بذلك اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك في المرتبة أعظم عنده فإنك محل لوجود ما كلفك به كان عليه السلام يمزح ولا يقول إلا حقا وقال: "هل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"، وقال بعض الحكماء: لا شيء أحق بطول السجن من اللسان وقد خلقه الله خلف الشفتين والأسنان ومع هذا يفتح الأبواب ويكثر الفضول، وعليك بعيادة المرضى لما فيه من الاعتبار لأن الله عند عبده إذا مرض ألا ترى المريض ما له استعانة إلا بالله ولا ذكر إلا الله فلا يزال الحق بلسانه منطوقا وفي قلبه التجاء إليه والمريض لا يزال مع الله أي مريض كان لحضور الله عنده وأطعم السائل واسقه فإنه أنزلك منزل الحق الذي يطعم عباده ويسقيهم وقد أمرك بالإنفاق مما هو مستخلف فيه فلا ترد سائلا ولو بكلمة طيبة واطلق الوجه مسرورا به وكان الحسن والحسين عليهما السلام إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء ويقول: "أهلا والله وسهلا تحمل زادي إلى الآخرة"، وإياك وظلم العباد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وظلم العباد أن تمنع حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها ولا تنهر السائل مطلقا فإن الجائع يطلب الطعام والضال يطلب الهداية.

وإذا رأيت عالما لم يعمل بعلمه فاعمل أنت بعلمه حتى توفي العلم حقه ولا تنكر عليه فإن له درجة علمه عند الله وعليك بالتجمل فإنه عبادة مستقلة لقوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾[الأعراف: ٣١]، إن رجلا قال له عليه السلام: "أحب أن يكون نعلي حسنا وثوبي حسنا"، فقال عليه السلام: "إن الله جميل يحب الجمال"، وقال: "إن الله أولى أن تتجمل له"، وعليك بمراقبة الله فيما أخذ منك وفيما أعطاك فإنه ما أخذ منك إلا لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين وإذا أحبك عاملك معاملة المحب محبوبه وما من شيء يزول عنك إلا وله عوض سوى الله:

لكل شيء إذا فارقته عوض ... وليس لله إن فارقت من عوض

وكذلك إذا أعطاك فإن من جملة ما أعطاك الصبر على ما أخذه منك فأعطاك الشكر وهو يحب الشاكرين وقال موسى: "يا رب ما حق الشكر؟ قال: إذا رأيت النعمة مني فذلك حق الشكر"، وعليك بأداء الأوجب من حق الله وهو أن لا تشرك به شيئا من الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الأسباب الموضوعة والركون إليها بالقلب فإن ذلك من أعظم رزية دينية في المؤمن وهو المراد بقوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦]، وقال عليه السلام: "أتدرون ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"، فدخل فيه الشرك الخفي والجلي الذي هو قطع الإسلام ثم قال: "أتدرون ما

حقهم على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم"، وذلك بأن لا تتوجه إلا إلى الله عذبهم بالاعتماد على الأسباب لأنها معرضة للفقر في حال وجودها يعذبهم بتوهم فقدها وبعد فقدها بفقدها فهم معذبون دائما وإذا لم يشركوا استراحوا و لم ينالوا بفقدها ألما.

وإياك أن تريد علوا في الأرض فإن من أراده أراد الولاية وقال (عليه السلام): "إنها يوم القيامة حسرة وندامة"، ولا تلزم الخمول ولا تطلب من الله إلا أن تكون صاحب ذلة ومسكنة وخشوع وخضوع وكل من أوصاك بما في استعماله سعادتك فهو رسول من الله إليك فاشكره عند ربك وكن ممن علم وعمل ولا تكن ممن علم ولا يعمل به فتكون كالسراج يضيء للناس ويحترق وعليك بتودد المؤمنين فإنهم كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى.

قال (عليه السلام): "إن الجليس الصالح كصاحب المسك إن لم يصبك منه أصابك من ريحه والجليس السوء كصاحب الكير إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه"، وعليك بإقامة حدود الله فيمن ولاك فإنك مسؤول عنه وأقل الولايات نفسك فأقم حدود الله فيها وإذا خطر ببالك خير فذلك لمة الملك فإن نهاك عنه مانع فذلك لمة الشيطان ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع فتعين عليك طلب علم الشريعة لإقامة حدود الله تعالى وعليك بإسباغ الوضوء خاصة في البرد فإنه (عليه السلام) قال: "ألا أنبئكم ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره"، وعليك بالاغتسال في كل جمعة فإن الغسل في الأسبوع مطهر للبدن مرض للرب أي العبد فعل فعلا يرضى الله به من حيث أن الله أمره بذلك فامتثل هو بأمره وعليك بالصلاة المكتوبة بالجماعة وإن المراد بذلك الاجتماع على إقامة الدين والتهجد أن تنام من أول الليل ثم تقوم إلى الصلاة ثم تنام ثم تقوم إليها إلى أن يطلع الفجر.

وقد ذهب ابن راهويه إلى أن من لم يذكر التسبيحات لم تصح صلاته فاخرج من الخلاف ما استطعت وعليك بالجهاد الأكبر وهو جهاد هواك قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، ولا أكفر من نفسك فإنها تكفر نعمة الله عليها وإذا جاهدت نفسك بهذا الجهاد خلص لك الجهاد الأكبر الذي إن قتلت فيه كنت من الأحياء الذين عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ولا يزال العبد في الجهاد الأكبر لأنه مجبول على خلاف ما دعاه إليه الحق فإنه بالإصالة متبع لهواه الذي هو بمنزلة الإرادة في حق الحق فيفعل الحق ما يريده الإنسان أن يفعل ما يهوى احفظ حق الجار والجوار وقدم الأقرب دارا فالأقرب ولا تحقر أحدا من الخلق فإن الله ما احتقره حين خلقه قيل: مر عيسى (عليه السلام) بخنزير فقال له مر بالسعادة قيل له في ذلك فقال لا أعود لساني إلا قول الخير قال الشاعر:

إنما الناس حديث بعدهم ... فلتكن خير حديث يسمع
وإذا شاكتك منهم شوكة ... فلتكن أقوى مجن يدفع
وإذا ما كنت فيهم هكذا ... أنت والله إمام ينفع

وإياك والخيلاء فارفع ثوبك فوق كعبك أو إلى نصف ساقك لقوله عليه السلام: "أزرة المؤمن إلى نصف ساقه"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: "تقصيرك الثوب حقا أبقى وأتقى وانقى"، وعليك بالبذاذة فإنها من الإيمان وهي عدم الترفه في الدنيا وقد ورد اخشوشنوا وهي صفات الحاج وصفة أهل يوم القيامة فإنهم شعث غبر حفاة عراة فإن ذلك أنفى للكبر والبعد من العجب والزهو والخيلاء والصلف ولا شك أنها أذى في طريق سعادة المؤمن ولا يماط هذا الأذى إلا بالبذاذة فلذلك جعلها عليه السلام من الإيمان وعليك بالحياء فإن الله حيي والحياء من الله ترك كل ما لا يرضى الله به وعليك بالنصيحة لقوله عليه السلام: "الدين النصيحة"، والناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباده وبين ما فيه سعادتهم وهو يحتاج إلى علم كبير وعقل وفكر صحيح وروية حسنة واعتدال مزاج فلا يصلح لها كل واحد وعليك بالورع في المنطق كما تتورع في المأكل والمشرب والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات وإياك والعجلة إلا فيما أمر به وهو الصلاة في أول الوقت وإكرام الضيف وتجهيز الميت والبكر إذا أدركت وكل عمل للآخرة وعليك بصلة الرحم فإنها شجنة من الرحمن وبها وقع النسب بيننا وبين الله فمن وصل رحمه وصله الله من قطعه قطعه الله كن فقير من الله كما أنت فقير إليه مثل قوله عليه السلام: "أعوذ بك منك"، ومعنى فقرك من الله أن لا تشم منك رائحة من روائح الربوبية بل العبودية المحضة كما أنه ليس في جناب الحق شيء من العبودية ويستحيل ذلك عليه فهو رب محض فكن أنت عبدا محضا وإياك والبطنة فإنها تذهب بالفطنة فكل لتعيش وعش لتطيع ربك ولا تعش لتأكل ولا تأكل لتسمن وعامل كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته فعامل الله بالوفاء لما عاهدته عليه من الإقرار بالربوبية وعامل الرسل بالاقتداء والملائكة بالطهارة وعلى هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: "يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس ووجع البطن يا علي إذا دخلت فقل بسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله يقول الله في ذكر عبدي والناس غافلون".

تم كتاب الوصية

شجرة الكون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الأحدي الذات، الفردي الصفات، الذي تقدس وجهه عن الجهات، وقدسه عن المحدثات، وقدمهَ عن الجهات، ويده عن الحركات، وعينه عن اللحظات، واستواؤه عن الاتصالات، وقدرته عن الهفوات، وإرادته عن الشهوات. الذي لا تعدد لصفاته بعدد الموصوفات، ولا تختلف إرادته باختلاف المرادات، وكَوَّنَ بكلمة "كن" جميع الكائنات، وأوجد بها جميع الموجودات.

فلا موجود إلَّا مستخرج من كنهها المكنون، ولا مكنون، إلَّا مستخرج من سرِّها المصون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وبعد: فإني نظرت إلى الكون وتكوينه، وإلى المكنون وتدوينه، فرأيت الكون كله شجرة، وأصل نورها من حبة "كن" قد لقحت كاف الكونية، بلقاح حبة: – نحن خلقناكم – فانعقد من ذلك البذر ثمرة ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[القمر: ٤٩]، وظهر من هذا غصنان مختلفان أصلهما واحدٌ، وهو الإرادة، وفرعهما القدرة، فظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان، كاف الكمالية ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، وكاف الكفرية ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ﴾[البقرة: ٢٥٣].

وظهر جوهر النون "نون النكرة ونون المعرفة" فلما أبرزهم من "كن" العدم على حكم مراد القدم، رش عليهم من نوره، فأما من أصابه ذلك النور فحدق إلى تمثال شجرة الكون المستخرجة من حبة "كن"، فلاح له في سر كافها تمثال ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾[آل عِمران: ١١٠]، واتضح له في شرح لونها ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾[الزمر: ٢٢].

وأما من أخطأه ذلك النور، فطولب بكشف المعنى المقصود من حرف "كن"، فغلط في هجائه وخاب في رجائه، فنظر إلى مثال كن، فظن أنها كاف كفرية، بنون نكرة، فكان من الكافرين.

وكان حظ كل مخلوق من كلمة "كن": ما علم من هجاء حروفها، وما شهد من سرائر خفائها، دليله قوله ﷺ: "إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ذلك النور: ضلّ وغوى ".

فلما نظر آدم إلى دائرة الوجود، فوجد كل موجود دائراً في دائرة الكون: واحد من نار، وواحد من طين.

ثم رأى هذه الدائرة على سرائر "كن"، فكيفما دار واستدار وحيثما طار واستطار، فإليها يؤول، وعليها يجول، ولا يزول عنها ولا يحول.

فواحد شهد كاف الكمالية، ونون المعرفة. وواحد شهد، كاف الكفرية، ونون النكرة. فهو على حكم ما شهد، راجع إلى نقطة دائرة "كن". وليس للمكوَّن أن يجاوز ما أراده المكوِّن.

فإذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون، ونوع ثمارها، علمت أن أصل ذلك ناشئ من حبة "كن"، بائن عنها.

فلما أدخل آدم في مكتب التعليم، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ١٣]، نظر إلى مثال "كن"، ونظر إلى مراد المكوِّن من المكوَّن، فشهد المعلم من كاف "كن": كاف الكنزية "كنت كنزاً مختفياً لا أُعرف فأحببت أن أُعرف" فنظر من سر النون: نون الأنانية ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤] الآية.

فلما صح الهجاء، وحقق الرجاء: استنبط له من كاف الكنزية كاف التكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وكاف الكنتية: "كنت له سمعاً وبصراً ويداً" واستخرج له من نون الأنانية: نون النورية ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾[الأنعام: ١٢٢]، واتصلت بها نون النعمة، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إبراهيم: ٣٤].

وأما إبليس لعنه الله، فإنه مكث في مكتب التعليم أربعين ألف عام: يتصفح حروف "كن"، وقد وكله المعلم إلى نفسه، وأحاله على حوله وقوته، فكان ينظر إلى تمثال "كن"، ليشهد من تمثالها كاف كفره، فتكبر ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾[البقرة: ٣٤]، ويشهد من نونها: نون ناريته ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾[الأعراف: ١٢] فاتصلت كاف كفريته بنون ناريته ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا ﴾ [الشعراء: ٩٤].

فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة، وتنوع أزهارها وثمارها، فتثبت بغصن ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤] فنودي: كل من ثمار التوحيد، واستظل بظل التفريد ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾[البقرة: ٣٥].

فأراد إبليس: أن يوصله بغصن ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾[الأعراف: ٢٠]، فأكلا منها، فزلقا في مزالق – وعصى– واستمسك بغصن ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعراف: ٢٣]، فتدلت عليه ثمار ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ [البقرة: ٣٧]، فلما نودي يوم الإشهاد، على رؤوس الأشهاد ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ ﴾[الأعراف: ١٧٢] فشهد كل على مقدار ما شهد، وسمع، ثم اتفق الكل في الإيجاب، فقالوا ﴿بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، لكن الاختلاف وقع من حيث الإشهاد، فمن أشهده جمالية ذاته شهد أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾[الشّورى: ١١] ومن أشهده جمالية صفاته، شهد أنه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[الحشر: ٢٣] ومن أشهده عرائس مخلوقاته، اختلفت شهاداتهم، لاختلاف المشهود، فقوم جعلوه محدوداً، وقوم جعلوه معدوماً، وقوم جعلوه حجراً جلموداً، والكل في ذلك على حكم ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ ﴾[التّوبَة: ٥١] وهو مستبطن في سر كلمة "كن"، دائر على نقطة دائرتها، ثابت على أصل حبتها.

فلما كانت هذه الحبة بزر شجرة الكون، وبزر ثمرتها، ومعنى صورتها، أحببت أن أجعل للمكنون مثالاً وللموجود تمثالاً، ولما ينتج فيه الأقوال والأفعال والأحوال منوالاً، فمثلت شجرة نبتت عن أصل حبة "كن"، وكل ما يحدث في الكون من الحوادث، كالنقص والزيادة والغيب والشهادة، والكفر والإيمان، وما تثمر من الأعمال، وزكاة الأحوال، وما يظهر من أزاهير القول، والتوق والذوق، ولطائف المعارف، وما تورق به من قربات المقربين، ومقامات المتقين، ومنازلات الصديقين، ومناجاة العارفين، ومشاهدات المحبين، كل ذلك من ثمرها الذي أثمرته، وطلعها الذي أطلعته.

فأول ما أنبتت هذه الشجرة التي هي حبة "كن": ثلاثةُ أغصان:

أخذ غصن منها ذات اليمين، فهم أصحاب اليمين. وأخذ غصن منها ذات الشمال.

ونبت غصن منها معتدل القامة، على سبيل الاستقامة، فكان منه السابقون المقربون.

فلما ثبت واستعلى، جاء من فرعها الأعلى وجاء من فرعها الأدنى: عالم الصورة والمعنى، فما كان من قشورها الظاهرة، وستورها البارزة، فهو عالم الملك، وما كان من قلوبها الباطنة، ولباب معانيها الخافية، فهو عالم الملكوت.

وما كان من الماء الجاري في شريانات عروقها، الذي حصل به نموها وحياتها وسموها، وبه طلعت أزهارها، وأينعت ثمارها، فهو عالم الجبروت، الذي هو سر كلمة "كن".

ثم أحاط بالشجرة حائط، وحد لها حدود، ورسم لها رسوم. فحدودها الجهات، وهن: العلو، والسفل، واليمين، والشمال، ووراء، وأمام. فما كان أعلى فهو حدها الأعلى، وما كان أسفل فهو حدها الأسفل.

وأما رسومها، وما فيها من الأفلاك والأجرام والأملاك والأحكام والآثار والأعلام، فجعل السبع الطباق بمنزلة ما يستظل به من الأوراق.

وجعل الكواكب في الإشراق بمنزلة الأزهار في الآفاق. وجعل الليل والنهار بمنزلة رداءين مختلفين: أحدهما أسود يرتدي به، ليحتجب عن الأبصار، والآخر أبيض يرتدي به ليتجلى على ذوات الاستبصار. وجعل العرش بمنزلة بيت مال هذه الشجرة، وخزانة سلاحها، فمنه يستمد ما فيه صلاحها، وفيه سواس هذه الشجرة وخدمها ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ [الزمر: ٧٥]، إليه يتوجهون، وعليه يعوِّلون، وحوله يحومون، وبه يطوفون، وحيثما كانوا، فإليه يشيرون.

فمتى حدث في الشجرة حادثة، أو نزل بشيء منها نازلة، رفعوا أيدي المسألة والتضرع إلى جهة عرشه، يطلبون الشفاء، ويستعفون عن الخطأ، لأن موجد هذه الشجرة: لا جهة إليه يُشار إليها، ولا أينية له يقصدونها ولا كيفية له يعرفونها.

فلو لم يكن العرش جهة يتوجهون إليه للقيام بخدمته، ولأداءِ طاعته، لضلوا: طلبهم.

فهو سبحانه وتعالى إنما أوجد العرش إظهاراً لقدرته، لا محلاً لذاته. وأوجد الوجود، لا لحاجة له به، وإنما هو إظهار لأسمائه وصفاته، فإن من أسمائه: الغفور، ومن صفاته المغفرة، ومن أسمائه الرحيم، ومن صفاته: الرحمة: ومن أسمائه الكريم، ومن صفاته: الكرم، فاختلف أغصان هذه الشجرة، وتنوعت ثمارها ليظهر سر مغفرته للمذنب، ورحمته للمحسن، وفضله للطائع، وعدله للعاصي، ونعمته للمؤمن، ونقمته على الكافر.

فهو مقدس في وجوده عن ملامسة ما أوجده، ومجانبته ومواصلته، لأنه كان ولا كون، وهو الآن كما كان لا يتصل بكون، ولا ينفصل عن كون، لأن الوصل والفصل من صفات الحدوث، لا من صفات القدم، لأن الاتصال والانفصال يلزم منه الانتقال والارتحال، ويلزم من الانتقال والارتحال التحول والزوال، والتغيّر والاستبدال، هكذا كله من صفات النقص، لا من صفات الكمال، فسبحانه: سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

ثم جعل اللوح والقلم، بمنزلة كتاب المُلك، وما يسطر فيه من أحكامه، وما حكم بنقضه وإبرامه، وإيجاده وإعدامه، وما يخرج من بره وإنعامه، وما يكون من ثوابه وانتقامه.

ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه الشجرة، يقوم تحتها مَنْ يقوم بخدمته، وينفذ أحكامه، ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة هذه الشجرة وما يدانيها.

ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك، الذي هو اللوح المحفوظ، وما يحدث في هذه الشجرة من محو وإثبات، ونقص وزيادة، فلا يتجاوز تلك الشجرة، إذ لكل واحد منهم حد مفهوم، وحظ مقسوم، ورسم مرسوم ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[الصّافات: ١٦٤]، ولا يرفع شيء من ثمرة هذه الشجرة، من دني أو سني، أو صغير أو كبير، أو جليل أو حقير، أو قليل أو كثير، إلا ختم عليه في كتاب ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[الكهف: ٤٩]، ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى إحدى خزانتيه اللتين ادخرهما لثمرة هذه الشجرة، وهما: الجنة والنار.

فما كان من ثمر طيب، ففي خزانة الجنة ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[المطفّفين: ١٨]. وما كان من ثمر خبيث ففي خزانة النار ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾[المطفّفين: ٧]. فأما الجنة فدار أصحاب اليمين من جانب الطور الأيمن من الشجرة المباركة الطيبة. وأما النار فدار أصحاب الشمال ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[الإسراء: ٦٠].

ثم جعل الدنيا مستودع زهرها، والآخرة مستقر ثمرها، وأحاط على هذه الشجرة حائط إحاطة القدرة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النساء: ١٢٦]، وأدار عليها دائرة الإرادة ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[آل عمران: ٤٠]، و ﴿ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[المائدة: ١].

فلما ثبت أصل هذه الشجرة، وثبت فرعها: التقى طرفاها، ولحق أُخراها بأولاها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾[النازعات: ٤٤] إلى مبتداها، لأن من كان أوله "كن" كان آخره "يكون"، فهي وإن تعددت فروعها، وتنوعت زروعها، فأصلها واحد، فهي حبة كلمة "كن" وسيكون آخرها واحداً وهي كلمة "يكون".

فلو أحدقت ببصر بصيرتك لرأيت أغصان شجرة طوبى، معلقة بأغصان شجرة الزقوم، وبرد نسيم القرب، يمازج حر السموم، وظل سماء الوصل متصل بــ ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾[الواقعة: ٤٣]، وقد تناول كل حظه المقسوم.

فواحد يشرب بكأسه المختوم. وواحد يشرب بكأسه المحتوم. وواحد من بينهم محروم.

فلما برزت أطفال الوجود، من حضرة العدم، هبت عليهم نسمات القدرة، وغذتها لطائف الحكمة، وأمطرتها سحائب الإرادة، بعجائب الصنع، فأنبت كل غصن منها ما سبق له في القدم، وركب في عنصره من الصحة والسقم.

والكون كله من عنصرين، مستخرجين من جزأين من كلمة "كن"، وهما: الظلمة والنور.

فالخير كله من النور. والشرك كله من الظلمة.

فملأ الملائكة موجود من عنصر النور، فكان منهم الخير ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التّحريم: ٦].

وملأ الشياطين من عنصر الظلمة، فكان منهم الشر.

وأما آدم وبنوه، فإنهم جعلت طينتهم من الظلمة والنور، وركب عنصره من الخير والشر، والنفع والضر، وجعلت ذاته قابلة للمعرفة والنكرة، فأي جوهر غلب عليه نسب إليه.

فإن علا جوهر نوره على جوهر الظلمة، وظهرت روحانيته على جسمانيته، فقد فضل على الملك، وعلا على الفلك.

وإن غلب جوهر ظلمته على جوهر نوره، وظهرت جسمانيته على روحانيته، فقد فضل على الشيطان.

فلما قبض الله آدم من قبضة تراب "كن"، مسح على ظهره حتى يميز الخبيث من الطيب، فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين، فأخذوا ذات اليمين، واستخرج من ظهره من كان من أصحاب الشمال، فأخذوا ذات الشمال.

وما زاغ أحد عن المراد وما مال. ومن قال: لم؟ فقد أخطأ في السؤال.

فأول من عمل حوالي هذه الشجرة إلى أصل حبة "كن" فاعتصر صفوة عنصرها، ومَخَضَهَا حتى بدت زُبْدَتُهَا، ثم صفاها بمصفاة الصفوة، حتى زال وَخَمُهَا، ثم ألقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها، ثم غمسها في بحر الرحمة، حتى عمت بركتها، ثم خلق منها نور نبيّنا محمد ﷺ، ثم زين بنور الملأ الأعلى حتى أضاء وعلا، ثم جعل ذلك النور: أصلاً لكل نور، فهو أولهم في المسطور وآخرهم في الظهور وقائدهم في النشور، ومُبَشّرُهُمْ بالسرور، ومتَوّجُهُمْ بالحبور، فهو مستودع في ديوان الأنس، مستقر في رياض الأنس.

وحضرة الأنس، ستر معنى روحانيته بستر جسمانيته، وغطى عالم شهوده بعالم وجوده، فهو مستخْرَجٌ في الكون، مستنبَطٌ لأجله الكون، وذلك أن الله تعالى كون الأكوان اقتداراً عليها لا افتقاراً إليها، وكمال حكمته في التكوين، لإظهار شرف الماء والطين، فإنه أوجد ما أوجد، ولم يقل في شيء من ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وكان وجود الآدمي، فكانت حكمته في وجود الآدمي لإظهار شرف النبي ﷺ، لأنه حكمة الأجساد لاستخراج كاف الكنزية "كنت كنزاً مخفيّاً لا أُعرف" فكان المقصود في الوجود، معرفة موجدهم سبحانه، وكان المخصوص بأتم المعارف: قلب سيدنا محمد ﷺ، لأن معارف الكل كانت تصديقاً وإيماناً، ومعرفته ﷺ مشاهدة وعياناً.

وبنور معرفته ﷺ تعرفوا، وبفضله عليهم اعترفوا، فاستخرجه من لباب حبة "كن" ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾[الفتح: ٢٩]، بصحابته ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾[الفتح: ٢٩]، بقرابته ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩]، بصحة ذوقه وقوة توقه وشوقه.

فلما ظهر هذا الغصن المحمدي، وسما: أورق عوده ونما، وانهل عليه سحاب القبول وهمى، وتباشر بظهوره الحدثان، وبشر بوجوده الثقلان، وتعطرت بقدومه الأكوان، وانتكست بمولده الأوثان، ونسخت بمبعثه الأديان، ونزل بتصديقه القرآن، واهتزت طرباً شجرة الأكوان، وتحرك ما فيها من الأكوان والعيدان، وكان من أغصان هذه الشجرة: من أخذ ذات الشمال، ومال يهوى الضلال.

فلما أرسلت رياح الإرسال برسالة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] استنشقها من ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[الأنبياء: ١٠١] فمال إليها متعطفاً، وأما من كان مزكوماً، أو من خلع القبول محروماً، فإنه عصفت به عواصف القدرة، فأصبح بعد نضارته يابساً، ووجه سعادته عابساً، وراح من رجاء فلاحه قانطاً آيساً.

وكان سر هذا الغصن لقاح شجرة الجود، ودرة صدفة الوجود، وكان من روح روحانيته روح ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦] فهو مصباح ظلمة الكون، وروح جسد الوجود، لأن الله تعالى لما خاطب السموات والأرض، وقال لهما:

﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١] فأجابه موضع الكعبة من الأرض، ومن السماء ما يحاذيه، فكانت تربة بقعة الكعبة، وكان محل الإيمان من الأرض.

فلما أمر الله بالقبضة التي قبضت من الأرض لخلق آدم عليه السلام.

فقبضت من سائر الأرض، من طيبها وخبيثها، فكانت طينة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مخلوقة من موضع الكعبة، التي هي محل الإيمان بالله تعالى.

ثم عجنت تلك الطينة بطينة آدم عليه السلام، فكانت تلك الطينة بمنزلة الخميرة، ولولا ذلك لما أطاقوا الإجابة يوم الإشهاد، وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين".

فكانت ذرات الوجود وبركته التي هي ذرّة وجوده.

فلما أشهدهم على أنفسهم في حضرة شهوده، قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعرَاف: ١٧٢] فسرت في أجزاء ذراتهم تلك الخميرة النبوية، فانطلقت بإذن الله تعالى ألسنتهم بالتلبية، قائلة.

فمن كانت طينته قابلة للتخمير بما سبق في التقدير: بقي معه ذلك التخمير باقياً فيه، مستصحباً حتى ظهر إلى الحس، وظهر في تلك الصورة، فبرز ذلك المعنى محققاً لتلك الدعوى، فأشرق نور ذلك المعنى الروحاني على ما يحاذيه من الجسد الجسماني، فأشرق الجسد بعد ظلمته، فاستنارت الجوارح لرشدها فعملت بالطاعة.

وأما من كانت طينته خبيثة، غير قابلة للتخمير، وإنما أثرت تلك الخميرة مقدار ما اعترف عند الإشهاد، وأفصحت في ذلك لإقرار في حال الاستقرار، ثم طال عليها الأمد، ففسدت تلك الخميرة بفساد تلك الطينة، فكأنه كان مستودعاً، فاسترجع منه ما استودع إذ لم يكن لحفظها أهلاً، فهو مستودع –أعني الإيمان– في قلوب الكافرين مستقر في قلوب المؤمنين وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة" التي فطر الله الناس عليها، وهو تساويهم في الإيمان، في قول: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعرَاف: ١٧٢] واستووا في التلبية، ونطقوا بالإجابة، لسريان تلك الخميرة النبوية في أجزاء ذراتهم، وقد سبق في علم الله تعالى ونفذ تقديره، فمن تبقى على ذلك الإقرار، لا يستحيل إلى الجحود والإنكار، وكل ما يحدث في شجرة الكون، من نمو وزيادة، وأزهار وإثمار أفكار، ومتشابه شوق، ومحكم ذوق، وصفاء أسرار، ونسيم استغفار، وما ينمو به من الأعمال، وتزكو به الأحوال، وما تورق به من رياضات النفوس، ومناجاة القلوب، ومنازلات الأسرار، ومشاهدات الأرواح، وما ينبت به من أزاهير الحكم، ولطائف المعارف، وما يصعد من طيب الأنفاس، وما يعقد من ورق الإيناس، وما ينشأ من رياح الارتياح، وما يبني على أصلها من مراتب أهل الاختصاص، ومقامات الخواص، ومنازلات الصديقين، ومناجاة المقربين، ومشاهدات المحبين.

كل ذلك من لقاح الغصن المحمدي، متوقد من نوره، مستمد من نماء نهر كوثره، مغذّى بلباب بره، مربَّى في مهد هدايته، فلذلك عمت بركاته، وتمت على الخلائق رحمته ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧] فلما مهّد لأجله الدار، وسخر من أجله الليل والنهار، ورسم الرسوم، وحدَّد الأقطار، ونوه بذكره، ونبه على سره وقدره، وأخذ الميثاق على تصديقه، والتمسك بحبل تحقيقه، جلا عروس شريعته على أتباعه وشيعته، ثم ختم بنبوته الأنبياء، وبكتابه الكتب، وبرسالته الرسل.

فمَن احتمى بِحمى شريعته سلم، ومن استمسك بحبل ملته عُصِم.

لما توسل به آدم (عليه السلام): سلم من الملام، ولما انتقل إلى صلب إبراهيم الخليل صارت النار عليه برداً وسلاماً ولما أودعته صدفة إسماعيل فُدِيَ بذبح عظيم، فثمرة غصن أصحاب اليمين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤] وثمرة غصن أصحاب الشمال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأنفال: ٣٣] وثمرة غصن السابقين المقربين ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩].

فبركته على الآفاق قد عمت، وكلمته قد تمت.

خلق آدم على صورة اسمه، لأن اسمه محمد، فرأس آدم دائرة بتدويره على صورة الميم الأُولى من اسمه، وإرسال يده مع جنبه على صورة الحاء، وبطنه على صورة الميم الثانية، ورجلاه في انفتاحهما على صورة الدال.

فكمل خلق آدم على صورة اسم محمد (صلى الله عليه وسلم).

وقولنا: "كوَّن الأكوان على هيئة رسمه" لأن العالم: عالمان: عالم الملك وعالم الملكوت.

فعالم الملك كعالم جسمانيته، وعالم الملكوت كعالم روحانيته. فكثيف العالم السفلي ككثيف جسمانيته، ولطيف العالم العلوي كلطيف روحانيته. فما في الأرض من الجبال التي جعلت في الأرض أوتاداً فهي بمنزلة جبال عظامه التي جعلت أوتاد جسده.

وما فيها من بحار مسجورة، جارية وغير جارية، عذبة وغير عذبة، فهي بمنزلة ما في جسده من دم جارٍ في تيار العروق، وساكنٍ في جداول الأعضاء.

واختلاف أذواقها، فمنها ما هو عذب، وهو ماء الريق يطيب بعجينه المآكل والمشارب.

ومنها ما هو: مالح، وهو ماء العين بحفظه شحمة العين. ومنها ما هو: مرّ، وهو ماء الأذن لصيانة الأذن من حيوان ودبيب يصل إليها، فيقتله ذلك الماء.

ثم في أرض جسده ما ينبت كالأرض الجرز، والأرض السبخة التي لا تنبت، ويستحيل النبت فيها.

ثم لما كان في الأرض بحار عظيمة، تتفرع منها أنهار وسواق، لنفع الناس بها، كذلك في أرض جسده عروق غلاظ، كالوتين الذي يبث الدم، وتستمد العروق منه، إلى سائر الجسد.

ثم العالم العلوي، وهو عالم السماء: جعل الله فيه شمساً كالسراج، يستضيء به أهل الأرض، كذلك جعلت الروح في الجسد، يستضيء بها الجسد.

فلو غابت بالموت، لأظلم الجسد كظلمة الأرض، إذا غابت عنها الشمس.

ثم جعل العقل بمنزلة القمر: يستنير في فلك السماء، تارة يزيد وتارة ينقص، فابتداؤه صغير، وهو هلال كابتداء عقل الصغير في صغره، ثم يزيد كزيادة القمر ليلة تمامه ثم يبدو بالنقص، فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين، ثم يعود في النقص في تركيبه وقوته.

ثم جعل في السماء كواكب خمساً، وهي الخمس - الجوار الكنس - وهي بمنزلة الحواس الخمس، وهي: الذوق، والشم، واللمس، والسمع والبصر.

ثم جعل في عالم السماء عرشاً وكرسياً. فالعرش أوجده وجعل وجهة قلوب عباده إليه، ومحل رفع الأيدي إليه، لا محلاً لذاته، ولا مجانساً لصفاته، لأن الرحمن -تعالى اسمه- والاستواء نعته وصفته، ونعته وصفته متصلة بذاته، والعرش خلق من خلقه، لا متصل به ولا ملامس له، ولا محمول عليه، ولا

مفتقر إليه. وأما الكرسي فهو: وعاء أسراره، وكنانة أنواره ومستودع ما في دائرة ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[البَقَرَة: ٢٥٥] فجعل الصدر بمنزلة الكرسي، ولأن فيه تحصيل العلوم الصادرة، بمنزلة الساحة على باب القلب، والنفس يشرع منه بابان إليهما.

فما صدر عن القلب من خير، أو عن النفس من شر، فهو محصل في الصدر، وعنه يصدر إلى الجوارح، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[العَاديَات: ١٠].

وجعل القلب بمنزلة العرش، لأن عرشه في السماء معروف، وعرشه في الأرض مسكون، لأن عرش القلوب أفضل من عرش السماء، لأن ذلك العرش لا يسعه ولا يحمله ولا يدركه، وهذا عرش في كل حين ينظر إليه، ويتجلى عليه، وينزل من سماء كرمه إليه "ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن".

ولما جعل في عالم الآخرة جنة وناراً للنعيم والعذاب، هذه خزانة الخير، وهذه خزانة الشر، كذلك جعل الخير الذي هو مكان سويداء القلب، جعله جنة عبده المؤمن، لأنه محل المشاهدة والتجلي والمناجاة، والمنازلات، ومنبع الأنوار، وجعل النفس بمنزلة النار، لأنها منبع الشر، ومحل الوسواس، وربع الشيطان ومحل الظلمة.

ثم جعل اللوح والقلم: نسخة كتاب الكون والتكوين، وما كان وما يكون إلى يوم الدين، وجعل الملائكة تستنسخ ما يؤمرون بنسخه، من محو وإثبات، وموت وحياة، ونقص وزيادة.

فكذلك اللسان بمنزلة القلم، والصدر بمنزلة اللوح، فما نطق به اللسان رقمته الأذهان في ألواح الصدور، وما أرخته إرادة القلب إلى الصدر عبر عنه اللسان كالترجمان.

ثم جعل الحواس رسل القلب، يستنسخ ما حصل فيها.

فالسمع رسول، وهو جاسوسه، والبصر رسول، وهو حارسه، واللسان رسول، وهو ترجمانه.

ثم جعل في الإنسان ما هو دلالة على الربوبية، وتصديق الرسالة المحمدية، وذلك الهيكل الإنساني، لما افتقر إلى مدبر، وهو الروح، وكان مدبره واحداً، وكانت الروح غير مرئية، ولا مكيفة، ولا متحيزة في شيء من الجسد، ولا يتحرك شيء من الجسد إلَّا بشعورها به، وإرادتها لها، لا يحس ولا يمس إلَّا بها، وكان ذلك كله دلالة على أن العوالم لا بد لهم من مدبر ومحرك، ويلزم منه أن يكون واحداً، عالماً بما يحدث في ملكه، قادراً على حدوثه، وأنه غير مكيف، ولا متمثل، ولا مرئي، ولا متحيز ولا متبعِّض، ولا محسوس ولا ملموس، ولا مقبوس، بل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١].

ولما كان رسوله إلى خلقه اثنين: ظاهر وباطن، فرسوله الظاهر: محمد رسول الله. ورسوله الباطن: جبريل. فجبريل يأتيه بالوحي بين قومه ولا يحسونه، ولا يعرفونه، فكذلك كان لمدير هذا الهيكل الإنساني، وهو الروح رسولان باطن وظاهر، فالرسول الباطن هو الإرادة، بمنزلة جبريل، يوحي إلى اللسان، واللسان يعبر عن الإرادة وهو بمنزلة سيدنا محمد ﷺ.

ثم لما جعل فيك دلالة على صحة نبوته وصدق رسالته، جعل فيك أيضاً دلالة على ما جاء به من تحقيق شريعته، واتباع سنته، فكان أصل الأيدي خمسة أشياء، كل منها خمس:

فالأصل الأول: ما بني عليه فقال رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام".

الأصل الثاني: وكانت الصلاة المفترضة خمسا.

الأصل الثالث: الزكاة المفروضة في النصاب خمس.

الأصل الرابع: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾[الفتح: ٢٩].

الأصل الخامس: أهل البيت خمسة: محمد ﷺ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

فما كان أركان الدين: إقامة أركان شريعته، ومحبة صحابته، ومودة قرابته، جعل في أعضائك منها دلالة على ذلك: خمسة، فالخمسة التي بني الإسلام عليها بمنزلة الحواس الخمس منك، وهي: السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق، لأنك تجد بهذه الحواس مذاق كل شيء، ومعرفة كل شيء.

وكذلك تجد بإقامة تلك الأركان الخمسة ذوق كل شيء، وإدراك العرفان، ومعرفة الرحمن، وعلم الإيقان.

فحاسّة البصر: تدعوك إلى إقامة أركان الصلاة، قال ﷺ: "جُعلت قرة عيني في الصلاة".

وحاسة اللمس: تدعوك لأداء الزكاة، قال الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ [التوبَة: ١٠٣].

وحاسة الذوق: تدعوك إلى ترك ذوق الطعام، لإقامة ركن الصيام.

وحاسة السمع: تدعوك إلى استماع الأذان ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ [الحَج: ٢٧].

وحاسة الشم: تدعوك إلى انتشاق أنفاس التوحيد "إني لأجد نَفَس الرحمن من قبل اليمن".

فهذه الحواس تدعوك إلى إقامة الأركان الخمس.

وجعل أصابعك الخمس في يمينك بمنزلة –محمد ﷺ، والذين معه – هم أهل بيته.

وإن آدم عليه السلام: لما خلق نور سيدنا محمد ﷺ: في جبينه، كانت الملائكة تستقبله، وتسلم على نور محمد ﷺ، وآدم عليه السلام لم يره، فقال: يا رب أحب أن أنظر إلى نور ولدي محمد ﷺ فَحَوِّلْهُ إلى عضو من أعضائي لأراه، فحوَّلَهُ إلى سبابته، في يده اليمنى، فنظر إليه يتلألأ في مسبحته، فرفعها فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله، فلذلك سميت المسبحة.

ثم جعل أصابعك الخمس في اليد اليمنى: مذكرة بالخمسة أشباح، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال رسول الله ﷺ: "أُنزلت هذه الآية فينا أهل البيت أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين".

ثم جعل أصابع قدميك الخمس مشيرة لك، مذكرة بالخمس صلوات التي افترضها الله عليك، فتقوم بها على قدميك، لأنها خدمة الله تعالى في الأرض، والخدمة إنما تكون من القدمين، فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلوات الخمس، وأصابع قدمك اليسرى تذكرك بما يجب من نصاب الزكاة، وهي خمسة دراهم.

فالزكاة مقرونة بالصلاة، فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى الصلاة والزكاة.

ثم جعل فيك: ما يدل على الموت والبعث، وما يدل على نعيم القبر وعذابه، وهو النوم، وما يراه النائم من منام سيء، فيتعذب به فيصير بالنوم كالميت، فاقد الحس فلا سمع له، ولا بصر له، ولا إدراك له.

ثم جعل له سمعاً وبصراً وإدراكاً، فيسمع ويبصر بسمع وبصر عن سمعه وبصره.

ويرى نفسه تذهب حيث يشاء، ويأكل ويشرب، فهو بمنزلة ما يراه الميت في قبره من النعيم والعذاب، في مدة البرزخ بين الموت والبعث.

ثم يوقظك الله من نومك: لا عن مرادك ولا عن اختيارك.

فلو أردت أن لا تنتبه من ذلك، فأنت تطيق أن لا تبعث؟

وهذا تكذيب من أنكر البعث بعد الموت وجهله، وهم الزنادقة، والدهرية، والفلاسفة، ورد على من أنكر عذاب القبر ونعيمه ومسألته، وهم المعتزلة.

ثم اعلم أن الله تعالى خلق خلقه على ثلاث أصناف، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ ﴾ كالحيات والديدان ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ ﴾ كالطير والآدمي ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]، كالدواب.

فمنهم صنف كالساجد، وصنف كالراكع، وصنف كالقائم.

فالقائم كالأشجار والجدران: لا يطيقون ركوعاً.

والراكع كالدواب: لا يطيقون سجوداً ولا قياماً.

والساجد كالحشرات: لا يطيقون رفعاً.

وكلهم مخلوقون لطاعته وتقديسه وتنزيهه ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[الإسرَاء: ٤٤].

فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه وطاعتهم: وبسط لك في خلقه: إن شئت أن تعبده قائماً وراكعاً وساجداً فعلت، ليجمع لك فضيلة جميع خلقه.

فكذلك فرض عليك الصلاة، وجعلها تشتمل على سائر عبادة خلقه.

فكذلك فضيلة القوّم والركّع والسجّد.

وأنت المقصود من كل الوجود. وأنت خاصة العبيد لمراد المعبود.

فهذا معنى قولنا متقدماً خلق الله آدم عليه السلام على صورة اسم محمد ﷺ، وخلق الكون على هيئة رسمه، واعلم أن الملأ الأعلى مسخرون في نفع شجرة الكون، مستعملون لمصالحها، قائمون بحقوقها لما فيها من خاصية هذا الغصن المحمدي، والنور الأحمدي.

فأول ما انسلخ نهار الوجود من ظلمة ليل العدم، شعشعت أنوار الشموس المحمدية في أفق جبين آدم عليه السلام، فخرّت الملائكة سجداً وقالوا: ملك العرش محمد أبداً.

فلما أمروا بالسجود فسجدوا، وخصوا بالشهود فشهدوا، وقيل لهم: شكر هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم المجاهدة في خدمة شجرة هو أصلها، ودولة هو عقدها وحلها.

فليكن منكم السفرة: يسعون بالصحف المطهرة.

وليكن منكم البررة: يطوفون حول حمى هذه الشجرة.

وليكن منكم الحملة: يحملون لكل عامل عمله.

وليكن منكم الكتاب: يقومون على أعتاب من قد تاب.

وليكن منكم من يغسل وجوههم من غبار الأوزار، بماء الاستغفار ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

وليكن منكم الحفظة: يحفظون عليهم أعمالهم، ويحصون ما عليهم وما لهم.

وليكن منكم من يسعى في أرزاقهم: ليتفرغوا لطاعة رازقهم.

فقوم: يرسلون الرياح. وقوم: يسيرون السحاب. وقوم: يسجرون البحار. وقوم: ينزلون ماء الأمطار. وقوم: يحفظون الأقطار. وقوم: يغشون الليل. وقوم: يسبحون النهار. وقوم: معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات. وقوم: يرفعون الآفات. وقوم: يزخرفون الجنان. وقوم: يسعرون النيران.

فلما تمهدت الدار، ودار كأس إرادته فاستدار، فأول ما استُحْضِرِ إلى ذلك المحضر إبليس، وهو يرفل في ثياب التسبيح والتقديس، لكنها محشوة بأدغال التدليس. فلما حضر إلى ذلك المحضر، وشاهد جمال ذلك المنظر، ووقف على عرفات المعرفة فأنكر، وأصر على العصيان وأضمر، واستصغر حق هذا الماء والطين واستحقر. فلما قيل له: اسجد في صفاء كاساتك، فأبي واستكبر، فتجاوز الكأس، وفاتته صحبة الأكياس، وبقي في ظلمة الغم والوسواس، وفتش أكياس علمه وعمله، فإذا هي فلوس أكياس، فبقي منقطعاً في مفازة القطيعة، قاطعاً للشيعة والشريعة، كلما تزايد كربه، وتعاظم عليه ضربه، يستغيث بلسان ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ﴾ [النساء: ١١٩]، والقدر يقول: لأكتبن لهم منشور الأمان ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

فسَأَلَ المالك الإنظار فأُنظر، ليكون قائد الكفار إلى النار، عكازة يعتمد عليها ذوو الذنوب والأوزار، فإذا زل أحدهم قال: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[آل عِمرَان: ١٥٥] وإن عمل قال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القَصَص: ١٥].

فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية، هذا بترك ما أمر به، وذاك بفعل ما نهي عنه، جمع بينهما القدر إذ قدر، لأنه تعالى أمر، وأراد خلاف ما أمر، فما وهبه الأمر سلبته الإرادة.

فلما تعدياها: حكم لإبليس أن لا يتعداها. وطنب الشقي فيها خيامه، وجعل في عرصتها مقامه.

وأما آدم فإنه حن إلى دار المقامه، وتذكر لياليه وأيامه، فعاد على نفسه بالملامة، فنادى بين ندماء الندامة ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعرَاف: ٢٣] فتلقى بشير قربته بتفريج كربته ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[البَقَرَة: ٣٧].

وأما الشقي إبليس فانطلقت إليه خيول اللعنة، مطلقة الأعنة، تبشره بطرده وبعده، فأخرج منها مأموراً ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ ﴾[البقرة: ٣٨] فتقلقل آدم قلقاً، وكاد أن يتمزق حرقاً، وقال: سيدي جرعت مرارة الصدود في الصعود، فأعذني من حرارة القنوط في الهبوط.

فقيل له: لا بأس عليك حتى تصل إلى مفرق فريقين ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[الشّورى: ٧] فأخذ آدم ذات اليمين، وأخذ إبليس ذات الشمال، فكان أصلاً لأصحاب الشمال، لكنهما لما اصطحبا واجتمعا فكان للصحبة أثر، فكان محله من آدم وسيره معه مما يلي شماله، فأثر ذلك على ما كان في أصله من الصفح الأيسر، فبرحوا في ظل ظلمة مخالفته، فكفروا بقربهم منه ومحاذاتهم له.

وبقي من كان في الصفح الأيمن في نور معرفة آدم، فسلموا من ظلمة إبليس، لبعدهم عنه.

وأثر عليهم جوار من كفر، واستظلوا بظلمة ضلاله، وهم أهل الصفح الأيسر.

وأثر ذلك في صفاقم، وسلمت لهم أنوار ذواقم ومعارفهم، فما يرتكبه أهل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار، هو من أثر ذلك الجوار، وأشعة ذلك العذار.

واعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخر، وسبب آخر، وهو أنه لما أمر الله تعالى بقبض القبضة التي خلق منها آدم الَتَلِيِّلاِ، فهبط ملك الموت لذلك، وكان إبليس يومئذ في الأرض، قد استخلفه الله تعالى فيها مع جملة من الملائكة، وقد مكث زماناً طويلاً، يعبد الله، فقبض ملك الموت القبضة من سائر الأرض، وكان إبليس يطؤها بقدمه، فلما عجنت طينة آدم وصورت صورته من تلك الطينة، جاء خلق النفس من التراب الذي وطئه إبليس بقدمه، وخلق القلب من التراب الذي لم يطأه إبليس بقدمه، فاكتسبت النفس ما فيها من الخبث والأوصاف المذمومة من ملامسة وطء إبليس، ومن هنا جعلت النفس مأوى الشهوات، وعيشه وسلطانه عليها: لوطئه لها، ومن هنا جعل إبليس التكبر على آدم، حيث وجدها من تراب قدمه، ونظر إلى جوهر عنصره، وهو النار، فادعى الفخار حينئذ، ومال إلى الاستكبار.

وهكذا معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النُّور: ٢١] التي خلقت من تحت خطواته.

اعلم أنه لما نشأت شجرة الكون، أنبتت أغصاناً ثلاثة: غصن ذات اليمين، وغصن ذات الشمال، وغصن نبت مستقيماً قويماً، وهو غصن السابقين.

فكانت روحانية محمد ﷺ قائمة بالثلاثة أغصان، متعلقة بها، سارية فيها، لكل غصن نصيب على مقدار قابليته لتلك الروحانية، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فكان حظ غصن أصحاب اليمين: روحانية الهداية، والمتابعة له والعمل بسنته وشريعته، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

وكان حظ السابقين: روحانية القربى منه والزلفى لديه والصحبة له ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وكان حظ أصحاب الشمال من روحانية حمايتهم في الدنيا، وأمنهم من العقوبة المعجلة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية.

فلما آن أوان ظهور جسمانيته ﷺ إلى الوجود، نبت غصن وجوده مستقيماً قويماً.

فلما ثبت أصله، ونبت فرعه: ناداه متولي سياسته ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هُود: ١١٢] فكانت صفته ﷺ: الاستقامة، ومقامه دار المقامة.

فلما استقام: رحل عن الكونين. ولما أقام: نقل من مقام إلى مقام، حتى استقر به المنزل فأقام.

فالمقام الأول: مقام الوجود في الدنيا، وهو قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدَّثِّر: ١-٢].

والمقام الثاني: المقام المحمود في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسرَاء: ٧٩].

والمقام الثالث: مقام الخلود في الجنة، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فَاطِر: ٣٥].

والمقام الرابع: المقام المشهود، مقام قاب قوسين لرؤية المعبود ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النّجم: ٨-٩] الآية، فهو المخصوص بالدنو والعلو، والشهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود، لأن الوجود لما كان شجرة: كان هو ثمرتها، وكان هو جوهرها، فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحبة التي ينبت بها أصلها، فإذا غرست تلك الحبة، وغُذيت وربيت حتى نبتت وفرعت، وأورقت، واهتزت، وأثمرت، فإذا نظرت تلك الشجرة رأيتها في تلك الحبة التي نبت منها هذه الشجرة، فالحبة في البداية: نطفة حتى أظهرت صورة الشجرة.

والشجرة في النهاية: بها ظهرت، فأظهرت صورة تلك الحبة، فكذلك بطونه ﷺ في المعنى (في السابق) واختفاؤه وظهوره في الصورة (في اللاحق) واشتهاره، وهو معنى قوله ﷺ: "كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين" فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة، وهو مظهر صورته ﷺ، فما برح بلسان القدم مذكوراً، وفي طي العدم منشوراً.

وما مثال ذلك إلّا مثال تاجر عمد إلى فِرَاشِهِ وبَزّه فطواه في خزانة ملكه، وعبأه أثواباً بعضها فوق بعض، فأول ثوب دمجه وطواه، هو آخر ثوب أظهره وأبداه.

كذلك سيدنا محمد ﷺ كان أولَ الكل وجوداً، وآخرهم ظهوراً وخروجاً.

فلما تولى مقصار القدر سياسة هذا الغصن النبوي، فغذا بلباب بره: وسقاه بكأس محبته، وحماه في قلة حماه، ورباه حتى اهتزت رُباه، وتفرعت نفحات شذاه، فكانت تلك النفحات غذاء أرواح العارفين، ونور بصائر المؤمنين، وريحانة حضرة المحبين، وعرصة مجمع العاصين، وغياث مستسقي المذنبين.

فإن هب من تلقاء أصحاب الشمال سموم خطيئة، أو عاصف معصية، فأمال غصناً قد أنبته الله نباتاً، فمال به إلى عمل من أعمال أهل الشمال تلاعب بفرعه، وأثر ذلك في خضرة نضارة زرعه، لكن أصله في أرض الإيمان ثابت، فما يضره ما حدث في فرعه النابت، إذا تداركه صاحب سيئاته، فحماه من ذلك الهوى، وأماله إلى طريق الاستقامة بعد الطوى، وسقاه بماء الاستغفار حتى ارتوى، فهنالك يقبل منه ما نوى، ويورق غصن إيمانه بعد ما زوى، ويقوم خطيب الاعتذار عنه، وهو الصادق فيما نقل وروى، ويقسم بـــ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١-٢].

ثم اعلم أن الغصن المحمدي قد حصل من روحانية ما هو مادة الأرواح، ومن جسمانية ما هو مادة الأشباح.

فأما مادة روحانيته، جوده في سر قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿مِصْبَاحٌ﴾ [النُّور: ٣٥] يعني مصباح نور نبينا محمد ﷺ، فقد جعله مصباح مشكاة الوجود، فشبه الكون بالمشكاة، وسيدنا محمدا ﷺ بالزجاجة، والنور الذي هو قلبه بالمصباح، فأشرق نور باطنه على ظاهره، كإشراق المصباح في الزجاجة، فصار نور المصباح ناراً، والزجاجة نوراً لصفائها، فصار نوراً وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه واتباعه له، والدخول في شيعته، والعمل بشريعته، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ ﴾[الزّخرُف: ١١] فشبه الله تعالى حبيبه محمداً ﷺ بالماء النازل من السماء بقدر، لأن الماء حياة كل شيء، وكذلك كان نوره ﷺ حياة كل قلب، ووجوده رحمة لكل شيء.

ثم بيَّن انتفاع الناس بنوره، وما نالهم من بركته ﷺ بالأدوية فجعل القلوب أودية، منها: الكبير والصغير، والجليل، والحقير.

فاحتمل كل قلب على قدر وسعه ومقدار مادته من الماء، وتطرق السيل إليه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[البَقَرَة: ٦٠] ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابي، المحتمل على وجه الماء الصافي، وهو مرباه الظاهر، من: الأكل والشرب والنكاح، ومشاركة الناس في أفعالهم وأحوالهم، فذلك كله يذهب ويتلاشى ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾[الرّعد: ١٧] من نبوته، ورسالته، وحكمته، وعلمه، ومعرفته، وشفاعته ﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرّعد: ١٧].

واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك، أنه خلق من لطيف وكثيف، ليكون كامل الخلق، كامل الوصف، خلقه الله تعالى من ضدين: جسماني وروحاني، فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر، ومقايسات الصور، فجعل له قوة يلاقي بها البشر، فيمدهم بمادة بشريته، فيكون معهم بهم، فيكون هم لهم ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠] يجانسهم ويشاكلهم، لأنه لو برز إليهم في هيئة روحانية ملكية نورانية، لما أطاقوا مقابلته، وما استطاعوا مقاومته، فلذلك منَّ الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التّوبَة: ١٢٨].

ثم جعل له قوة وروحانية يقابل بها عالم الروحانيين، وملكوت العُلوين، ليكون تام البركة، تام الرحمة.

الروحانيون: يشهدون جسمانيته.

ثم جعل له وصف ثالث خاص، خارج عن هذين الوصفين، وهو أنه جعل فيه وصف رباني وسر إلهي يثبت به عند تجلي صفات الربوبية، ويطيق به مشاهدة الحضرة الإلهية، ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية، ويسمع به خطاب الإشارات القدسية، ويستنشق به عطر النفحات الرحمانية، ويعرج به إلى المقامات العذبة البهية، وهو معنى سر قوله ﷺ: "لست كأحد منكم" وقوله ﷺ: "لي وقت لا يسعني فيه غير ربي سبحانه".

فهذا المقام: ليس يختص: به مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسل: كأس لم يتناوله سواه، عروس ما جليت إلّا عليه وهو هذا المقام المخصوص به، وهو أحد المقامات الأربعة التي ذكرناها.

وأما الثلاثة الأُخر، فإنها كرامات لسائر الخلق، ليتناول كلٌّ منهم ما قسم له من النصيب.

فأما المقام المحمود: فمخصوص بعالم الصورة، وهو عالم الملك في الدنيا، فيتناولهم وجود طمأنينته وبركة نبوته ورسالته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، أقيم على منبر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المَائدة: ٦٧]، الآية.

فهو في الدعوة مجيبهم، وفي النصيحة خطيبهم، ومن الزلزلة طبيبهم، ومن المحبة نصيبهم.

فهذا مخصوص بأهل الدنيا.

وأما المقام الثاني فهو: المقام المحمود في القيامة، وذلك نصيب الملأ الأعلى، فينالهم من بركة مقامه، ومشاهدة جماله، وسماع كلامه ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[النبأ: ٣٨]، الآية، يؤذن له في الخطاب، فيقوم خطيباً، والملائكة صفوفاً، والخلائق وقوفاً، فيفتح خطبته بالشفاعة لأمته، ينادي: "أُمتي أُمتي" فيجيبه: "رحمتي رحمتي".

وأما المقام الثالث: فالشهود وذلك في دار الخلود، لينال أهل الجنة منه نصيبهم، تتمتع بمشاهدته الحور، وتتشرف بحلوله القصور، ويقدم لقدومه السرور، وتزداد الجنة نوراً، وترفع بقدومه الحجب وتزول الشرور.

المقام الرابع: هو المقام الذي خُصَّ به ﷺ، وهو مقام رؤية المعبود جلّ وعلا، وهو مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٩].

وذلك أنه لما كان ثمرةَ شجرة الكون، ودُرّة صدفة الوجود وسرّه، ومعنى كلمة "كن" و لم تكن الشجرة مرادة لذاتها، وإنما كانت مرادة لثمرتها، فهي محمية محروسة لاجتناء ثمرتها، واستجلاء زهرتها.

فلما كان المراد: عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها، وزفها إلى حضرة قربه، والطواف بها على ندمان حضرته، قيل له: "يا يتيم أبي طالب، قم فإن لك طالب، قد ادّخر لك مطالب".

فأرسل إليه أخصّ خُدّام الملك، فلما ورَدَ عليه قادماً وافاه على فراشه نائماً، فقال له: يا جبريل إلى أين؟ فقال: يا محمد ارتفع الأين من البين، فإني لا أعرف في هذه النوبة أين، لكني رسول القِدَم أُرسلت إليك من جملة الخدم ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

قال: يا جبريل، فما الذي مُراد مني؟

قال: أنت مُراد الإرادة، مقصود المشيئة، فالكل مُراد لأجلك، وأنت مُراد لأجله، وأنت مختار الكون، أنت صفوة كأس الحب، أنت دُرّة هذه الصدفة، أنت ثمرة هذه الشجرة، أنت شمس المعارف، أنت بدر اللطائف، ما مهدت الدار إلا لرفعة محلك، ما هيئ هذا الجمال إلَّا لوصلك، ما روق كأس المحبة إلّا لشربك، فقم، فإن الموائد لكرامتك ممدودة، والملأ الأعلى يتباشرون بقدومك عليهم، والكروبيون يتهللون بورودك إليهم، وقد نالهم شرف روحانيتك، فلا بد لهم من نصيب جسمانيتك، فشرّف عالم الملكوت، كما شرفت عالم الملك، وشرف بوطء قدميك قمة السماء، كما شرفت بهما أديم البطحاء.

قال: يا جبريل، الكريم يدعوني؟ فماذا يفعل بي؟ قال: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

قال: "هذا لي، فما لعيالي وأطفالي، فإن شرّ الناس مَن أكل وحده".

قال: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾[الضّحى: ٥].

قال: يا جبريل: الآن طاب قلبي، ها أنا ذاهب إلى ربي، فقرّب له البراق.

فقال: مالي بهذا؟

قال: مركب العشاق.

قل: "أنا مركب سوقي" وزادي توقي، ودليلي: ليلي، أنا لا أصل إليه إلَّا به، ولا يدلني عليه إلَّا هو.

وكيف يطيق حيوان ضعيف أن يحمل من يحمل أثقال محبته، ورواسي معرفته، وأسرار أمانته التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال، وكيف تطيق أن تدل بي، و أنت الحائر عند سدرة المنتهى.

وقد انتهى إلى حضرة ليس لها منتهى!؟

يا جبريل: أين أنت مني، ولي وقت لا يسعني فيه غير ربي.

يا جبريل: إذا كان محبوبي ليس كمثله شيء، فأنا لست كأحدكم، المركوب يقطع به المسافات، والدليل يستدل به إلى الجهات، وإنما ذلك محل الحدثات، وأنا حبيبي مقدس عن الجهات، منزه عن الحدثات، لا يوصل إليه بالحركات، ولا يستدل عليه بالإشارات، فمن عرف المعاني: عرف ما أُعاني، هلم، إن قربي منه مثل قاب قوسين أو أدنى.

فوقعت هيئة الوقت على جبريل، فقال: "يا محمد إنما جيء بي إليك لأكون خادم دولتك، وصاحب حاشيتك، وجيء بالمركب إليك لإظهار كرامتك".

لأن الملوك من عاداتهم إذا استزاروا حبيباً، أو استدعوا قريباً، وأرادوا ظهور كرامتهم واحترامهم، أرسلوا أخص خدامهم، وأعز دوابهم، لنقل أقدامهم، فجئناك على رسم عادة الملوك، وآداب السلوك.

ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يوصل إليه بالخُطا، وقع في الخَطأ.

ومن ظن أنه محجوبٌ بالغطاء، فقد حرم العطاء.

يا محمد: إن الملأ الأعلى في انتظارك، والجنان قد فتحت أبوابها، وزخرفت رحابها، وتزينت أترابها، وروق شرابها، كل ذلك فرحاً بقدومك، وسروراً بورودك، والليلة ليلتك والدولة دولتك، وأنا منذ خلقت منتظر هذه الليلة، وقد جعلتك الوسيلة في حاجة، قلَّت فيها حيلتي، وانقطعت وسيلتي، فأنا فيها حائر العقل، ذاهل الفكر، داهش السر، مشغول البال، زائد البلبال.

يا محمد: حيرتي أوقفتني في ميادين أزله وأبده، فجلت في الميدان الأول، فما وجدت له أول، وملت إلى الميدان الآخر، فإذا هو في الآخر أول، فطلبت رفيقاً إلى ذلك الرفيق، فتلقاني ميكائيل في الطريق، فقال لي: إلى أين؟ الطريق مسدودة، والأبواب دونه مردودة، لا يوصل إليه بالأزمان المعدودة، ولا يوجد في الأماكن المحدودة.

قلت: فما وقوفك في هذا المقام؟

قال: شغلني بميكائيل البحار، وإنزال الأمطار، وإرسالها في سائر الأقطار، فأعرف كم أجاجها مدداً، وكم تقذف أمواجها زبداً، ولا أعرف للأحدية أمداً، ولا للفردية عدداً.

قلت: فأين إسرافيل، قال: ذلك أدخل في مكتب التعليم، يصافح بصفحة وجهه اللوح المحفوظ، ويستنسخ منه ما هو مبروم ومنقوض، ثم يقرأ على صبيان التعليم، في مثال ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦] ثم هو في زمن تعلمه، لا يرفع رأسه حياء من معلمه، فطرفه عن النظر مقصور، وقلبه عن الفكر محصور، فهو كذلك إلى يوم ينفخ في الصور.

قلت: فهَلُمَّ نسأل العرش ونستهديه، ونستنسخ منه ما علمه ونستمليه.

فلما سمع العرش ما نحن فيه اهتز طرباً، وقال لا تحرك به لسانك، ولا تحدث به جَنانَك، فهذا سر لا يكشفه حجاب، وستر لا يفتح دونه باب، وسؤال ليس له جواب، ومن أنا في البين حتى أعرف له أين؟

وما أنا إلا مخلوق من حرفين، وبالأمس كنت لا أثر ولا عين.

من كان بالأمس عدماً مفقوداً، كيف يعرف رؤية من لم يزل موجوداً، ولا والداً ولا مولوداً.

وهو سبقني بالاستواء، وقهرني بالاستيلاء، فلولا استواؤه لما استويت، ولولا استيلاؤه، لما اهتديت.

استوى إلى السماء وهي دخان، واستوى على العرش لقيام البرهان، فوعزّته لقد استوى، ولا علم لي بما استوى، وأنا والثرى بالقرب منه على حد سوى، فلا أحيط بما حوى، ولا أعرف ما زوى، ولكني عبد له، ولكل عبد ما نوى.

ثم إني أخبرك بقصتي، وأبثّ إليك شكوى غصتي، أُقسم بعُلى عزّته، وقوى قدرته، لقد خلقني، وفي بحار أحديّته غرّقني، وفي بيداء أبديّته حيّرني.

تارة يطلع من مطالع أبديته فينعشني. وتارة يدنيني من مواقف قربه فيؤنسني. وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشني. وتارة يناجيني بمناجاة لطفه فيطربني. وتارة يواصلني بكاسات حبه، فيسكرني.

وكلما استعذبت من عربدة سُكْري، قال لسان أحديّته –لن تراني–.

فذُبْت من هيبته فرقاً، وتمزّقت من محبته قلقاً، وصعقت عن تجلّي عظمته كما ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف: ١٤٣].

فلما أفقت من سَكْرَة وَجْدي به قيل لي: أيها العاشق، هذا جمال قد صُنّاه، وحُسْنٌ قد حجبناه، فلا ينظره إلّا حبيب قد اصطفيناه، ويتيم قد ربّيناه، فإذا سمعت ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[الإسرَاء: ١] فقف على طريق عروجه إلينا، وقدومه علينا، لعلك ترى من يرانا، وتفوز، بمشاهدة مَن لم ينظر إلى سِوانا.

يا محمد: إذا كان العرش مشوقاً إليك، فكيف لا أكون خادم يديك.

قدم إليه مركبه الأول: وهو البراق إلى بيت المقدس.

ثم المركب الثاني: وهو المعراج إلى سماء الدنيا.

ثم المركب الثالث: وهو أجنحة الملائكة من سماء إلى سماء. وهكذا إلى السماء السابعة.

ثم المركب الرابع: وهو جناح جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى.

فتخلف جبريل عليه السلام عندها، فقال: يا جبريل، نحن الليلة أضيافك، فكيف يتخلف المضيف عن ضيفه،" أهاهنا يترك الخليل خليله؟".

قال: يا محمد، أنت ضيف الكريم، ومدعو القديم، لو تقدمتُ الآن بقدر أنملة، لاحترقت ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٤]. قال: يا جبريل، إذا كان كذلك، ألك حاجة؟ قال: نعم، إذا انتهى بك إلى الحبيب، حيث لا منتهى، وقيل لك: ها أنت وها أنا، فاذكرني عند ربك.

ثم زج به جبريل عليه السلام زجة فخرق سبعين ألف حجاب من نور.

ثم تلقاه المركب الخامس: وهو: الرفرف من نور أخضر، قد سد ما بين الخافقين، فركبه حتى انتهى به إلى العرش، فتمسك العرش بأذياله، وناداه بلسان حاله، وقال: يا محمد، إلى متى تشرب من صفاء وقتك آمناً من معتكره، تارة يتشوق إليك حبيبك، وينزل إلى سماء الدنيا.

وتارة يطوف بك على ندمان حضرته، ويحملك على رفرف رأفته ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١].

وتارة يشهدك جمال أحديته ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[النّجم: ١١].

وتارة يشهدك جمال صمدانيته ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النّجْم: ١٧]. وتارة يطلعك على سرائر ملكوتيته ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النّجْم: ١٠]. وتارة يدليك من حضرة قربه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النّجْم: ٩].

يا محمد: هذا أوان الظمآن إليه، واللهفان عليه، والمتحير فيه، لا أدري من أي جهة آتيه، جعلني أعظم خلقه، فكنت، أعظمهم وأشدهم خوفاً منه.

يا محمد: خلقني يوم خلقني، فكنت أرعد من هيبة جلاله، فكتب على قائمتي: "لا إله إلَّا الله" فازدت لهيبة اسمه ارتعاداً وارتعاشاً.

فلما كتب علي: "محمد رسول الله"، سكن لذلك قلقي وهدأ روعي، فكان اسمك أماناً لقلبي، وطمأنينة لسري، ورقية لقلقي.

فهذه بركة وضع اسمك عليّ، فكيف إذا وقع جميل نظرك إليّ.

يا محمد: أنت المرسل رحمة للعالمين، ولا بد لي من نصيب في هذه الليلة، ونصيبي من ذلك أن تشهد لي بالبراءة من النار، مما نسبه إلي أهل الزور، وتقوله عليّ أهل الغرور، فإنه أخطأَ في قوم فضلوا، وظنوا إني أسع من لا حد له، وأحمل من لا هيئة له، وأحيط بمن لا كيفية له.

يا محمد: مَن لا حدّ لذاته، ولا عَدّ لصفاته، فكيف يكون مفتقراً إليّ أو محمولاً عليّ، فإذا كان الرحمن اسمه، والاستواء صفته ونعته، وصفته ونعته متصلان بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني؟ ولا أنا منه ولا هو مني.

يا محمد: وعزّته لست بالقرب منه وصلاً، ولا بالبعد عنه فصلاً، ولا بالمطيق له حملاً، ولا بالجامع له شملاً، ولا بالواجد له مثلاً.

بل أوجدني مَن رحمته: منَّة وفضلاً، ولو مَحَقَني لكان فَضْلاً منه وعدلاً.

يا محمد: أنا محمول قدرته، ومعمول حكمته، فكيف يصح أن يكون الحامل محمولاً

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦].

فأجابه لسان حاله ﷺ: " أيها العرش، إليك عني، فأنا مشغول عنك، فلا تكدر علي صفوتي، ولا تشوش علي خلوتي، فما في الوقت سعة لعتابك، ولا محل لخطابك".

فما أعاره ﷺ طرفاً، ولا قرأ من مسطور ما أوحى إليه حرفاً ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النّجْم: ١٧].

ثم قدم المركب السادس: وهو التأييد، فنودي من فوقه، و لم ير.

"حافظك قدامك: –ها أنت وربك".

قال: فبقيت متحيراً، لا أعرف ما أقول، ولا أدري ما أفعل، إذ وقعت على شفتي قطرة أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك، فصرت بذلك أعلم من جميع الأنبياء والرسل، فجرى على لساني: "التحيات المباركات لله، الصلوات الطيبات لله"، فأجبت: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فأشركت إخواني الأنبياء فيما خُصصت به، فقلت: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين". أراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال: ثم نوديت، ادنُ يا محمد، فدنوت، ثم وقفت، وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجْم: ٨] وقيل: دنا محمد في السؤال، فتدلى، فتقدم للرب عزّ وجلّ.

قيل: دنا بالشفاعة، وتقرب إلى الرب بالإجابة.
وقيل: دنا بالخدمة، وتقرب للرب بالرحمة ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[النّجْم: ٨] معناه: دنا محمد من ربه، فتدلى عليه الوحي من ربه، دنا لطافة فتدلى عليه رأفة ورحمة.
لا يوصف بقطع مفازة ولا مسافة، قد ذهب الأين من البين، وتلاشى الكيف، واضمحل الأين، فكان قاب قوسين فلو اقتصر على قاب قوسين، لاحتمل أن يكون للرب مكان، وإنما قوله: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النّجْم: ٩] لنفي المكان، وكان معه حيث لا مكان ولا زمان، ولا أوان ولا أكوان.
فنودي: يا محمد تقدم. فقال: " يا رب إذا انتفى الأين، فأين أضع القدم؟"
قال: ضع القدم على القدم حتى يعلم الكل أني منزه عن الزمان والمكان والأكوان، وعن الليل وعن النهار، وعن الحدود والأقطار، وعن الحد والمقدار.
يا محمد: انظر، فنظر فرأى نوراً ساطعاً، فقال: "ما هذا النور؟".
قيل: ليس هذا نوراً، بل هو جنات الفردوس، لما ارتقيت صارت في مقابلة قدميك، وما تحت قدميك: فداء لقدميك.
يا محمد: مبدأ قدمك منقطع أوهام الخلائق.
يا محمد: ما دمت في سير الأين، جبريل دليلك، والبراق مركبك.
فإذا ذهب المكان، وغبت عن الأكوان، وانتفى الأين، وارتفع البين من البين، ولم يبق إلَّا قاب قوسين، فأنا الآن دليلك.
يا محمد: أفتح لك الباب، وأرفع لك الحجاب، وأُسْمِعك طيب الخطاب، في عالم الغيب.
وحّدتني تحقيقاً، وإيماناً، فوحِّدني الآن في عالم الشهود، مُشاهَدَة وعياناً.
فقال: "أعوذ بعفوك من عقوبتك".
فقيل: هذا لعصاة أُمتك، ليس هذا حقيقة مدعي وحدتي.
فقال: "لا أُحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك".
فقال: يا محمد إذا كَلَّ لسانك عن العبارة، فلأكسونه لسان الصدق، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾[النّجْم: ٣] فإذا ضل عيانك عن الإشارة، فلأجعلن عليك خلعة الهداية ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النّجْم: ١٧] ثم لأعيرنك نوراً تنظر به جمالي، تسمع به كلامي، ثم أعرفك بلسان الحال معنى عروجك علي، وحكمة نظرك إلي.
فكأنه يقول مشيراً: يا محمد ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[الأحزاب: ٤٥] والشاهد مطالب بحقيقة ما شهد به، ولا يجوز له الشهادة على غائب، فأريك جنتي لتشاهد ما أعددته لأوليائي، وأريك ناري لتشاهد ما أعددته لأعدائي، ثم أشهدك جلالي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أني منزه في كمالي عن المثيل والشبيه والبديل والنظير والمشير، وعن الحد والقد، وعن الحصر والعد، وعن الزوج والفرد، وعن المواصلة والمفاصلة، والمماثلة، والمشاكلة، والمجالسة، والملامسة، والمباينة، والممازجة.
يا محمد: إني خلقت خلقي ودعوتهم إليّ، فاختلفوا عليّ.
فقوم: جعلوا العُزَير ابني، وأن يدي مغلولة، وهم: اليهود.
وقوم: زعموا أن المسيح ابني، وأن لي زوجة وولداً، وهم: النصارى.

وقوم: جعلوا لي شركاء، وهم: الوثنية.

وقوم: جعلوني صورة، وهم: المجسمة.

وقوم: جعلوني محدوداً، وهم: المشبهة.

وقوم: جعلوني معدوماً، وهم: المعطلة.

وقوم: زعموا أني لا أرى في الآخرة، وهم: المعتزلة.

وها أنا قد فتحت لك بابي، ورفعت لك حجابي، فانظر يا حبيبي يا محمد، هل تجد فيّ شيئاً معاً (مما) نسبوني إليه.

فرآه ﷺ بالنور الذي قواه به، وأيده به من غير إدراك ولا إحاطة، فرداً صمداً، لا في شيء، ولا على شيء، ولا قائماً بشيء، ولا مفتقراً إلى شيء، ولا هيكلاً ولا شبهاً، ولا صورة، ولا جسماً، ولا محيزاً، ولا مكيفاً، ولا مركباً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

فأما كلّمه شفاهاً، وشاهده كفاحاً، فقال: يا حبيبي يا محمد، لا بد لهذا الخلق من سرٍّ لا يذاع، وزمن لا يُشاع ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النّجْم: ١٠] فكان سرّاً من سر في سر:

وصلّ اللّهم وسلم وبارك على أشرف مخلوقاتك، سيدنا ومولانا محمد، بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وإمام حضرتك، وعروس مملكتك، وطراز ملكك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك، وسراج جنتك، وعين حقيقتك، المتلذذ بمشاهدتك، عين أعيان خلقك، المقتبس من نور ضيائك، صلاة تحلّ بها عقدتي، وتفرج بها كربتي، وتقضي بها أربي، وتبلغني بها طلبي، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، قائمة بذاتك، صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنّا يا ربّ العالمين. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، والحمد لله ربّ العالمين.

تمت شجرة الكون بحمد الله

كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر، يا كريم يا الله

قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن علي العربي الحاتمي الطائي:

الحمد لله الذي استخرج الإنسان من وجودِ علمه إلى وجودِ عينه في أوّل إبداعه جوهرة، فنظرها بعين الجلال فذابت حياء منه عندما حقّقت نظره، فسالت ماءً أكنَّ فيه جواهر علمه ودرره، ثم أرسل منه ميزاباً إلى مشربة غصن الامتزاج فأقام به صغره، وسمى ذلك الغصن إنساناً فصوّره، وشقَّ سمعه وبصره، وأحكم ترتيب وجود كل شيء في العالم الأكبر فيه ودبَّره فقدَّره، وأشهده بشاهد الإحسان كل شيء فقرَّره، ورتق سماء عقله بعدما فتقه وفطره، وأبطن كونه في كونه وأظهره، وحجبه عن سره بما هو أخفى وستره، حكمة بالغة لمن دقق النظر فيه واعتبره، ثم تجلّى له في حضرة الاقتداء فبَهره، فأجفل هارباً من نيران الهيبة فضمه وقهره، وغمسَه غمسةً في البحر الأخضر من غير أن يشعره، فإذا سرُّ القدرة الإلهية قد مازجت بشره، ثم كشف له عن حضرة الديمومية فحقق بها عُمره، ورداه رداء الحياة الأبدية دون كونٍ ضمَّه ولا أمدٍ حصره، وأعلى مناره للملائكة وأوضح غُرَره، فبايعته بالسجود إذ أمده بالأسماء ونوره، وجعله في أرض الأجسام خليفةً فأيده ونصره، ثم أبدع له العقل وزيراً فاستوزره، ووهبه سر الخطاب في نار الشجرة، وأعطاه عصا إعجازه فأهلك بها الخواطر السحرة، ثم خوفه لدى قسطاس الانقسام وحذَّره، وقسم موارده عليه قسمة منتشرة، وأردفها بأجناد إشارات إلهية غير منحصرة، وأورد الخواطر على باب حضرته فمقبلةٌ ومدبرةٌ، فمنها قابلة لعيون الإشارات ومنها مستنفرة، وعمّر مدينته في النمط الأوسط ومنها أفقره، وأغناه بمطالعة أسرار الملكوت وبها أفقره، وأباح له التصرُّف في الأكوان بما به عنها زجّره، وسوى في قبضتيه الأخذ بين من آمن به وكفره، وأشهده على تلك القبضة وقرَّره، ونصب ملكه جسراً للعبور فطوبى لمن عَبَره ثم شاء سبحانه أن يدنّسه بما به طهَّره، فجعله برزخاً جامعاً للكفرة والبررة، وأقامه في عالم التركيب داعياً على منابر التذكرة، وأيَّده بالعلوم الإلهية وغمره، ونهاه عن إفشاء ما بظهوره أمره، فقال: ألا تنظرون في عوالمكم إلى سماوات أفلاكها مسخَّرة، وأرضين بحارها مُسجَّرة، وفلك مشحون أجراه في بحر الكون عندما أوسقه وعمَّره، فهو يمشي بين رجلي رجاء وخوفٍ كتب عليهما الصانع القديم بقلم العلم المحيط في الرجل اليمنى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧]، وفي الرجل اليسرى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٨]؛ فليبادر بالطاعة لمن هداه النجدين وبصَّره، وليشكره على رزق قسمه فيسَّره وعسّره، وليبحث عن الكنز الذي حجبه بالجدار الجسماني وسَتره، ثم ليتدبَّر كيف أحياه حين أقبره، وأماته في الوقت الذي أنشره، وأظلمه بجلابيب حنادس غيوب النور الذي به أقمره، ودل به على النجي واللدني بآيتي محو ومبصرة، ثم صوَّر آية المحو في بعض الأحايين مُنورة، وذلك في الليالي المقمرة عند تقابلهما في الكرة، ثم أظهر ذلك السرّ فيمن ضرب بعصا الاختبار حجر الأسرار ففجَّره، شعر:

فـــانظر إلـــى شـــجرٍ فـــاضٍ علـــى حجـــر وانظـــر إلـــى ضـــارب مـــن خلـــف أســـتار

فسبحان من أودع هذه الأسرار في وجود حضرة الإنسان المقدسة المطهرة، فما أغفله عن القيام بشكرها ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [عبس: ١٧]، والويل لمن زهد في اعتبار وجوده وحقّره، والصّغار له فما أذله وما أصغره، فلَيتَه كما كفر شكره فيكون من الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً فانتظموا في سلك عسى المدّخرة في الدار العاقبة المؤخرة، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تابعه وآزره، الملتحفين في أبراد المعارف الربانية المحبَّرة، المطهرة بعلم العصمةِ المشهّرة ما سبّح الملك ربّه وذكره، وزهد أهل العناية في الجلوة الخضرة.

تمهيد

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله سبحانه قد شاء أن يبرز العالم في الشفعية لينفرد سبحانه بالوترية، فيصبح اسم الواحد الفرد، ويتميّز السيد من العبد. ولما وقفتَ، أوقفكم الله، على حقائق نفوسكم، وأطلعكم على ما أودعه فيكم من لطيف حكمته وغريب صنعته، على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣] فأخذت في الفكر وإدراكِ حقائق الموجودات وهو الذي يختصُّ باسم العقل والاعتبار في هذه الآية، فرأيت أن الإنسان من جملة الثمرات ينمو كنمائها، ويتغذى كغذائها ثم ينتهي كانتهائها، ويؤخذ منه الفوائد كالأخذ منها ثم يأخذ في النقص كنقصانها، ثم يهرم كهرمها، ثم يموت كموتها. ثم رأيناه يولد كتوليدها فيؤخذ بذرٌ منها فيزرع فيحدث فيه النبات كذلك حتى يصير إلى مثل حالها، فقد يؤخذ منه كما أخذ منها، وقد يترك فينقطع النسل من تلك الثمرة المعينة، وكذلك الإنسان في التوالد والتناسل على ذلك المنهج. فقلنا هذه شجرة فأين أختها التي تصح بها شفعيّتها وإطلاق هذه الآية عليها فكراً واعتباراً؟ فتتبّعنا وجود هذه الحكمة في الإنسان وتفضيله على سائر الحيوان، وتقصينا أسراره وحكمه ولطائفه، ورأيناها بأعيانها في العالم المحيط الأكبر قدماً بقدم، فلم نزل نقابله حرفا بحرف، ومعنًى معنى حتى وجدناه كأنه هو، فعلمنا أن الثمرة الواحدة العالم الأكبر المحيط، والثمرة الأخرى الإنسان الذي هو العالم الأصغر فطلبنا على ذلك تنبيهاً من الكتاب العزيز، فوقفنا على آيات بينات نيرات، منها ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾[ص: ٢٧]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]. فحمدنا الله سبحانه على ما أَلْهَمَ وأنْ علَّمَنا ما لم نكن نعلم فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

فانظر، نوَّر الله بصيرتك، إلى ما تفرَّق في العالم الأكبر تجده في هذا العالم الإنساني من مُلك وملكوتٍ، حتى إذا ظهر في العالم مثل النماء وجدته في الإنسان كالشعر والأظفار ونحو ذلك.

وكما أن في العالم ماءً مالحاً وعذباً، وزعاقاً ومرًّاً، فذلك موجود كله في الإنسان: فالمالح في عينيه، والزعاق في منخريه، والمر في أذنيه، والعذب في فمه.

وكما أن في العالم تراباً وماءً وهواءً وناراً، ففي الإنسان ذلك بعينه ومنها خلق جسمه. وقد نبَّه عليها الحكيم سبحانه في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غافر: ٦٧]، ثم

قال: ﴿مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: ٢] وهو امتزاج الماء والتراب. ثم قال جل اسمه: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨﴾ [الحجر: ٢٨] وهو المتغير الريح، وهو الجزء الهوائي الذي فيه. ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾[الرحمن: ١٤]، وهو الجزء الناري، وهذه حكمةٌ منه سبحانه: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾[الروم: ٥٤].

وكما أن في العالم رياحاً أربعاً شمالاً وجنوباً وصِباً ودبوراً، ففي الإنسان أربع قِوى: جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة.

وكما أن في العالم سباعاً وشياطين وبهائم، ففي الإنسان الافتراس وطلب القهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والأكل والشرب والنكاح والتمتع كما قال عزّ وجل: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢﴾[محمد: ١٢].

وكما أن في العالم ملائكة بررة سفرة، ففي الإنسان طهارة وطاعة واستقامة.

وكما أن في العالم من يظهر للأبصار ومن يخفى، ففي الإنسان ظاهر وباطن: عالم الحس وعالم القلب، فظاهره ملكٌ وباطنه ملكوت.

وكما أن في العالم سماءً وأرضاً ففي الإنسان علو وسفل.

وامش بهذا الاعتبار على العالم تجد النسخة الإلهية صحيحة ما اختل حرف ولا نقص معنى، ولم تجد له في مقابلة الأزل إلا الأبد وهو غير متناهي الطرف الآخر شرعاً.

وسَبْقٌ في علم قديم باقٍ ببقاء الله عز وجل.

قال العبد وَجَرَت المتصوفة عادةً ﷺ في هذا النظر والاعتبار مجرى العرب في كلامها من الاستعارات والمجاز بأدنى شبه وأَيْسَر صفة تجمع بينهما، وفي القرآن من هذا القبيل كثيرٌ إذ القرآن جارٍ على لغة العرب، كما قال ﷺ: "وإنما أنزل القرآن بلساني، لسان عربي مبين". ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم: ٤]، ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩]، ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾[البقرة: ٢٦٤]، ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، فلما ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فلم تزل الصوفية رضي الله عنها في نظرها واعتبارها على هذا المنهج، فلنلخّص لك ولنقرّب عليك كيف تنظر العالم في الإنسان على ما تقدم، وذلك أن تنظر إلى ما خرج عنك من الموجودات فإذا وقعت عينك على موجود ما فاطلب الصفة التي غلبت على ذلك الموجود حتى (شهر بها). وإذا عرفت تلك الصفة التي أنبأت عنه ودلت عليه فإما صفة نفسية له وإما صفةٌ غالبةٌ عليه.

ثم تنظر تلك الصفة بعينها فتجدها في الإنسان لا محالة، فتطلق على الإنسان عند مشاهدة تلك الصفة اسم الذي هو صفته، مثل البلادة التي هي غالبةٌ على الحمار دون غيره من الحيوان، فتقول في الإنسان حماراً إذا رأيناه بليداً، أو أسداً إذا رأيناه شديداً طالب الافتراس.

ومثل هذا النظر أيضا في الأسرار الشريفة مثل أن تنظرَ إلى الشمس والقمر فتجعل الشمس الروح والقمر النفس، وذلك أن النفس ذات كمالٍ ونقصٍ حسب ما يرد في داخل هذا الكتاب، فكمالها بالعقل والعلم، ونقصها بالجهل والشهوات.

وكما أن نقص القمر قد يكون سببه في الكسوف الأرض، وهو الأسفل من العالم، كذلك نقص النفس إنما هو من ارتكاب الشهوات ومحلها أسفل سافلين. وكما أشرقت الأرض بنور الشمس

كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح، فكشفت الأشياء على ما هي عليه، إلى أمثال هذا مما يطول ذكره.

قال المؤلف ﷺ: ولما أردنا أن نأخذ في مقابلة النسختين العالم الأكبر والأصغر على الإطلاق في جميع الأسرار العامة والخاصة، رأينا أن ذلك يطول وغرضنا من العلوم ما يوصل إلى النجاة في الآخرة إذ الدنيا فانيةٌ داثرةٌ، فعدلنا إلى أمر يكون فيه النجاة، ويتمشَّى معه المراد الذي بنينا عليه كتابنا وهو أنَّا نظرنا الإنسان فوجدناه مكلَّفاً مسخَّراً بين وعدٍ ووعيد، فسعينا في نجاته مما توعد به وتخليصه لما وعد الله إليه، فاضطرنا الحال في إقامة القسطاس عليه من العالم الأكبر، فقلنا أين ظهرت الحكمة من الخطاب والوعد والوعيد من العالم الكبير، فرأينا ذلك في حضرة الأمر والنهي وحضرة الإمامة ومقرّ الخلافة. فوجدنا الخليفة شاهداً فيه ظهرت الحكمة وآثار الأسماء، وعلى يديه تنفعل أكثر المكونات المخلوقة للباري تعالى. فتقصَّينا الأثر وأمعنا النظر في حظّ الإنسان من هذه الحضرة الإمامية، فوجدنا في الإنسان خليفة ووزيراً وقاضياً وكاتباً وقابض خِراج وجبايات وأعواناً ومقابلة أعداء وقتلاً وأسراً، إلى أمثال هذا مما يليق بحضرة الخلافة التي هي محل الإرث، وفي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وانتشرت راياتها ولاحت أعلامها وأذعن الكل لسلطانها ثم خفيت بعد الأنبياء صلوات الله على محمد وعليهم فلا تظهر أبداً إلى يوم القيامة عموماً. لكن قد تظهر خصوصاً: فالقطب معلومٌ غير معين وهو خليفة الزمان، ومحل النظر والتجلي، ومنه تصدر الآثار على ظاهر العالم وباطنه، وبه يرحم الله مَن يرحم ويعذّب من يعذّب وله صفات إن اجتمعت في خليفة عصر فهو القطب وعليه مدار الأمر الإلهي. وإن لم تجتمع فهو غيره، ومنه تكون المادة لمُلْك ذلك الزمان، وهذا كله في الإنسان موجود. ونحن إن شاء الله نورده في هذا المجموع أحسنَ إيرادٍ، مختصراً كافياً مقنعاً، والله ينفع العبد بما قصد، ويسلك به الطريق الأقوم الأسدّ والله أعلم.

المقدمة

التصوف، صافاك الله، أمره عجيبٌ، وشأنه غريبٌ، وسرُّه لطيفٌ، وليس يمنح إلا لصاحب عنايةٍ وقدم صدق، له أمورٌ وأسرارٌ غطّى عليهن إقرارٌ وإنكارٌ. وسُقنا هذه المقدمة توطئةً لعلوم التصوف على الإطلاق. فإن الإنكار عليه شديد وشيطان المخالفة له مريد. على أنَّا ما سقنا من هذه العلوم في هذا الكتاب إلا النزر اليسير في آخره وإشارات تتخلله. فسقنا في هذه المقدمة لتلك الإشارات الشريفة، ومن أراد أن يقف من تواليفنا على جُلّ أسرار هذه الطريقة الشريفة، فليطالع كتاب " مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء المخدرات بخيمات اللّقاء"، وبنيناه على ثلاثمائة باب وثلاثة آلاف مقام في كل باب عشر مقامات، كلها أسرارٌ بعضها فوق بعض. فرجونا وفّقك الله في سياق هذه المقدمة في هذا الكتاب التي هي كالعلاوة عليه، أن يقف عليها السالك ابتداءً، فيكون له عصمة من الإنكار على كلام أهل الطريقة وما يقف عليه في داخل هذا الكتاب فيقع منه التسليم؛ فربما يفتح له قفل السرّ الذي وقف عنده وسلَّمه. فلهذا ما أوردناها، جعلنا الله ممن حسن إسلامه وسلم ما لم يبلغه علمه آمين بعزته.

فاعلم شرح الله سبحانه صدرك أن مبنى هذا الطريق على التسليم والتصديق، حتى قال بعض السادة القادة: "لا يبلغ الإنسان درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق".

ثم يؤيد قول هذا السيد بقول الشريف الرضي، حفيد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه العزيز ورضي عنه، شعر:

إنـــي لأكـــتُمُ مـــن علمـــي جـــواهره ... كـــي لا يـــرى الحـــق ذو جهـــلٍ فيفتتنـــا
فقـــد تقـــدَّم فـــي هـــذا أبـــو حســـنٍ ... إلـــى الحســـين ووصـــى قبلـــهُ الحســـنا
يـــا رُبَّ جـــوهر علـــمٍ لـــو أبـــوح بـــه ... لقيـــل لـــي أنـــت ممـــن يعبـــد الوثنـــا
ولاســـتحلَّ رجـــالٌ مســـلمون دمـــي ... يـــرون أقـــبح مـــا يأتونـــه حســـنا

فاشترط في إنكار هذا المعلق النفيس رجالاً سماهم مسلمين قد وقفوا مع التخيُّل والتلبيس وكيف لا ينكر هذا الطريق وهل يبقى أثر للباطل عند ظهور الحق، ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. وقال الشاعر:

ألـــم تـــرَ أنَّ الله أعطـــاك صـــورةً ... تـــرى كـــل مَلـــكٍ دونهـــا يتذبـــذبُ؟
فإنـــك شـــمسٌ والملـــوك كواكـــب ... إذا طلعـــت لـــم يبـــدُ مـــنهن كوكـــبُ

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام: ٩١]، "حسنات الأبرار سيئات المقربين"، "إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرةٍ". فانظر هذين الشيئين في عالم الحس الداخل تحت ذل الحصر، فكيف بعالم الملكوت.

فكل من تكلم في غير هذا المقام فإنه صاحب أضغاث أحلام. ألم ترَ إلى قول الجنيد رضي الله عنه: "إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبقَ له أثر". وشتّان بين من ينطق عن درسه ونفسه وبين من ينطق عن ربه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣] فإياك وطلب الدليل من خارج فتفتقر إلى المعارج، واطلبه في ذاتك تجد الحق في ذاتك.

أرأيت لما ثبتت نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستقر في نفوس العقلاء أنه صلى الله عليه وآله وسلم ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه كيف دخلوا في رق الانقياد والتسليم، وتصرفت عليهم وظائف التكليف، ولم يسألوا ما الدليل؟ ولا ما العلة؟ ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون عن أشياء حتى نُهوا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١]، فقال الصحابة: "نُهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

فإن تعرض لك أيها الأخ المسترشد من ينفّرك عن الطريق فيقول لك: طالِبه بالدليل والبرهان، يعني أهل هذه الطريقة، فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهية، فأعرض عنه، وقل له مجاوباً في مقابلةٍ ذلك: ما الدليل على حلاوةِ العسل؟ ما الدليل على لذة الجِماع وأشباههما؟ وخبرني عن ماهية هذه الأشياء، فلا بد أن يقول لك هذا علمٌ لا يحصل إلا بالذوق، فلا يدخل تحت حد ولا يقوم عليه دليل، فقل له: وهذا مثل ذلك.

ثم اضرب له مثالاً آخر وقل له: لو كان لك دار بنيتها بيدك وما اطلع عليها أحد غيرك، ففشا ذكرها واتصل بأسماع الناس خبرها، ثم اصطفيت أحداً من خواصك، فأدخلته إياها حتى عاينها وأحاط بما أطلعته منها عليه، وهو بمرأى الناس عند إدخالك إياه، ثم خرج إليهم وقعد يصف لهم ما رأى فيها. هل يصح أن يُقال له ما الدليل في ذلك المقام على ما تذكر أنه على هذه الصفة؟ هذا لا يصح.

ولو طالبه أحدٌ بذلك حمّقهُ الناس وسخّفوه وقالوا هذا شيء لا يقوم عليه دليل. غايتنا أنا رأينا رجلاً أدخله صاحبُ الدار وخرج فوصف ما رأى؛ فمَن حَسُنَ ظنه به وثبتت عنه العدالة صدّقه في قوله، ومن لم يُحسن ظنه فلا يلزمه ذلك، ولا يحسن من أحد أن ينكر عليه مقالته. فإذا أردتَ أن تقف على ما ادّعاه هذا الداخل فارغب إلى صاحبها يدخلك إياها فتشاهد ما شاهد وليس غير ذلك.

فكذلك يا أخي هذا العلم السَّنِي الذي هو نتيجة التقوى. إذا رأينا رجلاً قد اتقى الله سبحانه ووقف عند حدوده، واتصف بالزهد والورع وأشباه ذلك ثم نطق بعد هذا بعلمٍ لا تسعه عقولنا وهبَه الله سبحانه إياه، فالواجب علينا التسليم والتصديق فيما ادعاه، وتحسين الظن به، وترك الاعتراض عليه، فإن الله تعالى يخص من يشاء من عباده بما شاء من علومه، كما قال ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، من عباده، وقال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، ومسألة موسى والخضر عليهما السلام مقنع أعني في الاختصاص: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣].

هل صدر قط أو سمع عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما العلة على أن الظُّهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، ولِمَ أُسِرَّ في بعض وجُهِرَ في بعض؟ ما سمعنا بهذا وإنما لم يكن ذلك لأنه قد ثبتت عصمته وبان صدقه، وعلم أنه لا ينطق عن نفسه. فمهما رأيناك تطلب الدليل والعلم ممن ورثه ولازم التقوى التي تدل على صحة علمه كدلالة المعجزة على صدق الرسول، عَلِمْنا أن صفةَ الصدق ما استقرت لديك ولا تبَّدت قطٌّ إليك. فسلم إليهم أحوالهم، ولا تُنكر عليهم أقوالهم، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] عسى الله أن يفتح لك باباً من عنده تصل من ذلك ولا تنكر عليهم؛ وفَّقك الله النطق بالغيب مع إيمان بالمثال الظاهر المحسوس؛ الذي نصب الله لك؛ ذلك أن المرآة إذا صقلت وجلي عنها الصدأ وتجلت صورة الناظر فيها، أليس يرى المرءُ فيها نفسه حسناً أم قبيحاً فإن جاء أحدٌ خلفه تجلّت صورته في المرآة؛ فعندما نظر إليها قال للحاضرين معه خلفي إنسانٌ أو شيء على صورة كذا وكذا، حتى يستوفي ما رأى، وهو لم يره بعينه الرؤية المعهودة، والتصديق بهذا واجب فإنه محسوسٌ.

كذلك المعقول نظير المحسوس، فيعمد الإنسان إلى مرآة قلبه فيجلوها من صدأ الأغيار، ويميط عنها كل حجاب يحجبها عن تجلي صور المعقولات والمغيّبات بأنواع الرياضات والمجاهدات، فإذا صفت وانجلت تجلَّى فيها كل ما قابلها من المغيبات، فنطق عما شاهد ووصف ما رأى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، وهذا مقالٌ على التقريب، ولولا خوف التطويل لتكلّمنا على ضروب المكاشفة وأصنافها لكن يكفي هذا القدر.

فمن أراد أن يقف على أنواعها على الكمال من تآليفنا فليقف على "جلاء القلوب". ثم يا ليت شعري طالب الدليل على هذا العلم المشاهد هل أحاط علماً بمعاني الكتاب والسنة حتى يقال له هو مثل كذا؟ هل أحاله دليل العقل؟ فغاية العاقل الذي حصل له عقل التكليف ووقف عند أحكامه من واجب وجائز ومستحيل أن يجعل ما نطق به هذا الصوفي من قَبيل الجائز، وإنما صار واجباً عندهم لا من حيث نفسه إلا من حيث العلم القديم بأنه سيكون.

فإذا أتى هذا الصوفي بالجائز أو بموافقات العقول، إذ النبوة والولاية فوق طور العقل، فالعقل إما أن يجوز أو يقف لأنه ما أتى بشيء يهدُّ به ركناً من أركان التوحيد، ولا ركناً من أركان الشريعة. فما جُرم المستمع له في معرض الإنكار إلا قلة التصديق؛ فالصفة راجعة إليه، والصوفي منزَّه عما نسب إليه؛

فدارِك يا أخي، دارِك قبل حلول الهلاك، ويموت الإنسان على ما كان عليه، ويُحشر على ما مات عليه؛ وحذار حذار من فوات هذه الأسرار وعدمِ الاستضاءة بهذه الأنوار. فافترش أيها الطالب الحبيب بساط التسليم، واخرج بالحرية عن رقّ الإنكار، واقعد على كرسي الفكر، وأفرغ عليك حلة المجاهدة، واجعل على رأسك تاج الموافقة والمساعدة، وانظر النطق من غير محل الخطاب تجد الحق، وانظر المستمع تجده مستمعاً مسمعاً مخاطَباً مخاطِباً فإذا كان هو المتكلم والمكلم، المستمع والمسمع، فأنت عدم؛ وإن كنت موجوداً، كما أنت حاضر وإن كنت مفقوداً.

ولذلك أشار ﷺ مخبراً عن ربه: "ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره" فمن يكن الحق سمعه وبصره فكيف يخفى عليه شيء؟ ومن كان الحق لسانه كيف ينتهي كلامه؟

فتحقق هذه المقدمة وقِف عندها ترشد وتحمد عاقبة أمرك إن شاء الله، فوفّر دعاويك وفقك الله لما نورده عليك في هذا الكتاب، والله ينفعنا وإياك بالعلم، ويجعلنا من أهله آمين بعزّته.

سر للخواص:

لكن هنا سر نرمزه ليلتذ به صاحبه إذا وقف عليه، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فالعرش المذكور في هذه الآية مستوى الرحمن، وهو محل الصفة؛ والخليفة الذي سميناه عرشاً حملاً على هذا مستوى الله جل جلاله؛ فبين العرشين ما بين الله والرحمن وإنه كان ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه. وحد الاستواء من هذا العرش المرموز قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى خلق آدم على صورته"؛ فالعرش الحامل للذات والمحمول عليه للصفة فتحقق أيها العارف وتنبه أيها الواقف، وأمعن أيها الوارث، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤﴾ [الأحزاب: ٤].

وعبر عنه بعضهم بالمعلم الأول، والذي حملهم على ذلك أنه لما تحقق عندهم خلافته وأنه حامل الأمانة الإلهية، ونسبته من العالم الأصغر نسبة آدم من العالم الأكبر، وقد قيل في آدم [عليه السلام] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]؛ كذلك هذا الموجود، ثم خاطب الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: ٣١]. فأمر الخليفة أن يعلمهم ما لم يعلموا فأمرهم الله سبحانه بالسجود لمعلمهم كسجود الناس إلى الكعبة، وتشريف لا سجود عبادة. أعوذ بالله لا أشرك به أحداً.

فيكون في هذا العالم الإنساني ثمرة السجود لا نفس السجود؛ وإنما هو التواضع والخضوع والإقرار بالسبق والفخر والشرف والتقدم له كتواضع التلميذ لمعلمه.

وإذا حصل موجود في مقام تتعلم منه الملائكة فأحرى من دونهم. وذلك تشريف من الله سبحانه، ودليل قاطع على ثبوت إرادته ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤].

سر للخواص:

وهو حين أوقع الأسماء هل عاين المسميات أم لا؟ وإلا كيف يصح إطلاق اسم من غير مسمى، وهذا موضع نظر وفكر.

وسر السجود هنا لا يمكن إيضاحه، وقد ذكرناه في "مطالع الأنوار الإلهية"؛ فأما هل عاين المسميات فقد نبه على ذلك تعالى بقوله "بأسماء هؤلاء": فالهاء للإشارة والتنبيه، ولا تقع الإشارة إلا على حاضر وإن كانت الإشارة في هذا الطريق نداء على رأس العبد وبوحاً لعين العلة، فنقول إنه عاين المسميات لكن على صورة ما، وذلك أنه عاينها في نفسه من حيث أنه مجمع أسرار العالم ونسخته الصغرى، وبرنامجه الجامع لفوائده؛ وهذه فائدة الإشارة بقوله تعالى ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في حقنا وهو المطلوب والغرض في هذا الكتاب.

وعبر عنه بعضهم بمرآة الحق والحقيقة: والذي حملهم على ذلك أنهم لما رأوه موضع تجلي الحقائق والعلوم الإلهية والحكم الربانية، وأن الباطل لا سبيل له إليها، إذ الباطل هو العدم المحض، ولا يصح في العدم تجلٍ ولا ظهور كشف، فالحق كل ظهر في الوجود وفي إيراد الشبهات المعارضة للأدلة يتضح ما أردنا.

سر للخواص:

السبب الموجب لكونه مرآة الحق قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن مرآة أخيه". والأخوة هنا عبارة عن المثلية اللغوية في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى: ١١]؛ وذلك عند بروز هذا الموجود في أصفى ما يمكن وأجلى ممكن ظهر فيه الحق بذاته وصفاته المعنوية لا النفسية، وتجلى له من حضرة الوجود؛ وفي هذا الظهور الكريم قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾[التين: ٤]؛ فتأمل هذه الإشارة فإنها لباب المعرفة وينبوع الحكمة.

وعبر عنه الشيخ العارف أبو الحكيم بن برجان رضي الله عنه بالإمام المبين، وهو اللوح المحفوظ، المعبر عنه بكل شيء في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وهو اللوح المحفوظ. هذا دليل أبي الحكيم على تسميته "كل شيء".

والذي حمله على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس: ١٢]، ووجدنا العالم كله أسفله وأعلاه محصى في الإنسان فسميناه الإمام المبين، وأخذناه تنبيهاً من الإمام المبين الذي هو عند الله تعالى، فهذا حظنا منه فتدبره وتحققه.

سر للخواص:

قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، اعتباره الذي هو الإنسان منه شيء تفصيل في العالم بأسره؛ الإمام على الحقيقة المبين من كل شيء مأموماً به، وهذا لا يصح في موجود ما لم تصح له المثلية اللغوية الفرقانية. فإذا صحت المثلية صح وجود الإمام، وإذا صح وجود الإمام بطلت الإمامة في حق غيره: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[الأنبياء: ٢٣]. فإذا نظرنا في هذا الإمام المبين نظرنا بما استوجب الإمامة، فوجدناه استوجبها بأسرار وصفات هو عليها فقلنا هي من نفسه أو من غيره، فوجدناها أمانة بيده فقرأنا ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، فلاحت لنا مرآة الحق

المستقدمة، فضربنا الإمام المبين في المؤمن مرآة أخيه، فخرج لنا واحد في الخارج، فسماه بعضهم مرآة، وبعضهم إماماً: فالإمام كتابي والمرآة سنية.

وعبر عنه بعضهم بالمفيض، وبه كان يقول شيخنا وعمادنا أبو مدين شيخ الشيوخ رضه، أخبرني بذلك عنه غير واحد ممن أثق به، والذي حملهم على ذلك أنهم لما رأوا الأجسام بيوتاً مظلمة وأقطاراً سوداً مدلهمة، فإذا غشيها نور الروح أضاءت وأشرقت كالأقطار إذ غشيها نور الشمس؛ وبالضرورة نعلم أن النور الذي في بغداد غير النور الذي في مكة، والنور الذي في موضع ما غير النور الذي في غيره. ثم نظرنا في السبب لوجود تلك الأنوار التي خلقها الله تعالى عنده لا به فوجدناه جسماً كروياً نورانياً يقال له الشمس: فكل موضع يقابلها من الأرض يخلق الله فيه نوراً يسمى شمساً. فكما تطلق على كل نور خلق في الأرض في مقابلة الشمس شمساً، ليس يبعد ولا يمنع أن تطلق على كل نور أضاءت به أرض الأبدان روحاً.

وكما يختلف قبول الأماكن لهذا النور لاختلافها، فلا يكون قبول الأجسام الصقيلة للنور كقبول الأجسام الدرنة، كذلك يختلف قبول أماكن الأبدان لفيضان الروح لاختلافها. فلا يكون قبول البهيمة لفيضانه كقبول الإنسان، ولا قبول الإنسان كقبول الملك. فلو سمينا الشمس بالمفيضة، حقيقة الإفاضة في الماء وهو مجاز في غيره.

ونسبة هذه الأرواح عندهم إلى الروح الكلي كنسبة ولاة الأمصار إلى الإمام، ولذلك يثابون إن عدلوا ويعاقبون إن جاروا.

سر للخواص:

قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]. اعتبار الربوبية هنا سيادة المعلم الأول وتربيته وتأثير سببيته؛ وهو المرجوع إليه في قوله تعالى على طريق التنبيه ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]؛ ونور هذا الرب المنبه عليه هو الروح الحيواني الذي به تشترك البهيمة والإنسان. فاعتبار الموت فيه بحجاب الغمام واعتبار النوم بغروب الشمس، واعتبار الغفلة بالحجاب الهلالي.

ثم قد يغيب الإمام ويبقى الوزير بدله يفيض على المملكة كالقمر ليلاً، وليس كفيضان الإمام؛ وفيض مادة الوزير وفيضانه إن أفاض بالنظر إلى النفس النباتية، وهي الحجاب لمادة النفس المطمئنة؛ وقد يغيبان، أعني الإمام والوزير فيبقى الفقهاء نجوم علم الأحكام، فلا يستطيعون إفاضة لقهر النفس الحيوانية البهيمية والنفس السبعية واستيلاء سلطانها؛ فتأمل هذا السر تدرك الحكمة الإلهية.

وعبر عنه بعضهم بمركز الدائرة، والذي حملهم على ذلك أنهم لما نظروا رضي الله عنهم إلى عدل هذا الخليفة في ملكه واستقامة طريقته في هيئاته وأحكامه وقضاياه، سموه مركز دائرة الكون لوجود العدل به، وإنما حملوه على مركز الكرة نظراً منهم إلى أن كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساوياً لصاحبه رأوا ذلك غاية العدل فسموه مركز الدائرة لهذا المعنى.

سر للخواص:

وذلك أن نقطة الدائرة أصل في وجود المحيط، ومهما قدرت كرة وجوداً أو تقديراً فلا بد أن تقدر لها نقطة هي مركزها؛ فلا يلزم من وجود النقطة ووجود المحيط ووجود الفاعل من هذه الدائرة ورأس الضابط ولا دائرة في الوجود كان الله ولا شيء معه، وفخذاه يداه المبسوطتان جوداً أو إيجاداً؛ والفخذ المختصة بالنقطة يد المغيب والملكوت الأعلى والفخذ المختصة بالمحيط يد عالم الملك والشهادة: فالواحدة للأمر والأخرى للخلق والله ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]؛ فيد المركز معراة عن الحركة القاطعة للأحياز ويد المحيط متحركة؛ فتأمل نوّر الله بصيرتك لهذه الإشارات، فقد مهد لك السبيل.

ولو تقصيت آثاره وتتبعت خصائصه وأطلقت عليه من ذلك ألقاباً لما وسعها ديوان؛ فاقتصرنا في هذا الإيجاز على هذا القدر لندل بذلك على شرفه واجتبائه من بين سائر المحدثات.

باب في إقامة مدينة الجسم وتفاصيلها من جهة كونها ملكًا لهذا الخليفة

اعلم أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة الذي ذكرناه آنفاً بنى له مدينةً يسكنها رعيته وأرباب دولته، تسمى حضرة الجسم والبدن. وعيّن للخليفة منها موضعاً إما أن يستقر فيه على مذهب من قال إنه متحيّز، أو يحل فيه على قول من قال إنه قائمٌ بمتحيز.

وإما أن يكون ذلك الموضع المعيَّن له موضع أمره وخطابه ونفوذ أحكامه وقضاياه، على قول من أثبته غير متحيز ولا قائماً بمتحيز. فأقام له سبحانه مدينة الجسم على أربعة أعمدة وهي الإسطقسات والعناصر، وسمى سبحانه الموضع المعين للخليفة منه القلب، وجعله مسكن الخليفة أو موضع أمره على ما ذكرناه من الخلاف.

وقال قوم إنَّ مسكنه الدماغ؛ والأظهر عندي من طريق التنبيه والاستقراء لا من جهة البرهان، أنه القلبُ شرعاً لقوله ﷺ مُخبراً عن ربه: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن". وقال: "إنَّ الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم". وذلك أن المُستخلف إنما نظره أبداً إلى خليفته ما يفعله فيما قلّده؛ والله سبحانه قد استخلف الأرواح على الأجسام.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦] وليست الإشارة للقلب النباتي فإنَّ الأنعام يشاركوننا في ذلك السر. لكن للسر المودع فيه وهو الخليفة، والقلب النباتي قصره. وقال ﷺ: "إن في الجسد مضغةٌ إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب". فالقلب النباتي لا فائدة له إلا من حيث هو مكان لهذا السر المطلوب، المتوجه إليه الخطاب، والمجيب إذا ورد السؤال، والباقي إذا فني الجسم. والقلب النباتي فنقول كذلك إذا صلح الإمام صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت؛ بذا جرت العادة وارتبطت الحكمة الإلهية.

قال المؤلف رضي الله عنه: سر فساده وصلاحه المرتبط بصلاح الرعية وفسادها: سبب ذلك أن الله تعالى إذا ولّى خليفة قوماً فإنه يعطيه أسرارهم وعقولهم فيكون إذ ذاك مجموع رعيته؛ فمتى خانهم في أسرارهم وعقولهم ظهر ذلك عليهم؛ وإن اتقى الله في ذلك ظهر ذلك عليهم.

وقد تكون أسرار رعيته حين تعطاه رذلةٌ ناقصةٌ، ولهذه الإشارة قوله ﷺ "مثل ما تكونون يولّى عليكم". فإنْ غَلَبَ عليها صلاح الإمام صلحت، وظهر آثار ذلك في الرعية وأرباب الدولة بمشيئةٍ غيبيةٍ إلهية يجدها الإنسان في نفسه بعد أن لم تكن، ولا يدري من أين وردت عليه، ولا كيف حصلت له؛ فهذا سر قوله ﷺ: "إذا صَلُحَتْ صَلُحَ سائر الجسد".

قال المؤلف رضي الله عنه: ثم بنى الله سبحانه له متنزَّهاً مشرفاً عجيباً عالياً، في أرفع مكان في هذه المدينة، سماه الدماغ. وفتح له فيه طاقات وخوخات يشرف منها على ملكه، وهي الأذنان والعينان والأنف والفم، ثم بنى له في مقدم ذلك المنتزه خزانةٌ سماها خزانة الخيال، جعلها مستقرَّ جباياته وموضع رفع ولاة الحس؛ وفيها تخزن جبايات المبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات وما يتعلق بها؛ ومن تلك الخزانة تكون المرائي والأحلام التي يراها النائم؛ وكما أن في الجبايات حلالاً وحراماً كذلك في المرائي مبشرات وأضغاث أحلام.

وبنى في وسط هذا المنتزه خزانة الفكر الذي ترتفع إليه المتخيلات فيقبل منها الصحيح ويُرَدُّ الفاسدُ.

وبنى له في آخر هذا المنتزه خزانة الحفظ؛ وجعل هذا الدماغ مسكن الوزير الذي هو العقل؛ وله بابٌ في داخل الكتاب يخصّه، فأضربنا هنا عن ذكره.

ثم أوجد له النفس وهي محلُّ التغيير والتطهير، ومقر الأمر والنهي؛ وهي الليلة المباركة التي فيها يُفرَّق كل أمر حكيم؛ وحظها من العالم العلوي الكرسي، كما أن الروح محله العرش من ذلك العالم؛ والنفس هي كريمة هذا الخليفة وحرّته.

وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو حامد الغزالي في قوله إن الروح نَكَحَ النفس فتولد ما بينهما الجسم، فقال مشيراً إلى ذلك في خطبة "لُبَاب الحكمة" له: "ربنا ورب آبائنا العُلويات وأمهاتنا السفليات".

لكن المتصوفة اصطلحوا على كل فعلٍ فيه حظ لكون من الأكوان أنه نفسي، يعني أنه عن أمر النفس سواء كان ذلك الفعل محموداً أو مذموماً، وكل ما ليس فيه حظ إلا لله تعالى فهو روح؛ وأن الإنسان له ثلاث أنفسٍ: نفسٌ نباتيةٌ وبها يشترك مع الجمادات؛ ونفسٌ حيوانية وبها يشترك مع البهائم، ونفسٌ ناطقة وبها ينفصل عن هذين الموجودين ويصح عليه اسم الإنسانية؟ وبها يتميز في الملكوت، وهي الكريمة التي ذكرناها تحت هذا الخليفة.

قال المؤلف رضي الله عنه: ثم أوجد الله من تمام النعمة على الإنسان، وإكمال النسخة على الاستيفاء في هذه المملكة، أميراً قوياً مطاعاً، كثير الرجل والخيول، قوي العَدد والعُدد، منازعاً لهذا الخليفة، سماه الهوى؛ ووزيراً سماه شهوةً، فبرز يوماً في أجناده وخيوله يتنزه في بعض بساتينه، فأشرفت النفس التي هي حُرَّة الخليفة عليه، فتراءت ونظر كل واحد منهما لصاحبه فعشقها الهوى، فأعمل الحيلة في الاجتماع بها؛ فما زال يستنزلها ويستعطفها ويبسط لها حضرته، ويهاديها بأحسن ما عنده؛ ولم تزل رسل الأماني وسفراء الغرور تمشي بينهما، حتى قالت إليه وانقادت له؛ وملكها الإحسان والخليفة غافل عن هذا، والعقل الذي هو وزيره قد شعر بذلك، وهو يسوس الأمر ويخفيه عسى لا يشعر بذلك الخليفة وترجع عما هي عليه.

فصارت النفس بين أميرين قويين مطاعين، هذا يناديها وهذا يناديها، والكل بإذن الله تعالى الأصلي ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النساء: ٧٨]، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾[الإسراء: ٢٠]، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس: ٨]، في إثر قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[الشمس: ٧]، ولهذا جعلناها محل التطهير والتغيير: فإن أجابت الهوى كان التغيير وحصل لها اسم الأمارة بالسوء، وإن أجابت العقل كان التطهير وصح لها اسم المطمئنة شرعاً لا توحيداً.

ووقوع هذا الأمر لحكمةٍ لطيفةٍ وسرّ عجيب، وهو أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة على ما وصفناه من الكمال، أراد أن يُعرِّفه سبحانه مع ذلك أنه فقير ولا حول ولا قوة إلا لسيده الرب تعالى؛ فلهذا أوجد له منازعاً ينازعه فيما قلّده. فلما رأى الروح أنه ينادي والنفس لا تجيبه وقد قيل له هو مُلكك، قال لوزيره: ما السبب المانع لها من إجابتي؟ فقال له العقل: أيها السيد الكريم، إنَّ في مقابلتك موجود أقام لها في مقامك أميراً قوياً مطاعاً صعبُ المرتقى عزيز المنال، يُقال له الهوى، عطيَّته معجلة مشهورة؛ فأرسل وزيره إليها، فبَسَط لها حضرته وعجّل لها أمنيتها في أوحى زمانٍ؛ فأجابت لدعائه وانقادت له، وحصلت تحت قهره، وأتبعها أجنادك وبادية رعيتك وما بقي لك من مملكتك إلا أرباب دولتك، المتحقّقون بحقائقك والمختصون بك، وها هو قد نزل بفناء بَصرك ليخربه ويخرجك عن ملكك ويستولي على عرشك؛ فدارك يا أخي، دارك قبل نزول الهلاك.

قال المؤلف رضي الله عنه: فرجع الروح بالشكوى إلى الله القديم سبحانه، فثبتت له في نفسه عبوديته بالافتقار والعجز والذلة وتحقق التميز، وعرف قدره فذلك كان المراد. فإن الإنسان لو نشأ على الخير والنعم طول عمره لم يعرف قدر ما هو فيه حتى يبتلي فإذا مسه الضر عرف قدر ما هو فيه من النعم والخيرات، فعرف عند ذلك قدر المُنعم.

قال المؤلف رضي الله عنه: فلما رجع الروح بالشكوى إلى ربه صار واسطة بينها وبينه، فقال لها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، فلما أتاها النداء برفع الوسائط حنَّت وأنَّتْ واشتاقت، فأجابت وأنابت بالعناية الإلهية.

سؤال: فإن قيل لِمَ سمّاها مطمئنة وقال لها راضية مرضية وهي الآن أمارة بالسوء؟

قلنا: إنما سماها مطمئنة لتحقق إيمانها أن منادي الهوى لم يكن منادياً بنفسه؛ وإنما كان منادياً بموجده حيث علمت معنى قوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، و﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الإسراء: ٢٠]، من عطاء ربك فاطمأنت للنداء لتحققها في الابتداء، وقد تقدم السبب والعلة.

وقوله راضية مرضية، يريد راضية بالنداءين مرضية عندنا لتحقق إيمانها وتوحيدها. فادخلي في عبادي، يعني عباد الاختصاص أهل الحضرة الإلهية. وادخلي جنتي، يريد المكاره التي هي نِعم الخليفة إذ الشهوات جنة الكافر، وهي نار على الحقيقة ظاهرها نعيم وباطنها جحيم، وقد نبَّه علىَ ذلك رسول الله ﷺ حيث قال: "حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات".

ويظهر ذلك الله تعالى عند خروج الدجال فذكر النبي ﷺ أن له واديين من نار وماء؛ فمن قصد الماء وجد النار، ومن قصد النار وجد الماء. فإن قيل وكذلك أيضا كانت تجيب داعي العقل وتسمعه من الحق كما ذكرت، فلما أجابت داعي الهوى ومرقت؟ قلنا الجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنا فرضنا الكلام في أوله على أن الحق تعالى أراد أن يعرّف الروح قدره للسبب الذي ذكرناه، فأسمعها نداء الهوى وأصمَّها عن داعي العقل ليقع ما أراده سبحانه.

والوجه الآخر: أن النفس بعض الروح كما كانت حواء بعض آدم عليهما السلام فصار منادي الروح أصلاً من نفسها ومنادي الهوى أجنبياً عنها فالأصل حاصل والأجنبي غير حاصل، فاشتاقت أن تعرف ما لم تعرف، فأجابته لترى ما تم كما أجابت حواء إبليس في أكل الشجرة. ومن هنا وقعت بين الهوى والعقل والوقائع والحروب والفتنة على هذا الملك الإنساني.

وقد يستولي أحدهما عليه وقد يُؤخذ منه، فيعزله ويأسره وربما يقتله في حق شخص ما، هكذا استمرت الحكمة الإلهية حتى العرض الأكبر. وربما يملك أحدهما البادية والآخر الحاضرة؛ وقد يملك أحدهما الملك كله ظاهراً وباطناً.

فأما العُصاة فإن سلطان الهوى مالك باديتهم وسلطان العقل مالك حاضرتهم وأما المنافقون فإن العقل مالك باديتهم والهوى مالك حاضرتهم؛ وأما المؤمنون المعصومون والمحفوظون فالعقل مالكهم بادية وحاضرة. وأما الكافرون فالهوى مالكهم بادية وحاضرة.

فإذا كان في الدار الآخرة وذبح الموت وتميز الفريقان ونَفَذَ حكم الله، ألحق العصاة بالمؤمنين المعصومين؛ فحصل لهم النعيم الدائم؛ وألحق المنافقين بالكافرين فحصل لهم العذاب اللازم؛ فلم يُغنِ المنافق عمله من الله شيئاً، فإن التوحيد أصلٌ والعمل فرع؛ فإن اتفق في الفرع شيءٌ يفسده ويهلكه جبره الأصل كالعصاة، وإذا خرب الأصل لم ينفعه الفرع كالمنافق.

فهذا الملك الإنساني تصرفه في الدنيا على أربعِ أطباق لا بد من أحدها في حق كل شخص: إما مؤمن معصوم، أو محفوظ، وإما كافر أو مشرك أصلاً، وإما منافق وإما عاص.

وإذ قد تقرر هذا وثبت، فلنذكر الآن السبب الذي لأجله نشأت الفتن والحروب بين العقل والهوى إذ هذا موضعه؛ ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]

باب في ذكر السبب الذي لأجله وقع الحرب بين العقل والهوى

اعلم وفقك الله أن السبب الذي لأجله نشأت الفتنة ووقعت الحرب حتى كشفت عن ساقها، وعمّت الوقائع جميع أقطار المملكة وآفاقها، هو طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني ليخلصه من حصل بيده إلى النجاة، إذ لا يصح عقلاً ولا شرعاً تدبير ملك بين أميرين متناقضين في أحكامهما ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وإن فرض اتحاد الإرادة في حق المخلوقين فإنَّ حكم العادة يأبى ذلك والشرع في حق هذين الأميرين؛ وما سمعنا بخرقها في حق شخص قَط. وإذا كان هذا فلم يرد الله تعالى أن يدبر هذا المُلك إلا واحد؛ وصرح بذلك على لسان رسوله ﷺ: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما"؛ والخلافة ظاهرة وباطنة، وقد تقررت الظاهرة وثبتت؛ وكلامنا هنا في الخلافة الباطنة على حسب الظاهرة أنبوباً على أنبوب، وجرياً على ذلك الأسلوب.

اعتراض لكشف أسرار: قال المؤلف رضي الله عنه: وربما للمنازع أن يستروح من هذا الحديث شيئاً ما فيقول: قد قال اقتلوا الآخر منهما؛ وما يدريك لعل الهوى تقدم والعقل تأخر، فيكون الهوى صاحب الخلافة. فنقول ليس التقدم والتأخر هنا بالزمان، وإنما التقدم هنا بإحصاء الشرائط أعني شرائط الإمامة.

ففيمن وجدت كان المقدم للإمامة، ويخلع من لم تكمل فيه تلك الشرائط، ويقتل إن عاند و لم يدخل في الأمر العزيز، فلا يلتفت للزمان.

قال المؤلف رضي الله عنه: وشرائط الإمامة على ما ذكرته العلماء عشر: ست منها خلقية لا تُكتَسَب، وأربعٌ منها مكتسبة.

أما الخلقية فالبلوغ والعقل والحرية والذكورية ونسب قريش وفيه خلاف، و لم يره بعض العلماء؛ وسلامة حاسة السمع والبصر. وأما الأربع المكتسبة فالنجدة والكفاية والعلم والورع.

قال المؤلف: وهذه الشرائط كلها موجودة في هذا الخليفة، والهوى معرّى عنها نعوذ بالله لا نشرك به أحداً؛ فلنذكرها شريطةً شريطة حتى نستوفيها ونبين أن الروح قد جمعها.

الشرط الأول -في الخلافة- البلوغ:

فإن الإمامة لا تنعقد لصبي اعتباره في الروح البلوغ. نوّر الله بصيرتك أمر شرعي، وبلوغ الروح اتصاله بالإلهية؛ وقد ثبت اتصاله على ما ذكرناه اتصال شرف ورفعة وبلوغ مقام كريم حين أخذ عليها الميثاق فقال لها: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فلو كانت الأرواح غير بالغة لّما تصور منها هذا الجواب ولا توجه عليها هذا الخطاب شرعاً.

الشرط الثاني – العقل:

فإن الإمامة لا تنعقد لمجنون إذ هو غير مخاطب ولا تكليف عليه، والإمام مكلف باعتباره في الروح يعقل عن الله ما يَرِد عليه منه، ولذلك قال: بلىً، وهي صفة قائمة به، عنها صدر العقل الذي جعلناه وزيراً له فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

الشرط الثالث – الحرية:

فإنَّ الإمامة لا تنعقد لرقيق، وذلك أن الإمامة تستدعي أن يستغرق الإمام أوقاته في أمور الخلق وهذا لا يتَّفق للعبد إذ سيده مالك له يقطع عليه النظر في مهمات الخلق باشتغاله في تصرفاته. واعتباره في الروح لا يوجد أشد حرية منه ولا أكمل، إذ ليس لأحد عليه ملك إلا لله تعالى. وكيف يتصور ذلك وهو أول المحدثات، وكون الإمام مستغرقاً في مهمات الخلق فكذلك الروح مستغرق في مهمات ملكه. قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

الشرط الرابع – الذكورية:

فإن الإمامة لا تنعقد لامرأة، والذي مَنَعَ من ذلك أنه ليس لها منصب القضاء ولا منصب الشهادات في أكثر الحكومات شرعاً واعتبارها هذا بَيّن بنفسه لا يحتاج إلى شرح.

والذي مَنع أن تكون النفس إماماً وإن اتصفت بصفات الكمال، فإنها في الكون تحت حجاب الصوت، وهي كريمةُ هذا الإمام، وهي محل الفجور والتقوى، والعلة مطّردة في الخلافتين معاً.

الشرط الخامس – النسب:

اعتباره الدخول في المقامات المحمدية وهي الدورة الثانية الإلهية التي حضرتها الأولية والآخرية، بعث آخراً وقيل له متى كنت نبياً؟ قال ﷺ: وآدم بين الماء والطين؛ فانتهت في عيسى عليه السلام الدورة

من آدم. وكذلك جعله في كتابه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] فختم بمثل ما به بدأ، واختصّت الدورة الثانية الحاكمة على الكل، المحمدية المحيطة بجوامع الكلم؛ وهي الدورة التي من الشرق إلى الغرب. فكما أن محمداً ﷺ أرسل إلى الكافة كذلك الروح أرسل إلى كافة البدن. وفي هذا سر عجيب نذكره في غير هذا الكتاب، فهذا فائدة النسب للروح.

الشرط السادس – سلامة حاسة السمع والبصر:

إذ الأعمى والأصم لا يتمكن من تدبير نفسه فكيف يدبر غيره. واعتباره في الروح سماعه بالحق ونظره بالحق، فتقدس عن الآفات وتنزه. قال ﷺ مخبراً عن ربه: "ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به". وهنا سر يبحث عنه فإنه كذلك كان. فمن كان الحق سمعه وبصره كيف لا يدبر نفسه وغيره.

الشرط السابع والثامن – النجدة والكفاية:

وهما من صفات الأرواح ألا ترى أن الله تعالى لما أراد نصرة عباده أمدهم بملائكته وأيدهم بهم. قال تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] وقال: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشرط التاسع – العلم:

وهذا قد ظهر في آدم عليه السلام حين علم الأسماء كلها فلا يحتاج ذكره.

الشرط العاشر – الورع:

وهو منبعه وإليه مرجعه إذ الشريعة رداؤه والحقيقة إزاره.

فقد تكملت الشرائط في هذا الخليفة، وصحت خلافته وانعقدت إمامته. قلنا: فلنرجع إلى السبب الذي لأجله وقعت الحروب والفتن بينهما.

فأقول: إن السبب في ذلك طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني؛ فإذا أصبحت الرئاسة لأحدهما عليه سعى في نجاته وإقامته، وحمَى دياره وأعلى مناره وحجبه عن الأسباب الرديئة له في الدارين على حسب ما يتخيله أو يعلمه. واعلم أنَّ سَبَب نجاته من كل أمر مهلك هو طاعته لأمر داع من خارج يُقال له الشرع، عرفه الروح إذ هو من جنسه؛ وجهله الهوى. فالهوى يتخيل له أن النجاة في حيّزه، والروح يعلم أن النجاة في حيزه؛ فنشأ الخلاف ووقع الشتات.

والذي دعا إلى ذلك أن حقيقة الأمرين مختلفان فلما جاء الداعي من خارج نَظَرا إلى نتيجة ذلك الأمر فوجدا له نتيجتين: في الواحدة الهلاك وفي الأخرى النجاة؛ فطلب كل منهما سبيل النجاة وتجنّب المهلكات على حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية. وكلٌّ لو ترك والاعتذار لكانت له حجةٌ ما، ولكن حَسَمَها الحق جلَّ اسمه بحجته البالغة حيث قال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وهؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي وجفَّ القلم.

فنقول إنَّ الروح حقيقته نورٌ، والهوى حقيقته نارٌ، وكل واحد منهما يتنعّم من وجوهٍ في وجوده إذ هي صفته النفسية؛ وإلا فلو تيقّن من حقيقته ناراً أنه يتعذب بها وأن الفاعل قادر على ذلك، لطلب

الفرار إلى محل وجود النور ولو تحقق فيه النجاة؛ لكن جهل ذلك فكل داع إلى مقامه بل النار تتعذّب بالنور.

..............................كما تضر رياح الورد بالجُعَلِ

فإذا كان يتعذب بالنور يتخيل أن هذا الملك الإنساني يتعذب أيضاً بالنور فهو أبداً يطلب أن يخرجه من النور، ويحجبه عنه بالأفعال التي تؤديه إلى الخروج عنه، وهي الشهوات التي حفَّت النار بها، فمن وردها فقد ورد النار.

ويطلب أيضا الروح الذي هو نورٌ مثل ذلك، وكل واحد منهما ينظر في الأسباب الموصلة هذا الملك الإنساني إلى حزبه فيعرضها عليه ويحلّيه بها، وقد صح عندهما أنه متى تحلى أو اتصف بوصف ما كان ملكاً لصاحب هذا الوصف، فكان المستولي عليه فوقعت الفتن والحروب.

ولو ترك كل واحد منهما النظر من نفسه ونظر إلى هذا الداعي من خارج، الذي هو الشارع، وقال: وجدت داعياً من خارج ثبت صدقه وعصمته؛ فما قال فيه النجاة فهو ذلك، وما قال فيه الهلاك فهو ذلك لوقع التسليم والانقياد، وارتفعت الفتنة وحصل الملك في حزب النجاة. لكن هذا لا يصح أبداً إذا كانت تزول حقيقة الهوى فإنه عين المخالفة، فلو عدمت انعدم وذهب، لكن الله تعالى من هذا تدبير عجيب، يحجب عن من يشاء ويكشف لمن يشاء، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨] وهم أهل الجمع ولذلك خلقهم لتظهر أسماؤه في الوجود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

باب في الاسم الذي يخصُّ الإمام وحده وفي صفاته وأحواله وأن الإمام لا يكون أبداً إلا واحداً من أربعة

جرت الحكمة الإلهية في العالم أن يكون للخليفة عليه اسم يختص به وحده دون غيره لا سبيل إلى أن يتسمى به أحد، حتى إذا ذُكر تميَّز وعُرف، ولم يعطِ اللفظ على مجرى العادة أن يفهم منه غير الإمام، ولا عليه من بقية أسمائه ولو كانت ألفاً بوقوع الاشتراك تأسّياً بما استخلفه وهو الله تعالى؛ فإنه سبحانه، اختص باسم الألوهية حتى إذا قال أحد الله لم يفهم من هذا الإطلاق سوى الفاعل سبحانه، ألا ترى لما أنزل الله تعالى قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لم يقولوا وما الله؛ ولما قيل لهم: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ قالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[الفرقان: ٦٠].

قلنا: إن ننظر أي اسم يختص به هذا الإمام نطلق عليه، فلم نجد شيئاً إلا بما سماه به الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقد منع سبحانه أن يوجد منه في زمان واحد اثنان، فحسم ذلك بقوله: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما".

فلا تصح إقامة ملك بين مدبرين وإن اتحدت إرادهما. قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، لأنه قد يأمر أحد الخليفتين بعين ما ينهي عنه الآخر، ولا بد من امتثال أمر أحدهما إذ لا يسوغ امتثال الأمرين: فإنْ تركوا عوقبوا، وإن أطاعوا أحدهما عاقبهم الآخر، إذ بنفس ما

يطيعون الواحد عصوا الآخر، فعاقبهم من عصوه، فوجب على من أطاعوه نصرهم، فأدى ذلك إلى حروب وفتن تشكل عن تدبير بالملك، فيخرب، فلهذا نصَّ على خليفة واحد.

اعتراض: فإن قيل قد سمعنا الله يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]، وقد قلت إنه أحد شرعاً، فكيف الجمع؟ فنقول: إن سر الخلافة واحد وهو متوارث تتوارثه هذه الأشباح؛ فإن ظهرت في شخص ما دام ذلك الشخص متصفاً به. ومن المحال شرعاً أن يوجد لذلك القبيل في ذلك الزمان بعينه في شخص آخر ثانٍ؛ وإن ادعاه أحد فهو باطل ودعواه مردودة، وهو دجَّال ذلك الزمان، فإذا فقد ذلك الشخص انتقل ذلك السر إلى شخص آخر، فانتقل معه اسم الخليفة، فلهذا قيل خلائف.

فانظر في هذا الفصل فقد نبَّهت على أسرار لم أجزم على إيضاحها.

تنبيه: فإذا تقرَّر هذا وثبت فينبغي لهذا الخليفة أن يتخلَّق لأسماء من استخلفه حتى يظهر ذلك في أخلاق رعيته وفي أفعالهم. وقد ذكرنا معنى التخلُّق بالأسماء الربانية في كتابنا المترجم "بكشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى".

يا أيها السيد الكريم، حافِظ على شريعتك واجعل ملكك خادماً لها، ولا تعكس فيعكس عليك، ولا تغفل عن النظر في كل حين في رعاية الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة المتولدة عنها، التي وهبَها الله تعالى لك على طبقات العوالم الذين ذكرناهم في الإنسان، ثم يندرج الأمر إلى وزيرك فيكون على هذه الحالة إلى كُتَّابك إلى كل والٍ في مملكتك. فعليك بكظم الغيظ وتوقير الكبير ورحمة الصغير، ورؤية إحسان المحسن، والغض عن إساءتِه، والتغافل عن الزلة والسقطة، وذلك بأن تزل العين يوماً بنظرة في فضول، أو اللسان في لفظة فضول، فتكظم الغيظ بالاستغفار والإنابة مما وقع فيه، لا كمن أغمض عينه أعواماً أو صمت من غير استغفار زماناً.

وأما توقير الكبير فليس في الباطن للسنّ حظ، وإنما هو الكبير بالشرف والمرتبة، والصغير على هذه النسبة.

وأما رؤية إحسان المحسن، فإذا أحسن إليك عاملٌ من عُمَّالك مثل العين والسمع، فلك أن تجزل له العطاء على ذلك من مقامه وما يليق به.

تذكرة: والذي أوصيك به أيها السيد الكريم، أن لا تنفذ أمراً في ملكك حتى تنظر إلى عاقبة ذلك الأمر؛ فإن أعقب خيراً أمضيت وإلا أمسكت. فتأنَّ في أمورك، أعني في الطاعات، إذ العلل كثيرة؛ فإن النفس قد تأمر بالطاعة لأمر ما تجب مخالفتها فيه؛ وهذا عند أرباب النفوس بابٌ مُتَّسع فيه عبرة.

يا أيها السيد الكريم: والذي أوصيك به أن لا تنجلي لرعيتك إلا لمحةُ بارق أو خيال طارق، فإنهم لا يعرفون قدر الخلافة لقصورهم. فربما بإدامة التجلي أساؤوا الأدب بل لا يكُونون إلا كذلك. قال الله تعالى ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾[الشورى: ٢٧]. فقد نبّه على مقام القبض والتجلي ههنا، إنما هو إظهار التوحيد يوما ما أو في نازلة ما لا يكون في كل الأيام، ولا في كل النوازل، لأن استدامة التجلي تؤدي إلى تعطيل الأحكام والديانات.

وإذا كان ذلك كذلك، خرب الملك عاجلاً وآجلاً، فالله الله ولا لمحة بارق من التوحيد.

سياسة: يا أيها السيد الكريم، اصغِ إلى سياسة مدينتك من أخ شفيق عليك رفيق بك. ينبغي لك عندما تريد أن تبرز لأهل مملكتك وتظهر في عالمك المتصل والمنفصل، من عالم الملكوت والجبروت والشهادة، فلتقدّم وزيرك العقل إلى جميع مملكتك يقوم فيهم مقامك، ويعرفهم بتجليك لهم، ويوقر في نفوسهم من هيبتك وجلالك وعظيم سطوتك ما لا تنفر نفوسهم به منك، ويوقر أيضاً في قلوبهم من حنانك ولطفك ورحمتك وجودك وجسيم منّتك ما لا يؤديهم إلى الإدلال عليك، فيلقوا بك في حد الاعتدال لا قانطين ولا مدلين، بل معتدلين، إن أرادوا الانبساط عليك قبضهم ما وقر في نفوسهم من جبروتك وعظيم سطوتك، وإن أرادوا الانقباض بسطهم ما وقر في نفوسهم من حنانك ورأفتك، فهم في شهودك بين الخوف والرجاء في مقام الهيبة والأنس، قد أمنوا العقاب وخافوا الإجلال. شعر:

كأنمـــا الطيـــرُ مـــنهم فـــوق أرؤســـهم لا خـــوف ظلـــمٍ ولكـــن خـــوفَ إجـــلال

وهذا مقام لا يصح إلا في الطائفة الملكوتية والكروبية، وأما من دونهم فمشاهدة العقاب تمنعهم من الإدلال قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

يا أيها السيد، واجعل عقوبة من عصاك على قدر مرتبته منك وقرب منزلته ألا ترى أبا يزيد البسطامي ﷺ كيف أقام سنَّة؛ ما سقى نفسه شُربةَ ماء عقوبة لها حين امتنعت عليه لأمرٍ أراده منها لله تعالى.

تكملة حكمية: أيها السيد الكريم، نزّه نفسك عن الدنيا وأوضارها واجعلها خادمة لك ولرعيتك. وما الدنيا إلى جانب منصبك الذي أهّلك الله إليه، المقدس عن تعلق الكونين به. فكيف عن الدنيا التي مَقتها الله تعالى وما نظر إليها من حين خلقها، وناهيك من تشبيه النبي ﷺ إياها بالجيفة والمزبلة، مع إخباره أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها ملعونة ملعونٌ ما فيها: إلا ما كان من ذكر الله فيحمل همة خليفة مثلك قد خلقه الله نوراً جوهرةً يتيمةً أن يلحظ ببصره أو بطرفه إلى جيفة أو مزبلة أو يتكالب عليها وقد قال تعالى: "يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك".

فالدنيا وفَّقك الله تطلبك حتى توفيك ما قدره لك من استخلفك من جاهك ورزقك وأرزاق رعيتك، فَأَجْمِل في الطلب واسْعَ في تخليص رعيتك وتخليص نفسك باشتغالك بما كلفك من استخلفكَ من الأوامر والنواهي والحدود. فعليك بالإعراض عن الدنيا تأتك خادمة راغمة؛ والذي يصل إليك منها وأنت مقبلٌ عليها هو الذي يصل إليك وأنت معرض عنها.

ذكر كعب الأحبار ﷺ أن الله تعالى ذكر في التوراة: "يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترضَ بما قسمتُ لك سلَّطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركضَ الوحش في البرية؛ ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم".

فعلق الإرادة بالقلب مع البدن إذ لا يصح طلب شيء من غير إرادة، إذ هي المحركة للباعث على البحث والتفتيش والإرادة من خاصتك المصرفة لعامّتك، فإن تصرفت في المضمون تصرفاً كلياً لم تتهيأ لامتثال أوامرك عليها، وعند عدولها عن ذلك كنت لئيماً على رعيتك على ما يرد في داخل الباب.

فالله الله اجهَد أن لا تتعلق لك إرادة إلا بمراد محبوبك ومطلوبك من جهة ظاهر الأمر وباطن الإرادة بعد وقوع المراد المؤدي إلى العلم بأن ذلك الواقع لولا ما سبق في العلم على ذلك وتعلقت به الإرادة لما وقع على ذلك الوصف مع جواز تبدُّله في نفسه في وقوعه على غير ذلك.

فإذا تقرر هذا فإني أضرب لك مثالاً لمن لم يفهم من عمالك وولاتك فيما تقدم من طلب الرزق الذي لابد منه مثلك في طلب الدنيا والإعراض عنها والقرب منها، والحق سبحانه قال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، رجلٌ صرف وجهه للشمس فرجع ظلّه خلفه. فقصد نحو الشمس فاتبعه ظله و لم يلحقه ولا نال منه إلا ما كان تحت قدميه؛ وفي الاستواء أعني استواء الشمس في قبة الفلك، على رأس الرجل سرٌّ لا ينكشف ولا نودعه كتاباً وهو موجود في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦].

قال المؤلف رضي الله عنه: ثم نرجع إلى المثال فنقول، ثم إن هذا الرجل إن أقبل بوجهه على ظله واستدبر الشمس وجرى ليلحق ظله، فلا هو يلحق الظل وقد فاته حظه من الشمس، وهم الذين قال الله جل اسمه فيهم: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]؛ وما لحق من الظل إلا ما تحت قدميه، وهو الحاصل له في استدباره الشمس. فأنت ذلك الرجل والشمس وجود الحق والظل الدنيا، وما حصل تحت قدميك القوت الذي لابد منه.

يا أيها السيد الكريم، وهل خُلقت الدنيا إلا من أجلك، وخلقك سبحانه من أجله. فأوجدك له وأوجد الأشياء لك. أنزل في التوراة: يابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك.

قال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، وقال: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [غافر: ٧٩]، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨] إلى أمثال هذا مما لا يحصى في القرآن كثرة.

تتميم: يا أيها السيد الكريم، تحبّب إلى رعيتك وأجزل لهم العطايا كل صنف ما يصلح به، وذلك بأن تمنعهم من المحارم وتجزل لهم مواهب الطاعات على قدر الاستطاعات، وتذكر قول من استخلفك: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فهاتان الآيتان شملتا خاصتك وعامتك ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر وتفقّد النفس الأمارة بالسوء واللوامة واجعل وزيرك يتلطف لها في كل حين ويسوسها، فإنها مدبّرة بادية مملكتك، فإنها لا تلقي للحواس إلا ما يُلقي إليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فتصلح عند ذلك مملكتك وتكثر جباياتك وتظفر بأعدائك.

فاجعل أبداً همتك في إصلاح الأقرب، فالأقرب يقل سعيك وطلبك وسلط الصالح على الفاسد يصلحه؛ وإياك أن يكون ذلك بالخوف الشديد فتزيدهم نفوراً، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

سياسة: يا أيها السيد الكريم، ينبغي لك بل هو أكيد عليك أن لا تضع شيئاً في غير موضعه، ولا تبرز شيئاً إلا في وقته المعهود عندهم؛ وإياك وخرق العادة، وخاصة عند مَسيس الحاجة إليه ليكون القبول عليه أشد، إذ العادة وفَّرت الدواعي إلى ذلك الوقت لظهور ذلك الأمر المنتظر، مثل لو خرق الله العادة بنزول المطر في غير وقته، واستدامة الصحو في غير وقته، أدى ذلك إلى القنوط والكفران، فهم مع الإحسان يبغون في الأرض فكيف بالإساءة؛ وإن ظهر مثل هذا في سُنة فلأمرٍ ما وعدل منه، ابحث عنه تجده. فتخلّق بهذه الأوصاف تكن لك السلامة دنيا وآخرة.

قال المؤلف رضي الله عنه: إذا هممت بأمر فقل إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣]، ولا تتألَّ على الله ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٤].

واحذر قرناء السوء فإنهم يأكلون دراهمك ويقربون للنار لحمك ودمك، فلا تصحب إلا خليلاً تجد معه الزيادة في دينك. فإن رأيت في صحبته النقص في ذلك فبئس القرين، وهو أكبر عدوٍ لك؛ فاحترز منه في ملكك فإنه يكون سبب خرابه.

وهذا القرين فيك هو هواك كما قيل: جاهد هواك فإنه أكبر أعدائك، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] وهو أقرب الكفار إليك، فاشتغل به وإلا اشتغَلَ بك؛ فإن السباع العادية تهدم بادية مملكتك وتحرمك النعيم الدائم وهذا يهدم دينك.

أيها السيد الكريم، أَوْصِ وزيرك وحاجبك أن لا يدخل عليك من الصفات التي هي جباياتك إلا صفةً يتحقق فيها أنها نتيجة عن مقدمتين صحيحتين ضروريتين، وفرعٌ عن أصلين كريمين مستقيمين، فإن من الصفات ما ترد عليك بها النفس مما يعطيها الهوى لتهلك بها فتأتي إليك بها في أحسن صورة تكون وباطنها ضد ذلك؛ حتى إذا اختبرت ذلك وجدت صحته فتحفظ فإذا جاءتك بصفة ودخلت عليك فانظر سابقتها وعاقبتها بالأدلة الواضحة الشرعية العقلية والعادية، واسبرها في محكّ النظر ومجاري الفكر، وزنها بمعيار العلم، وتفرَّس فيها ما تعطيك الأدلة المنصوبة للفراسة. فإن كانت تعقب خيراً فتحلَّ بها، وإن كانت خلاف ذلك فاقتلها، فتلك الصفة هي التي نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إياكم وخضراء الدمن" فالشيء ضرورة إنما يعقب بحسب أصله وإليه يرجع.

تنبيه: حافِظ على ذاتك الشريفة الروحانية، واعرف قدرها ولأي شيء وجدت وما المراد منها. وإن أمكنك أن لا تصرفها في قيام وقعود وحركة وسكون، وأشباه ذلك من جميع أفعالك إلا عن أمرٍ إلهي علوي. فتحقق كما قال الخضر عليه السلام: "وما فعلته من أمري، فنظر نظرة في النجوم وقال: إني سقيم، وما ينطق عن الهوى".

وإياك وإنفاذ أمر في ملكك حتى تشاور فيه وزيرك، فإنه في مشاورتك إياه تثبت مودتك في قلبه، والمودة تورث الشَّفقة، والشفقة تورث النصح، والنصح يورث العدل، وبالعدل بقاء المملكة. هكذا ينبغي أن تكون صفات الإمام وأحواله وإلا هلك وأهلك.

فصل: لا يخلو الإمام أن يكون واحداً من أربعة، بالجود ظهر الوجود ودام.

قالت الحكماء: الملوك أربعة لا خامس لها: ملك سخيٌّ على نفسه سخي على رعيته، وملك لئيم على نفسه لئيم على رعيته، وملك سخي على نفسه لئيم على رعيته، وملكٌ لئيمٌ على نفسه سخي على رعيته، ولا يخلو ملك من أحد هذه الأوصاف.

كذلك هذا الخليفة لا يخلو من أحدها، ولم يزل العارفون بالله تعالى على قديم الزمان يتتبعون أنفسهم بالنصر والاعتبار لتصحيح النسختين، فنقول ظهر لنا في الوجود الإنساني علم وهو مقام الجمع، وعمل وهو مقام التفرقة، وهو حد الكرسي، والأول حد العرش. فردّ الوتر إلى الكرسي الذي هو موضع القدمين، فتكتسب الشفعية إلى الأرض. وهذا الملك هو الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمرٍ حكيم.

فيا أيها السيد الكريم، إن كنت صاحب علم وعمل فأنت سخي على رعيتك سخي على نفسك، وإن كنت لا صاحب علم ولا عمل، فأنت لئيم على نفسك ورعيتك، وإن كنت صاحب علم لا صاحب عمل فأنت سخي على نفسك لئيم على رعيتك. وإن كنت صاحب عمل لا صاحب علم فأنت لئيم على نفسك سخي على رعيتك، وهنا سرّ منعنا عن كشفه تركناه لأهل الأذواق والتحقيق وانحصرت الأقسام.

ولعل معترضاً يقول: نسلّم القسمين وهما قولك صاحب علم وعمل فإنه العالم العامل، ولا صاحب علم ولا عمل وهو عكسه؛ ولا نسلم القسمين الآخرين. فنقول له: الأقسام صحيحة واضحة، وذلك أن الأرواح نعيمها بالعلوم والمكاشفات والأجسام نعيمها بالمحسوسات من المطعومات والمشمومات؛ وعذابهما بأضداد هذه.

فإذا سلّمت القسمين فيلزمك أن تسلّم القسمين الآخرين، وذلك أنه الذي هو صاحب عمل لا صاحب علم فإنه المقلد وهو صاحب عمل، وليس لروحه علم يلتذ بها، إنما هي مسجونة مقيدة بالنظر إلى ما يؤول إليه محلها من نعيم الجنان، ولا نقول: إن هذا صاحب علم.

وأما القسم الآخر وهو صاحب علم لا صاحب عمل، فهو العالم المرتكب الشهوات والمسخر في المحرمات. فإن روح هذا متنعمٌ بما يُكشف له من العلوم، ورعيته معذبة بما ارتكب من المحارم المؤدية إلى دار البوار، فتدبَّر هذه الأقسام ترَ الحكمة البالغة.

ثم لنا أن نبيّن ما نريده بالسخاء واللؤم في هذه المواضع، وفي حق هذا العالم المودع في هذا الكتاب، فنقول: إنَّ السَّخاء بذلُ الشيء عند الحاجة إليه من غير زيادة ولا نقصان. واللؤم منع الشيء مع الحاجة إليه وبذل الشيء من غير حاجة إليه. فمن جاوز فقد أفرط، ومن قصَّر فقد فرط؛ وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وفي ذلك أقول، شعر:

جـــرى مثـــل دلّ الســـماع مـــع الحِجـــى	**عليـــه علـــى مـــر الزمـــان قـــديمُ**
توسَّـــط إذا مـــا شـــئت أمـــراً فإنـــه	**كـــلا طرفـــي قصـــد الأمـــور ذمـــيمُ**

فقف رحمك الله عند هذا الحد، فظاهر الخليفة عمل وباطنه علم، وظاهره حد وباطنه مَطْلَع.

والرعية على قسمين: بادية وحاضرة، فالبادية عالم الشهادة المنفصل في حق المتبوع المحمدي، والحاضرة على قسمين: خواص وعوام. فالعوام عالم الشهادة المتصل وهي البادية في حق غير المتبوع. والخواص على قسمين: عالم العقل وعالم النفس. فعالم النفس ينقسم قسمين: مطيع وعاصٍ. فالمطيع

يسمى عالم الجبروت وعالم النفس على الجملة هو البرزخ عندهم، والعاصي هم أعداء هذه المدينة الذين ذكرناهم.

وعالم العقل على قسمين: محجوب وغير محجوب. فأصحاب الأوصاف محجوبون، وهم عالم الملكوت أصحاب المقامات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، وغير المحجوب هم أصحاب السلب عرائس الله المجنّون عنده في خزائن غيوبه حَجَبهم غيرةً عليهم حتى لا يعرفهم سواه، كما لا يعرفون إلا إياه، وهم في المقام الذي يعبّر المحققون عنه بالفناء الثالث المحق الكلي، وهم خواص هذه المدينة فانظر في هذه الأقسام ترشد إن شاء الله تعالى.

يا أيها السيد الكريم، إذا تحققت هذا فابذل لكل عالم ما يحتاج إليه حسب ما حددتُ لك آنفاً وكذلك لنفسك، فتكون في المقام المحمدي صاحب علم وعمل وهو الكمال. والسخاء كل السخاء الزهد فيما في أيدي الناس، فما أحبت رعيةٌ مليكها حتى زهد فيما عندها. والسخاء يورث المحبة، والمحبة تورث القربة، والقربة تورث الوصلة، والوصلة تورث الجمع، وهنا إشارة مضمونة تحت حجاب الغيرة.

فكذلك ينبغي لك أن تزهد في أفعالك وأقوالك واعتقاداتك، وتبني البيت وتوقد السراج، وتضرب الستارة وتبرز الصور [تَبدُ لك] الحكمة الإلهية وتلوح لك الحقائق على ما هي عليه، وموضع هذا من الكتاب العزيز: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فكما أن الإنسان إذا ترك ما للناس عند الناس أحبه الناس، كذلك إذا تركت ما لله عند الله، و لم تطمع فيه ولا أضفت شيئاً إلى نفسك من جميع أفعالك كنت على الحقيقة زاهداً وعلى التوحيد راشداً.

فاسْعَ في اكتساب هذه الأوصاف تكن من أهل الإنصاف، وقديماً خَبَرت الناس في أوطاننا وأوطانهم فلم أر لديهم أعظم قدراً ولا أكبر خطراً ولا أجلَّ في نفوسهم من رجل طال صمته وقلَّ كلامه، وإن تكلم بالحكمة فإن القلة منها أحسن من الكثرة وأقبل لنفوسهم حذر السآمة، وهو حد السخاء المتقدم.

وقد كان رسول الله ﷺ يتخلَّل أصحابه بالموعظة الحسنة مخافة السآمة عليهم، وكذلك ينبغي للوارثين أن يكونوا.

وكذلك لم أرَ أعظم عندهم وأجل في نفوسهم وأحب إليهم من رجل زهد فيما في أيديهم واحتجب عنهم، و لم يظهر لهم إلا عندما يعرف أن الحاجة قد مستهم للنظر إليه، فحينئذٍ يظهر لهم على ما قدمت لك في أول الباب.

فصل: فكل شيء يورده في ذلك المقام قُبِلَ لتعطّش النفوس إليه، فإن أقبلوا عليك بشيء من دنياهم فارغب عنها وردّها على فقرائهم، فإن أبوا إلا بواسطتك فخذ منهم وادفعها إلى فقرائهم على علم منهم بذلك. هكذا تكون حالة الإمام، وبها يعظم عند أهل مملكته والحمد لله رب العالمين.

باب في ذكر الوزير وصفاته وكيف يجب أن يكون

جرى التدبير الرباني الحكمي في العادة أن [لا يستقيم أمر ملك] في ملكه إلا بوزير يدبره يكون واسطة بين المالك والمملوك، ولذلك اقتضت الحكمة لما أبرزنا هذا الخليفة المذكور أن نجعل له وزيرا يسمى عقلا، وعليه يتوجه الخطاب من الله تعالى إذ هو مدبر المملكة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ﴾[آل عمران: ١٩٠]، ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝١٢٨ ﴾[طه: ١٢٨]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾(أي عقل)، ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ ﴾[ق: ٣٧]، أي عقيل.

فأوجد الله سبحانه لهذا الإمام هذا الوزير الذي يقال له العقل، وإنما سمي عقلا لأنه يعقل عن الله تعالى كل ما يلقي إليه، وهو على المملكة كالعقال على الدابة يحفظها حذر الحران ولهذا سماه عقلا واصطفاه له وزيرا فعيلا. يحتمل (أن يكون من الوزر) والوَزَر وكلاهما موجود فيه، فإن كان من الوزر الذي هو الثقل فإنه حامل أثقال المملكة وأعبائها، وإن كان من الوزر الذي هو الملجأ، فإنه يلجأ إليه في جميع الأشياء، إذ هو لسان الخليفة والمنفذ عنه أوامره فلهذا المعنى صح عليه اسم الوزارة.

لما لم يكن أيضا بد من وجود معنى هذا اللفظ وهو موجود عجيب ومخترع لطيف، أوجده الباري في ثاني مقام من الإمام، وأنزله من الخليفة منزلة القمر من الشمس على مذهب من يقول بالاستمداد. ولهذا تراه عند حضور الملك وتجليه ليست له تلك الصولة ولا يبصر لأن الأمر هناك صادر عن الإمام بارتفاع الوسائط، وهيبة المشاهدة عظيمة وحظها من كتاب الله قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾[غافر: ١٦]، وفي وقت الحجاب وقعت الدعاوى، (نعوذ بالله من حجاب الدعوى).

فمتى احتجب الخليفة كان للوزير الظهور وإنفاذ الأوامر والإعطاء والمنع، إذ هو لسان الخليفة والمترجم عنه، وهذا موجود سر روحانية القمر والشمس.

ألا ترى القمر إذا حصل في قبضة الشمس ليس له نور ولا ظهور لاستيلاء الشمس عليه؟ فإذا كانت الليالي البيض كان له الظهور التام بمغيب الشمس عن مرأى أعين الناظرين. فالقمر في ذلك الوقت يشاهد الشمس والعالم والناس لا يشاهدون إلا القمر، وهذا سر عجيب وهذا باب عظيم لأهل الحقائق فيه مجال وانفساح، ولأرباب القلوب فيه اعتبار بين اندماج واتضاح، لأن الحكمة عجيبة في إبداره على قدر أسراره (ثلاثا بثلاث).

وقد ذكرنا هذا السر في غير هذا الموضع مستوفًى في كتاب "المثلثات" لنا، وحظه من الكتاب العزيز ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾[الناس: ١-٣]، وكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه ما حصل له من سر الوجود عند التجلي المحمدي إلا مقام مَلك الناس. ولهذا كان يصرح بأن سورته من القرآن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[الملك: ١]، ومقام إله الناس انفرد به القطب ولذلك كان أبو مدين أحد الإمامين الموجودين في العالم.

ثم نرجع ونقول فلما أبدع بنيته وسوى جوهريته أودع فيه حسن التدبير والسياسة، وجميع الأمور اللائقة بالمملكة من مقامه إلى أدنى موجود من رعيته، وعلى هذا المهيع وردت الشرائع. ثم نقش سبحانه جميع العلوم في جوهر ذاته فصار محلا للعلوم مع أنه لا يدري أين يصرفها ولا الحالات التي يصرفها فيها، وذلك حكمة منه تعالى ليكون مضطرا إلى الخليفة، كما فعل بالخليفة فيما تقدم عارفا

بنفسه وقدره، وعارفا بمخدومه الذي أوجده من أجله، ثم أجلس سبحانه الخليفة على عرش الوحدانية ورداه برداء الفردانية وحلاه بالصفات الإلهية، فاكتسى من الإجلال والهيبة والعظمة ما لو ظهر لعالم الشهادة منها مقدار سم الخياط لبهرهم وصعقوا من حينهم وسلبوا عن نفوسهم وهذا مقام الخليفة، فكيف بنا بمشاهدة الحق سبحانه في دار الكرامة.

فانظر وفقك الله ما أعظم هذه القدرة العجيبة التي يؤيدنا الله بها في إدراكنا عن النظر إليه جل جلاله في الدار الآخرة. فلما قام الخليفة في هذا المقام أدخل عليه العقل، فلما دخل عليه تجلت صورة العقل في جوهريته في دار الخليفة فلاحت له الأسرار والعلوم المنقوشة فيه والناس يغلطون في هذا المقام فيطلبون من خارج ما هو فيهم فيتعبون ولو وقفوا عند قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، لاستراحوا. شعر:

قـــــد يرحــــــل المـــــــرء لمطلوبــــــه والســـــبب المطلـــــوب فـــــي الراحـــــل

فإذا أراد العقل معرفة شيء من تدبير الملك وإصلاحه افتقر عنه ذلك إلى مشاهدة الإمام، فعند المشاهد يلوح له المراد فيه فيقوم له التجلي منزلة الخطاب من الملك العلام إلى الوزير. إذ المراد حصول العلم، وبهذا يعبر عن مخاطبة المعقولات فإنهم ليسوا بأجسام تكون فيها أصوات وحروف. وإذا لم تكن أصوات وحروف ورقوم إلى غير ذلك من الدلائل فلك أن تنظر إلى ما تؤدي إليه تلك الأدلة من الأصوات وغيرها في قلب السامع فهو حصول المعنى وهو أثر الكلام من المخاطب.

فكذلك إذا حصل للعقل آثار العلوم في قلبه من فيض الروح الكلي عبرنا عنه بالكلام والقول والخطاب فلما أوجده على هذه الصفة جعل مسكنه الدماغ ليشرف على أقطار المملكة وأن يكون قريبا من خزانة الخيال التي هي مستقر جبايات البادية وقريبا من خزانة الفكر والحفظ حتى يقرب عليه النظر في جميع مهماته.

فينبغي لك أيها الخليفة الأكرم أن تحافظ على وزيرك وتسايسه وتتحبب إليه، فإن في بقائه صلاح ملكك ومدينتك. ألا ترى إذا اتفق في العقل شيء وهلك بفساد محله كيف تخرب مدينة الجسم ولا يقدر الروح على تلفيقها؟ فحافظ على الوزير حفظك على نفسك، فهو يدك التي بها تبطش وعينك التي بها تبصر، فمتى هممت بإمضاء أمر في ملكك فقرب العقل وتدبر معه وشاوره، وانظر إلى ما يصدر عنه فيه، واعمل بما يشير به عليك فإن الله تعالى قد أودع الصواب في رأيه.

وتحفظ من الوهم فإن الوهم موجود يبرز للنفس على صورة العقل، فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع، له في الإنسان تأثير عظيم، وهو المستولي على الناس والباعث على الأفكار الرديئة، وهو يورث الوسوسة، فتحفظ منه وميز وزيرك عينا واسما، ولا تستبد بنفسك فلا خير في أمر ولا ملك لا يدبره عقل.

ولما كان الوزير قد يشتبه به من أكثر وجوهه وصفاته لا من كلها اضطررنا إلى نعته بالنعوت الكاملة التي لا يمكن للوهم أن يتشبه بها على الكمال. فانظر إلى النعوت التي أنا أذكرها لك إن شاء الله، فإذا رأيتها قد قامت بموجود ما فذلك وزيرك وهو المراد، فاحفظها وأحصها وحصلها وحصنها تحفظ إن شاء الله تعالى.

تفصيل خلق الوزير وصفاته:

فاعلم رحمك الله أن العدل شخصه، والهمة رأسه، والجمال وجهه، والحفظ حاجباه، والحياء عيناه، والطلاقة جبينه، والعزة أنفه، والصدق فمه، والحكمة لسانه، والنية عنقه، والسعة واحتمال الأذى صدره، والشجاعة عضده، والتوكل مرفقه، والعصمة معصمه، والكرم كفه، والإيثار بنانه، والسجود يده، واليُمن يمينه، واليسر يساره، والورع بطنه، والعفة فرجه، والاستقامة ساقه، والرجاء والخوف قدماه، والفطنة قلبه، والعلم روحه، والأمانة حياته، والزهد لباسه، والتواضع تاجه، والخشية إكليله، والحلم خاتمه، والأنس بيته، والهدى طريقه، والشريعة مصباحه، والفهم دثاره، والنصح شعاره، والفراسة علمه، والفقر كسبه، والعقل اسمه، والحق سمعه، فإذا رأيت هذه الأوصاف فاتخذه وزيرا ولليلك سميرا.

قال المؤلف رحمه الله: ولما كانت الفراسة علم هذا الوزير المذكور ومحل كشفه واطلاعه على ممكنات الخواطر ومغيبات الأمور، احتجنا إلى أن نسوق منها طرفا مختصرا عقيب هذا الباب، حكمية وشرعية إن شاء الله.

باب في الفراسة الشرعية والحكمية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]. وقال ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" فالفراسة، أكرمك الله، نور من أنوار الله عز وجل، يهدي بها عباده، ولها دلائلٌ في ظاهر الخلق، جرت الحكمة الإلهية بارتباط مدلولاتها بها. وقد تشذُّ ولكن ذلك نادر في الفراسة الحكمية الإلهية، إذ هي موقوفة على أدلة عادية ضعيفة.

وأما الشرعية فلا تشذُّ لأنها عن أمر إلهي كما قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢] فهي مستمرة عند أهلها لأن أدلتها في نفس من قامت به، بخلاف الحكمية فإن أدلتها في نفس المتفرّس فيه، فرأينا أن نسوق في هذا الباب الفراستين معاً على أخص ما يمكن وأتمّه.

الفراسة الحكمية، أعزك الله، من المعارف الفكرية والعلوم النظرية والأحكام التجريبية؛ وإنما مسَّت الحاجة إليها في هذا الكتاب إذ ليس كل أحد يَهبَه الله نور اليقين ويزيل حجاب الريون عن عين بصيرته، فينتظم في سلك أهل الفراسة الشرعية. فلما لَم يتمكن هذا لكل أحد لكونها هِبَةٌ من الله تعالى، فلا يفوز بها إلا الخواص من عباده. وكتابنا هذا موضوع للخاص والعام فيما يحتاج إليه، وهذا الباب من آكدِ ما يحتاج إليه ويعوّل عليه، لأن الإنسان مضطر إلى معاشرة الناس ومخاللتهم. كل إنسان في صنفه وفي عالمه؛ وإذا كان عنده هذا الاضطرار وليس عنده من الفراسة الشرعية ما يميز به بين إخوانه، سقنا فصلاً كافياً من الفراسة الحكمية ليقف الإنسان عنده ويصرّفه في مهماته، ويشتغل بضروب الطاعات؛ عسى الله أن يفتح له باباً من عنده إلى نور اليقين وملاحظة الملكوت الأعلى.

فاعلم يا أخي، وفقنا الله وإياك، أن أحسن الهيئات وأعدل النشآت الذي ينبغي لك أن تتخذه سفيراً ولليلك سميراً ولملكك وزيراً، من ليس بالطويل ولا بالقصير، ليّن اللحم رطبه، بين الغلظة والدقة، أبيض مشوبٌ بحمرة وصفرة، معتدلُ الشعر طويله، ليس بالسّميط ولا الجعد القطط، في شعره حُمرةٌ ليس بذلك السواد، أسيل الوجه أعين، مائلة عينه إلى الغؤور والسواد، معتدلُ عَظْمِ الرأس، مائل

الأكتاف، في عنقه استواء، معتدل اللبة، ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صافٍ ما غلظ منه وما رق مما يستحب غلظه أو رقته في اعتدال، طويل البنان للرقة، بسيط الكف، قليل الكلام والضحك إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء؛ في نظره فرح وسرور، قليلُ الطمع في المال؛ ليس يريد التحكم عليك ولا الرئاسة، ليس بعجلان ولا بطيء.

فهذا قالت الحكماء أعدل الخليقة وأحكمها، وفيها خلق سيد البشر سيدنا محمد ﷺ حتى صح له الكمال ظاهراً وباطناً. فإن قدرت أن لا تصحب إلا مثل هذا فافعل، ولا تتبع شهوتك إذا لم ينور الله بصيرتك. فإن رُزقت النور الإلهي فأنت إذ ذاك سلطان العالمين وصاحب الحقيقتين، الوجود تحت قهرك ورئاستك وأمرك.

واعلم يا أخي أن الحكماء زعموا في مقالاتهم في الفراسة، ورأيت ذلك تجربةً، أن أعدلَ الخلق ما تقدم وصفه. ومما ذكروا في مقالاتهم أن البياض الصادق مع الزُّرقة والشقرة الكثيرة دليل على الحقد والخيانة والفسوق وخفّة العقل. فإن كان مع ذلك واسع الجبهة ضيق الذقن أزعر أوجَن، كثير الشعر على الرأس، فقالت الحكماء إن التحفُّظ ممن هذه صفته كالتحفُّظ من الأفاعي القتالة.

الشَّعر:

واعلم أن الحكماء قالوا إنَّ الشعرَ الخشن يدل على الشجاعة وصحة الدماغ، والشعر اللّين يدل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة. وكثرة الشعر على الكتفين والعنق والرقبة يدل على الحمق والجرأة، وكثرة الشعر على الصدر والبطن يدل على وحشة الطبع وقلة الفهم وحب الجور؛ والشقرة دليل على الحمق وكثرة الغضب وسرعته والتسلط والأسود من الشعر يدل على العقل والأناة وحب العدل؛ والمتوسط من هذين يدل على الاعتدال.

الجبهة:

قالت الحكماء: الجبهة المنبسطة التي لا غضون فيها تدل على الخصومة والشغب والرقاعة والصلف؛ ومن كانت جبهته متوسطة في النتوء والسعة وكانت فيها غضون فهو صادق مُحبّ فهو عالمٌ يقظان مدبرٌ حاذق.

الأذنان:

ومن كان عظيمَ الأذنين فهو جاهل إلا أنه يكون حافظاً؛ ومن كان صغير الأذنين فهو أحمقٌ سارقٌ.

الحاجب:

والحاجب الكثير الشعر يدل على العي وغث الكلام، فإن امتدَّ الحاجب إلى الصدغ فصاحبه تيَّاه صلف، ومن رقَّ حاجبه فاعتدل في الطول والقصر وكان أسود فهو يقظان فَهِم.

العين:

أردأ العيون الزرق، وأردأ الزرق الفيروزجية. فمن عظمت عيناه وجحظت فهو حسود وقحٌ كسلان غير ميمون؛ وإن كانت زرقاء كان أشد وقد يكون غاشَّاً. ومن كانت عيناه متوسطة مائلة إلى

الغؤور والكحلة والسواد، فهو يقظان فهو ثقةٌ مُحبٌّ. فإن أخذت في طول البدن فصاحبها خبيث. ومن كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة ميّت النظر، فهو جاهل غليظ الطبع؛ ومن كانت في عينه حركة بسرعة وَحِدَّة نَظَرٍ فهو محتال لصٌ غادر؛ ومن كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام؛ فإن كان حواليها نقطٌ صفر فصاحبُها أشرُّ الناس وأردأهم.

الأنف:

إذا كان الأنف دقيقاً فصاحبه نَزِقْ، ومن كان أنفه يكاد يدخل في فمه فهو شجاع، ومن كان أفطس فهو شَبَقْ، ومن كان ثقب أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب. وإذا كان غليظ الوسط مائلاً إلى الفطوسة فهو كذوب مِهذار. وأعدل الأنوف ما طال غير طويل فاحش. ومن كان أنفه متوسط الغلظ وقَنَاه غير فاحش فهو دليل على العقل والفهم.

الفم:

من كان واسع الفم فهو شجاعٌ، ومن كان غليظ الشفتين فهو أحمق، ومن كان متوسط الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقةٍ فهو معتدل، ومن كانت أسنانه ملتوية أو ناتية فهو خدّاع متحيّل غير مأمون. ومن كانت أسنانه منبسطة خِفافاً بينهما فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبر. ومن كان لحم الوجه منه منتفخ الشدقين فهو جاهل غليظ الطبع، ومن كان نحيف الوجه أصفر فهو رديء خبيث خداع شَكِس. ومن طال وجهه فهو وقح؛ من كانت أصداغه منتفخة وأوداجه ممتلئة فهو غضوب؛ ومن نَظَرته فاحمرَّ وخجل وربما دمعت عيناه أو تبسَّم تبسماً لا يريده فهو لك متودّد محب فيك؛ ولك في نفسه مهابة.

الصوت:

الصوت الجهير يدل على الشجاعة، والمعتدل بين الكد والتأنّي والغلظ والرقة يدل على العقل والتدبير والصدق؛ سرعة الكلام ورقّته تدل على القحة والكذب والحيل؛ الغلظ في الصوت دليل على الغضب وسُوء الخلق؛ الغنة في الصوت دالة على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس.

التحرك الكثير دليل على الصلف والهذر والخداع؛ الوقار في الجلسة وتدارك اللفظ وتحريك اليد في فصول الكلام دليل على تمام العقل والتدبير وصحة النقل.

العنق:

قصر العنق دليل على الخبث والمكر، طول العنق ودقّته دليل على الحُمق والجُبن والصياح، فإنْ انضاف إليهما صغر الرأس فإنه يدل على الحمق والسخف؛ غلظ العنق يدل على الجهل وكثرة الأكل؛ اعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق.

البطن:

البطن الكبير يدل على الحُمق والجهل والجُبن؛ لطافة البطن وضيق الصدر تدلان على جودة العقل وحُسن الرأي.

عرض الكتفين والظهر يدلان على الشجاعة وخفة العقل؛ انحناء الظهر دليل على الشكاسة والنزاقة؛ استواء الظهر علامة محمودة؛ بروز الكتفين دليل على سوء النية وقبح المذهب. إذا طالت الذراعان حتى تبلغ الكف الركبة دل على الشجاعة وكرم ونبل النفس، وإذا قصرت فصاحبها جبان محب للشر. الكف الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصناعة وإحكام الأعمال وتدبير الرئاسة.

القَدَم:

اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل وحب الجور؛ القدم الصغير اللين يدل على الفجور، دقة العقب تدل على الجبن وغلظته تدل على الشجاعة.

الساق:

غلظ الساقين مع العرقوبين دليلٌ على البَلَه والقحَّة؛ من كانت خطاه واسعة بطيئة فهو منجح في جميع أعماله منكر في جميع عواقبه، والضد للضد.

فهذا وفقك الله فصلٌ مختصر في الفراسة الحكمية على ما وضعته الحكماء، فتحققه ترشد في معرفة الناس إن شاء الله تعالى وحده.

قال المؤلف ﵁: ولنعمد في هذا الفصل الذي ذكرته الحكماء إلى النشأة المعتدلة المذكورة في أول هذا الباب، ولنمش عليها النشأة الإنسانية الروحانية حرفاً حرفاً فأقول:

اعلم، لما كان للروح الإنساني وجهٌ إلى النور المحض ووجهٌ إلى الظلمة المحضة وهي الطبيعة، كانت ذاته متوسطة بين النور والظلمة. وسبب ذلك أنه خلق مدبراً لنشأة طبيعية عنصرية كالنفس الكلية التي بين الهوى والعقل. فالهوى ظلمةٌ محضٌ والعقلُ نورٌ محض، والنفس بينهما كالسدفة. فمتى لم يغلب على اللطيفة الإنسانية أحد الوصفين كان معتدلاً يؤتي كل ذي حق حقه؛ ومتى ما غلب عليه النور المحض أو الظلمة المحضة كان لما غلب عليه كما ذكر في النشأة الجسمية من الطول المفرط أو القصر المفرط والبياض المفرط والسواد المفرط، وكل ضدين على التفاوت في أحد الطرفين.

فأقول: أما البياض المفرط فاستفراغه للنظر في عالم النور بحيث لا يبقى فيه ما يدبّر به عالم طبيعته، فيفسد سريعاً قبل حصول الكمال فكان مذموماً.

وكذلك في الجانب الآخر وهو السواد المفرط، بحيث يمنعه النظر في طبيعته عن عالم النور فذلك أيضا مذموم. فإذا كان وقتاً ووقتاً كما قال ﵇: "لي مع الله وقت لا يسعني فيه غير ربي"؛ وكان له وقت مع أصحابه، ووقتٌ مع أهله؛ وكذلك الطول والقصر مدة إقامته في النظر في أحد الجانبين، فينبغي أن تكون المدة بقدر الحاجة.

وأما اعتدال اللحم في الرطوبة بين الغلظ والدقة فهو اعتداله في البرزخيات بين المعنى والحس، كاللحم بين الجلد والعظم. وأما اعتدال الشعر فكونه بين القبض والبسط.

وأما كونه أسيل الوجه فهي الطلاقة والبشاشة، وأما كونه أعين فصحّة النظر في الأمور، وأما كون عينه مائلة إلى الغؤور والسواد فاستخراج الأمور الخفية والعلوم الغيبية. وأما كونه معتدل عظم الرأس فوفير العقل.

وأما كونه مائل الأكتاف فاحتمال الأذى من غير أثر؛ وأما كونه مستوي العنق فالاستشراف على الأشياء من غير ميلٍ إليها. وأما كونه معتدل اللبة التي هي مجرى النفس لاستقامة الأصوات فاستقامة الكلام في الخطابً بما يليق بالمخاطب. وأما كونه ليس في وركه ولا صلبه لحم فنظراً إلى الأمور التي يلجأ إليها ويتورَّك عليها أن يكون تخلُّصه لأحد الطرفين. فأنه إن كانت برزخية فقد تغرّر به في غالب الأمر.

وأما كونه خفي الصوت فهو حفظ السر؛ وأما صفاء الصوت فهو أن لا يزيد فيه شيئاً؛ وأما طول البنان فلطافة التناول؛ وأما بسط الكف فرمي الدنيا من غير تعلُّق؛ وأما قلة الكلام والضحك فنظره إلى مواضع الحكمة فيتكلم ويضحك بحسب الحاجة؛ وأما كون ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء فهو أن يغلب عليه الجنوح إلى العالم العلوي.

وأما كونه في نظره فرحٌ وسرورٌ فهو استجلاب نفوس الغير عليه بالمحبة؛ وأما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن الغائلة؛ وأما كونه ليس يريد التحكم عليك ولا الرئاسة فهو شغله بكمال نفسه لا بك؛ وأما كونه ليس بعجلان ولا بطيء أي ليس بسريع الأخذ مع القدرة ولا عاجز.

فهذا قد ذكرنا اعتدال النشأة اللطيفة الإنسانية حرفاً بحرف على النشأة المعتدلة الطينية التي ذكرناها عن الحكماء آنفاً، ثم نأخذ بتفصيل الأعضاء على هذا المثال بقدر ما يوقف للنظر السديد في ذلك، و لم نودعه هنا لئلا يطول الكتاب، فلنرجع إلى الفراسة الشرعية فأقول:

الفراسة الشرعية: اعلم رحمك الله ونوَّر بصيرتك أن عالم الملكوت هو المحرك لعالم الشهادة، وهو تحتَ قهره وتسخيره حكمة من الله تعالى لا لنفسه استحق ذلك؛ فعالم الشهادة لا تصدر منه حركة ولا سكون ولا أكل ولا شرب ولا كلام ولا صمت إلا عن عالم الغيب. وذلك أن الحيوان لا يتحرك إلا عن قصد وإرادة وهما من عمل القلب وهو من عالم الغيب والحركة وما شاكلها من عالم الشهادة.

وعالم الشهادة عندنا ما أدركناه بالحس عادة، وعالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعي أو النظر الفكري فيما لا يظهر للحس عادة فنقول: إن عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما أن عالم الشهادة يدرَك بعين البصر. وكما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع؛ فإذا ارتفعت الموانع وانبسطت الأنوار على المحسوسات أدرك البصر المبصرات. فإدراكها مقرونٌ بنور البصر ونور الشمس أو السراج وأشباهها من الأنوار.

كذلك عين البصيرة حجابها الريون والشهوات وملاحظات الأغيار، إلى مثل هذه من الحجب، فتحول بينها وبين إدراك الملكوت أعني عالم الغيب. فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بأنواع الرياضات والمجاهدات حتى أزال عنها كل حجاب واجتمع نورها مع النور الذي ينبسط على عالم الغيب، وهو النور الذي يتراءى به أهل الملكوت، وهو بمنزلة الشمس في المحسوس، اجتمع عند ذلك نور عين البصيرة مع نور التمييز، فكشف المغيبات على ما هي عليه. غير أن بينهما لطيفة معنى، وذلك أن الحس يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط والأجسام الكثيفة الحائلة بينه وبين من يريد إدراكه وهذا لقصور عادة.

وقد تنخرق لنبيٍ أو ولي كقول النبي ﷺ: "إني أراكم من وراء ظهري"؛ وفي الأولياء ابتداء المكاشفات لهم في أول سلوكهم، فإن المريد أول ما يُكشف له عن المحسوسات فيرى رجلاً مقبلاً، أو

على حالة ما وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة بحيث أن يراه بمكة أو يرى الكعبة وهو بأقصى المغرب، وهذا كثيرٌ عن المريدين في أول أحوالهم. ذقتُ ذلك كله وعرفته ولله الحمد.

باب في معرفة الكاتب وصفاته وكتبه

عليك بكاتب لبق رشيق	**ذكي في شمائله حرارة**
تناجيه بطرفك من بعيد	**فيفهم رجع لحظك بالإشارة**

الكاتب وفق الله به الإمام، وسلك به من حيث لا خلف ولا أمام، موجود لطيفٌ كريمٌ شريف، اتفق عالم الغيب على شرفه واعتلائه نجيّ إدريس النبي عليه السلام. وهو أول من خط بالقلم، وهو صاحب جلاء القلب وغطائه، وبيده زمام منع الخير وعطائه؛ يجول بين سناه الباهر وسنائه؛ ويتردد بين شعاعه وضيائه؛ ومنفّذ الأوامر على القرب والبعد. عالم بسر من له الأمر من قبل ومن بعد؛ يغني ويفقر ويشح؛ ويؤثر سجله ذات النفس الكلية وهي حرة الإمام الزكية، الموصوفة بالمطمئنة الراضية المرضية، كتب في رقها المنشور العلوم البرزخية. فعندما ظهرت آثاره على صفحات قراطيس الأجسام عبّر عن ذلك بنفوذ أمر الإمام.

ونحن إن شاء الله نذكر في هذا الباب صفة الكاتب والكتاب في فصلين؛ والله المؤيد لا ربَّ غيره.

فصل في الكاتب:

اعلم وفقك الله أن الله تعالى جعل في المملكة الكبرى لوحاً محفوظاً وقلماً معلوماً علياً بيمين مقدسة عن التأليف والتغيير؛ فنفذ أمر الإرادة بالعلم من الحق إلى اليمين بتحريك القلم على سطح اللوح المحفوظ بعلم ما كان وما هو كائن وما يكون وما لا يكون. ولما أثبتنا هذا الكتاب على مقابلة النسختين ومقابلتهما على النشأتين أردنا أن نعرف أين الكاتب منا؛ شعر:

قلمي ولوحي في الوجود يمده	**قلم الإله ولوحه المحفوظ**
ويدي يمين الله في ملكوته	**ما شئتُ أجري والرسوم حظوظ**

فالكاتب صفة لطيفة علمية تسمى اليمين، لها عين، ومادتها من عِلّيين وهو مقام الأبرار صاحب الشراب الممزوج. فإذا أراد الإمام أنْ يُظهرَ أمراً من الملكوت في عالم الشهادة تجلى للقلب فانشرح الصدر؛ وذلك عبارةٌ عن كشف الغِطاء، فارتَقَم فيه مراد الإمام. وذلك القلب هو مرآة العقل فرأى العقل في مرآته ما لم يكن رآه قبل ذلك فعرف أنه مراد الإمام فاستدعى الكاتب فأطلعه على المراد، وقال له اكتب في ذات النفس كذا وكذا. فإذا حصل في النفس خرج على الجوارح، فلهذا قلنا فيه إن شرابه ممزوج لأنه امتزج بعين المقربين وهو العقل. فلهذا حصل له الشرف الكامل في حقه.

فإن قيل ما مقام هذا الكاتب العرش أو الكرسي أو بينهما، وقد علمنا على ما قررنا في مواضعها أن الكرسيَّ هو محلُّ الفرقان، وهو النفس. قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، فهذا فرقان والكاتب مرتبته أن يكتب في مذموم ومحمود على اختلاف الأحوال وليس مقامه بحسب كتابته؛ فخبرني كيف يتفق هذا؟

قلنا: قولك صحيح؛ فاعلم أنه ليس من العرش إلى الكرسي مدح ولا ذم سوى علوم مقدسة وتنزلات منزهة عن الاتصاف بالفرقان، والعرش مقام الإمام والكرسي مقام النفس، وهي محل التغيير والتطهير حالاً ومقاماً. فإذا نفذ الأمر إلى الكاتب فإنه ينفذ واحداً مقدساً لا يتصف بذم ولا حمد.

والكاتب إنما يكتب من الخزانة المحمدية وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم؛ فيؤخذ ذلك الأمر من الخزانة المحمدية على ما وضع لمتعلق؛ فإن كان حمداً فهو ذلك؛ فيحصل عند ذلك للكاتب علماً وعيناً لا حالاً ولا مقاماً لأنه فوق ما يكتب؛ فما يصدر عنه إلا حسن، فهو بذاته مع الإرادة، وتصرفه في شغله الذي هو الكتابة من الخزانة المحمدية.

فالذي حصّل الأمر وردَّه أمرين إنما هو الرسول بذلك الأمر والمخاطب؛ فالكتابة من ظاهره والكاتب من باطنه. فحقيقة الرسول هي الممدة لحال الكاتب في حاله ومقامه؛ وحاله أو حقه هو الممد له في رقومه وأفعاله، فهو فوق من حيث هو مشرف، وهو واحد من حيث ذاته. وهذا كله ليس لنفسه لأنه لو أراد الله تعالى أن يبدله بالتقديس تعييراً وبعلّيين سجيناً لما منعه من ذلك مانع، لكنْ هنا سر نسوقه في معرض السؤال لترتفع الهمّة إلى طلبه، وهو أن نقول:

أَمِنَ الحال أن يوجد هذا الكاتب في سِجّين حتى نقول: إنَّ بعضَ أبي جهل وغيره من الفراعنة في عِليين؟ أعني كاتبه، وحقيقته وبعضه في سجين؟ أو تكون المشيئة في حق المعتنى به تقدس كاتبه وحقيقته، وغير المعتنى في سجين؟ وإن كان محالاً ارتفاعه عقلاً فقد شرح شقي الشقي بكليّته؛ فانظروا في كشف هذا السر المستور وفتح هذا الباب المقفل من أنفسكم لا من غيركم.

قلنا: فهذا الكاتب موجود شريف اصطنعه الخليفة لنفسه واتخذه سميراً لأُنسه؛ فمما يجب عليه أن يكون حسن الخلق صبوراً حمولاً للأذى، كاتماً للأسرار الملكوتية، فصيحاً بليغاً يستدرج المعاني الكثيرة في عبارات وجيزة تنبئ عنها صريحاً، لا يسوق نصاً في كتابه إلا في مقام يأمن عقابه. فإن لم يأمن فليَسُق من ألفاظ في كتابه ما يحتمل معنيين فصاعداً. حتى لو ظهر على الإمام في بعض كتبه شيء يعطيه أحد محتملات اللفظ، وكره الإمام ذلك، عَدَلَ الإمام إلى الاحتمال الثاني الذي يحتمله ذلك اللفظ، والله كثيرُ العفو والتجاوز.

فإنه إذا دخله الاحتمال سقط كونه دليلاً على شيء معين، وهذا من مهارة الكاتب وثقافته؛ وأن يجمع بين اعتدال حروفه ومعانيه، ولا يستعمل في كتابه إلا الألفاظ الصقيلة العبارة الخطابية التي لها وقعٌ في النفس وتعلقٌ بالقلب؛ وأن يبدأ في سجلاته بالحمد والثناء والصلاة، ثم يأخذ في عدل الإمام وأوصافه الحسنة الشريفة ومقامه المنيف؛ ويرغب فيه، ثم بعد ذلك يذكر ما أمر به.

فإن كان خيراً فهو المرغوب فيه، وإن كان غير ذلك فقد قيل لأبي يزيد: أيعصي العارف؟ وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

واعلم يا أخي أنّ الكاتب إذا كان على ما ذكرناه فهو قرَعَ باب الصدّيقين ومن ثم يحصل له ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله.

فصل في الكتاب:

ولما كانت اليمين الكاتبة افتقرنا إلى قلمٍ ودواةٍ واستمدادٍ ولوحٍ يقع فيه الخط كالحق واليمين والنون والعلم الأعلى واللوح المحفوظ، وما هو مثل التخليط في الحال وارتقام الأمثلة في اللوح؛ ومثل ما

يكون إيجاد العوالم الصادرة عن الأمثلة المرقومة في اللوح. فافهم اللوح المحفوظ هنا، ولوح المحو والإثبات وانظر كيف أثبتناه حاوياً لما لا يتناهى في رقمه وكل ما دخل في الوجود متناهٍ، فابحث كيف لا يتناهى وما هو في العالم الأصغر كالقطب، ولعله السر المرقوم في الصدور وهو موضع يحتاج العارف إلى الالتجاء في معرفته.

فاللوح هو محل الكتابة فلنسمّه الكتاب ونقول إنه ينقسم قسمين: كتاب مرقوم وكتاب مسطور. قال الله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾[الطور: ١-٢]، وقال: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٩]، فأقسم بالمسطور؛ وأخبر عن المرقوم أنه في محلين في سِجّين أو في عِلّيين.

فالمسطور في عالم الأرواح والمرقوم في عالم الغيب والشهادة. ومن جانب الحقائق أن المرقوم هو المسطور عينه من جانب الكشف الصحيح؛ لكن لما لم يعاين منه الملأ الأعلى إلا الوجه الواحد الذي من قبلها وهو عالم الأمر كان مسطوراً ولما كان الإنسان قد جمع العلو والسفل أشرف على الوجهين فكان له مرقوماً. فما ولي الراقم فهو المسطور، وهو الموضع المشكل موضع انعقاد الخيوط وتداخل بعضها على بعض. وما ولي الأرض من الكتاب كان مسطوراً أيضاً ومرقوماً باعتبار الوجه الذي يلي الراقم في حق من شاهدهما.

فهذا المسطور الأرضي هو علم الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم بحب الدنيا عن معاينة الملكوت. فالملائكة في المسطور من عالم الأمر العلوي، والفقهاء المحجوبون في المسطور من عالم الخلق السفلي؛ والمحققون في المرقوم بمشاهدة الوجهين، فما ولي الأرض شاهدوه حساً وما ولي الراقم، وهو ما فوق العرش في حق سر المحقق وما فوق السماء في حق بعض العوالم، شاهدوه قلباً وعقلاً. حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق تجلّى لهم فخاطبوه وخاطبهم فانحجبوا. فإذا خرقوا الحجاب وانعدمت في حقهم الأسباب نظروا إلى سرّ القدر كيف يحكم في الخلائق ولحظوا الأمر على مبدئه فإن شاؤوا صَمتوا وإن شاؤوا نطقوا.

فمخاطبته إياهم كتابه في قلوبهم وهي الألواح المحفوظة المكتوب فيها من كل شيءٍ موعظة وتفصيلاً لكل شيء وفيها يقرؤون وعنها يخبرون، وتلك الخواطر الربانية.

فيا أيها السيد تفطَّن لهذا الكاتب فإنه وإن كان لك منصب الإمامة فله منصب الخطابة لا تستقل بها دونه، فهو الإمام فيها لو حصلت معه فيها لخدمته؛ ولكن لإقامة الحق لك في الإمامة الإحاطية دخل هذا وغيره في حزبها فراغ حرمته فهو صاحب طابعك والمخاطب عنك. فتحبَّب إليه وإلا أفسد عليك ملكك فإن الوزير مفتقر إليه، وغايتك وغاية وزيرك تدبير حضرة مملكتك؛ وكتبه تمشي في باديتك بما يريده لا بما تريده أنت إن شاء ذلك.

واعلم أن الحضرة لا معنى لها إلا بباديتها، فإن فسدت البادية وثارت عليك أدى ذلك إلى فساد ملكك، وأنّى لك تلافيه فهو الأمين على الفجور وملكك يقبل الصفتين معاً، وقد نصحتك فالزم.

باب في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية ووقوف الإمام القدسي عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه

اعلم أيها السيد الكريم إعلام تنبيه لا إعلام تعليم أنَّ الله تعالى هو ملك الأملاك ورب الأرباب وسيد السادات، والكل عدمٌ بوجوده، إذ هو الموجود على الإطلاق، الذي لا بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه، ولا ظاهر ولا باطن في علمه في حقه، بل الأشياء كلها قديمها وحديثها، أولها وآخرها، أسفلها وأعلاها، إنما ظهرت به وإنما رجعت إليه منه، لا يخرج شيء منه إلا إليه.

فجميع أعمالك كلها خفيّها وجليّها هو سبحانه مطّلع عليها، فلا يطلع لك على ما يكرهه منك ولا يجدك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وأنت سميع مطيع.

أيها السيد الكريم، تعيّن علينا التنبيه على كيفية وصول جباياتك إليك من الحضرة القلبية والحسية ومنك إلى الله تعالى، أما الحضرة الحسية فإنها تجبي المحسوسات التي ذكرناها والخيال أميرها وصاحب خراجه الحس فتأخذ الحواس جميع المحسوسات على اختلاف أصنافها وتؤديها إلى الحس صاحب الخِراج، في خزانة الخيال فتكتسب هنالك اسماً من جنس ما رفعت إليه ويزول عنها اسم المحسوسات وينطلق عليها اسم المتخيلات.

ثم يكون الخيال أيضاً صاحب خراج تحت سلطان الذكر فيحفظها وينتقل هنالك اسم المتخيلات عنها إلى المذكورات والمحفوظات، ثم يرجع الذكر صاحب خراج تحت سلطان الفكر، فيعرضها عليه ويسبرها ويخلصها ويسأل الرعية عنها، ويفرق بين الحق والباطل في ذلك، فإن الحس له أغاليط كثيرة.

وينتقل اسم المذكورات عنها إلى المتفكرات، فإذا سيرها ورد منها إلى الحس ما غلط فيه وأخذ منها ما صح ودخل به إلى حضرة العقل صار الفكر صاحب خراج تحت سلطان العقل.

فلما وصل إلى حضرة العقل دخل عليه وعرض ما جاء به من العلوم والأعمال مفصلةً. هذا عمل السمع، هذا عمل البصر، هذا عمل اللسان، حتى يستوفي جميع ذلك، وينتقل اسمها إلى المعقولات، فيأخذها العقل الذي هو الوزير ويأتي بها إلى الروح الكلي القدسي، فتستأذن له النفس الناطقة فيدخل فيضع جميع المعقولات بين يديه ويقول له: السلام عليك أيها السيد الكريم والخليفة، هذا ما وصل إليك من بادية حضرتك على أيَدِي عُمَّالك، فيأخذها الروح فينطلق إلى حضرة القدسي فيخرُّ ساجداً، وتلك السجدة قربٌ، وقرعٌ لباب الحق حضرة القبول، فيفتح فيرفع رأسه، فتقع الأعمال من يده للدهش الذي يحصل له في حضرة التجلي، فينادي: ما جاء بك؟ فيقول أعمال فلان بن فلان الذي جعلني سلطانك خليفة عليه قد رفع إليّ جميع الخراج الذي أمرتني بقبضه من بادية الحضرة، فيقول الحق قابلوه بالإمام المبين الذي كتبته قبل أن أخلقه فلا يغادر حرفاً واحداً فيقول ارفعوا زمامه في عِليين فيرفع، فهذا في سدرة المنتهى.

وأما إن كان في تلك الأعمال مظالم وما لا يليق فلا تُفتح لها أبواب السماء ومحل وصولها الفلك الأثير، وهنالك يقع الخطاب كما وقع في الأول، ثم يؤمر بها فتودع في سِجّين. قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[المطففين: ٧]، وقال ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[المطففين: ١٨]، فيقول الحق للروح

القدسي في سدرة المنتهى: يا عبدي، هذه الأعمال رفعتك إلينا وأحلتك هذا المحل الأسنى، انظر أخاك وصاحبك دون السماء، فينظر إليه فيعرف مِنَّة الله عليه، فيشتغل بالمنّة عن المشاهدة فيقول الحق قد شغله فضلي عني فيحتجب.

ولولا هذا ما صحَّ أن يزول من تلك الحضرة ولكن قد جعل الله لكل شيء سبباً ليتم الكلمة. قال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧١]، وقال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وينتقل اسم الأعمال عندما وصلت إلى الروح من المعقولات، فأطلق عليها الأرواح، فكساها سبحانه لما نظر إليها حُلل البهاء، وأقعدها على منبر الجلال، ونقل اسمها من الأرواح إلى الأسرار، فهذا معنى قول القائل: تزكو الأعمال أي تتطهر وتعلو وتنمو، فتنتقل عليها الأسماء بانتقالها وهي واحدة في ذاتها، فانظر ما أشرف حركة العبد في الطاعة.

وهناك يجتمع الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة وعمل الجوارح وعمل القلوب، أعني في حضرة العقل. وأما أعمالك السيئات فإنها تفترق من الصالحات في خزانة الخيال ومن العالم العُلوي في الفلك الأثير.

فعليك أيها السيد بهذه الأعمال التي تخترق السماوات العُلى؛ وأما العلوم فليست من الأعمال التي ذكرناها فإن العلوم بحيث معلوماتها فإذا صعدت المعارف ووقفت كل معرفة بمعروفها فاجعل علمك بالله يكن علمك مقدساً منزهاً عن النقائص، ولله الحمد، ولله در القائل:

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه فكان بلا كونٍ لأنك كنته

باب في السفراء والرسل الموجهين إلى الثائرين بمدينة البدن

اعلم أيها السيد أنَّ الحكمة قد أُعطت عند من غلب عقله على شهوته من الملوك أنه لا يوجّه رسولاً إلى عدوّ من أعدائه إلا ذا فطنةٍ وذكاء وشجاعة ووفاء وسخاء وصدق وديانةٍ وأمانة وعلم بالحجة ومواقع الكلام. فإنَّ الرسول دليل على مرسِله ومنزلته، فإن كان على هذه الأوصاف علم أن مرسله بهذه المثابة وأعلى. فإنه لولا علم من أرسله وعقله لما ميّز هذا الرسول من غيره.

وإن كان بضد ما وصفنا كان باغياً كثير الهوس سخيفاً، علم أن الذي أرسله أسخف منه.

فإذا تقرر هذا فلتكن رسلك أيها السيد الكريم إلى الهوى الملك المطاع الثائر بمدينتك التوفيق والهدى والفكر والاعتبار والتدبُّر والثبات والقصد والحزم والاستبصار والتذكُّر والخوف والرجاء والإنصاف وما شاكل هذه الأوصاف؛ فهؤلاء ينبغي أن يكونوا رسلك. فأفلح وربح وعظم ملك كانت رسله هؤلاء إلى أعدائه؛ فإنه يعلم على الضرورة أنهم يقمعون عدوه بالحجة القاطعة، وربما أسلم ويرجع الهوى الذي كان يقصد الشر يقصد الخير، وتكفي مؤونة المقابلة والمقاتلة.

فإن قدمت رسل الهوى الذي هو الثائر عليك والساعي في فساد مُلكك فلا تغلظ عليهم فإن إهانة الرسل من عدم السياسة.

ورسله أي رسل الهوى الحرص والكذب والخيانة والغدر والجبن والبخل والجهل والشره والعَي والبلادة وما شاكل هذا الصنف.

فمن جاء منهم إليك فلا تنفر عنهم ابتداءً، فلا تنهرهم وقل لهم قولاً كريماً؛ فإنك تأخذ بأسماعهم وأبصارهم؛ واقعد على سرير مُلكك وأخلِ لهم مجلسك وأْمُر وزيرك العقل يترجم لهم عنك فإنه سؤوسٌ.

فإن كان الحرص من جملة الرسل وتكلم فإنه لا يتكلم إلا بحقيقته، فيقول لك إن هذا الملك المطاع الذي اسمه الهوى قد أرسلنا إليك لتدخل تحت سلطانه وإلا فلتأذن بحرب. وقد أمرك بأن تحرص على جمع الأموال والادخار ومخالفة ما جاءت به الشريعة. فتقول له: أيها الرسول، مكانتك عندنا عظيمة ومنزلتك كريمةٌ. فإنه إذا سمع هذا منك سرَّ به فإنه لا يسمع مثل هذا من سلطان.

ولكن أيها الرسول، انظر هذا بعقلك وانصف من نفسك ما تقول في الله أهو ربنا أم لا؟ فيقول: نعم هو ربنا. فتقول له: أيها الرسول، هذه الدار التي نحن فيها أنحن راحلون عنها أم لا؟ فيقول: بلى راحلون عنها. فيقول: انقلابنا ورحلتنا إلى الله أم إلى غيره؟ فيقول لك: إلى الله فتقول: بماذا وصف من خالف شرعه ودينه؟ فيقول: بالشقاء فتقول له: ومن أطاعه؟ فيقول بالسعادة. فتقول له: وهل يُغني عنك أحد من الله شيئاً؟

فيقول: لا. فتقول له أنت: أيها الحرص رسول هذا الهوى، تعلم أني أدعو إلى ما فيه مرضاة الله؛ هَبْكَ تحرص على طلب المال، هل يصح لك منه إلا ما كتب الله ولو لم تحرص؟ فيقول: نعم.

فتقول: حقيقتك باقية أيها الحرص، ولكن اصرفها إلى الطاعات ومرضاة الرب، واحرص عليها تسعد بها ومتاع الدنيا قليل؛ ومع قلتها فانية، والدار الآخرة خير وأكبر.

أنت يا حرص هنا وما انتقص لك من منزلتك شيءٌ، فيقول نعم. فيسلم؛ ويتوجه الحرص على طريق العلم والدين فيقوى ملكك ويضعف ملك الهوى.

وهكذا تفعل مع كل رسول منهم مثل الخيانة والكذب والفجور إلى آخرها؛ ولولا التطويل لذكرنا كيف تقام الحجج على كل رسول منهم بما تقتضيه منزلته حتى يسلم الكل؛ فإن الإسلام هو الأصل فيرجعون إلى أصولهم بخلاف رسلك فإنهم لا يرتدون أبداً عليك، وغايتهم ألا يقبل الهوى كلامهم فينصرفون خائبين.

فاعرف هذه الحقائق فقد بيّنت لك كيف تكلم رسل عدوّك، ومن ذلك الواحد تستدل على الباقي. ولهذا ترى المريدين اليوم يقلُّ فَلاحهم لعدم محاضرتهم مثل هذا المجلس؛ وإنما هم يغلظون بالقول على هؤلاء الرسل من غير سياسة؛ فلهذا تراهم لهم دخولٌ في طريق الخير وليس لهم ثبوت ويسخر منهم الشيطان؛ وهنا حقائق متَّسعة لا ينحصر بابها فتركنا الخوض فيها مخافة أن ينخرق علينا ما يخرجنا عن مقصودنا من الاختصار. وهذا القدر كافٍ فاستعمله والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه.

باب في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم

اعلم أيها السيد الكريم أن الأجناد هم الأعمدة التي يقوم عليها فسطاط الملك والأوتاد الذين يمسكونه. واعلم أن الملك بيت، فلا بد له من أربعة أركان تمسكه، وأنا أبينها لك إن شاء الله، وهي أوصافك المحمودة وخلقك الرفيعة، فلتصطف منهم أربعة خواص تدور عليهم أفلاك مملكتك ورحى سلطانك، وما بقي من الأجناد فتحت أمر هؤلاء الأربعة، فينحصر لك النظر فيهم وهم يدبرون ملكك كل واحد بطائفة معلومة.

وإنما جعلناها أربعة لأمرين: الأمر الواحد أن الأربعة الأصل الثاني في البسائط العددية والبسائط أصل في تركيب الأعداد إلى ما لا يتناهى. وذلك أن بسائط العدد من واحد إلى عشرة، وليس في البسائط عدد يجمع العشرة إلا الأربعة، فإن الأربعة حقيقتها أربعة وفيها الثلاثة فكانت سبعة، وفيها اثنان فكانت تسعة، وفيها الواحد فكانت عشرة، وليس في العدد عدد يتضمن العشرة غيرها.

فلهذا اصطفيناها لتضمنها هذه الحكمة وحلها قوى ما بقي بالقوة، فعلمنا أن الأربعة يقومون بالملك، ولهذا كانت حملة العرش ثمانية كما قال تعالى، وهم اليوم أربعة كذا قال النبي ﷺ، ولهذا قال تعالى لما وصف يوم القيامة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، فقال يومئذ، يشير إلى يوم القيامة.

ووجدنا ملك هذا العالم الحيواني وهو ملكك قد قام على أربع طبائع، والعالم الكبير قد قام على أربعة عناصر وهذا باب الأربعين. والأربع باب واسع يخرجنا إيراده لك عن المقصود في الفائدة.

وأما الأمر الآخر الذي لأجله أمرناك أن تختص أربعة فلأن الجهات التي يدخل عليك الخلل منها ويفسد ملكك أربع جهات: اليمين والشمال والخلف والأمام فمن ثم يأتيك الخلل.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾[الأعراف: ١٧]، ولم يذكر أكثر ولا يصح، فإنه ما بقي إلا اثنان: الفوق والتحت. فأما التحت فإليه يدعوك، وأما الفوق فهو محل طريق التنزل الإلهي فلا تقربه لئلا تملك، هو طريق القضاء والقدر الذي اختص الله به فلا مدخل لمخلوق فيه.

فينبغي لك أيها السيد الكريم أن تنظر في هذه الجهات الأربع التي يدخل عليك الفساد منها وتجعل على كل جهة منها واحدا من هؤلاء الأربع بأتباعهم وأجنادهم، وهم يحمون الملك وتعيش هنيئا في عافية آمنا، فإن عدوك ختَّال جبان لا يقوى على القتال وإنما يطمع في الغدر.

فإذا جعلت المراقبة عطايا هؤلاء الأربعة صح أمرك، ومهما جاءك العدو من أي ناحية جاء وجد من يمنعه من الوصول إلى مراده فيك، فلتجعل الخوف عن يمينك، والرجاء عن شمالك، والعلم أمامك بين يديك، والتفكر من خلفك. فإذا جاء العدو عن يمينك وجد الخوف بأجناده فلا يستطيع معه دفاعا، وكذلك ما بقي.

وإنما رتبنا هذا الترتيب لأن العدو إنما يأتي من هذه الجهات، فخصصنا الخوف باليمين وذلك أن اليمين موضع الجنة والشمال موضع النار. فإذا جاء العدو من قبل اليمين إنما يأتي بالجنة العاجلة وهي الشهوات واللذات، فيزينها لك ويحببها إليك، فيعرض له الخوف فيدرأه عنها، ولولاه لوقع فيها وبوقوعه يكون الهلاك في ملكك.

فلا يجب أن يكون الخوف إلا في هذا الموضع، ولا تستعمله في غيرها من الجهات فيقع اليأس والقنوط، ومن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها فالخوف للإنسان كالعدو للجندي فلا يأخذها إلا عند مباشرة العدو أو لتوقي نزوله، وإن أخذها في غير هذا الموطن سخر به وكان سخيفا جاهلا.

وإن أتاك العدو من جهة الشمال فإنه لا يأتيك إلا بالقنوط واليأس وسوء الظن بالله وغلبة المقت ليوقع بك فتهلك، فيقوم لك الرجاء بحسن الظن بالله عز وجل، فيدفعه ويقمعه.

وكذلك إذا أتاك من بين يديك أتاك بظاهر القول فأداك إلى التجسيم والتشبيه، فيقوم لك العلم فيمنعه أن يصل إليك بهذا فتكون من الخاسرين.

وكذلك إذا أتاك من خلفك أتاك بشبه وأمور من جهة الخيالات الفاسدة، فيقوم له التفكر فيدفعه، فإنك إن لم تتفكر وتبحث حتى تعثر (على أن) تلك الأشياء شبهات وإلا هلك ملكك.

ولا سبيل للعدو في قتال هذه المدينة التي هي سلطانك إلا من هذه الأربع جهات، فإذا رتبت هؤلاء كما ذكرت لك امتنع بلدك واحتمى، ولم يستطع العدو مدافعتهم، فإن زدت ولا بدّ على هؤلاء فلا تزد على العشرة يكونون في بساطك تلقي إليهم. وإنما جعلناها عشرة من أجل حفظ العقائد، فإن الحدود عشرة التي هي رأس تنزيه الحق، وهي أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت وقبل وبعد وكل وبعض. فمن نزه ربه عن هذه الحدود التي مدار السلامة عليها وبقاء الملك في دار البقاء، فقد نزه ونال السعادة الأبدية.

فإن غرض العدو في هدم قاعدة من قواعدها التي ذكرناها فاحذر واجعل تحت أيدي هؤلاء القواعد من الأجناد ما تحتاج إليه وتخصه بحد ما من حضرة الحدود لكل حد أمير بأصحابه يقف عنده بنقبائهم وعرفائهم، فإذا جاء العدو سهل عليك المرام ونظرت من أي ناحية وصل، فتدعو بالأمير الذي في تلك الناحية وتأمره بالبروز، فإنه يكفيك همه، وهكذا في جميع النواحي.

فتحقق أيها السيد الكريم ما رسمنا وحافظ على هذا الترتيب تسعد وتغتبط إن شاء الله تعالى وحده. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

باب في سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء

عليك أيها السيد الكريم بالمحافظة على ذاتك الشريفة، فاقصد أنزه موضع عندك وأحصنه، فالزمه واجعله موضع سكناك ألا وهو الكرسي موضع القدمين، وذلك المنزل هو دار السنة وحصن الشرع الحامي المانع العالي الذروة. ولا تباشر الحروب بنفسك، فإنك إن هلكت هلك ملكك وإن بقيت بقيت في حضرتك وتوجه لمباشرة الحرب بعض قوادك وأمرائك الذين ذكرناهم ورتبناهم لك، فإن هزموا بقيت أنت وبقي ملكك وعندك من الرجال والأجناد بما تمدهم، ألا ترى إذا يبس الفرع وانقطع وهلك جبره الأصل وتفرعت الشجرة، وإن هلك الأصل فسدت الشجرة كلها.

فالملك أصل ملكه، فبقائه وعدله بقاء ملكه وبهلاكه وجوره هلاك ملكه، والدولة جسمٌ روحه الملك. فمتى هلك الروح هلك الجسم، وإذا انفسد في الجسم شيء والروح باق أصلحه الطبيب، والتدبير هو طبيبك فحافظ على نفسك ولا تباشر بها عدوك.

مكيدة: إذا نزل بك عدو والتقى الجمعان فقف على ساحل بحر العلم، ثم اضرب بعصا الهمة متن ذلك البحر العلمي. فإذا انفتح لك طريق فادخل فيه فإن عدوك سيقفو أثرك. فإن العلم باب الرئاسة والعجب والشيطان يطمع فيه، فإذا توسط العدو يجد العلم خلفك، فإنه ضرورة ينطبق عليه فيفرق من غير قتال ولا مدافع، ولهذا قال بعض العلماء: "طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يردنا إلا لله"، وهذا من أحسن مكر الله، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]، فإن فرعون اقتفى أثر موسى وغاب عن مكر الله وهلك.

فإذا قال لك عدوك اطلب العلم لتسود به على أبناء زمانك وتخضع لك الملوك ويفتقر إليك الخلق، فلا تقل هذا خاطر شيطاني فيتفطن لك عدوك، ولكن أشرع في طلب العلم فإن الشيطان وهواك يفرحان بعملك في غير علم، وغاب عنهم أن العلم يأبى إلا أن يعطي حقيقته، والجهل الذي طرأ

على إبليس في هذه المسألة أنه تخيل أنه بالعلم ضل، وظن أن قوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، وأن السجود لغير الله على طريق العبودية.

لذلك، وهذا كله جهل محض لا علم، وهو يتخيل أنه علم فقال بالعلم ضللت، فلهذا يحرض على طلب العلم ولا يعلم أن العلم يكشف عورته وجهله.

وهكذا أيها السيد جميع مطالب الخيرات إذا حرض عليها عدوك بالمقاصد الفاسدة فلا ترجع عنها، فإن المرائي العاقل أحسن من المخلص البطال. فإن العمل إذا استمر وإن لم يكن خالصا لا بد من نور يحصل للقلب يرده في لحظة إلى الإخلاص فيقلب جميع أعمالك السالفة، ولهذا يكثر حزن العدو وأسفه، فإنه محرض لك على هذه الأفعال التي انقلبت في حقك حسنى فاعلم.

وأما ترتيب الجيش عند اللقاء فكما ذكرنا لك في الباب قبل هذا، ولتكن أنت في القلب مع خواصك، فإن هذا مما يهول العدو منظره، فإنه لعنه الله لا يقابلك أبدا وإنما يريد غدرك، فإن مقابلته إنما هي مع الملك عليك ولك أنت الرد والقبول، وترتيبه على التفصيل يطول تضيق هذه العجالة عن بسطه ولا فائدة فيه لعدم القتال من العدو، فغايتك معه أن تحذر مواضع الغدر فافهم، والحمد لله رب العالمين.

باب في ذكر السر الذي يغلب أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه

اعلم وفقك الله أنَّ العدد سرٌّ من أسرار الله تعالى في الوجود، وكل عدد مذكور في القرآن وفي الشرع فلمعنى. وهكذا خلق الله الموجودات متعددةً من اثنين إلى اثني عشر وهي نهاية مراتب العدد، فإن مراتب العدد أربع: آحاد وعشرات ومائون وآلاف، والأربعة أكمل العدد ونهاية كل واحدٍ منها إلى تسعةٍ ويأخذ في التكرار.

وإنما قلنا إن الاثني عشر هي النهاية فإن العالم الإنساني نهاية تركيبه بوجه ما من اثني عشر، فإنه مركب من أمهاتٍ أربع ومولداتٍ أربع ونفس وعقل والإنسان والمرتبة، وقد توقع قوم بهذه الأعداد واستخرجوا منها علوماً كثيرةً، ودلّوا بها على التوحيد، وشرح ذلك يطول في هذا المختصر.

فلنرجع ونقول: إن الواحد إذا حملته على مثله بواسطة الواو لا بواسطة الألف فيظهر وجود الإثنين والواحد ليس بعدد ومنه ينشأ العدد وبعدمه يفنى، فتركّبه على الإثنين فيظهر وجود الثلاثة، وعلى الثلاثة فيظهر وجود الأربعة، وتنقصه من الألف فيزول الألف فهو أصل.

فأول الأعداد الشفعيّة الاثنان، وأوَّل الأعداد الفردية الثلاثة، والاثنان أصل بكل شفع أو زوج، والثلاثة أصل لكل فردٍ أو وتر. فالزوج مقدم على الفرد تقدماً طبيعياً لا يمكن خلافه فإن تقدمه تقدم طبيعي لا يمكن أبداً أن توجد الأربعة قبل الثلاثة ولا الخمسة قبل الأربعة.

فإذا تقرر هذا العدد محصوراً في زوج وفردٍ، فسمّى مواطن يغلب الزوج فيها الفرد وسمى مواطن يغلب الفرد فيها الزوج، وعلى الإنسان أن يحارب هواه وهوى غيره، وإذا حاربه فلا يخلو أن يحاربه في مباح أو في معصية.

فإذا حارب هواه فليغلب الزوج على الفرد في معصية كان أو في مباح، وإن حارب هوى غيره فليغلب الفرد على الزوج، إلا إنْ كان في معصية فإنه يغلب الزوج على الفرد.

فإن التوحيد توحيدان: توحيد الأحدية وهو توحيد العصاة من الأمة الإسلامية وهو توحيدٌ صحيحٌ مركَّبٌ على أصلٍ فاسدٍ، وتوحيد الفردانية وهو توحيد محمد وموسى ﷺ والعارفين العلماء من الأمة الإسلامية وهو توحيدٌ صحيحٌ مركبٌ على أصلٍ صحيح.

فتوحيد الأحدية يغلب على كل شيء في كل موطنٍ، فتحفظ منه أن يصرفه عليك عدوك، وتوحيد الفردانية يغلب في مواطن ويُغلبُ في مواطن، فالتزمه في مواطن غلبته؛ وإذا غُلب فالتزم توحيد الأحدية.

وهذا الباب يحتوي على أسرار عظيمة تركناها طلبا للاختصار، فإنها متشعبةٌ يتعلق بعضها ببعض، ويتوقف فهم بعضها على فهم بعض، فَيَكْفي هذه الإشارة للعارف والله أعلم.

باب في ترتيب الغذاء الروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك الإنساني وبقائه

اعلم أن الغذاءَ سببٌ إلهيٍ موضوع لبقاء كل متغذّ لا غنى له عنه، وما بقي بيننا وبين الطبيعيين، إلا في الأشياء التي اعتيدت غذاء فنحن نجوز عدمها وترك استعمالها الشهور والسنين مع بقاء الحياة في المتغذي ببقاء الحرارة والرطوبة الذي هو طبع الحياة بصورةٍ ما.

فما دام الحق يغذيه بخلق الحياة فيه بقي، وهم يرون هذه الأطعمة التي هي عندهم أسباب وجود الحياة. وهذا الفصل لا يحتاج إلى الكلام مع المخالفين فيه فإن طريق التصوف ليس مبنياً على مجادلة المخالفين لأنهم في عين الجمع مشغولين بقلوبهم مع الله كيف ينبغي أن يكون.

فاعلم أن فصل الربيع حار رطب وهو طبع الحياة، وأن النفس تنشط فيه للحركة والأسفار والفرج والنزهات، فإن ذلك زمان الحركة الطبيعية في جميع الحيوانات والنباتات فتهتز النفس الحيوانية لذلك فإن سامحها المريد أخطأ.

فالله الله أيها السيد الكريم، إذا أعطى الزمان شيئاً بطبعه ورأيت بعض أهل مملكتك يشاكل طبعه ذلك، فلا تتركه وطبعَه، ولكن مُرْ وزيرك العقل يأمر خديمه الفكر يأخذ من القوة الحافظة ما عندها من الأمور الشرعية مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[النور: ٤٤]، وقوله تعالى ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾[الحج: ٥]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ [يونس: ٢٤]، وجعل ذلك حياتها فتكون حركة المريد في هذا الفصل الربيعي في طلب الغذاء الذي يوافق هذا الزمان، فيأخذ من أسرار هذه المعاملات ما ليس للنفس فيها تلك المجاهدة الشاقة فتشرع في السُّنَن والشرعيات التي تعطيها المقامات العلية مع عدم الشدة والضيق كالاعتبارات والأفكار في المصنوعات وإجالة البصيرة على شهود الصانع عند إجالة البصر في المصنوعات.

فإذا تحققت لهذا النظر سامحها في الخروج إلى الفرج والأنهار والمروج ومواضع النواوير والأزهار من الجبال والغياض، فلا تزال تجني ثمر الاعتبار والفكر والاستبصار على كثرة ما شاهدته من عوالم الأزهار والنوار في الجبال والقفار وشواطئ الأنهار، والتفكر في الجنة وما أعد الله فيها لأوليائه، فإن زمان الربيع زمانها وهي الدار الحيوان، فهي حارةٌ رطبةٌ طبع الحياة.

فإذا فكر في هذا كله حرضه على الأعمال وهوّن عليه شدائدها لعظيم ما يرجوه من النعيم الدائم عند الله، فهذا هو زمان الشباب والاقتبال، وليس آخره كأوله.

وأما زمان القيظ فهو حارٌ يابسٌ طبع النار، فينبغي لك أن يكون الغالب عليك أيها السيد في هذا الفصل الفكر في حال الشيخوخة والضعف عن الأعمال التي لا يقدر عليها من كَبُرَ سنه، والفكر في جهنم وشدتها وسعيرها، وينظر في آية قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢] وتفكر في حر يوم القيامة وعطشه وطرد الناس عن الحوض وإلجام العرق. فأمثال هذا ينبغي أن يكون غذاء نفسك في هذا الفصل فإنه يلائمه للالتحاق بالعالم السعادي، هذه حالة جيدة.

وأما زمان الخريف وهو الفصل الثالث فهو بارد يابس وهذا طبع الموت، فينبغي أن يكون الغالب عليك في هذا الفصل في غذائك التفكر في الموت وسكراته وغمراته، وهل يختم لك بالتوحيد أو بالشرك وما تلقاه من خصميك ومن نزع الملك روحك الطيبة أو الخبيثة، وهل يفتح لك باب السماء أولاً، وهل تكون عند موتك في عِليين أو في سِجّين، وأن ذلك أول موطنٍ من ولاية الآخرة، وأن الدنيا اليوم حاملةٌ بك، وهذا الجسم كالمشيمة للمولود، وبالموت تقع الولادة لهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

وكذلك أنت اليوم بالإضافة إلى ما يفتح لك من علوم الآخرة وما تعانيه وما أعد الله لعبيده من الوعد والوعيد، فمثل هذا الفكر يكون الغالب عليك في زمان الخريف.

وأما زمان الشتاء فإنه باردٌ رطبٌ وهو طبع البرزخ، فينبغي أن يكون غذاؤك في هذا الزمان التفكر في البرزخ بين المنزلتين: هل أنت ممن يعرض على النار غدواً وعشياً كآل فرعون؟ أو ممن يُعرض على الجنان تعلف من رياض الجنة وتتبوأ منها حيث شئت كالمؤمنين.

وتفكّر في الحسرة المستصحبة لك في البرزخ على ما ضيعت من الأنفاس والأوقات إما في المخالفات أو في المباحات فتتمنى في ذلك الوقت أن يردّك الله إلى الدنيا، وليس ذلك التمنّي بنافع لك وليس الله برادّك فتكثر حسراتك وتتوالى عليك زفراتك.

فإذا تيقنت بالفكر الصحيح والعلم الراسخ أن ذلك وقت الحسرة والتغابن ولا ينفعك فيحرضك على الجد والاجتهاد في هذا الوقت في حياتك الدنيا حيث ينفعك حسرتك إن حسرت، وتوبتك إن تُبتَ، وندمك إن ندمت، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾[الفرقان: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨]، فإن ذلك الجزء من الحياة الدنيا ليس منها، وإنما هو من البرزخ من الدار التي لا ينفع فيها ما عمل. فليكن غذاء نفسك هذا الغذاء في هذا الفصل فإنه نافعك إن شاء الله.

فإذا جمعت بين الغذائين فقد صح جسمك للمعاملات وصح عقلك للواردات، وكنت في كل زمان صاحب علم وعمل؛ وهو الذي حرّضك الشرع عليه وأمرك به وندبك إليه.

فاسعَ أيها السيد في نجاة نفسك ونجاة رعيتك، واعلم أن أهل دولتك إن عاشرتهم في الدنيا بالحق والعدل والإنصاف، وتمشيت بهم على الطريقة الواضحة الشرعية، فإن الله تعالى يقيمهم يوم القيامة شهداء لك بالعدل وحُسن الثقة والسيرة والمعاشرة، وإن عَدلت بهم إلى طريق المخالفات والمحظورات انعكس عليك وأوقفهم الحق يوم القيامة شهداء عليك بقبح السيرة وسوء المعاشرة.

فالله الله تحفظ، قال الله تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[يس: ٦٥]، وقال ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وكما أنه لكل فصل من فصول السنة عِللاً وأمراضاً تحدث فيها في الأبدان وعلى حسب السنة، كذلك يكون في الروحانيين عِلَلٌ. فلتنظر إلى الأغذية الروحانية التي رسمنا لك في كل فصل فإن الشيء الذي يحول بينك وبين تناولها والأخذ فيها فهو علتك في ذلك كائناً ما كان من غير تعيين أنت تعينه لنفسك؛ فإنك تدري السبب الذي حال بينك وبين أخذ هذا الغذاء الذي فيه حياتك وصحتك وبقاؤك.

وإنما ذكرنا العلوم في الأغذية وسكتنا عن الأعمال ولم نجعل العمل غذاء، فإن العمل لا يحيا به الروح وإنما يحيا بالعلم الإلهي، والعلم الإلهي لا يظهر إلا بالعمل. فإذا أمرتك باكتساب هذه العلوم الإلهية في هذه الأزمان المختلفة، فقد أمرتك بالأعمال، كما يقول الطبيب يكون غذاؤك زيرباجاً ومن المحال أن تتغذى بقوله زيرباجاً، وإنما في الزيرباج روحانية مودعة يؤديها إليك فيقوم الجسم فيأخذ اللحم ويضيف إليه السكر واللوز والزعفران والخل والفلفل، ومن أفاوه الطّيب ما تيّسر، وتركّبه على النار اللينة المعتدلة حتى يكون طبخه معتدلاً، فإذا استوى أنزلته وتناولته فأعطاك روحانيته وهي الأمانة التي أودع الله فيه لك، فحييت بها وتقوّت صحتك وبقي كل ما عمله الجسم وخدم فيه خرج ثفلاً ترميه في المرحاض.

كذلك الأعمال تعملها فتأخذ روحانيتها من العلوم والدرجات، وتتركها كما تركت تفل ذلك الطعام في جهنم على الكفار، وهي المشاق والشدائد التي نلت في تلك الأعمال من قيام في الأسحار والسعي إلى المساجد وفي سبيل الله، وإسباغ الوضوء في السبرات والبرودة وجميع المكاره، وهي هذه الأعمال الشرعية في الدنيا، فتتركها كلها ولا تنقلب إلى الآخرة، إلا بلطائفها التي أودع الله فيها التي رأيت هنا عنوانها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[العنكبوت: ٦٩]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[البقرة: ٢٨٢].

فكما أن الغذاء الجسماني لا تقدر أن تصل إليه حتى تعمل سببه كذلك هذا الغذاء الروحاني لا تصل إليه حتى تعمله، وأيسر أعماله أن تأكله فأكله عمل، فإن عمله خادم فلا بدّ من تحريك أسنانك فيه وتسخير اللسان والأحناك والحلقوم والمريء والمعدة والمعاء والكبد، وحينئذٍ يسري منه فيك روح حياة، وهل إذا أكله غيرك يحصل لك منه شيء.

فكذلك هذا الغذاء الروحاني لا بد أن تكون أنت المتناول له بنفسك، وحينئذٍ يعطيه الله لك. فما أعمى أكثر الناس عن إقامة هذه النشأة الروحانية بهذا الغذاء الروحاني الإلهي عن هذا العمل الشرعي وقد علمنا قطعاً أن الجسم يحشر يوم القيامة على صورة عمله. والنفس على صورة علمها، فالسعيد من حَسَّن صورتيه وجمع بين كلمتيه، فهذا هو الغذاء الذي يحصل من جهة الأعمال.

واعلم وفقك الله وسددك أن كل مُحدَث فلا بد له من غذاء يغتذي به فيه بقاؤه، واعلم أن ميكائيل عليه السلام هو الأمين على الأرزاق والأغذية كلها: المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذي يعطي

الغذاء لجميع البدن، وكذلك إسرافيل عليه السلام يغذي الأشباح بالأرواح، وجبرائيل يغذي الأرواح بالعلوم والمعارف.

فكل موجود يكون بقاؤه مربوط بأمر ما فذلك الأمر هو غذاؤه كالجوهر غذاؤه بالعرض فلا بقاء له دونه، وكذلك الجسم بالتأليف، وكذلك العقل ببعض العلوم الضرورية، وكذلك الهيولى بالصور، فلا يزال الروح القدسي متعطشاً لبقائه في وجوده، وبقاؤه بالعلوم الإلهية فهي غذاؤه، ولهذا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

باب في خواص الأسرار المودَعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله

وفي هذا الباب أودعت المضاهاة، وهو على أبواب.

اعلموا يا أصحاب القلوب المتعطشة إلى أسرار الغيوب أنه ما أضيف شيء إلى شيء بأي وجه كان من وجوه الإضافات، من إضافة تشريف واختصاص أو ملك أو استحقاق، ولا دل دليل على مدلول، ولا رأى راءٍ لمرئي، ولا سمع سامع لمسموع، إلا لمناسبةٍ، غير أنه قد تظهر فتعرف لقربها وقد تخفى فتجهل لبعدها، وهي على قسمين: ظاهرة وباطنة.

فالظاهرة يعرفها أهل الظاهر إذا نظروا وحققوا: والباطنة لا تعرف أبداً بالنظر، فإن معرفتها موقوفة على الوهب الإلهي، وهذا هو طور النبوة والولاية، والفصل بينهما لا خفاء به فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم متبوع، تابعه الوليّ ومقتبس من مشكاته، وبظاهر من ضرب المناسبة الظاهرة ووقوع الخطاب تثبت العقائد التي تعمد الخلق بها، فقالوا: إنه موجود ونحن موجودون، فلولا معرفتنا بوجودنا ما عرفنا معنى الوجود حتى نقول إن البارّ موجود، وكذلك لما خلق فينا صفة العلم أثبتنا له العلم وأنه عالم.

وهكذا الحياة بحياتنا والسمع والبصر والكلام بكلام نفوسنا لا بأصواتنا وحروفنا والقدرة والإرادة وكذلك سائر الأسماء كلها من الغنى والكرم والجود والعفو والرحمة كلها موجودة عندنا، فلما سمَّا لنا نفسه بها عقلناها.

فما عقلنا منها غير ما أوجده فينا، وما عدا ذلك فعلمنا به من جهة السلب، وهو ليس كالقدم ليس بصفة إثبات وإنما معناه لا أول له في وجوده، فتعلق العلم بنفي الأولية عنه، وعلمناها أيضاً. فإن الأولية موجودة عندنا حقيقةً والنفي عندنا معلوم منّا بفقد أشياء منا بعد وجودها فينا أوضحها انتقالنا من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان ومن نظر إلى نظر.

فقد عرفنا حقيقة النفي وحقيقة الأولية، ثم حمّلنا النفي على الأولية ووصفنا الحق بها وهي صفة سلب، وقد يُعلم الشيء بنظيره وبضده، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "من عرف نفسه عرف ربه"، فأثبتَ له من الصفات ما خلقَ فيّ لا غير، فهذه معرفة.

وبقيت معرفة السلب التي بها امتاز عنّا، فأخذنا الصفات التي ثبت بها حدوثنا وعبوديتنا وإخراجنا من العدم إلى الوجود، ونفيناها عنه و لم نجد له صفة إثبات معينة ليست عندنا نعرفه بها، لكن نعرف أنه علم حكم ليس نحن عليه، ثابت له. فلولا هذه المناسبة ما صحت لنا عقيدة وما عرفناه أصلاً.

ثم بعد هذا وإن عرفناه بما وصفنا فإن هذه الصفات في حقنا تعقبها الآفات والأضداد، وهي له باقيةٌ لا يعقبها ضد ولا آفة، وعرفنا هذا ببقائنا عليها زمانين فصاعداً، فقد عرفنا صفة البقاء فأصحبناه

تلك الصفة النزيهة المقدسة، وهذا الباب يطول، وأوضحناه بيّناً في كتاب "إنشاء الجداول" وهو كتاب شريف بُيّنت فيه المعارف بالأشكال ليقرب إلى الأفهام، فهذا ضربٌ من المناسبة الظاهرة والمضاهاة في الحضرة الإلهية.

وأما المناسبة الباطنة فوكلناك فيها إلى نفسك فإنها تدرك بالمجاهدات في المشاهدات، وبقيت لنا المضاهاة الثانية التي بين الإنسان والعالم. وقد بسطنا القول فيه في أكثر كتبنا، ولنذكر منه ههنا فصلا قريباً جامعاً يحوي على كلياته وأجناسه وأمرائه الذين لهم التأثير في غيرهم، ولو ما قصدنا في كتابنا هذا طريق الإشارة والتنبيه لضرَبنا له دوائر على صور الأفلاك وترتيبها، ونجعل لكلّ فلك في العالم ما يقابله من الإنسان بخاصية ذلك الفلك، ويدور الخلق كله على أربعة عوالم: العالم الأعلى وعالم الاستحالة وعالم عمارة الأمكنة وعالم النّسب، ولكل واحد من هذه العوالم غاية: فجميع ما يحتوي عليه العالم الأعلى من العالم الكبير عشرون حقيقة، وعالم الاستحالة خمس عشرة حقيقة، وعالم عمارة الأمكنة أربع حقائق، وعالم النسب عشر حقائق، وهي كلها في الإنسان موجودة، وهذه هي الأمهات وهي تسع وأربعون حقيقة.

وكذلك الإنسان، فالعالم محصورٌ في ثمان وتسعين حقيقة مما يقتضيه خلقه، ثم زاد الإنسان على العالم بالسر الإلهي المبثوث فيه الذي صح له به الاستخلاف وتسخير ما في السماوات وما في الأرض؛ فجاء الأمر كله تسعاً وتسعين حقيقة من أحصاها دخل الجنة، والموفي المائة، المهيمن على كل شيء وهو الحق.

فالوجود كله مائة، الموفي مائة منها الاسم الأعظم، وكذلك الجنة مائة درجة الموفي مائة منها جنة الكثيب الذي ليس فيه نعيم إلا الرؤية، وليس لمخلوق فيه الدخول إلا وقت النظر وهي حضرة الحق.

وهذه أسرارٌ عجيبةٌ نبَّهناك عليها لتعرف منزلتك من الموجودات، وإن النار مائة درك والموفي مائة منها درك الحجاب وهو محلُّ المشاهد، إذا ارتد ورجع فإنه يهوي في جهنم وينزل في دركاتها على مقابلة الدرج الذي سقط منها.

فأعلى عليين يقابل: أسفل سافلين، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، فما بعده أحسن منه، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥]، فما بعده أسفل منه.

ثم نرجع ونقول: فأما العالم فأعلاه لطيفة الاستواء وهي الحقيقة الكلية المحمدية وفلكها الحياة، ينظر إليها من الإنسان لطيفته والروح القدسي، ثم في العالم العرش ينظر إليه من الإنسان الجسم، ثم في العالم الكرسي بنجومه ينظر إليه من الإنسان النفس بقواها ولما كان موضع القدمين فكذلك النفس محل الأمر والنهي والمدح والذم.

ثم في العالم البيت المعمور يُنظر إليه من الإنسان القلب، ثم في العالم الملائكة ينظر إليها من الإنسان أرواحه والمراتب كالمراتب، ثم في العالم زحل وفلكه يُنظر إليهما من الإنسان القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ؛ ثم في العالم المشتري وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة العاقلة واليافوخ، ثم في العالم المريخ وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الغضبية والكبد، ثم في العالم الشمس وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة المفكرة ووسط الدماغ.

ثم في العالم الزهرة وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة الوهمية والروح الحيواني، ثم في العالم عطارد وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الخيالية ومقدم الدماغ، ثم في العالم القمر وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الحسية والحواس. فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان.

وأما عالم الاستحالة فمنه الفلك الأثير وروحه الحرارة واليبوسة يُنظر إليهما من الإنسان الصفراء وروحها القوة الهاضمة؛ ثم في العالم فلك الهواء وروحه الحرارة والرطوبة يُنظر إليهما من الإنسان الدم وروحه القوة الجاذبة، ثم في العالم فلك الماء وروحه البرودة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان البلغم وروحه القوة الدافعة، ثم في العالم فلك التراب وروحه البرودة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان السوداء وروحها القوة الماسكة.

وأما الأرض فسبعُ طباق: أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء، يُنظر إليها من الإنسان طبقات الجسم: الشعر والجلد والشحم واللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام.

وأما عالم عمارة الأمكنة فمنه الروحانيون يُنظر إليها من الإنسان القوى التي فيه، ثم في العالم الحيوان يُنظر إليه ما يحس من الإنسان، ثم في العالم النبات يُنظر إليه ما ينمو من الإنسان، ثم في العالم الجماد ينظر إليه ما لا يحس من الإنسان.

وأما عالم النسب فمنه العرض ينظر إليه من الإنسان أسود وأبيض وما أشبه ذلك، ثم في العالم الكيف ينظر إليه من الإنسان صحيح سقيم، ثم في العالم الكم ينظر إليه من الإنسان سنّه عشرة أعوام، وطوله خمسة أزرع، ثم في العالم الأين ينظر إليه من الإنسان الأصابع موضعها الكف، الذراع موضع اليد، ثم في العالم الزمان ينظر إليه من الإنسان تحرك وجهه وقت تحريك رأسه.

ثم في العالم الإضافة ينظر إليه من الإنسان هذا أعلاه هذا أسفله؛ ثم في العالم الوضع ينظر إليه من الإنسان لغته ودينه، ثم في العالم أن يفعل ينظر إليه من الإنسان، أكله، ثم في العالم أن ينفعل ينظر إليه من الإنسان ذبح فمات وشرب فروي وأكل فشبع، ثم في العالم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل والحمار والأسد والصرصر ينظر إليه من الإنسان القوة التي تقبل الصور المعنوية من مذموم ومحمود: هذا فَطِنٌ فهو فيل، وهذا بليدٌ فهو حمار، وهذا شجاعٌ فهو أسدٌ، وهذا جبانٌ فهو صرصرٌ.

فهذه مضاهاة الإنسان بالعالم الكبير مستوفياً مختصراً، فما بقي له فيه شيء فما له لا يسعى في تخليص نفسه من رقّ الشهوات كما حصل له أشرف المراتب في الوجود فيحصل له أسنى المراتب السعادية.

وأما الأسرار المودعة في الإنسان فكثيرةٌ جداً، منها ما يرجع إلى مزاجه ووضعه الطبيعي، ومنها ما يرجع إلى حاله ووضعه الإلهي. ونحن نحتاج في هذا الكتاب إلى ذكر بعض من أسراره الإلهية الروحانية، وإن خالطها من المزاج أمر يسير فليس غرضنا، ويظهر سلطان هذه الأسرار بالتنزلات الإلهية بواسطة روح القدسي على الروح، بأسرار الولاية على الولي، وأسرار النبوة على النبي، كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه؛ وقد ذكر النبي ﷺ ضروب التنزلات بالغتّ والغطّ، وجعل أشده عليه فيه صلصلة الجرس لاختراق النور الملكي ظلمة هذا التركيب الطبيعي حتى يصل بذاته إلى النور الروحي الذي في الإنسان فيلقى إليه.

فباشتغال الروح معه تنحدر الجوارح وينحرف الطبع ويتغير المزاج، فإن الجسم اشتغل عنه حفظه بما يُلقى إليه، فإذا انصرف عنه النور الملكي سرى عنه وقد عرق جبينه واحمرَّ وجهه، وقام كأنه نشط من عقال؛ وهو قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وكان أهون ما يلقى عليه إذا تمثل له رجلاً فيأخذ من جهة سمعه وهي المحادثة؛ ولأولياء الله في هذا مشربٌ شهيٌّ.

ومتى اشتد الحال على الإنسان وغاب عن الوجود الحسي، فإن حصل له في تلك الغيبة علم يعقله هناك ويعقله إذا رجع، ويعبر عنه على قدر ما أعطاه الله من العبارة، فذلك هو الحال الإلهي، ويجد القلب عند الإفاقة سروراً، وربما عرته أبردة فذلك حال صحيح.

وإن غيّب ثم رد ولم يجد شيئاً إلا أنه أخذ عنه بقبضة قبض عليه لم تثمر له فائدة ولكن غاب عن حسه، فهذا حال من المزاج لما حمي القلب بالذكر أو بالتخيل صعد منه بخار من التجويف الكثير الروح إلى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيواني من السريان، ورمى بصاحبه كالمصروع، فهذا حال صحيح، ولكن من المزاج ليس فيه فائدة؛ ولهذا إذا سألته يقول رأيت كأني كُسيت برنساً أسوداً وسحابة مرت على عيني فغبت، وهو ذلك البخار الذي ذكرناه.

وأما الحال الثالث الكذاب هو الذي يعقل صاحبه أهل مجلسه ولم يغب عن نفسه ولا عن حسه، ويتحرك ولا سيما في مجالس السماع فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس سخر به الشيطان، فكل ما يلقى إليه يتخيل أنها علوم وهي سموم، فلا يعول على كل ما يخاطب به في هذه الحالة؛ فإنها حالة شيطانية، وإنه ليس في قوة الشيطان أن يفنيك عن حسك ثم يلقي إليك وتعقل عنه، وإنما هو على أحد وجهين على البدل:

إما أن يفنيك مثل الصرع ولكن لا يلقي إليك شيئاً لأنه لا يجد من يأخذ عنه.

وإما أن لا يفنيك ويلقي إليك وأنت مع حسك وقد كسا باطنك شيئاً من حرارة وتوهم واستطلاع إلى بعد، وضرب من استعداد لخطاب فإذا عرف أنه قد تمكّن منك في هذا المقام ألقى إليك خطاباً، فتحس بمواقع الخطاب في نفسك على حسب ما يلقي إليك، فتخبر عما وجدته، فإخبارك أنك وجدت هذا في نفسك صحيح، وكونك تنسب ذلك إلى الحق باطل.

وربما يقول لك في مواقع خطابه عبدي: إني أنا ربك لا تنظر إلى غيري فأحجبك، ولا تنظر إليَّ إلا بي. فإنْ نظرت إليَّ بك أشركت فأنا الناظر والمنظور وما أشبه ذلك النوع من الخطاب، ويقنع إبليس منك أن تعتقد أن ذلك من الله فيستولي عليك هذا فتصير محلاً له طول عمرك.

فلو علمت أن مخاطبة الحق لا تترك إحساساً وليست بالوهم ولا بالتخيّل ولا بالاستعداد والانتظار، لعلمت ببقاء حسك معك أنك مع من يجانسك محدث، ومحدث مثلك يريد أن يسخر بك، وأكثر ما يجد هذا أصحاب السماع والوجد ومن غلب عليه الوهم والتخيُّل، فعليك بالفناء المحض، وإن لم تجد شيئاً فهو أسلم من الفتنة، فإن وجدت فيه شيئاً فهو المطلوب وارتفع التلبيس، فلا مدخل هنالك لإبليس.

فهكذا ينبغي أن تكون أيها المريد، وأن تعرف هذه الأسرار من نفسك، ولا تكن من الجهالة بحيث أن يعرف منك غيرك ما لا تعرفه من نفسك، ثم لتعلم أن الروحانيين ليس لهم إلقاء الأمر والنهي وإنما لهم التحضيض والإخبار، لأنه لا فائدة لأمرهم.

فإذا استولت عليك روحانية تدبرك فانظر: فإن أَمَرَتْك ونَهَتك بضرب من العبادات فتلك شيطانية فاهرب عنها، وأكثر من الذكر وقراءة آية الكرسي وسورة البقرة، وإن لم تأمرك ولكن تخبرك فأنت فيها على الاحتمال بين أن يكون شيطاناً أو غير ذلك، وتميز بينهما سرعة التنوع في الإلقاء بين أن يلقي شيئاً، ثم تلقي شيئاً آخر، ثم شيئاً آخر فهو روح شيطاني.

وإن استمر أمره واحد فإنك معه في حال الفتنة أيضاً فلا تقبل من الإلقاء إن أردت الصحيح إلا ما حصل لك في حال الفناء الكلي من غير تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما تكون منه، وسر المشاهدة، للبهت، وسر الكشف للعلم، وسر البقاء للأدب، وسر الفناء للتوحيد، وسر القبض للافتقار، وسر البسط للسؤال، والأسرار كثيرة؛ وفيما ذكرناه دواءٌ نافعٌ لمن استعمله.

فلنذكر خواص الأحجار الإنسانية، فمن ذلك حجرُ البهت، وهو حجرٌ عزيزٌ فيه غبرة، وهو يتلون عند الشروق وعند الاستواء وعند الغروب، وشعشعته أفواجاً أفواجاً ومحلُّه بحر الظلمات وله أسرار عجيبة، من لبسه فإنه يقهر كل من يخاصمه وينتصر عليه، وإذا دخل به على جبار أهابه وعظمه وانبهت وانبهر منه بشرط أن يحرك الحجر في وجهه عند الدخول والمخاصمة؛ وهو نكتةٌ ذاتيةٌ في القلب كمثل الإنسان في العين الذي هو محل الرؤية، وكالساعة التي في الجمعة كما قال ﷺ، وقد مثلت له الجمعة مرآة وفيها نكتة سوداء، وأخبر أنها الساعة التي في الجمعة.

فإذا كان الران على القلب لم يظهر لهذا الحجر وجود، وجميع الأرواح التي في الإنسان من عقل وغيره إنما هو مترقّب لمشاهدة تلك النقطة، فإن انصقل القلب بالمراقبة والذكر والتلاوة بدت تلك النقطة، فإذا بدت مما لها ما تقابل سوى حضرة الحق الذاتية، فينتشر من ذلك الحجر نورٌ من أجل التجلي فيسري في زوايا الجسم فيبهت العقل وغيره، ويبهرهم ذلك النور المنبهت من ذلك الحجر وشعشعاته فلا يظهر لهم تصريف ولا حركة ولا ظاهرة ولا باطنة، ولهذا سمّي حجر البهت.

فإذا أراد الله أن يبقي هذا لعبدٍ أرسل على القلب سحابة لون ما يكون ما تحول بين النور المنبهت من تلك النكتة وبين القلب، فيتشمر النور إليها منعكساً وتشرح الأرواح والجوارح، وذلك هو التثبيت فيبقى العبد مشاهداً من وراء تلك السحابة لبقاء الرسم، وبقي التجلي دائماً لا يزول أبداً في ذلك الحجر، ولهذا يقول كثير إن الحقَّ ما تجلى لشيء قط ثم احتجب عنه بعد ذلك، ولكن تختلف الصفات، ولنا في هذا المعنى أبيات منها:

لما لزمتُ قرعَ باب الله	**كنتُ المراقبَ لم أكن باللاهي**
حتى بدت للعين سبحةُ وجهِه	**وإلى هلم فلم تكن إلا هي**

وهذان البيتان زايدان في الفتوحات على ما هنا، فأحطت علماً بالوجود فما لنا علم بغير الله.

لو يسلك الخلق القريب محجتي	**لم يسألوك عن الخلائق ما هي**

وكذلك من كتب الله في قلبه الإيمان فإنه لا يمحوه أبداً، ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾[المجادلة: ٢٢]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام: ٩٠]، فهذا هو الحجر النافع المطلوب الذي يطلعك على مشاهدة المحبوب فاعلم ذلك.

وآية هذا السر من القرآن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾[سبأ: ٢٣]، وخاصيته أنه إذا قام بالعبد في وقتٍ ما فإنه يقهر كل ما تعرض له من غير التفات ولا معرفة به.

ومن ذلك حجر الزُّمرد آيته من كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]. فالقوة المذكورة آيتها أن تعمي إبليس عن ملاحظة كيده في الحال وتدهشه فلا يلحق يرجع إليه بصره إلا والمؤمن على إحدى حالتين: إما في غفلة فيمسّه مرة أخرى، وإما في حضور فيحترق إن دنا منه، وقد رأيته لعنه الله لا يجترئ على دخول بيت فيه عارف بالله، سواء نام العارف أو كان مستيقظاً.

ومن ذلك حجر الياقوت الأحمر وآيته من كتاب الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. خاصيته إذا كان الإنسان مشاهداً له من جهة روح قدسي فإنه يعلم من العلوم المتعلقة بذات الحق ما لا يطلع عليه غيره. فإن كان مشاهداً له من جهة نفسه الغضبية وصادف جباراً من الجبابرة فإنه يذل له ويخضع لما يجد له في نفسه من التعظيم، وإن كان توعَّده عفا عنه.

ومن ذلك حجر الياقوت الأزرق، آيته من كتاب الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]،هو الذي يعطي الزينة الربانية للإنسان مخصوص بأصحاب الأحوال والخلق.

ومن ذلك حجر الياقوت الأصفر آيته من كتاب الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، مخصوص بأصحاب المقامات، وخاصيته العبودية والذلة، والافتقار مقام مشترك من حصل له جهل حاله.

ومن ذلك الحجر المكرم آيته من كتاب الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، يدور به فلك الحياة يوجد في كل موجود وفي كل شيء خاصيته قلب الأعيان إذا دبر وأحكم وألقي منه أدنى شيء على ما شئت، قلب عينه لما تعطيه حقيقة ذلك الشيء كالإكسير عند أهل الكيمياء تأخذه فتحمله على القزدير والحديد فيقلبهما فضة، وعلى النحاس والرصاص فيقلبهما ذهباً وهو واحد واختلاف القبول لاختلاف الطبائع.

كذلك هذه الحقيقة تلقيها على العاصي فيصير طائعاً وعلى الكافر فيصير مؤمناً، وهذا هو الكبريت الأحمر العزيز الوجود الذي جعله الله من ضنائنه وأودعه في أرفع خزائنه، من وصل إليه لا يرى أثره عليه، فإن الحاصل به ضنين ولنا أبيات في معناه منها، شعر:

مدعي الصنعة من غير سبب	**عِشتَ في زور ودعوى وكذب**
فاستمع قول محب ناصح	**صادق اللهجة محفوظ الطلب**
نزّلِ [النير من أفلاكه]	**واسعَ في تحصيل تركيب النسب**
وخذ الآبق من معدنه	**وأمِط عنه الغبار المكتسب**
فإذا ما رِضته واحتملت	**ذاته التركيب فيها ورسب**
صعّدِ الفاضلَ وانظرْ حاله	**بامتزاج النيرات في لهب**
فإذا أفناه يبقى سبب يقلب	**الآنك في العين ذهب**

إزالة الظل وقطع التصرير: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ [الفرقان: ٤٦]، وإنما يبقى الظل لعلة في الصنعة، فما دام الظل كان في الأمر تدليس وحرم التصرف فيه وإزالته. إن لم يكن عندك سر الحجر المكرم ولا نتيجة الحقائق الأربع فلا بد من طلب إمامٍ، فإن لم تجد فأخلِ بيتاً من جميع

الأشياء واتخذه خلوة، فليكن ذكرك الله الله لا غير، ولتتفرغ من هَمج المطعم والمشرب باستعدادك قبل ذلك، واجعل مستندك هذه الآية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، فإنه لا بد من زوال الظل أقربه في سبعة أيام وأبعده في أربعين يوماً.

وأما التصرير فسببه انضغاط النفس بين عالم الملكوت والشهادة، وهو باب الأحوال فاحمل عليها قوله: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، فإنه ينقطع، تصريره إن شاء الله تعالى.

باب في معرفة إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب

نقدم مثالاً للتقريب فيما نذكره، وذلك أن الشمس إذا قابلت الجسم الصقيل فإنه ينبعث من ذلك الجسم نور يضيء به موضعاً لا تقابله الشمس بانعكاس الشعاع، كضوء القمر الذي هو انعكاس ضوء الشمس، فمن أراد أن يرى الشمس فليجعل عينه في الموضع الذي يضرب فيه النور المنعكس وينظر في الجسم الصقيل، فإنه يكشف الشمس ويجيء من هذا الترتيب شكل مثلث الركن الواحد الشمس والركن الثاني الجسم الصقيل والركن الثالث موضع ضرب الشعاع المنعكس.

واعلم بعد أن ضربت لك المثال أن النفس الحيوانية يفيض عنها نور من جانب التجويف الذي فيه الروح الكثير من القلب فيصل إلى أقصى أماكن الجسد ثم ينعكس ذلك النور مثل حركة الفلك فيرقى حتى يتصل إلى الدماغ، فيتصل بالعقل اتصال سريان يكون له تأثير استفاضة على عين البصيرة. فإذا ظهر ذلك النور لعين البصيرة كالشمس للبصر وهو المخاطَب بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: ٣٧]، فلا معنى للحس ههنا؛ فينعكس الشعاع من عين البصيرة على ساحة القلب كانعكاس الشعاع من العين على المبصرات فينظر إلى عجائب الملكوت وتتصل الأنوار وتنفتح عند ذلك العين الثانية في القلب وهي عين اليقين وهي ناظرة إلى نور اليقين.

فإن لله تعالى نورين: نوراً يهدي به ونوراً يهدي إليه، وله في القلب عينان: عين بصيرة وهو علم اليقين، والعين الأخرى عين اليقين فعين البصيرة تنظر بالنور الذي يهدي به، وعين اليقين تنظر بالنور الذي يهدي إليه، قال الله تعالى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾[النور: ٣٥]، وهو نور اليقين، وقال في النور الآخر: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾[الحديد: ٢٨]. فإذا اتصل النور الذي يهدي به بالنور الذي يهدي إليه عاين الإنسان ملكوت السموات والأرض ولاحظ سر القدر كيف يتحكم في الخلائق، وهو قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾[النور: ٣٥].

باب في الحجب المانعة من إدراك عين القلب للملكوت

قد قدمنا أن الأنوار ثلاثة: نور الحياة ونور العقل ونور اليقين. فأما نور الحياة الذي هو انعكاس شعاع النفس الحيوانية فعِلَله ثلاث: الران والحجاب والقفل، فكلها مذكورة في القرآن الكريم وموادها من الصفات البشرية الظاهرة في عالم الشهادة. فهذه الأمراض التي حصلت للقلب في هذا المقام إنما ذلك من جهة النفس الأمارة بالسوء البهيمية.

وأما النور الذي يحصل للقلب بانعكاس شعاعه من جوهر العقل فعلّته النفس الغضبية لها نار تطبخ القلب وتحرقه فيصعد منه دخان على القلب يحول بين القلب والعقل فتنقطع المادة فيظلم القلب،

وذلك الدخان هو الغطاء والكِنُّ والغشاوة فإن تكاثف أدى إلى العمى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وفي ذكر الصدور هنا إشارة تركناها لك.

وأما نور اليقين الذي هو الأمر الأقصى. فالعلة التي تحولُ بينه وبين عين اليقين من القلب عدم الإخلاص والقبض بالنظر إلى الأعمال المحمودة والمذمومة، فلو أعرض لزالَ الحجاب ووقع الانشراح واتصلت الأنوار وظهرت الآيات والعجائب؛ وتحقيق هذا الفصل فيمن نظر من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥]، إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، هنالك تبدو لك الحجب في مقابلة الأنوار، ﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

باب في أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع

السماع سر من أسرار الله تعالى في الوجود العلية. واحدٌ في نفسه والسامعون شخصان: شخص يسمع بنفسه وشخص يسمع بعقله، وليس ثم سامع آخر. ومن قال إنه يسمع بربه فإنه نهاية درج سمع العقل لكن للعقل سمعان: سمع من حيث فطرته وسمع من حيث الوضع. فالذي من حيث الوضع هو الذي قيل عنه يسمع بربه وقوفاً عند قوله عليه السلام عن ربه "كنت سمعه الذي يسمع به"، فالذي يسمع بعقله يسمع في كل شيء ومن كل شيء وعلى كل شيء لا يتقيد؛ وعلامته في ذلك البهت وخمود البشرية.

والذي يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع إلا في النغمات والأصوات العذبة الشهية، وعلامته أن يتحرك عند السماع بحالة فناء عن الإحساس، ومهما أحس المتحرك في السماع فإنه مسخرةٌ للشيطان، وإن لم يحس وفني عن كل شيء فهو صاحب نفس وتحت سلطانها، وحاله صحيح صحَّحه الفناء ولا يأتي بعلم أبداً عقيب هذا الفناء والحركة في السماع.

فإن ادعى أنه أتى بعلم فلم يكن يعلم فانياً و لم يكن سمع بعقله فإنه قد تحرك فلم يبق له إلا أن يكون كاذباً؛ فإنَّ سماع النفس لا يأتي بعلم البتة، وسماع العقل لا تكون معه حركة؛ فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق.

واعلم أنه إذا أراد الله تنزل المعارف على قلب عبدٍ بضرب من ضروب الوجد أرسل برد القُرب على القلب المعقول فتبرد سماء القلب فيأخذ سفلاً فيجد الحرارة الغريزية صاعدةً إلى الدماغ، فيعتمد عليها فتنعكس الحرارة فتأخذ سفلاً حتى تحك بساحة القلب فتتولد من ذلك الحك نارٌ فتصعد.

فإن وجدت في سحاب برد اليقين والقرب خللاً صعدت فكان ذلك التأوه الذي يسمى الزفرة؛ وإن لم تجد خللاً حللت رطوبات السحاب الأعلى من جمده فذلك هو البكاء الذي يطرأ على صاحب الحال في حاله.

فإن كانت تلك النار قد أنضجت الكبد يشم في ذلك التأوه رائحة الحرق وتصعد تلك النار في تجويف القلب بالانضغاط الذي هو فيه، فيسمع له في ذلك الوقت أنيناً يسمى الوجبة والصيحة والرجفة؛ وفي ذلك الوقت تقع الصيحة من صاحب الحال.

فمن كان في قلبه خلاء من الحاضرين صعق من حينه لتلك الصيحة وهي صلصلة النار الطبيعية بالقلب، وتتصدع لها القلوب إذا قويت عليها.

ومن كثرت الريون على قلبه من الحاضرين أخذته لتلك الصيحة رعدة وفزع ووقع الإنكار منه على صاحب الحال، وقال هذا ما سمعنا أنه كان في السلف وقد كانت الموارد ترد على قلب النبي ﷺ، وما سمعنا عنه أنه صاح ولا صَعُق فلا تلتفت إلى قوله، فإن قلبه مطبوع.

وقد فرّقنا بين سماع العقل وسماع النفس وكل في بابه صحيح، وفي خروج تلك الزفرات تكون حياة العارف. فإذا أرادت النار الخروج من خلل السحاب الذي ذكرناه ووجدته متراكماً ليس فيه خلل انعكست وطبخت القلب والكبد في الحين وأحرقتهما، فمات صاحب الحال من فوره، وعند زج تلك النار من القلب إلى الدماغ تكون الحركة والشطح من صاحب الحال، وأكثر خروجها ملتوية متداخلة فتكون حركات صاحب الحال غير موزونة ولا مربوطة بطريقة، وأكثر ما يظهر منهم الدوران لأن شكل الإنسان في الحقيقة مستدير، والنار تجري على شكله. فإن كان ذلك السحاب رقيقاً واسع الخلال فإن الحرارة تنفش فيه فلا تظهر من صاحبه زفرة ولا تسمع لقلبه وجبة، ولكن يغلب عليه الضحك ما دام في ذلك الحال للاتساع الذي يجده.

فلا تغالط نفسك أيها المريد فقد أبنتُ لك صورة الأمر؛ فإن شئت أن تكون صاحب عقل، وإن شئت أن تكون صاحب نفس. والله تعالى يصلحنا وإياك وجميع المسلمين، آمين.

تم كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية

كتاب المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، يا مولاي يا دائم يا مولاي يا واحد يا علي.

قال الأستاذ العارف بالله تعالى، والمرشد إليه، محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي رضي الله عنه آمين آمين: الحمد لله فاتح المبهمات، ومفصل المحكمات، ومنزل الآيات البينات.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله مبين الآيات المتشابهات، وعلى آله ومن اشتاق إليه من إخوانه ممن هو من بعده آت.

أما بعد فإن مبادئ الأمور فواتح بركاتها الحروف، وأواخرها منال ثمراتها، ومرمى غاياتها، وتحقق الآخر بالأول، والأول بالآخر مجموع ختامها، ومطلع أحديتها ووضوح آياتها.

وإنه لما كان أول متعلم ليسترقي به في رتب العلم بالرقوم والآيات والحكم المنظمات تحفظ الحروف ليتوصل بحفظها إلى تعلم الكلم التي تألفت منها، ثم تحفظ الكلم ليتوصل بحفظها إلى تعلم الكلام الذي ينتظم من الكلم، فإذا انتهت الرتب الثلاث في التحفظ ومجموعها هو علم الرواية، فعند ذلك يجب العود بالتفهم تدليا إلى مبدأ ما وقع منه التدرج بالتحفظ والتعلم ترقيا، فيهتدي لذلك من اصطفى من علماء التعلم والرواية، فيحاول له جمع الهمة وإبرام العزيمة في تفهيم الكلام المنتظم.

كما قال عليه السلام: "ليس عندنا إلا كتاب الله، ما في هذه الصحيفة"، يعني: من أحكام العقول والديات إلا فهماً يؤتيه الله في كتابه، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨].

فما من علم إلا وهو مخبوء في كتاب الله تعالى، ولا يحاط به إلا بما شاء مما يؤتيه من فهمه وعلمه.

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لكل آية من القرآن ظهر وبطن إلى سبعة أبطن" فإذا حصل من فهم الكلام المنتظم على تفصيله ما شاء الله ترقى الفاهم منه إلى تفهم الكلام المفردات على مقدار ما يجمعه علم اللغة من ذلك التفصيل، ويفرده من جوامعه، وهو علم الأسماء أي: علم الاشتقاق، ثم يتدلى من قاب قوسه إلى فهم الحروف بما هي عليه من جمعها لمعاني الكلم، وإحاطتها بحدودها، فعند ذلك ينتهي فهمه باطناً إلى مبدأ حفظه ظاهراً، ويبدأ له مطلع الختم، وتتفصح له العجمة، ويفتح له باب الفتح المبين الذي خص به آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعلم الذي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدينته، وعلي بابها، وتتبع الأخبار، والاقتداء بالرسوم والآثار على حكم الإيمان والتصديق، وربض تلك المدينة، والظاهر من آيتها، والعلم بمعاني الحروف، ومواقعها من الوجود من النوافل التي غايتها المحبة من الله تعالى إلى ما وراء ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

واعلم أن لظاهر تفصيل الكلام المسموع من جميع الكائنات، أي القرآن الذي هو مسموع يطابق كلماً في الوجود المشهود تطابق صادق وآية ظاهرة.

وكذلك لظاهر مفردات الكلم من الكائن المشهود آية جامعة ومطابقات حاضرة.

وكذلك في الرتبة الثالثة لظاهر الحروف المسموعة أيضا إحاطات من ملحظ البصيرة، وروي: لقلب الكائن المشهود، وكما أن لكل آية من الكتاب ظهر وبطن إلى سبعة أبطن فلذلك الكائن المشهود عالم ظاهر، وعالم باطن، إلى ما يطابق عدد المسموع.

وكذلك أيضاً للحواس من السمع والبصر رتب إدراك موزعة على تلك المفهومات والعوالم، فما كان مما وراء رتب المحسوسات من معنى المسموع وغيره عزة كان رتبة فهم.

وما كان وراء ظاهر المحسوس كان رتبة كشف في مرآة أو سماع خطاب منه.

وكذلك ما وراء ظاهر سائرها وأعلاها أبطنها إلى غاية الكشف السابع الجامع المحيط الخاص مطلعه بمحمد وآله.

فما كان من الفهم أو الكشف جامعا محيطا كان فهما أو كشفا محمديا.

وما كان من الكشف مقتطعا مختصا بموطن، وطريق، ومسلك، ومرقى، ومنزل، من كلية عالم فهو كشف جزئي يستثمر عن عمل جزئي متلقي عن علم جزئي منسوب لمرب من ذي علم أو سلوك عن يد شيخ صاحب قدم وعلم ذي علم بمسلكه، وطريقه ومنازل أتباعه.

ومنه ما ورد عنه ﷺ: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل".

واعلم أنه لا يفتح عن عين كشف لسالك إلا بمقدار مطابقتها بعلم أستاذه، وشيخه، وقدوته.

وكذلك الأستاذ والشيخ إن كان له حظ من كشف فلا يزيد على مقدار حظه من العلم الناشئ ذلك الكشف عن منبعثه حتى إن الأستاذ والشيخ الذي لا باطن علم له، ولا يرشد علم له علمه على تحفظ رسوم عمل بها وداوم عليها فلا شيخ له من عالم الكشف، ولا لمن اقتدى به باب، ولا يلوح له منه بارق، ومتى ذكر له شيء من الكشف، أو خوطب بروح من الفهم أو أظهر على شيء من الخوارق عد ذلك الكشف جنونا، والخوارق سحرا، وما يقرع سمعه من خطاب الفهم الذي لا يدركه كفرا وابتداعا لأنه لا يعلم مواقع ذلك، ومطلعاته من الكتاب العزيز، والخلق المحمدي، والعلم الإحاطي العلوي.

يذكر عن بعض المربين المراعين حاله على المثابرة على ظاهر أعمال البر والنسك الاقتدائي، فأشفق له لما رأى من جموده وعدم إثمار علمه، ففاوضه في شيء من ذلك، فأنكر مراده، فجاهره بشيء من الخوارق، فجعل ذلك الرجل الناسك يقول تبرما بما رآه: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١].

قال الشيخ: فعلمت أن مراد الله منه ذلك فتركته وانصرفت، فتحقق بهذا أن مجالي الحروف، وفهم مواقعها لما كان من خواص محمد ﷺ لأنه ثمرات الأعمال، فكشف عوالمها مما يختص به أمة محمد ﷺ، لأن ثمرات الأعمال لكل أمة لا يزيد على مضمون علم نبيها، وما من نبي له رتبة في العلم تتبعه أمته على حظ من القدوة والأسوة ممن قصه الله على نبيه، وممن لم يقصصه إلا وله في أمة محمد ﷺ مثل ينزل في علمه واتباعه من أمة محمد ﷺ منزلة ذلك النبي وأمته من الأولين، يعلم ذلك بنور العلم المقتضى لقصد جمع تفصيل الست في واحد السبع الذي من بعض مطالعه علم الوقائع والملاحم، ومعرفة تواريخ الكائنات المترقبات التي يشاهدها المطلع على حكم الإحاطة جمعا في الآن الواحد، ولا

يشاهدها دون هذه المرتبة إلا شيئا فشيئا بطول الأزمنة إلى ما يترتب في يوم البرزخ، فالجزاء، فالخلود، فالأبد.

ومن إشاراته: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

واعلم أنه كما للحروف معان في الفهم، ومثلا في الكشف، فلها رتب في التعالي والتنزل، منها نشأت الأعداد، وعن استبطان بعضها في بعض ظهر التضعيف في الأزواج منها والأفراد حتى كمل بكمالها رتب العدد الثلاث، وحدودها الأربعة، فلذلك يترتب القول في الحروف، في هذه اللمحة على ثلاثة مطالع ومنازل، فقيل فيها بعون الله والتأييد بروح منه: هذه لمحة في تنزيل معنى الحروف موضحة بنور الله، وتعليمه لما استعجم من معانيها، ورتب أعدادها، ومنال أحوال أهل المكاشفات فيها، والإشارة إلى شأن الرواة عنهم من الانتفاع بطرف من تسبيبها، على حكم بعض عوالمها:

المطلع الأول:

في المعاني

اعلم أن للحروف جوامع وحدود، لما يتفصل معناه في الكلم، والكلم جوامع وأفراد، لما يتفصل معناه في الكلام، والكلام على مقتضى تفصيله وبيانه، والكلم على مضمونه جمعها وإفرادها والحروف على موجب إحاطتها، وخفي مواقعها محاذا لجميع ذلك في رتبة الثلاث في الأسماع حذو الوجود كله على مواقعها منه في الأعيان بدأ لبدء، وتماما لتمام، ووصلة لوصلة، وجامعا لجامع، ومفصلا لمفصل، وأعلى لأعلى، وأدنى لأدنى.

فإن الكلام مثلا فيما حواه خلق آدم من أمر زوجه، وخلق نفسه، وطباع جسمه على ما لا ينحصر من تفصيل ذاته منحصر كل ذلك بمنزلة الكلام، ومجموع في مدلول اسمه وما جمعه وأفرده اسمه فداخل تحت حدود حروفه، لما يقتضيه إتمام تمام أسمائها من معنى ما يدل عليه اسم (ميم دال همزة ألف).

فلذلك يجب انتهاء التفهم إلى معاني الحروف، وتفسير أسمائها، ولحظ مواقعها من الوجود.

فالخطاب بالكلام متنزل إلى أدنى رتب البيان.

والخطاب بالكلم أخفى منه، وأجمع.

والخطاب بالحروف في أعلاه، وهو مما خص به محمد ﷺ فلم تنزل الحروف في كتاب قبل كتابه، فعلم معانيها ومواقع رتبها التي منها تنشأ أعدادها مما يختص به آل محمد ﷺ.

وكما يتعلم مدلولات الكلم بأن يشار إلى ما منها وقع في العيان ويلمح ما تحقق منها في الأذهان، ويطمح بالقلوب إلى ما يلحظ منها بالإيمان، فكذلك الحروف لها في العلم مدلولات مثل ألف على الله، ولها من مواطن الإيمان إشارة، ولها في المعقولات والمحسوسات آيات.

فنذكر أولا:

معاني الحروف

ثم نصل ذلك بفصل نذكر فيه معاني أسمائها.

واعلم أنه لما كانت حدود أسمائها، التي هي الحروف، أجزاء الكلم فإن أسماء الحروف هي مسراة جميع الكلم، لأنها تتمات أجزاء ما عداها من الكلم.

معنى حرف (أ و ي) ومعنى ما فيها من الحركات الثلاث، ومعنى السلوك:

اعلم أن المعاني كلها على رتبها، وحدود تفاصيلها منحصرة بين إحاطتين:

إحاطة عليا باطنة: وهي أنهى ما تعنوا إليه القلوب، وتقف دون مناله العقول، ويوقف الإدراك وإن كان معقولا، فإن منتهى مدرك ما في الجبلات من الإدراك هو العقل، فلا يتعالى الإدراك عن موقفه إلا بروح من أمر الله تعالى، أدناه الهداية والإيمان، كما أن لتنزل مدرك العقل حد أدنى هو نهاية مدرك الحواس، ولأدنى مدرك الحواس حد يقف عنده الإدراك، لا يتنزل أيضا إلا بدنو تدل من حب الله، كما لم يترق عن موقف العقل إلا بروح من أمر الله، فجوامع الحدود خمسة:

حدان لمسافة مدرك الحواس: أدنى وأعلى.

وحدان لمنفسح مدارك العقول: أعلى وأدنى.

وحدان هما: حد إحاطة لمنتهى النهايتين من حد علو العقل، وتنزل الحس له نفوذ في باطن مسافة الحس، ومنفسح العقل فهو حد واحد مجازاً.

للعقل غيب عن الحس إليه، المطمح والمعنى، الذي إليه يعنى.

إما إحاطة على السوى. وإما من جوامع تفصيل الوجود علوا. وإما من إحاطة متنزلة دُنُوا.

فالحد المحيط العلي القيم الذي له يعنى، ولا يعنو هو، وإليه يطمح ولا يطمح هو، فهو قيم، غيبِي، محيط، هو ما يعبر عنه في معنى الإحاطة على السواء.

حرف الألف: وهو ما يعبر عنه في معنى الطموح إليه من جوامع مفصل الوجود علوا.

حرف الواو: وهو ما يعبر عنه في معنى الطموح إليه من إحاطة متنزل الوجود دنوا.

حرف الياء: هو مطمح سائر الحروف إلى أحد هذه القيمات الثلاث العلا هو حركاتها.

فبالفتح إلى معنى الألف ومطمحه. وبالرفع إلى معنى الواو ومطلعه. وبالخفض إلى معنى الياء وملمحه.

ولما كان حرف الألف مدفون يعجز النطق عنه، كان حد ما يتعلق به نهاية العقل، ويتمكن في النطق هو مظهر الألف، ولا يكون إلا بروح فتح منه، وذلك هو ما يعبر عنه حرف الهمزة.

وموجدة النفوس الطموح إلى معالي الأمور هو حركاتها بالرفع، وهي في جبلة نفايسها ومذكرها عند موجده شخصان وضعة في ذاتها بفهم لائح، من أمر على لهو حركتها بالكسر وهو لباس ينقلع به وراء ما في جبلتها، ومأخذ خطف العقل بروح من اللطف إلى سواء الأمر.

وإحاطته هي الحركة بالفتح، وهو مطلع الفتح المبين وغلبة الغفلة وخمود الطبع.

وهو يكون وقف وبطلان حياة، مطلق الحركة، وهذا للسكون الذي هو خمود هو في أدنى الدنو، إذ به السكون الذي هو صمود وغنى في ذات حرف الألف، فهما سكونان:

سكون صَمود عليٌ. وسكون خَمود دنيٌ.

والحركات في الحروف هو ما منه الحياة في الأشياء، ولما يعبر عنه حرف الواو، والياء، مطمح، ومعنى ما يعبر عنه حرف الألف. فلهما بحركة الفتح محيا ومظهر.

ولهما عن حركتهما نبوة ووسيلة مرجع إلى ذات الألف على ما يظهر من آيات تصرفهما واعتلالهما في اللسان المبين.

واعلم: أن ما كان من الحروف العلى معتبرا عن أمر على فايت، ومعبر إلى معناه، فما قرَّ فلانعجام معناه، تنزل في الخطاب إلى كلم علا هي أسماء الله، سبحانه.

وأظهرت من أمر خلافته آيات مفردات هي إلى الأمر العلى معتبرات.

فمن نهاية فوت مثال ما يعبر عنه حرف الألف ظهر في أسماء العلى اسم **"الله"** فهو الألف.

والأسماء الذي عجزت العقول عن نيل فوته، وأقرت الفطر، والجبلات، بالأحدية له، والإحاطة، فلم يتطرق إليه اشتراك، ولا نال التسمية به بحق ولا باطل خلق ومتى رجع إليه بكلية أمر لم يبق للخلق في دفعه دعوى مستطاع ولا رد.

فهو العلى، المحيط، القائم، الأحد، وهو اسم مظهر مضمر **"هو"**.

وهو اسم مضمر منتهى إشارته، توسل فتح واوه حرف الألف، فوقف عنده البيان، وعم النطق، ولما كان لهذا الفوت العلى في الأسماء العُلى بيان عجزت عنه نهاية مدرك الخلق الذي هو العقلي، اقتضى اللطف في تنزيل البيان ظهور آيات بإظهار أمر الخلافة في الخلق بحكم إحاطة في العلم وتقنن في التصريف، وإقامة أمر الجميع، وضمه إلى واحدية الخليقة.

فكان الفاء في الخلق يصمد إليه، ويدعى للسجود له فيسجد مذعناً، ويقف عنده منكراً، لانطماس سر الخلافة عليه منه أ – ب، وظهر مسرى ذلك المعنى في كل مستخلف لقوام ذي إحاطة، وحد، ونهاية.

وكذلك حكم مظهر الألف علوا بحرف الواو ومظهره تنزلا بحرف الياء له أيضا بحكم ذلك في الأسماء الحسنى بيان وعليه من الخلق بصورة المرجع إليه آيات، وكذلك الهمزة وسائر الحروف، يتفقد لها في محالها من الحروف جوامع ونهايات وفي متنزل ظهورها من الأسماء العلى بيانات، وفي خلافة أمرها من الخلق، آيات.

فالألف: اسم للقائم الأعلى المحيط، الذي منه اسم الله تعالى ثم لكل مستخلف في القيام في كل محل جامع، أو مفصل يرجع إلى جامع كآدم، والكعبة في الجوامع الأول، وكالمبادئ القيمات من سائر العوالم المفصلة، دون ذلك كالروح، والنفس، المختصة بعالم عالم، وشخص شخص، من أصناف العالمين.

وكالهمزة: اسم لأول ظهور لذلك القائم الأعلى الذي منه اسم الإله، ثم لأول ما يظهر فيه تنزل كل قائم مستخلف كحواء، والمساجد الجامعة في الأمصار، وكالحواس التي هي تنزل العقل في إدراك الوجود.

والباء: اسم لا ينهى تنزل في أتم غايات الحكمة التي تضاف الأشياء كلها أعلاها وأدناها إليه، الذي هو اسم في قوله تعالى: "بي يسمع، وبي يبصر". و﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر: ٢٩].

وظهر بموقعه فيما دل على تمام معنى الحكمة في اسمه الحكيم، وكان معنى اسم الحكمة أحق بإعلام الياء به لتحقق معناه واختصاصه بها، ثم لكل بالغ أقصى التنزل في أتم المحال وأجمعها محمد ﷺ.

والواو: اسم لقيام الألف متعاليا مكملا لجملة تامة الذي منه اسمه الولي ثم لتمام كل جملة يكل بها ظهور مآثم، وتراه بادروا بها ظاهرا وباطنا، كالأولياء القائمين بأمور ما يتولونه، وكالولاية والمودة، وكل زوجين متقاطعين تربط بينهما رابطة تعطفهما لما ظهر إله كالسماء والأرض، وسائر الأرواح، وأعلى هذين الحرفين رتبة أجمعها وهي الياء، لأنها خالفت الألف في الوحدة، ولذلك كانت مبدأ العقود على ما نبين في فصل الأعداد.

كما كانت الألف مبدأ الآحاد، والواو جملة عدد على ما تبين أيضا، إن شاء الله تعالى، إلا أن للواو علو المحل مع عددها وانحصارها، وللياء، تنزل المحل مع وحدتها وجمعها.

والألف، لها بمنزلة المبدأ الذي يرجعان إليه حيث لا يصلح ظهورهما بمنزلة أصول المخلوقات، مما صور منها حيث تبطل صورها فتعود إلى أصولها، ولذلك وقعت الألف مبدأ الواو.

والياء: نهاية في ترتيب الحروف، وما بينهما من الحروف فتحت إحاطتها.

فكل ظاهر المكان كالملوك، والولاة من عالم الواو.

وكل متنزل المكان عندهم كالأمناء، والحملة، والرعاة، فمن عالم الياء.

وكل قائم بالأمر لا يظهر إلا محتجبا، محيط القيام بما قام به، فمن عالم الألف، كحقيقة محمد ﷺ القائمة بالأمر، من وراء الغيب الذي منها مادة الخلفاء، والأئمة، والأقطاب، والقائمين بأمر الله تعالى.

معنى حرف (النون): أول ما نظم معناه بهذه الحروف الأول من سائر الحروف، فإن هذه الحروف الأول حدود ومطمح معنى، وسائر الحروف ذوات وسع، ومن أعلقها بمعنى ما هو حد مطمح هذه الحروف الذي حده هو ما يعبر عنه النون، الذي انتظامه بالحركات هو ما آيته العلم المكمل به الحياة، التي هي آية ما تعبر عنه الحركات، وكما كانت الأول ذوات قوام.

فحرف النون: اسم لما به ظهور الأشياء، وعملها، وإدراكها، وهو سبب لما به القيام من الظهور. ومن معناه اسمه تعالى: النور.

ثم هو اسم لكل ما يظهر مما خفي.

باطنا: كالعلم في الإدراك. وظاهرا: كالنيرين للعيون فيما به يشاهد، وكالمداد فيما به يكتب.

وكل آية يتوصل بها إلى إظهار صورة تكون تماما.

معنى حرف (الميم): وأول ما ينتظم بالنون معنى حرف الميم لأنه تمام ما يظهره النون، وهو اسم لتمام ينتهى إليه ظهور كالظهور العلي الذي اسمه الملك، وهو المتجلي للخلق يوم الدين وهو تمام ما تنزلت إليه الإلهية، و لم يتسم الحق تعالى باسم دون الملك كالوزير، ونحوه.

لكل تمام انتهى إليه مظهر، كالسماء، والفلك، والأرض، ولكونه تماما كان قوامه بمنزلة الألف، التي هي الياء في قولك: ميم، ولعلو النور في استبطانه كان قوامه بتعالي الألف، وهو الواو في قولك واو ميم.

وهذه الحروف الثلاثة: الهمزة في عالمين ظاهرهما المبدوء به، وباطنهما المختوم به، ولذلك ظهرت الإشارات المطلقة إلى إطلاق الألف في خواتمها في رسمها عند الكتابة.

ومن معنى ما يشير إليه إطلاقات خواتيم الحروف.

فضلت العمائم ذوات الدوايب على ما ليس لها ذلك فإنها لها، وهذه الحروف بمنزلة التهليل، والإشارة للتوحيد في وجودها، وكالإشارة بالسبابة في التشهد عند كلمة التوحيد.

ولذلك نهي الذي أشار بإصبعين فقال له ﷺ: (أحدٌ أحد).

وعلى ذلك حكم خواتم الحروف كلها عند انطلاقها حيث لا توصل بغيرها، فمبدأها يطابق الأظهر.

فإذا قلت فالأول في النطق يعبر بها عن ميم المِلك والمُلك.

(والميم) الخاتمة يعبر منها عن ميم الملكوت والملك.

وكذلك (نون) يعبر بالأولى عن نور الأبصار، وبالخاتمة عن نور القلوب.

وكذلك (واو) يعبر بالأولى عن ولاية الولاة، والخاتمة يعبر بها عن ولاية الأولياء.

فهذه الحروف الدائرة، لكل واحد منها عالمان، ولسائر الحروف دونها عالم مفرد ينتهي إلى ما يظهر في اسمه تفضيله وتتميمه ما هو عماده من الحروف الأول الثلاث.

فإن أسماء الحروف كلها اختصت من سائر الكلم بإقامتها بأحدها، فليس للحروف اسم، إلا وهو مقام بأحدها، وذلك لتكون حروف أسمائها عماد سائر الأسماء دونها.

فكل كلمة تنتظم من حروف فقوامها إيل إلى ما هو قوام أسماء حروف تلك الكلمة.

اعلم أنه لما كانت المعاني بين إحاطة علو سواء حرف الألف وتمام حد ظهور حرف الميم، فإن ما بينهما من الوصلة الواصلة إجمالا، هو ما يعبر عنه حرف اللام، وهو اسم الوصل العلى والأسماء الحسنى الواقعة فيما بين اسمه (الله) سبحانه وتعالى، وبين اسمه (الملك) الذي من مسراه اسم اللطيف.

ثم لكل وصلة واصلة بين مبدأ قيم ونهاية تامة كالملائكة، وما يتولاه من أمر الملكوت، ومن أوفى ذلك وأجمعه جبريل عليه السلام.

ولما كان محمد ﷺ خاتما، وكان التمام الأكمل خاتما باستحقاق ميم الختم الظاهرة المحيطة.

ولذلك ورد في بعض التفاسير في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾. ألف: أنا الله. لام: جبريل. ميم: محمد.

ولذلك كانت الحروف الثلاثة جامعة للوجود كله عينا وسمعا إلهية، وخلقا، ولذلك كانت هذه الحروف الثلاثة جامعة لما فسر بالكتاب العزيز كله وما فسر باسمه العظيم في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[البقرة: ١-٢].

وقوله، عز اسمه: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝﴾[آل عمران: ١-٢]، وبدأنا بالأقرب للفهم، وهو ما تفصيله الكتاب وختمنا بأعلاهما وهو ما تفصيله ما اشتملت عليه الأسماء العلى في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝﴾[آل عمران: ١-٢].

واشتملت كل سورة منهما على ما يقتضيه معنى ما هو مغزى حروفها. ثم جرى تكرارهما في القرآن على هذين النحوين، فكانت ﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ﴾[السجدة: ١-٢]، ونحوها راجعة إلى مضمون ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[البقرة: ١-٢]، وكانت ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ ﴾[الروم: ١-٢]، راجعة إلى بعض مضمون ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝﴾[آل عمران: ١-٢]، حتى ظهرت قصة مريم وعيسى عليهما السلام وقصة أمته فينا، وبهذا يعلم أن البدؤ في نمط التعليم بالأنزل الأظهر، والختم بالأعلى الأخفى.

لأن الختم جامع لبركة ما يفصل في مدد ما بين الأول والآخر على وجه، ولا يمكن فيه تعدد ولا كثرة، فليطلب الظهور في مبادئ التعليم والعلو في خواتمه.

معنى حرف (ر): ما بين حدي معنى حرف الألف، وظاهر معنى الميم كما عبرت عنه اللام إجمالا فيما يعبر عنه على وجه التفصيل المترتب رتبة وتدريج الحكمة بالتربية هو حرف (الراء).

وهو اسم للرتب العلى المنفصلة فيما بين اسمه (الله) تعالى واسمه (الملك) الذي منه اسمه (الرب) ورب العالمين.

ثم لكل متولي تربية وتطوير وتدريج في تكميل كالأب والأم المتوليين بالتربية، وكالرعاة والملوك المتولين بالرياسة، وهو النظر الملكي في أمر التصرف والتصريف.

ومنه شاع اسم الرب كثيرا في اسم السيد لتربيته ورياسته في عبده ونحو ذلك، والزوج والمرأة وغير ذلك.

معنى حرف (ز): ولما كان ما يتطور وينفصل تغشاه الغواشي وتلحقه اللواحق، وجب أن يكون لذلك حال يتخلص فيه خلاصته، ويلزم إلى ما هو يقدسه ويطهره من تلك الغواشي، فيظهر به علوه وزكاؤه، كان ما يعبر عن هذه الزبدة هو حرف (الراء).

وهو اسم للتقدس العليّ الواجب الظهور عما تتعلق به الأوهام من تنزلاته العلية، الذي منه الزكى.

ثم لكل متولي تطهر وتنمية وزينة، كعمال الصدقات والمحسنين للأشياء، المظهر من زينتها، ولما توجبه في التطهير، وإذهاب لواحق التطوير، الذي يكون عن شدة اقترنت بالمعاني التي فيها شدة وأزمة.

معنى حرف (ك): ولما كان في التطوير ظهور حقائق، وفي الرتب ظهور حقائق، وفي الرتب ظهور ذوات، كان ما يعبر عن ظهور تلك الذوات، وتلك الحقائق هو حرف الكاف، وهو اسم الظهور العلي الذي هو البدء لكل ظهور دونه، المستقل بذاته لذاته، الذي منه اسمه (الكافي) ومنه كان الله العلي، الذي هو ظهور مطلق، ثم لكل مظهر كائن عن مقتضى المكان العلي الكافي بما تقيمه من إظهار كن فيكون كافيا مستقلا متوليا لتكوين وكفاية دون ذلك، كسائر من يتولى تكفلا، وكفاية في شيء كالكفلاء، والكفارة، والكتاب من أهل الملك والملكوت.

معنى حرف (ب): ولما كان ظهور الذوات والحقائق في رتب الكون والتطوير على حكم نقاض وتسبيب بين المتتاليات، وعلى حكم تنزل عليٍّ، وتناسب في الأمر الأعلى، كان ما يعبر عنه التنزل والتسبب بين الظهورين هو حرف الباء، وهو اسم للبدء العُلى الذي هو أول احتجاب الكلمة القاهرة بالكلمة المنزلة التي خفيت فيها، فظهرت باء الذي منه اسمه الباري.

ثم لكل تسبيب جعل بمقتضى الحكمة إلى أدنى ما تنزلت إليه الأسباب والمسببات إلى أعلاها: "بسم الله" وأدناها ما جرت فيه العوائد من التوصل إلى الأشياء بأسباها، كالتوصل للمودة بالبرد، والتسبيب إلى الشفاء بالتطبب، ونحو ذلك، ولظهور الأسباب للخلق، واحتجاب كلمة الله بها انعجم إدراكها وكانت مثارا لأكثر الشرك في انتحال الخلق، واعتمادهم على أن كذا من الأشياء والأحداث كان بكذا من الأسباب حتى كان منهم من وقف عند الطبيعيات، ومنهم من علا شيئا فوقف عند

النجوم، وكذلك إعلاء الخلق بحكم الإيمان إلى إسناد الأمور كلها إلى ما أمر بقوله عند افتتاحها في عماد كلمة "بسم الله" أي: بسم الله كان ما يحاوله.

وكما قال ﷺ من قوله سبحانه: "من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب" وكان كذلك في قول: بسم الله وبفضل الله وبرحمته براءة ذلك من الشرك.

وقد اصفقت النحل على مقتضى الباء، واتفقت الملل على تحقيق معنى الاحتجاب فيها، أو إسناد معناها إلى حقيقة الألف الذي منه مظهر الكلمة القيمة على الأسباب والمسببات جميعها.

معنى حرف (ت): واعلم أن الحكمة دائرة لما أجريت الأسباب والمسببات ظاهرا مما هو علو إلى نهاية ما سفل أخفى فيما هو سفل من رأس الحكمة ما هو مبدأ مشترك الأسباب باطنا فيما هو مسببات ظاهرا فنزلت الأسباب إلى أنهى المتنزلات دنوا، ثم لما انتهيت انعطفت باطنا.

فكان باطن أنهى المتنزلات سببا في الباطن لباطن ما كان سببا له ظاهرا كذلك إلى أن صار مبدأ الأسباب ظاهرا وهو منتهى المسببات باطنا، فزادت عجمة التاء عند منتهى التنزلات، وحيث انعطف باطنا إلى باطن بدأت به ظاهرا، إذ مرجع هذه الحكمة مما اختص بمطلقها من أوتي الجوامع في الكلم والحكم محمد ﷺ واستمر علم ذلك وإحاطته في آله ﷺ، ورضي الله عنهم جميعا.

وكان ظاهر مرقى الحكمة حجابا لما هو مرجعها باطنا، لأنه من دنو التدلي، فالمعبر عن معاد التسبب من أدنى الدنو باطنا إلى أعلى العلو، حيث يظهر مبدأ التسبب ظاهرا هو حرف "التاء".

وهو اسم لمرجع التنزل العُلى بالاستواء الذي منه اسمه التواب، ثم لكل راجع من حداثتها كالتائب الراجع من نهاية أمره من المخالفة نادما إلى مبدأ أمره قبلها عائدا إلى حال فطرته وسلامته عن مقارفة الذنب ماحيا بباطن الندم رتبة ما كان أظهره اقترافه عائدا في مقام متعاليه ماحية لآثار متنقلاته في ظاهر المخالفة هاويا.

ولانتهاء الأسباب عند مبدأ التاء مع الميم، الذي هو نهاية الظهور في اسم التمام، وجعلت علامة لتوالي الأشياء ونهاياتها في موضع التأنيث والمبالغة ونحو ذلك في النهايات والغايات.

معنى حرف (ث): ولما كان حرف الباء، والتاء طرفي التسبب، كان ما يؤثر شفع لحرفيهما هو ما يعبر عنه حرف الثاء، وهو مطلق ما يحصل منهما، واسم لجماع ما أفادته دائرة الأسباب ظاهرا وباطنا، وزادت لذلك عجمتها، فكان ذلك معنى ثبات، تمت فيه معنى الثروة والكثرة والثواب، وكانت منوطة بالميم.

حرف تمام الظ، والراء: حرف التطوير اسم ما تمحضه الحكمة بتمام إحاطة الأسباب، وهي الثمرة، ولا أعلم لله سبحانه وتعالى اسما بني على "الثاء" وعسى أن يكون موقع التنزه عن اسم بني عليها على ما يبنى عنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾[الإخلاص: ٣].

معنى حرف (د): واعلم أن بين كل حرفين محيطين بطرفين وسائط هي في أمر العليّ تنزلات علية، وفيما أظهرته الكلمة واقتضته الحكمة تطورات كونية ينبئ عنها حروف، يفسرها كلم، يفصلها كلام، وهي إما تنزل قائم، أو تطور لتمام كائن مما اشتمل عليه نظام الحكمة المستند إلى ما يعبر عنه الثاء من تنزلها أو تطورها.

فأول متنزل دون ما يعبر عنه من معناه هو ما ظهر له تمام معنى الثبات والدوام وهو ما يعبر عنه حرف الدال، وهو اسم لمعنى الإحاطة العلية المنبئ عن معناها اسمه الأول والآخر والظاهر والباطن، الذي منه اسمه الدائم وكان خليفة ببيانه، متصلا بالميم، لأنه تمام تسبب، تثبت وتدوم عنده الثابتات، ويكمل ظهورها.

ثم هو اسم لكل ما ثم منه ظهور الكائنات كأول المخلوقات الأربع، وما ينشأ في أثناء التطوير من مربعات الأطوار المحيطة بأعمار ذوات الأعمار بالإنسان الأربعة، والفصول الأربعة، التي بها قوام الأكوان، وإلى معنى منه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: ١٠].

معنى حرف (ذ): ولما كان هذا التنزل والثبات والدوام قد يكون تنزلا أول عليه، وقد يكون نهاية في التنزل إلى أدنى ما يظهر فيه أدنى المخلوقات وأخفاها كان يعبر عن هذا التنزل المقابل لذلك هو ما يعبر عنه حرف الذال، ولذلك انعجم معناه.

وهو اسم للتنزل العُلى إلى أدنى ما يظهر فيه الخفي من الخلق الذي منه الذر، ثم هو اسم لكل ما هو أخفى وأدنى، فلذلك أنبأ موصولا براء التطوير والترتيب مضاعفة عن الذر الذي هو أدنى الخلق، وفي نحو معنى منه جاء قوله ﷺ: "يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر" وأنبأ موصولا، باللام، مضاعفا عن الذال الذي هو لازم معنى الخفاء والدناءة، وكان حيث يقصد الإقامة به والتوصل عن الذال، الذي منه الذلول، وأنبأ عن خفي المظهر في اسم الذال، ولأسماء الماء في موقع معاني الحروف فيها بيان وإيضاح، فيلمح ذلك منها بحول الله وقوته.

ولما كان أول ظهور الحكمة ما يعبر عنه بالثاء كان غيبا في ظاهر الذال، وكان الذال أول ظاهر، فكان منوطا بالميم عادة الأشياء، ومدادها، فكان أظهر من تنزله، وأتم في تطوره.

ما يعبر عنه حرف (ح): وهو اسم للكمال العلي الظاهر الذي منه اسمه الحي، ثم لكل ظهور حصل فيه كمال عن صورة مادته ومدده، كالنبات الزائد كمالا على ما يكون منه لاهتزازه، وحركته، ونموه، ولطيف حسه إلى كمال الحيوان المنتقل المتصرف إلى كمال حياة الإنسان إلى كمال الحياة بنور الإيمان، إلى ما وراء ذلك من الإيقان والإحسان.

معنى حرف (خ): ولما كان في التكامل تنزل على الظهور وتطور سار على وجه اللطف والروح، وكان منه ما يظهر بالكد والجهد كان التكامل فيه منعجماً، ولكثرة التطور فيه كان متعددا، فكان ما يعبر عن التكهيل والإخراج بالتصيير هو حرف الخاء.

وهو اسم للترقي الأعلى الإظهار عن قدرة وأيد الذي منه اسمه الخبير والخالق.

ثم لكل ما يظهر عن تصوير واقتدار الذي منه يظهر خفيات الأشياء، خبرها، ومخبرها، ومنها الخابرة والمخابرة، في الأرض وما في معناه.

معنى حرف (ج): ولما كان مبدأ الأسباب، كما ذكر الباء، وكانت حجابا لقيام الألف، كان من تمام الحكمة ومن واجب إظهار آية الوحدانية أن يكون لمراتب الحكمة خواتم تجتمع إليها بركاتها، ويلتئم فيها تفصيلها وتلزم إليها معانيها.

وكان أول ما يُعَبِّر عن أول آية ظهر فيها الوتر، وكملت بها الباء هو حرف الجيم.

وهو اسم للجمع العلي الذي يظهر رجوع الأسماء كلها إلى علو وحده اسم الله تعالى، وأحديته الذي منه اسمه الجامع، ثم لكل ما جمع وأجمل مفصلاً، ومعددا، كالكَلِم التي تُسنَد إليها الأسباب والجوامع التي ترجع إليها التفصلات، فكانت خليفته بالخاتم أن يأتوها.

فلذلك قال ﷺ: أوتيت جوامع الكلم. المحتوية على الغرائب. (واختُصر لي الحديث اختصاراً).

وكانت معرفته بالخاء مصيرا بين غايتها بالراء، وما يعبر عنه بالخروج الذي هو ظهور الأعيان، من غيب الخفي الذي إليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النمل: ٢٥].

فلهذا انعجم معنى الجيم والخاء، وظهر باللطف والروح.

معنى الحاء بالرحمة والحنان، وما في معنى ذلك من الرياح الذي عنها حياة النبات فيما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[الحجر: ٢٢]، والروح التي بها حياة الإنسان فيما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[الحجر: ٢٩]، إلى علو الروح، الذي منه تنزل الوحي العلي، فيما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

فيما بين هذه الغايات من الكمالات المحفوفة بالرحمة واللطف معناه وإكمال الفصل به كان حرفاً محيطاً، فعبر منوطاً بالميم، وتصيير الراء عن الرحمة التي وسعت كل شيء، وكانت مع الميم كمالاً ثم في معنى لطيف تميزت عنه الحواميم حتى جعله ﷺ شعاراً في يوم أحد.

بمعنى إحاطة معنى الرحمة، والقوة، والنصر بهم، وتمام الأمر لهم حيث أمرهم أن يقولوا: "حم لا ينصرون".

وكانا مع "لام" اللطيف عبارة عن إقامة الرحمة في محل استحقاق الانتقام والعقوبة.

في معنى اسم الحلم الذي منه اسمه تعالى الحليم، الذي ببركة جدواه مما أولى منه إبراهيم عليه السلام، فيما يشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾[هود: ٧٥]، لا لما أوتي من متخذ الخلة، فظهر باللطف منه حب العلم والحلم الذي قامت الحكمة على ما دون رتبة من معنى المجازات التي هي مقابلة معناه، فلما وسع به إبراهيم من الحلم من مستحق العقوبة فيما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]. حالك معنى ما لكن الله بسعة رحمته مما وراء الحلم.

وكان بذلك متخذاً خليلاً.

فالحاء: اسم مبارك متكامل متنزل، فلذلك كان منوطا بالياء معبرا عن أنهى الكمال في اسمه الحي، كما ذكر، ومنوطا بكاف النون، وميم التمام، ومعبرا عن كمال الأسباب في اسمه الحكيم، فله الكمال المحيط.

معنى حرف (ل): ولما كانت الدال أول ظهور ثابت دائم وجب أن يكون ما يجتمع، إليه بركته ثابتا، قائما، باطنا لوجوب قيام الخاتم الخفي، وأن يكون محيطا، ترجع آيته إلى الألف، فكان ما يظهر به ظهور الألف هو حرف الدال، وهو اسم للإحاطة العلية الفهمة بغيب كل الظاهر الذي منه اسمه هو، وهو باطن كل الأسماء الظاهرة عليا ودنيا، وسند لكل ظاهر، وهو بكونه سند الدال، الذي هو مدد كل ظاهر، وكل كائن قياما لكل شيء ومحيطا به ومشرفا عليه، فكان أحق ما نظم بالألف وأولاه، ولما بينهما من الرتب ووجوب إجمالها لما توسطت اللام بينهما انتظم من ذلك اسمه الله.

فإذا انتظم بالاسم العلي ميم التمام في الملك مضاعفة لكمالها كان اسما مبدؤه أنهى البدء، وتمامه أنهى التمام، وانتظم محيط القيام، وجامع الإجمال، وهو اسمه المدعو به الذي قل ما حفظ عن النبي ﷺ دعا بسواه إلا أن يكون تلقينا لمتعلم، أو نطقا عن مقتضى حال يرجع إلى اتباع يقع ذلك إعرابا عن حالهم.

وذلك الاسم العظيم قوله: (اللهم).

وإشارة الفتحة التي بها الختم إلى الألف المحيط بدءا وختما وكان منوطا بالواو، الذي هو تعالى إلى الألف، وتمام على ولي مشاد منه إلى ألف بفتحة.

الواو: غيب جميع الأسماء الظاهرة، وسندها، وكثر ترداده في الكتاب العزيز، ورد الأسماء العلى، والأحكام، والآثار، بجملتها إليه.

وهو اسم مبدؤه الهاء، وختمه الألف كأنه كمال إحاطة راجعة إلى ظاهر اسمه الله، الذي مبدأه الألف، وختمه الهاء، مع غيب اللام فيه، وكان تعينها غيبا.

وكان منوطا بالدال الذي هو مدد منتهيا إلى الباء الظاهرة الفاء، مدد الكمال ما تعنوا إليه القلوب، كما كانت الدال مددا لما ينتهي إليه نظر العيون، وذلك هو الهدى الذي منه اسمه الهادي.

ولذلك أشير في الكتاب العزيز بأنه هدى، فهو بمنزلة المدد لما يتوجه إليه غايات الوحي، وكمال الإيمان والعلم إلى ما ليس وراءه مرقى.

معنى حرف (ط): ولما كان ما ظهرت بركة تنزل التاء له، الذي هو الدال قائما في حرف الهاء، وجب أن يكون لتنزل الدال، الذي هو الحاء الحاصل به الكمال بالروح واللطف، قد تمت فيه الصورة بالحياة، وكان لا بد مع كمال الصور وقع التنزل العلى، من غواشي واعتلاق أوهام وجب أن يكون للحاء ما يجتمع بركته، ويظهر تخلصه من تلك الغواشي والاعتلاقات، وهو ما يعبر عنه حرف الطاء.

وهو اسم للتقديس العلي عما يتعلق به الأوهام من موقع ظهور الحياة، عليا ودنيا، الذي منه اسمه الطيب، والطاهر.

ثم لكل متخلص من تشبب علق به لتمام صورته في نحو ما يشير إليه قوله ﷺ: "نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة" ولتخلص عالم الهواء من ثقل عالم الأرض والماء، والتراب، واسم عالمه باسم الطير.

وكان موصولا بما يعبر عن بدء الحكمة الذي هو الباء منبيا عما به التخلص من الأدواء وهو الطب الذي منه اسمه تعالى (الطبيب) ولما في الهاء من معنى الغيب والقيام المحيط الذي لا يصلح ظهوره للأفهام لما نيطت بالطاء انعجم معناها في قوله تعالى: ﴿طه﴾[طه: ١].

لأن الهاء غيب محيط باطن، والطاء تقدس عن ظاهر منته إلى باطن يكون به إحاطتها في طرفين، فلذلك إذا ظهرت معهما الوصلة الحاملة التي هي اللام.

كان من ذلك نبا عن جميع غايتهما مما أنبا عنه معنى الهطل، وهو الماء الواصل من الغيب الأعلى إلى الغيب الأدنى.

معنى حرف (ظ): ولما كان الطاء تقدس روح الحياة وكان ما ظهر بالروح، وما ظهر بالعنف حتى كان معناه عنفا وغلبة انعجم لاحتجابه بذلك العنف والغلبة، فكان ما يعبر عن معناه محتجبا، وهو حرف الظاء.

وهو اسم لظهور التقدس العلي على وجه الغلبة، والقهر، والقدرة، والإحاطة، الذي منه اسمه الظاهر، وإلى ما فيه من معنى العلو والقهر، يشير إلى قوله ﷺ: "اللهم أنت الظاهر وليس فوقك شيء".

فهو فوق بالعلية وليس له فوق.

كما أن الظاء بالروح فوق ليس له فوق، وهو تعالى الطاهر الظاهر، ونيطت بهما الهاء لجميع طرفيهما مع الهاء، الذي هو الغيب، الذي هو الأبطن، فكان في اسمه الطاهر العلي معنى الظاهر والباطن.

وأظهر ذلك ما فيه من تنزل رتب العلى مما أظهره الراء ثم لكل ظهور عن غلبة في نحو ما يشير إليه قوله ﷺ: "لا يزال أهل الغرب (في رواية حسنة) ظاهرين على الحق" ثم أنباء معناها منوطا بالوصلة الحاملة والنهاية التامة عن معنى الظلم، الذي إنما يكون عن غلبة عن غير حق، والظلام الذي تنطمس بغلبته المدركات، وجرى في لفظ الظفر الذي يكون لمن لا حق له في المقاوات فيما يشير إليه قوله ﷺ: (إنهم ليظفرون كما تنصرون).

معنى حرف (س): ولما كانت الميم تمام ما ينتهي إليه الظهور في الأسماع هو ما يعبر عنه حرف السين، وكان ذلك مظهراً للبدء، والتمام، والوصلة، بإظهاره الأسماء جميع ذلك للطافة السمع واتصاله بإدراك العقل فلذلك ظهر في صورة رسمه الإشارات الثلاث.

وهو اسم للظهور العلي المحيط الجامع لجميع الأسماء الواقعة في الرتب الثلاث، الذي منه اسمه تعالى السميع.

وهو اسم الأسماء كلها مظهرها ومضمرها، ومبينها، ومبتهمها، ومجملها، ومفصلها، حتى أنه يرجع إلى ذاته منه بحظ، وكان السين فيه كمالا بكونه منوطا بالميم مجمع ظاهري السمع والبصر، وكان مفتتحاً بياء السبب والحكمة المستندة إلى الألف الذي لا يظهرها إلا في الابتداء، وهي غيب دائم في الباء، أول ما افتتح به الكتاب مضافا إلى الاسم العلي الأول في مبتدأ "بسم الله" فكان عماد الكل قولاً وعملاً، وحياة له فمتى خلا منه أمر ما علماً ونطقاً فلم يجر على ما ذكر قلب ولا لسان، كان ذلك الآخر الواقع دون استناده إليه فسقاً بخروجه عن إحاطته.

ثم لكل ظاهر وفاء علمه من السمع لا من النظر نحو السماء والرسوم التي لا تحصل فائدتها في الأعيان إلا محاذا بها نطقا نحو الكتابة والرسوم والوسم، وكذلك اختص مع مظهرات الرتب بالسر الذي يواري عن الظهور للعين.

ولما كان أحق ما تظهر فيه الخفيات غيب القلوب الذي آيته سويداء القلب الذي في الصدر كان خليقاً أن يعبِّر السين مستندا إلى الياء عما هو قلبُ القرآن في كلمة "يس" ولذلك احتوى تفضيل سورة يس على البينات التي شأنها الإبهام، ومفردها مبهم في غيرها من السور وكان خليقا بأن تكون لتكملة بيانه اسمه محمد ﷺ إذ هو المبين لهذا المنزل، والقلب الذي في كتابه نور كل الوجود ﷺ.

معنى حرف (ش): ولما كان ظهور هذه الرتب الثلاث بالشين قد تقع لشدة، وجهد، وإظهار مرهب، انعجم روح سلامها عند ذلك، فكان ما يعبر عن منزلتها هو حرف الشين.

وهو اسم لما تم له ظهور تنال منه العين حظا يطابق أهل السمع منه دون ظاهره الأظهر الذي عبر عنه حرف الميم فهو اسم لذلك الاطلاع العلي المرهب، وإسناده الذي منه التشهيد.

وصل: وفيه بإحاطة غيب الهاء، وأثبت بثبات الذل، فكان سبب كل وهبة وعقوبة، ومرجع حكمه المجازاة، وأرهب الأسماء أنباء أسماء التخويف العلي عليه.

ثم لكل ما ثم به أمر، أو جهد، أو شدة، فلذلك كان منوطا بالياء منتهيا بالهمزة معبر عن الشيء الذي هو تمام كائن ذو جملة تامة متصلة، لا يحيط بإقامتها وعلمها إلا هو.

المنوط بالشين في شهد، ولما فيه من الشدة والرهبة كانت منوطة بما يعبر عن الرتب الذي هو الراء معبرا عما هو الشر، في مقابلة السر، مع روح السلامة "السين" وكان لا ينفك ظهور السر عن شر.

معنى حرف (ص): واعلم أن هذه الحروف لما كانت فيها جوامع تتطابق ظاهر الباطن وكان منها حروف تختص بتفاضل، وكان ما يعبر عن مطابقة بعض لبعض ظاهر الباطن لمجرى يقع، وانتفاع هو حرف الصاد.

وهو اسم لما بين إحاطتين عليتين يكون أحدهما أظهر الذي منه اسمه الصادق، ثم لكل ظاهر مطابق لباطن في نحو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فمطابق القول لعلمه صادق، ومطابق العمل لمقصده الصحيح صادق، فلمطابقة القرآن الموجود كله كان هو الصدق فيما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ [الزمر: ٣٣].

ومما وقعت به المطابقة تفصيلاً بحسب ذلك التفصيل الذي وقع بحسب ذلك التفصيل، الذي وقع فيه التفاوت، في أي الرتب وقع، والصدق المكمل ما تحيط مطابقته ولا يخرج عن شيء.

معنى حرف (ض): ولما كان لهذه المطابقة والإنابة صفات عند أولي التصديق، ثم انقياد من أوفى الأثمان، وكان ذلك مما يضعف ويضر أولي الأعراض، كان ما يعبر عن موردها بالشدة والضعف الضار بالمكذب والمرتاب هو حرف الضاد، ولذلك انعجم عند من لا يقبل وهو اسم للإظهار العلي المطابق للإبطال العلي الوارد مما ينبو عنه المريب، ويتضرر به الذي منه اسمه الضار.

المرتبة: هو اسم الضر اللازم عن كثير من الصدق الذي يتقدم هذه الرتب معتمداً على الواو الظاهرة ألفا يعبر عما هو الرضي الذي به يثمر الضر صفاءً وصواباً.

معنى حرف (ع): اعلم أن الحق تعالى لما كان غنيا عن خلقه، فلو لم ينصب لهم علماً إلا على الاهتداء لانطمس عليهم وجه عبادته، والقهر عنه فكان ما به الاهتداء من النور الذي هو حجاب نحو ما يشير إليه قوله ﷺ: (حجابه النور).

وأما النورانية عليه مما ينسب إليه الاطلاع العلي، وبالمزيد فيه يترقى الخلق إلى الحظ من النور، وما هو آية عليه هو ما يعبر عنه حرف العين.

فهو اسم بما هو الاطلاع العلي المعلم يعلم ظاهر الذي منه اسمه العليم، ثم لكل اطلاع عن علم وكان منوطاً بالياء المعبر عن التنزل والنون المحيطة إحاطة كمال علو، أو إحاطة اقتطاع دنو أسماء لكل

شاهد هو في عالمه نهاية، يعتبر بها ما دونها نحو عين الشيء الذي يطلق عند كماله ونهايته، ومنه أطلق على مقدار شرار ناقع من الماء المنفجر عين، وعلى مطر أيام لا يقلع لحصول الانتفاع بتواليه، ولذلك الساهين الذي يظهر به مقادير الأشياء لظهور أعيانها للعين، وهو في موقع الحجاب.

وأما الحجاب آية عليه بمنزلة الهمزة في الأنباء عن الذات، ولذلك كانت صورة الهمزة في الرسم عيناً لطيفة أو صورة العين في الرسم همزة عظيمة القد لأن العين علم الهمزة، كما الهمزة علم الألف، فكان اسمه العليم متنزل اسمه الإله، وكان محيط التنزل لذلك، فهو منوط باللام والميم محيط باسم الحجاب كله إحاطة: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ١-٢]، بالأمر كله، أعلاه فيما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[البقرة: ١-٢].

وهو ما شأنه أن يظهر بالهمزة، و لم ينظم كلمة للعلو معناه عن إدراك العقول وقراءته عن إمكان النطق به، وانتظم (ع ل م) كلمة في نحو العلم والعلم لتنزله لما تدركه العقول، ويتمكن في النطق، ويظهر حظ من معناه، بمظهر الهمزة في مبدأ ظاهر الميم على الاتصال إليها في لفظ الملا، وهو في لفظ آلم ما يسع ذات المتألم إيجاعاً، ومنه آلم بالمكان إذا وسعه عمارة.

معنى حرف (غ): ولما كان هذا النور، وما هو آية عليه قد يغشى ستراً فيغفره الأعلى، ويغيب على الأدنى كان ما يعبر عنه مغش هو حرف الغين وهو اسم لستر العلي الذي منه اسمه الغفور.

ثم لكل ستر وغشاء يخفى فيه عين أمر فلذلك انعجم معناه وتنزل وكثر في الأدنى، في أمور لا تحمد لأن أصلها عن ستر وتغطية نحو الغل، والغلي، والغش، والغباوة، والغرق، والغيم، والغم، والعين وألطفها لظهور الياء والنون فيه اللذان هما جنب حرف العين في تمام اسمه هو لفظ العين، الذي هو الستر الرقيق بإطفاء نورانية النور، نحو ما يضعه في المرآة التفوه فيها، والغمام الرقيق الذي يطفئ نورانية القمر أو الشمس ولا يستره.

معنى حرف (ف): ولما كان ما انتهى أمر البدء وكمال تمت فيه الألفة، ووقفت عنده وقفة السواء وابتداء ما دونه فضل الحكمة كان ما يعين مما يعلى أو يدنى مما يوجد استقلاله في أمر التسبيب وعماد الحكمة كان ما يعبر عن ذلك الكمال الأول الذي هو بدء كل كمال ينبي عليه هو حرف الفاء، وهو اسم الكمال العلي الأخفى الذي مبدأ كمال كل ذي كمال منه، وهو عماد الذي منه اسمه الفاطر آية على ما هو الكمال العلي الأخفى الذي لم يبن عليه اسم لخفائه إلا ما ظهر في انتهاء اسم الألف ثم لكل بدو كمال تبتنى عليه كمالات الأشياء كفطر الخلق التي على حركاتها، وكمالها، وصفاتها تبتنى على كمالاتهم، وعلى تستر والتكدير دون صفائها تداعى أحوال اختلالهم وتراكم كفرهم من نحو هذا الغين قوله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه".

ولخفاء معناه كان حرفه منعجماً فلذلك أعجم، وأنباء مع الخاء الذي هو حيث ظهر بالحاء والباء، الذي هو قوام ظاهر كلية أمر التفصيل عن معنى ما هو الخفاء، وانتظم منه مع حروف اسم الألف الألفة التي لا يستقبل بها سبب إلا ما كان من خفى أمر الله، في نحو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

معنى حرف (ق): ولكون الفاء كمالاً في بدء الأمر كان له رتبة في الانتهاء والظهور فزادت هناك عجمته، وظهرت، فكان ما يعبر عن ذلك الكمال نهاية وظهوراً هو حرف القاف.

وهو اسم لأكمل ظهور، محيط، ظاهر في نفسه، مظهر لما دونه، فهو مبني على الظهور العلي المحيط المظهر الذي منه اسمه القادر فيما يظهر للأعيان، واسمه القاهر فيما يظهر للأنفس.

ثم لكل ظاهر في نفسه مظهر نحو القاف المحيط بالدنيا، والقلم المحيط بالبناء المظهر له، وكان عماداً في اسم القرآن المحيط بما أحاط به، وبما أحاط بكل محيط، والتقى فيه طرفا محيطي المظاهر من حرف القاف، والباطن من حرف النون مع ما تضمنه حرف التطور، وهو حرف الراء، منتهيا إلى حد الهمزة، وإطلاق الألف وأنباء معتمداً على حرف الألفة العلية الذي هو الفاء مع قوام من حرف الواو، والذي هو ذات العلو كما سبق الفرق انتهى به ظهور كل ظاهر حتى انعجم فوقع فيه الإلحاد كثير الشدة ظهوره.

معنى حرف (لا): ولما كانت الحكمة العلية المحيطة الدائرة في أنهى باطن إلى أظهر ظاهر ومن باطن أظهر ظاهر إلى أدنى ظاهر باطن قد نظمت هذه الحروف نظماً وأقامت بها الكون إقامة ختم الحق جملتها، وما أحاطت به من الحروف المندمجة أثناءها مما نطقت به العرب وغيرها من الأمم، بل العجم من الحيوان، بل ما يقع من حفيف الأشجار واصطكاك والاجزام وما لحق بذلك مثل ما بين الألف والهمزة وما بين الياء والفاء، وما بين القاف والكاف، وما بين الشين والجيم ونحوها، وما يحيط بتفاصيل الحدود كلها، التي تظهر حروفا في الألسنة أجمعها مما يشير إلى ما وراء الحكمة من الأمر الجامع لجملتها، المحتجب بتفصيلها على أنه حرف واحد جامع، ماحي، ماحق، مختص به النبي الجامع الماحي، الذي يمحو الله به الكفر محمد ﷺ، فكان ما ينبئ عن مصير الحروف كلها حرفا واحدا هو ما يعبر عنه لام الألف محيطا بما ظهرت إحاطته عند مشرع التفصيل في جوامع تفصيل الحروف في (ألم) فاقتضى هذا الحرف أن الحكمة كلها حرف واحد، لأن سلسلة الحكمة في العروج مشتهرة، وعودها من تكميلها الخاص بتكملة الحكمة بمحمد ﷺ.

ثم أعلى له الأمر بجمع هذه الإحاطة الفسيحة أي لمح ثم محو فصارت الحكمة في جنب ما أوتي من الخير الأكمل الأعم خير كثير، كما قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[البقرة: ٢٦٩].

وأشير إليه قوله ﷺ إلى الأعراض عن استقراء التفاصيل، وأعلى إلى أمر الجمع إلى علو الوحدة في نحو قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[الكهف: ١٠٩-١١٠].

وقوله عز من قائل: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[القمر: ٥٠]، والاختصاص هذا الحرف بالجمع والوحدة لتعدد التفضيل قال فيه ﷺ: "لام ألف، حرف مَن كذب به، فقد كفر بما أنزل على محمد".

إشعارا باختصاصه بنزوله ﷺ، وهو اسم للمحو والحق الذي هو آية المكان العلي الذي لا شيء معه، الذي ينبئ عنه نطق وتحقيق آيته الصمت، ثم لكل ما يراد إعلامه وتوجهه للنفي، والنهي والرفع وكل ما لا ثبات له، ولا ينبئ عنه اسم إلا أن يكون لاسم ذلك المسمى اسما لمحوه، ومحقه.

ومن تفصيل ما تضمنه جمع هذا الحرف، ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، على معنى تفسير ذلك على حقيقة أنه واقع غير منتظر.

وفي نحو من معناه ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، لأن ما تنظر إليه في العيان والأبصار، إنما هو آية على ما هو الواقع دائما في بصائر القلوب، وإذ قد آتينا على ما شاء الله العليم الحكيم من تفسير معاني الحروف ومواقع مسمياتها من وسع الوجود أعلى وأدنى، خالقا وخلقا، إدراك عقل وحس، ومثال، إيمان وعلم، فليستن بسنة الله سبحانه في إيراد كتابه العزيز حيث ثنى فيه ما بسط من المعاني في السور الطوال، وفي المثاني، وأوجز في سور المفصل ليقرب مناله في الحفظ، ويتيسر استعمالها في الأعمال، وتقرع سمع العامة منها على قصرها بتكرار قراءة الآية لها في الصلاة، ونحوها يتسع له دراسة الخاصة منهم في مطولات السور من الأحكام، والأمثال، والقصص، والمواعظ، وغير ذلك مما اشتمل عليه إحاطة الكتاب العزيز قصدا ظاهرا، ولحنا باطنا تشى القول في معاني الحروف بختام يوجزه إيجازا، وينسقه نسقا بحيث يناله الحفظ في وقت واحد، ويتسع فيه النفع في غابر العمر جاريا على وسط من المعنى، مجتمع عليه بناشئة الفهم بنور الله طرفا الأعلى والأدنى، فمتى تحفظت هذه المعاني الموجزة فوجدت كلمة تأتلف من بعضها علمت أن خطا من مجموع معاني حروفها بحسب حال أهل اللسان، التي تلك اللفظة من كلمهم، ونقول: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

ـ الألف: غيب وإحاطة.

ـ الهمزة: بدء غيبه، وحد إحاطته.

ـ الباء: تسبب ظاهر مترتب.

ـ التاء: مرجع إلى ذلك التسبب غيبا.

ـ الثاء: ثمرة ما بين التسببين.

ـ الجيم: جمع وإجمال.

ـ الحاء: تكامل صورة تيسر.

ـ الخاء: خروج خباء بعسر.

ـ الدال: دوام استقلال بمنة.

ـ الذال: دقة ولين.

ـ الراء: تطوير وتصيير.

ـ الزاي: ذم أمر كامل بجهد.

ـ السين: توفية ظهور جوامع تفصيل في حسن لطف.

ـ الشين: ظهور تمام تفصيل في حسن ظاهر.

ـ الصاد: مطابقة بحسنى.

ـ الضاد: مطابقة بسواد.

ـ الطاء: تخلص تمام.

ـ الظاء: غشيان بغلبة.
ـ العين: كلية آية ينالها إدراك.
ـ الغين: غيب آية هادية.
ـ الفاء: بدء خلوص مهيأ لتغير بمزيد أو نقص.
ـ القاف: ظهور بمنة.
ـ الكاف: ظهور عن ظهور متكامل ذي استقلال.
ـ اللام: وسع وصلة في لطف.
ـ الميم: تمام أظهر منال حسن.
ـ النون: مظهر مبين.
ـ الهاء: إحاطة غيب كل ظاهر.
ـ الواو: رفعة وعلو.
ـ اللام ألف: إذهاب كل موضوع.
ـ الياء: سند كلية كل كائن ظاهر وقوامه من غيب أدنى للدنو.

هذه المعاني إذ استخلالها ذو تقوى واستمداد من ظاهر علم لسان أشرف في تحقيق ذلك اللسان على تمام معاني كلمة وفرقان، قوام أصلها بحيث يبلغ في فهم ذلك اللسان وأحكام بلاغته إلى الغاية القصوى بعون الله تعالى وتأييده وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فصل في معاني أسماء الحروف

الحرف من الشيء طرفه وحده الذي ينقطع عنده.

فالحروف من اسم الحرف هو ما يوجد ساكنا منه، وهو أول ما يظهر في النطق باسمه "الآء" ما كنى عنه لعلوه أو قوته نحو ما يأخذه من كلمة بالتي هي اسم الحرف الذي إذا أريد النطق به أخذ ساكنا، واختلب الناطق للتوصل إليه.

حرف الهمزة، متحركا فيقول: آب، وهو الذي ينظم في الكلم مع غيره مثاله، إن هذه الحروف الثلاثة مثلا إذا عبرت عنها بأسمائها قلت: باء، شين، راء.

وهي كلمات وأسماء تنتظم جملة حروف.

ولحروفها أسماء هي أسبق منها رتبة، وكذلك أسماء حروف تلك الأسماء إلى حيث تنتهي، فإذا أثبت منها كلمة اقتصر منها على ما يوجد ساكنا منها، وهو مبدؤها.

فأخذ من الباء "آب" وخفيت ألفها، وهمزتها اللذان هما تتمة اسم هذا الحرف، وذلك الساكن لحرف ذلك الاسم وحرفه.

وأخذ من الشين "آش" كذلك، وخفيت ياؤه ونونه.

وأخذ كذلك من الراء "آر" وخفيت ألفها وهمزتها، فقيل: بشر.

فكانت هذه حروفا أي حدودا، وأطرافا من أسمائها، وأسماء ما تتضمنه أسماؤها إلى وفاء ما تخلل إليه قاب من بشر طرف الاسم الذي هو باء، وأحرف ذلك الاسم، واسم الألف فقد خفي في باء بشر

حروف الألف، وهي الهمزة، واللام، والفاء، خفي فيما خفي فيها حروف الهمزة مثلاً، وأسماؤها وهي: الهاء، والميم، والراء هكذا إلى أقصى وفاء ما ينتهي إليه تفسير الحرف باسمه.

وتفسيره تفسيره بالغا ما بلغ.

فوضح بهذا أن المذكور في الكلم من أسماء الحروف إنما هو حدود منها وأطراف من أسمائها كما تحيط الحدود بالأشياء والأماكن على ما تتضمنه تلك الحدود من معانيها وحقائقها وحدودها.

واعلم أن فرق ما بين أحد الحروف في الكلمة، وذكر اسم الحرف كلمة تفيد وفاء مدلول اسمه، ونهاية حده، وكمال حقيقته.

فإذا قلت مثلا فقد ذكرت وفاء معنى الوصلة الذي لا لحم وصلة إلا قد انتظمته دلالة اسمه، وإذا أخذ حرف في كلمة نحو موقعه مثلا في لحم، فإنه يفيد وصلة ما هو وصلة بين العظم والجلد الذي يلحم ما بينهما كما تلحم اللحمة شذى الثوب، وليس ذلك كلية الوصلة.

فأسماء الحروف بما فيها من الحروف بمنزلة الأمر الجامع الذي يتفصل إلى أنهى ما ينتهي عدد تفصيله، وبمنزلة آدم عليه السلام مثلا لذريته فلذلك وجب أن لا تذكر أسماء الحروف في كتاب خاص، ولا يخاطب بها إلا نبي خاص النبوة.

فإن يختص ذكرها بالكتاب الجامع المحيط بكل كتاب، وإن يخاطب بها النبي الجامع المحيطة نبوته بكل نبوة، وذلك لا يكاشف إلا الخواص من أمته، فهذا موقع معنى الحرف، ومعنى اسمه، وتبين بهذا أن الكلم والأسماء تفصيل ما تضمنته أسماء الحروف وتحقيق أنها جامعة لمعاني الكلم.

معنى لفظ اسم: لما كان المكان العلي، ولكل كائن ظهور ومثل.

إما في العقل، وبصيرة القلب. وإما في الحس، وبصر العين.

كان حظ السمع المطابق لما ظهر لبصيرة القلب، وبصر العين هو ما يعبر عنه لفظا "اسم".

ولوجود "السين" فيه كان مثال حسن لطيف وهو السمع.

ولوجود الميم فيه كان صورة تامة في البناء والاجتلاب.

الألف له كان فيه غيب وإحاطة.

ولخفاء "الواو" فيه وسقوطه كان له علو غير ظاهر معنى اسم الألف.

اعلم أن هذه الحروف لأوليته، وأحديته، وإحاطته، وقوته عن الإدراك لم يظهر حرفا في اسمه، وإنما ظهر تنزله، وغاية حده وهو الهمزة، وسائر الحروف سواه، وسوى حده، الذي هو الهمزة يظهر حرفه في اسمه نحو ياء جيم، وسائرها يتظهر فيه ما يوجد منه ساكنا، وهو آب **"ج"** ولا يظهر في الألف والهمزة ما يؤخذ عنه ساكنا، لفوت الألف وأعلى الهمزة، فكان ظاهر اسمه ما يتمثل للبصائر والأبصار، من سعة ما بين أنهى البدء وتمامه، إلى حد أول ما يظهر منه تولي الحكمة، ووصل الأسباب التي مكن الخلق فيها من الادعاء، ووقعت الأمور منسوبة إليهم، وهو ما بين البدء والأول القائم إلى اللطف المولي إلى الفطرة المنسوبة، فقام اسم الألف في الأمر الأعلى مقام اسمه الإله اللطيف الفاطر، وهو نهاية أمر البدء.

ووضح بهذا أن الكلام يفضل بما تضمنته الكلم، وإن الكلمة جامعة كلام يوجزه معناها، ويفصله تفسيرها، واستقراء ما يشتمل عليه جامعها.

ثم يجري الاسم الحرف في تمام كل بدء، وأدنى يكون له آية وخليقة للبدء الأعلى.

واعلم أن أسماء الحروف، وسائر الكلم:

منها، ما يكون على ترق. ومنها، ما يكون على سواء.

فهو الاسم الذي هو الألف اسم متنزل من علو إلى دنو، لأن الفطرة أدنى الدنو من الأمر العلي، التي هي من الفاء الإلهية أعلى العلو، التي هي من الهمزة، واللطف وصلة ما بينهما، الذي هو اللام فظهرت فيه ثلاث رتب البدء.

معنى اسم (الهمزة): اعلم أن حرف "الألف" لما كان فوتا عن العقول لا ينال ما هو ولا ينال هو إلا بالله، وكان فوتا عن الجبلات أن تتوصل إليه بوسيلة، ولا يفتتح به في نطق كما هو "اللام" في اسم "الله" الذي هو من معنى فوت "الألف".

في معنى فوته عن نيل الشرك فيه وجب أن يكون في حده افانة عن حفيظة وتقوى، فأُعلي حرف الهمزة عن النطق اختيارا كما على حرف الألف عن النطق اضطرارا، كما أنه كلف الخلق في اسم الإله للتوحيد اختيارا ألزمتهم الأحدية في اسم "الله" اضطرارا، ولم يحجر عليهم شركهم في سائر الأسماء فرضا.

وإن كان قد دعوا إليه نقلا، كذلك سائر الحروف، قرر النطق بحروفها لما في ذواتها من البراءة، فالحروف التي هي قوامها، وأواسطها، ولإحاطتها، وفوت الإحاطة عن دعوى الخلق فيها أسند سائر الكلم إليها.

ولذلك لما كانت الألف فوتا، وذات قوام الحرف كان اسم هو من حرف النطق وجعل اسم الهمزة كذلك من ذوات الحروف، ولم يظهر فيه حرف قوام لسائر سوى ما في أوله وثالثه من روح الألف الذي هو متجها.

وكان ثانيه الذي هو روح فيه ساكنا أنبأ بأنه ميم نطق كالماء، ثم فصل ذلك بالتتبع من مقتضى حرف الزاي المنتهية إلى الهاء، وأظهر في اسم الرتبة بلحاق "الثاء" تعود "هاء" لتكون في اسم "الهمزة" نوع دور، وعود كالحروف الدائرة نحو الواو، وصار اسم الهمزة في إقامة قوام الحكمة.

فالحروف كاسم الإله في قوام ما منتهاه الفطرة وجاز بعلامة الرتبة الثانية، التي هي كالتاء، كالحروف كلها فكانت رتبتها رتبة واحدة ثانية عن أولية إحاطة الألف ولم يحن إظهار الثانية في سائر الحروف، لتبقية أمر الدعوى في القوام والأولية.

ومقتضى اسم الهمزة هو قوام حكمة الله العلية المقامة بالحروف الذي من تفصيله الهواء، والماء، والسموات السبع، والتمام المنتهى لغيب من غيب الهاء بمرجع الأمر بالهدى، ظاهر إلى محل في غيبته باطنا، وجاز لمعنى ذلك باطن سائر الحروف، كما كان لاسم الألف إحاطة الوتر، الذي هو آية الاستدارة.

فكان اسم الألف ثلاثيا، وأجرى ظاهر سائر الحروف على سبيله.

وفي باطنها حكم تربيع الهمزة حكمة علية محيطة لا ينال كنهها إلا بالله، فهو العلي المحيط.

معنى اسم (باء): وما وازنه مما تمام اسمه "الألف" أو "همزة".

اعلم أن هذه الأسماء كلها على ما تفسر من معاني حروفها موجهة بما ظهر في أسمائها نحو الألف، مقبلة على علوه سامدة إليه، منتهية إلى حده الذي هو "الهمزة" مترقية من محل تنزلها إلى إطلاق الألف بانتهائها إلى علو مظهره "بالهمزة".

كما يتضح مثلا في لفظ "فاء" فإنه اسم علا من تنزل محل الفطرة إلى علو ما حجبته "الهمزة" منتهيا إلى الهمزة من غير إظهار وصلة.

فهي كلها مقامات بالألف منتهية إلى الهمزة على حسب ما يختص به كل حرف منها في معناه المستقر في الحروف وجملتها أحد عشر حرفا:

(باء، تاء، ثاء، حاء، خاء، راء، طاء، ظاء، فاء، هاء).

ويجمعها علوان على ما دونها من الحروف بعلو قوامها من حرف "الألف".

وترفعه انتهائها إلى حده، فلا ينزل حكم توليتها وانتهائها عن مقتضى هذين الحرفين اللذين منهما اسم "الله" واسم "الإله" وما كان منتهاه بما دون ذلك مما هو قوامه ومنتهاه.

فلا يكمل سبب من حكم "الباء".

ومرجع "التاء".

وثمرة منهما عن "الثاء".

وتكامل من حكم "الحاء".

وخروج حب من "الخاء".

وتطوير من حكم "الراء".

وتخلص من "الطاء".

وظهور من "الظاء".

وحد صفاء من "الفاء".

وإحاطة غيب من "الهاء".

وإقامة إحاطة في تنزل من "الياء" إلى الألف والهمزة المعبر عنهما تفصيلا "بالله الذي لا إله إلا هو" ومتى استعين في إقامة معانيها، بما دون ذلك لم يحصل به استقلال وما يكون نهايته ما دون ذلك، كالسين مثلا، فإن المظهر المبين من أمر الله تعالى الذي منه اسمه تعالى "النور" يكون نهاية له، و"الياء" قوام وهما في الرتبة دون الأولين قواما ونهاية.

وكذلك حكم كل حرف ينتهي إلى ما دون حد الألف بالهمزة من سائر الحروف، وقد يعلو الحرف بقوامه، ويتنزل بنهايته، كالقاف مثلا، فإن نهايته "الفاء" وهي دون نهاية "الهمزة" ولكن قوامه بالألف، وكل حرف ينتهي إلى ما فوق رتبته كالكاف فهو متعال، وكل حرف ينتهي إلى ما دون رتبة القاف فهو متنزل، وما انتهى إلى ما به ابتدى، فهو مستوٍ كالنون وبيان رتبتها فيها تظهره الأعداد ومراتبها، معنى حرف اسم "سين".

معنى حرف اسمي (سين، وشين): جامع معنى اسمي هذين الحرفين هو وفاء إظهار وترية جامعة من ذي تفصيل على حكم رتبته الظاهر منهما في حس السمع، وفي حس المشاهدة منتهٍ. ذلك

من معنى جمعهما وتفصيلهما بتربيتهما إلى معنى النون فتفهم بذلك أن معناه ينتهي إلى غاية علم ونور يظهر لقلب أو عين بإقامة الياء.

معنى اسمي (صاد، ضاد): جامع معنى اسمي هذين الحرفين هو مطلق المطابقة بمقتضى انتهائه إلى الدال بإفضاء الصدق، وإقامة الحدود، الذي هو حق المصير إلى دوام وثبات.

كما ورد عنه ﷺ: (إقامة حد بأرض خير من أن تمطر أربعين صباحا) وذلك ينتهي بحكم تكملتي اسم الدال إلى اللام إلى وصلة تنتهي إلى تمام بحكم انتهاء اللام إلى الميم المقام بالياء، في أدنى إحاطة أمر الحكمة، وهو نهاية الأمر ظاهرا، وكل ذلك بإقامة الألف، الذي هو أمر السول في أمر العلى، وامتداد الائتلاف في الحكمة، وهذا الاغتلاق الذي يظهر في أسماء الحروف بانتهاء بعضها إلى بعض هو مما آيته تسلسل الأمر في الحكمة، إلا أنها في الحروف بظهور الحروف الأُوَل العلى فيها مشاهدة بالتبري من التسبب الذي تورط فيه من جرى على حكم الكلم التي لم تظهر فيها تلك الحروف الأُوَل العلى.

معنى اسمي (عين، غين): جامع معنى اسم هذين الحرفين من مطلق كلية آية بادية أو غائبة تنتهي إلى نور كمال بحكم إقامة الياء منتبه ذلك الظهور إلى علو بإقامة المكان في اسم النون متعلق في ترقيها بسواء بإقامة الألف.

فاعتلاق حكم العين ينتهي في ترقيها إلى سواء الألف كما كانت حكمة الصاد وتتنزل في اعتلاقها إلى إماطة تمام الظاهر بإقامة الياء.

فالعين والصاد إذا اتصلا وسعا سلسلة الحكمة ترقيا وتنزلا، وكان ظاهر قوام الصاد العالم تنتهي تتمة اسمه إلى الياء.

وظاهر قوام العين ياء ينتهي تتمة اسمه إلى الألف، فكان ياء قوام الحكمة محيطة فيهما من بين ظاهر وباطن في انتهائها راجعة في إحاطتها إلى الألف بين باطن وظاهر فوقى انتظامها بالياء، التي هو قوام أدنى الدنو إحاطة، وبالهاء التي هي إحاطة غيب كل ظاهر بإظهار الظاهر المكمل الكافي، الذي هو الكاف.

فالحروف التي يلتقي بها الحكمة العلية، وهي خمستها المنتظمة في مفتتح سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]. فالهاء، والياء إحاطة غيب. والكاف، كمال ظهور. فالعين والصاد مطهرا ثلاثتها الأكملان في حسي السمع بمقتضى الصاد، والعين بمقتضى حرف العين، ولا يوضع هذا الاسم العلي على شيء إلا وقى فيه بمقتضى اليمن والقوة، يعني: يضع أصابع اليد اليمنى على شفته وقت قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ واحدا واحدا بإصبعه حتى يعقد خمسا.

وكذلك إذا ألقى لفظه على أصابع اليد اليمنى، ثم وضع على هائجة أمر سكنت ببركة حكمة الله العلية فيها القيمة على ما أولاه من تفصيل حكمته الجامعة من أتاه منها حظا من خلقه.

وللياء في إقامة هذا الحرف اعتماد على روح من الألف لموقع فتح الحرفين اللذين هما حرفا الاسم وأوله.

معنى اسمي (قاف وكاف): خاص معنى كل واحد من اسمي هذين الحرفين في معنى الإظهار في الكاف، وذات الظهور في القاف منتهى الكل إلى فاء الفطرة التي هي تنزل تولي الألف.

وهو تمام تولي القدرة في مضمون القاف، وتولي التكوين في مضمون الكاف لتكون كليات الحكمة، التي هي مضمونات معاني الحروف بريئة من الانتحال لأمر الله تعالى، لأن من لدن غاية معنى الفاء، الذي هو حد الفطرة، ظهرت الأعمال منسوبة للخلق المنتم حكمه جرى التكليف عليهم، وكتب الأحكام، ووضع القسطاس والميزان، ولذلك ظهرت الألف في إقامتها لأعلى أمر بتنزيهما إلى أحديته، فمن مقتضى الإعلان بشهاد مرجع الأمر لله، يظهر التبري في كليات الحكم، ويخفى في أدق تفاصيلها، فيظهر مجرى حكمة وضع الشرك في الأنزل للأنذر الذي شهدت بمحو انتحاله عاليته، فلا يقوم بذلك لداعي الشرك حجة.

معنى اسم (جيم): مضمون معنى اسم هذا الحرف من الجمع الذي ينضم إليه الفصل بإقامة المقيم بكلية الظاهر الذي هو الياء، خليق بالانتهاء إلى غاية حد الظهور، الذي هو الميم.

فانتهى الجمع ابتداء إلى تمام كما يشير إليه قوله ﷺ: (يد الله على الجماعة).

وشأن الجمع تام معصوم به يقوم أمر الإمام، فما كان لأوله جمع كان في انتهائه ختم، ولذلك استحق خاتم النبيين جوامع الكلم، وكان من سننه النكاح لأنه جيم الآدمية فالحضور منحاز عن كمال حكمته. فالداعي للكمال ظاهرا وباطنا لا بد في حكمته منه، وفي الاقتصار على داعي الباطن التنا عنه، وفيه كمال على وفى كمال الجمع كمال أحد إلا أن فيه جهد الموقع الأخذ بالاتساع في ضيق الظاهر.

ومنتهى الأمر فيه أحدي ليس إلا لذات محمد ﷺ وإليه غاية الإشارة في قوله: (فعلمني ربي علما لا يحمله أحد غيري). وهو جمع الجمع بين التنزل لإحاطة التفصيل والعلو لاستواء الجمع في ذوات أحدية الوحدة.

معنى اسم (زاي): مضمون معنى اسم هذا الحرف في محض زبدة التطوير في معنى الراء بمنزلة جيم الجمع من فصل الياء فهما حرفا أزمة وجهد إلا أن الزاي منتهية إلى إحاطة دنو باطن من الياء بإقامة الألف، كما كانت الجيم منتهية إلى إحاطة ظاهرة بإقامة الياء.

فصاحب الجمع الذي هو وتر الثلاث خليق بتمام السبع الذي هو جمع الست، فلذلك كان سيدنا محمد ﷺ المؤتى جوامع الكلم، والسبع المثاني الذي ثنيت في البناء بسبع أمّ الكتاب، وسبع حروف القرآن، وفي العيان سبع سموات، وسبع أرضين، وكان مجموع بهذين الحرفين كلمة ابتداء الأمر في معنى الانتهاء إلى غايتي ما جمعه حرفاهما ظاهرا في الجيم، وباطنا في الزاي، وهو اسم الزج الذي تكفل لذي الجمع بسرعة النفود في كثافة حجب الخلق، الذي بها انحجبوا عن الله الأحد.

على ما ورد عنه ﷺ في قوله: (فزج بي زجة قطع بي سبعين ألف حجاب من نور وظلمة).

وذلك أن الظلام حجاب يطمس.

والنور حجاب يشغل، ويوقف في تفصيل ما يظهره.

ومقتضى هذين الأمرين محيط بحجاب الخلق أعلاهم وأدناهم حتى إن العلم نور، والنور حجاب، فمن الجيم المتكرر قطع حجب الظلام، ومن الزاي قطع حجب الزهور بالنور، فوسع هذين الحرفين كليات الحجاب، الذي هو العين قطعا، ونفوذا في كليته من أبطن باطن إلى أظهر ظاهر.

ولهذا الحرف علو اجتماع نهاية الياء فيه، بإقامة الألف، فهو يبلغ إلى إطلاق وإحاطة تفوت الدرك، والذي هو في ياء غيبه هو ذو السبع في دعوته.

معنى اسم (ميم): مضمون معنى اسم هذا الحرف هو حد التمام في أظهر عيان ينتهي إلى تمام في أبطن إدراك بإقامة إحاطة متنزل الياء، لمكان ظهور الميم، وهو اسم تحف حرفاه بالأتم الخاتم، ولإقامته بالياء، في ذات اسمه عودك بذلك بروح انضم من الواو في الميم الأولى، وأظهر فيه السواء والإحاطة بروح الفتح من الألف في الميم الثانية، ونظم به على التكافل باليسر في حرف الحاء، وعلم الدوام والثبات بالمنة التامة من حرف الدال في اسمه المعرب عنه المخصوص صريحه بالقرآن المبين في اسم محمد ﷺ.

فإعلان الميم الأولى في اسمه محمد بظهور روح الواو، من الضم الذي هو من ذات العلو بالواو، واقتضى ما أوتي من الملك ظاهرا في أمته، وباطنا في نبوته، وإنما أعلى عنه بإدنائه إلى تنزل العبودية فاختار أن يكون نبيا عبدا، لا نبيا ملكا.

لأن الملك سنى على حكمة الفصل، والشرك، والدعوى في العقل الذي عليه ينبني الحكم بإخفاء سر التقدير، فكيف بما وراءه، وكل ذلك مما يضمحل لما وراءه، من إحاطة الرحمة الدافعة إلى حد رفع الاختلاف في نحو ما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٨-١١٩].

فمن رحمة رب محمد لاختلاف له، وأمر الملك مبني على الغضب وهو مسبوق ومغلوب بالرحمة، كما ورد من علائه سبحانه وتعالى في قوله:

(سبقت رحمتي غضبي). و(وغلبت رحمتي غضبي). و(تغلب...) رواية. ومن معنى انقطاع الملك ورفعه.

أما من تفصيل فيقبضه تعالى الملك كله إليه في الدنيا باطنا، وفي يوم الدين ظاهرا حيث يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ﴾[غافر: ١٦]. عند محو تفصيله.

وأما من جمعه ففيما ورد من قول الصادقين:

(إن ربنا غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، و لم يغضب بعد مثله).

وذلك هو الغضب المسبوق المغلوب بالرحمة التي وسعت كل شيء ورفعت الأخلاق في كل شيء فلانقطاعه أعلى ﷺ عن الاستظهار في ذاته به، وخص بكمال الظهور بالعبودية، هذا كله مفهوم بثبوت الميم في أول اسمه ﷺ مضمومة، ثم الحاء في اسمه المبارك يفهم كمال الصورة والحياة له، فلم يطرقه نقص حياة حتى النوم.

فكان لا ينام قلبه، ولا تنحصر له صورة، ولذلك كان يساوي الطويل في طوله إذا ما شاء، ويرى على ما في الإذهاب من الاعتدال إذا انفرد في العيان، ومن استحق في نفسه صورة رآه ﷺ عليها، ولذلك كان وصاف الصحابة يختلفون في تحليته، وكل يغلو في حظه رؤياه منه ﷺ بمقدار إيمانه وصفاء قلبه، فكان منهم من يراه في رونقه كالسيف الصقيل، ومنهم من يراه أنه عاجز عن تشبيهه بشيء، وذلك بحركة حاء اسمه (محمد) بحركة الاستواء الذي هو الفتح، وتكرار الميم في اسمه يفهم كمال اسم الميم، الذي هو تمام الختم، والساكنة خاتمتها، والمتحركة بحركة السواء مبدؤها، فلذلك كان الأعدل إطهارا، والأكمل تماما.

ولما كان من شأن الظواهر الانقطاع، ومن شأن الصور الاضمحلال أفهمت الدال دوام ظاهره الكريم وصورته التامة، لأن ذلك إنما هو للتمام، فإذا تم صورة وظاهرا، وجب له الدوام، فكان ظاهره ختم كل عالم ليس الثقلين، وما أظهر لهما من العوالم فقط، بل وعوالم متعددة كما قال هو ﷺ في عالم منها: (لا يعرفون الشمس ولا القمر). فهو من أمر الله دائم الختم بدوام الله تعالى.

معنى اسم (حرف نون): مضمون معنى اسم هذا الحرف من الإظهار والبيان تكرر ما تكون في حرف الميم معلنا بإقامة الواو، وما تنزل من الميم الظاهرة بإقامة الياء، فهما نونان بباطنان ظاهري لليمين فبانتظامهما إعرابا عن النمّ الذي هو إظهار ما شأنه الإخفاء والمنّ الذي هو إظهار الإنعام، وبانتظامهما بالواو إعرابا عن النمو، الذي عنه تمام ظهور الأجسام.

والنون استغراق كلية المظهر المبين، كما أن الميم استغراق كلية المظهر التام.

معنى اسم (واو): مضمون معنى اسم هذا الحرف من الأعلى، والعلو تكرر مقاما بالألف، الذي إليه تنتهي القيمات في أعلى ما ظهر عن النونين المظهرين بتمام الميمين.

فالواو الأولى: الرفعة بالعلم والأعمال، كرفعة الفقهاء، والواو الخاتمة للتعالي في حجاب العلم، كعلو العلماء، و لم يبقَ وراء قيم الواو منتهى لإحاطته بإقامة الواو، والياء.

واسم الواو مستغرق لكلية العلو بكلية العلم، الذي يتم علوه بمداخلة التنزل بحرف الياء، والتوصل باللطف في نحو ما ظهر في اسم علي عليه السلام الذي هو باب مدينة علم محمد ﷺ ومع ذلك فذاته العلية غيب في حجاب كلية علمه، الذي من اطلع على أحديته بقوله ﷺ لعلي عليه السلام: "أنت مني وأنا منك".

وما ورد عنه من قوله ﷺ: "داري ودار علي واحدة" "وما غاب من أنت حاضره يا أبا الحسن" "ومن كنت مولاه فعلي مولاه".

ومؤاخاته إياه، وكلما أظهر فيه قيام عليه السلام بغيب أمره ﷺ وكل ذلك في نافلة أمره الذي هو خاص بآله ومنه مدار علم الدين كله، وعلم الصحابة بما جمعه بمقتضى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

معنى اسم (لام ألف): مضمون ما اقتضاه اسم هذا الحرف من إذهاب كل موضوع أعلن بتكمله اسمه بجرد دليل المحو والإذهاب على كلية ما ثبت في الحكمة من لدن ظاهر الميم الذي هو نهاية اللام، إلى وصلة اللام، إلى نهاية غاية الألف، ففيه إمضاء نحو ما غلق به العيان والقلب، ومما ليس هو عليا باسم الله، وفوت الألف القائم المحيط، وإلى نحو منه يشير قوله ﷺ فيما يُؤثَر عنه من أحوال معراجه: "فصرت لا أرى إلا الله".

والمنحو منه يشير ما سمى به نفسه ﷺ في محل ثبوت معنى هذه المحولة، وتحققه به، وهو فيه الأكمل الأتم، في قوله ﷺ: "وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر".

وقد وجد هو ﷺ هذا المحو، ووجده آله، ولكمال تحققه ﷺ في ذلك كان تارة يعبر عن محل كماله في هذا المحو فيقول للذين حلف أن لا يحملهم ثم حملهم: "ما أنا حملتكم الله حملكم".

ثم يستدرك إعلان هذا المحو بإقامة حجاب الحكمة، وإظهار الحق، وحكم الشرعة، والسير سير الأضعف في قوله: "والذي نفسي بيده: لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير".

فردد ﷺ مقتضى ما خاطبه الحق تعالى فيه فبدأ بالختم وتنزل إلى البدء فيما يشير إليه قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧].

وقد جرد له ﷺ هذا الخطاب غير مقدم عليه ولا مستدرك بحجب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[الفتح: ١٠].

ولكان ما في متعدد الحروف من الباء إلى الواو، ومن حق الحكمة المقتضية نسبة الأعمال والأفعال إلى الحق الذي عليها انثبتت الشرائع، وفصلت الأحكام، حاز جميعها لام الألف ليمحو أثر ذلك، ويظهر جميع الأمر وردّه إلى الألف، ولم يجر إلى الياء لما اقتضاه معنى الياء من اختصاصه بمقتضى ما هو أمر محمد ﷺ فهو في معنى هذا المحو كمل الأمر، فلذلك لم تجزه لام الألف.

وتبين لحكمة انتظام هذه الحروف أن الأسماء حقها وأصولها ثلاثة أحرف: مبتدأ، وختام، وقوام.

وأن القوام أوسطها وأعدلها، وكلها لكمالها لم تخرج إقامتها عن الألف، والواو، والياء.

ولما كان الألف منتهى القيام ظهر اسمه بحروف النطق واجتمع في اسمه روح ثلاثتها: بالفتح وهمزها، الذي هو من الألف، وبالكسر في وسطه، وبالضم في نهايته.

وكان في اسمه إقامة منه في إطلاقه، وحالتي تنزله، ولذلك كان اسم الألف متنزلا لما كان لمنتهي، كما جاءت حروف من المتنزلة، كالفاء الذي هي نهاية متنزل اسم الألف، فإن اسمها متعال إلى غاية حد الألف التي هي الهمزة، بإقامة الألف، ولذلك يكون من الأسماء ما هو متعال ومتنزل في حد افتتاحه كاسم "آدم" عليه السلام فإنه متنزل في حد مبدأ الهمزة إلى تمام ظاهر الميم.

وكل حرف يدل من الاسم على حظ من تمام مدلول اسمه فحرف مسهل الهمزة بالألف، عن وجود معنى القيام، حتى ظهر من أمره ما يشير إلى قوله ﷺ حيث يقول حاكيا عن ربه إنه يقول في يوم القيامة: "يا آدم ابعث بعث النار".

ولما في تمام الاسم الألف من مقتضى اللطف، وحسن التوصل وجب أن يكون آخذا في أمره بمقتضى ذلك، ولذلك ما يفهمه معنى الفاء من إيراد أمره على خفاء الفطرة، وبدء الأمر قبل التغير.

وحرف الدال ينبئ عن أمره "دائم" متوصل دوامه إلى وصله بحكم ما في دوام الدال منتهى ذلك التوصل إلى تمام ظهور بحكم تمام اسم اللام بحرف الميم، ينتهي بانتهاء أمره إلى أتم الظهور وإن له الملك الأجمع. ولتتمة اسم الميم بميم العلم، والملكوت ينبئ بتمام العلم له والاطلاع على ظاهر الملكوت، وإن له به العلم الأجلى.

أما الملك فظهر في ولده سليمان عليه الصلاة والسلام جماع أمره، وأجرى على مسألة منه لدنو رتبة الملك، وذلك في قوله: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥].

وذلك لأن جماع كل تحت وحدته فلا يثبت لاثنين، وكان له ملك ما دون فلك القمر من عالم النار، والجن، والرياح، والهواء، وعالمه من الطين، وملك عالم الأرض من الهواء، والماء، والتراب على ما يذكر من أمر الخيل الذي أخرجت له من البحر.

وأما الاطلاع على أمر الملكوت فظهر أمره لولده إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأجرى له على غير مسألة لعلو أمره، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴿٧٥﴾﴾[الأنعام: ٧٥].

وتبين بما أنبأ به من مضمون اسمه من ظاهر الملك، وأمر الخلافة، وعلم الملكوت والاطلاع على أمره أن أمر عيسى عليه السلام في ظهور كلمة الله، وروح منه، من وراء حكمة آدم ومضمون أمره فكان كلمة كهل آدم، ويكون من الأسماء ما يقع متعاليا مما يبدأ بالأظهر، وينتهي إلى الأخفا كقلوب اسم آدم مثلا المبني عن أمره الذي هو لفظ "مراء" فإنه أمر ظاهر موجود مأخوذ من ظاهر الملك فيكون زمانا، أو في باطن الملكوت فيكون دهرا.

فلما اتصل ميم المد بالدال وجب دوام ذلك الأمر واتصاله لمكان منتهى الدال في اسمه ثم انتهاؤه إلى غاية عمى لانتهائه إلى الألف، و لم يحتج فيه إلى الهمزة لما كان متعاليا إليه، ومن الكلم ما يكون دائرا مثل لفظ "باب" فإنه سبب ينتهي إلى سبب، فكل ما يوصل إليه من باب فهو باب لأمر وراءه ولذلك تنفقد معاني أسماء الحروف في الكلم فتلحق معانيها بحروفها في الكلم، لأنها بسائط تركيب الكلم، وكل لسان [كان أعرب كما معنى حروف ما في كلمة أجمع، وأكمل، وكل لسان كان] كان أعجم، فكان حروف ما في كلمة أقل إفهاما وأنذر معنى، وملاك أمر الأمة في مضمون أعلا أسماء الله تعالى عندها، وملاك حروف أسماء الله تعالى عندها من أعلى وأجمع أحوالها وقطرها وجبلاتها، وتفسير حروف سائر الكلم عندها، وأجمع إلى كليا أمر ما يتفسر به حروف أسماء الله في لسانها "رب العالمين".

فكل كلمة من لسان هذه الأمة لا يعلى بها في تفسير حروفها على مقتضى تسبيب الحكمة من معنى الباء، وتطوير ذلك التسبيب من معنى الراء مع تكرر هذين الحرفين في اسم هذه الأمة فإنما وجب أن يكون اسم الله سبحانه عند كل أمة مطابق معنى جوامع ما فطرت عليه من علم وعمل باطنا وظاهرا، ليكون ما يدعوهم الله سبحانه إليه من الحق وسع ما فطرهم عليه، فلا تكلف نفس إلا ما آتاها ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، حتى يكون ذلك طباق ما تنفس به نفوسهم، وما تنفس به نفوسهم طباق ما تعطى طرفة أجسامهم، ويكون مقدار عقولهم بمقدار ما يكون أمكنة في تدبير ما تنفس به نفوسهم ثم بعد ذلك ترد على المغيرين لفطرهم منهم باقتناعهم في أمر الربوبية والإلهية بما هو أدق مما يبلغ إلى غايته استعمالهم فطرهم وعقولهم دعوى الداعين لله على مقتضى تلك الغاية التي قصروا عنها فيما انتحلوا.

وكل أمة وشخص من الخلق استعمل فطرته بمقدار ما أعطته من إكبار الله، ولم تنزل عنه، ولم تنتحل نحلة ولا شرعة دونه فلا نذارة له وهو على حقيقته أمته، وهؤلاء الصنف هم صدّيقوا الأنبياء أوفاهم الذين أرسلوا منذرين للمغيرين ومبشرين للراجعين عن مقدار ذلك التغير إلى حال فطرهم ثم بعد ذلك يرفع الله من يشاء بالتأييد بروح منه، ويُعلي من شاء إلى ما لا تسبق فطرة الخلق، وليس وراءه مرقى بوسيلة حب من لدنه.

وكذلك اسم الله سبحانه عند أي أمة استُقرئت أحوالها، حتى إن أمة لا ترفع جبلاتهم عن أمور الدنيا ومقدار عقولها عن مقتضى تصرفها لا يكونَ لله عندها اسم وإن نبهتهم قادحة وقرعتهم من الله قارعة بر بما أجروا عليه اسم أعلى الأسماء عندهم.

وكما أن اسم الله عند كل أمة منتزح من جوامع فطرها فكذلك اسم تلك الأمة دلالة حروفه من مقتضى جوامع أمرها.

وكذلك كل اسم لكل مسمى مطابق لمعنى حظه من ذات ذلك الشيء مثالاً من التسميات لعيان لطيف فاقد وعلم من الذوات، وهي الأسماء الحقيقية المدركة بالعيان والعلم، التي التسميات أسماء لتلك الأسماء، وبالالتفات إلى معنى الاسم المدرك من الذات برؤيته بصرا وبصيرة، يصح أن الاسم من المسمى، وأن التسمية رسم من رسومه، ومثل من أمثاله وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة: ٣١].

ولما لم تعط الملائكة من رؤية هذا القدر من الذوات علما رجعت فيه إلى الأنباء المختص بالرسوم والأمثال من الألفاظ ونحوها، وإنما اختص آدم عليه السلام بعلم ذلك المقدار من الذوات الذي هو الأتم منها لما كان خلقا جامعا لحقيقة كل خلق، فكان يجد علم اسم كل ذات لوجده ما في حقيقته الجامعة منها، و لم يكن ذلك في خلق خاص كالملائكة وغيرهم من العوالم.

ولما كانت العرب أمة جامعة موجهة نحو الإعراب والإبانة عن الوجود بما هبت لأن يكون النبي الجامع عربيا عربي الكتاب بإنبائه عن كل شيء فتح لهم من إدراك ذلك الحظ من الذوات التي في الاسم لما كانوا يصفون له الأسماء لما يشاهدونه ولما يتمثلونه.

كما ورد أن "رؤبة" وأباه "العجاج" كانا يرتجلان اللغة ارتجالا و لم تكن العامة من العرب، فإن لم تكمل لإدراك ذلك الحظ من الذوات حتى يسترسل في وضع الأسماء كالخاصة منهم، مما تفقد إدراك من له الحظ من فصاحاتها ورؤسائها فلذلك كانت تقبل ارتجالاتهم وتتبعهم في وصفهم من غير ريب ولا مرية، فظهر بذلك ختم الأمر لأمة العربي بما ابتدئ به الأمر لآدم عليه السلام.

ومنه، ما ورد: "لكل امرئ من اسمه نصيب" ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة كان يغير الاسم المبني عن وجود حظ مكروه في الشخص ليتغير بتغييره صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الحظ فيتطور جوهر ذلك الشخص ببركته صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلع الثاني

في الأعداد

اعلم أن منشأ الأعداد من الرتب، ومنشأ الرتب ظهور الخلق، وظهور الخلق الحكمة، والحكمة بالترتيب. ولما كانت الإحاطة الأولى أحدية لم تكن رتبة، فلم تكن عدداً، فالعدد كله كان عن الإحاطة الأحدية.

والإثنينية زوج، وهما حجاب الواحد، فأوتِر ليكون الوتر آية على الواحد، المأخوذ مع الثاني، فيكون ذلك آية الأخذ المطلق الذي ليس بعدد.

فأول العدد اثنان. وأول الوتر الثلاث.

والثلاث الذي هو الوتر جمع الاثنين، فكانت رتب الأعداد مطابقة أول وتر، وهو الثلاث:

أولها: أجمعها وهي آحادها. وثانيها: مفصلها وهي عشراتها. وثالثها: زوج آحادها ووتر عشراتها.

ولما تثلث الرتب كانت الحدود أربعة بنهاية الثالث وهو الألف، وإنما هو تمام عقد المئين، فلم يكن في الحروف زيادة على الرتب الثلاث، وحدودها الأربعة، فكانت آحاد، وعشرات، ومئين،

فلذلك اشتمل هذا المطلع على ثلاثة فصولها فالذي محله الإحاطة وهو أحد لا يدخل في العدد لا يُقال فيه فردٌ، وهو الألف، وذلك لإحاطته بما وراء العقل باطناً، وبما هو أظهر من أظهر المحسوس ظاهراً بمقتضى رجع الحكمة غيباً بالتدلي.

وسائر الحروف تعدُّ فتكون إما زوجاً، وإما فرداً، ولظهور الألف بالهمزة تعلى عن العدّ أعلاه.

فأول العدد الزوج الأول، والواحد الذي الثاني ثانيه هو الواحد المقترن بالثاني، الذي لا يؤخذ إلا مضافاً إليه، وما كان أحداً فلا يُضاف لإحاطته، والواحد الذي يؤخذ مع الثاني إذا أخذ مقتطعاً عنه كان فرداً، ومثل ذلك في التقريب وللتنزيل للفهم أن عليه السلام مثلاً إذا كان محيطاً بما حوته ذاته من أحواله وصفاته قبل أن تقتطف منه حواء حيث انتزع من أعوج جسمانيته، والدون من أحواله واختلافه ما جعل له مثلاً، فصار عند ذلك زوجاً، فآدم أول قبل ظهور حواء، منه آية الأحد ولا يكون عدّ، لأن العدّ لا يكون إلا مع مجانس، ولم يكن لآدم عليه السلام قبل حواء نظير من الخلق، لأن من كان حينئذ من الخلق إنما هو مثل من بعض تفاصيل ما في آدم عليه السلام وكليته فلا يعدُّ بهم فكان لذلك قبل حواء آية أحدية، ذات إحاطة بأمره، فلما ظهرت منه حواء كهيئته وصورته، وجمع كجمعه صار حينئذٍ رجلاً مزاوجاً منها امرأة، فصارا زوجين، فإذا أفرد عنهما مثلاً في الإهباط إلى الأرض صار فرداً، وهو معها قبل الإهباط واحد، وهي ثان لواحدة حينئذٍ فوَضح بمقتضى هذا المثال أن الزوج حجاب الواحد والواحدية.

والأحد لا يُعدّ، والواحد في الاثنين الذي هو عدّ منغمر الظهور فإن ظهر كان فرداً، ثم جمعهما بالتناكح، ورتبهما، فاجتمع في آدم عليه السلام آية ما هو الأحد، والواحد، والزوج، والوتر، ولعلو الأحدية وإحاطتها نظمت باسم الله العلي في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإخلاص: ١].

ولتنزل الواحدية عنها نظمت باسم الإله، الذي هو متنزل غيب اسم "الله" في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣]، ولذلك ظهر الشرك في الاسم الواحد، الذي هو "إله" ولم يظهر في الاسم الأحد الذي هو "الله".

فصل الآحاد

رتبة الباء والجيم

ولما كان أول ظهور الفتق، ومطلع الحكمة هو "الباء" وجب أن يكون في أول رتبة من العدد وهو الزوج الأول، فكان عدد الباء اثنين.

ولما خفي الواحد في حجاب الباء، الذي هو الزوج الأول جعلت عليه آية من الوتر، الذي هو جمع الباء، وذلك الحرف وهو "الجيم" فكان الجيم أول فرد، وأول آية على الأحد، وكان عدد تليه البداية على الباء، وكان كفاية في الإبلاغ والتعريف والإعلان حتى كثر في الشرع، ومواقع العلم ظهور أثر الثلاث فيمن له قطرة قبول، ولم يظهر أثر الثلاث فيه، قضى عليه بفقد الفطرة القابلة لما استعملت له الثلاث فيه.

كان الأولى: تخرج وتحرك من حال الفقد الأول. **والثانية:** تطلع على مبادي ما إليه الوجهة.

والثالثة: تخلص ما إليه الوجه، وتكمل التحقق به. ومثل ذلك في الشرائع، ورتب العلم كثير.

(كان ﷺ إذا قال الكلمة أعادها ثلاثاً) وقال: "اللهمَّ قد بلّغت".

وقال ﷺ: "الاستئذان ثلاث، فإن أذن فادخل، وإلا فارجع" والسراح بعد الطلقتين، والقرى الثلاث للتخلص من عقدة الأزواج والشهور الثلاث كذلك.

والأطوار الأربعة في الأربعة الأشهر، والعشر للتخلص من مبانيه، المورث الميت.

وقال موسى عليه السلام للخضر (أيده الله) عند الثانية: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦].

فقال له الخضر في الثالثة: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[الكهف: ٧٨].

كل ذلك استئذان من لم تخلصه الثلاث من محل هو به تشرف به للنهوض عنه، فليس له حظ في التخلص منه. والمرآء الزيادة على الثلاث في المراجعة.

وقال ﷺ في ثلاث الوضوء: "فمن زاد على هذا فقد أساء وظلم" إلى كثير من أمثال ما ذكر جوامع منه.

رتبة الدال والهاء

ولما كان الباء أول زوج، وكان حجاباً للأحد، وجب أن يكون له حجاب لترفع الحجابية، ولتنزل الأمر إلى ثالث رتبة من بدء الباء، واحتجاها بازدواج واحد بها، الذي كل واحد منهما اثنان هو الدال، فكان في رتبة رابعة، فكان عدد الدال أربعة وجعل ظاهر الخلق، وأصولها، وبناءها، وحرف ستة، شفع لكل وتر في كل شفع، فوجب أن يكون لظاهر زوجية الدال وترية محيطة باطنة.

ولما كان مقيم أمر الدال هو الهاء كانت في الرتبة الخامسة وكان صفاؤها، وإحاطتها، واستبطاؤها في مقابلة ظهور شفعها وإحاطته، وكان باطناً في كل شيء ظاهر "دال" ولتنزله مع كل شيء أعلى بعلو الواو.

وفي كلمة العلي المحيط وكان حرف مظهر الهمزة فعلا بذلك على وتر "الباء" الذي هو "الجيم".

رتبة الواو

وكما ازدوج الباء بالدال، ازدوج الجيم بالواو، فكان زوج فردين، ووتر زوجين، لأنه وتر بعد الدال والباء، فكان أول زوج أعلى فجعل تماماً بني عليه خلق عالم الابتداع في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[هود: ٧]، واحد زوجية ثلاثة باطنة، والثانية ثلاثة ظاهرة، فكان لذلك الموقع في رتبة عدده ستاً.

رتبة الزاي

ولزوجية الواو على زوجية الدال لفردية واحد بهما وجب أن يكون ما يتضمن وترها أول وتر زوج أعلى لأنه وتر وترين.

ولما كان جامع أمر الست الذي أتى عليه التطوير هو الزاي بما اجتمع فيه من فردية الازدواج في وتر الباء، والدال، والواو.

وزوجية الأفراد في شفع الواحد، والثلاث، والخمس، والسبع بحروفها، وهي الأول، والجيم، والهاء، والزاي، فتثلث فيه الأزواج، وتربعت فيه الأفراد، فكان لذلك السبع كمال عالم الابتداع، وهو

العالم الذي تبين فيه ظهور انتحال الأفعال وإضافتها للخلق وازدواج الخير والشر، وترتب الجزاء على الأعمال، وظهر فيه الملك، وظهور صور عين الأسباب وأصول المخلوقات، فظهرت فيه الصنائع، فكان مجموع للسبع كمالاً للحكمة، وحجاباً للأحدية، ولموقع انحصار الأمر في عالم السبع كالرقى سبعاً وأنواع التعوذات.

كما ورد في أن يجعل صاحب الوجع يمينه على موضعه من جسده ويقول: (بسم الله ٣) (أعوذ بقدرة الله وعزته من شر ما أجد وأحاذر ٧).

ومنه ما ورد عنه ﷺ أنه أمر شكايته أن يصب عليه من سبع قِرَب لم تحلل أوكيتهن.

ليكن على جماع الأمر كما كنّ على جماع العدد، لأن الألم لن يعدو أن يكون مسراهُ من أحد الست أو جامعها، وأثبتت عليه أيام الدهر السبعة الذي يوم الدنيا رابعها، وجامع أمرها، وأوسطها، وغايتها، وأقصرها مقداراً، وأعظمها قدراً وهذه الأيام السبع الذي هو الأسبوع الزماني انتهاء لإحاطتها، وعلو أمرها من أعلى ما أعلى بإضافته لله سبحانه فيما يحويه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، لأن اليوم ألف سنة، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥].

هو يوم أسبوع من أقصر أيام الدّهر، الذي هو يوم الدنيا وقبله ثلاثة أيام متضاعفة بالسبع، كل أدنى إليه أقصر من ثلاثتها، ثم أمر الخلق الذي جمعه، وإظهار غيبه في يوم الدنيا، وبعد ثلاثة أيام متضاعفة لذلك بالسبع أبعدها عن يوم الدنيا أطولها، مرجع فيها أمر الجزاء على مدرج الخلق إلى غاية بدوّ الفطرة يقابل كل يوم بعده يوماً قبله أمراً ومقدوراً، ويوم الجزاء الذي في بعضه الحشر والنشر والحساب وتبديل السبع يناظر يوم التقدير في المقدار، والأمر وذلك فيما يشير إليه قوله تعالى، في ذكر يوم الحشر: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤].

وهو تضعيف سبع الدنيا لسبع وسبع، وفيما يشير إليه قوله ﷺ في ذكر يوم التقدير: "إن الله مقدر مقادير الخلق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة".

وكذلك يتضاعف كل يوم أسبق في القبل، وأبعد في البعد بالسبع.

والسبع في لمح في الجيم العلوي الذي بعد وجود جملته ولكمال الأمر بالسبع كان عقداً منعجماً للوتر عدداً لأن العقود الظاهرة إنما تكون آحاداً مفردة تنزل رتبها وصورها منزلة الواحد الأول لأنها أوائل ما بعدها، وموصل للإحاطة بما قبلها، ولم يكن موقف عد كالعقود، لأنه ينتظر لما حواه من أزواج جوامع يزدوج بها أفراد السبع، على ما يذكر بحول الله وقوته في الثامن والتاسع وعلى عدد السبع بنيت الصلاة التي هي أم القرآن فيما يشير إليه قوله ﷺ: يقول الله عز وجل: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ..." الحديث.

فالوتر الأعلى الباطن القيم هو الوتر الذي فيه تحميد الله سبحانه، والثناء عليه، وتحميده، وهي الآيات الثلاث الأُوَل، والوتر الأظهر الآتي هو الآيات الثلاث الأخر التي يتعين الخلق طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتنزل إلى صراط المنعم عليهم المخلصين من موجبي الغضب والضلال.

وتر هذين الوترين هي الآية الوسطى الظاهرة في أمر الخلق الباطنة في إطاعة الحق، وهي السابعة، فكانت أمُّ القرآن نفسها زاياً ولذلك – والله أعلم – لم يكن فيها **"زاي"** حتى قيل لبعض الصالحين في مورد من الموارد: اقرأ السورة التي فيها زاي.

والزاي حرف زكي، وعد كامل يجعل فضلاً، وإكمالاً، وتزكية في مواقع يصلح إكمالها بها، فما كان ذات زاي لم يحتج أن يتكمل به فلذلك – والله أعلم – أحيل على قراءة ما هو زكاة في ذاته ليكون الزكاء ألطف، وأيسر، وأعلى مما يكون مختلطاً إلى التكميل به، فإن كان تحققاً به كان كمال ذات، وإن كان تلاوة كان بركة كما كان لهذا الرجل الصالح، فلم يكن في أم القرآن زاي، لأنها كمال حكمة ذات "زاي".

وقد يكون من السور ما كماله كمال أحدية، التي حجابها كمال الحكمة، فتكون أحق بأن لا يكون فيها زاي مثل سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، فإنها سورة الإخلاص والتوحيد، الذي ظهوره خبئ في أم القرآن، وأمر الحكمة، ولذلك ظهر لبعض أهل المكاشفة صور سُوَر القرآن فساطيط مائة وثلاثة عشر، وكان أُمّياً، فقال: كنت أسمع أن القرآن مائة وأربع عشرة سورة.

فقيل: هو قل هو الله أحد لا تسعها السموات والأرض.

ولنحو من وجوب خبئ الأحدية في مكتمل الحكمة وجب معنى ما أشار إليه قوله ﷺ حكاية عن ربه تعالى: "لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن" وقد علم ذو اللب أن المستحق لهذه الإضافة العلية المقتضية جماع أمر العبودية إنما هو محمد ﷺ، فقلبه ﷺ هو صورة "سورة الإخلاص" فإنما يرى صورتها، وما مثل في عالم الكشف بالفساطيط آيته هو ﷺ بتأييد ما يشير إليه فيما يُؤْثر عنه أنه قيل له: يا رسول الله، بم عرفت ربك؟

فقال: بربي عرفت ربي.

وقال: "بربي عرفت كل شيء، فلا يعرف أمر الله إلا به".

ولما كان السبع كمالا لحقه من وجوب الازدواج الباء، والتضعف بها حط فكان أربع عشرة سماء وأرضا.

ولما كان عالم الإبداع كائنا مبدلا وجب أن يتضاعف زوجه بالأربعة عشر في التبديل، فكان مضاعفا بالباء ٢٨ مرة، وواطأ تضعيف عدد ضعف السبع الذي هو ١٤ بالباء تضعيف زوجية الباء مع الدال بالسبع وهو أيضا ٢٨ الذي أظهرت آية جمعه مكونا وتبديلا في آية من آيات الله، الذي هو القمر، فكان يتكامل أربعة عشر، ويتناقص أربعة عشر وأول رحالاه في التكامل والتناقص، بما هو آية طمس الحكمة، وخبئها في السرار يوماً، وما يتفق من تفاوت فيكون به السرار في صورة يومين، فكان السبع بكماله قواما باطنا لظاهر ما نظامه الخمس فباعتبار زوجها من الست والأربع يكون الست، الذي هو زوج فرد قوام الأربع الذي هو زوج زوج.

فالواو قوام الذال، وهما جماع الحكمة بما هو دوام وعلو، ومجموعهما العشرة، وهذا العدد هو الظاهر في الوجود للحكماء في العلم والأعمال، وظهور واحد السبع الذي هو جمع بركة الست وهو الزاي، وواحد الخمس الذي هو إحاطة غيب الأربع وهو الهاء.

ومجموعها الاثني عشر الذي هو جماع أمر الآية الكبرى التي هي الشمس في سيرها المسمى بالسنة، فكان كمالها في اثني عشر من أمر القمر، فيما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهي زوج ستة أيضا.

ولما كان أمر النبي الجامع ﷺ وترا كان قوام أمر ظاهر دينه خمسا، كمعالم الإسلام التي هي أعمال، وكالصلاة الخمس التي هي إيمان عمل، كان قوام باطن هذه الخمس هو السبع كالسبع المثاني أم القرآن التي هي روح الصلاة، وعمادها، وكمعاقد الإيمان السبع التي هي عقائد في القلب، وأساس لبني معلم الإسلام، الذي هو في الجوارح، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبخير القدر وشره. وجاءت حكمة الدين بإقامة السبع والخمس لإيثارها قواما لحكمة الكون لزوجيتها، فإن أيام الخلق ست، وأيام الرزق أربع، على ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: ١٠]، وهي – والله أعلم – فصول السنة الأربع التي يتم فيها أمر الأرزاق، وهي خارجة عن نسق أيام الخلق، لأنها إنما تثبتت بما هو آية رزق العلم من الرواسي، وقدر فيها رزق الجسم من القوت بعد تمام خلقها بتمام الست لها والسماء.

ولما كان قوام الأرزاق ودوامها إلى حين تجديدها بالأربع كان عدد الأوتاد أربعة وهم رجال بُني أمرهم على الورع وحفظ سرائرهم في أقواتهم ليكونوا شفعاء ووصلة للخلق في استدرار أرزاقهم في الأربعة الفصول من يد الرحمة الواسعة من الحق وهم "دال" الخلق، وهم موتدون بزوج من زوج من جعل فيها بقوام من أمر الباء، الذي يعبر عنه بالقطب، ويجب أن يكون بما هو قوام أمر الخلق واحد حكمة لا ذا أحدية لأنه في إقامة أمر مما زوج جمع من ملك الله الساري، من باطن في ظاهر موزع الخلق في أمور ملوك الدنيا وولاتها من حيث لا يشعرون.

ولما كان لأمر الأربع رجال هم الأوتاد كان لأمر السبع رجال هم ينبني أمرهم على إحياء روح الدين لحياة الخلق في دينهم وإقامة الشعائر، وزكاء الخلق في إيمانهم وهو أقوم الناس في أمر الدين وأرعاهم لحدوده ومواقيته ليكونوا شفعا في إقامة ما يختل من أمر الناس في ذلك ويكون بهم كمال أمر الدين، وهم أبطن أمرا وحالا وعيانا من الأوتاد فظهر فيهم الوتر لاستبطانهم وخفى عيانا في الأوتاد لظهور أمرهم.

وكما أن من السبع واحد هو ذات السبع الذي اجتمعت لبركة الست كالجمعة في الأيام، والإيمان بالله في معاقد الإيمان، وكذلك أيضا في الخمس، واحد بركتها وجامع أمرها كالشهادة في معالم الإسلام، وكالصلاة الوسطى في الصلوات، وهي الصلاة الخاصة بوقت محمد ﷺ من نسبة وقته في نهار يوم آدم عليه السلام، وهو وقت العصر ووسطاه الخاصة هي صلاة العصر، الذي وقتها عصر الزمان، وخلاصة من وهج النار، وغسق الليل وهي هاء الصلوات وجامعة هداها لأمة محمد ﷺ من مواقع حكم السبع في تطوير الخلق وغيره، ومواقع أمر الأربع في أرباع العمر فيهما كثير في أمور الحكمة الخلقية والدينية وهذه الرتبة التي للسبع، والمحل الذي للزاي أكثر شيء قواما وتدوراً فيهما.

رتبة الحاء

ولما كمل التفصيل بالسبع اقتضت حكمة الزوجية جمع ما اشتملت عليه السبع من الأزواج، وهما رتبة الباء، ورتبة الدال، فوقع بالتضعيف في الرتبة الثامنة، وكان فيه جماع كل سبب، وظاهر كل

وجود تام، ثابت، دائم، فكان في باطن السبع حد ما في كلية زوج السبع من الصور الثابتات بأسبابها المقيمات، وهو محل الكرسي واللوح المحفوظ ووسع ما حوته السموات السبع بأرضها، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكل صورة في السبعين.

وأما في السبع السموات فما في فلك البروج، الذي هو ثامن فلك من السماء الدنيا فهو في رتبة نسبة الكرسي ومحل الحاء من السموات السبع.

وأما من السبع الأرضين فما أحاط به وجه الأرض من الصور في المواليد الأربع: المعدنية، والنباتية، والحيوانية، والإنسانية، وما يكون منها كل ذلك على محاذاة من مثل ما وسعه الكرسي فالباء والدال ضمن الحاء، وما في الفلك الثامن من الصور والهيئات مثل ما في الكرسي، وما في الأرض آيات مثل ما في الفلك الثامن الذي هو حاء الأفلاك، ولتمام التفصيل بالسبع كان كعقد لإظهار آية الزوج في الحكمة، وكان جمع أزواج السبع من نظام الآحاد.

رتبة الطاء

وكما جمع ما حوته السبع من رتب الأزواج فلذلك جمع ما حوته السبع من الأفراد فوقع في الرتبة التاسعة بتضعيف الثلاثة في نفسها التي هي أساس الفردية، فكان في الطاء جماع القيمات لجماع ما حوته الحاء من الصور والمقامات وهي رتبة العرش، ورتبة القلم، فوسع العرش الكرسي قياما وإحاطة.

ورد عنه ﷺ أنه قال: "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة المرماة في الفلاة من الأرض، والكرسي في العرش مثل ذلك".

وحصل تمام الازدواج في الجمع بالثامن الذي هو الحاء، والتاسع الذي هو الطاء، كما حصل في تفصيل السبع، وانتهت الآحاد إلى واحد مقيم محيط غيب من غيب الألف فانعجم أمر الألف وصار بدء عقد، وهو الياء، وهو نهاية العرش وغاية الشرع وبدء الشعور، ومحل تنزل سواء الألف ومظهر الاستواء وآيته من أفلاك السماء الدنيا الفلك التاسع المحرك الذي هو الزمان ذو الحركة السرعة في اليوم والليلة، وغيبة آية ما هو غيب الياء فوق العرش، الذي هو إعلان الكون، والأفلاك محل الطاء.

رتبة الياء

اعلم أن مبدأ التفصيل في الكون الجمع، ومبدأ الفتق فيه الرتق.

على ما ظهرت آية ذلك في الماء، وتكورت في كل حول، وكان فيه آية أمر السماء، والأمر على ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، كما أن مبدأ الجمع في التعلم والترقي التفصيلي، ومبدأ رتق علم التعلق، وفي قول التعلم فتقه فإذن ما فوق رتبة التاسع الذي هو محل الاستواء مبدأ في الكون والظهور، وهو إذا أفرد النظر إليه وجده أمر من أمر إحاطة الألف، وهو المعبر عنه بالياء، فلذلك كان الياء واحد عشرة دونه تسع التفصيل، زوجان من فرد التاسع، وزوج الثامن، وزوجات فيما اشتملت عليه تتمة السبع من فرد أزواجه، وزوج أفراده.

والأول أدناهما إليه كونا، وإن كان أبعد علما، وهو قاب قوس رقي الخلق عنها من محل مرقي الأول إلى غاية بدء هو بدء الهمزة، واستدرك لهم مرق الهمزة القابين بأن كان بدء الكون مبدأ علم يترقون منه، ومبدأ مرجع ومعاد يرجعون منه.

وكان أعلى البدأين ما كان مبدأ علم ظاهر فكان أول الآحاد، وكانت "الياء" مبدأ العشرات، والهمزة أول الآحاد ترقيا في العلم وتنزلا في الكون.

والياء أول آحاد العشرات، وأول بدء في الكون، وغاية من غايات العلم، فكان للياء إحاطة علو في الكون والعلم بذلك، وانعجمت الياء، لأن الأمر في الحقيقة في الظهور أولاً، وآخراً في البطون فيما بين الأول والآخر، وأظهر من الظاهر، وأبطن من الباطن إنما هو حقيقة ما هو الألف الغيب المحيط فانعجم مظهره فيما بعد الهمزة من آحاد العقود، وكان حقيقة مسرى الكون باطنا إنما هو من بدء الهمزة بإحاطة الألف، فكانت الياء بدء ورجعة ظاهرا إلى بدء الهمزة باطنا، وذلك معنى كونها عقدا فكانت مبدأ العشرات، وظهر بالتضعيف على ترتيب الترقي من بدء مراتب حروف العشرات إلى الرتبة العاشرة أيضاً من مبدأ الياء، فكان ذلك ظاهر باطن الياء، وهو القاف، فكان أيضاً مبدأ الازدواج التضعيف، وكان للقاف إحاطة في الظهور، كما كان للياء إحاطة باطنة سارية في باطن التسع المقامة بها، وانتهى ازدواج التضعيف بالياء في محل ظهور القاف إلى أنهى اجتماع تمام الأشياء في تشخصها من حرف الشين آية حق غريبة أو إلى أنهى الغيب والستر من حرف الغين آية حقيقة مصرية.

فالهمزة: عالية حروف الآحاد. – والياء: عالية حروف العشرات.

وفي التسع كل زوج وقوامها بالياء.

فالياء: هو القلب الذي خفي في جسمانية الكون كله، ولخصوص السمع بالقلب. في نحو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ [البقرة: ٧]. وقوله: ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وكما قال ﷺ في ظهور ينابيع الحكمة للمخلص: "أربعين صباحاً من قلبه على لسانه".

لما أُضيف إلى الياء السين، الذي هو وفاء أسماع ما أقامه القلب كان مجموعهما القلب، وما تفصلا به قلب لما هو مجموع الأمر وقرؤه الذي هو القرآن.

فالياء، والسين لما أحاط به خطاب القرآن بالحروف لآل محمد ﷺ وما تفصل في سورهما من مضمون معناهما كان هو القلب لما تفصل من مضمون سائر حروف القرآن في سورها وما انتظم بها من سائر السور التي لم يفتتح بها، ثم القاف عالية حروف المئين إلى نهاية عاشرة.

ولأنه مبدأ الرتبة الثالثة الوترية التي بها غاية الظهور كان القاف حرفا ظاهرا فيما على ما بعده من حروف المئين، إلى نهاية عاشره الذي هو الشين أو الغين، واشترك الأربع في التحقق لعلو الوحدة، وإن اختلف تفصيل الواحد من آحاد كل رتبة.

رتبة الكاف

ولما كانت "الياء" مظهر إحاطة الألف في ختم الآحاد فكانت واحداً عاشرا، فمتى ظهرت الياء بحرف من حروف الآحاد ظهر عن ذلك حرف يكون في الكون ظاهر ذلك الحرف الذي هو في نسبة

من الآحاد، وفي ذلك ظهور إحاطة الياء يرجع التضعيف بها على حكم رتب الآحاد، وذلك بما في الياء من إحاطة أمر الألف.

ولما كان في الرتبة من بدء الهمزة بالتسبيب كان في الرتبة الثانية من الياء ما هو ظهور كمل عن ما هو في الحقيقة (أي: باطن الحق) باطن باطن ذلك التسبيب، وهو في الحق عنه، وذلك هو الكاف، وكان مستحق هذه الرتبة وكان الكاف من الياء بمنزلة الياء من الهمزة.

فالكاف ظاهر الياء، والياء ظاهر أول الألف.

ولما كانت الباء أساس الأسباب في الآحاد، فالكاف أساس الظهور في العشرات، والباء قيم البسائط وسببها والكاف قيم المركبات ومظهرها وسبب كونها.

﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

رتبة اللام

ويجري أمر هذا التضعيف في سائر حروف الآحاد.

كانت اللام ظاهر الجيم المضاعفة بالباء، فكانت اللام في العشرات بمنزلة الجيم في الآحاد.

ولما كانت الجيم جامعة أمر الباء كانت اللام جامعة أمر الكاف، ووصلة كلية الكون، فكان في الكاف واللام كلية أمر العشرات كما كان في الجيم جماع أمر الآحاد.

رتبة الميم

ولما كان تمام ما هو الظاهر في الآحاد وثباته الدال، وكان الميم تمام ظاهر الوجود، ونهاية الكون لما لم يكن فيما بعده من رتب المئين قوام من الألف كالياء، فلا طموح يسرٍ، ولا حركة، ولا حياة من سوى الحروف العلى الثلاث، فلم يكن بعد الميم تمام، ولا بعد اللام جامع وصلة، فكان "الم" كمال الوجود كله، قواما، وعينا، وإرسالا، وكان محاولة كل أمر بمقدار رتبة الميم، الذي هو أربعون فاتحاً لغلقه.

– ومنه: قوله ﷺ: "من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه".

– ومنه: قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ﴾ [البقرة: ٥١].

– ومنه: (لما سئل ﷺ كم بين النفختين؟ قال: أربعون). لأنها كمال أمر مفصل يكون قوامه بالياء، فيجب أن يكون أربعين.

– ومنه: الأربعون المؤثرة التي تطور فيها أطوار خلق الإنسان والأربعون التي فيها يتم أشده، حتى الأربعون المنتظرة التي هي مدة خلافة المهدي في عصر قوم محمد ﷺ، قال: الخلافة بعده أربعون، ولذلك قيد ﷺ الخلافة الأولى، فيما يؤثر عنه من قوله ﷺ: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تعود ملكاً عضوضا" وهذه الثلاثون، والأربعون هي عدد "الم" الذي هو أول أكل أطعمته أمة محمد ﷺ على ما نطق به "حيي بن أخطب" وأخوه بين يدي النبي ﷺ فلم يرد ذلك عليهما فإن النبي ﷺ قد أوتي يومه ختم كل ما أوتيته أمة من الأمم مما بين المثلين آدم وعيسى عليهما السلام فأوتي في ذاته ﷺ وفيما أوتي مما لا يحيطه إلا الله فأوتي في أمته مما أوتيته الأمم من الخلافة له بدءاً، وللمهدي منه ختماً إحدى وسبعين سنة، وهو أول أكل أمته ثم أوتي من الملك في أمته ما يكافئ في يومه لستة ملك الملوك، فيما

قبل يومه، وهو أكل بأن لأمته ظهر فيه أمر الملك، وبطن أمر الخلافة، ثم لذلك يكون في كلية من دعاه من أنواع ما أطعمته الأمم، ما يكافئ أكلهم في كل شيء حتى يستوفي ﷺ في أكل أمته أعداد حروف القرآن جمعا وتفصيلا في رتب شتى.

وقد قال ﷺ: "الناس كلهم تبع لقريش، مؤمنهم لمؤمنهم، وكافرهم لكافرهم".

وحتى يكون في يومه من الكفر أو الشرك ما يكافئ ما تقدم على ما يشير إليه قوله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى، وتشتبك أليات نساء دوس حول ذي الخلصة".

ففي يومه ﷺ كمال كلية أمر الله، وختمه.

رتبة النون

ولما كانت الهاء وتر الدال، وكان محيطا باطنا غيباً وجب أن يكون محل تضعيفه بالياء محل محيط باطن نازل الرتبة في الغيب عن الهاء لوقوعه في رتب العشرات، فكان ظاهرا بالإضافة إلى خفاء الهاء، وباطنا بالإضافة إلى ظهور الميم، فيكون بالنون ظهور الميم، كما كان شهادة الدال، وثبوته بالهاء، فلذلك انبنى تمام كل عمل على نور علم، كما كان قوام ظاهر كل ذي دال غيب هاء، وكان النون مداد المثل المعلم الذي يظهر صوره بسطر القلم، حتى أن آية ما بطن منه فأظهره العلم هو ما بطن دون الأرض من النون الذي عليه الأرض، الذي أول ما يطعم أهل الجنة من كبده، مع الثور الذي عليه الأرض أيضاً الذي يذبح لهم على ما ورد في الخبر وقابل استبطان النون في الأرض ظهور القاف على ظاهرها، الذي هو جبل الزبرجد المحيط بالدنيا، وعن ذلك كان استيلاء على القلوب في الدنيا إنما يكون بالعلم الذي هو حقيقة النون، كما كان الاستيلاء على الأجسام في ظاهر الدنيا إنما يكون للقدرة التي هي حقيقة "قاف" على ما يظهر في حالتي العلماء في النون الأبطن، والملوك في القاف الأظهر، وهذان الصنفان من الخلق هما المستوليان على الناس بالإيالة ونفوذ الأمر، ولذلك أقيم المفصل من القرآن بحرفي قاف، ونون، على ما يستوفي ذكره في خاتمة الكتاب، إن شاء الله تعالى.

واقترن أيضاً هذان الحرفان في كلم القرآن، ولفظ الفرقان اللذان هما ظواهر أسمائه.

وإنما كان أول ما يطعمه أهل الجنة من الثور الذي عليه الدنيا الذي كان يرعى في أطراف الجنة على ما جاء عنه ﷺ صورة الثور هي صورة معنى ما هو الكدّ والكدح، وجهد العمل في الأرض، الذي قام عليه أمر الدنيا.

ولما كان أصل ما هو العلم إنما هو من سبل ما يوصل إلى الله العلي العظيم كان طرفا منه وزيادة من زوائده هو القلم الذي يستمد به على الصنائع والأعمال الدنياوية، التي علومها علوم صناعية كدحية.

ولما كان أهل الدنيا أول ما يراعون منه من أمر الدنيا تقديم أمر الكد بين يدي معاشهم في الجنة حتى يقولوا كما يذكر في التفسير﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

أي: مكابدة أمر المعاش، فلذلك يذبح لهم الثور، الذي هو صورة كدهم فيأكلونه، وهو جزاء على ما عملوا به في دنياهم من حيث كانوا ذوي دين فاستحقوا بذلك جزاء كدهم مما هو صورته، وأضيف إلى ذلك زيادة كبد النون التي هي صورة حظهم من أصل العلم فأطعموها، وجزوا بها وروعي

في أعمالهم حسن نيتهم في أصل دينهم، فلما أتوا عليهما استقبلوا الراحة والخروج عن الكلفة في معاشهم في الجنة رتبة ما يتضاعف بالواو، والباء، وهو السين أو الصاد.

لما كانت الواو تماما في الآحاد، وعلوا في المحمل وجب أن يكون ما يتضاعف منه بالباء هو تمام أيضاً وعلو، فحيث يكون العلو والتمام في القول والكلام والأسماع تكون هذه الرتبة في حرف البناء والأسماع، وهو السين كما هي في جمل المصريين ومن تبعهم، ولذلك كانت لغة أهل مصر ومعاشرتهم بالقول وتصريف عمل اللسان، وبشاشة الضاد وحيث يكون العلو والتمام في مطابقة الظاهر للباطن من غير عنف تكون هذه الرتبة طرق المطابقة والصدق، وهو الصاد كما هي في جمل أهل المغرب ولذلك كانت لغتهم بالصداقة الباطنة ومواصلات القلوب والعصبية الخالصة من غير كثير بشاشة ولا إسماع.

وبالجملة فهذه الرتبة متسعة لمعنى هذين الحرفين من أن قوماً يكون تمام أمرهم في ألسنتهم من غير أن ينهوا ذلك إلى تمام الصورة المعاينة، وإن قوماً إنما يجعلون أمورهم في تمام صور أفعالهم وظهورها للعيان، من غير لسان.

وقد حافظ أهل الفضل على الأمرين فوعدوا وأنجزوا ليكون لهم الأمران، ويظهر في أمرهم التمامان، ولهج الناس بمدح إنجاز الوعد، وذم خلفه، وحمدوا من يتمم الرتبة بجمع مقتضى معنى حرفيهما من أمر أن يقول ويفعل، وليتحقق أمرها هو تمام في هذه الرتبة جبر ما اختل، فلم يتم بكفارة، عد هذه الرتبة كإطعام ستين مسكيناً، وصوم ستين يوماً المذكور ذلك في صريح القرآن، وما أبهم فيه كفارة الأذى والإحرام، وكان النبي ﷺ يأخذ في تخبير وإفهام بالأيسر رد حائز الست إلى آحادها من حيث ما أودى من الجوامع فجعل الصوم وعدد المساكين ستا ستا وعدد كلية الحروف في حيز الست لأن مجموع عددها كلها نحو ستة آلاف، وهي مقدار عدد أيام الخلق في أيام الحركة السرعى التاسعة التي هي في سرعتها وجمعها آية، وجاء أمر التاسع وجمعه الذي هو العرش ولها اليوم السابع الذي هو اليوم المحمدي الذي آيته يوم الجمعة فلا يعد في نسق الست، لأنه جامع بركتها كلها وفاتح غلق ما وراء علم الخلق لمحمد وآله ﷺ ولذلك ختم به الأمر عند رفع ما انتهى بسطه في عدد الست وإلى نحو منه يشير قوله ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، وأشار بالسبابة والوسطى.

رتبة العين

ولما كان العين محيط المعنى بما أدركه العقل، والعين كان كمالا فاستحق هذه الرتبة السابعة الجامعة، وهي من تضعيف الزاي في الياء، ووقع الزاي في الآحاد لقيامه بالألف وانتهائه إلى النون، فكان ظهور العين بالنون، وكذلك كان النور العقلي يظهر المعقولات، والنور البصري يظهر الأعيان إنما كماله بظهوره للأسماع لتحصل صورته عيناً، واسمه سمعا، قرئت العين في الوحي الشامل بالسين، نحو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ عٓسٓقٓ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ﴾[الشورى: ٢-٣].

رتبة الفاء

ولما كانت الرتبة الثامنة في العشرات من تضعيف الحاء في الياء، وكان الحاء لوح الكون والبناء، ومحل الرسم، وكانت الفاء جماع حد الفطرة، وغاية رسم الإلهية في كلمة الفطرة وألفة الأمر، وحد ما

دون الفرح والفرق الكوني والبنائي كانت هذه الرتبة للفاء وازدوج فيها تمام الميم، كما ازدوج في الحاء، وأما الدال رتبة ما يتضاعف بالطاء والياء، وهو الصاد والضاد.

لما كان الطاء جامع آحاد التسع وقوام الحاء وجب أن تكون في هذه الرتبة لما هو جامع آحاد تسع العشرات وقوام الفاء، فحيث يكون حد الفطرة منتهيا إلى جماع صدق، ومطابقة حقيقة بلطف تكون هذه الرتبة طرق ذلك وهو الصاد، كما هو في جمل المصريين ومن تبعهم، وحيث يكون حد الفطرة منتهيا إلى حد صدق عنف ومطابقة حق بمضاء أمر تكون هذه الرتبة طرف ذلك وهو الضاد قسيم الصاد، كما في جمل المغرب.

ولذلك أثبتت أمورهم على إقامة الحدود، والأخذ بالقوة والصدع بالحق الضار في الحال بهوى النفس.

وأثبتت أمور أهل مصر على الأخذ باللطف والحيل، والتأني إلى المقاصد بالاحتمال، وهذه الرتبة التاسعة مطلقاً رتبة العرش في آحاد كانت أو عشرات، وهي محل الملك ونفوذ الأمر، وأظهر ذلك في آحادها لقيام الآحاد بحد الألف التي هي الهمزة، ولعشراتها حظ منه وهي في عشراتها متسعة لطرفي معن هذا الحرف من الصاد والضاد رتبة القاف.

ولما كان منتهى الأحد العاشر وهو الياء كانت هذه الرتبة هي تضعيف الياء في نفسها، وكانت لها الإحاطة والغلبة.

ولما كانت غاية خفية لما تضاعفت بمقدارها في كلية آحادها صارت غاية ظهور، واستحق هذه الرتبة الحرف المخصوص بالقوة والظهور وهو القاف، وهو نهاية الدرجات على ما يشير إليه قوله ﷺ: "إن في الجنة مائة درجة" وهو عدد مجتمع الأسماء إلا أنه أخفى منها جامعها الواحد حيث دعى بإحصائها إلى الجنة، وجامعها المخفي هو داعي الوسيلة التي لا تكون إلا لواحد جامع خاتم، فلذلك كان ﷺ مستحق الوسيلة.

وجملة ذلك فيما يشير إليه قوله ﷺ: "إن في الجنة درجة واحدة لا تنبغي إلا لرجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو".

وقال ﷺ: "من سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة".

ولذلك لم يقتصر في بعض الطرق في عد الأسماء على التسع والتسعين حتى أتمها بلفظ المائة مستثنى منها واحدها الجامع الخاص به فيما ورد من قوله ﷺ: "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة".

وأحصاها: أهو في جامع أمرين، أخذ بحظ ما منه عمل كالرحمن، والرحيم، والخالق، والرازق، والجواد، ويراه مما له اختصاص الأكبر، والعظيم، والجبار، فمن قصر عن أحد بحظ من مقتداها، أو تلبس بوصف من مسراها أو فقه ذلك من دخول الجنة، ومن نهاية التسع والتسعين منشأ المحاسبة التي فيها المضايقة لأهل الدين العاملين عليه، الذين لم يترقوا مرقى أن يريدوا إلا وجهه الذين هم عالية أهل الدين وهم المحدثون حقاً لما علوا إليه من إرادة وجه ربهم، ولذلك كان هذا العدد حروفه صورة في العقد، وينافي السمع تمام العلو، وهو صورة جمع اليد على الشيء الممسوك وعقدة التسعين أضيق عقد العقد أشدها، وحرفا التسع والتسعين يظهران مع حرف التمام في لفظ السطوة على حكم عد أهل

مصر، ومناسبة لفظا الاستعلاء وحكم واحد المائة جمع ألوفا بمقتضى التسع والتسعين على النحويين، أي الجملين من حيث يكون مبدأ ذلك من الله وبالله، لأنه سبحانه الواسع المحيط، ولأحد هذين النحوين من ذلك يشير قوله ﷺ: "إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما اتقاه".

لأنه مُحصِن لتلك الأسماء، جامع لأمرها عملاً وحالاً ليكون إماما لكل سالك على سبيل عمل وخشية، وهذه الرتبة رتبة ظهور ومبدأ آحاد للرتبة الثالثة التي بها وفاء ظهور ما شأنه أن يظهر في ظاهر ما باطنه الياء ومنزلة القاف منها بمنزلتها من الهمزة حد الألف وبدء أمره وما بعدها من التضعيف مبني عليها إلى تمام العشر فيحصل الازدواج في رتبة العشرات والمئين إلى نهايتها بالعشر الذي هو الألف، وبوترها الآحاد، فيتم الوتر وينتهي العد باستغراق الحروف، ويقف التضعيف المظهر لصور حروف وتخلقه بعمل الخلق التجميل والجمع بالتكرار والتركيب. ولما كان أمر وحي العيان والأسماع في كل عشق وحياً مشتركا له ﷺ ولمن قبله من الله العزيز الحكيم.

رتبة الراء

ولما كانت الباء بدء التسبيب لآية ثاني الهمزة، وكان الكاف مظهر الكون لأنه ثاني الباء، كانت الراء قوام التطوير والتصوير في الخلق، الظاهرة المترتب ظهور أولها على الكون المرتب على التسبيب المستند كلية ذلك إلى غيب الألف وإحاطته فاختص الراء بهذه الرتبة لمقتضى معناه وترتيب رتبته على رتبة الكاف بعد رتبة الباء، فظهر في ذاتها تكرار لمقتضى تنبيه التكوير بالتصيير والتدريج وهو تخلق ما استوى لفظه في حرف اللام، فلذلك صار الراء ظاهر اللام في نسق فواتح "الر".

ولذلك اشتدت الوطأة فيها حتى كن بنورها المفصل فيها مقتضاها مسببات للعالم لموقع مجراها في أمته ولو لم يكن إلا الأدب اللازم وقعه في الترتيب الجاري في ذلك مجرى التخلق في التطوير وكذلك ظهر هذا الحرف في النار التي عول عليها الخلق في تطوير الأشياء وإظهار الصور كما جعلت الوسيلة في كشف غواشي الفطرة من لدن الاحتراف بها في الدنيا ظاهر كالحمّى ونحوها من حرارة الفيض، وباطنا كالعشق والشوق ونحوه من حرارة الصدود.

وبالجملة قالوا من رتبة المئين ونسبتها التي في الياء من رتبة الآحاد متى وجدا في كلمة واحدة كانت أصلا تسبيب وتطوير كما في البر والبر ونحو ذلك رتبة ما يجتمع بتصوير الراء وتدريجه، وهو حرف الوفا برتب الوجود الثلاث في طرفي معناه، وهو السين أو الشين وكما كان اللام جامع أمر الكاف والجيم جامع أمر الراء.

فحيث يكون غالب أمر التربية والتصيير مما يسمع وينقل تكون هذه الرتبة لطرف الأسماع، الذي حرفه السين كما هو في جمل أهل المغرب، وحيث يكون غالب أمر التربية على ما يظهر للأعيان من الأشياء دون المسموع تكون هذه الرتبة لجامع الأشياء وهو الشين، كما في جمل المصريين، وذلك لأن معاينات أهل المغرب مستورة مغيبة فهم ذوو دعوة فيهم إلى الحق في ربانيتهم ومعاينات أهل مصر ظاهرة مشهورة فهم ذو إظهار لآية الحقيقة في ربانيتهم، فكانت الحقيقة في موطن الحق سراً، وكان الحق في موطن الحقيقة شراً.

واعلم أنه لما أجريت المقايسة فيما بين أهل المغرب ومصر لمقابلة ظهور حد الحق لظهور سعة الحقيقة فيهما و لم يف بالغايتين غيرهما من الأرض. وأما مكة شرفها الله تعالى فامتكت كلية الحكمة، ومدن بالمدينة الطيبة كلية الكلمة والحكمة وأحدية أمرها.

وبالياء بركة ظاهر بيت المقدس من الأرض فيهن متفاوتات لا متقابلات فلذلك جرى النظر في التقابل وبين موطني الجدة والسعة في آية ما هو الحق والحقيقة.

رتبة الباء

ولما كانت هذه الرتبة في الآحاد للدوام كانت لما هو في رتب المئين للثبات والنهاية وكان مستحقها ما مقتضاه ذلك وهو حرف التاء والتربيع إحاطة حكمة ظاهرة في الإحاطة توحد بركة الدوام، كما في تربيع الآحاد في حرف الدال، وبركة التمام كما في تربيع العشرات في حرف الميم، وبركة الثبات كما في هذه الرتبة في حرفها وهو التاء ولذلك لهذه الرتبة بركة فيما وراء التضعيف من حكم الجمع والتجميل وإلى نحو من معنى ذلك يشير قوله ﷺ: "خير السرايا أربع مائة، وخير الجيوش أربعة آلاف" لا عدد رتبة لها الثبات والدوام المقصود في الحب لاستثمار القلب، وهو رتبة تنبيه لمعنى التاء ومرجع لنهايتها ولاختصاص التربيع في الغرب في درهمهم وعلمهم وطلبتهم وخاتمتهم فكان لهم من التربيع أربعة أصول من أمر القوام سلما في الدرهم والخاتم، وجريا في الطبل والعلم اسما عاليا وراء الخاتم والطبل وعيانا في عين الدرهم والعلم.

رتبة التاء

وكما كان الهاء جامع أمر الدال، والنون جامع أمر الميم كان المستحق لهذه الرتبة ما هو جامع أمر التاء ومظهر في طرفي التسبيب بدءا ورجعا، وذلك هو ثالثهما الذي هو التاء، وهو ثمرة إحاطة تسبيبهما فكان في المئين بمنزلة النون في العشرات، والهاء في الآحاد، وانتظم ثلاثة حروف الباء، والتاء، والثاء، في كلمة التثبت.

رتبة الخاء

ولما كانت هذه الرتبة تماما وعلوا في الآحاد الذي هو الواو، وكانت تماما أيضاً وعلوا في العشرات على حسب من تمام أمره سمعة أو صورة، كما تقدم كانت هذه الرتبة والمئين أيضا علوا فلم يكن في رتبة التفصيل في غيبه، كما أن ظهور الغيب في تفصيله.

ولما كان تمام الصورة ظاهر الحرف الذي هو الخاء كان تمام الصورة خفية لحرف الخاء المنعجم، الذي يحتاج في ظهوره إلى وترية رتبة الراء بالثلث في رتبة المئين، وهي تمام خفي كالواو في الآحاد، إلا أن الواو في علو القيام، والخاء في رتبة الصبر.

رتبة الزاي

ولما كانت هذه الرتبة جمعاً لتفصيل ما قبلها في كل رتبة من رتب الثلاث في الآحاد الذي جماع أمرها الزاي فكان فيها من الشدة والأزمة ما يوجب إظهار خلاصته على نحو ما آيته الزيت الظاهر بما هو الفصل آية على نحوه، ومنه، وبه استخلاص بركة ما آيته الزبد من مخض اللبن بالمخض لطف

علاجه، بحسب لطافة ذاته، واشتد علاج الزيتونة بحسب كثافة جوهرها، فيجب أن يكون في رتبة المئين لما هو أشد شدة، وأكبر تفصيلاً مما هو أكثف جوهراً.

ولما كان أمر ذوات الكثائف في تربيع حرف الذال كان حرف جامع التفصيل الياء منعجمة وهو الذال، فكان لازم ظهور الذلول من الأعلى، والذليل من الأدنى، وفيه من الذل والذل ذما وذمة في رتب المئين نحو ما في الزاي من الأزمة في رتب الآحاد.

رتبة الظاء

ولما كانت هذه الرتبة لما جمع أمر الباء، والدال الذي هو رتبة الحاء، وهو لوح الوجود غيبا، وكان محله من العشرات الفاء الذي هو جمع الفطرة وجب أن يكون في هذه الرتبة من المئين لما هو أجمع ظاهرا وهو حرف الظاء، فكان موقعه في هذه الرتبة، وكان لما هو في عداد المئين لازم غلظة وفظاظة وغشيان غلبة مقابل ما للحاء من تكميل أمرها في الآحاد من اللطف واليسر، ورتبة ما يتضاعف بالطاء والقاف، وهو العين والضاد.

ولما كانت هذه الرتبة طيبا وظهورا في الآحاد، وكان لهذا من المتسع في العشرات ما ذكر في حرفي الصاد والضاد وقع في هذه من المئين أيضا متسع لحرفي الغين والضاد، فمتى كان موقع ظهورهم وطيهم في محل الإيمان بالغيب كانت عندهم هذه الرتبة بمستحق هذا المعنى وهو الضاد، وكما هو في جمل المصريين ومن تبعهم رتبة ما يتضاعف بالياء والقاف وهو الشين والغين.

ولما كانت الياء عائد تفصيل الآحاد إلى الواحد كانت هذه الرتبة لما هو انتهاء تفصيل الأعداد، وعودها إلى واحدها وهو القاف، فمن كان من نهاية أمرهم جماع تفصيل ومرأى حق، ووجوه ظاهر مجتمع التفصيل كانت هذه النهاية عندهم لمستحق هذا المعنى، وهو الشين كما في جمل أهل الغرب ومن كانت نهاية أمرهم إسقاط ما أثبتته الأعيان عن الاهتمام والتعويل والغيبة عن موقع ظاهره وأسبابه كانت هذه الرتبة عندهم لمنعجم العين، وهو الغين، كما في جمل أهل مصر ومن تبعهم وكانت نهايته ما أظهره قاف القدرة، والقلب شيء أو غيب وصارت رتب الأعداد وتراً فوقع بها ألوفا وصارت حدودها عن الآحاد والعشرات والمئين والألف.

فحدان باطنان، وهما محل الهمزة والياء.

وحدان ظاهران وهما موقع القاف والشين أو الغين.

● فملاك رتب الآحاد الألف، وظاهر مظهره لآل محمد ﷺ وبذلك كان علمهم جامعا، وأمرهم في باطن الوجود ساريا وعزهم عند غيبتهم ظاهرا.

● وملاك رتب العشرات الياء، ومظهرها للمتحققين بأمرهم السالكين على أثرهم العاملين على الأثمان والتصديق، القائمين بالحدود والأحكام، المتواضعين المخبتين، ولذلك ترتبت الحدود والكفارات على رتب العشرات كصوم الستين وإطعام الستين، وضرب الثمانين، وجمع حديهما إطعام العشرة أو كسوتهم في كفارة اليمين وضرب المائة في موضعه في الحدود وما لحظ فيه معناه من متسع هذا العقد.

● وملاك رتب المئين القاف، ومظهره الأول القوة والقهر، واستيفاء تفاصيل الأشياء، وإحصاء عددها كالملوك وطهرانيهم، ووزرائهم، وأتباعهم، ولذلك ظهر في أمر الملك من العنف والعسف

والاحتواء على الأموال والزيادة في المعاقبات ما يتقاضاه معنى عماد هذه الرتبة الذي هو القاف، وكان نهايتها إلى شيء معاين أو زخر يعاب عليه، الذي هو حده وغايته، وأنهى العد في هذه العقود عند انتهاء عدد الحروف على تربيعها بالسبع، وتثليثها بالتسع مع وفاء نهاية الحد، فيما زاد من الأعداد، كان تكويراً جمعاً كان أو تضعيفاً.

تم كتاب المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات

ذكر بعض مراتب الحروف من الفتوحات المكّية

اعلم – وفقنا الله وإياكم – أنَّ الحروف أُمَّةٌ من الأمم مخاطبون، ومكلَّفون، وفيهم رسلٌ من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا، وعالم الحروف أفصح العالم لساناً وأوضحه بياناً وهم على أقسام، كأقسام العالم المعروف في العُرف:

فمنهم: عالم الجبروت، عند أبي طالب المكي، ونسميه نحن: عالم العظمة، وهو الهاء، والهمزة.

ومنهم: العالم الأعلى، وهو: عالم الملكوت وهو الحاء، والخاء، والعين، والغين.

ومنهم: العالم الوسط، وهو عالم الجبروت عندنا وعند أكثر أصحابنا وهو التاء، والثاء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والظاء، والكاف، واللام، والنون، والصاد، والضاد، والقاف، والسين، والشين، والياء الصحيحة.

ومنهم: العالم الأسفل، وهو عالم الملك والشهادة وهو الباء والميم والواو الصحيحة.

ومنهم: العالم الممتزج بين عالم الشهادة والعالم الوسط، وهو الفاء.

ومنهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الوسط وبين عالم الملكوت، وهو الكاف والقاف وهو امتزاج المرتبة ويمازجهم في الصفة الروحانية الطاء والظاء والصاد والضاد.

ومنهم: عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الأعظم وبين الملكوت، وهو الحاء المهملة.

ومنهم: العالم الذي يشبه العالم منَّا الذين لا يتصفون بالدخول فينا ولا بالخروج عنا، وهو الألف، والياء، والواو، المعتلّتان.

فهؤلاء عوالم ولكل عالم رسول من جنسهم ولهم شريعة تعبّدوا بها، ولهم لطائف وكثائف، وعليهم من الخطاب الأمر ليس عندهم نهي، وفيهم عامة وخاصة، وخاصة الخاصة، وصفاء خُلاصة خاصة الخاصة.

فالعامة منهم: الجيم والضاد والخاء والدال والغين والشين.

ومنهم خاصة الخاصة: وهو الألف، والياء، والباء، والسين، والكاف، والطاء، والقاف، والتاء، والواو، والصاد، والحاء، والنون، واللام، والغين.

ومنهم خلاصة خاصة الخاصة: وهو الباء.

ومنهم الخاصة التي فوق العامة بدرجة، وهو حروف أوائل السور مثل ﴿الٓمٓ﴾[البقرة: ١]، و﴿الٓمٓصٓ﴾[الأعراف: ١]،﴿الٓر﴾[يونس: ١]، ﴿الٓمٓر﴾[الرعد: ١]، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[مريم: ١]، ﴿طه﴾[طه: ١]، ﴿طسٓمٓ﴾[الشعراء: ١]، ﴿طسٓ﴾[النمل: ١]، ﴿يسٓ﴾[يس: ١]، ﴿صٓ﴾[ص: ١]، ﴿حمٓ﴾[غافر: ١]، ﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾[الشورى: ١-٢]، ﴿قٓ﴾[ق: ١]، ﴿نٓ﴾[القلم: ١]، وهي أربعة عشر حرفاً بعد حذف المكرر: ع-ل-ي * ص-ر-ا-ط * ح-ق * ن-م-س-ك-هـ *.

ومنهم حروف صفاء خُلاصة خاصة الخاصة، وهو النون والميم والراء والباء والدال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهاء والظاء والثاء واللام والفاء والسين.

ومنهم العالم المرسل، وهو الجيم والحاء والخاء والكاف.

ومنهم العالم الذي تعلّق بالله وتعلق به الخلق، وهو الألف والدال والذال والراء والزاي والواو وهو عالم التقديس من الحروف الكروبيين.

ومنهم العالم الذي غَلب عليه التخلّق بأوصاف الحق، وهو التاء والثاء والحاء والذال والزاي والظاء المعجمة والنون والضاد المعجمة والغين المعجمة والقاف والشين المعجمة والفاء عند أهل الأنوار.

ومنهم العالم الذي قد غلب عليهم التحقق، وهو الباء والفاء عند أهل الأسرار والجيم.

ومنهم العالم الذي قد تحقق بمقام الاتحاد، وهو الألف والحاء والدال والراء والطاء اليابسة والكاف واللام والصاد اليابسة والعين والسين اليابستان والهاء والواو إلا أني أقول إنهم على مقامين في الاتحاد عالٍ وأعلى، فالعالي الألف والكاف والميم والعين والسين، والأعلى ما بقي.

ومنهم العالم المُمتزج الطبائع، وهو الجيم والهاء والياء واللام والفاء والقاف والخاء والظاء خاصةً، وأجناس عوالم الحروف أربعة: جنسٌ مفرد وهو الألف والكاف واللام والميم والهاء والنون والواو، وجنس ثنائي مثل الدال والذال، وجنس ثلاثي مثل الجيم والحاء والخاء، وجنس رباعي وهو الباء والتاء والثاء والياء في وسط الكلمة والنون كذلك فهو خماسي بهذا الاعتبار وإن لم تعتبرهما فتكون الباء والتاء والثاء من الجنس الثلاثي ويسقط الجنس الرباعي.

فبهذا قد قصَصنا عليك من عالم الحروف ما إن استعملت نفسك في الأمور الموصلة إلى كشف العالم والاطلاع على حقائقه، وتحقق قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] فلو كان تسبيح حال كما يزعم بعض علماء النظر لم تكن فائدة في قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ وصلتُ إليها ووقفتُ عليهاً وكنتُ قد ذكرت أنه ربما أتكلم على بعضها فنظرتُ في هؤلاء العالم ما يمكن فيه بسط الكلام أكثر من غيره فوجدناه العالم المختص وهو عالم أوائل السور المجهولة مثل: ﴿الٓمٓ﴾ البقرة، و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿الٓرۚ﴾ يونس وأخواتها، فلنتكلم على ﴿الٓمٓ﴾ البقرة، التي هي أولُ سورةٍ مبهمة في القرآن كلاماً مختصراً من طريق الأسرار، وربما ألحق بذلك الآيات التي تليها وإن كان ذلك ليس من الباب ولكن فعلته عن أمرِ ربي الذي عهدته فلا أتكلم إلا على طريق الأذن كما أني سأقف عندما يحد لي فإنّ تأليفنا هذا وغيره لا يجري مجرى التواليف ولا نجري نحن فيه مجرى المؤلفين فإنّ كل مؤلفٍ إنما هو تحت اختياره وإن كان مجبوراً في اختياره أو تحت العلم الذي يبثّه خاصة فيلقي ما يشاء ويمسك ما يشاء أو يلقي ما يعطيه العلم وتحكم عليه المسألة التي هو بصددها حتى تبرز حقيقتها ونحن في تواليفنا لَسنا كذلك إنما هي قلوبٌ عاكفةٌ على باب الحضرة الإلهية مراقبةٌ لما ينفتح له الباب فقيرةٌ خاليةٌ من كل علم لو سئلت في ذلك المقام عن شيء ما سمعت لفقدها إحساسها فمَهما برز لها من وراء ذلك الستر أمر ما بادرت لامتثاله وألفته على حسب ما يحد لها في الأمر فقد يلقى الشيء إلى ما ليس من جنسه في العادة والنظر الفكري وما يعطيه العلم الظاهر والمناسبة الظاهرة للعلماء لمناسبةٍ خفيةٍ لا يشعر بها إلا أهل الكشف بل ثَم ما هو أغرب عندنا إنه يلقى إلى هذا القلبَ أشياءَ يُؤمَرُ بإيصالها، وهو لا يعلمها في ذلك الوقت لحكمةٍ إلهيةٍ غابت عن الخلق فلهذا لا يتقيّد كل شَخصٍ يؤلف عن الإلقاء بعلم ذلك الباب الذي يتكلم عليه ولكن يدرج فيه غيره في علم السامع العادي على حسب ما يلقي إليه ولكنه عندنا قطعاً من نفس ذلك الباب بعينه لكن بوجهٍ لا يعرفه غيرنا مثل الحمامة والغراب اللذين اجتمعا لعرج قام بأرجلهما وقد أذن لي في تقييد ما أُلقيه بعد هذا فلا بد منه.

وصل: الكلامُ على هذه الحروف المجهولة المختصة على عدد حروفها بالتكرار وعلى عدد حروفها بغير تكرار، وعلى جملتها في السُّوَر وعلى إفرادها في ﴿صٓ﴾ و ﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ وتثنيتها في ﴿طسٓ﴾ و﴿طه﴾وأخواتها وجمعها من ثلاثة فصاعداً حتى بلغت خمسة حروفٍ متصلة ومنفصلة و لم تبلغ أكثر، ولِمَ وُصِلَ بعضها ولِمَ كانت السور بالسين ، ولِمْ تكن بالصاد، ولِمَ جُهِلَ معنى هذه الحروف عند علماء الظاهر وعند كشف أهل الأحوال إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل (تفسير القرآن) في معرفة معاني التنزيل فلنقل على بركة الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل:

اعلم أنَّ مبادي السور المجهولة لا يعرف حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة ثم جعل سور القرآن بالسين وهو التعبُّد الشرعي وهو ظاهرُ السُّوَر الذي فيه العذاب وفيه يقع الجهل بها وباطنه بالصاد وهو مقامُ الرحمة وليس إلا العلم بحقائقها وهو التوحيد فجعلها تبارك وتعالى تسعاً وعشرين سورةً وهو كمال الصورة: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] والتاسع والعشرون القطب الذي به قوام الفلك، وهو علّة وجوده، وهو سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١-٢] ولولا ذلك ما ثَبتتْ الثمانية والعشرون وجملتها على تكرار الحروف ثمانيةٌ وسبعون حرفاً، فالثمانية حقيقة البضع، قال ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون...." وهذه الحروف ثمانية وسبعون حرفاً فلا يكمل عبدٌ أسرارَ الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها.

فإن قلت: إن البِضع مجهولٌ في اللسان، فإنه من واحد إلى تسعة، فمن أين قطعت بالثمانية عليه؟

فإن شئت قُلت لك: من طريق الكشف وصلت إليه، فهو الطريق الذي عليه أسلك والركن الذي إليه أستند في علومي كلها، وإن شئت أبديت لك منه طرفاً من باب العدد، وإن كان أبو الحكم عبد السلام بن برجان لم يذكره في كتابه في هذا الباب الذي نذكره، وإنما ذكره -رحمه الله- من جهة علم الفَلك وجعله ستراً على كشفه حين قطع بفتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فكذلك إن شئنا نحن كشفنا وإن شِئنا جعلنا العدد على ذلك حجاباً، فنقول: إن البِضع الذي في سورة الروم ثمانية، وخذ عدد حروف ﴿الٓمٓ﴾ بالجمّل الصغير فتكون ثمانية، فتجمعها إلَى ثمانية البضع فتكون ستة عشر، فتزيل الواحد الذي للألف للأُس فيبقى خمسة عشر فتمسكها عندك، ثم ترجع إلى العمل في ذلك بالجُمَّل الكبير، وهو الجزم، فتضرب ثمانية البضع في أحدٍ وسبعين واجعل ذلك كله سنين يخرج لك في الضرب خمسمائة وثمانية وستون، فتضيف إليها الخمسة عشر التي أمرتك أن ترفعها فتصير ثلاثة وثمانين وخمسمائة سنة، وهو زمان فتح بيت المقدس، على قِراءة من قرأ "غَلَبَت الروم" بفتح الغين واللام "سيُغلَبون" بضم الياء وفتح اللام، وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كان ظهور المسلمين في أخذ حج الكفار، وهو فتح بيت المقدس.

ولنا في علم العدد من طريق الكشف أسرارٌ عجيبةٌ من طريق ما يقتضيه طبعه، ومن طريق ما له من الحقائق الإلهية، وإن طال بنا العمر فسأفرد لمعرفة العدد كتاباً، إن شاء الله.

فلنرجع إلى ما كنّا بسبيله فنقول فلا يكمل عبد الأسرار التي تتضمنها شِعَبُ الإيمان إلا إذا علم حقائق هذه الحروف على حسب تكرارها في السور كما أنه إذا علمها من غير تكرار علم تنبيه الله فيها على حقيقة الإيجاد وتفرد القديم سبحانه بصفاته الأزلية فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفاً مفردة مبهمة فجعل الثمانية لمعرفة الذات والسبع الصفات منّا وجعل الأربعة للطبائع المؤلفة التي هي الدم والسوداء

والصفراء والبلغم فجاءت اثنتي عشرة موجودة وهذا هو الإنسان من هذا الفلك ومن فلك آخر يتركب من أحد عشر ومن عشرة ومن تسعة ومن ثمانية حتى إلى فلك الاثنين ولا يتحلل إلى الأحدية أبداً فإنها مما انفرد بها الحق، فلا تكون لموجودِ الإله، ثم إنه سبحانه جعل أولها الألف في الخطّ والهمزة في اللفظ وآخرها النون فالألف لوجود الذات على كمالها لأنها غير مفتقرةٍ إلى حركةٍ، والنون لوجود الشطر من العالم وهو عالم التركيب وذلك نصفُ الدائرة الظاهرة لنا من الفلك والنصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو ظهرت للحس وانتقلت من عالم الروح لكانت دائرةً محيطةً ولكن أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود وجُعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها فالألف كاملة من جميع وجوهها والنون ناقصةٌ فالشمس كاملة والقمر ناقصٌ لأنه محوٌ، فصفة ضوئه معارةٌ، وهي الأمانة التي حملها، وعلى قدر محوه وسراره إثباته وظهوره ثلاثة لثلاثة فثلاثة غروب القمر القلبي الإلهي في الحضرة الأحدية، وثلاثة طلوع قمر القلب الإلهي في الحضرة الربانية، وما بينهما في الخروج والرجوع قدماً بقدم لا يختلُّ أبداً ثم جعل سبحانه هذه الحروف على مراتب، منها موصول ومنها مقطوع ومنها مفرد ومثنى ومجموع ثم نبّه أنّ في كل وصلٍ قَطعاً وليس في كل قَطعٍ وصل، فكل وصلٍ يدل على فصل، وليس كل فصلٍ يدل على وصلٍ، فالوصل والفصلِ في الجمع وغير الجمع والفصل وحده في عين الفرق فما أفرده من هذه فإشارةٌ إلى فناء رسم العبد أزلاً وما ثناه فإشارة إلى وجود رسم العبودية حالاً وما جمعه فإشارة إلى الأبد بالموارد التي لا تناهي فالأفراد للبحر الأزلي والجمع للبحر الأبدي والمثنى للبرزخ المحمدي الإنساني ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١﴾ هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الأعيان أو بالبحر الذي فصله عنه وسماه بالأكوان أو بالبرزخ الذي استوى عليه الرحمن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ﴾ من بحر الأزل ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ ومن بحر الأبد ﴿وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ الروحانية ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ من الحقائق الأسمائية ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الذاتي الأقدسي ﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥﴾ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ العالم العلوي على علوه وقدسه والعالم السفلي على نزوله ونحسه كل خطرة في شأن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ وإن لم تنعدم الأعيان ولكنها رحلة مَن دَنَا إلى دان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ منكم إليكم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢﴾[سورة الرحمن] فهكذا لو اعتُبر القرآن ما اختلف اثنان ولا ظهر خصمان ولا تناطح عنزان فدبروا آياتكم ولا تخرجوا عن ذاتكم فإنْ كان ولا بد فإلى صفاتكم فإنه إذا سلم العالم من نظركم وتدبيركم كان على الحقيقة تحت تسخيركم ولهذا خلق، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] والله يرشدنا وإياكم إلى ما فيه صلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، إنه ولي كريم.

وصل: الألف من ﴿الٓمٓ﴾ إشارة إلى التوحيد، والميم للملك الذي لا يهلك، واللام بينهما واسطة لتكون رابطةً بينهما، فانظر إلى السطر الذي يقع عليه الخط من اللام فتجد الألف إليه ينتهي أصلها وتجد الميم منه يبتدئ نشؤها ثم تنزل من أحسن تقويم وهو السطر إلى أسفل سافلين منتهى تعريق الميم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٤-٥] ونزول الألف إلى السطر مثل قوله ﷺ: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" وهو أولُ عالم التركيب لأنه سماء آدم عليه السلام ويليه فلك النار فلذلك نزل إلى أول السطر فإنه نزل من مقام الأحدية إلى مقام إيجاد الخليقة نزول تقديسٍ وتنزيه

لا نزول تمثيل وتشبيه وكانت اللام واسطة وهي نائبةٌ مناب المكوّن والكون فهي القدرة التي عنها وُجد العالم فأشبهت الألف في النزول إلى أول السطر ولما كانت ممتزجة من المكون و الكون فإنه لا يتصف بالقدرة على نفسه وإنما هو قادر على خلقه فكان وجه القدرة مصروفاً إلى الخلق ولهذا لا يثبت للخالق إلا بالخلق فلا بد من تعلّقها بهم علواً وسفلاً، ولما كانت حقيقتها لا تتمّ بالوصول إلى السطر فتكون والألف على مرتبةٍ واحدةٍ طلبت بحقيقتها النزول تحت السطر أو على السطر كما نزل الميم فنزلت إلى إيجاد الميم و لم يتمكن أن تنزل على صورة الميم فكان لا يوجد عنها أبداً إلا الميم فنزلت نصف دائرة حتى بلغت إلى السطر من غير الجهة التي نزلت منها فصارت نصف فلك محسوس يطلب نصف فلك معقول فكان منهما فلكٌ دائر فتكون العالم كله من أوله إلى آخره في ستة أيام أجناساً من أول يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة وبقي يوم السبت للانتقالات من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام والاستحالات من كون إلى كون ثابت على ذلك لا يزول ولا يتغير ولذلك كان الوالي على هذا اليوم البرد واليبس وهو من الكواكب زحل فصار ﴿الٓمٓ﴾ وحده فلكاً محيطاً من دار به علم الذات والصفات والأفعال والمفعولات فمن قرأ ا لم بهذه الحقيقة والكشف حَضَر بالكل للكل مع الكل فلا يبقى شيء في ذلك الوقت إلا يشهده لكن منه ما يُعلم ومنه ما لا يُعلم فتنزه الألف عن قيام الحركات بها يدل أن الصفات لا تُعقل إلا بالأفعال كما قال ﷺ: "كان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان" فلهذا صرفنا الأمر إلى ما يعقل لا إلى ذاته المنزهة، فإن الإضافة لا تُعقل أبداً إلا بالمتضايفين، فإن الأبوة لا تعقل إلا بالأب والابن وجوداً وتقديراً وكذلك المالك والخالق والبارئ والمصوّر وجميع الأسماء التي تطلب العالم بحقائقها وموضع التنبيه من حروف ﴿الٓمٓ﴾ عليها في اتصال اللام الذي هو الصفة بالميم الذي هو أثرها وفعلها، فالألف: ذاتٌ واحدة لا يصح فيها اتصال شيء من الحروف ، إذا وقعت أولاً في الخط فهي الصراط المستقيم، الذي سألته النفس في قولها: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ﴾ التنزيه والتوحيد، فلما أمّن على دعائها ربها الذي هو الكلمة الذي أُمرت بالرجوع إليه في سورة الفجر قبلَ تعالى تأمينه على دعائها فأظهر الألف من ﴿الٓمٓ﴾ عقيب: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وأخفى آمين لأنه غيب من عالم الملكوت، من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الغيب المتحقّق الذي:

يسمونه العامة من الفقهاء: الإخلاص. **وتسميه الصوفية**: الحضور.

وتسميه المحققون: الهمة. **ونسميه أنا وأمثالنا**: العناية.

لو ما كانت الألف متّحدةً في عالم الملكوت والشهادة ظهرت فوقع الفرق بين القديم والمحدث، فانظر فيما سطّرناه ترَ عجباً، ومما يؤيد ما ذكرناه من وجود الصفة المد الموجود في اللام والميم دون الألف، فإن قال صوفي: وجدنا الألف مخطوطة والنطق بالهمزة دون الألف فلمَ لا يُنطق بالألف؟ فنقول: وهذا أيضاً مما يعضد ما قلناه، فإن الألف لا تقبل الحركة، فإن الحرف مجهول ما لم يُحرك فإذا حُرك مُيّز بالحركة التي تتعلق به من رفعٍ ونصبٍ وخفضٍ والذات لا تُعلم أبداً على ما هي عليه، فالألف الدال عليها الذي هو في عالم الحروف خليفةً كالإنسان في العالم مجهول أيضاً كالذات، لا تقبل الحركة فلما لم تقبلها لم يبقَ إلا أن تُعرف من جهة سلب الأوصاف عنها، ولما لم يمكن النطق بساكنٍ نَطقْنَا باسم الألف بالألف فنَطَقنا بالهمزة بحركة الفتحة، فقامت الهمزة مقام المبدع الأول، وحركتها صفته العلمية، ومحل إيجاده في اتصال الكاف بالنون.

فإن قيل: وجدنا الألف التي في اللام منطوقاً بها، ولم نجدها في الألف؟ قلنا: صدقت لا يقع النطق بها إلا بمتحرك مشبع التحرك قبلها موصولة به، وإنما كلامنا في الألف المقطوعة التي لا يُشبع الحرف الذي قبلها حركته فلا يظهر في النطق وإنْ رُقمت مثل ألف ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[الأنفال: ٢] فهذان ألفان بين ميم "إنما" وبين "لام" المؤمنين موجودتان خطاً غير ملفوظٍ بهما نُطقاً، وإنما الألف الموصولة التي تقع بعد الحرف مثل لام هاء حاء وشبهها فإنه لولا وجودها ما كان المد لواحدٍ من هذه الحروف فمدها هو سر الاستمداد الذي وقع به إيجاد الصفات في محل الحروف ولهذا لا يكون المد إلا بالوصل فإذا وُصل الحرف بالألف من اسمه الآخر امتد الألف بوجود الحرف الموصول به ولما وُجد الحرف الموصول به افتقر إلى الصفة الرحمانية، فأعطيَ حركة الفتح التي هي الفتحة فلما أُعطيها طلب منه الشكر عليها فقال: وكيف يكون الشكر عليها؟ قيل له: أنْ تُعلِم السامعين بأن وجودك ووجود صفاتك لم يكن بنفسك، وإنما كان من ذات القديم تعالى فاذكره عند ذكرك نفسك، فقد جعلك بصفةِ الرحمة خاصة دليلاً عليه، ولهذا قال: "إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن" فنطقت بالثناء على مُوجدها فقالت لام ياء هاء حاء طاء فأظهرت نطقاً ما خفي خطاً لأن الألف التي في طه، وحم، وطس، موجودة نطقاً خفيَت خطاً لدلالة الصفة عليها وهي الفتحة صفة افتتاح الوجود فإن قال وكذلك نجد المد في الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها فهي أيضاً ثلاثُ ذواتٍ فكيف يكون هذا وما ثم إلا ذاتٌ واحدة فنقول: نعم، أما المد الموجود في الواو المضموم ما قبلها في مثل: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[القلم: ١] والياء المكسور ما قبلها مثل الياء من [طس] وياء الميم من [حم] فمن حيث أن الله تعالى جعلهما حرفي عِلة وكل عِلة تستدعي معلولها بحقيقتها وإذا استدعت ذلك فلا بد من سِر بينهما يقع به الاستمداد والإمداد فلهذا أُعطيت المد وذلك لما أودع الرسول الملكي الوحي لو لم يكن بينه وبين الملقي إليه نسبة ما، ما قبل شيئاً لكنه خفي عنه ذلك فلما حصل له الوحي ومقامه الواو لأنه روحاني علوي والرفع يعطي العُلوّ وهو باب الواو المعتلة فعبرنا عنه بالرسول الملكي الروحاني جبريل كان أو غيره من الملائكة ولما أودع الرسول البشري ما أودع من أسرار التوحيد والشرائع أُعطي من الاستمداد والإمداد الذي يمد به عالم التركيب وخفي عنه سر الاستمداد ولذلك قال: ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ﴾[الأحقاف: ٩] وقال: ﴿أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف: ١١٠] ولما كان موجوداً في العالم السفلي عالم الجسم والتركيب أعطيناه الياء المكسور ما قبلها المعتلة وهي من حروف الخفض فلما كانا علتين لوجود الأسرار الإلهية من توحيد وشرع وَهَبَا سر الاستمداد فلذلك مدتا وأما الفرق الذي بينهما وبين الألف فإن الواو والياء قد يُسلبان عن هذا المقام فيحركان بجميع الحركات كقوله: "ووجدك" و"تؤوى" و"ولوا الأدبار" "ينأون" "يغنيه" ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ﴾ وقد يسكنان بالسكون الحي كقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ﴾[الزمر: ٣٠] ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾[الأنعام: ٢٦] وشبههما، والألف لا تحرك أبداً ولا يوجد ما قبلها أبداً إلا مفتوحاً فإذاً فلا نسبة بين الألف وبين الواو والياء فمهما حركت الواو والياء فإن ذلك مقامها، ومن صفاتها، ومهما أُلحقتا بالألف في العِلّية فذلك ليس من ذاتها وإنما ذلك من جانب القديم سبحانه لا يحتمل الحركة ولا يقبلها ولكن ذلك من صفة المقام وحقيقته الذي نزلت به الواو والياء فمدلول الألف قديم والواو والياء محركتان كانتا أو لا محركتان فهما حادثان فإذا ثَبت هذا فكلُّ ألف أو واو، أو ياء ارتقمت، أو حصل النطق بها فإنما هي دليل وكل دليلٍ محدَث يستدعي محدثاً والمحدث لا يحصره الرقم ولا النطق إنما هو

غيب ظاهر وكذلك "يس" و "ن" فنجده نطقاً وهو ظهوره ولا نجده رقماً وهو غيبه وهذا سبب حصول العلم بوجود الخالق لا بذاته وبوجود ليس كمثله شيء لا بذاته.

واعلم أيها المتلقي أنه كل ما دخل تحت الحصر فهو مبدَعٌ أو مخلوق وهو محلك لا تطلب الحق لا من داخل ولا من خارج إذ الدخول والخروج من صفات الحدوث فانظر الكل في الكل تجد الكل فالعرشُ مجموع والكرسي مفروق.

يـــا طالبـــاً لوجـــودِ الحـــق يُدركـــه ارجـــع لـــذاتك فيـــكَ الحـــق فـــالتزمِ

﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾[الحديد: ١٣]، فلو لم يرجعوا لوجدوا النور فلما رجعوا باعتقاد القطع ضُرب بينهم بالسور وإلا لو عرفوا من ناداهم بقوله: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ لقالوا: أنت مطلوبنا ولم يرجعوا، فكان رجوعهم سببُ ضرب السور بينهم فبَدت جهنم ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٩٤] وبقي الموحدون يمدون أهل الجنان بالولدان والحور الحسان من حضرة العيان فالوزير محل صفات الأمير والصفة التي انفرد بها الأمير وحده هي سر التدبير الذي خرجت عنه الصفات فعلم ما يصدر له وتقرر أن الألف هي ذات الكلمة واللام ذات عين الصفة والميم عين الفعل وسرهم الخفي هو الموجد إياهم.

وصل: فنقول: فقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾[البقرة: ٢] بعد قوله: ﴿ الٓمٓ ﴾ إشارة إلى موجود بيد أن فيه بعد أو سبب البعد لما أشار إلى الكتاب وهو المفروق محل التفصيل وأدخل حرف اللام في ذلك وهي تؤذن بالبعد في هذا المقام والإشارة: نداء على رأس البُعد عند أهل الله، ولأنها أعني اللام من العالم الوسط فهي محل الصفة إذ بالصفة يتميز المحدث من القديم وخَص خطاب المفرد بالكاف مفردة لئلّا يقع الاشتراك بين المبدعات وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلمنا على قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢] من كتاب الجمع والتفصيل (تفسير القرآن) أي اخلع اللام والميم تبقَ الألف المنزهة عن الصفات ثم حال بين الزال الذي هو الكتاب محل الفرق الثاني، وبين اللام التي هي الصفة محل الفرق الأول التي بها يقرأ الكتاب بالألف التي هي محل الجمع لئلا يتوهم الفرق الخطاب من فرق آخر فلا يبلغ إلى حقيقةٍ أبداً ففصل بالألف بينهما فصار حجاباً بين الذال واللام فأرادت الذال الوصول إلى اللام فقام لها الألف، فقال: بي تصل، وأرادت اللام ملاقاة الذال لتؤدي إليها أمانتها فتعرّض لها أيضاً الألف، فقال لها: بي تلقاه فمهما نظرت الوجود جمعاً وتفصيلاً وجدت التوحيد يصحبه لا يفارقه البتة صحبة الواحد الأعداد، فإن الاثنين لا توجد أبداً ما لم تُضَف إلى الواحد مثله وهو الاثنان ولا تصح الثلاثة ما لم تزد واحداً، لو نقص من الألف واحد انعدم اسم الألف وحقيقته وبقيت حقيقة أخرى وهي تسعمائة وتسعة وتسعون لو نقص منها واحد لذهب عينها فمتى انعدم الواحد من الشيء عدم ومتى ثبت وجد ذلك الشيء هكذا التوحيد إنْ حقّقته ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[الحديد: ٤] فقال: "ذا" وهو حرف مبهم فبين ذلك المبهم بقوله: ﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ وهو حقيقةُ ذا، وساق الكتاب بحرفي التعريف والعهد، وهما الألف واللام من ﴿ الٓمٓ ﴾ غير أنهما هنا من غير الوجه الذي كانتا عليه في ﴿ الٓمٓ ﴾ فإنهما هناك في محل الجمع وهما هنا في أول باب من أبواب التفصيل ولكن من تفصيل سرائر هذه السورة خاصة لا في غيرها من السور هكذا ترتيب الحقائق في الوجود فذلك الكتاب هو الكتاب المرقوم لأن أمّهات الكتب ثلاثة: الكتاب المسطور، والكتاب المرقوم، والكتاب المجهول.

وقد شرحنا معنى الكتاب والكاتب في كتاب: "التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية" في الباب التاسع منه فانظره هناك.

فنقول: إن الذوات وإنْ اتحد معناها فلا بد من معنًى به يفرق بين الذاتين يسمّى الوصف فالكتاب المرقوم موصوف بالرقم والكتاب المسطور بالتسطير وهذا الكتاب المجهول الذي سُلب عنه الصفة لا يخلو من أحد وجهين إما أن يكون صفةً ولذلك لا يوصف وإما أن يكون ذات غير موصوفةٍ والكشف يعطي أنه صفة تسمى العلم، وقلوب كلمات الحق محله، ألا تراه يقول: ﴿ الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[السجدة: ١-٢] ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾[النساء: ١٦٦] فخاطب الكاف من ذلك بصفة العلم الذي هو اللام المخفوضة بالنزول لأنه يتنزه عن أن تدرك ذاته فقال للكاف التي هي الكلمة الإلهية ذلك الكتاب المنزل عليك هو علمي لا علمك لا ريب فيه عند أهل الحقائق أنزله في معرض الهداية لمن اتقاني وأنت المنزل فأنت محله، ولا بد لكل كتاب من أم، وأمه ذلك الكتاب المجهول لا تعرفه أبدا لأنه ليس بصفة لك ولا لأحد، ولا ذات وإن شئت أن تحقق هذا فانظر إلى كيفية حصول العلم في العالم، أو حصول صورة المرئي في الرائي فليست وليس غيرها فانظر إلى درجات حروف لا ريب فيه هدى للمتقين ومنازلها على حسب ما نذكره بعد الكلام الذي نحن بصدده وتدبَّر ما بَثَثْتُهُ لك وحُل عقدة لام الألف من لا ريب تصير ألفان لأن تعريقةَ اللام ظهرت صورتها في نون المتقين وذلك لتأخر الألف عن اللام من اسمه الآخر وهي المعرفة التي تحصل للعبد من نفسه في قوله ﷺ: من عرف نفسه عرف ربه، فقدم معرفة اللام على معرفة الألف فصارت دليلاً عليه و لم يمتزجا حتى يصيرا ذاتاً واحدةً بل بانَ كل واحد منهما بذاته ولهذا لا يجتمع الدليل والمدلول ولكن وجهُ الدليل هو الرابط وهو موضع اتصال اللام بالألف فاضرب الألفين (اا) أحدهما في الآخر تصح لك في الخارج ألف واحدةٌ (آ) وهذا حقيقة الاتصال كذلك اضرب المحدَث في القديم حساً يصح لك في الخارج المحدَث ويخفى القديم بخروجه وهذا حقيقة الاتصال والاتحاد ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾[البقرة: ٣٠] وهذا نقيض إشارة الجُنيد في قوله للعاطس: إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثرٌ لاختلاف المقام، ألا ترى كيف اتصل لام الألف من لا ريب فيه من الكرسي فبدت ذاتان [لآ] جُهِلَ سر العقد بينهما ثم فصلهما لعرش عند الرجوع إليه والوصول فصارت على هذا الشكل آل فظهرت اللام بحقيقتها لأنه لم يقم بها مقام الاتصال والاتحاد من يردّها على صورته فأخرجنا نصف الدائرة من اللام التي خفيت في لام الألف إلى عالم التركيب والحس فبقيت ألفان [اا] في الفرق فضربنا الواحد في الواحد وهو ضرب الشيء في نفسه فصار واحداً فلبس الواحد الآخر فكان الواحد رداءً وهو الذي ظهر وهو الخليفة المبدع بفتح الدال وكان الآخر مرتدياً وهو الذي خفي وهو القديم المبدع فلا يعرف المرتدي إلا باطن الرداء وهو الجمع وسر الرداء على شكل المرتدي فإن قلت واحد صدقت وإن قلت ذاتان صدقت عيناً وكشفاً، ولله درّ من قال:

رقّ الزجـــــــــاج ورقــــــــــت الخمــــــــــر	فتشـــــــــاكلا فتشـــــــــابه الأمــــــــــر

وأما ظاهر الرداء فلا يعرف المرتدي أبداً وإنما يعرف باطن ذاته وهو حجابه فكذلك لا يعلم الحق إلا العلم كما لا يحمده على الحقيقة إلا الحمد وأما أنت فتعلمهُ بوساطة العلم وهو حجابك فإنك ما تشاهد إلا العلم القائم بك وإن كان مطابقاً للمعلوم وعلمك قائم بك وهو مشهودك ومعبودك

فإياك أن تقول إن جريت على أسلوب الحقائق إنك علمت المعلوم، وإنما علمت العلم، والعلم هو العالم بالمعلوم، وبين العلم والمعلوم بحورٍ لا يدرك قعرها فإن سرّ التعلّق بينهما مع تباين الحقائق بحرٌ عسير مركبه بل لا تركبه العبارة أصلاً ولا الإشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة دقيقة لا يحس بها أنها على عين بصيرته لرقتها وهي عسيرة المدرك فأحرى من خلقها فانظر أين هًو من يقول إني علمت الشيء من ذلك الشيء محدثاً كان أو قد يماثل ذلك في المحدث و أما القديم فأبعدَ وَأبعَد إذ لا مِثل له فمن أين يتوصل إلى العلم به أو كيف يحصل وسيأتي الكلام على هذه المسألة السَّنية في الفصل الثالث من هذا الباب، فلا يعرف ظاهر الرداء المرتدي إلا من حيث الوجود بشرط أن يكون في مقام الاستسقاء ثم يزول ويرجع لأنها معرفة علةٍ لا معرفة جذب وهذه رؤية أصحاب الجنة في الآخرة وهو تجلّ في وقت دون وقت وسيأتي الكلام عليه في باب الجنة من هذا الكتاب وهذا هو مقام التفرقة، وأما أهل الحقائق باطن الرداء فلا يزالون مشاهدين أبداً ومع كونهم مشاهدين فظاهرهم في كرسي الصفات ينعم بمواد بشرة الباطن نعيم اتصال، وانظر إلى حكمته في كون ذلك مبتدأ و لم يكن فاعلاً ولا مفعولاً لما لم يسم فاعله لأنه لا يصح أن يكون فاعلاً لقوله: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢]، فلو كان فاعلاً لوقع الريب لأن الفاعل إنما هو منزله لا هو فكيف ينسب إليه ما ليس بصفته لأن مقام الذال أيضاً يمنع ذلك فإنه من الحقائق التي كانت ولا شيء معها ولهذا لا يتصل بالحروف إذا تقدم عليها كالألف، وأخواته الدال والراء والزاي والواو ولا يقول فيه أيضاً مفعول لم يسمّ فاعله لأنه من ضرورته أن يتقدمه كلمة على بنية مخصوصة محلها النحو والكتاب هنا نفس الفعل والفعل لا يقال فيه فاعل ولا مفعول وهو مرفوع فلم يبق إلا أن يكون مبتدأ، ومعنى مبتدأ لم يعرف غيره من أول وهلة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فإن قيل: من ضرورةِ كل مبتدأ أن يعمل فيه ابتداء، قلنا: نعم عمل فيه أم الكتاب فهي الابتداء العاملة في الكتاب والعامل في الكل حَقاً و خلقاً الله الرب، ولهذا نبَّه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ فشكرك، ثم قال: ﴿ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[لقمان: ١٤] فوحد، فالشكر من مقام التفرقة فكذلك ينبغِي لك أن تشكر الرداء لما كان سبباً موصلاً إلى المرتدي والمصير من الرداء ومنك إلى المرتدي كلٌّ على شاكلته يصل فتفَّهم ما قلناه وفرّق بين مقام الذال والألف وإن اشتركا في مقام الوحدانية المقدسة قبلية حالاً ومقاماً وبعدية مقاماً لا حالاً.

تنبيه: قال: "ذلك" و لم يقل: "تلك آيات الكتاب" فالكتاب للجمع والآيات للتفرقة وذلك مذكر مفرد وتلك مفرد مؤنث فأشار تعالى بذلك الكتاب أولاً لوجود الجمع أصلاً قبل الفرق ثم أوجد الفرق في الآيات كما جمع العدد كله في الواحد كما قدمناه فإذا أسقطناه انعدمت حقيقة ذلك العبد دوماً بقي للألف أثر في الوجود وإذا أبرزناه برزت الألف في الوجود فانظر إلى هذه القوة العجيبة التي أعطتها حقيقة الواحد الذي منه ظهرت هذه الكثرة إلى ما لا يتناهى وهو فردٌ في نفسه ذاتاً واسماً ثم أوجد الفرق في الآيات، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، ثم قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] فبدأ بالجمع الذي هو كل شيء، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] من كل شيء في الألواح مقام الفرق من كل شيء إشارة إلى الجمع موعظةً وتفصيلاً رد إلى الفرق لكل شيء رد إلى الجمع فكل موجود أي موجود كان عموما لا يخلو أن يكون إما في عين

الجمع أو في عين الفرق لا غير ولا سبيل أن يعرى عن هاتين الحقيقتين موجود ولا يجمعها أبداً فالحق والإنسان في عين الجمع والعالم في عين التفرقة لا يجتمع كما لا يفترق الحق أبداً كما لا يفترق الإنسان، فالله سبحانه لم يزل في أزله بذاته وصفاته وأسمائه لم يتجدد عليه حال، ولا ثبت له وصف من خلق العالم، لم يكن قبل ذلك عليه بل هو الآن على ما كان عليه قبل وجود الكون كما وصفه ﷺ حين قال: "كان الله ولا شيء معه" وزيد في قوله: "وهو الآن على ما عليه كان"، فاندرج في الحديث ما لم يقله ﷺ ومقصودهم أي الصفةَ التي وجبت له قبل وجود العالم هو عليها، والعالم الموجود، وهكذا هي الحقائق عند من أراد أن يقف عليها فالتذكير في الأصل، وهو آدم قوله ذلك، والتأنيث في الفرع، وهو حواء قوله تلك، وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في "كتاب الجمع والتفصيل (تفسير القرآن)" الذي صنفناه في معرفة أسرار التنزيل فآدم لجميع الصفات، وحواء لتفريق الذوات إذ هي محل الفعل والبذر، وكذلك الآيات محل الأحكام والقضايا وقد جمع الله تعالى معنى ذلك وتلك في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] فحروف (الم) رقماً ثلاثة وهو جماع عالمها، فإن فيها الهمزة وهي من العالم الأعلى واللام وهي من العالم الوسط، والميم وهي من العالم الأسفل، فقد جمع (الم) البرزخ والدارين والرابط والحقيقتين، وهي على النصف من حروف لفظه من غير تكرار، وعلى الثلاث بغير تكرار وكل واحد منهما ثلث كل ثلاث، وهذه كلها أسرار تتبعناها في "كتاب المبادي والغايات" وفي "كتاب الجمع والتفصيل (تفسير القرآن)" فليكفِ هذا القدر من الكلام على "الم البقرة" في هذا الباب بعدما رغبنا في ترك تقييد ما تجلى لنا في الكتاب والكاتب، فلقد تجلّى لنا فيه أمور جسامٌ مهولة رمينا الكراسة من أيدينا عند تجليها، وفررنا إلى العالم حتى خفّ عنّا ذلك، وحينئذٍ رجعنا إلى التقييد في اليوم الثاني من ذلك التجلي وقبلت الرغبة فيه، وأمسك علينا ورجعنا إلى الكلام على الحروف حرفاً حرفاً كما شرطناه أولاً في هذا الباب رغبةً في الإيجاز والاختصار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

كتاب بلغة الغواص في الأكوان إلى معدن الإخلاص في معرفة الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، لو ذكرتُ تفسيره لرجمتموني بالحجارةِ.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وقد أومأ إلى صدرهِ: (هاه كم هنا علومٌ، لو وجدتُ لها حَمَلة) وفي روايةٍ: "إنّ هاهنا لعلماً جمّاً، لو أصبتُ له حَمَلَةً"، بلى قد أصبتُ لَقِناً غير مأمونٍ عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، مستظهراً بنعم الله على عباده، بحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملةِ الحقّ، لا بصيرةً له بجنانه، بل يقدح الشكّ في قلبه لأول عارضٍ من شبهةٍ، لا أحب ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللذة، سلس الانقياد بالشهوة، أو مغرماً بالجمع والادخار، ليسوا من دعاة الدين في شيء، أقربُ شبهاً بالأنعام السائمةِ، كذلك يموت العلمُ بموت حامليه، اللهمّ بل لا تخلو الأرضُ من قائم للّٰه بحجته، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خافياً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته، فأين أولئك؟ أولَئك الأقلّون عدداً، الأجلّون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حججه وبيّناته، حتّى يودعوها في نظائرهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، فباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ، أرواحها معلّقةٌ بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاءُ الله في أرضه، والدعاة إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم.

ومثل ذلك اشتهر عن علي بن الحسين عليهما السلام:

إنـــي لأكـــتم مـــن علمـــي جـــواهرهُ	كـــي لا يـــرى الحـــق ذو جهـــلٍ فيفتتنـــا
وقـــد تقـــدم فـــي هـــذا أبـــو حســـن	إلـــى الحســـين وأوصـــى قبلـــه الحســـنا
يـــا رُبّ جـــوهر علـــمٍ لـــو أبـــوحُ بـــه	لقيـــل لـــي أنـــت ممـــن يعبـــد الوثنـــا
ولاســـتحلّ رجـــالٌ مســـلمون دمـــي	يـــرون أقـــبح مـــا يأتونـــه حســـنا

هذا في زمانهم، فما ظنّك في هذا العصر الذي لم يكد يبقَ فيه من الدين إلا رسمه، ولا من العلم إلا اسمه، فإذا كان أولئك الذين اهتدى بهم من اهتدى، وضلّ بهم من ضلّ، فمن أين يبقى أحدٌ يفهم التنزيل العزيز والسنّة، إلا بتأييدٍ إلهيٍّ، واختصاصٍ ربّاني، فانظر بإنصافٍ هداك الله فيما ذكرته لك، لعلّك تستعين به إن شاء الله على التوقف عن الإنكار، وإقامة عذر المنكر فيما لم يفهمه إن فهمتَ، وعلى الله قصد السبيل.

فصل: اعلم أنّ الله سبحانه بلطيف حكمته، أوجد الوجود رتقاً ثم فتقه، كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فالرتق اتحاد الشيء وانجماعه، والفتقُ: هو افتراقه وامتيازه، فحالة الرتق، هي كون العالم بأسره عقلاً محضاً، وحالة الفتق، هي امتيازه عوالم، كما جاءت الأخبار الصحيحة حيث أخبر صلى الله عليه وآله: "إنّ أول ما خلق الله عزّ وجل درّة بيضاء....الحديث"، فتلك الدرة هي العقل الذي أخبر به صلى الله عليه وآله: "أول ما خلق الله العقل"، وذلك العقل هو نور رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أخبر عنه فيما رواه جابر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن أول

شيء خلقه الله تعالى فقال: "هو نور نبيّك يا جابر خلقه الله تعالى، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قدّامه في مقام القرب اثنا عشر ألف سنة، ثم جعله أربعةً أقسام، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ اثنا عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام، فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنا عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء، فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنا عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء، فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنا عشر ألف سنة، ثم نظر الله عزّ وجل إليه، فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألف وأربعة آلاف قطرة من النور، فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي أو رسول، ثم تنفّست أرواح الأنبياء، فخلق الله من أنفاسهم الأولياء، والشهداء، والصلحاء والسعداء والمطيعين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من الملائكة من نوري والجنّة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السماوات السبع من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل من نوري، والعلم والحلم من نوري، والعصمة والتوفيق من نوري، وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاب، فأقام الله من نوري، وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية والسكينة والهيبة والصدق واليقين، فغمر الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما خرج النور من الحجب زكّاه الله في الأرض، فكان يضيء منها ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض فركّب فيه من النور في جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهرٍ إلى طيّب، ومن طيّبٍ إلى طاهرٍ، إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى رحمٍ أمّي آمنة، ثم أخرجنّي إلى الدنيا، فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين ورحمةً للعالمين وقائد الغرّ المحجلين، هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر" فقد تبيّن لك بهذا الحديث أنه ﷺ كل العالم، وأنّ كل جزء من العالم مظهرٌ له من حيث اتحاده، وجزءٌ منه بعضه، وغيره من حيث امتيازه وانفراده، ونوره الذي هو العقل أصل العالم كما مر فإنه قد اندرجت السماوات والأرض والجنة والنار في هذا الحديث، إذ قد ذُكر العرش والكرسي، ولا تستبعد ذلك لأجل ما دخل في ضمن ذلك من الأشياء السخيفة عندك كالنار والفجار والكفار، فإنك تعلم أن آدم مجموع البشر، برّهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، من حيث هم أجزاؤهُ، ورفيعهم ووضيعهم، وذَكرهم وأُنثاهم ، وإنه من حيث شبحه بعد امتياز الذرية عنه بعضه، وإنما بقي الاسم عليه ببقاء الصورة على حالها الظاهر بعد افتراقهم عنه، وأنهم أجزاؤه وأبعاضه وأغياره وليسوا بأغياره، وهو وليسوا هوَ ثم شرَّف كل شريفٍ منهم شرف له، فهو في صورة أشرف منه في صورة أخرى كالرسل والأنبياء، فظهر لك بهذا أنّ الإنسان الصغير الذي هو آدم وذريّته ثمرة العالم إذ بذره العقل، فهو عقلٌ إذ الثمرة هي البذر المتضمّنٍ للشجرة والثمرة، فشجرته أجزاء العالم بعد امتيازهم عنه من حيث الأشباح، ولذلك استجدوا أسماءَ أُخَر، وإنه أشرف من غيره ممّن امتاز عنه من ذريّته، فنزل عن صفته فلم يعد إليها لا ممّن بقي على صفته إن كان، أو ممّن نزل عنها فارتفع عليها، كما قيل في مدح سيدنا محمد ﷺ:

تخيّـــــــــــــرك الله مـــــــــــــن آدمٍ فـــــــلا زلــــــتَ مُنحــــــدراً ترتقـــــــي

وأنّ شرفَ كل شريف منهم شرفٌ له، فهو في صورة أشرف منه في صورة أخرى كالرسل والأنبياء بالنسبة إلى الأولياء، والأولياءُ بالنسبة إلى من سوى الرسل والأنبياء، فإنّ كلّ واحدٍ منهم هو مظهر لآدم هو جزؤه وعينه من حيث الاتحاد، وبعضه وغيره من حيث الامتياز عن المجموع، فكذلك محمد ﷺ مجموع العالم من حيث أن العالم أجزاؤه، وهو مفترق ما بين حجاب ومحجوب، وفاضلٍ ومفضول لما نذكره بعده، وهو بعض العالم من حيث امتيازه بصورته المحمدية، وأجزاء العالم أبعاضه وأغياره، وهو وليست هو، وهو في بعض العالم أشرف منه في بعض، فشرفُ كل شريفٍ شرفٌ له، وهو مبتدأ من حيث روحانيّته التي هي العقل المحض الأول المُعبّر عنه بالقلم الأعلى في الحديث الآخر حيث قال عليه السلام: "إن أول ما خلق الله القلم" أشرف من غيره بما امتاز عنه، فلم يبلغ درجته و لم يبقَ على وصفه.

فصل: استبان لك أن الإنسان الصغير الذي هو آدم وذريته ثمرة العالم إذ بذره العقل فهو عقلٌ، إذ الثمرة هي البذر المتضمّن للشجرة والثمرة فشجرته أجزاء العالم، شهد بذلك الذوق والشهود والكتاب والسنّة، فأما الذوق والشهود فموقوفٌ على أهله، وأما السنّة فما ذكرت لك آنفاً، وأما الكتاب فقوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ [الانعام: ٩٧] وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝﴾ [النبأ: ١٠-١١]، إلى آي كثيرةٍ تشهد بتصديق الحديث النبوي، وتصديق ما جاء في الإسرائيليات: "ابن آدم خلقتُ كل شيء لأجلك وخلقتك لأجلي"، فعدّ تعالى أجزاء العالم وأخبر أنها مجعولة للإنسان، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝﴾ [الطلاق: ١٢]، فلا جَرَمَ علمنا أن المخلوق من الأرض مثل السماوات هو صورة الإنسان، لأنه لو كان المراد به الأرضِين لم يقل من الأرض، لأن من للتبعيض، وصورته موازيةٌ للسماوات التي هي صورة روحها العقل، وقوله: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ هو أرواحهنّ قال سبحانه: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وعلمنا أن الإنسان عين العالم فإنه مخلوقٌ منه، وإنما امتاز عنه بهذا التأليف المخصوص كامتياز كوز من جمد الماء مليء ماءً، عن الماء باليبوسة العارضة له وهو عين الماء، ولذلك كان وجوده أيضاً رتقاً ثم فتق بتميّزه.

ولهذا التأليف الذي امتاز به كان سر الوجود وختمه، إذ بدايته العقل، وأعني بالختم الصورة الآدمية ما بقيت وكانت مرآة الوجود، فكان بذلك الإنسان عرش الله، أعني بالإنسان –هاهنا– الوجود المطلق من حيث اعتبار الصورة الإنسانية فيه والإنسان الكامل، وإلى هذا التأليف ولأجله سجدت الأكوان للمتجلي، فإنه لو لم يوجد على هذه الصورة لم تتسع الأكوان للتجلي، إذ هو الأمانة المعروضة على السماوات والأرض، وهو سرّ الخلافة ولذلك قال سبحانه أنه خلق هذا الخلق على هذه الصفة، ليعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فدلّ بإخباره أنّه خلق هذا الوجود، ليعلمَ به على كمال وجود القدرة، وسعة الإحاطة العلمية على مطابقته في الكمال والسعة والارتباط والمقابلة ولو لم يكن الإنسان عين العالم لما كان يُدرك هذا العلم بالعالم ولذلك خصّه الله سبحانه بالسعة حيث أخبر أنه لم تسعه سماواته ولا أرضه ووسعه قلب المؤمن من نوع الإنسان ولما كان الأمر كذلك قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [الشورى: ١١]، فالكاف بهذا الاعتبار أصلية وليست زائدة والمثل المشبه هو الكون الذي ظاهره السماوات والأرض والعرش والكرسي، وباطنه العقل الأول، والمثل المنزّه هو الكون الثاني المخلوق على الصورة التي هي الكون

الأول المذكور آنفاً، فالمثل المنزّه هو الإنسان، ولذلك عبّر عن نفسه سبحانه فيه بـــ "كنت سمعه الذي يسمع به.....الحديث"، فخص في السمع لا على الأذن وعلى البصر لا على العين، وفي بعض الروايات "وجنانه الذي يعقل به"، إشارة إلى الباطن، ثم قال: "ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها"، إشارة إلى الظاهر، وعبّر عن نفسه سبحانه في الكون الأول الذي هو المثل المشبه بـــ "كنت كنزاً مخفياً".

فإن أنصفت فهمت أن الإنسان هو الكون بأسره من حيث هو ثمرته، وهو سرّه من حيث انفراده عنه لأنه مرآة تجلّي الحق بالعالم بظهور أسمائه وصفاته، فقوله سبحانه: "كنت كنزاً" يشير من حيث الجملة إلى الكون المطلق قبل وجود آدم فيه ومن حيث الكون، أعني انفراده عن آدم إلى وجود بعض الكون دون بعض، إذ لا يتم التجلي التام الكامل بكل الأسماء جملة إلا بوجود آدم أعني نوع الإنسان، فإن ظهور الأسماء جملة تطلب ظهور آثارها جملةً، وظهور آثارها جملةً لا يتم ببعض الكوائن دون بعض، فإن الشيء حجابٌ لنفسه من حيث هي، هو كصداء المرآة يمنعها من تمام استجلائها نفسها فيها، أو كالمرآة نفسها لنفسها لا تتجلى لنفسها إلا على نوعٍ من المقابلة التي هي نوع من البعد، فإن المرآة لو جعلها شخصٌ على وجهه لم يتجلّى له بها وجهه تماماً مع الملاصقة، فكذا رؤية الشيء نفسه بنفسه ليس كرؤيته نفسه بشيء آخر يكون غيره أو كأنه غيره من بعض الوجوه، فالكون بهذا الاعتبار مجرداً عن آدم مرآة غير مجلوّةٍ وعدمُ جلائها هو احتجابها بذاتها فلا ترى نفسها إلا بعين الاتحاد لا بعين الامتياز فأوجد سبحانه آدم على صورة الكون غيباً باطناً، وظاهراً شهادة، فقابل بغيبه الغيب، وبشهادته الشهادة، ليتجلى فيه هذا التجلي بمجموع الأسماء، فلذلك قال: "فبي عرفوني" فالياء ضمير الكون الأول وليس الكون الأول غيره، إذ قد أخبر أنه ظاهرهم وباطنهم لا سيما وقد عمّ سبحانه في أول الحديث المروي عنه "لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل" فعمّ باسم العبودية التي تشمل الكون الذي هو الخلق لقوله سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾[مريم: ٩٣]، وقوله: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فلهذه الإحاطة قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٣]، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾[الواقعة: ٨٥]، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، فإن لم تكن ذائقاً فلا تحرم الإيمان، وإذا فهمت أن الإنسان الصغير من حيث هو ثمرة العالم الذي بذره العقل، عقلٌ مطويٌّ مدسوسٌ فيه عقولٌ مقبوضةٌ، كما أشار إليه التنزيل بقوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين: ٤]، فالإنسان هاهنا كل العالم الذي عبّر عنه بالإنسان بالكبير، فلذلك نقول: أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان من هذا العالم الذي هو الإنسان الذي العالم شجرته، والعقل الأول بذره وآدم وذريته ثمرته، فالذي هو في أحسن تقويم آدم من حيث هو كل العالم والمردود أسفل سافلين الذرية التي غلبت عليها الشهوة، والمستثنى بـــ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [التين: ٦]، آدم من حيث صورته الإبداعية الأولى ومن شاكله وقاربه وزاد عليه من ذريته، وكلا الذريتين عقولٌ مقبوضةٌ في آدم مطوية، بسطها الله سبحانه بالتنازل فآدم متضمّن لجميع الذرية، تضمُّن النواة للنخل الكثير والتمر والنوى، لا يتناهى بحسب البسط والتربية وما انبسط منها أيضاً متضمّنٌ لذلك، ثم فلاحه بعد البسط بتزكيته، وخيبته بدسه كما قال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس: ٩-١٠]

ولما كان الأمر كذلك تبين أن التزكية هي البلوغ إلى العقل والاتحاد به، إذ هذه النفوس البشرية عقول بالقوة مطوية حتى تخرج إلى الفعل، وخروجها هو الأمانة التي حملها الإنسان، فإنها تسمى نفساً من قبل ثم تصير عقلاً، وخروجها بالتزكية التي هي الطهارة، وتزكيتها وطهارتها بالأعمال الشرعية التي بها تستنير وتصفو وتشرق وتعود إلى أصلها وتتحد بالعقل الأول وربما أنفَتْ أن تكون كهو بعد تمام الدورة ودورها كالنواة مثلاً فإنها نواة بالفعل، وبالقوة نوى كثير ونخل كثَير وتمر كثير يتضمن أمثالاً له كثيرة، فإذا بسطتها التربية صار ما كان بالقوة مطويا بارزاً بالفعل وذلك تمام الدورة، ولذلك علّق الشرع التكليف بوقت حلول الشهوة لأنه زمان بروزه إلى الفعل من القوة حيث قد بلغ إلى الحالة التي تأتي منه مثله ودسّه بملازمة الأفعال الشهوانية الحيوانية والمحارم الشرعية التي تزيدها كثافة وتعلّقاً بالمحسوسات وغلظة، فتأتي في القيامة على ما وصفها الله ورسوله من الإجرام وعظم الخلق حتى يكون ضرس الكافر أكبر من أُحد ، وليس كذلك العقول الذكية فإنها تأتي على ما وصفها الله في التنزيل.

والرسل به من اللطافة في النشأة الآخرة بحيث يمكنه التشكل والتلبس بالصور من غير خلع في سوق الجنة على ما جاء الحديث به بحسب شهواتها وتختص بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فالتزكية تردها إلى أصلها كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، والدس يُنكّسها إلى أسفل سافلين إلى الأجرام الكثيفة السفلية مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل: ٧٨] فقد أفهمتك أن نطفة هذا النوع عقل مدسوس يتضمن عقولاً كما قلناه فهو يرتقي بالنمو، وينبت في البطن، ثم ينتقل إلى الحيوانية ثم فيها يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً كما قال سبحانه آنفاً حتى يبلغ أول المراتب الإنسانية وهو زمان التكليف فنفسه حينئذٍ أمّارة كنفس الطفل لا تترك شهواتها وإن عَلِمَت أنها تضرها، وبالتزكية تصير لوّامة تلوم نفسها على تورطها في شهواتها يجد الإنسان ذلك من نفسه من صغره إلى كبره، فإذا زكت وصفت اطمأنت إلى الله سبحانه فسُميت مطمئنّة، وأهل هذا الوصف يتفاوتون فأعلى وأدنى فاستبان لك أنّ حقيقة العالم في الأصل واحدة أولها العقل وآخرها الإنسان، وإن الإنسان إنسان، الإنسان قد جمع فيه أسرار العالم، إذ البذر هو متضمن الشجرة والثمرة، وإن بقاء العالم ببقائه، وإن معنى الخلافة فيه بمقابلة الإنسان الكامل الذي هو كل العالم بقوة مغناطيسيته صورة ومعنى ، إذ قد جعل سبحانه بين قواه المزاجية وبين الأرواح العلية مناسبة يحصل بسببها انفعالات شبيهة بالاستحالات من اللطافة إلى الكثافة، ومن الكثافة إلى اللطافة، كما يستحيل الماء هواء والهواء ناراً، والجسوم بالتحليل والتقطير ماء، ويستحجر الماء فينعقد، فجعل الحق سبحانه اللطيف منه مقابلاً للطيف، والكثيف مقابلا للكثيف، وجعله البداية والختم ومحل الإفشاء والكتم، وجعل قوة باطنه سبباً لضعف ظاهره وبالعكس، وما يقربه من الباطن حياة وما يلحقه بالظاهر موتاً، فسمّي لذلك العلم حياة والجهل موتاً فقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الانعام: ١٢٢]، وقال في المشركين: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النحل: ٢١] وجعل السعادة في استواء الظاهر والباطن، لأن بذلك انضباط العالم وبقاء استمداد بعضه من بعض، وإمداد بعضه بعضاً، إذ الأمر كما أفهمتك بطون من ظهور، وظهور من بطون إلى الوقت المعلوم.

فصل: وبهذا الفهم تفهم أن اختلاف المقاصد بحسب غلبة الصفات المطوية في الأكوان كلها ومن ذلك اختلاف مقاصد نوع الإنسان إذ كنا قد قلنا أن جميع الصفات مطوية فيه فما غلب عليه كان الحكم له، كما غلب في لسان الأطباء إطلاق وصف الحرارة واليبوسة على الفلفل مع أن فيه

الطبائع الأربع، وفهمت أن اختلاف الهمم باختلاف المطامع لأن الهمم متعلقة بها، وحروف الطمع كما ترى مجوفة غير منقوطة ولولا المطامع لانقطعت الهمم ولولا الهمم لبطلت الأعمال، وعلمت علماً يقيناً أن بلوغ الآمال بسياقة الأقدار، وموافقة التوفيق بالاهتمام بالمقاصد، والاستقامة على سلوكها ، وأن سياقة التوفيق بالاهتمام بها، والاستقامة على سلوك سبيلها من جملة القدر.

بيان ذلك أن راحة كل شيء في كماله وهذا مما لا يشك فيه وجماله وفضله، فالنفوس في الأصل مجبولة على الاهتمام بكمالها، وكمالها في بروزها بجميع صفاتها، وبروزها بها جميعاً في هذه الدار معاً متعذّر، لأن ظهور بعضها يقتضي بطون بعض، وبطون بعضها يقتضي ظهور بعض، فصار طريق كمالها طريق نقصها، لأنه سبحانه هو القائم على كل شيء بأسمائه وصفاته تبارك وتعالى كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤]، فمتى اتصف العبد بصفة توجه إلى وجه من وجوه أسمائه وأسماؤه تختلف باختلاف أفعاله بالعبد التي هي أفعال للعبد، كما نبّه عليه سبحانه في قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الانعام: ١٣٩]، ونبه عليه بقوله لرسوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وأخبر عنه سبحانه بصحة بصيرته في الدعوى بقوله في آخر الآية: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ليعلمنا أنه إنما يدعو إلى الله من الله لا من غيره، ولكن باختلاف أسمائه، فيدعو أهل الضلال من اسم الله المضل الذي يملي لهم برحمته إياهم في هذه الدار، واستدراجهم واللطف بهم ويخوفهم من أن يُحشروا إلى الله من حيث اسمه المنتقم القهار الجبار المتكبر، الذي ينتقم منهم في داره التي هي جهنم، ويدعو أهل الهدى من اسمه الهادي الذي يشوقهم ويخوفهم ويستعملهم في مرضاته ويرجيهم أن يُحشروا إلى الله من حيث اسمه الرحمن في داره التي هي جنة عدن، فيشهدهم في هذه الدار جلاله وانتقامه وعظمته وقهره، فيتّقوه فيها فيحشرهم إليه في داره التي هي جنة عدن ويرحمهم فيها ويلطف بهم ، ويملكهم ويخلع عليهم كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥-٨٦]، فقوله سبحانه لنبيّه أن يقول: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ينبّه عليه وجده، كأبي يزيد رضي الله عنه حيث قال: واعجباه كيف يُحشر إليه من هو جليسه، كأنه يقول: هو جليس المنتقم من حيث الخشية والتقوى فحشر إلى الرحمن والمجرم جليس الرحمن من حيث ارتكاب الهوى والتمكن منه فحُشر إلى المنتقم، وذلك بأن المحشور إلى عدن سعيد، فذكر له الاسم إذ هو في محل كشف الحجاب وبلوغ الأمل، والمحشور إلى جهنم شقي في محل العذاب، وأشد العذاب الحجاب، بل العذاب هو الحجاب ألا تراه يقول: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥]، فبدأ بالحجاب الذي هو أشد العذاب، فلأجل ذلك ذكر الاسم الرحمن للسعداء، وذكر دار المنتقم للأشقياء التي هي صورته التي يلقاهم بها لئلا يسعدوا بذكر الاسم، إذ لا يجهل أكثرهم أن المنتقم هو الرحمن، ومن ذلك قوله سبحانه: "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"

وقوله: "ومن تقرب إليّ شبراً...." الحديث، والتقرب من السبيلين، فالمتقرب على صراط الحميد إلى الرحمن، والمتقرب على صراط المغضوب عليهم إلى المنتقم، وإنما يتقرب العبد إلى الرحمن بصفات ألبسها من المنتقم القهار وهي الخشية التي للنفوس في العبودية والتقوى والعبودية والذلة فيحبّه عز وجل من حيث اسمه الرحمن، فيظهر فيه سبحانه بصفاته الرحمانية الهادية المهدية كما قال: "فإذا أحببته كنت سمعه وبصره..." الحديث، ويجعله في تلك الدار على عكس ما هو في هذه الدار، ويتقرب إلى المنتقم

بصفات ألبسه إياها الرحمن فيتظاهر بصفاته، وذلك هو الإجرام والتجبر والتكبر والإملاء كما قال سبحانه: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾[آل عمران: ١٧٨]، وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون: ٥٥-٥٦]، وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ١٨٢]، وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦]، فلذلك يُحشر إلى المنتقم في داره التي هي جهنم فيظهر فيه بالصفات الجبروتية القهرية كما ظهر في هذا هناك بالصفات الرحمانية فمن أحبه من هناك فكما وصف، ومن أحبه من هنا كما وصف، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩]، الجهاد من السبيلين وقال: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: ٧]، فإليه سبحانه منه المصير فلا يغرنَّك قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝﴾[النجم: ٤٢]، ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝﴾ [العلق: ٨]، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝﴾[الغاشية: ٢٥-٢٦]، فتظن بأمثال هذه الآي أن المصير والإياب والمنتهى والرجعى إليه من غيره فتقع في قوله سبحانه يضل به كثيراً فتتوهم أنه ليس معك أينما كنت وفي أي حال كنت وهو القائل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥]، فذلك ما أخبرتك بمن قيامه على كل شيء، وكونه مع كل شيء بأسمائه وصفاته من البداية إلى النهاية، وتتبدل أسماؤه وصفاته بتبدل أسمائك وصفاتك في تحولك من غير تحول منه، فهو في أول الأمر يدعوك، وفي الطريق يرشدك ويهديك، وينصرك ويعينك، ويؤيدك ويقومك، وفي الغاية يملكك ويخلع عليك الخلعة التي أوقفك عندها إن أوقفك وتلك النهاية، وتختلف أحوال المدعين والساعين والمملكين وأحوال الخلع باختلاف الأسماء قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الاسراء: ١١٠]، يقول أياً ما تدعوا من هذين الاسمين فله الأسماء الحسنى نعت أو صفة فإن لهذين الاسمين اللذين هما الله والرحمن مرتبة الإحاطة والكمال بالنسبة إلى ما سواهما من الأسماء، وإن كان كل اسم من الأسماء إذا قدمته أَمّها كما يأمّها هذان الاسمان فنُعت بها، بيد أن لهذين الاسمين مرتبة الإحاطة الكبرى، وذلك أن الرحمة هي المحبة، والله سبحانه أظهر العالم بالمحبة حيث يقول: "كنت كنزاً مخفياً.." الحديث وأظهر المحبة في صور كثيرة فتنكرت على من لم يذق حقيقتها بعين ما تعرفت به، فسماها في باب الطلب، محبة ورغبة وإرادة ومشيئة وشهوة وهوى ورجاء، وليس ذلك كله إلا المحبة، وسماها في باب الهرب بغضاً وكراهة ونفوراً ورهبة وخشية وليس ذلك فعلاً إلا المحبة، فما كره الشيء وأبغضه وخشيه ورهبه ونفر عنه أحد إلا حباً في البعد منه والخلاص عنه كما قال موسى عليه السلام ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[طه: ٨٤]، أي أحببت رضاك عني فعجلت في طلبه.

والطمع لا يكون إلا بالمحبوب والمجبوب إما حصول المرغوب أو خلاص عن مرهوب فما تحرك متحرك إلا بالمحبة لكنها ظهرت في صور مختلفة فتكثرت في عين واحدة فتنكرت فإن الله سبحانه قسمها نصفين لتستقيم الأعمال فسمى أحدهما غضباً من حيث الحقّ وسمى الآخر رضا، فالرضا هو الرحمة والرحمة هي المحبة أبقاه على اسمه، والغضب هو المحبة لكنه استجد له اسماً آخر فلذلك قال سبحانه: "سبقت رحمتي غضبي"، فحصل الحق اسم الراحم والغاضب، وللخلق اسم المرحوم والمغضوب عليه وسمي الرحمة نعيماً، وسمى المرحوم مُنَعَّماً والحق مُنْعِم، وسمى الغضب عذاباً، وسمى المغضوب عليه مُعَذَّباً، والحق مُعَذِّب، فإذا كان الغضب بعد إساءة فهو عقابٌ، والمغضوب عليه مُعاقَب، والحق مُعاقِب، وإذا كان الرضا بعد إحسانٍ فهو سواء، والعبد مُثاب، والحق مُثيب، وعلى ذلك جميع أسماء الحق، وأسماء الخلق فهذا معنى تقرب العبد من الحق، فإنه تقرب من اسم إلى اسم، ومن صفة إلى صفة،

وهذا معنى كون الحق للعبد سمعاً وبصراً فإن ظهور الحق به بصفة وبطونه بضدها، فإن كون الحق منه كما وصف من حيث تقربه إلى اسمه الرحمن هو ظهوره فيه بهذه الصفة التي تسمى بها من حيث هي رحماناً، وكونه منه كذلك من حيث تقربه إلى اسمه الرحمن، المنتقم هو ظهوره فيه بهذه الصفة التي تسمى بها من حيث هي منتقماً، وليس ذلك كله إلا المحبة ولا المحبة إلا الرحمة، فلذلك اختص محمد ﷺ برتبة المحبة فكان رحمة للعالمين لأنه حقيقة الجوهر القدسي وهو الكنز الذي هو أول مظاهر المحبة.

فصل: فقد بيّنت لك أن الله سبحانه جعل جميع صفاته ترجع إلى صفتين وجميع صفات الخلق كذلك ولذلك تسمى بالظاهر والباطن وبالأول والآخر وبالمعز، والمذل، إلى غير ذلك من الأسماء، واتصف سبحانه باليدين والعينين والإصبعين وبالقبضتين فلما قام الخلق بين يديه وإن شئت قلت بين صفتيه قال سبحانه: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾[آل عمران: ١٨] وقال ﷺ: "بالعدل قامت السماوات والأرض"، ولما كان ظهور صفاته وبطونها بظهور صفات الخلق وبطونها قال سبحانه: "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم"، وقال: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾[الانعام: ١٣٩] وقال: "من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً".

وقال: "فإذا أحببته كنت سمعه وبصره" وجعل سبحانه الخوف والرجاء صفتي المحبة من حيث الخلق كما جعل الغضب والرضا صفتيها من حيث الحق، وجعلهما زمامين يقودان الخلق إلى ما هو صفة العبيد وسمة المربوبين مما قدره سبحانه عليهم ولهم، فمتى اعتدلا اعتدلت الأعمال، ومتى اعتدلت الأعمال اعتدلت الأحوال، ومتى اختلفا اختلفت الأعمال، ومتى اختلفت الأعمال اختلفت الأحوال، وقد وصف سبحانه نفسه بأن له يدين فقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤] ثم وصفهما بأن كلتيهما يمين من حيث هو سبحانه، إذ ليس بمتحيّز ولا في جهة، ووصفهما من حيث الخلق بيمين وشمال فقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧﴾ [الواقعة: ٢٧] ثم وصف حالهم بما يناسب اليمين من السدر المخضود، والطلح المنضود، والظل الممدود، ونحو ذلك وقال: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ٤١﴾ [الواقعة: ٤١] ثم وصف حالهم بما يناسب الشؤم من الجحيم والحميم، والسموم واليحموم، فاليمين من حيث الحق والخلق ظهور صفات الله الرحمن الرحيم، اللطيف الكريم وما في معناه اليمين من الأسماء واليمين الأخرى من حيث الحق التي هي شمال من حيث الخلق بها ظهور أسماء الله المنتقم، القهار، الضار، المتكبر، الجبار، وما في معناه الضرر والأذية للخلق، وقد جعل سبحانه لكل يد أهلاً، وجعل لها أحكاماً وحداً، وجعل لأهلها فيها مقامات معلومة، وسبلاً مستقيمة وشرائع مفهومة وحدوداً مرسومة تختلف باختلافهم، واختلافهم بحسب الأغلب عليهم من أوصافهم لأنه سبحانه قد شرف آدم بأن جمع له بين يديه بقوله سبحانه: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص: ٧٥]، فهو مرآة يقبل ظهور اليمين ثم هو لما غلب عليه ولذلك انبسطت ذريته ليمتاز أهل كل عالم بما هو لهم كما نبّه عليه الرسول بقوله: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم" لأن اسمه الغفار والغفور يطلب ظهور المغفور له ليظهر بظهوره إذ لا يسمى سبحانه غفاراً إلا بوجوده، ووجوده وقف على ظهور الذنب، وبظهور الذنب يظهر اسم الله المضل سبحانه، ولذلك أخبر عليه السلام: "أن لكل واحد مقعداً من الجنة ومقعداً من النار" فإذا غلبت عليه الصفات التي تقضي أحد المقعدين اختص به ما لم تزحزحه العناية الأزلية، وذلك أني قد أخبرتك أن الأمانة التي حملها الإنسان هي سر الخلافة الذي هو الإنسان، لظهور أسماء الحق وصفاته فيه وبطونها، كما أشار إليه سبحانه في قوله: "لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي

المؤمن"، وإليه الإشارة بقوله: "خلقت كل شيء من أجلك"، أي من أجل وجودك لأنك أنت ثمرته "وخلقتك من أجلي"، أي من أجل معرفتي ومن أجل ظهوري.

والنفس مجبولة على طلب كمالها لكمالها، وذلك سرٌ خفي لأن الله تعالى ﴿ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾[التوبة: ١١١] وهذا سرٌّ يفهمه أهله، ثم أمرهم أن يؤدّوا الأمانة إلى أهلها، وهو أهلها لأنه ﴿أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾[المدثر: ٥٦] فالتقوى من الوقاية والغفر هو الستر، والجنة من الاجتنان فمن ترك اختياره لاختيار مولاه، فقد دخل في عباد الله ودخل جنته واتقاه، أي جعل صفات الربوبية من القهر والتكبر وقاية وجنة لصفات العبودية، فستر الربوبية في هذه الدار بعبوديته، وأجنّها بصفات سيّده، واتقاها بها فجعل صفات سيده وقاية له عن صفاته، ومن اتبع هواه فقد جعل صفاته وقاية وستراً وجنة لصفات سيده فظهرت صفاته بالربوبية وبطنت صفات سيده واستقرت واختفت، والأصل في ذلك ما أخبرتك به من أن سر الربوبية مطوي في النفس فهي تريد الظهور طلباً للكمال، وذلك السر يتنوع عليها فإنه يظهر فيها أولاً بشهوة الطعام والشراب، فإن الخبز سر الذات وسره في الماء، كما قال سهل رضي الله عنه ولم يطلع على هذا السر إلا أكابر أهل الله ثم ينضاف إليها شهوة الملبوس، فإذا بلغت أول التمييز ظهرت بشهوة الرياسة، فإذا بلغت أول ظهور العقل المؤيد ظهرت بشهوة النكاح طلباً للكمال من كل وجه بالبقاء والتكثر والاتحاد، فهذه شهوة محجوبة باللذة وهو أول الكمال، ولأجله أمكن وجود البذر الذي يأتي منه مثله ثم ينبسط فيظهر بأنواع الصيت والجاه والتملك والتقدم والترأس، ومتى ظهر ذلك السر عليها بصورة انجذبت إليها فهي بمنزلة الطفل الذي لا يحتمي عما يشتهيه إذا وجده ولو علم أنه يضرّه، حتى يؤيده بالعقل النور، فيحميه كما يحمي الطفل والده حذراً من عيشه بالشهوات فتعفن معدته، ويهلك لأن النفس بالأصل على الفطرة كما قال ﷺ، وسلوكها من إحدى اليمينين إلى الأخرى يكون بالتقرب كما قال الله وليس التقرب إلا من اسم إلى اسم، ومن صفة إلى صفة حتى تغلب عليه إحدى الصفتين واليمينين والاسمين، فتظهر بها أي بصفاتها وأسمائها، وذلك هو المحبة التي تنتج كون الحق منه كما وصف، أي ظهور صفاته فيه بذلك الأمر، وهذا الأمر مشهود فإنا نرى الواحد يعمل الحسنة على كرهٍ ومشقة ثم يتكرر ذلك منه حتى تخفّ عليه بل ربما صارت قرّة عينه كما قال ﷺ: "وجعلت قرة عيني في الصلاة"، ونرى الآخر يعمل السيئة غفلة أو فلتة ثم يندم ويخاف، فإذا عاودها خفّ ذلك الندم فيتكرر ذلك منه حتى يطبع على قلبه كما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[غافر: ٣٥] فالمتقرب هو الذي يعمل في إحدى اليمينين بصفات أهل اليمين الأخرى، والمحجوب مَن تَحوّل إلى اليمين إلى اليمين، فهو محجوب من تلك اليمين وذلك الاسم، وهذا معنى التحريم، فإنّ الحرام هو الممنوع المحجوب وعلى هذا وضعت التكاليف فجعل سبحانه صفات أهل إحدى اليمينين في هذه الدار حرام على أهل اليمين الأخرى، وما خرج من إحدى اليمينين إلى الأخرى لحقته أحكامها، وما بقي فيها ففساده اتصافه بصفة أهل اليمين الأخرى قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وحرّم الغنائم على غير المحمديين لأنها مأخوذة من تلك اليمين بغير اختيارها، فكانت تنزل لها نار من السماء تحرقها إذ هي في اليمين التي تظهر باسم الله المنتقم، وانتقلت إلى اليمين التي تظهر باسم الله الرحمن بيد المنتقم، فإنها لم تخرج إليها إلا بوجه الانتقام، فحكمه باق فيها ما بقي لليدين اعتبار فلما بلغت صور امتياز اليمينين في الصورة الإنسانية مجمع البحرين بسيدنا محمد ﷺ وهو المرآة التامة لليمينين كان أخذنا لها مبيحا لها كما قال سبحانه: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾[الانفال:

٦٨] وذلك بأن الخلافة الآدمية لم تزل تنبسط عملاً من آدم إذ هو مشرقها حتى اختتمت بداوود عليه السلام وسليمان عليه السلام ثم انبسطت علماً بعيسى عليه السلام إذ يقول سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣] فداود مغربها، وسليمان مستواها وتفضيلها، وعيسى نباتها، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ثمرتها فهو مرآة كاملة يظهر فيها اليمينان، ودورة متصلة كاملة فكان أخذهم من أهل الشمال بخلاف أخذه إذ أخذه انتقام باسمه المنتقم، وإعطاؤه أهل اليمين رحمة باسمه الرحمن، فإن الشيء إذا بلغ محله اتصف بصفة المحل ألا ترى مهر البغي حرام عليها لأنها تأخذه في ذات اليمين بذات الشمال من ذات الشمال فهو حرام على من أخذه منها، فلو رُدّ إلى صاحبه حلّ له فحلّ لمن أخذه منه بوجهه، وكذلك الصدقة المفروضة حرام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنها أوساخ الناس كما قال سبحانه: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣] فإذا وقعت بيد أربابها حلّت له من أيديهم، وهي له هدية كما قال في بريرة: "هو لها صدقةٌ ولنا هديةٌ".

فصل: فقد استبان لك أن مناط التكليف العقل الاختياري، وقد ضرب لنا سبحانه بذلك أمثالاً في شريعتنا منها الجوارح المعلمة في قوله سبحانه: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ....﴾[المائدة: ٤] فشُرع لنا في الكلب الذي يصير جارحاً بحيث يشليه صاحبه فيشتال ويرده فيرتد حل ما أمسكه علينا، وحرم علينا ما أمسكه الكلب المختار لنفسه وسائر السباع كذلك، فإذا أكل الكلب من صيده تبيّنا أنه لم يمسك على مرسله وإنما يقتنص لنفسه فحرم علينا، فالرجل من عرف اليمينين فلم يتميز في واحدةٍ منهما وإنما يكون وقفاً على مولاه، صورة الحق معناها لا يتحرك ولا يسكن إلا لله به، فقلبه حرمٌ آمنٌ من غير الله، ويتخطّف الناس من حوله وحله سائر ذاته، وقد أعلمتك أن معنى الحرام الحجاب، والحرام المحجوب الممنوع أن يتصرف به بغير ما حُرم له، وقد جعل الله سبحانه لهذه الصورة قياماً، وسماها أموالاً لميل النفوس إليها كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[النساء: ٥] وجعل ما اختصت به كل صورة حراما على الأخرى إلا بطيب نفس منها لأنها حرم آمن، ومن دخله كان آمناً، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله" الحديث، وقال سبحانه: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا﴾[النور: ٦١] وجعل ما سعى به الإنسان أيضاً لنفسه لا للتقرب إلى الله، ولا لامتثال الأمر الإلهي حراماً على أهل خاصته، وضرب في ذلك مثلاً فجعل صيد الحلال حلالاً له وللحلال، وجعل صيد الحرام حراماً عليه وعلى الحرام والحلال، وقال سبحانه فيمن عمل له عملاً وأشرك به غيره: هو له كله وأنا منه بريء وقال: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾[الكهف: ١١٠] وكذلك حرم على الإنسان قتل نفسه وجعلها أكبر الكبائر.

ولما طوى الله سبحانه اليمين التي هي الشمال في اليمين الأخرى جعلها حلالاً لها ما لم تندرج فيها، فإذا اندرجت فيها فتحريمها عليها ملكاً وقتلاً وقفاً على قبولها منها أو إعطائها الأمان، بحسب أحكام الأمان المشروعة، وجعلها باقية على شرائعها وأحكامها ما لم تتحد فيها، فمتى اتحدت فيها قبل الملك، أبقى عليها من شرائعها ما لا يخالف الشرع المتجدد لليمين، كالكافر يسلم وتحته عشرة نسوة فيختار أربعاً، ويُبقي على نكاحه الأول ما لم يكن فيها محرم، وإن كان بعد الملك أجرى عليها أحكام الأموال، وألزمها من شرع اليمين ما تحتمله كما قد قرر وجعل اتحادها بها مخلصاً لها من الأحكام المتقدمة حتى لو قتل مشرك نبياً ثم أسلم فالإسلام يَجُب ما قبله، وإنما طواها بها لأنه لابد من بقاء تمييز اليمينين لظهور الأسماء مع أنها يمين واحدة، وجعل سبحانه موالاة أهل اليمين لأهل الشمال سيراً شمالياً فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وكذا التقرب منهم كذلك، فقال: "من تشبّه بقومٍ فهو

منهم"، حتى حرّم كثيراً من أفعالهم، فأهل اليمين مطالبون بسير اليمين، ومطالبته أهل الشمال بالاتحاد في اليمين أو بالاندراج، وأهل الشمال مطالبون بالاتحاد في اليمين أو بالاندراج، فإن مات من اتحد باليمين حين اتحد مات طاهراً، وإن مات بعد ذلك فهو مطالب بسير اليمين، فيطالب بعد موته بتكليف الزمن الذي أدركه بعد الاتحاد من تكليف أهل اليمين، وإنما كلف الله سبحانه أهل اليمين لأنها مرآة كاملة لمقابلة اليمينين، فلذلك انقسم أهلها إلى ظالم ومقتصد، وسابق، وإن كانت صفوة من اليمين الأخرى، فإن الظالم هنا من تظاهر بسرّ الخلافة على غير وجهه الذي استُخلف عليه، والمقتصد من تخلق به وراض نفسه عليه، والسابق من تحقق به فإنا سنبيّن أن الخلافة متدرجة في جميع النوع الإنساني كما نبّه عليه سبحانه في قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ [الفتح: ٢٩] وكما نبه عليه رسول الله ﷺ بقوله: "العلماء ورثة الأنبياء".

وقوله ﷺ: "رحمة الله على خلفائه".

وقوله ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيّته"، فهذا النوع مستخلف من قِبَل الحق بقدر وسعه، فأدناهم المستخلف على نفسه، وأكملهم المستخلف على العالم بأسره، وكل منهم ينقسم في خلافته إلى ظالم، ومقتصد، وسابق، فأسبق السابقين الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، فإنهم خلفاء الله وفيهم سابق وأسبق، ثم الخلفاء عنهم على الاستقامة وفيهم سابق وأسبق، وذلك يتنزل حتى تبلغ الخلافة على الأهل والولد والخادم، ثم يتنزل حتى تبلغ الخلافة على النفس، فالظالم هو الذي يريد حرث الدنيا، فيتظاهر بالخلافة على نفسه وغيره على غير الوجه المشروع المأمور به، نظراً إلى عاجل اللذة بظهور الربوبية، فإن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والمتقيد بدعوى الخلافة عن الرسل في غير موضعه، ومنهم المستخلف من قبله على منهاجه، ومنهم القائم مقام المستخلف على منهاجه، وهم الذين رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، فما لهم في الآخرة من خلاق ولا نصيب كما قال سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] فيملأ سبحانه قلوب هؤلاء شغلاً ولا يحصلون على طائل، لأنهم استدبروا قبلة الحق التي أمروا بالتوجه إليها، إذ هم مأمورون بالسعي لكمالهم على الوجه الذي يحصل به كمالهم، فخالفوا وسعوا لظهور كمالهم في غير وقته قال ﷺ: "من آثر الدنيا على الآخرة شتت الله عليه شمله، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له منها".

وقال ﷺ: "من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث، همّاً لا يفارق قلبه أبداً، وفقراً لا يستغني أبداً، وحرصاً لا يشبع أبداً"، والمقتصد هو الذي لم تستهوه الشهوة، وآثر الأهم فالأهم، والأقرب فالأقرب، أعانه الله على كماله، ولم يشتغل باللذة الفانية عن اللذة الباقية، وقال لسان حاله:

منافسة الفتى فيما يزول	**على نقصان همّته دليل**
ومختار القليل أقل منه	**وكل فوائد الدنيا قليل**

عزف نفسه عن الدنيا وحماها عن شهواتها لما سمع عن رسول الله ﷺ: "إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن يبغض، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، وملوك الجنة من أمتي القانعون بالقوت يوماً فيوماً"، ثم إنهم رأوا أنه ليس للملك ثمرة إلا القدرة على المطلوب، وإن ملك الدنيا عبودية وأنكاد، ومع ذلك

فإنه إن لم يكن على الوجه المشروع قطع عن المُلك الصافي الذي فيه القدرة على المطلوب، فارتاض القوم في طريق الاقتدار على ملك أنفسهم لله حتى أقدرهم عليها، فكانوا هم الملوك الفقراء لما عزفت نفوسهم عن الدنيا، وتعلقت بالآخرة كما أشار إليه الشافعي رضي الله عنه بقوله:

علـــيّ ثيـــابٌ لـــو تُبـــاع جميعهـــا ... بفلـــسٍ لكـــان الفلـــس مـــنهن أكثـــرا
وفـــيهنّ نفـــسٌ لـــو تُقـــاس ببعضـــها ... نفـــوس الـــورى كانـــت أعـــز وأكبـــرا
ومـــا ضـــر نصـــل الســـيف أخـــلاق غمـــده ... إذا كـــان عضـــباً حيـــث وجهتـــه بَـــرا

ولله در القائل قوله:

ملكـــــتُ نفســـــي فـــــذاك ملـــــكٌ ... مـــــا مثلـــــه للأنـــــام مُلـــــكُ
فصـــــرت حـــــرّاً بملـــــك نفســـــي ... فمـــــا لخلـــــقٍ علـــــيّ ملـــــكُ

ومثله ما بلغنا أن محمود بن بويه لما مَلك العراق سلم لفرّاشه ألف دينار وقال: اذهب بها إلى مدينة أصفهان إلى شارع السلطان ففي صدر الدرب بيت فيه عجوز وشيخ ادخل فسلم عليهما، وادفعها إليهما وقل لهما: ابنكما يقول لكما كيف أنتما من وحشة فراقه؟ فلما وصلهما وأخبرهما قالا: خذ ما جئت به لك قال: أنتما فقيران وبكما حاجة إليه فقال الشيخ: إنَّ غنى النفس باقي ثم أنشد:

لا تزدرينـــــي وتـــــزدري خَلِقـــــي ... فإنمـــــا الـــــدر داخـــــل الصـــــدف
فخـــذ لهـــذا الحطـــام وامـــضِ بـــه ... فالمـــال ســـهم والقلـــب كالهـــدف

فاشتغل هؤلاء بالملك الأخروي عن الملك الدنيوي علماً بأن ملك النفس طريقة على أنه قد يحصل به المُلكان، فهم مقتصدون ما لم يملكوا أنفسهم فإذا ملكوها فهم سابقون قنعوا من التصدُّر والرياسة بالتصدر والترأس على أنفسهم، وقالوا لا ينبغي للزمني الاشتغال بإعداد المأكولات، وإعداد آلة الحرب قبل الاشتغال باكتساب الصحة لأجسامهم التي لها يعد المأكول والآلة، فتركوا خير الدنيا لشرها احتماءً عن الدواء المضر، ونظروا في صلاح أنفسهم علما أنه لا ينفعهم صلاح غيرهم إذا فسدوا فقال قائلهم:

فمـــا أبـــالي إذا نفســـي تســـاعدني ... علـــى النجـــاة بمـــن قـــد فـــاز أو هلكـــا
فـــانظر إلـــى ملكـــك الأدنـــى إليـــك تجـــدْ ... فـــي كـــل شـــخصٍ علـــى إفـــراده مَلكـــاً
وزنـــه بالعـــدل شـــرعاً كـــل آونـــة ... واســـلك بـــه خلفـــه مـــن حيـــث مـــا سَـــلكا
ولا تكـــن مـــارداً تســـعى لمفســـدةٍ ... فـــي ملـــك ذاتـــك لكـــن فيـــه كُـــن مَلِكـــاً
إن ذقـــت فـــافهم ولا تعـــدل بملكـــك عـــن ... هـــدى الرعيـــة تـــدعى خيـــر مـــن ملكـــا

فحصل هؤلاء على نصيبهم من الآخرة مكملاً مع نصيبهم من الدنيا قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠] وقال عليه السلام: "من أصبح وهمّه الآخرة جمع الله همّه وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمةً"، ذلك لأنه مستقبل قبلة الحق التي وجهه إليها من طلب كماله فيبلغه الله سبحانه قصده مع حصول قسمته من الدنيا التي لابد له منها، وقد ضرب الله سبحانه لنا في ذلك مثلاً في الظل، فإن مُستَقبِل الشمس يحصل على نصيبه منها، وعلى رؤيتها، ويلحقه ظله وحاصله منه ما تحت قدميه فيبلغه، ومُستَدبرها يفوته رؤيتها، ولا يدرك من ظله إلا ما تحت قدميه، فهؤلاء صنفان: أحدهما من ترك الأسباب والأنساب هرباً من الحساب، وتوكلاً على الوهاب، فلا

يرقون ولا يسترقون كما قال : "يدخلِ الجنة من أمّتي سبعون ألفاً بغير حساب قيل: يا رسول الله من هم قال: الذين لا يَكْتَوُون ولا يسْتَرقُونَ ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون"، لم يأمنوا أنفسهم أن تخوهم في النظر إلى الأسباب دون المسبب فرفضوها اعتماداً عليه وتفويضاً إليه، والثاني، لم تقوَ نفسه على التوكل مطلقاً دون السبب كالذي قال له رسول الله : "اعْقلْهَا وتَوَكّل"، فباشروا الأسباب، وتوكلوا في بلوغها على المسبب، ولهم شرعت الشرائع، وحددت الحدود، ووضعت ظواهر النواميس، والسابق هو المتحقق بالعبودية محضاً المتوجّه إلى الله في كل شيء، وبكل شيء، وعن كل شيء، وعلى كل شيء، ومع كل شيء، ولكل شيء، فهم يباشرون الأسباب عبودية محضة لمسببها، لا لأجل أنفسهم لأنهم في أنفسهم وعن أنفسهم، وفي شهواتهم ومحبوباتهم، ومكروهاتهم في جميع حركاتهم وسكناتهم، بحسب ما جعلهم مستخلفين فيه علماً بأنه سبحانه يريد من العباد دوام الافتقار إليه والاضطرار في هذه الدار، ألا ترى الرسول يقول: "إن الله يحب أن يرى المؤمن محترفاً"، ويقول : "إن الله يحب العبد المؤمن المحترف"، و لم تزل الرسل تحترف قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال : "لكل نبي حرفة ولي حرفتان الفقر والجهاد، فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني"، فأما الجهاد فحرفة ظاهرةٌ، وأما الفقر فحرفةٌ خاصةٌ باطنةٌ لا يعرفها إلا من ذاقها.

فصل: استُكشف لك ما قدمت لك مما معناه أن العالم بأسره إنسان كبير وروحه الإنسان الكامل من نوع الإنسان السفير الذي هو رابطة الإمداد والاستمداد، فهو أعني الإنسان الكامل بمنزلة إنسان العين من العين بالنسبة إلى نظر المحسوسات ومن سواهم بمنزلة العين فمنهم من هو بمنزلة طبقات البياض، ومنهم من هو بمنزلة طبقات السواد، ومنهم من هو بمنزلة الأجفان والأشفار، ومنهم من هو بمنزلة الأهداب، وبهذا المعنى نقول: إنه مرآة العالم كما سلف، فهمتَ بذلك أن العالم بأسره حي ناطق عالم ببارئه فمنه ما هو عالم بعلم الفطرة، ومنه ما هو عالم بالفكرة والكسب، ولكن حياة بعضه موت بعض، وموت بعضه حياة بعض، فإن الله سبحانه وتعالى ميّز بعضه عن بعض كما سلف ليميّز الخبيث من الطيب فحقيقة العالم واحدة كما أنّ حقيقة الإنسان واحدة يجمعها آدم إذ هو مجموع الذرية كما سلف ثم ميز الله بعضه عن بعض ليميز الخبيث من الطيب، وجعل حياة بعض موت بعض، فقال سبحانه: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النحل: ٢١] وَسَمْعَ بعضهم صمم بعضٍ فقال: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الانفال: ٢٠] وقال: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[البقرة: ١٧١]، وقالً: ﴿لَّا يَفۡقَهُونَ﴾[الاعراف: ١٧٩]، وقال: ﴿لَّا يُبۡصِرُونَ﴾[الأعراف: ١٩٨] وقال: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ۞ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ....﴾[الروم: ٦-٧]، ويكفيك في ذلك قوله عز وجل: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۞﴾ [الطلاق: ١٢]، فإنه لو لم تكن السماوات والأرض من جملة الإنسان لم يكن آلةً للعلم بإحاطة القدرة والعلم، ولذلك ربط التنزيل العزيز والسنة، معرفة الربوبية بمعرفة النفس فقال : "من عرف نفسه عرفَ ربه"، وقال: "أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه"، وفي الإسرائيليات: "اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك"، وفي التنزيل العزيز: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾[الحشر: ١٩].

وإنما ذلك من أن أسماء الله سبحانه كانت كنزاً قبل خلق الخلق، باطنةً فإنَّ الكنز هو المستور فلما أراد الله سبحانه أن يعرّف خلق الخلق فعُرفت أسماؤه، فالربوبية مثلاً إنما تظهر بظهور المربوب، والرازقية إنما تظهر بظهور المرزوق، والإلهية تظهر بظهور المألوه، والرحمانية تظهر بظهور المرحوم إلى

سائر الأسماء فإن الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها هي السعة لمعرفة الله عزّ وجل كما أسلفناه، فلم يوجد في السماوات والأرض قبولٌ لما قَبِلَه الإنسان بهذا التأليف الصوري إذ هو ثمرة جميع العالم وبرنامجه.

فهو يرى نفسه في العالم إذ العالم أجزاؤه ومرآته، ويرى العالم في نفسه إذ هو مرآة العالم، ويرى ربه بالعالم الذي هو نفسه من حيث هو كل العالم، فلذلك اتسع لما لم يسعه العالم، ولذلك نزّهه سبحانه ومدحه بعموم السمع والبصر بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١] فهذه إضافة تشريفٍ كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] لأن الإنسان هو مثله الذي أبدعه من العالم مماثلاً للعالم بأسره لا مماثلاً للحق بذاته، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾يقول كل العالم آلة لسمعه وبصره، فهو السميع البصير لا غيره، إذ هو كل العالم فقد استبان لك أن الكاف أصلية ليست زائدة، والمعنى ليس مثل مثله شيء أي من كل الوجوه لأنه وسع الله، فأما من حيث هو مماثل للعالم فالعالم مثله، وإنما امتاز عن العالم بقبوله جميع أسرار العالم.

فبهذا المعنى كان ميزاناً للعالم ألا تراه سبحانه يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] فالميزان الموضوع لمقابلة رفع السماء هو الإنسان الصغير من حيث هو مثلهن، والأرض داخلة فيهن، فإن الإنسان غيبٌ وشهادة فهو بغيبِهِ قابل لعلم الغيب إذا علَّمه الله وزكّاه، كما قال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن: ٢٦-٢٧] وبظاهره قابلٌ لعلم الظاهر فلا ينبغي أن تفهم من هذه الآية ما يفهمه المحجوبون عن أنفسهم بحمكة الطي والدس وتقول: ليس المخصوص بالاطلاع على الغيب إلا الرسل لقوله سبحانه إلا من ارتضى من رسول فتُكابر بذلك العيان ونصوص القرآن والسنة، فإن الله سبحانه يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ويقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[الحجر: ٧٥] أي للمتفرّسين ويقول الرسول ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظرُ بنور الله"، وقال: "المؤمن يرى بنور الله".

والإنسان الكامل روح العالم، ومن قرب منه كالأعضاء الرئيسة من المشاعر الإنسانية، وباقي العالم كسائر الصور الإنسانية، وليس من شرط الإنسان أن يكون العالم كله بالنسبة إليه في هذه الدار شيئاً واحداً، حتى يعقل بجميعه ويحس بجميعه في جميع الحالات، فإنك ترى صورة الإنسان فيها ما لا يحس به ولا يعقل به إلا بسبب تعقله بما يحس به كالشعر والظفر، وقد يعرض لبعض أعضاء الإنسان ما يجعله كالمنفصل عنه، وإنما الإنسان يخرج من بطن أمه كما ذكرناه عقلٌ بالقوة لا يعقل شيئاً كما نصَّ التنزيل، ثم بالتربية والتزكية يصير عقلاً بالفعل، فليس منه عضو واحد إلا وهو مستعد لسعة القدرة الإلهية والعلم.

ولذلك ترى الإنسان كما قال ﷺ: "كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه"، وإنما ينكر ما ذكرناه من حياة العالم ونطقه وعلمه، المحجوب الواقف مع حسه، حيث لم يدرك حياةً ولا علماً باطناً عن الحس، فهو يريد أن يجعل حياة الأشياء وعلمها ونطقها على وتيرةٍ واحدة، ولم يعلم أن المدركات تنقسم قسمين وكذلك المدرَكات أحدهما، ما له قوة التخيّل يمسك بها صور المعلومات في علمه من المدرَكات التي يمكن تقيدها بالصورة فيتخيلها من له قوة التخيل، ويعلمها من ليس له قوة التخيّل بالعلم المجرد، إذ حقيقتها لا تقبل التخيّل إذ ليست بجسم ولا

قوة في جسم، والثاني ما له علمٌ مجردٌ عن التخيل كما ذكرناه فيعلم الأشياء علماً مجرداً وما لا يمكن تقيده بصورة فلا يمكن من له قوة التخيل تخيله بل يعلمه غير مُتخيل.

واعلم أن الموصوف بالعلم ينقسم أيضاً إلى ما بعضه حقيقة اكتساب العلم فيظهر علمه للمكتسبين، وإلى مفطور على العلم لا تعطيه حقيقة اكتساب علم إلى علمه عن علم المكتسبين للعلم، فمن أجل ذلك اعترفوا بحياة النبات، وأنكروا حياة الجماد، وجعلوا عقل الحيوان غريزياً، وأنكروا علم الجميع فضلّ سعيهم ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤] فنبههم سبحانه ونبّهتهم رسله بما اهتدى به من اهتدى وضل به من ضل فمن ذلك قوله في تنزيله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[الإسراء: ٤٤] فقوله: ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ ردٌّ على من زعم أن المراد بذلك تسبيحُ من فيهن وأنه حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، كما قالوا في قوله: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أن المراد به واسْأل أهل القرية، ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ فأثبتَ تسبيح كل شيء ثم رد على الذين يزعمون أنه تسبيحٌ بلسان الحال فقال: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ فإنه لو كان بلسان الحال لكانوا يفقهون، ثم قال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ فحليم فعيل بمعنى فاعل من الحلم أي عمن تأول هذه الآيات بهذه التأويلات، ﴿ غَفُورًا ﴾ فعولاً من الغفر الذي هو الستر لتسبيح الأشياء عمن لم يرتض اطلاعه عليه، وكذلك باقي الآيات كما أخبرنا عن السماء والأرض بقوله: ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ... ﴾ [الحج: ١٨] ونحو ذلك من الآي، وفي الإسرائيليات: "لأسألنّ القرناء عن الجماء، ولأسألن العود لما خدش العود، ولأسألنّ الكف لما صافح الكف أفي الله أم في غير الله".

وفي الحديث الصحيح من هذا كثيرٌ مثلما أخبر به ﷺ من نداء الأرض، ونداء التراب، واختصام الجنة والنار، وحديث القبر، ومن أنَّ الشمس تجذبها الملائكة على عجلة في جبال من بَرد، وأنهم يسمعون لها تعبّداً وتجبذاً، وقوله للقمر وقد نظر إليه في الكسوف: "اللهم فرّج عنه، وإنما يفرج عن مغموم"، وقوله: "يشهد للمؤذن مدّ صوته من رطب ويابس".

وما جاء من شهادة الأعضاء، ولا يشهد عن سمعٍ إلا سميع، ولا عن علم إلا عليم، وقوله في الميت: "تُرفرف روحه فوق النعش تقول روح السعيد عجلوا بي، وروح الشقي إلى أين تذهبوا بي يسمعه كل شيء خلقه الله إلا الثقلين، ولا يسمع إلا حيٌّ وعاقلٌ"، وقوله: "تقول الشجرة لأختها هل كان كل من مرّ بك ذاكراً لله؟"، وهذا لا يكون إلا من عالِم عاقل ناطق، وكقوله: "إن الشجرة لا تقطع إلا إذا غفلت عن ذكر الله، والسمكة لا تقع في شبكة الصيّاد إلا إذا غفلت عن ذكر الله".

فصل: إنَّ الله تعالى يُطاع بالعلم، ويعبد بالعلم، وخير الدنيا والآخرة كله مع العلم، وشر الدنيا والآخرة كله مع الجهل، فقال الرجل: فقراءة القرآن؟ فقال ويحك وما قراءة القرآن بغير علم، وما الحج بغير علم، وما الجمعة بغير علم، العلم يفسّر ذلك كله وينوره والعلم أعلى من ذلك كله أما بلغك أن السنة تقضي على القرآن، ولا يقضي القرآن على السنة، وقال ﷺ "لا تجالسوا كل عالِم إلا عالِم يدعوكم من خمسٍ إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الكِبر إلى التواضع ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن العداوة إلى النصيحة"، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياهُ

فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاهُ
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما المرء ماشاهُ
وللشيء على الشيء ... مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

ومثله قول الآخر:

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسدُ
عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ ... والجمر يعلق في الرماد فيخمد

فكلما تسمعه حث على الأعمال، وبيان لتأثيرها ولولا ذلك لما أمرنا ونهينا، وقد جمع أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه في هذه الأبيات القليلة معاني جزيلة مما سبقت الإشارة إليه حيث يقول:

بقدر الكدّ تكتسب المعالي ... ومن رام العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً ... يخوض البحر من طلب اللآلي
لنقل الصخر من قمم الجبال ... أحب إليّ من منن الرجال
وقالوا للفتى في الكسب عار ... فقلت العار في ذل السؤال
إذا عاش امرؤ ستين عاماً ... فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يمضي ليس يدري ... لغفلته يميناً من شمالِ
ونصف النصف أمراض وشيب ... وشغلٌ بالتفكر والعيالِ
فحب المرء طول العمر قبح ... وقسمته على هذا المثالِ

فصل: وإذا فهمت هذه الفصول فأرجو أن يستبين لك أنَّ أعلى مراتب الإنسانية خلافة الله عز وجل وأعلى مراتب خلافة الله عز وجل الرسالة، وأعلى مراتب الرسالة مرتبة أولي العزم من الرسل، وهم الذين بُعثوا بالسيف، وأعلى مراتبهم أجمعها دعوة وهي الرسالة المحمدية، ثم بعد الخلافة عن الله الخلافة عن الرسل عليهم السلام والخلافة عن الخلفاء لله، فخلفاء محمد ﷺ بعد خلفاء الله أكمل الخلفاء، لأنهم خلفاء أكمل الرسل، إلا من جمع بين الخلافة عن الله والخلافة عن الرسول ،كهارون عليه السلام حين استخلفه موسى، فإن هارون له الخلافة عن الله دون واسطة، والخلافة عن موسى، فهو فيما هو مستخلف فيه خليفة الله من بطن، وخليفة موسى من ظهر، فمن كانت له مرتبة التحقق بالخلافة عن الله مطلقاً، وعن رسول الله محمد ﷺ كعيسى إذا نزل في آخر الزمان، رجح بغيره من النبيين من هذا الوجه، ومن خلفاء الله كالمهدي عليه السلام لجمعه الخلافة عن الله، وعن الرسول ﷺ ألا ترى أن الرسول ﷺ أضاف خلافته إلى الله لا إلى نفسه، حيث قال: "إذا رأيتم الرايات السود تقبل من أرض خراسان فأتوها ولو حَبواً فإن فيها خليفة الله المهدي"، وأخبَر أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً، فأخبر عليه السلام بعموم حكمه.

وإذا فهمت ذلك فاعلم أن أول مراتب الخلافة الإنسانية، وأخصّها من حيث العموم خلافتك عن الله ورسوله على نفسك، وهذا ما يعبر عنه أصحابنا بملك النفس، ومن بعدها الخلافة على الأهل والولد، والمملوك والخادم والحيوان، ثم هي ترتقي حتى تصل إلى أعلى المراتب، ولا يكمل للخلافة على نفسه من لم تربيه العناية الأزلية بنور العقل، الذي هو مناط التكليف، ولا يكمل للخلافة على غيره من لم يكمل للخلافة على نفسه، لما تنطوي عليه الخلافة من الأغراض النفسانية التي بها تظهر الصفات

الإنسانية، التي هي مظاهر الأسماء والصفات الإلهية، المشار إليها بالسّعة، حيث وسعه سبحانه قلب عبده المؤمن، ولا يكمل للخلافة على مجموع العالم من لم يكمل للخلافة على آحاد العالم، فإنَّ من وضع في الظرف فوق وسعه قسراً كسره، ومن حمّل الدابة كرهاً فوق حملها قتلها، ولذلك لم يجمع الله الرسالة والملك إلا لداوود وسليمان عليهما السلام لقربهما من الكمال المحمدي بالمناسبة الختمية، التي اقتضت التنصيص على خلافة داود، وتحجر الملك السليماني عن أحد بعده، واختصاصه بالرحمتين في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل: ٣٠] وكانت الأمم الأُوَل يكون مع كل نبي ملك، فلما تمت الدورة في داود عليه السلام جمع الله له ولولديه الرسالة والملك، إذ فيها كان كمال الخلافة، فإنه لم تزل ترتقي بسطا من آدم في ذريته، إلى عصر داود عليه السلام، لأن آدم وإن كان أول مظاهر الكمال الإنساني المعروض ذلك على السموات والأرض، فإنه لم يتمكن من ظهور كمال الخلافة الإنسانية في صورته الجزئية الإبداعية، لأسباب كثيرة منها:

قلة وجود المستخلف عليهم من نوعه، إذ لم يكن ثم إلا عدداً يسيراً من ذريته، فلذلك لم تتضمن خلافته الظهور بمرتبة الرسالة، وكان نوح أول من تظاهر بمرتبة الرسالة، فكان حظ آدم عليه السلام العلم بالأسماء، وبعض العمل وكانت العلوم والأعمال مكنوزة فيه بالقوة، من حيث إنه مجموع الذرية، وفيما تناسل من ذريته إلى نوح عليه السلام فظهرت فيه بالفعل أول الظهور أيضاً، ثم لم تزل تنبسط وتظهر بحسب استعداد الخلفاء، والمستخلف عليهم في الأكملية، إذ الكمال لها كان في آدم، والأكملية في ذريته بحسب مراتبهم إلى داود عليه السلام واختلاف مراتبهم بحسب اختلاف مراتب الاعتدال في أمزجتهم، التي هي تعيُّن مراتب أرواحهم، فإن تفاوت الأرواح الإنسانية بحسب تفاوت الأمزجة، وتفاوتها بتفاوت درجاتها في الاعتدال، فإن ظهور الوجود من الغيب إلى الشهادة، كان بتدريجٍ وترتيب، حتى انتهى إلى آدم فكان كماله، ثم صار الكمال الإنساني الذي هو الخلافة أيضاً يبرز بتدريج بطرِيق الأكملية من الغيب إلى الشهادة، ومن القوة إلى الفعل ومن البطون إلى الظهور، حتى تمت مرتبة الخلافة من حيث الأكملية في داود عليه السلام فتحقق بالخلافة علماً وعملاً وحالاً، فوقع النص على خلافته بأوضح من النص على خلافة آدم، وبجّله سبحانه في ذلك، فإنه ذكر خلافة آدم بقوله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾[البقرة: ٣٠]فما نصَّ على اسمه ولا خاطبه بها خطاب المواجهة، مع أنه لا شك في خلافته، ولا نص على أمره بالحكم، كما فعل بداود عليه السلام حيث قال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ....﴾ [ص: ٢٦]، ثم عظمه فخرج له عن خطاب المواجهة إلى خطاب المغايبة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص: ٢٦] الآية، لئلا يقول: إنك إن ضللت، فصرّح في خلافته، وعرّض بخلافة آدم، وعرض في خطيئته، وصرح بخطيئة آدم حيث قال: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]وقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٣٥]وتحقق آدم بالخلافة علماً وبعض العمل والحال ومع ذلك كان علم داود أكمل، والذي يدلك على ذلك أن المنصوص عليه من علم آدم هو علم الأسماء، وإن فتنة آدم كانت من قِبَل الشيطان، والتحذير الإلهي كان منه، ثم مع ذلك أثر فيه قول إبليس: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾[الأعراف: ٢٠]، فطمع في الخلود ورتبة الملائكة وغره حلفه بعد التحذير منه، وبعد أن سجدت له الملائكة أجمعون، وبعد أن أدخل الجنة وقيل له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾ [طه: ١١٨-١١٩] وليس كذلك داود، فإن فتنته كانت من قبل الهوى، والهوى له تأثير في العلم وإن كان راجحاً.

ومن له ذوقٌ فيما ذكرناه يعلم أن أعظم شرائط التحقيق بمرتبة الخلافة وأولها: العلم، ولذلك لما أشرك الله سبحانه سليمان مع داود وورثه إياه عبر بخلافة سليمان بن داود بالملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده فقال في ذكر التشريك بينهما: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾[النمل: ١٥]، فتفضيلهما على العالمين، أصله العلم، وقال سبحانه حاكياً عن سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[النمل: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ...﴾ [الأنبياء: ٧٨]، ثم قال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الانبياء: ٧٩].

ثم إن فتنة داود كانت من كمال العلم، خلاف فتنة آدم فإنها بالعكس، ألا تراه غره وقاسمه وأوهمه وهو غير خارجٍ عنه، وليس كذلك داود، فإن داود إنما أتي من قبل الهوى في العلم، فإنه لما تحقق بإحصاء التسعة والتسعين اسماً، ضُرب له مثال ذلك بتزويج تسعة وتسعين زوجة، ثم طمع في تمام المائة، إذ من شأن الكمّل من الرسل والأنبياء والأولياء أنهم لا يرون شيئا متعذر الحصول عليهم بالنسبة إلى قبولهم على الإطلاق، إلا ما أخبرهم الحق سبحانه باستحالة حصوله بأخبار مخصوصة عندهم ليس من قِبَل الوسائط والمواد، فإذا أخبرهم سبحانه صدقوه وتابوا عن ذلك، ومن هذا الباب كان سؤال موسى الرؤيا على وجه مخصوص وسؤال عُزير عن كيفية الإحياء على وجهٍ مخصوص، فلما أخبر موسى بامتناع ذلك آمن وتاب.

وكذلك داود لما أراد الله سبحانه إعلامه بأن التحقق بهذا الاسم ممتنع عليه من حيث إن الله لا يغفر أن يشرك به أقام فيه طلب المرأة المعروفة، وضرب له المثل المعروف فكان دخول الفتنة عليه من كمال العلم والتحقق به لكمال الخلافة، وقصة آدم بعكس ذلك لأن داود تحقق بالخلافة علماً وعملاً وحالاً، والدليل على رجحان علمه ما تسمع أنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وقول سيدنا محمد ﷺ في صومه: "أنه لا أفضل منه"، وما جاء عنه في حديث أخذ الذرية أن الله سبحانه خيّر آدم بين يديه وهما مقبوضتان، ثم قال: "اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمينٌ مباركةٌ فبسطهما فإذا فيهما آدم وذريته فرأى أضوؤهم أو من أضوئهم فقال: يا رب من هذا، قال هذا ابنك داود...الحديث". وقد جاء عن النبي ﷺ أن "الصلاة نور والصدقة ضياء"، "والوضوء على الوضوء نورٌ على نور".

ولكمال علم سليمان اختار العلم لما خيّره الله بين العلم، والملك، والمال، فاختار العلم، وفي الحديث بين العلم والنبوة والمال وأعطاه الله العلم والملك والمال لذلك، ولكمال علمهما سخّر الله لهما العالم السفلي والعلوي، وأنه لا يشك عاقلٌ أن تسخير العالم السفلي من آثار تسخير العالم العلوي، وعالم أسباب التصريف، فأما السفلي فقد سخّر حكماً في الجن والإنس والطير والوحش وسائر الحيوان حتى سُخّرت لهما العناصر فسخر لداوود الجبال والحديد، وسخر لسليمان الماء حتى غاص فيه الشياطين، وهذا يجمع تسخير الماء والنار، ولذلك نبّه الحق سبحانه على عظمته، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[الأنبياء: ٨٢] فأخبر أن عملهم دون الغوص لما فيه من جمع الضدين وسخّر له الريح.

فافهم ما ذكرت لك تفهم أن داود ختم الخلافة الإنسانية الذاتية، فهو مظهر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من حيث الرحمة الذاتية، وسليمان شريكه في ذلك إذ هو جزء منه وولده، وزاد عليه بختمية الخلافة

الإنسانية الصفاتية، فهو مظهر ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من حيث الرحمة الصفاتية، التي هي أحكام الرحمة الذاتية، فلذلك انبسط ظهور الخلافة فيه ما لم ينبسط في أبيه، ولا في غيره انبساط الصفة على الموصوف، ولذلك كان له ألف امرأةٍ ما بين مهرية وسرية، ولكمال خلافتهما كانت فتنتهما من قِبل النكاح، ولابتداء خلافة آدم كانت فتنته من قِبل المطعوم، ولما كان سليمان مشاركاً في الختمية الذاتية، ومتميزاً في الختمية الصفاتية، كان عطاؤه ممزوجاً، فمن حيث الصفة توقف على الدعاء، فقال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾[ص: ٣٥] لأن الصفة حكم على الموصوف، ومن حيث الذات ألهمه الحق الدعاء، وأخبره أنه لا حساب عليه، فقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[ص: ٣٩].

ومن حيث هو تمام الخلافة الإنسانية وقع التحجير بإجابة دعوته، فعادت الأمور من بعده إلى البطون من الظهور، إذ ليس ثَمّ إلا ظهوراً من البطون وبالعكس، فما نقص من الباطن أخذه الظاهر وبالعكس، فهذا معنى تعلُّق الملك السليماني في خاتمه، أي: في ختميّته.

فإن فهمت ذلك، فهمت أن الملك السليماني هو كمال الظهور بالخلافة الإلهية، ولهذا قال: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾[ص: ٣٥] فنكّر وخصص، وأنه قد شورك في كل جزء من أجزاء ملكه، فيفهم أن الملكَ المخصوص به هو الظهور به جملةً واحدة، ومعنى الخاتم كونه الحد والنهاية، فلا ينبغي لأحدٍ من بعده الظهور بمثل ما ظهر به.

ألا ترى رسول الله ﷺ مكّنه الله سبحانه من العفريت قهراً، حين جاءه بالليل ليفتك به، فهمَّ بأخذه وربطه بسارية المسجد حتى يصبح، فتلعب به الصبيان في المدينة قال ﷺ: "فأمكنني الله منه"، ثم أخبر أنه لما همَّ بأخذه وربطه ، ذكّره الله دعوة سليمان، فتأدَّب معها ﷺ لعلمه بموقعها بعد أن أمكنه الله منه.

فقد استبان لك أن الملك السليماني هو الظهور بالكمال الإنساني، الذي أول مظاهره آدم، وهو مشرقُه، ومستواهُ سليمان عليه السلام فلذلك قال في كتابه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[النمل: ٣٠] يشير إلى كمال خلافته، وتحققه بالظهور بالرحمتين، رحمة الامتنان، ورحمة الوجوب.

فرحمة الوجوب هي المشارُ إليها باسمه الرحيم، لأنه سبحانه أوجب على نفسه الرحمة، ورحمة الامتنان هي المشار إليها باسمه الرحمن، ورحمة الوجوب داخلةٌ فيها دخول تضمُّن، فإن الإيجاب من الامتنان، فالرحيم داخل في الرحمن دخول تضمُّن، فهو ﷺ يقول: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإن سليمان ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ظاهر فكأنَّ قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ بمنزلة قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم فسره بـــ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لتعرف مرتبته لعلمه بعلم المكتوب إليه وفهمه ﷺ على نحو قوله سبحانه: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾[القارعة: ١-٣]وأشباه ذلك.

ولذلك عظمته بلقيس رضي الله عنها حيث وفقها الله فقالت في كتابه: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ۝٢٩﴾[النمل: ٢٩]، ثم امتحنت صدق دعواه بالهدية لتنظر ما يرجع المرسلون، فردها لعلمه أنه له وإليه ترجع، وإن لم تأته في هذا العالم، بل لعلمه أنه لا بد لها منه، فجاءته مُسلِمة ومسلّمة له، وهذا فقهٌ عظيم يعرفه من له هذا الذوق، وقد قدحَ قومٌ في ذلك، وزعموا أنه قدم اسمه على اسم الله، وحاشاه من ذلك الذي توهموه، وقد تعجرف خلقٌ كثير بتمويهات وأكاذيب، على ألسنة العباد، أنهم وعظوا بها سليمان

ووبّخوه، ورَووا في ذلك أحاديث موضوعة عن النبي ﷺ ليستميلوا بها قلوب الضعفاء، ويأكلوا بها من أموالهم، وحاشا لعلم رسول الله ﷺ وحاشا سليمان عليه السلام فالعياذ بالله من نقص رتبِ رسل الله.

فصل: فإذا فهمت هذه الفصول المقدمة لك على ترتيبها، فهمت أنَّ معنى الإنسانية هي الخلافة عن الله، وأن الخلافة عن الله مرتبةٌ تشمل: الولاية، والنبوة، والرسالة، والإمامة، والأمر، والملك.

فالكمال الإنساني بالقوة منذ آدم إلى آخر مولود، فقد جمع الله لآدم من مراتب الخلافة والولاية والنبوة، فهو مشرقهما.

وجمعَ لنوح الولاية والنبوة، والرسالة، فخلافته أكمل.

وجمع لإبراهيم الولاية والنبوة، والرسالة وابتداء الإمامة، فخلافته أكمل.

وجمع لموسى الولاية والنبوة، والرسالة والإمامة، وابتداء الأمر فخلافته أكمل، وجمع لداود الولاية والنبوة والرسالة والإمامة والأمر، وكمال الخلافة فخلافته أكمل، وجمع لسليمان الولاية والنبوة، والرسالة، والإمامة، والأمر وكمال الخلافة، وتمام الملك، فخلافته أكمل، ولذلك عمّ التسخير له، وتصرف بالأمر الذي هو القول مكان تصرف غيره بالهمة، قال سبحانه: ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ﴾[ص: ٣٦] وجمع لعيسى الولاية والنبوة، والرسالة والإمامة ، والأمر والملك، وتمام الرسالة، فخلافته أكمل، وتصرفه أتم لمن عقل عن الله، وبه تمت دورة العبودية في الخلافة، ولتمامها به قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[آل عمران: ٥٩]، فمماثلتهما من حيث الختمية، لأن آدم ختم المظاهر الإنسانية في العالم، وعيسى ختم مظاهر الرسالة في آدم عليه السلام فتصرُّفه أتم، وعلمه أكمل، ألا تراه يحيي الموتى، و يُبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، بيد أنه لا يتم له التظاهر بمجموع الملك، بل يملك لانختامه بسليمان عليه السلام وتمام ظهوره، فلم يبق إلا رجوعه من الظهور إلى البطون.

ولما تمت دورة العبودية في الخلافة بسيدنا عيسى، جاء الله بدورة السيادة في الخلافة لسيدنا محمد ﷺ فكان قطب الدائرة، ومفتاح باب الآخرة، جامعاً للولاية، والنبوة، والرسالة، والإمامة، والأمر، والملك، فهو ختمُ الختم، ومحلُّ الإفشاء والكتم، فكمالُ من قبله كمالٌ عن نقص، وكمالُ محمدٍ كمالٌ عن كمال، جمع اليمين والشمال، وتحقق بالإدبار والإقبال، بلا إدبار ولا إقبال، فأوتي جوامع الكلم، وانقطعت ًبه نبوة التشريع ورسالته، و لم يبقَ إلا انختام الولاية بخليفة اللّٰه، وخليفةً خلفاء رسول الله ﷺ محله من الولاية محل محمد من الرسالة، فكان ولياً وآدم بين الماء والطين، وغيره ما كان ولياً إلا بعد تحصيل شرائط الولاية، كما كان محمد ﷺ نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره، ما كان نبيّاً إلا بعد تحصيل شرائط النبوة، وجميع الولايات مدرجة في ولايته، كما أن جميع الرسالات والنبوات، مدرجة في نبوة محمد ورسالته ﷺ، والكلام في مرتبته تكلّ الأفهام عنه، فلنكتفي بهذا القدْر.

فصل: وإذا فهمت ما تقدم ذكره، فهمت أن الملك والرسالة توأمان لا قيام للعالم إلا بهما، لأنك قد فهمت أن هذا النوع الشريف مجموع العالم، وثمرة الوجود، وأنه المقصود من إيجاده، وأنه لأجله أوجد العالم، وأنه المقصود للبقاء، والاستنماء إلى الأجل المسمى، وأنه مجموع العالم، وأنه بصلاحه صلاح العالم، وبفساده فساده، وإنما يتم بقاؤه، واستمداده، واستنماؤه، وصلاح عبادته بالرسالة والملك، فإن بالرسالة تحصل المعرفة الأولى: التي هي الإيمان بالغيب والعبادة، وبالعبادة تحصل المعرفة

الثانية: التي هي المشاهدة والرؤية، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، المشار إليها بقوله سبحانه وتعالى: "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به"، وبالملك يحصل التزام العدل.

وبيان ذلك أن الإنسان مفارق لسائر الحيوان، بأنه لا يحسن معيشته لو انفرد فيها، وضرورات حاجته إلا بمقارضة أو معاوضة من آخر من جنسه، يكون كل واحد منهما مكتفيا بالآخر، ونظيره كزراع ونساج، وخياط وجزار، ودباغ وطباخ، وحداد ونجار، إلى غير ذلك.

ومن ثم اضطروا إلى عقد المدن والجماعات، بالعدل والسياسة، ومن لم يكن كذلك عدم كمالات المدينين، على أنه لا بد من تشبهه بهم، فهم لهذا اضطروا إلى الشركة [والمعاوضة]، وافتقروا إلى سنة وعدل، إذ لو ترك الناس وآراءهم، لرأى كل واحد ما عليه ظلما، وما يطلبه حقا، لغلبة الأهوية، وميل الطباع بالنفوس، ويحصل بذلك التنافر والتباغض، فهم في غاية الافتقار إلى بيان معدل يسكن به الهيجان، وتنحسم به الأطماع، وينقطع به البغي، وتنحسم به مواد الشر، رهبة ورغبة، كما قال ﷺ: "إن الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن" ليقبلوا على ما هم عليه، وعلى ما أريد منهم، ويحصل التآلف والتحابب، وينقطع التدابر والتقاطع، وتنعمر الأرض، فيبقى هذا النوع إلى الأمد المقدر، ولا يتيسر ذلك إلا بأن يكون لذلك اللسان، أي: الناموس المعدل نوع اختصاص من القهر، ليس لغيره مثله من جنسه يمتاز به، ليمتثل أمره، ويسمع قوله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، فالتسخير ضربان: تسخير رهبة وقهر، والاختيار فيه إلى القاهر كتسخير الإنسان لذي السطوة من الإنسان، وكتسخير جوامع الحيوان، ومذللاته للإنسان، وتسخير بالرغبة والمرتبة، كتسخير السلطان للرعية في القيام بأمورهم، والذب عنهم في حفظ أنفسهم وأموالهم، رغبة في التصدر، فهو تسخير المرتبة، فما تسخر مثل المثل أبداً، من حيث هو مثله، وإنما تسخر له من حيث الدرجة التي امتاز بها عنه، وارتفع عليه فلا يتسخر إنسان لإنسان، برهبة أو رغبة من حيث هو إنسان، بل من حيث هو حيوان، وإذا وجد هذا على هذه الصفة، فالحاجة باقية إلى من يدعوهم إلى معبودهم، ويعرفهم الأولى بهم، والمقصود من وجودهم، ويزكيهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وهذا أيضا يحتاج إلى ما يمتاز به عنهم، مما يستدل به على أنه جاء من واجب الوجود، ولا يشاركه غيره في وقته بمثل ما يجيء به، من حال وعلم وصفة ومعجزة، ولا بد أن يكون ذلك إنسانا يخاطبهم، ويلزمهم السنة والعدل، ويعرفهم صانعهم، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]

فقد تبين لك أن العالم لا يقوم إلا بالرسالة والملك، وأنهما توأمان، وأن الوجود بأسره في أشد الحاجة إليهما، وأنهما معظم نفعه، فاستبان لك شرفهما، قال ﷺ: "الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله"، فهما معظم الخلافة، إذ هما معظم الظهور بمعظم الأسماء الإلهية على ما يسلف، وعلى ما سنبينه إن شاء الله تعالى، وهما معظم الكمال الإنساني، وبهما حصول معظم الكمال

أيضا، فلا جرم أن نبوة التشريع ورسالته قد انسد بابهما، بسيدنا محمد ﷺ لأنه لبنة التمام فلم يبق إلا الوراثة منهما، أعني: خلافتهما.

وأما الملك فلا ينقطع لانقطاع الرسالة، فإنه لقب من ألقاب الخلافة له مقام النيابة لنبوة التشريع وهي التي انقطعت، وأما غير نبوة التشريع فلم تنقطع لأن عيسى عليه السلام وإلياس والخضر موجودون، إن تشككت فنيابة النبوة تكون بالجمع بين الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على مرسوم الرسل، وحفظ حدود الله وشرائعه، وإقامة سياسة الرسل ونواميسها المضروبة بين الأمم في الأمم، فهي مرتبة الخلافة للرسل، وبهذا سمي الخليفة أمير المؤمنين، إما بتسكين الهياج، وإما بحسم مادة الاختلاف، إذ العالم كالجسد الواحد الجزئي، الذي تسري فيه أخلاطه، فإذا طغى بعضها على بعض، بأن تهيج عليه الصفراء، والبلغم أو السوداء، مثلا أو يزيد فيه الدم، أو نحو ذلك، احتاج إلى التسكين بالفصد أو الحجامة، أو القيء والاستفراغ، أو بنوع من أنواع الأدوية، التي آخرها الكي، حتى يرجع إلى الاعتدال.

فللنبوة مرتبة الخلافة عن الله تعالى كما سبق، والملك والقضاء والسلطنة لها مرتبة التنفيذ لحكم النبوات بالقهر، فالملك حجاب الرسول إذا كان ظاهرا، وخليفته ووراثه، ونائبه، إذا كان باطنا، فإنا قد بينا أن الأمانة التي حملها الإنسان نفسه، وأنها مدسوسة مقبوضة في هذه الطبائع المختلفة، الكثيفة الظلمانية، وأنه مأمور بردها إلى أهلها الذي اشتراها منه، بأن لها الجنة، وأداؤها تزكيتها هو الوفاء بالعهد.

والوفاء بالعهد: هو أن يكون سعيه في كل شيء لله لا لها، سواء كان من محابها أو من مكارهها، على ما يُذكر في موضعه إن شاء الله، فإن فعل ذلك فقد زكّاها، وإن لم يفعل فقد دسّاها، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾ [الشمس: ٩-١٠]، وإنما قلنا: إنها هي الأمانة، لأنها مرآة أسماء الله عز وجل كما أشار إليه بقوله: "ووسعني قلب عبدي المؤمن"، فهي موضع نظره الذي لأجله وجد الوجود، وهي لا تزال أمارة بالسوء، ما دامت على دسها، حتى ترحم، فإذا رحمت صارت لوامة، تلوم نفسها على أفعالها، حتى يرضى عنها مشتريها، فيرضيها فتطمئن إليه.

وما كلف الله سبحانه من لم يتخلص من نفسه غير نفسه، حتى يتخلص منها، والخلاص من سد أبواب الهوى مطلقا، ووقوفها على مولاها، وذلك يتيسر جملة واحدة إلا لمن شاء الله تعالى، فلذلك إن الرسل تبدأ بتدريج الدعوة إلى الله تعالى أولا فأولا، فيعلم الناس أن لهم صانعا واحدا قاهرا قادرا، عالما بالسر والعلانية، له الأمر إذ له الخلق، وحقه أن يطاع، وأنه قد أعد للمطيع معادا مسعدا، وللعاصي معادا مشقيا، ليعمل الناس بحسب ذلك، ويتلقوا منهم أقوالهم بالقبول والسمع والطاعة، ثم يصنعوا بينهم بأمر الله سبحانه وتعالى شريعة لا يتعداها كل واحد منهم، تدوم بها سياسة أمرهم، وتواصلهم لهم وتحاببهم، وينقطع بها تنافرهم وتجانبهم من أحكام البيوع والنكاح، والحدود والتعزيرات، ليتفرغوا بذلك إلى الآخرة، وتقع أعمالهم على الوجه المطلوب، ويبقى مع ذلك ذكرهم المعاد والصانع والرسول، فلا يستمر النسيان على أذهانهم بعد انقراض الرسل، ويخرجون على المراد بهم، ألا تراه سبحانه يقول: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ثم يفرض عليهم بأمر الله سبحانه فرائضاً، ويندبهم إلى مندوبات من أفعال وأقوال، في مدد متقاربة، وأوقات معينة، يجب تكرار بعضها، ويندب تكرار بعض، ويذكرهم الله سبحانه ورسوله، ومعاده من ألفاظ تقال، ونيات تتخيل، وأعمال تفعل.

وتلك الأعمال إما حركات وإما قطع حركات، كالصوم والصلاة، فإن الفاعل بالفعل لا بد أن يذكر من لأجله فعل، ويذكر الواسطة والمعاد، وكذلك بالامتناع، والصوم يحرك من الطبيعة تحريكا شديدا، ينبه صاحبه على عظمة ما هو فيه، فيكون العبد مستجيبا لمجموعه، منصرفا إلى الله بكليته، وقد نبه الرسول ﷺ على ذلك بقوله: "إنما شعرت المشاعر وجعلت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى"، ألا تراه ﷺ عين مواضع مقصودة، جعل التوجه إليها توجهاً إلى الله تعالى، وجعل التوبة إلى الله أتم قربة من غيرها، وعين فيها أفعالا وأقوالا، كالحج والجهاد ونحو ذلك مما يجمع مصالح دنيوية وأخروية، وجعل ذكر الرسول ﷺ تاليا لذكر المرسل، وعين أن أشرف هذه الأعمال ما كان العبد فيه مقبلا على الله سبحانه، مناجيا له كالصلاة، وعين فيها آدابا كما جرت به العادة من الاستعداد لمقابلة الملوك وزيادة، لتميزه عنهم سبحانه وتعالى من الطهارة والتنظيف والتطيب، والخشوع والذلة والافتقار، وغض البصر وقبض الأطراف، وترك الالتفات والاضطراب، تعظيما وهيبة، وسنَّ لهم آدابا ورسوما محمودة، وسامحَ بها العامة أولا برسوخ ذكر الله في نفوسهم، وذكر ثوابه وعقابه، وذكر رسوله المترجم عنه بذلك، ليدوموا على سنته، ويخف عنهم ثقل التقيد بقيوده، ويسلموا من عقوبات المظالم والمآثم، وما ينافي حصول ما وعد به من لذات المعاد، وما بين ذلك من نزاهة أنفسهم عن الخبائث المستقذرة، من ظلمات الطبائع والأخلاق المهلكة، وتبعيدها عن الهيئات البدنية، فتوافقهم على الاستعداد، وتسلم من فتنة الجسد المضاد بشهواته مصالح المعاد، ومن الارتياض بطريق الكسل عن الطاعات، والنشاط في اكتساب اللذات البهيمية، ويأخذ بالارتياض بتكرار ذكر الله سبحانه وتعالى وعبادته بجميعها، فيتجلى لها سبحانه وتعالى كما وعدها، ويريها عالم السعادة من الملائكة، والأرواح الشريفة والجنات العالية، فيتولد من ذلك الالتفات إلى جنابه سبحانه وتعالى والإعراض عما سواه، فيحصلون على محبته، ويحصلون من محبته على معرفته، كما قال سبحانه وتعالى: "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...الحديث"، فلا شك أنه لو فعل هذه الأفعال، والتزم هذه السنن، من لم يكن معتقدا لها، لم يعدم حظا، فكيف بمن يعتقدها من عند الله، ويفعلها قربة إلى الله، فيكفيك ما سلف من ذكر أمية بن أبي الصلت رضي الله عنهم.

فصل: فقد استبان لك أن الخلفاء، والأمراء، والملوك، حفظةٌ للحدود ومنفّذون للأوامر، إذ لا يكمن للجانبين أعني الرسالة والملك، أو الخلافة عن الله والملك إلا الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، فلذلك كان في الأمم الأُوَل يكون مع كل نبي ورسول صلى الله عليهم وسلم ملكٌ يلزم أمته طاعته، وما اجتمعت النبوة، والرسالة، والملك إلا لأولي العزم من الرسل، وما انبسط ذلك تماماً إلا في داود وسليمان عليهما السلام إذ هما وعيسى عليه السلام في ختميّتهم ظهر بطن ختمية محمد ﷺ، فلذلك عمَّ ملكهما في الظاهر، وانبسط على الطير والوحش، والجبال، والماء، والنار، والناس، والريح، لأن داود كما ذكرنا مظهر اسم الله الرحمن من حيث الذات، وسليمان مشاركه وختمه مظهر اسمه الرحمن من حيث الصفات، وعيسى عليه السلام ختم مظاهر اسم الله من حيث الصفات، وأوَّلُ مظهر اسم الله الذي هو الله من حيث الذات، فهو الفجرُ الأول المبشّر بمحمد ﷺ، ومحمد ﷺ مظهر اسم الله الذي هو الله ذاتاً وصفاتاً فهو الرحمة للعالمين ذاتاً وصفاتاً، وتمامُ ملكه موقوفٌ على ظهور المهدي، وبظهوره يعمُّ النداء، وينفتح فم الإحاطة، ويسمع الرجل من شِراك نعله وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بما عمل أهل بيته من بعده، وتدعوهم الأحجار والأشجار لليهود، ويفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل، فيفتحون

القسطنطينية بالتسبيح والتقديس، وإنما امتنع اجتماع الملك والرسالة عن الأكثرين، لأنه لا يقوى على الجمع بين الظاهر والباطن إلا المخصوصون بذلك، لأن كل واحد منهما حجاب عن الآخر، فمن اشتغل بأحدهما ضعف عن الآخر، فاستدعى ذلك اختلاله وفي اختلال الجميع، فإن الأمر دور بينهما كما هو الأمر دورٌ بين الروح والجسد، وعلى ذلك نبّه ﷺ بقوله: "كما تكونوا يولّى عليكم"، ولما كان علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل وكانت هذه النبوة جامعةٌ للنبوات وكان العلماء ورثة الأنبياء وكان الخليفة من جَمع بين الوجهين بعد الرسل كما قلنا، لَزم من تحقيق الإرث قتل الثلاثة الخلفاء رضي الله عنهم من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] فإن الوارث يصيب من النعمة والنقمة بقدر إرثه، وكانت الخلافة مدة قوتهم بآثاره ﷺ على الجانبين، ثم استحالت ملكاً كما قال ﷺ: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير مُلكاً"، فإنه لما ضَعُفَ الخليفة الحق الذي هو القطب القائم بوراثة النبوة عن الظهور بها احتجب بالملك الذي هو الخليفة ظاهراً وأطلق عليه اسمه لبقاء صلاح العالم به، والخليفة الذي هو القطبُ ناظرٌ إليه، وقائم به وممد له بحسب قبوله واستعداده، كما ترى الماء ينزل من السماء واحداً فتختلف الثمرات التي تخرج به بحسب القوابل، وإنما ذلك لعدم الأعوان، فإنه إذا هلك الأصل هلك الفرع، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨] فمواد الإسلام تسري من قلب الخليفة الذي هو القطب في العالم.

فالخليفة بمنزلة القلب إذا فَسُد، فسد سائر الجسد كما قال ﷺ: "في جسد ابن آدم مضغة إذا صَلُحَت صَلُحَ سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب"، ونبّه على أنَّ الأمر دور بين الروح والجسد، وقال: "من أصلح ظاهرهُ تولَّى الله إصلاح باطنه"، وكم نبَّهت الشرائع على الاجتماع قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[محمد: ٧] وقال: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٦٦﴾[الانفال: ٦٦] وعلى هذا جاءت آيات المصابرة حتى كان الواحد في أول الإسلام يصابر عَشرة ثم نسخ باثنين لما كثروا واتسعت المعرفة، وفي الأحاديث من ذلك كثيرٌ كقوله: "يدُ الله مع الجماعة".

وقوله: "إن الأمة لا تجتمع على الخطأ"، كل ذلك تنبيهٌ على أن الأمر دور بين الرعية والخليفة أو الملك كما هو الأمر دور بين الروح والجسد، قال ﷺ: "السلطان ظلُّ الله في الأرض"، فالظلُّ لا محالة تابع لمن هو في ظله، والله سبحانه وتعالى مع خلقه بحسب أحوالهم، وأعمالهم كما نبَّه عليه الرسول بما حكاه عنه في قوله تعالى: "يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه".

وفي التنزيل: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[الأنعام: ١٣٩]، و﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾[النجم: ٣٩] .

فصل: اعلم أن لكل نوع من الأنواع الثلاثة: النية، والقول، والعمل أدبٌ مخصوص قد جاء به الشرع، فلا سبيل إلى السعادة الكسبية إلا به ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧] فأهل المخالفة له ﷺ هم أهل العمل السيء، الداعون لله باسمه المضل، المنتقم، ونحوهما من الأسماء، فذلك العمل الصالح لها، فهو نحورها وفتحها من عالم الشقاوة، وقفلها من عالم السعادة، إن فهمت فهم المجابون من قبل هذه الأسماء، والمرادون من حيثها والمجيبون بها، فإن فهمت ما ذكرته لك تبين لك أنَّ الحق سبحانه لم يعط

شيئا إلا بدعاء، فمن ذلك ما يمكن إدراكه لكل أحد غالباً، ومنه ما يصعب إدراكه، فأول دعاء كان من الكون هو استعداده وقبوله التكوين، وأول استجابة له من الحق، إيجاده على حسب ما أعطاه من علم باستعداده، وقبوله من حيث إمكانه، بحسب اختلاف أعيانه المتعددة حال ثبوتها في القِدم، ثم الاستعداد والإمكان والقبول للإعطاء، هو استجابة الدعاء الذي هو الاستعداد، والقبول للاستعداد والقبول، فكل عطاء هو سؤال العطاء، وأول ظهوره من اسم الله الطالب، فالعطاء إذا نُسب إلى المعطي الحق سمي ذاتياً، لأن مقتضيه الذات لا موجب له غيرها، فهو وتري لا تعدُّد فيه، ولا تفصيل، ولا تمييز، وإنما يتميز ويتعدد من نسبته إلى الخلق المُعطى، فيسمى أسمائيّاً، لتعدده بتعدد القوابل، ومن تعدد القوابل ظهرت الكثرة في الأسماء.

فالعطاء وتري أحدي، والاختلاف من قبل المعطي، كما ترى الشمس نورها من حيث هي وتري أحدي، ومن حيث القوابل مختلف، بحسب الصفاء والكدورة، واللطافة، والكثافة، والصقالة، والدرن، فمستفيد نوراً ينعكس منه نور كالمرآة والماء، ومستفيد نارية يحرق غيره بها، ومستفيد نارية يحترق بها بنفسه، ومستفيد نورا على ظاهره لا يتعداه، وكذلك الماء واحد، والثمار مختلفة، و النفخة الواحدة تشعل الحشيش الذي يكون النار، وتطفئ المصباح، فالإمداد من حيث المدد واحد، ومن حيث القوابل المتعددة مختلف، وعلى ذلك نبَّه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الإسراء: ١١٠] يقول: ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾ من هذين الاسمين الدالين على الذات بالألوهية والرحمة، ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: فهو جامع للأسماء الحسنى، فكلّ اسم منها نعت له، ودالٌّ عليه من حيث المعنى الذي تعين لاسمه الله الذي لا إله إلا هو، أو لاسمه الذي هو الرحمن، ذلك الاسم، فكل اسم منها نعتٌ له، ودال عليه من حيث المعنى الذي تعيّن للألوهية والرحمة ، ذلك الاسم.

فإن فهمت هذا فهمت تسبيح الكون وحياته، ونطقه وصلاته، وتسبيحه وذكره، فكل ذلك عبادته، وعبادته دعاؤه، وإنما غَلب اسم الدعاء على السؤال اللفظي لما فيه من إظهار التملُّق والإملاق، والذلة والانكسار والافتقار، والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، والتبري من الحول والقوة إليه، والإقبال بالكلية عليه، فذلك أمرٌ لا يثبت عليه إلا قلوب اصطنعها الله لنفسه، تتوب من قبل أن تُذنب، وتثاب من قبل أن تطيع، وتشكر من قبل العطاء، لأن شكرها الذي هو السؤال قد تقدّم، فالله سبحانه وتعالى أكرم من أن يحاسب سائلاً على مسؤول، وقد تقدم شكره عليه، ألا تراه ﷺ يقول: "أفضل العبادة انتظار الفرج"، فلذلك يقول سبحانه وتعالى: "أعطيته مسألته مع المغفرة"، وليس كذلك العطايا الابتدائية، فإنها تقتضي الشكر أيضاً، ألا تراه يقول: "وأيما عبد لم يسألني، ثم أعطيته كان أشدّ عليه عند الحساب".

فإني قد بينت لك أن معنى كون الحق كنزاً، أي باطنا، هو اتحاد الأسماء الدالة على مسمى واحد هو الذات، عريّة عن الأحكام والنسب والإضافات، فكأنه سبحانه يرى ذاته بالاتحاد الصرف المطلق، لا بالتكثر الأسمائي المتقابل.

ومحبّته هو تجليه لذاته بتميز الأسماء بعضها عن بعض، وليست الأسماء إلا ظهور الآثار، ولا المحبة إلا الإرادة، ولا الإرادة إلا المشيئة، ولا المشيئة إلا الرحمة التي هي المحبة، يقال: رحمت فلاناً أي أحببته، ولا رحمته إلا محبته، ولا محبته إلا كونه معروفاً بالتميز الأسمائي، ولا كونه كذلك إلا تجليه بتميز بعض

الأسماء المتحدة عن بعض، وليس ذلك إلا ظهور الآثار، وليس ظهور الآثار إلا الأكوان، وليست الأكوان إلا الأسماء، وليست الأسماء إلا الذات، فانْبَهم الأمر لافتقار بعض هذه الأسماء إلى بعض في الظهور، والتميز الذي هو كون بعضها ببعض، وحدوث بعضها عن بعض على ما يأتيك بيانه، فالرحمة في افتقار بعض أسمائه سبحانه إلى بعض، وتوقف بعضها على بعض، وكون بعضها عن بعض، فإنه رحمها بها وكملها بها، من حيث غيره لا من حيث هي هي، وذلك أن كمال المراتب الوجوبية، يكون بمعرفة المراتب الإمكانية، التي هي مسماة من بعض الوجوه بالغير، فرحمها بإيجاده إياها وتجليه لها، لتقابل النسب الوجوبية النسب الإمكانية، فتعلمها وتشهدها وتراها، وليست غيرها إلا بهذا التميز النسبي الحكمي، فيحصلٍ للحق سبحانه وتعالى من هذا الإيجاد اسم المكمل المظهر المبطن إلى جميع الأسماء، وهو بنفسه كاملٌ ظاهر باطن عن نفسه من حيث تميز الأسماء، فصح له اسم الكريم لما لم يدخر من المراتب شيئاً، ولو ادخر شيئا لتطرق إليه اسم البخل، تعالى الله عن ذلك.

كل ذلك من حيث الأسماء لا من حيث أحدية الذات فهي نسبة اسم إلى اسم وصفة إلى صفة كما ترى، فإن علم الحق سبحانه وتعالى بذاته نسبةٌ عقليةٌ حكمية اعتبارها من حيث تعلّقها بالذات، وكونها صفة لها، لا من حيث معلومها الذي هو الذات المعلومة، يقتضي بأنها هي لا غيرها، ومن حيث هي نسبة إدراكها لها، يقتضي تميزها عنها، وإطلاق الغير عليها من حيث الحكم التمييزي لا من حيث الوجود العيني المغاير بعض التغاير، لأنها غير موجودة خارج الذات وجوداً عينيا، وليست بمعدومة أيضا لوجودها في ضمن الذات، متميزةٌ باسم العلم، فهي قائمة بين الوجود والعدم، لا موجودة منفردة، ولا معدومة غير موجودة التميّز، ويقتضي أن اعتبار هذا التميز الحكمي، قد أوجب للذات التي هي الأصل، الذي العلم متعلّقها من كونه حالاً لها وشأنا من شؤونها اسم العالم.

وللذات الحاصلة في العلم من حيث مقابلة العلم للذات، مقابلة المرآة للناظر اسم المعلوم، من كون العلم مشتملاً عليها فحصل من ذلك أن لفظة العالم تدل على ذاتٍ عالمة وعلمٍ، وذات معلومة، وهي ما حصل في العلم من مقابلة الذات العالمة، لا تدل على الذات منفردة عن العلم والمعلوم، ولا على العلم منفرداً عن الذات ومعلومها، والذات مسبحة منزهة عن أن تكون محلا للحوادث، أعني: محلا لطروء شيء أجنبي خارج عنها عليها، فصح أن العلم والمعلوم هو الذاتُ لا غيرها، وإنما امتاز عنها امتيازا حكميا نسبيا لا عينياً.

وهذا الامتياز النسبي هو الحِدث، الذي هو الكون، أعني: الحال الذي أوجب كون الذات عالمة ومعلومة، وتسميتها بهذين الاسمين، وليس هذا الحدث والذي هو الكون بغير الذات، لأنه اعتبار يميز الذات العالمة في العلم القديم، عن العلم والمعلوم، ويميز العلم عن الذات العالمة والذات المعلومة، ويميز الذات المعلومة عن العلم والذات العالمة، وليس ذلك كله غير الذات، وليس هذا الكون غير الذات، فإن الصفة هي الموصوف حقيقة، وإنما كانت غيره من حيث الاعتبار النسبي الحكمي، الذي هو الكون المعبر عنه بـــ "كانت عالمة وكانت معلومة".

فلهذا جنح السلف رضي الله عنهم إلى أن قالوا: أن الأسماء والصفات لا هي المسمى الموصوف، ولا هي غيره يعنون أن مغايرة الاسم للمسمى، والصفة للموصوف ليست إلا اعتباره في الذهن، أو قل في العلم اسم له وصفة، يشار بها إليه، وهذا أحسن القول بعد علم حقيقة الأمر، فإن القول بامتياز الذات مغايرة

للأسماء محض التغاير كفر صراح حاكم بالثنوية، ولو كان الأمر كذلك لم يقل سبحانه وتعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١﴾ [الأعلى: ١]، فأحالنا على الاسم، والقول بإثبات الذات بغير الأسماء جهل وتعطيل، فإن فهمت هذا، فهمت من أين تطرق لفظ الكون، الذي هو الحدث إلى الذات المقدسة اعتبارا نسبيا إليها، لا إلى غيرها نزولا وتقريبا.

فالمعبر عنه بالكون الذي هو الحدث هو مصدر أسماء الذات وغيرها ومميزها، فإن الذات المقدسة من حيث أحديتها ليست مصدرا لشيء، ولا متصفة بصفة، ولا مسماة باسم أصلا البتة، وهذا ما أشار إليه النحويون بقولهم: الحدث المصدر وهو اسم الفعل، والفعل مشتق منه، والحدث هاهنا هو الذات المعلومة، تقريب ذلك عليه أن حصول العلم للذات بالذات المعلومة للعلم، متوقف على حصول الذات التي هي معلومة للعلم، وحصول الذات المعلومات للعلم، متوقف على مقابلته للذات التي هي صفتها، وعنها تحدث عند علمها، فهذا التوقف الاعتباري النسبي هو الحدث الذي هو الكون، وهو الذي أحدث للعلم صفة الإمكان والكون، والافتقار إلى الذات المعلومة، وأحدث للذات المعلومة صفة الإمكان والكون، والافتقار إلى الذات التي بها يتعلق العلم، وأوجب للذات التي بها يتعلق العلم نسبة الحدوث لكونها عالمة، وكونها عالمة متوقف على العلم والمعلوم، فالحادث نسبة العلم إليها، وحصول العلم بها لها في العلم، وذلك حصوله لها فالقدم والوجوب صفة للذات من سبقها النسبي على العلم والمعلوم، من حيث هما صفتها ومتعلقها، والحدث صفة لهما من حيث هذا الوجه، والقدم والوجوب صفة لهما من سبقهما النسبي عليها، من حيث تسميتها عالمة فإنها لا تسمى عالمة إلا بهما، والحدث صفة لها من هذا الوجه الذي هو توقف تسميتها عالمة، وهو حدوثٌ بالنسبة إلينا لا إليها، وهو حدوث وقدم وإمكان وكون بغير تغاير ذاتي ولا حدوث بعد عدم، بل هو تغاير بالمراتب والنسب، والأحكام والصفات، لا بالذوات، ولا بتوهم الزمان والمكان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فحقق يا وليّ هذا تفهم ما جاء من وصف الله سبحانه وتعالى في التنزيل العزيز، وعلى ألسنة الرسل بالكون في غير آية وغير حديث، وإطلاق لفظ الجعل عليه سبحانه، كقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ١٣٤﴾[النساء: ١٣٤]، فإنه سبحانه سميع بصير لذاته بذاته، كما أريتك في العلم، وقد جاء في العلم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧٠﴾ [النساء: ١٧٠]، والآيات في الكون كثيرة، والحديث معروف "كنت كنزا مخفياً"، "وكنت سمعه الذي يسمع به"، وكذلك الجعل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[النحل: ٩١]، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، فمعنى كون الشيء كذا اتصافه بتلك الصفة من تلك النسبة التي اقتضته، أي نسبة كانت من ظهور أو بطون، أو خالقية أو مخلوقية، أو غير ذلك، واستقرأ الآيات، واسبرها بهذا الأصل تجده كما ذكرت لك.

واحذر دواب هذا البحر فإنها مؤذية جدا، فإن لم يكن لك بد من مثال محسوس، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠]، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[إبراهيم: ٢٥]، فأنت مثلا لو اعتبرت شخصين في مكان متلاصقين محض التلاصق. لاعتبرت بينهما انقسام المكان، فليس مكان كل واحد منهما مكان الآخر ولا بين المكانين فرق وتمييز إلا الشخصين وليس أحدهما متميزا عن الآخر بشيء آخر، وبهما أو بأحدهما يتعين في المكان القبل والبعد، والفوق والتحت، واليمين والشمال، وبارتفاع الشخصين أو

الشخص يرتفع الانقسام والتعدد في المكان والجهات، وباعتبارهما ليس الفوق أسبق من جهة أخرى، وكذلك سائر الجهات، ومثل ذلك اعتبار الزمان، قال الشاعر:

كهزّ الرديني ثم اضطرب

وأنت لا تشك أن زمان الهز هو زمان الاضطراب وإنما جاء بـــ(ثم) بأن الهز متقدم الرتبة، لا زماناً ولا مكاناً، ولا وهما ولا عدداً، ولكن باعتبار أنه لازم الهز لا غير، وكذلك علمه سبحانه بذاته لازم لذاته، بغير سبق زمني ولا مكاني ولا وهمي، وكذلك سائر أسمائه وصفاته، تعينها وتميّزها هو الحدوث الذي هو الكَون المميز بين الذات والصفات، وليست الذات أسبق من الصفات، ولا الصفات أسبق من الذات، ولا الذات والصفات أسبق من الحدث الذي هو كونها موصوفة بصفات، فإنه صفة منها، وليست الصفات غيرها، وليس بين الحق والخلق زمان، ولا انفكاك بمكان ولا توهُّم، وإنما هو تقديم رتبة وتميز بنسبة، كما بينت لك من أن الذات من حيث أحديتها الذي هو اعتبارها من حيث هي ذاتٌ أحديةٌ مفردة عن الأسماء، التي هي الكون ما لها نسب، ولا اسم ولا صفة، إلا ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ومن حيث الكون الذي هو الأسماء متكثرة في وحدتها، متميزة بذاتها عن ذاتها يصح تقدمها عليها، أعني تقدم اسم على اسم كما بيّنت لك، من تقدم الذات العالمة على العلم، والذات المعلومة رتبةٌ نسبيةٌ في مقابلتها للعلم، لتظهر الذات المعلومة فيه، ومن تقدُّم الذات العالمة حصول المعلومة في العلم، على حصول العلم للذات العالمة، وكذلك باقي الأسماء على الإطلاق، فإن الربوبية تدل على رب يربي مربوباً، والرازقية تدل على رازق ومرزوق، والأولية تدل على تقدم ومتقدم عليه، والآخرية تدل على آخر ومتأخر عنه، ثم عن وجود هذه النسب يقتضي تقدم بعضها على بعض أيضاً في أبسط من ذلك، أعني: من حيث اعتبار نسبة بعض هذه النسب إلى بعض، كما ترى نسبة الواحد إلى ذاته نسبة واحدة هي عين أحديته لا واحديته، ونسبته إلى الثاني هي واحديته، ويقال عليه أيضاً بالنسبة إلى الاثنين نصفٌ وهو واحد، وواحديته من وجه أحديته، ومن وجه غيرها كما أخبرتك، وكذلك إلى الثلاثة ثلث، وإلى الأربعة ربع، وهكذا إلى العشرة عشر، إلى المائة عشر العشر، إلى المائتين نصف عشر العشر، إلى الألف عشر عشر العشر، وكذلك إلى ما لا يتناهى، وهو الواحد بنفسه معبر عنه بهذه العبارات لاختلاف هذه النسب، فإذا قيل: ما نصف الاثنين؟

فالجواب: واحد، ونعني بالواحد أحديته، وما ثلث الثلاثة؟ فالجواب: واحد، ونعني به ذلك، هكذا إلى آخر العدد وهو لا يتناهى.

فاعتبارك هذه التسميات من حيث هي عبارات عنه، ذواتاً قائمة الاعتبار بنفسها هي فيه غيره، وإذا اعتبرتها من حيث بعضها منسوب إلى بعض، فهي متغايرة، وإذا اعتبرتها من حيث الواحد بنفسه فهي هو لا غيره، كذلك إذا اعتبرت الأسماء والصفات من حيث دلالتها على الذات المقدسة فهي هي لا غيرها إذ الذات بنفسها كاملة للإحاطة بجميع النسب والإضافات، ليس فيها من حيث أحديتها افتقار إلى شيء، فنسبتها بذاتها ونسبها، وجميع حقائقها على ما هي عليه من الوجود والعدم، علم هو هي لا غيرها، وإلى المقدورات قدرة ليس غيرها، وإلى جميع الكوائن حال كونها اختيار وقدرة، وإلى المختار قبل اختياره قضاءً ومشيئة، وإلى تعينه بأحد الجائزين إرادة، وإلى إلزامه كونه أمر، وإلى صرفه

عنه نهي، وليست هذه كلها غير الذات المنزهة، ولكن لما توقف ظهور تأثير بعض الأسماء على بعض، أو قل على تأثير بعض، توقف تسمي الذات ببعض الأسماء على تسمّيها ببعض، فصح افتقار بعض الأسماء إلى بعض، فسميت من حيث افتقارها إليها ممكنة، ومن حيث غناها وتأثيرها واجبة، وليس الإمكان إلا الحدث والكون والتكوين، وليس الوجوب إلا الأحداث، فصح عليها مجعولة مكونة إلى غير ذلك، وليس ذلك إلا منها وليست غيرها، فصح على الحادث من حيث هو حادث فقير متأخر، وأنه مرآة القديم الذي هو الواجب في رؤيته أسماءه، وعلى القديم أنه مرآة قديم الذي هو الواجب في رؤيته أسماءه، وعلى القديم أنه مرآة الحادث في رؤيته نفسه، أي: في بروزه له وليس أحدهما غير الآخر، فاختلط الأمر وانْبَهَمَ على أهل الأفكار والعقول المعقولة، فقصروا عن هذا الإدراك، وهم لا يشعرون أن قصورهم نسبةٌ من نسب تجلي الذات لها باسم من أسمائها، التي هي الكون ظهر بهم وهو الاسم المانع، فبطن هذا العلم عنهم، فكان الحق من حيث هم من هذا الوجه، كنزاً عنهم.

ولا يهولنَّك ذلك بعد ما بينت لك، أن شأن أسماء الحق تنقسم إلى مؤثّر ومؤثَّر فيه كما يرى من كونه عالما بذاته، معلوما لذاته، وشاهدا بذاته، ومشهودا لذاته، فليس ذلك إلا فاعلاً ومفعولا، فالفاعل يسمى من حيث هذه النسبة حقاً، والمفعول يسمى من حيث نسبته إلى الفاعل كونا وخلقاً، ومن حيث هو مفعول، فالحكم لله، وهو الحاكم على نفسه بهذه الأسماء، وهو الكاتب على نفسه الرحمة، وليست نفسه إلا ذاته، وليست الرحمة المكتوبة عليها إلا أسماؤه، التي هي الكون، وليس الكون إلا إبداعه، وليس إبداعه إلا تجليه له لا غير ذلك، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فصلت: ٥٣] وكذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[ص: ٢٧] فسمى الحق سبحانه كل شيء موجود حقاً على الإطلاق، وما قدر وجوده ولا بد منه كذلك، فإن الحق اسم الله من كونه موجود في البطون والظهور، وفي البطون الظهور، وفي الظهور البطون والظهور، وليس الباطل إلا العدم الذي هو زوال صورة ما إلى صورة أخرى، فزوال الظاهر بطونه، وليس الظاهر والباطن إلا الحق بالذات خلف حجاب الوسائط، التي هي صنعته التي بها تظهر معرفته، فلا يصعبن عليك هذا، فليست الوسائط إلا أسماؤه وصفاته، وليست أسماؤه وصفاته غيره، فإنه قد سمى نفسه حقاً، ووصف نفسه بالكون، وليس الكون إلا ظهوره له وبطونه، وظهوره له وبطونه عنه ليس إلا تجليه بأسمائه، وقد انبسطت أسماء الله الخالق على مظاهرها من الخلق، فسمى الموجودات والمقدورات وجودها حقاً، فالموت حقٌ خلق، والمميت حقٌّ خالق، والحياة حق خلق، والمحيي حق خالق، والقبر حق خلق، والمُقبر حق خالق، والعذاب حق خلق، والمُعذب حق خالق.

ثم انبسطت المظاهر فاستحدثت أسماء تختص بها، فالنار مثلا صورة تعذيب الله تعالى، فهي صورة اسمه المعذب، ومظهره وداره وعلى هذا القياس إن فهمت، فالموت حق هو بطون حقيقة الصورة، التي كانت مظهر اسمٍ من أسماء الحق وصورته، وموت الموت بطون صورة اسمه المميت فافهم، وقد استبان لك ما أشرت لكَ إليه من افتقار بعض هذه الصفات والنّسب إلى بعض، وأن ذلك هو الرحمة التي هي رحمته إياها بها، وتكميلها بها وليست غيرها، وقد انفتح لك الباب فلُج بقدر ما يُوهب لك.

واعلم أنه لما كانت الأسماء الإلهية متلازمة هذا التلازم، وكان شأنها دوريا، وبعضها مغناطيسيا لبعض في قضية العقل فليستدعيه، فالاسم العليم يستدعيها ظهورها وبطونها وتعددها، وغير ذلك

ليعلمها كذلك، والاسم الحسيب يستدعيها بعددها، والاسم الواهب يستدعي افتقار بعضها إلى بعض، والاسم القهار يستدعي استيلاء بعضها على بعض، والاسم الشهيد يستدعي ظهورها إلى آخر الأسماء، وكان الكون أيضاً متلازماً، وبعضه مغناطيساً لبعض في قضية الحس والعقل، إذ ليس غيرها علمَ ذلك من علمه، وجهل ذلك من جهله، فالحديد يجذبه المغناطيس بخاصية بينهما ومناسبة، ثم الحديد يجذب حديدا آخر، وإنما ذلك بظهور خاصية من خواص اسم الله الطالب في الحجر، هي الغالبة عليه بالنسبة إلى الحديد، فأكسبته ذلك حتى تأثر وأثر، والثوم يبطل جذبه للحديد بخاصية فيه من خواص اسم الله المانع، هي الأغلب على الثوم من حيث النسبة إلى الحجر المذكور، وإن كان ليس من الأكوان شيء صغير ولا كبير، إلا والأسماء مشتركة فيه متداخلة متلازمة، ولكن الصفة من حيث الغلبة بالنسبة إلى المقابل، كما تقول الأطباء في الشيء الفلاني حار يابس، وفي الآخر بارد رطب، ولا شك باحتوائه على الطبائع الأربع، إنما وصف بالأغلب ظهورا عليه، فالنار حارة بالنسبة إلى النبات والحيوان والجماد، ما خلا أشياء سلف ذكرها، وكذلك اسم الله ظهر في الثوم بالنسبة إلى الحجر بالمعطي الذي أعطى كل شيء خلقه، أي: خصوصيته المؤثرة لأنه أعطى الثوم منع الحجر صفة الجذب للحديد الخاص به، وظهر اسم الله للحجر بالنسبة إلى الحديد بالمانع، لأنه منعه للجذب الخاص به فافهم ما نبهت عليه من غرائب العلوم، فقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل مغناطيس شاغلاً يشغله عن التأثير فيما شأنها التأثير به، وجعل لذلك الشاغل شاغلاً يشغله عن شغله، فجعل الصفة العزرائيلية مغناطيسا عند مشاهدتها، بنوع اختصاص يتجلى به تفارق الأرواح أشباحها، وتصعد إلى عالمها، ولكن بشرط زوال العوائق الشاغلة لها، من سلامة التركيب وصلاح المزاج وغير ذلك.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لعوائق هذا الحديث، عوائق تعوقها عن العوق كالماء لغسل الثوم من الحجر، فيستدعي حضور الملك وتأثيره وهو أنواع شتى لا يحيط بها إلا الله تعالى فمنها ما يفسد التركيب من هدم بنيانه وفساد مزاجه، كلسع الحيات وأنواع السموم، وأصوات حيات معروفة قد ذكرناها، ورؤيتها وأوهام أهل الأوهام وغير ذلك.

وجعل الصفة الروحانية الجبرائيلية العلمية، مواصلة للنفوس الإنسانية، مؤثرة فيها وحياً وكشفاً، وإلهاماً على أنواع شتى، وجعل النفوس المتأثرة منها مؤثرة لغيرها، بشرط السلامة من العوائق الشاغلة التي تكسبها الكثافة من أنواع ما حذر الله منه، من العمل السيء الذي هو لها بمثابة الثوم للمغناطيس بالنسبة إلى الحياة العلمية، وجعل العمل الصالح لها مطهرا من العمل السيء، ورافعاً لها إلى الصفة الجبرائيلية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠]، وأخبر الرسول ﷺ بذلك بقوله: "المرء على دين خليله"، "المرء مع من أحب"، "المرء مع جليسه"، وأخبر التنزيل بذلك في غير آية ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[فصلت: ٤٦]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧]، وقد جعل الله سبحانه التجاذب والمناسبة بين بعض الأشياء من حيث الانفراد، وبين بعض من حيث التركيب.

فصل: وإذا علمت أن الدعاء هو العبادة، وأن العبادة الإنسانية قول وعمل ونية، وأن القول والعمل لابد فيهما من النية، وأن النية المؤثرة من ثمرات القول والعمل بالنية، فينبغي أن يعلم المقصود منه، فنقول وبالله التوفيق:

إن الأسرار الإنسانية أصلها الطهارة من رجاسة الشرك بالذات، فإنها على الفطرة كما قال عليه السلام، فطهارتها هي سبب انقيادها لكل ما قابلها، كما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه، ويمجسانه..." الحديث، والنجاسة فيها عارضة من قبل الكون، فلذلك أمكن زوالها، فهي بمثابة الماء كما أشار صلى الله عليه وآله إليها بقوله: "الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غيّر طعمه أو ريحه..." الحديث، ولا معنى لنجاستها إلا النظر إلى الكون بعين المحبة المحضة، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة: ٢٨]، وإنما كانت بمثابة الماء، لأن الماء لا لون له إلا لون إنائه، فكما أن نجاسته ليست إلا ملاصقة أجنبي يزيل لطافته ورقته من أنواع النجاسات، أو يحجبها من الطاهرات وذلك لا يكون إلا لقلة الماء وغلبة الملاصق، فيحمل الخبث ويسلب الطهورية لضعفه، إذ لا يبقى فيه متّسع لغير ذلك الملاصق، فكما أن الملاصق للماء من الأجنبي هذه الملاصقة من الطاهرات يسلب طهوريته، ومن النجاسات ينجسه، فكذلك الكون كله يحجب الأسرار عن الله تعالى، فاللطيف وما يتعلق باللطيف يحجبه مع الإسلام، والكثيف وما يتعلق به يحجبه مع الشرك.

ومعنى اللطيف هنا: المحبة لأجل الله بأمر الله، ومعنى الكثافة: الغيبة عن الله، فمحبة الكون دون الله هي نجاسة اللطائف الإنسانية، فالكون من هذه النسبة بالأصل نجس كله بالنسبة إلى اللطائف، وطهارته عارضة فزوالها ممكن، ومتى استولت الأسرار الإنسانية على ظواهرها، طهرت بطهارتها لاستهلاكها فيها، فالبحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته، ومتى استولت الظواهر على أسرارها، أصابتها نجاستها لضعفها فحجبتها، كما ترى المرآة الصقيلة لا يبدو فيها صورة إلا ما يقابلها، فإذا لاصقها القلع تجلى فيها، فحجب لطافتها عن تجلي غيره، ولا معنى لزوال النجاسة من الماء إلا زوال ما حجب لطافته بكثرته، فيغلب ما خالطه ويستهلك فيه، أو بوجه ما يرده إلى أصله، ولذلك اعتبر الفقهاء الزوال طهارة، والستر على حاله، وهو منشأ القولين في التراب، هل هو ساترٌ ومزيل؟ ولا معنى لصقالة المرآة إلا زوال ذلك الملاصق من القلع الحاجب غيره عن التجلي فيها؛ ليتجلى فيها ما يقابلها.

وكذلك الأسرار الإنسانية أصلها طهارة الإيمان من النشأة والميثاق، فلا تقيد لها بجهة ولا كون، فلذلك كانت مرآة تجلي الحق الذي لا يتقيد بجهة ولا كون ولم يسعه غيرها، ولا معنى لنجاستها إلا الشرك الذي هو التقيد بصور الأكوان، فإذا أعظم منجس لها أقرب الأكوان إليها نسبة وملاصقة، وهو بمثابة قلع المرآة الذي هو أعظم حاجب لها، أعني: أخلاقها، وعلى ذلك نبّه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[المدثر: ٤]، ولم يقل فؤادك فطهر، لأن تطهير الطاهر تحصيل حاصل، فإذا زال الملاصق لها المستولي عليها أو استهلك فيها عادت إلى الطهارة، فثيابك هي صورتك ينبغي أن تكون مستهلكة في أطيفتك أو تبعاً لها، فتطهر بطهارتها كما قلناه في البحر إن فهمت.

ولذلك طريقان: أحدهما طريق طهارتها بإزالة نجاستها وردها إلى أصلها، وهي طريقة أهل النعوت والأسماء المعروفة بكسر الصفات، وهي لعامة الخاصة التي لا يثبت عليها، ويستكملها إلا الخاصة من الخاصة، فإنها خطاب للجميع من حيث اجتماعهم، وخطاب للخواص من حيث هم نسخة العالم، وهي الآن طريق الملامية ضنائن الحق فحول الحقيقة، وهي الذكر الحقيقي الذي جاءت به الشريعة المطهرة لمن عقل عن الله تعالى، وعليه كان السلف الصالح (رضوان الله عنهم) فالكامل فيها قطب وقته بيد أنه قد اندرس سيرها حتى صارت كهيئة المستنكرة، لأن هذا الزمان هو الذي أشار إليه

الرسول ﷺ بأن يكون المنكر فيه معروفاً والمعروف منكراً، فالسالك فيها على وجه الاختيار، والعمل يحتاج إلى الاحتراز، والاحتياط حذرا أن تعترضه العوارض، فيميل مع نفسه عليها، إذ هو مدّعٍ قيامه لله، ولله عليه حقوق، وله على الله حقوق جعلها الله سبحانه وتعالى على نفسه تكرماً، ولنفسه عليه حقوق جاء الكتاب والسنة بذلك كله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧]، سواء كان ذلك لنفسك أم عليها قال عليه السلام: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"، وليس كذلك الكامل المشار إليه، فإنه قائم عند الميزان يأخذ لنفسه ومنها فلا يكون ظالماً لنفسه ولا لغيره، فأنت مطلوب بردّ الأمانة إلى أهلها، فإن أردت الخلاص، فالقِ نفسك بين يدي من هي له، فإن تولاها هو سبحانه وتعالى بنفسه، وغيّبك عنها فبها ونعمت، وإن ولّاك عليها فتوليتها بتوليته سبحانه وتعالى إياك، فهو وليها فيمدك ويهديك ويؤيدك، وإنما يتيسر لك ذلك في أحد اثنتين: حسناهما إن ظفرت بها أن تلق نفسك بين يدي متحقق باتباع الرسول عليه ﷺ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف: ١٠٨]، وقد ذكرنا لك ذلك في مسائل كثيرة فتبقى وقفاً على إرادته.

وقوله: (لا اختيار لك بنفسك) بلا لِمَ ولا كيف ولا إلى أين؟ والأخرى: أن تحكم الشريعة المطهرة على جملتك كما أنبهك عليه إن شاء الله، فما عضده كتاب أو سنة أو إجماع الأمة أو قياس صحيح عملت عليه، وما نهاك عن شيء من ذلك انتهيت عنه، فهذه دون الأولى من حيث تصرفك على نفسك باجتهادك من وجه، فإن للنفوس دقائق في أهويتها، فإنك محتاجٌ إلى معرفة مدة الهدنة معها، وأحكامها، وأحكام حروبها وأخذ الجزية منها، ووقت نبذ العهد إليها ووقت معاداتها، وأسرها ومعرفة ما أشار إليه التنزيل في نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الانفال: ٦٧]، وقوله: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن﴾[النساء: ١٥] . ومشكلات كثيرة لا يكشفها لك إلا صدقك، فيأخذ سبحانه وتعالى بيدك، وينبّهك على هفواتك في غفلاتك لتستيقظ، وتشهده أيضا متصرّفاً على نفسك من ذاتك، لأنك نائب الرسول على نفسك، فالمتصرف بها الشريعة إذ هو سبحانه قد ولاك عليها فقال: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[القيامة: ١٤-١٥] فاجعل الحق شاهد قلبك واعمل على اتباع أمره واجتناب نهيه، قطعا لما سواه عن قلبك، فمتى لاحظت نفسك سواه عُجلت عقوبتها بما يقتضيه حالها، وقرأت عليها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥] وأقمت عليها الحدود والتعزيرات على حسب جنايتها، ابتغاء وجه الله اقتداء بسيدك وصحبه الطاهرين، ولا تتوقف على جهل من جهل حالك وأنكره، ضل أو اهتدى، فإن الفساد في القوابل المحتجبة بسوء أفهامها، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[هود: ٣٦] ألا ترى المطر ينزل من السماء لا يخص مكانا ولا أحدا، فمن احتجب بحائل احتجب عنه فكان حرمانه منه، فلم تطبق الناس على اتباع الرسل، وإنما اتبعهم من كان منهم، والتنزيل العزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت: ٤٢]، ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[البقرة: ٢٦] لوجود الريب منه في أفهامهم، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[البقرة: ٢٣] ولا ريب فيه، فلا يشغلنك عن طريقك قول قائل، وتوقف متوقف، وإن كنت تريد سلامته، هذا الرسول عوتب على إقباله على كبراء المشركين، وما فعل ذلك إلا استمالة لقلوبهم إلى الإسلام بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ [عبس: ٥].

ولا معنى ولتستوي عندك الكبائر والصغائر، فالمعطي واحد إذا كنت ناظراً إليه، ولا معنى للمعصية إلا حب غيره قال ﷺ: "حب الدنيا رأس كل خطيئة"، وقال: "أعدى عدو لك نفسك التي

بين جنبيك"، فأنت لو سألت كل متفقّه عن القصد بالحدود والتعزيرات، لم يختلف جوابهم أنه في حقوق الله، تطهير من المعاصي، وردع عن مثل في المستقبل، وفي حقوق الخلق ردعٌ في المستقبل، ونقل غيظ المظلوم إلى الظالم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ﴾[التوبة: ١٤-١٥]، فإن الحد هو المنع والقلوب هي الكتب التي سطّر فيها الحسنات والسيئات، فمن قضى غرضا من أحد بغير وجهه، فقد أعطى نفسه هواها، فهي سيئةٌ أظلم بها قلبه بغفلته عن الله وأخذه لها بغير أمر الله، فرقمت في قلبه سواد، أو حسنة للمظلوم رقمت في قلبه فبيضته، كما سوَّدت قلب الظالم، فإن الله عند المنكسرة قلوبهم، والمؤمن يؤجر في الشوكة، والله مع المظلوم.

وكذلك من أتبع نفسه هواها في تعدي حدود الله سبحانه وقضاء الشهوات، رقمت تلك السيئات في قلبه بالإعراض عن الله، وصارت له عادة فإذا عوقبت هذه النفوس بما يغير غيظ المظلوم، ويكسبه نشاطاً ويغيظ الظالم المتعدي، فذلك حدٌّ لله بمثل ما اعتدى به الظالم، وهو عين محو السيئة من المتعدي حداً لله، وحمل الظالم من سيئات المظلوم وإعطائه من حسناته، فأمر الحساب موجودٌ الآن، ولكن لا يفهمه إلا القليل، ويظهر في الدار الآخرة للجميع.

وهذه القلوب هي الوجوهُ المبيضة والمسودة هنا بالإيمان والكفر، وكذلك يظهر في تلك الدار لأنها تكون ثَمّ هي الظاهرة بصور أعمالها، وذلك عين بياضها وسوادها، فإنها باطنة في هذه الدار، وهي الظاهرة في الآخرة، فالبلاء أبدا لا يكون إلا على الظواهر، فالأجسام هنا هي الظاهرة فهي تُبلى هنا، والسرائر هي الظاهرة، ثَم وثَم تُبلى السرائر، لأنها ثَم هي الظواهر، فيبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، ويبدو لهم ما كانوا يكتمون، وقد نبّهت النبوة على ذلك بتحويل الناس بالصور في سوق الجنة من غير نزع ولا خلع، والباطن على حاله كما تتحول الباطن بالصور، والظاهر على حاله فمن فهم ما قلناه رأى القيامة قائمة الآن، والقصاص قائماً.

والطريقة الثانية: هي طريقة استهلاك نجاسة أخلاق النفوس، وسيرها بأن تجعل الحق شاهد قلبك، وتدوم على الذكر الذاتي لفظاً ومعنى، بطرد العوارض في العزلة المعروفة بخلوة الصوفية، وتداوم تلاوة القرآن من حيث هو كلام الله، لا من حيث التفكّر بمدلولاته من الأكوان، كالجنة والنار، والثواب والعقاب والحساب، وغير ذلك، فإن النظر في الكون وسواسٌ حتى إن بعض السلف قال: إنه ليعتريني الوسواس في صلاتي، قيل له: كيف؟ قال: أكون في الصلاة فأذكر مقامي بين يدي ربي.

فهذه الطريقة أقل كلفة من الأولى، بَيدَ أنها إن كانت قبل الأولى، فليحذر سالكها بغير شيخ من مكرانٍ أصابه، وإن كانت بعد الأولى فذلك شأن الكمّل، والمتحقق بها فحل وقته فهو وجهٌ كله.

وللمتحقق بهذه مفردةُ وجهٍ إلى الحضرة وقفاً إلى العالم، قد غيَّبه الله عن قفاه، فلو سُئل لأخبر أنه وجه بغير قفا، وهو سمير الروحانيات يعبر عن هذا الصنف بإناث العارفين ما لم يلتحق بالكمّل، ومن ثم نطق لسان الأعداء على الملائكة الذين هم عباد الرحمن بقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﴾[الزخرف: ١٩]، ولو حرك على هذا قفاه لعلم به، ويستبين لك رجحان الأولى على الثانية، لعموم الدعاء وعموم الاستجابة من كل الوجوه التي تقتضيها حقائق الأسماء والصفات، بخلاف الثانية فإنّ الاستجابة فيها بالأسرار أغلب، فهي أسهل من الأولى، وذلك أن سرَّ العزة سارٍ في الأسرار فهي إذا دُعيت من حضرة الأمر نفرت.

كذلك أسرار المحبين فإنها تجيب عند كل نداء قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾[آل عمران: ٣١]، فالمحب إذا قيل له: حي على الصلاة، يقوِّل: دُعيت إلى ما فيه قرة عيني، وغيره يقول: جاء التكليف، والدعاء ليس من باب الحب لكن من باب الجود، لأن الأسماء هي التي تحب لا الذات، فتجود الذات على الأسماء بالدعاء لتظهر حقائقها، والاستجابة من باب الحب، فالمحب يجيب متى دُعي، ومن أي حضرة دعي فتجيب له المحبة بالمحبة والمغفرة التي هي ستر ذنبه، وإذا دعيت الأسرار من حضرة اللطف من غير أمر أقبلت فقيرة معترفة بالعجز، فمن ثَم غلط كثيرون، فتوهموا أن الحق ما دعا منهم إلا لطائفهم، فاشتغلوا بتقديسها بأنواع المعارفِ والفكر، و لم يحفلوا بظواهرهم فاشتغلوا بتحصيل حاصل، و لم يعلموا أن الأسرار مقدسة، وأن العلم من أعظم الحجب عن إدراك الحق إذ هو يطلب رؤية المعلوم على حد علمه، وما كل معلوم يتصور هذا الطلب عليه ولا يمكن رؤيته، فليس العلم يجلب السعادة، وإنما هو يطرد الجهل، علمت اليهود والهراقلة بنبوة الرسل وما آمنوا: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ...﴾ [النمل: ١٤].

وعَلِمَ إبليس وجوب امتثال أمر الله وحُرم التوفيق فلم ينفعهم العلم دون الإيمان والعمل، فالعلم ليلٌ لا صُبحَ له، ما وقفت معه لأنه يشغل منك ما ينبغي أن تفرغه للرؤية، فإذا خلصوا العلم من الدعوى، وأصحبوه الإيمان والاعتراف بالعجز والافتقار، فهو نور على نور، فيحصلون على الإيمان بالحق في كل مقامٍ رأوه، كما جاء في الحديث الصحيح، ألا ترى النفوس يغلب عليها اتباع الشهوات لما فيها من لطيفً العلم الذوقي لها، واللطف الكوني حتى صارت في حكم الظواهر واستولت عليها، لأنها أحرص شيء على العلم، واللطف كما سبقت الإشارة إليه في غير موضع من هذه الرسالة، وذلك هو نجاستها التي عرضت لها، فمتى التحقت الظواهر بالأسرار؛ فذلك هو المحبة، ومتى استولت عليها فذلك هو القربة، والحق يقول: "لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل..." الحديث.

فيامن شغلته شهواته فضاعت بها أوقاته، وعظمت جرائمه وتبعاته، اسْتَعِن على حل هذا الطلسم الأعظم بنحوره وقربانه، في إرصاده وأوانه، وتفريغه عن الظواهر، وتقريبه من الطلاسم المجذوبة المحبوبة في أرصادها وأوانها، وعند ثوران دخانها لتجذبك إلى أوطانها، بما تستنشقه من روائح طيبها، وتلطف لحجابها بتعفير خدّك بترابها، وارتباطك في عتبان أبوابها، فقد نادى منادي التنزيل على سيد المرسلين بالصبر مع هذا الجيل.

فصل عين اليقين

وما بعد هذا فهو عين اليقين، وهو علم الذات ومشاهدتها، لأنك بعده بحيث لا تشهد ولا تعقل معها كوناً من هذه النسب، معدوما ولا موجوداً، مثبتاً ولا منفياً، بل تغني الآثار والأكوان، والعوالم والأسماء، والرسوم، وهذا وقف على الوهب الإلهي والتجلي الذاتي، إذ لا نسبة بين الحادث والقديم غير الإمكان والوجوب، وهذا الشهود لا ينقال، ولا سبيل إلى عبارةٍ عنه البتة، فلا تطمع نفسك بأن تلقاه في كتاب، فما هو ثم أصلاً، وما ذكر الذاكرون كلاما إلا عن الإلهية، والإلهية هي العلم بالأسماء لا غير، وهو إثبات ذات غير مكيفة ولا معقولة، تنسب إليها صفات متعددة من جهة المحدثات، تسمى من حيث توجهها عليها إلهاً، وتسمى هذه النسبة بينهما ألوهية على ما قدمته لك مراراً.

فالذات تُشهد ولا تُعقل، والإلهية تُعقل ولا تُشهد، وما يُشهد لا يُقال، وما يُعقل يقال، وما في الكتب المنزلة إلا ذكر الألوهية فما دونها لا غير ذلك، فضلاً عن غير الكتب المنزلة، فلا تتعب نفسك في طلب مالا تجده في كتاب، فليس عن ذلك عبارة أكثر من "العجز عن درك الإدراك إدراك":

وكـــان مـــا كـــان ممـــا لســـت أذكـــره فظـــن خيـــرا ولا تســـأل عـــن الخبـــر

وقد نصحتك وهذا لسان الجهل في العلم، فهو آخر درجات القول ليس بعده درجة، وأما العلم في العلم فلسانه السكوت، فلا سبيل إلى النطق معه، إذ لا عبارة تسع ما هناك، ومن حاول ذلك لم يقع إلا على الخطأ الصريح، ومع الشهود فلا سبيل إلى الإحاطة، والإدراك من حيث الخلق، قال سبحانه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الانعام: ١٠٣]، وأخبر ﷺ أنه سبحانه يتجلى في القيامة للعباد في الدار الآخرة، ويتعرف إليهم، ويقول: أنا ربكم فينكرون، ويقولون: نعوذ بالله منك، فلو عرفوه أنه الحق مع مشاهدتهم له لم ينكروه، و لم يتعوذوا منه، فالعلم لا يُعطي الشهود أصلاً البتة والشهود يعطي العلم.

وأما حق اليقين الذي هو بعد عين اليقين، فهو نسبة الألوهية للذات بعد مشاهدة الذات أيضاً لا قبلها، كما أشار إليه التنزيل بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، فإن الجنة من الاجتنان الذي هو الستر، وهو الكون الذي هو أنت، فبك بطن عن الظهور، وبك ظهر فاستتر عن البطون، إلى غير ذلك مما نبهتك عليه، فإنك من حيث بطون وجودك في الكون الذي هو أبوك وأمك، وغيرهما من السموات والأرض.

والخلق والأمر المعبر عنه بالكنز في بعض المراتب، كنز في الكنز، ومنها صح على الكون بالنسبة إليك كنز، ومن حيث كونك عن الكون خلق، والكون من كونك عنه حق، وهو من كونه عن الحق خلق، فأنت الجدار على الكنز، وأنت دخلت نفسك به، ولكن لم تعلم أنك دخلت نفسك به حتى شاهدته رددت الأمانة إلى أهلها، أعني رددت التجلي والشهود إليه، فدخلت نفسك به على علم، فعرفت نفسك معرفة أخرى، فمعرفته فيك نفسك معرفته، ومعرفته معرفتك نفسك، فهذا أبلغ ما يمكن في تسهيل العبارة وإليه الإشارة بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وهذا هو الفرق بين عين اليقين وبين حق اليقين لا غير.

وأما حقيقة اليقين التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: "إنَّ لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك"، فهي إقامتك هذا الجدار الذي هو الجنة، الذي ستر الكنز بدخولك لها فانيا عن إقامتك، ودخولك فناءً محضاً محققا حتى لا ترى غيره، ولا تسمع إلا منه، ولا ترى غيره، ولا تسمع منه غيره، وتشهده بذلك كله، يشهد ذاته بذاته، ويسمع ذاته بذاته، وأنت موجود فيه مفقود في الحقيقة، وهو لم يزل كذلك، وإنما غطّاه الحجاب، فلما ارتفع الحجاب عُدت كأنك تراه، ولا يراه غيره فلذلك قال ﷺ: "اعبد الله كأنك تراه"، وذلك إذا كنت تراه، فقد أثبتَّ نفسك وأثبته رائياً، ومرئياً، فحجبت بثبوتك نصف المعرفة، وهذا حال عين اليقين، فإن الشهود فيه حاكم على الشاهد، فهذا معنى قولنا: أن المرتبة في ابتدائها تحكم على ذي المرتبة لأنك على الصورة، وأنت أحد المرآتين، وإن كان سبحانه يراك من حيث لا أنت، وأنت لا ترى فهذا حال الحجاب (نعوذ بالله) وهو وصف أهل الشمال، وإن كان يراك من حيث لا أنت مع أنك تراه برؤيته إياك، هذا هو الحق اليقين، فهو مرآة واحدة فبها رؤيتان، وفيه

ابتداء السلوك في التحكم بالشهود الذي هو الحكم في المرتبة، وهي مرآتان في مرآة، وكمالها أن تراه بكأنك، فيكون هو الرائي من الجانبين في المرآتين، فقد كملت الرؤية، ولسان هذا المقام "حُبّب إلي من دنياكم ثلاث"، و لم يقل: أحببت، لأنه يحب بحب إذ هو مجمع المرآتين لأنه مجمع الحقائق ﷺ، ولذلك قال: "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، هذا حالُ من هو مرآة الله.

وقد نبَّه على الحالة العامة بألطف من هذه الإشارة، وأدرج فيه الخاصة بقوله: "إنما شعّرت المشاعر وجعلت المناسك لإقامة ذكر الله"، فذكره سبحانه هو عدم ذكر غيره حضوراً وشهودا وتعقلاً، فأما تكرير الاسم في شعب الخواطر فهو التذكر وهو اللسان لا غير، وإنما سمي ذكراً تجوزاً لما يؤول إليه من الحضور، وقد شهد التنزيل بذلك ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[طه: ١٤]، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فإنك إذا كنت خليفة في صلاتك علمت من القائلِ: (سمع الله لمن حمده) المجيب بــ (ربنا ولك الحمد)، فلهذا نقول: أن الرجل إذا كبّر في صلاته لم يصلّ بعده أحد، وليس الرجل من إذا صلّى صلّت بعده الألوف من الملائكة والناس، فقل الله ربي تُفني أعداءك بالاسم، ولا تقل ربي الله فيتمكن منك عدوك فافهم.

فصل: فقد استبان لك مكرراً، إن كنت تفهم أنَّ الخلافة هي الظهور بمراتب الوجود والإمكان، المعبر عنه بالألوهية في المرتبة الأولى، والخلافة في المرتبة الثانية، فإن الحق سبحانه قد عبَّر عنهما، أعني: هاتين الصفتين المتكررتين بفاعلية ومفعولية، باليدين تارة وبالحرفين الذين هم كُن تارةً، وباليمين تارة، وعبر عنهما من حيث الحق باليمينين، إذ لا جهة ولا تحيز، ومن حيث الخلق للانحياز والتقيد باليمين والشمال، فقال ﷺ: "كلتا يدي الرحمن يمين". وقال سبحانه: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤].

وقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧﴾[الواقعة: ٢٧]، ووصف حالهم بما يناسبهم من الإيمان واليمين الذي يقتضيه ونبَّه عليه بالسلام تارةً، وبالسدر المخضود أخرى، وقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١]، ووصف حالهم بما يناسب، وما يقتضيه من صفات القهر المنبه عليه بالحميم والجحيم تارة، والسموم واليحموم أخرى، فإن سرّ الخلافة هو الكون، وقد وصف نفسه سبحانه بالكون وكون الكون، بهاتين اليمينين اللتين هما الكاف والنون، عقلاً وشرعاً وكشفاً عقليا كان، أو وهمياً أو حسياً، فمن حيث الاتحاد هي يمين وكلمة، ومن حيث الانبساط إيمان وشمائل، وأيدي وكلمات وحروف، علواً وسفلاً، وبحسب اختلاف التجلي اختلفت أسماؤه، وهي هي لا غيرها، أعني: الألوهية، فأرواحٌ هي الكلمات، وأكوانٌ هي الآيات، لأنه قد تجلى بهما وجوباً وإمكاناً، حقا وخلقاً، فإذا ظهر بهما حقاً فمن صفة الرضا والغضب، وإذا ظهر بهما خلقاً فمن صفة الخوف والرجاء، وكذلك الجلال والجمال، وإذا ظهر حقاً فالهيبة، أو خلقاً فالأنس، وإذا ظهر حقا خلقا، أعني: الإنسان، فمن صفة الكمال الذي هو الخلافة التي هي الأمانة المعبر عنها بالسعة، وهي الجمال في الجلال، والجلال في الجمال ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[الزمر: ٥].

فالألوهية مفردة أعني الخلافة فرقان، والخلافة قرآن، وتسهيل ذلك عليك أنك لا تجد شيء موجوداً إلا وجوده عن أصلين: هما اليمينان اللتان هما الحرفان، وهما الصفتان، وهم الاسمان، وهما النسبتان، وهما الصفة والموصوف ما شئت فقل، فالمراد عن إرادة ومريد، وبالإرادة تميز المراد عن المريد وبالمريد تميز المراد عن الإرادة، وكذلك في المراد كل واحد من الثلاثة رابطٌ فاصلٌ، والمعلوم عن عالم،

وعلم تميز العلم المسمى عالمية عن العالم بالمعلوم، وكذلك كل واحد من الأخوين، والمقدور عن قدرة وقادر، فبهذا صح على الممكن الافتقار فافهم، واعتبر ذلك في المحسوسات تجده، فالمعطي عن معطٍ وعطاء، ولا يظهر العطاء ويتميز عن المعطي إلا به، والولد عن والدين وولادة، والولادة عن ولد ووالدين، والوالد عن ولد وولادة، والمانع عن منع وممنوع، والغذاء عن غاذٍ ومتغذّ، وكذلك المُتغذي والغاذي، ثم انبسط ذلك في المحسوسات فانبسط بانبساط الحجاب، فتنوع لتنوع الأسماء بتنوع التسميات، فقيل نبات عن مَنبت ومُنبت، وفي الظاهر عن ماء وأرض، ونار عن زند وزاند إلى غير ذلك، فاقنع بهذا القدر فهو متسع، وقد بالغتُ في فتح الباب لمن قدر له ولُوجه.

واعتبر كيف بسط الله ذكر الأيدي مجموعة ومفردة ومثناة، ونسب هذه الكوائن كلها إليه تارة، ونفاها عنه أخرى، ونسب بعضها إليه تارة، ونفى البعض ونسبها إليه، وإلى الخلق أخرى، فقال في الحجر الأسود: "يمين الله"، وقال: ﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾[يس: ٧١]، فجمع الأيدي لأن الأنعام في أسفل سافلين، وشرف آدم فقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[ص: ٧٥]، فجمع له بين يديه لأنه ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وليس ذلك إلا للخلافة، فمن صحت له قدم الخلافة الإنسانية، فهو ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ومن لم يصح له فيها شيء فهو المردود إلى ﴿أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾، ومن كمل فيها فأجره ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[الفتح: ١٠]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التحريم: ١٢]، لتمام الجمعية إذ هو ختم الآدمية.

فإن المحمدية نشأة أخرى فهو ختم الختم، فما تمحضت غيبة الخلق عنه عن اختيار نفسه باستغراقه بالشهود الإلهي، بحيث لم يبق لصورته معنى غير الحق كشفاً ومحققاً إضافة الحق إلى نفسه، إذ هو المتصرف لا غير، وإن كانت الغيبة أيضاً عن النفس لشهود صفة من صفات الحق، التي هي أمره وطاعته، وكذلك من ذلك: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[الأنفال: ١٧].

وما لم يتمحَّض أضاف إليه ما هو إليه، وإلى الخلق ما هو إليهم، فقال سبحانه: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤]، فأضاف القتال إليهم والتعذيب إليه لأنه بأمره، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وقد نبه سبحانه على ذلك بقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[البقرة: ٦١]، فإن الكون الذي هو الخلق من كونه خلقاً، أو قل مخلوقاً، أو مفعولا ما شئت فقل، هو من هذه النسبة حجاب ظهور الحق من هذا الوجه، غير الحق بتسمية أهل الحجاب الذين جعلوه وجعلوا أنفسهم غير الحق، فاعتبر الحق لهم ذلك وخاطبهم بلسانهم المعتاد لأن الكون الذي هو حق يعرف ذلك، ويستره كما ستره الحق ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[الأنعام: ١٣٩]، فإذا فهمت هذا انكشف لك سر التكليف، وسلامة الأطفال منه والبهائم مما كلّفه المحتنكون من نوع الإنسان، وإضافة فعل غير المختار إلى الله تعالى كالسماء والأرض، فاعتبر ذلك.

ولنقرّب هذا إلى فهم الضعيف أن يُقال: من كان الحق سمعه فسمع نفسه متكلماً، فقد حصل للحق اسم السميع المتكلم، وهو المتكلم المسموع؛ إذ هو لسانه، وكذا إنْ سمع من الحق لسانه، وإن كان غير السامع صورة، وكذا إذا أعطي من الحق يده وأخذ من الحق يده، وأخذ منه الحق المعطي

الآخذ القابض الباسط إذ هو يده وهو أخذ الصدقات، وكذا إذا رأى نفسه نفسه، فإن لم يؤمن بأنه ظاهره وباطنه، فقُل إذا رأى يده فهو الرائي المرئي، إذ هو اليد والبصر، أو هو المجموع، إنْ آمنت بأنه الظاهر والباطن سواء كنت مشاهداً، أو متأولاً، أو مؤمناً على مراد القائل، فهو سبحانه لم يزل كذلك، فإنما المتجدّد بهذا القرب الذي أنتج المحبة، وبهذه المحبة هذا الكشف والشهود ذوقاً، فرفع الحجاب؛ والحجاب أنت، الذي أنت العبد الذي تعبده، فظهر أنك "كأنك تراه" ولا يراه غيرك، فزال "كأنك" فزالت العبادة لزوال العبد، فرجع الأمر كله إليه، إذ لا يعبده غيره فهو العابد وهو المعبود، فعاد العبد فعادت العبادة التي هي رجوع أهل يثرب وهي الأمانة، والرجوع إليها بحفظها الذي هو إقامة الجدار، وذلك إذا ردها إلى أهلها، أي: ردَّ التجلي إليه، فهو المتجلي والمتجلى له وفيه، وبه، ومنه، وعنه، ومعه، وإليه، فطلعت الشمس من مغربها، وهي أنت العين الحمئة من طين، فسد باب التوبة الذي هو من قبل المغرب مسيرة عرضه سبعون عاماً، إحدى مدتي آجال الأمة، فهوَ التواب لنفسه، وعلى نفسه ليس غير، فالخلافةُ ساريةٌ إليك في العالم كله كما ترى وأنت غايتها، ولا أنت فهو غايتها، فمراتب ذلك بأنه سبحانه لا يغفر أن يُشرَك به، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، والتقوى وصية الله لنا ولمن قبلنا، وهي من الوقاية، أي: تجعله وقايتك في المقام المحمود، وأنت وقايته في المقام المذموم، ولا ذمَّ إلا من حيث الكون الذي هو أنت ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ﴾[الأعلى: ١]، فإنَّ الأبوال أصلها الماء لما استحالت في كونك، حُكم عليها بالنجاسة، فإذا عادت إلى البحار صارت طهوراً، فأضف الفعل المحمود والفاعلية إليه، والمفعولية والفعل المذموم إليك، أو قل أضف الخالقية والتكوين إليك، والمخلوقية والكونية إليك، كيف شئت فقُل، واغفره عند من غفره فالغفر الستر، قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[الجاثية: ١٤]، فإن فهمت هذا؛ فهمت معظم أسرار الخلافة وأسرار التكليف، وارتفاعها عمن ارتفعت عنه، وأسرار البلاء فيمن ابتلي والله أعلم.

فصل: قد أخبرتك أنَّ الكون ينقسم إلى ظاهر وباطن، وقد سمى الله سبحانه الباطن بالأمر والظاهر بالخلق، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فعالم الأمر هو عالم الغيب الذي هو الأسماء الذاتية، ويليها أمهات أسماء الألوهية وتوابعها.

واعلم أن بعض هذه الطائفة يسمي ما وجد بهذا العالم الباطن عالم القدرة، وما وجد بالعالم الظاهر عالم الحكمة، واعلم أن الله سبحانه خاطب الخلق على الوجه الذي هم عليه؛ من الميل إلى العالم الظاهر قصداً للاعتدال، فغلب إضافة الربوبية إلى العالم الباطن، وجعل كل ما كان مقرباً منه قُربةً إليه، وما كان وجوده به أشرف، وأضافه إلى نفسه وغلب إضافة العبودية والمخلوقية والمفعولية إلى الظاهر، وما اشتركا فيه أضافه إلى الأغلب أو إلى الجمعية، فاعتبر ذلك واستقره شرعاً تجده كذلك، لا سيما إذا عدم الاختيار، فأضاف إنزال المطر إليه، وقال فيه ﷺ: "إنه حديثُ عهدٍ بربه"، وأضاف خلقَ آدم، وجنة عدن، والناقة، وكتابة التوراة إليه، وأخبر أنه تولّى هذه الأربعة بيده، وجعل الصوم قربة إليه، وقال: "فإنه لي وأنا أجزي به"، كل ذلك استدعاء إلى العدل بالميل إلى الباطن لغلبة الميل الآن إلى الظاهر، إذ الأمر دور بينهما حجاب عن الآخر، وجاذب له إليه، فمن حيث هذين العالمين وَصَفَ الحق نفسه بالحجب النورية، التي هي الأرواح، والحجب الظلمانية التي هي الأجسام، فكل واحد منهما حجابٌ عن الآخر، فافهم.

والظهور والبطون دور بينهما أعني: اللطيف والكثيف، فإذا اعتبرهما خلقاً وأمراً، ولطيفاً وكثيفاً، ويدين وحجابين، فمن إضافتهما إلى الألوهية التي هي الوجه الأعم الذي هو الكون، أعني: الأسماء التي هي سلسلة الترتيب والوسايط المتكثرة، فهذا الوجه هو ظاهر الخلافة، الذي منه يكثر الوجود، وإذا اعتبرهما حقاً أعني: من الوجه الخاص الذي نبهتك عليه، فبذكره زال هو، وهما، وهم، وزالت الكثرة واتحد الكل من حيث إن الساري في الكل هو الذات؛ لتعين الأسماء من حيث عدم التغاير بين الاسم والمسمى، والصفة والموصوف، وارتفعت الوسايط، فهذا باطن الخلافة، وبهذا الوجه صح على التنزيل أنه غير مخلوق من حيث ارتفاع الوسائط، ومن الإضافة إلى الاسم، صح عليه التكثر بالحروف والآي، والسور، والأجزاء والتبعيض، فافهم ما نبّهتك له من الإضافة إلى الاسم، الذي هو عين المسمى، ولذلك تكثّر في وحدته ولم يوصف بالمخلوقية مع التكثّر؛ لأن القول والكلام والحكم والوصف لله من حيث الذات، أعني: من حيث هذا الاسم هو المسمَّى، سواء كان ظهوره ذلك بالباطن أو بالظاهر، فإن كلاً من الظاهر والباطن، إما أن يكون ظهوره بواسطة أو بلا واسطة.

أعني: أن يضاف إلى الذات أو إلى الألوهية، فما أضيف إلى الذات فهو واحد، وما أضيف إلى الاسم، فإما من الخلق أو من الأمر والمضاف إلى الذات من حيث هو مضاف إليها ليس من الخلق ولا من الأمر فافهم، ولذلك قال في عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤]، ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ [النساء: ١٧١]، من حيث عدم اعتبار واسطة جبريل، لعدم تأثير وساطته بغنائه، فأخذه هذه الكلمة التي ألقاها إلى مريم، هو أخذه ذاته من الحق لا غير ذلك، فهو قولٌ قبل النفخ، وكلمةٌ بعد النفخ، وكلمة بعد الإلقاء، ولذلك أضاف القول إلى الحق، والكلمة إلى غيب الذات، في قوله: روح الله وكلمته، وليس كذلك اعتبار عيسى روح الله، فإن اعتباره روحاً أيضاً لجبريل بلا واسطة جبريل، ومريم تمثل لها بشرا سوياً، ولذلك إضافة إلى الاسم الجامع، فإن جبريل أخذه من الحق كما أخذ حقيقته، ثم هو كمال روحيته الألوهية كما قدمناه، وليس كذلك مريم عليها السلام فإذا تمثّل جبريل للنبي ﷺ فأقرأه القرآن سمع من الله بواسطةٍ، وإذا نزل به على قلبه لا بالتمثل، سمعناه من الله بلا واسطة، إذ النبي ﷺ قد غاب عن اختياره وشعوره، كما كان يوصف من أحواله، والحق لسانه وجنانه، وكذلك جبريل في التمثل، فإن كل موجود مطلقاً له الأخذ عن الله سبحانه بواسطة وبلا واسطة، سواء علم بذلك أم لا، إلا القلم الأعلى فإنهم يأخذون عن الله بلا واسطة، ونسبة الشرف والتميُّز، عبارة عن زوال الواسطة جملة أو قلتها، وغلبت الوحدانية عليه، ونسبة المهانة والرذالة بانسداد هذا الباب، والتكثر من حيث الخلق لا من حيث الحق، وبغلبة الوسائط وتكثرها، وقلة الوحدانية، فالوجه الأول: هو الرفعُ والارتفاع إلى الله، والتقريب منه، وهو أحسنُ تقويمٍ في حق الإنسان، وهو العلم بالمكانة لا بالمكان، وقد يجتمع الارتفاع بالمكان والمكانة بنسبة ما، والوجه الثاني: هو الهبوطُ والنزول والإكباب على الوجه والرد إلى أسفل سافلين، ومنه الذبذبة أيضاً، فالنقص والكمال للإنسان في الجانبين بحسب القرب منهما والبعد، ثم اعتبار الكمال المطلق الإنساني لكمال الاتصاف بالوجهين، أعني: بالظهور بحقائق الصفات الإلهية الوجودية في حقائق الصفات الكونية على الكشف، فلا تزال حقيقته في خليقته حاكمة على خليقته شهوداً محققاً.

ثم هذا الكمال المطلق متفاوتٌ بين الأنبياء والأولياء من الأناسي، فالمستغرق له في كل عصر وزمان بالذوات والمرتبة، والعلم والحال والفعل، في جميع الأسماء والصفات الإلهية، والحقائق الكونية،

والأحكام الكلية والجزئية، الذي هو من حيث كونه برزخ البرازخ، الجامع بين الغيب الذاتي المطلق الواجب، وبين أحكامه الألوهية الكونية الإمكانية، هو خليفة الله، وخليفة الخلفاء، المطلق في عصره، الذي يعبر عنه في هذا الزمان بالقطب، وفي الزمان الأول بالنبي، ولمن دونه بقدره من الخلافة المنبه عليها بقوله ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته"، وبقوله ﷺ: "رحمة الله على خلفائي".

فبهذا الاعتبار قلنا: إن الإنسان الصوري المتصف بهذه الصفة كل الوجود مطلقاً، وبه صح له الارتقاء إلى الله عز وجل في جميع المقامات، والأخذ منه بواسطة وبلا واسطة، وليس كذلك غيره من الموجودات فإن لها الارتقاء في مقاماتها، والأخذ من الله سبحانه في مقاماتهم بواسطة وبلا واسطة، لا أنهم يتعدون مقاماتهم المعلومة، وإنما تمَّ ذلك للإنسان من حيث إنه كل الوجود على ما أخبرتك، فالقلم الأعلى والأدنى وجبريل، وميكائيل وإسرافيل وغيره من قواه، ولذلك كنّا شهداء على الناس، إذ العلماء منا، وهم الأقطاب الذين ذكرناهم فمن دونهم، كأنبياء بني إسرائيل، وأهل كل زمان بالنسبة إلى علمائهم كالشيخ الواحد، والقطب روح الكل، ومعول الشهادة على القلوب، والرسول ﷺ شهيدٌ علينا، وهو كل الوجود المتقدم والمتأخر فنحن شهداء على أنفسنا، إذ ليس المتقدم والمتأخر غيرنا، فلذلك إليه سبحانه وتعالى إيابنا، وعليه حسابنا.

وعن النبي ﷺ فكان يروي عن جبريل غالبا، وعن جبريل وعن ميكائيل، عن إسرافيل عن الله، وعن جبريل عن الله، وعن جبريل عن ميكائيل عن الله، وعن الله دون واسطة، ويقول: "قال لي ربي، وأتاني ربي، وأخبرني ربي، وأنبأني اللطيف الخبير"، ويقول: "لي وقتٌ لا يسعني فيه غير ربي"، وذلك أن جبريل عليه السلام اسمٌ يقع أيضاً على الوجود مطلقاً دون واسطة، كما يقع اسم الإنسان على الوجود مطلقاً دون واسطة بالنظر إلى الحقيقة المحمدية وما حوته، وذلك أن للحقيقة المحمدية ظاهراً وباطناً، فظاهرها جميع الظاهر وباطنها جميع الباطن، واختص من بينهما الشبح المحمدي بهذا الاسم، لصورته بالنسبة إلى حقيقته كما أسلفناه.

وللحقيقة الجبرائيلية ظاهراً وباطناً، فباطنها جميع الباطن وظاهرها جميع الظاهر، واختص من بينهما روح طبيعة عالم العناصر وما ظهر عنها من السموات السبع، وما اشتملت عليه من المولدات باسم جبريل، كما اختص الشبح المحمدي باسم محمد، وله أعني جبريل من حيث حقيقته الجبرائيلية ظاهرٌ وباطنٌ كما قلناه، فظاهره الملائكة على الإطلاق، وباطنه الروحية على الإطلاق، فملائكيته تشتمل على الكثافة وهو ظاهر السموات والأرض، وفيها النيران وخزانها، وروحيته تشتمل على اللطافة وفيها الجنة ورضوانها فباطنه قلمٌ وظاهره لوح.

ثم القلم الذي هو باطنه ثلاثة أصناف من حيث التسمية: فالقلم الأعلى روح القدس، وهو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: "صرت إلى مستوى أسمع فيه صريف الأقلام"، ونبَّه عليه بساق العرش حيث قال: "فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفق، فأجد موسى آخذا بساق العرش"، وهو اليد التي فوق الأيادي، والقلم الثاني: روح الله والقلم الذي يليه الروح الأمين قال سبحانه: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١].

واللوح ثلاثة أصناف: وهو إسرافيل الذي هو جدُّ الأرواح، ومبتدأ الحس، وميكائيل الذي هو فتح الأشكال والاتصال والانفصال والإصعاد والإنزال، وعزرائيل الذي هو جد الأعمار، ومفصل

الأنوار ولوح المحو والإثبات وحقيقة المحيا والممات، بأنواع التمثيل والتشكيل والتحساس والتخييل، وهو المخصوصُ بالاسم الجبرائيلي، لأنه الخيال المطلق فهو كرسي عزرائيل، ولذلك اختص محمد ﷺ من الملائكة بجبريل، فإن الوجود على ما بيّنت لك في كل موجود بنصفين، نصفه محمد ﷺ ونصفه جبريل، فجبريل ظاهر وباطن ومحمد ظاهر وباطن، فظاهره باطن ظاهر محمد ﷺ، وهو الذي يطلق عليه الاختصاص باسم جبريل، وهو عالم التمثيل والتخييل ورابطة التوصيل والتفصيل، ومشكاة التنزيل فلما اتصل ظاهر محمد بباطنه الذي هو ظاهر جبريل رآه بالأفق المبين فهي الرؤية الأولى في صورته الحجابية الظاهرة، ولما اتصل باطنه بباطنه رآه بالأفق الأعلى الذي هو روح القدس المعبر عنه الساق -جل ربنا- وهي الرؤية الثانية ودامت الرؤية الثانية له ﷺ، ولم يبقَ التمثيل والتشكيل والتفصيل والتوصيل، من بعد إلا لأمته، فلذلك قال: أنه لا ينزل بعده إلى الأرض إلا مرة واحدة -يعني- بهذا النصف الحجابي فإنهم صورته المتأخرة بظاهر جبريل اتصلت بصورته ﷺ المتقدمة، التي كان عليها التنزيل فيتمُّ له الرؤية الثانية بالرؤية الأولى، للمناسبة التي هي الشفاعة المحققة فافهم.

فلهذا أخبر ﷺ: أنه لا يدخل الجنة إلا بعد أن لا يبقى من أمته أحد إلا دخل الجنة، لأن دخولهم دخوله، لأنهم بين الصورتين المتقدمة والمتأخرة، ألا ترى أول من يحرّك حلقة الجنان ﷺ فبهذا يعرف أن الجنة محرمة على النبيين حتى يدخلها هو وأمته عليهم الصلاة والسلام، ويعرف ما أشار إليه ﷺ من عموم البركات عند ظهور الإمام المهدي حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشِراك نعله وفخذه بما عمله أهله من بعده، وتفتح القسطنطينية بغير سلاحٍ، إلى سائر ما ذكر ﷺ لعموم انبساط اللطيف على الكثيف فتكون لهم سُنَّةٌ ما، من سنن القيامة التيٍّ عم فيها النداء كما هو اليوم للغرباء من الأمة الأفراد، وقد نبّه الرسول على ذلك بأحاديث كثيرة ونبَّه عليه التنزيل العزيز.

وفي رواية أخرى عنه ﷺ قال: "لما أُسري بي كنت أنا في شجرة فغشينا من أمر الله ما غشينا فخرَّ جبريل مغشياً عليه، وثبتُ على أمري فعرفت فضل إيمان جبريل على إيماني"، فغشيان جبريل أيضاً هو اتحاده به عليهما الصلاة والسلام من حيث الباطن، فذهبت الحقيقة الجبرائيلية من حيث صورته السابقة ﷺ، وبقيت الحقيقة المحمدية منبسطة متحدة بالحقائق الجبرائيلية، ولأجل بقاء جبريل لتكميل الصورة المحمدية اللائحة عليه عليه السلام، أخبر ﷺ بغشيان جبريل وفي كمال الصورة المحمدية اللاحقة حق الكمال، واتحاده في الصورة الآدمية المحمدية اللاحقة يكون موته منها.

فإذا فهمت ما ذكرته لك علمت أن الوجود كله هو الحقيقة المحمدية، وأن النزول منها إليها، وبها عليها وأن الحقيقة المحمدية في كل شيء لها وجهان: وجهٌ محمديٌّ ووجه أحمدي.

فالمحمدي عِلمي جبرائيلي، والأحمدي إيماني روحي أُمّي، وأن الجنة فيما بين هذين الوجهين مائة درجة، وأنَّ التنزيل للوجه المحمدي، والتجلي للوجه الأحمدي، وأن آدم وكافة النبيين عليهم الصلاة والسلام لا يدخلون الجنة إلا بدخول محمد ﷺ، وهو لا يدخل إلا بدخول أمّته، فهو الكل ﷺ فبهذا يتّضح لك صحة الأخبار بأنه لا يدخَلها حتى تدخلها أمته، وأنه أول من يحرك حلقها وأنها محرمة على النبيين حتى يدخلها، مع ما علمت من قوله سبحانه في الشهداء أنهم: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾[آل عمران: ١٦٩].

واعلم أن كل خليفة ممن تقدم وتأخر من آدم إلى آخر الخلفاء؛ إن بلغ هذه الخلافة الكلية التي ذكرتها لك، فهو خليفة الله الرحمن، من حيث هو خليفة رسول الله ﷺ الذي هو الجليس على الحقيقة على العرش، الحاكم بينه سبحانه وبين خلقه، وليس خليفة الله سبحانه من حيث اسمه الرحمن حقيقةً؛ إلا محمد ﷺ، وكلهم خلفاء الله سبحانه من حيث هم خلفاء المهدي عليه السلام، الذي قال فيه رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم الرايات السود تقبل من أرض خراسان فأتوها ولو حَبْوَاً فإن فيها خليفة الله المهدي، فإنه به يُكشف عن ساق"، فهو الإمام عليه السلام الولي الخاتم للولاية، وآدم بين الماء والطين، وغيره ما كان ولياً إلا بعد أن تولاه الله سبحانه بظهور الولاية فيه، كما أن النبي هو النبي، وآدم بين الماء والطين، وغيره ليس كذلك حتى نبَّأه الله سبحانه، فهو ﷺ لم يزل خليل الرحمن حتى تمكّن للخلة الكاملة بغير سير، فكان خليلُ الرحمن محضاً من حيث هو خليل الله تقرباً، ثم انتقل قبل موته ﷺ إلى خلّة الله، فهو خليلُ الله محضاً من حيث هو حبيب الله محضاً، وأوتي مفاتيح خزائن الأرض والسماء، وهنا نفترض عنان البيان، بأفصح من هذا اللسان في هذا الزمان، والله أعلم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير، السراج المنير، وعلى آله، وأصحابه، وأشياعه، وأتباعه، ومحبيه، وأحبابه، وعلينا معهم بالتبعية، وإن كنَّا مقصرين، والحمد لله رب العالمين، آمين، آمين، آمين.

تم كتاب بلغة الغواص في الأكوان
إلى معدن الإخلاص في معرفة الإنسان

كتاب تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التنبيه الأول

اعلم أن الحقيقة المحمدية مسمّاة بالعقل الأول، وبالقلم الذي علّم الله تعالى به الخلق كلهم، وبالحق الذي قامت به السماوات والأرض، وبالباء.

وأحسن أسماء هذه الأسماء: الحقيقة المحمدية: الباء، من حيث ظهور الأشياء بها.

وإنما ظهرت الأشياء بالباء، لأن الحق تعالى: واحد، فلا يصدر عنه إلّا واحد، فكان الباء: أول شيء صدر عن الحق تعالى، فهي: ألف على الحقيقة، وحداني من جهة ذاتها، وهي باء من جهة مرتبتها، لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود، فلهذا سميت: باء، لتمتاز عن الحق تعالى، ويبقى اسم الألف له تعالى.

فالباء: اثنان من جهة المرتبة، فهي عدد، والأشياء عدد، فصار العدد من العدد: يعني من الباء، وبقي الواحد الأحد، في أحديّته مقدساً منزهاً.

ثم اعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل، فلهذا كانت النقطة التي تحتها بين العالم الكوني وبينها: إشارة إلى الأحدية، فلو كان الأثر للباء، لم تكن هذه النقطة، إذ الأثر لها لا للباء، والله تعالى أعلم.

التنبيه الثاني

اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل، الذي لا أكمل منه: من العالم: مرتبة النفس الناطقة من الإنسان، وهو سيّدنا محمد ﷺ: الذي هو الغاية المطلوبة من العالم.

ومرتبة الكمال التنازلي عن مرتبته: بمنزلة القوى الروحانية من الإنسان، وهم الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

ومرتبة من نزل عن مرتبتهم بمنزلة: القوى الحسية من الإنسان في الشكل، وهو من جملة الحيوان، فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان، الذي يعطي النمو والإحساس.

وإنما قلنا: إنّه ﷺ: "النفس الناطقة": لما أعطاه الكشف، ولقوله ﷺ: "أنا سيّد الناس (يوم القيامة)" والعالم من الناس، فلأنه الإنسان الكبير في الجرم، المتقدم في التسوية: لتظهر عنه صورة نشأته ﷺ، كما سوّى الله تعالى جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه، ثم نفخ فيه من روحه: روحاً كان به إنساناً تاماً.

والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان. وكذلك الجن.

فليس العالم إنساناً إلا بوجود الإنسان، الذي هو "نفسه الناطقة".

كما أن نشأة الإنسان: لا يكون إنساناً إلا بنفسه الناطقة، ولا تكون هذه النفس الناطقة من الإنسان كاملة، إلا بالصورة الإلهية.

فلذلك "نفس العالم" التي هي عبارة عن سيّدنا محمد ﷺ، حازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في الوجود والبقاء والتنوّع في الصور، وبقاء العالم به.

وكان حال العالم قبل ظهوره ﷺ بمنزلة الجسد المسوّى بلا روح.

وحاله بعد وفاته: بمنزلة النائم. وحاله ببعثه ﷺ يوم القيامة: بمنزلة الانتباه بعد النوم.

ولما أراد الله بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التمييز: خلق لها أجساداً برزخية تميّزت بها عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا: في النوم، وبعد الموت، والله أعلم.

التنبيه الثالث

اعلم أن الأرض الواسعة إنما هي أرض عبادتك، فتعبد الحق "كأنك تراه" في ذاتك من حيث بصرك، على ما يليق بجلاله تعالى.

وعين بصيرتك تشهد بأنه: ظاهر لها ظهور علم، فتجمع في عبادتك بين ما يستحقه تعالى من العبادة في الخيال، وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال، فتعبده مطلقاً ومقيّداً، وليس هذا لغير هذه النشأة الإنسانية المؤمنة، التي جعلها الله تعالى حرمه المحرم، وبيته المعظّم.

فكل من في الوجود من المخلوقات: يعبد الله تعالى على الغيب، إلا الإنسان الكامل، فإنه يعبد الله تعالى على المشاهدة.

ولا يكمل العبد إلا بالإيمان الكامل، فإنه النور الذي يزيل كل ظلمة.

فإذا عبده على المشاهدة: رآه جميع قواه، فما قام بعبادته غيره، ولا ينبغي أن يقوم بها سواه.

واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة، ومالك قدم في هذه الدرجة، فأنا أدلك على ما يحصل لك به هذه الدرجة العليا، وذلك أن تعلم أنّ الرسل – صلى الله عليهم وسلم – أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم تعالى.

وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية على قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب.

فلذلك لم يبعث نبي منهم إلا لقوم معينين، لأنه على مزاج خاص مقصور، وأن سيدنا محمداً ﷺ بعثه الله برسالة عامّة إلى جميع الناس كافة. ولا قَبِلَ مثل هذه الرسالة العامة إلا لكونه على مزاج عام، يحتوي على مزاج كل نبي ورسول.

فمزاجه: أعدل الأمزجة كلها، ونشأته أقوم النشآت أجمعها.

فإذا علمت هذا، وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية، فالزم الإيمان والاتباع له ﷺ، واجعله مثل المرآة أمامك.

وقد علمت أن الله تعالى لابدّ أن يتجلّى لسيدنا محمد ﷺ في مرآته: أكمل ظهور وأعدله، وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال. فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته ﷺ: تكون قد أدركت منه ما لم تدركه في غير مرآته ﷺ.

ألا ترى – في باب الإيمان – بما جاء به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه بها على لسان الشرع – بما تحيله العقول –، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي.

فكما أعطانا بالرسالة والإيمان: ما قصرت العقول – التي لا إيمان لها – عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى، كذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا – عند المشاهدة – عن إدراك ما تجلّى في مرآته ﷺ: أن تدركه في مرآتها.

وكما آمنت به في الرسالة غيباً: شهدته عند التجلي عيناً.

فقد نصحتك وأبلغت لك في النصيحة، فلا تطلب مشاهدة الحق تعالى إلا في مرآته ﷺ.

واحذر أن تشهد النبي ﷺ أو تشهد ما تجلّى في مرآته من الحق تعالى في مرادك، فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية.

فالزم الاقتداء به، والاتباع له ﷺ ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيّك ﷺ.

فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلا، والشهود الكامل في المكانة الزلفى، والله الموّفق.

التنبيه الرابع

اعلم أن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً، فظهرت الأرواح المهيمنة بين الجلال والجمال، وخلق – في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين – العنصر الأعظم، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببِي، وما منهم روح يعرف أن ثَم سواه، لفنائه في الحق بالحق.

ثم إنه تعالى أوجد بتجلٍ آخر من غير تلك المرتبة المتقدمة: أرواحاً متحيّزة في أرض بيضاء، وهيّمهم فيها بالتسبيح والتقديس، لا يعرفون أن الله تعالى خلق سواهم.

وكلٌّ منهم على مقام من العلم بالله تعالى والحال.

وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة، وسمّيت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيّزة، ولا يجوز عليها التبديل، ولا يجوز كذلك أبد الآباد، لما سبق في علم الله تعالى.

وللإنسان الكامل في هذه الأرض مثال، وله فيهم حظ، وله في الأرواح الأولى مثال الآخر، وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم.

ثم إن هذا العنصر الأعظم: له إلتفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير، ولا وجود لذلك العالم في العين، وهذا العنصر المشار إليه: أكمل موجود في العالم.

ولولا عهد الستر الذي أُخذ على أهل هذه الطريقة لبسطنا الكلام فيه، وبيّنا كيفيّة تعلق كل ما سوى الله تعالى به، فأوجد ما قال الوارد عند تلك الإلتفاتة: "العقل الأول"، وقيل فيه" الأول"، لأنه أول عالم التدوين والتسطير.

وتلك الالتفاتة، إنما كانت للحقيقة الإنسانية، التي لها الكمال من هذا العالم، فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز: أسباباً مقدمة لترتيب نشأته – كما سبق في العلم – ومملكته ممتدة، قائمة القواعد له ﷺ، لأنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله تعالى، فلا بدّ من تقدّم وجود العالم –الذي هو مملكته– عليه، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل، وإن كانت له الأولية بالقصد.

فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة وإليه توجهت العناية الكلية، فهو عين الجمع والوجود، والنسخة العظمى، والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه ﷺ.

التنبيه الخامس

اعلم أن الوجود واحد، وله ظهور، وهو: العالم، وله بطون، وهو: الأسماء، وله برزخ جامع، فاصل بينهما، ليتميّز الظهور عن البطون، والبطون عن الظهور، وهو: الإنسان الكامل ﷺ.

فالظهور: مرآة البطون. والبطون: مرآة الظهور. وما بينهما فهو مرآة لهما: جمعاً وتفصيلاً.

واعلم كما أنه بين ذات الحق تعالى، وذات الإنسان الكامل مضاهاة، وبين علمه وعلمه مضاهاة وأن كل ما فيها مجمل، فهو فيها مجمل، وكل ما فيها مفصّل فهو فيها مفصّل، فكذلك بين القلم، وروح الإنسان الكامل مضاهاة، وبين اللوح وقلبه مضاهاة، وبين العرش وجسمه مضاهاة، وبين الكرسي ونفسه مضاهاة، وكل منهما مرآة لما يضاهيه.

فكل ما في القلم مجمل، فهو في روحه مجمل. وكل ما في اللوح مفصّل، فهو في قلبه مفصّل.

وكل ما في العرش مجمل، فهو في جسمه مجمل.

وكل ما في الكرسي مفصّل، فهو في نفسه مفصّل.

فالإنسان الكامل: جامع لجميع الكتب الإلهية، والكونية.

فكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء، وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته، فكذلك نقول: حق الإنسان الكامل: إذ علمه بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء، وإنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته، لأنه هو جميع الأشياء: إجمالاً وتفصيلاً "فمن عرف نفسه فقد عرف ربه" وعرف جميع الأشياء.

وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[البقرة: ١-٢].

فالألف: يُشار به إلى الذات الأحدية، من حيث إنه أول الأشياء. واللام: يُشار به إلى الوجود المنبسط على الأعيان الوجودية. والميم: يُشار به إلى الكون الجامع، وهو الإنسان الكامل.

فالحق تعالى، والعالم، والإنسان الكامل: ﴿ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾[البقرة: ٢]. والله تعالى أعلم.

التنبيه السادس

اعلم أن مقام المحبة أعلى المقامات والأحوال، وهو الساري فيها.

وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد. وكل مقام أو حال بعدها فمنها يُستفاد، لأنه: مقام أصل الوجود وسيده، ومبدأ العالم وممدّه، وهو سيدنا محمد ﷺ: الذي اتخذه الله حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً.

فمن حقيقة هذا السيد: تفرعت الحقائق كلها: علوّاً وسفلاً، فأعطى الله تعالى أعلى المقامات – وهو المحبة– لأصل الموجودات، وهو سيدنا محمد ﷺ.

واعلم أن طلب الاتصاف بأوصاف الألوهية حجاب عن التحقق بهذا في الجملة كما كان سيدنا محمد ﷺ الذي كان من ربه تعالى في القرب "بأدنى من قاب قوسين" ثم أصبح وليس عليه أثر من ذلك، لأنه: ما ورد عليه أمر لم يكن فيه، ولا ورد عليه شيء لم يكن في فطرته.

وأما غيره -وهو موسى عليه السلام- فإنه لما ورد على أمر غريب: ورد عليه أمر أثّر فيه، فكان يبرقع من النور الذي كان -على وجهه- لأنه كان يأخذ بأبصار الناظرين، والله تعالى أعلم.

التنبيه السابع

اعلم أن الإنسان الكامل: كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية، لأنه نسخة العالم الكبير.

فمن حيث روحه وعقله: كتاب عقلي يسمّى بأم الكتاب.

ومن حيث قلبه يسمّى: كتاب اللوح المحفوظ.

ومن حيث نفسه يسمّى: كتاب المحو والإثبات.

فهي -الصحف المكرمة المرفوعة المطهّرة- التي -لا يمسّها- ولا يدرك أسرارها ومعانيها -إلا المطهّرون- من الحجب الظلمانية.

وما ذكرنا من الكتب، إنما هي أصول الكتب الإلهية.

وأما فروعها، فكل ما في الوجود: تنتقش فيه أحكام الموجودات، فيه أيضاً كتب إلهية.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

التنبيه الثامن

اعلم أن ربّ الأرباب هو الحق تعالى -باعتبار الاسم الأعظم-، والتعين الأول.

هو منشأ جميع الأسماء، وغاية الغايات، ومتوجه الرغبات، والحاوي لجميع المطالب كلها، وإليه الإشارة بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم: ٤٢]، لأنه صلى الله عليه وآله مظهر التعين الأول. فالربوبية المختصة به هي هذه الربوبية العظمى.

واعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية: صورة في العلم مسمّاة بـــ"الماهيّة"، و"العين الثابتة".

ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسمّاة بالمظاهر والموجودات العينية، وتلك الأسماء: أرباب تلك المظاهر.

فالحقيقة المحمدية: صورة لاسم "الله" الجامع لجميع الأسماء الإلهية، الذي منه الفيض على جميعها، فهو تعالى ربّه.

فالحقيقة المحمدية التي هي تربّ صورة العالم كلها بالرب الظاهر فيها، الذي هو ربّ الأرباب.

فبظاهرها: تربّ ظاهر العالم، وبباطنها تربّ باطن العالم، لأنه صاحب الاسم الأعظم -وله الربوبية المطلقة-.

وهذه الربوبية إنما هي له من جهة مرتبته، لا من جهة بشريته.

فإنه من هذه الجهة عبد مربوب: محتاج إلى ربه سبحانه وتعالى.

التنبيه التاسع

اعلم أن القطب الذي عليه مدار أحكام العالم، وهو مركز دائرة الوجود -من الأزل إلى الأبد- واحد: باعتبار حكم الكثرة متعدد.

فالنبي في كل عصر هو قطبه، وعند انقضاء نبوّة التشريع بإتمام دائرتها، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً.

فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم، قائم في هذا المقام، ليحفظ الله تعالى به هذا الترتيب والنظام، إلى أن يظهر خاتم الأولياء الذي هو خاتم الولاية المطلقة، والله أعلم.

التنبيه العاشر

اعلم أن الحق تعالى تجلى لذاته بذاته، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة، فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية، فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً، ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيليّاً، فصارت أعياناً ثابتة. فأعيان العالم في العلم والعين. وكمالاتها: إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية ﷺ.

التنبيه الحادي عشر

في بيان معاني وصف الشيخ رحمه الله تعالى للحقيقة المحمدية ﷺ بأنه الحادث الأزلي والنشأ الدائم

أما حدوثه الذاتي، فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب.

وأما حدوثه الزماني: فلكون نشأته العنصرية مسبوقة بالعدم الزماني.

وأما أزليته فبالوجود العلمي.

فعينه الثابتة في العلم: أزليّة، وكذا بالوجود العيني الروحاني، لأنه غير زماني، والفرق بين أزلية الأعيان الثابتة في العلم والأرواح المجردة، وبين أزلية الحق تعالى، هو: أن أزليته تعالى نعت سلبي: ينفي افتتاح الوجود عن عدم، لأنه تعالى عين الوجود.

وأزليتها هو: دوام وجودها بدوام وجود الحق تعالى مع افتتاح وجودها عن العدم. لكنّ وجودها من غيرها.

وأما دوامه وأبديّته فلبقائه ببقاء موجوده تعالى: دنيا وأخرى.

وأما كونه كلمة فاصلة، فلأنه هو الذي يفصل بين الأرواح وصورها في الحقيقة، وإن كان الفاصل ملكاً معيّناً، فإنه بحكمه: يفصل بينهما.

وكذلك هو "الجامع" بينهما، لأنه هو الخليفة الجامع للأسماء ومظاهرها، فلما وجد هذا الكون الجامع، ثم العالم بوجوده الخارجي، لأنه روح العالم المدبرة له، والمتصرفة فيه.

وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجود العيني، لأنه لما كانت عينه في الخارج مركبة من العناصر المتأخر وجودها عن الأفلاك وأرواحها وعقولها: وجب أن يوجد قبله، لتقدم الجزء على الكل بالطبع.

وكون هذا الكامل: ختماً على خزانة الدنيا فهو أيضاً ختم على خزانة الآخرة: ختماً أبدياً، فيه دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة: إنما هي بواسطته ﷺ، والمعاني المفصلة لأهلها متفرعة عن مرتبته، ومقام جمعه أبداً، كما تفرعت أزلاً، فما للكامل من الكمالات في الآخرة: لا نهاية لها، والله أعلم.

التنبيه الثاني عشر

اعلم أن إطلاق الصورة على الله تعالى –عند أهل النظر–، إنما هو مجاز لا حقيقة، إذ لا تستعمل حقيقته إلا في المحسوسات دون المعقولات.

وأما عند المحققين، فإنها تستعمل في وصف الله تعالى حقيقة، لأن العالم بأسره: صورة الحضرة الإلهية: تفصيلاً.

والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلهية جمعاً.

قال رسول الله ﷺ: "إن الله خلق آدم على صورته".

فالنشأة الإنسانية: حازت صورة الحضرة الإلهية، وصورة العالم: لأنه بروحه حاز رتبة الحضرة الإلهية، ورتبة الأرواح الروحانية.

وبجسمه: حاز رتبة الأجسام.

فرتبته: حازت رتبة الجمع والإحاطة، ولهذا قامت حجة الله تعالى على الملائكة، لإحاطته ﷺ بما لم يحيطوا بعلمه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

التنبيه الثالث عشر

اعلم أن كلا من الظاهر والباطن: ينقسم إلى قسمين:

باطن مطلق، وباطن مضاف.

وظاهر مطلق، وظاهر مضاف.

فأما الباطن المطلق، فهو: الذات الإلهية وصفاتها، والأعيان الثابتة في علم الله تعالى.

والباطن المضاف هو: عالم الأرواح، فإنه ظاهر بالنسبة إلى الباطن المطلق، وباطن بالنسبة إلى الظاهر المطلق، وهو عالم الأجسام.

فلذلك أنشأ الله تعالى: صورة الإنسان الكامل: الظاهرة من حقائق العالم وصوره.

وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى، فلذلك قال: "كنت سمعه وبصره".

فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم عليه السلام كذلك هو سار في كل موجود من العالم.

لكن سريانه وظهوره في كل حقيقة من حقائق العالم، إنما هو بقدر استعداده.

واعلم أن لكل فرد من الأفراد الإنسانية: نصيب من الخلافة، به يدير ما يتعلق من أمر نفسه أو غيره، وهو "سمعه" الذي ورثه من والده الأكبر، الذي هو الخليفة ﷺ.

التنبيه الرابع عشر

اعلم أن سيدنا محمداً ﷺ: اختص بمقام الجمع، فجاء بقول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١]، فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة، وبين الجمع والتفصيل، والتنزيه والتشبيه، بل جامع لجميع المقامات الأسمائية، فجمع الله تعالى في قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ بين إثبات المثل، وبين نفيه في آية واحدة، بل في نصفها.

وبسبب هذا الجمع والتنزيه والتشبيه، قال ﷺ: "أوتيت جوامع الكلم ".

أي جميع الحقائق والمعارف.

ولهذا جمع الله تعالى له في القرآن جميع ما أنزله من المعاني في كتب الأنبياء ﷺ وعليهم، فدعا أُمته إلى: الظاهر في عين الباطن، وإلى الباطن في عين الظاهر، وإلى الوحدة في عين الكثرة، وإلى الكثرة في عين الوحدة.

وما دعاهم إلى الغيبة والوحدة وحدها ولا إلى المشاهدة والكثرة وحدها والله أعلم.

التنبيه الخامس عشر

اعلم أن الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، وورثتهم رضي الله عنهم: خدم الأمر الإلهي مطلقاً، سواء كان الأمر موافقاً للإرادة أو مخالفاً لها، بل هم في نفس الأمر خادمون لأحوال الممكنات، من حيث إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم، ومنعهم مما يضر دينهم ودنياهم.

وهذا الإرشاد والخدمة منهم: لهم: إنما هي من مقتضيات أعيانهم وأحوالهم الثابتة في الحضرة العلمية دون وجودهم الخارجي.

فانظر ما أعجب هذا الأمر، من أن خادم الأمر الإلهي يكون خادماً للممكنات، مع جلالة قدره عند الله تعالى.

والرسل عليهم السلام: خادمو الأمر التكليفي بالحال، كإتيانهم بالعبادات والأفعال المثبتة لطريق الحق: ليقتدى بهم، **وبالقول،** كالأمر بالإيمان، والنهي عن الكفر والعصيان، وبيان ما يثابون عليه، ويعاقبون عليه، وليسوا بخادمي الإرادة، إذ لو كانوا خادميها، لما منعوا أحداً من فعل ما يتعلق بالإرادة، بل كانوا يساعدونهم فيه، والله تعالى أعلم.

التنبيه السادس عشر

في معنى قول الشيخ رحمه الله تعالى: [حكمة فردية في كلمة محمدية]

إنما كانت حكمة فردية، لانفراده ﷺ بمقام الجمعية الإلهية، الذي ما فوقه إلا مرتبة الذات الأحدية، لأنه ﷺ: مظهرٌ لاسم الله تعالى الأعظم الجامع للأسماء كلها.

ولأنه أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان: عينه الذاتية، وأول ما وجد بالفيض الأقدس من الأكوان: روحه، فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية، وعينه الثابتة الفردية الأولى.

واعلم أن أول الأفراد الثلاثة: ما زاد عليها، فهو صادر منها.

وهذه الثلاثة الأفراد المشار إليها في الوجود، هي:

الذات الأحدية، والمرتبة الإلهية، والحقيقة المحمدية، المسمّاة بـــ"العقل الأول".

ولما كانت تعطي الفردية الأولى بما هو مثلث الشيء قال ﷺ: "حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث" بما فيه من التثليث، وجعلت المحبة التي هي أصل الوجود ظاهرة فيه، فقد ذكر النساء، ثم الطيب، ثم قال: "وجعلت قرة عيني في الصلاة".

وإنما حبب النساء إليه ﷺ: لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق تعالى مجرداً عن المواد أبداً، فإن الله تعالى بالذات غني عن العالمين، ولا نسبة بينه تعالى مجرداً عن المواد.

فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً، ولم تكن المشاهدة إلا في مادة: فشهود الحق تعالى في النساء أعظم الشهود وأكمله في حالة النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب.

وأعظم الوصلة الجماع.

وهو نظير التوجه الإلهي على خلقه على صورته، ليخلفه فيرى فيه مثال صورته.

وكذلك النكاح: يتوجه لإيجاد ولده على صورته، بنفخ بعض روحه فيه -يعني النطفة- ليشاهد عينه في مرآة ابنه من بعده، فصار النكاح المشهود نظير النكاح الأصلي الأزلي، فظاهر صورة الإنسان: "خلق موصوف بالعبودية"، و"باطنة حق"، لأنه من روح الله تعالى الذي يدبر ظاهره ويربيه، إذ هو الظاهر بصورته الروحانية، والله تعالى أعلم.

التنبيه السابع عشر

اعلم أن سيدنا محمداً ﷺ لما خلق عبداً بالأصالة: لم يرفع رأسه قطّ إلى السيادة مراعاة لما تقتضيه ذاته مع العبودية الذاتية، الحاصلة من التعين والتقيد، وحفظاً للأدب مع الحضرة الإلهية.

بل لم يزل ساجداً لحضرته، متذللاً لربه تعالى، واقفاً في مقام عبوديته، ورتبة انفعاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعاً، لأنه ﷺ قال:

"أول ما خلق الله تعالى: نوري" الذي سماه "عقلاً" بقوله: "أول ما خلق الله تعالى العقل".

فأعطاه رتبة الفاعلية، بأن جعله خليفة متصرفاً في الوجود العيني، معطياً لكل من العالم كماله.

فالروح المحمدي: هو: المظهر الرحماني الذي استوى على العرش، فتعم رحمته على العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

تم كتاب

تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية

كتاب توجهات الحروف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تراعي الليالي لا الأيام:

جدول يشتمل على دعوات الحروف وترتيب قراءها على حسب ليالي الأسبوع وأيامه. مع ذكر المناسبات الحاصلة بين الحروف ودعواها وأيام الأسبوع وخواصها والارتباطات الواقعة بين قلوب الأنبياء وأرواح الحروف. وذكر الأسماء الإلهية المناسبة لكل ما ذكر.

الليالي	اسم النبي ﷺ	الحرف	الاسم الإلهي
الأحد	يعقوب	ك	الشكور
الإثنين	لوط	ل	القاهر
الثلاثاء	يوسف	ج	الغني
الأربعاء	عزيز	ن	النور
الخميس	إدريس	ح	الآخر
الجمعة	سليمان	ط	المحصي
السبت	صالح	ي	الرب

الأيام	اسم النبي ﷺ	الحروف	الأسماء الإلهية
الأحد	آدم. يحيى. يونس	ا. س. ت	البديع. المحيي. القابض
الإثنين	خالد. نوح. لقمان	ب. ع. ث	اللطيف. الباطن الرزاق
الثلاثاء	موسى. إسحق. داود	ف. خ. د	القوي. الحكيم. المبين
الأربعاء	هارون. زكريا	ذ. ص	المذل. المميت
الخميس	شيث. إسماعيل. شعيب	ه. ق. ص	باعث. محيط. عليم
الجمعة	محمد. عيسى. إلياس	م. و. لا. ر. ظ	الجامع. رفيع الدرجات الله. المصور. العزيز
السبت	أيوب. هود. إبراهيم	ز. ش. غ	الحي. المقدر. الظاهر

ترتيب الحروف في النفس الإنساني وما لكل حرف من مراتب الوجود.

الحرف	المرتبة المناسبة	الحرف	المرتبة المناسبة	الحرف	المرتبة المناسبة
ا	العقل أو القلم	ش	الكواكب الثابتة	ز	كرة الهواء

هـ	اللواح أو النفس	ي	السماء الأولى	س	كرة الماء
ع	الطبيعة	ض	السماء الثانية	ص	كرة التراب
ح	الهباء	ل	السماء الثالثة	ظ	المعدن
غ	الجسم	ن	السماء الرابعة	ث	النبات
خ	الشكل	ر	السماء الخامسة	ذ	الحيوان
ق	العرش	ط	السماء السادسة	ف	الملائكة
ك	الكرسي	د	السماء السابعة	ب	الجن
ج	الأطلس	ت	كرة الأثير	م ولا	الإنسان

١ - توجه حرف الألف:

إلهي اسمك سيد الأسماء، وبيدك ملكوت الأرض والسماء، وأنت القائم بكل شيء، وغني عن كل شيء. ثبت لك الغنى، وافتقر إلى فيضك الأقدس الهو والأنا. أسألك باسمك الحق، الذي جمعت به متفرقات الأمر والخلق، وأقمت به غيب كل شاهد، وأظهرت به كل غائب، أن تهبني صمدانية أسكن بها لمتحرك قدرك، حتى يتحرك لإرادتي كل ساكن ويسكن كل متحرك، فأجدني قبلة كل متوجه، وجامع شتات كل متفرق، من حيث اسمك الذي توحدت إليه وجهتي، واضمحلت عنده كلمتي، فيقتبس كلّ مني جذوة هدى توضح له أني إمامه الفرد الذي لولاه لم تثبت أنانية المقتبس. يا من هو ولا أنا، أسألك بكل اسم استمد من ألف الغيب المحيط بحقيقة كل مشهود، أن تشهدني وحدة كل متكثر في باطن كل حق، وكثرة كل متوحد في ظاهر كل حقيقة، ثم وحدة الظاهر والباطن حتى لا يخفى علي غيب ظاهر، ولا يغيب عني خفي باطن، وأن تشهدني الكل في الكل، يا مَن بيده ملكوت كل شيء، أنت أنت أنت. ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام: ٩١]. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

٢ - توجه حرف الهاء المهملة:

اللهم أنت المحيط بغيب كل شاهد، والمستولي على باطن كل ظاهر، أسألك بوجهك الذي عنت له الوجوه، وبنورك الذي شخصت إليه الأبصار، أن تهديني إلى صراطك الخاص هداية تصرف بها وجهي عن كل مطلوب سواك، وخذ بناصيتي إليك أخذ عناية ورفق، يا من هو الهو المطلق وأنا الهو المقيد، بل لا هو إلا هو. إلهي شأنك قهر الأعداء وقمع الجبارين، أسألك مدداً من عزتك يمنعني من كل من أرادني بسوء حتى تكف به عني أكف العادين، وتقطع به دابر الظالمين وملكني نفسي ملكاً تقدسني به عن كل خلق سيء. واهدني إليك يا هادي، إليك مرجع كل شيء وأنت بكل شيء محيط.
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

٣ - توجه حرف العين المهملة:

اللهم يا من لعلوه خضعت الجباه ولهيبته خرست الألسن في الأفواه وجودك آية وجودك، وأنوار جمالك مانعة من شهودك، صورت الصور على ما علمت، وألهمت المصور ما ألهمت، فظهرت عجائب

الكون، وانكشف رداء الكتم والصون، فتنزهت الألباب إذ انكشف الحجاب، وترتبت الأسباب، فهانت الصعاب. تباركت محكم المصنوعات وصانع المحكمات، محوت نقطة الغين، فظهرت العين واضمحل الكيف والأين. وجمعت بحكمتك بين الأكدر والأصفى وجعلت الأظهر آية على الأخفى، فظهرت الأسماء والأفعال، وبرزت المثل والأشكال وتجلت العبر والآيات، وأشرقت الأرضون والسموات. فلك السمو الأرفع، والمجد الأمنع والعلم المحيط الأوسع، شمل علمك كل المعلومات. وسرى مددك في قوابل الذوات، أسألك إتمام ما توجهت إليه وجهتي، وتعلقت به إرادتي وأن تكشف لي فيه عن وجه الحكمة القناع، وأن تصحبني فيه التيسير والإبداع، واكسني في كل ما أحاوله بهجة منك ترتاح إليها أرواح المدركين، وتشخص لها أبصار الناظرين، وتسر بها أسرار العارفين، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المائدة: ١٠٩]، ومعلمها، وكاشف الأسرار ومفهمها.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

٤ - توجه حرف الحاء المهملة:

ربِّ أحيي روحي ببارقة منك تسري مني في أي صورة أردت إحياءها بك. وأشهدني بديع حكمتك في صنعك حتى أحكم صنعة كل مصنوع. إنك أصنع الحكماء وأحكم الصانعين. إلهي أشهدني التمكين في التلوين شهوداً يحكم لي عقد التوحيد. حتى تتجلى في كل ذرة من ذرات وجودي رقيقة من أمرك تعرفني مرتبة كل موجود مني فأقابل كلاً بما يجب له علي. وأتقاضى منه سرك المودع لي فيه. وأرني سريان أمرك في معلم كل معلوم. حتى أتصرف في الكل برقيقة من رقائق عظمتك ينفل لها الوجود بالإذن العلي الساري في كل موجود. حتى يحيا لي كل قلب ميت وتنقاد إلي كل نفس أبية. إن شأنك العدل والإصلاح. وإليك تنقاد النفوس والأرواح وأنت على كل شيء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٥ - توجه حرف الغين المعجمة:

رب أغنني بك عن سواك غنى يفنيني عن كل حظ يدعو إلى ظاهر فرق أو باطن أمر وبلغني غاية سيري. وارفعني إلى سدرة منتهاي. وأشهدني الوجود كَوْرِيّاً. والسير دَوْرِيّاً. لأعاين سر التنزل إلى النهايات والعود إلى البدايات. حيث ينقطع الكلام وتسكن حركة اللام. وتنمحي نقطة العين وينوب الواحد عن الاثنين. إلهي يسر علي في السير الذي يسرته على كثير من أوليائك تيسيراً يعجم عين عنائي. وأيدني في ذلك بنور شعشعاني يخطف بصر كل حاسد من الجن والإنس. وهبني ملكة الغلبة بكل مقام، واغنني بك عن سواك غنى يثبت لي فقري إليك. إنك أنت الغني المجيد والولي الحميد. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٦ - توجه حرف الخاء:

اللهم خالق المخلوقات. ومحيي الأموات. وباسط النور على الذوات. لك الملك الأوسع. والجنات الأرفع. الأرباب عبيدك والملوك خدامك. والأغنياء فقراؤك. وأنت الغني بذاتك عمن سواك، أسألك باسمك الذي خلقت به كل شيء فقدرته تقديراً، ومنحت به من شئت من خلقك خلافة وملكاً كبيراً. أن تذهب حرصي. وتكمل نقصي. وأن تفيض عليَّ سوابغ النعماء، وأن تعلمني من

أسمائك ما أصلح به للأخذ والإلقاء. واملأ باطني خشية ورحمة. وظاهري عظمة وهيبة حتى تخافني قلوب الأعداء. وترتاح إلي أرواح الأولياء خاء خاء خاء خاء خاء خاء (ست مرات) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون. اللهم وهبني استعداداً تاماً لقبول حق فيضك أخلفك به في بلادك. وأدفع به سخطك عن عبادك. تستخلف من تشاء. وأنت ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة: ٢٠]. وأنت الخبير البصير. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٧ - توجه حرف القاف:

إلهي أنت القائم على كل نفس. والقيوم في كل معنى وحس. قدرت فقهرت. وعلمت فقدرت. فلك القوة والقهر. وبيدك الخلق والأمر. وأنت مع كل شيء بالقرب ووراءه بالقدرة والإحاطة وأنت القائل ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾ [البروج: ٢٠]. إلهي أسألك مدداً من أسمائك القهرية. تقوي به قواي القلبية والقالبية. حتى لا يلقاني صاحب قلبه إلا انقلب على عقبه مقهوراً. وأسألك إلهي لساناً ناطقاً. وقولاً صادقاً. وفهماً لائقاً وسرّاً ذائقاً. وقلباً قابلاً وعقلاً عاقلاً. وفكراً مشرقاً. وطرفاً مطرقاً. وشوقا محرقاً. ووجداً مقلقاً. وهبني يداً قادرة وقوة قاهرة. ونفسا مطمئنة. وجوارحاً لطاعتك لينة. وقدسني للقدوم عليك. وارزقني التقدم بين يديك. إلهي قلبي أقبل عليك في قفر الفقر. يقوده الشوق ويسوقه التوق. وزاده الخوف والفرق. ورفيقه القلق. وقرينه الأرق وقصده القبول والقرب. وعندك زلفى القاصدين. إلهي ألق علي السكينة والوقار. وجنبني العظمة والاستكبار. وأقمني في مقام القبول بالإنابة. وقابل قولي بالإجابة. إلهي قربني إليك قرب العارفين. وقدسني عن علائق الطبع. وأزل مني علق الذم. لأكون من المتطهرين. وقابلني بنور من عنايتك يملأ وجودي ظاهراً وباطناً. وأسألك إلهي مدداً روحانياً تقوي به قواي الكلية والجزئية حتى أقهر به كل نفس قاهرة فتنقبض لي رقائقها انقباضاً تسقط به قواها فلا يبقى في الكون ذو روح متوجه إلي بقهر، إلا ونار القهر أخمدت ظهوره. يا شديد البطش يا قهار. وأوقفني موقف العز يا قيوم يا قدير. تقدس مجدك يا ذا القوة المتين يا قدوس. إلهي أسألك الأنس بمقابلات سر القدر أنساً يمحو مني آثار وحشة الفكر حتى يطيب قلبي بك فأطيب بوقتي لك فلا يتحرك ذو طبع لمخالفتي إلا وصغر لعظمتك. وقصم لكبريائك. إنك جبار الأرض والسموات وقاهر الكل بقهرك يا قوي يا قريب يا مجيب الدعاء. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

٨ - توجه حرف الكاف:

إلهي كنت ولا شيء. فأوجدت الكل بكاف الأمر. فالكون رقك. والمكون أمرك. والكائن خلقك. بسطت الرزق فلك الفضل وكفيت الكل فسقط الكل. أسألك روحاً من أمرك يشهدني حقيقة كل متكون. حتى أكون به معك ومعه بك. فأستقل بإظهار ما أريد مؤيداً ملك بكلمة جامعة أتمكن بها من كشف ما أقصد وكتم ما أشهد. واجعل لي لسان صدق. معبراً عن شهود حق. واكلأني بعين حراسة تمنعني من كل يد تمتد إليَّ بسوء. وقدسني عن كل وصف يشهدني الأكوان عرية عنك. وجنبني النسمات المظلمة من أبناء الأثير والثرى. واجعلني لاهوتي المشهد. ملكوتي المقعد. وزين ظاهري بالهيبة. وباطني بالرحمة. واجعلني متردداً بين الرهبة منك والرغبة إليك. واكنفني في ذلك كله بغواشي

الإشراق. واكفني ما أخافه. متكفلاً لي بما أرجوه. إنك أنت الكافي الكفيل. السيد الجليل. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٩ - توجه حرف الضاد:

اللهم يا من هو الخافض الرافع. المانع المعطي الضار النافع. المقسط الجامع. أسألك باسمك الذي أرديت به الأعداء فضلوا خاسرين. وقصمت به ظهور الجبارين. وقطعت به دابر الظالمين. أن تهبني ملكة كاملة سارية في قواي وذرات وجودي. محجوبة عن أوليائي. مصحوبة بكل وصف حلمي وخلق رحيمي لهم أقهر بها كل متكبر. وأذل بها كل عزيز. وأخفض بها كل متعالي علي واجعلني قائماً بالحق فيك ولك. متعرضاً لكل معرض عنك. وضاعف لي الملكة ما ضعفت. وامددني بالمعونة إن عجزت. أنت المولى الجليل. وأنت حسبي ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

١٠ - توجه حرف الجيم:

إلهي كل الآباء العلوية عبيدك. وأنت الرب على الإطلاق. جمعت بين المتقابلات فكنت الجليل الجميل. لا غاية لابتهاجك بذاتك. إذ لا غاية لشهودك منك. وأنت أجل من شهودنا وأجمل. وأعلى مما نصفك به وأكمل. وتعاليت في جلالك عن سمات المحدثات. وتقدس جمالك العلي عن مواقع الهبوط إليه بالشهوات. أسألك بالسر الذي جمعت به بين كل متقابلين. أن تجمع علي متفرق أمري جمعاً يشهدني وحدة وجودي. واكسني حلة جمال ترتاح إليها الأرواح الأريحية. وتنبسط بها الأسرار القدسية. وتوجني بتاج جلال. تخضع له النفوس الشرية. وتنقاد إليه القلوب الأبية. وأعل قدري عندك علواً يخضع لي كل متعال. ويذل لي كل عزيز. وملكني ناصية كل ذي روح ناصيته بيدك. واجعل لي لسان صدق في خلقك وأمرك. واحملني محفوظاً ملحوظاً في برك وبحرك. وأخرجني من قرية الطبع الظالم أهلها. واعتقني من رق الأكوان واجعل لي برهاناً يورث أماناً. ولا تجعل لغيرك علي سلطاناً. واغنني بالفقر إليك عن كل مطلوب. واصحبني بعنايتك في نيل كل مرغوب. أنت وجهتي وجاهي وإليك المرجع والتناهي. تجبر الكسير الحائر. وتجير الخائف. وتخيف الجائر. لك المحل الأرفع. والتجلي الأجمع. سبحانك لا إله إلا أنت. وسعت كل شيء رحمة وعلماً وأنت على كل شيء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

١١ - توجه حرف الشين المعجمة بثلاث:

إلهي أنت الشديد البطش، الأليم الأخذ، العظيم القهر، المتعالي عن الأضداد والأنداد، والمنزَّه عن الصاحبة والأولاد، شأنك قهر الأعداء وقمع الجبارين، تمكر بمن تشاء، وأنت خير الماكرين أسألك باسمك الذي جذبت به النواصي، وأنزلت به من الصياصي، وقذفت به الرعب في قلوب الأعداء، وأشقيت به أهل الشقاء، أن تمدني برقيقة من رقائق اسمك الشديد تسري في قواي الكلية والجزئية حتى أتمكن بها من فعل ما أريد بمن أريد، فلا يصل إلي ظالم بسوء ولا يسقط علي متكبر بجور، واجعل غضبي لك وفيك مقروناً بغضبك لنفسك، واطمس على أبصار أعدائي واشدد على قلوبهم. واضرب

بيني وبينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، إنك شديد البطش أليم العقاب. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

١٢ - توجه حرف الياء المعجمة:

سيدي نظمت طبقات السفليات كما نظمت طبقات العلويات، وفتحت أبواب التنزلات لظهور التجليات، وتنزلت إلى غيب السماء الدنيا لإجابة الدعوات، وظهرت في كل شيء ظهوراً مقدساً عن التلبس بالمحدثات، فلك المثل الأعلى في الأرض كما لك المثل الأعلى في السموات، أسألك يقيناً يقيني الشبهات، وقلباً متواضعاً لهيبة السبحات، واجعلني جليساً للمنكسرة قلوبهم من أجلك، حتى أشهدك في التجلي شهوداً لا حجاب بعده، واخفض لي من عبادك جناح الذل واحجبني عنهم بأشعة البهاء وأشهدني أفعالهم صادرة عنك لأراهم مجبورين تحت قهرك، فلا أغضب إلا لك، يا من نسبة التحت إليه كنسبة الفوق، أنت أقرب إلينا منا ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

١٣ - توجه حرف اللام المهملة:

إلهي ما أوصل لطفك للعبيد، وألطف وصلك بمن تريد، أرسلت رسلك تترى، وقرنت الأولى بالأخرى، تبارك اسمك صانع اللطف ولطيف الصنع، لا إله إلا أنت جامع المتفرقات، وناظم أشتات الطبقات عنت لك الوجوه، وشخصت إليك الأبصار، وسبحتك الألسن على قدر معرفة القلوب، وأنت وراء نطق كل ناطق، احتجبت عن الغير، وتلطفت في إيصال الخير، وهجت الطريق للسير، إلهي أيقظت أبناء الغفلات، وأعتقت عبيد الطبع، وسرحت مساجين الحس وأطلقت أسراء الشهوات وأجبت دعاء الداعين، وصاح مناديك بالمبعدين، فلك الحمد والمدح، وبيدك الفلح والفتح، أسألك شوقاً يوصلني إليك، ونوراً يدلني عليك، وروحاً قدسيا ينفث في روعي كل سر انعجم علي فهمه، أو عزب عني علمه، وأيدني بروح منك واكنفني بنور من نورك أوضح به طريق الرشاد للسالكين، وأعرف به رتبة الوصلة للقاصدين، وافتح لي باباً إلى الأفق الأعلى والأفق المبين، وارفع رقيي في عليين وردني برداء اللطف معلماً باليقين إنك أنت ألطف اللطفاء وأرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

١٤ - توجه حرف الراء المهملة:

رب ربني بلطيف ربوبيتك تربية مفتقر إليك. لا يستغني أبداً عنك. وراقبني بعين رعايتك مراقبة تحفظني من كل طارق يطرقني بأمر يسوؤني في نفسي أو يكدر علي حسي أو يثبت في لوح ذاتي خطا من خطوط حظوظي. وارزقني راحة الأنس بك. ورقني إلى مقام القرب منك. وروح روحي بذكرك. ورددني بين رغب فيك ورهب منك. وردني برداء رضوانك. وأوردني موارد القبول. وهبني رحمة منك تلم بها شعثي. وتقوم بها عوجي. وتكمل بها نقصي وترد بها شاردي. وتهدي بها حائري. فأنت رب كل شيء ومربيه. رحمت الذوات. ورفعت الدرجات. قربك روح الأرواح وريحان الارتياح. وعنوان الفلاح وراحة كل مرتاح. تباركت رب الأرباب. ومعتق الرقاب: وكاشف العذاب. وسعت كل شيء

رحمة وعلماً. وغفرت الذنوب حناناً وحلماً. وأنت الرؤوف الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

١٥ - توجه حرف النون:

إلهي أنوار عظمتك قاهرة. وأشعة سبحات وجهك محرقة. وأنت أعظم من أن تشهد بل تفرد. وأعظم من أن تجحد بل تعبد. تعالى جدك. تعالى مجدك عظم جلالك. سبحت في بحار عظمتك الأفكار، وسنحت من جنات قدسك لوامع الأنوار، وتاهت في بيداء كمالك عقول الأبرار، وتناهت إليك طلبات الكمل الأخيار فأنت رب العباد، وباسط المهاد، وقامع الأضداد، وجامع الناس ليوم الميعاد، ارتديت بالكبرياء وتعززت بالمجد وحجبت بالجبروت ونصرت بالرعب، لا يعلم جنودك سواك، ولا يطيق شهودك غيرك، كذب المدعون، ذاتك أجل من أن تدرك، وصفاتك أعظم من أن تعقل، وإنما هي تجليات أسمائية في مظاهر مثالية، احتجبت بها عن أبصار الطالبين، وآنست بها أسرار المستوحشين، إلهي خشعت الأبصار لهيبة جلالك، ووجلت القلوب لعظمة جبروتك. وتفطرت الأكباد لخوف مكرك، واقشعرت الجلود لهيبة سلطانك، وشهاب قهرك محرق كل ما ود، إلهي وسيدي، أسألك يا من هو فوق مقالتي بما لا يتناهى باسمك الذي ملأت به القلوب رعباً، وأنرت به الوجود شرقاً وغرباً، وبنور سبحات وجهك المشرق والمحرق كل جبار عنيد، أن تمنحني من صدمات قهرك، ما أذل به من اعتز بغيرك، وأقمع به كل جبار عتيد، ممن مكر بالعبيد، حتى أغلب كل غالب، وأحتمي بك عن كل طالب، واكنفني في ذلك بلطف ترتاح إليه أرواح الأولياء، وتنبسط به نفوس السعداء، وغشني بغاشية نور منك تدهش كل مرتاب، فإن نورك جذوة كل مقتبس وأخذة كل مغترس وأنت أظهر عزيز، وأعز ظهير، أنت نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

١٦ - توجه حرف الطاء المهملة:

إلهي أطلقت الألسن بذكرك، وقيدت النعم بشكرك، وشرحت الصدور لأمرك، وسيرت ركائب الآمال في بر برك، وسرحت أفهام ذوي القربى في مسرح ميرك، طارت نحوك القلوب من أوكارها، وتخلصت إليك النفوس من قيادها، وعلقت بك أيدي الطالبين، وفي سجن الطبع عبد لا يطيق الإباق، وقيد السجن مثقل كل مسجون، وأنت المطلق لكل قيد. والممد لكل يد، إلهي أمطر علي من سحائب لطفك الخفي ما يطهرني من رجس الطبع؛ ويحفظ علي أدب الشرع، وأفض علي شآبيب رحمتك التي وسعت كل خطا، وكشفت كل غطا وهبني استعدادا تاما لقبول الفيض الأقدس، حتى تقابل كل رقيقة مني حضرة الاسم اللائق بها، واعصمني في الأخذ والإلقا واكنفني بغواشي إليها: مصحوباً في ذلك بسر تنقاد إليه النفوس انقياد محبة تصحبها رغبة، واجعل لي فرقانا أميز به بين الحق والباطل والجائر والعادل، وقدسني عن العلائق تقديسا ينزهني عن رجس النفس، ويطلقني من حبس الحس، حتى لا أرد إلا مورداً لك فيه رضا، ولا أقف إلا لديك موقف زلفى، يا من به فرح المقربين، أغثني فكوثر عنايتك طهور المحبين.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

١٧ - توجه حرف الدال المهملة:

سيدي دام بقاؤك، ونفذ في الخلق قضاؤك، تقدست في علاك وتعاليت في قدسك؛ لا يؤودك حفظ كون؛ ولا يخفى عليك كشف عين؛ تدعو من تشاء إليك؛ وتدل بك عليك؛ أسألك يقيناً صادقاً بمعاملة لائقة تكون غايتها قربك؛ يا من نتائج الأعمال موقوفة على رضوانه هبني سراً أزهر يكشف لي عن حقائق الأعمال؛ واخصصني بحكمة معها حكم وإشارة يصحبها فهم؛ إنك ولي من تولاك؛ ومجيب من دعاك؛ إلهي أدم علي نعمك حتى أتنعم بدوام مشاهدتك وأشهدني ذاتي من حيث أنت لا من حيث هي حتى أكون بك ولا أنا؛ وهبني من لدنك علما تنقاد إلي فيه كل روح عالمة إنك أنت العليم العلام؛ تبارك اسمك ذا الجلال والإكرام.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

١٨ - توجه حرف التاء:

إلهي أنت التواب على من تاب، والمقرب لمن أناب، والكاشف لمة الحجاب، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إليك ترجع الأمور وبك تدفع الشرور، اللهم إني أسألك سرّاً من سرك وروحاً من أمرك، ونوراً من نورك، يورثني السكون لمقدورك، وهبني توفيقاً منك يوقظ غافلي، ويعلم جاهلي، ويوضح إليك طريقي، ويكون في النجعة والرجعة رفيقي، فيك جهادي وعليك اعتمادي، وإليك مرجعي، وبين يديك مصرعي، تعلم حقيقة أمري، وسواء لديك سري وجهري، تعاليت عن سمات المحدثات، وتنزهت عن النقائص والآفات، وتقدس علمك عن معارضة الشبهات، إلهي أسألك توبة تمحو بها زللي. وتتقبل بها عملي، وتصلح بها ظاهري وتجمع بها شملي، وتشمل بها جمعي، وتقدس بها سري، وتيسر بها تقديسي وتزكي بها نفسي وتطهرني بها من رجسي، وهبني نوراً أمشي به بين الناس، إنك واهب الأنوار، وكاشف الأسرار، وكل شيء عندك بمقدار.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

١٩ - توجه حرف الصاد المهملة:

رب أفض علي شعاعا من نورك يكشف لي عن كل مستور فيَّ حتى أشاهد وجودي كاملاً من حيث أنت لا من حيث أنا، فأتقرب إليك بمحو صفتي مني، كما تقربت إلي بإفاضة نورك علي، رب الإمكان صفتي، والعدم سادني، والفقر مقومي، وجودك علني، وقدرتك فاعلي. وأنت غايتي، حسبي من معرفتك جهلي، أنت كما أعلم، ووراء ما أعلم بما لا أعلم، وأنت مع كل شيء، وليس معك شيء، قدرت المنازل للسير، ورتبت المراتب للنفع والضير، وأبنت مناهج الخير، فنحن في كل ذلك بك وأنت بلا نحن، فأنت الخير المحض، والوجود الصرف، والكمال البحت، أسألك باسمك الذي أفضت به النور على القوابل، ومحوت به ظلمة الغواسق، أن تملأ وجودي نوراً من نورك الذي هو مادة كل كمال، وغاية كل مطلب، حتى لا يخفى عني شيء مما أودعته في ذرات وجودي، وهبني لسان صدق، معبراً عن شهود حق، واخصصني من جوامع الكلم بما تحصل به الإبانة والبلاغ، واعصمني في ذلك كله من دعوى ما ليس لي بحق، واجعلني على بصيرة منك في أمري أنا ومن اتبعني، أعوذ بك من قول يوجب حيرة، أو يعقب فتنة، أو يوهم شبهة، منك يتلقى الكلم، وعنك تؤخذ الحكم، أنت مسكن

السماء، ومعلم الأسماء، لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٠ - توجه حرف الزاي:

اللهم رب السموات السبع، وجامع الناس ليوم الجمع، أرسلت سيدنا محمداً بالهدى ودين الحق، وأوضحت بنور شريعته مناهج الفرق، وفضلته على سائر الخلق، فلك الحمد والمجد والجد، تجليت في جمالك فانبسط بساط الرحمة. وزكت سرائر ذوي القرب وانقادت النفوس للأنس، فأنت راحة الأرواح، ومفيض الأفراح، بك ابتهاجي، وإليك احتياجي، فمني الشكر الدائم، ومنك دوام المزيد، إلهي أسألك عناية تخلصني مني إليك، حتى أكون بك معك، فلا أبرح مسروراً بإرادتك مني مستعداً لما يرد علي منك، فلا يزعجني وارد قد سبق به قضاؤك، ولا تتحرك نفسي لإرادة لم يكن فيها رضاؤك، إلهي أسألك بلداً طيباً يخرج نباته بإذنك إنك خير الزارعين، وامنحني زيادة بهجتي لأكون من المحبورين، وزكني من كل نقص إنك تحب المتطهرين، واجعلني من الفرحين بما آتيتهم من فضلك المستبشرين. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢١ - توجه حرف السين المهملة:

سيدي سلام علي منك، أنت سندي سواء عندك سري وجهري، تسمع ندائي وتجيب دعائي: محوت بنورك ظلمتي. وأحييت بروحك ميتتي. فأنت ربي، وبيدك سمعي وبصري وقلبي. ملكت جميعي. وشرفت وضيعي، وأعليت قدري، ورفعت ذكري، تباركت نور الأنوار، وكاشف الأسرار وواهب الأعمار تنزهت في سمو جلالك عن سمات المحدثات، وعلت رتبة كمالك عن تطرق النقائص إليها والآفات، ونارت بشهود ذاتك الأرضون والسموات، فلك المجد الأرفع والجنات الأوسع، والعز الأمنع؛ (سبوح قدوس رب الملائكة والروح ٧ مرات) جللت السموات والأرض بالعظمة وتفردت بالوحدانية وقبرت العباد بالموت، اقهر أعداءنا بالموت وبارك لنا في الموت وما بعد الموت؛ منور الصياصي المظلمة؛ وغواسق الجواهر المدلهمة. ومنقذ الغرقى من بحر الهيولى، أعوذ بك من غاسق إذا وقب، وحاسد إذا ارتقب، مليكي أناديك وأناجيك مناجاة عبد كسير يعلم أنك تسمع، ويطمع أنك تجيب، واقف ببابك وقوف مضطر لا يجد من دونك وكيلاً، أسألك إلهي بالاسم الذي أفضت به الخيرات، وأنزلت به البركات، ومنحت به أهل الشكر الزيادات، وأخرجت به من الظلمات، وفرجت به من الكربات، أن تفيض علي من ملابس أنوارك وأضوائك ما ترد به عني أبصار الأعادي حاسرة، وأيديهم خاسرة، واجعل حظي منك إشراقاً يجلو لي كل خفي. ويكشف لي عن كل سر علي، يا نور النور، يا كاشف كل مستور إليك ترجع الأمور، وبك تدفع الشرور، لا إله إلا أنت مجيب الداعين، وملاذ الأوابين، أنت حسبي ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٢ - توجه حرف الظاء المعجمة:

رب ظفرني بنية مطالبي منك حتى أظهر لعبادك بكل وصف مضاف إليك. وسر مفاض منك. فاكشف لهم عن رمز أسمائك مرقومة في ألواح الأشباح فإذا هم شاخصون، رب أسألك كمالاً يظهر في يبشرني، وروحاً ينشر فيَّ يطهرني، وقابلني بحضرة اسمك الجامع مقابلة تملأ وجودي وتبسط شهودي

حتى لا يقابلني ذو نقص إلا انقلب كاملاً. ولا ذو ظلم إلا رجع عادلاً. ونور ذاتي بنورك. واكشف لي عن خفي مستورك. أنت السريع القريب. وأنت الرقيب المجيب. ظهرت بالنور. واحتجبت بغلبة الظهور فأنت الظاهر في كل باطن وظاهر. والمستولي على كل أول وآخر. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٣ - توجه حرف الذال:

رب اغمسني في بحر عبودتك غمسة تحقر مني كل وصف يجر إلى دعوى أو حظ يعقبني بلوى. وأوقفني بين يديك موقف الذل لك حتى أشهدك منفرداً بالعزة. وتلطف بي في إيصالي إليك بك. وأذهب مني كل ظلمة توجب انحرافاً عنك. واملأ قلبي بذكرك. ولساني بشكرك. واذكرني عندك. إنك خير الذاكرين. إلهي أذقني حلاوة قربك. وألق علي محبة منك. وصرفني في المهج بمبهجات الأنس واجعلني مظهر كمالك الأقدس. وأيدني في ذلك بهيبة تصحبها رحمة. وتلقني بالروح والريحان وفرحني بالأمن منك والرضوان. وقلبني بين الشوق إليك والسرور بك. وهبني التلذذ بك وبمناجاتك يا من به فرح المحزونين. وأنس المستوحشين. يا ذا الجلال والإكرام والطول والإنعام. لا إله إلا أنت. إني لعهدك من الذاكرين وبذكرك من المحبورين. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٤ - توجه حرف الثاء المثلثة:

إلهي أنت الثابت قبل كل ثابت. والباقي بعد كل شيء ناطق وصامت. بل لا ثابت إلا أنت ولا موجود سواك. لك الكبرياء والجبروت والعظمة والملكوت: تقهر الجبارين، وتبيد الظالمين. وتبدد شمل الملحدين. وتذل رقاب المنكرين. أسألك يا غالب كل غالب. ويا مدرك كل هارب. برداء كبريائك. وإزار عظمتك وسرادق هيبتك، وما وراء ذلك مما لا يعلم علمه إلا أنت، أن تكسوني هيبة من هيبتك تحن لها القلوب، وتخشع لها الأبصار، وملكني ناصية كل جبار عنيد، وأبق علي ذل العبودية في ذلك كله، واعصمني من الخطأ والزلل، وأيدني في القول والعمل، إنك مثبت القلوب، وكاشف الكروب لا إله إلا أنت. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٥ - توجه حرف الفاء:

اللهم يا فاتح أبواب الغيوب، ويا كاشف حجب القلوب، حارت فيك الفكر، وسبقت إلى معرفتك الفطر، فتقت رتق الأكوان بيد تقديرك، وأدرت الأفلاك بمشيئة تسخيرك، وعلمت كل شيء ففصلته تفصيلاً، وأقمت الظاهر على الباطن دليلاً؛ فأنت فالق النواة. ومحيي الرفات، وفاطر الأرضين والسموات؛ حكمك فصل. وقضاؤك عدل، وعطاؤك فضل؛ فاز عبد فر منك إليك؛ وأفلح فتى فارق فرقة الفرق فعول لديك؛ أسألك باسمك الذي فتحت به كل مقفل؛ وأيقظت به كل مغفل؛ وفصلت به كل مجمل. وفرقت به كل أمر منزل، أن تهبني فرقاناً منك ينشرح له صدري، ويرتفع به قدري. ويستنير به فضاء سري. وأنجح به في معارج أمري. وينكشف به سداف همي وعسري. وينحط به وزري الذي أنقض ظهري. ويرتفع به في عوالم الملكوت ذكري. وينعجم به على الفئة الفاجرة سري. وأقمني على فراش أمنك بمنك. واحرسني بحارس حفظك وصونك. واكنفني بكنف رعايتك. وتكفل لي بما تكفلت به لأهل عنايتك، وأرضني بالفلح منك والفتح، واكتب لي عملي في صفحة الصفح، وافرق

بيني وبين مضلات الفتن، وأسرع لي سريان لطفك الخفي قبل نزول المحن؛ وفرجني بفرج يفتح لي باب الفلاح والنجاح. ويعرفني سبل الرشاد والصلاح. ووفقني للخلق الفاضل. وأيدني بالفتح الكامل، وأهلني لقبول فيضك الأقدس واستنشاق نفسك الأنفس، وخذني إليك مني. وارزقني الفناء فيك عني ولا تجعلني مفتوناً بنفسي. ولا محجوباً بحسي. واعصمني في الفعل والقول. يا ذا الفضل والطول. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٦ - توجه حرف الباء:

سيدي أنت مسبب الأسباب ومرتبها ومصرف القلوب ومقلبها. أسألك بالحكمة التي اقتضت ترتب الآخر على الأول وتأثير الأعلى في الأسفل. أن تشهدني ترتيب الأسباب صعوداً ونزولاً، حتى أشهد للباطن منها بشهود الظاهر، والأول في عين الآخر، وألحظ حكمة الترتيب بشهود المرتب، وتسبب الأسباب مسبوقاً بالمسبب، فلا أحجب عن العين بالغين فأعد من الفجرة وإن كنت من البررة، إلهي ألق إليَّ مفتاح الإذن الذي هو كاف العارف حتى أنطق في كل بداية باسمك البديع الذي افتتحت به كل رقيم مسطور، يا من بِسُمُوِّ اسمه ينخفض كل متعال، كل بك وأنت بلا هو، فأنت بديع كل شيء وباديه، لك الحمد يا باري على كل بداية، ولك الشكر يا باقي على كل نهاية، أنت الباعث على كل خير، باطن البواطن، بالغ غايات الأمور؛ باسط أرزاق العالمين؛ بارك اللهم علي في الآخرين، كما باركت على سيدنا محمد وإبراهيم؛ إنه منك وإليك، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٧ - توجه حرف الميم:

سيدي ما أكمل ملكك وأتم كمالك؛ ختمت بما به افتتحت؛ وأعدت إلى ما منه بدأت؛ وانفردت بملك الملك؛ وأنقذت من شرك الشرك؛ وأبنت مناهج السبل؛ ومننت بخاتم الرسل؛ سجدت لك الأملاك، وسبحت لك الأفلاك. وشهد لك الفرش بما شهد به العرش. سبحانك سبحانك لا إله إلا أنت رب الأرباب ومنزل الكتاب. أسألك باسمك الذي ملكت به النواصي. وأنزلت به الضياء في الصياصي. أن تكسوني في هذه الساعة وما بعدها سرّاً تخضع له أعناق المتكبرين. وتنقاد إليه نفوس الجبارين. وردني برداء الهيبة وأجلسني على سرير العظمة. متوجهاً بتاج البهاء. مشرفاً بنور الاقتداء. واضرب علي سرادق الحفظ. وانشر علي لواء العز. واحجبني بحاجب القهر. وأصحبني في ذلك كله بمعرفة نفسي. حتى أكون بك فيما لك. يا من بيده ملكوت الأرض والسماء. عظمت هيبتك في القلوب. وأحاط علمك بالغيوب. لك المجد الأرفع. والملك الأوسع. سبحانك لا إله إلا أنت. ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٨ - توجه حرف الواو:

إلهي وسع علمك كل معلوم وأحاطت خبرتك بباطن كل مفهوم. وتقدست في علائك عن كل مذموم. تسامت إليك الهمم وصعد إليك الكلم. وأنت المتعالي في سمائك. فأقرب معارجنا إليك التذلل ظهرت في كل باطن وظاهر ودمت بعد كل أول وآخر سبحانك لا إله إلا أنت. سجدت لعظمتك

الجباه. وتنعمت بذكرك الشفاه أسألك باسمك الذي إليه سُمُوّ كل مترق. ومنه قبول كل متلق. رفعة يضمحل معها علو العالين. ويقصر عنها غلو الغالين. حتى أرقى بك إليك مرقى تطلبني فيه الهمم العلية. وتنقاد إلي النفوس الأبية. وأسألك ربي أن تجعل سلمي إليك التنزل ومعراجي إليك التواضع والتذلل. واكنفني بغاشية من نورك تكشف لي عن كل مستور وتحجبني عن كل حاسد مغرور. وهبني خلقاً أسع به كل خلق. وأقضي به كل حق كما وسعت كل شيء رحمة وعلماً لا إله إلا أنت يا حي يا قيوم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

٢٩ - توجه حرف اللام ألف:

اللهم لا إله إلا أنت. إياك نعبد وإياك نشهد. مُنيبين إليك لا شيء من دونك. أسألك بك من حيث أنت. أنت يا من لا هو إلا هو. أن تقبضَ عني ظل التكوين حتى أشهدني عرياً عن كل وصف يكون حجاباً من دونك عن مشاهدتي إياك من حيث أنا. وقدسني عن كل نعت أو حكم يوجب رؤية حظ ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: ٥٣]، اللهم صل على نبيك سيدنا محمد المخصوص بهذا المحو الأتم. والجمع الأكمل. الذي هو فوق منال الحكمة. وعلى آله المهتدين بهذا الهدى العلي والنور الجلي. اللهم اجعل صلاتي على نبيك سيدنا محمد المصطفى ﷺ نوراً ظاهراً مظهراً تمحو به مني ظلمة كل بغي وكفر. وشك وشرك ونكر. حتى لا يكون في رؤية لغيرك. وأرجعني إليك مني في كل وارد عليَّ منك يا مَن إليه وجهة كل متوجه ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ۝١٥﴾ [الرعد: ١٥].

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

تمت توجهات سيدنا الإمام

محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي قدسنا الله بأسراره النورانية والله وليّ التوفيق

* * *

الصيغة المطلسمة

في الصلاة على الذات المحمدية له أيضاً قدّس سرّه العالي.

اللهم صلّ على الذات المطلسم. والغيب المطمطم. والكمال المكتم. لاهوت الجمال. ناسوت الوصال. طلعة الحق. هوية إنسان الأزل في نشر من لم يزل من قامت به نواسيت الفرق في طريق الحق. بقاب ناسوت الوصال الأقرب. صل اللهم به منه فيه عليه وسلّم.

تمت والله وليّ التوفيق

* * *

الصيغة الأكبرية

له أيضاً رضي الله عنه وعنّا به آمين

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد أكمل مخلوقاتك. وسيد أهل أرضك وأهل سمواتك. النور الأعظم. والكنز المطلسم. والجوهر الفرد. والسر الممتد. الذي ليس له مثل منطوق. ولا شبه مخلوق.

وارض عن خليفته في هذا الزمان. من جنس عالم الإنسان. الروح المتجسد. والفرد المتعدد. حجة الله في الأقضية. وعمدة الله في الأمضية. محل نظر الله من خلقه. منفذ أحكامه بينهم بصدقه. الممد للعوالم بروحانيته. المفيض عليهم من نور نورانيته. من خلقه الله على صورته. وأشهده أرواح ملائكته. وخصصه في هذا الزمان ليكون للعالمين أمان. فهو قطب دائرة الوجود. ومحل السمع والشهود. فلا تتحرك ذرة في الكون إلا بعلمه. ولا تسكن إلا بحكمه. لأنه مظهر الحق. ومعدن الصدق. اللهم بلغ سلامي إليه. وأوقفني بين يديه وأفض علي من مدده. واحرسني بعدده. وانفخ فيَّ من روحه كي أحيا بروحه. ولأشهد حقيقتي على التفصيل. فأعرف بذلك الكثير والقليل. وأرى عوالمي الغيبية تتجلى بصوري الروحانية على اختلاف المظاهر. لأجمع بين الأول والآخر والباطن والظاهر. فأكون مع الله آله. بين صفاته وأفعاله. ليس لي من الأمر شيء معلوم. ولا جزء مقسوم. فأعبده به في جميع الأحوال. بل بحول وقوة ذي الجلال والإكرام. اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمعني به وعليه وفيه. حتى لا أفارقه في الدارين. ولا أنفصل عنه في الحالين. بل أكون كأني إياه في كل أمر تولاه من طريق الاتباع والانتفاع. لا من طريق المماثلة والارتفاع. وأسألك بأسمائك الحسنى المستجابة أن تبلغني ذلك منه مستطابة. ولا تردني منك خائب. ولا ممن لك نائب. فإنك الواجد الكريم وأنا العبد العديم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

* * *

الصيغة الفيضية

له أيضاً رضي الله عنه وعنا به آمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني. وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني. المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثاني إلى مدينة وهو الآن على ما عليه كان. محصي عوالم الحضرات الإلهي الخمس في وجوده ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ [يس: ١٢]. وارحم سائلي استعداداتها بنداه وجوداه. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. نقطة البسملة الجامعة لما يكون وكان. ولفظة الأمر الجوالة بدوائر الأكوان، سر الهوية التي في كل شيء سارية. وعن كل شيء مجردة وعارية. أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها. ومقسمها على حسب القوابل وموزعها. كلمة الاسم الأعظم، وفاتحة الكنز المطلسم، المظهر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية، والنشء الأعم الشامل للإمكانية والوجوبية، الطود الأشم الذي لم يزحزحه التجلي عن مقام التمكين، والبحر الخضم الذي لم تعكره جيف الغفلات عن صفاء اليقين، القلم النوراني الجاري بمداد الحروف العاليات، والنفس الرحماني، الساري بمواد الكلمات التامات، الفيض الأقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها، والفيض المقدس الصفاتي الذي تكونت به الأكوان واستمداداتها، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات، ومنبع نور الإفاضات في رياض النسب والإضافات، خط الوحدة بين قوسي الأحدية والواحدية، وواسطة التنزل الإلهي من سماء الأزلية إلى أرض الأبدية، النسخة الصغرى التي تفرعت عنها الكبرى، والدرة البيضاء التي تنزلت إلى الياقوتة

الحمراء. جوهر الحوادث الإمكانية التي لا تخلو عن الحركة والسكون، ومادة الكلمة الفهوانية. الطالعة من كن إلى شهادة فيكون. هيولى الصور التي لا تتجلى بإحداها مرة لاثنين ولا بصورة منها لأحد مرتين. قرآن الجمع الشامل للممتنع والعديم وفرقان الفرق الفاصل بين الحادث والقديم صائم نهار إني أبيت عند ربي. وقائم ليل تنام عيناي ولا ينام قلبي، واسطة ما بين الوجود والعدم ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن: ١٩]. ورابطة تعلق الحدوث بالقدم، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، فذلكة دفتر الأول والآخر. ومركز إحاطة الباطن والظاهر حبيبك الذي استجليت به جمال ذاتك على منصة تجلياتك ونصبته قبلة لتوجهاتك في جميع تجلياتك، وخلعت عليه خلعة الصفات والأسماء وتوجته بتاج الخلافة العظمى، وأسريت بجسده يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، وترقى إلى قاب قوسين أو أدنى، فسر فؤاده بشهودك حيث لا صباح ولا مساء ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١] وقر بصره بوجودك حيث لا خلا ولا ملا ما زاغ البصر وما طغى. صلّ اللهم عليه صلاة يصل بها فرعي إلى أصلي، وبعضي إلى كلي، لتتحد ذاتي بذاته، وصفاتي بصفاته، وتقر العين بالعين، ويفر البين من البين وسلم عليه سلاماً أسلم به في متابعته من التخلف وفي طريق شريعته من التعسف، لأفتتح باب محبتك إياي بمفتاح متابعته، وأشهدك في حواسي وأعضائي من مشكاة شرعه وطاعته، وأدخل وراءه حصن لا إله إلا الله، وفي أثره إلى خلوة لي وقت مع الله، إذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه سدت عليه الطرق والأبواب، ورد بعصا الأدب إلى اصطبل الدواب. اللهم يا رب يا من ليس حجابه إلا النور، ولا خفاؤه إلا شدة الظهور أسألك بك في مرتبة إطلاقك عن كل تقييد التي تفعل فيها ما تشاء وتريد وبكشف عن ذاتك بالعلم النوري، وبتحولك في صور أسمائك وصفاتك بالوجود الصوري، أن تصلي على سيدنا محمد صلاة تكحل بها بصيرتي النور المرشوش في الأزل، لأشهد فناء ما لم يكن وبقاء من لم يزل، وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة، وكونها لم تشم راحة الوجود فضلاً عن كونها موجودة وأخرجني اللهم بالصلاة عليه من ظلمة أنانيتي إلى النور، ومن قبر جسمانيتي إلى جميع الحشر وفرق النشور، وأفض علينا من سماء توحيدك إياك ما تطهرنا به من رجس الشرك والإشراك، وأنعشنا بالموتة الأولى والولادة الثانية، وأحينا الحياة الباقية في هذه الدنيا الفانية، واجعل لي نوراً أمشي به في الناس، فأرى وجهك أينما توليت بدون اشتباه ولا التباس، ناظراً بعيني الجمع والفرق، فاصلاً بين الباطل والحق، دالاً بك عليك، وهادياً بإذنك إليك، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، صلّ وسلم على سيدنا محمد صلاة وسلاماً تتقبل بهما دعائي، وتحقق بهما رجائي، وعلى آله أهل الشهود والعرفان وأصحابه أصحاب الذوق والوجدان، ما انتشرت طرة ليل الكبان، وأسفر صبيح جبين العيان، آمين آمين آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(اللهم رب سيدنا محمد وآل سيدنا محمد صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجْزِ عنّا سيدنا ومولانا محمداً ﷺ أفضل ما هو أهله) ثلاث مرات.

* * *

الدور الأعلى

ويسمى حزب الوقاية لمن أراد الولاية

له أيضاً رضي الله عنه وعنا به آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- اللهم يا حي يا قيوم بك تحصنت فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان بسم الله.

٢- وأدخلني يا أول يا آخر مكنون غيب سرّ دائرة كنز ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

٣- وأسبل علي يا حليم يا ستار كنف ستر حجاب صيانة نجاة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٤- وابن يا محيط يا قادر علي سور أمان إحاطة مجد سرادق عز عظمة ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٦].

٥- وأعذني يا رقيب يا مجيب واحرسني في نفسي وديني وأهلي ومالي وأولادي بكلاءة إغاثة إعاذة ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٦- وقني يا مانع يا دافع بآياتك وأسمائك وكلماتك شر الشيطان والسلطان فإن ظالم أو جبار بغى علي أَخَذتْهُ غاشية من عذاب الله.

٧- ونجني يا مذل يا منتقم من عبيدك الظالمين الباغين علي وأعوانهم فإن هَمَّ لي أحد منهم بسوء خذله الله ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

٨- واكفني يا قابض يا قهار خديعة مكرهم واردد هم عني مذمومين مذؤومين مدحورين بتخسير تغيير تدمير فما كان له من ﴿فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ٤٣].

٩- وأذقني يا سبوح يا قدوس لذة مناجاة ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١]، بفضل الله.

١٠- وأذقهم يا ضار يا مميت نكال وبال زوال ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٤٥].

١١- وآمني يا سلام يا مؤمن صولة جولة دولة الأعداء بغاية بداية آية ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

١٢- وتوجني يا عظيم يا معز بتاج مهابة كبرياء جلال سلطان ملكوت عز عظمة ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٦٥].

١٣- وألبسني يا جليل يا كبير خلعة جلال جمال كمال إقبال ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١].

١٤- وألق يا عزيز يا ودود عليّ محبة منك فتنقاد وتخضع لي بها قلوب عبادك بالمحبة والمعزة والمودة من تعطيف تأليف ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

١٥- وأظهر عليّ يا ظاهر يا باطن آثار أسرار أنوار ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤].

١٦- ووجه اللهم يا صمد يا نور وجهي بصفاء جمال أنس إشراق فإن حاجوك ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

١٧- وجملني يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام بالفصاحة والبلاغة والبراعة ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٧-٢٨]، برقة رأفة رحمة ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله.

١٨- وقلدني يا شديد البطش يا جبار سيف الهيبة والشدة والقوة والمنعة من بأس جبروت عزة ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

١٩- وأدم عليّ يا باسط يا فتاح بهجة مَسَرّة ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥-٢٦] بلطائف عواطف ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] وبأشائر بشائر ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤].

٢٠- وأنزل اللهم يا لطيف يا رؤوف بقلبي الإيمان والاطمئنان والسكينة لأكون من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله.

٢١- وأفرغ علي يا صبور يا شكور صبر الذين تذرعوا بثبات يقين ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٢٢- واحفظني يا حفيظ يا وكيل من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي بوجود شهود جنود ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

٢٣- وثبت اللهم يا قائم يا دائم قدمي كما ثبت القائل ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٨١].

٢٤- وانصرني يا نعم المولى ويا نعم النصير على أعدائي نصر الذي قيل له ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٧].

٢٥- وأيدني يا طالب يا غالب بتأييد نبيك محمد ﷺ المؤيد بتعزيز توفير ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥] لتؤمنوا بالله.

٢٦- واكفني يا كافي يا شافي الأعداء والأسواء والأدواء بعوائد فوائد ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

٢٧- وامنن عليّ يا وهاب يا رزاق بحصول وصول قبول تيسير تسخير ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠].

٢٨- وتولني يا ولي يا علي بالولاية والعناية والرعاية والسلامة بمزيد إيراد إسعاد إمداد ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٨].

٢٩- وأكرمني يا غني يا كريم بالسعادة والسيادة والكرامة والمغفرة كما أكرمت ﴿ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣].

٣٠- وتب علي يا تواب يا حكيم توبة نصوحاً لأكون من ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٣١- وألزمني يا واحد يا أحد كلمة التقوى كما ألزمت حبيبك سيدنا محمداً ﷺ حيث قلت: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ١٩].

٣٢- واختم لي يا رحمن بحسن خاتمة الناجين والراجين ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[الزمر: ٥٣].

٣٣- وأسكني يا سميع يا قريب جنة أُعدت للمتقين ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[يونس: ١٠]، يا الله يا الله يا الله يا الله. يا رب يا رب يا رب يا رب. يا نافع يا نافع يا نافع يا نافع. يا رحمن يا رحمن يا رحمن يا رحمن. يا رحيم يا رحيم يا رحيم يا رحيم. أسألك بحرمة هذه الأسماء والآيات والكلمات سلطاناً نصيراً ورزقاً كثيراً وقلباً قريراً وقبراً منيراً وحساباً يسيراً وأجراً كبيراً.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وأله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

تم كتاب توجهات الحروف

كتاب الموعظة الحسنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين... والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ الأكبر: محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي قدّس سرّه العزيز: هذا جزء سميته:

الموعظة الحسنة:

قيدت فيه طرفاً من مواعظ الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، والفضلاء العاملين من عباده: طلباً للمثوبة من الواهب سبحانه وتعالى:

فمن ذلك ما روي أن الله تعالى قال:

"يا بن آدم: خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد، وأنا أتحبب إليك بالنعم، وأنت تتبغض إلي بالمعاصي. في كل يوم يأتيني ملك كريم بقبيح فعلك.

يا بن آدم: ما تراقبني، أما تعلم أنك بعيني.

يا بن آدم: في خلواتك وعند شهواتك اذكرني وسلني أن أنزعها من قلبك، وأعصمك عن معصيتي، وأبغضها إليك، وأيسر لك طاعتي، وأحببها إليك، وأذكي ذلك في عينيك.

يا بن آدم: أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلي، لئلا تعصيني وتنبو عني فأعرض عنك.

أنا الغني، وأنت الفقير إلي.

إنما خلقت الدنيا وسخرتها لك، لتستعد للقائي، وتتزود منها لئلا تعرض عني، وتخلد إلى الأرض.

اعلم بأن الدار الآخرة خير لك من الدنيا، فلا تختر غير ما اخترت لك، ولا تكره لقائي، فإن من كره لقائي كرهت لقاءه، ومن أحب لقائي أحببت لقاءه".

وقال بعض العلماء: تزود من الدنيا للآخرة، وطريقها – فإن خير الزاد التقوى-.

وسارع إلى الخيرات، ونافس في الدرجات قبل فناء العمر وتقارب الأجل.

وقال بعضهم: إياكم ومجالسة أقوام يتكلفون بينهم زخرف القول غروراً، أو يتملقون في الكلام: خداعاً، وقلوبهم مملوءة غشّاً، وغلاً، وحسداً، وكبراً، وحرصاً، وطمعاً، وبغضاً، وعداوة، ومكراً، وخيلاء: دينهم التعصب، واعتقادهم النفاق، وأعمالهم الرياء، واختبارهم شهوات الدنيا، يتمنون الخلود فيها، مع علمهم بأنهم لا سبيل لهم إلى ذلك، ويجمعون ما لا يأكلون، ويبنون ما لا يسكنون، ويؤملون ما لا يدركون، ويكسبون الحرام وينفقون في المعاصي، ويمنعون المعروف، ويركبون المنكر.

قال عيسى: "يا بني إسرائيل: اعلموا أن مثل دنياكم مع آخرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم، كلما أقبلتم إلى المشرق بعدتم من المغرب، وكلما أقبلتم إلى المغرب بعدتم من المشرق".

وقال بعضهم لقوم يتردون، في طغيانهم يعمهون، ولا يسمعون النداء ولا يجيبون الدعاء، مولعين بالشهوات مدبرين عن الطاعات وعن الآخرة معرضين، وعلى الأعقاب ناكسين، وعلى الدنيا مقبلين متكالبين تكالب الكلاب على الجيف، منهمكين في الشهوات، تاركين للصلوات، لا يسمعون الموعظة، ولا تنفعهم التذكرة، فلا جرم أنهم مهملون قليلاً، ويتمتعون يسيراً، ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق.

ذلك ما كانوا منه يحيدون –شاؤوا أو أبوا، فيفارقون محبوباتهم على رغم منهم، ويتركون ما جمعوا لغيرهم، يتمتعون إلى أخذهم: حليل زوجته، وامرأة ابنه، وبعل ابنته، وصاحب ميراثه...

لهم المهنا، وعليه الوبال. مثقل ظهره بأوزاره، معذب بما كسبت يداه: يا حسرة عليه إذا قامت عليه وعلى أهله القيامة".

ومنها: قال تعالى لبني إسرائيل:

"رغبناكم في الآخرة فلم ترغبوا، وزهدناكم في الدنيا فلم تزهدوا، وخوفناكم النار فلم تخافوا، وشوقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا، وانحينا عليكم فلم تبكوا: بشر القتالين إن الله تعالى له ساق لا ينام، وهو نار جهنم".

وقال عيسى عليه السلام: "صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وكن كالمداوي جرحه بالدواء خشية أن ينقض عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت، فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخير لا شر بعده، وإلى الشرير بشر لا خير بعده".

وقال علي كرم الله وجهه: "الفضلاء صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها معلقة بالمحل الأعلى".

ومما وجد في بعض كتب بني إسرائيل في صفة خلق آدم، وتكوين جسده حين أبدعه الله عز وجل، وأخرجه، قال تعالى:

"إني خلقت آدم وركبت بدنه من أربعة أشياء، ثم جعلتها وراثة في ولده وذريته، تنشأ في أجسادهم، وتموت عليها إلى يوم القيامة، وذلك: إني ركبت جسده من رطب ويابس، وسخن وبارد، وذلك إني خلقته من تراب وماء، ثم نفخت فيه نفساً وروحاً، فيبوسة جسده من قبل التراب، ورطوبته من الماء، وحرارته من النفس، وبرودته من الروح".

ثم جعلت في الجسد بعد هذا: أربعة أنواع أُخر، هن ملاك الجسد، لا قوام للجسد إلا بهن، ولا تقوم واحدة منهن إلا بالأخرى وهن: المرة السوداء، والمرة الصفراء، والدم، والبلغم.

ثم أسكنت بعضهم في بعض، فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء، ومسكن الحرارة في المرة الصفراء، والرطوبة في الدم، والبرودة في البلغم.

فأي جسد اعتدلت فيه هذه الأخلاط الأربعة التي جعلتها ملاكه وقوامه، وكانت كل واحدة منهن ربعاً، لا يزيد ولا ينقص: كملت صحته واعتدلت بنيته.

فإن زادت واحدة منهن على أخواتها، وقهرتهن ومالت بهن: دخل السقم على الجسد من نواحيهن بقدر قلتها عنهن، وضعفت طاقتها عن مقاومتهن.

ثم علمته الطب والدواء: كيف يزيد في الناقص، وينقص في الزوائد حتى يعتدل ويستقيم أمر الجسد.

فالطبيب الفاره، العالم بالدواء والداء: هو الذي يعلم من أين دخل السقم على الجسد؟ أم من أين الزيادة؟ أم من أين النقصان؟ ويعلم الدواء الذي يعالج به، فيزيد في ناقصها، وينقص من زائدها، حتى يستقيم أمر الجسد على فطرته، ويعدل الشيء بأقرانه.

ثم صيرت هذه الأخلاط التي ركب عليها الجسد، فطرة، وأصولها عليه تبنى أخلاق بني آدم، وبها يوصفون.

فمن التراب العزم، ومن الماء اللين، ومن الحرارة الحدة، ومن البرودة: الأنانية.

فإن مالت به اليبوسة وأفرطت: كان عزم قساوة وفظاظة.

وإن مالت به الرطوبة: كان لينه: توانياً ومهانة.

وإن مالت به الحرارة: كان حدته طيشاً وسفاهة.

وإن مالت به البرودة. كانت أنانيته... وبلادة.

فإذا اعتدلت أخلاقه، واستقام أمره، وكان عازماً في إنابته ليناً في عزمه متهادياً في لينه، متأنياً في حدته، لا يغلبه خلق من أخلاقه، ولا يميل به طبيعة من طبائع أخلاقه عن المقدار المعتدل، من أيها شاء استكثر، ومن أيها شاء قلّل، وكيف شاء عدل.

ثم نفخت فيه من روحي، وقرنت الجسد: نفساً وروحاً.

فبالنفس يسمع ابن آدم، ويبصر، ويشم، ويذوق، ويلمس، ويحس، ويأكل، ويشرب، وينام، وينتبه، ويضحك، ويبكي، ويحزن.

وبالروح: يعقل، ويفهم، ويدري، ويعلم، ويستحيي، ويحلم، ويحذر، ويتقدم، ويمتع، ويتكرم، ويقف، ويهيج.

فمن النفس يكون: حدته، وخفته، وشهوته، ولعبه، ولهوه، وضحكه، وسفهه، ومكره، وخداعه، وعنفه، وخرقه.

ومن الروح: علمه، ووقاره، وعفافه، وحياؤه، ووفاؤه، ويكون صدقه، ورفعته، وصبره.

فإذا خاف ذو اللب: أن يغلب عليه خلق من أخلاق النفس، قابله بضده من أخلاق الروح، وألزمه إياه ليعدله ويقومه، فيقابل الحدة بالحلم، والخفة بالوقار، والشهوة بالعفاف، واللعب بالحياء، واللهو بالنهي، والضحك بالعزم، والفظاظة بالكرم، والخداع بالصدق، والعنف بالرفق، والخرق بالصبر.

ومن التراب يكون: قساوته، وبخله، وفظاظته، وشحه، وإياسه وقنوطه، وعزم إصراره.

ومن الماء يكون: سهولته، ولينه، واسترساله، وتكرمه، وسماحته، وقربه، وقبوله، ورجاؤه، واستبشاره.

فإذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاقه الترابية، قابله بضده من الأخلاق المائية، وألزمه إياه: ليعد له، ويقومه فيقابل القسوة باللين، والبخل بالعطاء، والفظاظة بالكرم، والشح بالسماحة، واليأس بالرجاء، والقنوط بالاستبشار، والعزم بالقبول، والإصرار بالتوبة.

وذكر أن بعض العارفين بالله تعالى اجتاز مرة في بعض سياحته براهب في صومعة على رأس جبل، فوقف بإزائه، فناداه: يا راهب: فأخرج الراهب رأسه من صومعته، وقال: من ذا؟ قال: رجل من أبناء جنسك الآدميين. قال: فماذا تريد؟ قال: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ قال الراهب: في خلاف الهوى. قال: فما خير الزاد؟ قال: التقوى. قال: تباعدت عن الناس، وتحصنت في هذه الصومعة؟

قال: مخافة على قلبي من معاشرتهم وحذراً على عقلي: أجيره من سوء عشرتهم، وطلبت راحة نفسي عن مقاساة مداراتهم، وقبيح فعالهم، وجعلت معاملتي مع ربي، فاسترحت منهم.

قال: فخبرني يا أحد أتباع المسيح، كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم، واصدق القول لي، ودع عنك تزويق الكلام، وزخرف القول.

فسكت الراهب طويلاً، ثم قال: شر معاملة تكون. قال له: كيف؟

قال: لأنه أمرنا بالكد للأبدان، وجهد النفوس، وصيام النهار، وقيام الليل، وترك الشهوات المركوزة في الجبلة، ومخالفة الهوى الغالب، ومجاهدة العدو المسلط، والرضى، والخشونة في العيش، والصبر على الشدائد والبلوى.

ومع ذلك كله: جعل الأجر بالنسبة في الآخرة بعد الموت مع بُعد الطريق، وكثرت الشكوك والحيرة، والخوف من الناس.

فهذه حالنا في معاملتنا مع ربنا، فخبرني عنكم يا معشر أتباع أحمد، كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم؟ قال له المجتاز: خير معاملة تكون وأحسنها.

قال له: صف لي ما هي؟ وكيف هي؟ قال له المجتاز: ربنا أعطانا سلفاً كثيراً قبل العمل، ومواهب جزيلة لا تحصى فنون أنواعها من النعم، والإفضال قبل المعاملة.

فنحن ليلنا ونهارنا في أنواع نعمة، وفنون من آلائه -ما بين سالف معتاد، وآنف مستفاد-.

قال له الراهب: فكيف خصصتم بهذه المعاملة دون غيركم، والرب واحد؟ قال: أما النعمة والإفضال والإحسان، فعموم للجميع، قد غمرتنا كلنا. ولكنا خصصنا بحسن الاعتماد، وصحة الرأي، والإقرار بالحق، والإيمان، والتسليم له، وصدق المعاملة: من محاسبة النفس، وملازمة الطريق، وتفقد تصاريف الأحوال الطارئة من الغيب، ومراعاة القلب بما يرد عليه من الخواطر والوحي والإلهام ساعة فساعة.

قال الراهب: زدني في البيان؟ قال المجتاز: أزيدك، اسمع ما أقول، وافهم ما تسمع، واعقل ما تفهم.

"إن الله جل بقاؤه: لما خلق الإنسان من طين، ولم يكن قبل شيئاً مذكوراً، ثم جعل نسله من ماء مهين ــ نطفة في قرار مكين ــ ثم قلبه حالاً بعد حال: تسعة أشهر، إلى أن أخرجه هناك خلقاً سويّاً، بنية صحيحة، وصورة تامة، وقامة منتصبة، وحواس سالمة، ثم زود من هنا لبناً خالصاً لذيذاً سائغاً للشاربين: حولين كاملين ثم رباه وأنشأه وأنماه بفنون لطفه، وغرائب حكمته، إلى أن بلغه أشده واستوى، ثم آتاه حكماً وعلماً، وأعطاه: قلباً ذكياً، وسمعاً وعياً، وبصراً حاداً، وذوقاً لذيذاً، وفماً طيباً، ولمساً ليناً، ولساناً ناطقاً، وعقلاً صحيحاً، وفهماً جيداً، وذهناً صافياً، وتمييزاً وفكرة، ورؤية وإرادة مشيئة، واختياراً وجوارح طائعة، ويدين صانعتين، ورجلين ساعيتين، ثم علمه الفصاحة والبيان، والصنائع والحرف، والحرث والزراعة، والبيع والشراء، والتصرف في المعاش، وطلب وجوه المنافع، واتخاذ البنيان، وطلب العزة والسلطان، والأمر والنهي، والرئاسة، والتدبير والسياسة، وسخر له ما في الأرض جميعاً: من الحيوان والنبات وجواهر المعادن، فغدا متحكماً عليها: تحكم الأرباب متصرفاً فيها تصرف الملاك، متمتعاً بها إلى حين.

ثم إن الله جل ثناؤه: أراد أن يزيد في فضله وإحسانه، وجوده وإنعامه فنّاً آخر، هو أشرف وأجل من هذه التي تقدم ذكرها، وهو ما أكرم من ملائكته وخالص عباده وأهل وداده في النعيم الأبدي، الذي لا يشوبه شيء من النقص، ولا من التنغيص، إذ كان نعيم الدنيا مشوباً بالبؤس، ولذاتها بالآلام، وسرورها بالحزن، وفرحها بالغم، وراحتها بالتعب، وعزها بالذل، وصفوها بالكدر، وغناها بالفقر، وصحتها بالسقم.

وأهلها فيها: معذبون في صورة المنعمين، مغرورون في صورة الواثقين مهانون في صورة المكرمين، وجلون في صور المطمئنين، خائفون مترددون بين المتضادين: نور وظلمة، وليل ونهار، وصيف وشتاء، وحر وبرد، ورطب ويابس، وعطش وري، وجوع وشبع، ونوم ويقظة، وراحة وتعب، وشباب وهرم، وقوة وضعف، وحياة وموت، وما يشاكل هذه الأمور التي أهل الدنيا وأبناؤها فيها مترددون، مدفوعون إليها، متحيرون.

فأراد ربي ــ أيها الراهب ــ أن يخلصهم من هذه الأمور، والآلام المشوبة باللذات، وينقلهم منها إلى: نعيم لا بؤس فيه، ولذة لا ألم فيها، وسرور بلا حزن، وفرح بلا غم، وعز بلا ذل، وكرامة بلا هوان، وراحة بلا تعب، وصفو بلا كدر، وأمن بلا خوف، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وحياة بلا موت، وشباب بلا هرم، ومودة بين أهلها، وزينة.

فهم في نور لا يشوبه ظلمة، ويقظة بلا نوم، وذكر بلا غفلة، وعلم بلا جهالة، وصداقة بين أهلها بلا عداوة، ولا حسد، ولا غيبة -إخواناً على سرر متقابلين- آمنين مطمئنين، أبد الآبدين.

ولما لم يمكن الإنسان أن يكون بهذا الجسد الحسي، والجسم الطويل العريض العميق المظلم، المركب من أجزاء الأركان المتضادة، المؤلف من الأخلاط الأربعة، إذ كان هذا لا يليق بتلك الأوصاف الصافية، والأحوال الباقية، فاقتضت العناية بواجب حكمة الباري جل ثناؤه: أن ينشئ خلقاً نشأ آخر، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الواقعة: ٦٢]، النشأة الآخرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٠]، فبعث الله جل ثناؤه لهذا السبب أنبياء إلى عباده، يبشروهم بها ويدعوهم إليها، ويرغبوهم فيها، ويدلوهم على طريقها: يطلبوها: مستعدين قبل الورود إليها.

ولكيما يسهل عليهم مفارقة مألوفات الدنيا من شهواتها ولذاتها، ويخفف عليهم أيضا شدائد الدنيا ومصائبها، إذ كانوا يرجون بعدها ما يعمرها: ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها، ويحذرون فوت نعيمها، فإنه من فاتته فقد خسر خسرانا مبينا.

فهذا هو ديننا واعتقادنا ـــ يا راهب ـــ في معاملتنا مع ربنا وبهذا الاعتقاد طاب عيشنا في الدنيا، وسهل علينا الزهد فيها وترك شهواتها، واشتدت رغبتنا في الآخرة، وزاد حرصنا في طلبها، وخف علينا كد العبادة، فلا نحس بها، بل نرى ذلك نعمة وكرامة، وعزا وشرفا، حين جعلنا أهلا أن نذكره، إذ هدى قلوبنا وشرح صدورنا، ونور أبصارنا، لما تعرف إلينا بكثرة أعمالنا وفنون إحسانه.

فقال الراهب: جزاك الله خيرا من واعظ ما أبلغه، ومن ذاكر إحسانه ما أرفعه، ومن هاد رشيد: ما أبصره، وخطيب رفيق: ما أحزمه، ومن أخ ناصح: ما أشفقه.

وقال لقمان لابنه: "يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله جل ثناؤه يحيي القلوب الميتة بنور العلم، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء، وإياك ومنازعة العلماء، فإن الحكمة نزلت من السماء صافية، فلما تعلمها الرجال: صرفوها إلى هوى نفوسهم".

وقال بعضهم: "مثل العالم الراغب في الدنيا، الحريص في طلب شهواتها، كمثل الطبيب المداوي غيره المرض نفسه، فلا يرجى منه الصلاح، فكيف يشفي غيره؟".

وقال عيسى عليه السلام في بعض مواعظه لبني إسرائيل:

"أيها العلماء، وأيها الفقهاء: قعدتم على طريق الآخرة، فلا أنتم تسيرون إليها فتدخلون الجنة، ولا تتركون أحدا يجوزكم ويصل إليها".

وإن الجاهل أعذر من العالم، وليس لواحد منهما عذر.

وقال بعضهم: "من ترك الشغل بفضول الدنيا، فهو: زاهد.

ومن أنصف في المودة: وقام بحقوق الناس، فهو: متواضع.

ومن كظم الغيظ، واحتمل الضيم، والتزم الصبر فهو: حكيم.

ومن تمسك بالعدل، وترك فضول الكلام، وأوجز في النطق، وترك ما لا يعنيه، واقتصر في أموره، فهو: عابد".

وقيل: إن وليا من أولياء الله تعالى لما تفكر في أمر التكليف، والبلوى، ولم يتجه، وجه الحكم فيها، قال في مناجاته: ونادى ربه:

"يا رب خلقتني ولم تستأمرني، ويتمتني ولا تستشيرني، وأمرتني ونهيتني ولم تخبرني، وسلطت عليّ هوى مرديا، وشيطانا مغويا، وركبت في نفسي شهوات مركوزة، وجعلت بين عيني دنيا مزينة، ثم خوفتني، وزجرتني بوعيد وتهديد، فقلت: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾[هود: ١١٢]، أو ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ﴾[ص: ٢٦]، واحذر الشيطان أن يغويك، والدنيا أن تغرك، وتجنب شهواتك لا ترديك، وآمالك وأمانيك لا تلهيك، وأوصيك بأبناء جنسك فدارهم، ومعيشة الدنيا فاطلبها من حلال، والآخرة فلا تنسها، ولا تعرض عنها فتخسر الدنيا والآخرة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[الحج: ١١]، فقد فصلت يا رب بين أمور متضادة، وقوى متجاذبة، وأحوال متباينة، فلا أدري كيف أعمل ولا أهتدي.

أي شيء أصنع وقد تحيرت في أموري وضللت في حيرتي، فأدركني يا رب، وخذ بيدي، ودلني على سبيل نجاتي، وإلا هلكت".

فأوحى الله إليه، وألقى في سره وألهمه إياه، فقال له: "عبدي، إنما أمرتك لتعلم أن لك ربا هو خالقك ورازقك، ومصورك ومنشئك، وحافظك وهاديك، وناصرك ومغنيك.

ولتعلم أيضا بأنك محتاج — في جميع ما نهيتك عنه — إلى عصمتي وحفظي ورعايتي، وأنك لي محتاج في جميع تصرفاتك وأحوالك: في جميع أوقاتك، ومن أمور دنياك وآخرتك، ليلا ونهارا فإنه لا يخفى عليّ من أمورك صغير ولا كبير ولا سر ولا علانية وليتبين لك وتعرف أنك مفتقر ومحتاج إلي، فلا بد لك مني، فعند ذلك لا تعرض عني، ولا تتشاغل عني ولا تنسني ولا تتشاغل بغيري بل تكون في دائم الأوقات في ذكري وجميع حوائجك تسألني وفي جميع متصرفاتك تخاطبني، وفي جميع خلواتك تناجيني وتشاهدني وتراقبني وتكون منقطعا إلي من جميع خلقي ومتصلا بي دونهم وتعلم بأني معك: حيث ما تكون قدامك. وإن لم تربي فإذا أردت هذه كلها وتنقلب وبان لك حقيقة ما قلته، وصحة ما وصفت: تركت كل شيء وراءك، وأقبلت إلي وحدك.

فعند ذلك: أقربك مني، وأوصلك إلي وأرفعك عندي وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي في جواري مع ملائكتي مكرما مفضلا مسرورا فرحانا منعما ملذذا آمنا تبقى سرمدا أبدا دائما.

فلا تظن بي يا عبدي سوءا ولا تتوهم علي غير الحق واذكر سالف أنعامي وقديم إحساني إليك وجميل آلائي لديك إذ خلقتك ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾[الإنسان: ١]، خلقا سويا، وجعلنا لك سمعا لطيفا ونظرا حادا وحواس دراكة وقلبا ذكيا وفهما ثاقبا وذهنا صافيا وفكرا لطيفا ولسانا فصيحا وعقلا رصينا وبنية تامة وصورة حسنة وحسا دراكا وأعضاء صحيحة وأدوات كاملة وجوارح طائعة.

ثم ألهمتك الكلام والمقال وعرفتك المنافع والمضار وكيفية التصرف في الأموال والصنائع والأعمال وكشفت الحجب عن بصرك وفتحت عينيك للنظر إلى ملكوتي وترى مجاري الليل والنهار والأفلاك الدوارة والكواكب السيارة وعلمتك حساب الأوقات والأزمان والشهور والأعوام والسنين

والأيام وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان تتصرف فيها تصرف الملاك وتتحكم عليها تحكم الأرباب.

فلما رأيتك متعديا جائرا، باغيا خائناً، ظالما طاغيا، متجاوزا الحد والمقدار، والعدل والإنصاف، والحق والصواب، والخير والمعروف، والسيرة العادلة: ليدوم لك الفضل والنعيم، وينصرف عنك الأذى والنقم وعرضتك لما هو خير لك وأفضل وأشرف وأعز وأكرم وألذ وأنعم.

ثم أنت تظن في ظنون السوء وتتوهم عليّ غير الحق.

يا عبدي: إذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كما قالت حملة العرش لما ثقل عليهم حمله. فإذا أصابتك مصيبة فقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[البقرة: ١٥٦] كما يقول أهل صفوتي ومودتي. وإذا زلّت بك القدمان في معصيتي، فقل كما قال صفيي آدم وزوجته عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف: ٢٣].

وإذا أشكل عليك أمر وأهمك رأي أو أردت رشدا وقولا صوابا فقل كما قال خليلي إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾[الشعراء: ٧٨- ٨٩].

وإذا أصابتك مصيبة غم، فقل كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[يوسف: ٨٦]. وإذا جرت خطيئة فقل كما قال كليمي موسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾[القصص: ١٥]. وإذا صرفت عنك معصيتي، فقل كما قال يوسف عليه السلام ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

وإذا ابتليت بفتنة، فافعل كما فعل داود خليفتي ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ٢٤﴾[ص: ٢٤].

وإذا رأيت العصاة من خلقي، والخاطئين من عبادي، و لم تدر ما حكمي فيهم، فقل كما قال المسيح عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨].

وإذا استغفرتني وطلبت عفوي، فقل كما قال حبيبي محمد صلوات الله عليه وعلى أنصاره: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وإذا خفت عواقب الأمور، و لم تدر بماذا يختم لك فقل كما يقول أصفيائي: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران: ٨- ٩].

تم كتاب الموعظة الحسنة

كتاب تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول

في ذكر اسم هذا الكتاب وشرحه مجملاً:

هـــذا كتـــابُ تنـــزُّل الأمـــلاك مـــن عـــالم الأرواح فـــي الأفـــلاكِ
عـــن أمـــر وصـــف العـــالم الآل الـــذي قهـــر الـــورى بحســـامه الفتَّـــاكِ
يـــا مالكـــاً فَـــتَح الخـــزائن جـــوده لإقامـــة الأعـــراش والأمـــلاكِ
بـــين العقـــول وبـــين حضـــرة ذاتـــه العـــاملات الســـادة النُّسَّـــاكِ
صـــفَّت لـــدى بـــاب النهـــى أقـــدامها كســـرائر الأضـــواء والأمـــلاكِ
وعلـــوم أيـــام الوجـــودِ دليلـــه عنـــد المناجـــاة بالأشـــراكِ

هذا كتابٌ أودعت فيه لطائف الأسرار وأضواء علوم الأنوار، فهو مبنيٌّ على اللغز والرمز، ليتحقق المدعي في مناجاة ربه، عند وقوفه علي هذه النتائج، بالحصر والعجز. وإنما قصدت أيضاً ستر هذه المعاني الإلهية في هذه الألغاز الخطابية، غيرة من عُلماء الرسوم، وعقوبة لهم من أجل إنكارهم، كما ختم الله على قلوبهم، وعلي سمعهم، وجعل غشاوةً على أبصارهم، فلم يدركوا من روائح الحقائق شمَّة، و لم يميزوا في قلوبهم بين اللِّمّة واللَّمة، تأسّياً بمن أخذ مثل هذا العلم، من النبيّ المعصوم وقال: لو بثته قُطع مِني هذا البلعوم، وكما قال علي عليه السلام، حين علم النقلة: "إنَّ ههنا –وضرب على صدره بيده– لعلوماً جمّة، لو وجدت لها حَمَلَة"، وكما قال ابنه الذكي الحبر الكبير السني:

يـــا رُبَّ جـــوهرِ علـــمٍ لـــو أبـــوح بـــه لقيـــل لـــي أنـــت ممـــن يعبـــد الوثنـــا
ولاســـتحلَّ رجـــالٌ مســـلمون دمـــي يـــرون أقـــبح مـــا يأتونـــه حســـنا

فبهؤلاء السادات في ستري لهذه العلوم تأسّيت، وبهم فيها اهتديت، وسمّيتُ هذا الكتاب (تنزل الأملاك للأملاك، في حركات الأفلاك) عن أوامر صفات العلّام الإله المالك، والقهار الفاتح على أرباب الألباب، الصافات عند الباب، لسرائر صلوات أيام الليل الحالك، والنهارِ الواضح.

وربما يقول بعض من لا معرفة له بطريق الحقائق التي هي نتيجة التصوف، ولا علم له بصورة التجارب فيها ولا التصرف في إطالة اسم هذا الكتاب، إنه قشرٌ على غير لُباب، وترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم، فاعلم وفَّقك الله تعالى أن غرضي البيان الشافي في كل ما أصنّفه، والقول الكافي في كل ما أؤلّفه فما جعلت في ترجمة الكتاب لفظة إلا لمعنى فيه يودعه، وسر لديه يستودعه.

فقولي: "تنزُّل الأملاك" لأنها الآمرة عن الله قلوبنا بضروب الطاعات، وقولي: "للأملاك" لالتحام النشأتين، وانتظام الصورتين، بفنون الاستماعات، وقولي: "في حركات الأفلاك" لارتباط الصلوات والتنزلات بالساعات، وقولي: "عن أوامر" لتعدد التنزلات، وقولي: صفات لبيان حقيقة الذات و لم أقل "صفة" لأنها عن العِلم، والقول والإرادة المتوجهات مع القدرة، على إيجاد الكائنات، وقولي "العلَّام" لكونه من الأسماء الإحاطيات، وقولي: "الإله" لكون الأرواح الإنسانية، "ومن الملكوتيات" لأن دلالة

الإله ملكية ودلالة الله بشرية، هكذا صرفته الكلمات، فعبدالله، وعبيد الله، في الأرض، نظير ميكاييل في السماوات، وجبراييل في سدرة الانتهاءات، وقولي: "المالك" حذراً من دعوى العبد للملك لما يحصل له في السعايات، وقولي: "القهار" لإخراج الإرسال بالقهر عما وجب لها من المقامات وقولي: "الفاتحُ" لنزولهم على شرح الأفلاك المستديرات، وقولي: "على الباب" لكون هذا التنزيل من العقول المفارقات، وقولي: "الأرباب" لأنه لا يتفطن لتنزُّلهم على القلوب، سوى السادات، وقولي: "الصافات" لكونها طالبة للمشاهدات، وقولي: "عند الباب" لكون حجاب العزة لا يرتفع عن الحقائق الإلهيات، وقولي: "سرائر" لإرادَتَي السريرة الموجودة بين الله تعالى، وبين العبد في الصلوات، وقولي: "صلوات" لأن لكل صلاة ضرباً من المناجاة، وصنفاً من الكرامات، وقولي: "أيام" إشارة للفرق بين هذه الأيام المعهودات، والأيام المقدرات، وقولي: "الليل الحالك، و النهار الواضح، لأن الليل والنهار للمحسوسات المستترات، والظاهرات المرئيات، والحالك الواضح للإشارات المغيبات، والعبادات المستنيرات".

وهذا كله في كتابي أذكره وأبيِّنه وأسطره، وعلى ترتيب هذه الكلمات، أتكلم رغبةً في المثوبات، ورفع الدرجات، وحط الخطيئات، فهذا التنزل بحمد الله تنزل قدسي، يقبله عقلٌ ندسي، يستره ثوب سُندسي، يتعلق به خاطرٌ نفسي يظهره قالبٌ حسي، ثم يرجع عوده على بدئه لقيام نشءٍ آخر مثل نشئه ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٢] فليس في عالم الَّلبيب سوى تركيب وتحليل بلغ التركيب.

بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء:

إذا نزل الروحُ الأمينُ على قلبي ... تضعضع تركيبي وحنَّ إلى الغيبِ
فأودعني منه علوماً تقدَّست ... عن الحدس والتخمين والظن والريبِ
ففصلت الإنسان نوعين: إذ رأت ... يقوم به الصفو النزيه مع الشوبِ
فنوعٌ يرى الأرزاق من صاحب الغيب ... ونوع يرى الأرزاق من صاحب الجيبِ
فيعبد هذا النوع أسباب ربه ... ويعبد هذا خالق المنع والسيبِ
فهذا مع العقل المقدس وصفه ... وهذا مع النفس الخسيسة بالعيبِ

الباب الثاني

في معرفة المكلف - سبحانه وتعالى - والمكلَّف:

تحقق إذا ما قلت إني مهيمنٌ ... بأنك عبد والإله إلهُ
وإن كنت مخلوقاً على الصورة التي ... تقابله حقاً فلست تراهُ
فإنك لا غيرٌ ولا أنت مثله ... لَئِنْ سَجَدَتْ لله منك جباهُ
فإن قلت بالمعنى اتحدنا فإنه ... يقوم دليل الافتقار حذاهُ
فلا أنت من أُكني ولا أنت غيره ... فقد حرت فيه إن شهدت سواهُ
لئِن قلت إني أصل ظلمة ذاته ... فقد قلت وقتاً: في سنايا سناهُ
فقد حار في مثلي وقد حرت مثله ... وقد حارت الحيرات حين محاهُ
وأصدق ما تعطيه ذاتي وذاته ... على حيرتي فيه بسبق عماهُ
فإني وإياه عزيز وضده ... فليس يبين الليل غير ضحاهُ
تعجبت من تكليفي ما هو خالق ... له، وأنا لا فعل لي فأراهُ
فيا ليت شعري من يكون مكلَّفاً ... وما ثَمَّ إلا الله ليس سواهُ

رمزت المعاني في قريضي فموَّهت   أغاليط لفظي فأحتمي بحماهُ

صعد الكلم الطيب على براق العمل الصالح، بالعقل الصحيح الراجح لمعرفة المكلِّف والمكلَّف بطريق الكشف الصريح الواضح، باستعمال موعظة النصيح الناصح، فتنزل الروح الأمين، عن الأمر على القلب، ليكشف له عن سر ما طلبه، في عالم التمثل والغيب، بارتفاع الحجب، وإعدام ظلم الريب، وقال: لتعلم أيها القلب الكريم أن الحقيقة الإلهية تعطي أمرين، ولهذا صحت الصورة للإنسان وحده من دون غيره، فأوجده نشأتين باليدين، والحجب له بنجدين، وأنزل عليه تكليفين، حين قسم العالم قسمين، في القبضتين، فأخفاهما في الدنيا عن التمييز بالإضافة إلى شخص ما في العين، وأبرزهما في الآخرة لذي عينين، لما كانت الآخرة ذات دارين، ولما كان الوجود على هذا الحد، لذلك تعالى عند العلماء العارفين بالله الزوج على الفرد، كما تعالى عند العارفين بالرب الوتر على الشفع، لأنهم أهل الجمع، ولظهور الصورة المثلية مع الحقيقة الإلهية، كانت مراتب الوجود أربعة، فصار التربيع أصل هذه الأشكال المحكمة المرصعة، وبهذه الصورة صحَّت الخلافة بالتقديم، وبسببها امتدت إلى المحدث بالإيجاد والتكليف دقائق القديم، وإن كان هذا موضع حيرة فقد نيطت بها الغيرة.

الرب حق والعبد حق   ياليت شعري من المكلَّف
إنْ قُلت: عبدٌ. فذاك، ميت   أو قلت: ربٌّ. أنّى يكلَّف؟

وكل ما ثبت في النظر الفكري من انبساط الحقائق، فهو عند العلماء بالله بالكشف والمشاهدة من الأغاليط، فالوتر معقول غير موجود والشفع موجود لكنه محدود، وغير محدود، فالوتر مع الشفع كالهيولى مع الصورة، ولا توجد إلا بوجودها، كما لا تعرف الصورة إلا بحدودها، ولا أقول بشفعية الذات وإنما أقول باستحالة تعريها عن الصفات، فإن العدد في الأحد لا يذهب بحقيقته، ولا يخل بطريقته فنفي الشفع واجب من أهل الشرك والحد لازمٌ لأهل الإفك، ولهذه الحقيقة الإلهية شرعت الصلاة كلها شفعاً ليس فيها وتر، وإن وتر الليل يشفع صلاة المغرب، فانظر يَلُحْ لك السر، ولو لم يشرع الوتر الليلي، لبَطَل بالمغرب هذا الوجود الإلهي، ومحالٌ أن يبطل الوجود الإلهي.

فلا بدّ أن يشرع الوتر الليلي، فلا يوجد الوتر في شيء أصلاً قطعاً وفصلاً، والفائدة المطلوبة في العقل والسمع، إنما هي في الشفع، ولذلك لا يرى في الوجود أبداً إلا صفة وموصوف، ولا سبيل في الإيمان بهذا إلى الوقوف، فهكذا ينبغي أن تعرف المربوب والرب، ودع ما سودت به الكتب، فيتحقَّق هذا الكشف، فإنه لُباب العلم الصرف.

في معرفة التكليف:

أصل التكاليف مشتقٌّ من الكلف   وَهْيَ المشقات فانظر فيه واعترف
فإن ربك يعطي فعله أبداً   لكل خلق وذا من أعظم الكلف
كالأمر إن خالفت منه إرادته   معناه صيرتِ المأمور في التلف
والناس في غفلة عما يراد بهم   في كونهم وَهْيَ لم تنهض ولم تقف

تقسمت العوالم فتقسمت التكاليف، وطمست المعالم فجهلت التصاريف، فعالم كلفتهم في أداء العبادة، وعالم كلفتهم في حيرتهم في موافقة الأمر والإرادة، وعالم كلفتهم في توجيه الخطاب الإلهي على

هذا العالم الكياني، مع رد الأفعال إليه، واستحالة التكليف عليه، فتاهت الألباب في هذا الباب، واستوى فيه البصير والأعمى، وزادهم في ذلك حيرة وعمى، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] لكن ثَم رقيقة، وهي لعمرو التصوف دقيقة، أنه ما وجد شيء إلا وفيه منه حقيقة، اسمع يا مربوب رب القدم، امتنع المحدث أن تقوم به حقائق القدم، وامتنع القديم أن تقوم به حقائق الحدوث، لئلا يتقدم على وجوده القدم، لكن تبلى جميع الصفات، وإلا فمن أين ظهرت المتضادات والمتماثلات والمختلفات، وليس القدم بصفةِ إثباتِ عين، ولا الحدوث بوصف إثبات كون، لكن لما تعذرت الأسباب في الوجودين، ولم يمكن للمعلوم الواحد تحصيل المعرفتين، وأراد تمامَ الوجود ليعلم من الطريقين، فظهر في الاتحاد تكليف محقق، وعناء لا يتحقق، فظهرت بينهما برازخ التكليف في مشهد التخيير والتوقيف، ولهذا جاء الخبر بالعماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس: ليعرفون، فلو عرف نفسه بمعرفتهم دونهم ما أوجد عيونهم فصح التكليف في القدم والخلق في حال العدم، ومن هذه الحقيقة تكليف العباد، وإن لم يكن لهم مدخل في الإيجاد، عصمنا الله وإياكم من العناد، وأمننا وإياكم من الفزع يوم التناد بكَرَمِه.

الباب الثالث: الشريعة

معرفة سبب وضع الشريعة في العالم:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥] وقوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

ولما أراد الله إصلاح خلقه — وكان بهم داء الطمأنينة اصطفى
إماماً كريماً منهم متطلعاً — لأسرار أرواح العلا متشوفا
فأنزله فيهم طبيباً محكّماً — أميناً عليه بالسقام وبالشفا
وجاء بآيات تؤيد صدقه — تراها برأي العين إن كنت منصفا
فأنقذنا من لفح نارٍ تسعَّرت — وكان لعمر الله منها على شفا
وأظهر أسراراً وأبدى سبيلها — لتحصيلها من بعد ما كان قد عفا

سبب وضع الشريعة في العالم أمران، فيهما سِرَّان: الأمر الواحد صلاح العالم، وهو منهج الأنبياء، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[البقرة: ١٧٩] وسِرّه أن نصر المؤمنين حقٌّ عليه.

والأمر الآخر: إثبات أدلة العبودية، وظهور عزة الربوبية وسرّه حكم سلطان اسميه، فتنبَّه لما رمزناه، وفك المعمَّى الذي ألغزناه.

الطمأنينة بما لا حقيقة له، توجب التكليف، وما ثم شيء إلا وله حقيقة، فقد لزمك الوقوف. ما من أمةٍ إلا قد اطمأنت، فلما جاءها الرسالة أَنَّتْ لِعَيبها ثم حنَّتْ، ولولا الوعيد والوعد ما سعى في الوفا بالعهد، ودع ما قالت العَدَوية فإنها ذات حال في العبودية، ضَرَبَها ركن الجدار فَأَدْماها، ولم تحس به، وقالت: شغلني بموافقة مراده فيما جرى، شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال، فقد أقرَّت بشغلها، وأعربت بشاهد حالها فانتبه. ومحمد عليه الصلاة والسلام يقلقه الوجع ويمسح بالماء على وجهه ويقول: (إنَّ للموت سكرات) وفاطمة عليها السلام على رأسه تسكب لفراقه العَبرات، وتقول: واكرباه!! فيرفع إليها طرفه، ويقول: "لا كرب على أبيك بعد اليوم" فأثبت أنه في كربات. فقد بَانَ أن

الحقائق لها رقائق غاب عنها أهل العلائق والعوائق، والحال علاقة المريد، وحب الكشف نهاية من لم يذق لذة المزيد، وكل من شاهد أمراً ليس ذلك المشهود عليه، فذلك الأمر فيه وراجع إليه، فليحذر أن يقول: إنه في الكون الخارج لا محالة، فيثبت عند المحققين محاله، ومن لم يفرق بين نفسه وغيره، فلا يميز بين شره وخيره، فهذا سبب وضع الشرع، الموافق للعقل والطبع، جعلنا الله وإياكم من العلماء العاملين وحال بيننا وبين القوم الظالمين الفاسقين.

معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه:

لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾[الأنعام: ٩] وقوله تعالى: ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥] ولم يقل رجلا لأن المرسَل إليهم ملائكة وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤].

خليفة القوم من أبناء جنسهم ... لأن ذلك أزكى في نفوسهمُ
لو لم يكن منهم ما صدَّقوه ولم ... يقم بهم حسدٌ لغير جنسهمُ
يا حزنَ قومٍ عتوا عن شرع خالقهم ... يا شر ما عاينوا من طول حبسهمُ
يقلّبون على نوعين في سقرٍ ... في برد بدرهم أو حر شمسهمُ
إن يستغيثوا يغاثوا بالحميم فما ... يعذب القوم شيء غير لبسهمُ
كما الذي آمنوا بالشرع واعتصموا ... به تضمهم جنات قدسهمُ
ينغمون على نوعين قد عصما ... في علم عقلهم أو كشف حسهمُ
فَهَؤلائك في تأبيد سعدهم ... كما أولئك في تأبيد نحسهمُ

نزل الروح الأمين، على قلب مكين، وقال: إنما جُعِلَ الرسول من الجنس، لاستخراج عيب النفس، وأنزل بلسانهم لارتفاع اللُّبس، فإن دعا أمر أن يكون من غير الجنس في الحقيقة، فلا بد أن يظهر بصورة الجنس في عالم التمثيل الرقيقة.

انظر أيها القلب في إيجاد المسيح، لم يصح حتى تمثل في عالم البشرية الروح، فوقع النفخ وأعقبه السلخ، وقد رمينا بك على الطريق فادرج عليه إلى عالم التحقيق وسيقوم معك رسول الخيال إلى المتخيلات فخذ منه ما أعطاك، وإياك والالتفات، وانهض على طريقتك المثلى، وقل الرفيق الأعلى، فسيقوم معك رسول العقول، فخذ منه ما يقول، واركض برجلك حيث براق عملك، إلى نيل أملك، فسيقوم معك رسول الأسماء، عند خروجك من كرة الفلك المحيط بكل سماء، وسيقول لك: يا يوم الاثنين إلى أين؟ فقل له: انعكست الحقائق وظهر علينا عالم المخارق لما لم تنزل قبل أن أصعد، ولم تقصد بحقيقتك قبل أن أقصد فإنك الملقى، وأنا المهيأ، وأنت المـُـنبئ، وأنا المنبَّأ، فسيقول لك: إن الحرب خدعة والستر أولى من السمعة، وقد مضى زمن النبوة المشهورة، وأنت في زمن النبوة المستورة فلو نزلت عليك في عالم الكون والفساد لكفرك أهل النظر في الاعتقاد، فإن بغلبة الحال تقول قلت وقال، وهنا قد ارتفع الإنكار وزال الاضطرار، فلهذا تركتك تقطع الأكوار والأدوار، ثم اسمع: لولا رسول الاشتياق الذي هو نتيجة هذه المشاهدة على اتساق، ما عاملت الأقل بالفراق، فقد نزلت إليك ولم تشعر، وها أنا قد ذكرتك فهل تذكر؟ فسل من الجوائز ما اشتهيت، وحصّل منها ما تمنيت، فاملأ عند ذلك عيبتك، وارجع وأنت تحمل غيبتك، زكّى الله أعمالنا وبلغنا وإياكم آمالنا.

مقام الرسالة ومقام الرسول:

من حيث هو رسول ومن أين نودي، وأين مقامه، والفرق بين الخلافة والرسالة، ومعرفة النبوة والولاية، والإيمان والإسلام، والعالم والجاهل، والظان والشاك، والناظر والمقلدين لهم.

أنا ترجمان إله السماء ... وذلك أن قال لي ما أقول
مقام الرسالة عند السراء ... ويظهر ذلك عند الرسول
ينادي بها من مقاماته الإ ... لهية الواضحات الفصول
لتمش بها لعبادٍ طغوا ... وحادوا بنا عن سواء السبيل
وبلّغْ إليهم رسالاتنا ... فأنت الرؤوف بهم والدليل
فإن هم عصوك فقاتلهم ... فإن الخليفة سهم قتول
سماء الولاية عُلوية ... تحيط بكل مقام جليل
يناديه فيها على عزه ... إذا كان في أوجها جبريل
يقول أنا فيك ذو عزة ... وفي عز مولاي عبد ذليل
سماء النبوة في برزخ ... دوين الولي وفوق الرسول
فيا مؤمناً إن تكن عالماً ... تنعمت في علم قال وقيل
وبالضد إن كنت في ضده ... ولو كنت في خفض عيش ذليل
فقرب من الشاه فرزانه ... وأيده بالخيل أو بَندَ فِيل

نزل الروح الأمين على القلب، فقال: الرسالة عرش الرب، المربوب، ومقام الرسول بينهما، لأنه طالب مطلوب، فلو لم ينادي الرسول من مقامه الإلهي ما أجاب، ولو سقى من غير مشربه ما طاب، فإن قيل له في ذلك الخطاب: بلغ ما أنزل إليك من ربك فذلك الرسول، وإن زيد عليه: وقاتلهم إن أبوا القبول، فذلك الخليفة الرسول، فله أن يصول.

واعلم أن فلك الولاية هو الفلك المحيط الأعم الأتم الأكمل العقلي، وفلك النبوة هو الفلك الأتم النفسي وفلك الرسالة هو الفلك القريب المثلث الهيولى، وفلك الجهل هو الفلك الزحلي وفلك العلم هو الفلك المشتري، وفلك الشك هو الفلك المريخي، وفلك النظر هو الفلك الشمسي، وفلك الظن هو فلك الزهري، وفلك التقليد هو الفلك العطاردي، وفلك الإيمان هو الفلك القمري.

الرسول وجه إلى قومه، والنبي تعبد في نفسه إلى يومه، والولي أيقظه الرسول من نومه، فالرسول هو الإمام، والولي هو المأموم، والنبي إمام مأموم، محفوظ معصوم، والرسول من هذا النمط هو المطلوب، ومنه و إليه يكون الهرب المرغوب، فالمؤمن به صدقه وانصرف، والعالم قام له البرهان فأقر بصدقه واعترف، والجاهل نظر فيه وانحرف، والشاك تحير فيه فتوقف، والظان تخيل وما عرف، والناظر تطلع وتشوف، والمقلد مع كل صنف تصرف، إن مشى متبوعه مشى، وإن وَقَفَ وَقَفْ، فهو معه حيث ما كان إما في النجاة وإما في التلف، ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ﴾[الحشر: ١٦-١٧] فأسكنه تقليده دار البوار، جعلنا الله وإياكم ممن نظر فاستبصر وعلم، و لم يجهل و لم يتحير.

تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها:

تلقى فؤادٌ بالصفا رسالةً ... من المشهد الأعلى إلى المشهد الأدنى
وكان مُلقّيها يمد رفيقه ... إلى سره باسمٍ من أسمائه الحسنى

فَـــلَاحَ لـــــه نـــــور الرســــــالة طالعــــاً
علـــى قلبـــه فـــازدان موقفـــه الأســـنى

وقـــال لــــه فــــي ذلـــك النــــور ربـــه
أحبـــاي إن غــــابوا فمــــا برحــــوا منّـــا

فأزعجــــــه نحـــــو المهـــــيمن شــــوقه
وحــــن إلـــى الإســــرا ليلتـــذَّ بـــالمعنى

فأســـــرى بـــــه إذ أزعَجَتْـــــهُ مقالـــــة
لأســــري بمحبـــــوبي إلــــيَّ إذا حنـــــا

نزل الروح الأمين على القلب: فقال يا طالب الرسالة: أقصِر فإنها موهوبة غير مكسوبة، وطالبة غير مطلوبة لا تُنال بالسعايات، وليس لها بدايات، فتوجد عند الغايات، وإن كان من شرطها أن تكون بنيّة صاحبها قريبة من الاعتدال، ولطيفته متوسطة بين الجلال والجمال، وأحكامها أن لا يسكن لا في النور ولا في الظلمة، وليتحرى مواضع الضياء والظلال، وتكون فرشه الرمال ووقته الدقيقة التي قبل الزوال، وأن تكون مرآته صافية ويواجه بها حضرة البلاء والعافية، ومن أحكامها الثبوت عند التلقي، وعدم الالتفات عند الترقي. وأما تلقيها فبرقيقة ربانية تمتد إلى لطيفة روحانية، بكلمة غيبيةٍ، مدرجة في قوة قلبية تجري في أنبوب تلك الرقيقة، فتستقر في النقطة الدقيقة، فيبثها الرسول في عالم المجاز والحقيقة، على حسب ما تعطيه الطريقة، فالتدلي انباعثها الرباني، والتلقي اتصالها به الروحاني.

علَّمنا الله وإياكم من لدنه علماً، وآتانا وإياكم رحمة من عنده ومغفرة وعزماً.

معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة:

ومعنى قول النبي ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء" وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] وقوله عليه الصلاة والسلام: "علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم" وكان معاذ وغيره رسولَ رسول الله إلى من أرسل إليهم، ولماذا ترك ذكر الواسطة. وقيل: رسول الله، وكان يأخذ عن جبريل، و لم يقل في معاذ وغيره: رسول الله، وقيل فيه: رسول الله على القول الضعيف.

تلقـــــى فـــــؤادي بالصـــــفاء رســـــالتي
وكــــان تلقيهــــا بمـــــد رقيقتـــــي

إلـــى نـــور ربـــي بانعكـــاس شـــعاعه
بمـــرآة مـــن أبـــدى لعينـــي دقيقتـــي

فصـــحَّ نصـــيبي مـــن وراثـــة ســـيدٍ
رســـول أتـــاني واضـــعاً لطريقتـــي

فقمـــت عليمـــاً بـــالأمور ومرســـلاً
إلـــى عـــالم أخفيتـــه عـــن حقيقتـــي

فكـــان صـــديقي مرســـلي، ورســـالتي
علـــى الكشـــف والتحقيـــق أيضـــا صـــديقتي

نزل الروح الأمين على القلب وقال: لتعلم أن الرسالة الثانية موهوبة ومكسوبة، وطالبة ومطلوبة، وموروثة غير مفقودة وباعثة ومبعوثة، وصورة تلقيها حقيقة تمتد في رقيقة نبوية، إلى لطيفة روحانية فاللطيفة الروحانية رائية، والحقيقة الربانية مرئية، في واسطة مرآة نبوية، فينعكس شعاعها على قلب الولي، فلهذا يخرج بصورة النبي لا ينسخ شريعة ولا يثبت أخرى، ولا يسأل على تعليمه أجراً، وإنما صح لنا ورث الكتاب لكون إعطائه إيانا من غير اكتساب، وكل وارث مصطفى، ومن سواه فهو على شفى، وإنما أُلحقَ الوارث هنا بالنبي السالف، لأنه لإلقاء النبوي ذايق، ولمقامه العلي كاشف، وهو في قلبه على شريعة من ربه، وإنما نسب رسول الرسول إليه لاشتراكهما في التكليف الذي أنزل عليه، و لم ينسب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى جبريل لأنه ليس له من رسالته غير التعريف الذي أودع الرحمن لديه، فنسب الرسول إلى الله تعالى بغير واسطة لعدم هذه الرابطة، فإن كنت من أهل الإشارات، فقد منحتك العلم النافع في إيجاز هذه العبارات.

جعلنا الله وإياكم ممن ورث فبعث ودعي فانبعث، وإن ترك لم يكترث، آمين بمنه ويُمْنِه.

الباب الرابع

بيان السبب الذي دعاني أن أختص في هذا الكتاب من العبادات الصلوات الخمس دون غيرها:

فَـرَضَ الصـلاة علـى العَقُـولِ النَّاسِي	خمسا فصارت في الوجود لباسي
لما علمت بنشأتي ورأيتها	تسري مع الأرواح والأنفاس
فتركت ظاهرها على ترتيبه	يجري على أحكامه في الناس
وتركت باطنها على سلطانه	يغزو فيها بك عالم الوسواس
ورحلت عنها رحلة ميمونة	فوجدت جل الخير في الإفلاس

نزل الروح الأمين على القلب، وقال: لتعلم أنَّ الصلاة انبعثت من الحضرة الصمدانية المقدسة، فاغتنمها فهي كالخطرة المختلسة، نظرت إليها الحضرة النورية فوهبتها أسرارها، وأفاضت عليها الحضرة القيومية أنوارها، ولما كانت هذه الصلوات تختص بالمناجاة الربانية، وترد عليها إذا خاطبت بالمناجاة الإلهية، وتعم جميع المقامات المخصوصة بروحانية أهل السموات وجيئت بجميع الحركات المستقيمة، في الإنسانيات عند القراءات والأفقيات في الحيوانات عند الركوع للأذكار المعظمات، والمنكوسة في النباتات عند السجود، لابتغاء القربات. فلهذا وأشباهه اختصصناها بالإنزال عليك في هذا الكتاب من بين سائر العبارات، واختصصت منها الصلوات الخمس لمطابقتها أصول تركيب الإنس، ولأن الخمسة وحدها من بين سائر الأعداد تحفظ نفسها وغيرها، فاعرف قدرها واشكر خيرها.

فصلاة الظهر نورية، وصلاة العصر نارية، وصلاة المغرب مائية، وصلاة العشاء ترابية، وصلاة الصبح هوائية، ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٧،١٨] إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون أفلا تبصرون، عجباً ألا ترى أن كل عبادة لا تمنع من قامت به التصرف في بعض أسبابه، إلا الصلاة فإنها تغلق على من قامت به جميع أبوابه، فمقامها الغيرة، ومشهدها الحيرة، أنية الـمَحْتِد والمولد والمشهد، وهي أسنى تكليف يقصد، ولما كانت محل إدراك المنى، طولب المكلف فيها بالفنا. جعلنا الله وإياكم ممن تطهر وصلى، وسبق وما صلى، إنه ولي كريم وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

معرفة علة أسماء الصلوات الخمس وتنبيهات على ما في كيفياتها من الحكم والأسرار، على طريق الإجمال [إن شاء الله تعالى]:

ولما بدت للسر حكمة ربه	فرضنا صلاة الظهر في عالم الكون
ولما تدانى الوصل بيني وبينها	فرضنا صلاة العصر صدقاً بلا مين
ولما اتصلنا واستتر عناقنا	أتى المغرب المستور في بردة الصون
ولما اضطجعنا واستقر مكاننا	أتانا عشاء الحفظ خوفاً من العين
ولما انتهينا والشموس طوالع	أقمنا صلاة الصبح شكراً على البين

نزل الروح الأمين على القلب وقال: لتعلم أن الله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، لما كتب الصلوات لميقاتها جعل أسماءها بأوقاتها، إلا الجمعة فإنها سميت بانتظام الشمل، واتصال الحبل، وهي من فروع الصلاة لا من أصولها، لأنها مقرونة بشرط، فأشبهت صلاة الكسوف والاستسقاء وغيرهما في

فصولها، فلم تقم في أصل الوضع مقام الفرض، لذلك لم أجعل لها عيناً في هذا العرض، وإن نابت مناب الظهر، فذلك لسر آخر من عالم الأمر، ليس هذا موضعه، ولا هنا مشرعه. وجعلها خمسة في التكليف، لأن الإنسان على خمسة في أصل التأليف، واعلم أنه تعالى قسم هذه قسمين، وجعل لها حكمين، لتحصيل علمين، في عالمين راجعين إلى حاكمين فقسم واحد خصه بالعقل، وهو الحضور والتدبر لما يتلوه بعد عقد النية، وقسم آخر خصه بالحس وهو التلاوة وجميع حركات الصلاة، لما كانت لا توجد إلا في هذه النية، وأما الحكمان: فحكم العقل التوجه إلى القربة، وحكم الحس التوجه إلى الكعبة، وإنما قيدنا بجهة واحدة عن الجهات، لإزالة الحيرة والالتفات، وإشارة إلى فضل الجمع على الشتات، وأما العلمان: فالعلم الواحد يختص بالعقل وهو علم التنزلات، والعلم الآخر يختص بالحس وهو علم التجليات، وأما العالمان: فالعالم الواحد عالم الغيب، والعالم الآخر عالم الشهادة المقدس عن الريب، وأما الحاكمان: فالحاكم الواحد الاسم الظاهر، والحاكم الآخر الاسم الباطن بلا مواز. ولما اشتق الله تعالى لهذه الصلاة أسماء من أوقاتها لا من ساعاتها أن ذلك لسر أبداه وخير إلينا أسداه، فصلاة الظهر في العقل لظهوره بالعلم، وفي الحس لظهوره بالفعل في خلق الظهيرة والحكم، وصلاة العصر في العقل لضمه إياه في عقل معرفته عن النقل، وفي الحس لضمه إياه في فروع الأحكام إلى النقل عن العقل، بضم الشمس إلى الغيب لوجود الفصل والفضل، وصلاة المغرب في العقل لاستتاره بالأدلة الفكرية، وفي الحس لاستتاره عن الكيفية، وصلاة العشاء في العقل لاستسلامه إلى سلطان السمع، فلاحت له بارقة من بوارق الجمع، فغشيت عين بصيرته لشدة ظلام الطبع، وفي الحس لاستتار المبصرات بجلابيب الظلمات فكأن العين غشيت عن إدراكها في أصل الوضع، وصلاة الفجر في العقل لانفجار بحار الأسرار، وفي الحس لانفجار بحار الأبصار.

واعلم أن الصلوات المفروضة كلها نهارية، إما بالشمس وإما بآثارها، إلا العشاء الأخيرة فإنها مشتركة بين الليل وبين النهار أنوارها، وذلك لسر غريب، ومعنى عجيب، وهو أن الصلاة تكليف، ففيها مشقة وتعنيف، هما صفتان للنهار دون الليل عقلاً وإحساساً، فجعل النهار معاشاً، وجعل النوم سباتاً حين جعل الليل لباساً، فانظر ما أوزن هذا التعريف بحكمة التكليف. ثم اعلم أن الصلاة البرزخية، وهي المغرب، فرضها سبحانه بين جهر في شفع، وسرّ في وتر، وذلك في العقل لأن البرزخ في الصلاة أمر معقول بين عبد ورب، على قدر، لأن العبد في الليل منوط، والرب بضوء شمس الله مربوط وفي الحس بين كشف وستر، لملح أجاج نزر، وعذب فرات غمر، لأن فلك الزمهرير أكبر من فلك البحر المستدير.

وإن الصلاة لنهاية مفروضة بين شفع وسر فالشفع للخلق، والسر للوتر، فإن الخلق إذا ظهر، احتجب الحق واستتر، فلهذا شفع الظهر والعصر، وبالقراءة أسر وجهر في كل صلاة الفجر لقرب طلوع الشمس، فهو قوي الظهر ولم يتحد الفجر بالفاتحة حين انبرى، لأن عند الصباح يحمد القوم السرى، واتحد بها المغرب لفناء صفات المشاهد بطلوع الشاهد عند المشاهدة ولا تنفرد الفاتحة في صلاة أبداً إلا إذا أخفيت، لأن الأحدية على هذا بُنيت، فالفجر للمُجسّمة، والظهر والعصر للحلولية، والمغرب والعشاء للفرقة الناجية السنية، فإن قيل لك في تكرار الصلوات: هل تُكرَّر المشاهدات؟ فقل: إن الله تعالى ما تجلى قط في صورةَ واحدة لشخصين، وهذا هو التوسع الإلهي الذي لا ينحصر، ولا

يدخل تحت الحد فيضبطه الفكر، بهذا قد أبنت عن الأمهات المطلوبة في أحكام الصلوات، في هذه العبارات بطريق الإشارات على حكم التنزلات.

معرفة شروط الإمام للصلاة:

يا إماماً بمثله ليس يرجو ... فضل أجر ولا يَؤُمُّ احتسابا
لا أرى منه وهو في العلم معصو ... م عن الفسق والخناء اجتنابا
وأناديه من وراء حجاب ... يا إمامي لقد تركت الصوابا
لم خلفتني وصرت أمامي ... وأنا أنت لو عرفت الكتابا
يا جهولاً بذاته وبذاتي ... وظلوماً لنفسه ما أنابا
سوف أتلقى تأخراً واغترابا ... حين ألقى تقدماً واقترابا
أنت والله أعلمُ الخلقِ بالله ... وقولي، وأنت تأبى المتابا
كيف تشكو لهيبَ نارِ اشتياقٍ ... تتعامى بالله أم تتغابى؟
لو رأيت الذي رآه فؤادي ... في صفاء الوداد زِدْتَ التهابا
وتركت الصفات حالاً وقالاً ... وتركت العذاب ثم الثوابا
يا إمامي لقد رمزت أموراً ... إن تدبرتها أمِنتَ الحجابا

لما طلب الرياسة عقلي على العقول والتقديم، قرع بهمته باب القديم، فنزل إليه الروح ملتفّاً في بردةِ يوح، وقال: لا تصح في عقل إمامة، إلا إذا كان غير علامة، و لم يجعل الحق أمامه، ولا تدبر في الصلاة كلامه، وألقى على فمه عند التلاوة قدامه، وأسدل بينه وبين الله قرامه، و لم يأخذ من السحاب إلا جهامه، ولا من النَّوْرِ إلا كمامه، ولا من المختوم عليه إلا ختامه، وأتى إلى ربه في ظُلمة وغمامة، وأرخى الإزار وأشال العِمامة، وجاز على ما أوصى به النبي عليه الصلاة والسلام في حديث سعيد بن زيد بن أسامة، وسكن نجد ورحل عن تهامة، وسنة في الإشارات الإلهية أحلامه، ومَلك أضغاثه وأحلامه، ورفع بين الجنة والنار أعلامه وزلت به على الصراط أقدامه، وحل عند المشاهدة نظامه، وفقدت منه عند الموت الحاسة والشهامة، وطرأ عليه حال مزعج بمشاهدة القيامة، فعمَّر بسيره لقلقه قيعان ذلك الموطن وآكامه، فإذا ظهرت على عقل هذه الدلالات وزاد إعلامه، وهي أن يجهل من في محرابه أقامه، حينئذ يصح لهذا العقل على العقول الإمامة وهذه العلامة في إمامة الحس بالعكس فإنه من عالم النكس، لنزوله من حضرة القدس. جعلنا الله وإياكم ممن أم وعم وصح له المقام الأكمل الأتم آمين بمنه.

معرفة شروط المأموم في الصلاة:

كل إمام صحَّت إمامته ... وكان من قبل ذلك مأموما
فحكمك المشي خلفه أبداً ... وحكمه أن يكون معصوما
فإن بدا حكمه بآيةٍ ... سلم إليه الأمور تسليما
من يتبع من تقوم زلته ... به يكن في الأنام محروما

نزل الروح على القلب، وقال: لتعلم أن المأموم على قدر مقام إمامه، في جميع أحكامه، بأي أمم كان إمامه لزمه أحكامه، فيتبعه حيث سلك، ويخلف وراءه جميع ما ملك، ألا ترى تبعية ظلال الأشخاص لها ما أحسنها وما أكملها، ولقد أخبر سبحانه عن الظلال، إنها تسجد له بالغدو والآصال،

فمن أولى بهذه الصفات في علمك؟ أنت أم الظلال التي هي جماد في زعمك؟ هيهات لشغلك بالترهات. أيها المأموم إذا كبّر الإمام خالقه على قدر علمه، فكبّر ذاتك، وإذا قال: ولا الضالين، فقل: آمين، فإن وافقت الملائكة في ذلك قدست صفاتك، وإذا ركع فاركع لهمتك، وإذا قال: "سمع الله لمن حمده" فقل: ربنا ولك الحمد على ردك إلى إنسانيتك، وإذا سجد فاسجد لبدايتك، فإن فهمت هذه الفصول، وحققتَ هذه الأصول، فأنت المأموم المطلوب، والمعشوق المحبوب، بك يظهر مالك الملك، وعليك ينزل الملك، وبنفسك يدور الفلك، جعلنا الله وإياكم ممن اتبع إمامه، ورفع في ذروة التوحيد أعلامه.

الباب الخامس

معرفة سبب فرض الطهارة وصفة الماء الذي يتطهر به:

خلق الله نشأتيَّ جميعا ... بيديه فكنت في خير صُوْرَهْ
فطر الله صورتيَّ عليه ... فلهذا أكون في كل صوره
أودع الله فيَّ أمريه حتى ... صرت ما بين وصف أصليه سوره
ظاهري فيه شقوةٌ وعذابٌ ... باطني فيه رحمة مستوره
أنا أحوي توراته والأناجيـ ... ـل وقرآنه وأحوي زبوره
أنا أحوي أيامه وشهورَهْ ... أنا أحوي أعوامه ودهوره
أنا كلٌّ به، ولست أبالي ... من كلامي فإن فيَّ ظهوره
وإذا كانت الخلافة فينا ... نصها في كتابه مسطوره
فإذا ما ادعيت أني رب ... أسدل الله دون وجهي ستوره
وأتى شرعه يخاطب ذاتي ... يا غفولاً لقد جهلت أموره
فرض الله نعمةً وعذابا ... للدعاوى على الأنام ظهوره
قُم فطهر بالعلم عقلك حتى ... يظهر الله ذاته للبصيره
فترى ذاته وتُبصر ما قد ... غاب عنها إذ أطلع الله نوره
ثم طهّر بالماء جسمك كيما ... تنعم العين إذ تشاهد حوره
عجباً في نجاستي بحبيبي ... أودع الله لي علوماً كثيره
وطهوري مِني ولست أسمي ... من أنا، وهي إن نظرت سعيره
إن مثلي يقول: إني رب ... يا خليليَّ -هل أتى بكبيره؟
لا وحقي، ومن أنا وهو شيء ... واحد، ما أتيت قط صغيره
كيف آتي صغيرة وكبيرة ... وأنا القدسُ ذو العلا والسريره
بكَ يا نشأتي إلهك أبدى ... فيك، عيناً، نعيمه وقصوره
حين أبدى في مثل ذاتك أيضاً ... من كفور، عذابه وسعيره
قد لغزنا حقائقاً وأموراً ... من يكنها يظهر بأحسن سيره

نزل الروح الأمين على القلب وقال: أيها المحل النزيه المكين، أحرم خلفي بصلاة الظهر، ولا تكبّر، فإنك مع المعروف وقال للحس: ارفع يديك وكبر فإنك مع الحروف، وأنا الإمام وأنت المأموم، وإن كان لك الإمام، فقال القلب للملك عليه السلام: لو تقدمت العبارة على الطهارة لكان أتم في الإشارة فقال الرسول: لا يتطهر من الحَدث إلا الحدث ولا من الجنابة، إلا من هو عن الحضرة الإلهية في جنابةٍ، فقال القلب: إن العقل إذا نظر في كونه، فهو في جنابة عن عينه، فجنابته جنابته، فإذا نظر إلى نفسه

فهو في الحدث الأصغر الذي في عكسه، فحدثه حدثه، فلا بد من الكشف والظهور، لأسرار الطهارة والماء الطهور، فقال الملك: أنا الأمين الحفيظ فلا أزيد على رسالتي، ولا أتعدى ما رسم لي في مسطور وكالتي ولكن أثبت حتى أرجعٍ إليك، وأنزل بما سألته عليك، فرجعِ الروح إلى معلمه على سلمه، فذكر له ما كان، و لم يكن به جهولاً، فأمره بتعليمه، و لم يكن عنه غفولاً، فنزل إليه في حينه، وخاطبه في قلبه من جهة يمينه، فقال: أيها القلب، سلام عليك واسمع ما أنزلني به سيدي ومولاي ومرسلي إليك. الماء الطهور ماءان، لأن المتطهر به عالمان، ماء سماوي، وهو خلاصة الماء الأرضي، قطره إنبيق الزمهرير، فذلك الماء النمير، وقد كان روحاً هوائياً بين الكرتين لاستحالة العين إلى أخرى في عالم الفساد والكون، فتطهر بهذا الماء أيها العقل الأقدسي، والماء الآخر ماء أرضي من عالم الأمشاج، فمنه عذبٌ فرات، ومنه ملحٌ أجاج، فتطهر بهذا الماء أيها الحس الأنفس، جعلنا الله وإياكم ممن تقدس وتطهر و لم يتدنس.

في معرفة سبب التعميم في طهارة الجنابة وتخصيص بعض الأعضاء في طهر الحدث الأصغر والتيمم:

إن الفنــاء يــؤدي إلــى عمــوم الطهــاره	**فــافهم فــديتك مــا قــد ضــمنت هــذي العبــاره**
ولا تــزد فاللبيــب مــن أعلمتــه الإشــاره	**فــإن غفلــت فخصــص ومــا عليــك خســاره**
وإن عــدمت فــيمم ترابــاً رأيــت غبــاره	**لا بــد للكتــب مهمــا أعجلتهــا مــن نشــاره**

ولا يكن ذاك إلا إذا قصدت الزياره

قال العقل: بيّن لنا أيها الروح الكريم، فقال الروح: إن كنت ذا جنابةٍ أو متعملاً فيها فعمّ الطهر بذاتك المنصوصة وإن كنت ذا حدث فاغسل الأعضاء المخصوصة، فسر التعميم في طهر الجنابتين، لغيبتك الكلية، عن علم نكاح الصورتين: الصورة المثلية العقلية، والصورة المثلية الشرعية، وسر الطهر المخصوص لبعض الأعضاء، للغفلات التي تتخللك في حضورك عند الإنضاء وإن عدمت الماءين فاعمد إلى ما خُلقت منه، ولا تعدل عنه، فإنك تبيح العبادة ولا ترفع الحدث، لما قام بك من الخبث.

جعلنا الله وإياكم من أهل الحضور مع الله في عموم الحالات، ومن المشاهدين له في كل مقام مع مر الأنفاس والاستحالات.

في معرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس:

أســاس وجــود الفعــل فــي القلــب خمســة	**فأولهــــا عنـــــد المحقــــق هــــاجسُ**
ومــــن بعــــده عــــين الإرادة قــــائم	**وَهِــــمٌّ وعــــزم صــــادفته الأبــــالسُ**
ومــــن بعــــد هــــذا نيــــة مســــتقيمة	**تباشــر فعــل الشــخص والقلــب ســائسُ**
وقــد قيــل أيضــاً ثــم قصــد محقــق	**فــإن صــح هــذا القــول فالقصــد ســادسُ**
ومــن قــال: إن القصــد معنــاه نيــة	**فحســـب، فـــإن القصـــد للقـــوم خـــامسُ**

نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل الأقدس اعلم أن الله تعالى إذا أراد إيجاد فعل ما، بمقارنة حركة شخص ما، بعث إليه رسوله المعصوم وهو الخاطر الإلهي المعلوم، ولقربه من حضرة الاصطفاء، هو في غاية الخفا، فلا يشعر بنزوله في القلب إلا أهل الحضور والمراقبة في مرآة الصدق والصفا، فينقر في

القلب نقرة خفية، تنبهه لنزول نكتة غيبية، فمن حكم به فقد أصاب كل ما يفعله ونجح في كل ما يعمله، وذلك هو السبب الأول عند الشخص الذي عليه يعول، وهو نقر الخاطر عند أرباب الخواطر، وهو الهاجس عند من هو للقلب سائس، فإن رجع عليه مرة أخرى فهو الإرادة، وقد قامت بصاحبه السعادة، فإن عاد ثالثة، فهو الهم، ولا يعود إلا لأمر مهم، فإن عاد رابعة، فهو العزم، ولا يعود إلا لنفوذ الأمر الجزم، فإن عاد خامسة، فهو النية، وهو الذي يباشر الفعل الموجود عن هذه البنية وبين التوجه إلى الفعل وبين الفعل يظهر القصد، وهو صفة مقدسة يتصف بها الرب والعبد.

ثم اعلم أيها العقل، أن النية إذا كان معناها القصد أصل في إقامة كل بنية وليس للحس في النية مدخل، لأنها من صفة العقل المنتخل، فإن العقول الإنسانية منتخلة من العقول الروحانية، ولهذا لقوةٌ تنفذ إدراكها صدف الأجسام، حتى تشاهد العلّام، إذا قصرت عن إدراك مثل هذا النمط، من العلم الوسط، العقول الروحانية المفارقة للكرام. وأنت أيها الحس الأنفس تحرك للشروع، في العمل الموضوع، فإن هذه الحركة المخصوصة، لما ورد في النقل، نظير النية المختصة بالفعل، وهذه النية والحركة في هذا الظهور لتصح الصلاة في عالم الظهور وعمار البيت المعمور، وإنما هما لظهور عين الذات، على عالم الكمالات المنزهة عن اللذات فهذا حظ النية، ولظهور عين الصفات على عالم النشآت لاتصافهم بالالتفات، فهذا حظ الحركة، ولكن في الظهر، كما هما أيضاً لضم الهمة، عند خروجها عن نصف كون عمه الوجود، من غير طريقة اللمة، إلى ما يضاهيه في الصورة والسيرة، فهذا حظ عالم النية، ولضم كف الجوارح عن الآثام والمحارم، إلى ما يعانيه من سرائر الأحكام في المعالم، بمشاهدة ضم العالم لها إلى العالم، فهذا حظ علم الحركة ولكن في العصر كما هي أيضاً لمغيب العين في مشاهدة العين بزوال الريب والمين، فهذا حظ علم النية، ولمغيب العين في ظلمة الغين، فهذا حظ علم الحركة، ولكن في المغرب كما هي أيضاً لمشاهدة البرازخ بين السفل الجسماني والعلو الروحاني لغشاوة تطرأ في عين المبصر لا لعلة تكون في البصر فهذا حظ الحركة، ولمشاهدة الحد بين العبد والرب، من غشي يقوم بعين البصيرة لأجل الوعد، فهذا حظ علم النية، ولكن في العتمة كما هي أيضاً لطلوع الفجر.

العلم بالله تعالى بمطالع العقول والأفواه، وهو حظ علم النية، ولطلوع فجر معرفة الرب بنفي الأجناس بمطالع النفوس والأنفاس، فهذا علم الحركة، ولكن في الصبح فقد صحت الرتبة العلية في النية لأداء العبادات للعقل الأقدس، كما صحت منزلة البركة في الحركة للحس الأنفس، فثبتت الحركة لظهور ثبوت النية في الظهور، فكان نور على نور، زكّى الله أعمالنا وأعمالكم بالإخلاص، ورزقنا وإياكم الفوز من النار والخلاص.

في معرفة أسرار غسل اليدين ثلاثًا ووصف المياه والأواني في كل صلاة إن شاء اللّه تعالى:

عجبت من غسل كفي وهي طاهرة ... مما غسلت، وهذا الطهر موجود
فقال قلبي: هو الشرع الذي ظهرت ... آياته، فهو عند العقل مقصود
وقال عقلي: هو السمع الذي اتضحت ... أعلامه فهو عندي اليوم معبود
وثم قال لقلبي: كم تغالطني؟ ... فقال قلبي لعقلي: أنت مشهود
وقد غلت ولكن عفوكم سندي ... فإنني من نبات الأرض معدود
وأنت من عالم الأمر الذي سجدت ... له الجباه، ولكن أنت محدود
سجودها لمكان قام من حجر ... فيه الوجود ولكن فيه تبديد

فقال قلبي لعقلي: قد صدقت، وقد عرفتني منك لا مني فذا الجود
وكيف تعرفني يا قلب من جهة وباب كوني عن عينيك مسدود

نزل الروح على القلب: فقال أيها العقل: خذ ماء السماء، في وعاء الإنشاء، وصبّه على يمين القبضة البيضاء، ليظهر لك ما استتر عنك من المعارف في هذه الصعدة السمراء، ويا أيها الحس: خذ ماء الامتزاج في وعاء ما تيسَّر لك المعادن سواء كان من العذب الفرات أو الملح الأجاج وصبّه على اليمين المخلوقة من الأمشاج، لظهور الصفاء المفرق بين الأجسام الكدرة كالجندل والحديد، وبين الأجسام الأرضية الشفافة كالبلور والزجاج، إن أردتما صلاة الظهر. ثم قال: أيها العقل، خذ ماء العلو، في وعاء الدنو، وصبّه على يمين الاستواء السعادي، لتحصيل علم الضم الكائن بين المحبين، إذا التقيا بالعين، على الاختصاص الإرادي، ويا أيها الحس: خذ ماء السفل، في وعاء الثقل وصبّه على يمين الإنشاء، لتحصيل علم الضم بينك وبين الحوراء في الجنة الدهماء، إن أردتما صلاة العصر. ثم قال: أيها العقل، خذ ماء الاعتلاء، في وعاء الابتلاء، وصبّه على يمين القوة والعون، لتحصيل علم مغيب عن عين البصيرة عند مشاهدة العين، ويا أيها الحس: خذ ماء الغدران وصبّه في وعاء القيعان، وصبّه على عين الإنشاء، لتحصيل علم مغيب العين في الأكوان إن أردتما صلاة المغرب.

ثم: قال أيها العقل خذ المياه المقطرات، في وعاء الحاملات، وصبه على يمين الملقيات، لتحصيل علم ذات الذوات، ويا أيها الحس: خذ ماء الزاخرات في وعاء السبحات وصبّه على يمين المركبات، لتحصيل علم الكائنات الموجودة عن الصفات، إن أردتما صلاة العشاء.

ثم قال: أيها العقل خذ ماء الرقيع، في وعاء الترقيع، وصبّه على يمين السميع، لتحصيل علم مقام الرفيع، من انفجار البحر المنيع، ويا أيها الحس: خذ ماء الأنهار، في وعاء النهار وصبّه على يمين الفجار لتحصيل علم خرير الماء في الأشجار، بانفجار الجداول الصغار، من الأنهار الكبار، إن أردتما صلاة الصبح فلما فرغ الروح من هذا الإلقاء، أراد الرجوع إلى مشهد اللقاء، فسلم وانصرف، ثم عاد عَجلاً فعرف، وقال: أيها المخاطب بالتكليف ثلاث أولى من واحدة عند أهل التصريف، فاغسل أيها العقل يديك ثلاثاً: الواحدة لعلمك بربك في صلاة الظهر، ولعلمه بك في صلاة العصر، ولولهك فيه في طُهر المغرب، ولحيرتك فيه في طُهر العشاء، ولجمعك به في طُهر الصبح، والثانية لعلمك به وبنفسك في طُهر الظهر، ولحضوره معك في طُهر العصر، ولإفرادك به في طهر المغرب، ولمسامرتك معه في طهر العشاء، ولانفصالك عنه في طُهر الصبح، والثالثة لظهوره وظهورك وظهور العالم في محل واحد غير متحد في طُهر الظهر، ولاجتماعهم في طُهر العصر ولتجاوبهم في طُهر المغرب، ولاتحادهم في طُهر العشاء، ولتميزهم في طُهر الفجر، وأنت أيها الحس: اغسل يديك ثلاثاً: الواحدة لظهور السبب العقلي في طُهر الظهر، وانتظامه بالنفس في طُهر العصر، ولغيبته عن ممده في طُهر المغرب، ولطلبه الرجوع إليه في طُهر العشاء، ولوجوده إياه في طُهر الصبح، والثانية لظهور السبب النفسي في طُهر الظهر، ولتعلقه بالحس في صلاة العصر، ولحجابه عن العقل في صلاة المغرب، ولبحثه عنه في صلاة العشاء، ولشهوده إياه، في صلاة الفجر، والثالثة لظهور السبب الحسي في طُهر الظهر، ولمباشرته الكون في طُهر العصر، ولمحوه عن النفس في طُهر المغرب، ولابتغائه إياها في طُهر العشاء، ولوصوله إليها في طُهر الصبح. جعلنا الله وإياكم ممن أُيِّدَه بالقوة ومُكِّنَ في سر نتائج الفتوة.

في معرفة أسرار صبّ الماء في غسل اليدين بالشمال على اليمين:

إنّ الشـــــمائل – إن نظـــــرت وجودهـــــا ... عنـــــد الشـــــهود – خـــــوادم الإيمـــــان
شـــبه الضـــلالة فـــي الشـــمائل تعتلـــي ... ومـــــع اليمـــــين نتـــــائج البرهـــــان
إن الشـــــمائل فـــــي الشـــــمائل ســـــادةٌ ... بوجودهـــــا يثنـــــي علـــــى الإنســـــان
إن الشـــــمائل واليمـــــين عـــــوالم ... تبـــــدو بســـــر الـــــنظم والإتقـــــان
فـــانظر إلـــى اليســـرى وســـر ســـكونها ... فيهـــــا اســـــتواء العـــــرش بـــــالرحمن
وانظـــر إلـــى اليمنـــى وســـرعة دورهـــا ... بســـــوابغ الإنعـــــام والإحســـــان
هـــذي مـــع الأرواح تســـري ثـــم ذي ... تســـري مـــع الأنفـــاس فـــي الأكـــوان

لما أرادت اليمين أن يكون لها الصب زجرها القلب، وقال: إن الروح الأمين أمرَ القلب أن يصب باليد القريبة على يد الطور الأيمن، لتجلي علم التنزل الإنبائي، من مقام الكشف الرباني، وأمرَ الحس أن يصبَّ بالشمال على اليمين لكشف تعطيل الأسباب، لما لم يبق باليمين، فيتحقق أنه لا يمين إن لا أراد صلاة الظهر، ولِلصوقه بسره، وَالْتِحامه بعالم أمره، في طُهر العصر، ولفنائه عن بصيرة عقله، وغيبته عن شكله في طُهر المغرب، ولاستتاره في السبحة المضلة والتحافه في بُردةِ الوصلة في طُهر العشاء، ولطلوعه عيناً أخرى بتقطيره، ولسيلانه بعد أن كان جامداً بتفجيره في طُهر الصبح. جعلنا الله وإياكم ممن أبقى عليه شرف اليدين، وأبين له سر اتحاد النجدين. آمين بعزته.

في معرفة أسرار الاستنجاء إن شاء اللّه تعالى:

ســـرائر إيجـــاد العـــوالم فـــي الـــرب ... وفـــي الـــرحم المختـــار مـــن عـــالم التـــرب
إذا اجتمعـــا بالفعـــل فـــي فـــرش عرشـــه ... وجـــاء علـــى كـــوني بحـــظ مـــن الشـــرب
وظهرهمـــا بـــالحفظ والصـــون والتقـــى ... وبالعصـــمة الغـــراء والســـدل للحجـــب
فيبـــدي لهـــذا الطهـــر أعـــلام ســـره ... لإيجـــاده الأشـــياء مـــن حضـــرة القـــرب
ليصـــدق فـــي خلقـــي علـــى الصـــورة التـــي ... تعـــالى بهـــا فـــي حضـــرة الله والـــرب

نزل الروح الأمين على القلب، وقال: أيها العقل: استنجاؤك ظهور سر قدمك بقدمه في طهر الظهر، وانتظام قدمك بقدمه في طُهر العصر، ولفناء قدمك المذهب في طُهر المغرب، ولصحة حدوثك بالابتلاء في طُهر العشاء، ولتجلي قدم صدقك –وهو أول باب الفتح– في طُهر الصبح. أيها الحس استنجاؤك ظهور حدثك عن امتزاج أركانك في طُهر الظهر، ومعرفة كيفية امتزاجها في طُهر العصر، ومغيبها بإيجادك عن تدبير أفلاكها إياها لإبراز سر معجب في طُهر المغرب، ولحوق أفلاكها بالهيولى الموجودة فيها بالقوة قبل الأشياء في طُهر العشاء، وانبعاثها عن النفس الكلية بالقدح في طُهر الصبح، جعلنا الله وإياكم ممن أُميط عنه الأذى، و لم يقل إذا فزع عن قلبه: ماذا؟ بِمنّهِ ويُمنِه.

في معرفة أسرار الاستجمار:

إذا اســـتجمرت أوتِـــر يـــا غـــلام ... فهـــذا حـــظ ذاتـــك والســـلامُ
وجـــن منـــك مـــا اســـتجمرت منـــه ... ومـــا ينمـــو وكـــان لـــه اضـــطرامُ
فمـــا يجزيـــك فـــي التطهيـــر إلا ... - إذا حققـــت – مـــاء أو ســـلامُ
فـــإن المـــاء ألطفـــه ضـــياء ... وإن الصـــخر أكثفـــه ظـــلامُ
وبـــالطَّرفين صـــحّ حـــدوث كـــوني ... ولله التقـــدم والـــدوامُ

نزل الروح على القلب، وقال: ترك الاستجمار في الشرع، من حضرة فَقْدِ الجمع، وهو مفطور على الزوج والفرد، والقطع والسرد، فمن استجمر فقد ميز بين الحدوث والقدم وفصل بين القَدم والقِدم ولا يشترط في وجوده عدم الماء في التيمم، فإن سر هذا أقوى في التحكم وفي الاستجمار يلوح لصاحبه سرُّ رمي الجمار، فمن أوتر في استجماره فقد أبرأ ومن شفع فقد أخطأ فلا ينام السعيد إلا على وتره، مخافة أن يكون نومه إلى حشره، ولو اعتبر فيه الإنقاء فقط لما صح الوتر أن يشترط، وليس الإنقاء مما يثبت الإلقاء بل اللقاء على الحقيقة بترك الإنقاء وفائدة الإلقاء لمجرد الإلقاء وفي البحر الذي يكون بين اللقاء والإلقاء، يهلك الغرقاء وهم المنكرون على العالمين بالله أسرار ما يهبهم الله من لدنه، فهم العلماء السوء التالفون الحمقى، والبقاء لازمٌ لترك الاتقاء فيه، يصح الوجود، ويشرق الموجود، ويثبت العابد والمعبود، ولا تلتفت لقول من يرى الوتر في الاستجمار بالأحجار المتفرقة فقد يكون في الحجر الواحد الثلاث متفقة، جعلنا الله وإياكم ممن جمع بين عقله وشرعه، ووقف على حقيقة فرقه وجمعه، آمين بعزته.

في معرفة أسرار المضمضة:

مضـــمِضْ لســـر المناجـــاة التـــي بهـــرت ... آياتهـــــا لا لــــــــذكر الله بالسّـــــــيَرِ
وإن تشـــــأ فلتمضـــــمض بـــــالتلاوة أو ... بالــــذكر فـــي عـــالم الأرواح والصـــورِ
تَفُـــزْ بســـر العبـــادات التـــي ســـترت ... عـــين الحقـــائق عـــن جـــن وعـــن بشـــرِ
فـــإنَّ فـــي الفلـــك الكرســـي صـــورتها ... فـــي عـــالم الحفـــظ لا فـــي عـــالم الغيـــرِ

نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل الأكمل تثليث المضمضة بك أجمل، مضمض بالغَرفة الواحدة في طُهر الظهر، لظهور ذوقك، وفي طُهر العصر لتعلق ذوقك بمذوقك، وفي طُهر المغرب لدهشتك عند وجود اللذة في ذلك الوقت، وفي طُهر العشاء لتحصيل الكثير منه بالغَتّ، وفي طُهر الصبح لنيل المطلوب، والاجتماع مع المحبوب، و يا أيها الحس مضمض بالغرفة الواحدة في طُهر الظهر، لظهور سرّ الذكر بالمسطور، وفي طُهر العصر، لاستناد الذكر بالهوية إلى المذكور في طُهر المغرب لشرف الذكر بالهوية على المذكور من مقام الغيرة، وفي طُهر العشاء لجذب المذكور الهوية إلى مقام الحيرة، وفي طُهر الصبح لتسريحها من ذلك الجذب الذي صح لها في طُهر العشاء، إلى الاتساع والشرح.

والثانية: يا عقل مَضمِض بالغَرفة الثانية في طُهر الظهر لظهور شريك، وفي طُهر العصر لاتصال الشارب منك بمشروبه، عند ربك، وفي طُهر المغرب لانتقال المشروب إلى كونك، وفي طُهر العشاء لسريانه في مجاري فكرك، لتقديس عينك، وفي طُهر الصبح لانتظام شملك به في رداء صونك، و يا حس: مَضمِض بالغرفة الثانية في طُهر الظهر لظهور سر ذكرك بالأبنية وفي طُهر العصر لاتحادها بالمذكور في الأبنية، قيل للسوداء الخرساء: أين الله فأشارت بالظرفية، وفي طُهر المغرب لدقتها في صريح الذكر وفي طُهر العشاء لانطباق محل الذاكر عليها الساتر، وفي طُهر الصبح لحشرها من ذلك القبر تصديقاً للحاشر.

والثالثة: يا عقل مضمض بالغرفة الثالثة في طُهر الظهر لظهور ربك، وفي طُهر العصر لانتشاره في محال عطشك بعيشك وفي طُهر المغرب لقلب عينه في صورة ذاتك، وفي طُهر العشاء لحيرة فضلته في زوايا ذاتك، وفي طُهر الصبح لبروزها عن قوة صفاتك.

ويا حس: مضمض بالغرفة الثالثة في طُهر الظهر لظهور سر ذكرك بالخطاب في المرتبة الفضلية، وفي طُهر العصر لجمعك بين الهوية والآنية والأينية، وفي طُهر المغرب لصمت الناطق، وكلام الحق الصادق المستور وفي طُهر العشاء لمحق الذكر عن الذاكر والمذكور، وفي طُهر الفجر لاتحاد علم خطابه لك أنت أنت، وأنا أنا، وأنا أنت، ولست أنا، ولست أنت، فلا أنا إلا بك، ولا أنت إلا بي، صورة كمال الوجود في طلب الأجرة جعلنا الله وإياكم ممن ذكر وتلا، وتنزه في المراتب العلى، آمين بعزته.

في معرفة أسرار الاستنشاق والاستنثار:

إذا استنشق العبد الذليل فإنه عزيز، والاستنثار يذهب عزه
فإنهما من عالم الضد والهوى وحرز من الشيطان أن يستفزه
ومن شاء فليهدم جدار وجوده ليظهر للعين السليمة كنزه
ومن عادة الحبر اللبيب إذا انتهى إلى اللجة العمياء يحفظ حرزه
إذا كنت ذا ملك أتى كل ناجر إليك فقير النفس ينشر بزه
فتترك منه ما تشا لتذله وتأخذ منه ما تشا لتعزه

نزل الروح على القلب، وقال: أيها العقل الأعلى، استنشق واستنثر ثلاثاً فهو بك أولى، يا عقل: استنشق بالغرفة الأولى لكشف حقيقة عزك بالله، ثم استنثر لكشف حقيقة ذلك، عند دخولك، إلى مشاهدة الحق من طريق الانتباه، وذلك في طُهر الظهر، وفي طُهر العصر لمقابلة عزك بعزه، على الانفصال والاتصال، وفي طُهر المغرب لاتحاد عزه بعزك على الكشف وحجاب الضلال، وفي طُهر العشاء لعجز عزك دون عزه على الجمع والفرق، وفي طُهر الصبح لظهور عزه دون عزك فيك، للحاضرين على السر، والتجلي في مقعد الصدق.

ويا حس استنشق لظهور علم الروائح في عالم الشم، ثم استنثر لإزالة الخطم، في طُهر الظهر، وفي طُهر العصر لإدراك الروائح في الخطم على الفناء والبقاء، وفي طُهر المغرب للروح لدرج الروائح في الخطم على الغيب والشهادة، وفي طُهر العشاء لطيهما عن إدراك العين على القبض والبسط، من أجل الإفادة، وفي طُهر الصبح لنشرهما من ذلك الطي على الهيبة والأنس في حضرة نفس القدس.

الغرفة الثانية يا عقل: استنثر في طُهر الظهر للكشف حقيقة أنفتك على الكون، ثم استنثر لكشف معرفتك بالعين، وفي طُهر العصر لسريان روح المعرفة على البعد والقرب، في قالب الأنفة، وفي طُهر المغرب لتواري الأنفة. بمطالعة الغيب على الغيبية والحضور، وفي طُهر العشاء لنية المعرفة بتواري الأنفة على المحو والإثبات، في البيت المعمور، وفي طُهر الفجر لاطلاع الأنفة عليها، من أفق الكون المغيب عنها، على التواجد والوجد، وحصول الوجود فيهما لصحة الفقد، ويا حس: استنشق في طُهر الظهر لظهور علم الفرق بين الروائح، ثم استنثر عن إدراكه من قبل الأنف، لأنه من قبل باب العادة والعرف في الروح والحس، وفي طُهر المغرب لخفاء الشم عند صاحب الأنفة مع وجود الإدراك على الصحة والعلة بالمس، وفي طُهر العشاء لذهابه بالكلية بزوال العضو، وفي طُهر الصبح لوجودها في السكران والنائم، بعد الإفاقة والصحو.

الغرفة الثالثة: يا عقل استنشق ثالثةً في طُهر الظهر لكشف حقيقة كبريائك، في مقابلة أعدائك، ثم استنثر بزواله في مقابلة أوليائك، وفي طُهر العصر لتعانق الكبريائين بين العلم والجهل في الردائين، وفي

طُهر المغرب لسقوط الكبرياء في البحر، على العلم والظن بمشاهدة القهر، وفي طُهر العشاء لمعرفة أين غاب الكبرياء المذموم، بالعلم أو بالشك، حذراً أن يقبله الأفق المشوم وفي طهر الصبح لظهوره فيك في غير موطن الأعداء، على العلم والفقد، بتصحيح القبول والرد.

ويا حس استنشق لظهور عالم السوية، بين الروائح المتضادة في وقت دون وقت، في طُهر الظهر. ثم استنثر بترك ما حصل لك إلى عالم العوائد للعطاء الغمر، وفي طُهر العصر لمعرفة هل ذلك عن تعشُّق الإدراك بها على الظاهر والباطن، وفي طُهر المغرب لدرج بعضها في بعض، من أفقين عند الراحل والقاطن.

وفي طُهر العشاء لغنائهما معاً في ظله بظهور سلطان أحدهما وعزله، وفي طُهر الصبح لإيجاد الشم وذهاب المشمومات. جعلنا الله وإياكم من أهل الروائح والأنفاس، وعصمنا وإياكم من ملابس الوسواس.

في معرفة أسرار غسل الوجه:

إن الحيــــــــــاءَ لِبَــــــــابِ الله فتـــــــــاح — **ووجهـــــه خلـــــف ذاك البـــــاب وضّـــــاحُ**
وغســـلك الوجـــه بالشـــرع الـــذي شـــرعت — **رســـل الحبيـــب لـــذاك البـــاب مفتـــاحُ**
فاقـــدح زنـــاد وجـــود الكشـــف تحـــظَ بـــه — **إن اللبيــــب لزنـــد الكشـــف قـــداحُ**

نزل الروح الأمين بغسل الوجه على القلب، وقال: أيها العقل اغسل وجهك بالغرفة الواحدة لطُهر الظهر، لظهور سر المراقبة، وفي العصر لاتصافك به، وفي المغرب لتعلقه بالمراقب، وفي العشاء لتكلفك فيه، وفي الصبح لشهود المراقب، ويا حس اغسل وجهك في الظهر لظهور سر الإقناع عند مشاهدة الجلال، وفي العصر لتوقفه عليه، وفي المغرب لوجوده قبله، وفي العشاء لبحثه عنه، وفي الصبح لظفره به في هذا القالب.

الغرفة الثانية: يا عقل اغسل وجهك بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سر الحياء، وفي العصر لارتباطه بالإيمان، وفي المغرب لانفصاله عنه، وفي العشاء لاشتماله على الخير بكله، وفي الصبح لما ينفعل عنه.

ويا حس اغسل وجهك في الظهر، لظهور سر السرور، عند مشاهدة الجمال، وفي العصر لارتباطه به، وفي المغرب لوجوده قبله، وفي العشاء لبحثه عنه، وفي الصبح لظفره به منه.

الغرفة الثالثة: في الظهر لظهور سر المكافحة، وفي العصر لخفائه بظهورك، وفي المغرب لظهوره بخفائك، وفي العشاء للالتفات، وفي الصبح لما يظهر عنه من الاختلاف. ويا حس اغسل وجهك بالغرفة الثالثة، في الظهر لظهور سر الاعتدال، عند مشاهدة الكمال، وفي العصر لسر الكمال في الاعتدال، وفي المغرب للكمال المخلوق، وفي العشاء للكمال الخالق، وفي الصبح لمقابلة الكمالين بضرب من الائتلاف. جعلنا الله وإياكم ممن رُزق سر الحياء، فاستحت منه ملائكة السماء. آمين.

في معرفة أسرار غسل اليدين إلى المرفقين:

غســـــل الـــــذراعين مشـــــروع وغايتـــــه — **إلـــى المرافـــق فاشـــرع فيـــه وانتظـــر**
مواهـــــب الحـــــق فيـــــه أنـــــه علـــــم — **علـــى ســـرائر عـــين النفـــع والضـــرر**
القـــائمين علـــى كـــونين قـــد مزجـــت — **ذاتيهمـــا تحـــت قهـــر الشـــمس والقمـــر**

لا تخـــــــدعنك دار لا بقـــــاء لهـــــا بـــالله. يـــا صـــاح كـــن منهـــا علـــى حـــذر
إن زلزلـــــت راح ذاك المـــــزج وانفصـــلت هـــذي إلـــى الخلـــد، والأخـــرى إلـــى ســـقر
فـــلا يغرنـــك شـــيء أنـــت تاركـــه فإنمـــا النـــاس فـــي الـــدنيا علـــى ســـفر

نزل الروح على القلب، وقال: أيها العقل اغسل يدك اليمنى في الظهر لظهور أسرار إيجاد المشرق، ويدك اليسرى لظهور أسرار إيجاد المغرب، وفي العصر لإضافة الربوبية إليهما في قوله: رب المشرق والمغرب وفي المغرب لمشاهدة العين الحمئة في المغرب، وفي العشاء لتبع الشفقين الشمس، وفي الصبح لمعرفة كرة الأرض بالعقل والحس.

ويا حس اغسل يدك اليمنى بالغرفة الأولى إلى المرفق في الظهر، لظهور سر المرفق، واليسرى لظهور السر الموجود عند فقد العيش المقلق، وفي العصر للسكون، وفي المغرب لفقد القلق بالتعيين، وفي صلاة العشاء الآخرة لارتباط الارتفاق بالحركة، وفي الصبح لعدم تأثير السبب في المسبب، ووجود البركة.

الغرفة الثانية: يا عقل اغسل اليمنى بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سر خلق العالم، واليسرى لسر أحسن تقويم، وفي العصر لتعشق الإنسان بالعالم، لكونه على صورة القديم وفي المغرب لمغيب العالم في الإنسان، لأنه على شكله، وفي العشاء لتلف الإنسان في العالم عن مثله، وفي الصبح لظهور الإنسان بالعالم، والعالم بالإنسان، فإن ذلك من مادة الإحسان. ويا حس اغسل اليمنى بالغرفة الثانية في الظهر، لظهور سر البطش، واليسرى لصنع العيش، وفي العصر لوجود الصنعة وفي المغرب لقيام الصنعة في القوة وفي العشاء لظهور الصنعة بالفعل من غير العالم وفي الصبح لتحصيل العلم بالصنعة.

والغرفة الثالثة: يا عقل اغسل اليمنى واليسرى بالغرفة الثالثة في طُهر الظهر لظهور سر التوكل، وعدم التأمل، وفي العصر لجعل التوكل سبباً من الأسباب، وفي المغرب لعدم التوكل على الوهاب، وفي العشاء لسر الجوع المراد، وفي الصبح لشؤم الشبع المعتاد.

ويا حس اغسل اليمنى بالغرفة الثالثة في الظهر لظهور سر التقديم لها في الظهور، واليسرى لبروز سر "كلتا يديه يمين" في الظهر، وفي العصر لاستوائهما الأسنى، وفي المغرب لنيابة اليسرى عن اليمنى، وفي العشاء لتعطيل اليسرى واليمنى، وفي الصبح لوجود اليمين في اليمنى، واليسر والعسر في اليسرى.

جعلنا الله وإياكم من المقربين، وضرب لنا بسهم في أصحاب اليمين.

في معرفة أسرار مسح الرأس:

مســـحت رأســـي للظـــل الـــذي نـــيط بالـــ ــــعرش الـــذي هـــو بـــالأنوار محفـــوف
فاعجـــب لظـــل مـــن الأنـــوار منبعـــث فيـــه الدلالـــة، إن الظـــل موقـــوف
علـــى نتيجتـــه لا عـــين صـــورته علـــى اســـتقامته مـــا فيـــه تحريـــف
العـــرش ســـقف لجنـــات الخلـــود فـــدا ر الخلـــد دائـــرة فيهـــا التصـــاريف
فـــالعرش إن نظـــرت عينـــاك صـــورته مـــن كـــل ناحيـــة مـــا فيـــه تجويـــف
يـــا ليـــت شـــعري والنـــار التـــي خلقـــت فـــي الســـفل هـــل ســـقفها بالضـــد موصـــوف
فالنـــار دائـــرة فـــي جـــوف جنـــتكم فبيتهـــا بجنـــان الخلـــد مســـقوف
لـــولا الـــدخان الـــذي فيهـــا لأدركهـــا نـــور الجنـــان ولكـــن فيـــه تطفيـــف

نزل الروح على القلب وقال: امسح برأسك يا عقل في الظهر لظهور سر الظل، وفي العصر لوجود الظل في النور، وفي المغرب لحجاب النور الظل، وفي العشاء لاستواء الظل والنور في الحجاب، وفي الصبح لتسمية الله بالنور دون ضده. ويا حس امسح برأسك في الظهر لسر الإقناع، وفي العصر للعشق، وفي المغرب للذل، وفي العشاء لفقد الحواس بالنوم، وفي الصبح لرجوعها والإخبار بما رأته في النوم للقوم. جعلنا الله وإياكم من أهل الظل الأول، الذي عليه عند المحققين المعوَّل، آمين بعزته.

في معرفة أسرار مسح الأذنين:

طهر صماخيك إن السمع يدرك ما ... في ذلك الطهر من تعريف مبدعه
إذا يخاطبك الرحمن من كثب ... فإنه سامع من غير موضعه
في نفسه درك ما في النفس من خير ... وفي اللسان، وهذا حد مِهْيَعه
إذا يكلمني ربي أقول له ... يا رب سمعي محصور فمه يَعِهِ
ودركه لكلام الله صح له: ... على الحقيقة لكن من مشرعه
صلى الإله على موسى فإن له ... أصل السماع اعتناءً من مسمعه

نزل الروح على القلب وقال: يا عقل امسح أذنيك لاستماع التنزلات في الظهر، وبماذا قبلتها في العصر، وبما حصل لك منها في المغرب، ونظرك فيها في العشاء، ووقوفك على الأسرار المودعة فيها في الصبح.

ويا حس امسح أذنيك لاستماع القول في الظهر، ولارتباط السمع بالخطاب في العصر، وفي المغرب لسجن السمع في الأذن، هل هو من الحقائق أو من العادات؟ وفي العشاء لدرك أصوات في المنام وليست بأصوات، وفي الصبح لدرك هذه الأصوات النومية في اليقظة بمشاهدة الحفظة. جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه فشهد لهم الوهاب بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

في معرفة أسرار غسل القدمين:

طهر بشرعك أقداماً سعيت بها ... تفزْ بأسرار رب ثم جبار
والرب للقدم العلياء منظره ... جبار ذي القدم الملقاة في النار
واعلم بأن لك الكرسي ثم لك الـ ... ـكونين فاشكر لوهَّابٍ وغفار
علم السوابق موقوف عليك له ... والجاريات بـأكوار وأدوار
وقد أحطت بأصناف العلوم فقم ... فأنت صاحب أنوارٍ وأسرار
فقمت من عنده أبغيه، فالتفتوا ... قولي فإن به تدرون مقداري

نزل الروح على القلب وقال: يا عقل اغسل قدمك اليمنى في الظهر، لظهور سر مغالطتك في قدمك، واليسرى لظهور سر عدمك، وفي العصر للجمع بين القدم والحدوث، وفي المغرب لمغيب قدمك في قدمه، عند السير الحثيث، وفي العشاء لوجودك معه في هيولى المحققين، وفي الصبح لمطالعته عينك فيها على التعيين. ويا حس اغسل قدميك في الظهر قدمك اليمنى لمطالع قدم الرب واليسرى لمطالعة قدم الجبار، وفي العصر لاجتماع المطالع في سماء الأنوار، وفي المغرب لمغيب قدم الجبار في قدم الرب، وفي العشاء لمغيب قدم الرب، في قدم الجبار في ظلال الحجب، وفي الصبح لتمييزهما الأيدي على الحكم الأزلي. جعلنا الله وإياكم ممن تثبت قدمه في المعالم، ولم يحجب بما كشف له من العوالم.

في معرفة أسرار التشهد بعد الفراغ من الوضوء:

تشـــــــهَّدْ بإثبــــــــات الإلـــــــه ونفيـــــــه — فإنـــــك مطلـــــوب بإثبـــــات عينـــــه
وفَصّــــــلْ إذا قامـــــت شــــواهد وصــــفه — عليــــك ولا تلحقــــه عينــــا بكونــــه
وأبــــرزه فــــي الكـــون الغريـــب بشــــرطهِ — بـــأن يَــكُ محفوظــاً بــأثواب صـــونه

نزل الروح على القلب، وقال: يا عقل تشهد إذا فرغت من وضوئك لصلاة الظهر، لظهور سر العدد في الأحد، وفي العصر للألف المعطوفة المألوفة، وفي المغرب الشاهد لمغيب الأحد في الواحد، وفي العشاء للأحدية والأبدية، وفي الصبح لثبوتك لديها، عند قدومك عليها. ويا حس تشهَّد إذا فرغت من وضوئك لصلاة الظهر، لظهور سر التوحيد، وللعصر لفناء التفريد، وللمغرب لوقوع التمجيد، وللعشاء لحصول التوحيد في التجريد، وفي الصبح لمشاهدة التوحيد في التبديد. جعلنا الله وإياكم، ممن وحَّد فتوحد، وأشهد فتشهد آمين بعزته لا رب غيره.

في معرفة أسرار الانصراف من الوضوء إلى الصلاة:

ولمـــــا أتينــــا بالطهــــارة كلهــــا — علــى وفــق شــرع الله فــي الحــس والعقــلِ
أتينـــــا نناجيـــــه بقــــدس كلامــــه — علــى نحــو مــا قــد صــح عنــدي مــن النقــلِ
فلـــم يســـتطع إحـــداث لفظـــي لكونـــه — قـــديما فناجيــت المهـــيمن بالفعــلِ
ولـــم يســـتطع معنـــاي أيضـــاً كلامـــه — فقــد صــح عنــدي أننــي لســت بالمثــلِ
فـــرد علـــي الله مـــن عـــرش ذاتـــه — بمــا طــابق اللفــظ الــذي جــاء مــن ظلــي
علــى نحــو مــا أتلــوه فــي النــور والهــدى — بإيجــاد وصــف العــدل منــه أو الفضــلِ
ومــا ســمع الــرحمن غيــر كلامــه — علــى مِقــولي فــي الفــرض كنــت أو النفــلِ
فصـــح لـــي التعبيـــر عنـــه لأنـــه — تعــالى عــن الأصــوات والحــرف والشــكلِ
فـــإن قلـــت: إنـــي قـــد تلـــوت كلامـــه — فقــد قلــت: إنــي مــا تلــوت ســوى مثــلِ
فـــإن تـــكُ خالفـــت الـــذي قـــد نصصـــته — فقــد غصــت يــا مســكين فــي أبحــر الجهــلِ

نزل الروح الأمين على القلب، فقال: يا عقل انصرف إلى مصلَّاك ليتلو سبحانه كلامه عليك، فاستمع وأنصت، وتحقق ذلك المقام، وأثبت فإنه مقام الدهش والطيش، ومحل الحياة والعيش، فاشحذ فؤادك، واترك اعتقادك، ولا تدبر في حين الخطاب، ولا تفكر فيما ترد عليه من الجواب، فإنه مقام التأييد والقوة، ومشرب الرسالة والنبوة، فإن إجابة الحق تعالى إذا خاطب لا ينتجها فكر، ولا يقوم لها ذكر حسب العقل قبول الخطاب، وقبول ما يخلق فيه من الجواب، من غير تقدم قصد ولا نية، ولا فكر ولا روية. ويا حس اتلُ على ربك كلامه، ولا تلتفت، وحقق معنى ما تناجيه به وتثبت، وشمّر أذيالك، واجعل خلفك أعمالك وآمالك وضع اليدين مكتوفتين فوق السرة وتحت الصدر، فاطلب منه في ذلك المقام فضل ليلة القدر، في كونها خيراً من ألف شهر، واجعل كل صلاة تدخل فيها آخر صلاتك وذلك النفس منتهى حياتك، فلا تزال مقنعاً ولربك مستمعاً، متوشحاً بالحياء غير ملتفت، إلى السماء طرفك، حيث سجودك، وقلبك حيث معبودك، وخشية تخشع الجوارح، وهيبة تقصف الجوانح، وعبرة تسفح، وزفرة تلفح، وأنين وزمزمة، وحنين وهمهمة، وتلاطف في تعاطف، وتوسل في ترسل، ومشاهدة في مجاهدة، وتغير في تحير، واختلاف صفات، وتنوع حالات، وآداب وسكينة، واعتدال وطمأنينة، إلى أن تفرغ من صلاتك، فتنظر عند ذلك فيما زكا من صفاتك، وما تقدس من ذاتك، فعند ذلك تكون

المصلي السابق، وغيرك المصلّي اللاحق. جعلنا الله وإياكم، ممن حضر في صلاته فأجزل له في صلاته فكان جزاؤه النور ودار السرور.

في معرفة أسرار طهارة الثوب والبقعة للصلاة فيهما [إن شاء اللّه تعالى]:

ليس لي بقعة سوى أرض قلبي … وثياب تزينني غير علمي
حدثي صح عن ظهور حدوثي … وظهوري عنه بغيبة رسمي
أنا ثوب على الحبيب وثوبي … هو حبي فحكمه عين حكمي
أي طهر في بقعة القلب لما … وسع الله فانجلى ليل همي
حق لولا وجود ربي بقلبي … كان يبدو علي ألحان حلمي
وانتقامي من آخر فكمالي … في وجود السرور مَنّي وغَمّي
هذه حكمة وهذا حكيم … ظهرت منه بين عدلي وظلمي
إن كمي هو الحجاب وكيفي … عن حبيبي فاذهب بكيفي وكمي
يا حبيبي وإنني لعديم … وغناك الذي أرجي لعدمي
شطحات تبدو علي لكوني … صورة فيك عند نثري ونظمي
بك علقت يا أبي يا حبيبي … أنت أرضعتني فجودك أمي
ولهذا إليك أرفع كفي … في أموري فأنت ركني وأمي
ليس لي والد أراه سواكم … ما عسى يغني عنه والد جسمي
هو مثلي هنا ضعيف فقير … وهمه حاكم عليه كوهمي
مذ تجليت يا حبيبي لقلبي … لم أزل عارفاً بقدري وباسمي
ثم أني عبد وأنت إله … وقوي إذا بدا وهن عظمي
يا حبيبي لقد رمزت أموراً … في قريضي هذا على حكم زعمي

نزل الروح على القلب، وقال: أيها العقل طهر ثوب سرك، وبقعة قلبك لتجلي ربك، فإن سر الطهارة معقول، كما أن فعلها منقول. ويا أيها الحس طَهِّر ثوبك بالتقصير، فإن الفائزين أهل التشمير، وطهّر بقعتك النفيسة من عالم التخليط، فإنك من عالم التخطيط عسى يفيض عليك شيء من العالم البسيط، فإن فاض عليك منه شيء فهو نور أنت فيه وعود أنت بدؤه، وظهور أنت خبؤه، فلولا ظهورك، ما سرى إليك نوره فيك، وبفيضه عليك، وحاجتك إليه تعزز، فاعرف قدرك وقدره وتحقق شمسه وبدره، وأشرقت الأرض بنور ربها وذلك النور ظهور تربها، فبقعة البدر الفلك، وثوبه النور المشترك، فإن تدنس في كمال ظهوره بظل الأرض، فظهوره بالسمو عن عالم الخفض، كما أن طهارة بقعة بروز نصف دائرتها للعين، وعدم طهارتها هو مغيبها تحت هذا الكون، فنظر الإنسان إليها هو إذن مطهرها، وعدم نظره إليها هو مقذرها، وبقعة الشمس فلكها، وثوبها نورها الذي أخذته من ملكها، وهو النفس الكلية المنفعلة، فهي بهذه المنزلة. ودنسها بالحجاب الهلالي المحاقي وطهارتها خروجها عن موازنته في العالم العلوي، فيظهر ذلك في العالم السفلي، فطهارة بقعتها كطهارة بقعة البدر الأكبر، فلا تتحير. جعلنا الله وإياكم ممن طهر ثوبه وقلبه، وشاهد في كل حالة من الأحوال ربه، آمين آمين بعزته.

في معرفة أسرار إقامة الصلاة:

يا مقيمَ الصلاة ما لك تدعو … للمناجاة من حماه العيانُ
وهي عندي إزاحة لحجاب … قرارته عند الحكيم الكيانُ
ودليلي من قال: قم يا بلال … فأرحنا بها فسر الزمانُ

فأقـــــام الصــــــلاة فارتــــــاح قلـــــب	جــــــاءه الخــــــوف تـــــارة والأمـــــانُ
قـــل لمــــن يقـــرأ القـــرآن: تبحـــر	فـــي علـــوم شـــتى حواهــــا القـــرانُ
خلــــف ســــتر أدقّ مــــن وهـــم سِـــرٍّ	شـــــاهدَ الله إذا أتتـــــــه الحســــــانُ
هـــو وهـــم ولـــيس علمــــاً ولكــــن	فيــــه ســــر لربنــــا وامتنــــانُ
فــــإذا مــــا قـــرأت قـــرآن ربـــي	أظهـــر القـــول مــــا حــــواه الجنــــانُ
للفـــؤاد الكــــلام مـــن غيـــر حـــرف	يــــا ولــــي، وللحــــروف اللســــانُ

نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾[الإسراء: ٧٨].

يا عقل ربك قد دعاك إلى الدخول عليه، والوقوف بين يديه، فتسوَّك بعود أراك تفاؤلاً، فإن الفأل مشروع، فهو خيرٌ من سبعين صلاة، وفي رواية من أربعمائة، كما جاء في الموضوع فالزم الأدب واحضر مع النسب، فإن علم النسب يوجب أدبك، وينهج مذهبك، وهذا أنت خلف الباب، تريد رفع الحجاب فقل:

الله أكبر إثباتاً لمن تكبَّر عليه إعظاماً، ونزولاً عليه وإلماماً، وقهراً له وإرغاماً، ورحمة به وإكراماً.

أشهد أن لا إله إلا الله إثباتاً لمن ادعى الألوهية في نفسه، حين أوجدها له في يومه دون أمسه فتنعَّم بها في حسه، وظهر بها عند أبناء جنسه فحال بينه وبين دوام أنسه.

أشهد أنَّ محمداً رسول الله تحققاً أن الرسالة في الثرى، وأن كل الصيد في جوف الفرا فسرت سريان النفس في الورى: فمنهم من تقدم، ومنهم من طلب الورا، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى.

حي على الصلاة إثباتاً للغفلات، وتعشق الغافلين بالكائنات، فاتحدوا بها في عالم الكلمات، وانفصلوا عنها في عالم السموات انفصال الروحانيات الملكوتيات.

حي على الفلاح تعيُّناً للبقاء ونجاة السعداء، وعدمها من الأشقياء، والفصل بين الأرض والسماء، يوم الفصل والقضاء.

قد قامت فقاموا إجلالاً لقيامها، وبادروا إليها تعظيماً لإمامها، فوهبتهم الأسرار القدسية، بين افتتاحها بتكبيرها وتمامها بسلامها، فمن فارحٍ بقدومها جزعٍ من إقدامها، ومن فارح بقضائها، إذا كان على بيّنة من تمامها، ومن محب في دوامها للتلذُّذ بكلامها.

الله أكبر، تكبيراً من غير مفاضلة، وقرباً من غير مواصلة، وبعداً من غير مفاصلة، وإنباء من غير مراسلة، وإنعاماً بمعاملة، ورويّةٍ من غير مقابلة.

لا إله إلا الله إثباتاً للشرك والتوحيد في عالم الجمع والوجد، في عالم الفرق والفقد، سر التعطيل والوجود، والنسبة والتمجيد لانفراد الوعد والوعيد من القريب والبعيد، بمحل التعظيم والتأييد.

وأنت يا حِس، فقل: الله أكبر تنفي تكبير المتكبرين من غير طريق دعوى المدّعين وإرغاماً لأنوف الحاسدين، ودحضاً لحجة المبطلين، وإقامة لبرهان المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله، رداً على من قال: إنه الله، فإن الحكيم الأوَّاه، من قال بنفي الأشباه، وساوى في الذكر بين القلوب والأفواه، وفي السجود بين الأقدام والجباه.

أشهد أن محمداً رسول الله إثباتاً لقربه من ربه، بعالم تربه، ومن حبه بعالم قلبه، لصحة حبه، فاتخذ حبيباً وخليلاً، وعبداً ورسولاً، فصحت له السيادة على صحبه.

حي على الصلاة: إثباتاً للإيمان وتعشُّقاً في العيان، بالبصر والجنان، في الإساءة والإحسان، والجحيم والجنان، فليس العَجب من ورد في بستان، إنما العَجب من ورد في قعرِ نيران.

حي على الفلاح: إقبالاً على الإحسان بالأمان، فإن البقاء بقاءان، والنجاة نجاتان، وكل ذلك قد ظهر في الإنسان.

قد قامت الصلاة من قعدها، وانحلّت لام ألفها من عقدها، فصارت سلطانة بوحدها، وظهرت في المؤمنين بقوها ونجدها، وفي العارفين بترك عددها وعدّها، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين.

الله أكبر الله أكبر: مفاضلة روحانية ومرتبة ربانية، ومعادلة رحمانية وتكملة إنسانية، ونكتة رهبانية.

لا إله إلا الله: شرك مقبول، في توحيد معلول، صاحبها مقيد مغلول، وتاركها في روض مطلول، لا ملول ولا مملول.

جعلنا الله وإياكم ممن أقامها دائماً، وكان بأسرارها عالماً. آمين.

في معرفة أسرار تكبيرات الصلاة:

أكبّره في كل فعل على الذي ... تجلى من الأسماء فيه لناظري
فإن الذي يبدو إلي هو الذي ... أراه بذاك الفعل ربي وآمري

قال الروح في تنزله: اعلم أن للجمعِ حضرتين، كما بيّنا من قبل أن الوجود كله مبني على اثنين، فالله وأعني به الاسم، حضرةٌ جامعةٌ لجميع الأسماء الحسنى، والذات التي لها الألوهية، حضرة جامعة لجميع الصفات القدسية الذاتية، والصفات الفاعلة في العالم الأبعد والأدنى، والأرفع والأدنى، فإذا كنت في حالة من الحالات من أحوال الأرض، أو من أحوال السماء، فلا شك أنك تحت قهر اسم من الأسماء، سواء عرفت ذلك، أم لم تعرف، أوقفت في مشاهدته أو لم تقف، فإن ذلك الاسم الذي يحركك ويسكنك، أو يكونك أو يمكنك، يقول لك: أنا إلهك ويصدق في قوله، فيجب عليك أن تقول: الله أكبر. وأنت يا اسم سبب فعله، ذلك الرفعة السنية، ولله الرفعة الإلهية، ويصح فعل هذا على طريق المفاضلة فإنها من حضرة المماثلة، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾[الإسراء: ١١٠]. كذلك له الصفات العليا، فإن الله هو الرحمن الرحيم، الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار المتكبر، الخالق، البارئ المصور، الأول الآخر، الظاهر الباطن، الشاكر العليم، القادر الرؤوف، الرحيم الرزاق، إلى ما يعلم منها، وما لا يعلم، وما يفهم من صفاته وما لا يفهم، وعلى هذا يصح، الله أكبر، وبه تثبت المعارف الإلهية وتقرر، وهذا أمر مجمل، تفصله أعمالك، وسر مبهم، توضحه أحوالك، واعلم – قطعاً – أن الذات لا تتجلى إليك أبداً من حيث هي، وإنما تتجلى إليك من حيث صفة ما معتليةٍ، وكذلك اسم الله لا يعرف أبداً معناه، ولا يسكن وقتاً ما في مغناه، وبهذا السر تميز الإله من المألوه، والرب من المربوب، ولو لم يكن كذلك لالتحق المهلك

بالهالك فقد بانت الرتب، وعرفت النسب، وثبتت حقيقة السبب. جعلنا الله وإياكم ممن شاهد محركه فكبَّر، فتجلى له ما هو أكبر، بمنّه وكرمه، لا رب غيره آمين.

في معرفة أسرار رفع اليدين في الصلاة:

رفعنا يدينا في الصلاة لِعلمنا	**بأنا نناجيه، نشير إلى الفقر**
وأنا تركنا مُلكنا من ورائنا	**وجئناك نبغي صورة النفع والضر**
وإن كان ذاك الفعل مما أفادتنا	**مع الوقت فالإنسان في طبعه يجري**
وصورتنا في ذلك الفعل كالذي	**يكون بها في موقف الحشر والنشر**

نزل الروح الأمين على القلب السليم، وقال: دعاك الرفيع إلى مناجاته، والغني إلى فيض هِباته، فتذلل وافتقر، وارفع يديك، في كل خفضٍ ورفع، عندما تكبر فاترك ما يحصل لك في كلٍ تحل وراء ظهرك، وقُل: هأنذا واقف صفر اليدين بيّن يديك عن أمرك أبتغي منحة علوية، أو لمحة كلية، فإذا جاءتك المنحة وتجلت لعينيك اللمحة، فارفع منحتك في كيسك. ولمحتك في تأسيسك واطلب لمحة أخرى، ومنحة كبرى، فإنها لا تزال تترى فإن الفيض الإلهي مستمر دائم من عين جوده، فقابله بالفقر الكياني، الذي هو مستقرٌّ لازم في عين شهوده، فلا يزال يهب، وأنت تجمع، ويعلو وأنت تخضع، وينزل وأنت ترفع، فإذا حصلت هذه المنحة وعقلت هذه اللمحة، وقفت على أسرار رفع يديك في صلاتك فرأيت من دونك راغباً في زكاتك وجزيل صلاتك، فَهَبْ كما وُهِبْتَ، فإنك تُعْبَدْ كما عَبَدتَ. رفع الله هممنا إليه، وأنزلها المنزل المبارك لديه، آمين بعزّته.

في معرفة أسرار التوجه في الصلاة:

توجهنا وليس لنا وجوه	**وأُنطِقنا وليس لنا لسان**
وحُكّمنا على صور المعاني	**فكان لنا البلاغة والبيان**
فقلنا بانفطار الأرض فينا	**من الأشواق إن هجر العيان**
كما انفطر العيان إذا تعالى	**وأمطرنا وما قبل المكان**
فهذي حِكمةٌ من سار فيها	**رأى أمراً يضيق به الجنان**

نزل الروح الأمين وقال: أيها الحُباب المتقاطر، والسحاب الماطر. هذا قد تجلى لكليتك الإله الفاطر، فقل لسمائك لا تحجب بلطافتها، ولأرضك لا تحجب بكثافتها، فإنه لا بد عند تجليه لسمائك من تخلخلها، ولأرضك من تزلزلها، فإياك أن تقع في أشراك الإشراك، لعظيم آفات الاشتراك، والزم الوحدة فيها، يحصل رفده ومجده، وكن وجهاً مستديراً، ولا تجعله عبوساً قمطريراً، ولا تحجب بالجهة الكعبية، عن الجهة الإلهية القلبية، وألحق الحياة بقِدمها، والموت بعدمه في قدمها، والصلاة بحضرة ربك، واجعل النُّسك قربان قربك، وأقر بالأمر للأمر، واعترف بالإسلام حذراً من الحسام الباتر، وارغب في الانصراف إلى الفضائل، وعن الرذائل، وأسند الأمور إليه، فإن مفاتيحها في يديه واستسلم للحكم، تكن من أهل العلم، وتدرَّع بثوب الاستغفار، فإنه يحول بينك وبين النار.

جعلنا الله وإياكم من أهل التوجيه، وممن يدعى هناك بالمقرب الوجيه آمين بعزته.

في معرفة أسرار الوقوف والقراءة في الصلاة:

وقفــــتُ أناجيـــــه بعـــــين كلامـــــه — مـع الكـون وقتـاً، ثـم وقتـاً مـع القـدمْ
لأنــك فـــي وقـــت بوصـــفيه نـــاطقٌ — وفـي آخـر فـي عـالم النـور والظُّلَـمْ
إذا قلــــت: قـــال الله، أعنـــي كلامـــه — وإن قـال ربـي: قـال موسـى، فأنـت تَـمْ
تأمَّــل علومـــاً قـــد أشـــرت ببعضـــها — إليـك فحقـق مـا ذكرنـاهُ والتـزمْ

نزل الروح وقال: الجامع قد تجلى، والمناجى قد تدلى، وأنت أيها المناجي الأسنى، بقاب قوسين أو أدنى، فقل يسمع قولك وتجاب، ولكن ميز الخطاب، وفرق بين قرآنك وفرقانك، وبين توراتك ونورك، وكتابك وزبورك، فإن المناجاة تختلف باختلاف المقامات وتتباين بتباين الحالات وتتعدد بتعدد الأشخاص، وهي لا تقبل المزيد فتتصف بالانتقاص، فتنادي في وجودك ولات حين مناص، فإنك في حضرة الجمع واقف، ولسيدها الجامع ملاطف، فإذا منحك من لطائفه ووهبك من عوارفه، فحصّل ولا تفصل، فإن ذلك مقام التحصيل لا التفصيل، فاعلم أن الزبور نظير الفرقان ولهما سِران، والقرآن مختص بالمحمدي، والفرقان له بالاشتراك الموسوي، فسِرُّ القراءة، في جمع الذاتين واتحاد الصفتين. جمع الله عليَّ ذاتي وقدس باطلاعي على صفاتي آمين.

في معرفة أسرار الفرق بين الفاتحة والسور:

نـــور الكواكـــب موقــوفٌ علـــى السُّـوَرِ — وســورة الحمــد نــور الشـمس والقمـر
فـــانظر إلـــى فلـــك إن دار فـــي فلـــك — أعطـــاك علمـــا بمعنـــى الـــروح والصـــور
فســـورة الحمــــد فرقـــان يبـــين علـــى — أطرافهــا بانفصــال الكــون والبشــر
كمــــا يبـــين إذا حققـــت صـــورتها — إليـــك قرآنهـــا فـــي بـــرزخ الصـــور
فـــانظر إلـــى ســـور تـــأتي علـــى صـــور — بصـــورة النفـــع أحيانـــاً وبالضـــرر

نزل الروح الأمين على القلب، وقال: اعلم أن الفاتحة لها طرفان، وواسطة ومقدمتان، ورابطة، فهي الفاتحة للتجليات الواضحة وهي المثاني، لما في الربوبية والعبودية من المعاني، وهي الكافية، لتضمنها البلاء والعافية وهي السبع المثاني، لاختصاصها بصفات المعاني، وهي القرآن العظيم لأنها تحتوي على صورة المحدث والقديم، وهي أم الكتاب لأنها الجامعة للنعيم والعذاب، فالطرف الواحد بالحقائق الإلهية منوط، والطرف الآخر بالحقائق الإنسانية مربوط، والواسطة تأخذ منهما على قدر ما تخير به عنهما، والمقدمة الواحدة سماوية والمقدمة الأخرى أرضية والرابطة لها هوائية، فيقول الأول: الحمد للمعين، مصلح عالم الكون، بالهين واللين، فيقول الآخر: حمدني الأول في أبدي، لما علم أنه لا ينقضي أمدي، ثم يقول الآخر: الحمد لله رب العالمين على الحكاية المعقولة، وما ثبت له في الرواية المنقولة، فيقول الأول: أثبتني الآخرَ، وملكني، وعليه وعلى غيره سودني، وجعلني مرئيا أينه، ومصلحاً عينه، ثم يقول الأول: بسطت رحمانيتك على عامتك ورحيميتك على خاصتك، فكنتَ لهذا الفصل إبراهيمي الأصل فيقول الآخر: لقد أثنى على الأول بما جعل عندي من فيضه وإقامتي به بين يدي بسطه وقبضه، وجعلني حاكماً في سماء الله وأرضه، ثم يقول الآخر الرحمن الرحيم، فيقول الأول الآخر: أثنى الآخر عليَّ، حين أسند المحامد إلي، فله عندي ما خبّأته وراء حَدي، ثم يقول الأول: يا آخر قمت في ملكه، وأحطت عيناً بما حصل في ملكك، ونهيت وأمرت، فشكرت وكفرت ثم أقر لك بالملك، وسلم لك باب الملك

وناداك الملك بالملك، حين خرجت عن حكم دورة الفلك، واتخذك ربك وكيلا، وما وجدت إلى الانفصال سبيلاً، فجازِ قومك بأعمالهم، وأوقفهم على أفعالهم، فيقول الآخر: إنَّ الأول قد أثبت لي الشرف والمجد، ومنحنِي الرتبة العالية حين ساعدني الجد فنعم الجد وفوَّض إلى تدبير كونه، بمغيب عينه، ثم يقول الآخر ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة: ٤]، فيقول الأول: رد الآخر عليَّ وكالتي، وصرف إليَّ عمالتي، وقال: شهودي إياك يمنعني من التصرف ونظري إليك يحول بيني وبين التَعرف، فأنت العلي الماجد، والرب الواحد. وانتهى الطرف الواحد، والمقدمة، وبانت المراتب المرسومة، ثم يقول الأول: يا آخر إليك آويت بالنزول الذاتي، وبالتنزيل الصفاتي، في ديجور الليل المظلم، لإيضاح السر المبهم، ثم آويت إليك لإظهار الصنائع العلمية، واستخراج المنافع المعدنية فأنت ربها وإمامها وعرَّافها وعلامها، وبك ثبوتها وقوامها، فيقول الآخر: الأمر بيننا مشترك فمن يضمن الدرك؟ وأنا قد أجبت سؤالك وقمت أريك أعمالك، ثم يقول الآخر: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ فيقول الأول إن الآخر قد قام لي في ذلة العبودية ليثبت عز الربوبية، وقد سأل العون في تدبير الكون، فلي منها شِرب وله شِربٌ، ولي السقاية، وله الشُّرب، فله ما سأل فقل له ينفصل، فهذا سر الواسطة قد أعلن ومعنى الرابطة قد بين، ثم يقول الأول للآخر: أين لي عن طريق العقائد والأعمال، ومراتب الأولياء والأبدال والخلفاء والأرسال، والمبسوط عليهم نعم المعارف والمهدي إليهم حكم اللطائف، وأوضح لي طريق الأشقياء والضُلَّال، ومرتبة العلماء به المستدرجين والعمال، فتحق عليهم كلمة العذاب والنقمة وتحيد منهم كلمة النعيم والرحمة، فيتيهون في قعر الظلمة، فيقول الآخر: قد نزل الأول بحجابه واستتر خلف بابه، فله ما سألني عمله، إذ أقامني بدله ثم يقول الآخر: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[الفاتحة: ٦-٧] آمين، فيقول الأول: قد سألني أن أهديه صراطه وأشد رباطه، وأقيمه بالمحجة البيضاء، وأجعل متنزهه المهجة الغضَّاء، وأجعله وارثاً لرسلي وقائماً بسبلي وأجنبه موارد الهلاك، ومصارع الهلاك فله ما سأل وما أمل ، ثم يقول الأول: يا آخر أجبني إلى ما سألتك، فيقول الآخر قد أجبت ثم يقول آمين فيقول الأول: إن أخلصت، فقد فعلت.

فقد أبانت الفاتحة عن الصورة الصادية، والحكمة العادية، وبقيت الصورة السينية القائمة بالمنازل السنية، وهي في الأعالي والأسافل من مائتين وثمانين وسبع منازل إلى ثلاث منازل، وتضيق هذه العُجالة عن إيرادها فيها، وقد ذكرناها في الفتوحات المكية، في المنازل بأمهات معانيها لمن يعانيها وأريد أن أقصد هنا إلى بعض سورة الأسرى وما يحصل فيها من التلاوتين من الأنباء، وأقول بالتلاوة الإلهية التي لا يسأل عنها بالكيفية ولا بالماهية ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١] في قلب تعرى عن الهوى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾[النجم: ٢] ولكنه شرب فارتوى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾[النجم: ٣] لخروجه عن كرة الهوى ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٤] أنزلناه عليه بلا واسطة كشفاً وتلويحاً، فكان به – عند نزول الواسطة – في عالم الألفاظ عجولاً فصيحاً ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥] بحضرة الاستوا ﴿ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴾[النجم: ٦]، بما أيده به من القوى ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النجم: ٧] عليه مراتب روحانية العلى، ثم دنا فتدلى، على المقام الأجلى، ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾[النجم: ٩] من المقام الأسنى خلف حجاب العزة الأحمر ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] فما أمسى عليه يوم ولا أضحى ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ﴾ [النجم: ١١] ما رأى من حسن الرؤى أفتمارونه على ما يرى، فهو بحيث لا يرى ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾[النجم: ١٣] عند

الصيحة الكبرى ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾[النجم: ١٤] مستقر الحسن والبها ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾[النجم: ١٥] المحفوفة بالبلوى، حضرة ارتفاع الشكوى المنتجة للنجوى ﴿ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴾[النجم: ١٦] فيعدم البصير ويظهر الأعشى ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم: ١٧] ولو طغى لسفل، ولو زاغ ما ارتقى. فتحقق تلاوة هذه المشاهد، وحصّل هذه المنافع، من هذا الاسم الجامع.

ثم أقول بالتلاوة الإنسانية، الجسمانية والروحانية: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١] بالسر الإنساني، في الموقع الرباني، ليحصل معرفته، ويكمل مرتبته، ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾[النجم: ٢] يقول قد أصاب المطلوب، وظفر بالمحبوب، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾[النجم: ٣] لأنه مقدس عن التأليف والتركيب، والتدبير والترتيب، ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٤] من الله إلى الرب، كما تقول في شاهد الغيب، من السر إلى القلب ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[النجم: ٥] ترجمان الاستوا إليه المستوى. ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦] جبار قهار، مقتدر أقوى ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[النجم: ٧] فوق فلك الإشارات العلى ثم دنا من حضرة المنى فتدلى، حين تجلى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾[النجم: ٩] أو كحبل الوريد الأدنى، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾[النجم: ١٠] لما استقل بمنافعه، وهو قاعدٌ، وقام بأسبابه، وهو راقد: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ﴾[النجم: ١١] النكتة الجامعة الإلهية، ما رأى من الحقائق الإنسانية، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] ولا كون يُرى ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾[النجم: ١٤] حضرة ذات الانتها، ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾[النجم: ١٥] حين مقام السوى، ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾[النجم: ١٦] عند صلاة الظهر والعشا، ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[النجم: ١٧] لأنه في خط الاستوا.

جعلنا الله وإياكم ممن عرج به الى الملأ الأعلى وهيأه لقدومه الحضرات العلى، آمين بمنه.

في معرفة أسرار الركوع وما يختص به من التسبيح:

ركعنـــــا نريـــــد علـــــم بـــــرزخ ذاتنـــــا	وتجـــــري لنـــــا البحـــــرين، إنـــــك قـــــادرُ
فـــإن دخـــل البحـــر الفـــرات علـــى الـــذي	جعلـــــت أجاجـــــا فالمفضـــــل قـــــاهرُ
إذا عاينـــــت أبصـــــارنا ســـــر فضـــــله	تعبَّـــــدَنَا اســـــمٌ للمهـــــيمن فـــــاطرُ
فســـــبح بـــــالتعظيم والحمـــــد لفظنـــــا	وأنـــــت لمعنـــــاه الحكـــــيم المـــــؤازرُ

نزل الروح وقال هذا: قد تجلى العظيم في عظمته، لوجود كلمته، لما وقفت في برزخ الوقفة الذي هو واسطة العقد، والمقام الذي يلي اتحاد الفرد بالفرد، وسنبيّن ذلك لمن وجده، عند قوله: سمع الله لمن حمده كل من دون الموجود الأول المطلق، وفوق الموجود الآخر المقيد، فموجود برزخي محقق، وخذه حيث شئت، فإنك تجده كذلك. فإذا وقفت على هذه الحقيقة، فأنت لجميع مفاتيح الغيب مالك، فاعرف قدر مقامك، وإن كان بهيمياً، من حيث مقابلتك الأرفق فلا تجزع، فالمحقق من يركب طبقاً عن طبق، وعظم من تناجيه وتراً أو عشراً، ترتفع بذلك عنده قدراً، وليكن ذلك من حضرة التنزيه، التي هي على الحقيقة حضرة التنبيه، فإن المسبح هو المنزه لا المسبح، وهذا مفتاح قفل من قال من العارفين: سبحاني، فمن شاء فليفتح، فإنه سيلوح له الوجه الأغر الأصبح، فهذا من بعض أسرارِ الركوع، إذا صحبه شيء من الخشوع والخضوع. جعلنا الله وإياكم ممن اطمأن في ركوعه، وإن غلبه الوارد في خشوعه وخضوعه آمين.

في معرفة أسرار الرفع من الركوع وما يقال فيه:

قلـــــــت إذ صـــــــحت عزيمتنـــــــا	وأتـــــى عبـــــد بمـــــن عبـــــده
نائيـــــاً عـــــن وصـــــف موجـــده	ســـــمع الله لمـــــن حمـــــده
يـــــا مقامـــــاً مـــــا أرى بـــــدلاً	منـــه فـــي القلـــب لمـــن وجـــده
يـــــا ســـــناً لاح لأعيننـــــا	نَعِـــمَ الطـــرف الـــذي شـــهده

نزل الروح الأمين، قال: لما صحت العزائم، اتحدت الذوات في الكلمات، ولما ظهرت المعالم بانت عن القديم الصفات المحدثات، تجلى القائم على النفوس باكتساها، وفرح العالم باستنادها إليه وانتساها، فلما أثبت سمعه السميع، حمده العبد المطيع.

وقال رضي الله عنه:

إذا صـــــحت عزائمنـــــا اتحـــــدنا	وبِئنـــــا بالصـــــفات المحـــــدثات
عـــن الـــذات المقدســـة التـــي لـــم	تدنســـــها العيـــــون بالالتفـــــات
وقـــد قـــال الإلـــه علـــى لســـاني	ســـمعنا منـــك حمـــد الحامـــدات
وجاءتنـــا بـــه رســـل العـــوالي	علـــى مـــتن الســـواري الســـابحات

فنادى بربوبيته الإلهية لثبوتها، وصرح على لسان عبده بإجمال نعوتها، فإن التفصيل يقيده بحضرة ما، ولا يقع في ذلك إلا من هو عن الحقائق أعمى، فإن زاد على هذا الإجمال الإقرار بالمنع والعطاء، للمعطي والمانع، وأثبت الربح والخسران، والمضار والمنافع، للضار النافع، فقد استكمل قيامه، وثبت مقامه. جعلنا الله وإياكم ممن صح عزمه فاتحد، ثم بان له محال الاتحاد فتوحد.

في معرفة أسرار الهوى إلى السجود:

هويـــت مـــن القيـــام إلـــى الســـجود	هَـــوِيَّ الـــروح مـــن فلـــك البهـــاءِ
نزلـــت أريـــد مـــا تعطيـــه ذاتـــي	نـــزول الحـــق لـــي مـــن اســـتواءِ
فحقـــق يـــا أخـــي نظـــرا إلـــى مـــن	أتـــى فـــي الصـــورتين بـــلا افتـــراءِ
فـــإني عنـــدما يبـــدو كمـــالي	إلـــى قلبـــي أقـــول بـــلا امتـــراءِ
أنـــا رب الأســـافل والأعـــالي	وســـر العـــالمين علـــى الســـواءِ
فلـــي يـــوم العروبـــة والثلاثـــا	ولـــي يـــوم الخمـــيس والأربعـــاءِ
ولـــي الاثنـــين والســـبت المعلـــى	وللأحـــد المحكـــم فـــي ذكـــاءِ
فتـــدبير المعـــادن مـــن وجـــودي	كتـــدبير الكواكـــب فـــي الســـماءِ

نزل الروح وقال: نزل الحق الرباني إلى السماء الدنيا مساعدا لطالب الدرجة العليا. فقبل الحصول في سمائها، وبعد مفارقة استوائها، وهي حالة الشبر والذراع، والهرولة الواردة في الأخبار، مجملة غير مفصلة، وقصد العبد في أي حالة كان يفصلها، وعند ذلك يحصلها، فإن التجلي له صورة معقولة، ووجوه مجهولة، وفي مقابلتها منك صورة معلومة، ووجوه غير مرسومة، لكنها موسومة فالصورة التي تخرج إليها فيها، اطلب تجليه إليك فإن بمثلها منه تنزل الرقيقة الإلهية، في تجليها عليك فتحفظ من هذا المقام، ومن استحكام سلطان الأوهام.

واعلم أن في هويك علاك، كما أن في أرضك سماك، واعلم أنها حالة هوائية لطيفة، سريعة الذهاب خفيفة، كذلك تجليها سريع الزوال، وشيك الانتقال وهي شبيهة بالأحوال، ليس لها قدم

فتطلب برسوخها، ولا هي حضرة فتنبع من شموخها فهي حالة وردية سيالة كالدهان ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[الرحمن: ١٣].

جعلنا الله وإياكم ممن نزل من سدرته إلى دجنته، فعلم جزئيته من كليته. آمين.

في معرفة أسرار السجود وما يختص به من التسبيح والدعاء وقوله جل ثناؤه: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] وسبب عصمة الإنسان في سجوده من الشيطان:

تفطـــن لـــوتر فـــي الركـــوع محقـــق — وشـــفع ســـجود إن ذا لعجيـــبُ
لأنـــك فـــي حـــال الركـــوع مبعـــد — وأنـــت وحـــالات الســـجود قريـــبُ
وســـبح بتســـبيح العلـــو وحمـــده — فإنـــك للســـر العجيـــب مصـــيبُ

نزل الروح الأمين، وقال: حصل التجلي في ثلث ليلة في سمائه، وصرح فيما يليق بالوقت من أنبائه، وقد أمرك أن تنزل نزوله، وتتحقق فصوله، ودعاك إلى الاقتراب، الاسم القريب، فإنك المحب ليس الحبيب، ولهذا قال لك: واقترب، ولو كنت محبوباً لقال لك: تقترب، فإذا لاحت لك عبوديتك في سجودك، وصحت لك القربة من معبودك، وتحقَّقتَ كبرياءه فيها، وقلت عند ذلك نوفيها، غلطت وأصبت، وأحطتَ وخِبتَ.

فانظر في علوه، ونزاهته في سموه، وسبحه على مقدار ما ظهر كما شرع وأمر، يبدو لك في هذا الخضوع، ما بدا لك في الركوع، من إعادة التنزيه إليك، ورده عليك، واجتهد في الدعاء مع أن قبلته في السماء، وقبلتك في سجودك في الأرض محل الانحطاط والخفض، لا تجزع أيها الساجد فإنك لفخذ نقطة الدائرة المشاهد، وهي الغيب الحقيقي والإله الخالقي، فمكن كفيك من الترب، فإنك في محل القرب فتفطن لما رمزناه، وفك المعنى الذي ألغزناه.

واعلم أنك معصومٌ في سجودك من الشيطان، فإنه قهاره فليس له عليك سلطان، إذا عاين هذا الحال اشتغل بنفسه، واحترق في برج نحسه، وصار شاهداً لك عند ربك بالطاعة، ومشاهداً لما يؤول إليه من الخسران يوم قيام الساعة، ويكفيك هذا القدر في سجودك، فإنه حجابك في استمرار وجودك.

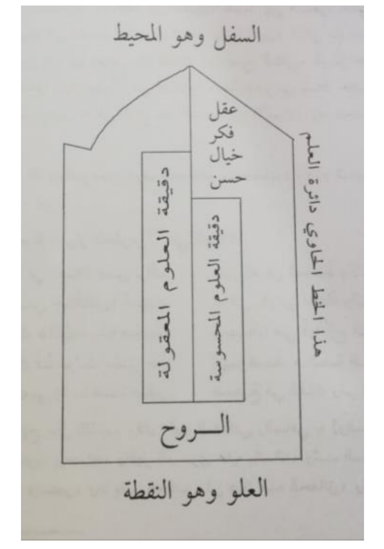
جعلنا الله وإياكم ممن سجد فوجد، وتهجد فتمجد بمنّه وكرمه، لا رب غيره، آمين.

في معرفة أسرار الرفع من السجود:

رفعنـــــا للتســـــتر والهدايـــــة — وجبـــر لانكســـار فـــي البدايـــه
وعافيـــة وعفـــو مـــن ذنـــوب — وتحصـــيل لمـــا فيـــه الكفايـــه
فـــإنْ جَهـــل الفقيـــه ســـبيل قـــولي — أقـــول لـــه كـــذا أتـــت الروايـــه
فـــإن حقيقـــة الكشـــف المجلـــي — بتحصـــيل التعمـــل للولايـــه
وتحصـــيل التكـــون عـــن وجـــودي — بجـــودي فـــي البدايـــة والنهايـــه
فـــذات الشـــخص جامعـــة المعـــاني — لهـــا ســـر الحقيقـــة والهدايـــه
وســـر الملقيـــات أمـــور ســـعدي — وســـر الغاويـــات مـــع الغوايـــه

نزل الروح على القلب، وقال: تنفَّس الصبح فرحل المتجلي عن سمائه إلى حضرة استوائه، فعاين احتراق الأفلاك، وقيام الأملاك، واهتزاز الملأ الأعلى، وما حصلت من الحسن والوضاءة المراتب العلا،

والحجَّاب بين يديه مصطفون، والروحانيات عليه ملتفون، وحجابه سبعة أعلام لهم قضايا في العالم وأحكام، يقدمهم الغفار، ثم الراحل، ثم الهادي، ثم الرزاق، ثم الجابر، ثم المعافي، ثم العفو، والله من ورائهم محيط.



فيا إمام عالم التخطيط، انظر في تصرفهم وقتاً في روحانيتك، ثم في جسمانيتك، إذا أرادوا إمضاء العمل الأكمل، ووقتا في جسمانيتك ثم في روحانيتك إذا أرادوا تحصيل العلم الأنزل، وهذا مثاله: (الشكل)

فهم يمشون بين يديه فوقع منهم التفات إلى عالم الكائنات، فقال لهم:

إلى من تلتفتون؟ وإلى من تنظرون؟ فيقولون طائفة من عبادك، رفعوا رؤوسهم من سجودهم إليك، وسألونا أن نهبهم ما هو خلقه موقوف عليك. فيقول: ادفعوا لهم ما سألوه مما جعلتكم خَزَنَة عليه، ومحبوسين لديه، فإن به يظهر سلطانكم، ويعلو شأنكم، وقد وكلتكم، وجميع الخَزَنَة على حفظ العالم، وكلاءته، وصونه وحمايته، والأمر فيه لمن سبق منكم، إن الوقت للسابق، ويتأخر اللاحق، ثم نظر بنفسه إلى السائلين وتطلع إلى الداعين الراغبين، فعندما أبصرته الأرواح المسجونة في أقفاصها، والواقفة في مناصها، بادرت إلى السجود الثاني لتجليه، ومرغت وجهها في التراب لتدليه، وأثبت بهذا السجود الثاني ما حصل له من الحقائق، حين كان في نقيض هذه الحالة من السبع المثاني، فأرسل عليهم خَزَنَة الأسماء، فأخذوا بنواصيهم من السماء، وأجلسوهم في بساط حضرة مضاهاة الاستواء، فهذا بعض ما في الرفع من السجود من الأسرار، وما يتجلى فيها من الأنوار.

جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحِجاب والحُجَّاب، ولازم الباب لتحصيل لُباب الألباب. آمين.

في معرفة أسرار الجلوس في الصلاة:

جلسنا في الصلاة عسى نراكم	**على العرش المحاط بالاستواءِ**
فخاطبني جلالك يا عُبَيدي	**أنا في الأرض عندك والسماءِ**
فما لك طالب عرشا محيطا	**بسيطا في ذرى أوج العلاءِ**
وقلبك قد نزلت بغير حد	**إليه عند خاتمة السواءِ**
فنعتك بي إذا ما كنت عندي	**صحيح في الفناء وفي البقاءِ**

نزل الروح على القلب، وقال: أيها المضاهي والمباهى به، [والمباهي] هذا العرش قد استوى برحمانه، وظهر المستوى عليه بإنسانه، وثبت الملك واستقر، ودام الانفعال واستمر، وما بقي حجاب على درك هذه الحقائق، وتحصيل هذه الرقائق، إلا حجاب واحد، وهو مزج هذا العالم المحسوس المشاهد، فإذا وقع الانفصال، وزال الاتصال، وجلبت صور البرازخ، وبان المقام الشامخ للعالم الراسخ، حينئذٍ تجلت الحقائق، وعوينت كيفية امتداد الرقائق، بالخلائق من الخلائق، وأدركت ما غاب عنك من الأسرار، في اعتمادك على اليسار وبان لك عموم نشأتك، لتنوع هيأتك.

جعلنا الله وإياكم ممن استوى به سريره، وأشرقت بالرؤية الإلهية أساريره.

في معرفة أسرار التشهد في الصلاة، إن شاء الله:

إنَّ السعادة سر في التحياتِ — الكائناتِ اللواتي في المناجاة
ثم الصلاة على المبعوث مرشدنا — ثم السلام علينا بالكنايات
ثم السلام على السادات أجمعهم — الكائنين هنا أو في السموات
ثم الشهادة بالتوحيد مطلقة — فرض علينا جميعا والرسالات
فانظر سرائرها تأتي على قدر — على القلوب بألطاف الإشارات

نزل الروح على القلب وقال: أنت قد دخلت حضرة الاستواء وتعاليت عن حكم الأرض والسماء، فحيي من ضاهيت، وسلم على من تولاك حين توليت، وزك وبارك، وطيب وأوجز في الخطاب، وقرب تَلُح لك أنفاس الأنوار، وتزكو أفعالك قبل إلقائها عصا التسيار، وتظهر البركة، في عموم الحركة، وسلّم على من أرشدك، وبه من أنت بين يديه أسعدك، مقراً بإثباته بحرف ندائه، ثم سلم تحية من عند الله مباركة طيبة على نفسك، وعلى أبناء جنسك، فإن السلام هنا مولاك، وحضرة السلام مجلاك، وأقر بوحدانية الأحد، وانفِ الشريك والولد، ولا بد لك أن تغيب هناك، فإن في غيبتك تحصيل مناك، واشهد للمبعوث بالخِلة والمحبة، فهي أعلى درجات القربة وأثبت له الرسالة العامة، الظاهرة لسيادته يوم الطامة، وأضفه إلى الله لا إلى غيره، فإن في ذلك جوامع خيره، فإذا تجلى القاضي والمفتي، على منبره ذي الخمس الدرجات فنادِه، يا عائذ أعذني، من هذا المفتي، مما يقابل هذه الدرجات من الدركات، فإن تجلى لك من في المنبر ذي السبع الدرجات، فردد الاستعاذة من المآثم والديون، فإن راءها أقبح ما يطلع على القلب من الريون. جعلنا الله وإياكم مما نجا من جحيم دركاته، حين لجأ إلى نعيم درجاته آمين.

في معرفة أسرار السلام:

سلام عليكم أهل بيتي ومَسكني — فقد جئتكم بالخير من عند مُسكني
سلام على اسم قد دعاني لحكمه — لسلطانه فارتاح سر ممكني
سلام اتصال وانفصال بمشهد — وعن مشهد أفناه عني تمكني
سلام عليه ثم منه سلامه — به لا بنفسي لو عرفت تلكني
سلام على ما لاح من حركاتنا — علينا فهل يوم يراني مُسكني

نزل الروح وقال: إذا أردت –أيها المصلي– أن يقبل كلامك، ويتلقى بالترحيب سلامك، فلا تدخل مصلاك، حتى تعرف من تولاك، وتتفرغ عن أهلك ودكانك، وعمادك وسلطانك، فإذا فرغت من الأكوان، فانصب ذاتك لمشاهدة الرحمن، وإلى ربك فارغب في الدوام، إن أردت أن تفوز بلذة السلام، واعلم أن المسلم من صلاته رجلان، لهما طريقان فإن كانا في شخص واحد فقد جمعت له الحقيقتان، فالعالي من سلم لكونه انفصل من أمر ما، إلى أمر ما، إلى اسم ما، عن اسم آخر، فيكون سلام توديع وإقبال، إما من جليل إلى جلال، أو من جميل إلى جمال، والدون من سلم على الرحمن، وعلى الأكوان، فسلامه على الرحمن لانفصاله، وسلامه على الأكوان لرجوعه إليهم واتصاله، ولهذا لا يسلم المصلي على يساره، إلا إذا جاوزه مثله، فيظهر فيه ظله، ومن خرج عن هاتين الحقيقتين لم يصح سلامه، ولا قبل كلامه، فإنه لم يكن عند الحق فينفصل عنه بسلام، و لم يغيب عن الأكوان فيسلم عليه

عند الإلمام، وهذه صلاة العوام بريئة من الكمال التمام، ليس لها انتظام ولا التمام. جعلنا الله وإياكم ممن سلم على اسم من اسم، وتحكم في حكم من حكم آمين.

في معرفة أسباب السهو والسجود له:

ولمـــا ســـهونا عـــن مناجـــاة ربنـــا	وثـــار علينـــا ثـــائر الغفـــلات
تـــثلم عـــرش القـــربِ منـــا فبـــادرت	محاجرنـــا تنصـــب بـــالعبرات
فشـــرع مولانـــا الســـجود لســـهونا	فحـــار اللعـــين الـــرجس بالحســـرات
وكـــان لـــذاك الكســـر بالفعـــل جـــابراً	إلهـــي وأخفـــاه عـــن الخطـــرات
فعـــاد صـــحيحاً محكـــم الفعـــل قائمـــاً	قـــوي المبـــاني دائـــم اللحظـــات

نزل الروح الأمين على القلب، وقال: إذا التفت المصلي في نفس صلاته، إلى غير من يناجيه ببعض حركاته، فقد ظهر زهوه، وثبت سهوه، فنظر إليه من ناجاه، فناداه: لم زلت عني، أتنظر إلى من هو خير مني؟ فيحن القلب، في عالم الغيب، وإن لم يشعر به المصلي، إلى ذَلك الخطاب من ذلك التجلي، فيسجد له إجلالاً وتعظيماً، فيلقى رؤوفاً رحيماً، فيجبر له التفاته، فتكمل صلاته، فيسمى هذا السجود إرغاماً للشيطان، ومرضاة للرحمن، ولهذا لم يجبر سهو الصلاة بغير السجود، لأنه يخزن المطرود، فافهم هذه إشارة فإنها بنية المتحد، عزية المشهد، وكل يسهو على قدره، فمصل على شمسه، ومصل على بدره، وتكفيك هذه المنحة الأفقية، المصلحة لهذه النية.

الباب السادس الاختصاصات والانفعالات

في اختصاص الإمام بيوم الأحد وما يظهر فيه من الانفعالات:

ســـلام علـــى اليـــوم الســـعيد المعظـــم	وســـلطان أيـــام الوجـــود المـــنظم
هـــو الأحـــد المختـــار أول موجـــد	بـــه البنيـــة العليـــاء دون التهـــدم
تســـمى بوصـــف الله مـــن دون غيـــره	مـــن أمثالـــه فاختصـــه بالتقـــدم
بـــه ســـرت الأرواح فـــي كـــل مســـلك	فيـــدعى لهـــا قطـــب النـــدي والتكـــرم
تصـــدى لـــه قلـــب الوجـــود بأفقـــه	فعلمـــه مـــن كـــل ســـر مكـــتم
فأحيـــا بـــه الأرواح فـــي ملكوتهـــا	وأحيـــا بـــه أهـــل اللظـــى والتجشـــم
ونـاطـــت بهـــا الأرواح منـــه فـــلا يـــرى	بمشـــهده أهـــل الأســـى والتنـــدم

خرجت أبقاكم الله ووقاكم، من روحانية اسم كريم من الأسماء، إلى اسم آخر ليصعد بي إلى السماء، فعندما تحررت عن هذه السدفة الترابية، لاحت لنا أعلام المشاهدة الغيبية، فركبنا الجادة، وسألنا المادة، واستعذنا من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وروعة الحذر، فقطعناها عَلَماً عَلماً، واتخذناها لمعراجنا سُلّماً، حتى وصلنا السماء المتوسطة، والحضرة العادلة المقسطة، سما النبي آي العلا والمهاة، وهما أسنى الآباء والأمهات، في إيجاد الحياة، فلما وصلنا هذه السماء المطلوبة، واستأذن لنا صاحب الحكمة المحبوبة، فأذن السيد فدخلنا، وقام لقدومنا وقعدنا، وقال: من أين جاء هذا الركب المحفوظ، المصان الملحوظ؟ فقلنا: من بلد الجسد الغريب، فقال: مرحباً بالزائرين من بلد الحبيب، ما أحسنها من مدينة حصينة، قامت أركانها على التربيع، وجعل سلطانها من العالم البديع، وهذا العالم على جنسين: رفيع ونازل، وهذا السلطان من الجنس الرفيع، وقامت بها الصفات الإلهية، فدعيت بالحي

العالم المريد القادر المتكلم البصير السميع، فأحكمت بتسع قوى مرضعة غاذية، ونامية، ومصورة، وناطقة، وعاقلة، وحافظة، ومفكرة، ومخيلة، ومحسة، فجاءت حسنةَ الترصيع، وأتقنت بقوة تجذب المنافع وقوة تمسكها، وقوة تهضم ما حصل في المعدة، خوفاً من المضار وقوة تدفعها، وشرح ترتيب هذه المدينة يطول، لكثرة ما فيها من الفصول، لكنها جمعت حقائق المحدثات، وبعض الحقائق الإلهيات، ما خلق الله خلقاً أشرف منها، ولا أحدث حكم عن أحدٍ مثل ما أحدث عنها، أوتيت جوامع الكلم، وأودعت فنون الحكم، يا طول شوقي إليها، ويا حسرتي عليها ما أشتهي قيام الساعة إلا لردّي إليها ونزولي عليها وهي مدينة لا يعرف قدرها، إلا من عرف سر القدر، ولهذا جهلتها أرباب الفكر، هي بوطيقي الحكمة وموسيقى النغمة، وبرزخ النور والظلمة، لا زالت آفاقها سافرة، وأطباقها دائرة، فخدم الجلساء والحجَّاب، وسجدوا لظل الحِجاب، ثم رفعوا وأصاخوا وأقنعوا وأعاد الكلام السيد الإمام، والنسَّابة العلَّام، وقال: عرفتم أن هذا المحل الأسنى، لا يجوز عليه التكليف، ولا يتحكم عليه لطيف ولا كثيف، أين المفصح عنَّا ببعض ما نحن عليه، والمترجم عنا ببعض ما قررناه لديه، فرفع لنا بيت من الذهب الأحمر، قد فتق بالمسك وجُمّر بالعنبر، ونصب فيه منبر من الياقوت الأحمر، وخرج الترجمان وعلى رأسه تاج من اللؤلؤ والجوهر، وقد حفت به أقاويل الملأ الأعلى، وروحانية السموات العلى وما بقي روحٌ إلا حضر ولا ملكٌ محجب إلا ظهر وسطع الشعاع وعمر القاع والبقاع وسرت الضياءات وأشرقت الأنوار وازدانت السموات وظهر سلطان الاستواءات وتعالى العلاء وقام البناء وخلص الولاء وتمكن الصفاء وعظم الإشراق، وتلألأت الآفاق، وتبحَّرت الجداول وأخذت مراتبها الأقاول، وصعد الخطيب المصقع منبره، وحمى أثره، وإذا به معتدل النشأة حسنُ الهيئة، وضَّاح الجبين أشم العرنين، سبط البنان، ذرب اللسان من أهل أُرين، وداره بعِلّيين في أحسن تقويم، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، مستدير الوجه الأغر، كأنما فُقِيء حبّ الرمان في خدّه فاحمرَّ، فسلم ولم يشر ببنانه، وضرب بلسانه أَرْنَبَةَ أنفه، وأداره في شدقه ثم شرع في بيانه فقال: الحمد لله الذي كان ولا شيء معه، وهو على ما عليه كان، ثم أبدع العالم واخترعه ولم يرجع إليه أثر من خلقه الكيان، أوجد ما علم من ذاته لا من شيء، وأخرجها من غير شيء كانت فيه ولا خِبْء، وكان موصوفاً بالوجود قبل كل موجود، ولا قبل إلا من حيث العبارة، ولا كان إلا من حيث الإشارة، والمنهج القويم، في معرفة ارتباط المحدث بالقديم، فليس بينهما بينيةٌ ولا قبليةٌ، إذ القبل مخلوق إضافي، وامتدادٌ زمانيٌّ الحياة، فسرت منه في زوايا وجود الكون، وتخلَّلت مسالك كل عين، وقام ميزان العدل، في قُبَّةِ الفضل، وزالت البغضاء وارتفعت الشحناء وظهر سلطانه في القلوب، باختصاصات الغيوب، لا زال مجده سنياً، ومكانه علياً، ثم نزلتُ فقلتُ: يا أبا العلا لم اختصصت بالقلب؟ فقال: لكونه الحضرة التي وسعت جلال الرب الموضوعة على صورة القلب، قلت: فَلِمَ اختص القوي بها سر المهاة؟ فقال: لكونه معدن الحياة، وسيبدو لك في روحانية كل سماء، ما يقابله منك من القوى والأعضاء، فقلت له: أريد أن توقفني مشاهدة عَين، على تأثيراتك في قلوب العارفين، والعلماء، والمريدين، من عالم الكون، وما تعطيه أفلاكك، وما تهبه أملاكك، فأشار إلى بعض جلسائه، وأكرم خدمائه، وقال اخترق به الدور المربع، وأشرف به على الكون المسبع، فإذا حصل مفاتيح الخزائن، وموازين المعارف، رده إليَّ، وأحضره بين يدي، فاخترق بي تسعين فلكاً، فرأيت مع كل فلك ملكاً، يرجع أمر هؤلاء الأملاك إلى ثلاثة أملاك: الملك الواحد موكل

بالتحليل، والملك الآخر موكل بالموت، والملك الآخر موكل بالأنفاس، ومدة تدبيرهم في العالم، ثلاثة وثلاثون ألف سنة، وتدبيراهم شريفة حسنة، بين أيديهم سبعة أملاك على صورة المردان، كأنهم قضبان خيزران، لهم انثناء وانعطاف، وبركات وألطاف لا نبات بعوارضهم، ولا تأخر عندهم في أداء فرائضهم، ولو حققتم مراتب الموجودات، لاستحال عندكم وجود الأزمان والتقدم بالمكان، وقضيتم فيها الإحالة بعد الإمكان، فمن ثبت قدمه، واستحال عليه إطلاق صيغ الأزمان، والإشارة بصيغ المكان، إلا من طريق المجاز، على الجواز، لما في عالم العبارة من العجز والقصور، في ذلك المقام من العلو والإعزاز، فتطلقها عليه العقول المعقولة بأفكارها، لتجوز منها إلى إدراك المعاني المقدسية الموصولة في فطرها المؤسسة، ولولا الإمداد لهذه العقول المتعطشة لمعرفة باريها الحائرة، لما احتجنا إلى استعمال هذه العبارات القاصرة، وله الصفات العلى، والأسماء الحسنى، والنبأ الأسنى، وحجاب العزة الأحمى تجلى اسمه الحي فَحيَيَت الموجودات، والقيوم فقامت به الأرض والسموات، ومن فيهن من عوالم البقاء والاستحالات، فعنت لحياته الوجوه، وسجدت لقيومته الجباه، وأقنعت لعظمته الرؤوس، وتحركت بذكره الشفاه، وحبا سيدنا هذا بفنون المعارف والأسرار، ومنحه جزيل المعارف في مطالع الأنوار، فأداره مع الأفلاك، وأسرى به مع الأملاك، فوقف على الآثار الفلكية، وتحقق بأسرار اللطائف الملكية، وخاطب كل روحانية بلغتها فعرّفته بمكان حكمتها، فلما حل في أوج العلا، نزل في خط الاستوا خوفاً أن ينحرف إلى أحد الميلين فتذهب بعض معارفه، وتستحيل إلى الكثافة بعض لطائفه، وعلم ما يكون في طَمْوِ البحور، فأودع الحكم في الصخور، ثم عاد إلى مرقاه الأوسط، وحلَّ منه في الوسط، وهو مقامكم الذي أنتم به قاطنون، وعنه عند انقضاء كلامنا راحلون، ثم لما وصل محفوظ الجوانب، ملحوظ المآرب، نكح المهاة، وأمرها، أعراضهم طيبة الروائح، بأيديهم الطوالع والمفاتح، قد شمروا أذيالهم، وقصروا أردانهم، وثبتوا مكانهم، علّامون بما يراد منهم، محكمون لما يصدر عنهم، منهم خمسة لهم حركة واحدة، واثنان لهما حركتان، واثنان منهم بين يدي مَلك التحليل، واثنان بين يدي مَلك الأنفاس، وواحد منهم بين يدي مَلك الموت، ما عندهم علم بغير ما هو سلطانهم عليه.

وأما الاثنان فالواحد منهم له علمُ التحليل والموت، والثاني له علم الأنفاس والموت فلِمَلك الموت تصريفهما معاً، ولِملك التحليل تصريف الواحد منهما، ولملك الأنفاس تصريف الآخر، وهم على درجاتٍ معتدلةٍ متساوية في العدد والقوة، وأحكام الفعل، غير أن الاثنين أعلم من الخمسة لتحصيلهم العالمين.

في اختصاص المأموم بيوم الاثنين وما يظهر فيه من سر الانفعالات:

سلام الله يا أبت الأثير ... عليك الطيب الزاكي الخطيرُ
لك العلياء والفلك المعلى ... لك السجين والفلك الأسيرُ
وزيرك مثل ذاتك لا يجارى ... سريع العَدْو كرار يدورُ
له المحقق المعلى إذ تعالى ... وإبدار إذا يدنو كبيرُ
له الوصفان والاثنين ملكاً ... كما لأبي ذكا والزمهريرُ
يفيض على العوالم ما لديه ... كريما مثل رتبتنا يفورُ
فينمو حين ينمو كل شيء ... ويبخل حين يبخل أو يبورُ
هو المحيا إذا يدنو إلينا ... وإذ يعلو هو الموت المبيرُ

تولـــع بـــالفراق وبـــالتلاقي ... هـــو الوثـــاب والكـــابي العثـــورُ
يقـــوم بذاتـــه محقـــان علمـــا ... وإبـــداران مـــدركها عســـيرُ
إذا يـــدنو فإبـــدار ومحـــق ... وإن يعلـــو كـــذلك يـــا خبيـــرُ
ومـــا ينفـــك عـــن محـــق محـــيط ... وإبـــدار وإظـــلام ونـــورُ
مـــع الأحيـــان والأنفـــاس فيـــه ... تعـــالى الواحـــد الـــرب القـــديرُ

ولما دعتنا دواعي الاشتياق، إلى الكشف على ما أودع الله من الأسرار في هذه الطباق، رحلنا نريد حضرة الميثاق، وهي حضرة أب الآباء، وعنصر أجسام الأولياء والأعداء، أول بوطيقي تكون إكسيرها، فصار فضة بيضاء، قزديرها، الجامعة للقبضتين، والحاكمة للحكمتين، واندفعنا من قلب الأفلاك، وقد حفت بركابنا أقاويل الأملاك فما بقيت حقيقة مررنا بها في طريقنا إلا تجلت بأحسن زي وقامت وخدمت، ولا روحانية إلا سألت النزول عليها، واحترمت وأكرمت، فأخبرتهم أن الحاجة الآن في رؤية الوالد، والغرض في مشاهدة الإنسان الواحد، فإذا انقضت المآرب، وتميزت المذاهب، وسالت المذانب، وافترقت العواقب، واتحد الأول بالعاقب، وبانت المطالب، وتحصلت الرغائب، وعقلت تفاصيل المواهب مع الإقرار بوحدانية الواهب، والتحقت بالعدم والوجود الأكاذب، أسرعنا إن شاء الله إليكم الكرة، ونزلنا عليكم عند ابتداء الدورة، فاستعدوا لحلولنا، وتأهبوا لنزولنا.

ثم أخذنا نقطع دروب الدائرات وقلوب الروحانيات، إلى أن نزلنا بفناء الوالد، والإنسان الواحد الموصوف بالناجي والهالك، والمعروف بالباكي والضاحك، فأرسلت إليه رسول الهمة، ينهى إليه إلمامي بحضرته، في القيام بمسرته وأدخلني عليه، وأحضرني بين يديه، فقبلت يمين بساط مقامه، وسجدت تعظيماً لمعالي أعلامه، وإذا به في بيت من اللجين من أحسن ما نظرت إليه عين، قد فتح فيه خوختين، الواحدة عن يمينه ينظر منها إلى عليين، والأخرى عن شماله ينظر منها إلى سجين، بواب الخوخة اليمينية ببغاء مستندة إلى الباب، وبواب الخوخة الشمالية عقاب، وعلى رأس الوالد تاج من الياقوت الأبيض، كأنه البرق إذا أومض، وعليه حلة دمشقية، وأمامه مجامير كافورية، تبرق من أسارير وجهه ظهيرية، في المجامير بخور المصطكى واللوبان، وبين يديه أطباق الياسمين والسوسن، والجرجير والأقحوان، فإذا شم الأقحوان تبسم، وإذا استنشق الجرجير اهتم، فلا يزال باكياً ضاحكاً، مملوكاً مالكاً، والإنسان الواحد بين يديه قائم يبث إليه ما عنده من معالم العوالم، فقال لي: مرحبا بالابن السعيد، والطالب المستفيد، يا أيها الابن: ما الذي أوصلك إلينا، وما السبب الذي أنزلك علينا؟ فخدمت بساطه، واستغنمت انبساطه، وقلت أدام الله أيام الوالد المعظم المقدم، وعدل قسطاسه، وأبرم أمراسه، وحرس أنفاسه، لما عرف العبد أنك صاحب العلمين والصورتين، وحامل سر الآيتين، أراد أن يقف عليهما منك مواجهة، وأن يسمعها منك مشافهة، فقال: همة شريفة وداعية سلطانية منيفة، ثم دعا بترجمانه، وصاحب لسانه، وقال: اصعد على منبر الاستوائية، واذكر بعض ما عندنا، وعند حاجبنا من سرائر علوم الكونين والصورتين، فصعد الخطيب وتكلم، وقال بعد أن بسمل وصلى ثم سلم: الحمد لله الذي جمع لآدم عبده وخليفته ورسوله بين يديه، وحباه بصورتيه ومنحه سورتيه، وأودعه سريرتيه، وحصل فيه قبضتيه، هداه نجديه، وأنجب له سبيليه، وخاطبه بكلمتيه، وأمره على ملأيه، واستخلفه على كونيه، واصطفاه برسالتيه، واختصه بخلافتيه وكرمه بمشاهدتيه، وخصه بجنتيه، ووهبه معرفتيه، وأنزله بين علميه، وأشهده مركزه وقاب قوسيه، وأسكنه في البرزخ بين كتابيه، لإظهار صفتيه، فقام عظيم الشأن، سلطاناً على

الأعيان، واستوزر له الزبرقان، الذي هو نظير الرئة في الأبدان، فيعلو وينمو فيفضل ويدنو، فيبخل ويذبل، فوزيره مثله على صورته وسورته، له وجهان وطريقان وسران وتجليان ومحقان، وإبداران ومحق وإبدار في كل أوان عند العالمين بما في الصنعة العلوية من الإحكام والترتيب، والاتقان، واعتدال الأوزان، وله محق واحد، وإبدار واحد، عند العامة، فله الضدان وسرعة التأثير في الأكوان، وهو شبيه بالإنسان، من جميع الوجوه القباح والحسان، وله التقابلان، وإليه ينظر الثقلان، وفيه كسران وبدايتان، وغايتان، ونقصانان، وكمالان، وسران، وأمران، وتأثيران، وحكمان، وله يدان، ورجلان، وعينان، وأذنان، وثديان، وعلوان، وسفلان، ويمينان، وشمالان، وفوقان، وتحتان، وخلفان، وأمامان، ومخاطبتان، وقلبان، ولسانان، ومغربان، ومشرقان ومعدتان وأثران، وعرشان، وكرسيان، وروحانيان، وتبييضان، وتحميران، وتسويدان، وتكليسان، وحياتان وموتان، واعتدالان، وانحرافان وعقدتان، وفيه من كل شيء اثنان، فسبحان من فطره وفطر الخليفة آدم على هذا الإتقان، إنه ولي الامتنان. والصلاة على الحقيقة المحمدية، صاحب الإمامة المطلقة، والخلافة المحققة، ما اتصلت الأرواح بالأرواح، والأبدان بالأبدان.

ثم نزل وتكلم الأب فقال: اعلم يا بني شرح الله صدرك، ورفع في ذروة التوحيد قدرك، أن الله تعالى لما كنى على الحقيقتين، وأبان عنهما بالقبضتين، في الموطنين، وأنبأ عنهما في عالم العبارات بالحرفين، وجعلهما على السواء في الفطرتين، والنعيمين، والعذابين، والطاعتين، والمعصيتين، باعتدال الكفتين وجعل الآخرة ذات دارين، لتحيط بالعالمين، وفيها يقع الميز بين الفريقين كما وقع في أوان القبضتين، قبل أخذ الميثاقين، وجعل الدنيا ذات برزخين، فأظهر الكافر في صورة المؤمن، والمؤمن في صورة الكافر، لذي عينين، وجعلهما محل تمحيص وبلوى الطائفتين فوجه إليهم على لسان واحد منهم حكمين، فأمر ونهى، لتميز الكلمتين، فمن وَحَّدَ حُبِيَ بنار وجنتين، ومن أشرك جُوزِيَ بجنة ونارين، واعلم يا بني أن الله خلق الإنسان بين ستة أعلام: الفوق، والتحت، واليمين والشمال، والخلف والأمام، فالفوق والتحت، اختص بهما رب العزة من طريق المثل والمثال، والحقيقة والخيال، فالفوق للرؤية والتحت للحجاب، فكانت الجنة ثمانية أبواب للرؤية الإلهية، وكانت النار سبعة أبواب للحجب النفسانية، ولو كان الحجاب باباً مغلقاً لفتحَ يوماً ما، وانقلبت الحقائق، واستوى البصير والأعمى.

وأما بقية الأعلام، اليمين، والشمال، والخلف، والأمام، فهي مرتَّبة على مراتب الجنة والنار، ومنها يأتي الملك بالطاعة المحلة دار القرار، وإبليس بالمعصية الموصلة إلى دار البوار، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧]، أخبر بذلك عن إبليس، وفي مقابلته ملك التقديس، وهذه قسمة مدينة الإنسان وهو مخاطب من ثلاث جهات: روح ونفس وجثمان، في كل علم من هذه الأعلام الأربعة.

ولهذا كانت مدينة مربعة، وللشيطان في كل علم سبعة مَرَدة، وللملك في كل علم سبعة وزعة، ملكان للروح، ومريدان، وملكان للجسم ومريدان، وملك للنفس ومريد، وملك واحد سادس بين الروح والنفس، ويقابله مريد عَنيد، وملك سابع بين النفس والجسم، ويقابله مريد عنيد. وهكذا في كل علم من الأعلام مَرَدَةٌ للوسواس، وملائكة للإلهام، فمتى أتى الملك بلمته وهمته، أتى إبليس بلمته وعزمته، ومن ارتقى عن الملك والشيطان، بدت لعينيه إصبعا الرحمن، ولما كانت أعلام الإنسان أربعة، والجنة أربعة، والناس أربعة، كانت ملائكة المنازل في الكثيب والحجاب أربعة، فالمنزل الواحد في

الكثيب والحجاب منابر، والمنزل الثاني أَسِرَّة، والمنزل الثالث كراسي، والمنزل الرابع مراتب، وقد يدخلها كسر، كما دخلها في الأعمال وفي عدم تتميم الأحوال، قال ﷺ: "يقبل من الصلاة عشرها تسعها ثمنها هكذا إلى نصفها". فقد جاء بالعدد المكسور، مع كونها حضرة النور، فإذا رأيت في هذه المراتب كسراً، فهو على هذا الحد، لنقص كان في أداء العهد، ولقد نبه عليه الصلاة والسلام، في قتل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة، وعبدِ الله بن رواحة، على ما ذكرناه فأخبر أن في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن أَسِرَّة أصحابه وكذا شهدناه، فإن عبد الله بن رواحة، توقف قليلاً في غزاته عن القتال كما رويناه ولما كان المصطفون ثلاثة: الروح والنفس والجسم، في حق الموحدين وكان المبعدون ثلاثة الروح والنفس والجسم، في حق المشركين، فافهم ما قررناه لديك، وأبرزناه إليك. فالروح خليفة والنفس وزيره، والجسم مبلغ يتشرف به سريره، ولكل واحد من هذه الثلاثة، منبر وسرير وكرسي ومرتبة من شكله، وعلى مثله، وقال عليه الصلاة والسلام، في سر التثليث: "لن تهلك أمة أنا أولها، وعيسى آخرها، والمهدي وسطها". فانحفظ الطرفان والوسط، وانضم الملك وارتبط، فأتى بالثلاثة على حكم النشأة، وتقابل الهيئة، فارفع رأسك وانظر إلى الصور، الذي هو قرن من نور، وانظر إلى اتساعه في عليين وما أعطى الله فيه من الدرجات لأصحاب اليمين، وانظر أيضاً إلى ضيقه في سجين، في أسفل سافلين، وما أودع الله فيه من الدركات للمحجوبين، فنظرت فرأيت الأمر على ما قاله، وأن كل إنسان لا بد له من أحد الدارين لا محالة، وهذا صورة ما رأيت على التقريب.

شرح ما في الدائرة من الرمز:

فهذا ما قيل لي في حضرة التمثيل. وقد تمثل في وقت آخر في صورة أخرى، كما مثلت النار لابن قسي في صورة حية، ومثلت لابن برجان في صورة جاموس، ومثلت لنا في صورة دار له طبقات، علواً وسفلاً فلنقل في بيان ما مثل في هذه الدائرة:

إن الدائرة العليا صورة الكثيب الذي يجتمع الناس عليه لرؤية الحق وهو في جنة عدن والناس على أربع مراتب: ربع منه تنصب لهم فيه منابر، وهي الرسل والورثة من الأئمة المهديين وهم فيها بين كامل، وهو جامع المقامات والصفات وأهل جلال، وأهل جمال، وما ثم طبقة رابعة في كل مرتبة، وفي مقابلتهم في النار في منزل الحجاب، منها خاصة وهو منزل فيها، يقابل الكثيب من الجنة وهي للأئمة المضلين الذين شرعوا ما لم يأذن به الله، وقالوا لأتباعهم: هذا من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

والمرتبة الثانية تنصب لهم أسرة. وهم الأنبياء الذين هم على شرع من ربهم في أنفسهم، بما أرسلوا، وما جرى مجراهم ممن له إخبار إلهي من نبي ما هو على شرعة خاصة، وحالهم كحال الرسل: أعني ثلاثة أقسام: كامل، وذو جلال، وذو جمال. وفي مقابلته من النار الدجاجلة، وأصحاب الخيالات الفاسدة، الذين ضلوا في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والمرتبة الثالثة: أصحاب الكرسي، وهي للأولياء الصالحين، الذين تولاهم الله، فالله وليهم. وهم أولياؤه، وهم فيها على ثلاثة أقسام: كامل وذو جلال وذو جمال، ويقابلهم في النار أهل الكراسي وهم أولياء الشيطان، ووليهم الطاغوت.

والمرتبة الرابعة: أهل مراتب، وهم المؤمنون بالله وما جاء من عند الله، وهم أيضاً على ثلاثة أقسام: كامل وذو جلال، وذو جمال. ويقابلهم في النار أهل مراتب، وهم المؤمنون بالباطل. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[العنكبوت: ٥٢]، وإنما سميناهم محجوبين عما يراه أهل السعادة من الله، وأما هؤلاء فيرون ما اعتقدوا، وهم المتولي تعذيبهم فيودون أنهم لم يروه، لما يعيبهم منه، وأما الشجرة فلها فروع لأهل الجنان عالية، ولها فروع لأهل النار مستقلة، هي التي تسمى في الشجرة عروق وأصول، ففروعها العالية لأهل الجنان تسمى السدرة، وعروقها في أصل النار تسمى شجرة الزقوم، فيها المرارة في الطعم، على قدر ما في ثمرها من الحلاوة في الطعم، لأهل السعادة ويقوم في كل مرتبة خطيب من أفضلهم، وهو الكامل من هؤلاء ومن هؤلاء فيخطب بهم ويذكرهم بما يذكره في الخطب بعد هذا يقام خطيب في السعداء، وخطيب في الأشقياء، ويجتمعون حوله فإذا فرغ الخطيب السعيد من خطبته، شكرهم وشكروه، ودعا لهم ودعوا له، فإذا فرغ خطيب الأشقياء من خطبته لعنهم ولعنوه، ودعا عليهم ودعوا عليه، فيكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، ومأواهم النار، وما لهم من ناصرين. وذلك في الوقت الذي يكون فيه السعداء في الجنة بهذه الحالة، يكون الأشقياء في جهنم بهذه الحالة ومنزلهم جهنم خاصة فإن غاية القرب الكثيب، وغاية البعد جهنم.

واعلم أن السعداء في كل مرتبة درجات، وللأشقياء دركات، فلأهل المنابر إحدى وعشرون ومائتان وثلاث آلاف ولأهل الأسرة تسع وتسعون وثلاث آلاف ولأهل الكراسي ثمان وسبعمائة وألفان، ولأهل المراتب سبع وأربعون ومائة وأربع آلاف.

واعلم أنه إذا تميز فريق في الجنة، دار الثواب والنعمة، وفريق في السعير دار العذاب والنقمة، أذن الرحمن لأئمة السعداء أن يقوموا خطباء. في أتباعهم وأذن الجبار لأئمة الشقاء أن يقوموا خطباء في أتباعهم.

خطيب السعداء: صعد الخطيب الناطق المنبر، وقام بين يديه خدماؤه الكرام البررة، وقال: الحمد لله من غير تقييدٍ بنعت، كما قيده سادات أهل الوقت، المقدس الحميد، ذي العرش المجيد، الذي تردَّى برداءِ الكبرياء والعز، وأودع معرفته في القصور والعجز، جاعِلِ الملائكة رسلاً، ومُعرّف العقول إليه سبلاً، نصب المنابر وأقعدَ عليها إرساله، وأشهدهم جماله وجلاله، وأنطقهم بأوضح ما تكلم به أو قاله، تعالى في ذاته عن إدراك المدركين، وتسامى في قدسه، أن تحيط به غايات السالكين، حارت الأسرار في مشاهدة عظمته، وعبدت الظلم أنوار كلمته، واحتجبت بسبحات عزة أحديته، في أزليته وأبديته نزل في علوه، وعلا في نزوله، وفصَّل في إجماله، وأجمل في تفصيله، اصطفاكم أيها الحاضرون بالنعمة والرؤية، وأوصلكم إلى منازل القربة والبغية، وأحلكم الجوار الأحمى وحمى سلطانه بغير العمى، فأنعموا بالمعارف الصمدية، وجولوا في ميادين الحقائق المحمدية، وامتطوا متون العتاق الدُّرية، وانفسحوا في فسحات التوحيد، وترأسوا بخصائص المشاهدة على كل موجود، فطوبى لكم وحسن مآب، وهنيئاً لكم بما طعمتموه، من لُباب معارف الألباب، غضضتم الأبصار للموافقة والمساعدة، فقرَّت أعينكم بالمعاينة في المشاهدة، لم أزل في دنياكم أرغّبكم في هذه المشاهدة المقدسة، وأشوّقكم إلى هذه المناصب المؤسسة، وأحرضكم على تحصيل المقام المحمدي، والتجلي الأحدي، فيقولون: صدقت جزاك الله عنا خير ما جازى به مرشد حق، وأقعدك عنده مقعد صدق.

خطيب الأشقياء: صعد الخليفة الناطق منكوس الرأس، وقام خدماؤه بين يديه أهل الريب واللبس. وقال: الحمد لله الذي لا أحكم عليه بوصف ولا أقيده بنعت فأي موطن وقف احتجب عن أبصار المعطلين وأهل الإصرار والذين أشركوا من الآدميين والذين تملكوا فسألهم في ذلك الرسول الأخفى فقالوا: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[الزمر: ٣]، فأهلكتهم عادهم و لم تنفعهم عبادهم و لم تُغنِ عنهم من الله شيئاً، آلهتهم، وتبرَّأ منهم عند اضطرارهم أئمتهم و لم تنفع البراءة أولئك الأئمة وضوعف لهم العذاب خلف حجاب الظلمة فكانوا هم وأتباعهم عن سعادهم بمعزل، وأنزل من هذه الدار التي أنتم فيها ماكثون بشر منزل.

أيها الحاضرون والجماعة السوء الخاسرون هذا مقام الأسف الذي لا ينجي حين لم يساعد الجد وهذا موطن الاعتراف الذي لا يرد حين لم ينفع الجحد. أنا شر متبوع وأنتم شر أتباع وأنا أخسر متشيع فيه وأنتم أخسر أشياع أوردتكم المهالك وأحللتم بساحة مالك أخذت بنواصيكم إلى معاصيكم وأنزلتكم إلى الشرك من معاقل فطركم وصياصيكم فزورت لكم الأقاويل المزخرفة وأوضحت لكم المناهج المتلفة ونصبتُ لصيد عقولكم حبائل الجهالة والخداع فوقعتم فيها شر وقوع لا يرام منه انفكاك ولا يستطاع وقلت لكم لو كان ثَمَّ إله، لحمى سبله، وعصم من أيدي أعدائه رسله وجعلت عندكم فيمن تخلص منهم إنما تخلص بفراره وعدم قراره وباتباعه الأراذل وأشياعه الأسافل وألحقت بالمعجزات بالسحر والخيالات وقلت: إنما جعلها كما فعلتُ أنا لصيد العقول القاصرة خيالات فركبت بكم جادة الكفر والضلالات وخضتُ بكم لُجج الغمرات وأنزلتكم منازل الحسرات ونصصت لكم أن في الأخذِ بما دللتكم عليه سبيل نجاتكم وتحصيل درجاتكم وارتقاء عقولكم عن حضيض حِسها ومعراج أرواحكم عن خسائس نفسها وعطفتُ على بعضكم بأنه مأثم إلا هذا الدولاب الدائر وهذه التكوينات عن هذه العناصر ولا يزال هذا الدولاب راجعاً وسائراً وإنه المعبر عنه بالإله وما شاهدنا فاعلاً فيما يثبته سواه وإن التناسخ صحيح والقائل بغير هذا يخبط في مهامه من الجهالة قبيح وكذبت بيوم الدين فحرمت شفاعة الشافعين وقلت بإحالة حشر الأجساد، لكون الآخرة ليست بدار كون ولا فساد وأن النبوة سياسة حكمية ليست لها أصول أصلية وأن الميزان عبارة عن إقامة العدل في ذاتكم وأن الصراط عبارة عن أخذكم في تطهير خلقكم وصفاتكم وأن الحوض في الحكم عبارة عن العلم وكون آنيته عدد النجوم إشارة إلى فنون العلوم وجعلتها عندكم رموز فلسفية وإشارات تمويهية ليس وراءها غير ما ذكرناه ولا يوجد فيها سوى ما قررناه وسخرت بالشريعة وتابعت سلطان الطبيعة كذبت الرسل وأعميت السبل فيا سوء مذهبي ويا شؤم من اغتر بي ويا شر منقلبي فيقولون لعنك الله من مضل كذلك فعلت جازاك الله عنا ما جازى به ملحداً وجعل لك في أسوأ المنازل مقعدا فيلعن بعضهم بعضا ومأواهم النار وما لهم من ناصرين.

أهل الأسرة: خطيب السعداء استوى الخطيب الناطق على سريره باسميه، وقام وزراؤه الأدباء بين يديه، وقال: الحمد لله الذي استوى على العرش، اسمه الرحمن، عند استواء الألوهية على عرش الإنسان، فقال: "ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني القلب الموصوف بالإيمان، فأقام علم البيان مقام العيان حتى عجزت عن درك هذا الضرب من العلم حقائق الكيان، أفاض على الأكوان عامة أنوار رحمانيته وحكم فيها أسماء ربانيته، ونظم اثني عشر نقيبا في سلكه وأقامهم سايسين في ملكه وجعل

لكل نقيب أمدا ينتهي إليه حكمه وحدًّاً يقف عنده علمه وجعلهم على أربعة مذاهب لاتحاد الرسالة والنبوة والولاية والإيمان بالمنابر والأسرة والكراسي والمراتب. فمنهم من وصلت مادته إلى الفلك الأثير واستقرت فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات النارية واستمرت ومدهم أربعة وعشرون ألف سنة ومنهم من وصلت مادته إلى ذلك الهوى ولبثت. فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات الهوائية وثبتت. ومدهم ثمانية عشر ألف سنة ومنهم من بلغت مادته إلى فلك الماء وسكنت فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات المائية وتمكنت ومدهم خمسة عشر ألف سنة ومنهم من بلغت مادته الأرض فتكون الإنسان والمعادن والحيوانات والنباتات الترابية ومدهم واحد وعشرون ألف سنة، وقال الله تعالى يخاطب هؤلاء النقباء والسادات النجباء الذين اختصهم بالاستواء المعبود والظل الممدود: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المائدة: ١٢]، فأقاموا صلاهم فضاعف صِلاهم وأدّوا زكاهم فقدس ذواهم وآمنوا بالرسل فأوضح لهم السبل وعزروهم فعُزّزُوا وأقرضوا الله قرضاً حسناً فوفَّاهم سراً وعلنا من كونه محسنا فلما استوى على سرير ملكه فأثر وكان الإمام المكبر نظرت العقول في آياته وما أودع الرحمن من التكوينات في حركاته وأنتم أيها الحاضرون المصطفون الأخيار المقربون والمجتبون الأبرار أتذكرون إذا أبنت لكم في الدار الدنيا عن استواء الرحمن أنه ليس كاستواء الأكوان وأنه لو جلس عليه جلوسا كما يدعيه المشبهة لحده المقدار وقام به الافتقار إلى مخصص مختار لا تحيط به الجهات والأقطار والافتقار على الله محال ولا سبيل إلى هذا فالاستقرار بمعنى الجلوس عليه محال ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال وما بقي لكم فيه سوى أمرين مربوطين بحقيقتين الأمر الواحد أن نصرف لفظ هذا الاستواء إلى الاستيلاء والأمر الآخر: أن نؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تكييف ونصرف العلم بها إليه فإنه أسلم بالمؤمنين عند قدومهم عليه ولهذا يختم المنزه تأويله بقوله: "والله أعلم" لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته ولكن صرف هذه الآية إلى هذا الحكم خاصة لا يلزم. وعرفتكم أن أسماء الله لها حقائق ورقائق وأن بامتداد تلك الرقائق المعنوية المنزهة الأقدسية، يظهر فيكم سلطانها ويضلكم ويهديكم إغماضها وتبيانها وقلت لكم: تحفظوا من مكر الله في التأويل واستدراجه واسألوه الثبوت والاستقامة على منهاجه، وطهروا قلوبكم بماء التقديس والتنزيه من التجسيم والتشبيه، فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] ويستوي ويجيء وينزل وهو في السماء وفي الأرض كما قاله وعلى المعنى الذي أراده من غير تشبيه ولا تكييف وهو العليم القدير. على هذا دللتكم وإليه دعوتكم فأوصلكم استعمالكم ذلك إلى ما أنتم فيه الآن من النعيم المقيم في دار القرار واختصكم بلذة الجوار فانعموا بخير جار في خير دار فيقولون: صدقت الحمد لله الذي صدقنا وعده ورضي الله عنك رضاء لا سخط بعده وجازاك عنا أفضل ما جازى به ناصحاً وجعلك لكل باب مقفل من التجليات الإلهية فاتحاً.

خطيب الأشقياء: استوى الخطيب الناطق على سريره ذليل النفس وقام وزراؤه بين يديه في أضيق حبس وقال: الحمد لله المنزه في علوه المقدس في سموه الذي لا يحده مكان ولا يحويه زمان ولا يقيده آن، ولا تختلف عليه الحالات ولا يتعذر عليه حل الأمور المشكلات تنزه عن الحد المقدار واتصف بالإرادة والاختيار، وتقدس عن الحركة والانتقال وتعالى عن الأشكال والأمثال ليس كمثله شيء في ذاته ولا يشبهه مخلوق في صفاته أيها الحاضرون الخاسرون سمعاً، أنتم الذين ضلَّ سعيكم في الحياة الدنيا

وأنتم تحسبون أنكم تحسنون صنعا وأنا الذي سلكت بكم مسالك الغي والضلال وقررت في نفوسكم كل ما هو على الله محال وزينت لكم سوء أعمالكم وأعميت لكم ضرر أحوالكم فبئس المعلم كنت فيكم، وبئس ما قبلتموه فبئس المورد الذي قد أوردتموه شبهتم معبودكم سبحانه وتعالى بذواتكم وجعلتم كلامه ككلامكم في حروفكم وتقطيع أصواتكم تكتبون المصحف بآلات موضوعة وأدوات مصنوعة، تلك الحروف التي صنعتموها بالقدم وتدعون أنكم في ذلك على الطريق الأَمَم وأنكم فضلتم بهذا الاعتقاد على سائر الأُمَم ثم عمدتم إلى خالقكم وعلامكم وجعلتم له جسما كأجسامكم، وجوارح كجوارحكم، وصورة كصورتكم وتبشيشاً كبشبشتكم وقدما كقدمكم وفرحا كفرحكم واستواء كاستوائكم، وضحكا كضحككم، وأصل ضلالكم في هذا كله من إضلالي، ومن زور قولي لكم ومحالي فلعنكم الله من أتباع فيقولون: لعنك الله من متبوع غوى، أورثنا اتباعه عذابا لا يستطاع.

أهل الكراسي خطيب السعداء: قعد الخطيب الناطق على كرسيه الأسنى، وقام وزراؤه بين يديه على قاب قوسين أو أدنى وقال: الحمد لله الذي وسع كرسيه السموات والأرض ووضع فيه ميزان الرفع والخفض ودَلّى إليه قدمي النهي والأمر وصيره طريق روحانيات التدبير في السر والجهر، رتب لهم فيها المنازل، ليحل فيها النازل.

فأما الروحانيات الآدمية فتنزل كل ليلة، وتستمر في كل منزل، من ربها كرامته ونيله، فإنها سريعة الحركة، كثيرة البركة، وأما أخواتها، وإن اجتمعوا معها في سرعة السير، فإنه يبطئ بهم عنها حكم الدور، فإن عتاق أفلاكهم تسري بهم وبحقائق أملاكهم أيها الحاضرون السعداء. هل تستمعون؟ أتذكرون حين رؤيتكم نزول الحق [والليل] إلى السماء الدنيا من أجل الخلق، وينصب له في كل سماء كرسي يقعد عليه والملائكة بين يديه؟ فنفيت التشبيه وقلت: إن صح هذا الخبر فقد عرف المراد، والباري على وصفه من التنزيه فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "كان الله ولا شيء معه، وهو على ما هو عليه كان" فنزهه عن المكان بوجود الأكوان، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويبين لهم على قدر طاقة تحصيلهم، وقد قبل إيمان السوداء في إشارتها إلى السماء، مع علمنا بأن الله تبارك وتعالى في علاً عن إدراك العلماء، ثم أثبت لكم أن الرب هو النازل، ومعلوم أنه الثابت غير الزائل فهذا حظ السر بالعلم من نزول هذا الاسم، فقضى الحاجات وقبل السعايات، وتاب على التائبين، وغفر للمستغفرين، وأعطى السائلين وأجاب الداعين، وشملت رحمته المتهجدين والنائمين، فأنزل من كرسيه كلمتيه وأرسلها على قبضتيه فتميزت بالأخذ والترك، وانفصلت بالتوحيد والشرك فانقلب أهل الشرك والترك إلى دركاتهم، وانقلب أهل التوحيد والأخذ إلى درجاتهم، وهم أنتم طاب مسكنكم، ونعمتم، فأعطى الكرسي بالقوة حقيقته، وأبرم في العالم رقيقته.

يا أيها الحاضرون- ألم أكن فيكم نعم الداعي والحافظ، فيقولون: صدقت الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ورضي الله عنك فلقد كنت نعم الواعظ، جزاك الله عنا أفضل ما جازى به داعيا، وجعل لك في كل مقام من مقامات الجمع المقدس نادياً.

خطيب الأشقياء: قعد الخطيب الناطق على كرسيه في النار وقام بين يديه وزراءه الفجار، وقال الحمد لله الذي خلق اللوح والقلم، وكتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة مما علم، وجعل الكرسي موضع قدم المنزه وجوده أن يكون مسبوقاً بعدم، فحقت الكلمات في اللوح علينا أهل الخسران وعلى

أهل الريحان والروح إذ جعلنا كرسيه علمه لا غير، وكذبنا به فناط بنا الضير، وأحرمنا الخير، دللتكم أيها الحاضرون الضالون المكذبون على ما فيه شقاؤكم، وحرضتكم على ما يسلط به عليكم بلاؤكم وخاطبت كل طائفة منكم على قدر نقصان علمها، وقهرها تحت سلطان وهمها فمن غَلَبت منكم روحانيته على خسة جسمانيته جعلت له هذه العبارات الحسية، إشارات إلى أمور معنوية، وكل من ألحقها بالمحسوس، فنظره معكوس وحشره منكوس، وقلت في قوله تعالى: ﴿يَجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، إنه أراد الرجال وقلت في ذلك إنه محال، وإعطاؤه لسليمان تسخير الرياح، إنما أراد به الأرواح، وكون مريم تمثل الروح بشراً إليها، أن خيالها حكم عليها، فكذبت بالملك والشيطان والمس وقلت: إن هذه كلها من المخاطبات التمويهية لإيقاع اللبس، وإن ذلك عبارة عن أخلاط فاسدة، تجسدت أغذية ردية، وإن الملائكة قوى في النفس روحانية، وخواطر نفسانية، وإنه ما في الأفلاك سوى نجومها، وإن الملائكة عبارة عن قوى سلطان علومها، وأمثال هذا الهذيان الذي لا يقوم عليه برهان، وأما من غلبت منكم جسمانيته على روحانيته، فخاطبته على ما علمت من قصور فهمه، وعدم علمه وقلت له: إذا لم يكن كلام ربك بحروف وصوت فما تسمع؟ وأنزلت له الصفات المقدسة المعنوية على مثال ما يصححه أول عقله، فقبل ولم يدفع، فلحق بأهل التشبيه والتجسيم، ووصف القديم بصفات الحدوث فألحق بالجحيم، فلعنكم الله لقصور أفهامكم وعقولكم، وعدم نظركم في معاني منقولكم، فيقولون: صدقت لعنك الله مُفسِد مُضِل، وألبسك ثياب الهون والذُّل.

أهل المراتب

خطيب السعداء: ظهر الخطيب الناطق في مرتبته، وقام وزراؤه بين يديه قائلين بحرمته، وقال: الحمد لله رب العالمين، ونعمت العاقبة للمتقين، هذا الحمد هو آخر دعواكم معاشر السعداء، ويرجع الأمر على الابتداء، وهكذا تكون الدرجات في الجنان، والأحوال على ترتيب ما كان عليه الإنسان، فالحمد لله تملأ الميزان، وهي آخر موضوع، ولا إله إلا الله تثبت الإيمان وهي أول مسموع، فانعموا رضي الله عنكم بين طرفين شريفين، وحقيقتين عظيمتين، توحيد وثناء فَسناً وسناء، فالتوحيد للسنا والسناء للثناء، فقد جمع لكم بين الرفعة والضياء، فالحمد لله الذي جعلني أعلمتكم بهذه الأمور، ونهجت بكم مناهج النور، فيقولون: صدقت. الحمد لله رب العالمين، رضي الله عنك، جازاك الله عنا أحسن ما جازى به الداع، ومنحك لذة الاستمتاع في السماع عند الإيقاع.

خطيب الأشقياء: قعد الخطيب الناطق على مرتبته من الفضا وقام وزراؤه بين يديه في لظى، وقال: الحمد لله ولا أدري كيف، لأني في موطن العطب والخوف، لم أزل في ربقة التقليد مغلولاً، وبقيد الشرك مقيدا مكبولاً، لا أدري ما المعبود فيكون مني الإقرار أو الجحود، فلما قبَّلتم يدي لعنكم الله وعظمتموني وجعلتموني إماماً، وقدمتموني، فرحت نفسي الخسيسة بتلك الرياسة المحسوسة، ولم تأخذوا في تعظيم حالي إلا رغبة في جاهي وطمعا في مالي، ولم يكن عندي علم ألقيه إليكم ولا معرفة أسردها عليكم، ومنعني الكبر أن أسأل العلماء العمال، ورأيت العلماء السوء منكم يحذمون بابي، ويلازمون ركابي، رغبة فيما عندي من الأموال، فإن قلت قولا باطلاً صحَّحوه، وإن زورت كذباً حققوه وشرحوه، وقالوا: هذا هو الحق الذي لا يرد، والعلم الأقدس الذي لا يحد، لقد أعطيت أيها السيد من الذكاء والفطنة وجودة القريحة مالم يعطه أحد، واغتر الجاهلون بهم في ذلك، فجروا على

مذهبهم فأوردهم المهالك، فغالطتني نفسي واحتجبت عن تصريف عقلي برئاسة حسي، فصرت أخترع الأكاذيب وأشرع المذهب وفتحت بيوت الأموال، وملكت بها العلماء السفال، واتبعتموني على كل باطل فكنتم قوما بوراً، فلا تدعو اليوم ثبوراً واحدا، وادعوا ثبورا كثيراً، تخيلتم أن ربوبيتي دائمة، ومملكتي لا تزال قائمة، واغتررتم بوعدي، فأجهدتم نفوسكم في شكري وحمدي، فاليوم أقول لكم ما قاله الشيطان الرجيم حين قضى الأمر في سواء الجحيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٢٢] زادكم الله إلى عذابكم عذاباً، وفتح لكم إلى كل شر باباً، فيقولون: صدقت. وأنت الكذوب لعنك الله وأخزاك وأهانك وأرداك، جازاك الله عنا أسوأ ما جازى به مفسدا ملحدا، وجعل لك في كل منهلٍ من الثبور مورداً.

في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء ومن هو الإمام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات بمشيئة الله تعالى:

سلام على يوم الثلاثاء إنه ... له همة خُصَّتْ بعشق محمد
له الدرج العالي إلى كل غاية ... من العالم العلوي في كل مشهد
به كان بأس الله في الكل ظاهراً ... ولكنه في كل عضب مهندِ

ثم أنشأ لي جواداً من المرة الصفراء، والتحفتُ بالبردة الحمراء، وسرت أريد سماء الخلافة النبوية، والإمامة البشرية، فلما وصلت الفلك الخامس، إذا بالخليفة جالس مرتدٍ برداء العزة والسلطان، عديم النظراء والأقران، فسلمت فرحب وأهل، ووسع وسهل، وأمر بذبح ما حضر من الحيوان، وتسعير النيران، فَحُمِّرت القدور الراسيات، وأُحضرت جفان كالجابيات، وجيء بالكوامل المستديرات، عليها من الخبز المرقَّق، واللحم المدقق، ما تسري برؤيته الحياة في الأشباح، وتتنعم بمشاهدته لطائف الأرواح، ناهيك من طعامٍ صَدَرَ عن سر الحرفين، ونزل من كرسي القدمين، فلما تملأنا من الطعام، وحمدنا الله تعالى على ما منحنا من سوابغ الإنعام، أظهر الخليفة عزة نفسه، وقوة بأسه، وبيده قضيب من الذكر اليماني رقيق الأشفار، ماضي الغرار، فقلت حذار من أسد العرين حذار، وبين يديه جماعة من الأنجاد الأجواد قد امتطوا متون الصافنات الجياد عليهم الدروع المحكمة السرد وبأيديهم رماح الخطي وقواضب الهند وهم عازمون على إيقاع البلايا والمحن وإظهار الحروب والفتن وإهلاك الأعداء من النحل والملل والفتك فيهم بحد القواضب والأسل وقد ظهر سلطان الغضب المقلق وارتفع لنار الحمية اللهب المحرق وبان الطريقان وامتاز الفريقان وكل فريق يذبُّ عن سنته ويحمي ذمار سننه فقلت: يا سوء المكر الذي يحيق بعالم الخفض ويا بؤساً لأهل الأرض وقام وزير الخليفة خطيباً في ذلك الملأ الأعلى عن إذن الخليفة المولى وبيده عصا من الحديد يلحق بها القريب والبعيد متوجاً بعمامة حمراء مرتدياً برداء أحمر عليه فظاظة نكير ومنكر فعندما أراد الشروع في خطبته العصماء والتحريض على إمضاء فتنته الداهية الدهياء أقام المؤذن صلاة العشاء فبادرت للصف الأول خلف الإمام.

في اختصاص العصر بيوم الأربعاء ومن هو الإمام فيه وما يظهر من الانفعالات بعون الله ومنّه وكرمه:

سلام على عيسى المسيح ابن مريما ... نبي له الأرواح أيان يمما
تبدَّى ونور الشمس في الأفق طالع ... فلم أدر ممن أشرق الكون منهما
تولد في الأرحام من غير شهوة ... عن النفحة العليا فصار محكما
على سر إحياء الموات ونشرها ... فكان ليوم الأربعاء متمما
وكاتبه الوهمي يرسل همة ... على روح فرَّارٍ فتسمى مجسما
فكان لطيفاً في التحاليل صانعاً ... وكان شجاعا في التراكيب مقدما

فلما فرغ خطيب الفلك الخامس من خطبته وقرع الأسماع بموعظته وأثنى على نفسه بعلو درجته خرجنا نريد السياحة في فلوات المعاني والسياحة في الفلك الثاني فسحتُ في مساحات الأكوار والأدوار وسبحت في ساحات الأنوار والأسرار فتلقتني النفخة الروحية المنبعثة من القوة اللوحية بالشعلة اليوحية المتكونة في الأرحام من غير التحام فقلت: سلام على الكلمة والروح الإلهي والمنزه عن الاستنكاف الرباني فقال: وعليك السلام أيها الطالب علو المراتب والذاهب في أقصى المذاهب فقلت: الحمد لله على شهادة اعتصامية حاكمة من نبوّةٍ خاتمة فناداني بالحبيب المضاف إليه ودعا لي بالتثبيت المعول عليه وسألني: هل وقفت على حقائقي وميزت بين لطائف رقائقي ؟فإن موارد الألطاف أرواح القدس إنما تكون بعد تقدم معرفة النفس . فأنشدته هذه الأبيات أقول:

إنَّ القلوب بذكر الله وآلهةٌ ... والسر في مشهد المذكور مشغول
والنفس في البرزخ الكوني قابلةٌ ... والروح في الفلك العلوي مقبول
والعقل بين أمينيه جليسهما ... والحس في الفلك السفلي مغلول

فقال: أبدعت في تفصيلك ونعم ما أودعت في تجميلك فهل بان لك نور الخلق والإبداع فيعشق بك البقاع والقاع؟

النور نور المبدعات الوُلَّهِ ... في أوجه الأعلى النزيه الأنبه
فانظر إلى روح تجسد في الثرى ... وانظر إلى جسم مريض أشوه
يبدي الذي يخفيه في ملكوته ... من ملكه الأدنى القريب الأنوهِ
تبصر عجائب في منازل خلقها ... بمشبه فيها وغير مشبهِ
فالروح يشبه جسمه إن جاءه ... والجسم ليس كذاك عند تولهِ

فقال: وهل سلكت أول طريق السعادة وهو الإيمان بالغيب والشهادة فعرفت منزل صاحبه؟ وأين يبلغ جواده الكريم الشامخ براكبه؟ فأنشدته.

قل للذي يؤمن بالله ... أنت على نور من الله
أنت الإمام المصطفى والذي ... يأتي من الله إلى الله
أنت الذي دان لك المستوى ... وعز سلطانك بالله
فافخر فإن الفخر لا ينبغي ... إلا لمن يعتز بالله
لولا الذي عندك من صدقه ... ما كنت في ظل من الله
واحذر فإن الله مستدرج ... نفس الذي يغتر بالله

واحسب على نفسك أنفاسها | واهرب من الله إلى الله

فقال: هذا قد شهد لك بالإسلام بالتمام فهل للإحسان بساحتك إلمام؟

فإنه يعطيك أسرار الكمال وتصريفات الجلال والجمال فأنشدته هذه الأبيات.

إذا كان إحساني شهوديَ خالقي | وكونيَ مشهوداً فما لي إحسانُ
فإن وجودي من وجود مشاهدي | وإني في عين المشاهد إنسانُ
لئن كنت قد ساءت ظنوني برؤيتي | وجودك يا جودي فإنك محسانُ
تراني إذا جاء الشتاء بمنزلي | كئيبا ومسرورا اذا جاء نيسانُ
وما ذاك إلا أن في الصدق ثلمة | تَذِلُّ لها عاد بِذِلّ وساسانُ

فقال: هذا الإحسان قد ظهرت منك أعلامه وانتشرت فيك أحكامه فهل انتقلت عنه إلى سر السرى فعلمت أنه لا يعلم ولا يرى؟ فأنشدته هذه الأبيات.

سرّي بسرِّ السُّرى للسرِّ موصول | ولا تكيَّفَ إنَّ الكيف تضليلُ
إذا عجزت عن إدراك الإله بما | يعطيه برهانه فالعجز تحصيلُ
فلا تفصل ففي التفصيل تجملة | ولا تجمل ففي الإجمال تفصيلُ
العلم بالله نفي العلم عن خلدي | لكن مشهده للعقل معقولُ
إذا شُهِدَّت الفنا فيه شُهِدَّت وقد | أتى بذلك معقول ومنقول
العلم بالله ذوق لا دليل له | ما الله في العقل للبرهان مدلول

في اختصاص الظهر بيوم الخميس، ومن هو الإمام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات:

سلام على موسى الكليم المكلم | سلام عليه من نبي مكرمِ
أتانا على خمسين يوما محكما | فأظهر فيه كل روح محكمِ
وأخلى له قاضي السماء محله | فزوج فيه كل شخص مجسمِ
وبيض فيه كل شيء مسود | وفتح فيه كل باب مختَّمِ
وشال حجاب الغيب عن عين قلبه | فشاهد فيه كل وسم موسمِ

ثم رحلنا نبتغي سماء الكلام، لنقف على ورثنا من موسى عليه السلام، فلما دخلنا عليه وحضرنا بين يديه سلمنا وخدمنا فأكرمنا واحترمنا وجمع لنا بين إقبال الأخوة والأبوة إثباتا لشرف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ووفاء بمقام النبوة فقلنا له: هات حظنا منك، لنخبر به عنك، وأوقفنا على ما لديك وما صرف الرحمن فيه من النظر إليك فشال الحجاب، فانفتح الباب من خلفه جنتان ذواتا أفنان، فيهما عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، كأهن الياقوت والمرجان فقال: هذا لمن حرم في الدنيا الأمان.

ثم شال عن يساره الحجاب، فانفتح الباب، من خلفه جنتان مدهامتان، فيهما عينان نضاختان، فيهما فاكهة ونخل ورمان، فيهن خيرات حسان، حور مقصورات في الخيام، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان متكئين على رفرف خضرٌ وعبقريٌّ حسان فقال: هذا لمن عاش بالأمان، وبقيت الأعيان تطلب العيان بالعيان، فشاهدنا ما أخبرني الله في السورة الذي يذكر فيها: الرحمن، علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان غير أن جنى الجنان ليس بدان فلما قصرت أيدينا عن تناول شيء منها سألته: ما السبب الذي قصر بنا عنها؟ فقال: يا ولي تناولها موقوف على التركيب الثاني إن قمت بتعظيم معرفة المثاني

وأنت في التركيب الأول فاصبر حتى يتحول فإذا سترت روحانيتك جسمك ووسمت وسمك، وعرفت سعادتك وإعادتك واسمك وصرت في الصور الحول القلب، يذهب منها كل مذهب، حينئذ تتناول ما بسق من أشجارها، وتستنشق ما شئت من روائح أزهارها وتقف على سر حجرها وأحجارها فهنالك يبدو لك شرف الاعتدال، وصورة الكمال وسر الثوب الذي مال وروح الضياء والظلال والتحاق النساء بالرجال وشفوفهن عليهن في جنات الأحوال، ويظهر لعينيك استواء المنحرف الميال، ويبقى العلم ويذهب الخيال، وتتضح المعاني ويزول الإشكال وينحفظ الترتيب باعتدال التركيب وتبرز حقيقة الأبد ويدوم البقاء بالديمومية الإلهية من غير أمد، وتلوح كيفية التولد وماهية التعبد وأسرار الصلاة والصدقات وسبب الأولياء والشهود في النكاح والصدقات ومعالم الوقوف بعرفات وسفك دماء القرابين بمنى لابتغاء القربات ومقام الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، المقرون بذكر الآباء والأمهات وانتظام الشمل بالحبايب، والتحاق الأحباب بالأقارب وتنوع المراتب باختلاف المذاهب وسرور الروح والنفس بتحصيل الجمال والأنس، وتقف على سر إجابة دعوة المضطر، وإن كان كافرا وهدى الطالب إذا كان حائرا وتعلم أن الله لا تضره معصية عاصي ولا تنفعه طاعة طائع، ولم يسمَّ بالمانع، والجواد ليس بمانع؟ ثم قال: نادِ يا حنان يا منان يا رؤوف يا قديم الإحسان يا من جعل معدن النبوة أشرف المعادن وموطن الأحكام أرفع المواطن أنت الذي سويت فعدلت وفي أي صورة ما شئت ركبت ما سويت، يا واهب إذ لا واهب، ويا مانح المثوبات أهل المكاسب أنت الذي وهبت التوفيق، وأخذت بناصية عبدك ومشيت به على الطريق وخلقت فيه الأعمال الرضية والأقوال الزكية وأنطقته بالتوحيد والشهادة ويسرت له أسباب السعادة ثم أدخلته دارك، ومنحته جوارك وقلت له هذا بعملك ولك ما انتهى إليه خاطر أملك. فناديته كما أمرني فأجاب وقرعت بابه بهذه الكلمات ففتح ورفع الحجاب فلما تجلى دك الجبل الراسي وخررتُ على رأسي فانصرف الإدراك إلى القلب فأبصر، وقال: أين هذا من مقام الله أكبر وهو الله أكبر فلما أفقت بعد الصعق، وأبدرت بعد المحق نطقت بالتنزيه، الذي يوهم التشبيه والتحقت بأول إيمان الأولياء الأبرار بأنه لا تدركه الأبصار إلا في غير هذه الدار وأخلصت المناب فمن الله وتاب فقلت لموسى عليه السلام: هذا ميراث مشهدك وأسنى مقعدك صدق خاتم الأنبياء في إبانته عن مرتبة العلماء بأنهم ورثة الأنبياء، والحمد لله الذي أورثنا ثم أماتنا وبعثنا فقال موسى: هل رأيت معدن النورين، ومحل السرورين فقلت وأين ذلك؟ فقال: في صلاة الظهر نور في نور وسرور في سرور فقلت: لو حان وقتها صليتها في حضرتك ووقفت عليها من مرتبتك فإنك الأخ من تمنيك الأنْفَس والسيد من المقام النبوي الأقدس فقال: أما ترى الشمس في مدرجة السلوك قد شرعت في الدلوك؟ فأقم الصلاة، وأحرم وحلل كل ما يأتيك فيها ولا تحرم حتى تسلم.

فلما رفعنا رُفعنا فلما أحرمنا أحللنا، فلما افتتحنا منحنا فلما ركعنا سمعنا فلما رفعنا أطعنا فلما سجدنا وجدنا فلما جلسنا أنسنا فلما سلمنا سلمنا فلما فرغ الإمام من جزيل المثوبات واستعاذ من وبيل العقوبات صعدت منبر النور، وفي يدي عصا من البلّور، وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي ألحق العلماء بأنبيائه وأسكن أرواحهم مع ملائكته في سمائه، وجعلها طيارة في فسحات الأفلاك، سيارة في روحانيات الأملاك. أفاض عليها من نور تجليه ما أداها إلى الصعق، وأبان لها من مقامات القرب ماحكم عليها به سلطان السحق، دعتها نغمات إيقاع السماع في الأسماع إلى

الاستماع فاشتاقت إلى خطاب الأحباب بمدارك لباب الألباب من غير حجاب ولا حجاب فوقعت المحاورة والمخاطبة والمجالسة والمعاتبة والمكاتبة وزالت المراسلة والمكاتبة فسطعت أنوار أسرار ثوراتها، وتبلبلت بلابل سرها بكلماتها فقالت وقال وأطالت وأطال ثم منحها الوصيات القدسيات والتدبيرات الإلهيات وأطلعها على أسرار النيات في المناجاة بالنيران المتخيلات وقيل لها: إن جُلَّ الخير، في السعي على الغير، فمن أراد مني قضاء مآربه، فليقض حاجة صاحبه وإن لم يستند فيها إلى جانبه ولو ذهب في غير مذاهبه.

يا أيتها الأرواح الطاهرة والأنفس الزاهية المتظاهرة ها أنا أقرب إليكم منكم ولكن لا تغتروا فكما أنا لكم أنا عليكم وقد أبنتُ لكم في مقام المعرفة أنه لا تقيدني صفة فالزموا مواطن العدل وانعموا بسوابغ الفضل، فإني الشهيد الذي لا يقبل الرشا والبصير لا يقوم ببصره غشا فلا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا ولا تهاجروا ولا تباغضوا ولا تنافروا وكونوا عباد الله إخوانا تنالوا بذلك رفعة وأمانا فأنتم السابقون المقربون وأنتم الرسل المقربون، وأنتم المرشدون الأعلون فلا ينجو بكم الغير وتشقون فاحفظوا وصيتي ولا تنسوها فرجعت الأرواح بألوية رسالاتها منشورة ونصبت كل لواء بإزاء كل صاحب سورة وخاطبت النهى ومنحت اللهى جعلنا الله وإياكم ممن تميز في صدر الجلال والبها، وتعزز بالسمو على سدرة المنتهى.

في اختصاص المغرب بيوم الجمعة، ومن هو الإمام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات:

يوم العروبة آخر الأيام ... الستة المشهورة الأعلام

فيه تلقّف لوحنا أسراره ... من ربه بوسائط الأقلام

في كل ما يجري به في تصريفه ... بوسائط الأحكام في الأحلام

فالسر يلعب بالنفوس وبالنهى ... كتلاعب الأفلاك بالأيام

حتى إذا ما تنقضي أيامه ... يبقى جهولا بالمقام السامي

ثم نزلنا من سماء النظام إلى سماء التصور التام بحسن الانتظام لنأخذ إرثنا من يوسف عليه السلام فوجدناه على سرير قدسه فاستنزلنا روحانية نفسه فنزل في حسنه البديع موافقا حركة الربيع فأبصرنا وجها كأنه بدر التم، أو الشمس حين انجلى عنها الغيم فتصدعت القلوب وتيتمت النفوس وهيمت الأرواح وتقيدت العقول وتوقفت الحواس وانكشف البال وتغير الحال، وبَلْبَلَ بُلبُلُ الوجد بين في الجوائح، وتقصفت الأعضاء وحذرت الجوارح ودعي داعي الأشواق وقام بالقلب الاصطلام والإحراق، وتمكن الأرق واشتد القلق واستوى سلطان الذبول بجيش النحول وأرسلت سماء الدموع، على أرض الخضوع فقلنا له: هذا فعلك على النصف فكيف لو اجتمع الموصوف والوصف وبين يديه صورة ينشئها وبنية يهيئها قد زينها أحسن تزيين، وأسرى في مسالكها أحوال التلوين، وأرسلها في الكون، محبوبة إلى كل عين، تسحر الناظر وتقيد الخاطر وتعطي اللذة قبل النيل وتحير السمع في ترجيع القول، إن غنَّت عَنَّت، وإن نظرت سحرت وإن لمست أبلست وإن ملكت فتكت وإن لعبت أتعبت وإن لهت ولهت، وإن أعرفت أرعفت، على رأسها تاج من الغمام وعلى جبينها إكليل من الدر التمام وفي إصبعها خاتم الحمام إن هجرت أقبرت وصلت وإن وصلت أقبلت إلا أن لها سياسة مدنية ورياسة إنسانية تتواضع فتهتك السرائر، وتترافع فتتعب البصائر الهيبة منوطة بذاتها، والجلال من جملة صفاتها

فبينا أنا أنظر في جمالها وأهيم بين دلها ودلالها إذ أقيمت صلاة المغرب فقالت: قم نشاهد الأمر المغرب فقمت، وقد رويت أبياتا من الشعر في أنزه ما يكون في المغرب من الأمر، في غيابات السر، وهي هذه الأبيات رب يسر كل عسير.

أفلت شمسنا بمغرب ذاتي … فدعاني إلى الصلاة الشهيد
فتوضأت ثم جئت إليه … من قريب وإنه لبعيد
قلت ربي. فقال: لبيك عبدي … أين حمدي؟ فقلت: أنت الحميد
فافتتحنا به فرد علينا … مثله واكتفى وكان المزيد
وتدانى فكان مني كأني … ثم ولَّى فقلت: أين تريد؟
قال: نمضي، فإن قومك جاؤوا … ومقامي مع الكيان شديد
قم فحييهم فقلت سلاما … وبقلبي من الفراق وقود
ما ألذ الخلو بالله ليلاً … لو يصح المقصود صح الوجود
فاستمع رمز ما أغار عليه … يا حبيبي، وإنني لكنود
يشبه العسجدَ الكريم وجودي … وهو شخصي وجدَّ منه الوريد
لو رأى عالما به لا بذاتي … لتوالى علي منه الشهود
فأنا عالم به وبذاتي … فوصال وقتا ووقتا صدود

فلما كبرنا كبرنا فلما قرأنا أنبأنا فلما ركعنا رفعنا فلما رفعنا وضعنا فلما سجدنا شهدنا فلما جلسنا يئسنا فلما سلمنا حكمنا فلما فرغت الصلاة وأجيبت الدعوات، قمت إلى منبر من الياقوت الأكهب بخطبة ذهبت فيها أحسن مذهب وقلت: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين ثم سواه ونفخ من روحه المكين فلما أقامه في أحسن تقويم رده إلى أسفل سافلين فلما أناطه بالمركز ليقيم في دولة العز أعطاه سر التدبير والتفصيل، ووهبه في كل ما علمه قوة التحصيل، فما بقي روح مجرد إلا سجد، ولا ريح معبد إلا شهد ولو تكبر وجحد.

ولا صامت إلا تكلم، ولا ميت إلا حيى وسلم، فإنه النور الأعلى، والقطعة المثلى ولولا ما هو من ذلك المقام، ما انقادت لسلطانه الروحانيات الجسام، فشقت هذه السدفة الترابية أنواره وتخللت مسالكها أسراره ونفدت إلى حضرة توحيد موجدها وعاينت كريم مشهدها، من غير أن تؤثر فيها هذه الظلمة، لما هي عليه من نفوذ الهمة فأقرت الأرواح المجردة بعلو منصبها، واعترفت بسمو مذهبها وأن لها أرفع المناصب وأشرف المناسب ثم اختصت دونها بالمكاسب فعظمت لديها المواهب فكم روح مجرد تكلم فيها بما لا يعلم قبل أن يعلم منها ما علم، ثم أقر لها بعد ذلك بكمال المقام وأن الروح المجسد له الكمال والتمام، وحسن التقويم والنظام ثم صبغها في الجمال العرضي للتعشق الغرضي فعشقت نفسها بنفسها حتى لا تتعلق بغير جنسها، فتذعن لغير الجنس، فكان يذهب عنها ما كان لها من العز بالأمس، ويظهر التيه عليها ممن نقص عن مقامها، وتقاصر عن تمامها، فبقيت بذلك عزتها عليها موقوفة وهمم غير جنسها إليها بالخدمة مصروفة وهي بذاتها في ذاتها مشغوفة، وجعل لها هذا الشغف العرضي، في الجمال العرضي حجابا على الجمال المطلق والحسن البديع الفائق المحقق القائم بذات الحق الذي لا يقيد بالوقت ولا يدرك بالنعت.

ومن مراتب الكمال قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله جميل يحب الجمال"، ومن غوامض السر المكنون، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] فمن انحجب من هذه الأرواح المجسدة بهذا الحجاب عن هذا الجمال، لم يزل في سفال العوال ومن لم يحتجب به صح له المقال العال ويحدث له الظلال بالغدو والآصال ومن انحجب عنها بهذه الأرواح المبعدة عن هذا الحجاب لم يزل في سفال السفال.

جعلنا الله وإياكم ممن تعشق بربه وإن لم ير به آمين.

في اختصاص الصبح بيوم السبت ومن هو الإمام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات:

لم يبق للأيام يوم ينتمي ... فيه إليه غير يوم السبت
يوم له فضل على إخوانه ... فيه وضعنا سرنا بالسبت
يوم اذا رفعت لنا أعلامه ... قطعت إليه ركابنا بالسبت
منهن منطقةٌ عزيز نيلها ... وقلائص موصوفة بالصمت
وقلائص حزنت على ركابها ... وقلائص موسومة بالسمت
وقلائص في سيرها تشكو الطوى ... وقلائص شغلت برعي النبت
وقلائص تشكو الوجا وقلائص ... حفيت وتسرع في السرى المنبت
لا تشتكي ألم الوجا بخلوصها ... في سيرها من سطوات السبت
لله من يوم كبير فعله ... في الكون محمود كريم الشخت
يوم تصرف في جهات ستة ... ملك على الأيام سامي التخت
شمس اليمين مع الأمام وفوقه ... ليل الشمال وخلفه والتحت
ما زال مخصوصا على إخوانه ... بالجمع في تصريفه والشت
فله المشيئة في سرائر ملكه ... بالوصل في ترتيبها والبت
لا ينتمي لحقيقة علوية ... إلا إذا جاءت بوفق البخت
للشرع منه شفاعة مقبولة ... موسومة من أجل أهل المقت
بين الذي ما زال يعبد واحدا ... في الفطرتين وبين أهل التخت
يدني سعادته لأهل جلاله ... وكذا شقاوته من أهل السحت
فكأنه صوفي وقت وجوده ... ما زال يسكن تحت حكم الوقت

ثم جاءت الروحانيات المسرحة الإنسانية، بأيديهم الرايات السود الخراسانية، ومعه براق أدهم كأنه قطعة ليل مظلم فامتطيته عشاء واندفعت طالبا اعتلاء، إلى أن وصلنا سماء الخليل فاستأذن الرسول فإذا بإبراهيم عليه السلام قد غشيته الأنوار الليلية، والضياءات الإلهية فعندما أبصرت هذا الأب الثاني سويت المثاني. واندفعت أقول بهذه الأبيات:

ألا من مبلغ عني مقاما ... وقفت عليه يا أبت السلاما
وملتزم دعوت به إلهي ... لقلبي والتزمت به التزاما
وقبَّلت اليمين يمين ربي ... وراعيت المودة والذماما
وكانت قبلة قبلت لكوني ... أردت بها التقدم والإماما
فخاطبني اليمين فزاد وجدي ... وهيمني فأورثني السقاما

وقد استند إلى البيت المعمور المغشى بأستار النور، "يدخله –كما قال عليه السلام– في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا" فهفا إليه الروح وتأخرت التربة وهاجت بها الأشواق إلى الطواف بالكعبة، فانبعث الحس من زاوية تربته مخبرا بما استقر عنده من الشوق إلى كعبته فقال هذه الأبيات:

إنـــي إلـــى الكعبـــة الغـــراء مشـــتاق	**فيهـــا لعاشـــقها فـــي الســـر أعـــلاق**
إذا تـــذكرت أســـراري ومشـــهدها	**فيهـــا تحركنـــي للبـــين أشـــواق**
الله يعلـــم أنـــي لســـت أذكرهـــا	**إلا وعنـــدي لـــذاك الـــذكر إحـــراق**
فـــالروح تائهـــة والـــنفس والهـــةٌ	**والقلـــب محتـــرق والـــدمع مهـــراق**

فلما سمع بذلك الوالد الإسلامي، والسيد النجدي التهامي قال: يا بني، أبعد الوصول إلى البيت المعمور ووقوفك في مشهد النور تحن إلى البيت الذي يبور القائم بالتراب والصخور، فقلت أيها السيد الإمليد لا حرج على من حن إلى جنسه، فإنه اشتاق إلى نفسه، ألا ترى كيف هفا إلى البيت المعمور وهم بالخروج من حبسه؟ فهو ينزعج ويمسكه الأجل المسمى فهو كمقعد يحمله أعمى، فلو تخلص من ناشئة ليلته وشدة وطأتها وتحرز من ثقل الكلمة التي ألقيت عليه وعظيم سطوتها، فلو وهب السراج راح، ولو منح المفتاح استراح، يا أبت. كيف لا أشتاق إلى تلك المناسك والأعلام، وأنت الذي أسستها لعالم الأجسام، وأعليتها للمتثاقلين عن النهوض إلى هذه المشاهد الكرام؟ فقال: ظننت أن سرك انحجب بتربته، ولهذا حن إلى كعبته، ثم قال: يا أبا رزين ويا أيها العاشق المسكين المشغوف بالحجارة والطين كيف تركت سرك بالكعبة حبيساً وصرت في العالم العلوي رئيسا فتنفس أبو رزين تنفس الصعداء وقال: واشوقاه، إلى أعلام الهدى، وعظم هيجانه واشتد، ورق أنينه ثم أنشد هذه الأبيات:

قـــل لبيـــت الحبيـــب رفقـــا قلـــيلاً	**بقليـــب أمســـى علـــيلا ذلـــيلا**
لســـت أنســـى بَلابـــلاً بفـــؤادي	**يـــوم نـــودي بنـــا الرحيـــل الـــرحيلا**
ليـــت أنـــي يـــوم النـــوى والتـــداني	**لـــوداعي أبقـــى لديـــه قتـــيلا**
لســـت أنســـى بـــبطن مكـــة يومـــا	**قولـــه لـــي: بـــالله صـــبرا جمـــيلا**
إن بـــي مثـــل مـــا بكـــم فلـــتكن بـــي	**طيـــب للـــنفس للســـرور وَصُـــولاَ**
لـــم أزل حـــين بنـــت عـــنهم وقـــاموا	**أشـــتكي الوجـــد والجـــوى والغلـــيلا**
وأنـــادي فـــي كـــل فـــج فـــؤادي	**وأقاســـي منـــه عـــذابا وبـــيلا**

فرق له المولى، وقال: النزول إلى الكعبة بهذا الواله المسكين أولى، فقلت: يا أبت إذا مشينا بأخينا هذا أبدا إلى مغناه متى يلتذ السر بمعناه؟ فقال: يا بني إذا سريت بفكرك في عالم المعاني انحجب حسك عن التلذذ بالمغاني، وإذا سرى سرك في المغنى لم ينحجب سرك عن مشاهدة المعنى، فالبقاء مع الحس أولى في الآخرة والأولى وسيبدو لك شرفه عند الرؤية في جنة المنية فقلت: يا أبت: فما تراني صانعا؟ فقال: انزل به الآن البيت بعمرة، قبل أن يبدو الفجر طالعاً، فنزلت بهمة مهمة فوقعت في بيداء مدلهمة، ليس فيها نبات إلا السَّمُرات ولا سكان سوى الأفاعي والحيات قد درست طرقها فتاه طارقها، عديمة الأنس لم يسكنها جن ولا إنس، وحشية الطبع، كريهة الوضع فقطعتها بجهد وعناء ومقاسات وبلاء، إلى أن أشرقت علي الأعلام، فلبيت بعمرة يا ذا الجلال والإكرام، فلما عاينت البيت هاج القلق، وعظم الحرق وبادرت إلى الحجر الأسود فقبلته، وشرعت في الطواف فأكملته واستجرت بالمستجار، والتزمت الملتزم وركعت في المقام وشربت من ماء زمزم، ثم سعيت وأحللت، ثم نهضت إلى السماء ورحلت، فلما رآني الخليل، قال: مرحبا بالابن الجليل، هذا الفجر قد بدت دلائله، وطلعت منازله وبدت أعلام الفتح من أجل صلاة الصبح فتوضأ يا بني من السلسبيل فإنه موقوف على أبناء السبيل فغسلت يدي و لم يكن بها أذى فقال أمين النهر: من ذا؟ ثم تمضمضت فأفرطتُ ثم استنشقت فعبقت ثم استنثرت فأوترت،

ثم غسلت وجهي فأريت ثم غسلت يدي إلى المرافق فسررت، ثم مسحت برأسي فتوجت، ثم مسحت أذني فكلمت، ثم غسلت رجلي قد ملجت، ثم أقيمت الصلاة فأقمت، فلما أحرمنا أحرمنا، فلما كبرنا كبرنا، فلما افتتحنا شرحنا، فلما ركعنا نزعنا، فلما رفعنا دفعنا، فلما سجدنا عبدنا، فلما جلسنا رأسنا فلما سلمنا حكمنا، فرقيت في منبر من السبج وقمت فيهم خطيباً في سابع درج وأنشدت:

ولمـــا بـــدا فجـــر الـــذي لاح مـــن قلبـــي ... دعـــاني ودادي للحـــديث مـــع الـــرب
فطهـــرت أثـــوابي وطهـــرت بقعتـــي ... وطهـــرت أعضـــائي ونـاديـــت بالحـــب
حبيبـــي ترانـــي عنـــد بـــاب جلالكـــم ... فهـل لـــي إلـــيكم مـــن ســبيل ومــن قـــرب؟
تريـــد جفـــوني أن تـــرى نـــور وجهكـــم ... فتشـــهدكم عينـــي ويرعـــاكم قلبـــي
ترفـــق بمـــن أضـــحى قتـــيلا بحـــبكم ... وبـــالكلف المشـــتاق والوالـــه الصـــب
أتـــاكم مـــن الكـــون الغريـــب لترفعـــوا ... بفضـــلكم عنـــه مشـــاهدة الحجـــب
ينـــاجي الـــذي فـــي قلبـــه مـــن وجـــودكم ... بمـــا جـــاء مـــنكم فـــي الصـــحائف والكتـــب
فمنـــوا عليـــه بالوصـــال فإنـــه ... أســـير هـــواء الجـــو إن كـــان ذا سُـــخبِ
فـــو الله مـــالي راحـــة دون وجهكـــم ... ومـــالي شـــفيع أرتضـــيه ســـوى حبـــي
فـــأطلع شـــمس الـــذات فـــي القلـــب فـــانتفى ... وجـــودي، ولـــم يثبـــت ســـوى عـــالم القـــرب
فســـلمت مـــن تلـــك الصـــلاة مقـــدما ... علـــى عـــالمي كـــوني وعـــدت إلـــى غيبـــي

الحمد لله الذي جعل الهوى حرما، تحج إليه قلوب الأدباء، وكعبة تطوف بها أسرار ألباب الظرفاء، وجعل الفراق أمرَّ كأس تذاق، وجعل التلاق عذب الجنى طيب المذاق، تجلى اسمه الجليل سبحانه فأله الباب، فلما غرقت في بحار حبه أغلق دونها الباب وأمر أجناد الهوى أن يضربوها بسيوف النوى، فلما طاشت العقول وقيدها الثقيل ودعاها داعي الاشتياق، وحركتها دواعي الأشواق رامت الخروج إليه عشقا، فلم تستطع فذابت في أماكنها الضيقة ومسالكها الوعرة، وجداً وشوقاً، واشتدَّ أنينها وطال حزنها وحنينها و لم يبق إلا النفس الخافت والإنسان الباهت، ورثى لها العدو والشامت، فأذابها الأرق وأتلفها القلق، انضجتها لواعج الحرق، وفتك فيها الفراق بحسامه، وجرعها مضاضة كأس مدامه واستولى عليها سلطان البين فمحق الأثر والعين، ونزلت بفنائها عساكر الأسف، وجردت عليها سيوف التلف وأيقنت بالهلاك، وعاينت الهلّاك، وما خافت ألم الموت، وإنما خافت حسرة الفوت فنادت يا جميل يا محسان يا من قال: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] يا من تيّمني بحبه، وهيمني بين بعده وقربه تجليت فأبليت وعشقت فأرقت، وأعرضت فأمرضت فياليتك مرضت وأفرطت فقنطت، وأسست فأسست وأيست فأيأست وقربت فدنوت وبعدت فأبعدت وأجلست فأنست وأسمعت فأطمعت، وكلمت فأكلمتَ وخاطبت فأتعبت، وملكت فهتكت، وأملكت فأهلكت، وأهمت ففرحت، وأنجدت فأترحت، وبوهت فولهت، وزينت فأفتنت، وألهت فنبهت، وفوهت فتوهت، وغلطت فنشطت، وعززت فعجزت، وأسلبت فأغفلت، وأمسكت فنسكت، ووسعت فجمعت، وضيقت ففرقت وأحرمت فأحللت، وأحللت فحرمت وهذا كله سهل إذا ما أنت أقبلت، فيا ليتني لم أخلق وإذا خلقت لما أتحقق وإذا تحققت لم أعشق وإذا عشقت لم أهجر، وإذا هجرت لم أقبر، وإذا قبرت لم أُنشر، وإذا نشرت لم أحشر، وإذا حشرت لم أعتب وإذا عوتبت لم أزجر، وإذا زجرت لم أطرد وإذا طردت لم تسعر بي النار التي فيها على الحجب أن أنظر فلما سمع ندائي وتقلبي في

أنواع بلائي بادر الحجّاب إلى رفع الحجاب وتجلى المراد، فنعمت العين والفؤاد، جعلنا الله وإياكم ممن عشق فلحق، فظفر.

ثم رددت وجهي إلى المقاتل المشغوف بالمقابل وقلت: يا صاحب الغين والرين إلى كم تنتهي حقائقك التي أعطاك الله في تدبير الكون فقال: إلى مائتي ألف حقيقة واثنتين وستين ألف وثمانمائة، ثم نزلنا إلى المشتري فسألته عن كمية حقائقه التي أودعه الله في تدبير خلائقه فقال: مائة ألف وخمسة آلاف ومائة وعشرون ثم نزلت إلى المريخ فرأيت ثمانية آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعين دقيقة، ثم نزلت إلى الشمس فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وستا وستين دقيقة. ثم نزلت إلى الزهرة فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وخمسا وستين دقيقة مثل الزهرة ونزلت إلى القمر فرأيت له ستمائة واثنتين وسبعين دقيقة ثم نزلت على بعض الرقائق الشمسية في الصور الدحيية إلى أن استويت على الأرض المدحية وقد عرفت ترتيب حركات الأفلاك ووقفت على مراتب الأملاك وتحققت ما في القوى الروحانيات من الانفعالات الكونيات فسرحت في ميدان معارف النسب وفزت بمدارك وضعية السبب، وعلمت أن الله قد رتب الوجود أحسن ترتيب وحصره في تحليل وتركيب وحكم عليه بالبقاء فلا ينفد وعلى عالمه بالسعادة والشقاء فلا يبعد. أسعدنا الله وإياكم بما أسعد به أولياءه وأحباءه.

في أن يوم السبت هو يوم الأبد وهو يوم الاستحالات:

السبت يوم البقا والاستحالات ... والشغل يصحبه مع البطالات

عجبت من يومنا فيه الفراغ وفيه ... الشغل جمعهما من المحالات

ليس الهدى في جناب السر ... فالذكر أولى من تصاريف الضلالات

فانظر الى بدء يوم السبت تحظ به ... فقد تقدس عن وصف النهايات

نهاره في جنان الخلد رؤيتنا ... وليله في لظى حجب الزيارات

فالليل منه على أهل الشقاوات ... كما النهار على أهل السعادات

سرى يوم السبت في الموجودات سريان العدد في المعدودات والدوام في الدائمات والقيام في القائمات فهو لا معدوم ولا موجود ولا حاضر ولا مفقود، فيه استلقاء الفاعل من إيجاد الأجناس والأمهات، وشهد لك بالملك والثبات، وذلك أن الله جل أن يسبق وجوده عدم، أو يتصف بما يناقض القدم، خلق الخلق أسفله وأعلاه، في ستة أيام من أيام الله، فلما كملت أجناس العوالم، وتميزت المراتب والمعالم، ابتدأت يوم السبت الاستحالات والتكوين والتغييرات والتلوين فتنوعت الصور والأشكال وتغيرت المناصب والأحوال فصارت الآباء أبناء والأبناء آباء وتداخلت الموجودات بعضها في بعضها وحصل خفضها في رفعها ورفعها في خفضها، واستحال المعدن نباتاً، والنبات حيوانا والحيوان إنسانا والإنسان معدنا وضرب الكل بالكل وظهرت القوة بالفعل وعاد العزيز ذليلاً والذليل عزيزاً والحديد لُجيناً والنحاس ذهبا إبريزاً والمركب محللا مفصلا، والمحلل مركبا موصلا وهكذا في الآخرة وقد بان في قوله: في الحافرة وقوله في غائط السعداء أنه عرق مثل المسك ووصفه الأشقياء بنضح المسك ولما كانت الآخرة لا تنفذ وساكنها لا يبعد انسحب عليها ذيل يوم السبت إذ كان يوم النصب البت فلا ليل لنهاره في دار القرار، ولا نهار لليله في دار البوار ولا منتهى لظلمه وأنواره ولا قاهر لسلطان أسراره.

جعلنا الله وإياكم ممن عرف أنه لا بد من يومه، فلم يعجل عن قومه.

في بيان الصلاة الوسطى أي صلاة هي؟ ولماذا سميت الوسطى؟ فقال هذه الأبيات:

السـر منـا فـي البـرزخ الوسـط وهـو بسـر القـديم مـرتبط
فـانظر إلـى بدئـه وغايتـه يجمـع أسـرار دينـك الوسـط
وانظـر إلـى الفـوز بـين راجيـة وبـين قـوم مـن ربهـم قنطـوا
فمـن أراد الوقـوف منـه علـى غايتـه فالخفـاء مشـترط
يـا فرحـة القـوم لـو بـدا لهـم سـروا بـذاك الظهـور واغتطبـوا

أقول: شاهدت عين السر في حضرة الوتر أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر لأن الظهر لظهوره في مقام الفناء والمغرب لظهوره في مقام البقاء والعشاء لظهوره في مزج الأولياء بالأعداء والصبح لظهوره في طريق أخبار السفراء والعصر لظهوره في خط الاستواء لأن شجرة المشاهد لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار والمراد بقاء الأبصار فجمع بين العالم البسيط اللطيف وعالم التخطيط الكثيف ولم يتغير في هذا المشهد شيء من أشكال نظام الأحوال فشاهده الإنسان في كماله بقوة اعتداله وما عدا هذا المقام فانحراف عن الاعتدال بنور أو ظلام، والحق المطلوب والفضيلة عند الرجال إنما هي في المشاهدة والاعتدال فضمه إليه عند صحوه وأثبته بعد محوه وألحفه لحف الجمال والأنس وأمره أن يخلع على عالم النفس فلا تُعرف الحقائق الروحانية إلا بتنزلات الرقائق الإلهية ولتكف هذه الإشارة في الوسطى من الوسط والأوسط فإنها تنزيل من الحكيم المقسط.

جعلنا الله وإياكم من الأمة الوسطية وخصنا وإياكم بما خص به إبراهيم الفرع الكريم الباسق من الأرض القبطية.

تم كتاب تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك

كتاب عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال سيدنا وإمامنا وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العارف الكامل المحقق المدقق محي الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي ﵁ وأرضاه وحقق تابعيه بسلوك منهجه القويم أنه جواد كريم.

الدعاء المختوم على السر المكتوم:

حمدت إلهي والمقام عظيم ... فأبدى سروراً والفؤاد كظيم
وما عجبي من فرحتي كيف قورنت ... بتبريح قلب حل فيه عظيم
ولكنني من كشف بحر وجوده ... عجبت لقلبي والحقائق هيم
لذاك الذي أبدى من النور ظاهراً ... على سدف الأجسام ليس يقيم
وما عجبي من نور جسمي وإنما ... عجبت لنور القلب كيف يريم
فإن كان عن كشف ومشهد رؤية ... فنور تجليه عليه مقيم
تفطنت فاستر علة الأمر يا فتى ... فهل عقل خلق بالعليم عليم
تعالى وجود الذات عن نيل علمه ... به عند فصل والفصال قديم
فرافق ربي قد أتاني مخبراً ... بتعيين ختم الأولياء كريم
فقلت وسر البيت صف لي مقامه ... فقال حكيماً يصطفيه حكيم
فقلت يراه الختم فاشتد قائلاً ... إذا ما رآه الختم ليس يروم
فقلت وهل يبقى له الوقت عندما ... يراه نعم والأمر فيه جسيم
وللختم سر لم يزل كل عارف ... إليه إذا يسري عليه يحوم
أشار إليه الترمذي بختمه ... ولم يبده والقلب منه سليم
وما ناله الصديق في وقت كونه ... وشمس سما المغرب منه عديم
مذاقاً ولكن العقول مشاهد ... إلى كل ما يبديه وهو كتوم
يغار على الأسرار أن تلحق الثرى ... وأن تمتطيها الزهر وهي نجوم
فإن أبدروا أو أشمسوا فوق حرثه ... وكان لهم عند المقام لزوم
فربما يبدو عليهم شهودها ... فمنهم نجوم للهدى وزحوم
فسبحان من أخفى عن العين ذاته ... ونور تجليها عليه عميم
لكن أهل الذم لا يدركوا السنا ... وكيف يرى طيب الحياة سقيم
فأشخاصنا خمس وخمس وخمسة ... عليهم ترى أمر الوجود يقوم
ومن قال إن الأربعين نهاية ... لهم فهو قول يرتضيه كليم
وإن شئت أخبر عن ثمان ولا تزد ... طريقة أفراد إليه قويم
فسبعتهم في الأرض لا يجهلونها ... وثامنهم عند النجوم لزيم
فعذراً فلو جاء الزمان وجيمه ... على فاء مدلول الكرور يقوم
مع السبعة الأعلام والناس غفل ... عليهم بتدبير الأمور حليم
وفي الروضة الخضراء اسم عداته ... وصاحبها بالمؤمنين رحيم
ويختص بالتدبير من دون غيره ... إذا فاح زهرٌ أو يهب نسيم
تراه إذا ناواه في الأمر جاهل ... كثير الدعاوى أو يكيد زنيم

فظــــاهره الإعــــراض عنــــه وقلبــــه غيــــور علــــى الأمــــر العزيــــز زعــــيم
إذا مــا بقــي مــن يومــه نصــف ســاعة إلــى ســاعة الأخــرى وحــل صــريم
فيهتــز غصــن العــدل بعــد ســكونه ويحيــا نبــات الأرض وهــو هشــيم
ويظهــر عــدل الله شــرقاً ومغربــاً وشــخص إمــام المــؤمنين رمــيم
وثــم صــلاة الحــق تتــرى علــى الــذي بــه لــم أزل فــي حــالتي أهــيم

أما بعد:

حمـــــداً لله الـــــذي تقـــــدم والصــلاة التــي خــتم بهــا الحمــد وتمــم

تــدبر أيهــا الحبــر اللبيــب أمــوراً قالهــا الفطــن المصــيب
وحقــق مــا رمــى لــك مــن معــان حواهــا لفظــه العــذب العجيــب
ولا تنظــره فــي الأكــوان تشــقى ويتعــب جســمك القــد الغريــب
إذا مــا كنــت نســختها فمــالي أروم البعــد والمغنــى قريــب

تبيين الغرض من هذا الكتاب

كنا قد ألفنا كتاباً روحانياً، وإنشاءً ربانياً، سميناه "التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية" تكلمنا فيه على أن الإنسان عالم صغير، مسلوخ من العالم الكبير فكل ما ظهر في الكون الأكبر، فهو في هذا العين الأصغر و لم أتكلم في تلك الأوراق على مضاهاة الإنسان بالعالم على الإطلاق، ولكن على ما يقابله به من جهة الخلائق والتدبير، وبينت منه ما هو الكاتب والوزير، والقاضي العادل والأمناء والعاملون على الصدقات والسفر والسبب الذي جعل الحرب بين العقل والهوى، ورتبت فيه مقابلة الأعداء، ومتى يكون اللقاء ونصرته نصراً مؤزراً، وكونته أميراً مديراً، وأنشأت الملك وأقمت ببعض عالمه الحياة، وبعضهم الملك، وكمل الغرض، وأمن من كان في قلبه مرض، وكنت نويت أن أجعل فيه ما أوضحه تارة وأخفيه، أين يكون من هذه النسخة الإنسانية والنشأة الروحانية مقام الإمام المهدي المنسوب إلى بيت بُني بالماء والطين وأين يكون أيضاً منها ختم الأولياء وطابع الأصفياء، وإذ الحاجة إلى معرفة هذين المقامين في الإنسان، آكد من كل مضاهاة أكوان الحدثان، لكني خفت من نزعة العدو والشيطان أن يصرخ بي في حضرة السلطان فيقول عليَّ ما لا أنويه وأحصل من أجله في بيت التشويه فسترت الشاة بالعرزان، صيانة لهذا الجسمان ثم رأيت ما أودع الحق من هذه الأسرار لديه، وتوكلت في إبرازه عليه. فجعلت هذا الكتاب لمعرفة هذين المقامين ومتى تكلمت على هذا. فإنما أذكر العالمين ليتبين الأمر للسامع في الكبير الذي يعرفه ويعقله. ثم أضاهيه بسره المودع في الإنسان الذي ينكره ويجهله فليس غرضي في كل ما أصنف في هذا الفن معرفة ما ظهر في الكون وإنما الغرض تنبيه الغافل على ما وجد في هذا العين الإنساني والشخص الآدمي. فحقق نظرك أيها العاقل وتنبه أيها الغافل هل ينفعني في الآخرة كون السلطان عادلاً أو جائراً أو عالماً أو حائراً. لا والله يا أخي حتى أنظر ذلك السلطان مني وإلي. وأجعل عقلي إماماً علي وأطلب منه الآداب الشرعية في باطني وظاهري وأبايعه على إصلاح أولي وآخري. فمتى لم أجعل هذا نظري هلكت. ومتى أعرضت عن الاشتغال بالناس تمكنت من نجاتي وتملكت إذ وقد قال ﷺ يخاطب جميع أمته "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" فقد أثبت ﷺ الإمامة لكل إنسان في نفسه وجعله مطلوباً بالحق في عالم غيبه وحسه فإذا كان الأمر

على هذا الحد، ولزمنا الوفاء بالعهد فمالنا نفرط في سبيل النجاة، ونقنع بأحط الدرجات ما هذا فعل من قال إني عاقل ويتجنب هذه المعاقل. فمتى ذكرت في كتابي هذا أو في غيره حادثاً من حوادث الأكوان فإنما غرضي أن أثبته في سمع السامع وأقابله بمثله في الإنسان فتصدق النظر فيه إلى ذاتنا الذي هو سبيل نجاتنا، فأمشيه بكليته في هذه النشأة الإنسانية على حسب ما يعطه المقام إما جسمانية وإما روحانية، فإياك أن تتوهم أيها الأخ الشقيق أن غرضي من كتبي كلها الكلام فيما خرج عن ذاتي من غير أن تلحظ فيه سبيل نجاتي:

فمـــا أبـــالي إذا نفســـي تســـاعدني — علـــى النجـــاة بمـــن قـــد فـــاز أو هلكـــا
فـــانظر إلـــى ملـــك الأدنـــى إليـــك تجـــد — فـــي كـــل شـــخص علـــى أجزائـــه ملكـــا
وزنـــــه بالعـــــدل شـــــرعاً كـــــل آونـــــة — واســـلك بـــه خلفـــه مـــن كـــل مـــا ســـلكا
ولا تكـــــن مـــــارداً تســـــعى لمفســـــدة — فـــي ملـــك ذاتـــك لكـــن فيـــه كـــن ملكـــا

فليتأمل ولي هذا الكتاب فإني أذكر فيه الأمرين العالم الأكبر واجعله كالقشر واجعل ما يقابله من الإنسان كاللباب للسبب الذي ذكرته أن يتبين للسامع ما يجهله في الشيء الذي يعرفه ويعقله، ولو وصل فهمه إليه دون ذكري إياه، ما لحظت ساعة الحياة، ولا عرجت لمحة بارق على معناه، فإنما أسوقه مثالاً للتقريب ومجالاً للتهذيب وسأورد ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب من لآلئ الأصداف ونواشئ الأعراف التي هي أمثال نصبها الحق للمؤمنين والعارفين حبالة صائد، وتحفة قاصد، وعبرة لبيب، وملاطفة حبيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً - البحر المحيط الذي لا يُسمَع لموجهِ غَطيط في معرفة الذات والصفات والأفعال بكرٌ صهباء في لُجَّةٍ عمياء، وهي معرفة ذاته جلّت عن الإدراك الكوني، والعِلم الإحاطي غَطَسَ الغاطس، ليخرج ياقوتها الأحمر، في صدفه الأزهر، فخرج إلينا من قعر ذلك البحر صِفر اليدين، مكسور الجناحين مكفوف العين، أخرس لا ينطق مبهوتاً، لا يعقل فسُئِل بعدما رجع إليه النَّفَسْ، وخرج من سَدَفة الغَلس، فقيل له ما رأيك، وما هذا الأمر الذي أصابك؟

فقال هيهات لما يطلبون، وبعد الماء يرومون والله لا أناله أحد، ولا تضمن معرفته روح ولا جسد، هو العزيز الذي لا يُدرَك، والموجود الذي يملك ولا يملك إذ حارت العقول، وطاشت الألباب، في تلقّي صفاته، فكيف لها بدرك ذاته ألا ترى حكم تجليه، في ربوبية الأزل، كيف خَرَّ الكليم صعقاً، وتدكدك الجبل، فكيف لو تجلَّى في هذه الربوبية من غير واسطة الجبل لنبيّه موسى لكان صاحب موسى زمانه لا يوسى، بعد اندكاك وهلاك، وبعث في نشأةٍ مِثْلَهُ وأملاك. وإذا كان تجلي الربوبية على هذا الحد، فأين أنت من تجلي الألوهية من بعد، وإذا كان هذا خط المتبوع الكليم، فكيف بخط التابع الحكيم، فقد رمزنا في الصفات أمراً يعجز عنه، ولا يصل أحد إلا إلى ما قدر له منه.

وأما معرفة الذات فمتفقة بالنور الأضوا في عمى، محتجبة بحجاب العزة الأحمى، مصونة بالصفات والأسماء فغاية من غاب في الغيب، الوصول إلى قرب، ونهاية الطلاب، الوقوف خلف ذلك الحجاب. هنا وفي الآخرة وفي نشأة الدنيا والحافرة. فمن رام رفعه أو تولى صدعه في أي مقام كان عدم من جنبه، وطويت سماؤه وأرضه بيمينه، ورجع خاسراً، و بقي حائراً وكان قاسطاً جائراً، ورُدَّ إلى

أسفل سافلين، وأُلحق بالطين فمن كان من أهل البصائر والألباب، وتأدَّب بما يجب عليه من الآداب، وصل إلى ذلك الحجاب الذي لا يرفعه سبحانه عن وجهه وكان يوقف على كنهه والوقوف على كنهه محال، فلا سبيل إلى رفع ذلك الحجاب بحال، فإذا وصل إليه العاقل اللبيب، والفطن المصيب وأفرغ عليه رداء الغيرة قال أغارُ عليه أن يعلمه غيره، فوقف خلف الحجاب وناداه باسم الوهاب، البعيد الأقرب إلينا من حبل الوريد فيجيبه الحق بالمريد، وحقائق الوجود وتقدس وتنزه، وتملك وتشبه. ودخل حيث شاء من جنة الصفات وارتاح في رياض الكمال وجالَ وصالَ بالمتجلي المتعال لا يرد له أمر ولا يحجب عنه سر. ونادى الحق من عرش التنزيه. خلف حجاب عزة [التشبيه، التنويه]. هذا عبدي حقا وكلمتي صدقاً، عرف فأصاب وتأدّب فطاب. فليقبل جميع ما تضمه هذه الحضرة إليه. ولينصب ذلك كله بين يديه. ليأخذ ما شاءَ مختاراً. ويترك ما يشاء ادخاراً فيؤتي الملك من شاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير وهو الحكيم الخبير وهذا مقام الأدباء ومنزل الأمناء وحضرة اللقاء، وكل واحد من الواصلين إليه على قدر علمه وقوة عزمه، وإن شملهم المقام وعمَّ فمنهم التام والأتم ومن هذا المقام يرجع صاحب الجماعة، وفيه يبقى من قامت في حقه الساعة فهو المنتهى والختام ومقام الجلال والإكرام. وفي هذا المقام قلت:

مواقـــــــف الحـــــــق أدبتنـــــــي   **وإنمـــــا يوقـــــف الأديـــــبُ**
أشـــــهدني ذاتـــــه كفاحـــــاً   **فلـــــم أجـــــد شمســـــها تغيـــــبُ**
واتخـــــذت ذاتنـــــا فلمـــــا   **كنـــــت أنـــــا العاشـــــق الحبيـــــب**
أرســـــلني بالصـــــفات كيمـــــا   **يعرفنـــــي العاقـــــل المصـــــيبُ**
فيأخـــــذ الســـــر مـــــن فـــــؤادي   **فتفتـــــدي باســـــمه القلـــــوبُ**

فإن قلت فأين معرفة الياقوت الأحمر المصون في الصدق الأزهر فأقول إن معرفة الياقوت الأحمر أن لا يعرف ولا يُحدّ ولا يوصف، فإذا علمت أن ثم موجودا ألا يعرف، فقد عرفت وإذا أقررت بالعجز عن الوصول إلى كنهه فقد وصلت فقد صحت الحقيقة لديك واتضحت الطريقة بين يديك، فإنه من لم يقف على هذا العلم ولا قام به هذا الحكم يدوم ما لا يحصل له، وذلك لما ذهل عنه وجهله، فكفاك أن تعلم أن لا يعلم وهذا الحق قد انبلج صبحه فالزم، واقتدِ بالنبي ﷺ، إذ قال ﷺ: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". وهذا غاية الفخر أو معرفة من وقف عند حجاب العز وقال أمير المؤمنين: "العجز عن درك الإدراك إدراك" فلا سبيل إلى الاشتراك، وليس بعد حجاب العزة الإلهية إلا الكيفية والماهية، فسبحان من بَعُدَ وقَرب، وتعالى ونزل، وعرفه العارفون على قدر ما وهب، وحسب كل عارف به ما كسب فكسب وذلك من صفات السلب فغاية معرفتنا أنه موجود، وأنه الخالق والمعبود، إنه السيد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد، وهذا كله راجع إلى التنزيه، وسلب التشبيه، فتعالى أن تعرف منه صفات الإثبات، وجلَّ أن تدرك كنه جلاله المحدثات وإذا كانت صفات الجلال لا يحاط بها، فكيف من قامت به واتصف بها فجلّ الكبير المتعال. العزيز الذي لا ينال، فبحر الياقوت الأحمر هو المسمى بـــ ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]. و﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، فقد أشار إلى حجاب العزة الذي ذكرناه، والسر الذي وصفناه الصفات لمحة بارق، وخيال طارق قل للباحث عما لا يصل إليه، والطالب فوق ما يكفيه هل عرف من الحق غير ما أوجده فيه وإلا فهل أثبت له ما لم يتصف به. وهل زلت في معرفته عن الأمر المشتبه إلا من طريق السلب

والتنزيه، والتقديس ونفي التشبيه وإن قلت هو الحي المتكلم القدير المريد العليم السميع البصير، فأنت كذلك وإن قلت الرحيم القاهر حتى تستوفى أسماؤه فأنت هنالك، فما وصفته سبحانه بوصفٍ إلا اتصفت به ذاتك ولا تسميه باسم إلا وقد حصلت منه تخلقاً وتحققاً مقاماتك وصفاتك، فأين ما أثبت له دونك من جهة العين، وغاية معرفتك به أن تسلب عنه نقائص الكون، وسلب العبد عن ربه تعالى ما لا يجوز عليه راجع إليه وفي هذا المقام قال من قال: سبحاني ما أعظم شأني، دون شؤوني هيهات كل يعرى من شيء إلا من لبسه أو يؤخذ شيء إلا ممن حبسه ومتى لبس الحق صفات النقص حتى تسلبه عنها أو تعريه. وَ وَالله ما هذه حالة التنزيه، وإنما الملحد الجاحد حكم على الغائب بالشاهد، وظن أن ذلك نصٌّ فنسب إليه النقص. فإذاً أثره نفسيٌّ أن ألبس ما لبسه هذا الملحد، وأعريها منه حتى أكون المحقق الموحد فنفسي إذاً نزهت وذاتي قدست، والباري سبحانه منزه عن التنزيه، فكيف عن التشبيه، فالتنزيه راجعٌ إلى تطهير محلك لا إلى ذاته، وهو من جملة مِنَحِهِ لك وهِبَاته، فالحمد لله الذي قدسك وعلى ثوب التنزيه الذي ألبسك ولولانا ما لاح لعينك من ذلك لمحة بارق وطرقك عند هجعتك منه خيال طارق. ما صحت لك هذه العناية ولا ألبسك ثوب الخلافة والولاية وخرجت بها في وجودك كما كنت عليها في الصفة العملية، والمشيئة الاختيارية، سابقة قدم قبل خطّ القلم. فاعلم أنك متصل به في الصفات المعنوية، من جهة الظلال من غير اتصال، منفصلٌ عنه بالصفات النفسية المجهولة في كل حال من غير انفصال. فلولا ما وصفك بأوصافه واعتنى بك في سورة إعرافه، وأنزلك فيها منزلته في وقت القبضتين والتعالي وقوله: "هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي. وهؤلاء إلى النار ولا أبالي". لما ارتفع عنه النفع والضرر وتنزه عن صفات البشر.

فقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] وما كانوا له وفيه وما هم وذلك لما خلق سبحانه وتعالى هذا الشخص الإنساني على صورته وخصه بسريرته فصفات الحق صفات العبد. فلا تعكس فتنكس. فانظر إلى ما أشرنا إليه في هذه الشذور وتأمّل ما وراء هذه الستور. وتحقق ما حصل عندك من معرفة الصفات وإياك والالتفات. فما عرفت قط صفة على الحقيقة من معبودك وإنما عرفت ما تحصل من الأوصاف في أركان وجودك فما زلت عنك وما خرجت منك والتحقت صفاته بذاته فتنزهت عن تعلق علمك بماهيتها، واتصلت في ذلك معرفتك بذاتها. فأنت العاجز عنها، والواقف دونها، فعلى طريق التحقيق ما عرفت ربك من كل طريق. وما عرفت أيضا سواه. وما نزهت إلا إياه فإن قلت عرفته قلت الحق وأنت اللاحق، وإن قلت إنك لم تعرفه قلت الصدق وأنت السابق، فاختر النفي لنفسك أو الإثبات فقد تنزهت الصفات من تعلق العلم الحادث بها كما تنزهت الذات، الأفعال موج ضرب في الساحل وانصرف، وترك به اللؤلؤ والصدف فمنهم من زهد ومنهم من اغترف، ولما كانت نجوم السماء السيارة تضاهي بعض الأسماء من باب الإشارة وهي باب في الأحكام على صورة، منها ما هو السلب للنقائص والتشبيه ونفي المماثلة للتنزيه، وهو حظنا في هذا التركيب من علم الذات، ومنها ما هو شرط الألوهية، ومنها ما لا ينقص بعدمه لو جاز على الماهية وهو علم الصفات، ومنها ما هو لتعلق إيجاد العين والتأثير في عا لم الكون وهو صورُ الأفعال.

فنقول على هذا الصراط السوي في اسمه تعالى القدوس العزيز الغني صفات جلال ونقول في اسمه تعالى العليم السميع البصير صفات كمال.

ونقول في اسمه تعالى الخالق الباري المصور صفات أفعال وما فيها والحمد لله ما له صفة إلا لنا فيها قدم، ولنا إليها طريق أمم فهذا الباب لصفات الفعل وهو باب الطول والفضل والإنعام والبذل، أمتن سبحانه وتعالى أولاً بالإيجاد من غير أن يجب ذلك عليه، أو يضطره أمر إليه، بل كان مختاراً بين العدم والوجود، فاختار أحد الجائزين ترجيحا وسعادة للعبيد، فعلق بنا القدرة بين العدم والوجود، ولا بعينه، فبرز للعين عن تعلقها دون كيفيته إذ كانت غير متعلقةٍ بموجود، ولا أيضا متعلقة بمفقود، وهذا بحرٌ ليس له قعر فرددناه للفضل المتقدم و لم أكن فيه بالجائر المتحكم. وذلك لو علمنا حقيقة القدرة الأزلية وماهيتها في العالمية لعرفنا كيف تحققت ومتى تعلقت و لم نقدر في هذا الكتاب على قياس الغائب على الشاهد لأنا ما اجتمعنا على معنى واحد. إذ ليس للقدرة الحادثة تعلق بإيجاد كون وإنما هو سببٌ عادي لإبراز العين وحجاب نصبه الحق في أول الإنشاء ليضل به من يشاء، ويهدي به من يشاء والفعل قد يكون نفس المفعول بالتشبيه والاشتباه كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٣١] أي مخلوق الله، الذي أوجده بقدرته.

وقد يكون عبارة عن الحالة عند تعلق الفاعل بالمفعول وكيفية تعلق القدرة الأزلية بالإيجاد الذي حارت فيه المشاهد والعقول، وكل من رام الوقوف عليه، نكص على عقبه ورجع عن مذهبه وهو قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]. وقال في حق أنفسهم وأقدسهم حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فأراه آثار القدرة لا تعلقها فعرف كيفية الإنشاء والتحام الأجزاء حتى قام شخصاً سوياً، وما رأى تعلق قدرةٍ ولا تحققَّها.

فقال له الخبير العليم ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] لما تقدمه من صورة الأطيار، وتفريقه الأطوار، وكما نفخ المسيح في صورة الطين الروح وانتفض طيراً وأظهر في الوجود خيراً. فكان النفخ له حجاباً، وما فتح له من باب تعلق القدرة باباً. وكذلك يقول من سأل الله تعالى أن يقول للشيء كن فيكون، ذلك عنده أمراً وينفردُ الحق بسرّ نشئه ونشره فالتفاضل بين الخلق إنما هو في الأمر الحق، فشخص يكون أمراً ربانياً لتحققه فيكون عنه ما يشاء، وآخر غير متحقق ليس له ذلك. وإن كان قد ساواه في الإنشاء، فسبحان من انفرد بالاختراع والخلق وتسمى بالواحد الحق.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦] أوجد العالم كله من غير مثال في كافة كثافاته ولطافاته ظاهراً وباطناً دنيوياً وبرزخياً وأخروياً ملكاً وملكوتاً وغيباً... فتعالى الله علواً كبيراً.

محاضرةٌ أزليةٌ على نشأةٍ أبديةٍ

اجتمعت الأسماء بحضرة المسمى اجتماعاً وترياً منزهاً عن العدد في غير مادة ولا أمد كالأسماء والصفات الإلهية تتخاطب كلها دون انفصال على مقتضيات الحكمة لتأخذ عن الذات الإلهية ما أرادته، فلما أخذ كل اسمٍ فيها مرتبته و لم يَعدُ منزلته، فتنازعوا الحديث دون محاورة وأشار كل اسم إلى الذي يُجانبهُ دون ملاصقة ولا مجاورة، وقالوا يا ليت شعرنا هل يتضمن الوجود غيرنا. فأعرف واحد منهم ما يكون، إلا اسمان. أحدهما العِلم المكنون فرجعت الأسماء وأشار إلى الاسم العليم الفاضل. وقالوا: أنت لنا الحَكم العادل، فقال: نعم بسم الله، وأشار إلى الاسم الجامع الرحمن، وأشار إلى الاسم التابع الرحيم، وأشار إلى الاسم الأعظم العظيم وصلى الله ورجع إلى الجامع من جهة الرحمة على النبي وأشار

إلى الاسم الخبير والعلي محمد الكريم وأشار إلى الاسم الحميد، خاتم الأنبياء، وأول الأمة وصاحب لواء الحمد والنعمة، فنظر من الأسماء من لم يكن له فيما ذكره العليم حظ، ولا جرى عليه من أسماء الكريم لفظ، وقال العليم: من ذا الذي صليت عليه، وأشرت في كلامك إليه، وقرنته بحضرة جمعنا، وقرعت به باب سمعنا ثم خصَّت بعضنا بالإشارة والتقييد إلى اسمه الرحيم والحميد، فقال لهم عجباً وهذا هو الذي سألتموني عنه أن أبيّنه لكم تحقيقاً وأوضح لكم إلى معرفته طريقاً هو موجودٌ يضاهيكم في حضرتكم، وظهر عليه آثار نفحتكم، فلا يكون في هذه الحضرة شيء إلا ويكون فيه ويحصّله ويستوفيه، ويشارككم في أسمائكم، ويعلم بحقائق أنبائكم، وعن هذا الموجود المذكور، الصادر من حضرتكم، وأشار إلى بعض الأسماء منها الموجود والنور، يكون الكنه والكيف والأين وفيه يظهر بالاسم الظاهر حقائكم، وإليه بالاسم المنّان وأصحابه يمتد فائقكم، فقالت نبهنا عن أمر لم نكن به عليماً وكان هذا الاسم إشارته إلى المفضل علينا عظيماً، فمتى يكون هذا الأمر، ويلوح هذا السر؟ فقال سألتم الخبير واهتديتم بالبصير، ولسنا في زمان فيكون بيننا وبين وجود هذا الكون مدة وأوان، فغاية الزمان في حقنا ملاحظة المشيئة حضرة القديم والنسبة، فتعالوا نسأل هذا الاسم الإحاطي في جنسه، المنزه في نفسه.

وأشار إلى المريد فقيل له متى يكون، علام التقييد في الوجود الذي يكون لنا فيه الحكم والصولة وتجول بظهور آثارنا عليه الكون على ما ذكره الاسم العليم حوله.

فقال المريد: وكأن به قد كان، ويوجد في الأعيال، وقال الاسم العليم، ويسمى الإنسان، ويصطفيه الاسم الرحمن ويقبض عليه الاسم المحسن وأصحابه سوابغ الإحسان فأطلق اسم الرحمن محياه وحيّا المحسن وبيّاه، وقال نعم الأخ ونعم الصاحب، وكذا الاسم الواهب فقال اسم الوهاب فقال أنا المعطي بحساب وغير حساب فقال الاسم الحبيب أقيد عليكم ما تهبونه وأحسب عليكم ما تعطونه بشهادة الاسم الشهيد فإني صاحب الضبط والتقييد غير أن الاسم العليم قد يعرف المعطى له ما يحصل له في وقت، ويبهم عليه الاسم المريد في وقت أبهى ما يعلمه ولا يمضيه ويريد الشيء ويريد ضده، فلا يقضيه، فلا زوال لي عنكما ولا فراق لي منكما فأنا لكم لزيمٌ ونعمَ الجار والحميم فوزعت الأسماء كلها مملكة العبد الإنساني على هذا الحد الرباني وتفاخرت في الحضرة الإلهية الذاتية بحقائقها وبيّنت حكمَ مسالكها وطرائقها وعجلوا في وجود هذا الكون رغبة في أن يظهر لهم عين، فلجُّوا إلى الاسم المريد الموقوف عليه تخصيص الوجود، وقالوا سألناك بهذه الحضرة التي جَمَعَتنا والدار التي تسلمتنا إلا ما علقت نفسك بهذا الوجود المنتظر فأردته، فأنت يا قادر سألتك بذلك إلا ما أوجدته وأنت يا حكيم سألتك بذلك إلا ما أحكمته، وأنت يا رحمن سألناك إلا ما رحمته و لم تزل كلها واحدا قائما قاعداً، فقال له القادر على المريد بالتعلق وعليَّ بالإيجاد وقال الحكيم على القادر بالوجود وعليَّ بالأحكام فقام الرحمن وقال عليَّ بصِلة الأرحام فإنه سجنه مني فلا صبر له عني، فقال له القادر كل ذلك تحت حكمي وقهري، فقال القاهر لا تفعل إن ذلك لي وأنت خديمي وإن كنت صاحبي وحميمي، فقال العليم أما الذي قال تحت حكمي فليقدم علمي، فتوقف الأمر على جميع الأسماء وإن بجملتها وجود عالم الأرض والسماء وما بينهما إلى مقام الاستواء. ولو فتحنا عليك باب توقفها والتجأ بعضها لرأيت أمراً يهولك منظره ويطلب لك خبره، ولكن فيما ذكرناه تنبيهٌ على ما سكتنا عنه وتركناه فلنرجع ونقول: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ [الأحزاب: ٤].

فعندها وقع هذا الكلام الأنفس في هذا الجمع الكريم الأقدس تعطشت الأسماء إلى ظهور آثارها في الوجود ولا سيما الاسم المعبود ولذلك خلقهم سبحانه وتعالى ليعرفوه بما عرفهم ويصفوه لما وصفهم فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

فلجأت الأسماء كلها إلى اسم الله الأعم والركن القوي الأعظم، فقال ما هذا اللجأ ولأي شيء هذا الالتجاء؟ فقالت: أيها الإمام الجامع لما نحن عليه من الحقائق والمنافع ألست العالم أن كل واحد منا في نفسه على حقيقته وعلى سنه وطريقه وقد علمت يقيناً أن المانع من إدراك الشيء مع وجود النظر كونك فيه لا أكثر. فلو تجرد عنك بمعزل لرأيته وتنزهت بظهوره. وعرفته ونحن بحقائقنا متحدون لا نسمع لها خبراً، ولا نرى لها أثراً.

فلو برز هذا الوجود الكوني وظهر هذا العالم الذي يقال له العلوي والسفلي، لامتدت إليه رقائقنا وظهرت فيه حقائقنا، فكنا نراه مشاهد عين، لما كان منا في أين، وفي حال فصل بين، ونحن باقون على تقديسنا من الأينية وتنزيهنا عن إحاطتهم بنا من جهة الماهية الكيفية فغايتهم أن يستدلوا برقائقنا على حقائقنا استدلال مثال وطروق ببال، وقد لجأنا إليك مضطرين، ووصلنا إليك قاصدين فلجأ الاسم الأعظم إلى الذات كما لجأت الأسماء والصفات، وذكر الأمر وأخبر السر فأجاب نفسه المتكلم بنفسه العليم، إن ذلك قد كان بالرحمن فقل للاسم المريد يقول للقائل يأمر بكن، والقادر يتعلق بإيجاد الأعيان، فيظهر ما تمنيتم. ويبرز لعيانكم ما اشتهيتم فتعلقت بالإرادة والعلم والقبول والقدرة، فظهر أصل العدد والكثرة وذلك من حضرة الرحمة وفيض النعمة، أصل البنا. وأول النشء نشأ سيدنا محمد ﷺ على أكمل وجه وأبدع نظام بحر اللؤلؤ والمرجان المودع في العالم الأكبر والإنسان.

ولما تعلقت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية، في الحضرة الأحدية وذلك عندما تجلى لنفسه بنفسه من السماء الأوصاف وسأل ذاته بذاته موارد الألفاف في إيجاد الجهات والأكناف فتلقى ذلك السؤال منه إليه بالقبول والإسعاف فكان المسؤول والسائل والداعي والمجيب والمنيل والنائل، فكمن فيه كمون تنزيه، ودخل جوده في حضرة علمه فوجد الحقيقة المحمدية، على صورةٍ حكمه فسلخها من ليل غيبه فكانت نهاراً وفجَّر ماءً عيوناً وأنهاراً، ثم سلخ العالم منها فكانت سماءً عليهم مدراراً وذلك أنه سبحانه اقتطع من نور غيبه قطعة لم تكن متصلة فتكون عنه عند التقاطع منفصلة.

ولكن لما فَطَرَه سبحانه وتعالى على الصورة، فصار كأن ثَمَّ جنساً يجمعها ضرورة فكان قطع هذا النور المنزل والممثل من ذلك الجنس المتخيل، والبارئ منزه في نفسه عن قيام الفصل به والوصل والإضافة بالإنسان إلى جنسه فهو قطع مثلي أبدي أحدي عن معنى أزلي فكان لحضرة ذلك المعنى باب وعلى وجهها حجاب. ثم إن الحق صيره حجاباً لا يرفع وباب لا يقرع ومن خلق ذلك الحجاب، يكون التجلي ومن وراء ذلك الباب يكون التدلي كما إليه ينتهي التداني والتوالي وعلى باطن ذلك الحجاب يكون التجلي في الدنيا للعارفين ولو بلغوا أعلى مقامات التمكين وليس بين الدنيا والآخرة فروق العارف في التجلي عن غير الإحاطة بالحجاب الكلي وهو في حقنا حجاب العزة، إن شئت رداء الكبرياء كما أن ذلك الحجاب يكون تجلي الحق له خلف حجاب البهاء وإن شئت رد رداء الثناء.

وما ذكرناه زبدة الحق اليقين، وتحفة الواصلين فلنرجع إلى ما كنا بسبيله من حسن النشء وقيله. فنقول على ما قدمناه في حق الحق من التنزيه ونفي المماثل من التشبيه أنه سبحانه ولما اقتطع القطعة المذكورة مضاهية للصورة أنشأ منها محمداً ﷺ على النشأة التي لا تنجلي أعلامها ولا يظهر من صفاته إلا أحكامها، ثم اقتطع العالم كله تفصيلاً على تلك الصورة وأقامه متفرقاً على غير تلك النشأة المذكورة إلا الصورة الآدمية الإنسانية فإنها كانت ثوباً على تلك الحقيقة المحمدية النورانية ثوباً يشبه الماء والهواء في حكم الدقة والصفاء فتشكل بشكله فلذلك لم يخرج في العالم غيره على مثله، فصار حضرة الأجناس إليه يرجع الجماد والناطق والحساس وكان محمد ﷺ نسخة من الحق بالأعلام، وكان آدم نسخة منه على التمام وكنا نحن نسخة منهما عليهما السلام، وكان العالم أسفله وأعلاه نسخة منا وانتهت الأقلام غير أن في نسختنا من كتابَي آدم ومحمد سر شريف ومعنى لطيف، أما النبيون المرسلون وغير المرسلين والعارفون والوارثون منا فنسخاً منهما على الكمال.

وأما العارفون والوارثون من سائر الأمم، والمؤمنون منا فنسخة من آدم وواسط محمد عليهما السلام في حضرة الجلال، وأما أهل الشقاوة والشمال فنسخة من طين آدم لا غير، فلا سبيل لهم إلى خير، فتحقق أيها الطالب هذه النسخة تعِش سعيداً وتكون في زمانك فرداً وحيداً فالحقيقة المحمدية المنبه عليها بليس كمثله شيء وما نزل عليها من النسخ فعدم، ودليل، وظل، وفَيْ أربعة الأربعة والحقيقة المنزهة مرتفعة، ثم خلق الخلق وفتق الرتق وقدر الرزق ومهد الأرض وأنزل الرفع والخفض وأقام النشأة الآدمية والصورة الإبهامية، وجعلها تتناسل وتتفاضل وتترافع وتتنازل إلى أن وصل أوانه وجاء زمانه فصير العالم كله في قبضته ومحضته فكان جسم محمد ﷺ زبدة مُحْصَنَة، كما كانت حقيقة أصل نشأته فله الفضل بالإحاطة وهو المتبوع بالوساطة إذ كان البداية والختم ومحلّ الإفشاء والكتم فهذا هو بحد اللآلئ دليل النواشئ، وقد تمهد فأستره وتجسد فأخبره، فقد حصل في علمك شيء أول موجود وأين مرتبته ومنزلته من الوجود، ثم علّق العالم به تعلق اختيار الحق لأنه استوجبه بحق حتى يصح أنه تعالى المنعم المفضل ابتداء على من شاء بما شاء لاحقة.

ولما كان من العالم دورياً ونشأة فلكياً رجع العَود على البدء، واستوى الكل في النشء وصار اللابس ملبوساً والمعقول محسوساً فوجود أسرار الكون الأكبر في العالم الأصغر إعادة وهو لها إشارة: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ [الأعراف: ٢٩]. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [الواقعة: ٦٢].

ولهذا جعلها المحجوبون، بعقولهم كرَّةً خاسرة فقالوا: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾[النازعات: ١٠]. فليس هناك في النشأة حقيقةٌ زائدة سوى أعراضٍ واردةٍ إشارة وإن كان قد تبيَّن فيما تقدم معناها ولكن هنا منتهاها هل الإنسان معدوم في العالم الأكبر وهو منفصل عنه بمقامه الأزهر، فإنه آخر موجودٍ حساً وأول موجودٍ نفساً.

فإن كان من جملة العالم الأكبر فأين نسخته وإن لم يكن من جملته فعلى أي نسبة يخبر به عنه فحد البصر وردد النظر، وخلّص الذكر والمقالبة واسْتَعِن بالفكر والمراقبة، وتهيأ للقبول بما يردُ عليك به الرسول ﷺ فستقف من ذلك على جلاء، وسيُكشف عن عينك غطاء العمى، وهذه نكتةٌ فاعرف قدرها وحقق أمرها، فهي زبدة الأمر وخفي السر، وإن شئت أن أنبئك فاسمع وحصّل ما أشير به إليك واجمع العالم في الأين والإنسان في العين فإن كنت في الأين فأنت منه وإن كنت في العين، فلا نخبر بك

عنه، ولستَ بحق في عدم الأين، ولكنك برزخ الأمرين، صاحب لقاء وإلقاء، وسيد نزول والتقاء برزخ، فانظر أينك وحقق عينك وأنا المبرأ من تأويلك والمقدس عن تفضيلك إلا إن وافقت أمر الحق وألحقتني بالخلق، وهذا لبٌ لمن كان له قلبُ قشر عليه لئلا يتوصّل من ليس من أهله إليه، وذلك أن العالم بما فيه من جميع أجناسه ومبانيه، وأسافله وأعاليه، ليس الإنسان لينبأ بشيء زائدٍ على جميع تلك المعاني عند افتراقها، وشمل تلك الأجناس والعيون عند اتفاقها فعلى هذا الوجه صح للعارف سلخه فكان له أكبر نسخة.

حظ الإنسان من العالم، واعلم أن على ما اقتضاه الكشف والعلم روح العالم والعالم روح العالم والعالم الجسم فهو الآن روح لعالم الدنيا به بقاؤه، وبه فتق أرضه وسماؤه وعالم الأخروي إلى أن ينفتح فيه الأمر الرباني هذا الروح الإنساني فهو الآن كصورة آدم قبل نفخ الروح، أو الأرض قبل إشراق يوح فإذا أخذ هذا النشء الإنساني من هذا العالم الدنياوي، تهدمت بنيته، وتخربت أفنيته، ونفخ في العالم الأخراوي، فحييت به الجثة، وكانت له الدنيا ستراً وجُنَّة للروح المضاف إلى الحق الذي نفخ منه في عالم الحق هي الحقيقة المحمدية القائمة بالأحدية.

فعلى هذا الحد هو الإنسان في الدارين، وظهوره في العالمين نشأ العالم من الحقيقة المحمدية نشأةً ما العرش منها لؤلؤ كان الغرض أن أجعل إلى جانب كل لؤلؤة في هذا الباب مرجانتها ومع كل بداية نهايتها، غير أن الفصل لما كان لبيان ما تعدَّدت عن ذات واحدة، وظهر عنها من أجناس متباعدة أردتُ أن أكمل لآلئه على نسق، وأجعلها طبقاً تحت طبق حتى تأتي على آخر الكون، رغبة أن لا يتحير الناظر فيه فتذهب عنه أكثر معانيه، فإن استوفيت إن شاء الله الإلهية، ورتبت نواشيه، وعرف الطالب مقرّه وتبيّن معناه، أخذنا في سياق مرجانه على ترتيب لآلئه.

المرجانة الأولى: للؤلؤة الأولى

من هذا الفصل على أحسن نظم وأبدع صنع وأحكمِ وصل فأقول إن محمداً ﷺ لما أبدعه الحق سبحانه وتعالى حقيقة مِثلية وجعله نشأة كلية حيث لا أين ولا بين وقال له أنا الملِك وأنت الملك وأنا المدبر، وأنت الفلك ،وسأقيمك فيما يتكون عنك من مملكة عظمى وطامة كبرى، سايساً ومدبراً، وناهياً وآمراً تعطيها على ما قد أعطيتك وتكون فيهم كما أنا فيك، فليس سواك كما لست سواي فأنت صفاتي فيهم وأسمائي، فحد الحد وأنزل العهد، وسألك بعد التنزيل والتدبير عن النقير والقطمير لهذا الخطاب عرقاً حياً، فكان ذلك العِرق الظاهر ماء، وهو الماء الذي نبأ به الحق تعالى في صحيح الأنبياء فقال سبحانه وكان عرشه على الماء، وهو منتهى الخلاء إلا ما كان هنالك مِن زعزعٍ مستطرٍ، حامل لهواء مستقر، ليس وراء ولا يكون فيه خلاء أو ملاء.

لؤلؤة نشأة الملأ الأعلى

ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر الملأ الأعلى وهو بالنظر الأجلى فكان لهم المورد الأجل فكان ﷺ الجنس العالي إلى جميع الأجناس والأبُ الأكبر إلى جميع الموجودات والناس، وإن تأخرت طينته فقد عرفت قيمته. فلما وقع الاشتراك مع الأملاك في عدم الأين، حتى كأنهم في العين أراد ﷺ التفرد بالعين وتحصيل الملأ الأعلى في الأين.

لؤلؤة نشأة العرش

منه فلما عَلم الحق سبحانه وتعالى إرادته، وأجرى في إمضائها عادته نظر إلى ما أوجد في قلبه من مكنون الأنوار رفع عنها ما اكتنفها من الأستار، فتجلى له من جهة القلب والعين، حتى تكاثف النور من الجهتين فخلق سبحانه وتعالى من ذلك النور المنفهق عنه ﷺ العرش وجعله مستواه وجعل الملأ الأعلى وغيره مما ذكره ما احتواه لكنهم منه ﷺ بالموضع الأدنى ومن مستواه بالتجلي الأسنى فحصلوا في أينيّته الحصر، وتمكنوا من قبضته الأسر وانفرد ﷺ في مستواه بمن اجتباه ومن اصطفاه، وصيَّره الحق تعالى خزانة سره وموضع نفوذ أمره، فهو المعبر عنه بكن لما لم يكن فلا ينفذ أمرٌ إلا منه، ولا ينقل خبر إلا عنه، وهو حجابُ تجليه وصياغة تحليه وترقي تدانيه وتلقي تدليه. "سبحان مَن تعالى في دنوه وتدانى في علوه".

لؤلؤة نشأة الكرسي منه

ثم نظر طالباً أين يضع قدميه وأين موضع نعليه فانبعثت من تلك الطرقة أشعة في الخلاء استدارت أنوارها كاستدارة المرأة، لطيفة الكيف فارغة الجوف، معلومة المنازل عند السالك والراحل، فجعل ذلك الكور وأنشأ ذلك الدور كرسياً لقدميه وحضرة لنفوذ ما يصدر من الأمر بين يديه، فيخرج الأمر منه متجه العين حتى إذا وصل الكرسي انقسم قسمين إذ كان المخاطب من ذلك الموضع إلى أقصى الأسفل موجود بين اثنين، وإن كان واحداً فمن جهة أخرى وعلى ذلك الواحد، تتابع الرسل تترى، فإن المخاطب بجميع الأشياء إنما هو الإنسان ليس ملك ولا جان فإن الملك والجان جزء منه، وأنموذج خرج عنه فله بعض الخطاب والإنسان كُلّي الكتاب المنبه عليه بقوله تعالى:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ثم عمم بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] كما نبَّه على الحقيقة المحمدية التي هي أصل الإنشاء وأول الابتداء فهو الأصلُ والأم والعالم فروعه فقال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فنحن الكتاب الأجلى وهو الأم الأعلى فالإنسان الكتاب الجامع، والليل المظلم والنهار المشرق الساطع فمن علو مرتبته وسمو منزلته، وإنه واحد بالنظر إلى معناه. واثنان بالنظر إلى حاله وثلاثة بالنظر إلى عالمه وأربعة بالنظر إلى قواعده. وخمسة بالنظر إلى مملكته. وستة بالنظر إلى جهاته، وسبعة بالنظر إلى صفاته، وثمانية بالنظر إلى نسخته، وتسعة بالنظر إلى مراتبه. وعشرة بالنظر إلى إحاطته وأحد عشر بالنظر إلى ولايته وهو روح القدس فإن أمده هذا الروح من غير كشف ملكي وهو تابع لغيره فهو صديق. وهي المنزلة الحادية عشرة في الإنسان.

وإن أمده على الكشف الملكي وهو أيضاً تابع أو لا تابع ولا متبوع فهو نبي وهي المنزلة الثانية عشر في الإنسان وإن أمده على الكشف الملكي وهو تابع لا نابغ فهو الرسول وتلك الرسالة وهي المنزلة الثانية عشر في الإنسان بتمام وجود الإنسان وجرد الإنسان وتم الوجود. وتم الوجود في العشرة. ثم جاء الحادي عشر نظير الأول إذ تأملت ومنعطف عليه ونظير الثانية عشر والثالثة عشر نظير الثاني والثالث من البسائط وتبين ذلك في الوسائط فاعتكفت ملائكة التقيُّد على قدميه لاحظة، ولما يصدر عنه من المعلوم فيها حافظة، فإن قيل هذا الكرسي الأجلى فأين اللوح المحفوظ والقلم الأعلى وأين

الدواة واليمين. وكيفية كتاب التعيين. فنقول تركنا تعيين ما ذكرته موقوفاً على نفسك حتى تطّلع على ذلك ببصرك الرباني حتى صحت وصلتك بالله عند شروق شمسك وقد نبهنا عليها في هذا الكتاب بالتضمين لا بالتعيين فاشحذ فؤادك وقوِّ اجتهادك عسى الله أن يفتح لك باباً من عنده عند مواظبتك على الوفاء بعهده والتصديق بوعيده ووعده.

لؤلؤة الأفلاك

وهي أرواح السموات نشأ السبع الطباق الطرائق والكواكب منه فلما كَمُلَ هذا الكرسي واستقر فيه الملأ الأمري أحال أنوار السبعة الأعلام فكان عنها السبع الطرائق متماسَّة الأجرام جعلها سقفاً مرفوعاً لمهاد سيكون إذا توجه عليه الأمر بقوله تعالى: "كن فيكون" وكواكبها منتهى الأشعة في الخلاء على الاستيفاء فسقطت الأنوار، وتجارت وانتشأت الأفلاك، واستدارت وهي منتهى الأشعة، وبقي منتهى الأشعة على أصله نيّراً في محله فالأفلاك اتصال أنوار أشعة الأنوار الحقيقية المحمدية والمقامات الأحدية، ويرجع صغر حجم الكواكب وكبرها لمسام ذاته المشرقة، وينابيعه المنفهقة، وعليه دور أفلاك الإحاطة، التي اتصفت بها الوساطة وتحريكها بالتماسِ مشروط على عقد مربوط واختصت كواكب المنازل بالكرسي الكريم لما كان المقام الذي يفرق فيه كُل أمر حكيم، فتنبّه يا غافل وتدبر يا عاقل لهذا النشء المصون والكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون، ولما استدارت هذه الأفلاك متجوّفة، واستقرت بساحاتها عوالم الأملاك متخوّفةً وكملت البنية في النشأة العلوية، واستمرت الجرية وطلب التأثير يأتيه فلم يجد، فيرجع فقيراً إلى حجاب الأحدية فيجيء عند قدميها راغباً ولمملكته منها طالباً، ضجَّت ملائكة السماء وما بقي هنالك من الأسماء إلا وجود الأرض والماء والنار والهواء.

لؤلؤة نشأة العناصر الأول منه

فنظر ﷺ ذاته بعين الاستقصاء، إذ قد أنشأهُ الحق محل الإحصاء ثم نظر ما وجد منه فوجد الملأ الأعلى والعالم الأدنى وفقد العالم الأوسط والأقصى فأخذ يدبر في إيجاد أصول الكون الأسفل والنور الأنزل، إذ لا بد لكل علوٍ من سفل ولكل طيب من تفل فقبض عليه الحق سبحانه عند هذه النظرة، ومرور هذه الخطوة وقبضٍ الجلالة والهيبة ليخرج ما بقي من الأشعة في تلك الغيبة فعندما اشتد عليه الأمر وقوي عليه القهر، وظهر عليه العدل والأمر، ورشح لتلك القبضة فكان ذلك الرشح ماءً ثم نفس عنه سيراً فتنفس فكان ذلك النفس هواء، ثم أوقفه على سر الجهة التي قبضه منها فلاح له ميزان العدل قائماً على نصف ذاته فزفرَ زفرة له، فكانت تلك الزفرة ناراً، فسد عنه في ميزان العدل بحجاب الفضل، فوجد بردَ الرحمة، فيَبس ما بقي من الرشح بعد نظره فكان ذلك اليَبس والبرد أرضاً قراراً، ثم ناداه من حضرة العين يا محمد هذه أصول الكون، فصيرها إليك ثم امزج بعضها ببعض فيكون منه عالم الهواء والأرض والجامع لهؤلاء العوامل الإنسان هو الذي أشار إليه العارف بقوله لا أبدع من هذا العالم في الإمكان، فتكوّن الخلاف والمثل، فظهرت الصورة والشكل وكل خلق بالإضافة إلى ما خلق منه يسير، وإلى ما كون منه بعد الخلاء له يصير وستعلم أنَّ رفيقه القديم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٤ـ٥]، إلى ما خلق من الطين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فعرف من أين جاء وزال الظل ثم أفاء ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]، مشاهدة تمكين ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ

بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين: ٧]، عن مكاشفة التعيين ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، بين المتنازعين من أهل البرازخ بين الشمائل واليمين فَصُنْ هذه الدرر وتكتم بها واستتر، فلا يعرف ذلك إلا من طعم وشرب من مائدة الحق. فعاين الصدق. وتزيح عنه أثواب الرق.

لؤلؤة الدخان الذي فتقت فيه السموات العلا

ولما خلق الله هذه العناصر الأُوَل، على الخلق الذي قدره في الأزل، جعلها سبعاً طباقاً، وأسكنها أقواتاً وأرزاقاً، كما أسكن الطباق العلى معارف وأخلاقاً، فتماست طباق الأرض، وحكَّ بعضها في بعض، فتولد بينها لهبٌ، ذو سبع شعب كل شعبة من جنس أرضها، ولذلك تميز بعضها من بعضها، فَعَلَا من كلّ لهيب دخانٌ مختلطٌ، ففتق ذلك الماء والهواء والنار. ومازج أفلاك الدراري والأنوار مرتوق الشعب منزوع اللَّهب، ففرقته الأفلاك والنيران بحقائقها فكان فتقاً، وصعد هيولانياً فصيّره الحق عند هذه الأسباب صوراً وخلقاً فأداره سبع طرائق وجعل الأفلاك أرواحاً لهن وحقائق فقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١١]، وقال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ [فصلت: ١٢]، في يومين بعد ما خلق الأرض وقدَّر فيها القوت في أربعة أيام وذلك لكثافة الأجرام فإنها أربعة عناصر مختلفةُ الأواصر، ولما كان الدخان من نار السبع الطباق الترابية، فكانت مختلفةً في اللونية، كذلك جاءت الطباق السماوية مختلفة في اللونية، فزرقةٌ وصفرةٌ وحمرةٌ وبياض، وخضرة كل سماء من جنس أرضها إذ هي من بعضها، وكذلك لما كان أصل السموات أرضياً عنصرياً، زالت بزوالها في الآخرة، وبقيت الأفلاك العلوية في أوجها دائرة من غير جُرمٍ محسوسٍ ولا جسمٍ ملموس، وكذلك لا تظهر فيها النجوم فإن الفلك يبرز بذاته على العموم. إذ النَّجم عبارةٌ عمَّا ظهرَ من الفلك. فتأمل يا أخي هذا الخبر الذي شملك، فالأفلاك باقية بقاء الجنان. والإنسان والسموات باقية ببقاء الأرض والحدثان، فتأمَّل لولا الحقائق المرتبطة والأفلاك الروحانية المتوسطة، ما بُدّلت الأرض غير الأرض، وصارت دُرّ مكة بيضاءَ تحت قدم الخفض فظهور الأفلاك النيرات عبارة عن تبدُّل السموات فتأمل هذه الإشارات، وابحث عما تضمنته هذه العبارات. فلا يعرف السر إلا من غمس في بحر البر.

لؤلؤة نشأ منها أمثال رؤية الحق في عالم الخلق

وتجلى الحق سبحانه وتعالى للناطق من الحيوان كتجلي السراب للظمآن، وليس في الكون كله شيء يشبه تجلي الحق إلى قلوب العباد من سماء المعرفة سوى هذه الصفة، ألا ترى التجلي لا يكون إلا (من أعلى إلى أدنى) وجعل القيعان دون الجبال مَجلاً للسراب الأسنى فانظرها حكمة ما أجلاها وقطرة مُزن ما أعذبها وأحلاها، ثم حجب حقيقة هذا السراب، نصبة تشبيهاً بعمل أهل الكفر. ثم نبَّه أهل الإشارة على عظمته عنده في آخر الأمر. فقال حين أنزل عهده، وخاطب عبده: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾[النور: ٣٩]، فَستره أولاً بعملِ الكفر وبتوفِيةِ الحساب بعده، إذ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، ولا يدرك وصفه وهو اللطيف الخبير فارفع هذه الطُّنب، واخترق هذه الحُجب تبصر العجب العجاب، واشكر القشر الذي صان هذا اللُّباب، فالسر غال، والأمر عال، والمعرفة ملزمة فقِف عند حد الأدب واترك الطلب وقل: "سبحان الله وسع كل شيءٍ رحمة وعلماً" وهنا يقول المحقق لهذا الكتاب:

الســـــر لا يســـــتبين العقـــل حكمتـــه	إلا بنـــــورٍ مـــــن العرفـــــان ربـــاني
فارقـــب بقلبـــك مـــا تُخفيـــه حكمتـــه	واســـتمطر الخيـــر مـــن ذيـــاكم الجـــاني

لؤلؤة التحام اليواقيت وانتظام المواقيت

ولما تمهَّدت الخليقة وامتدت الدقيقة إلى الحقيقة، وتجسَّد في أول النشء الترابي الشخص الجسماني الإنساني الآدمي المخلوق بيدِ التنزيه والمكسو حِلَّة التشريف والتنويه ويردد الجسد طوراً بعد طور، وكوراً بعد كور، في قوالب يكثر عددها ويكبر أمدها، حتى كانت تلك الأطوار في تلك الأدوار نشأة متحدة. وهيئة فردية متجسدة فلما كَمُلَتْ بنيتها، وتخلصت تصفيتها، نفخ فيه الشخص الروحاني. والكلمة الإلهية، والأمر الرباني، فقامت النشأة على ساقها تعتمد وبأمرها تستند. وتوارى الدور بالنشأة، على أصل البدء. إلى أن سُلخ ذلك النهار من ليل أرضه، والتحق بعنصره الأعلى واختلط بعضٌ ببعض وبقي في أوجهِ الأعلى رقيباً، وعلى تعاقب الأدوار حسيباً، ولتبصرنَّه على التعيين، في مقام التمكين ولتعلن نبأه بَعد حين وهو إذ ذاك أحكم الحاكمين فلما ارتفع كما ذكرناه، في الرد الذي به سترناه تحققت المهلكة بالفساد، وعمَّ الهلاك جميع البلاد والعباد، إلى أن حلت الشمس في حَمَلِها ثبت شرفها وجذلها وسطع النور وتنزل الأمر فلم يبق أحد أعلى إلا صُعق لذلك التجلي ولا بقي رفرف أسنى إلا كان تجلى لذلك التدلي فتنزل نور "ليس كمثله شيء" في أنبوب ماله فيء مكتنفاً بأرديةِ الصونِ حتى وصل إلى عالم الكون، فحلَّ الدُّري المشرق في برجه، وحصل الرقم المودع في درجه، فكان ياقوتةً حمراء، تجوَّفت لها ياقوتة صفراء، فأودعها سبحانه فيها. وختم عليها بخاتم: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥].

لؤلؤة اعتراض لمن أصاب الصيد بالمعراض

ولما كان هذا النشء المحمدي بهذه المنزلة العلية، وكان الأصل الجامع لجميع البرية، وصح له المجد الذي لا ينبغي لغيره. وأقامه الحق سبحانه وتعالى صورةَ نفعهِ وصيره عدلاً وفضلاً. وجمعاً وفصلاً. وأراد الحق أن يتم مكرمته حساً، كما أتمها نفساً، فأنشأ لها في عالم الحس صورةً مجسمةً بعد انقضاء الدورة التي تعطف آخرها على أولها. وكانت في أوسطها مكمَّلة وسمى سبحانه وتعالى ذلك الجسم المكَّرم المطهر محمداً وجعله إماماً للناس كافة، وللعالم سيداً. ونطق على ظاهر ذلك الجسد لسان الأمر فقال: "أنا سَيِّدُ ولد آدمَ ولا فخرُ".

ثم نزل لهم تعليماً فاغتفر وردد فيهم البصر والنظر وقال ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وذلك لما كنا له مثالاً، وكان لنا تمثالاً، فطوراً تقدس وطوراً تجنّس فهو السابق ونحن اللاحقون وهو الصادق ونحن المصدقون، ولما كانت أيضاً صورته الجسدية جسماً لمقام الأنباء لا لصورة الإنشاء، كما كان بدْء وجود الكون وظهور العين فكانت دورة فُلكه دورة ملك والدورة المتقدمة المذكورة، دُرَّة ملك، لَعلك تقول كيف يتأخر وجود الملك عن وجود المملكة وهي قد حصلت في ميدان الهلكة. قال: من كان في ذلك الوقت استنادها وعلى من قام أمرها وعمادها فها أنا أشفي الغليل وأوضح السبيل، وأعرفك بامتداد الرقائق وتناسب الحقائق.

لؤلؤة امتداد الرقائق من الحقيقة المحمدية إلى جميع الحقائق

ولما أوجد الحق سبحانه كما قدمنا الأفلاك سقفاً مرفوعاً لأهل السفل ونصب الأرض مهاداً موضوعاً لحثالة الثقل وانتشرت عنه ﷺ من مستواه في الملأ الأعلى حقائقه، وتكونت من أنوار أشعة نوره طرائقه واتصلت بعالم الأرض الموضوع رقائقه، وظهرت فيهم شمائله ﷺ وحقائقه، لكل حقيقةٍ شربٌ معلوم ومع كل رقيقةٍ رزق مقسوم ولحظنا تفاضل الرقائق "فوجدناها راجعة إلى تفاوت الخلائق في الخلائق، فكشفنا من مقام المشاهدة والتعيين، على رقائق الأنبياء والمرسلين فرأيناها تنزل عليهم صلوات الله عليهم على قسمين منها ما ينزل بها ملائكة القدمين، ومنها ما ينزل عليهم من مستواه مكاشفة عين" ورأينا مشاركة أتباعهم لهم في هاتين التنزيلتين، ولكن بواسطتهم، لا بالعين، إلا هذه الأمة التي قيل فيها أنها خيرُ أمةٍ أُخرجت للناس فإنها تأخذ عنه من غير واسطة ولا التباس.

كما أخذ عنه من تقدم من رسول مرسَل أو نبي منزل، غير أن تنزل الملك قد يفاجئهم وقتاً ما كان يعمّهم بالإلقاء في الأجل المسمى، وأما من خُلقَ جاحداً، وطبع ملحداً، فإن النور المحمدي لما ضرب في الأرض شعاعه، وحميت قيعانه وبقاعه تولدت بينهما حرارةٌ وتجسدت بالنبات فتكوَّن منها شرارة، ففتق في تلك الشرارة الجِن على قسمين، رفعٌ وخفضٌ لما كانت تلك الحرارة نتاجاً بين النور والأرض، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ ﴾ [الرحمن: ١٥].

إشارةٌ إلى اختلاط الأرضِ بالأنوار، فمن غلبَ عليه النور في ذلك النتاج كان من الجن اللاحق بالبوار فتنزل الرقائق على من طُبع كافراً في أنابيب ذلك النار الشيطاني، وإن كان أصله من النور السلطاني وأما العصاة فتنزل رقائقهم بواسطة ما قدمناه من الحرارة لا بواسطة الشرارة. فكانت رقيقته ﷺ في دورة الملك المالك إلى هلم جراً إلى الأبد أصلاً لجميع الحقائق فهو الممد ﷺ فجميع العوالم من أول منشأة إلى أبدٍ لا يتناهى، مادة شريفة مكملة لا تُضاهى.

مرجانة اللؤلؤة الأولى

حظُّ الإنسان منها انسلاخه عن الحقيقة المجردة بمشاهدةِ حقيقةِ من كان أوجده نفى عن نفسه حين أحاط به نور شمسه في حضرة قدسه فحصل له الإحاطة بالعلم الكلي تقديراً، وبقي له تأثيرُ الحكم تكويراً. فصاحب هذا المقام لا يعجز عما يسأله عنه سائل وكيف يعجز من أحاط بالعلم الكامل وتحصل العلم عنده السؤال، وهل الفرق بينه وبين المتعال كما أن الفرق بينه وبين عالم الذل والعز عدم الحصد والعجز وقد يسأل نفسه أو يرى فيعرف ما سكن في الليل والنهار أو تحرك في الورى، فهذا نعتُ من حصل في هذا الكشف الأجلى والمقام السني الأعلى، لا تخدع نفسك بنفسك، ولا تترك الغمائم على شمسك إلا إنْ استسقاك من جذبت أرضه، وتعطل عليه فرضه وهلك بعضه فَارْوِهِ من مُزْنك حتى يستصحبك فيعلم أن جميع مطالبه فيك فعند ذلك أرخي العِنان وأطلق سبيل العيان، وقل للريح تذروها ذرواً حتى تبدو الشمس للعيان، فإذا أحاط الإنسان بهذا الوصف وتحقق بهذا الكشف فليس وراءه عدم ولا وجود، ولا عابد ولا معبود، إذ لا ورى ولا أرى إذ قد حصل الموجودين، وتحقق بالعدمين، وفصل العدم الثالث فصلين، و لم يسبق له من العلم سوى حرف العين وانفردت المادة بالميم. واللام بلطف القديم، فليس في ذلك المقام سوى علم مجرد وتحقيق قديم ومجدد.

مرجانة اللؤلؤة الثانية

كذلك بعض الخواطر الأُوَل اللاحقة بالأزل لا تتصف لا بالوجود ولا بالعدم ولا تضمَّنَها لوحٌ ولا خطها قلم، ولا كانت مجملة في الدواة كالقمر في النواة، لم تتصف بالأين ولا زالت تكر من العين إلى العين فمن هنا وقع الشبه والاشتراك بين هذه الخواطر وعيون الأملاك وذلك قبل خلق العرش وفتق الفرش، فقد صحَّت له المقابلة وعوينت المماثلة.

مرجانة اللؤلؤة الثالثة

كذلك إذ خلع الرجل نعليه وتجرد عن ثوبيه وزهد في كونيه حل هذا المحل الأسنى وكان منه بقاب قوسين أو أدنى، ورثاً نبوياً من دنى كل قوس على حسب راميها وعلى حسب اختلافها في مراميها، هذا هو مقام الاستواء وحضرة وتر الأنبياء فيه ترد عليه مخاطبات التأنيس، وقواعد التأسيس بعين الاتحاد، من غير إلحاد، فتمايل ذاته في ذلك النور تمايل السراج من وارد السرور، والابتهاج، فكأنه نشوان أخذ منه الراح فرام الارتياح، لم يجد السراج فسمع منه إليه فتواجد بعضه عليه، فكان عشّاقاً لنفسه توّاقاً لشمسه فطلعت عليه من فؤاده، وأشرقت أرض بلاده فتنعَّم بعضه في بعض لما جادت سماؤه على أرضه.

مرجانة اللؤلؤة الرابعة

كذلك إذا حصل الإنسان من ذاته في برزخ البرازخ مقام المجد الشامخ والعز البازخ فيه تكون ليلة قدره، وكمال بدره يميز فيه بين الأشياء، ويفصل بين الأموات والأحياء، ويطلع على أهل البلاء والنعماء فيه يبرز على صحابته بالكتابين بالشمال واليمين، وهؤلاء بأسمائهم وأنسابهم في عِلّيين وهؤلاء كذلك في سجين، بعدما يحصل له فيه التجلي العَلي من حضرة المتعالي هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي، منه أنزل الفرقان وإليه أنزل القرآن، وفيه يعلق الميزان وتتطاير صحائف الشمائل والإيمان في هذا المقام تقوم قيامته، الخاصة بذاته، وتقع مسائل العدل في أسمائه وصفاته، فتنطق الجوارح لبعض العارفين، وتبدو الفضائح لأهل التلوين والمصالح لأهل التمكين فيه تبدل سيئاتهم حسنات وكراماتهم آيات فيه يحصل لهم بعد قيام قيامته، واستواء إقامته الوارث الإنبائي والمقام الاختصاصي، فنادى في ذلك الأنباء الخاص، ألا فانزل إلى القصاص وعجّل بالأوبةِ ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]، فمبادر ومتملك، فمُتملَّك من تملّك، ومن هذه الحضرة ينقلب الولي نبياً والنبي ولياً، هي حضرة الخليفة والختم ومحل الإفشاء والكتم، وإن رغم أنف المنكر، فإنه القائل المستكبر أخذ بقضاء الله، إلى إن حصل في "مضمار الانتباه" فينقلب عينه ويتصل بينه فيا حضرة فرق ويا مقعد صدق ما أعطاه بحق.

مرجانة اللؤلؤة الخامسة

كذلك إذا طلعت نجوم العلوم من سماوات الفهوم افتقر إليه كل شيء ولم يفتقر هو إلى شيء وسبحت دراري صفاته في أفلاك ذواته على برج مقاماته ومنازل كراماته فخلق الأيام بدورها، وتثبت الأحكام بكرها، فسبعة سابح في سبعةٍ كإقبال في ثمانية وعشرين ورجعة مقسمة على اثني عشر محلاً، لتصح اثني عشر شهراً حراماً وحلالاً فليس إلا أربعة أعلام، أيام وجمع وشهور وأعوام، فالأيام داخلة

في الجمع والجمع والأيام داخلة في الشهور والأيام والجمع والشهور داخلة في الأعوام، ثم يرجع الكور فيتوالى الدور فلدراري جمعة تمام والمنازل شهر والبروج عام، فإن كان يومك الأحد، فإدريس جليسك فلا تلوي على أحد، وإن كان يومك الاثنين فآدم جليسك في برج النشأتين، وإن كان يومك الاثنين والثلاثاء فهارون جليسك فالزم الاهتداء.

ويحيى أنيسك فالزم العفاف والاكتفاء، وإن كان يومك الأربعاء فعيسى جليسك فالزم الحياة القدسية والبيداء وإن كان يومك الخميس فموسى جليسك فقد ارتفع التلبيس وكملت على كشف ولا أنيس، وقد استبشر الملك وخنس إبليس، وإن كان يومك العروبة فيوسف جليسك صاحب الصفات المعشوقة المحبوبة، وإن كان يومك السبت فإبراهيم جليسك فبادر بكرامة ضيفك قبل الفوت فهذه أيام العارفين، وهو لا دراري أفلاك السائرين، وأما شهودهم فأربع جُمَع فاستَمِعْ أيها السالك واتبع فكشف جمعتهم الأولى لوحيَّه، والثانية قلمية والثالثة يمنية والرابعة علمية، وعلمهم: ﴿ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

فعليك بالانتباه فمحرَّم التحريم والتبري، وصَفَرْ التجلي والتحري وربيع العرف، وربيع الكشف وجمادى الأولى، وجمادى الآخر، ورجب المشهد الأشمخ وشعبان البرزخ، ورمضان الصمدانية، وسؤال عين الماهية، وذو القعدة البساط وذو الحجة الانبساط فهذه شهورهم وهذه دهورهم، فشمسهم حياتهم، وزهرتهم نظرهم، وكتابتهم كلامهم وقمرهم علمهم، والمقاتل قدرتهم، والمشتري إرادتهم وكيوان سمعهم فشمسهم روحهم، وقمرهم نفسهم، والخنَّس حواسهم. وترحيلهم سيرهم في المقامات وتأثيرهم ما ظهر عنهم من الكرامات ورجوع دورانهم نزولهم إلى البدايات، بعد النهايات لكن نشأة أخرى، في يوم طامة كبرى، فيمانية وشمالية في الترحيل، بالترقي بأسماء حقٍّ الخلق، وأسماء حق الحق، على التحريم والتحليل وكسوف يعتري، الكمل قد يُرى. وأدنى يكشف أعلى. لغلب الشهادة على ما خفى، وزيادة في قمر النفس، ونقص وذلك لتعويج القوس فخروج من حضرة الحق ودخول ومحاق وأقوال ولا يكسف إلا التراب ويتوب الله على من تاب، ويكسف القمر الشمس في أَوْجها إذ دخل برجها، ولولا طلب الاختصار لأوضحنا هنا من الأسرار ما فيه عبرة لأولي الأبصار فانظرَ على هذا الأنموذج، في نفسك واجتهد في ترحيل قمرك في شمسك، والله يهدي إلى الطريق الأقوم والسبيل الأقوم.

مرجانة اللؤلؤة السادسة

كذلك إذا كان الإنسان في مقام المجاهدة وعدم القرار فعنصره النار فإنْ تلطفت ذاته بكشف الإيماء، وفني عن تأثير الإرادات وسلطان الهواء، فعنصره الهواء فإن كان في مقام الحق بالأسماء بعد الأسرار، والنزول من السماء فعنصره الماء فإن صمت وهو متكلم وتبرَّأ من العلم وهو مُعلّم وساوى بين الأقارب والأتراب وعمَّ بخطاب الهداية الأعداء والأحباب فعنصره التراب.

مرجانة اللؤلؤة السابعة

كذلك إذا علمَ الإنسان أنَّ وجوده سرابٌ إلى جانب وجود الوهاب ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٣٩].

فلولا نفحة الدعوى، ما تشبَّه بالماء، فإن ارتقى على كل هذا الشكل. فسرابه عبارة عن المثل. وذلك إذا تجلى الحق إلى قلبه في مكنون غيبه، فسطعت أنواره عند التجلي، فتخيَّل الظفر به في ذلك التدلي فوجدَ الأين يحصره، والعين تبصره والكيف ينعته، والعقل في التشبيه يمقتُه فيرجع بعد الغِنى إلى العجز، ويعرف أنه خلف حجاب العِز، يجد الله عنده، فيوفّيه عهده، فتحقق رشده.

مرجانة اللؤلؤة الثامنة

كذلك من وَسِعَ الحق قلبه فقد استوى شهادته وغيبه، والتحمت يواقيته وانعدمت مواقيته، وكان الحق هنا الساري إلى عبده رحمةً من عنده، وهذا الفرق بين النبي والولي والتهامي والنجدي، فإنَّ النبي يسري إلى الحق العلي والحق يسري إلى الولي، إذ لا طاقة له على التسرّي لقوة امتزاجه بالورى وتثبته في الثرى، فمن غلبت عليه روحانيته واستولت عليه ربانيته سرى إليه سير النبي على البُراق العلي: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

والحق يفرقه ويجمعه فمن أرادَ بسط هذه المرجانة، ولؤلؤتها على الاستيفاء فليطالع من كُتبنا كتاب الأسرار هنالك يعرف منزلته، ويكشف مرتبته.

مرجانة اللؤلؤة التاسعة

كذلك عالم الشهادة تمام العوالم ونكتة العالم هو مجتمعُ الأسرار ومطالع الأنوار، به يصح المجد وله يحصل الجد، فإن قال أنا سيد العالم فله أن يقول لأن العقل لا يصح له علم إلا بعد المغيب في هذا الجسد والأفول، وإن قال أنا بشر مثلكم دون زيادةٍ فلا اشتراك في العبادة والإنسان في نفسه نسختان، ولذلك إذا صام له فرحتان، فنسخة إحساسه تفرح بفِطرها، ونسخة عقله تفرح بلقاء ربها، فكان الواحد مثالاً والآخر له تمثالاً، وقد كان ملك الروح موجوداً، وعالم الملك مفقوداً، ولكن يلاحظه في أطوار تنقّله من الأصلاب إلى أوانِ انسلاخه منها والانسلاب، فمن انسلخ عن صلبه فقد فاز بلذة قربه ومن تقدم روحه على حسبه حاز حضرة قدسه ومن دبر ملكه في عالم الغيب برَّأه عند وجوده من الغيب والريب ومن كان آدميَّ الوضع محمديَّ السر فقد حصل المقامات على الاستيفاء وكلمه الجبار بوساطة الافتقار إلى النار في حق الأغيار كذلك من مشى في حق غيره فقد باء بجميع خيره فإن مشى في حق الحق فهو في مقعد الصدق فتحقق ترشد.

مرجانة اللؤلؤة العاشرة

وإن كان العارف أمره متبوعاً وكلاماً مسموعاً وحصل المشاهدة الغيبية وحاز المرتبة القطبية، وساقت إليه الأسرار، واطّلع الأنوار من خلف الأستار، وكانت مادته كالشمس في مادتها وقبلت كل ذات على حسب حقيقتها، فإذا حصل في النور تغيير، فذلك راجعٌ إلى محل التكوير، فكما لا يساوي قبول الجسم الصقيل قبول الدرن للنور والفيض هو واحد، كذلك منازل القلوب عنه فيض الشاهد، فالقطب يرسل نوره، والكون منه ما يكشف حجابه ومنه ما يرخي ستوره، فالغيب من كون النفس لأمر عين الشمس، فالإمداد وتري والقبول وتري شَعَعِي، فنور المعرفة كالسراج في الصفة، فكما أن نور السراج ما قرب منه إلى الفتيل أظلمَ وعاه، وما بعد منه وارتفع سطع وأنار كذلك نور المعرفة ما

امتزج منه بعالم الشهادة قلَّ ضوؤه وتراكم غمامه ونوؤه، فإن الحل كثيف ونور المعرفة لطيف وما تعلق منه بالعقل والروح أنار، كذلك يوح وبقي على أصله من الجلاء لما انسلخ من العماء وكما أن الفتيلة إذا كان في رأسها دخان مسامتٌ لنور السراج لاصق به جرى نور السراج في أنبوب الدخان حتى يستقر برأس الفتيلة فيَقِدُ على بُعْدٍ فما ظنك بنور المعرفة من بعد كذلك للعارف إذا احترق قلبه بالشوق وصعدت همته إلى فوق، واتصلت بنور المعرفة المعروف، ردها إلى قلب العارف بأسى معروف، فعاش بها زماناً وأنار بها أكواناً، وكما أن السراج إذا طلعت الشمس لم يتغير ضوء نفسه كذلك نور المعرفة في المعارف إذا تجلى الحق للأعيان وأظهر قدسه أنار الوجود بتجليه، وأنار العارف بذلك التجلي وزاد على الغير بما أودعه فيه، فهو بنورين، ويشهد الحق من الجانبين وكما أن نور السراج أبداً إلى جهة فوق كذلك نور المعرفة متعلق بالحق، فإن مرَّ على السراج هواء تمايلَ تمايُل النشوان فإن اشتد عليه الهواء عدم من العيان.

وكذلك نور معرفة العارف إن دَاخَله تعلق بالأكوان، تمايل النشوان عن الشمائل والإيمان، فإن تعلق بها تعشُّقاً عدم من عين المشاهدة تحققاً، وكما أن السراج يطفئ منه الهواء بالحق ويبقى منه أثراً ما لم يلحق كذلك نور المعرفة ليس يذهب ذهاباً كُلياً ولكن يذهب منه ما تعلَّق بالخلق ويبقى منه ما تعلق بالحق وكما يفجأ النفخ للسراج بغتةً فيطفيه كذلك الخطوة المستفرقة تطفئ نور المعرفة ولا تكلؤه.

فإن بقي منه دخانٌ؛ فتلك الهمة، فسيعود إليه نوره وهو جالسٌ وإن لم يبق له دخان فسيكون الفرانق الفارس، وكما أنَّ السراج إذا لم يمده الدهن طغى، كذلك نور المعرفة إذا لم يمده التقوى عُدِمْ، وكما أن السراج إذا لم يتعلق بجسم لم يبقَ له عينٌ كذلك نور المعرفة مع الكون، وكما أن نور السراج لا يكون ضوؤه كاشفاً إلا حيث الظلام، كذلك نور المعرفة في الأجسام، وكما أن السراج لا يستضيء به إلا من يليه.

كذلك نور معرفة العارف لا يستضيء به إلا من يصطفيه ويُدنيه، وكما أن السراج لا يستضيء به من بعد كذلك نور المعرفة لا يستضيء به من جحد، وكما أن السراج يكشفه البعيد والقريب كذلك نور المعرفة يشهد له البعيد في الأفعال والقريب في وصفه العجيب، وكما أن من حصل في ضوئه السراج لا يكشف ما بعد عنه وأعماه، كذلك نور المعرفة من قرب منه لا يعرف سواه، وكما أن السراج يَقِدُ منه أهل الأرض ولا ينقص ذاته، كذلك نور المعرفة إذا حققت صفاته وكما أن السراج ما اتصل منه بالفتيلة اتسع، وما بعد عنها خرج مخروط الشكل وسَطَع، كذلك نور المعرفة إذا تعلق بالأفعال اتسع باتساعها، وإذا تعلق بالحق ضاق ورق لعجزه بمكانها، وفي السراج من الأغيار ما يضيق الديوان عنه ولا يبلغ لدكنه فكيف لو أخذنا في اعتبار الشمس في هذا المقام والقمر في حال نقص والتمام.

أو في كونٍ من الأكوان لضاق الزمان من إبراز سرائره للعيان، فليَكْفِ من ذلك ما ذكرناه، وليستدل بهذا على ما تركناه، وهذا هو حظ الإنسان من اللؤلؤة العاشرة قد ذكرنا بعضه، وأجمل معناه لما قصر عنه لفظه والله يهدي إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم.

إثبات الإمامة على الإطلاق من غير اختلاف

اعلم أن الإمامة هي المنزلة التي يكون النازل فيها متبوعاً وكلامه مسموعاً وعقده لا يُحل، وضَرْبُ مُهنّدِهِ لا يفل فإذا هَمَّ أمضى، ولا راد لما به قضى، حسامه مصلت وكلامه مصمت، لا يجد الغرض مدخلاً إليه، وإن رام اعتراضاً عوقب عليه، وقد أثبتها سبحانه وتعالى كبرى وأكبر صغرى وأصغر، فأي منزلة كانت صغرت أم كبرت جلّت أم قلّت، فإن الطاعة فيها من المأموم واحدة والمخالفة لها فاسدة إذ قد وقع التساوي في الطريقة والاشتراك في الحد والحقيقة.

وحكم الإمام على قسمين، لما كان الإمام إمامين ناطقٌ ومضمن نطقاً وصادق ومودع صدقاً كالإمام الذي هو الكتاب الصحيح الذي يشهد عليه بالتصريح فيحكم عليه الكتاب بما شاء كيف شاء ولذلك قال الصادق المختار: "فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار" وكل ملك لا يكون فيه إمام متّبع، فعن ما قريب ينخرب ذلك الملك ويتصدع ولهذا توفرت دواعي كل أمةٍ إلى اتخاذ الأئمة، وهكذا جرت الحكمة الإلهية والنشأة الربانية فقال الحكيم الخبير: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، كل أمةٍ على حسب ما تعطي حقيقتها وتقبل رقيقتها فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٦]، فألحق البهائم بالأمم وحكم بذلك وعمَّ وكل أمةٍ في أُفقها ناطقة وفي أوجها عاشقة فليس في الوجود جماد ولا حيوان إلا ناطق بلسان، لسان ذات لا لسان حال والقائل بخلاف هذا قائل محال فلا حجب كثيفة والمعاني لطيفة فلو كشف الغطاء، وزال الاستبطاء لرأيت كل ذات مسبحة في جنسها، ناطقة في نفسها ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، موفٍ بعهده، ألا ترى أن المؤذن يشهد له مدى صوته فهذا قد عرفنا بحقيقته لغته، وكلام المؤذّن يسمعه كل حيوان ما عدا الإنس والجان، وفي كل أمة من هذه الأمم نذيرٌ من جنسها على حسب نفسها، ولا بد من اتخاذ الإمام المتبع في الشيء الذي قدم له واتبع فإن نازعه آخرٌ هلك، وبقي الأول على ما ملك إلا إن ظهر منه نقص في شروط الإمامة ولم يثبت فيه العلامة فليعذر من وقته مقته، وليقدم في تلك المنزلة من كانت فيه الشروط على العقد المربوط، فإمام الأئمة كلها هاديها ومضلها.

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فقد قرن الفساد بالاشتراك وقال إن بها يقع الهلاك فلا بد من اتحاده في حكم بلاده، فلا سبيل إلى منازعته ولا مدخل إلى مطالبته إلا كما ذكرت لك من كمال الشروط واستيفائها، والوفاء بحقها وأدائها وإمام الصلاة إمام فيها، على أركانها ومبانيها فإذا ركع فاركعوا فإذا سجد فاسجدوا ومن رفع قبل الإمام فناصيته بيدِ الشيطان، وكذلك القاضي إمام فيما نصب إليه، والقائم إمام فيما قدم عليه، وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته فكلكم إنسان إمام في بيته وبنيته والإمام الأكبر المتبع، الذي إليه النهاية والمرجع، وتنعقد عليه أمور الأمة أجمع، فكل إمام لا يخالف في إمامته إذا ظهر بعلامته، وكل إمام تحت أمر هذا الإمام الكبير. كما أنه تحت قهر القاهر القدير، فهو الأخذ عن الحق، والمعطي بحق في حق فلا تخربوه وانصروه وَوَقّروه وعَزّروه فإنه إلى هذه المنزلة الشريفة الإشارة بقوله سبحانه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

ولما وقع الاعتراض عليه جعل المعترضين سجَّداً بين يديه فاختص بخزي الأبد من أَبَى عن السجود حين بادر. وما امتثل الأمر وسجد، وكفى بهذا الإنسان فكيف إذا انضاف إلى هذا كونه على

صورة الرحمن فله الفضل على جميع الوجود بالصورة والسجود فبالصورة صحت له الإمامة. وبالسجود صحت له العلامة، حين يشهد الحق له أنه علامة. ولما كان الأمر على هذا الترتيب وأعطت الحكمة على هذا التقريب كذلك هذه النشأة الإنسانية، والنكتة الربانية فيها أئمة كما فيها أممٌ أمة فوق أمة إذ كان أم الكتاب وحضرة اللّباب. والروح الفكري إمام والروح العقلي إمام والروح المصور والروح الخيالي والروح الوهمي إمام، الحواس أئمة ولكل إمامٍ من هذه الأئمة أمة والإمام الأكبر، والنور الأزهر، والقلب المقدم على عالم الشهادة والغيب وهو القدسي، والإمام القدسي وإليه أشار ﷺ بقوله: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب".

فإن كان صالحاً فروحٌ قدسيٌّ وإن كان غير ذلك فشيطان غوي، فالرغبة على دين الإمام سواء في عالم البسائط أو عالم الأجسام فإمام الإنسان هو الذي قال فيه الرحمن: "ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي" حين ضاق عن حمل تجليه الأرض والسماء واستحال عليهما الاتصاف بالأسماء فصار قلب العارف بيت الحق ومقعد صدقٍ، فقد ثبت الإمام جمعاً وأتى الناس إليهما كرهاً وطوعاً.

واعلموا أن المبايعة لا تقع إلا على الشرط المشروط والعقد الوثيق المربوط كل مبايع على قدر عزمه ومبلغ علمه فقد يبايَع شخص على الإمامة وفي غيره تكون العلامة، فتصبح المبايعة على الصفات المعقولة لأعلى هذه النشأة المجهولة فيمد عند تلك المبايعة الخليفة الناقص في ظاهر الجنس الخليفة المطلوب يده، من حضرة القدس، فتقع المبايعة عليها من غير أن ينظر ببصره إليها، ولذلك يقع الاختلاف في الإمام المعين لا في الوصف المتبين، فقل الخليفة تجمع القلوب عليه، ولا سيما إن اختل ما بين يديه، فقد صحَّت المبايعة للخليفة وفاز بالرتبة الشريفة، وإن توجه اعتراض فلا سبيل إلى القلوب المنعوتة بالمراض، ولما كان الحق تعالى الإمام الأعلى والمتبع الأولى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح: ١٠]. ولا ينال هذا المقام الأجسم بعد النبي المصطفى الأعظم إلا ختم الأولياء الأطول الأكرم.

إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته والإعلام بأحواله وآياته

واعلم أن الله تعالى ذكر الختم المكرم، والإمام المتبوع المعظم. حامل لواء الولاية وخاتمها، وإمام الجماعة وحاكمها وأنبأ به سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه العزيز تنبيهاً عليه وعلى مرتبته ليقع التمييز فإن الإمام المهدي، المنسوب إلى بيت النبي ﷺ. لما كان إماماً متبوعاً وأمراً مسموعاً ربما اشتبهت على الدخيل صفاقما واختلطت عليه آياقما، وأما عيسى عليه السلام فلا يقع في آياته اشتراك، فإنه نبي بلا ريب ولا ارتباك. ولما كان الختم والمهدي كل واحد منهما ولي ربما وقع اللبس وحصل التعب لدواعي النفس، فلهذا الأمر الكبار ما نبه عليه لأهل البصائر والأبصار، وأما العوام فليس لنا معهم كلام، ولا له بساحتهم إلمام، فإنهم تابعون أسماءهم مقتدرون بأمرائهم، والأمراء والعلماء يعرفون، ويقتفون أثره ويتبعونه حتى أن عيسى عليه السلام ليذكره فيشهد له بين الأنام، وأنه الإمام الأعظم والختام. لمقام الأولياء الكرام، وكفى بعيسى عليه السلام شهيداً، وإن وراءكم له عقبة كؤوداً. لا يقطعها إلا من ضمر بطنه وسهل حزنه، فموضع نبه عليه سبحانه أنه سيظهر على أوليائه وينصر على أعدائه، وذلك فاعلم.

وهذا فصل يحتوي على مولده ونسبه ومسكنه وقبيلته وما يكون من أمره إلى حين موته واسمه وأسماء أبويه مما تضمنه نص القرآن الصحيح والخبر الواضح الصريح فأما القرآن فتضمن ذكره وذكر أخيه، وأما الخبر فيعم ذكره دون أخيه إلا في موضع واحد فذكر مع متبعيه، وتتبعت مواضع التنبيهات عليه والتنصيص في القرآن فوجدته كثيراً لكن على تقاسيم البرهان فمنها في البقرة موضعان: فيها علاماته، ومكانته وآياته في آل عمران أربع مواضع الاعتناء به قبل وجود عينه، وتقدم شرفه قبل كونه وآثاره الحميدة، وأفعاله المشهودة وإلحاقه بالنقص والحط والنقض، والحل بعد الشد والربط، ومسكنه الذي لا تغيره الذاريات، ولا تجهله التاليات، أوجب التصديق به خالقه، وأودعه في الشرع واثقه.

وفي **النساء** أربعة مواضع، التحق بعضها بصاحب النور وتنزه في ذاته عن قول الزور، ومناجاته مع إخوانه، وجولاته في ميدانه أفرده بالصدق في نطقه، مناسبة بينه وبين خلقه، جاء حرف تنبيه، لا تبعيض فأبانه وأظهر للعقول السليمة منزلته ومكانه، ثم ذكره بما دل عليه أبو يزيد في مناجاته بسماء التوحيد وشاركه في أوضح الأسماء، صاحب سورة الإسراء.

وفي **المائدة** في ثمانية مواضع علمه الراسخ ومنصبه الشامخ، ونوره الأوضح، وسره الأفصح ونصحه وتحريضه وتخصيصه وتحضيضه لاطَهُ بالأنقص بتصريح النص، لتكميل علمه وتنقيح فهمه، خاطب الحق عباده على مقوله، كما فعل بأنبيائه ورسله وذكره بالأفعال الغيبية في العين، ورده من عالم البقاء إلى عالم لبس الكون.

طولب بخطه الأعلى من المقامات العلى، فألحق بالسفلى وبالعدول عن الطريقة المثلى. اتحد سره بربه، تعشقاً لانسلاخ زمان قربه، فأراد الرجوع عن مدركه، والسلوك على منهجه، فنودي في الأعنان في عرصات الكيان بلسانك الشرك، والبراءة من الإفك، فوحد واستشهد وسجد للواحد الأحد.

وفي **الأنعام** موضع رتقه رتقاً لا يفتق، وجعله خلقاً لا يخلق وفي براءة موضع لما وقف على حقيقة شرف نفسه. فلطه يسر من جنسه، وفي **مريم** موضعان، توج (توخ) فساد وأخمد نار العنان (العناد). وفي **الأنبياء** موضع زكى فتزكى، ونودي فلم يتلكا.

وفي **المؤمنين** تشام فريع (فرجع) وأخصب ورتع.

وفي **الصافات** عرض بأخيه مع جملة بنيه، وفي **الشورى** موضع مهد له السبيل وعرف أسباب التنزيل. وفي **الزخرف** موضع نبه على مقامه تنبيهاً لا يرد ببرهان لا يصد.

وفي **الحديد** موضع الحق تالياً، ولم يصح أن يكون متلواً فكان صديقاً ولياً فإن النبي هو المتلو لا التالي والولي هو المولى عليه ليس الوالي، وفي **الصف** موضعان قيل عنه فقال وردد ذنبه فزال المطال.

وفي **التحريم** حرم، وأقر له بالمقام وسلم، وأما الخبر الصحيح في مثل البخاري ومسلم.

فانظروا ما أشار إليه ابن بطال وصاحب كتاب المعلم إلى غير ذلك من الآيات البينات، وأما النبي محمد ﷺ فإنه اجتمع به في الأرض التي خلق منها آدم عليه السلام، وفي هذه الأرض من العجائب ما يعظم سماعه، ويكبر استشاعه، وقد ذكرت هذه الأرض وما فيها من العجائب وما تحويه من الغرائب، في كتاب أفردته لهما سميته "بكتاب الإعلام بما خلق الله من العجائب في الأرض التي خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام".

واعلموا أن زمانه أربع من صورة العقود الأول على حسب ما خطّ له في الأزل فكان العام الأول كشهر والعام الثاني كجمعة، والعام الثالث كيوم، والعام الرابع كساعة، وما بقي من الأعوام كخطرات الأماني والأوهام، وإنه زائل عن مرتبته بختمه، وظاهر بعلم غيره لا بعلمه وجار في ملكه على خلاف حكمه، ولولا ظهر بهذا العلم، وحكمه بهذا الحكم. ما صح له مقام الختم ولا ختمت به ولاية، ولا كملت به هداية، وإن له حشرين، ولصحبه فجرين، ولوجهه نورين، وفي حفظه علمين وله عالمين يشركهما في حكم، ويخص أحدهما بحكم، فهو صاحب حكمين "وهو من العرب لا من العجم" آدم اللون أصهب أقرب إلى الطول منه إلى القصر كأنه البدر الأزهر اسمه عبد الله وهو اسم كل عبد لله، وأما اسمه الذي يختص به فلا يظهر فيه إعراب، وينصرف في صناعة الأعراب أوله عين اليقين، وآخره قيومية التمكين ونصف دائرة الفلك من جهة النصف الذي هلك لا يدع باسم سواه ولا يعرف أباه، إن وقف قلت سرولة وإن مشى مشى بين السعي والهرولة، مرضي القول مشكور الفعل وهذا هو فاعلمه.

فيما قد وضحت لك فيه الدليل، ومهدت لك السبيل، وأغلقت عليك بالنص باب التأويل، وعينته لك باسمه ونسبه.

وأنه سيد الأولياء كما أن سيدنا سيد أنبيائه وإن شئت أوضحه لك في العدد، وأقسم لك بهذا البلد، وإنه للسيد الصمد فانظره في ثلاثين عدداً، وكن لشيطان جهلك شهاباً رصداً، فإن لم تقو على التفسير، فعن قريب يأتيك بقميصه البشير فيكشف كروبك ويرتد بصيراً يعقوبك، هو شق في خلقه، وسطر من جهة خلقه وحقه، فانظر هناك تجده أباك، وأما الختم في حق الإنسان فهو عبارة عن المقام الذي لا ينتهي بك إليه، ويقف عليه وكل سالك حيث وصل ومقامه حيث نزل، فلا يتعين فيوقف عنده، ولا تظهر المعارف لنا حده ولكن ختم المقامات التوحيد وأسرار الوجود في مزيد.

اللؤلؤة اللاحقة بالياقوتة السابعة

ولما كانت القطوف دانية في انعطاف القرون الثلاثة المتوالية وكان قطف فوق قطف، وعطف فوق عطف، وانتهى الأمر، وقيل ما بقي خير ولا أمير واستمسكوا بحديث النبي ﷺ حين بلغهم عنه "أنه ما ينقضي زمان إلا ويأتي شر منه"، وغفلوا عن القرن الرابع الآتي بعد الثلاثة الذي هو زمن المهدي، والختم الولي، ونزول عيسى النبي، وذلك أنه لما انتهت القرون الثلاثة ودخل صفر، ظهر الفساد في البشر، وتوالت أدوار النحوس في الأكر، إلى أن دخل رجب الفرد الملحق بأول الثلاثة السرد فالتحق بأصحابه وتميز في أبوابه.

والتحمت القرون، بظهور السر المصون، ولما كان ذو الحجة وسط الثلاثة المحرمة وكان من أعظم الشهور المعظمة. إذا كان شهر رمضان التبعات، والمغفرة لأهل عرفات، فهو الأول بالفضيلة، وهو الوسط بالدورة الربانية، والحكمة الإصلاحية فخذ روحانيته في التقديم، وذلك من باب الحكمة لا التحكيم فهو الأول، وإن كان وسطاً ولم أقل في ذلك شططاً ثم لما كان الترحيب والتعظيم التحق الآخر بصاحب التقديم، وهو الأصب والأصم، الملحق بالثلاثة الحرم.

لكن أقوى ما تقوم عليه الحجة إلحاقه في التعظيم بذي الحجة، وقد يكون الآخر بالجسم، يتقدم على الأول في الحكم، ألا ترى أن النبي ﷺ مؤخراً في النشأة الدنياوية، مقدماً في النشأة الأخروية، وإذا صح التقديم فالتساوي أحرى وبهذا أشار من جرى هذا المجرى، ألا ترى نص النبي ﷺ لأصحابه عنكم "للعامل منهم، أجر سبعين منكم فقالوا بل منهم فقال: بل منكم" فأكد بالعطف التفاضل في النطف فانظر إلى عظيم هذا البذل وعميم هذا الفضل فإن احتج عليك الخصم الضعيف بمفاضلة المد والنصيف فاعلم أن للمفاضلة أبواباً وأن لها عند المفضل أسباباً إذ هي راجعة إلى الزيادة والنقص بالحكم الإصطلاحي والنص، فقد فضل الواحد صاحبه بتكليم الله له، فضله الآخر بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وإذ قد صح القول وتبين التساوي فقد فضلونا من غير الجهة التي بها فضلناهم وعرفونا بغير الدليل الذي عرفناهم وقد يقع الاشتراك بيننا في الصفة، ويجتمع في بعضهم راتب المعرفة، فإذا تحققت هذا التفضيل فقد فتح لك في التفضيل وساغ لك التأويل.

ولما كان ذو الحجة أوان الفضل والتعيين حملنا ما بعده من الشهور على المتين من السنين فكان طلوع بعد إنقضاء الخاء من حروف الهجاء وكان ميلاده إنقضاء الضاد والباء بعد ميلاد الإنشاء، وانتظام الأجزاء، ولعل الناقد يدخل البايع في العلم فقل له ذلك أوان الحكم في دولة العز، بظهوره وعند انقضائه، وجود ختم أوليائه، عند فناء العدد الوتر، المذكور في الشعر.

تم بحمد الله وعونه كتاب عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب

كتاب الحجب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حَجَبنا به عنه، غيرةً أن يُعرف له كنهٌ، بدا نوراً فاستتر عن الأبصار بنوره، وظهر فاحتجب عن البصائر بظهوره، فاندرج النور في النور وبطن الظهور في الظهور، فلا يقع بصرٌ إلا عليه، ولا يخرج خارج إلا منه، ولا ينتهي قاصدٌ إلا إليه. فيا أولي الألباب أين الغيبة والحجاب؟

ومن عجبٍ أنّي أحنُّ إليهم	وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
فتبكيهم عيني وهم في سوادها	وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

من كانت غيبته حجاباً عليه فلا حجابٌ ولا محجوب، ومن كانت هِبَاته لا تتعدى يده فلا واهبٌ ولا موهوب، ينقل العالم من يدٍ إلى يد، وما للواحد من الواحد بُد.

أما بعد: فإنَّ من استوهب الواهب وهب على كل حال، ومن استوهب غيره فهو مستوهبٌ محال، فإياه أسأل، وإليه أتضرعُ وأرغب، في الإمداد والإرفاد فإني المحتاج وهو الجواد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ربُّ الأسافل والأعالي، ومشهود الأباعد والأداني، الوهّاب. سر الوجود المطلق محمد ﷺ فكان له به الخُلق المحقق فله الخُلق ولنا التخلّق، ولنا العلم والعين، وله معهما مقام التحقق داعية.

اعلم أنَّه لولا المحبة ما صحَّ طلب شيءٍ أبداً، ولا وجود شيء، وهذا سرٌّ: (فأحببت أن أعرف) ولما كانت الحركة من شيء إلى شيء، فالمحبة أصلٌ في باب وجودِ الأعيان وفي باب مراتبها ومقاماتها، وقد يتخيَّل أيضاً أنَّ الخوفَ يوجب بعض ما ذكرناه فيجعله أصلاً ثانياً لما يوجب من الأفعال، وليس كذلك وإنما اندرج في الخوف حب النجاة. فلولا الحب في النجاة ما صحت الحركة من الخائف، إذ لا غير الخوف، فيتخيل أن الحركة خوفية وهي حُبّية، ألا ترى إلى من طلب ما جرت به العادة أن يُنفر منه، وهو العذاب فقال:

أريدك لا أريدك للثواب	ولكني أريدك للعقابِ
وكل مآربي قد نلت منها	سوى ملذوذ وجدي بالعذابِ

واللّذة محبوبة لذاتها، وهذا الطالب ما طلب العذاب الذي هو الألم فإنَّ اللذة تضاده، وإنما طلب سبب الألم ليكوّن عنه اللذة، وهي خرقُ العادة، وهو الذي أشير إليه إذا قيل: ليس العَجَب من وردٍ في بستانٍ وإنما العَجَب من ورد في قعر النيران. يشير إلى من تقوى وجده بمحبوبه ودام نظره إليه، والقُرب منه. فما زال قلبه محترقاً باستيلاء نار الوجد عليه منعّماً بنظر المحبوب إليه. وإلى هذا المقام أشار القائل بقوله:

منعّمٌ بعذاب	معذب بنعيم

وليس هذا من باب الحقائق، وإنما هذا من باب سُكرِ الأحوال، فلا يفرق بين أسباب النعيم والعذاب، وقد كان الحلاج على جلالة قدره ودعواه العريضة في استيلاء الحق عليه وفنائه فيه وما كان يشير إليه من الاتحاد في مثل قوله يقول:

مازجتْ روحك روحي ... في دنوي وبعادي
فأنا أنت كما ... إنك إني ومرادي

وشبه هذا ما اشتهر به واشتهر عنه أحس بالألم عند وقوع البلاء وعندما أحس بتغير بشريته لطّخ وجهه بدمه غيرةً منه على المقام من وقوع العامة فيه، فإن حاله في ذلك الوقت يعطي ذلك. وهو القائل أي الحلاج:

ما قدَّ لي عضو ولا مفصل ... إلا وفيه لكم ذكر
وحرمة الود الذي لم يزل ... يطمع في إفساده الدهر
ما حل بي عند نزول البلا ... بأس ولا مسّني الضر

وقال فيه أيضاً وهو مما يدلك على إحساسه بذلك:

فلما دارت الكاسات ... دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

فجعله تنيناً. وحسب العارف بالمقامات من هذا الرجل ما قال.

والحاصل من أمره أنه كان صاحب إدلال لا صاحب سكر، وإذا كان الحب هو أعلى المقامات والأحوال، وأصلها والساري فيها، وكل ما سواه فرع منه فالأولى أن ترد إليه جميع المقامات والأحوال. ومما يفيدك أن الأمر الجامع والأصل الكلي كونه مقام أصل الوجود وسببه ومبدأ العالم ومده، وهو محمد ﷺ فاتخذه الله حبيباً، حين اتخذ غيره خليلاً، ونجياً، وصفياً.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: "أوتيت جوامع الكلم" فمن حقيقة هذا السيد صلوات الله وسلامه عليه تفرعت الحقائق علواً وسفلاً.

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

فأعطى الله عز وجل أصل المقامات وهو المحبة أصل الموجودات وهو سيدنا محمد ﷺ. وبالحب كان الوجود المحدث. وقد ورد في الكتب المنزلة قال الله تعالى: "كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً وتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني". فقد جاء بأحببت وتحببت.

فإذا تحققت أن المحبة هي الأصل، وأنها أعلى ما يوهب من العُلا. فلا يؤيسنك علوها عن طلبها وقد قيل:

لا يؤيسنك من مجد تباعده ... فإن للمجد تدريجاً وترتيبا
إن القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمو وتنبت أنبوباً فأنبوبا

هذا وإن اختص بها سيدنا محمد ﷺ فما اختص إلا بالكمال فيها ولكل موجود منها شرب، لكن تتفاضل المشارب، ومع أنها أعلى المقامات والوقوف معها حجاب عن المحبوب، فما ظنك بما يتفرع منها. ولما كان الأمر على الترقي والتداني إلى مقام التدلي والتلقي، لا بد أن يكون الأعلى حجاب على الأنزل، إذا كنت متدلياً. ولا بد أن يكون الأنزل حجاباً عن الأعلى إذا كنت متدانياً، لكن الصاعد محكوم عليه، والمتدلي حاكم، والكل في الحجاب، ومقام لا حجاب حجاب.

فصل متمم

اعلم أيها المحب كائناً من كان أن الحجب التي بينك وبين محبوبك كائناً من كان ليست شيئاً سوى وقوفك مع الأشياء لا للأشياء، كما يقول من لم يذق طعم الحقائق، وإنما وقف مع الأشياء لضعف الإدراك، وهو عدم النفوذ، وهو المعبر عنه بالحجاب، وهو عدم. والعدم لا شيء ولا حجاب، ولو كانت الحجب صحيحة لكان من احتجب عنك احتجبت عنه. والعرف ما نذكره إلا من كان الحق سمعه وبصره، وهو الذي يعرف ما يعبر عنه بالحجاب.

واعلم أنك إذا تفرغت لأمر ما بالكلية فبالضرورة تقف معه، وذلك الوقوف هو حجابك فتتخيل أن الوقوف معه حجبك، وليس كذلك والوقوف مع الخلق حجابك عن الحق، والوقوف مع الحق حجابك مع الخلق. وهذا من باب التوسع والإيناس، كما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الحجب النورانية والظلمانية وعلى هذا التوسع ثبتت الحجب.

حجاب العلم

وهو أول الحجب الشريفة، وهو حجاب عن العين، والعين حجاب عن العلم الثاني، وهو الحق، وهو ما وجد له المعلوم. وقد يعلم ذلك قبل العين فيصير أيضاً هذا العلم الثاني حجاب عن العين. وهذه الثلاث مراتب لا تكون إلا إذا كان المعلوم كوناً من الأكوان.

وأما الذات المقصودة فليس إلا العلم الأول والعين لأنه يستحيل أن يقال لم لأنه من صفة الحدوث، لكن يقتضي أن يكون عليها العالم قسمين مثلاً وأن يكون التردد منا منه إليه بآثار مختلفة فيها كما قيل:

يكـــــون معـــــي ويـــــدعوني إليـــــه ... فأتركـــــــــه وآتيـــــــــه مجيبـــــــا
وأنظـــــــر حـــــــين يـــــدعوني إليـــــه ... فنشـــــهد فيـــــه ترتيبـــــاً عجيبـــــا

فمعرفتنا بوجود الكعبة مثلاً علم، ومشاهدتها عين، ومعرفة ما وضعت له حق وهو العلم الثاني. فهذا المتداول في ألسنة القوم من علم اليقين وعينه، وحقّه.

حجابُ الحب

اعلم أنَّ الحبَّ حجابٌ عن نفسه، فإنه يطلبك بالفناء والبقاء، وهما ضدان وهما من أحكام الحب، لأنه يطالبك بطلب المشاهدة. وهي البهت فيفنيك عنكَ، ويطالبك بامتثال الأمر فيبقيك معك، وإن آثرت امتثال الأمر آثرت المحبوب على نفسك ما لم تتوهم وقوع الهجران بالمخالفة، فإن توهمت ذلك فإنما آثرت نفسك، وإن آثرت المشاهدة فأنت في حظ نفسك مؤثر لها على حظ المحبوب. فالحب يطالبك بحب الوصل كما يطالبك بحب الفراق إذا كان الفراق محبوباً لمحبوبك.

وقد قيل: "وكل ما يفعل المحبوب محبوب"، وقال آخر:

تعشّـــــقت فيـــــه كـــــل شـــــيء يـــــوده ... مـــن الهجـــر حتـــى صِـــرت أعشـــق صـــدّهُ

وإن كنا نعقل أنَّ حبَّ الوصلة في الحب ذاتي، وحب الفرقة في الحب عرضي غير ذاتي، ولكن لا بد من حبه فإذا أحب المحب الفرقة فقد فعل ما لا تقتضيه حقيقة المحبة، وإن لم يحب الفرقة التي هي

محبوبُ محبوبه فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة فالحاصل من هذا أن المحب هالكٌ محجوج لا حجة له، فإنه حصل في مقامٍ متناقض الأحكام. وأما قول من قال:

أريـــــدُ وصـــــاله ويريـــــد هجـــــري فـــــأترك مـــــا أريـــــد لمـــــا يريـــــدُ

فليس بتام ولا كاملٍ في المحبة فإنه قال بالترك لا بالمحبة بخلاف قول الآخر:

أهـــوى هـــواه وأخشـــى مـــن تعتُّبـــه وكـــل مـــا يفعـــل المحبـــوب محبـــوبُ

فالواحد تارك، وهل أحبَّ أم لا فهو في موقف الاحتمال. والآخر أتم في المشي في هوى المحبوب لا أنه أتم في المحبة. وصاحب الترك والإرادة أتم في المحبة لأنه أتم في المشي في هوى المحبوب وتخليص الأمر عندي أنْ يحب حب الحبيب الذي هو الفرقة لا الفراق. مثل الراضي بقضاء الله تعالى وقدره، فإذا قضى بالكفر فهو يرضى بالقضاء لا بالمقضي به فإن المقضي هو الكفر وكذلك قضاء المحبوب بالفراق، ما هو عين الفراق، فحب المحب إنما يتعلق بإرادة المحبوب، الفرقة لا بالفرقة. فإنما يتعلق بهذا الباب قول مجنون بني عامر حين ضمَّته ليلى إلى صدرها فنظر إليها.

وقال: إليكِ عني فإنَّ حبكِ شغلني عنكِ، فهذا فناءٌ في الحب. ويسمى شهوة الحب وصاحبها ملتذٌّ في اتصالٍ دائمٍ وقد قيل في المعنى:

ولمـــا رأيـــت الحـــبَّ يعظـــمُ قـــدره ومـــا لـــي بهـــا حتـــى الممـــات تـــداني
تعشّـــقت حـــبَّ الحـــب عمـــري ولـــم أقـــل كفـــاني الـــذي قـــد نلـــت منـــه كفـــاني

ولا يتصور في هذا المقام هجرٌ لأن الصورة الروحانية المعنوية التي مسكنها المحب في نفسه من مشاهدة محبوبه ثابتةٌ عنده، وليس لها وجدٌ إلا فيه. ولهذا قيل:

مـــا لمجنـــون بنـــي عـــامر مـــن هـــواه غيـــر شـــكوى البعـــاد والاغتـــرابِ
وأنـــــا ضـــــده وإن حبيبـــــي فـــي فـــؤادي لـــم يـــزل فـــي اقتـــرابِ
فحبيبـــي معـــي وفـــيَّ وعنـــدي فلمـــاذا أقـــول مـــا بـــي مـــا بـــي

والحس لا يقيده عن مشاهدة هذا المثال الحاصل عنده، لقوة سلطانه عليه وتحقُّقه به، فإذا قبل المحب من خارج عن المحبوب طلب المحب البعد عنه لا العطف منه في عينه للمناسبة فإنَّ الحب روحاني معنوي، والمثال كذلك فكانت المناسبة أتم، ووصلت الذات المفارقة تقع بعدها الفرقة والألم لأنه ليس بدائم الاتصال لما يعطيه المقام من تغيُّر الأحوال فيتوهم مثل "قيس". هذا الفراق فخاف من الألم بعد النَّعيم، فوقع النُّفور منه للصورة الخارجة لأن الأجنبية مصاحبةٌ لها، وعاشق الصورة الغريبة اكتفى والجار ذي القربى مقدَّم على الجار الجُنب، وهذا ذوقٌ يعزُّ وَاجدُهُ ولا سيّما في طريق الله تعالى ولو وجد القائلون بالمشاهدة والسماع الذين هم ضالّة الصوفية هذا اَلأمر ما طلبوا شاهداً ولا سماعاً أبداً، لأنه مقامُ فرقةٍ، ولهذا لم يجئ بالشاهد ولا بالسماع كتابٌ ولا سنة ولا جعلوه طريقاً ولا قُربةً، وكان من المباحات إلا الشاهد فإنه إلى المحظور أقرب منه إلى المباح.

ومما يؤيد ما أومأنا إليه كون رسول الله ﷺ ما أحبَّ السماع قط ولا استدعاه ولا تعلَّق له به خاطرٌ أصلاً وهو ﷺ الجامع للمقامات كلها حتى قال للمرأة التي نذرت أن تضربَ بين يديه بالدف: إنْ كنت نذرتِ وإلا فَلا.

وكلُّ حديثٍ روي عنه ﷺ في باب قيامه في السماع وأمثاله مستفعلٌ استفعله من لا خَلاق له ليتمكن بذلك من شهوته. وأكثر شيوخ هذه الطريقة في محل الضعف عن هذا الإدراك، بل هو من قوة النبوة والإرث الإلهي الصحيح وكذلك حبُّ العبد ربه بهذه المنزلة التي تقدمت فإن الفرقة لا تتصور فيه لأنه به، وفيه، ومنه، وإليه، وهو، فلا فراق. لكن ينبغي أن يعرف أي ذاتٍ شاهَدَ حتى يفرق بين الذات الحقيقية التي هي "الهو" وبين الذات المجازية التي هي عبارة عن الصورة وفيها يقع التحول والتبدل، فمتى ما طالع المحب ما عنده فيه فتلك المشاهدة.

ومتى ما طالع ما لم يكن عنده فتلك الرؤية والنعيم بها أتم فاحذر أن تطلبه بما يشهد له به، واطلبه من غير ما تشهد له به، لكن بمن يعرف هو نفسه به. والله الموفق وهو حسبنا.

حجاب الخلوة

الخلوة: حجابٌ عن التجلي القريب الأعم. والجلوة: حجابٌ عن التجلي القريب الأخص.

والواقف: مع كل واحد منهما محجوب. وقد ضمّنها قائلُ فقال، وإن كان لا يدري ما قال:

إلى الخلوات تأنسُ فيك نفسي ... كما أنس الوحيد إلى الجميع

فالواحد يطلبه في الخلوة حين يفقده في الملأ. والآخر يطلبه في الملأ حين يفقده في الخلوة.

وهو لا يتقيد بهما فقد شَهدا على أنفسهما بعدم المعرفة به. وقد قالت الطائفة رضي الله عنهم: من وجدَ الأنس به في الخلوة، وفقد ذلك الأنس في الملأ، فإنه إنما كان بالخلوة لا به وكذلك بالعكس. ولكن الأنس بالخلوة أعلى، لأنها الحجاب الأقرب، والمقام الأسلم، والحال الأرضى.

حجابُ الرؤية

الرؤيةُ حجابٌ عن المرائي وإن كان للرؤيةِ معنًى لطيف يجده الرائي كما قيل:

ولكن للعيان لطيفُ معنًى ... لذا سأل المعاينة الكليمُ

ولكن العلمَ بالشيء ألطف منه في ذاته عند وقوع الإدراك وهو يطلبه موازياً للعلم. فلا يجده كذلك عنده فيكون رؤيته حجاب عليه كما قيل:

ولما رأيت الحق كنتُ حجابه

على أنَّ إدراك الحقيقة في القُرب غير أن الرؤية العظمى بخلاف ما ذكرناه، فإن المرئي هنا ليس على صورة العلم إلا بوجهٍ ما، فإنَّ المرئي ليس بمعلوم الماهية لكنه معلوم الوجود والسلب. وأما الوجه الخاص للعارفين هنا فهو المشاهدة التي لهم هنا كما قيل عن الإمام علي عليه السلام:

رأيت ربي بعين قلبي ... فقلت لا شك أنت أنتَ
أنت الذي حزت كل أينٍ ... بحيث لا أين إلا أنتَ
وليس للوهم فيك وهم ... فيعلم الوهم كيف أنتَ
ففي فنائي فنى فنائي ... وفي فنائي وجدت أنتَ

والشاهد ما حُصِّل من المشاهدة وبه تقع اللذة لا بالمشاهدة.

تم كتاب الحجب

كتاب إنشاء الدوائر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلقَ الإنسان على صورته وخصّه بسريرته، وجعل المضاهاة والمباهاة مقدمتين لتصحيح نتيجةِ معرفته، فطوراً يضاهي به حضرة ذاته وصفاته، وطوراً يضاهي به حضرة مخلوقاته، والصلاة على النبي الجامع للمبادئ الأُوَلْ والمقابل حضرة الأزل، النور الساطع الذي ليس له فيء والمستور خلف حجاب ليس كمثله شيء، ذلك حقيقة الحقائق والنشء الأول المبرز على صورة المخلوقات والخالق، منه من باب الشكل ومنه من باب الحقيقة ومنه من باب الاسم والوصف ومنه من باب الخلائق محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وشرف وكرم.

أما بعد فإنَّ الله سبحانه لما عرّفني حقائق الأشياء على ما هي عليه في ذواتها وأطلعني كشفاً على حقائق نسبها وإضافاتها، أردتُ أن أدخلها في قالب التشكيل الحسي ليقرب مأخذها على الصاحب الولي عبد الله بدر الحبشي وليتضح لمن كَلَّ بصره عن إدراكها ولم تسبح دَراري أفكاره في أفلاكها فيتبين له من أين مرتبته في الوجود وما الشرف الذي تحصَّل له حتى خضعت، له الملائكة بالسجود وإذا سجد له الملك الكريم الأخلص فما ظنك بالملأ الأسفل الأنقص ألا ترى خبر الحق الصدق عنه، حيث قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وأدخل العالم كله أجمع تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع فما من ملأ أعلى إلا بك مستعل وما من ملأ أدنى إلا يتضرع إليك ويبتهل، فهم بين مستغفرٍ لك ومصلّ عليك، وملَكُ سلامٍ يوصله من الحق تعالى إليك، وإذا كان السيد الحق يصلي عليك فكيف بملائكته، وإذا كان ناظراً لَكَ، فما ظنك بخليفته، وما من فاكهةٍ ونعمةٍ عند تناهيها إلا مُتضرعة لك خاضعة أن تؤتى لك ما أودع الله من المنافع فيها، فما في الوجود كله حقيقة ولا دقيقة إلا ومنك إليها ومنها إليك، رقيقةٌ فعدد الرقائق على عدد الحقائق والدقائق، فلولا ما صح لهذا الإنسان أحسن تقويم وفُطر على صورة القديم واستخرج من قصيراه الحق لما سكن له، وبه تعشق لما صح عنه وجود خلق ولا دانَ له الملأُ الأعلى ولا ظهر بالموقف الأجلى ولا عنت له وجوه الأملاك ولا دارت بنفسه أجرام الأفلاك، فاشكر الله ثانياً، يا أيها الإنسان على ما خصّك به الجواد الرحمن من كمال هذه النصبة وأوقفك على معاني حقائق هذه النسبة فابحث عن وجودك وأين مرتبتك من معبودك وميّز بينك وبين عبيدك، فإنك إن فعلت هذا حُشرت في الاستواء الرحماني والإنباء الرباني هذا وقد أوضحتُ لك في هذا الكتاب الذي سميته إنشاء الدوائر الإحاطية على مضاهاة الإنسان الخالق، والخلائق في الصور المحسوسة والمعقولة والخلائق وتنزيل للحقائق عليه في أنابيب الرقائق، فنصبت الأشكال وضربت الأمثال وبيّنتُ ما هو في الإنسان بما هو إنسان وما فيه بما هو صاحب إيمان أو إحسان، تقريباً للفهم وتوصيلاً للعلم، ومن موجد الكون نسأل التأييد والعون بمنه وكرمه.

فصل: واعلموا وفقكم الله لطاعته وجعلكم من الفائزين بمعرفته برحمته، أنه لما كان الغرضُ في هذا الكتاب أين مرتبة الإنسان في الوجود ومنزلته في حضرة الجود وبروزه من غيبهِ بعينه وهل كان

متَّصفاً بحال قبل كونه، احتجنا أنْ نتكلمَ على العدم والوجود، ولماذا يرجعان وهل بين ذلك الوجود والعدم ما لا يتصف بهما أم لا فجعلتُ هذا الفصل لهذا الأمر ومعرفته ثم بعد ذلك إن شاء الله ننشئ الدوائر والجداول ونمدُّ الرقائق والحبائل ونبرز الأصول والفروع، ونفرق بين المفروق والمجموع وما يتعلق بهما من الأسماء، وأين الأرض من الإنسان والسماء وكيفيات، التجليات وترتيبها على المقامات، كل ذلك وأشباهه في أبواب مبوبة، في هذا المجموع وأشكال منصوبة بصناعة عملية ليقرب على الطالب مأخذ الفوائد والمعاني منها، ويتصور المعنى في نفسه صورةً متجسدةً تسهل عليه العبارة عنها لقوة حصولها في الخيال ويحرص الناظر على استيفاء النظر حتى يقف على كلية معانيها، إذ المعنى إذا أُدخل في قالب الصورة والشكل تعشق به الحس وصار له فرجة يتفرج عليها، ويتنزَّه فيها فيؤديه ذلك إلى تحقيق ما نصب له ذلك الشكل وجسدت له تلك الصورة، فلهذا ما أدخلناه في التصوير والتشكيل.

فاعلم أن الوجود والعدم ليسا بشيء زائدٍ على الموجود والمعدوم، لكن هو نفس الموجود والمعدوم، لكن الوهم يتخيل أن الوجود والعدم صفتان راجعتان إلى الموجود والمعدوم، ويتخيلهما كالبيت والموجود والمعدوم قد دخلا فيه، ولهذا تقول قد دخل هذا الشيء في الوجود بعد أن لم يكن، وإنما المراد بذلك عند المتحذلقين أنما معناه أن هذا الشيء وجد في عينه، فالوجود والعدم عبارتان عن إثبات عين الشيء أو نفيه ثم إذا ثبت عين الشيء أو انتفى فقد يجوز عليه الاتصاف بالعدم والوجود معاً، وذلك بالنسبة والإضافة فيكون زيد الموجود في عينه موجوداً في السوق، معدوماً في الدار فلو كان العدم والوجود من الأوصاف التي ترجع إلى الموجود كالسواد والبياض لاستحال وصفه بهما معاً، بل كان إذا كان معدوماً لما يكن موجوداً، كما أنه إذا كان أسود لا يكون أبيض، وقد صح وصفه بالعدم والوجود معاً في زمان واحد، هذا هو الوجود الإضافي والعدم مع ثبوت العين فإذا صح أنه ليس بصفة قائمة بموصوف محسوس ولا بموصوفٍ معقول وحده دون إضافة فيثبت أنه من باب الإضافات والنسب مطلقاً، مثل المشرق والمغرب واليمين والشمال والأمام والوراء فلا يخص بهذا الوصف وجود دون وجود، فإن قيل كيف يصح أن يكون الشيء معدوماً في عينه يتصف بالوجود في عالم ما أو بنسبةٍ ما، فيكون موجوداً في عينه معدوماً بنسبةٍ ما، فنقول نعم لكل شيء في الوجود أربع مراتب إلا الله تعالى فإن له في الوجود المضاف ثلاث مراتب المرتبة الأولى: وجود الشيء في عينه، وهي المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحق بالمحدث، والمرتبة الثانية: وجوده في العلم وهي المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الله تعالى بنا، والمرتبة الثالثة: وجود في الألفاظ، والمرتبة الرابعة: وجوده في الرقوم ووجود الله الحق تعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم، هذا هو الإدراك الذي حصل بأيدينا اليوم ولا أدري إذا وقعت المعاينة البصرية المقدرة في الشرع هل يحصل في نفوسنا علم إثباتٍ أو مزيد وضوحٍ في جنس العلم الذي بأيدينا اليوم في علمنا به سبحانه فإن كان كذلك فليس له إلا ثلاث مراتب وإن كان يوجب النظر إثباتاً في الدار الآخرة أو حيث وقعت المعاينة لمن وقعت فقد نصفه بالمرتبة الرابعة فتحقق هذه الإشارة في علمنا بالله سبحانه فإنها نافعة في الباب، ثم هذه المراتب بالإضافة إلينا كما قدمنا بتقدم وجود العين أو وجود ما يماثل العين أو وجود أجزاء العين مبدَّدةً غير مجموع بعضها إلى بعض بالإضافة إلى شكل ما يخترعه العاقل كل هذا لا بد من تقديمه أعني واحداً منها ثم بعد هذا ينضبط في العلم

ويتصور في الذهن، هذا بالإضافة إلينا وبالإضافة إلى الله تعالى إنما العلم متقدم من غير زمان بالشيء قبل عينه، فوجود الشيء المحدث في علم الله تعالى قبل وجود الشيء في عينه ومتقدم عليه، غير أنَّ ثَم سراً سنومئ إليه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى، ونبين لك أن وجود العين يتقدم على وجود العلم بالمرتبة ويساويه في الوجود أزلاً لا من جهة كونها محدثة وهذا في حق الحق، وأما في حق الخلق فسنبين لك أن إدراك الحق للموجود في عينه تفصيلاً أنه قد كانت له حالة ما بالنظر إلى أمر ما لا يتصف فيها بالوجود، ولا بالعدم مع عدمه في عينه، ثم نرجع ونقول: فأما تبيين تلك المراتب الأربع المتقدمة فهي أن نقول: زيد باللسان فنعقل معناه أو نرقمه في الكاغد زيد، فنعقل معناه أو يظهر في عينه فنعقل معناه أو نتخيله في أنفسنا، وهو غير حاضر فنعقل معناه وهذا هو الوجود في العلم، فكل واحدة من هذه المراتب متحدة المعنى لم يزد باختلافها معنًى في زيد فكل شيء قديم أو محدث لا يخلو من أن يكون في بعض هذه المراتب أو في كلها.

فإذا تقرر هذا وثبتَ أنه الحق فنقول: إن الإنسان قديمٌ محدثٌ موجودٌ معدومٌ، أما قولنا قديم فلأنه موجود في العلم القديم متصورٌ فيه أزلاً وهي من بعض مراتب الوجود المذكورة، وأما قولنا محدثٌ فإن شكله وعينه لم يكن ثمّ كان فيخرج من هذا أن زيداً موجود في العلم موجود في الكلام معدوم في العين أزلا مثلاً، فقد تُصور اتصافه بالوجود والعدم أزلاً، فصح من هذا أن الوجود ليس بصفةٍ للموجود، وإن قد تقرر هذا فبقي لنا أن ننظر بماذا يتعلق العلم بالموجود أو بالمعدوم، ولا نعلم ذلك ما لم نعلم ما هو العلم وإلى ماذا تنقسم المعدومات، فنقول أولاً إنّ العلم عبارةٌ عن حقيقة في النفس تتعلق بالمعدوم، والموجود على حقيقته التي هو عليها أو يكون إذا وجد فهذه الحقيقة هي العلم، والمعلومات تنقسم أربعة أقسام معدومٌ مفروضٌ لا يصح وجوده البتة، كالشريك والولد للإله والصاحبة له، ودخول الجمل في سُمّ الخياط، ومعدومٌ يجب وجوده وجوباً ترجيحياً اختيارياً لا اضطرارياً، كشخصٍ من الجنس الواحد وكنعيم الجنة للمؤمنين ومعدومٌ يجوز وجوده، كعذوبةِ ماء البحر في البحر ومرارة الحلو وأشباه ذلك، ومعدومٌ لا يصح وجوده قطعاً اختيارياً، لكن وجود شخص من جنسه وهذا كله أعني ما يجوز وجوده وما لا يصح اختياراً، إنما أريد به الشخص الثاني من الجنس فصاعداً على أن الحقيقة تثبت الإرادة وتنفي الاختيار، كما تثبت العلم وتنفي التدبير وإن كان وَردَ في السمع ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الرعد: ٢]،[السجدة: ٥] وَوَرد ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ولكن من وقف على سر وضع الشريعة عرف موضع هذا الخطاب بالتدبير والاختيار، وسأبيّنهُ إن شاء الله تعالى في كتابي هذا أنه سبحانه مريدٌ غير مختارٍ وأنه ما في الوجود ممكن أصلاً وأنه منحصرٌ في الوجوب والاستحالة وأنه كلما ورد في القرآن الكريم من قوله: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا ﴾﴿ وَلَوۡ شَآءَ ﴾.

اقتران المشيئة بحرف الامتناع لسببِ موجودٍ قديم يستحيل عدمه فيستحيل ضد مشيئته فخرجت المشيئة عن بابها المعقول، في العادة إلى بابها ًالمعقول في الحقيقة، فمهما ذكرتُ في كتابي هذا ما يدل على الإمكان أو الاختيار أو التدبير وغير ذلك مما تأباه الحقائق فإنما أسوقه للتوصيل والتفهيم الجاري في العادة، وصاحب الحقيقة يعرف مرتبة الموضوعات ومعه أتكلم في الحقائق وإياه أخاطب ومن نزل عن هذه الحقائق فإنه يحمل الكلام على ما استقرّ في عُرف العادة الذي يتخيل فيه أنه حقيقة، فيقبل كل

واحد منهما المسألة ولا يرمي بها لكن من وجهين مختلفين وبينهما ما بين مفهوميهما، فإذا علمت هذا فالعلم لا يتعلق من هذه الأقسام إلا بالثلاثة، وأما المعدوم الذي لا يصح وجوده البتة فلا يتعلق به علمٌ أصلاً لأنه ليس شيئاً يكون فالعلم إذاً لا يتعلق إلا بموجود ولا يتعلق بمعدوم رأساً، إذ العدم المحضُ لا يتصور تعلق العلم به لأنه ليس على صورة ولا مقيد بصفة، ولا له حقيقة تنضبط، إلا النفي المحض والنفي المحض لا يحصل منه في النفس شيء إذ لو حصل لكان وجوداً والعدم من جميع الجهات لا يكون وجوداً أبداً فإن الحقائق لا سبيل إلى قلبها، ألا ترى علمك بنفي شريكٍ عن الله تعالى إن تأملت إلى ما تقدر لك في نفسك وما انضبط لك في قلبك من نفي الشريك فما تجد في النفس شيئاً إلا الوحدانية وهي موجودةٌ وهي التي ضبطتها النفسُ، وإن أبيت قبول هذا وعسر عليك فارجع إلى نظر آخر وهو أنَّ الشريكَ معلومٌ عندك موجود في عينه في المحدثات، في حق زيد، فتلك النسبة التي أضفت بها الشريك إلى زيد موجودة، هي بعينها لم تضفها إلى الله تعالى، فانظر علمك بالمحال راجعاً إلى العلم بأجزاء متفرقة موجودة ولولا ذلك ما عقلت نفيها عن الله تعالى فمهما تصور لك العلم بعدم ما فليس عندك إلا العلم بوجود ضده، أو بوجود الشرط المصحح لنفيه أو بأجزاء موجودة في العالم نفيت نسبتها وإضافتها لموجود ما بحقيقة ذاتية موجودة لذلك الموجود، هو عليها علمتها أنتَ فنفيت عنه ما منعت تلك الحقيقة قبول ما اتصف بها لذلك وأثبتها لآخر لحقيقةٍ أيضاً موجودة يتصف هذا الموجود الذي أثبتها له بها، فتحقق هذه المسألة فإنها نافعة إن شاء الله تعالى.

وهذا هو القسم الواحد من أقسام المعدومات وما عداه فقد جعلناه إما وجوباً أو جوازاً أو محالاً اختيارا مع فرض وجود شخصٍ من الجنس، فكلها راجعة إلى الوجود وما كان راجعاً إلى الوجود فالعلم يضبطه ويحصله.

واعلم أن الإنسان لولا ما هو على الصورة لما تعلق به العلم أزلاً، إذ العلم المتعلق أزلاً بالحادث إنما حصل ولم يزل حاصلاً بالصورة الموجودة القديمة التي خُلق الإنسان عليها والعالم كله بأسره على صورة الإنسان، فهو أيضاً على الصورة التي خلق الإنسان عليها فالعلم إنما يتعلق بالمعدوم بتعلقه بمثله الموجود، فافهم فإذا تقرر هذا فقد يمكن أن تُحدّث في النفس أن تقول لي إني أريد أن أعلم من أي طريق يتعلق العلم بالمعلوم المعدوم الذي يجوز وجوده، فإني فهمت من كلامك أنه لابد من الرؤية وحينئذٍ يحصل العلم في زمان الرؤية، أو في تقدير زمان إن كان الرائي لا يجوز عليه الزمان، وإنما المراد حصول العلم عند رؤية المعلوم بالإدراك البصري أو مثل البصري أو مثل المعلوم أو أجزاء المعلوم، فلتعلم أن الأمر كما فهمت وأشرت إليه كذا هو عندي في حق كل عالم سواء، ولا أحاشي من الأقوام من أحدٍ غير أني سأنبهك على ما سكتَّ عنه من الاعتراض أدباً منك وخوفاً على القلوب العُمي الذين لا يعقلون ولمعرفتك تتفطن لما أومأت إليه رمزاً.

فاعلم أنه ليس من شرط تعلق العلم بالمعلوم، عند الإدراك أن تكون أشخاص ذلك الجنس موجودة في أعيانها، لكن من شرطها أن يكون منها موجود واحد أو أجزاء في موجودات متفرقةٍ بجمعها، يظهر موجود آخر فتعلمه وما بقي معدوماً فهو مَثَلٌ له فعلمك إذاً إنما تعلق رؤيتك بذلك الموجود وتلك الحقيقة، وليس سماع الأصوات معرفة أعيانها وإنما تُعرَف عينها من باب الرؤية، وهكذا

كل معلومٍ على مساق ما تقدم فما بقي معدوماً فمدرك حقيقةً عندك إدراكاً صحيحاً، لأنه مثل أم أجزاء موجودات لا سبيل إلى هذا وضرورة أن كل عالمٍ أحاطه من غير تخصيص موجود في نفسه وعينه عالمٌ بنفسه مدرك لها وكل معلوم سواه إما أن يكونَ على صورته بكمالها فهو مَثَلٌ له أو على بعض صورته، فمن هذا الوجه يكون عالماً بالمعلومات لأنه عالمٌ بنفسه وذلك العلم ينسحب عليها انسحاباً خُذ هذا عموماً في كل موجودٍ ولا تقيّد غير أنك يجب عليك التحفُّظ من التشبيه إن دخلت إلى الحضرة الإلهية والتمثيل، فهذا هو إدراك المفصَّل في المجمل، وأما نحن فما أدركنا المجمل إلا من المفصَّل الحادث الحاصل في الوجود، ثم أدركنا في ذلك المجمَل تفصيلاً مقدراً يمكن أن يكون وأن لا يكون، فتفهَّم ما أَومأنا إليه في قولنا عموماً، في كل موجودٍ ولا تُقيّد، فإنه من وجد على صورة شيء فذلك الشيء أيضاً على صورته فبنفسِ ما يرى صورته رأى من هو على صورته وبنفس ما يعلم نفسه علم من هو على صورته لا ينقصه من ذلك شيء، فإذا تحصَّل هذا في سمعكَ ونَفَثَ به روح القدس في روعك فألقِ السمع وأحصِر القلب وحدّ الذهن وخلّص الفكر لما أذكره لك إن شاء الله تعالى.

فاعلم أن الأشياء على ثلاث مراتب لا رابع لها والعلم لا يتعلق بسواها وما عداها فعدمٌ محض لا يُعلم ولا يُجهل ولا هو متعلقٌ بشيء، فإذا فهمت هذا فنقول: إن هذه الأشياء الثلاثة منها ما يتصف بالوجود لذاته فهو موجودٌ بذاته في عينه لا يصح أن يكون وجودهُ عن عدمٍ، بل هو مطلق الوجود لا عن شيء، فكان يتقدم عليه ذلك الشيء بل هو الموجد لجميع الأشياء وخالقها ومقدرها ومفصلها ومدبرها وهو الوجود المطلق الذي لا يتقيد، سبحانه وهو الله الحي القيوم العليم المريد القدير الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومنها موجودٌ بالله تعالى وهو الوجود المقيد المعبر عنه، بالعالم والعرش، والكرسي والسموات العلى وما فيها من العَالم والجو والأرض وما فيها من الدواب والحشرات والنبات وغير ذلك من العالم، فإنه لم يكن موجوداً في عينه ثم كان من غير أن يكون بينه وبين موجده زمان يتقدم به عليه فيتأخر، هذا عنه فيقال فيه بعدٌ أو قبلٌ هذا محال وإنما هو متقدم بالوجود كتقدم أمس على اليوم فإنه من غير زمان، لأنه نفس الزمان فعدم العالم لم يكن في وقت لكن الوهم يتخيل أن بين وجودِ الحق ووجود الخلق امتداداً، وذلك راجعٌ لما عهده في الحس من التقدم الزماني بين المحدثات وتأخره، وأما الشيء الثالث فما لا يتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم وهو مقارن للأزلي الحق أزلاً، فيستحيل عليه أيضاً التقدم الزماني على العالم والتأخر كما استحال على الحق، وزيادة، لأنه ليس بموجود فإن الحدوث والقدم أمرٌ إضافي يوصل إلى العقل حقيقة ما وذلك أنه لو زال العالم لم نُطلق على الواجب الوجود قديماً، وإن كان الشرع لم يجئ بهذا الاسم أعني القديم وإنما جاء باسمه الأول والآخر فإذا زِلْتَ أنتَ لم يقل أولاً ولا آخراً، إذ الوسط العاقد للأولية والآخرية ليس ثَمَّ فلا أول ولا آخر وهكذا الظاهر والباطن وأسماء الإضافات كلها فيكون موجوداً مطلقاً من غير تقييد بأولية أو آخرية، وهذا الشيء الثالث الذي لا يتصف بالوجود ولا بالعدم مثله في نفي الأولية والآخرية بانتفاء العالم، كما كان الواجب الوجود سبحانه وكذلك لا يتصف بالكل ولا بالبعض ولا يقبل الزيادة والنقص، وأما قولنا فيه كما استحال على الحق وزيادة، فتلك الزيادة كونه لا موجوداً ولا معدوماً فلا يقال فيه أول وآخر، وكذلك لتعلم أيضاً أن هذا الشيء الثالث ليس العالم

يتأخر عنه أو يحاذيه بالمكان، إذ المكان من العالم وهذا أصل العالم، وأصل الجوهر الفرد وفلك الحياة، وأُلحق المخلوق به وكل ما هو عالم من الموجود المطلق، وعن هذا الشيء الثالث ظهر العالم فهذا الشيء هو حقيقة حقائق العالم الكلية المعقولة في الذهن الذي يظهر في القديم قديماً وفي الحادث حادثاً، فإن قلت هذا الشيء هو العالم صدقت، وإن قلت إنه الحق القديم سبحانه صدقت، وإن قلت إنه ليس العالم ولا الحق تعالى وإنه معنى زائد صدقت، كل هذا يصح عليه وهو الكلي الأعم الجامع للحدوث والقِدم، وهو يتعدد بتعدد الموجودات، ولا ينقسم بانقسام الموجودات، وينقسم بانقسام المعلومات، وهو لا موجودٌ ولا معدومٌ، ولا هو العالم وهو العالم وهو غير ولا هو غير، لأن المغايرة في الوجودين والنسبة انضمام شيء ما إلى شيء آخر، فيكون منه أمر آخر يسمى صورة ما والانضمام نسبة فإذا أردنا أن نحدث مثلثاً ضممنا أجزاءاً انضماماً مخصوصاً، فحدثت ثلاثة أركان فقلنا هذا مثلّث وأنواع ذلك من التشكيل والتصوير والألوان والأكوان معلوم في الكلي الأعم، وهذا مَلَك وإنسان وعقلٌ وغير ذلك، وهذا مقدارٌ ومكان ووضع وانفعال ما ومنفعل ما، وبانضمام الجزئيات التي تحت الأجناس الكليات بعضها إلى بعض يحدث عالم التفصيل، علواً وسفلاً من غير افتراق، إلا ما حصل في الوهم هذا وجه قولك إن هذا الشيء هو العالم وتصدق في ذلك، وكذلك أيضاً إن قلت إنه ليس العالم صدقت فإن العالم قد كان معدوم العين وهذا على حالته لا يتصف بوجود ولا عدم، لكن العالم القديم يتعلق بما يتضمنه هذا الشيء الثالث المجمل من التفصيل كما قدمناه قبل، كما يتعلق علمنا ببعض التفصيلات ويتعلق بمجملاتها غير مفصلة، لكن يفصلها متى شاء وهذا سر فإن علمنا به كذلك لصحة المضاهاة بيننا وبين الحق، ولهذه الإشارة من الإمام أبي حامد الغزالي وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ لو كان ادّخره لكان عجزاً ينافي القدرة وبخلاً يناقض الجود، ولهذه العلة قُطع الإمكان وهذا ليس هو عندي على وجه واحد، وأكمل الوجوه عندي في هذا كونه وُجد على الصورة فافهم، ولأنه أيضاً دليلٌ موصلٌ إلى معرفة الله فلا بدّ أن يكون مستوفي الأركان، فلو نقص ركن منه لما كان دليلاً ولم تصح معرفة، وقد صحت فقد ثبت دلالته، قال النبي ﷺ: "من عرف نفسه عرف ربه"، ثم نرجع فنقول هذا الشيء الثالث الذي نحن بسبيله لا يقدر أحدٌ أن يقف على حقيقة عبارته لكن نُومئ إليه بضرب من التشبيه والتمثيل، وبهذا ينفصل عن الحق الذي لا يدخل تحت المثال إلا من جهة الفعل لا أنه يُنبئ عن حقيقته فكنَّا نحيط به علماً وهذا لا سبيل إليه قط، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ [طه: ١١٠] فنقول نسبة هذا الشيء – الذي لا يحد ولا يتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم – إلى العالم، كنسبة الخشبة إلى الكرسي والتابوت والمنبر والمحمل، أو الفضة إلى الأواني والآلات التي تصاغ منها كالمكحلة والقرط والخاتم فبهذا تعرف تلك الحقيقة، فخذ هذه النسبة ولا تتخيل النقص فيه، كما تتخيل النقص في الخشبة بانفصال المحبرة عنها، واعلم أن الخشبة أيضاً صورة مخصوصة في العودية، فلا تنظر أبداً إلا للحقيقة المعقولة الجامعة التي هي العودية، فتجدها لا تنقص ولا تتبعض بل هي في كل كرسي ومحبرة على كمالها، من غير نقص ولا زيادة وإن كان في صورة المحبرة حقائق كثيرة منها الحقيقة العودية والاستطالية التربيعية والكمية وغير ذلك وكلها فيها بكمالها، وكذلك الكرسي والمنبر، وهذا الشيء الثالث هو هذه الحقائق كلها بكمالها فسمّه إن شئت حقيقة الحقائق أو الهيولى أو المادة

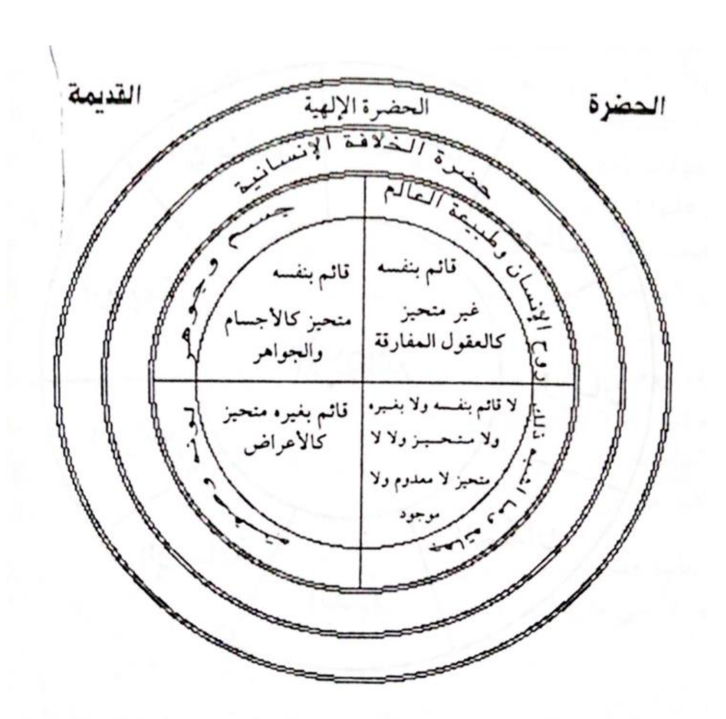
الأولى أو جنس الأجناس، وسمي الحقائق التي يتضمنها هذا الشيء الثالث الحقائق الأُوَل أو الأجناس العالية، فهذا الشيء الثالث أزلاً لا يفارق الواجب الوجود محاذياً له من غير وجودٍ عيني، فانتفت الجهات والتلقاءات حتى لو فرضناه موجوداً و لم نجعله متميزاً لانتفت عنه التلقاءات والإزاءات فتحقق هذا الفصل واعلمه.

فصل: ولما تكلمنا على أقسام المعدومات وتبيَّنت مراتبها أردنا أن نتكلم عن الموجودات وأصنافها، وهي على أقسامٍ منها: وجودٌ مطلق ولا يُعقل ماهيته ولا يجوز عليه الماهية، كما لا يجوز عليه الكيفية ولا يُعلم له صفةٌ نفسيةٌ من باب الإثبات وهو الله تعالى وغاية المعرفةُ به الحاصلة بأيدينا اليوم من صفات السلب مثل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، فعلى ما قدمنا من أنَّ العلم لا يتعلق إلا بموجود فهنا مُتعلق العلم نفي ما لا يجوز عليه سبحانه وتعالى، ونفي ما لا يجوز عليه ثابتٌ عندنا موجود فينا منسوب إلينا، هذا قسم. ومنها: موجودٌ مجردٌ عن المادة وهي العقول المفارقة الروحانية القابلة للتشكيل والتصوير ذوات الرقائق النورية، وهي المعبَّر عنها بالملائكة وهي لا تتحير، ولا تختص بمكان دون مكان لذاتها، وليس لها شكلٌ مختص به، ولا صورة وإن كانت الصورة التي تظهر فيها متحيزة وهو سرٌّ شريف لطيف، وبهذه النسبة هي القوى الروحانية النارية المعبر عنها بالجن، غير أنها تحت قهر الطبيعة فإنَّ الحرارة من صفات ذواتها والملائكة ليست كذلك. ومنها موجود يقبل التحيز والمكان، وهي الأجرام والأجسام والجواهر، الأفراد عند الأشعريين. ومنها: موجودٌ لا يقبل التحيز بذاته ولكن يقبله بالتبعية ولا يقوم بنفسه لكن يحل في غيره وهي الأعراض: كالسواد والبياض وأشباه ذلك ومنها: موجودات النسب وهي ما يحدث بين هذه الذوات التي ذكرناها وبين الأعراض كالأين والكيف والزمان والعدد والمقدار والإضافة والوضع وأن يُفعَل وأن يُنْفَعَلْ، وكل واحد من هذه الموجودات ينقسم في نفسه إلى أشياء كثيرة لا يحتاج هنا إلى ذكرها. فالأين: كالمكان مثل الفوق والتحت وأشباه ذلك. والكيف: كالصحة والسقم وسائر الأحوال. والزمان: كالأمس واليوم والغد والنهار والليل والساعة، وما جاز أن يسأل عنه بمتى، والكم: كالمقادير والأوزان وتذريع المساحات وأوزان الشعر والكلام وغير ذلك، مما يدخل تحت كم. والإضافة: كالأب والإبن والمالك. والوضع: كاللغات والأحكام، وأن يفعل كالذبح، وأن ينفعل كالموت عند الذبح، وهذا أحصر الموجودات فالموجودات كلها عشرةُ جواهر وأعراض، وهذه الثمانية المذكورة في الإنسان وحده من بين سائر ما ذكرناه من الموجودات، تجمع هذه الموجودات كلها وهي في العالم متفرقة.

فإذا نفخ في الإنسان روحُ القدس التحق بالموجود المطلق التحاقاً معنوياً مقدَّساً، وهو حظُّه من الألوهية فلهذا تقرر عندنا أن الإنسان نسختان: نسخة ظاهرة ونسخة باطنة، فالنسخة الظاهرة مضاهيةٌ للعالم بأسره فيما قدَّرنا من الأقسام، والنسخة الباطنة مضاهية للحضرة الإلهية، فالإنسان هو الكلي على الإطلاق والحقيقة، إذ هو القابل لجميع الموجودات قديمها وحديثها وما سواه من الموجودات لا تقبل ذلك، فإن كل جزء من العالم لا يقبل الألوهية، والإله لا يقبل العبودية بل العالم كله عبد والحق سبحانه وحده إله واحد صمد لا يجوز عليه الاتصاف بما يناقص الأوصاف الإلهية، كما لا يجوز على

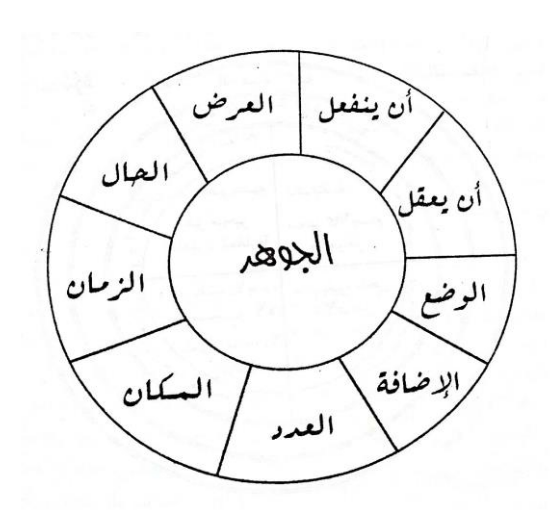
العالم الاتصاف بما يناقض الأوصاف الحادثة العبادية، والإنسان ذو نسبتين كاملتين نسبة يدخل بها إلى الحضرة الإلهية، ونسبة يدخل بها إلى الحضرة الكيانية، فيقال فيه عبد من حيث إنهُ مُكلف ولم يكن ثَمَّ كان كالعالم، ويقال فيه رب من حيث إنه خليفة ومن حيث الصورة ومن حيث أحسن تقويم، فكأنه برزخٌ بين العالم والحق وجامع لخلقٍ وحق وهو الخط الفاصل بين الحضرة الإلهية والكونية، كالخط الفاصل بين الظل والشمس وهذه حقيقته، فله الكمال المطلق في الحدوث والقِدم، والحق له الكمال المطلق في القدم وليس له في الحدوث مدخل يتعالى عن ذلك، والعالم له الكمال المطلق في الحدوث وليس له في القدم مدخل يخسأ عن ذلك، فصار الإنسان جامعاً ولله الحمد على ذلك.

فما أشرفها من حقيقة وما أطهره من موجود، وما أخسّها وما أدنسها في الوجود، إذ قد كان منها محمد وأبو جهل، وموسى وفرعون، فتحقَّقْ أحسن تقويم واجعله مركز الطائعين المقربين، وتحقق أسفل سافلين واجعله مركز الكافرين الجاحدين فسبحان من ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذه دوائر ما قررناه على التنزيه والتشبيه: (الشكل)



الدائرة البيضاء التي بين الخطين الأسودين المحيطة هي مثال الحضرة الإلهية على التنزيه، ولما كانت محيطة بكل شيء قال الله تعالى: والله ﴿بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، والدائرة البيضاء التي في جوفها اللاصقة بها التي يشقها الخط المستدير الأصغر هي دائرة الإنسان، فمن الخط المستدير الأصغر إلى جهة الحضرة الإلهية هو مضاهاة الإنسان الحضرة الإلهية، ومن الخط الأصغر إلى الدائرة الصغرى مضاهاة الإنسان عالم الكون، والفصل الذي وقع فيها على التربيع هو لتعداد العوالم على الجملة، والدائرة الصغرى المحيطة بالمركز هي دائرة العالم الذي الإنسان خليفة عليه وتحت تسخيره والخطوط الأربعة الخارجة من المركز إلى محيطها الفصول التي بين العوالم، فتحقَّق ذلك المقال تعثُر على السر الذي نصبناه والله المرشد لا رب سواه.

باب الجدول الهيولاني وهي الدائرة المحيطة بالموجودات على الإطلاق من غير تقييد، وهي الحاوية على جميع الحقائق المعلومة الموجودة والمعدومة واللامعدومة وفيها الحياة والمعقولة التي هي في القديم قديمة وفي المحدث حادثة، وفيها العلمية والإرادية، وهذا مثال صورها لو كانت لها صورة، ولكن لما كانت معقولة معلومة عندنا قدرنا على إبرازها في المثال، ولكن مجملة فتكون نقطة الجوهر عبارة عن كل ذاتٍ قائمةٍ بنفسها قديمة أو حادثة، ويكون العَرَض منها عبارةٌ عن كل ذات لا تقوم بنفسها، فيدخل تحتها أجناس الأعراض من كون ولون وغير ذلك، والصفات كالعلوم والقُدَر وغير ذلك، وكذلك الزمان والمكان وسائر النسب على حسب ما تراه إن شاء الله تعالى في هذه الدائرة وهي هذه الدائرة المذكورة: (الشكل)



اعلم أن هذا الجدول الهيولاني هو الحقيقة التي أوجد الحق من مادّتها الموجودات العُلويّات والسفليات فهي الأم الجامعة لجميع الموجودات، وهي معقولة في الذهن غير موجودة في العين، وهو أن تكون لها صورة ذاتية لها لكنّها في الموجودات حقيقة من غير تبعيض ولا زيادة ولا نقص، فوجودها عن بروز أعيان الموجودات قديمها وحديثها، ولولا أعيان الموجودات ما عقلناها ولولاها ما عقلنا حقائق الموجودات، فوجودها موقوف على وجود الأشخاص والعلم بالأشخاص تفصيلاً موقوف على العلم بها؛ إذ مَنْ لم يعرفها لم يفرق بين الموجودات، وقال مَثلاً إن الجماد والملك والقديم شيء واحد، إذ لا يعرف الحقائق ولا بماذا تتميز الموجودات بعضها من بعض فهي متقدمة في العلم ظاهرة في الموجودات، فإن أطلق عليها تأخُّر فلتأخر الوجود الشخصي لا لعينها فهي بالنظر إلى ذاتها كلية معقولة لا تتصف بالوجود ولا بالعدم، وهي المادة لجميع الموجودات فقد ظهرت بكمالها بظهور الموجودات وما بقي شيءٍ يوجد بعد، ولهذا قال الإمام: وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم؛ إذ لو كان وادّخره لكان بخلاً يناقض الجود وعجزاً ينافي القدرة، ووصف الباري بهذا مُحال فالذي يفضي إليه محال، فلو وُجد إلى هذا العالم عوالم إلى أبد لا يتناهى لكانت مثلاً لهذا العالم وأما أن يزيد عليه بحقيقة ليست في هذا العالم فلا سبيل إلى ذلك، وإذا لم تصح زيادة حقيقة فما في الإمكان أبدع منه، وقد تقرر هذا في أول الكتاب.

باب جدول الحضرة الإلهية من جهة الأسماء الحسنى، على ما ورد في الشرع المطهر لا على ما يقتضيه الاستقصاء والحصر وهذه صورته:

جدول اسماء الذات	جدول اسماء الصفات		جدول اسماء الافعال
الله الربّ الملك	الحياة	الحي	المبدئ الوكيل
القدوس السلام	الكلام	الشكور	الباعث المجيب
المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم الظاهر	القدرة	القهار القاهر المقتدر القوى القادر	الواسع الحسيب المقيت الحافظ
الباطن الكبير الجليل المجيد الحق المتين الواحد الماجد الصمد	الإرادة	الرحمن الرحيم الكريم الغفار الغفور الودود الرؤف الحليم البر الصبور	الخالق البارى المصور الرزاق الوهاب الفتاح القابض الباسط
الأول الآخر المتعالى الغنى النور الوارث	العلم	العليم الخبير المحصى الحكيم الشهيد	الخافض الرافع المعز المذل
ذو الجلال الرقيب	السمع	السميع	الحكم العدل اللطيف
	البصر	البصير	المعيد المحيى المميت الولى التواب المنتقم المقسط الجامع المغنى المانع الضار النافع الهاذى البديع الرشيد

اعلم وفقك الله أن العالمين بالله تعالى ما علموا منه إلا وجوده وكونه قادراً عالماً متكلماً مريداً حياً قيوماً سميعاً بصيراً، وما عرفوا سوى نفس الوجود وأنه سبحانه لا يجوز عليه، ما على المحدثات لصفة هو في نفسه عليها يُعقل وجودها ولا تُعرف العبارة عنها، ولهذا لا يجوز أن يقال فيه سبحانه ما هو، إذ لا ماهية له ولا كيف هو إذ لا كيفية له وعلى التحقيق ما تعلق علم العالمين به سبحانه إلا تلويحاً من حيث الوجود إن حققت النظر حتى تقع الرؤية إن شاء الله تعالى حيث قدرها تعالى بمزيد الكشف والوضوح فمن جهة أنه لا إله إلا الله قلنا: عرفنا الله، ومن جهة الحقيقة كعلمنا بأن الجوهرَ هو الذي لا ينقسم المتحيز القابل للأعراض قلنا: لم نعرف.

ولهذا لا يجوز الفكرة في الله تعالى، إذ لا يعقل له حقيقة فنخاف على المفكر في ذاته من التمثيل والتشبيه، فإنه لا ينضبط ولا ينحصر ولا يدخل تحت الحد والوصف، وإنما الفكرة في أفعاله ومخلوقاته وهذه الأسماء الحسنى التي سمَّى بها نفسه توصيلاً إليها في كتابه العزيز على لسان نبيّه الصادق، فمنها ما يدل على ذاته تعالى وقد يدل مع ذلك على صفاته أو أفعاله أو عليهما معاً، ولكن دلالتها على الذات أظهر فما كان من الأسماء على هذا النحو جعلناه من أسماء الذات، وإن كان كما ذكرناه يدل على بعض الصفات أو الأفعال أو عليهما معاً، وهكذا فعلنا في أسماء الصفات وفي أسماء الأفعال من جهة الأظهر، لا أنه ليس لها مدخل في غير جدولها الذي جعلناه لها كالرب مثلاً، فإن معناه الثابت فهو للذات ومعناه المصلح فهو من أسماء الأفعال، وهو بمعنى المالك فهو من أسماء الصفات.

واعلم أن هذه الأسماء التي جعلناها في هذا الجدول ما قصدنا بها حصر الأسماء ولا أنه ليس ثمّ غيرها وإنما سُقناها بهذا الترتيب تنبيها على ما سنذكره إن شاء الله تعالى فمتى رأيتَ اسماً من أسمائه الحسنى فألحقه بالأظهر فيه واكتبه في جدوله، إذ الأسماء كثيرة جدا من طريق الاختلاف الذي حصل فيها، وإنما جعلنا هذا فتح باب لك إلى ما يصح عندك من الأسماء، وفائدة هذا الجدول الذي وضعناه لها أن يتخلق العبد بهذه الأسماء حتى يرجع منها حقائق يدعي بها ويُنسب إليها من أولها إلى آخرها قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ثم وصف لنا من خُلُقه ﷺ فقال الله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فإذا عرفت ما أردناه بهذا الجدول ورتبناه علمت المتخلق به إذا رأيت عليه في وقت ما اسماً من الأسماء نسبته إلى ذلك الاسم وإلى تلك الحضرة في ذلك الوقت فتقول فلان الآن في حضرة الأفعال، إن كان من أسماء الأفعال أو في حضرة الصفة الفلانية أو في حضرة الذات كيف شئت على حسب حضرة ذلك الاسم، فإن كان الاسم فيه معاني الحضرات الثلاث فتنظر إلى ما غلب عليه من تلك المعاني، فتنسبه إليه وتلحقه بتلك الحضرة في الحال، وإن كان من جهة المقام فوقها ولكن تحكم عليه بما هو في الحال غير أن المكمل منا لا يحجبه ذلك في حق هذا الشخص إذا كان أعلى من حاله، فإنه لا يخفى علينا من ينزل ذلك الاسم على ما يعطيه الوقت ممن سلطانه ذلك الاسم وحاكم عليه، وبهذا يفرق بينهما الكامل منا ومَنْ دون هذا إنما يحكم عليه في الحال بذلك الاسم لا يعرف غير ذلك فهذا فائدة هذا الجدول.

وبدأنا به في الموجودات، إذ هو الأول الذي لا أولية له والأشياء كلها معدومة ولهذا جعلناه على أثر الشكل الهيولاني، ومعه لما كان مقارنا لها في الأزل من غير أن يكون لها وجود في عينها، لكنها

معلومة له سبحانه يعلمها بحقيقة من حقائقها فهو يعلمها بها ولا بغيرها، إذ هي الشاملة للكل وكان الحق أزلا لها ظاهراً وهي له باطن إذ هي صفة العلم وليس العلم بشيء غيرها ولا هي العالم فإن العالم منها من باب العالمية، وليست منه لكنها ظهرت فيه من باب الحقيقة، ولهذا جعلنا وجود الحق يقابل ما يأتي بعد هذا من أكثر عوالم وجداولها، وسقناه بالأسماء لأن مستند الأفعال إليها ولأن الذات لا سبيل إلى تصويرها في الذهن، ولابدّ أن يحصل في النفس أمر يُستند إليه فليكن الأسماء فلم يكن بدٌّ من ذكرها، فهذا الجدول من باب الجوهر المذكور في الهيولى لا من غيره إذ الجوهر عبارة عن الأصل وأصل الأشياء كلها وجود الحق تعالى، إذ لو لم يكن هذا الأصل الإلهي موجودا وهذه المادة الهيولانية معقولة لما صح هذا الفرع المحدث الكائن بعد أن لم يكن ولما تُصور، فتحقق ترشُدْ إن شاء الله تعالى وهو المستعان.

باب سبب بدء العالم ونشئه

اعلم وفقك الله وسددك أنه لما نظرنا العالم على ما هو عليه وعرفنا حقيقته ومورده ومصدره ونظرنا ما ظهر فيه من الحضرة الإلهية بعدما فصلناه تفصيلاً، فوجدنا الذات الإلهية منزهةً عن أن يكون لها بعالم الكون والخلق والأمر مناسبة أو تعلق بنوع ما من الأنواع، لأن الحقيقة تأبى ذلك فنظرنا ما الحاكم المؤثر في هذا العالم فوجدنا الأسماء الحسنى ظهرت في العالم كله ظهوراً لا خفاء به كلياً وحصلت فيه بآثارها وأحكامها لا بذواتها، لكن بأمثالها لا بحقائقها لكن برقائقها فأبقينا الذات المقدسة على تقديسها وتنزيهها، ونظرنا إلى الأسماء فوجدناها كثيرة فقلنا: الكثرة جمعٌ ولا بد من أئمةٍ متقدمة في هذه الكثرة فلتكن الأئمة هي المسلطة على العالمين، وما بقي من عدد الأسماء إذ الأئمة الجامعون لحقائقها فالإمام المقدم الجامع اسمه الله فهو الجامع لمعاني الأسماء كلها، وهو دليل الذات فنزهناه كما نزهنا الذات، وأيضاً فإنه من حيث ما وضع جامع الأسماء، فإن أخذناه لكون ما من الأكوان ما نأخذه من حيث ما وضع وإنما نأخذه من جهةِ حقيقةٍ ما من حقائقه التي هو مهيمنٌ عليها، ولتلك الحقيقة اسم يدل عليها من غير اسم الله فلنأخذها من جهة ذلك الاسم الذي لا يحتمل غيرها ونبرز الكون منها ونترك اسمه الله على منزلته من التقديس، فإذا تقرر هذا وخرج الاسم الجامع عن التعلّق بالكون وبقي على مرتبته حتى لا تبقى حقيقة إلا برزت فحينئذٍ يظهر سلطان ذاته كلياً.

فلنرجع إلى الأئمة الذين هم من جملة حقائقه ونقول: إنَّ أئمة الأسماء كلها عقلاً وشرعاً سبعةٌ، ليس غيرها وما بقي من الأسماء فتَبَعٌ لهؤلاء وهي الحي العليم المريد القائل القادر الجواد المقسط، فالحي إمام الأئمة ومقدمهم، والمقسط آخر الأئمة والقائل أدخله الشرع في الأئمة خاصة، وقَبلَه المقام وسُرَّ به، وما بقي فالروح العقلي اقتضاه إماماً وانفرد الروح القدسي بالقائل خاصة، وله مدخل في المقسط من جهة ما وفي اسمه الجواد لا غير فاسمه الجواد يعمُّ كل اسم، رحماني يعطي سراً ونعمة فهو المهيمنُ على هذا القبيل من الأسماء والمقسط يعم كالاسم غضبي يعطي ضراً ونقمة، وهو المهيمن على هذا القبيل من الأسماء وليس في العالم إلا هؤلاء الأئمة وهذان القبيلان من الأسماء لا غير، ولولا ظهور الأحكام الشرعية ما احتجنا إلى الاسم المقسِط، احتياجاً ضرورياً فالعقاب والوعيد اضطرنا إلى إمامةِ الاسم

المقسط وليس إيلام البهائم وما في ضمن ذلك من حكمِ اسمه المقسط، ولكن من حُكمِ اسمه المريد وهو من الأئمة المقدمين، فتحقق الشكل إذا رسمناه لك ليثبت في خيالك، فإني سأقيم لك دائرة العالم من غير نظر إلى شريعة وما يحكم فيه من هؤلاء الأئمة وسأقيم لك دائرة السعادة من العالم ودائرة الشقاوة، وما يحكم فيه من هؤلاء الأئمة فانظر امتداد الرقائق من حضرات الأئمة إلى العالم ومراتب الأئمة الأول فالأول، الأعلى فالأعلى، وسأقيم لك القبيلين من الأسماء بين دوائر العالم وحضرات الأئمة، وأجعلُ لهم ثلاث دوائر دائرة تضم القبيلين في مقابلة دائرة العالم الكبرى المطلقة ودائرتان في مقابلة عالم السعادة وعالم الشقاوة وبتميّز القبيلين فانظرها وتحققها حتى تحصُّلها في خيالك، وسأجعل الرقائق من الأئمة تمتد إلى سَدنة من الأسماء ومن السُّدنة إلى العوالم، وقد تمتد الرقيقة من بعض الأئمة إلى بعض، وحينئذٍ تنزل وتتصل بالعالم لوقوف بعض الأئمة على بعض، وأكتبُ على الرقائق إثرها حتى تعقل، فَألق بالك واشحذ فؤادك واشكر الله الذي سخرني لك حتى علمت من الوجود ما غاب عنه أكثر الخلق بأقرب محاولة وأصح مثال، وذلك بفضل الله وحوله وقوته ومنّه، هذه صورة الدائرة المتقدمة الذكر.

اعلم أن من الكشف ما هو عقلي وهو ما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج، ومنه ما هو نفساني وهو ما يرتسم في النفوس الخيالية المطلقة عن قيوده المزاجية بأزمان الرياضات والمجاهدات بعد كشف حُجب المباينات والممايزات، ومنه ما هو روحاني وذلك بعد كشف الحجب العقلية والنفسانية ومطالعة مطالع الأنفاس الرحمانية، ومنه ما هو رباني وذلك بطريق التجلي إما بالتنزل أو بالعروج أو بمنازلات أسرار، وهذا النوع يتعدد بتعدد الحضرات الأسمائية، فإن للمحق تجليات من كل حضرة من الحضرات الأسمائية، وأعلاها هو التجلي الإلهي الجمعي الأحدي، يعطي المكاشفات الكلية وفوقها التجلي الذاتي الذي يعطي الكشف بحقيقة الحقائق وبمراتبها وبحقيقة النفس والعماء، وبالحقيقة الإلهية وبحقيقة الطبيعة الكلية، وقوله: وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة أي: الملائكة هي أرواح القِوى القائمة بالصورة الحسية والقوى النفسانية والعقلية، وإنما سميت ملائكة لكونها روابطٌ موصلات تربط الأحكام الربانية والآثار الإلهية بالعوالم الجسمانيات، فإنَّ الملك باللُّغة هو القوة والشدة، فلما قويت هذه الأرواح بالأنوار الربانية وقويت الآثار الإلهية بها على إيقاع أحكامها وإيصالِ أنوارها سمّيت ملائكة، وهم ينقسمون إلى علوي روحي، وسفلي طبيعي عنصري، ومثالي نوراني، فمنهم المهيّمون، ومنهم المسخّرون ومنهم المولدة من الأعمال والأقوال والأنفاس، ظهور الحق في العالم الروحاني ليس كظهوره في العالم الطبيعي فإنه في الأول بسيطٌ نوراني نزيه فِعلي وحداني وفي الثاني: مركبٌ ظلماني انفعالي.

قيل: التقى آدم إبليس بعد الخطيئة فقال: يا شقي وَسْوَستَ إليَّ وفعلت، فقال: يا آدم هَب أني كنت إبليسك فمن كان إبليسي الشكل مقيد بشكله، والفرع منتشر عن أصله.

اعلم أن سببَ نشء العالم على ما اقتضاه الكشف المثالي والحكم الإلهي ما ذكرناه في كتاب عنقاء مغرب في باب محاضرةٍ أزليةٍ على نشأةٍ أبديةٍ، وسأذكر منه في هذا الكتاب ما يُحتاج إليه في هذا الموضع وذلك أن السدنة من هذه الأسماء لما كانت بأيديهم مقاليد السموات والأرض، ولا سموات ولا أرض بقي كل سادنٍ بمقلاده لا يجد ما يفتح فقالوا: يا لَلْعَجَب خُزّان بمفاتيح مخازن لا تعرف مخزناً

موجوداً فما نصنع بهذه المقاليد، فأجمعوا أمرهم وقالوا: لابد لنا من أئمتنا السبعة الذين أعطونا هذه المقاليد، ولم يُعرّفونا المخازن التي نكون عليها فقاموا على أبواب الأئمة على باب الإمام المخصص والإمام المنعم والإمام المقسط فأخبروهم الأمر فقالوا: صدقتم الخبر عندنا وسنعيّنها لكم إن شاء الله تعالى، ولكن تعالوا نصل إلى من بقي من الأئمة ونجتمع على باب حضرة الإمام الإلهي إمام الأئمة، فاجتمع الكل وهم بالإضافة إلى الإمام المعروف بالله سَدَنة، فوقف الجميع ببابه فبرز لهم وقال: ما الذي جاء بكم فذكروا له الأمر وأنهم طالبون وجود السموات والأرض، حتى يضعوا كل مقلاد على بابه، فقال: أين الإمام المخصص فبادر إليه المريد، فقال له: أليس الخبر عندك وعند العليم فقال له: نعم، قال: فإن كان فأرِح هؤلاء مما هم فيه من تعلق الخاطر وشغل البال، فقال العليم والمريد: أيها الإمام الأكمل قل للإمام القادر يساعدنا والقائم فإنه لا نقوم به بأنفسنا إلا أربعتنا، فنادى الله تعالى القادر والقائل وقال لهما أَعِينَا أخويكما فيما هما بسبيله، فقالا: نعم فدخلا حضرة الجواد، فقالا للجواد: عزمنا على إيجاد الأكوان وعالم الحدثان، وإخراجهم من العدم إلى الوجود وهذا من حضرتك حضرة الجود، فادفع لنا من الجود ما نبرزهم به فدفع لهم الجود المطلق فخرجوا به من عنده وتعلقوا بالعالم فأبرزوه على غاية الإحكام والإتقان، فلم يبقَ في الإمكان أبدع منه فإنه صدر عن الجود المطلق، ولو بقي أبدع منه لكان الجواد قد بخل بما لم يُعط وأبقاه عنده من الكمال ولم يصح عليه إطلاق اسم الجواد وفيه شيء من البخل، فليس اسم الجواد عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخيل عليه فيما أمسك، وبطلت الحقائق وقد ثبت أن اسم البخيل عليه محال، فكونه إن أبقى عنده ما هو أكمل محال وهذا أصل نشء العالم وسببه، وما ظهر الإمام المقسط إلا بعد نزول الشرائع فتأهَّبت الأسماء بمقاليدها وعلمت حقيقة ما كان عندنا وما هي عليه بوجود الأكوان، فتحقق هذا الفصل المختصر العجيب، فإنه نافع في هذا الباب الله المرشد للصواب.

تم كتاب إنشاء الدوائر ولله الحمد

كتاب عُقلَة المستوفز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه التوفيق

الحمد لله الواجب الذي افتتح وجود السوى بالأرواح المهيَّمة، المخلوقة بل المبدعة من فيض السبحات وعيّن منهم العنصر الأعظم بالمقام الذي لا يقبل الحركات، الحكيم الذي فتح وجود عالم التكوين والتدبير بإيجاد القلم الأعلى واللوح المحفوظ مظهري عالم التدوين والتسطير، موجد محل الظل والمقدار والغشيان والإيلاج والتكوين، مُظهر أعيان الأشخاص الفلكية والأملاك ومُعيّن مقاماتهم في الأركان والأفلاك، مُسخّر الأنوار ومحرك الأكوار بضروب الأدوار واختلاف الأحوال والأطوار، يكوّر النهار على الليل ويكور الليل على النهار عليٍ عالم الانشقاق والانفطار، لإيجاد الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وأبرزه نسخةً كاملة، جامعةً لصوَر حقائق المحدث وأسماء القديم أقامه سبحانه معنًى رابطاً للحقيقتين، وأنشأه برزخاً جامعاً للطرفين والرَقيقتين أحكم بيديه صنعته وحسن بعنايته صبغته، فكانت مضاهاته للأسماء الإلهية بخُلُقه ومضاهاته للأكوان العلوية والسفلية بخَلقِه، فتميز عن جميع الخلائق بالخِلقة المستقيمة والخلائق ، عيّن سبحانه سرّه مثلاً في حضرة الأسرار وميّز نوره من بين سائر الأنوار، ونصب له كرسي العناية بين حضرتيه وصرّف نظر الولاية والنيابة فيه وإليه، فلما أقامه تعالى بهذا المقام الأكمل وردّاه برداء المعلم الأجمل فنظرت إليه الروحانيات العُلى بعين التعظيم، وذلك قبل وجود مُركّبه البهيم، فلم يزل عالي الكلمة بعلم الأسماء، مميزاً لتفاصيل الأشياء إلى أن أخذت مقاماتها الأملاك ودارت بأشواقها الأفلاك، وانفعلت الأكوان لذلك الدور وانعطاف المكور عليها بعد الكور، وظهرت المولّدات الجسمانيات، والجسميات ذوات الكميات والكيفيات، كالمعدن والنبات والحيوان وليس للإنسان وجود في الأعيان حتى إذا بلغت الدورة المخصوصة، وتوجهت الكلمة المنصوصة من الحضرة العليَّة المأنوسة بإيجاد هذه الكلمة الهوية المحروسة قبضَ الحق سبحانه كما روى من الأرض قبضة من حيث لا يعلمون، وخمَّر طينته بيديه من غير تشبيه، ولا تكييف، وهم لا يشعرون وسواه متجاور الأضداد، وميَّزه بالحركة المستقيمة من بين سائر الأولاد، وأعطته قوى هذه البنية التصرف بالحركة المنكوسة الأفقية ثم أنطق الفهوانية في الروحانيات بخلافته فَطَعنت من فورها في نيابته ولو عاينوا تشريف اليدين ما حجبتهم مجاورة الضدين، فلما نفخ فيه الروح الأنزه والسر الحاكم المتألّه، عرفت الملائكة حينئذٍ قدْر هذا البيت الأعلى والمحل الأشرف الأسنى، فأوقفهم الحق بين يديه طالبين وأمرهم فوقعوا له ساجدين، والصلاة على المخصوص بهذه المكانة الشريفة والمرتبة المقدسة المنيفة، الظاهر بها من غير طعن ولا إنكار محمد ﷺ، ما اندرجت الأنوار في الأنوار واتَّحدت الأسرار بالأسرار وسلَّم تسليماً كثيراً.

باب في نظم ما يحتوي عليه هذا الكتاب من ذكر العالم العلوي والسفلي وترتيبه ونَضْده وهو هذا:

الحمـــــــــدُ لله الـــــــــــذي بوجـــــــــوده ظهــــــر الوجـــــود وعــــــالم الهَيَمــــــانِ

والعنصرُ الأعلى الذي بوجوده ... ظهرت ذوات عوالم الإمكان

من غير ترتيبٍ فلا متقدم ... فيه ولا متأخر بالآنِ

حتى إذا شاء المهيمن أن يرى ... ما كان معلوماً من الأكوان

فتح القدير عوالم الديوان ... بوجود روحٍ ثم روح ثانِ

ثمَّ الهباء وثمَّ جسمٍ قابلٍ ... لعوالم الأفلاك والأركان

فأداره فلكاً عظيماً واسمه العـ ... رش الكريم ومستوى الرحمنِ

يتلوه كرسي انقسام كلامه ... فيلوح من تقسيمه القدمانِ

من بعده فلك البروج وبعده ... فلك الكواكب مصدر الأزمان

ثم النزول مع الخلاء لمركزٍ ... ليقيم فيه قواعد البنيانِ

فأدار أرضاً ثم ماءً فوقه ... كرة الهواء وعنصر النيران

من فوقه فلك الهلاك وفوقه ... فلكٌ يُضاف لكاتب الديوانِ

من فوقه فلك لزهرة فوقه ... فلك الغزالة مصدر الملوانِ

من فوقه المريخ ثم المشتري ... ثم الذي يعزى إلى كيوانِ

ولكل جسمٍ ما يشاكل طبعه ... خلقٌ يسمى العالم النوراني

فهم الملائكة الكرام شعارهم ... حفظ الوجود من اسمه المحسانِ

فتحركت نحو الكمال فولّدت ... عند التحرك عالم الشيطانِ

ثم المعادن والنبات وبعده ... جاءت لنا بعوالم الحيوانِ

والغاية القصوى ظهور جسومنا ... في عالم التركيب والأبدان

لما استوت وتعدلت أركانه ... نفخ الإله لطيفة الإنسان

وكساه خلعته فكان خليفةً ... تعنو له الأفلاك والثقلانِ

وبدورة الفلك المحيط وحكمه ... أبدى لنا في عالم الحدثانِ

في جوف هذه الأرض ماءً أسوداً ... نتناً لأهل الشرك والطغيانِ

يجري على متن الرياح وعندها ... ظلمات سخط القاهر الديان

دارت بصخرة مركزٍ سلطانه الـ ... روح الإلهي العظيم الشانِ

باب الكمال الإنساني

أما بعد فإن الله تعالى عَلِمَ نفسه فعلم العالم فلذلك خرج على الصورة وخلق الله الإنسان، مختصَرَاً شريفاً جمع فيه معاني العالم الكبير وجعله نسخةً جامعةً لما في العالم الكبير، ولما في الحضرة الإلهية من الأسماء وقال فيه رسول الله ﷺ: "إنَّ الله خلق آدم على صورته"، فلذلك قُلنا خرج العالم على الصُّورة، وفي هذا الضمير الذي في صورته خلافٌ لمن يعود لأرباب العقول، وفي قولنا عَلِمَ نفسه فعلم العالم غنية لمن تفطَّن وكان حديد القلب بصيراً، ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحت له الخلافة والنيابة عن الله تعالى في العالم، فلنُبيّن في هذا المنزل نشأة هذا الخليفة ومنزلته وصورته على ما هي عليه، ولسنا نريد الإنسان بما هو إنسانٌ حيوانٌ فقط بل بما هو إنسان وخليفة، و بالإنسانية والخلافة صحت له الصورة على الكمال، وما كلُّ إنسانٍ خليفة فإن الإنسان الحيوان ليس بخليفة عندنا، وليس المخصوص بها أيضاً الذكورية فقط، فكلامنا إذاً في صورة الكامل من الرجال والنساء فإن الإنسانية تجمع الذكر والأنثى والذكورية والأنوثية إنما هما عرضان ليستا من حقائق الإنسانية لمشاركة الحيوان كلها في ذلك، وإن كان يستدعيهما حقائق أخر ثم من حيث النتاج فذلك أمرٌ آخر قد ذكرناه في كتاب النكاح وقد شهد رسول الله ﷺ بالكمال للنساء كما شهد به للرجال، فقال في الصحيح:

"كَمُلَ من الرجال كثيرون وكملت من النساء مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون"، وسُئل بعض الأولياء عن الأبدال كم يكونون فقال رضي الله عنه: أربعون نفساً، فقال له السائل: لِمَ لا تقول أربعون رجلاً فقال: قد يكون فيهم النساء وغرضنا إنما هو الكمال ظهر فيمن ظهر وللرجال عليهن درجة وتلك الدرجة الأصلية فإنَّ حواءَ وُجدت من آدم فله عليها درجة في الإيجاد، وكذلك العقل مع النفس والقلم مع اللوح فلما كانت المرأة منفعلةٌ عن الرجل بالأصالة لذلك كانت الدرجة.

باب في خلق الأرواح المهيّمة والعنصر الأعظم

اعلم أن لله سبعين ألف حجاب من نورٍ وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصر من خلقه، فلذلك نرى الحق من غَيرِ الوجه الذي يرانا، وإنما يقع الاحتراق والأثر إذا وقعت الرؤية من وجهٍ واحدٍ، وهو وقوع البصر منك على البصر منه، وقد أوجد الله تعالى في هذه الدار مثالاً لهذا المقام على عزته وعلوه، فخلق دابة تسمى الصلّ إذا وقع بصر الإنسان عليها ووقع بصرها عليه على خطٍ واحدٍ فاجتمعت النظرتان مات الإنسان من ساعته بالخاصية، واعلم أن الله كان ولا شيء معه، هذا نصُّ الخبر النبوي وزاد علماء الشريعة فيه وهو الآن على ما عليه كان، فهذه الزيادة مدرجةٌ في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرفها كل واحد، وقد سبق في علمه أن يكمل الوجود العرفاني بظهور آثار الأسماء الإلهية والنسب والإضافات، لا أن يكمل هو بذلك تعالى الله علواً كبيراً فهو الكامل على الإطلاق ومعنى قولي: ليكمل الوجود فنعطيك لذلك مثالا واحداً وبه تستدل على ما بقي، وذلك أن العقلَ والحقيقة تقسم الوجود إلى ما له أول وإلى ما لا أول له، وهو كمالُ الوجود فإذا كان ما لا أول له موجوداً وهو الله تعالى، والذي لم يكن ثم كان ويقبل الأولية الحادثة ليس بموجودٍ، فما كمل الوجود ما لم يكن هذا موجوداً ولذلك قوله تعالى لبعض أنبيائه وقد سأله لما خلقت الخلق فقال: "كنتُ كنزاً مخفياً لم أُعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرَّفت إليهم فعرفوني" وذلك أن العلم بالله ينقسم إلى قديم وإلى محدث فعلم الله نفسه وألوهيته بالعلم القديم ونقص من مراتب الوجود العلمي العلم المحدث، فخلق الخلق فتعرف إليهم فعرفوه بقدر ما يعطيه استعدادهم فوُجدَ العلم المحدث، فكملت مراتب العلم بالله في الوجود لا أن الله تعالى يكمل بعلم العباد، وبعد أن تقرر هذا وثبت فلنقل إن الله كان ولا شيء معه وهو يعلم ويريد بقاء المعدوم في العدم، أي: موصوفاً بالعدم ويكلّم نفسه بنفسه ويسمع كلامه ويرى ذاته، وهو الحي بذاته سبحانه فهذه الأسماء والنسب وهو الحي العالم السميع البصير المتكلم المريد، هي التي لم يزل حكمها أزلاً وأما كونه قادراً ورازقاً وخالقا ومبدعاً فبالصلاحية والقوة، وما بين الوجودين من امتداد زماني، ولكن الارتباط بين الوجودين ارتباط المحدث بالقديم على الوجه الذي يليق بالجلال، فتجلى الحق سبحانه بنفسه لنفسه بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً، فظهرت الأرواح المهيمة بين الجلال والجمال، وخلق في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لمخلوق العنصر الأعظم، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي ولا عِلّي، لا سبيل إلى ذلك وما منهم روح يعرف أن ثم سواه لفنائه في الحق بالحق واستيلاء سلطان الجلال عليه، ثم إنه سبحانه وتعالى أوجد دون هؤلاء الأرواح بتجلّ آخر من غير تلك المرتبة، فخلق أرواحاً متحيزة في أرض بيضاء، خلقهم عليها وهيّمهم فيها بالتسبيح والتقديس، لا يعرفون أن الله خلق سواهم ولاشتراكهم مع

الأول في نعت الهيمان، لذلك لم نفصّل بل قلنا الأرواح المهيمة على الإطلاق، وكلٌّ منهم على مقام من العلم بالله والحال وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة، وسميت أرضاً لنسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيزة، لا يجوز عليها الانحلال، ولا التبدُّل فلا تزال كذلك أبد الآباد، كما سبق في العلم، وللإنسان في هذه الأرض مثال وله حظ فيهم ، وله في الأرواح الأُوَل مثالٌ آخر، وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم ثم نقول: إن ما أوردنا شيئا مما ذكرناه أو نذكره من جزئيات العالم إلا واستنادنا فيه إلى خبر نبوي يصححه الكشف، ولو كان ذلك الخبر مما تكلم في طريقه فنحن لا نعتمد فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب رضي الله عنهم.

ثم نرجع ونقول: إنَّ هذا العنصر الأعظم المخزون في غيب الغيب له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير، ولا وجود لذلك العالم في العين، وهذا العنصر أكمل موجودٍ في العالم ولولا عهد الستر الذي أُخذ علينا في بيان حقيقته لبسطنا الكلام فيه وبيّنا كيفية تعلق كل ما سوى الله به، فأوجد سبحانه على ما قال الوارد الشاهد عند تلك الالتفاتة العقل الأول، وقيل فيه أول، لأنه أولُ عالم التدوين والتسطير، والالتفاتة إنما كانت للحقيقة الإنسانية من هذا العالم، فكان المقصود فخلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز أسباباً مقدمة لترتيب نشأته كما سبق في العلمِ ترتيبه ومملكة ممهدة قائمة القواعد، فإنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله فلا بد من تقدُّم وجود العالم عليه، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل وإن كان أول موجود بالقصد، كمن طلب الاستظلال والاستكنان فوقعت فكرته على السقف ثم انحدر إلى الأساس، فكان الأساس آخر مقصود بالعلم وأول موجود بالفعل، وكان السقف أول معلوم بالقصد وآخر موجود بالفعل، فعين الإنسان هي المقصودة وإليه توجهت العناية الكلية فهو عين الجمع والوجود والنسخة العظمى والمختصر الشريف الأكمل في مبانيه.

باب في خلق العقل الأول وهو القلم الأعلى

فأول ما أوجد الله من عالم العقول المدبّرة جوهراً بسيطاً، ليس بمادة ولا في مادة عالم بذاته في ذاته علمه ذاته لا صفة له مقامه الفقر والذلة والاحتياج إلى باريه وموجده ومبدعه، له نسبٌ وإضافات ووجود كثيرة لا يتكثر في ذاته بتعددها، فيّاض بوجهين من الفيض فيضٌ ذاتي وفيضٌ إرادي، فما هو بالذات مطلقاً لا يتصف بالمنع في ذلك وما هو بالإرادة فإنه يوصف فيه بالمنع وبالعطاء، وله افتقارٌ ذاتي لموجده سبحانه الذي استفاد منه وجوده وسماه الحق سبحانه وتعالى في القرآن حقاً وقلماً وروحاً، وفي السُّنة عقلا وغير ذلك من الأسماء قد ذكرنا أكثرها في كثير من كتبنا قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، وهو أول عالم التدوين والتسطير وهو الخازن الحفيظ العليم الأمين على اللطائف الإنسانية التي من أجلها وجد ولها قصد ميزها في ذاته عن سائر الأرواح تمييزاً إلهياً، علم نفسه فعلم موجده فعلّم العالم فعلم الإنسان قال رسول الله ﷺ: "من عرف نفسه عرف ربه"، لسانُ إجمال والحديث الآخر "أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه"، لسانُ تفصيل فهو العقل من هذا الوجه وهو القلم من حيث التدوين والتسطير، وهو الروح من حيث التصرف وهو العرش من حيث الاستواء وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء ورقائقه التي تمتد إلى النفس إلى الهباء إلى الجسم إلى الأفلاك الثابتة إلى المركز إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة إلى الحركات إلى المولدات إلى

الإنسان إلى انعقادها في العنصر الأعظم، وهو أصلها ستة وأربعون ألف ألف رقيقةٍ وستمائة ألف رقيقة وستة وخمسون ألف رقيقةٍ، ولا يزال هذا العقل متردداً بين الإقبال والإدبار يُقبل على باريه مستفيداً فيتجلى له فيكشف في ذاته من بعض ما هو عليه فيعلم من باريه قدر ما عَلِمَ من نفسه، فعلمه بذاته لا يتناهى فعلمه بربه لا يتناهى وطريقة علمه به التجليات وطريقة علمه بربه علمه به، ويقبل على من دونه مفيداً هكذا أبد الآباد في المزيد، فهو الفقير الغني العزيز الذليل العبد السيد ولا يزال الحق يُلهمه طلب التجليات، لتحصيل المعارف واستواء هذا الاسم عليه كان من أحدِ العُرُش فأذكر العُرُش.

باب في ذكر العُرش

اعلم أن العُرش خمسة: عرشُ الحياة وهو عرش الهوية وعرش الرحمانية والعرش العظيم والعرش الكريم والعرش المجيد، فعرش الحياة هو عرش المشيئة وهو مستوى الذات وهو عرش الهوية، قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود: ٧]، فأضافه إلى الهوية وجعله على الماء فلهذا قلنا إنه عرش الحياة قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]، وقال فيه: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود: ٧]، أي أظهر الحياة فيكم ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾[هود: ٧]، وكذلك قال تعالى في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾[الملك: ٢]، فجعل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ إلى جانب الحياة فإن الميت لا يُختبر وهو قوله على الماء ﴿لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]، فهو العنصر الأعظم أعني فلك الحياة، وهو اسم الأسماء ومقدمها وبه كانت وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]، من حيث هو حي لا من حيث هو جوهر والعرش المجيد هو العقل الذي ذكرناه والعرش العظيم النفس، وهو اللوح المحفوظ الذي نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى ويتلوه العرش الذي هو عرش الرحمانية وهو فلك الأفلاك ويتلوه العرش الكريم وهو الكرسي وسنذكر هذه كلها في أماكنها إن شاء الله.

باب في العرش العظيم

وهو اللوح المحفوظ وهو النفس الناطقة الكلية الثابتة، ولما أوجد الله سبحانه القلم الأعلى أوجدَ له في المرتبة الثانية هذه النفس التي هي اللوح المحفوظ وهي من الملائكة الكرام وهو المشار إليه بكل شيء في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وهو اللوح المحفوظ ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[الأعراف: ١٤٥]، وهو اللوح المحفوظ وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[البروج: ٢١-٢٢]، فهو موضع تنزيل الكتب وهو أول كتاب سُطِّر فيه الكون، فأمر القلم أن يجري على هذا اللوح بما قدره وقضاه مما كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أول موجود، وإيجاد الأرواح المهيمة في جلال الله تعالى وجماله الذين لا يعرفون العقل ولا غيره ولا يعرفون سوى من هاموا في جلاله، وطاشوا بمشاهدته شهودهم دائم ليس لهم لحظة إلى ذواتهم، ولا رجعة إليهم أفناهم فناء الأبد عبدوا الله بحقه لا من حيث أمره وعلى قلوب هؤلاء الأرواح هم الأفراد منّا الخارجون عن دائرة القطب، ومما يكون إلى أن يقال: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧]، ويذبح الموت ويقوم منادي الحق على قدم الصدق يا أهل الجنة خلود فلا خروج في النعيم الدائم الجديد ويا أهل النار خلود فلا

خروج في العذاب المقيم الجديد، إلى هنا حد الرقم بما بينهما وما بعد هذا فله حكم آخر، إن يمكن لنا أن نذكره في أثناء كلامنا كان وإن لم يجز منّا عليه لسان ذكر فلا حاجة لنا في التعريف به، فهذا اللوح محل الإلقاء العقلي هو للعقل بمنزلة حواء لآدم عليه السلام وسميت نفساً لأنها وجدت من نفس الرحمن، فنفَّس الله بها عن العقل إذ جعلها محلّاً لقبول ما يلقى إليها، ولوحاً لما يسطره فيها، وليس فوق القلم موجود محدث يأخذ منه يعبر عنه بالدواة وهي النون كما ذكره بعضهم، وإنما نونه التي هي الدواة عبارة عما يحمله في ذاته من العلوم بطريق الإجمال من غير تفصيل فلا يظهر لها تفصيل إلا في اللوح الذي هو اللوح المحفوظ فهو محلّ التجميل والنفس محل التفصيل وهذا القلم له ثلاثمائة وستون سِناً من حيث ما هو القلم، وثلاثمائة وستون وجهاً ونسبة من حيث ما هو عقل، وثلاثمائة وستون لساناً من حيث ما هو روح مترجم عن الله، ويستمد كلَ سن من ثلاثمائة وستين بحراً، وهي أصناف العلوم وسميت بحراً لاتساعها وهذه البحور هي إجمال الكلمات التي لا تنفد ولها جاء المثل في القرآن ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، لأن غاية كل نقطةٍ من البحر أن يكتب بها عين ذاتها لا غير، وتبقى الأقلام وجميع المخلوقات الكائنة في الآن والماضية، والمستأنفة، وهذا الملك الكريم الذي هو اللوح المحفوظ هو أيضاً قلمٌ لما دونه، وهكذا كل فاعلٍ ومنفعل لوح وقلم ولهذه النفس من الرقائق والوجوه على عدد ما للعقل، وجعل الله أمر التركيبَ وعالم الأجسام والإنشاءات كلها بيد هذا الملك الكريم، فإذا اعتدلت المباني واستوت المعاني وتصورت نشآتها نورانية كانت أو نارية أو ظلمانية أو شفَّافة كان القلم الأعلى واهب الأرواح فيها التي جعله الله أمينا عليها، وهو فيضٌ عجيبٌ ذاتي له وإرادي لله تعالى، ولهذا الملك الكريم نسبتان: نسبة نورانية وهو مما يلي العقل الكريم، ونسبة ظلمانية وهو مما يلي الهباء بحر الطبيعة وهي في نفسها خضراء لهذا الامتزاج الدقيق العجيب، وقد استوفينا ذكرها وصفتها في كتاب النفس وهو كتاب الزمردة الخضراء وذكرنا أيضا مقام القلم الأعلى في كتابِ مفردٍ سميناه الدرة البيضاء، والمقصود من هذا الكتاب كان كيف تمهيد المملكة لوجود الخليفة الذي هو الإنسان.

باب العرش الرحماني

الجامع للموجودات الأربعة وهي الطبيعة والهباء والجسم والفلك

مثـــــل مـــــا لاح لعـــــينٍ فـــــي الهــــوا بــــرقٌ يمــــاني

ثم أوجدَ الله سبحانه الهباء فأولُ صورة قبل صورة الجسم هو الطول والعرض والعمق فظهرت فيه الطبيعة، فكان طوله من العقل وعرضه من النفس وعمقه الخلاء إلى المركز، فلهذا كانت فيه هذه الثلاث الحقائق، فكان مثلثاً وهو الجسم الكلي وأولُ شكلٍ قبل هذا الجسم الشكل الكُري، فكان الفلك فسماه العرش واستوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن بالاستواء الذي يليق به الذي لا يعلمه إلا هو من غير تشبيه ولا تكييف، وهو أول عالم التركيب فكان استواؤه عليه من العماء وهو عرش الحياة، وهو العرش السادس وهو عرشٌ نسبي ليس له وجود إلا بالنسبة ولذلك لم نجعله في العُرُش، وهذا البحر هو البحر الفاصل بين الحق والخلق، وهو حجابُ العزة لنا وله فمن أراد منا الوصول إليه وقع في هذا

البحر، فينسب الفعل للكون وما بيد الكون من الفعل شيء بل الفعل كله للواحد القهار، وإذا أراد هو الوصول إلينا بما هو عليه، وقولنا إذا أراد قول مجازيٌّ لا حقيقيٌّ بل هي إشارةٌ لتوصيل معنى يجب أن يفهم عنَّا كان نزوله إلينا بنا فقيل: ينزل واستوى والله يفرح بتوبة عبده ويضحك ربنا ويتعجب ويَتَبَشْبَش، والله يستهزئ بهم وما أشبه هذا كالمكر والكيد، وجعل سبحانه لهذا العرش حملة ثمانية يحملونه يوم القيامة، وأما اليوم فيحمله منهم أربعة، الملك الواحد على صورة إسرافيل، والثاني على صورة جبرائيل، والثالث على صورة ميكائيل والرابع على صورة رضوان، والخامس على صورة مالك، والسادس على صورة آدم، والسابع على صورة إبراهيم، والثامن على صورة محمد ﷺ هذه صور مقاماتهم لا صور نشآتهم، قال ابن مسرة الجبلي رحمه الله في هؤلاء لما ذكرهم كما ذكرناهم: فإسرافيل وآدم للصور وجبرائيل ومحمد ﷺ للأرواح، وميكائيل وإبراهيم للأرزاق، ورضوان ومالك للوعد والوعيد، ويكون العرش عند هذا عبارةٌ عن الملك وعمّر سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحافين وهم الواهبات، وهنا مقامُ إسرافيل عليه السلام وهو فَمُ القرن وبمشاهدة هذا الاستواء يصير كذا وكذا مرة في اليوم كالوضع من استيلاء سلطان العظمة الإلهية على قلبه، ومن هنا سمع رسول الله ﷺ صريف الأقلام، ومن هنا نزل الرفرف، ومن هنا غلبت عليه حالة الفناء فتجرد عن عالم التركيب.

باب العرش الكريم

وهو الكرسي موضع القدمين ثم إن الله تعالى أدار هذا الفُلك الآخر سمَّاه الكرسي، وهو في جوفِ العرش كحلقةٍ مُلقاةٍ في فلاةٍ من الأرض، وخلق بين هذين الفلكين عالم الهباء وعمّر هذا الكرسي بالملائكة المدبّرات، وأسكنه ميكائيل وتدلّت إليه القدمان فالكلمة واحدةٌ في العرش، لأنه أول عالم التركيب، وظهر لها في الكرسي نسبتان لأنه الفلكُ الثاني فانقسمت به الكلمة فعُبّر عنها بالقدمين كما ينقسم الكلام، وإن كان واحداً إلى أمرٍ ونهيٍ وخبرٍ واستخبار وعن هذين الفلكين تحدث الأشكال الغريبة في عالم الأركان وعنهما يكون خرقَ العوائدِ علىَ الإطلاق، وهي من الأشكال الغريبة لا يُعرف أصلها، وهو هذا وتظهر في عالمين في عالم الخيال كقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وفي عالم الحقيقة مثل المعجزات والكرامات وهذان الفلكان قَلَّ من يعثر عليهما أو يصل إليهما من أصحابنا إلا الأفراد، وكذلك من أرباب علماء الهيئة والأرصاد، وإذا رأوا شكلاً غير معتادٍ في الطبيعة نسبوا ذلك إلى شكلٍ غريب حدث في الفلك عنه صَدَرَ هذا الذي هو غير معتاد لا يجري على قياس، ومن هذين الفلكين كانت الخواص في الأشياء وهي الطبيعة المجهولة، فيقولون تُفعَل بالخاصية فلو أدركوا حركة هذين الفلكين لم يصح لهم أن يجعلوا شيئاً في العالم، وقد ذكرنا من عالم التدبير القلم واللوح والطبيعة والهباء والجسم والعرش والكرسي، وما بينها من العوالم لأن في كل فلكٍ من الأفلاك وفي كل ركنٍ من الأركان عالمٌ من جنس كل فلك، وركن وطبيعة ولهم عمَّارها وسكانها ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠]، لأنهم لا يلحقهم في ذلك عيٌّ ولا نصبٌ فإن نسبة التسبيح إليهم نسبة الأنفاس إلينا تقتضيها نشأتهم كما تقتضي نشأتنا الأنفاس، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الاسراء: ٤٤]، من جهة الفِكر والنظر إلا أن يمنَّ الله على بعض عباده بعلم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

باب فلك البروج وهو الأطلس

ثم أدار سبحانه في جوف هذا الكرسي هذا الفلك وهو الأطلس، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، وهي تقديرات في الفلك الأطلس الذي لا كوكب فيه، ولهذا سمي بالأطلس وهو بالنسبة إلى الكرسي كنسبة الكرسي إلى العرش كحلقةٍ ملقاةٍ في فلاةٍ، وخُلق بين هذين الفلكين عالم الرفارف، وهي المعارج العلى، وفيه خلق عالم المثل الإنسانية وتسبيحهم سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح، وسببُ هذا التسبيح أنَّ الشخصَ منَّا إذا فعل فعلاً لا يرضي الله تعالى تغيرت صورة مثاله في هذه الحضرة، فيرسل الحجاب بينه وبين من فيها حتى لا يرون ما قام بها من التغيير فإذا أقلع عن المخالفة رجعت إليه صورته لا يرونَ منه إلا حسناً، فلهذا يكون تسبيحهم سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح، هكذا روينا هذا الخبر وهو عالمُ الحجب وإرخاء الستور، وفي هذا الفلك مقام جبرائيل، وفيه الملائكة المقسامات وهم عُمَّاره، وإلى هذا الفلك ينتهي علم علماء الأرصاد أكثرهم بل ربما كلهم ولا كوكب فيه، والبروج فيه تقديرات فهو منقسمٌ على ذلك اثني عشر قسماً جعل في كل قسم ملكاً من الملائكة، وهو رئيسُ ذلك القسم، وتحف به ملائمة من المقسمات، وأنشأهم على صورٍ مختلفة، وسموا بأسماء صورهم في عالمنا.

فالمَلِك الأول على صورة الميزان وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك حارٌّ رطب وولاه الحكم في عالم التكوين ستة آلاف سنة، ثم ينتقل الحكم إلى غيره، إلى أن ينتهي إليه فيمكث هذه السنين المعلومة، وهو أول فلك دار بالزمان وفيه حدثت الأيام دون الليل والنهار، وكان أول حركة الزمان بهذا الفلك، وقد استدار في زمان رسول الله ﷺ ولذلك قال رسول الله ﷺ: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله"، وجعلَ بيد هذا الملك الكريم مفتاح خلق الأحوال والتغييرات والزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض، وأحدث فيه الليل والنهار وهو متحركٌ.

والمَلِك الثاني: على صورة العقرب وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك باردٌ رطبٌ وولاه الحكم في عالم التكوين خمسة آلاف سنة، كلما جاءت دولته وجعل الله بيده خلق النار وهو ساكن.

والمَلِك الثالث: الذي يليه على صورة القوس وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك حارٌ يابسٌ وولاه الحكم في عالم التكوين أربعة آلاف سنة، كلما جاءت دولته وهو ملك كريم بيده أزمّة الأجساد النورانية والظلمانية، وجعل بيده مفتاح خلق النبات.

والمَلِك الرابع: خلقه الله على صورة جدي وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك باردٌ يابس، ووَلاه الحكم في عالم التكوين ثلاثة آلاف سنة، وهو ملك متحرك، وجعل الله بيده مفتاح الليل والنهار.

والمَلك الخامس: خلقه الله تعالى على صورة دلو وجعل طبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك حاراً رطباً، وجعل ولايته ألفي سنة وهو ملك كريم عليه سكون ووقار وهيبة، وجعل بيده مفتاح الأرواح.

والمَلك السادس: خلقه الله على صورة حوتٍ وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً رطباً وجعل دولته ألف سنةٍ وله اشتراك مع ملك الأجسام النورانية والظلمانية فيهما وجعل بيده مفتاح خلق الحيوان.

والملك السابع: خلقهُ الله على صورة كبش وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً يابساً وجعل دولته اثني عشر ألف سنة، وهو ملكٌ متحركٌ وجعل بيده مفتاح خلق الأعراض والصفات.

والملك الثامن: خلقهُ الله تعالى على صورة ثور، وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً يابساً، وجعلَ دولته أحدَ عشر ألف سنة، وهو ملكٌ عليه وقار وهيبة وعليه عَملَ السامري العِجل وظنه لما رآه إله موسى عليه السلام في حديث طويل ليس هذا موضعه، وجعل بيده مفتاح خلق الجنة والنار.

والملك التاسع: خلقه الله تعالى على صورة توأمين وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً رطباً، وجعل دولته عشرة آلاف سنة وله اشتراكٌ مع ملك الأجسام فيها، وجعل بيده مفتاح خلق المعادن.

والملك العاشر: خلقه الله تعالى على صورة سرطانٍ، وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً رطباً، وجعل دولته تسعة آلاف سنة، وهو ملكٌ متحرك، وجعل بيده مفتاح خلق الدنيا.

والملك الحادي عشر: خلقه الله على صورة أسد، وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً يابساً وجعل دولته ثمانية آلاف سنة، وهو ملكٌ كريم تعلوه مهابة، وجعل بيده مفتاح خلق الآخرة.

والملك الثاني عشر: خلقه الله تعالى على صورة سنبلةٍ وجعل قسمه بارداً يابساً وجعل دولته سبعة آلاف سنة وله اشتراك مع ملائكة الأجسام، وله اختصاص معيَّن بالأجسام الإنسانية وكَمُل الفلك وكمل عالم التكوين فعن الأسد والقوس والحمل وُجدت كرة الأثير، وعن الجوزاء والميزان والدلو وُجدت كرة الهواء، وبالسرطان والعقرب والحوت وُجدت كرة الماء، وبالثور والسنبلة والجدي وُجدت كرة الأرض، ومن هذا الفلك إلى المركز حكم الطبيعة بالتغيير والاستحالات والكون والفساد عند قبول المستعدّ لذلك الاستعداد الذي خلقه الله فيه، وبوجود هذا الفلك حدثت الأيام كما ذكرنا دون الليل والنهار، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الشأن فدار هذا الفلك بتقدير العزيز عن أحكام تأثيره فيه العليم بما وضعه له من الحكمة البالغة، وهو الفاعل سبحانه لكل شيء وهذه أسبابٌ نصبها سبحانه لما سبق في علمه، ولِيَبتَليَ بها عباده فمن أضاف الفعل إليها فهو مؤمن بها كافر بالله تعالى، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى فهو مؤمنٌ بالله كافرٌ بها، هكذا جاء الشرع الذي له الإيمان والكفر.

وأما العقل فإنه يدل على أنه لا فاعل إلا الله، وما أحسنَ ما قال صلى الله عليه وآله وسلم وما بلغ عن ربه بأشرف عبارةٍ، وألطف إشارةٍ فقال في أثر سماء كانت وقد أصبحوا بخرافات من جهينة: "أتدرون ماذا قال ربكم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافرٌ بالكواكب كافر بي ومؤمنٌ بالكواكب، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، ومن قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ

بي مؤمن بالكواكب"، فأدار رسول الله ﷺ القسمة بين المؤمن والكافر بأي وجه كان ونبّه بذلك على القسم الثالث المدرج بينهما، وهم القسمُ الذي يضيف الفعل إلى الله تعالى بحكم الإيجاد والإبداع، ويضيف الفعل إلى المخلوق بحكم التوجه والقصد والانبعاث والكسب، وعلى الوجه الذي أضاف الله تعالى به الفعل إلى عبده فقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] وأضاف العمل إلينا بهذا الحكم مع كون ذلك العمل خلقا له وإبداعا له لا إله إلا هو فهذا جعله كافراً أي ساتراً، ولم يقل مؤمن بي جاهل بالكواكب لكن قال كافر أي: ساتر ما يعرف منه.

باب فلك الكواكب الثابتة

وهو آخر الأفلاك الثابتة ثم أحدث الله هذا الفلك الرابع، وخلق عالم الرضوان بينه وبين فلك البروج وسَطْحُه أرض الجنة ومقعّره يكون سقفاً للنار، وفيه أسكن رضوان خازن الجنان وهوَ من الملائكة الكرام وملائكة هذا الفلك يقال لهم: التاليات، وقال بعض أهل المقاييس في قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، إنَّ هذا الفلك أحد الثمانية الحملة والسبعة الأفلاك التي تحته التي سنذكرها إن شاء الله تعالى، وجعل فلك البروج هو العرش وهو الأطلس والأمر على خلاف ما قاله من كل وجهٍ، وهذا الترتيب لا يمكن إدراكه إلا بالكشف والاطلاع أو بخبرِ الصادق، وكذا المنجمون أهل الأرصاد وأصحاب علم الهيئةِ لم يعرفوا ما عرفوا من ذلك إلا بطريق الكشف الحسي، فأبصروا حركات الكواكب فاستدلوا بذلك على كيفية الصنعة الإلهية وترتيب الهيئة فأخطأوا في بعضٍ وأصابوا في بعض واختلفت آراؤهم في ذلك اختلافا معروفاً متداولاً بين أهل هذا الشأن، وإن الله تعالىً لما خلق هذا الفلك رتَّب في مقعّره ألف مرتبةٍ وإحدى وعشرين مرتبة، قسم الفلك عليها أقساما كما قسم فلك البروج على اثني عشر قسما، فظهر لكل قسم كرة فظهرت اثنا عشر كرة وهو فلك الكواكب والسبعة الأفلاك التي تحته والأربعة الأركان، فهذه اثنا عشر وحكمها إنما هو فيها كما رتبه وقدره العزيز العليم وقد نبَّه عباده على هذا فقال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝﴾[يس: ٣٨-٣٩]، فكذلك قَسَّم هذا الفلك الرابع إلى الأقسام التي ذكرناها وجعل في كل قسم ملكاً من الملائكة على صورة عالم من العوالم الكائنة في عالم الأركان، فحصر صور عالم الأركان بتلك الأقسام فدار هذا القلم دورة أبرز فيها عالم الجنان كحركة الأرض في إخراج النبات، كما قال تعالى في الأرض ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥]، فكل فلكٍ يحكم فيما دونه بما أودعه الحق فيه وفطره عليه وهذا الفلك هو فلك الحروف، من هنا انتشأت في عالم الأجسام على الثمانية والعشرين منزلة ثمانية وعشرون حرفاً على المخارج المستقيمة، ثم حروفٌ خرجت عن حد الاستقامة في الإنسان وغيره من الحيوانات، وهي بعدد ما بقي من الأقسام مقداراً لا يزيد ولا ينقص، ومثالها في الإنسان كالحروف بين الباء والفاء وكالحروف بين الجيم والشين وكحرف الخيشوم، وهكذا في الحيوانات وأخبرني بعض العلماء من تلميذ جعفر الصادق عليه السلام أنه أوصلها إلى سبعة وسبعين حرفاً في الحيوانات، ولما كانت الحروف من هذا الفلك لا تعطى خواصها إلا ما يعطيه حكم المنازل، ولا تعطى أبداً شكلاً غريباً لأنها دون الفلكين غير أن لها روحانية لطيفة في الفلك الأطلس الذي هو سقفُ الجنة بها يبقى الكلام على أهل الجنة أعني الحروف الفكرية، وأما اللفظية فهي

لهم في نفس هذا الفلك الذي هم فيه، ولكن هو ألطفُ وأعذبُ من هذا الكلام المعتاد للعباد لأنها تفعل هناك بالروحانية الخالصة، كشكلنا أيضاً في الجنان على أعدل نشأة فأنتج الاستعداد الحسن والفيض الروحاني نتيجةً تناسب نشأتها، وبما في الفلك الأطلس من الطبيعة وفي هذا الفلك كان في الجنة الأنهار والرياح والأشجار والحور والقصور والولدان والأكل والشرب والنكاح والانتقالات من حال إلى حال على أهل الطبيعة، إلا أنَّ الأمر ثابتٌ في عين الحوامل والقوابل بحفظ الاعتدال فلا يستحيلون أبداً، لكن يختلف عليها الصور والحالات والصفات والأشكال في المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والأعراض بشريفٍ وأشرف وحسن وأحسن وجميل وأجمل حكمةٌ بالغةٌ من عزيز عليمٍ، وهنا نكتةُ اللطيفةِ الإنسانية ليست من عالم الاستحالة والفناء بل هي من عالم الثبوت والبقاء، وهي تستدعي بيتاً تدبره يسمَّى الجسم الطبيعي، وهي المخاطبة العاقلة الحية الدائمة الملتذّة المتألمة، والجسم بما هو جسمٌ طبيعي يتغذّى ويتخلّل قليلاً قليلاً وينمو قليلاً قليلاً ويعطي الغذاء من الزيادة قدر ما نقص، والفاضل يخرج في هذه الدار عَذِرَة وبولاً وبصاقاً ومخاطاً وعرقاً، وهناك ليس إلا العرق خاصة يخرج من أعراضهم يعني من الأبدان وهو فضلات الأغذية أطيبُ من ريح المسك، فالمعتبر من الإنسان لطيفتهُ وهي الحافظة لما حصلت والمميزة لما أدركت، فتفهّم هذا فإنه ينفعك.

فلما أكملَ سبحانه أفلاك الثبات والبقاء وصارت الكلمة أربعة بوجود هذا الفلك الرابع، أراد سبحانه إيجاد عالم الدنيا من الأركان والسموات السبع والمولدات التي مآلُ تركيبها وأجسامها إلى فسادٍ وانتقال، وما من فلكٍ أوجده الحق تعالى من هذه الأفلاك الثابتة إلا وقد جعل الله سبحانه للملكين الكريمين القلم واللوح توجهاً إليها عندما أراد إيجاده، ويخلق الله عند التوجُّه ما شاء أن يخلقه مما شاء أن يتوجَّه عليه لا بالتوجه، لأنه يتعالى ويتقدس عن المعين والشريك وأحكام الأسباب إذ هو الناصبُ لها والخالقُ وما لها سببٌ إلا من حيث التوجُّه والقصد، وهو خلقٌ لله تعالى مثل أعمالنا المرادة لنا بخلقه سبحانه الإرادة فينا إلى تحريك يدنا أو إلى فعل من الأفعال المرادة لنا، فعندما تتعلق إرادتنا بتحريك يدنا أو بفعل ما خلق الله تعالى الحركة في اليد وذلك الفعل ليس غير ذلك، فلا فاعل في الوجود إلا هو سبحانه هذا هو الذي أعطاه دليلي وكشفي وهو علمي واعتقادي، نسأل الله الثبات عليه وأنه سبحانه ليس بعلّةٍ لشيء، بل هو الواحد أوجد ما أوجده إيجاداً من لم يكن إلى فكان ما ثم أزلي قديم انتفت عنه الأولية إلا هو لا إله إلا هو، فجعل سبحانه للنفس الكلية التي هي اللوحُ توجهاً من حيث إنه يريد إيجاد الأجرام النورانية وغيرها، حتى إذا حصلت الاستعدادات لأشخاص أنوار هذه الأفلاك على حسب مقاماتهم ومراتبهم التي أهَّلهم الله تعالى لها وأهلها لهم ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤ ﴾[الصافات: ١٦٤]، توجه العقل الذي هو القلم عن إذن الواحد القهار توجه النفخ، فأوجد الله الأرواح الملكية في الأشخاص الفلكية فقامت حية ناطقة بالثناء على الله تعالى ولذلك خلقها ولنا في هذا النوع الملكي أبيات أولها:

روحٌ مـــن الـــرُّوحِ فـــي جســـمٍ مـــن النـــورِ	**كالمـــــاء أودَعْتـــــه فـــــي جـــــام بلـــــورِ**
يعطيــــك ظــــاهرهُ أســــرار باطنــــه	**كالمبصـــرات إذا مـــــا فـــضَّ فـــي النـــورِ**
لـــــه الجنـــــاحُ إذا مـــــا شـــــاء يبســـــطهُ	**أو شـــــاء يقبضـــــه مـــــن غيـــــرِ تشـــــميرِ**
لـــــه اليـــــدانِ لـــــه العينـــــانِ نبصـــــرها	**فـــي العـــين قائمـــةً مـــن غيـــر تصـــويرِ**

لواحد سدرةٌ علياءَ يسكنها ... وآخر همّه في النفخ في الصورِ
وثالث يقبض الأرواح كارهةً ... وواهب رزقه من غير تغييرِ
وخامس يسمع الأرواح دعوته ... خير يجود وبخلٌ خلق تدميرِ
هم الكثيرون لا يحصى مقاصدهم ... ولا مراتبهم إلا من الطورِ
فمن على الطور يلحظُ سر خلقهم ... وفوقه سابحٌ في ماء تنورِ

وفرق بين النفخ والدعاء ولهذا بيّنا أن النفخ في البدء والإعادة فإن الإعادة كالبداءة سواء ولهذا قال ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾[الأعراف: ٢٩]، وقال في خلق عيسى عليه السلام الطير: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِي﴾ [المائدة: ١١٠]، وهو إيجادٌ مخصوصٌ والدعاء ليس كذلك كما قال لإبراهيم عليه السلام: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وما كان أذهب منهن شيئاً إلا فساد عين التركيب، وأما الأجزاء فهي باقية بأعيانها وليسٍ حكم الجوهر بعد زوال الحياة منه التي كان يحملها حِسّاً لنا مثل الجوهر الذي لم يكن له ذلك أصلاً مع أنّا نعلم أنه ما من شيء إلا سَبّح بحمده إيمانا ولا نعلم الكيفية ولا يكون التسبيح إلا من حَي.

باب نشأة الإنسان الأول

اعلم أنَّ الله تعالى لما أراد أن يخلق الإنسان بعدما مهَّد له المملكة وأحكم أسبابها إذ كان الله قد قضى بسابق علمه أن يجعله في أرضه خليفةً نائباً عنه فيها، فجعل نسخة من العالم كله فما من حقيقة في العالم إلا وهي في الإنسان فهو الكلمة الجامعة وهو المختصر الشريف وجعل الحقائق الإلهية التي توجَّهت على إيجاد العالم بأسره توجهت على إيجاد هذه النشأة الإنسانية الإمامية، فقال عز وجل للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾[البقرة: ٣٠]، فلما سمعت الملائكة ما قاله الحق لها ورأت أنه مركب من أضدادٍ متنافرةٍ وأن روحه يكون على طبيعة مزاجه قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة: ٣٠]، غيرة منهم على جناب الحق ثم قالوا عن أنفسهم بما تقتضيه نشأتهم ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠]، قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠].

ثم نرجع ونقول إنَّا روينا أن الله تعالى وجَّه إلى الأرض ملكاً بعد ملك ليأتوا بقبضة منها، ليفتح فيها صورة جسد الإنسان وما من ملك منهم إلا وتُقْسم الأرض عليه بالذي أرسله أن لا يأخذ منها شيئا يكون غذاءً للنار فيرجع إلى أن وَجَّهَ الله عزرائيل فأَقسمت عليه كما أقسمت على غيره، فقال لها إن الذي وجهني وأمرني أولى بالطاعة فقبض منها قبضة من سهلها وحَزَنها وأبيضها وأحمرها فظهر ذلك في أخلاق الناس وألوانهم، فلما حضر بين يدي الحق شرّفه الحق بأن ولّاه قبض أرواح من يخلقه من تلك القبضة فتَميز وتعين وخمّر الله طينة آدم بيديه حتى قبلت بذلك التعفين النفخ الإلهي، وسرى الروح الحيواني في أجزاء تلك الصورة ثم فتح بعد التمييز والنفخ هذه الصورة الآدمية وعيَّن لها من النفس الكلية النفس الناطقة الجزئية، فكان الروح الحيواني والقوي من النَّفَس الرحماني بفتح الفاء، وكانت النفس الناطقة الجزئية من أشعّة أنوار النفس الكلية، وجعل بيد الطبيعة العنصرية تدبير جسده وبيدِ النفس الجزئية تدبير عقله، وأيدها بالقوى الحسية والمعنوية وتجلّى لها في أسمائه لتعلم كيفية تدبير ما ملّكها إياه، ثم جعل في هذه النفس الناطقة قوة اكتساب العلوم بواسطة القوى التي هي كالأسباب

لتحصيل ما تريد تحصيله، فبالنفس الرحماني كانت حياة هذه النشأة، وبالنفس الناطقة علمته وأدركت، وبالقوة المفكرة فصّلت ما أجمل الحق فيها فأنزلت الأشياء مراتبها وأعطت كل ذي حق حقه، فبما هو مِنَ الطبيعة هو من ماءٍ مَهين وآدم من حمأ مسنونٍ وصلصال ومن تراب وطين وغير ذلك، وبما هو من النفس الكلية والروح المضافً إليه تعالى هو حافظٌ عاقل درَّاك متصور ذاكرٌ إلى أمثال هذه الصفات الإنسانية والقوى، ولما سَرَتْ النفخة فيه خرج الهواء من منخريه فعَطس فتغيرت صورته، فلما انفصل عنه عادت صورته كما كانت، فقال له الملك احمد الله على رد حسن صورتك إليك فحمد الله، فقال له ربه يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك أي: لتحمدني فأرحمك، فذلك هو تشميت العاطس إذا حمد الله، ثم كان من أمره مع الملائكة ما قصّه الله علينا وأنزله في الأرض خليفة جامعاً للأسماء الإلهية والكونية كلها لجمعيته التي خَلقهُ الله عليها، فهو المشارُ إليه وإلى كل كاملٍ من الناس بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ من نفسه ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ من طبعه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما علمه الحق من الأسماء و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، بتعيين المراتب وإطلاق الأسماء على مسمياتها، وهذا كله على طريق الإشارة لا على جهةِ التفسير، فاعلم ذلك فأعطته النيابة والخلافة هاتين الصفتين الحقيقيتين ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فهذا هو الإله المتَّخذ ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ أي حيّره ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[الجاثية: ٢٣]، فجعل علمه في حيرته.

ولما تعدد الكمّل من هذه النشأة جعلهم الحق خلائفَ بعدما كان خليفة، فكل كامل خليفة وما يخلو زمان عن كاملٍ أصلا فما يخلو عن خليفة الأرض عن ظهور صورة إلهية يعرفها جميع خلق الله معيَّنة، ما عدا الثقلينَ الإنس والجن فإنها معروفة عند بعضها فيوفّون حقها من التعظيم والإجلال لها ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]، ثم لتعلم أن كل مولودٍ فإنه يولد على الفطرة التي أخذها الله على بني آدم من الإقرار بربوبيته لما قبض على ظهر آدم فاستخرج منه ذريته كأمثال الذر فقال لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أنت ربنا، فهذه هي الفطرةُ التي فطر الناس عليها وهي الإقرار بربوبيةِ الحق عليهم، فلما كبروا صاروا بحكم الآباء والمربين وحكم لهم بحكم الذر فمن استمر على الفطرة إذا كان أبواه مسلمين إلى أن يموت عليها كان من السعداء الموحدين، وإن طرأ عليه خلل يزيله عن الفطرة كان بحسب ما زال إليه، ثم يموت على ما هو عليه قبل موته وقبل الاحتضار، وإذا انتقل إلى البرزخ وانفصل عن الدنيا انفصال من لا يرجع يكون في البرزخ عن الحالة التي كان عليها عند الانفصال، فإن كان على حالة تعطيه السعادة سعد وإن كان على حالة تعطيه الشقاوة شقي ثم ترد عليه حياته، وعقله أوفر ما كان في قبره فيأتيه فتّانا القبر ومعهما محمد ﷺ فيقال له: ما تقول في هذا الرجل، ولا يظهران له بما ينبغي له من التعظيم، فإن عُصم الميت منهما فيقول هذا محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وصدقنا، فيقولان له: نَم هنيئاً فقد كنا نعرف منك هذا، وإن وقف مع ما يرى من عدم تعظيم السائِلَين له ﷺ وتلك فتنة القبر فيقول: لو كان لهذا عند الله قدر مثل ما يعتقده المؤمنون فيه لَعَظَّمه هذان فيقول: سمعت الناس يقولون فيه أنه رسول الله، فقلت فيه ما قاله الناس فيقولان له: لا سمعت ولا قلت فتتسلمه ملائكة العذاب ثم يبقى على ذلك إلى حين البعث، ويُبعث على ما مات عليه كان ما كان كما ذكرنا.

ولا يزال ينتقل في مواطن القيامة من موطن إلى موطن على تلك الصورة التي قُبض عليها فإن ذلك الموطن وتلك الدار ما هي دار تكليف. لو كانت دار تكليف لنفعهم إيمانهم إذا آمنوا وما بقي

كافرٌ إلا أسلم وآمن، فإنه يعاين ما لا يقدر على جحده ولا إنكاره ثم إن الناس يحشرون إلى أخذ كتبهم، فمن الناس من يعطى كتابه بيمينه، وهم أهل السعادة، ومنهم من يعطى كتابه بشماله فيقول: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ [الحاقة: ٢٥]، وهم الكافرون، ومنهم من يعطى كتابه بشماله من وراء ظهره يضرب في صدره فينفذ إلى ظهره وهم المنافقون والمرتابون، فأما المؤمنون فهم وجهٌ بلا قفا يرون من كل جهة، وأما الكافرون فهم قفاً بلا وجه، والمنافقون وجهٌ وقفا، ثم يرجع لهم الموازين فيوزنون بأعمالهم ، فإن رجح عمله به ثقل ميزان عمله به وارتفعت الكفة به فأُخذ إلى عِلّيين وإن رجح هو بعمله نزل بكفته إلى سِجّين وهنالك يقرأ كتابه بما قدمت يداه.

وأما الكفار المقلدة في الكفر فيقول القائل منهم ﴿ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] وهم الذين بلغتهم دعوة الرسل عليهم السلام فردوها و لم يعملوا بها، وأما المجرمون فلا يقيم لهم الله عز وجل يوم القيامة وزناً، ولا يعبأ الله بهم من قبورهم إلى جهنم، ويأتي أيضا طائفة مستجيرة يقول مترجمهم:

شعر:

رؤوفٌ رحـــــيمٌ لا يكـــــون مؤاخـــــذاً	**عُبيـــــدا أتـــــاه رجيــــاً متلهفـــــا**
لأجـــل ذنـــوبٍ قـــد أتاهـــا بغفلـــة	**ولـــو كانـــت الأخـــرى أتـــى مُتكلفـــا**
فـــإن شـــئت عفـــواً لا تؤاخـــذه إنـــه	**أتـــى مســـتجيراً ســـائلاً مُتكتّفـــا**

فأجابه الناطق بلسان الحال: شعر:

إن كنـــــت أنـــــت فأنـــــتَ	**وإن تشــــأ كنــــتُ أنتـــــا**
يـــا منيتـــي يـــا حبيبـــي	**بكـــم وبـــي حيـــث كنتَـــا**
إنـــي علمـــت بـــأني	**فـــي حفظكـــم إذ حفظتـــا**
لـــو كنـــت أملـــك نفســـي	**عـــنكم لكنـــت مُلكتـــا**
عينـــي ولســـت بغيـــر	**لكـــم فكـــن لـــي وأنتـــا**

تم كتاب عقلة المستوفز والحمد لله

كتاب المسائل لإيضاح المسائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حجبنا عنه غيرةً منه أن يعرف له كنه، بدا نوراً فاستتر عن الأبصار بنوره، وظهر فاحتجب عن البصائر بظهوره، فاندرج النور في النور، وبطن الظهور في الظهور، فلا يقع بصر إلا عليه، ولا يخرج خارج إلا منه، ولا ينتهي قاصد إلا إليه، فيا أولي الألباب أين الغيبة والحجاب؟ ومن كانت عينه حجاباً عليه، فلا محجوب ولا حجاب.

المسألة الأولى

اعلم أن وصف الحق تعالى نفسه بالغنى عن العالمين، إنما هو لمن توهم أن الله تعالى ليس عين العالم، وفرّق بين الدليل والمدلول، ولم يتحقق بالنظر، إذا كان الدليل على الشيء نفسه، فلا يضاد نفسه، فالأمر واحد وإن اختلفت العبارات عليه، فهو العالم والمعلم والمعلوم، فهو الدليل والدال والمدلول، فبالعلم يعلّم العلم، فالعلم معلوم العلم، وهو العلم، والعلم ذاتيٌّ للعالم، وهو قول المتكلم ما هو غيره فقط، وأما قول القائل بعد هذا: ما هو هو، فهو لما يرى من أنه معقول زائد على (هو)، فينبغي أن لا يكون (هو)، وما قدر أن يثبت (هو) من غير علم يصفه به، فقال: ما هو غيره، فحار فنطق بما أعطاه فهمه، فقال: إن صفات الحق تعالى، ما هي هو، ولا هي غيره، ولكن إذا قلنا نحن مثل هذا القول، ما نقوله على حد ما يقوله المتكلم، فإنه يعقل الزائد ولا بد، فنحن لا نقول بالزائد، فما يزيد المتكلم، على من يقول إن الله فقير إلا بحسن العبارة، فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين.

المسألة الثانية

اعلم أن قول الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء: ٢]، تنبيه لنا على أن كل كلام في العالم كلامه تعالى؛ لأنه ما أتى من الله تعالى إلينا إلا كل ذكر محدث؛ لأن الإتيان محدث بلا شك، وكل شيء من الله تعالى حسن – شاء ذلك – أم شر، وقد قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، أولئك الذين هداهم الله إلى معرفة الحسن والأحسن، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ۝١٨﴾ [الزمر: ١٨]، يعني المستخرجين لب الأمر المستور بالقشر صيانة له؛ فإن العين لا تقع إلا على الحجاب، وهو الصورة التي يتجلى فيها الحق تعالى، ثم يتحول عنها إلى حجاب آخر، فما ثَمَّ في الحقيقة إلا انتقال من حجاب إلى حجاب؛ لأنه ما تكرّر تجلٍّ إلهي قط، فلا بد من اختلاف الصور، والحق تعالى وراء ذلك كله، فما لنا منه تعالى إلا الاسم الظاهر رؤيةً وحجاباً، وأما الاسم الباطن فلا يزال باطناً، وهو اللب المعقول، الذي يدركه أولو الألباب، يعني يعلمون أن ثَمَّ لباً، وهو الاسم الباطن المستور باسم الظاهر، وهو المسمى في الحالين، فمن قال بالرؤية صدق، ومن قال بعدم الرؤية صدق؛ لأن النبي ﷺ أثبت لنا الرؤية بقوله: "ترون ربكم في الجنة"، ونفى الرؤية لما سئل: هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أنّى أراه"، أي أنه: نور فلا أراه لضعف الحدوث، والنور لله تعالى وصف ذاتي، والحدوث لنا نسبة ذاتية، فنحن لا نزال على ما نحن عليه، وهو تعالى لا يزال على ما هو عليه،

فمن قال: إن الله تعالى ظاهر، فما قال على الله تعالى إلا ما قال عن نفسه، ولا فائدة لكون الأمر ظاهراً إلا مشاهدته، فهو تعالى مشهود مرئي من هذا الوجه، ومن قال: إن الله تعالى باطن فما قال عليه تعالى إلا ما قال عن نفسه، ولا فائدة لكون الأمر باطناً، إلا أنه لا تدركه الأبصار فهو تعالى لا يُشهد ولا يُرى، ومثال ذلك صورة الإنسان الظاهرة، وروحه الباطنة المدبرة بصورته الظاهرة، فمن قال: إن الإنسان عبارة عن العين الباطنة المدبرة للصورة الظاهرة، قال: إنه ما يرى، ومن قال: إنه عبارة عن الصورة الظاهرة فقط، قال: إنه يُرى، ومن قال: إن الإنسان هو المجموع، فهو الظاهر والباطن، قال: إنه يُرى وما يرى، فهو في المعنى كقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧]، فأحسن القول إثبات الأمرين على الوجهين:

فمـــا ثـــم مشـــهود ولا ثـــم شـــاهد ... ســـوى واحـــدٍ والفـــرق يُعقـــل بـــالجمع
فمـــن قـــال شـــاهدناه يصـــدق قولـــه ... ومـــن قـــال لـــم نشـــهد فللضـــعف والصـــدع
علـــى الســـمع عولّنـــا فكنـــا أولـــي النهـــى ... ولا علـــم فيمـــا لا يكـــون عـــن الســـمع
إذا كـــان معصـــوماً وقـــال بقولـــه ... هـــو الحـــق لا يأتيـــه مـــين علـــى القطـــع
فعقـــل وشـــرع صـــاحبان تآلفـــا ... فبـــورك مـــن عقـــل وبـــورك مـــن شـــرع

المسألة الثالثة

في معنى قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام: ٩١]، اعلم أن الله تعالى قد وصف نفسه في الصورة الظاهرة باليدين والأعين، وشبه ذلك مما وردت به الأخبار، والدليل العقلي ينزه الحق تعالى عن حكم الظاهر من ذلك في المحدثات، فحق قدره تعالى [شعر]:

مـــا قـــدر الله غيـــره أحـــد ... ولـــيس غيـــر فكلهـــم قـــدرا
مـــا حـــق قـــدر الإلـــه عنـــدي ســـوى ... بأنـــه الله فـــاعرف الصـــورا

فحق قدره تعالى إضافة ما أضافه لنفسه مما ينكر الدليل العقلي إضافته إليه تعالى، فمن أضاف مثل هذا إليه تعالى عقلاً، فذاك الذي قدّر الله حق قدره، ومن أضاف إليه شرعاً وشهوداً وكان على بينة من ربه، فهو الذي قدر الله حق قدره، فالإنسان الكامل هو الخليفة قدّر الله تعالى ظاهراً وباطناً صورةً ومنزلةً ومعنى، فمن كل شيء في الوجود زوجان: فاعل ومنفعل فيه، فالحق تعالى فاعل، والعالم منفعل فيه؛ لأنه محل ظهور الانفعال بما يتناوب عليه من صور الإمكان من حركة وسكون واجتماع وافتراق، ومن صور الألوان والصفات والنسب، العالم قدر الله وجوداً وأما في الثبوت فهو أظهر لحكم الأزل، الذي هو للممكنات في ثبوتها؛ لأن الإمكان للممكن نعت ذاتي، ولم يزل الممكن ممكناً في حال عدمه ووجوده، فلما سبّح الحق تعالى نفسه عن التشبيه، سبّح الممكن نفسه عن التنزيه، وما ظفر بالأمر على ما هو عليه الأمر إلا من جمع بينهما، فقال بالتنزيه من وجه عقلاً وشرعاً، وقال بالتشبيه شرعاً لا عقلاً، والشهود يقضي بما جاءت به الرسل إلى أممها في الله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فأنا مؤمن بما جاءت به الرسل، فكل واصف فإنما هو واقف مع نعت مخصوص، فنزه الله تعالى نفسه عن ذلك النعت من حيث تخصيصه لا من حيث أنه له، فإن أحديته تعالى أحدية المجموع، لا أحدية كل واحد من المجموع، والله تعالى أعلم.

المسألة الرابعة

اعلم أنه لولا النور لم يُدرك معلوم ولا محسوس ولا متخيّل أصلاً، فبالنور أُدرك المحال، ولذلك ينسحب على كل قسم من أقسام العقل، كما ينسحب على أقسام الوجود، فنقول: محال على المحال أن يقبل الوجود، ومحال على الواجب أن يقبل العدم، ومحال على الممكن أن يقبل الوجود لذاته، وواجب للممكن أن يكون العدم والوجود في حقه على السواء. فقد علمت أنه ما ثم معلوم من محال وغيره إلا وله نسبة ما إلى النور، والله تعالى هو النور، ولولا ذلك النور الذي له إليه نسبةٌ ما صح أن يكون معلوماً، فلا معلوم إلا الله، وعلى الحقيقة فما يدرك أحد ما نقوله ولا كيف تكون نسبة الأمور مع كون تعلقها، والعبارات تقصر عن الإحاطات بها والله أعلم.

المسألة الخامسة

اعلم أن الحجب الظلمانية والنورانية التي بين الحق تعالى وبين العالم إنما هي ما اتصف به الممكن في حقيقته من الظلمة والنور، لكونه وسطاً، فهو لا ينظر إلا في نفسه، فلا ينظر إلا في الحجاب، فلو ارتفعت الحجب عن الممكن، ارتفع الإمكان، وارتفع الواجب والمحال، فالحجب لا تزال مسدولة، ولا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا وانظر إلى قول رسول الله ﷺ: "إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"، وقد أخبر الله تعالى أن الخلق تراه يوم القيامة ولا تحترق، وسبحات وجهه موجودة فدل أن الحجب لم ترتفع، فالرؤية حجابية ولا بد، والضمير في (بصره) يعود على (ما)، و(ما) هنا عين خلقه، فكأنه يقول في تقدير الكلام: ما أدركه بصر خلقه، فإنا لا نشك أن الحق تعالى يدركنا اليوم ببصره وسبحات وجهه موجودة، والحجب وإن كانت عينه تعالى فلا ترتفع، وإن كانت خلقاً أُحرقت، فإنها مدركة ببصره من غير حجاب، ولو احترقت الحجب احترقنا، فلم نكن ونحن كائنون بلا شك، فلو فهم الناس معنى هذا الحديث، لعرفوا نفوسهم، ولو عرفوا نفوسهم، لعرفوا ربهم، ولو عرفوا ربهم، لاتقوا به من قبل كل شيء، ولرأوه في كل شيء، فلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض؛ لأنه تعالى عينها، والله تعالى أعلم.

المسألة السادسة

اعلم أن المنح والعطايا الذاتية لا تكون إلا عن تجلٍّ إلهي، والتجلي من الذات لا يكون أبداً إلا بصورة استعداد المتجلى له، غير ذلك لا يكون، فالمتجلى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق تعالى، وما رأى الحق تعالى، ولا يمكن أن يراه مع علمه أنه ما رأى إلا صورته فيه، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت صورتك فيها لا تراها مع علمك أنك ما رأيت صورتك إلا فيها فأبرز الله ذلك مثلاً نصبه لتجليه الذاتي، ليعلم المتجلى له أنه ما رآه، وما ثمَّ مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي منه، وإذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذه الدرج، فما هو أتم أصلاً وما بعده إلا العدم المحض، فالحق تعالى مرآتك في رؤيتك نفسك وغيرك، وأنت مرآته تعالى في رؤيته أسماءه، وظهور أحكامها، وليست سوى عينه تعالى، فاختلط الأمر وانبهم، فمنا من جهل في علمه فقال: العجز عن درك الإدراك إدراك، ومنّا من علم فلم يقل مثل هذا، بل

أعطاه السكوت ما أعطاه العجز، وهذا أعلى عالم بالله تعالى، وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل ﷺ وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الختم ﷺ ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة خاتم الأولياء، رضي الله عنهم أجمعين.

المسألة السابعة

اعلم أن مسمى العالم بالنسبة إلى الله تعالى كالظل بالنسبة إلى الشخص، فهو ظل الله تعالى، وما أوجد الله تعالى الظلال وجعلها ساجدة متفيئة عن اليمين والشمائل إلا دلائل لك عليك وعليه، لتعرف من أنت، ومن هو، وما نسبتك إليه، وما نسبته إليك، حتى تعلم من أي حقيقة إلهية اتصف من سوى الله تعالى بالفقر الكلي، وبالفقر النسبي بعضه إلى بعض، ومن أي حقيقة اتصف الحق تعالى بالغنى عن العالمين؟ ومن أين اتصف العالم بالغنى بعضه عن بعض من وجه عين ما افتقر إلى بعضه به، فإن العالم مفتقر إلى الأسباب افتقاراً ذاتياً، وأعظم الأسباب له سببية الحق تعالى، ولا سببية للحق تعالى يفتقر إليها العالم سوى الأسماء الإلهية، والأسماء الإلهية كل اسم يفتقر إليه العالم من عالم مثاله، أو عين الحق تعالى، فهو الله تعالى لا غيره، ولذلك قال الله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، ومعلوم أن لنا افتقارنا من بعضنا إلى بعضنا، فأسماؤنا أسماء الله تعالى، إذ إليه الافتقار، بلا شك، وأعياننا في نفس الأمر ظله لا غيره، فهو تعالى هويتنا -لاهوتيتنا-، وقد مهدّنا لك السبيل فانظر والله تعالى أعلم.

المسألة الثامنة

اعلم أنه قد صح فيما خرجه مسلم رحمه الله تعالى من تحوّل الألوهية وتبدلها يوم القيامة في صور الاعتقادات والمعارف، وفيه اعتقاد المشبهة وغيرهم، ولا بد من إقرار كل طائفة في تلك الدار به تعالى، فلا بد من تجليه في صور اعتقاداتهم، فإن ذلك راجع إلى الرائي لا المرئي، فإن الحقائق الإلهية لا تتبدل، ولهذا نقص علم من خرج عن طريقنا في أي حضرة يقع فيها تجلي الألوهية، ولذلك سمي عالم التبدل والتمثل برزخاً، لكونه وسطاً بين حقائق جسمانية وغير جسمانية، فتعطي هذه الحضرة هذه التجليات، فترتبط بها المعاني بالصور ربطاً محققاً، والله تعالى أعلم.

المسألة التاسعة

اعلم أن الألوهية تطلب المألوه، والربوبية تطلب المربوب، وإلا فلا عين لها إلا به وجوداً وتقديراً، والذات المقدّسة لها الغنى عن العالمين، والربوبية ما لها هذا الحكم، فبقي الأمر بين ما تطلبه الربوبية، وبين ما تستحقه الذات من الغنى عن العالمين، وليست الربوبية على الحقيقة والاتصاف إلا عين هذه الذات.

فلما تعارض الأمر بحكم النسب ورد في الخبر وصف الحق تعالى بالشفقة على عباده، فأول ما نفّس عن الربوبية بنفسه المنسوب إلى الرحمن، بإيجاده العالم الذي تطلبه الربوبية والألوهية بحقائقها، فيثبت من هذا الوجه أن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء فوسعته، فهي أوسع من قلب العارف، أو مساوية له في السعة، ومعنى وسع قلب العارف الحق تعالى هو أنه إذا تجلى له لا يمكن أن ينظر معه

غيره، واعلم أنه لا يشهد القلب والعين أبداً إلا صورة معتقده في الحق تعالى، فلا ترى العين إلا الحق الاعتقادي، ولا خفاء بتنوع الاعتقادات، فمن قيّده أنكره في غير ما قيده به، وأقر به فيما قيده به إذا تجلى له، ومن أطلقه عن التقييد لم ينكره وأقر به في كل صورة يتجلى فيها، وصور التجليات لا نهاية لها يقف العارف عندها، وكذلك العالم بالله ما له غاية يقف عندها، بل العالم بالله في كل زمان يطلب الزيادة من العلم بالله تعالى: ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، فالأمر لا يتناهى من الطرفين، هذا إذا قلت: حق وخلق.

فإذا نظرت قوله: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به"، إلى غير ذلك من القوى، لم تفرق، فالأمر حق كله أو خلق كله، فهو حق كله بنسبة، وهو خلق بنسبة، وهو حق بنسبة، والعين واحدة، فعين صورة ما تجلى، عين صورة ما قبل ذلك التجلي، وهو المتجلي والمتجلى له، فانظر ما أعجب أمر الله تعالى من حيث هويته، ومن حيث نسبته إلى العالم في حقائق أسمائه الحسنى، والله تعالى أعلم.

المسألة العاشرة

في معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧]، اعلم إنما سمي القلب قلباً لتقلبه في أنواع الصور والصفات، ولم يقل لمن كان له عقل؛ لأن العقل قيد يحصر الأمر في نعت واحد، والحقيقة تأبى الحصر في نفس الأمر، فما هو ذكرى لمن كان له عقل، وهم أصحاب الاعتقادات، الذين يكفّر بعضهم بعضاً، وما لهم من ناصرين، فإن إله المعتقد ما له حكم في إله المعتقد الآخر، وصاحب الاعتقاد يذبُّ عن الأمر الذي اعتقده في إلهه وينصره، وذلك الإله الذي اعتقده لا ينصره وكذا المنازع له ما له نصرة من الإله الذي يعتقده ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١،٥٦،٢٢، النحل: ٣٧، الروم: ٢٩]، والحق تعالى عند العارف، هو المعروف الذي لا يُنكر، فلهذا قال: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧]، يعني تقلب القلب لتقلب الحق تعالى في الصورة.

وأما أهل الإيمان الذي قلّدوا الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، فهم المرادون بقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ [ق: ٣٧]، وهو لما وردت به الأخبار الإلهية وهو شهيد تنبيه على حضرة الخيال واستعماله، وهو قوله عليه الصلاة والسلام في الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه"، وقوله ﷺ: "إن الله تعالى في قبلة المصلي"، فلذلك هو شهيد.

المسألة الحادية عشرة

اعلم أن القضاء هو حكم الله تعالى في الأشياء، وحكم الله تعالى على حد علمه، وعلم الله تعالى بالأشياء على ما أعطته المعلومات بما هي عليه في نفسها، والقدر يوفيه ما هي عليها الأشياء في عينها من غير مزيد، فما حكم القضاء على الأشياء إلا بها، فهذا عين سر القدر لمن كان له قلب، فلله الحجة البالغة، فالحكم في التحقيق تابع لعين المسألة التي يحكم فيها بما تقتضيه ذاتها، والمحكوم عليه بما هو حاكم عليه، الحاكم أن تحكم عليه بذلك، فكل حاكم محكوم عليه أن يحكم بما حكم به -كان الحاكم من كان- فتحقق هذه المسألة، فإن القدر ما جهل إلا لشدة ظهوره، فلم يعرف، وكثر فيه الطلب.

المسألة الثانية عشرة

اعلم أن الولاية هي الفلك المحيط بالعالم، ولهذا لم تنقطع ولها الإنباء العام، فنبوة التشريع ورسالته منقطعة بسيدنا محمد ﷺ، وقد انقطعت فلا نبي بعده ولا رسول مشرع، ولا مشرّع له، فلا يبقى اسم خاص يختص به العبد دون الحق تعالى بانقطاع النبوة والرسالة، إلا أن الله لطف بعباده، فأبقى لهم النبوة العامة، التي لا تشريع فيها، وأبقى لهم التشريع من ثبوت الأحكام، وأبقى لهم الوراثة في التشريع، فالعلماء ورثة الأنبياء، وما ثم ميراث في ذلك إلا في ما اجتهدوا فيه من الأحكام فشرّعوه، فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع، فذلك من حيث هو ولي وعارف، ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من مقامه من حيث هو نبي ورسول، وذواته تشريع وشرع، فإذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول: إن الولاية أعلى من النبوة، أو يقول: إن الولاية فوق النبي والرسول؛ فإنه يعني بذلك أن الشخص واحد، وهو أن الرسول من حيث أنه ولي أتم وأكمل من حيث هو نبي ورسول، فمرجع النبي والرسول المشرّع إلى الولاية والعلم، ألا ترى أن الله تعالى قد أمره ﷺ بطلب الزيادة من العلم لا من غيره، فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، وذلك أن يعلم أن الشرع تكليف بأعمال مخصوصة، ومحلها هذه الدار، فهي منقطعة، والولاية ليست كذلك.

المسألة الثالثة عشرة

اعلم أن حد الصبر عندنا إنما هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله تعالى سبحانه، فحجب طائفة نظرهم في أن الشكوى تقدح في الرضا بالقضاء، وليس الأمر كذلك، فإن الرضا بالقضاء لا تقدح فيه الشكوى إلى الله تعالى، ولا إلى غيره تعالى، وإنما تقدح الشكوى في المقضيّ به، ونحن ما خوطبنا إلا بالرضا بالقضاء لا بالرضا بالمقضي به، والصبر هو المقضي به، ما هو عين القضاء، فلما علم أيوب عليه السلام أن في حبس النفس عن الشكوى إلى الله تعالى في رفع الضر عنه مقاومة للقهر الإلهي، شكا إلى الله تعالى، فرفعه عنه، وأثنى عليه، ووصفه بالصبر، فينبغي للعارف أن يتضرع إلى الله تعالى في رفع الضر عنه؛ لأن في رفعه عنه إزالة عن جناب الحق تعالى، إذ هو صورته الظاهرة، كما جاع بعض العارفين، فبكى فعاتبه من لا ذوق له في هذا الفن، فقال العارف: إنما جوعني لأبكي، يقول: إنما ابتلاني لأشكو إليه، وذلك لا يقدح في كوني صابراً؛ لأن الصبر إنما هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله تعالى، وأعني بالغير: وجهاً خاصاً من وجوه الله تعالى، وقد عيّن لنا سبحانه وجهاً خاصاً من وجوهه، وهو المسمى بالهوية، لندعوه منه، إذ منه رفع الضر لا من الوجوه الأخر المسماة أسباباً، وليست إلا هو من حيث تخصيص الأمر في نفسه، فالعارف لا يحجبه سؤاله هوية الحق تعالى في رفع الضر عنه عن أن تكون جميع الأسباب عينه تعالى من حيث خاصيته، وهذا لا يلزم طريقته إلا الأدباء من عباد الله تعالى، الأمناء على أسراره، وقد نصحتك فاعمل، والله تعالى فاسأل.

المسألة الرابعة عشرة

اعلم أن الأمر ينقسم إلى مؤثِّر ومؤثَّر فيه، وهما عبارتان، فإن المؤثِّر بكل وجه، وعلى كل حال، وفي كل حضرة هو الله تعالى، والمؤثَّر فيه بكل وجه وعلى كل حال، وفي كل حضرة هو العالم، فإذا

ورد فألحق كل شيء بأصله الذي يناسبه، فإن الوارد أبداً لا بد أن يكون فرعاً عن أصل؛ لأن المحبة الإلهية كانت عن النوافل من العبد، فهذا أثر بين مؤثِّر ومؤثَّر فيه كان الحق تعالى سمع العبد وبصره وقواه عن هذه المحبة، فهذا أثر مقدر لا تقدر على إنكاره، لثبوته شرعاً إن كنت مؤمناً.

المسألة الخامسة عشرة

في معنى قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، ولا يكون مستجيباً إلا إذا كان من يدعوه غيره، وإذا كان عينُ الداعي غير عين المجيب، فلا خلاف في اختلاف الصور، فهما صورتان بلا شك، وتلك الصور كلها كالأعوان (لزيد) مثلاً، فحقيقة (زيد) واحدة شخصية، وصورة يده ليست صورة رجله، ولا رأسه، ولا عينه، فهو كثير بالصور واحد بالعين، كالإنسان بالعين واحد بلا شك، ولا شك إن (عَمْراً) ما هو (زيداً)، ولا (خالداً)، فهو وإن كان واحداً بالعين فكثير بالصور والأشخاص، وقد علمت قطعاً إن كنت مؤمناً أن الحق تعالى يتجلى يوم القيامة في صورة فيعرفوه، ثم يتحول في صورة فيتعرف إليهم فينكروه، وهو المتجلي في كل صورة ليس غيره، ومعلوم أن الصورة الأولى ما هي الصورة الأخرى، فكأن العين الواحدة الناظرة قامت مقام المرآة، فإذا نظر فيها إلى صورة معتقده -الله تعالى- عرفه فأقرَّ به، وإن رأى فيها صورة معتقد غيره أنكره، كما يرى في المرآة صورته وصورة غيره، والمرآة عين واحدة، والصور التي ترى فيها كثيرة في عين الرائي، وليس في المرآة صورة منها، ثم إن المرآة لها تصرف في الصور بوجه، هو أنها ترد الصور متغيرة الشكل من الصغر والكبر، والطول والعرض، وذلك لاختلاف صور مقادير الرائين، فانظر في المثال مرآة واحدة، فالحق تعالى من كونه ذاتاً غني عن العالمين ومن حيث الأسماء الإلهية، فهو مثل كالمرآة، فأي اسم إلهي نظر فيهما الناظر، فإنما يظهر في الناظر حقيقة ذلك الاسم، فهكذا هو الأمر، إن فهمت فلا تجزع ولا تخف، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧]، والعين ما أدركت إلا الصورة المحمدية التي ثبت لها الرمي في الحس، وهي التي نفى الله تعالى عنها الرمي أولاً، ثم أثبته لها وسطاً ثم عاد بالاستدراك أن الله تعالى هو الرامي في صورته المحمدية، ولا بد من الإيمان بهذا، فانظر إلى هذا المؤثر حين أنزله الحق تعالى في صورته المحمدية، فهذا إخبار من الله تعالى لعباده وخبره صدق، والإيمان به واجب سواء أدركت علم ذلك أو لم تدركه، فإنا بحمد الله وعونه نعلم ذلك علم مسلم مؤمن، ومما يدلك على ضعف النظر العقلي من حيث فكره، وكون العقل يحكم على العلة بأنها لا تكون معلولة لمن هي علة له، هذا حكم العقل لإخفائه، وأما في علم التجلي فإن العلة تكون معلومة لمن هي علة له، والله أعلم، وكما تقول الأشاعرة: إن العالم متماثل بالجوهر، فهو جوهر، فهو عين قولنا: العين واحدة، ثم قالت: ويختلف بالأعراض، وهو عين قولنا، وتتكثر بالصور والنسب حتى تتميز، فيقال: ليس هذا عين هذا من حيث صورته، أو عرضه، أو مزاجه، وهذا عين هذا من حيث وجوده، والله أعلم.

المسألة السادسة عشرة

اعلم أن المقيد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيها أم كيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات، وما من وجه للممكن إلا ويجوز عليه العدم والافتقار، فلو جُمع بين الواجب بذاته وبين

الممكن بوجه لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من الدثور والافتقار، وهذا في حق الواجب بذاته محال، فإثبات وجه جامع بين الواجب والممكن محال.

المسألة السابعة عشرة

القول بما أعطاه الكشف الاعتصامي أن الله تعالى "كان ولا شيء معه" إلى هنا انتهى لفظه ﷺ، وما أتى بعد هذا فهو مندرج فيه، وهو قولهم "وهو الآن على ما عليه كان"، "فالآن وكان" أمران عائدان علينا، أو فينا ظهر وأمثالهما، وقد انتفت المناسبة والقول عليه "كان الله ولا شيء معه" إنما هو الألوهية لا الذات، والله أعلم.

المسألة الثامنة عشرة

اعلم أن المخلوق لا قدرة له أصلاً عندنا وعند المحققين من أصحابنا، لأننا ما أثبتنا القدرة الإلهية إلا بظهور أثرها، والقدرة الحادثة عند مثبتها لا أثر لها، فلا تعلق لها، فمن أين للمخلوق قدرة ولا أثر لها؟ وإنما له التمكن من قبول الأثر الإلهي، والكسب معناه: تعلق إرادة العبد بفعلٍ ما دون غيره، فيوجد الاقتدار الإلهي ذلك الفعل عند هذا التعلق، فيسمى كسباً للعبد، والله أعلم.

المسألة التاسعة عشرة

اعلم أن الألوهية مرتبة للذات لا يستحقها إلا الله تعالى، فطلبت مستحقها ما هو طلبها، والمألوه يطلبها وهي تطلبه، والذات غنية عن كل شيء، فلو ظهر هذا السر الرابط لما ذكرنا لبطلت الألوهية، ولم يبطل كمال الذات، وظهر بمعنى ارتفع كما يقال: ظهر القوم، أي ارتفعوا عنه، وهو قول الإمام علي كرّم الله وجهه: "إن للألوهية سراً وهو أنت"، يخاطب كل موجود، لو ظهر لبطلت الألوهية، فلا يظهر، فلا تبطل الألوهية، فإن المألوه لا وجود له، إلا بالإله، فالمألوه موجود أبداً، فالألوهية موجودة أبداً، لا ترتفع، والله أعلم.

المسألة العشرون

اعلم أن الإله اسم للذات الأقدس باعتبار نسبتها إلى الأعيان الثابتة، ونسبتها إلى الأعيان الثابتة هو منشأ الأسماء الإلهية، كالقادر، والمريد، والرب اسم للذات أيضاً باعتبار نسبتها إلى الأعيان الخارجة، ونسبتها إلى الأعيان الخارجة هو منشأ أسماء الربوبية، كالحافظ، والرازق، والله أعلم.

المسألة الواحدة والعشرون

اعلم أن الأحدية موطن الأحد عليها حجاب العزة لا يُرفع أبداً، فلا يراه في أحديته سواه؛ لأن الحقائق تأبى ذلك، والإنسان الكامل الذي هو أكمل النسخ وأتم النشآت مخلوق على الوحدانية، لا على الأحدية، لأن لها الغنى المطلق فلا يصح من إنسان وغيره، فلا يطمع فيها الإنسان، فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠]، فقد أشرك المشركون معه الملائكة، والنجوم، والإنس، والشياطين، والحيوانات، والشجر، والجماد، ولا يصح هذا المعنى على الإنسان وهو واحد، فالوحدانية لا تقوى قوة الأحدية فكذلك الواحد لا يناهض الأحد لأن الأحدية ذاتية لذات الهوية،

والوحدانية اسم لها سمتها بها التثنية، ولهذا جاء الأحد في نسب الرب و لم يجئ الواحد، وجاءت معه أوصاف التنزيه، فقالت اليهود لمحمد ﷺ: "انسب لنا ربك" فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فجاء بالنسب و لم يقولوا صفه لنا، ولا إنعته، ثم إن الأحدية قد انطلقت على كل موجود، فصارت الأحدية سارية في كل موجود، وإنما عمت جميع المخلوقات للسريان الإلهي، الذي لا يشعر به خلق إلا من شاء الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقضى الله تعالى ألا سبيل إلى رده، فما عبد عابد غيره تعالى، فقال فإن الشريك هو الأحد وليس المعبود هو الشخص المنصوب، وإنما هو السر المطلوب، وهو سر الأحدية، وإنما هو سر المطلوب قمين بعبد يعبد الرب، والله تعالى الجامع لهذا أشار إلى الأفهام بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فإن الأحد لا يقبل الشركة وليست له العبادة، وإنما هي للرب، فنبّه تعالى على توفية مقام الربوبية، وإبقاء الأحدية على التنزيه الذي أشرنا إليه، فالأحد عزيز منيع الحمى لم يزل في العماء لا يصح به تجلٍ أبداً، فإن حقيقته تمنّع، وهو الذي له السبحات المحرقة، فكيف هو؟ فلا تطمع في رفع هذا الحجاب، والله أعلم.

المسألة الثانية والعشرون

اعلم أن العلم لا يتغير بتغير المعلوم، ولكن التعلق يتغير بتغير المعلوم، والتعلق نسبة إلى معلوم ما، وما يلزم من تغير التعلق تغير العلم، وكذلك لا يلزم من تغير المسموع والمرئي تغير الرؤية والسمع، أو كما إنه قد ثبت أن العلم لا يتغير، فالمعلوم أيضاً لا يتغير، فإن معلوم العلم إنما هو نسبة لأمرين معلومين محققين، فالجسم معلوم لا يتغير أبداً، والقيام معلوم لا يتغير، ونسبة القيام للجسم هي المعلومة التي أُلحق بها التغير، والنسبة أيضاً لا تتغير، وهذه النسبة الشخصية أيضاً لا تكون لغير هذا الشخص، فلا تتغير، وما ثم معلوم أصلاً سوى هذه الأربعة، وهي النسبة، والمنسوب إليه، والنسبة الشخصية، والتعلق، والله أعلم.

المسألة الثالثة والعشرون

اعلم أنه كما يقال إن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، كذلك تعالى إنه لا يريدها، لكنه قضاها وقدرها، وبيان ذلك هو أن كونها فاحشة، ليس هو عينها، بل هو حكم الله تعالى في الأشياء غير مخلوق، وما لم يجرِ عليه الخلق لا يكون مراداً، فإن ألزمناه في الطاعة التزمناه، وقلنا الإرادة تثبت سمعاً لا عقلاً.

المسألة الرابعة والعشرون

اعلم أن الممكن ينحصر في أحد قسمين: في ستر أو تجلٍّ، فقد وجد على أقصى غاياته، فلا أكمل منه، ولو كان الأكمل لا يتناهى لما تُصور خلق الكمال، وقد وجدناه مطابقاً للحضرة الكمالية فقد كمل، واعلم أن وصف الحق تعالى بالبخل محال (فليس في الإمكان أبدع مما كان)، أي من العالم من حيث حصر الأجناس فليس في الإمكان جنس زائد؛ لأن الله تعالى قد نصّبه دليلاً عليه، فلا بد أن يكون الدليل كامل الإمكان فما بقي إلا الامتثال، والمثال مثل في الحقيقة، والله أعلم.

المسألة الخامسة والعشرون

اعلم أنه دل العقل على إيجاد متعلق القدرة، ودل الشرع على أن الوجود يقع عن الأمر الإلهي، فلا بد أن تنظر في متعلق الأمر ما هو؟ ما هو متعلق القدرة؟ حتى نجمع بين السمع والعقل فنقول الامتثال قد وقع بقوله: (كن)، والمأمور به إنما هو الوجود فتعلقت الإرادة بتخصيص أحد الممكنين وهو الوجود، وتعلقت القدرة بالممكن، فأثرت فيه الإيجاب، وهو حالة معقولة بين العدم والوجود فتعلق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصصة بأن تكون، فامتثلت فكانت.

المسألة السادسة والعشرون

اعلم أن الله تعالى قد جعل للإنسان ظاهراً وباطناً، وهو يدرك بظاهره أموراً تسمى عيناً، ويدرك بباطنه أموراً تسمى علوماً، والله تعالى هو الظاهر والباطن، فبه تعالى وقع الإدراك، وكل تجل وقع في الوجود من الله تعالى لعباده سواء كان من عالم الغيب أو الشهادة، إنما هو من اسمه الظاهر، وأما اسمه الباطن فمن حقيقة هذه النسبة، إنه لا يقع فيها تجل أبداً لا في الدنيا، ولا في الآخرة، إذ التجلي عبارة عن ظهور لمن تجلى له.

المسألة السابعة والعشرون

اعلم أن أولية العالم وآخريته إضافية، أما في الوجود فله آخر في كل زمان في ذواته عند أرباب الكشف ووافقتهم الحسبانية على ذلك ووافقتهم الأشاعرة على أن الأعراض لا تبقى زمانين فالأول من العالم بالنسبة إلى ما يخلق بعده أوله، والآخر من العالم بالنسبة إلى ما يخلق بعده آخر، وليس كذلك معقولية سر اسم الله، وهو اسم الله الأول والآخر، والظاهر والباطن، فإن العالم يتعدد والحق تعالى واحد لا يتعدد، ولا يصح أن يكون أولاً لنا فإن رتبته لا تناسب رتبتنا، ولا تقبل رتبتنا أوليته تعالى، ولو قبل أوليته لاستحالت عليه اسم الأولية، بل كان ينطلق اسم الثاني، ولسنا بثانٍ له تعالى عن ذلك، فلهذا كان عين أوليته عين أخرويته، وهذا المدرك عزيز المنال يتعذر تصوره على من لا أنس له بالعلوم الإلهية، ولهذا قال أبو سعيد الخراز: "عرفت الله بجمع الضدين" ثم تلا ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، فالأول نعت سلبي، والأبد نفي الأخروية.

وقال الشيخ رحمه الله تعالى: "رأيت ذا النون المصري في بعض التجليات فقلت له: يا أخي يا ذا النون عجبت من قولك وقول من يقول بقولك: إن الحق تعالى بخلاف ما يتصور ويتخيل ويتمثل، يا أخي يا ذا النون كيف تخلي الكون منه والكون لا يقوم إلا به؟ أم كيف يكون هو عين الكون وقد كان ولا كون يا حبيبي يا ذا النون؟ إني شفوق عليك لا تجعل معبودك عين ما تصورته، ولا تخل ما تصورته منه وانفِ واثبت، وقل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ليس هو عين ما تصور، ولا يخلو ما تصور منه، فقال ذو النون: هذا علم فاتني فقلت له: هذا علم لا يتقيد بوقت، ولا بمكان، ولا بنشأة فقال لي: جزاك خيراً قد أُبين لي ما لم يكن عندي، وفتح الترقي"، والله أعلم.

المسألة الثامنة والعشرون

اعلم أن كل شيء فيه كل شيء وإن لم تعرف هذا، فالتوحيد لا تعرفه لولا ما في الواحد عين الاثنين والثلاثة إلى ما لا يتناهى، ما صح أن يوحد به، أو يكون علتهما، وهذا مثال على التقريب فافهمه، والله أعلم.

المسألة التاسعة والعشرون

اعلم أنك إذا تفرغت لآخر ما بالكلية، فإنك تقف وذلك الوقوف هو حجاب، فتتخيل أن الوقوف معه حجبك وليس الأمر كذلك، فالوقوف مع الحق تعالى حجابك عن الخلق، والوقوف مع الخلق حجابك عن الحق تعالى، وهذا من باب التوسع والإيناس مما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الحجب النورانية والظلمانية على هذا أبنت الحجب، والله أعلم.

المسألة الثلاثون

اعلم أن الحق تعالى قد أضاف العمل إلينا وقتاً، ووقتاً إليه، فلهذا قلنا فيه رائحة الاشتراك، فهذه مسألة لا يخلص فيها توحيد أصلاً، من جهة الكشف، ولا من جهة الشرع، فالأمر الصحيح فيها أن العمل مربوط بين الحق تعالى، وبين الخلق غير مخلص لأحد الجانبين؛ فإنه أعلى ما يكون من النسب الإلهية أن يكون الحق تعالى هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات، فما ثم إلا وجود عين الحق تعالى لا غيره، والتغيرات الظاهرة في هذه العين هي أحكام أعيان الممكنات، فلولا العين ما ظهر الحكم، ولولا الحكم ما ظهر التغير، فلا بد في الأفعال من حق وخلق، فمذهب الأشعرية أن العبد محل ظهور أفعال الله تعالى، وموضع جريانها فلا يشهدها الحس إلا من الأكوان، ولا تشهدها البصيرة إلا من الله تعالى من وراء حجاب، فهي التي ظهرت على يديه وهو المريد لها لا المختار فيها، فهو لها مكتسب باختياره.

وقد ذهب المعتزلة إلى أن الفعل للعبد حقيقة، مع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق تعالى لا يزال، فإنهم يقولون إن القدرة الحادثة –في العبد– التي يكون بها هذا الفعل منه، أن الله تعالى خلقها، فهؤلاء الثلاثة فرقٌ وأصحابنا والأشاعرة ما زال منهم وقوع الاشتراك في الفعل، وهذا حكم مشبتي العلل، وأما الطبائعيون، والدهريون، فغاية ما يؤول إليه أمرهم أن الذي نقول فيه إنه الإله، يقول الدهريون فيه إنه الدهر، والطبيعيون إنه الطبيعة، فما زال الاشتراك في كل نحلة وملة، وما ثم إلا كشف وشرع وعقل وهذه الثلاثة المشتركة، فما أخلصت الفعل لأحد الجانبين، ولا تخلصه أبداً دنيا وأخرى، فليقرّه على ما أقره الله ورسوله، وهذا هو الشرك الخفي والجلي، وموضع الحيرة، ثم إن المتكلمين في هذا الشأن على قسمين: أحدهما أضاف الأفعال كلها إلى الأكوان، فقال: لسان الغيرة الإلهية ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، أي حادثاً، والقسم الآخر أضاف الأفعال الحسنة كلها إلى الله تعالى، وأضاف القبيحة إلى الأكوان، فقال لسان الجود الإلهي ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، لا تكذيباً لهم، وثناء عليهم جميلاً، والله أعلم.

المسألة الواحدة والثلاثون

من شهد نفسه شهود حقيقة رآها ظلاً أزلياً لمن هو على صورته، فلم يقم مقامه؛ لأن المنفعل لا يقوم مقام فاعله، وكل منفعل فاعله أعلى منه في الرتبة، فلا فخر بالذات إلا لله تعالى، وإن كان الفخر فينا للرتب، والرتب نسب عدمية، فما افتخرنا إلا بالعدم، وناهيك ممن هذا فخره، وعلم أنه إذ أضيف حكم من أحكام الوجود إلى غير الله تعالى أنكره أهل الشهود خاصة، وهم الذين لا يشهدون شيئاً ولا يرونه، إلا رأوا الله تعالى قبله، وأما العلماء بالله تعالى فهم في هذا المقام مع حكم الله تعالى فيه لا مع ما يشهدونه، فينكرون النكرة، ويعرفون المعرفة، والله أعلم.

المسألة الثانية والثلاثون

قال الإمام أبو حامد الغزالي [تغمده الله برحمته]: فإن قيل: كيف الجمع بين التوحيد والتشريع هو أن لا فاعلٍ إلا الله تعالى، والشرع قد ورد بإضافة الفعل إلى العبد، وإذا كان الله فاعلاً، فكيف يكون العبد فاعلاً، وإذا كان العبد فاعلاً فكيف يكون الله فاعلاً، وصدور الفعل من فاعلين غير معقول، فنقول: صدقت وإن كان صدور فعل من فاعلين بمعنى واحد، فهو غير معقول، وإن كان صدور الفعل بمعنيين فمعقول فنقول: معنى كون الحق تعالى فاعلاً، وهو أنه الخالق المخترع ومعنى كون العبد فاعلاً؛ لأنه محل لإيجاد قدرته بعد إيجاد الإرادة، والإرادة بعد إيجاد العلم، وارتبطت الحركة بالقدرة، والقدرة بالإرادة، والإرادة بالعلم، ارتباط المشروط بالشرط، ومن المحال وجود المشروط قبل وجود شرطه، وارتبط المجموع بالقدرة الإلهية ارتباط المخترَعِ بالمخترِع، والله أعلم.

المسألة الثالثة والثلاثون

اعلم أنه لا بد من إثبات الكثرة في عين الواحد، وإثبات أحدية الكثرة على كل حال عند كل قائل، إما بأسماء أو بصفات، أو نسب، فلولاه تعالى ما وجدنا، ولولانا ما تكثر سبحانه بما نسب إلى ذاته المقدسة من الأسماء والصفات الإلهية، فأحدية الكثرة اعتبارها من حيث هي هي من غير إثبات ولا نفي من حيث يندرج فيها جميع ما في الحضرة الواحدية، والله أعلم.

المسألة الرابعة والثلاثون

اعلم أن مرآة الكون هو الوجود الإضافي الوجداني؛ لأن الأكوان وأوصافها، وأحكامها تظهر فيه، وهو يخفى بظهورها، كما يخفى وجه المرآة بظهور الصور فيه، والله أعلم.

المسألة الخامسة والثلاثون

اعلم أن المراتب ستٌّ، والمجالي خمسة، والعروش خمسة، أما المراتب: فالأولى مرتبة حضرة الأحدية، ثم مرتبة حضرة الواحدية، ثم مرتبة عالم الأرواح المجردة، ثم مرتبة عالم النفوس، وهو عالم المثال، ثم مرتبة عالم الأجسام، وهو عالم الملك، ثم مرتبة الإنسان الكامل. وأما المجالي: فالأول مجلى الحضرة الواحدية، ثم مجلى عالم الأرواح، ثم مجلى عالم النفوس، ثم مجلى عالم الأجسام، ثم مجلى الإنسان

الكامل، الذي هو مجلى المجالي. وأما العروش: فالأول عرش الحياة، وهو عرش الهوية، ثم عرش الرحمانية، ثم عرش الكريم، ثم عرش العظيم، ثم عرش المجيد، والله أعلم.

المسألة السادسة والثلاثون

اعلم أنه ليس في الوجود من جماد وغيره إلا عارف بوحدانية خالقه تعالى ولو عرف الألوهية التي تخيلها المشرك في معبوده ما عبده أصلاً؛ فقام له سر الألوهية مقام الأمر لنا غير أن الحق تعالى قرن السعادة بأمر المشيئة، وقرن الشقاوة بإرادة المشيئة فما ثمّ مشروع غير الله تعالى؛ فإنه المعبود بكل لسان، وفي كل حال وزمان، إنما هو الواحد فما ثم إلا الواحد، والاثنان إنما هو واحد، وكذلك الثلاثة والأربعة والعشرة والمئة والألف، إلى ما لا يتناهى ما تجد إلا الواحد ليس أمراً زائداً، فإن الواحد ظهر في مرتبتين معقولتين، فسمي اثنين، وهكذا سائر الأعداد، فكما أنه أنشأ العدد فكذلك يفنيه بزواله، فتكون الخمسة مثلاً موجودة فإذا عُدِمَ الواحد منها عُدِمَت، وإذا ظهر الواحد ظهرت في كل شيء، فهكذا وحدانية الحق تعالى، فبوجوده ظهرنا، فلو لم يكن لم نكن، ولا يلزم من عدم كوننا أنه لم يكن، كما لا يلزم من عدم الخمسة عدم الواحد، فإن الأعداد تكون عن الواحد، ولا يكون الواحد عنها فلهذا تظهر به، ولا يعدم بعدمها، وهكذا فيما تناله من المراتب، إن لم يكن هو في المرتبة المعقولة لم تكن، فتفطن لهذا الواحد والتوحيد، واحذر من الاتحاد في هذا الموضع؛ فإن الاتحاد لا يصح؛ فإن الذاتين لا تكونان واحدة، وإنما هما واحدان، فهو الواحد في مرتبتين، ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لا يتضعف، ولم يتولد منهما كثرة، فالواحدية سارية، فما ثم غيرها، فالتثنية مثل الحال لا موجودة؛ فإن الحقيقة تنفيها، أو تأباها، ولا معدومة فإن الحق تعالى يثبتها، وملخص ذلك إنك إذا قلت عشرة؛ فإنك قلت إن الواحد قد مشى عشرة منازل، وقس على الغرض، واعرف الواحد، والله أعلم.

المسألة السابعة والثلاثون

اعلم أن منزلة القوى الحسية الحيوانية أتم من منزلة القوى الروحانية؛ لأن لها الاسم الوهاب؛ لأنها هي التي تهب للقوى الروحانية ما تتصرف فيه، وما تكون به حياتها العملية من قوة خيال، وفكر، وحفظ، وتصور، ووهم، وعقل، فكل هذه القوى من مواد القوى الحسية، ولهذا قال الله تعالى في الذي أحبه: "كنت سمعه وبصره" .... الحديث، فذكر الصورة الحية، وما ذكر من القوى الروحانية شيئاً، ولا أنزل نفسه منزلتها؛ لأن منزلتها منزلة الافتقار إلى الحواس، ومنزلة القوى الحسية منزلة الافتقار إلى الله تعالى، فلذلك لم ينزل نفسه منزلة من يفتقر إلى غيره، بل أنزل نفسه منزلة من يُفتقر إليه سبحانه وتعالى، فأعطى القوى الحسية الغنى عن القوى الروحانية؛ لأن القوى الروحانية تأخذ من القوى الحسية، والقوى الحسية لا تأخذ منها، وإنما تأخذ من الله تعالى، فاعرف الحس وشرفه وقدره، وإنه عين الحق تعالى ولهذا لا تكمل النشأة الآخرة إلا بوجود الحس والمحسوس؛ لأنها لا تكمل إلا بالحق تعالى، فالقوى الحسية هم الخلفاء على الحقيقة في أرض هذه النشأة عن الله تعالى، ألا تراه سبحانه وتعالى بكونه حياً، قادراً، عالماً، وباقي الصفات، وهذه كلها لها أثر في المحسوسات، ويحس الإنسان من نفسه قوام هذه القوى به، ولم يصف الحق تعالى نفسه بأنه عاقل، ولا مفكر، ولا متخيل وما أبقى تعالى من القوى الروحانية إلا ما للحس مشاركة فيه، وهو الحافظ والمصور، فلولا الاشتراك ما وصف الحق تعالى

نفسه بهما، فهما صفتان روحانية وحسية، فتنبه لما نبهناك عليه واعلم أن الشرف كله في الحس، وإنك جهلت أمرك وقدرك، فلو علمت نفسك علمت ربك، كما أن ربك تعالى علمك، وعلم العالم بعلمه بنفسه وأنت صورته، فلا بد أن تشاركه في هذا العلم، فتعلمه بعلمك بنفسك، وهذه نكتة ظهرت من رسول الله ﷺ حيث قال: "من عرف نفسه عرف ربه" تعالى، إذ كان الأمر في علم الحق علمه بنفسه، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، فذكر النشأتين: نشأة صورة العالم بالآفاق ونشأة روحه بقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، فهو إنسان واحد ذو نشأتين فانظر يا ولي ما ألطف رسول الله ﷺ بأمته، وما أحسن ما طرق لهم، فنعم المدبر ونعم المطرق جعلنا الله ممن مشى على مدرجته حتى التحق بدرجته، آمين بعونه إن كنت ذا فطنة فقد أومأنا إليك ما هو الأمر عليه، بل صرحنا لك بذلك وتحملنا في ذلك – ما ينسب إلينا ممن ينكر ما أشرنا به في هذه المسألة – من العمل ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، ووالله لولا هذا القول لحكمنا عليهم بالعمى في ظاهر الحياة الدنيا والآخرة، كما حكم الله عليهم بعدم السماع مع سماعهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]، وهكذا هو علم هؤلاء بظاهر الحياة الدنيا بما تدركه حواسهم من الأمور المحسوسة لا غير، لأن الله تعالى ليس سمعهم ولا بصرهم، فاعرف يا ولي منزلتك من هذه الصورة الإنسانية التي سيدنا محمد ﷺ روحها ونفسها الناطقة، هل أنت من قواها، أو من مجال قواها؟ فإن كنت من قواها، هل أنت بصرها، أو سمعها، أو شمها، أو ذوقها أو لمسها، فإني والله قد علمت أي قوة أنا من هذه الصورة، لله الحمد على ذلك، وعلى كل حال، والله أعلم.

المسألة الثامنة والثلاثون

اعلم أن الأرواح النورانية والنارية إذا تبدت لأبصار البشر تجسدت، فلا تقع الرؤية إلا على أجساد تشبه الأجسام والأرواح باقية على حالها لا تتغير، والله أعلم.

المسألة التاسعة والثلاثون

اعلم أن الأعيان باقية على أصلها في العدم، غير خارجة من الحضرة العلمية، فما شمت رائحة الوجود، فليس وجود الخارج إلا وجود الحق، ولا ما ينشأ بصور أحوال الممكنات، فلا يتلذذ بتجلياته، ولا يُتهم فيها سواه. واعلم أن التألُّم والتلذذ من صفات الكون متساوية، فانتبه إلى ما نبهنا، إنما هو باعتبارين: أحدهما اتصافه بصفات الخلق في مقام التنزل؛ ولأن فيها رجوع الكون وصفاته إليه، وأما باعتبار الأحدية فالكل مستهلك فيها، فلا التذاذ ولا تألم، وهذا سر فوق سر القدر؛ لأنه سر الأحدية المستعلية عن الكثرة، والله أعلم.

المسألة الأربعون

من المسائل الغامضة بيان علم بقاء الأعيان الثابتة على عدمها مع تجلي الحق تعالى باسم النور، أي الوجود الظاهر في صور المخلوقات، وظهوره بأحكامها، وهذا علم كشفي ذوقي ينبو عنه الفهم، ويأباه العقل، والله أعلم.

المسألة الواحدة والأربعون

اعلم أنه إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحداً فهو محال، وإن كان بمعنى ظهور الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد، فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه، فيكون الدليل مخالفاً للحس، فيكون على وجهين، كالكتابة عن حركة الكاتب حساً، وبالدليل أن الله تعالى خالقها، وإنها أثر القدرة القديمة لا الحادثة، وقد يكون الاتحاد عندنا بمعنى حصول العبد في مقام الانفعال عنه بهمته، وتوجه إرادته من غير مباشرة ولا معالجة، فلظهوره بصفة هي للحق تعالى حقيقة سمي ذلك اتحاداً لظهور حق في صورة عبد، وظهور عبد في صورة حق، وقد يطلق الاتحاد في طريقتنا على تداخل الأوصاف بين الحق تعالى وبين العبد، فإن الحق تعالى قد وصف العبد بما هو وصف له في الحياة والعلم ونحوهما، ووصف نفسه بما هو وصف للعبد من اليدين، والأعين، والغضب، والرضى، وشبه ذلك، فلما تداخلت الأوصاف بين العبد وبين الحق تعالى سمي ذلك اتحاداً، لظهوره تعالى بنا، وظهورنا به، فلهذا يصح قول من قال في شعره:

أنـا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنـا

وفي معناه قيل شعراً:

كـذا الحـق عـين الخلـق إن كنـت ذا عـين	**كـذا الخلـق عـين الحـق إن كنـت ذا عقـل**
وإن كنـت ذا عقـل وعـين فمـا تـرى	**سـوى عـين شـيء واحـد فيـه بالشـكل**

المسألة الثانية والأربعون

اعلم أن الكون والناظر إليه محجوب به إذا لم يعلم أنه لم يوجد كما قيل:

ولمـا بـدا الكـون الغريـب لنـاظري	**حننـت إلـى الأوطـان حـن الركائـب**

لأن الكون غريب عن وطنه، ووطنه الأصلي العدم، فهو وطنه الأصلي، والوجود له مستعار، والله أعلم.

المسألة الثالثة والأربعون

اعلم أن الحقائق أعطت لمن وقف عليها أنه لا يتقيد وجود الحق تعالى مع وجود العالم بقبلية، ولا معية ولا بعدية، فإن التقدم الزماني والمكاني في حق الله تعالى قد رمت به الحقائق في وجه القائل به إلا أن يقوله من باب التوصيل إلى إفهام المخاطبين، كما قال رسول الله ﷺ، ونطق الكتاب العزيز به، إذ ليس أحد يقوى على كشف هذه الحقائق فلم يبق لنا إلا أن نقول: إن الله تعالى موجود بذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره، ولا معلول بشيء ولا علة لشيء بل هو خالق المعلولات والعلل، ونقول إن العالم موجود بالله تعالى لا بذاته مقيد بوجود الحق، وإذا انتفى الزمان عن وجود الحق تعالى، وعن وجود بدء العالم فقد وجد العالم في غير زمان، فلا نقول من جهة الحقائق: إن الله تعالى موجود قبل العالم؛ لأن القبلية من صيغ الزمان، ولا زمان في وصف الله تعالى، ولا نقول إن العالم موجود بعد وجود الحق تعالى، إذ لا بعدية في وصف الحق تعالى، ولا نقول إنه موجود مع وجود الحق تعالى، فإن الحق تعالى هو الذي أوجده، ولم يك شيئاً، ولكن نقول إن الحق تعالى موجود بذاته، والعالم موجود بالحق تعالى، فإن سأل متوهم متى كان وجود العالم من وجود الحق تعالى؟ قلنا: (متى) سؤال عن زمان،

والزمان من عالم النسب، وهو مخلوق لله تعالى، فهو سؤال باطل حجبت أدوات التوصيل إلى الإفهام هذا السائل عن تحقيق هذه المعاني، فلم يبق إلا وجود صرف خالص لا عن عدم، وهو وجود الحق تعالى، ووجود عن عدم، وهو وجود العالم، ولا بينية بين الوجودين، ولا امتداد إلا التوهم الذي يحيله العالم، ولا يبقى منه شيء، ولكن يقال وجود مطلق، ووجود مقيد، ووجود فاعل، ووجود منفعل هكذا أعطته الحقائق، والله أعلم.

المسألة الرابعة والأربعون

اعلم أن الاختراع لا يصح حقيقة إلا في حق العباد، وأما الرب فلا تصح حقيقة الاختراع في حقه، وذلك المخترع على الحقيقة لا بد أن يُخترع أولا في نفسه مثال ما يريد إبراز عينه، ثم بعد ذلك يبرز عينه على صورة ما اخترعه في نفسه، والرب سبحانه وتعالى لم يزل عالماً بالعلم أزلاً وأبداً، فما اخترع في نفسه شيئاً لم يكن عالماً به، فإن الرب مخترع للعالم بالفعل؛ لأنه مخترع مثاله في نفسه، الذي هو صورة علمه؛ لأن علمه تعالى أزلي ليس بمخترع، فتحقق ما قلناه، وقل بعد ذلك ما شئت؛ فإن شئت أن تصفه بالاختراع، وعدم المثال، فصفه، وإن شئت نفي هذا عنه، فانفه، ولكن بعد فهم ما أعلمتك من الحقائق، فتحقق هذه المسألة، فإنها من أغمض المسائل، والله أعلم.

المسألة الخامسة والأربعون

إنه لما شاء الحق تعالى من حيث أسمائه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها في كون جامع لجميع حقائق الأشياء، لكونه متصفاً بالوجود ويظهر به سره إليه، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هو مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، فإنه تظهر له بنفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه بما لم تكن تظهر له من غير وجود هذا المحل ولا تجليه له، وقد كان الحق تعالى أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه، فكان كمرآة غير مجلوة، ومن شأن الحكم الإلهي أنه ما سوّى محلاً للأرواح، ولا بد أن يقبل روحاً إلهياً عبر عنه بالنفخ، فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم صلى الله عليه وآله وسلم عين جلاء تلك المرآة، وروح صورة العالم المعبر عنه في اصطلاح القوم بالإنسان الكبير، فكانت الملائكة كالقوى الروحانية والحسية التي في النشأة الإنسانية، فسُمي آدم عليه السلام إنسانا لعموم نشأته، وحضرة الحقائق كلها؛ لأنه للحق تعالى بمنزلة العين التي يكون بها النظر، فبه نظر الحق تعالى إلى خلقه، فرحمهم وسماه خليفة؛ لأنه استخلفه في حفظ العالم ما دام فيه كالختم على خزانة الدنيا، فإذا انفك الختم عن خزانة الدنيا، وانتقل الأمر إلى الآخرة، كان ختماً أبدياً والله أعلم. إلهي كيف أوحدك ولا وجود لي في عين الأحدية؟ وكيف لا أوحد والتوحيد محض العبودية؟ سبحانك ما وحدك سواك، ولا عرفك إلا إياك، بطنت وظهرت، لا عنك بطنت ولا لغيرك ظهرت، والله أعلم.

المسألة السادسة والأربعون

اعلم أن الحق تعالى بحسب كونه ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]، له شؤون وتجليات في مراتب الإلهية، وله أيضاً بحسب شؤونه ومراتبه الإلهية أسماء وصفات إيجابية وسلبية، وليست إلا تجليات ذاته بحسب مراتبه الإلهية، وهي أول كثرة وقعت في الوجود، وهي برزخ بين الحضرة الأحدية الذاتية، وبين

المظاهر الخلقية؛ لأن ذاته تعالى اقتضت بذاته بحسب مراتب الإلهية والربوبية صفات متعددة متقابلة، كاللطف والقهر، والرحمة والغضب، والرضا والسخط، وغيرها وتجمعها النعوت الجمالية والجلالية، والله أعلم.

المسألة السابعة والأربعون

اعلم أن الصفات تنقسم إلى ما له الحيطة التامة الكلية، وإلى ما لا تكون له الحيطة الكلية وإن كانت هي أيضاً محيطة بأكثر الأشياء، فالأول هن الأمهات للصفات المسمات بالأئمة السبعة، وهي الحياة، والعلم، والإرادة، وهذه الصفات السبع، وإن كانت أصولاً لغيرها من الصفات بعضها أيضاً مشروط بالبعض في تحققه، إذ العلم مشروط بالحياة، والإرادة والقدرة مشروطتان بهما، والثلاثة الباقية مشروطة بالأربعة المذكورة، والأسماء أيضاً تنقسم بنوع من القسمة إلى أربعة أسماء هي الأمهات، وهي الأول والآخر والظاهر والباطن، ويجمعها الاسم الجامع وهو الله والرحمن.

المسألة الثامنة والأربعون

اعلم أن الحق في مقابلة الباطل، فكلما يخبر عنه فإما حق مطلق، وإما باطل مطلق، وإما حق من وجه، باطل من وجه، فالجواب لذاته هو الحق مطلقاً، والمستحيل لذاته هو الباطل مطلقاً، والممكن لذاته هو حق من وجه باطل من وجه؛ لأنه من حيث ذاته لا وجود له، فهو باطل من هذا الوجه، ومن حيث موجده موجود، فهو حق من هذا الوجه، فإذا يطلق الحق على الوجود في الأعيان وعلى الوجود في الأذهان، وعلى الوجود في اللسان، فأحق الأشياء بأن يكون حقاً هو الذي يكون وجوده ثابتاً لذاته أزلاً وأبداً.

المسألة التاسعة والأربعون

رتب الأسماء ثلاث: ذاتية، ووصفية، وفعلية؛ لأن الإله إنما يطلق على الذات باعتبار نسبة وتعين، وذلك لاعتبار إما أمر عدمي نسبي محض كالغني، والأول، والآخر، وإما نسبي كالقدوس، والسلام، ويسمى هذا القسم أسماء الذات، وإما معنًى وجودياً يعتبره العقل من غير أن يكون زائداً على الذات فإنه محال، ولا يتوقف على وجود الغير، كالحي والواجب، وإما أن يتوقف على عقل الغير دون وجوده، كالعالم والقادر، وتسمى هذه الأسماء أسماء الصفات، وإما أن يتوقف على وجوده، كالخالق والرازق، وتسمى هذه أسماء الأفعال، والله أعلم.

المسألة الخمسون

اعلم فأنت للحق بمنزلة الجسد لك، والحق تعالى بمنزلة الروح المدبرة جسدك والله أعلم.

المسألة الواحدة والخمسون

اعلم أن الطاعة في العالم قبول أوامر التكوين فيما يراد كونه فيه ومنه، والعصيان منه أمر عارض، وفي الحقيقة ما أطاع الله أحد ولا عصاه أحد، بل الأمر كله لله، وإليه يرجع الأمر كله، والله أعلم.

المسألة الثانية والخمسون

في بيان معنى توحيد الموتى، اعلم أن بالموت ينكشف الغطاء، ويتبين الحق لكل أحد، ولكن ذلك الكشف في ذلك الوقت في العموم لا يعطي سعادة إلا لمن كان من العامة عالماً به، ثم الناس في الدنيا ثلاثة أصناف: صنف علموا الحق علماً، وهم العامة، وصنف علموا الحق عيناً، وهم أصحاب الكشف وصنف علموا الحق بالكلية، فإذا انكشف الغطاء بالموت انتقل أهل العلم من العلم إلى العين، وانتقل أهل العين من العين إلى الحق، وانتقل أهل العمى من العمى إلى الإبصار لا عن تقدم علم، فلا بد من مزيد لكل طائفة عند كشف الغطاء، وبهذا الاعتبار يصح قول الإمام علي عليه السلام: "لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً"، يعني من علمه إذا كان ذا عين، لأنه لا يزيد عند كشف الغطاء في حق من هذه صفته إلا عبثاً معرى عن الفائدة فما كان الغطاء إلا ووراءه أمر وجودي لا عدمي.

المسألة الثالثة والخمسون

اعلم أن كلمات الحق تعالى ليست سوى أعيان الممكنات الموجودة، فينسب إليها القدم من حيث ثبوتها في علم القديم، وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها في الخارج، ولذلك قال الله تعالى في كلامه القديم: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، والله أعلم.

المسألة الرابعة والخمسون

اعلم أن اليقين له باعتبار نشأته الكاملة أربع مراتب، فأولها مرتبة العلم، ثم مرتبة العين، ثم مرتبة الحق، ثم مرتبة الحقيقة، فعلمه وعينه وحقه كتابته، وحقيقته سَنية، فاليقين في أول مراتبه اسم جامع بين العلم والطمأنينة، وقد يشتق من يقن الماء في الإناء، إذا استقر فيه، فاليقين بهذا الاعتبار استقرار الإيمان في قلب المؤمن، ومن المعلوم أن اليقين الذي هو في مرتبة العلم بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى كان مستقراً في قلب خليل الرحمن ﷺ حين سأل ربه كيفية إحياء الموتى، وإنما كان مطلوبه الطمأنينة التي تعطيها رتبة العين؛ لأن السكون الذي هو الطمأنينة أمر زائد على العلم، فينبغي أن يطلب؛ لأنه لم يكن أحد أثبت قلباً من سيدنا رسول الله ﷺ وقد أخبر أنه كان يتعلم اليقين، وقد قال له ربه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والعلم على كل حال لا بدّ أن يستند إلى اليقين، لأن اليقين روح العلم، والطمأنينة حياته، فكان ﷺ لا يزال يطلب الزيادة من العلم، فكان لا يزال يتعلم اليقين؛ لارتباطه به، فينبغي للعاقل أنه لا يزال يسأل الله تعالى الزيادة من العلم المرتبط باليقين، فاعلم أنه لما كان فلك اليقين متسعاً؛ عالياً، فلذلك لا يظهر له أثر إلا عند القليل من المتروحنين من البشر، لعلو هممهم، فإن هممهم حازت عليه في فلكه، واعلم أن الحق تعالى لا يمكن أن يوصف باليقين لِلُحوقهِ بالنشأة بخلاف العلم، فإنه يوصف به، واعلم أن اسم العلم مشترك، وكذا اسم العين، وكذا اسم الحق، فلأجل ذلك أضيف كل واحد منهم إلى اليقين، ليتميز به عن غيره، واعلم أنه ليس بأيدي الناس اليوم من يقين إلا اسمه، إلا الأفراد منهم، وكذلك لا تجد أحداً إلا وهو يشك في المقدور، إما بعقله وإما بحاله ضرورة، وأدناه مرتبة الشك في الرزق الذي وقع فيه القسم من الله تعالى وضمانه، ولم يشترط في إعطائه إيماناً ولا طاعة، ومع هذا القسم من الله تعالى والضمان لم يحصل في النفس من اليقين لا حقيقة

ولا عيناً ولا علماً، فـــ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦]، في هذه المصيبة التي عمت الكافة إلا القليل، والله أعلم.

المسألة الخامسة والخمسون

اعلم أن حقيقة العبودية تقتضي طاعة المعبود ومحبته، فلما علم الله تعالى أن الخلق لا يصلون إلى الصفي من طاعته ومحبته أوجد لهم بشراً من جنسهم، وأقام طاعتهم مقام طاعته، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وأقام متابعته مقام محبته، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

المسألة السادسة والخمسون

اعلم أن الحق تعالى من حيث أحديته لا اسم ولا نعت ولا صفة، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "الإخلاص نفي الصفات عن الحق تعالى". وأما عند التجلي، فإنه يتجلى لكل أحد بصورة معتقده، وكذلك قال الإمام أبو القاسم الجنيد رحمه الله وقدس سره حين سئل عن المعرفة بالله تعالى والعارف به فقال: (لون الماء لون إنائه)، أي أن الحق تعالى لا يتجلى بصورة المعرفة إلا بحسب استعداد المتجلى له، وهو جواب محكم مطابق لمعرفة ما في نفس الأمر؛ فإن الماء لا لون له، ويتكون بألوان أوعيته الشفافة، فكذلك الحق تعالى لا تعيّن له يحصره، ويتعين بحسب الاستعدادات والقابليات، فمن عرف أن الحق تعالى هو المتجلي في صور الأعيان والأذهان بحسب استعداداتها وقابلياتها مسلم لكل ذي اعتقاد ما اعتقده، وعرف أن الله تعالى هو الظاهر بها وآمن به فيها، وكان من أصحاب السعادة العظمى، فالمعتقد بالاعتقاد الخاص ظان ليس بعالم، إذ لو كان عالماً عارفاً لعرف الله تعالى في جميع الصور والاعتقادات، ولذلك قال الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي"، أي لا أظهر له إلا بصورة معتقده، فإن شاء أطلق وعبد الإله المطلق، الذي يظهر بكل المظاهر والتجليات، وإن شاء قيّد بصورة معينة يعطيها استعداده، فإله المعتقدات تأخذه الحدود، لأنه معين مقيد، وهو الإله الذي وسعه قلب عبده المؤمن، والإله المطلق لا يسعه شيء؛ لأنه عين كل شيء وعين نفسه، والشيء لا يقال فيه يسع نفسه، ولا لا يسعها. واعلم أن القلب مقيد معين مكتف بعارض تعينه وحدوث شخصيته، فلذلك لا يدرك إلا مثله، ولا يسع إلا ما هو معين مقيد مثله، والإله المطلق جل عن الحدود وعن الإحاطة، فلا يسعه شيء وهو عين الأشياء ولا شيء غيره، ولا يقال إن هذا يناقض القول بأن قلب العارف يسع الحق تعالى، إنما هو بحسب التجلي، والمتجلي لا يكون إلا بصورة اعتقاد المتجلى له، والمتجلى له عين معتقده، فلا يمكن أن يتجلى له الحق تعالى بجميع أسمائه وصفاته دفعة واحدة، وإن كان القلب الكامل قابلاً لجميع التجليات الأسمائية، لكن لا يتجلى الحق تعالى دفعة واحدة، ولا له قابلية ذلك، والله أعلم.

المسألة السابعة والخمسون

من استرسل مع إطلاق التوحيد ولم يقيد بظواهر الشريعة، فقد قُذف به في بحر الزندقة، ولكن الثبات على أن تكون بالحقيقة مؤيداً أو بالشريعة مقيداً. واعلم أنه لا يدل على علم العبد كثرة عمله

ومداومته على ورده، وإنما يدل عليه رجوعه إلى ربه، وإن يخرج من رق الطمع وتحليته بحلية الورع، وكذلك قال الحسن البصري: "ملاك الدين الورع، وفساد الدين الطمع"، والله أعلم.

المسألة الثامنة الخمسون

اعلم أنه من وقف عند الإضافات والنسب، عثر على الأمر على ما هو عليه. واعلم أن السعادة في الإيمان لا في العلم، فإن جمعت بينهما، كنت إذن الذي ما فوقك غاية، والله أعلم.

المسألة التاسعة والخمسون

إن الابتلاء أصله الدعوى، فمن لا دعوى له لا ابتلاءات يتوجه عليه ولهذا ما كلفنا الله تعالى حتى قال لنا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[الأعراف: ١٧٢]، فقلنا بلى، فأقررنا بربوبيته لنا، وعبوديتنا له، والعبودية تطلب بذاتها طاعة السيد، فلما ادعينا ذلك، كلفنا حينئذ ليبتلي صدقنا فيما ادعيناه، والله أعلم.

المسألة الستون

اعلم أن الهوية الإلهية هي المتجلية بالصفات الحياتية لا غيرها، فظهرت أولاً في النفس الرحماني، ثم بواسطته في كل شيء، ولأجل سريان هذه الحياة الذاتية في الماء، جعل الله تعالى منه كل شيء حي، وهذا الماء الذي هو أصل كل شيء، إنما هو النفس الرحماني المسمى بالهيولى الكلي، والجوهر الأصلي الذي كان عرش الله تعالى، لا الماء المتعارف، وإنما أطلق على النفس الرحماني اسم الماء مجازاً؛ لأن الماء مظهره، فلذلك اتصف بصفاته، فصار مادة لجميع ما في العالم الجسماني من نبات وحيوان، والله أعلم.

المسألة الواحدة والستون

قال الله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، أي التامة القوية على خلقه، فيما يعطيهم من الطاعة والإيمان، والكفر والعصيان، لا لخلقه عليه حجة ألاّ يعطيهم إلا ما طلبوا منه بلسان استعداداتهم وقابلياتهم، فما قدّر على الكافر الكفر، وعلى العاصي المعصية إلا باقتضاء أعيانهما ذلك، وطلبهما ذلك بلسان استعدادهما أن يجعلهما على ما برزا عليه من كفر أو معصية، كما طلب عين الكلب صورته، والحكم عليه بالنجاسة العينية باقتضاء ذاته ذلك، فإن قلت: الأعيان الثابتة واستعداداتها حصلت في العلم بالفيض الأقدس، فالحق تعالى جعلها كذلك، قلت: الأعيان الثابتة ليست مجعولة، بل هي صورة علمية للأسماء الإلهية، التي لا تأخر لها عن الحق إلا بالذات لا بالزمان، فهي أزلية وأبدية والله أعلم.

المسألة الثانية الستون

اعلم أن الرسل من حيث هم رسل لأممهم لا يعطون من العلم لأممهم إلا على قدر ما تطلب استعداداتهم وقابلياتهم، لا يمكن أن يكون زائداً ولا ناقصاً؛ لأنهم مبلغون مبينون لأممهم أحكام أفعالهم المتعلقة بمصالح دينهم ودنياهم وأخراهم، وإما من حيث إنهم أولياء وفانون في الله تعالى، وإما من حيث إنهم أنبياء وعارفون، فعلومهم بحسب استعداداتهم وقابلياتهم، صلى الله عليهم وسلم، والله أعلم.

المسألة الثالثة والستون

اعلم أن الحق تعالى رحم الأعيان الطالبة لظهورها ولوازمها وتوابعها وأحكامها في الخارج كما أوجدها أولا في العلم، فالرحمة سابقة على كل شيء ومحيطة بكل شيء، فالوجود عين الرحمة الشاملة لجميع الموجودات ومن جملة الأعيان الغضب وما يترتب عليه من الآلام والمحن وأمثال ذلك، ربما مما لا يلائم الطباع، فوسعت الرحمة له كما وسعت لغيره، فعين الغضب من رحمة الله، فنسبة الغضب ولوازمه ناشئة من عدم قابلية بعض الأعيان للكمال المطلق والرحمة التامة، فتسمى شراً ونقمة، وإليه أشار رسول الله ﷺ بقوله: "والشر ليس إليك"، ومن أمعن النظر في لوازم الغضب من الآلام والمحن والفقر والجهل والموت، وجدها كلها أموراً عدمية، فالرحمة ذاتية للحق تعالى، ولوازم الغضب أمور عارضة نشأت عن أسباب عدمية، والله أعلم.

المسألة الرابعة والستون

قال الشيخ رحمه الله تعالى ورحمنا به: فلما حيرتني هذه الحقيقة الإلهية، أنشدت بحكم الطريقة للخليقة:

فالرب حق والعبد حق	**يا ليت شعري من المكلف**
إن قلت عبد فذاك ميت	**أو قلت ربٌ أنى يكلف**

واعلم أن بالتكليف ظهر الاسم المعبود بوجود لا حول ولا قوة إلا بالله، ظهرت حقيقة الجود والآلاء، فإذا جعلت الجنة جزاء لما عملت فأين الجود الإلهي الذي عقلت؟ وإذا كان ما تطلب به الجزاء ليس لك، فكيف ترى عقلك؟ والله أعلم.

المسألة الخامسة والستون

اعلم أن الإحسان أعلى درجة في الإيمان، وأعلى الإحسان المشاهدة، وأدناه المراقبة، والمحسن من تحقق الصدق في دعوى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝﴾، والصدق في هذه الدعوى إنما يكون بالإخلاص لله وحده، فقولنا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝﴾، خطاب لموجود يشاهد مع العبادة، ويراقب مع الاستعانة؛ لأننا مع المشاهدة نرى أفعال الله تعالى فينا وفي غيرنا، ومع المراقبة نعلم أنه الذي أسمعنا ما يسمعه من أنفسنا ومن غيرنا، وهو الذي أوجد حركاتنا وسكناتنا وحركات غيرنا وسكناتهم، فالمشاهدة على هذه رؤية تقع موقع العيان، والمراقبة رؤية قلب، ولا تتحقق العبادة والاستعانة إلا ممن يعرف المشاهدة والمراقبة، فمن أسلم وآمن وأحسن فقد عرف معالم الدين الذي نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ ليعلم الأمة معلم دينهم، ولا يظفر بهذه الصفة إلا من أسلم وجهه لله وهو محسن، والله أعلم.

المسألة السادسة والستون

اعلم أن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝﴾ [لقمان: ١٣] فيه تنبيه على أن الشرك منتفٍ في نفس الأمر، إذ العين الواحدة الأحدية هي الظاهرة في كل من الصور، فجعل إحدى الصورتين شريكة

للأخرى وهو الشرك الذي أثبته الشقي، لم يتوارد مع الله تعالى على أمر فيه الاشتراك، فليس بمشرك، شراك الشيء مع نفسه وهو ظلم عظيم.

فإن من شأن الشركة اتحاد العين المشترك فيها، فيكون لكل واحد الحكم فيها على السواء، وإلا فليس بمشرك على الحقيقة، بخلاف المؤمن السعيد، فإنه أشرك الاسم الرحمن مع اسم الله، وبالأسماء كلها في الدلالة على الذات، وفي الجامعة للأسماء والصفات، فكان أقوى في الشرك الأول، فإن الأول أثبت شريكاً من دعوى كاذبة، وهذا أثبت شريكاً بدعوى صادقة، فغفر لهذا المؤمن السعيد بصدقه في دعواه، و لم يغفر لذلك الشقي بكذبه في دعواه، والله أعلم.

المسألة السابعة والستون

اعلم أنه لا يخفى على العقلاء أن الباري سبحانه وتعالى منزه عن قيام الأصوات والحروف بذاته، بل هو متكلم على الإطلاق بكلام قديم، وهو صفة معنى اتصفت به ذاته، لا يقال: هو هو، ولا هو غيره، كعلمه وسائر صفاته، تنزه كلامه تعالى عن الصوت والحرف، والتقدم والتأخر، وكل كلام ظهر في الوجود محدَث، فإنه خلق له، إذ هو القائل تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

وكلامنا من أعمالنا، فهو خلق له يخاطبنا بكلامه، ويرد على نفسه بكلامه من غير توهم تأخر ولا تقدم، مثال ذلك أن يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]، ولا بدّ لنا من الجواب ولا قدرة لنا عليه ما لم يخلق الكلام لنا، فإذا أراد أن يجيب نفسه بفعله، خلق الكلام في قلوبنا، ثم خلق العبارة عنه في ألسنتنا، فنقول عند ذلك: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] فيكون قد رد على نفسه بفعله، فيطلق عليه من قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ إنه متكلم، ويطلق عليه من قولنا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، إنه خالق الكلام لنا، وقد تتوسع العبارة ويسمى كلام الله تعالى ما دل على كلامه سبحانه وتعالى، كقوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، الذي صدر عن رسول الله ﷺ، ووقع في سمع الأعرابي من فعل الله تعالى خلقه في قلب النبي ﷺ، ثم خلق العبارة عنه في لسانه، فهِم منه الأعرابي كلام الله تعالى القديم، القائم بذاته سبحانه وتعالى، الذي هو صفته، والله أعلم.

المسألة الثامنة الستون

اعلم أن النفس الناطقة مسماة بالكلمة الرحمانية، وهي جوهر مجرد عن المادة معلقة بالبدن، لكون تعلق التدبير من شأنه إدراك العلوم والمعارف، تعلقها بالبدن، وسبب كمالاتها، إنها موقوفة على تعلقها به، لا يمكن وصولها إلى ذلك إلا بواسطة الروح الحيواني؛ لأنها نور محض، والبدن كثيف مظلم ولا مناسبة بين النور والظلمة؛ فاقتضى الجود الإلهي إفاضة جوهر بخاري حار لطيف متوسط بينهما، مناسب للنفس بما فيه من اللطافة، ومناسب للبدن بما فيه من قبول الصور والأشكال، يسمى روحاً حيوانياً، فتكون بتجويف القلب الجسماني، من ألطف أجزاء الأغذية، وهو أول ما يتكون من المني؛ لأن بواسطته يحصل الحس والحركة لسائر الأعضاء، وهو متعلق النفس الناطقة، فيفيض عليه قوة تسري بسريانه إلى جميع الأعضاء وأجزاء البدن وأعماقه، فتنتشر بواسطته في كل عضو من أعضاء البدن قوى تليق به، ويكمل به نفعه، كل ذلك بتقدير الحكيم، العليم.

المسألة التاسعة والستون

قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠]؛ لأنهم لا يصفونه إلا بما تعطيه عقولهم، فنزّه سبحانه نفسه تعالى عن تنزيه العقول، إذ حدّدوه بذلك التنزيه؛ لأن المميز عن جميع الأشياء محدود بتمييزه عنها، وذلك لقصور العقول غير المنورة عن إدراك الحقائق الإلهية وشؤونها، وإنما استفادت العقول المنورة هذه المعاني بإعلام الله تعالى إياها، لا بأنفسها، وإنما يظهر حقيقة ما ذكرناه لمن عرف سر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وأمثال ذلك، فإذا كان الحق تعالى عين هوية الرسول ﷺ، كان التشبيه في هوية الرسول ﷺ ثابتاً للتنْزيه الذي في هوية الحق تعالى، وكان التنْزيه الذي في هوية الحق تعالى، ثابتاً للتشبيه، الذي هو في هوية الرسول ﷺ، ولهذا قلنا بالتشبيه في عين التنزيه، وبالتنزيه في عين التشبيه، إذ هوية الحق تعالى المنزهة هي التي ظهرت في صورة الرسول ﷺ المشبهة، والصورة المشبهة هي التي كانت منزهة في المرتبة الأحدية.

المسألة السبعون

اعلم أن وجود الأشياء تشهد لصانعها بالصنعة، وتقر على نفسها بالحدوث، ولباريها بالقدم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ولم يقل: ولكن لا تسمعون؛ لأن تسبيح الحال يُفهم ولا يسمع، والله أعلم.

المسألة الواحدة والسبعون

اعلم أنه ليس في الوجود ذرة إلا وهي دالة بجواز وجودها على وجوب وجود موجدها، وكذا ليس في الوجود أيضاً ذرة إلا وقد تعلم من علم الله تعالى بها كشفاً، وإرادته تخصيصاً، وقدرته إيجاداً وإعداماً، وصفاته تعالى قائمة بذاته لا تقبل الانفصال عن ذاته، ولا القيام بغير ذاته تعالى، والله أعلم.

المسألة الثانية السبعون

اعلم أن كل شخص له قوة (كن) في باطنه، وليس له منها في ظاهره إلا الفعل المعتاد، وهي لكل أحد في الجنة، وقد تعطى لبعض الناس في ظاهر الدنيا، فمن رجال الله من أخذها، وفعل بها، ومنهم من لم يفعل بها، وهم الأدباء مع الله عزّ وجل، وإنما يفعلون ببسم الله الرحمن الرحيم، ليتقوا بها عن مشاركة الشيطان لهم في أفعالهم، وليسلموا بها من دعوى مشاركة الأسباب للحق تعالى في أفعاله، والله أعلم.

المسألة الثالثة والسبعون

في معرفة آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات: اعلم أن كل مؤثر به ومؤثر فيه أم، والمتولد بينهما ابن فالأرواح كلها أب والطبيعة أم، وهي التي ظهرت عنها الإدراكات، وهي النار والهواء والماء والتراب، وبتوجه هذه الأرواح على هذه الأركان ظهرت المولدات التي هي المعادن والنبات والحيوان، والجن والإنسان، فأول الآباء العلويات معلوم، وأول الأمهات السفليات شيئية المعدوم الممكن، وأول

النكاح القصد بالأمر، وأول ابن وجد عن تلك الشيئية، وهذا أب ساري الأبوة، وتلك أم سارية الأمومة، وذلك نكاح سار في كل شيء، وذلك نتيجة دائمة، لا تنقطع في كل ظاهر العين، فهذا عندنا يسمى النكاح الساري في جميع الذراري، ثم أول موجود حادث أبدعه الله تعالى العقل الأول، وهو القلم الأعلى، وكان أول مؤثر فيه انبعاث اللوح المحفوظ عنه، كانبعاث (حواء) عن (آدم) عليه السلام ليكون ذلك اللوح محلاً لكتبة القلم الإلهي فيه، فكان اللوح أول موجود انبعاثي، فخط القلم في اللوح ما أملى عليه الحق تعالى من علمه في خلقه، الذي يخلق إلى يوم القيامة، فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي، وما أودع الله تعالى في اللوح من الأثر، مثال الماء الدافق، وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني بمنزلة الأولاد، فخلق الله تعالى في اللوح صفة علم، وهي أب، وصفة عمل وهي أم، فظهرت عنها الصور الظاهرة الحسية وهي الأجرام وما يتصل بها من الأشكال والألوان، والصور الباطنة المعنوية، وهي الأرواح وما فيها من العلوم والمعارف، والله أعلم.

المسألة الرابعة والسبعون

اعلم أن مشيئة الحق تعالى أحدية واحدية التعلق، وهي نسبة تابعة للعلم، والعلم نسبته تابعة للمعلوم، والمعلوم أنت وأحوالك، فليس للعلم أثر في المعلوم، بل للمعلوم أثر في العالم، وهو إنه يعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه، والله أعلم.

المسألة الخامسة والسبعون

متى اشتد الحال على الإنسان، وغاب عن حسه، فإنه حصل له في تلك الغيبة علم يعرفه إذا رجع ويعبر عنه، فهو الحال الإلهي، ويجد القلب عند الإفاقة سروراً، وشرط صحة الحال أن يكون معه حركة، وأما الحال الكاذب فهو الذي يعقل صاحبه أهل مجلسه ولم يغب عن حسه ويتحرك، فهو صاحب وسوسة وحديث نفس، سخر به الشيطان، فكان ما يلقى إليه يتخيل إنها علوم وهي سموم، فلا يعول على ما يُخاطب به في هذه الحالة، فإنها شيطانية، وليس في قوة الشيطان أن يغيبك عن حسك ثم يلقي إليك وتعقل عنه، واعلم أن مخاطبة الحق تعالى لا تترك إحساساً وليست بالوهم ولا بالتخيل، فافهم ذلك، والله أعلم.

المسألة السادسة والسبعون

اعلم أن العبد إذا أثنى على الله تعالى بما يعتقد إنه ثناء، وكان موضوعه ثناء على الله تعالى، صدقه الله تعالى عليه، وتقبله منه، وأثابه عليه، سواء علم معنى ذلك الثناء أو لم يعلم، ولكن ثناء العالم بمعانيه أتم وثوابه أعظم، مثال ذلك قول العبد: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١-٢] فإنه أثبت أن العبد إذا قال في صلاته: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وقوله تعالى: حمدني عبدي، وأثنى عليَّ عبدي، يتضمن التصديق والثناء والقبول، وأما الثواب، فأي ثواب أعظم من تصديق الله تعالى وثنائه عليه؟ وأما إذا أثنى العبد على الله تعالى بوصف يتضمن ضد الكمال، فإنه يكفر به، سواء كان يعتقد إنه كمال أو لا يعتقد، وقولهم: العُزير ابن الله، وكذا قول النصارى: المسيح ابن الله،

وأما من أثنى على الله بوصف لا يعلم إنه وصف كمال، فقد قال بعض الأئمة: إن الله تعالى لا يقبل منه ذلك الثناء، ولو كان ذلك الوصف يتضمن الثناء، ويكون ذا في جملة المنهيين بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٩]، والله أعلم.

المسألة السابعة والسبعون

الحمد لله الدائم الذي لم يزل يعطف المعقول على الأزل، الذي أنطق عباده بالأزلية، فتنة ثبت بها من ثبت، وزلّ بها من زلّ، يعني أنهم ينعتونه بالأزلية وأكثرهم لا يعرفون معناها، فطائفة من النظار توهموا في لفظة الأزل نسبتها إلى الله تعالى، نسبة الزمان إلينا، فهو في الأزل كما نحن في الزمان، فيقولون: قد كان الله متكلماً في الأزل بكلامه الأزلي، وطائفة أخرى تخيلت في الأزل إنه مثل الخلاء أو ذات في غير جسم، كذلك الأزل امتداد من غير توالي حركات زمان، فكأنه تقدير زمان.

فنقول لهم: هذا الأزل الذي نعتم الحق به لا يخلو، إما أن يكون وجوداً أو عدماً، فإن كان عدماً، فقد نعتم الحق تعالى بالعدم، والعدم نفي محض، يتعالى الحق تعالى أن ينعت به، وإن كان وجوداً فلا يخلو: إما أن يكون نفس الحق تعالى أو غيره، فإن كان نفس الحق تعالى، فقد أخطأتم في الاسمية، حيث لم يطلقها الحق تعالى على نفسه، وإن كانت غيره فلا يخلو:

إما أن تكون قائمة بنفسها أو بغيرها، بطلت الوحدانية، فلا يخلو ذلك الغير: إما أن يكون نفس الحق أو لا، فإن كان نفس الحق تعالى فهي كعلمه وباقي صفاته، وهيِ متصفة بالأزلية، فيرجع الأزل منعوتاً بالأزل ويتسلسل، وإن كان الذي يقوم به الأزل النفَس غير نفس الحق تعالى، فقد أثبتم قديماً آخر، وبطل دليل الوحدانية، وبطل وصفكم الحق تعالى بالأزلية، وثبت أن ما ثم أزل أصلاً، فوصف الحق تعالى بالأزل موضع مزلة قدم النظّار، وقد أغفلها أكثر الناس، وكان الواجب عليهم ألا يطلقوا على الحق تعالى من الألفاظ والنعوت إلا ما أطلقه على نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ؛ لأن الأزل مشتق من زلَّ إذا زلوا و لم يثبتوا، فلكثرة ما تزل أقدام الناظرين فيه، إلا من رحم ربك، سمي أزلاً، والله أعلم.

المسألة الثامنة والسبعون

اعلم أن الممكنات مفتقرة، فلا يزال الفقر يصحبها دائماً وقد وضعت لها الأسباب التي فيها مصالحها، فافتقرت إليها، فجعل الله أسماء الأسباب اسماً له تعالى حتى لا يُفتَقَر إلا إليه، فلا فرق عند أهل الكشف بين الأسماء التي تقال في العرف وفي الشرع أنها أسماء الله تعالى، وبين أسماء الأسباب، أنها أسماء الله تعالى، الأسباب وقد قال الله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

ونحن نرى الواقع الافتقار إلى الأسباب، فلا بد أن تكون أسماء كأسماء الله تعالى فندعوه بها، دعاء الحال لا دعاء المقال، فإذا مسنا الجوع، سارعنا إلى الغذاء المزيل لآلام الجوع، وافتقرنا إليه وهو مستغن عنّا، لا نفتقر إلا إلى الله تعالى، فصورة الغذاء اسم من أسماء الله تعالى، النازل منزلة لفظ الاسم الإلهي أو صورة رقمه، والله أعلم.

المسألة التاسعة والسبعون

اعلم أنه بسبب علم الله تعالى بسر القدر، وصف نفسه بالرضا والغضب، ولهاتين النسبتين انقسمت الأسماء الإلهية إلى الجلالية والجمالية ومن هذا الانقسام ظهر الداران: الجنة والنار؛ لأن كل ما يكون من الرضا واللطف، فهو الجمال، وكل ما يكون من الغضب والقهر فهو الجلال، فهذا من جهة الذات المقدسة وصفاتها، وأما من جهة الأعيان الثابتة، فهي أيضاً منقسمة إلى ما هو مستعد لقبول آثار الرضا واللطف، وإلى ما هو مستعد لقبول الغضب والقهر، والله أعلم.

المسألة الثمانون

العلم بأن لا إله إلا الله مجرد عن العقول، نافع في حكم الآخرة، وقول: لا إله إلا الله مجرد عن العلم، لا نفع له في حكم الآخرة، والله أعلم.

المسألة الواحدة والثمانون

قال الشيخ رحمه الله تعالى، ورضي عنه، ونفعنا به آمين: اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزه إما جاهل، أو صاحب سوء أدب؛ لأن غاية معرفة المنزه أن يسلب عن ربه نقائص الكون، وسلب العبد عن ربه ما لا يجوز عليه راجع إليه، والله ما هذه حالة التنزيه، فالتنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذاته تعالى، وهو من جملة منحه لك وهباته، فالباري تعالى منزه عن التنزيه، فكيف عن التشبيه؟ وكذلك من شبهه وما نزهه، فقد حدده وقيده، وما عرفه، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه، ووصفه بالوصفين على الإجمال فقد عرفه على الإجمال لا على التفصيل، لعدم الإحاطة بما في العلم من الصور، إلا من له مقام القطبية، فإنه من حيث سريانه في الحقائق بالحق، يطلع على المراتب كلها تفصيلاً، ولكنه من حيث بشريته لا يقدر على ذلك دائماً والله أعلم.

المسألة الثانية والثمانون

قال الشيخ رحمه الله ورضي عنه: وأنت للحق تعالى بمنزلة الجسم، والحق تعالى بمنزلة الروح المدبرة لجسمك، واعلم أن الحق تعالى يَرُبُّ الأعيان الثابتة بأسمائه وصفاته، ويرب الأرواح بالأعيان، ويرب الأجسام بالأرواح، لتكون ربوبيته في جميع المراتب ظاهرة، والله أعلم.

المسألة الثالثة والثمانون

اعلم أن الحق تعالى، تعالى عن المكان، إنما هو بحسب الذات لا بحسب المظاهر، والله تعالى أعلم.

المسألة الرابعة والثمانون

قال الشيخ رحمه الله تعالى:

فأنت عبد وأنت ربٌّ ... لمن له فيه أنت عبدُ

أي أنت عبد للرسم الحاكم عليك، الظاهر فيك، الذي يربك ويدبرك، وأنت رب تربه بقبول أحكامه وظهور كمالاته، وذلك أن الله تعالى اسماً ظاهراً واسماً باطناً، والربوبية لهما ثابتة، وكما أن الباطن يرب الظاهر بإظهار أحكام الأسماء الإلهية الغيبية عليه، كذلك الظاهر يرب الباطن بقبولها ظاهراً، فلكل من هذين الاسمين الجامعين ربوبية وعبودية وما ثم من يكون رباً على الإطلاق، إلا الحضرة الإلهية ومن حيث وجوها وغناها عن العالمين. وقال رحمه الله تعالى شعراً:

وأنـــــــــت ربٌ وأنـــــــــت عبــــــــــدٌ	**لمــــن لــــــه فــــي الخطــــاب عهــــدُ**

أي أنت رب باعتبار الألوهية الظاهرة فيك، وأنت عبد باعتبار تعينك وتقيدك، وقوله: لمن له في الخطاب عهد، أي أنت عبد للرب الذي عهد إليك بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، والله أعلم.

وله رحمه الله من المشاهد القدسية: يا عبادي كلكم عاجز، قاصر صامت حائر، لا يملك فتيلاً ولا نقيراً ولا قطميراً، ولو سلطت عليكم أدنى حشرات المخلوقات، أو أضعف جندي لأهلكتكم وتبّرتكم تتبيراً، فكيف تدعون أنكم أنا؟ وأنا أنتم؟ ادعيتم المحال، وعشتم في ضلال، وفرقتم أحزاباً، وصرتم أشتاتاً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٣]، والحق وراء ذلك كله. شعر:

لله تعــــــذيب المطيـــــع ولـــــو جـــــرى	**مــــا كــــان مــــن إثــــم ولا عــــدوانِ**
متصــــــرف فـــــي ملكـــــه فلـــــه الـــــذي	**يختـــــار لكــــن جــــاد بالإحســــانِ**
فنفـــــى العقــــاب وقــــال ســــوف أثيـــبهم	**فلــــــه بــــــذاك علـــــيهم فضـــــلانِ**

والله أعلم.

المسألة الخامسة والثمانون

اعلم أن الحضرة الأحدية اعتبارها نفي الكثرة عيناً، لكنها معقولة فيها كمالاتها وأما حضرة الواحدية، ففيها تظهر الكثرة الأسمائية، كالحي والعالم وباقي الأسماء، والكثرة الصفاتية كالحياة والعلم وباقيها، والكثرة النسبية، كالربوبية والمالكية الإلهية، والكثرة الإضافية كالخالقية والرازقية ونحوهما، وفي باقي الحضرات الكونية تتداخل الأسماء بعضها في بعض، فيصير اسم الرب اسما للعبد حكماً لا حقيقة، ويصير فيها المسخرُ مسخَّر المسخِّرة، ويصير وجود الحق مرآة لعبده، يرى فيها نفسه وغيرها، وتصير ذات العبد مرآة له يرى فيها، مثال أسمائه تعالى، وكذلك أحكامها، وتصير ذاته أيضاً مرآة له، به تعالى يرى ظهور أحكامها أحكام أسمائه ومثالها، والله أعلم.

المسألة السادسة والثمانون

اعلم أنه لا يخلو تنزيه عن تشبيه، ولا تشبيه عن تنزيه؛ وذلك لأن كل ما تنزه تعالى من صفات الخلق عنه، فهو ثابت له عند ظهوره في المراتب الكونية، وهو التشبيه، وكلما شبهته، وأثبت له من الكمال كالحياة والعلم وباقي الصفات فهي منفية عنه في الرتبة الأحدية، وهو التنزيه، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فنزّه وشبّه، أما التنزيه فظاهر؛ لأنه نفي المماثلة عن المثل توجب نفي المماثلة عن نفسه بطريق الأولى، وأما تشبيهه فإنه أثبت له مثلاً، ونفى عنه المماثلة، وإثبات المثل تشبيه،

وليس ذلك المثل إلا الإنسان المخلوق على صورته، المتصف بكمالاته، إلا الوجوب الذاتي، الفارق بينه وبينه، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، فشبّه؛ لأنه أثبت له ما هو ثابت لغيره، ونزه أيضاً في هذا القول؛ لأن تقديم الضمير يوجب حصر السمع والبصر فيه، فنزه عن المشاركة مع الغير فيهما فهذه أعظم آية تنزيه نزلت، ومع ذلك لم تخلُ عن تشبيه بالكاف، والله أعلم.

المسألة السابعة والثمانون

اعلم أن المعلومات أربعة: أحدها الحق تعالى، وهو الموصوف بالوجود المطلق؛ لأنه سبحانه وتعالى ليس معلولاً بشيء، ولا هو علة لشيء، بل هو موجود بذاته، والعلم به عبارة عن العلم بوجوده، ووجوده ليس غير ذاته، مع أنه غير معلوم الذات، لكن بعلم منا ينسب إليه من صفات له – من صفات المعاني– وهي صفات الكمال، وأما العلم بحقيقة الذات، فممنوع لا يعلم بدليل شرعي ولا برهان عقلي، ولا يحدها حد، فإنه سبحانه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، فكيف يعرف؟ فمعرفتك به إنما هي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، والله أعلم.

المسألة الثامنة والثمانون

فإن قيل: فما الفائدة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل: ٩]، قلنا: "لو"، حرف امتناع، فما يشاء إلا ما هو ممكن عليه في حال ثبوت عينه، ولكن عين الممكن قابلة للشيء وضده في حكم دليل العقل، وأي الحكمين وقع فهو الذي كان الممكن عليه في حال ثبوت عينه، وهذا بمعنى بَيْنَ، وما كل إنسان نوّر الله بصيرته حتى رأى الممكن على ما هو عليه في حال ثبوت عينه، فما هداهم، فما بيّن لهم أجمعين، والله أعلم.

المسألة التاسعة والثمانون

اعلم أن الأعيان الثابتة لا توصف بأنها مجعولة ما لم توجد في الخارج؛ لأنها حينئذ معدومة في الخارج، كما أن الصور العلمية والخيالية التي في أذهاننا لا توصف أنها مجعولة ما لم توجد في الخارج، إذ لو كانت مجعولة، لكانت الممتنعات مجعولة؛ لأن لها صوراً علمية في أذهاننا، والله أعلم.

المسألة التسعون

اعلم أنه كما أن الروح روح لبدنه، فكذلك الحق تعالى روح للعالم، وكما أن الروح يدبر بدنه بقواه، فكذلك الحق تعالى يدبر العالم بأسمائه وصفاته، وكما أن الروح ليس بحالٍّ في البدن ولا متحد به، فكذلك الحق تعالى ليس بحال في العالم والله أعلم.

المسألة الواحدة والتسعون

اعلم أن الحق تعالى هو الظاهر الذي لا أظهر منه، وهو الباطن الذي لا أبطن منه، ومع شدة ظهوره أعقب الخفاء، فظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره؛ لأن الشيء إذا تجاوز حده انعكس على ضده والله أعلم.

المسألة الثانية والتسعون

اعلم أن الله تعالى ما أوجد شيء إلا وله مثل وضد وخلاف، فمثال المثلين البياض، ومثال الضدين البياض والسواد، ومثال الخلافين اللون والرائحة والطعم في محل واحد، وما ذكرت لك هذه المسألة إلا لتعرف منزلتك عند الله تعالى، فالإنسان الكامل مع الحق تعالى مثل ضد خلاف، مثل من حيث الوجود، ضد من حيث إنه حين يوصف بأنه رب، حكماً لا يوصف إنه عبد، خلاف من حيث إنه وصف نفسه بأنه سمع العبد وبصره، فجمع بينه وبينه في عين واحدة، والله أعلم.

المسألة الثالثة والتسعون

اعلم أن غاية الكرم، هو أن الحق تعالى كلفك، وقام عنك بما به كلفك، وأضافه إليك، وأثنى به عليك، ورتب عليه من الثواب: "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"، والله أعلم.

المسألة الرابعة والتسعون

اعلم أن العلم الحامل على التوكل ثلاثة: الأول هو أن تعلم أن الله تعالى موصوف بغاية العلم بما ينفعك، وبما يضرك، العلم الثاني هو أن تعلم أن الله تعالى موصوف بغاية القدرة على جلب ما ينفعك، ودفع ما يضرك، العلم الثالث هو أن تعلم أن الله تعالى موصوف بغاية الرأفة والرحمة، والله أعلم.

المسألة الخامسة والتسعون

اعلم أن معاني أسماء الله تعالى الحسنى تندرج تحت أربع كلمات، وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فسبحان الله معناها سلب العيب والنقص عن ذات الله، وصفات الله، وأفعاله، فكل ما كان من أسماء الله تعالى معناه سلب فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس والسلام ونظائرها، والحمد لله معناها: إثبات كل كمال لذات الله وصفاته وأفعاله، فكل ما كان من أسماء الله تعالى متضمن لكمال لا يدرك ولا يُعقل فهو مندرج تحت هذه الكلمة، كالحي، والعالم، والقادر، ونظائرها، فنفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه، وأثبتنا بالحمد لله كل ما أدركناه، وفوق ما نفيناه وأثبتناه كمال قد غاب عنا وجهلناه، فنتحققه بالإجمال بقولنا: الله أكبر، أي أجل وأعظم مما نفيناه وأثبتناه، فكل ما كان من أسماء الله تعالى متضمن بكمال لا يدرك ولا يعقل، فهو مندرج تحت هذه الكلمة، كذي الجلال والإكرام، فإذا كان في الوجود من هذا شأنه نفينا أن يكون في الموجودين من يشاكله أو يناظره فنحققه بقولنا: لا إله إلا الله فالألوهية تُرجع استحقاق العبودية إلى من اتصف بما ذكرناه، والله تعالى أعلم.

المسألة السادسة والتسعون

عالم الجبروت هو عالم الأسماء والصفات الإلهية، وعالم الأمر وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الأرواح والروحانيات؛ لأنها وجدت بأمر الحق تعالى بلا واسطة مادة، وعالم الخلق وعالم الشهادة هو عالم الأجسام، والله أعلم.

المسألة السابعة والتسعون

اعلم أن دوام شهود الافتقار والالتجاء إلى الله تعالى أصل كل خير، ومفتاح كل علم دقيق في طريق القوم، بحيث أنه لا يستند بحركة ولا كلمة دون الافتقار إلى الله تعالى فيه، وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار إليه لا تعقب خيراً قطعاً، علمنا ذلك وتحققناه قال سهل رحمة الله عليه: "من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر الله تعالى فقد ضيع حاله، وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخول في ما لا يعنيه، وتركه ما يعنيه"، والله أعلم.

المسألة الثامنة والتسعون

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهذه الرحمة امتنانية، وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧]، فمنتهى علمه تعالى منتهى رحمته في من يقبل الرحمة، وكل ما سوى الله تعالى قابل لرحمة الله تعالى بلا شك، ورحمته غير متناهية ومنها صورت الممكنات، ومنها صدر الغضب الإلهي، ولما صدر عنا لم يرجع إليها، لأنه صدر عنها صدور فراق، فتكون الرحمة خالصة محضة، ولذلك تسابقا، فما تسابقا إلا على تميز وافتراق فيه منه تعالى. شعر:

ولولا غيرة الرحمن فينا	لما ثبت الأمان لكل عارف
ولكني سترت لكون ربي	يريد الستر عن غير المكاشف

المسألة التاسعة والتسعون

اعلم أن الله تعالى ما يقبض أحداً من المحتضرين إلا وهو مؤمن، أي مصدق بما جاءت به الأخبار الإلهية؛ لأنه معاين ما أخبرت به الأنبياء، ولهذا يكره موت الفجاءة، وقتل الغفلة، فحد موت الفجاءة هو أن يخرج النفس الداخل ولا يدخل النفس الخارج، وقتل الغفلة هو أن يضرب عنق الشخص من ورائه، وهو لا يشعر، فيقبض على ما كان عليه، وهو لا يشعر، وأما المحتضر فلا يكون إلا صاحب شهود، فهو صاحب إيمان فلا يقبض إلا على ما كان عليه، والله أعلم.

المسألة المائة

قال الله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وغضبه "شيء" فقد وسعته الرحمة، وحصرته، وحكمت عليه، فلا يتصرف إلا بحكمها، وترسله إذا شاءت، وتمسكه إذا شاءت، ولهذا ليس في البسملة شيء من أسماء القهر، بل هو الله الرحمن الرحيم، وإن كان يتضمن الاسم – الله – القهر من حيث إنه الاسم الجامع، فكذلك يتضمن الرحمة والمغفرة والعفو والصفح وزناً بوزن، ويبقى لنا فضل زائد، وهو قوله الرحمن الرحيم، فعين الرحمن وعين الرحيم زائد على ما في الاسم، وهو الله منه، فزاد في الوزن فرجح، فكان الله تعالى عرّفنا بما يحكمه في خلقه، وإن الرحمة بما هي باطنة في الاسم – الله – الجامع من البسملة هي رحمته بالبواطن، وبما هي ظاهرة في الرحمن الرحيم هي رحمته بالظواهر، فعمت، فعظم الرجاء للجميع، وما من سورة من سور القرآن إلا والبسملة في أولها إعلام من الله تعالى لنا إن

المآل إلى الرحمة، فإنه تعالى جعلها ثلاثاً: الرحمة الباطنة في اسم الله، والظاهرة في الرحمن والرحيم، و لم يجعل للقهر سوى البطون في اسم الله فلا عين له موجودة، والله أعلم.

المسألة الحادية بعد المائة

اعلم أنه ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: ٧٠]، ومعنى ذلك أنه يريه عين ما كان يراه سيئة حسنة، وقد كان حسناً غائباً عنه بحكم الشرع، فلما وصل إلى موضع ارتفاع الأحكام المشروعة وهي الدار الآخرة رأى عند كشف الغطاء حسن مآب الأعمال كلها. إن العامل هو الله تعالى لا غيره، فهي أعماله كلها كاملة الحسن لا نقص فيها ولا قبح، فإن السوء والقبح الذي كان ينسب إليها إنما كان ذلك حكم الله فيها لأعيانها، فكل من كشف الغطاء عن بصره وبصيرته – متى كان – رأى ما ذكرناه، ويختلف زمان الكشف، فمن الناس من يرى ذلك في الدنيا، وهم الذين يقولون: أفعال الله كلها حسنة، ولا فاعل، إلا الله تعالى، فلا يرون أن ثم قدرة حادثة يكون عنها فعل شيء، وإنما وقع التكليف والخطاب من اسم إلهي على اسم إلهي في محل عبدٍ فانٍ، فسمي ذلك العبد مكلفاً، وذلك الخطاب تكليفاً، إذ لا يحمل عطاياه إلا مطاياه، والله أعلم.

المسألة الثانية بعد المائة

اعلم أن سيدنا محمد ﷺ قد أخبرنا: أن الحق سبحانه وتعالى يتجلى لعباده في جنة عدن، ورداء الكبرياء على وجهه، أي على ذاته، فحال الحجاب بينه وبين الرائين، فلم تصل الرؤية إليه، فصدق قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وصدقت المعتزلة، فما وصلت الأعين إلا إلى الرداء، وهو الكبرياء على ذاته، ونحن عين الكبرياء على ذاته تعالى، فما تعلقت الرؤية إلا بنا، فنحن لا نراه قط من حيث هو، وما نرى قط سوانا، فلا يزال رداء الكبرياء على وجهه في الدنيا والآخرة؛ لأننا ما نزال، ولما كنا عيناً لكبرياء الحق تعالى على ذاته، والحجاب يشهد المحجوب، والرداء ظاهر وباطن، فيراه الرداء بباطنه، فيصدق الحديث في قوله ﷺ: "ترون ربكم" ويصدق مثبتو الرؤية، ولا يراه ظاهر الرداء، فيصدق قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ وصدق المعتزلة، ونحن والرداء عين واحدة، والله أعلم.

المسألة الثالثة بعد المائة

اعلم أن حقيقة الوجود واحدة لا تعدد فيها ولا تكثر، وتعدد وتكثر بحسب التعينات والتجليات، فتتكثر وتصير أرواحاً وأجساماً ومعاني روحانية، وأعراضاً جسمانية، والله أعلم.

المسألة الرابعة بعد المائة

اعلم أن الوحي خبر إلهي على يد ملك يختص به الأنبياء والرسل، والإلهام أيضاً خبر إلهي على يد ملك يشترك فيه الأنبياء والرسل ومن دونهم، فالرسول والنبي يشهد الملك ويراه رؤية بصر عندما يوحى إليه، وغيرهما يحس بأثره ولا يراه ببصره، والله أعلم.

المسألة الخامسة بعد المائة

قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه: اعلم أن كل من يمشي في العالم فإنه لا يمشي إلا برسالة حتى الدودة في حركتها هي في رسالة تسعى لها لمن غفل عن الله، والله أعلم.

المسألة السادسة بعد المائة

اعلم أنه لو لم يسبق في علم الله تعالى أنه سيقع ادعاء شريك له في مرتبة الألوهية في العالم السفلي لاستحال وقوع ادعاء بها لغير الله تعالى، ومن المعلوم أنه وقع ادعاؤها لغير مستحقها ممن لا خلاق له من بعض الآدميين دون بعضهم، فلو لم يقع ادعاؤها لغير مستحقها في العالم السفلي، وكانوا كلهم عارفين بوحدانية الحق بكل اعتبار لما احتاجوا في توحيدهم لله تعالى إلى داعٍ يدعوهم إلى نفي شريك له تعالى في شيء من جميع كمالات ذاته تعالى، لأن الشريك له تعالى في شيء من كمالاته منتفٍ عند جميعهم في نفس الأمر، ولكن لما وقع ادعاء شريك له تعالى في رتبة الألوهية التي هي من مقتضيات ذاته تعالى دون غيره احتاج الموحدون في تمييزهم عن المشركين إلى كلمة تتضمن الألوهية عن غير مستحقها، وإثباتها لمستحقها.

فلأجل ذلك أرسلت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يدعون الناس إلى الإقرار بأن لا إله إلا الله، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم" الحديث، وهذا بخلاف الملأ الأعلى، فإنهم لما أوجدهم الحق على نمط واحد في العلم بتفرده تعالى بجميع كمالات ذاته لم يحتاجوا إلى داعٍ يدعوهم إلى نفي الإلهية عن غيره تعالى، لأنهم لم يقع في عالمهم توهم شريك لله تعالى في كمالات ذاته المقدسة، فافهم ذلك راشداً والله أعلم.

المسألة السابعة بعد المائة

اعلم أن كمال التوفيق هو استصحابه للعبد في جميع أحواله من اعتقاداته، وخواطره، وأسراره، ومكاشفاته، ومشاهداته وأفعاله كلها، لأنه يتجزأ ويتبعض فإنه إذا كمل التوفيق للعبد على ما ذكرناه فهو المعبر عنه بالعصمة والحفظ الإلهي والله اعلم.

المسألة الثامنة بعد المائة

اعلم أن التوفيق هو الباعث المحرك لطلب الاستقامة والهادي إلى طريق السلامة ما اتصف به عبد إلا اهتدى وهدى، ولا فقده شخص إلا تردى وأردى فمبدأه يعطيك الإسلام وتوسطه يعطيك الإيمان، وغايته تعطيك الإحسان، والله أعلم.

المسألة التاسعة بعد المائة

اعلم أن عدد الأعضاء المكلفة ثمانية: وهي العين والأُذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب فعلى كل واحدة من هذه الأعضاء تكليف يخصه الله تعالى من الأنواع الشرعية فالبصر علامته الغض عن نظر المحرمات والإطراق وقاية من النظرة الأولى المعفو عنها والسمع علامته قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]. وسماع العلم ومواظبة مجالس الذّكر والعمل بكل خير يسمعه واللسان علامته: قلة الكلام إلا فيما يفوض إليه من هداية وتبليغ رشد ودوام ذكر واسترساله على التلاوة، وإن كان من أهل القرآن وصدقه في الحديث وبطؤه عن الجواب في المسألة إذا سُئِلَها، وإذا سأل لا يسأل إلا ما فيه فائدة سعادية وأشباه ذلك واليد علامتها أن لا يبطش بها في محرم من لمس امرأة لا يحل لمسها له أو قتل إنسان أو لطمه أو سرقة ولا يمس ذكره بيمينه ولا يستنجي بها وأن لا يدخلها في الإناء عند القيام من النوم يعني في وضوئه وأشباه ذلك والبطن علامته الورع والاكتساب والبحث عن الكسب وإذا أكل لا يمتلئ من الطعام والشراب حذراً من كسل الجوارح عن الطاقة والإيثار بقوله فما مُلئ وعاء شر من بطن مُلئ من حلال والفرج علامته الحفظ من التحرك إلى غير أهله من أحرار وإماء، والرجل علامتها السعي في قضاء حوائج المسلمين والإخوان والسعي على العيال وكثرة الخطى إلى المساجد والثبوت يوم الزحف وغير ذلك والقلب علامته الانتباه واليقظة والفكر والهيبة وترك الحسد والغل ودوام الحزن والتوكل والتفويض والتسليم والفرح بموارد القضاء والمراقبة والتنزه في العالم وفعل الله فيه وفيهم والله أعلم.

المسألة العاشرة بعد المائة

من تلا كتاب الله ولم يتمثل أوامره، ويتجنب نواهيه، ويقف عند حدوده، فلا يتخيل أن يقول الحق تعالى عند قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، حمدني عبدي، لا والله ما يراجع الحق سبحانه بقوله "حمدني عبدي" و"أثنى علي عبدي"، إلا لأهل الحضور، بل أقول من امتثل أوامره واجتنب نواهيه، ووقف عند حدوده، وكان اللسان صامتاً عن التلاوة؛ فإنه حامد الله تعالى بحاله شاكر له بأفعاله، ويقول الله: "حمدني عبدي".

واعلم أن على اللسان تلاوة، وعلى الجسم تلاوة، بجميع أعضائه تلاوة، وعلى النفس تلاوة، وعلى القلب تلاوة، وعلى الروح تلاوة، وعلى السر تلاوة، وعلى سر السر تلاوة، فتلاوة اللسان ترتيل الكتاب على الحد الذي رتب المكلف له، وتلاوة الجسم المعاملات على تفاصيلها في الأعضاء، وتلاوة النفس التخلق بالأسماء والصفات، وتلاوة القلب الإخلاص والفكر والتدبر، وتلاوة الروح التوحيد، وتلاوة السر الاتحاد وتلاوة سر السر الأدب الوارد عليه في التلقي منه جل وعلا، فمن قام بين يدي سيده بهذه الأوصاف، ونظر إليه جلّ اسمه، فلم يبق منه فرد إلا شعر ما فيه على ما يرضاه كان عبداً كلياً، وقال له الحق إذ ذاك: "حمدني عبدي"، فإذا كانت فيه هذه الأوصاف، وتعلقت في العبد غفلة، فليس بعبد كلي، ولا يكون فيه من عبودية الاختصاص إلا قدر ما اتصف به ذاته، فثم عبد يكون لله فيه السدس، ولهواه ما بقي والربع والثلث والنصف على قدر ما يحضر منه مع الحق، كما جاء في الصلاة: إنه لا يقبل منها إلا ما عُقِل، والله أعلم.

المسألة الحادية عشرة بعد المائة

اعلم أن الشفقة على العصاة أولى بالمراعاة من الغيرة لله، أترى عدو الدين كيف ضرب الله عليهم الجزية، وأمر بالصلح إبقاء لهم، وإذا كان الحق تعالى قد راعى هذه البنية مع كفرها، فأنت أولى بمراعاتها مع معصيتها؛ ولأن الإنسان ما دام حياً تُرجى له السعادة، والله أعلم.

المسألة الثانية عشرة بعد المائة

اعلم أن لله أبواباً فتحها للخير، وأبواباً أعدها لم يصل أوان فتحها للخير أيضاً، وأبواباً فتحها للآلام المعبر عنها بالعذاب لما يؤول إليه أمر أصحابه، فيستعذبونه في آخر الحال ألا ترى إبراهيم الخليل ﷺ يقول: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[مريم: ٤٥]، والرحمن لا يعطي ألماً موجعاً إلا أن يكون في طيه رحمة يستعذبها من قام به ذلك الألم، كشرب الدواء الذي يتضمن العافية استعماله، فما عند الله باب يفتح إلا أبواب الرحمة، غير أنه ثم رحمة ظاهرة لا ألم فيها، وثم رحمة باطنة يكون فيها ألم في الوقت لا غير، ثم يظهر حكمها في المآل؛ لأن الآلام عوارض، واللذات ثوابت، فإن العالم مرحوم بالذات متألم بما يعرض له، والله عزيز حكيم، يضع الأمور مواضعها ألا ترى الإنسان يضرب ولده، ويؤلمه بذلك الضرب عقوبة لذنبه، وهو يرحمه بباطنه، فإذا أوفى الأمر حقه أظهر له ما في قلبه وباطنه من الرحمة والشفقة، ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ في قصة طويلة يقول فيها: "وإن الله أشفق على عبده من هذه على ولدها، وأشار إلى امرأة"، وهذا كله من علوم الأذواق، جعلنا الله والسامعين من أهل الرحمة الخاصة التي لا ألم فيها بمنّه وكرمه.

المسألة الثالثة عشرة بعد المائة

اعلم يا بني أن الله جلّ ثناؤه لما أراد أن يُرقي عبده الخصوصي إلى المقامات العلية، قرّب منه أعداءه حتى يعظم جهاده له، ويشتغل بمحاربتهم قبل محاربته غيرهم من الأعداء، الذين هم منه أبعد، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾[التوبة: ١٢٣]، وحظ الصوفي، وكل موفق من هذه الآية أن ينظر فيها إلى نفسه الأمّارة بالسوء، التي تحمله على محظور ومكروه، وتعدل به عن كل واجب ومندوب للمخالفة التي جبلها الله تعالى عليها، وهي أقرب الكفار والأعداء إليه، فإذا جاهدها وقتلها، أو أسرها حينئذ يصحّ له أن ينظر في الأغيار على حسب ما يقتضيه مقامه، وتعطيه منزلته، فالنفس أشد الأعداء شكيمة وأقواها عزيمة، فجهادها هو الجهاد الأكبر، فمن ثبّت قدمه في ذلك الزحف، وتحقق بمعنى الحرف انتهض به في الملكوت مليك، وكان له المليك جليساً غير أن هذه النفس العدوة الكافرة الأمّارة بالسوء لها على الإنسان قوة كبيرة، وسلطان عظيم، بسيفين ماضيين يُقطّع بهما صناديد الرجال، وعظماؤهم، وهما شهوة البطن والفرج اللتان قد تعبدتا جميع الخلائق وأسرتهم، ومن عظمهما أفرد لهما الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله كتاباً أسماه (كسر الشهوتين) في (إحياء علوم الدين)، له والذي يتعين عليك في هذا الباب مثل ضرب الحسام الواحد الذي هو البطن، ثم عليك أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سلّط على هذا العبد الضعيف المسكين المسمى بإنسان شهوتين عظيمتين، وآفتين كبيرتين هلك بهما أكثر الناس، شهوتا البطن، والفرج، غير أن شهوة الفرج وإن كانت عظيمة قوية السلطان، فهي دون شهوة البطن، فإن غُلب هذا العدو البطني يقل التعب مع الفرج، بل يذهب ذهاباً كلياً، فهذه الشهوة البطنية تجعل صاحبها أولاً يمتلئ من الطعام – مع العلم أن أصل كل داء البردة دفيناً – أو طبيعياً، فالداء الطبيعي الذي تنتجه هذه البردة هو فساد الأعضاء من أبخرة فاسدة تتولد فيها الآلام والأمراض المؤدية إلى الهلاك، كما حُكي عن سليمان بن عبد الملك بن مروان، أنه خرج يوماً فوجد دابة عليها زنبيل بيض

مطبوخ، فدعا بتين وهو راكب فما زال يقرن التين بالبيض حتى أتى على آخر ما كان في الزنبيل، فوجد لذلك ثقلاً في معدته أهلكه وأورثه القبر، فانظر هذه الشهوة كيف ساقت له حتفه، فنسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة، قيل للشبلي رضي الله عنه: إن ابنك بَشِمَ البارحة من كثرة ما أكل، فقال: لو مات ما صليت عليه كأنه يقول تعنيفاً له: فإنه قاتل نفسه، فهذا الداء الطبيعي، وأما الداء الدفين فيؤدي إلى هلاك الأبد، لكونه يؤديك إلى فضول النظر والكلام والمشي والجماع، وغير ذلك من الحركات المؤدية، فإذا كان الأمر على هذا الحد فواجب على كل عاقل أن لا يملأ بطنه من طعام ولا شراب أصلاً، فإن كان صاحب شريعة طالباً سبيل النجاة فيتوجه عليه وجوباً تجنب الحرام، والورع في الشبهات المظنونة، وأما المختصة فواجب عليه تجنبها كالحرام على كل حال من الأحوال، فإنه ما أُتي على أحد إلا من بطنه، منه تقع الرغبة، وقلة الورع في المكسب، والتعدي لحدود الله، فالله الله يا بني التقليل من الغذاء الطيب واللباس والطعام، فإن اللباس أيضاً عند الجسم كالطعام، فإن الجسم لا يطلب منكم إلا سد جوعه، وما كان وقاية من الحر والبرد، والنفس فلا تطلب منك إلا الطيب من الطعام الحسن، وكذلك المشرب والمركب والمسكن والملبس إنما تريد من كل شيء أحسنه، وأعلاه منزلة، وأغلاه ثمناً، ولو استطاعت أن تتفرد بالأحسن من هذا كله دون النفوس كلها لفعلت، والذي يؤديها إلى طلب ذلك التقدم، والترؤس، وأن ينظر إليها ويشار ولا يُلتفت إلى غيرها، ولا تبالي حراماً كان ذلك أو حلالاً، وإذا تعلقت بما هو حسن في الحال، فانظر مآل ذلك، فإنك إذا نظرت في المنكح، نظرت ما يكون مآله إلى جيفة نتنة قذرة، وإن نظرت في الغالي من الملبس نظرت إلى خرقة مطروحة في مزبلة، وإن نظرت في مسكن عال مشرف حسن الصنعة والتنميق نظرت إلى ما يكون مآله خربة موحشة، وإن نظرت إلى مطعم نظيف نظرت إلى ما يصير عذرة نتنة يسد أنفه حين يطرحها من شدة نتنها، وكذلك شربه وأمثال ذلك، وليت هذا أولاً يُبقي عليه تبعات ذلك في الدار الآخرة حين يُسأل: مِمَّ كسبت وفيم أنفقت، ويُسأل عن الفتيل والقطمير، بل في مثقال ذرة، فانظر ما أهجن باطن الدنيا، مساكنها خراب، وملابسها خرق، ومناكحها ومراكبها جيف، ومطاعمها العضال، والطامة الكبرى والداهية العظمى إنها في أسر ما تكون فيه من هذه الأحوال إن قُضي لها به تُسلب عنه، وعن هذه الدار بالموت، وتنتقل إلى منزل لا تجد فيه شيئاً إلا ما قدمته في دنياها بعمل صالح عملته، فإذا تقرر هذا يا بني، فاعلم أنه ما يجب عليك في الطعام من اجتنابك الحرام والمتشابه عليك في اللباس والتقليل من هذا، كالتقليل من هذا، قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: "للقمة تتركها من عشائك مجاهدة لنفسك خير من قيام ليلة"، هذا إن كان حلالاً، وأما الحرام فلا كلام فيه، إذ لا خير فيه البتة، فما مُلئ وعاء؛ شر من بطن مُلئ من حلال، وقال أيضاً في طيب المكسب: "أطب مطعمك ولا تبال ما فاتك من قيام الليل وصيام النهار"، فالحلال الحلال، وفقك الله طيب لا ينتج إلا طيباً قال الله تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[النور: ٢٦]، وفي هذا من الاعتبار للصوفي والنظر الإلهي بعض ما نذكر الآن، وذلك أن من كان عند الله خبيثاً فلا يعذبه إلا بالخبيثات من المطاعم، ولا تصدر الأفعال الخبيثات إلا من الخبيثين كذلك الطيبات من المطاعم، وهي الحلال لا يغذي بها الله إلا من كان عنده من الطيبين، وكذلك الطيبون عند الله لا يصدر منهم إلا طيبات الأفعال، فإذا اغتذى الإنسان من حلال ونال منه قال ﷺ: "بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه"، تنشط الجوارح إلى

الطاعة وتفرغ القلب إلى المناجاة، وتفرغ اللسان للتلاوة والذكر، والعين للسهر، فذهب النوم لذهاب الأبخرة الجالبة للنوم، فيؤديه أكل الحلال إلى الطاعة، والتقليل منه يؤدي إلى النشاط في الطاعة، ويذهب عنه الكسل، وأية فائدة أكبر من هاتين الفائدتين، فكان لا ينبغي ألا يسعى إلا في تحصيلهما، ويرغب إلى الله في ذواقهما، فالذي ينبغي لك أيها الابن المسترشد - نفعني الله وإياك - ألا تأكل إلا مما تعرف إذا كنت موكلاً نفسك، فإن رأس الدين الورع والزهد قائد الفوائد، وكل عمل لا يصحبه ورع فصاحبه مخدوع، فاسعَ جهدك في أن تأكل من عمل يدك إن كنت صانعاً، وإلا فاحفظ البساتين والفدادين، والزم الاستقامة فيما تحاوله على الطريقة المشروعة، والورع الشافي الذي لا يُبقي في القلب أثر تهمة إنّ أردت أن تكون من المفلحين، ولا يصح لك إلا بعد تحصيل العلم المشروع بالمكاسب والحلال والحرام لابد لك منه، فافهم ذلك والله الموفق بمنّه وكرمه، والله أعلم.

المسألة الرابعة عشرة بعد المائة

اعلم أن الله تعالى قد أخبرنا عن إبليس أنه يقول لتبّاعه من المشركين ومنكري البعث يوم القيامة: إن الله وعدكم بأن هذا اليوم كان، يعني يوم القيامة، فصدقكم في وعده، ووعدتكم بأنه ليس بكائن، فأخلفتكم في وعدي، وما كان لي عليكم من سلطان، أي ما أظهرت لكم من حجة تصدقني على ما دعوتكم إليه من الشرك في الألوهية وإنكار البعث، فصدقتموني، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، والله أعلم.

تنبيه: قال الله تعالى مخاطباً لإبليس اللعين: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، فمطلق اسم العباد ليس للشيطان عليهم سلطان، أي حجة دالة على إثبات شريك لله تعالى في الألوهية، ولذلك قال لحزبه: وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، وأما قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أي لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس، وليس هو تعالى بوكيل لأولياء إبليس، والله أعلم.

تنبيه غريب ينبئ عن أمر عجيب مما وقع لإبليس - اللعين - وذلك مما أخبر الله تعالى عنه في كتابه العزيز بقوله - أي إبليس - ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص: ٨٢]، هذا ظن منه لا علم، وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[ص: ٨٣]، هذا علم لا ظن ، لأنه لما قال له الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]، عَلِمَ علْم اليقين صدق الله تعالى فيما أخبر به من أمر الفريقين، فلما سلك طريق الأدب مع الله تعالى في استثنائه من استثناهم الله تعالى أمر قسمه، وصدق ظنه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠]، ومما وُجِد بخط شيخنا رحمه الله تعالى ورضي عنه.

فائدة: العبودية للعامة هي غاية التذلل لله تعالى، والعبودية للخاصة هي تصحيح القصد في السلوك إلى الله تعالى، والعبودية لخاصة الخاصة هي شهودهم القيام به في عبوديته، فيعبدون الله في مقام أحدية الفرق والجمع.

فائدة: عبد الله تعالى هو الذي تجلى له الحق تعالى بجميع أسمائه، فلا يكون أرفع مقاماً ولا أعلى شأناً منه، لتحققه بالاسم الأعظم، واتصافه بجميع صفاته، ولهذا خص الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بهذا الاسم في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[الجن: ١٩]، فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة إلا له، وللأقطاب

من ورثته بتبعيته، وإن أطلق على غيره مجازاً، لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية وأحدية جمع الأسماء، والله أعلم.

المسألة الخامسة عشرة بعد المائة

كل ما كان للعبد كسباً، فالحق هو القائم به، ولكن فيه ظلمة الكسب.

المسألة السادسة عشرة بعد المائة

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝﴾[الفاتحة: ٥]، إشارة إلى تحلية النفس بالعبادة مع الإخلاص، وإنه لا يستحق العبادة سواه، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝﴾ إشارة إلى تزكية النفس عن الشرك والالتفات إلى الحول والقوة.

فائدة: ما تجلى الله لشيء فاحتجب عنه بعد ذلك.

المسألة السابعة عشرة بعد المائة

الطاعة للعبد، والمسارعة إليها للمحب، والتلذذ فيها للعارف، والفناء فيها للمحققين.

المسألة الثامنة عشرة بعد المائة

العارف صاحب تجريد، والأعمال تجري منه، وهو عنها بمعزل، فليس له نسبة إلا أنهم محل لجريانها، وظهور أعيانها، فما زالت الأعمال عن عاملها، فلا يوصف بالقبول والرد، ألا ترى المتقي يحشر إلى الرحمن والعارف في الحضرة ما زال.

المسألة التاسعة عشرة بعد المائة

العمد التي قامت بها السماء، إنما هو الإنسان الكامل.

المسألة العشرون بعد المائة

الواقف مع الكون محجوب عن العين.

المسألة الحادية والعشرون بعد المائة

أعظم العبادات عند الله ما أيدها الخيال "أعبد الله كأنك تراه"، وما أنت براءٍ والله أعلم.

المسألة الثانية والعشرون بعد المائة

قدرك عند الله قدره عندك، رأى بعض الصالحين رجلاً سأله مسكين معروفاً؛ بالله، فأخرج صرة فيها قطع فضة كبار وصغار، فأخذ يفتش على أصغر قطعة فيها حتى يدفعها للسائل، وكان مع ذلك الصالح رجل صالح آخر فقال: يا أخي تعرف على ماذا يفتش هذا؟ وقال: قل، فقال: هذا سُئل بالله، فأخذ يفتش على قدره عند الله، فعلى مرتبته يفتش، ثم رد وجهه للمعطي فقال: على كون ما تهب لوجهه يكون وجهك عنده، فكبّر أو صغّر وعظّم أو حقّر، والله أعلم.

المسألة الثالثة والعشرون بعد المائة

إذا شرع الإنسان في العمل فهو بين القبول والرد، فإما وإما، وإذا رضي العبد بين يدي ربه وطرحها عند بابه فقيراً ذليلاً، فهو مرحوم بلا شك، واعلم أن الفقر من الله ذل لازم، والفقر إلى الله عز دائم، فالفقير من الله خائف من كل شيء، والفقير إلى الله ما عنده خوف من شيء، والله أعلم.

المسألة الرابعة والعشرون بعد المائة

عندنا جميع المخالفات كبائر، فإن الذي يُعصى بها واحد، واعلم أن الحق تعالى خلق الخلق لينظروا إلى قبائح الدنيا، ومحاسن الخلق، فيؤديهم إلى الزهد في الدنيا، وحسن الظن بالناس، فعكس الناس القضية: نظروا إلى محاسن الدنيا ورغبوا فيها، وإلى قبائح الناس فاغتابوهم ومقتوهم، ومن حصل له هذا التنَزّل من جانب الحق يجد له حلاوة ما رآها قط، وتورث عنده شكراً، وأشهد أني قد بقيت في لذتها أياماً كثيرة، الله أعلم.

المسألة الخامسة والعشرون بعد المائة

نهر طالوت نهر ملوي، فهو نهر الدنيا من أخذ للقوت منها لم يتعد، فتلك الغَرْفة إذا اغترفها كسباً بيده، فإن تجرد عن الكسب، فهو قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾[البقرة: ٢٤٩]، فقوت المتجرد ليس من الدنيا، لأنه ما أخذ من النهر شيئاً، فما أحسن هذا التنبيه الإلهي، ومن شرب منه وأمعن فيه زائداً على الضرورة والكسب، فليس مني، وليس على المتجرد تقييد في الاتساع من فضل الله، فيشرب ويروي من جود الله المطلق الذي لم تدنسه أيدي المحدثات بالكسب، فمن فهم هذه الإشارة علم ما بين الرزقين، وأدرك الفصل بين النوعين، والله أعلم.

المسألة السادسة والعشرون بعد المائة

في معنى قوله ﷺ: "السلام أمان، فمن سلم عليك فقد أمّنك مما تحذره منه، والسلام علينا مشروع في التشهد في الصلاة"، فأَمنا به من شر أنفسنا، ولما خاف الإنسان من نفسه أن توروده الموارد المهلكة أمنه الله من ذلك في التشهد في الصلاة، فشرع أن يقول: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، وشرع لنا أيضاً أن نصلي ونسلم على النبي الظاهر بأسماء الله، فأمنك بذلك من اسمه المنتقم، ونظائره من الأسماء الإلهية والله أعلم.

المسألة السابعة والعشرون بعد المائة

إن عامل الحق عباده بالسخاء فقد نجوا، وحصلت لهم السعادة، وإن عاملهم بالكرم فقد حصلوا على خير عظيم، وإن عاملهم بالجود ضاعف للسعيد، وأسعد الشقي، وصيَّر جهنم دار نعيم على أهله، وإن عاملهم بالوهب فبخٍ على بخٍ، فهو الحكيم العليم، والله أعلم.

المسألة الثامنة والعشرون بعد المائة

لا يتكرر الحساب من الكريم، فمن حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسب في الآخرة، ومن كرمه عزّ وجل أن جعلك تحاسب نفسك في الدنيا، ما كلف أحداً يحاسبك، فجعل لك ما أخره في حق غيرك

من قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾[الإسراء: ١٤]، والسعيد من إذا صلّى العشاء الآخرة وجعل صحيفة أعماله في ذلك اليوم بين يديه، ونظر فيها، فإذا رأى ما يطلب الشُكْر شَكَر، وما يطلب الاستغفار استغفر، وما يطلب التوبة تاب ثم يطوي صحيفته، وينام على شكر واستغفار وتوبة، يفعل هذا كل ليلة، فإنه لا يدري متى يفجؤه الموت، والله أعلم.

المسألة التاسعة والعشرون بعد المائة

الراحة كل الراحة إذا بعثت أحداً في حاجة فلا تنتظر وصوله إليك بها، ولو غاب سنة، وإذا جاءك لا تقل له ما الذي أبطأك؟ فإن جاء بحاجتك فما أبطأ بها إلا وقتها إلى من بعثته، وإن لم يجئ بها فاعلم أن وقتها ما جاء، تكون مستريحاً من تعب الانتظار، والله أعلم.

المسألة الثلاثون بعد المائة

أطلب من الله أن يقوم مقامك بعد الموت "فإن ابن آدم إذا مات انقطع ذكره إلا من ثلاث: صدقة جارية عليه أو علم يبثه في الناس، أو ولد صالح يدعو له"، والله أعلم.

المسألة الحادية والثلاثون بعد المائة

النفس مجبولة على طلب المنافع، ودفع المضار، فاسأل ربك المنفعة العامة، وليس إلا أن يزول الألم، وترزق الالتذاذ بكل ما يجري عليك، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية والثلاثون بعد المائة

اعلم أن اللطيف المركب مع الجسد الكثيف سمي الروح، وهو جسم لطيف سارٍ في جميع أجزاء البدن وذراته محمول على بخار الدم اللطيف، ويسمونه – الأطباء – روحاً، والأغذيةً تمده والبخار الغريزي يحفظ نظامه، والرطوبة الأصلية متممة لقوامه، ويموت بموته البدن، ويدثر بدثوره، وينمو أو يزيد، ويضمحلّ ويبيد، وهو في الحيوان والإنسان، واعلم أن هذا اللطيف والحي موجود في النبات والحيوان والإنسان وفي كل حي متحرك ذي نفس سائلة، وإنها غير الروح الإنساني وغير نفسه الناطقة، وغير روح الحيوان ذات الحس والحركة، وإن النبات بها يحيا ويتغذى وينمو، وتسمى هذه الروح النامية لا الحساسة، ولا غيرها، والله أعلم.

المسألة الثالثة والثلاثون بعد المائة

اعلم أن هذا الجنس الروحي يتنوع إلى تسعة أنواع: الأول روح كلية حاملة نظام العالم بأسره كلياته وجزئياته، وتسمى هذه الروح، الروح الطبيعية الفاعلة المنفعلة القائمة بكل شيء قياماً على ما ذلك الشيء به، الثاني روح المعدن وتسمى الخاصة للمعدن والنبات والحيوان والإنسان. الثالث روح كلية مخصصة لكل نوع وكل شخص من أشخاصه بخواص يتميز بها عن غيره، الرابع روح النبات، وهي النفس النامية بها نموها، ونمو الحيوان والإنسان، الخامس روح الحيوان وتسمى الروح الحيوانية ولها الحس والحركة، وهي في الإنسان وفي الحيوان، إذ بها يتحرك الحيوان، ويحس المحسوسات الخمس، وليس ذلك للنبات ولا للمعدن، السادس روح الإنسان وهي النفس الحيوانية الكاملة الإحساس

والحركات، والتي آلاؤها الأوصاف الحيوانية، كالمحبة، والبغض، والخوف، والطمأنينة، والإقبال، والإدبار، والطلب، والهرب، والشهوة، والكراهية، وسائر صفات الإنسان الحيوانية، محمودها ومذمومها المتفرقة في أنواع الحيوان بالطبع والخاصيّة والمجموعة في الإنسان بالقصد وبالخاصية بالطبع، وهذه الروح إذا انحل تركيب الإنسان ذهبت عنه وبقيت فيه الروح الكلية الحاملة للنظام والمسماة الطبيعية الفاعلة المنفعلة فقط، السابع روح مختصة بالإنسان تسمى النفس الإنسانية المشتركة بين الحيوانية من الإنسان وبين الناطقة منها، وهي المتصفة بالفضائل والرذائل، وليست بموجودة في الحيوان ولا النبات ولا المعدن، وسميت مشتركة لكونها بصفاتها متوسطة بين الروح الحيواني في صفاته، وبين النفس الناطقة في صفاتها، الثامن روح الإنسان الخاصة به، ويسمى النفس الناطقة، وهي في الإنسان دون المولدات الثلاث: وهي جوهر حي درّاك شاعر ببعض المغيب، عالم لبعض ما في المستقبل بالاستقراء، شيق إلى معرفة المبدع له، فاعل بقواه ما لا تفعله أرواح المولدات وقواها، ولهذه النفس الناطقة سبع خواص باطنة هنّ: قوى ظاهرة بالدماغ، فلها خمس خواص ظاهرة وقلبية مشتركة الدروك بين قواها، وقوى النفس الحيوانية، فأما أسماء الخواص الباطنة الدماغية التي مظاهرها بطون الدماغ، قوة تسمى الحس، المشترك مظهرها أول بطن من بطون الدماغ بمقدم الرأس، وقوة التخيل بمؤخر هذا البطن، ومظهرها فيه أيضاً، وبهاتين القوتين يشعر الإنسان بسائر المعلومات المرتسمات فيها، وسائر الأشياء المتخيلات حقاً كانت أو باطلاً، صدقاً وكذباً ممكنة الكون أو مستحيلة، هذا دأب هاتين القوتين، ثم البطنِ الوسط من بطون الدماغ الثلاثة مظهر للقوة المفكرة العاقلة الداركة المثبتة للحق حقاً، وللباطل باطلاً، وللصدق صدقاً، وللكذب كذباً، والقاضية في الخيال بما يجب، وبما يجوز، وما يستحيل، ومظهرها وسط الوسطى، وهي محبوسة في هذا البطن، بالظهور بين قوتي مظهرهما به كذلك: أحدهما القوة المتوهمة بها، التوهم والوهم في الأشياء، والتردد والتشكك، وهذا البطن الذي يلي المتخيلة، والثانية تسمى القوة الفاهمة، وهي في الطرف ومن البطن، كذلك مما يلي مؤخر الدماغ، وبهذه تُفهم الأشياء على اختلاف أحوالها وتفهم المعاني والمعقولات، ثم البطن الآخر، وبه قوة الذكر وتسمى الذاكرة وهي مما يلي الفاهمة، بها التذكر لكل منسي، وكل شيء كان علمه قد تقدم، وآخر هذا البطن مظهر للقوة الحافظة بها يحفظ الإنسان العلوم والمعلومات وسائر المتحصلات لباقي القوى المذكورة، فكأنما الحس المشترك، قناص يحتوش باقتناصه على سائر المعقولات والمحسوسات، وكأنما المتخيلة ناقد معتبر لكل ما في شبكة الحس المشترك من صيد، وهاتان القوتان بمنزلة الشياطين والفسّاق الماردين، وكأنما القوة المفكرة ملك كريم، وبشر عليم حليم، ورجل جامع للخير والفضل، وقوة الوهم حاجب بين يديه يعرض القصص عليه، وقوة الفهم كاتب حاسب لبيب ضابط يكتب أحسن ما يسمع، ثم يلقيه إلى القوة الذاكرة فتحصله في ذكراها، ثم تلقيه إلى القوة الحافظة التي هي بمنزلة اللوح، أو الأمين الخارق، وكأنما هاتان القوتان: ملائكة كرام لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وأما الحواس الظاهرة، فالقوة الباصرة، ومظهرها العين المنظور بها أنوار الكواكب، ونصف دائرة الفلك توهماً، وما بين ذلك، وبين الباصرة، ثم القوة السامعة ومظهرها صماخ الأذن، ومدى سمعها ذاكرة محيطة من سائر الجهات بحسب قوتها وضعفها، ثم القوة الشامّة ومظهرها الأنف والمنخر، ومدى مشامها من جهة قصد الهواء إليها بحسب قوة المشموم وضعفه، ثم القوة الذائقة ومظهرها رأس اللسان، وجانباه القريبان من رأسه، ومدى

المذاقةِ ما ماس رأس اللسان دون الفم كله، ثم القوة اللامسة ومظهرها سطح البدن والجلد كله باختلاف في أجزائه كلمس الشيء بالرجل ناعماً معتدل الحرارة، وبالكف خشناً حاراً، أو بالخد الخشونة والحرارة، وهذه الحواس مشتركة بين الإنسان والحيوان في الإحساس بها، وهي في الإنسان أزيد إلا حاسة الشم، فإنها في الحيوان الساعي أقوى، وكذا حاسة البصر، فإنها في الطير أقوى لشدة الحاجة من الحيوان إلى البصر والشم. النوع التاسع روح الأرواح، وتسمى هذه الروح العقل الإنساني الهيولاني، والجوهر المفارق، والملاك الكروبي ذو التدبير في المملكة الإنسانية، والقابل للفيض الإلهي أو الوحي الإلهامي، والتكليم الرباني، والخطاب العلي المسموع بواسطة حجاب ما، من الحجب المعنوية الروحية، أو مكافحة رسول من الملائكة الأقدسيين النورية، أو وحي بنفث في الروع، أو قول عام باللسان المنطلق، ولهذا الجوهر المفارق مادة الثبوت بحسب مرتبته الجوهرية، وهو المخلوق في أحسن تقويم وفيه نُظم شعر:

وهـــو الخليفـــة حاكمـــاً ومحكمـــاً	**متصـــــرفاً بالعـــــدل والإنصــــاف**
ولأجلـــه كـــان الجميـــع لأنـــه	**هـــو صـــاحب الأســـماء والأوصـــاف**
فاعرفـــه مخلوقـــاً تعـــالى ربـــه	**عنـــه وهـــذا فـــي العبـــارة كـــافي**

وهذا لا يموت بموت البدن، بل يبقى حياً مجرداً مرتسمة فيه وله، فالنفس مكتسباته ومستفاداته ومعلوماته أبداً مبتهجاً بذاته المستعدة لقبول الفيض العلي، والمادة الثبوتية، وإن علمه وعالمه ومعلومه واحد، وإنه في حفظ الناطقة بالإمداد لها، والتجلي كحفظها هي لنظام النفَس الحيواني، وكحفظ البدن بالنفَس الحيواني على ما اقتضته الحكمة الإلهية، والله أعلم.

(فائدة للإمام العارف، الوارث المحمدي قدس الله سره في معرفة التعلق والتحقق والتخلق) قال ﵁ وعنَّا به: اعلم أن التعلق هو افتقارك للأسماء الحسنى من حيث هي دالة على الذات، والتحقق معرفة معانيها بالنسبة إلى الحق سبحانه وتعالى، والتخلق: أن تنسب إليك ما يليق بك، كما تنسب إليه سبحانه ما يليق به، فالاسم:

الله: افتقارك إليه من حيث الجمع مما يجوز على الحد المشروع، من غير تخصيص شيء بعينه.

الرحمن: افتقارك إليه في تحصيل الاسم بجهله منك عالم الخلق دون عالم الأمر.

الرحيم: افتقارك إلى هذا الاسم في تحصيل الرحمة الخاصة، التي هي سعادة الأبد.

الملك: افتقارك إلى طلب التأييد من الملك الحق سبحانه فيما هو مستخلفك فيه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠] "وكلكم راع".

القدوس: افتقارك إلى هذا الاسم في تقديس ذاتك عما قيل لك تنزّه خُلُقاً وفعلاً.

السلام: افتقارك إلى هذا الاسم بسلامة ذاتك من وقوع ما يلحقك بالغيب، وإن رفع فمن بقائه واستحكامه.

المؤمن: افتقارك إليه في أن يعطيك التصديق بما جاء عنه، وتكون مصدقاً فإن معناه المصدّق، وافتقارك إليه في أن يعطيك قوة بها تحصل الإيمان في كل نفس من جهتك على حسب ما يليق من الغرض والمآل والذم.

المهيمن: افتقارك إليه أن يجعلك من أمة محمد ﷺ المصدقين به.

العزيز: افتقارك إلى أن يكون الحق سمعك وبصرك.

الجبار: افتقارك إليه في تحصيل الأمر المؤثر في انقياد الأمر إليك من جوارحك وباطنك، وكل من تعلقت إرادتك بحمله على ما تريد.

المتكبر: افتقارك إليه أن ينسيك هذه المرتبة من حيث أنها حقيقة لك، مجاز عنده.

الخالق: افتقارك إليه في الإصابة في التقدير وافتقارك إليه أيضاً في المعونة على إيجاد ما كلفك من الأعمال.

الباري: افتقارك إليه كافتقارك إلى الخالق الذي هو بمعنى الموجد، وافتقارك إليه أيضاً كافتقارك إلى السلام فهو جامع.

المصور: افتقارك إليه في تصوير المعاني التي إذا قامت بك أنزلتك عليه.

الغفار: افتقارك إليه في ستر يحفظك ويحميك بستر من شقاوة الأبد.

القهار: افتقارك إليه في النصرة والتأييد.

الوهاب: افتقارك إليه في رفع الأغراض في نفس الأعمال.

الرزاق: افتقارك إليه في قيامك في العالم به، ليحتاجوا إليك في بقاء ذواتهم.

الفتاح: افتقارك إليه أن يهبك المفاتيح على اختلاف صنوفها، ويعطيك الإذن باستعمالها.

العليم: افتقارك إليه في تعيين ما يصح أن تكون متخلقاً به من هذا الاسم.

القابض: افتقارك إليه في حسن الأدب، فيما تقبضه من العطايا والمواهب حساً ومعنى، وافتقارك أيضاً فيما تقضيه للغير مما أنت مستخف فيه على الحد المشروع.

الباسط: افتقارك إليه في أن يجري على يديك ما فيه إفراح العباد، بما لا تنتهك فيه حرمة مشروعة.

الخافض الرافع: افتقارك إليه في التوفيق في إقامة الوزن لك، وعليك في العالم، وبينك وبين الحق.

المعز المذل: افتقارك إليه في إقامة حياة من استند إليك، وإذلال من تكبّر على الله لا عليك.

السميع البصير: افتقارك إليه في نفوذ هاتين القوتين إطلاقاً من غير تقييد، بأن تسمع ما أمرت أن تسمع فيه، ومنه أن تبصر ما أمرت أن تبصر فيه، وإليه ندباً ووجوباً، فإذا منحت ذلك أحبك الله، وكان سمعك وبصرك كما ورد في الصحيح.

الحكم: افتقارك إليه ليوفقك على سر القدر بحكمه في الخلائق.

العدل: افتقارك إليه في تحصيله وتعيين محال تصريفه.

اللطيف: افتقارك إليه سبحانه في أن يطلعك على خفي أفضاله لتشكر مُظهرها.

الخبير: افتقارك إليه في أن يطلعك على ما في علمه فيك قبل كونك.

الحليم: افتقارك إليه في إمضاء الهمّة، والتمكن من فعلها، حيث توجّهتْ.

العظيم: افتقارك إليه في أن تكون عظيماً عنده لا عند الكون إلا أن تكون مبلغاً عن الله أمراً، فتحب أن تقابل بالاحترام، وتثبت عظمتك في قلوب السامعين، ليتلقى أمر الله بالحرم، فتكون في هذا الطلب والافتقار إليه ساعياً فيه في تعظيم الحق تعالى عند الكون، لا في تعظيم نفسك.

الغفور: افتقارك إليه في إسبال الستر مطلعاً بينك وبين ما تتوقع وقوعه بك من الضر على ما أجراه فيك مما تتعلق به الذمة حساً ومعنى.

الشكور: افتقارك إليه أن لا يحجبك عن ملاحظة رؤيته فيما أنعم به عليك، قال لموسى عليه السلام: اشكرني حق الشكر، قال: كيف أقدر على ذلك؟ قال: إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر.

العلي: افتقارك إليه في تحصيل درجة في القرب منه ليس فوقها درجة ينالها سواك.

الكبير: افتقارك إليه في كمال ذاتكَ بتجلّيك بكبريائه في علمك.

الحفيظ: افتقارك إليه في حفظ ذاتكَ، وطلب التأييد في حفظ غيرك.

المقيت: افتقارك إليه في أن يهبك صفة واحدة تقابل بها أحوالاً مختلفة، لما فيها من القوة.

الحسيب: افتقارك إليه في أن يعينك على محاسبة أنفاسك وافتقارك في أن يرزقك كفاية في القيام بما كلفك، حتى يكون فيك اكتفاء بذلك.

الجميل: افتقارك إليه في أن يطلعك على حسن تجليه فيك في خُلقك وخَلقِك، فلا ترى في كونه فعلاً من أفعاله إلا ورأيته حسناً جميلاً: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النمل: ٨٨].

الجليل: افتقارك إليه في أن يهبك المقام الذي إن رام أحد الوصول إليك فيه لا يستطيع، وافتقارك أيضاً أن يرزقك من التواضع إلى حد أن يمكن منك أصغر الموجودات وأحقرها بقدر وسع طاقته لطفاً بك، ورحمة به.

الكريم: افتقارك إليه أن يهبك مكارم الأخلاق ويمنع عنك سفاسفها.

الرقيب: افتقارك إليه في طلب مراعاة حدوده من غير سهو.

المجيب: افتقارك إليه في قبول الدعاء وأن يرزقك ألا تدعوه بما نهاك أن تدعوه به فيه.

الواسع: افتقارك إليه في أن يسعك كل شيء، وأن تسعك رحمته المقيدة، وإن كان التقييد صفتنا لا صفته، ولكن يجب على الإنسان أن يرغب فيما رغبه فيه، فإنه قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف: ١٥٦]، فقيدها، فكأني سألت أن أكون من المتقين.

الحكيم: افتقارك إليه في أن يرزقك وضع الأشياء في مواضعها، وترتيب الأمور في محالها، وأزمانها وأمكنتها.

الودود: افتقارك إليه في إثبات وده، وود من أمر بوده في نفسك.

المجيد: افتقارك إليه في تشريف ما أثنى عليه من الصفات.

الباعث: افتقارك إليه في أن يرزقك الإفادة عن همة مؤثرة في المستفيد حالاً.

الشهيد: افتقارك إليه أن يرزقك مشاهدته حيث كانت، وأن يرزقك الحياء منه.

الحق: افتقارك إليه ألا تنطق إلا بحق، ولا تمشي إلا بحق، ولا تتحرك إلا بحق، ولا تسكن إلا بحق.

الوكيل: افتقارك إليه أن يوفقك أن تتخذه وكيلاً.

القوي: افتقارك إليه في ظهورك على من قاومك، فيما تريد أن تفعله مما أمرت به، فتمانع في ذلك.

المتين: افتقارك إليه في الحفظ والعصمة عن تأثير شيء فيك منك، أو من غيرك.

الولي: افتقارك إليه في أن يجعلك من أوليائه.

الحميد: افتقارك إليه في أن يجعلك محموداً من جميع الوجوه.

المحصي: افتقارك إليه في إحصاء ما أنت عليه مما أمر الحق به من حفظه.

المبدئ: افتقارك إليه في خلاص النية فيما تظهره من الأعمال، وتنشئه على طريق القربة إلى الله تعالى.

المعيد: افتقارك إليه سبحانه وتعالى في المداومة فيما أمرك بفعله من العبادات.

المحيي: افتقارك إليه في إحياء قلبك بحياة العلم، وجوارحك بحياة الطاعات.

المميت: افتقارك إليه في أن يعصمك أن تكون ممن أمات قلبه لغفلة عن ذكر الله، وما في ضمنه.

الحي: افتقارك إليه في اتصال حياتك بالحياة الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨] وقال: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران: ١٦٩].

القيوم: افتقارك إليه أن يرزقك المعونة فيما أمرك به من القيام على ما كلفت القيام به.

الواجد: افتقارك إليه أن يهبك حالاً لا عدم تعيين حاجة.

الماجد: افتقارك إليه في إعطاء شرف ما من غير تعيين.

الواحد: افتقارك إليه في أن يجعلك وحيد وقتك في همك به وهمتك.

الأحد: افتقارك إليه أن يفهمك: أن لا ترى معه سواه في الظاهر والباطن، فتفهم معنى حديث: "كان الله ولا شيء معه".

الفرد: افتقارك إليه أن يهبك معنى تنفرد به في تجريد تفريد توحيد ذاتك، كي لا ترى معه غيره، آخذ بناصيتك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[هود: ٥٦].

الصمد: افتقارك إليه أن يجعل الفرج بيدك، حتى تكون ملجأ لكل وارد من الحق تعالى، ومن الخلق، وأن تكون في حال تركيبك من الطهارة على ماكنت عليه قبل وجودك.

القاهر: افتقارك إليه أن يهبك معرفة تعرف بها خفيّ مكره، وعظيم سطوته، وأنه لا قيد له ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾[غافر: ٦٨].

القادر: افتقارك إليه أن يرزقك التمكين مما أمرك الله تعالى به من الأفعال.

المقتدر: افتقارك إليه في استعمالك مما أمرت به.

المقدم المؤخر: افتقارك إليهما في أن يجعلك من السابقين المقربين، وأن يعصمك من التأخر عن هذه المسابقة والتقريب.

الأول والآخر: افتقارك إليهما أن يجعلك أولاً في التقدم إلى الطاعات، وآخراً في الانفصال عنه، إذ كانت محددة بمكان وزمان، أو هيئة، كالدخول والخروج والانتشار.

الظاهر الباطن: افتقارك إليه في أن يظهرك في المواطن التي يرتضيها، ويسترك في المواطن التي يرتضيها.

الوالي: افتقارك إليه في إجراء العدل، وإسباغ فضله على من جعل أمره تحت ولايتك.

المتعالي: افتقارك إليه أن يرزقك التواضع فإنه "من تواضع لله رفعه الله".

البر: افتقارك إليه في أن يجعلك ممن أحسن عبادته على الوجه المشروع.

التواب: افتقارك إليه في كل حال أن يعصمك من نقمته، وإن كانت مستلذة.

العفو: افتقارك إليه في أن يعفو عنك فإنه عفوٌّ يحب العفو.

الرؤوف: افتقارك إليه أن يجعل في قلبك رأفة ورحمة بنفسك وغيرك.

مالك الملك: افتقارك إليه في أن يشغلك بعبوديتك في ربوبيته عما ملّكك.

ذو الجلال والإكرام: افتقارك إليه أن يجعلك محلاً لتعظيمه وإكرامه.

المقسط: افتقارك إليه في أن يجعلك ممن عدل في أحكامه.

الجامع: افتقارك إليه في أن يجمعك عليه فإنك عبد آبق شارد.

الغني المغني: افتقارك إليه أن يشغلك به عن سوى له لا ليعطيك، وافتقارك إليه أيضاً إذا ردك إليك أن تفيض على غيرك مما أعطاك من هذين الاسمين، فتستغني وتُغني.

المعطي: افتقارك إليه أن يهبك لذة قبول العطاء الإلهي فتنال به لذة العطاء بحسب ما أعطيت لمن أعطيت ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ ﴾[ص: ٣٩].

المانع: افتقارك إليه في أن يرزقك الذب عن دينه وحمايته مما يؤدي إلى إفساده.

الضار النافع: افتقارك إليه في دفع ما يضرك في دينك ودنياك وأخراك حساً ومعنى.

النور: افتقارك إليه أن يجعلك نوراً يهتدي بك الهادي، وافتقارك إليه في الهداية من عنده فيما يوصل إليه، مما فيه سعادتك.

البديع: افتقارك إليه في نفس المماثلة في علو المقام عند الله تعالى في جنسك الباقي، وافتقارك إليه في أن يجعلك ممن استمرت حالاته على أسباب السعادة والنجاة من كل مكروه.

الوارث: افتقارك إليه في أن يوفقك للاقتداء بسنّة نبيه محمد ﷺ.

الرشيد: افتقارك إليه في أن يرشدك إلى ما فيه سعادتك.

الصبور: افتقارك إليه في أن لا يزيل عنك نعمة من عافية في دينك ودنياك وآخرتك، والله أعلم.

المسألة الرابعة والثلاثون بعد المائة

سئل الإمام علي كرّم الله وجهه: هل عرفت الله بـــ(محمد)؟ أم عرفت (محمداً) بالله؟ فقال كرّم الله وجهه: لو عرفت الله بمحمد لما عبدته، ولكان محمد أوثق في نفسي من الله، ولو عرفت محمداً بالله لما احتجت إلى رسول الله ﷺ، ولكن الله عزّ وجل عرّفني نفسه كما شاء بلا كيف، وبعث محمداً ﷺ بتبليغ أحكام القرآن، وبيان معضلات الإسلام والإيمان، وإثبات الحجة، وتقويم الناس على منهج الإخلاص، فصدقته لما جاء به. انتهى.

المسألة الخامسة والثلاثون بعد المائة

للشيخ محيي الدين قُدس سره: لا يلزم للراضي بالقضاء أن يرضى بالكفر والمعاصي والمخالفات، فإنها كلها مقضية، وما هي عين القضاء، والشارع أمرنا بالرضا بالقضاء لا بالمقضي، وهو اختيار الحق تعالى لا مختاره، وليس لك أن تقول: رضيت بما قضى الله لي من المخالفات، فإن (ما) هنا هي عين المقضي إلا أن تجعل (ما) زائدة، فحينئذ يجوز لك، والله أعلم وأرحم.

تم كتاب المسائل

كتاب ردّ المتشابه إلى المحكم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد بذاته وصفاته، المنزّه في أحديته عن مشابهة مخلوقاته. وصلواته على محمد عبده ورسوله، الموضح بسنته متشابه آياته. الباقي مدده لأوليائه بعد مماته كما كان لهم في حياته، على آله وصحبه الذين كان أحدهم إذا زاره في قبره سلّم عليه، ورفع يديه كما كان يرفعهما عند افتتاح صلاته وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد: فقد سألتني أرشدني الله وإياك عن أمر عظيم في هذا الزمان خطبه وعمَّ ضرره، وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة المنتسبين زوراً وبهتاناً إلى الحديث والفقه، وأشاعه في العامة والخاصة من اعتقاد ظواهر الآيات المتشابهة في أسمائه تعالى وصفاته، من غير تعرُّضٍ لصرفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه، ويوهم التشبيه والتجسيم، ويزعم أنه في ذلك متمسك بالكتاب والسنة، وماشٍ في طريقة السلف الصالح، ويشنع على من تعرض إلى شيء منها بتأويل، أو صرفه عن ظاهره بدليلٍ، إلى ما تعارف في عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وبنسبة في ذلك إلى مخالفة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، لكونهم ما نقل عنهم التعرض لشيء من ذلك، وقد ضلّ وأضل كثيراً، وما يضل به إلاَّ من هو قاصر الفهم ضعيف النور.

وحيث سألتني عن ذلك، ورغبت في إملاء شيء عليك، فلا بد من الإجابة على سبيل النصيحة لله تعالى ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم رضي الله عنهم أجمعين.

فاعلم أمدني الله وإيّاك بمدد توفيقه أن من أجلّ مِنَحِ الله تعالى على عبده:

طهارة قلبه وسلامة فطرته، وقلة منطقه، فإنه بذلك يلقن الحكمة، ويسمع هواتف الحق في كل نفس من أنفاسه، ويضيء له في ليل المتشابه مصباح المحكم، فيرسخ قدم صدقه في معرفة ربه سبحانه، ويحيي بلده الطيب بغيث الهدى والعلم، فيخرج نباته بإذن ربه: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، ويسلك بنحل أفكاره سبل الاستقامة، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.

وقد كان للصحابة رضي الله عنهم من هذا المشرب أصفاه وأعذبه، ومن العلم بالكتاب والسنّة أزكاه وأطيبه، وكيف لا يكونون كذلك وقد تليت عليهم آيات الله وفيهم رسوله، ولهم من الاعتصام بالله ما ضمنت لهم به الهداية والاستقامة: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، يعلمون الناسخ والمنسوخ بالمعاصرة، وأسباب النزول بالوقائع، ويفهمون ما أودع في مواقع التركيب وأساليب البيان بالطباع، يردون ما اختلفوا فيه إلى الله والرسول، فيعلمه الذين يستنبطونه منهم، وهم الراسخون في العلم وأولو الأمر، يتدبرون القرآن ويردون المتشابه إلى معنى المحكم، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فلا اختلاف فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، ولأجل ذلك لم ينقل عنهم اعتناء بإيضاح آيات الأسماء والصفات، ولا أكثروا السؤال عنها بعدم

أشكالها بحسب لغتهم، ولاتساع مجال أفهامهم في معانيها الصحيحة، وكان من أدبهم ﷺ أن لا يثق أحد بفهمه في استيعاب المراد منها، فسكتوا، عنها مفوّضين إلى كل فهم صحيح ما منحه الله تعالى من الاتساع الموافق للغة والآيات المحكمة، كما في صحيح البخاري وغيره عن أبي جحيفة قال: "قلت لعلي كرّم الله وجهه: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة".

وفي بعض الروايات: "إلا ما يعطيه الله عبده فهماً في القرآن"، فلما انقطع بموته ﷺ عن ظواهر الأسماع مدد روح الوحي، وعفت عهود الوقائع بانقراض علماء الصحابة ﷺ، وضعف استنباط المتشابه من المحكم بمخالطة النبط وانعجم المعنى الواضح بملابسة العجم، وحصل التمريج في القلوب فزاغت وحجبت عن هواتف الغيب، وكثر الكلام فيما لا يعني، فقلّ أبناء الحكمة، فهنالك ظهرت أرباب البدع، وأشكل معنى المتشابه، فاتبعه من في قلبه زيغ، وكاد الأمر يلتبس لولا ما أيد الله به هذه الأمة من العلماء الوارثين، والسلف الصالح، فنهضوا لمناظرة أرباب البدع، وتخطئتهم، وحل شبههم، ونهوا الناس عن اتباعهم وعن الإصغاء إليهم، وعن التعرض بالآراء للمتشابه، وحسموا مادة الجدال فيه والسؤال عنه، سداً للذريعة واستغناء عنه بالمحكم، وأمروا بالإيمان به وبإمراره كما جاء من غير تعطيل ولا تشبيه وكان هذا في عصرهم مغنياً، لولا أن المبتدعة دوّنوا بدعهم ونصبوا عليها أشراك الشبه والأهواء المضلة، فوفق الله الراسخين من علماء السُّنة فدوّنوا في الرد عليهم الكتب الكلامية، وأيدوها بالحجج العقلية والبراهين المنيرة من الكتاب والسنة، إلى أن أظهر الله الحق على ألسنتهم، وقمع أهل الباطل والزيغ، وأطفأ نار البدع والأهواء، فجزاهم الله عن نصيحة هذه الأمة أفضل الجزاء.

ولنشرع في بيان ما سألته على سبيل الإجمال، ثم على سبيل التفصيل:

فاعلم هداني الله وإيّاك لما اختلف فيه من الحق بإذنه أن ربنا سبحانه وتعالى: حي، متكلم، عالم، مريد، قدير، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، أحدي فلا أين، ولا تركيب لذاته، أزلي فلا كيف ولا ترتيب لصفاته، أبدي فلا تناهي لجلاله وإكرامه، تنزه في سمعه وبصره وإدراكه وبطشه عن الجوارح، وعزّ في قدرته عن الشريك والمعين، وجلّ في إرادته عن الأغراض، وتفرّد في كلامه عن الحروف والأصوات، وتعالى في استوائه عن التشبيه والكون، وتقدس في علوه وفوقيته عن الجهات، ينزل بلا نقلة، ويجيء ويأتي بلا حركة، وتراه أبصار المؤمنين بلا إدراك ولا إحاطة، لا حد لقربه، ولا ميل لحبه، ولا ثورة لغضبه، ولا كيف له في رضاه وضحكه، ولا شفيعة إلاّ لمعيته، ولا وترية إلاّ بظهور قهره وأحديته، ولا بقاء إلاّ لأهل عنديته.

نفسه تعالى: ذاته وأُم كتابه.

ووجهه: نور توحيده عند إقباله.

وصورته: مظاهر تعرفاته.

وظلل غمامه، ويده، ويداه، وأيديه: أسماء حقائق، يتصرف بها في مخلوقاته.

وعينه، وأعينه: آياته المبصرة القائمة بالحفظ والرعاية للمخصوصين من عباده.

وقدمه: قدم الصدق الذي بشر به عباده المؤمنين.

وجنبه: صحبته وكلاءته للذاكرين من أتباع النبيين.

وهو الأول والآخر: فما من عرض ولا جوهر إلاّ هو مبدوء بأوليته، مختوم بآخريته.

وهو الظاهر: بحكمه في محكمه، الباطن بعلمه في متشابه آياته وحكمه.

ظهر بمعيته في باطن وتريته فنشأت أعداد مصنوعاته، وبطن بقدم أحديته في أسماء الحوادث، فرجعت بحقائق هوياتها إليه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[هود: ١٢٣].

لا شريك له في ملكه، وهو يؤتي الملك من يشاء، ولا مثل له في كنهه "وله المثل الأعلى" تقدس عن النظير في الدنيا والآخرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وتنزه عن الجهات ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[الأنعام: ٣]، وتعالى عن التشبيه وله الآيات المتشابهات يجتني معانيها أهل قربه في رياض جنات ذكره ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٢٥]. هذا ما فتح الله به على سبيل الإجمال.

وأما التفصيل: فلنقدم عليه مقدمة تكون بمثابة القاعدة والتمهيد له، وهو: أنه ليس في الوجود فاعل إلاَّ الله، وأفعال العباد بجملتها عند أهل السنة والجماعة منسوبة الوجود والاختراع إلى الله تعالى، بلا شريك ولا معين، فهي على الحقيقة فعله، وله بها عليهم الحجة ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومن المعلوم أن أفعال العباد لا بد فيها من توسط الآلات والجوارح، مع أنها منسوبة إليه وبذلك يعلم أن لصفاته في تجلياتها لعباده مظهرين: مظهر عادي سفلي، منسوب لعباده، وهو الصور والجوارح الجسمانية ومظهر حقيقي علوي منسوب إليه، وقد أجرى عليه أسماء المظاهر السفلية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لأفهامهم، والتأنيس لقلوبهم، ونبّه تعالى في كتابه على القسمين، وأنه سبحانه منزّه عن الجوارح في الحالين، فنبّه على الأول بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[التوبة: ١٤]، وذلك يفهم أن كل ما ظهر على أيدي العباد، فهو منسوب إليه، وفعل له، وأن جوارحنا مظهر له، وواسطة فيه، فهو على الحقيقة الفاعل، بجوارحنا، مع القطع الضروري لكل عاقل، أن جوارح العبد ليست جوارح لربنا تعالى، ولا صفات له.

ونبّه على الثاني بقوله فيما أخبر به نبيه ﷺ في صحيح البخاري: "ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها" الحديث.

وقد حقق الله لنبينا ﷺ ذلك بقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، بعد قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وبقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، فنزل يد نبيّه منزلة يده في المبايعة وأخذ الصدقات والرمي في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وذلك كله يفهم أن العبد إذا صار محبوباً صارت أفعاله ناشئة عن أنوار علوية روحانية من عند ربه، تكون له بمثابة الجوارح، وأن الله سبحانه يكون له بواسطتها سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً، مع القطع الضروري أن الله

سبحانه لا يكون جارحة لعبده، ولكن سر الأمر في تحقيق ذلك: أن الله جلّت حكمته ضرب لنفسه في دوائر ملكه مثلاً بالقلب في دائرة بدنه، ومن المعلوم لكل أحد: أن المتصرف في دائرة بدنه هو قلبه، ونور شامل لجميع أجزائه، وروح الحياة منه شائعة في سائر أقطاره، وأن الجوارح مظاهر لأنوار القلب وتصرفاته، فبنوره تبصر العين، وتسمع الأذن، ويشم الأنف، ويذوق اللسان وينطق، وتلمس الجوارح وتبطش، مع العلم الضروري بأن الجوارح صفات للبدن، وليست صفات للقلب، ولا تعلق لها به، ولا تنسب إليه إلا نسبة الأتباع والعبيد للملك المطاع.

ثم أن القلب إن غلب عليه التوجه إلى عالم الشهادة تصرف بالجوارح، فصار يرى بالعين، ويسمع بالأذن، ويبطش باليد، وهو مثل قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ [التوبة: ١٤]، وإن غلب على القلب التوجه إلى عالم الغيب استتبع الجوارح، فصارت هي متصرفة به، فتصير العين تبصر بالقلب، وكذلك باقي الحواس والجوارح، وهو مثل قوله: "كنت سمعه الذي يسمع به"، إلى آخره فافهمه، فإنه بديع، وسيأتي إن شاء الله في التفصيل ما يؤيده ويزيده وضوحاً، وبهذا يتسع لك فهم ما جاء من الجوارح، منسوباً إلى أفعاله تعالى وصفاته، فلا تشتبه بعد هذا عليك، ولا تفهم من نسبتها إليه تشبيهاً ولا تجسيماً، بل تفهم أن مثل النسبة إليه فيها كمثل نسبة الجوارح للقلب، وإن ذاته المقدسة متعالية عن الاتصاف بها لأن الجوارح يلزمها الحدوث، وذاته تعالى واجبة القدم، وكل ما كان واجب القدم: استحال عليه العدم.

وإنما الروح الأصلي الذي هو منشأ عالم الأمر هو مصباح نور التوحيد، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [النحل: ٢]، وبهذا الروح يتجلى سبحانه لعباده بأسمائه وصفاته المحكمة والمتشابهة.

ومن المعلوم أنه قد ثبت قوة التطور في الصور المختلفة للملائكة، وهم من رقائق هذه الروح، فلأن يكون له قوة التجلي بأي صورة شاء أولى، وتصح نسبة تلك الصورة إلى الله لتجليه فيها، كما سيأتي تحقيقه في صفة المجيء والصورة وغيرها.

وها أنا إن شاء الله تعالى أشرع في تفصيل الصفات المتشابهة، وليس المقصود ذكر البراهين التي هي مدونة في الكتب الكلاميّة، وإنما المقصود "رد المتشابه إلى المحكم" على القواعد اللغوية، وعلى مواضعات العرب، وما كان يفهمه الصحابة والتابعون من الكتاب والسنة، وتلويحات وتصريحات من الكتاب والسنة. هذا تمام المقدمة، ولنشرع في التفصيل، مع بسط يد الفاقة والافتقار، عسى أن يهديني ربي سواء السبيل.

فصل الصورة

من المتشابه في الآيات التي يذكر فيها الصورة، والأولى تقديمها، لأنها اسم جامع لباقي الحقائق في غيرها، فما يصح في ذلك ما رواه البخاري وغيره من حديث الرؤية وفيه: "فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفونها، فيقول: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتى ربنا عرفناه، فيأتيهم في الصورة التي يعرفون، فيقول أنا ربكم، فيقولون: نعم، أنت ربنا فيتبعونه"، وقد

ثبت ذكر الصورة في حديث أبي سعيد أيضاً، وهو من الأحاديث المتشابهة، ومرجعها إلى الآيات والأحاديث المحكمة، وكل من له من الله نور، له في مرجعها إلى المحكم فهم على حسب نوره.

ونحن إن شاء الله نذكر مبلغ علمنا وفهمنا فيه، ونسأل الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه.

فاعلم: أن للصور التي يأتي فيها ربنا يوم القيامة حقيقة ومظهراً، فالحقيقة هي الظلة في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فعلم بذلك: أن مظاهر تجليه لعباده هي ظلل غمامه، وحقائق هذه الظلل آياته التي تعرف لخلقه فيها بواسطة أنبيائه.

وقد ثبت في الصحيح تشخص حقائق آياته، كالظل، ففي مسلم وغيره من حديث أبي أمامة، وحديث النواس بن سمعان أن القرآن يوم القيامة يأتي تقدمه البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوتان. ومن المعلوم أن كلامه صفته، وصفته لا تفارقه.

فإذا ثبت إتيانهما في صورة ظل الغمام، ثبت إتيانه.

وفي مسلم وغيره: "أن أسيد بن حضير رضي الله عنه قرأ سورة الكهف ليلة، فجالت فرسه فإذا مثل الظلة فوق رأسه، فيها أمثال السرج، فسأل النبي ﷺ فقال: إن السكينة تنزلت للقرآن".

وفي رواية الترمذي "مع القرآن". وفي رواية "تلك الملائكة كانت تسمع لك" وذلك كله موافق لآية البقرة، ونفرة الفرس دليل على أنها ظلة محسوسة، وقد ثبت رؤيا النبي ﷺ للظلة، وذلك كله يحقق أن حقائق الظلل هي: آيات الله وشرائعه، وهي من الروح، كما قدمته لك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية.

والظلة قسمان: ظلة عذاب، وظلة رحمة.

وظلة العذاب: كظلة قوم شعيب في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾[الشعراء: ١٨٩]، وقد ضرب الله سبحانه المثل بذلك في القرآن، في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾[البقرة: ١٩] الآية.

وأما ظلة الرحمة: فهي آياته المقتضية للرحمة، النازل غيثها على قلوب المؤمنين، كما صحّ في البخاري ومسلم وغيرهما، وقوله ﷺ: "إن مثلي ومثل ما بعثت به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً" الحديث، فهذا هو مظهر الحقيقة.

وأما مظهر الصورة فهو العمل. وقد ثبت تشخيص الأعمال بصور شتى، كما في حديث البراء رضي الله عنه بإسناد صحيح، أخرجه المسانيد كالإمام أحمد وغيره: "إن المّيت المؤمن يفسح له في قبره مد بصره، ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول له: من أنت؟ فيقول له: أنا عملك الصالح، وإن الفاجر يمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك"، الحديث، وقد صح تمثيل الموت بصورة الكبش، وتمثيل المال بصورة الشجاع الأقرع، وتمثيل الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم بصورة الآدميين، والسنة مشحونة بنحو ذلك، ومن المعلوم أن الأعمال أعراض، فإذا ثبت ظهورها وتمثلها بصورة الجواهر والأجسام، مع القطع بأنها ليست جسماً ولا جوهراً، وأن الملائكة ليسوا بآدميين، فعلى مثل ذلك قس إتيان ربنا

سبحانه في صورة الأعمال، فالمقصود من ذلك كله تقريب المراد إلى الأفهام، وهو شائع في اللغة معروف في مواضعات العرب واستعمالاتهم، وإنه لا يلزم من إتيانه في صورة الأعمال أن يكون له تعالى صورة، ولا يلزم من نسبتها وإضافتها إليه أن تكون ذاتية له، كما قد ثبت نسبة اليدين والركبتين إلى جبريل عليه السلام.

ومن المعلوم: أن الركبتين واليدين التي جاء بها جبريل جسمانيات وليست ذاتية له.

وبهذا يعلم: أن رؤية العباد لربهم يوم القيامة مختلفة النعيم.

فكل يراه في صورة عمله، على حسب مراقبته وإخلاص توجهه إليه وصدقه في إقباله عليه.

تنبيه: إذا علمت أن حقيقة الصورة آياته التي تعرف بها إلى خلقه، فنزل على ذلك ما صح من أن الله خلق آدم على صورته فإن الإنسان قد جمع الله فيه كل حقائق الكائنات، فكان مظهراً لآياته الكبرى، الجامعة لجميع حقائق الآيات، المتجلية لخلقه بجميع أنواع الأسماء والصفات، فلذلك قبل تعليم الأسماء، وسجدت له ملائكة الأرض والسماء، أي أن الله خلقه على المثالية القابلة لتجلي صورة آيته الكبرى، وهي التي أريها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء، وحققها "روح لا إله إلاّ الله".

فصل الوجه

ومنها صفة الوجه، وقد جاء ذكره في آيات كثيرة، فإذا أردت أن تعرف حقيقة مظهره من الصورة، فاعلم أن حقيقته من غمام الشريعة: بارق نور التوحيد، ومظهره من العمل وجه الإخلاص ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الروم: ٣٠]، ويدل على أن وجه الإخلاص مظهره قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝﴾ [الليل: ٢٠]، والمراد من ذلك كله الثناء بالإخلاص على أهله تعبيراً بإرادة الوجه عن إخلاص النية، وتنبيهاً على أنه: مظهر وجهه، سبحانه، ويدل على أن حقيقة الوجه هو بارق نور التوحيد، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، أي إلاّ نور توحيده، وهو نور السموات والأرض، بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أعوذ بوجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة"، وبهذا يفهم سر قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

تنبيه: قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الرؤية "فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفون"، أي في ظلمة آيات العذاب، ومظهر الأعمال السيئات، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيستعيذون بالله من تلك الصورة، كما كانوا في الدنيا ينكرونها ويستعيذون منها.

وقوله: "فيأتيهم في الصورة التي يعرفون"، أي في مظهر أعمال البر، وظلة صفة الرحمة والنبوة التي كانت تحيي قلوبهم بغيث الهدى والعلم، فيقولون "أنت ربنا، يعرفونه بواسطة تعرفه لهم في الدنيا، تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة".

فصل الرؤية

ومنها صفة الرؤية، وقد جاء في غيرما آية، وفي أحاديث منها هذا الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "هل تضارون في رؤية القمر" وفي رواية "في رؤية الشمس".

فإذا ثبت تجليه تعالى في صورة روح الشريعة، لم يبق في رؤيته إشكال، وإنما عبّر بالقمر والشمس عن حقيقة الوجه، وهو نور التوحيد.

واختلاف الروايتين يجوز أن يكون تنبيهاً على اختلاف درجات الرائين في نعيم الرؤية، والمقصود: أن آيات الله: تتضح لعباده: فلا يكون بينهم وبينها حجب تمنعهم عن استكناه كنهها، والوقوف على بدائعها، ويجوز أن يكون باعتبار الرؤية في البرزخ في وجوده كالليل، وآيته القمر، والآخر كالنهار، وآيته الشمس.

قوله: "ليس دونها سحاب"، فيه ترقية لأهل المراقبة، وذلك لأن غالب أهل المراقبة لا يشهدون بقلوبهم عند العبادة والمراقبة إلاَّ ظلل آيات الشريعة، ويحجبون بسحابها عن شهود وجه ربهم، وهو نور توحيده، فإذا كان يوم القيامة: كشف الغطاء واحتد البصر، فيرون وجه ربهم كشمس ليس دونها سحاب الأعمال، ولا ظلل غمام الشرائع، بل هو أقرب إليهم من أعمالهم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[ق: ١٦] الآية.

تنبيه: وقد أنكر القاضي أبو بكر بن العربي في "الأحوذي" ثبوت نعيم الرؤية في الموقف، وقال: إن نعيم الرؤية لا تكون إلاَّ للمؤمنين في الجنة، وإن ما جاء من الرؤية في الموقف إنما هو على سبيل الامتحان والاختبار.

والذي نعتقده: ثبوت الرؤية ونعيمها للمؤمنين في الموقف على ما صح في الحديث وذلك صريح في قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة: ٢٢-٢٣].

تنبيه: لوجه ربنا سبحانه وتعالى رداء، وله حجب، وله سبحات.

فأما رداؤه فقد نبّه عليه ﷺ في حديث عبد الله بن قيس، عن أبيه "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب: آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"، فالرداء ههنا والله أعلم هو ما يحجب القلوب عن رؤية الرب، وهو أن يكون في قلبك كبرياء لغيره، فأهل الجنة ليس لهم مانع من نعيم الرؤية وشهود نور التوحيد، إلا رداء الكبرياء، فمن كبر في قلبه غير الله، من غرف أو تحف أو قصور، أو حور أو مأكول أو مشروب، أو شيء سواه حجب عن الله، ومن عرف الله صغر عنده كل شيء فارتفع عن بصيرته رداء الكبرياء لكل شيء، فشهد الله في كل شيء.

وبهذا يظهر لك سر افتتاح الصلاة بالتكبير، لأن الصلاة حضرة التجلي والمناجاة، والمراقبة لأنوار سبحات وجهه سبحانه وتعالى.

إثبات: صحّ في الحديث الصحيح أن غراس الجنة: سبحان الله، والحمد لله.

وفي الحديث "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قيل: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر".

وفي ذلك إشارة إلى أن نعيم الرؤية يحصل لأرباب القلوب في رياض جنة الأذكار، وعند المراقبة، وارتفاع رداء الكبرياء عن وجه التوحيد.

وأما حجبه: فقد ثبت في الصحيح أن "حجابه النور"، وفي رواية "حجابه النار"، وليس بين الروايتين تنافٍ.

ولك في تأويله سبيلان: أحدهما أن وجهه سبحانه هو الباقي ذو الجلال والإكرام، فله تجلّ بجلاله في حجاب النار، كما تجلى لموسى عليه السلام حين آنس من جانب الطور ناراً.

وله تجلّ بإكرامه في حجاب النور، كما تجلى لمحمد ﷺ ليلة الإسراء، في قوله ﷺ: "رأيت نوراً". وهذان الحجابان لأرباب الخصوص.

التأويل الثاني: وهو لأرباب العموم، يؤخذ مما قررناه أنه لا فاعل في الكون غيره، ولا هادي ولا مضل سواه، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣]، فوجه توحيده، هو الذي ينعم ويهدي بإقباله، ويعذب ويضل بإعراضه، وله في هدايته وإضلاله حجابان، فحجابه في هدايته النور، وهو آياته المتجلية للقلوب بواسطة شرائع رسله، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[المائدة: ١٥-١٦] وحجابه في إضلاله النار، وهي اكتساب الحجب المغشية للقلوب، الصادّة عن سبل الهدى والرشاد من وساوس الشيطان المخلوق من النار: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٤-١٥].

فقد تبين بذلك أن وجه توحيده، هو الهادي بإقباله في حجاب نور الاتباع للمرسل ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وأنه هو المضل بإعراضه في حجاب الاتباع لوساوس الشيطان، وأنه لا تنافي بين قوله: "حجاب النور"، وبين قوله: "حجاب النار"، وبذلك يفهم سر قوله ﷺ: "اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً"، إلى قوله: "واجعلني نوراً"، أي اجعلني من جميع الوجوه نوراً، دالاً عليك، وحجاباً يتنعم برؤيتي من أراد التنعم بحسن النظر إليك.

تنبيه: جاء في الصحيح "إن لله سبعين حجاباً من نور".

وذلك لا تنافي بينه وبين قوله: "حجابه النور"، لأنه جنس يصح لشمول الأفراد وإن تعددت. والحق أن حجب أنواره لا حصر لها، لأن ما من شيء إلا وهو حجاب من حجب وجه ربنا، وآية من آيات وحدانيته.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وبمثل ذلك يفهم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥] الآية، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥].

وبذلك تعلم أن ذكر عدد السبعين في حجبه، ليس للحصر.

قال الأزهري وغيره من علماء اللغة: "العرب تضع السبع موضع التضعيف، وإن جاوز السبع". وأصله قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية.

وأصل اعتبار هذا العدد في تضعيف حجبه: أن لله صفات ذاتيه، وهي: العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. فهذه سبع صفات ذاتية يتجلى سبحانه في حجب أنوارها بوجه توحيده، فكانت هي مبدأ التضعيف في حجب أنواره.

ثم لأعداد التضعيف ثلاث رتب: رتبة العشرة، ورتبة المائة، ورتبة الألف، وآيات صفاته في تجلياتها تتضاعف بكل رتبة في دائرة من دوائر ملكه، فإن تضاعفت برتبة العشرة كانت سبعين، وإن تضاعفت برتبة المائة كانت سبعمائة، وإن تضاعفت برتبة الألف كانت نهاية الكثرة.

وقد نبّه ﷺ على الثلاثة بقوله: "من همّ بحسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة". ووراء ذلك أسرار كثيرة: يمنحها الله لمن يشاء من عباده.

تبصرة: وأما سبحات وجهه سبحانه، فقد ثبت في الصحيح "لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

وقد أوّلها العلماء بجلاله، وهو تأويل صحيح، لكن وجه ربنا ذو الجلال والإكرام، فله بجلاله سبحات، وله بإكرامه سبحات.

وإذا أردت أن تجري في التأويل على وفق الاستعمال اللغوي، والقواعد التي مهدناها: فاعلم أن السبحات جمع سبحة، والسبحة في اللغة ما يتطوع به من ذكر، وصلاة وتسبيح ونحوها، مما لا يحصى أفراده.

وقد ثبت أن أنوار الطاعات حجب وجهه سبحانه، ونور الذكر شامل لجميعها، ومهيمن على سائر سبحات الإكرام والجلال، وقد قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[البقرة: ١٥٢].

فذكر الله لنفسه ولعبده: سبحة وجهه الشاملة لأنواع سبحاته، وذكر العبد له: نور حجابه.

فما دام العبد يشهد ذكره لربه، فوجه ربه متجل عليه في حجابه بسبحة ذكره، كما ثبت في الصحيح: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني".

ولا يزال العبد يذكر الله، وذكره له يبعده من شهود نفسه ونسبتها، ويقربه من شهود توحيد ربه، حتى ينكشف حجاب ذكر الله له، ويتجلى له سبحة ذكر الله له، هنالك تحرق سبحته بسبب نسب الأفعال والأذكار للعبد، وتظهر نسبتها للرب، كما ثبتت في الصحيح: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها".

تنبيه: قوله: "لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"، اعلم أن بصره تعالى لا تتناهى مبصراته، ولا يحجبه عن خلقه حجاب، وإنما ينكشف لك معنى الحديث بمراجعة ما قررته لك، وبقوله ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، فنبّه بالشرط على أن العبد لا يشهد رؤية الله له حتى يغيب عن صفته ورؤيته ومراقبته لربه، فكل عبادة تصحبها المراقبة، فهي نور من حجب وجهه سبحانه، ينظر العبد منه إلى ربه، وينظر الله منه إلى عبده فإذا كشف للعبد فيها حجاب المراقبة شهد رؤية الله سبحانه له، فانتهاء بصره عبارة عن انتهائه بحسب كشف العبد، وشهوده، لا بحسبه في نفسه، فإنه لا انتهاء له، وخلقه هو صفة العبد، ورؤيته وإحراقه، هو: محوه بثبوت صفة الرب ورؤيته للعبد، وصفة الرب ورؤيته هي: سبحة ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن: ٢٦-٢٧].

إشارة: أورد محمد بن علي الأصفهاني عن مجنون ليلى في محاومة هذا المعنى، ببيتين:

رأى ليلى: فأعرض عن سواها | **محب: لا يرى حسناً سواها**
لقد ظفرت يداه، ونال ملكاً | **لئن كانت تراه كما يراها**

فنبّه على أن الملك والظفر ليسا في رؤيته هو لها، وإنما هما في رؤيتها له.

وقوله: كما يراها، فيه تنبيه على تجلي السبحة، وذلك أنه رأى ليلى على وجه الإفراد، فلم يرَ معها غيرها، ولهذا قال: "فأعرض عن سواها" حتى عن نفسه، ولهذا قال: "أنا ليلى وليلى أنا"، فنبّه على أن الملك هو أن تراه كذلك، فلا يراه غيرها، وهذا فيما نحن فيه لا يتم إلاّ بتجلي السبحة المقدسة، فإنها إذا تجلت أحرقت الحادث من صفة العبد، وتبقى صفة الرب هي المرئية له، كأنها هي المرئية لعبده، فهنالك تظفر يداه وينال ملك التصريف، بقوله: "كنت سمعه الذي يسمع به "، الحديث.

إشارة: بهذا يفهم سر أمر الله لنبيه محمد ﷺ أن يقرأ على أُبي ﷺ، لم يكن مع قوله ﷺ: "أقرؤكم أُبي"، مع العلم بأن أُبيًّا لم يكن أحفظ الصحابة للقرآن، ولا أفصحهم في القراءة، ولا أفقههم في أحكامه، ولكن لعله كان عند قراءة القرآن أصفاهم مراقبة لتلاوة النبي ﷺ كذلك الذي يقرؤه ويغيب بذلك عن قراءة نفسه، حتى كأنه يسمعه من النبي ﷺ، ومما يدل على ذلك ويوضحه لك، أن السورة التي أمر بقراءتها هي ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[البينة: ١]، وهي مشتملة على قوله: ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ① رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ② فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ [البينة: ١-٣]، فكان أُبي إذا قرأها صغي بأذن قلبه إلى روح النبوة يتلو عليه ذلك، فأراد الله أن يحقق له في عالم الشهادة من تلاوة النبي ﷺ ما كان يشهده في عالم الغيب.

لطيفة: كلمة استعارة الإحراق لمحو صفات الخلق: التنبيه على أن حقيقة الخلق تراب، وباقي صفات الخلق إنما هي أثر تجليات الحق بصفاته، فلو ظهرت صفاته رجع الخلق إلى أصله تراباً، كما أن النار أي شيء أحرقته جعلته رماداً، وأزالت جميع صفاته.

تربية: قد قدّمنا أن قوله: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ㉖ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ㉗﴾[الرحمن: ٢٦-٢٧]، ينبه على أن لوجهه الكريم تجليين: تجلّ بجلاله في حجاب النار، وتجل بإكرامه في حجاب النور، فيحتاج أهل المراقبة إلى معرفة قبلة هذا التجلي وميقاته ومشرقه.

فاعلم يا عبد الله أن قبلة هذا التجلي القلب، وميقاته: الصلاة.

ومشرق الجلال: سبحان الله. ومشرق الإكرام: الحمد لله.

فمن أراد شهود وجه ربه الباقي، فليجعل قبلته قلبه، وميقاته صلاته، ثم له حالان:

الحال الأول: أن يغلب على قلبه تنزيهه مما سوى الله، فهذا مشرقه سبحان الله، ووجه ربه يتجلى عليه بجلاله في حجاب النار، كما تجلى لموسى عليه السلام، ولهذا أمر الله أتباعه أن يقتدوا به في ذلك بقوله: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[يونس: ٨٧]، فهذه القبلة والميقات. ونبّه على تجليه عليه في مشرق "سبحان الله" في حجاب النار، بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ⑧ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ⑨﴾[النمل: ٨-٩].

والحال الثاني: أن يغلب على قلبه شهود النعم والفضل لله، بلا شريك، فهذا مشرقه: الحمد لله، ووجه ربه يتجلى عليه بإكرامه في حجاب النور، كما تجلى لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فكانت قبلته قلبه ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾[الصافات: ٨٤]، وكان ميقاته صلاته ومشرقه: الحمد لله ﴿إِنَّ

﴿إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[النحل: ١٢٠-١٢١]. وكان التجلي بالإكرام في حجاب النور، وهي أنوار: الكوكب، والقمر، والشمس، فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[الأنعام: ٧٦].

إشارة: إذا أردت أن تعلم أن ربه تجلى له بالإكرام، فتدبر قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[الذاريات: ٢٤]، فإذا كان ضيفه بسببه مكرما، فما ظنك به، وإذا أردت أن تعلم أن نظره كان لنور ربه، لا للنجوم والكواكب، فتدبر قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾[الصافات: ٨٨]، جعل النجوم ظرفاً للمرئي، لا نفس المرئي، وكيف لا، وقد رأى ملكوت السموات والأرض و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥]، ومن جمع بين مشرق: سبحان الله والحمد لله، تجلى له ربه بكماله الجامع بين التجليين، وأراه آيته الكبرى، كما تجلى لمحمد ﷺ ليلة الإسراء، ونبّه عليه قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾[الإسراء: ١]، إلى قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[الإسراء: ١١١] الآية.

ولما تحقق بـــ"سبحان" أولاً، وبـــ"الحمد لله" آخراً تجلى له وجه ربه بكماله الجامع للجلال والإكرام في مشرق "لا إله إلا الله" الجامع لسبحان الله والحمد لله، وهي آية ربه الكبرى، ولهذا قال آخر السورة: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[الإسراء: ١١١]، وسيأتي لذلك مزيد بيان في مسألة الإسراء إن شاء تعالى.

فصل السمع والبصر والعين والأعين

من الآيات المتشابهة آيات السمع والبصر والعين والأعين، وقد دل الكتاب والسنة على أنهما قسمان: عادي وحقيقي، فالعادي: سمع القلب بالأذن وإبصاره بالعين، وهو عام في المؤمن والكافر، والحقيقي: بصر العين بالقلب، وسمع الأذن به، وقد نفاه الله عن الكافر في غيرما آية، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝﴾[الأنفال: ٢١]، وفي قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٩٨]، فأثبت لهم السمع والبصر العاديين ونفى عنهم الحقيقي، وبهذا يفهم قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝﴾[طه: ١٢٤-١٢٥]، مع العلم بأن الله يعيدهم بأبصارهم العادية، كحالهم في الدنيا تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[الأنبياء: ١٠٤].

ولكن الحكم في تلك الدار للأبصار الحقيقية، المستفادة من نور صفاته بواسطة استجابة القلب لآياته، وتوجهها بنورها إلى عالم الغيب، وقلب الكافر في الدنيا كان خالياً من نور التوحيد، فكان بصره لا يرجع إلى قلبه، لأنه لا مدد له إلا من نور حسه، وهو أعمى عن نور آيات التوحيد، لا جرم أنه يحشر يوم القيامة أعمى كما كان في الدنيا ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝﴾[إبراهيم: ٤٣]، فلذلك إذا قال: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾[طه: ١٢٥-١٢٦]، أي لا بصر في هذه الدار إلا من نور صفاتي المستفاد من الاستجابة لآياتي ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝﴾[النور: ٤٠]، فإذا صح لك أن السمع الحقيقي، والبصر الحقيقي: عبارة عن سمع القلب وبصره، وأن الجوارح، وهي: العين والأذن، تحتاج إليه، وهو غني عنها، أمكنك حينئذ أن تفهم إثبات السمع والبصر لله سبحانه، وكذا بقية الإدراك، مع استغنائه في ذلك عن الجوارح، وتعاليه عنها.

وأما نسبة العين إليه: فهي اسم لآياته المبصرة التي بها ينظر سبحانه للمؤمنين، وبها ينظرون إليه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ﴾[النمل: ١٣]، فنسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقاً، لأنها المرادة بالعين المنسوبة إليه، وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وعلى هذا يتنزل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨]، أي بآياتنا تنظر بها إلينا، وننظر بها إليك، ويؤيد أن المراد هنا بالأعين الآيات: كونه علل بها الصبر لحكم ربه، وعلله بآيات القرآن صريحاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[الإنسان: ٢٣-٢٤].

قال تعالى في سفينة نوح: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر: ١٤]، أي بآياتنا وعنايتنا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾[هود: ٤١]، وقال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، أي على حكم آيتي التي أوحيتها إلى أمك: ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[القصص: ٧]، ويؤيد أن المراد ذلك كونه ظرف صنعه على عينه ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾[طه: ٤٠]، فمن تدبر ذلك علم صحة ما قلناه، وفتح له باب عظيم في تفسير كلام الله بعضه ببعض.

فصل النفس

ومن المتشابه: صفة النفس، في قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]، لأن النفس في اللغة تستعمل بمعان، كلها تتعذر في الظاهر ههنا، وقد أولها العلماء بتأويلات، منها: أن النفس عبّر بها عن الذات والهوية، وهذا وإن كان شائعاً في اللغة ولكن تعدى الفعل إليها بواسطة "في" المفيدة للظرفية محال، لأن الظرفية يلزمها التركيب، والتركيب في ذاته محال: يجل عنه تبارك وتعالى. وقد أوّلها بعضهم بالغيب، أي ولا أعلم ما في غيبك وسرك، وهذا أحسن لقوله آخر الآية: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝﴾[المائدة: ١٠٩]، ولكن قانون اللغة يأباه، ولا بد من تخريجه على ما مهّدناه حتى تنتظم أشتات الصفات، وذلك أن الصورة إذا كانت ظلة غمام آياته، فنفسه هي أُم كتابه، وهي الآيات المحكمات، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[آل عمران: ٧]، والآيات المحكمات هي الدالة على وحدانيته، بدليل قوله تعالى في أول هود: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾[هود: ١] الآية.

ثم فسر أحكامها بالتوحيد في قوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[هود: ٢]، وفسر تفصيلها بالاستغفار والتوبة، في قوله: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾[هود: ٣]، ونبه على أن آياته المحكمة يرجع أعدادها إلى آية واحدة، محكمة، وهي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[الصافات: ٣٥]، فما من علم من العلوم في الغيب ولا في الشهادة، إلاَّ وهو منتظم في سلك "لا إله إلا الله"، مستثمر من ثمار أسرارها، ولهذا اكتفى بعلمها للنبي ﷺ إجمالاً وتفصيلاً في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[محمد: ١٩] الآية.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]، إذا خرجته على هذا تطلع على أسرار بديعة، وذلك أن السياق اشتمل على سؤال عيسى عليه السلام عما بلغه لبني إسرائيل، هل أمرهم بتوحيد ربهم أم بأن يعبدوا له ولأمه.

ومن المعلوم أنه لم يكن أمرهم إلاَّ بالتوحيد، فلما أراد أن يخبر بذلك تلطف في الإخبار به إجمالاً وتفصيلاً.

أما تفصيلاً فبقوله: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾[المائدة: ١١٧] الآية.

وأما إجمالاً فبقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، فقوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]، أي أم كتابك المشتمل على سر قدرك، وأن القلم جرى فيه بكفرهم.

وقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾[المائدة: ١١٦]، أي أم كتابي، وهو ما كتبه الله له من بينات التوحيد، وأيده به من روح القدس، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾[البقرة: ٨٧].

تبصرة: شأن المحجوبين عن الله من أرباب الرئاسة، مواددة من عبدهم ومن عبد أقاربهم لأجلهم. وأهل القلوب المؤمنة مبرؤون من ذلك، بمقتضى قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾[المجادلة: ٢٢]، ومن المعلوم أن عيسى عليه السلام كتب في قلبه الإيمان، وأيد بالروح، فلهذا قال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾[المائدة: ١١٦]، أي ما كتبته من الإيمان في قلبي، وأيدتني به من الروح، وأن ذلك ثمرة كوني لم أواد هؤلاء الذين عبدوني وعبدوا أمي من دونك ﴿أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾[المائدة: ١٠٩].

تنبيه: قوله: ﴿أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾[المائدة: ١١٧]، ولم يقل أمرت به، مع أن الأمر بالتوحيد، ولم يختص به، بل أمر به جميع الأنبياء، ولكنه نبه بذلك على سر القدر، وأن الأمر أمران: أمر حقيقة، وأمر شريعة.

فأمر الحقيقة: هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾[النحل: ٤٠] وهو متوجه إلى جميع الكائنات، فما من كفر ولا إيمان إلا وهو مأمور به بهذا الاعتبار لأنه لا يكون إلا بأمره.

وأما أمر الشريعة: فهو الذي ربط به الثواب والعقاب، وقامت به الحجة ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[الأنبياء: ٢٣]، فمن هذا يفهم السر في قول عيسى ﴿أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾[المائدة: ١١٧]، خصصه بالإضافة إليه، تنبيهاً على أمر الشريعة، ولم يقل أمرت: تنبيهاً على أمر الحقيقة.

إشارة: بما كان في هذا اشتباه على المحجوبين من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون إن كفر العبد منسوب إلى اختراعه، غير مستند إلى إرادة ربه، وإلا لما جاز له أن يعاقبه عليه، لا جرم بين الله جوابهم على لسان نبيه عيسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾[المائدة: ١١٨]، علل تعذيبه لهم بأنهم عباده، تنبيهاً على أن التعذيب لا يحتاج في جوازه عقلاً إلى معصية ولا كفر، ولهذا لم يقل فإنهم عصوك، وإنما مجرد كونهم عباداً يجوز للمالك أن يفعل بهم ما يشاء.

لـــــه حـــــق ولـــــيس عليـــــه حـــــق ومهمـــــا قـــــال فالحســـــن الجميـــــل

مناجاة: إلهي جلت عظمتك أن يعصيك عاص أو ينساك ناس، ولكن أوجبت أوامرك في أسرار الكائنات، فذكرك الناسي بنسيانه، وأطاعك العاصي بعصيانه، وإن من شيء إلاّ يسبح بحمدك إن عصى داعي إيمانه، فقد أطاع داعي سلطانك ولكن قامت عليه حجتك ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣].

اعتبار: قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨]، أي ويحذركم أم كتابه، بدليل قوله أول الآية ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾[آل عمران: ٣٠]...الآية، مع قوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[الكهف: ٤٩]، مع ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من قوله ﷺ: "فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع واحد، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع واحد، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعلم أهل الجنة فيدخلها" الحديث.

فهذا تحذير من أم الكتاب، الذي يكون خاتمة العبد على وفق ما سبق له فيه، وبهذا يفهم السر في ذكر النفس، وأم الكتاب متقاربين في أول السورة.

إشارة: في الحديث: أن خشية سوء الخاتمة مخصوصة بأهل أعمال الجنة، وأما أهل الإخلاص لأعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة، ولهذا قال "ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع واحد" فافهم بذلك أن المتقرب متقربان: متقرب إلى الجنة بأعمالها، ومتقرب إلى الله بذكره، كما ثبت في الصحيح : "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني" إلى قوله: "وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً"، وذلك يفهمك أن المتقرب إلى الله، لا يمكن أن يبقى بينه وبينه ذراع، لأن ذلك الذراع إن كان التقرب به مطلوباً من العبد لم يبقَ بعده مقدار يتقرب الله به إليه، وحينئذ فيستلزم الخلف في وعده، وهو محال، وإن كان موعوداً به من الله: لزم تنجيز وعده، وتحقيق القرب للعبد، فلا يبقى بعد ولا دخول إلى النار.

فعلم أن ذلك الذراع مخصوص بأهل التقرب إلى الجنة، التي لا يلزم أن تقرب ممن تقرب إليها، فافهمه فإنه بديع.

تتمة: قوله في الحديث: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي".

إذا أردت تخرجه على ما تقدم، فمعناه أن العبد إذا ذكر الله في سره فذكره له من آيات توحيده المتشابهة، فلا يزال يذكر ويشهد ذكر نفسه، حتى ينكشف حجابه كما قدمناه في حجب الوجه وسبحاته، فهناك يحترق ذكر العبد المخلوق، ويتجلى ذكر الله لعبده بسبحاته، فيصير العبد مذكوراً والله ذاكراً، وذلك من آيات التوحيد المحكمة، وهي أم الكتاب فلهذا عبر عنها بالنفس ونسبت إليه سبحانه في قوله: "ذكرته في نفسي".

قوله: "وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه"، هذا من باب الترقي من حال الجمع والفناء إلى حال الفرق والبقاء وذلك لأن العبد إذا جمعه الله عليه بذكره له في نفسه وحده أفناه فإذا أراد أن يجعله هادياً بعثه لذكر الله في الملأ فذلك إبقاؤه فإذا ذكره: ذكره الله في ملأ خير منه.

فصل القرب

ومنها صفة القرب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، ونحوه يفهمك أن قوله: "وإن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً"، ليس على ظاهره، لأن قربه سبحانه من العبد بنوره لا يزال ولا تتفاوت درجاته، وإنما البعد صفة العبد، وبعده عن الله هو حجابه عن شهود قرب الله منه، وشهود قربه على حسب نور الإيمان والاستجابة، وبهذا يكون تقرب العبد إلى ربه.

وأما تقرب الرب إلى العبد فإرشاده بنوره لنوره، وقد جمع الله ذلك كله في قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

تنبيه: قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة: ٨٥]، يدل على أن قربه من عبده سبحانه قرب حقيقي مع تعاليه عن المكان لأنه لو كان القرب يراد به قربه بعلمه أو قدرته وصفاته، لقال: "ولكن لا تعلمون"، ونحوه، فقوله: ﴿وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة: ٨٥]، يدل على القرب الحقيقي المدرك بالبصر، والبصر لا تعلق لإدراكه بالصفات المعنوية، وإنما يتعلق بالحقائق المرئية، وكذلك قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، يدل على ذلك، لأن (أفعل من) تدل على الاشتراك في القرب، ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد، وعلى هذا فالقرب قرب حقيقي روحاني، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[الواقعة: ٨٨]، أي من الذين يكشف لهم عن نعيم القرب الرباني ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[الواقعة: ٨٩]، فجعل قربهم: وجدانهم للروح والريحان، وقد قرئ بضم الراء وفتحها، وقد تقدم في حقيقة الرؤية ما يكشف عن معنى الإدراك للقرب بالبصر.

تبصرة: حكمة مجيء التفضيل لقربه على حبل الوريد: إنه تقدم ذكر الوسواس، ووسواس النفس: من إلقاء الشيطان، ومجراه الأوردة بدليل قوله ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، ومجرى الدم هو عروق الأوردة ونحوها، فنبه بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، على أنه أقرب إليه من مجرى الوسواس، وقلت في ذلك:

تشاغل عنا بوسواسه	**وكان قديماً لنا يطلب**
محب تناسى عهود الهوى	**وأصبح في غيرنا يرغب**
ونحن نراه ونملي له	**ويحسبنا أننا غيب**
ونحن إلى العبد من نفسه	**ووسواس شيطانه: أقرب**

فصل البطش

من صفاته "بطشه" سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٢-١٣]، ولا تشابه فيه، لأن الآية الثانية تفسير للأولى، ولذلك جاء بها على وجه البدل، من غير عطف تنبيهاً على أن بطشه عبارة عن تصرفه في بدئه وإعادته.

وما من شيء من الكائنات [جواهرها وأعراضها] إلاَّ وهي مفتقرة إلى بدئه وإعادته، فبطشه سبحانه: اسم شامل لجميع تصرفاته في مخلوقاته: بدءاً وإعادة.

فصل الأيدي واليدين

نسبة الأيدي إليه: استعارة لحقائق أنوار علوية، يظهر عنها تصرفه وبطشه: بدءاً وإعادة، وتلك الأنوار متفاوتة في روح القرب، وعلى حسب تفاوتها وسعة دوائرها يكون رتب التخصيص لما ظهر عنها، ألا ترى قوله تعالى في حق آدم: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، كيف يستفاد منه تنويه به وتشريف وتكريم وتخصيص، ولا يستفاد مثل ذلك من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[يس: ٧١]، وما ذلك إلاَّ لأن حقائق أنوار الأيدي الخالقة للأنعام ليست في روح القرب، كحقائق اليدين اللتين خلق بهما آدم.

فإن قلت: فما حقيقة اليدين في خلق آدم قلت والله أعلم بما أراد ولكن الذي استثمرته ما تدبر كتابه إن اليدين: استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله، ولنورها القائم بصفة عدله.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ: "يمين ربي ملأى سحاء لا يغيضها الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات، فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان: يرفع ويخفض"، فنبه على النور الفضل بيمينه السحاء المنفقة، وعلى نور العدل باليد الأخرى صاحبة الميزان.

ونبّه تعالى بقوله في آدم: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، على تخصيصه له، "وتكريمه إياه بأن جمع له في خلقه بين: فضله وعدله، بمقتضى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[الحجر: ٢٩]، فتسويته من عدله، ونفخ روحه من فضله، على أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

ومما يحقق لك أن اسم اليد استعارة لنوره سبحانه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت: ٤١-٤٢]، فاستعار اليدين للقرآن ثم نبّه على أنه استعارهما لما اشتمل عليه من نور الفضل ونور العدل، بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾[فصلت: ٤٢]، فالحكيم: صاحب نور العدل والحميد: صاحب نور الفضل.

ونبّه بجمع الأيدي في خلق الأنعام على أن اليد المنسوبة إليه ليست جارحة، وإلاَّ لم يزد على يدين لأن أفضل المخلوقات في الشاهد "محمد ﷺ" وهو لا يزيد على يدين.

وفي الحديث: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض"، وذلك يفهم أن له يميناً سماوية نسبتها لأهل السماء كنسبة الحجر الأسود لأهل الأرض.

فصل القدم

ومن المتشابه صفة "القدم" فإنه ثبت في الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عند مسلم وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط وعزتك".

وهذا أيضاً يرجع إلى المحكم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، وقد مهدنا أن الصورة المنسوبة إلى الله، هي ظلة غمام الشريعة، وأن وجهه منها بارق نور التوحيد، ومظهره الإخلاص، وعلى هذا فالقدم منها، هو: نور الإيمان، ومظهره: الصدق، وهذا هو القدم الذي تستغيث النار من نوره، كما جاء في حديث أبي سمية، قال: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه

عن الورود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلاَّ دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم".

وفي حديث يعلى قال: قال رسول الله ﷺ: "إن النار لتنادي: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي"، أخرجهما أبو عبد الله محمد الترمذي الحكيم، وذكر القرطبي حديث يعلى عن أبي بكر النجاد.

تحقيق: مما يحقق أن القدم ما ذكرناه أمران:

أحدهما: أن نور الإيمان يكفر جميع أسباب الكفر، والمعاصي، وهي أسباب النار. فكما يطفي أسبابها في الدنيا، فكذلك حقيقته تطفئ حقيقتها في الآخرة.

الثاني: نسبته إلى رب العزة، وهو صاحب العزة ومالكها، والعزة وإن كانت جميعها لله، بمقتضى قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: ١٠]، لكنه قد نسبها لرسوله وللمؤمنين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨]، فما من مؤمن إلاَّ وهو صاحب العزة، فإذا وضع قدمه حق للنار أن تضج منه، وتنزوي عنه، وتنطفي نارها بما له من نور العزة.

فائدة: في الشفا للقاضي عياض أن من أسمائه ﷺ "قدم صدق"، وهو يقتضي: أنه الأصل الجامع لكل نور من أنوار صفاته وأسمائه تعالى.

تنبيه: جاء في حديث مسلم: "فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى فيها رجله، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً" وذكر الحديث، وهو غير مناف لما ذكرناه، ومرجعه للحديث الصحيح الذي قدّمناه "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه" إلى قوله: "ورجله التي يمشي بها" فإنه يقتضي تحقق رجل المؤمن بنور التوحيد، حتى تكون منسوبة إلى الله، وحينئذ فهو موافق لما تقدم في القدم.

وقوله: "فهنالك تمتلئ" أي بأهلها من المتكبرين، وقوله: "وينزوي بعضها إلى بعض" فيه حكمتان: أحدهما: أنها عندما تضج بسبب نور العزة من أقدام المؤمنين، فيخرجون منها تخلو مواضعهم، فلو بقيت كذلك لما كانت مملوءة، وهو مناف لقوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] الآية، وأيضاً فربما كان في ذلك تخفيفاً على أهلها، فاقتضت الحكمة أنها حينئذ تنضم وتجتمع على أهلها، وتمتلئ بهم تحقيقاً للوعيد وزيادة في العذاب.

الحكمة الثانية: أنها لو بقيت مواضع المؤمنين خالية من النار: لم يتم لهم سرورهم بالأمن منها، لعلمهم أن الله وعدها أنه يملؤها، فربما توقعوا الإعادة، فكان في انزوائها، وانضمامها على أهلها، وامتلائها بهم تأمين للمؤمنين، كما ذبح الموت بين الفريقين: تحقيقاً للخلود.

قوله: "فلا يظلم الله من خلقه أحداً" أي لا يملؤها بغير أهلها، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٢٩ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق: ٢٩-٣٠].

تبصرة: بهذا القدم يفهم السر في قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ۝١١﴾ [الانفال: ١١]، وفي قول الربانيين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، فنبّه أن تثبيت الأقدام بالماء المطهر، المتنزل على القلب بروح التوحيد، بدليل قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وذلك الماء المطهر هو القرآن بدليل قوله: ﴿قُلۡ

﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢]، فانظر كيف أضيف الروح للقدس، وهو الطهارة، وجعلها المثبتة بالقرآن لأقدام الذين آمنوا، وبشرى لهم: أي بقدم الصدق، بدليل تصريحه به في يونس كما قدمناه.

تنبيه: بهذا القدم الصدق الذي تستغيث النار من نوره، يفهم السر في تخصيص إبراهيم عليه السلام ببرد النار وسلامها، لإيمانه في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[الأنعام: ٨١-٨٢]، وكذلك يفهم السر في أنس موسى بالنار، وقوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢] الآية، لأنه كان له قدم الصدق الإيماني بمقتضى قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

إشارة: قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢]، له ظاهر وباطن.

فأما الظاهر، فالحكمة في الأمر بخلع النعل الظاهر: أن سير الأنبياء في الأرض كان سير اعتبار وادكار ونظر لما أودع فيها من سر البدء والإعادة بمقتضى قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[العنكبوت: ٢٠]، وكان المراد التعرف لموسى بسر الإعادة وقيام الساعة، ولهذا كانت مناجاته في جانب الغربي، لأن من أكبر آيات الساعة طلوع الشمس من مغربها.

وقيل له في أول مناجاته: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[طه: ١٤]، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾[طه: ١٥]، ومن المعلوم أن بعث الخلائق وحشرهم يكون من الأرض المقدسة، وقد فسر قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١﴾[ق: ٤١]، أي من صخرة بيت المقدس، فمن هنا قيل لموسى عندما سار بأهله وبلغ بيت المقدس وكشف له من سر ما أودع فيه من قيام الساعة ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[طه: ١٢]، تنبيها على أنه انتهى سفرك، وبلغ ما كان المراد بك من التقرب، ولهذا قيل له: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢]، أي هذا هو الوادي الذي أودع فيه سر قيام الساعة، ورجوع الخلائق إلى الله، فاخلع نعليك، وألق عصاك، فإن النعل وأخذ العصا من توابع السفر، وخلع النعل وإلقاء العصا من أعلام الإقامة، قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عيناً بالأياب المسافر

وأما الباطن: فإن حقيقة النعل: ما يكون وقاية لقدم الصدق من عوائق طريق القلب إلى الله، وما فيه من وعر وشوك، كما نبّه عليه ﷺ: "تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش" فنبّه بهذا على أن افتتان القلب بزينة الدنيا يعوق قدم الصدق عن السير إلى الله، فإن عظم في عينه منها تعس به، وإن احتقره واستهان به، كان بمثابة الشوكة تدخل في قدم السائر، فإن انتقش أي أخرجه بمنقاش الاستغفار، وألقاه بالزهد فيه: سلم وسارع بقدم صدقه إلى الله، وإن أهمله كان بمثابة الشوكة التي يهملها صاحبها حتى تتمكن، ويفسد بها الدم، ويحصل المرض والوقوف عن السير، وربما تمكنت فكانت سبباً للموت، أو زمانة القدم، والنعلان يقيان من ذلك، وهما الرجاء فيه، والخوف منه.

فموسى لما خرج خائفاً يترقب، وقال عند التوجه: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، اعلم أنه انتعل الخوف والرجاء، وركبهما في سيره، لأن من انتعل فقد ركب، لحديث جابر بن

عبد الله ﷺ في صحيح مسلم. قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: "أكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل".

فلما بلغ حضرة المناجاة والتأنيس، وحلّ في وادي التقديس، قيل له ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[طه: ١٢]، لأن الرجاء والخوف لأرباب السلوك، لا لمن وصل وخص بمجالسة الملوك.

فصل الكلام

ومنها صفة الكلام، والمتشابه منها نسبة الصوت والحروف إلى كلام الله سبحانه وتعالى.

وقد وردت آيات وأحاديث، توهم ذلك، فمنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] والمسموع إنما هو الحرف والصوت.

ومنها سماع موسى عليه السلام كلام الله.

وما روي من أن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك الديان.

ومنها قوله ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"، وغير ذلك من الأحاديث الثابتة، وهي مسألة مهمة، بعيدة الغور، تزلزلت فيها أقدام المتكلمين.

ومذهب أهل الحق: أن لله كلاماً قديماً قائماً بذاته، واحداً في حقيقته، مخالفاً لصفة علمه وإرادته، منزهاً عن الحروف المرتبة والأصوات المحدثة، منزلاً على نبيه، مقروءاً بالألسنة، مكتوباً في المصاحف، مسموعاً لموسى عليه السلام حقيقة، ولمن يريد الله إسماعه، غير مخلوق في الشجرة ولا قائم بالحوادث.

وموضع البراهين العقلية والسمعية على كل مقام من ذلك: الكتب الكلامية.

والمقصود ههنا رد ما وقع من المتشابه في الكتاب والسنة، من إيهام نسبة الصوت والحرف إلى الله سبحانه وتعالى، ولا بد في ردها للمحكم من مراجعة مقدمة هذا الكتاب وهو: أن كلام الله سبحانه وتعالى صفته، وصفة القديم قديمة، تتقدس عن الحدوث، والحروف في إفادة الكلام: يلزمها الترتيب، وتقدم بعضها على بعض، وذلك مستحيل على القديم.

ولكنا قدمنا أن لصفاته مظهرين، وبه يعلم: أن لكلامه مظهر، جسماني منسوب للعباد، وهي الألسنة والأيدي والأقدام. ومظهر علوي روحاني، وهو: روح القدس.

وقلمه العلي، والحروف والأصوات: من لوازم المظهرين. وكلامه منزه عنهما، كتنزه القلب في كلامه عن الحروف اللسانية، والأصوات الهوائية، وإن كانت مظاهر له، وبهذا يتضح لك جميع المتشابه. وأنا أفصله لك:

فمنه قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، أي بواسطة مظاهر الجسمانيات، وهي أصوات العباد وحروفهم، وإطلاق كونه سامعاً لكلام الله بذلك: مجاز، لما قدّمناه: أن المظاهر الجسمانية ليست منسوبة إلى الله تعالى: لا لغة ولا شرعاً.

فصل الجنب

ومن المتشابه: "الجنب" في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٥٦]، وهو أيضاً يتخرج على ما مهدناه، وذلك أن الصورة: إذا كانت ظلة غمام الشريعة، فرأسها كتاب الله، وجنبها سنة رسول الله ﷺ، ومظهرها متابعته، ومتابعة خلفائه الراشدين، وعلماء الأمة المتقين ومما يدل على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، مع قوله في أثناء السورة: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، فعلم أنه كتاب الله، وكذا سنة رسوله ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، فلما مهد الأمر بالمتابعة لكتابه وسنة رسوله، حذر من إتيان عذابه قبل ذلك، ومن قول النفس: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، وذلك كالصريح في أن الجنب هو: سنة رسوله وعلماء الأمة المتقين، لأنهم كانوا يسخرون من الذين آمنوا في اتباعهم لرسوله ﷺ، فلهذا أردفت حسرتها، بقولها: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦]، وبقولها: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]، فرد الله عليها بقوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩].

تنبيه: قد سبق في أثناء السورة قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ١٧-١٨]، ثم بين أنهم الذين اتقوا بقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ثم بيّن بقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

إن ذلك هو الذي وعدهم به، في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢]، لأنهم يكونون في الدرك الأسفل، والذين اتقوا في الغرف، ولذلك حق لهم أن يتحسروا على ما فرطوا في جنب الله، وهو صحبة رسوله ﷺ، ومتابعته، حتى يسعدوا به، وبصحبته كما سعد به المتقون من أتباعه، واهتدوا باتباعه، وفي ذلك اليوم تظهر لهم حقيقة سخريتهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: ١٦] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[محمد: ١٧].

تبصرة: إذا تقرر لك بهذا أن الجنب جنبان: جنب حسي، وجنب معنوي حقيقي، فكذلك الصاحب بالجنب، صاحبان: صاحب في السفر الحسي الجنبي، وصاحب في السفر الغيبي القلبي.

وبذلك فافهم السر في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، إلى قوله: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[النساء: ٣٦]، فإن تنزلت، فاعتبر قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وإن ترقيت فاعتبر قوله تعالى عن رسوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]، ثم اعتبر قول الرسول ﷺ في سفره: "اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل".

فصل صفة الفوقية

وأما صفة الفوقية، فقد جاء بها الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وآيات كثيرة، وأحاديث، وهو معدود من المتشابه، وذلك أن "فوق" كلمة موضوعة لإفادة جهة العلو، والله تعالى منزه عن الجهات، وإنما المراد منها حيث أطلقت في حق ربنا سبحانه: إفادة العلو الربي.

ومما يدل على عدم اختصاصه بجهة "فوق" قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، وقوله: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، وآيات كثيرة يطول ذكرها، ولو كان في جهة العلو: لتعارضت هذه الآيات، واختلفت، وهو مناف لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. قال رسول الله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، فنفي تقييده بجهة فوق، وهو: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

والذي يجمع بين الآيات والأحاديث: أن يعلم أن العلو له اعتباران: اعتبار إضافي، واعتبار حقيقي، فعلو المخلوقات بعضها على بعض، إنما هو علو إضافي، لأن ما من مخلوق له جهة علو، إلا وهو مستقل بالنسبة إلى مخلوق آخر هو فوقه، إلى ما يشاء الله.

وهذا العلو الإضافي قسمان:

قسم حسي: وهو المفهوم بالنسبة إلى الجهات المكانية، المخصوص بالجواهر المفتقرة للحيز.

وقسم معنوي: وهو المفهوم بالنسبة إلى درجات الكمال العرفاني، لأرباب القلوب، أو الكمال الوهمي لأرباب النفوس. قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[الزخرف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، هذا كله في العلو الإضافي.

وأما العلو الحقيقي، فإنما هو لله سبحانه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وعلوه هذا محقق قبل الجهات والأماكن، مفهوم بدون اعتبار النسب والإضافات، عام في جميع تجلياته على مخلوقاته بأسمائه وصفاته.

وإنما يعرفه ويشهده أرباب البصائر والقلوب، ولتجلي نور توحيده بعلو فوقيته سُبْحة، وله حجاب؛ فسبحته صفة القهر، وحجابه خلوص العبودية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

تنبيه: إذا أردت أن تتحقق أن فوقيته ليست فوقية مكانية، وإنما هي الفوقية الحقيقية، بقهر الربوبية للعبودية، فتفكر في حديث "كان الله ولا شيء معه" ولم يتجدد له بخلقه للسموات علو، ولا بخلقه الأرض نزول، ولا بخلقه للعرش استواء. وإنما عن تجلي أسمائه وصفاته نشأت أعداد مخلوقاته، غير مماسة له ولا منتسبة إليه بفوق ولا تحت، ولا شيء من الجهات، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ

﴿فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ١-٢]، فوصفه بالأعلى حال اتصافه بالخلق، فدل على أن علوه محقق قبل الخلق، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[الأنعام: ٩١] الآية، وصف نفسه آخر الآية بالعلو والتنزيه، في قوله تعالى بعد ذكره قبضه للأرض وطيه للسماء، فدل على أن علوه علو حقيقي: لا مكاني.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، مع قول فرعون على بني إسرائيل ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧]، فهل يفهم أحد أن فرعون ادعى أنه فوق بني إسرائيل: نسبة بالمكان أو بالجهة.

وإنما لما ادعى الربوبية بقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النازعات: ٢٤]، كان من لازم دعواه ادعاؤه الفوقية اللائقة بالربوبية، وهي الفوقية الحقيقية، بالقهر، فلذلك قال: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧]. لا جرم كذبه الله في الأمرين:

فكذبه في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]، بقوله لموسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[طه: ٦٨].

وكذبه في قهره بقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[طه: ٧٨_٧٩].

تنبيه: قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥]، يرجع إلى العلو والفوقية الحقيقية، وليس المراد: أن العلو الحقيقي له درجات وتفاوت.

وإنما المراد: أن للعباد في ترقيهم إلى معرفته وخلوص التحقيق به: درجات:

الأولى: درجة الإيمان. **والثانية:** درجة التقوى. **والثالثة:** الاتباع. **والرابعة:** درجة العلم.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

تنبيه: قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[النور: ٣٦]، وقد فسرت بالمساجد، وفسرت بالقلوب، وكيفما كان، فرفعها: تحققها واشتمالها على ما ذكره من الدرجات المذكورة، وتمام الآية يحققه.

تنبيه: لما ادعى فرعون الربوبية، واعتقد الجهة لله تعالى قال: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر: ٣٦_٣٧]، فرد الله عليه وسخف سوء رأيه بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[غافر: ٣٧]، أي عدل عن سبيل القرب والدنو من إله موسى، فإنه تنزه عن علو المكان، وإنما يصعد إليه بالكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه.

أين هو من قول موسى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ٨٤﴾[طه: ٨٤]، مع أنه لم يبن له صرح، ولا احتاج في الدنو والقرب إلى صعود السماء.

وكذلك إبراهيم حين جاء ربه بقلب سليم، ووهب له لسان صدق عليّ، فكان مجيئه إليه، ووصوله إليه، وعلوه: بسلامة القلب وصدق اللسان، لا بالتّسور والصعود للمكان، وقد ثبت إيواء الله للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾[الأنفال: ٢٦].

فصل الإسراء

قصة الإسراء: وإن كانت مشتملة على الترقي بالنبي ﷺ إلى السموات، فليست منافية لما ذكرناه، ولا مستلزمة لإثبات الجهة، ويدل عليه أمور، منها افتتاح السورة بـــ"سبحان" المقضي للتنزيه تنبيهاً على تعاليه عن التحيز بالجهات، وعلى عدم اختصاصه بجهة.

الثاني: قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، فأتى بباء الإلصاق، المفيدة للمصاحبة، في تعدية الفعل: تنبيهاً على مصاحبته له في إسرائه، وأنه ليس نائياً ولا بعيداً عنه، فيحتاج في قربه إلى قطع مسافة مكانية، وتحقيقاً لقوله ﷺ: "اللهم أنت الصاحب في السفر".

الثالث: قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، تنبيها على أنه على حسب التحقق بخضوع العبودية، يكون الترقي إلى حضرة الربوبية.

الرابع: قوله تعالى: ﴿لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١] وإن كان لفظ الإسراء مفيداً لذلك تنبيها على أن كل ما تضمنه الإسراء، كان خارجاً عن العادة في مثله، فإنه جعل العلة فيه: أن يرى من آياته، والإراءة العادية سلطانها النهار، فقال: ﴿لَيۡلٗا﴾ ليعلم أن الرؤية المقصورة ليست عادية، بل هي رؤية: بنور رباني، سلطانه الليل دون النهار.

الخامس: قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾[الإسراء: ١]، نبّه به على أن الإسراء لو كان لضرورة رؤية ربه لكونه مخصوصاً بجهة العلو: لم تكن حاجة بالذهاب إلى المسجد الأقصى، ولأمكن الترقي من مكة إلى السماء فدل على أن الإسراء والترقي من مكان لمكان: لحكمة وراء زعم مثبت الجهة، والسر فيه، وفي كونه ذكر الله تعالى في كتابه: تنبيهاً على أن العبد لا يصل إلى الله إلا فرداً، تحقيقاً، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾[مريم: ٩٥] ولا تتحقق له الفردية إلا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها. فهنالك يصل إلى حضرة عنديته.

وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه على أن حضرة عنديته، وراء دوائر السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩]، فعطف (من عنده) على (من في السموات والأرض) والعطف يقتضي المغايرة. فدل على أن حضرة العندية وراء السموات والأرض، وهي مع ذلك محيطة بحضرات السموات والأرض، كإحاطة ربنا بذلك كله، مباينة له كمباينته، فمن أرادها فعليه بتفرقة الحوادث ومباينته لها.

ثم اعلم أن الفرقة فرقتان: فرقة قلبية غيبية، وفرقة حسية: فإن فارقها بقلبه وصل إلى الله بقلبه، وإن فارقها بحسه تبعاً لقلبه، وصل إلى الله بحسه وقلبه فلذلك كان الإسراء مرتين مرة بالروح ومرة بالجسد تنبيها على أنه ﷺ شرع لأمته فراق الحوادث مرتين: مرة بالروح، وهو الإسراء الأول، ومرة بالجسد حساً، وهو الإسراء الثاني، ومن المعلوم أنه لا يتحقق لفرقة الحوادث حساً إلا بمجاوزة دوائر الأفلاك كلها، كما ثبت ليلة الإسراء. وأما ترتيب نعليه، وترقيه في توجهه: ففيه أسرار بديعة: أظهرها وأجلاها: أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، والصلاة حضرة القرب والمناجاة والمراقبة المثمرة لنعيم الرؤية.

ومن المعلوم أن التوجه توجهان: روحاني، وحسي. فقبلة التوجه الروحاني: وجه الله، ولا اختصاص له بمكان، وأما التوجه الحسي فله قبلتان: بيت المقدس والكعبة، فبيت المقدس: هو قبلة الأنبياء، والكعبة هي قبلة إبراهيم عليه السلام، فجاء الإسراء الروحاني أولا تأسيساً للشريعة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وجاء الإسراء الحسي مبدوءاً بالتوجه لبيت المقدس، ثم إلى السماء، ثم بالرجوع إلى الكعبة تأسيساً للشريعة في التوجه الحسي في الصلاة أولاً لبيت المقدس، ثم للسماء في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ١٤٤]، ثم بالرجوع إلى قبلة مكة في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

إشارة: لما كان توجه الإسراء إلى مكة بعد خروجه من حضرة القرب في التلقي إلى حضرة القرب في التبليغ، جاء التشريع في التوجه إلى الكعبة على وفق المناسبة، فقال فيه: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩]، ومن هذا يفهم السر في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] إلى قوله: ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وهذا المخرج للدعوة والتبليغ، هو المخرج الذي ورثه عنه أمته في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩]، إياك أن تفهم أن ذلك يشعر بتحديد في القرب، أو تخصيص في جهة، وإنما هو دنو تجل وكشف، لأنه ذكره في قصة الإسراء بالروح، ألا ترى قوله تعالى بعده: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١]، ثم ذكر بعده الإسراء الحسي فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣]، إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، فإذا علم أنه دنو تجلٍ روحاني، وكشف عرفاني، فهمت سر قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾[النجم: ٧]، من قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]، فكان أفقه في الرؤية، وفي بيان الحق فكان ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[النجم: ٩]، أي قدر قوسين، والقوس في اللغة يستعمل للذراع، وما يقدر ويقاس به، وهو المراد هنا، وهو من قوله تعالى في الصحيح: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني" الحديث، وفيه: "فإن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً". وليس المراد فيهما ذراع حسي محدود، إنما المراد تمثيل التقريب لدنو الذاكر من المذكور في مجالس النجوى والذكر، وتجلي سر المعية للقلب، وأوفى الرتب في ذلك تحقق القلب بسر ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وسر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، وكذلك كان ﷺ ليلة الإسراء. وإذا أردت التحقق لذلك فخذه من افتتاح سورة الإسراء بـــ: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ [الإسراء: ١]، واختتامها بقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]، ثم نبّه على انتفاء التقدير من دنوه بقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩]، وهو التحقق بالتوحيد في نعيم الرؤية للآية الكبرى، وهي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]، ولذلك وصف بقوله آخر سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١]، إلى قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، تحقيقاً لقوله: "وما بينهم وبين النظر إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" كما قدّمناه.

إيضاح: إذا أردت أن تفهم سر التدلي في قوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾[النجم: ٨]، فتأمل ما رواه أبو عيسى الترمذي من حديث العنان، وفيه ذكر الأرضين السبع، وأن ما بين كل أرض وأرض كما بين السماء

والأرض، ثم قال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده لو دلّى أحدكم بحبل لوقع على الله" فنبّه ﷺ على عدم تحيزه تعالى في السماء، وأنه ليس مختصاً بجهة، كما نبّه على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[النجم: ٨]، فإن الإسراء كان للعلو، فربما توهم المحجوب أن الدنو في قوله تعالى: ﴿دَنَا﴾ زيادة العلو، فنبه بقوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ على أن قربه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[النجم: ٩]، كان ثمرة التدلي المشعر بالتنزل، وأنه تعالى لا يختص قربه بجهة العلو، بل التدلي إليه بالخضوع أقرب تحقيقاً، لقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، وفي الصحيح "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد".

تبصرة: قوله ﷺ: "لو دلى أحدكم بحبل لوقع على الله" له تأويلان: ظاهر وباطن، فالظاهر التنبيه على إحاطته سبحانه بكل شيء، وعلى إحاطة حضرته كما قدمناه في الإسراء.

وأما الباطن فالحبل حبلان: حادث، وقديم.

فالحادث: حبل الوريد، وهو الحديث النفساني والنور العقلي، فلو دلى المتفكر حبل شعاع عقله إلى منتهى المخلوقات السفلية، لوقع في كل حضرة من حضرات مدركاته على الله، لأنه أقرب إليه من كل شيء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦].

وأما الباطن القديم: فهو حبل الله المتين، وكتابه المبين، فمن تمسك به: شهد سر تنزله على أراضي القلوب، ووقوع حبل أشعته على الله فيها، لأن القلب بيت الرب ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، إلى قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥].

تبصرة: إذا أردت زيادة التبصر بأن الإسراء، وعروج الملائكة، ورفع عيسى وإدريس عليهما السلام، لا يدل على أن الله تعالى مخصوص بجهة السماء، فاعتبر فرض الحج على العباد إلى البيت الحرام، وأمر الله تعالى الناس بالتوجه إليه من جميع الجهات، وجعل سكانه جيران الله وحجاجه، وفده وضيفانه، والحجر الأسود يمينه، مع أن نسبة البيت وغيره إلى الله سبحانه باعتبار المسافة واحدة، فعلم أن القصد بالسير إلى البيت: ليس مقصوداً، لأن السير يقتضي القرب والوصول إليه بالمكان، وإنما لله سبحانه تعبدات وأسرار في ضمن مشروعات يقتضيها من عباده، لحكم ظاهرة وخفية، ألا تراه كيف ناجى موسى بالوادي المقدس، وأسمعه كلامه من الشجرة ووصفه بالقرب إلى مجلس حضرته ونجواه، مع الاتفاق أنه تعالى لا يختص بجهة الوادي المقدس، ولا يحل كلامه ــــ وهو صفته ــــ بالشجرة، وأن موسى قرب إليه مع كونه بالأرض، وسمع نداء ربه من جانب الطور، ولم يكن ربه بجانب الطور، وإنما لتجلياته مظاهر وحجب روحانية وجسمانية، لا يشهدها إلا من فتق الله رتق قلبه، وفلق أصباح ليله، ونور مصباح مشكاته، بزيت شجرة توحيده ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

تشكيك: قد يورد على ذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة: ٥]، وأمثال ذلك:

وقوله ﷺ للجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

والجواب: أنه قد قررنا أن تجلياته تعالى بأسمائه وصفاته محيطة بدوائر السموات والأرض، وأن لها في تصرفها وسائط سفلية منسوبة للعباد، ووسائط علوية منسوبة له، فأطلق على نفسه سبحانه أنه في السماء باعتبار الوسائط، ومظاهر تجلياته العلوية، وأنه في الأرض باعتبار المظاهر، والوسائط السفلية

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، فإذا كان المقصود بالسياق تحذير أهل الأرض، وتفخيم الأمر: جاء التعبير بمن في السماء، فإن مظاهره السماوية هي القائمة بالتصرفات الغيبية المنسوبة إليه، كما قررناه.

وأما تنزل التدبير وعروجه، فهو عروج روحاني، وسر رحماني، وكشف عرفاني، وسيأتي له مزيد بيان بعد ذكر مسألة الاستواء.

وأما تقرير الجارية على أن الله في السماء ووصفها بأنها مؤمنة، فالحق أن النبي ﷺ لم يعتمد في إيمانها وتقريرها ظاهر لفظها، فإن لفظها ليس مفيداً لتوحيد الله، لا على المذهب القائل بالجهة ولا غيرهم.

أما عند من لا يثبت الجهة فواضح، وأما عند مثبت الجهة، فلأنهم موافقون على أنه قد عبدت الملائكة والشمس والكواكب، وهي في السماء، وعبد عيسى وهو حين الأخبار في السماء، وليس في لفظها ما يخرج هؤلاء عن الآلهة، ولا ما يقتضي وصفها بالإيمان.

وأقرب احتمال في ذلك أن الجارية أشرق لبصيرتها نور التوحيد في الآفاق السماوية، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأٓفَاقِ﴾[فصلت: ٥٣]، الآية. فلما قال لها: أين الله؟ قالت: في السماء.

أي ظهر نور توحيده في السماء، فقال: "أعتقها فإنها مؤمنة".

ويحقق ذلك كونه لم يقل: إنها مسلمة، لأن الإسلام تتعلق أحكامه باللسان والجوارح الظاهرة، و لم يكن ظهر منها شيء من ذلك يعتمد عليه، وقال: "إنها مؤمنة" والإيمان من لوازم القلوب، فدل على أن اعتماد النبي ﷺ في تقريرها، كان أمراً [ما] شهده منها يرجع إلى قلبها، لا إلى لفظها، مع احتمال لفظها له، فلذلك أقرها عليه، والله أعلم.

فصل النزول

ومن الأحاديث المتشابهة أحاديث نزوله سبحانه كل ليلة إلى سماء الدنيا، وهو لا ينافي ما ذكرناه، ولا يستلزم إثبات الجهة، ولا اتصافه تعالى بالحركة والنقلة، فإنها عرض، والأعراض يلزمها الحدوث، والحدوث على القديم محال على ما هو مقرر في الكتب الكلامية ولسنا له الآن، وإنما القصد تخريج صفة النزول على ما يوافق القواعد التي مهدناها في صفاته تعالى.

وقد أوّل بعضهم النزول بنزول علمه أو قدرته ونحوه وهو غير منجٍ، فإن علمه وقدرته وصفاته إن أريد نزولها نفسها فهو محال، لأن الصفة قائمة بالموصوف فإذا لم يجز على موصوفها النزول فصفته أولى وأحرى، وإن أريد بنزولها تعلقها بما في السماء الدنيا فتعلق علمه وقدرته بالموجودات كلها لم يزل ولا يزال فكيف يخص بجزء من الليل أو غيره، هذا مع القطع بأنه تعالى يمسك السموات والأرض أن تزولا. فمن قبضته لا تزال محيطة بالسموات والأرضين كلها كيف يحتاج إلى النزول إليها أو يختص تعلق علمه وقدرته بها بزمان دون غيره. وإنما الجاري على القواعد والآيات المحكمة قد بينه الله في كتابه بمثلين مثل فيك ومثل خارج عنك.

الأول: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية، ومن المعلوم أن النور إذا جعل محيطاً بدوائر شفافة سبعة وثمانية بعضها محيط ببعض، فأول ما يظهر أثره في أدناها إليه وأوسعها دائرة فيراه أهلها، ثم ينفذ شعاعه إلى الثانية فيظهر فيه على حسب صفاته ثم هكذا إلى ثالثة ورابعة إلى السابعة وكل من كان في دائرة منها يرى النور قد نزل إلى دائرته وهو نزول ظهور وتجل لا نزول حركة ونقلة فعلى مثل هذا خرج صفة نزوله سبحانه مع تنزيهه عن تفاوت نسب دوائر الأفلاك إليه، وعن بعده عن بعض وقربه من بعض، بل هو أقرب إلى كل من نفسه، ولا بد لك حينئذ من مراجعة ما تقدم في الاستواء على العرش، فتعلم أن صفة النزول من لوازم صفة الاستواء، وقد تقدم أن صفة الاستواء هو قيامه في عالم الأمر بسر التدبير، فنزوله حينئذ هو نزول روح الأمر بسر التدبير من حضرة الاستواء "وهو العرش" إلى سائر دوائر الكائنات لحكمة التعرف، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾[الطلاق: ١٢]، ثم بين أن ذلك التنزل لحكمة التعرف بقوله: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[الطلاق: ١٢].

تنبيه: إنما نسب النزول إليه سبحانه، لأن روح الأمر هي مظهر نور التوحيد، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [النحل: ٢]، وقد بيّنا أن نور توحيده هو وجهه سبحانه، فلهذا جعل نزول أمره بمثابة نزوله، ومعرفتها بمثابة معرفته، تحقيقاً لأن "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

تبصرة: إذا علمت معنى نزوله في العالم الأكبر، فاعتبر بذلك استواءه ونزوله في عالم الإنسان، وهو: العالم الأصغر، كما سيأتي بيانه.

المثل الثاني: قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١] إلى قوله: ﴿حَسِيرٞ﴾ [الملك: ٤]، فلا تعتقد أن المراد منك أن يرجع بصرك في طباق السماء، فإن الله يعلم أنك لا تدرك ببصرك ذلك، لضعفه وشدة البعد، وتأمل قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [الملك: ٣]، أي أن الرحمن خلقك وخلق السموات، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ۞﴾ [الرحمن: ١-٣] الآيات، فكما خلق السموات، خلق فيك أمثلة لها، لا تفاوت بين تلك الأمثلة وبينك، فارجع بصرك في تلك الأمثلة: تعلم أنه سبحانه ضرب قلبك لنفسه مثلاً، وذلك أن قلبك هو صاحب دوائر أطوارك، وله تعالى في استوائه عالمان: عالم خلق، وهو عالم حسك، وعالم أمر، وهو عالم غيبك، فإذا أراد تدبير عالم الحس تنزل بروح أمره، وهو نور البصر.

ومن المعلوم عند علماء التشريح: أن للروح الباصر سبع طباق، تتنزل منها إلى أن تصل إلى عالم الحس، وأنت إذا اعتبرت ذلك حكمت بسببه أن نزوله سبحانه منزه، عن النقلة والحركة، ألا ترى أن القلب يدرك بالبصر، ويدرك به البصر الشيء البعيد حساً في آن واحد، من غير تنقل ولا خطور في طباقه، ينفذ من بعضها لبعض، ولا مهلة في تنزله ورجوعه إليه، ولا تفاوت في نسبته إليها.

وقد قال المحققون من أهل النظر: إن العين مرآة القلب، أي من نظر إلى عين رجل رأى منها حقيقة قلبه، ولتحقق الروح الباصر بالقلب اشتبه على كثير من العقلاء، فاعتقدوا أن البصر ليس حساً مغايراً للقلب.

وكذا باقي الحواس، بل هي بمثابة الشبابيك، والقلب هو المدرك منها لما في عالم الحس.

وهذا كله يكشف لك سر نسبة النزول إلى ربنا سبحانه، بنزول روح أمره، وكونه من أكبر آيات توحيده.

تذكرة: في الحديث: "ما من مسلم يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي لأرد عليه سلامه".

وقد نبهت على الإشكال المتعلق بهذا، وجوابه في "الأمالي" والقصد بذكره هنا: مناسبة لما نحن فيه، فإنه للعبد مع الله حالين: حالاً يجمع روحه عليه، تحقيقاً لتوحيده، وتكميلاً لشهوده، وحالاً يرد روحه عليه: هداية لخلقه وتوفية لحقه، وهذا الجمع والرد من الأسرار الإلهية، نبه به النبي ﷺ على أن - حاله في مماته كحاله في حياته - لا يزال بروحه عند الله.

وإذا سلم عليه مسلم، أو جاءه زائر: رد الله إليه روحه كما كان يردها في حياته.

وفيما ذكرناه من الروح الباصر كشف لحقيقة ذلك، فإنه ما من نفس إلا ويتجمع فيه الروح الباصر إلى القلب: مؤدياً إليه ما يراه في عالم الحس، ثم يرد للعين من غير شعور بنقلة ولا كيفية ولا زمان.

فلو حلف الحالف: أن روحه الباصر ما زايل قلبه: لم يحنث، ولو حلف حالف أنه ما زايل عينه: لم يحنث كذلك، ولا يلزم من رد روحه إليه لرد سلام المؤمن المسلم عليه، أن لا تكون باقية عند ربها، ولا من بقائها عنده ألا تكون مردودة إلى نبيه، والله أعلم.

تبصرة: إذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة، الحديث. فلا يكن حظك منه النزول في عالم الحس، واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره إلى سماء قلبك، ألا تراه كيف نبهك على هذا بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ [الطلاق: ١٠]، ﴿رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٢٩]، الآية، ثم قال بعدها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٢]، الآية، فبدأ بآية نزول ذكره قبل آية نزول أمره، تنبيهاً على الاهتمام بالأول، وقال في الأول: ﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الطلاق: ١١]، وقال في الثاني: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، وذلك يقتضي أن نزوله بروح الذكر يثمر النور والهداية، وأن الله يتولى إخراج العبد من ظلمته، ولا يكله إلى نفسه، وأن نزوله بروح الأمر: يثمر الدلالة والتكليف، بالعلم، وكم بين من دل، وبين من نور وبين من حمل وأخرج، وبين من حمل وكلف.

تنبيه: اختصاص نزوله بالثلث الأخير من الليل، له ظاهر وباطن:

فأما الظاهر: فلأن الليل محل النوم، وتوفي الأنفس، ورقيها إلى الله.

وقد ذكر أرباب العلم الطبيعي: أن النوم المعتبر في صلاح البدن ثمان ساعات، وهي ثلثا الليل، فاقتضت حكمة الربوبية تخصيص النزول بالثلث الأخير رحمة للعباد، وتلطفاً بهم، حتى يكونوا قد تيقظوا، وتأهبوا لقبول ما ينزل على قلوبهم من بركات نزوله سبحانه.

وأما الباطن: فلأن الحجاب هو ليل القلوب، وهو ناشئ عن نوم القلب، وفي الحديث: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد، فإذا قام فذكر الله انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدتان، فإذا صلى انحلت ثلاث عقد".

فالقلب إذا نام بليله عقد الشيطان، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فذهب ثلث ليله، فإذا توضأ انحلت عقدتان، فذهب ثلثا ليله، ووضوؤه استغفاره، قال تعالى في قصة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝﴾ [نوح: ١٠ـ١١]، فإذا صلى فصلاته في ثلث الليل الحجاب الآخر، وهي العقدة الثالثة، وهناك يكون نزول روح الذكر عليه، فتنحل عقده كلها، ويكشف له عن حقيقة: "أن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه"، وعلامة الوصلة: كشف ليل الحجاب، والتلذذ بروح الخطاب.

فصل المجيء والإتيان

ومن المتشابه: صفة مجيئه سبحانه وتعالى وإتيانه، في نحو قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية، وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وهو أيضاً يرجع إلى معنى المحكم، ولا ينافيه، لأن من المحكم قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، فإذا رددت إليه قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝﴾ [الفجر: ٢٢]، علمت أنه يتجلى بوحدانيته في الروح، وأن المجيء للروح، ونسب إليه تعالى، كما نسب نزول الروح إليه لتجليه فيه.

وتحقيقه: أن الروح هو من عالم الأمر، وقد قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقد تقدم ذكر إتيانه في ظلل الغمام، فلا حاجة لإعادته.

تحقيق: اعلم أن الروح الأصلي، الجامع لحقائق الصفات في عالم الأمر في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾[النبأ: ٣٨]، هو روح القدس المحمدي، استواء ونزولاً، ومجيئاً وإتياناً، وهو صاحب التجلي بنور التوحيد، في مظاهر السموات والأرض، وفي ظلل غمام الشرائع، وصور الأعمال كما تقدم، وهو صاحب الرحم الإيمانية، والنسب المحمدي، بدليل قوله تعالى للرحم: "ألا ترضين أن من وصلك وصلته، وأن من قطعك بتته" مع قوله عليه الصلاة والسلام: "كل نسب يوم القيامة منقطع إلا نسبي" وإلى رحمه المتعلقة بالعرش: تعرج الأرواح كل ليلة عند النوم ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر: ٤٢] الآية.

فما كان منها طاهراً سجد تحت العرش كما في الحديث فسجوده وصلته لها، وبسيماها يعرف بدليل قوله تعالى في المتصلين بالمعية المحمدية ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وما كان منها غير ظاهر بسبب التمريج الذي حصل له من الشيطان المخلوق من مارج من نار، لم يؤذن له، لأنه قطعها باتباع العدو، فيسجد قاصياً، فبعده عنها: ثمرة قطعه لها، وعدم الإذن له هو: قطع الله له.

تنبيه: هذه هي "الرحم" التي اشتق لها اسم من اسمه "الرحمن" صاحب أسماء الله الحسنى، في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء: ١١٠]، فما من اسم حسن للعبد، إلا وهو مشتق من أسمائه تعالى الحسنى، وإليها مرجعه، واشتقاقه منها على حسب صلته للرحم الإيمانية المحمدية، وعلامة صلته بها: صدق مودته لإخوانه المؤمنين، وقوة ألفته بهم، وانجماعه عليهم، وعلامة قطعه لها: مفارقته لهم. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾[آل عمران: ١٠٥]، الآية،

مع قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فانظر بسبب التفريق: كيف قطع عنهم نسبة المحمدي، بقوله تعالى: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ونبه على أنهم قد قطعوا عن الله بقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فتحقق بذلك قوله: "من قطعك بتته".

إشارة: وصلة الروح للروح المحمدية، والرحم الإيمانية، وسجودها على حسب ما فطرت عليه في أصل نشأتها، من سر "لا إله إلا الله" ورثته من نورها، وإرثها من نورها: تارة يكون بسبب، وهو القيام بحقها، وتارة يكون بنسب، وهو امتزاجها بالروح الإيمانية، في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فمن قام بحق "لا إله إلا الله" فهو أحق بها، وهو صاحب سبب.

ومن أيد بروحها، فهو صاحب نسب، وقد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [الفتح: ٢٦].

فصل المعية

في الحديث: "كان الله و لم يكن معه شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء"، أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين.

وقد كثر ذكر معية الله لعبده في مواضع من الكتاب والسنة، وهو من المتشابه، ورجوعه إلى المحكم بأن يعلم بأن الله سبحانه في الموجودات قد ضرب لنفسه مثلاً بالواحد في الأعداد.

ومن المعلوم: أن ما من عدد إلا وهو في الحقيقة يرجع إلى الواحد، فالاثنان من شهود الواحد مرة مرة، والثلاثة من شهوده مرة ومرة ومرة، وهكذا جميع الأعداد، فلو طلبت لعدد من الأعداد حقيقة مجردة عن الواحد، لم تجدها، ولسبب ذلك كانت الأعداد لا تتناهى، لأن تجليات الواحد لا تتناهى، ولولا معية الواحد للواحد ما ثبتت الشفعية، ولولا إحاطته بالشفعية ما ثبتت الوترية، وهو الأول والآخر ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] الآية، فمن أشهده الله آخرية معيته له فقد شفعه، فإن أشهده مع ذلك أولية معيته فقد أوتره، "إن الله وتر يحب الوتر"، ومن أشهده سر وحدانيته في نفسه ورجوع الأعداد إليه، فقد وحده (ما وحد الواحد إلا الواحد) وبهذا يفهم السر في قوله: "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

تنبيه: اعلم أنه تعالى، كما أنه واحد في ذاته، فهو واحد في صفاته، وذاته سبحانه منزهة عن المعية، فليست مع شيء، ولا معها شيء، ولكنه مع كل شيء بصفاته.

وكذلك العبد الذي وحده، وأشهده سر الوحدانية في ذاته، بتجلي ذاته المقدسة على سره.

فقد ظهر لك بهذا: أن المعية من أحكام الصفات، فرب عبد يشهده الله معيته له بصفة وصفتين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦].

ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات، وإنما اختصاص الأنبياء والأولياء بالشهود، والتأييد بالروح منها، كما حكي عن أحد أصحاب الشيخ أبي النجا رحمه الله، أنه كان يقول: قال لي وقلت له، ويكثر من ذلك.

فقيل له: من هو الذي يقول لك وتقول له؟ قال: الله.

قالوا: الله يقول لك؟ قال: نعم. ويأخذ بيدي كلما قمت وقعدت.

قالوا: لك هذا خاصة؟ قال لا، بل للناس عامة، ولكني أنا أشهد، وهم لا يشهدون.

تبصرة: رب عبد يخص بشهود المعية، ولا يتعدى ذلك منه إلى اتباعه، كقول موسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، ورب عبد يتعدى منه نوره إلى أتباعه، فيشهدون به سر المعية، كقول سيدنا محمد ﷺ: "إن الله معنا".

تربية: إذا أردت شهود نور المعية، فعليك بتزكية النفس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، وفي حديث رواه أبو عبد الله الترمذي الحكيم في "نوادر الأصول" بسنده إلى عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من فعلهن طعم طعم الإيمان، من عبد الله وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، و لم يعط الهرمة ولا الدرنة، ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم، وزكا نفسه".

فقال الرجل: وما تزكية نفسه؟ قال: "أن يعلم أن الله معه حيث ما كان".

فانظر كيف نبه على أن تزكية النفس: تثمر العلم بمعية الله.

فإن قلت: بماذا تكون تزكية النفس؟

قلت: بلزوم الذكر، قال الله تعالى في الحديث: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني". فعلى حسب الذكر: يكون تطهير النفس وتزكيتها.

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: ١٤]، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٥]، وعلى حسب التزكية يكون شهود المعية.

فصل الحب

ومن الصفات المتشابهة: صفة الحب، وقد نسب في الكتاب إلى الله تعالى بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وبقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وكذا في السنة، في أحاديث، وقد اختلف علماء الظاهر والباطن في تأويله، والمعول عليه عندهم: أنه يرجع إلى التعبير بالشيء عن ثمراته، فحب العبد لله: محبة إدامته لذكره، وإقامته لطاعته، وحب الله لعبده: إقباله بوجه إحسانه ورحمته إليه، وإفاضة سوابغ نعمه وجوده عليه، وهذا فيه تعطيل لحقيقة الوصف، والذي حملهم على ذلك: أن الحب في الشاهد: عبارة عن ميل القلب، وهو مستحيل على الله سبحانه، لتعاليه عن الحوادث.

والتحقيق: أن الحب ترجع حقيقته مطلقاً إلى سر روحاني، يجمع الله به المتفرق، ويوحد المتعدد، وذلك أن ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، فما من شيء من الكائنات، إلا وفيه سر من الواحد قائم به، كما تقدم تحقيق ذلك في "فصل المعية"، ومن المعلوم: أن المخلوقات مختلفة من حيث الأسماء والصور، ومراد الله منها ائتلافها في الرجوع إلى الواحد ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣]، وإنما تأتلف

الصور والأسماء المختلفة من حيث ذلك السر القائم بها من تجلي الواحد، وليست كلها متساوية، بل هي متفاوتة على حسب قابليتها لتجليه.

وقد جعل الله الحب سراً يكشف حجاب الاختلاف بالصورة والاسم، عما قام بهما من السر المتفق، فيأتلف السر مع السر بواسطة التعارف.

وفي الحديث: "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" فإن حصل الكشف من الجانبين: حصل التحابب من الجانبين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وإن حصل من أحد الجانبين اختص بالمحبة، ولهذا تجد بعض الناس يحب من لا يظهر عليه أنه يحبه، لأن المُحب كشف له عن سر التوحيد المناسب له القائم بمحبوبه، فألفه و لم يكشف لمحبوبه عن السر القائم بمحبه.

وجملة الأمر: أن لا محبوب في الوجود إلا الله.

ولقد أحسن بعضهم في التنبيه على ذلك إجمالاً فقال في محبوبه شعراً:

شيء به تسبى القلوب سوى الذي	**يدعي الجمال، ولست أدري ما هو!؟**

وقال بعضهم:

البلبل يا صاح يشدو بفنن	**والورق تنوح: يا ترى العشق لمن؟**
والكون جميعه غرام وشجن	**يشا باشك يا من الكل فتن**

فقد ظهر أن الحب سر يكشف حجاب الحوادث عن أسرار التوحيد فيجتمع متفرقها ويتحد متعددها ومن توهم أنه الميل أو الإرادة، أو بعض الآثار الحادثة التي يجدها المحب، فليس على حقيقة من أمره، وإنما التبس عليه الأعراض المنفعلة عن الحب بالحب.

واعلم: أنه لا يطلق على العبد أنه يحب الله إلا إذا كشف له عن سر التوحيد مجرداً عن الحوادث فأحبه، فأما إذا أحب السر متوهماً أنه أحب مظهره من الحوادث فلا، وبهذا حصل الالتباس في حقيقة الحب وفي إطلاقه على غير الله وفي صحة إطلاقه عليه.

تنبيه: قولنا: "لا يصدق حب الله إلا بالكشف عن سر التوحيد، مجرداً عن الحوادث" مجمل له تفصيل، وهو: أن كشف تجريده: تارة يكون عياناً، وتارة يكون إيماناً.

فالعيان كحال إبراهيم عليه السلام حيث توجه إليه في الكواكب، ثم في القمر، ثم في الشمس، ثم توجه إليه مجرداً، فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية.

ونبه على تجريد حبه عن الحادث، بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] والإيمان، كحال من أخبره الصادق "أن السر في هذا المظهر". فنشأ له بنور التصديق والإيمان حب كشف له عن ذلك السر: كشفاً إيمانياً.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فنبه على أن سر التوحيد، المأذون في محبته: له مظهر، وهو ظلل غمام الشريعة، واتباعه فيها يستلزم اتصافه بها، وهو بمثابة تعرض المحب للمواطن التي يظهر له فيها محبوبه، ومن شأن المتعرض لمواطن الحبيب، أن يراقب

وجه محبوبه عند تجليه فيها، فلهذا أمر العبد بالمراقبة، في قوله ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

تبصرة: ومن هذا قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، ونحوه من الآيات: يتضمن الإخبار للعباد: أن سر التوحيد الجامع: مظهره: "محمد ﷺ" فمن أحبه فقد أحب الله.

ولشهود ذلك السر، كان يسجد له: الحجر، والبعير، ويسعى إليه الشجر.

ومن الاتباع من حجب عن تجرده، حتى أخبر به في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ﴾[النساء: ٦٤]، إلى قوله: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤﴾[النساء: ٦٤].

ويحكى: عن بعض الشيوخ: أنه رآه ﷺ في نومه، فقال له: اعذرني يا رسول الله، فإن محبة الله شغلتني عن محبتك، فقال له: ويحك يا مبارك، من أحبني قد أحب الله، ومن أحب الله فقد أحبني.

تحقيق: قوله تعالى: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته" الحديث، فيه أسرار، منها:

التنبيه على أن الحب سر يجمع المتفرق، ويوحد المتعدد، كما ذكرناه.

ومن كلام المحققين: "الحبيب أنت، إلا أنك غيره".

ومنها: التنبيه على أن العبد تارة يكون محباً متقرباً وتارة يكون محبوباً، وترجع حقيقة التقسيم: إلى شهود العبد، وحظه من تجلي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة: ٥].

فإن شهد: ما منه إلى الله، فقد شهد رجوع الأمر بسر التوحيد منه إلى الله، فهو محب، وعلامته: دوام ذكره، وتوجهه بالتقرب بالنوافل، وغلبة الشوق، والقلق، والهيمان، ونحوه.

وإن شهد ما من الله إليه، فقد شهد بدء الأمر من الله، وتنزله بروح التوحيد إليه، فهو محبوب، وعلامته: السكون، والاستسلام، ودوام المراقبة.

ومنها: التنبيه على أن المحبوب قسمان: قسم يفنى بمحبوبه، وقسم يبقى به.

فنبه على حال الأول بقوله: "كنت سمعه"، ونبه على حال الثاني بقوله: "الذي يسمع به" ونبه بهما، على أنه: لا بقاء إلا بعد فناء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فنبه على الفنا بقوله: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: ١٧]، وعلى البقاء بقوله: ﴿إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: ١٧]، وعلى تحقق المحب بالحبيب، بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

دقيقة: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١]، إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١]، الضمير لمحمد ﷺ، والسميع البصير هو الحبيب. شعر:

رأت قمر السماء، فأذكرتني	**ليالي وصلنا بالرقمتين**
كلانا ناظر قمراً، ولكن	**رأيت بعينها، ورأت بعيني**

وإنما يتضح قصد الشاعر بتخريجه على ما نحن فيه، وهو:

أنه يشير على أن قمر السماء: من عشاق محبوبته، وأن محبوبته رأته ذات ليلة، فكسته برؤيتها له نور جمالها، ومحاسن صفاتها، وألقت عليه شبهها، وأعارته اسمها، فأذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي

وصلته بالرقمتين، فإنها بوصلها له أفنته عن صفاته، وغلبت عليه بصفاتها، حتى صارت معه كالقمر الواحد، وكلاهما ينظره.

ولهذا قال: "كلانا ناظر قمراً" أي قمراً واحداً، تعدد مظهره، لكونها تنظر بعينه، وهي عين المحبة، لأن المحب صار محبوباً، وهو ينظر بعينها، لأنها أعارته عينها: رآها بها، فكان البصير لها: نفسها.

فصل لفظة عند

ومن المتشابه لفظة "عند" وقد جاءت منسوبة إلى الله، في الكتاب والسنة كثيراً، وهي في اللغة كلمة تستعمل لإفادة الملك، ولإفادة الحضور، ولا اشتباه في استعمالها لله تعالى، لإفادة الملك.

وإنما الاشتباه في إفادتها للحضور.

واعلم أن حضرة الله سبحانه: ليست حضرة مكانية، لتعاليه عن المكان تقدس، بل حضرته وراء حضرات السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩] فعطف ﴿مَّنۡ عِندِهِۦ﴾ على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ والعطف يقتضي المغايرة، وهي مع كونها وراء السموات والأرض، فهي مهيمنة على حضرات السموات والأرض، ومحيطة بها، فما من حضرة مكانية إلا وحضرة الله محيطة بها ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣].

وإذا تقرر ذلك، فعنديته سبحانه: متعددة بحسب الإضافة، متحدة بحسب الحقيقة.

فأما تعددها، فلأنه ما من اسم من أسمائه تعالى، إلا وله في تجليه "عندية" تخصه: يشهدها أرباب القلوب الذاكرة له، وفيها مجالس المناجاة لهم. ويخلع عليهم فيها خلع الرضا منه.

ومن سلطان ذلك الاسم: تخرج الربوبية لأهله، وتظهر تواقيع الولاية بذكره.

وأما اتحادها بحسب الحقيقة، فعند الله، هو موطن استقرار عباده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ومعنى ذلك أن عندية الله، ما زالت ولا تزال محيطة بعبده، كما قال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ [الواقعة: ٨٥]، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ١٦﴾ [ق: ١٦]، ولكن رب عبد دام له هذا الشهود، فهو لا يزال مستقراً عند الله في محياه ومماته ومبدئه وعوده، وإن اختلفت عليه الأحوال.

ومعنى "توفى هذا العبد بالموت إلى الله" ترقيه في مراتب التجلي، وحقائق الكشف، وتعاقب مظاهر "العندية" على روحه: مظهراً بعد مظهر.

ورب عبد شهد في البدء "عندية" الله له، ثم حجب عنه مكانه من الله، بسبب كثرة تخليطه، وظلمة اكتسابه، فذلك مستودع استودعه الله لرسل أسبابه وملائكته الموكلين به، فلا يزال محجوباً إلى الأجل المقدر له، فيرد إلى الله، كما قيل:

وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وترجع حقيقة الرد: إلى كشف الحجاب، وتجلي إحاطة الله به، كما قال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ١٦﴾ [ق: ١٦] إلى قوله: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ﴾ [ق: ٢١-٢٢] الآية، هنالك يشهد أنه لا مستقر إلا عند الله، وقد نظمت في ذلك:

قد كنت أحسب أني عن فنائكم	ناء، وأن بأرض الله متسعا
فلم يزل لطفكم بي، تحت حجبكم	حتى رفعتم حجاب الفرق فارتفعا
فلاح أني مقيم: ما برحت على ال	أبواب عبداً، وأن اللطف ما انقطعا

إشارة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] تنبه على العباد المخصوصين من أهل "العندية" والاستقرار.

وقوله: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، خطاب للمحجوبين من المستودعين للحفظة.

ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦١-٦٢]، ثم حذر المكذب بذلك، بقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ۝٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ﴾ [الأنعام: ٦٦-٦٧]، ونبه على أن مستقر الأنباء عنده، وأنه يظهر بزوال حجاب البصيرة، بقوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨﴾ [القيامة: ٧-٨] إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٢-١٣].

تنبيه: قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ [النحل: ٩٦] له ظاهر وحقيقة، فظاهره: أن ما عند العبد من المال والولد وزينة الدنيا: بصدد الزوال والنفاد، وما عند الله من الجزاء - على تقدير إنفاقه - باق لا ينفد.

وأما حقيقته: فكل شيء له نسبتان: نسبة عارضة، وهي نسبته للعبد، ونسبة أصلية: وهي نسبته لله. فمعنى كونه "عند العبد" هو: نسبته إليه، وهو فائت زائل. ومعنى كونه "عند الله" هو نسبته إليه، وهو باق لا يزول.

والمراد: أن العبد يخرج الأشياء كلها عنه، ويمحو نسبتها إليه، بنسبتها إلى الله، وقد بقيت له.

ومتى نسبها إلى نفسه وقدرته، فقدت، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ [يونس: ٢٤] الآية، فعند ظن القدرة عليها: أخذت وزالت.

وقال تعالى في ضده: ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ [القصص: ٧] فأرشدها عند الخوف: أن تلقيه من يدها، وتخرجه عن حفظها، فإن الله حينئذ يتولاه بحفظه، ويبقيه برحمته.

تربية: قوله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ [العنكبوت: ١٧] فيه تلطف بعبده في استدعائه للإقبال عليه، بالإعراض عن سواه، لأن العبد مجبول على الافتقار للرزق. وإيثاره بالطلب، فلو جعل الرزق: لا يكتسب إلا بالإقبال على الأسباب: شغله ذلك عن الله، فكان من لطف الله بعبده: أنه جعل ابتغاء الرزق بالإقبال عليه، إقبالاً يشهد به العبد قرب الله منه، وإحاطته به، فيكون العبد بذلك في حضرته وعنده. ومتى بلغ العبد إلى هذا: جاءه الرزق من حيث لا يحتسب.

ألا ترى مريم لما تركت الأسباب، وأقبلت على الله بلزوم المحراب، كان زكريا عليه السلام ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧] الآية.

فصل لفظة أين

ومن المتشابه لفظة: "أين" وهي كلمة يستفهم بها عن الحيز المكاني.

وقد ورد بها الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] والسنة في قوله ﷺ للجارية: "أين الله؟ فقالت: في السماء". ومن المعلوم: أن التحيز على الله محال.

فأما "أين" في الآية: فإنها أطلقت لإفادة معية الله للمخاطبين في الأين اللازم لهم، لا له سبحانه، فهو مع كل صاحب أين بلا أين. وأما إطلاقه في حديث الجارية، فقد تقدم الكلام عليه، في فصل "الكلام على الجهة" و "الإسراء".

فصل الضحك، والرضا، والغضب

ومن المتشابه: بصفة الضحك والرضا والغضب.

وقد ورد الرضا والغضب في الكتاب والسنة. وورد الضحك في السنة في أحاديث.

وقد اختلف أهل الحقائق في معنى الرضا في الشاهد، وهل هو حال أو مقام، وأياً ما كان فهو: من مقولة "الكيف" الحادثة، وهو مستحيل على الله، فالضحك في الشاهد معروف، وامتناعه على الله بالنسبة لذاته ضروري، فلذلك كان من المتشابه، ورجوعه للمحكم بما قدمناه في الصورة، فيكون ظهور الضحك في الصورة، التي يتجلى فيها ربنا على عبده، ولا اشتباه في ذلك، فإن أصل الضحك عند الحكماء ينشأ من إقبال القلب إلى وجهة الصدر، فينفعل لإقباله البدن بالكيفية التي تسمى ضحكاً، والفاعل في الحقيقة لذلك كله هو: الله.

فلا إشكال: أنه إذا أقبل بروح توحيده، على عبده في الصورة المتشكلة، من عمله: أنه يظهر على تلك الصورة بإقباله هيئة الضحك المناسبة للضحك المعتاد، بإقبال القلب.

وينسب ذلك الضحك إليه، كنسبة الصورة والوجه إليه، بالمعنى الذي قدمناه، ويتضاعف بذلك نعيم الرؤية للمؤمن، وإفاضة جوائز وخلعة الكرم عليه.

وقد ثبت أنه "يلقى المؤمن إذا مات بروح وريحان ورب غير غضبان".

فانظر كيف جعل مظهر لقائه الروح، وفي الروح يظهر لذلك العبد رضاه وضحكه وعدم غضبه، وحقق بقوله: –ورب غير غضبان– أن الروح مظهر الربوبية وأن العبد بلقائه الروح يلاقي ربه، ولولا ذلك لأشكل –على قواعد العربية– لأنه عطف الرب على الروح، وأشرك بينهما في تعدي الفعل إليه بالباء على وجه تعديه للمفعول، وذلك ينافي كون الرب فاعلاً ليلقى.

وإذا أنت أخرجته على المعنى الذي ذكرناه، لم يبق فيه إشكال.

والله تعالى أعلم.

تمت الرسالة المباركة، بحمد الله وتوفيقه، ومنّه وكرمه
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
والحمد لله رب العالمين

مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية

مشهد نور الوجود بطلوع نجم العيان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أشهدني الحق بمشهد نور الوجود، وطلوع نجم العيان، وقال لي: من أنت؟ قلت: العدم الظاهر.

قال لي: والعدم كيف يصير وجوداً؟ لو لم تكن موجوداً لما صح وجودك؟ قلت: ولذلك قلت: العدم الظاهر. وأما العدم الباطن فلا يصح وجوده.

ثم قال لي: إذا كان الوجود الأول عين الوجود الثاني، فلا عدم سابق، ولا وجود حادث، وقد ثبت حدوثك.

ثم قال لي: ليس الوجود الأول عين الوجود الثاني.

ثم قال لي: الوجود الأول كوجود الكليات، والوجود الثاني كوجود الشخصيات.

ثم قال لي: العدم حق، وما ثم غيره، والوجود حق ليس غيره. قلت له: كذلك هو.

قال لي: أراك مسلماً تقليداً، أو صاحب دليل؟ قلت: لا مقلد، ولا صاحب دليل.

قال لي: فأنت لا شيء. قلت له: أنا الشيء بلا مثلية، وأنت الشيء بالمثلية. قال: صدقت.

ثم قال لي: ما أنت بشيء، ولا كنت شيئاً، ولست على شيء. قلت له: نعم: لو كنتُ شيئاً لأدركني جواز الإدراك. ولو كنتُ على شيء لقامت النسب الثلاث. ولو إني الشيء لكان لي مقابل، ولا مقابل لي.

ثم قلت له: وجدتُ في الأبعاض و لم أُوجد، فأنا مسمى من غير اسم، وموصوف من غير وصف، ومنعوت بلا نعت، وهو كمالي. وأنت مسمى بالاسم، وموصوف بالوصف، ومنعوت بالنعت، وهو كمالك.

ثم قال لي: لا يعرف الموجود إلا المعدوم.

ثم قال لي: لا يعرف الموجود على الحقيقة إلا الموجود.

ثم قال لي: الوجود مني، لا منك، وبك، لا بي.

ثم قال لي: من وجدك وجدني، ومن فقدك فقدني.

ثم قال لي: من وجدك فقدني، ومن فقدك وجدني.

ثم قال لي: من فقدني وجدني، ومن وجدني لم يفقدني.

ثم قال لي: الوجود والفقد لك لا لي. ثم قال لي: الوجود والفقد لي، لا لك.

ثم قال لي: كل وجود لا يصح إلا بالتقييد، فهو لك. وكل وجود مطلق فهو لي.

ثم قال لي: وجود التقييد لي، لا لك.

ثم قال لي: الوجود المفروق لي بك، والوجود المجموع لك بي. ثم قال لي: وبالعكس.

ثم قال لي: الوجود بالأولية غير وجود، ودونها هو الوجود الحقيقي.

ثم قال لي: الوجود بي، وعني، ولي.

ثم قال لي: الوجود عنّي، لا بي، ولا لي.
ثم قال لي: الوجود لا بي، ولا عني، ولا لي.
ثم قال لي: إن وجدتني لم تريني، وإن فقدتني رأيتني.
ثم قال لي: في الوجود فقدي، وفي الفقد وجودي. فلو اطلعت على الأخذ لوقفت على الوجود الحقيقي.

مشهد نور الصمت بطلوع نجم السلب

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهدني الحق بمشهد نور الصمت، وطلوع نجم السلب، فأخرسني، فما بقي في الكون موضع إلا ارتقم بكلامي، وما سطر كتاب إلا من مادتي وإلقائي.
ثم قال لي: الصمت حقيقتك.
ثم قال لي: الصمت لا غيرك، والصمت ليس إليك.
ثم قال لي: إن كان الصامت معبودك لحقت بأصحاب العجل، وانتظمت مع أهل الشمس والقمر، وإن لم يكن الصامت معبودك، كنت لي و لم تكن له.
ثم قال لي: على الكلام فطرتك، وهو حقيقة صمتك. فإذا كنت متكلماً فأنت صامت.
ثم قال لي: بك أتكلم، وبك أعطي، وبك آخذ، وبك أبسط، وبك أقبض، وبك أرى، وبك أوجد، وبك أعلم.
ثم قال لي: لك أتكلم، ولك أعطي، ولك آخذ، ولك أبسط، ولك أقبض، ولك أرى، ولك أوجد، ولك أعلم.
ثم قال لي: أنت موضع نظري وأنت صفتي، فلا تتكلم إلا إذا نظرتك، وأنا أنظرك دائما. فخاطب الناس على الدوام، ولا تتكلم.
ثم قال لي: صمتي ظاهر، وجودك وكونك.
ثم قال لي: لو كنت أنا صامتا لم تكن أنت، ولو تكلمت أنت ما عُرفت أنا، فتكلم حتى أُعرف.
ثم قال لي: الألف صامت، والحروف ناطقة، والألف ناطق في الحروف وليست الحروف ناطقة في الألف. والحروف مدبرة عن الألف، والألف مستصحبة لها، وهي لا تشعر.
ثم قال لي: الحروف موسى والألف العصا.
ثم قال لي: في الصمت وجودك، وفي النطق عدمك.
ثم قال لي: ما صمت من صمت، وإنما صمت من لم يصمت.
ثم قال لي: تكلمت أو صمت فأنت متكلم. ولو تكلمت أبد الآباد ما دامت الديمومية، فأنت صامت.
ثم قال لي: إن صمت اهتدى بك كلَّ شيء، وإن تكلمت ضل بك كل شيء. فاطلع، تكشف.

تم الكتاب

رسالة الباء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ العالم المحقق ناصر الطائفة، علامة الوجود، كعبة العلماء والعارفين، محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي الطائي الحاتمي الأندلسي ختم الله له بالحسنى.

سألني من تعزُّ عليَّ مسألته، وتتجح عليَّ طلبته أن أقيّد له كتاباً بخط يدي بما وضعناه في الحقائق الإلهية، والرقائق الروحانية، ثم جرى منه أكرمه الله في أثناء المجلس كلامٌ قال فيه: إنه اختُلِسَ من نفسه، ونودي في سره من عالم قدسه، وقيل له في ذلك الخطاب المذكور، المكتشف بالنور: إن الأشياء ظهرت بالباء. والباء فيها أمرٌ ما.

قال: فتحيَّرت؛ فإن كل أحد لا يقدر على فكّ المــُـعمَّى.

قال: فلما قامت الحيرة، والحضرة من عادتها الغيرة.

قيل لي: اضرب عشرة في عشرة، ثم سُدِلَ الحجاب، وارتفع الخطاب، ورجعت بهذه الزيادة إلى عالم الشهادة، فلما عرض علينا ما شوقه به في عالم مثاله، وخوطب به من خزانة خياله، أردنا أن نُعربَ عن إعجام هذا الكلام، ونلحقه بمرتبته المعينة له في عالم الإلهام.

فقلت: الحمد لله بالله، فإنه أثبت لعيني، وأبقى لكوني، وفي بقائي ظهور سلطانه، وشهود إحسانه، ولولا باؤه ما ظهر أثرٌ، ولا التحم روحٌ ببشر، وصلى الله على محمد أب الآباء المشغوف بالباء، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: يا وَليي – أبقاك الله – فإنك قلتَ: إنه قيل لك إن الأشياء ظهرت بالباء. والباء فيها أمرٌ ما، فتحيرتَ فيما قيل لك. فقال لك: اضرب عشرة في عشرة.

فاعلم أنه قد جمع لك في هذا الخطاب لُباب الحكمة الإلهية، ونبَّهك على الغاية التمامية، وذلك أن الباء أول موجود، وهو في المرتبة الثانية "من الوجود"، وهو حرف شريف؛ فإنه العدل، والحق الذي قامت به السماوات والأرض وما بينهما، وإنه من شرفه، وتمكنه من طريق مرتبته أن افتتح الحق تعالى به كتابه العزيز فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾.

فبدأ بالباء، وهكذا بدأ بها في كل سورة، فلما أراد الله أن ينزل سورة التوبة بغير بسملة ابتدأ فيها بالباء "فقال: براءة من الله فبدأ بالباء" دون غيرها من الحروف.

وكان شيخنا وإمامنا أبو مدين رضي الله عنه يقول: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الباء عليه مكتوب، كأنه يقول في كل شيء، بي قام كل شيء، فكانت الباء في إزاء كل شيء.

وقيل للعارف الشبلي: أنت الشبلي؟ فقال: أنا النقطة التي تحت الباء.

يشير أنه كما تدل النقطة على الباء وتميّزها من التاء والثاء وغير ذلك.

وكذلك تدل أنا على السبب الذي عنه وجدت، ومنه ولدت، وبه ظهرت، وبه بطنت، فهذان شيخان كبيران شاهدان عادلان قد شَهِدَا لك بشرفِ هذا الحرف وجلالته على غيره من الحروف. وأنا

إن شاء الله أفصّل لك ما فيه ما يقتضيه حال الرؤيا وينزل عليك به في العدوة الدنيا. وذلك أن الباء حرفُ اتصال ووصلة، وهو من عالم الشهادة والظاهر. وله من المراتب المرتبة الثانية "من الوجود، وهو حرف مجهورٌ، وله شركة مع الميم، ولهذا قيل لك: والباء فيها أمرٌ ما.

فالميم: أيضاً حرف وصلة، وهو من عالم الشهادة والظهور.

وله من المراتب الثانية؛ من التثنية إلا أنه حرف مهموس، وشدد لك النطق به. والشد يقتضي لك أنَّ فيه حرفاً آخر، وهو النون الذي في قوله: "أمر" قُلبت ميماً، وأُدغمت في الميم في قوله: ما.

وهذا هو المقام "الذي يقال فيه: "أنا من أهوى ومن أهوى أنا"

وعن هذا المقام سُئل الجنيد عنه فقال:

وغنَّـــــا لـــــي منـــــي قلبـــــي	**وغنّيـــــت كمـــــا غنـــــا**
وكنّـــــا حيـــــث مـــــا كـــــانوا	**وكـــــانوا حيـــــث مـــــا كنَّـــــا**

وقال الآخر فيه: " أنا الحق". وقال الله تعالى فيه: "كنت سمعه وبصره".

وهو تصيير الذاتين ذاتاً واحدة في العين، وأنها ذات واحدة في النطق، ولولا الشد ما عرف أحدٌ ذاتين، ولكن في عالم الشهادة ذاتٌ واحدة كما نعلم – قطعاً – أن إحياء الموتى ليس إلا لله.

ثم رأينا عند نفخ عيسى عليه السلام في الطائر فكان طائراً. فما وقع في الشهادة، ولا أبصره العين سوى ذات واحدة، وهو عيسى ولكن أعطى الفعل والأثر بأن ثم ذاتاً أخرى عنها كان هذا الفعل، فهما ذاتان فالشدُّ الظاهر في النطق في الحرف هو بمنزلة الأثر، والعقل يدل على أن ثَم ذاتاً أخرى غير ما شهدناه فأنبأ أيضاً في هذا الكشف " بتشديدٍ مَّا، ما يقوله أهل السكر من الاتحاد". ثم نسبة النون المدغمة من الميم نسبة قريبة منها أنها من العالم المهموس مثل الميم، ولها من المراتب الخمسة وهي الخمسون في العشرات وفي المرتبة الثانية للفردية، كما كانت الميم في المرتبة الثانية للتثنية والشفعية. فإن لها من المراتب الرابعة وهي الأربعون في العشرات فلها حكم المجاورة في العدد. فلهذا أدغمت فيها وخفيت وأشبهت النون الباء من حيث المرتبة الثنائية وهي أقوى شبه بالباء. وفي المرتبة من الميم؛ فإن الباء ثانية الوحدانية، والنون ثانية الفردانية. والفرد أقرب إلى الوحدانية والوترية من الزوج فإنه كـــ "هو"، فلهذا احتملت الباء أن تدغم النون في الميم لشبهها بها، من جهة الأحدية. ولهذا يختص به كل واحد من هذه الثلاثة، ما يختص به الآخر وذلك أن الباء، اختصت بالأولية وليس لأحدٍ ذلك المقام؛ لأنها في المرتبة الثانية من وجود خالقها والأولية على خالقها محال، فبقيت الأولية لها. ولهذا ينتشئ العدد منها. فإن الواحد لا يقال فيه إنَّه عدد. فإذا جاءت الباء، وهي المرتبة الثانية ظهر وجود العدد، والذي تختص به الميم هو أولها منعطفٌ على آخرها مثل الواو والنون فأشبهت النون في هذا الباب. وحكمة هذا العطف وهذه الدائرة قد ذكرناه في كتاب: "ستة وتسعون" تكلمنا فيه على (الواو، والنون، والميم) خاصة؛ ولكن الذي تختص به الميم مرتبةٌ شفعيةٌ. والشفعية ليس لأحد غيره. ومن خواص النون هذه المذكورة أنها من عالم الأنفاس والروائح؛ فلها طريق في الخيشوم ولكن ليس لغيرها ذلك، وهو حرف شريف. وإنما كانت الباء مجهورة من العالم المجهور لأنها أصل الظهور. وهي الثوب الذي على موجدها. ولهذا أُخرجت على صورته وبكلمته، وخفي هو بظهورها فلم تتعلق معرفة العارفين إلا بالباء ولا شهدت أبصار الشاهدين إلا بالباء ولا تحقق المحققون إلا بالباء. فهي كل شيء والظاهرة في كل شيء

والسارية في كل شيء، وبهذا كان كل مجهور وغيبها موجدها فلهذا كانت من العالم المجهور، وإنما كانت الميم والنون من العالم المهموس من أجل الباء، فإنهما ظهرا في العين عن الباء، وهما عن الحقيقة عن غيب الباء الذي هو الأذن العالي والأمر المطاع فنُسبتَا إليه لا إلى الباء.

فلهذا النسب كانت من العالم المهموس وهو الخفي.

واجتمع الكل في كونهم حروف اتصال ووصل. فالميم والباء اتصلت بهما الشفتان بعد افتراقهما، وهو شأن المحبين إذا اجتمعا والوصلة إذا تعانقا وامتزجا.

والنون أيضاً حرف اتصال ووصلة؛ لأن اللسان اتصل عندها بالحنك الأعلى غير أنه بين الاتصالين فرقان:

- اتصال النون في العالم الأوسط عالم الخيال الروحاني والعلوي.
- واتصال الباء، والميم في عالم الشهادة، وإن كان ذلك اللطف من طريق أنه أقرب إلى الروحانية والغيب. فهذا أتمّ لأنه من باب النيابة والاستخلاف قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ [الصافات: ١٦٤].

ولما تحير المكاشف في هذا الأمر، وما عرفه، وقال له في خطابه: اضرب عشرة في عشرة. فبالضرورة هي مائة. فلماذا قصد إلى العشرة دون غيرها من الأعداد؟

فاعلم أن العشرة مبيناً في الضرب وخروج كل منهما عقداً واحداً وهو مائة وهو في المئين بمنزلة الواحد في الآحاد والعشرة في العشرات. فصار الشّبه بين الواحد والعشرة والمائة واحد. فإن الواحدَ رأسُ الآحاد والعشرة رأس العشرات، والمائة رأس المئين. فما زالت من الوحدانية ولكنها القائمة من اثنين كما تقدم في الذاتين في حرف الميم، وإدغام النون فيها كما ذكرناه فصار عشرة في عشرة بياناً لما قال له في الباء وتشديد الميم وتحيّر فيه. فكما تقول واحد في واحد فهما واحد وتضرب الواحد في الآخر فيظهر واحداً. وهذا الواحد الخارج ليس بواحد خالص فإنه نتيجةٌ لخلاف الواحد. كذلك العشرة في العشرة ظهرت منهما مائة واحدة. فصارت العشرة بياناً للباء.

ثم اعلم أن قصده للعشرة بالضرب في العشرة كأنه يقول: اضرب ذاتك في ذات موجدك؛ فإنك مخلوق على صورته. فإذا ضربت ذاتك في ذاته من طريق العشرة كانت مائة، فإن كان الخارج في هذا الضرب في عالم الحس فهو أنت هذه المائة، لا هو وهي درجات الجنة مائة درجة فإن كان الخارج في هذا الضرب في عالم الغيب فهو "الهو" لا أنت هذه المائة. وهي مراتب الأسماء التسعة وتسعين اسماً، والواحد المائة الذي غُيّب عن الخلق في عالم الألفاظ، فلكل اسم درجة من الجنة. فالدرجات لك لأنك الذي ترتقي فيها، والأسماء له لأنها المؤثرة الناصبة لهذه الدرجات. فقد تبيّن لك لماذا قصدت العشرة، ولسرٍّ آخر وهو أن مراتب الأعداد أربعة:

المرتبة الأولى: الآحاد. والمرتبة الثانية: العشرات. والمرتبة الثالثة: المئات. والمرتبة الرابعة: الألاف.

وما ثَمَّ خامسة أيضاً. فالعشرة هي المرتبة الثانية من هذه المراتب، والباء قد عرفت أنها اثنين لأنها بعد الألف. فلهذا لما تحيرت في الباء جعل لك بدلاً منها العشرة، فلكل واحد منهما أعني من الباء، والعشرة؛ التي هي بدل منها:

حظٌّ في الأولية، بوجهٍ. وحظٌّ في التثنية بوجهٍ.

فتضرب فيها كيف شئت، فإنه لا يحجر عليك. وهنا قد تبين لك حقيقة ما خوطبت به.

فلنتكلم في كون الأشياء المتعددة ظهرت من الباء دون غيرها. فإن في الباء دعوة من حيث نفي الرسم، فإنها لا تعطي الفناء مثل اللام، ولهذا نقول باء الاستعانة، وكذلك التبعيض، وكذلك الإلصاق. وقد تنوبُ مناب فاء الظرف وتكون زائدة فلها وجوهٌ جمَّة، كلها تعطي البقاء فهي تدل على المحجة تقول: حمدت الله بالله. فأثبتَّ نفسك حامداً، غير أنك عجزت عن القيام بحمده؛ حتى استعنت به. كما تقول كتبت بالقلم فأثبتَّ نفسك كاتباً لكن استعنت على كتابتك بالقلم. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق: ٤]، فعلّم الخلق كلهم بالقلم. وهو العدل والحق الذي قامت به السماوات والأرض، هو العقل الأول، وهو الحقيقة المحمدية، وهو الباء.

فكما تقول بالحق ظهرت الأشياء، كذلك تقول بالباء ظهرت الأشياء.

لأن الباءَ اسمٌ لهذه الحقيقة المعقولة، كما أن من أسمائها ما ذكرناه وهو القلم، والحق، والعدل، والعقل. فهذه كلها أسماء لهذه الحقيقة التي أسمها الباء وأحسن أسمائها الباء من طريق ظهور الأشياء بها. ولأن الباء يعطي الإلصاق، تقول: مررت بالمسجد. أي: ألصقت المرور به. إنما ظهرت الأشياء بالباء فإنه واحد، ولا يصدر عنه إلا واحد، وهو الصحيح. فكأن الباء أول شيء يصدر عنه فهي ألفٌ على الحقيقة وحداني من جهة ذاتها، وهي باءٌ من جهة أنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود.

فلهذا سميت باء حتى يمتاز عنه ويبقى اسم الألف له. ولظهورها قلنا إنه حرف مجهورٌ من الجهر، وهو الظهور. فلما كان في المرتبة الثانية، والواحد لا يقال فيه عدد، "والباء اثنان من جهة المرتبة فهي عدد" والأشياء عدد، فصار العدد في العدد وهو الباء وبقي الواحد الأحد في أحديته مقدساً ومنزهاً غير أن هنا نكتة، وهي:

إنما سمي باء من الباه فقُلبَت الباء همزة رمزاً، وهو في الكلام كثير لأن الهمزة أخت الهاء تُبدَل في كلام العرب الواحدة من الأخرى.

والباء في اللسان: معناه النكاح، وكذلك الباه.

فالباء على الحقيقة بلا هاء هو النكاح. وإنما جاءت الهاء في آخر الكلمة إشارة لأهل الإشارات: أن الهاء هو الباء. والباء هو الهاء. فقالوا الباه كأنه يقول: الباء هو.

أي: هو الباء.

ولما كان الوجود المحدث نتيجةً فلا بد من أصلين، وهما المقدمتان ينكح أحدهما الآخر، فهو الرابط للمقدمتين فتظهر النتيجة. وكذلك لما توجه الحق على هذه الباء، وهو الموجود الثاني قابله من حيث الوجه، فامتد فيه ظل الكون، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥]، "فامتد العالم من الباء عند مقابلة الحق امتدادَ الظل" من الجسم عند مقابلة الشمس فكما خرج الظل على صورة الممتد منه، كذلك خرج الكون على صورة الباء. فلهذا قال العارف: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الباء عليه مكتوبة، وهو أنه رأى صورة الباء في كل شيء تكوّن عنها لأن كل شيء ظلها فهي ساريةٌ في الأشياء. ولهذا ذكر الله تعالى أن الظلال يسجد له بالغدو والآصال لميلِ الشمس وظهور الظل، فإن النور إذا اكتنفك من جميع الجهات وهو حد الاستواء اندرج ظلك في نورك كما يفنى الكون عند ظهور الحقيقة، فلا يبقى له أثر في أي مقامٍ كنت.

- إن كان في مقام الذكر فيفنى الكون عند الذكر.
- وإن كان في مقام المشاهدة فيفنى في المشاهدة.

فالمقصود: أنه ليس للكون ظهورٌ أصلاً، عند تجلي الحقيقة، وإنما ظهوره بالباء؛ لأنه ثوبها. وإن الكون ينسلخ منها، وهي لا تنسلخ منه كما انسلخت هي من هوية موجودها.

عطس رجلٌ بحضرة الجنيد فقال: الحمد لله، فقال الجنيد: أتممها، كما قال الله: الحمد لله ربّ العالمين. فقال الرجل: يا سيدنا، وما العالم حتى يذكر مع الله؟

فقال الجنيد: الآن قله يا أخي! فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبقَ له أثر. فروحانية الاستعانة كون وجود الكون موقوفاً عليها، ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس: ٦٤]، كما لا يتصور نجارة من غير نجّار بلا قدوم.

فالمرتبة الثانية أمرٌ حقيقيٌّ لا بد منه، ولا يمكن غيره كما أن الثلاثة من المحال أصلاً أن تتقدم على الاثنين، ولا الأربعة على الثلاثة، فمتى ما أراد الواحد أن يظهر عين الثلاثة فلا بد من مساعدة الاثنين، "فإن لم يوجد عين الاثنين" يبقى الواحد غير متمكن من إيجاد الثلاثة، دون الاثنين. فهذه روحانية الاستعانة في الباء.

وإنما جعلت النقطة دليلاً لكونها تلتبس صورتها بصورة ظلها فيتخيل الكون أنه قام بنفسه ولا يعرف أنه ظلٌّ. فإذا اندرج ظل الباء في الباء تبين له بكونه لم يندرج في النقطة أن ثَمّ أمراً زائداً عليه، وهو الباء الذي النقطة دليل عليه. والنقطة رأس الخط ومبدأ كل شيء فأعطيت الباء لكون الباء مبتدأ أولاً جعلت من أسفل لأن صدور الكون من الباء إنما يظهر في السفل من مقام الباء، فتكون النقطة بين الباء وبين الكون والنقطة عين التوحيد لأنه رأس الخط فهو حقيقة الوجود. فكان التوحيد بين الكون وبين الباء حاجزاً يمنع الباء من الدعوة، ويمنع الكون من الشركة. فيبقى التوحيد معصوماً في الخلق كلها والأشياء ظهرت بالباء. فما من شيء إلا والباء عنده، وما من شيء إلا ونقطة الباء فيه. ولهذا قيل:

وفي كل شيء له آية	**تدل على أنه واحد**

وهو النقطة التي تدل على التوحيد وسَنامه ولهذا قال القائل:

أيا عجباً كيف يعصى الإله	**أم كيف يجحده الجاحدُ**
ولله في كل تحريكةٍ	**وتسكينةٍ علم شاهدُ**
وفي كل شيء له آيةٌ	**تدل على أنه واحدُ**

فقال كيف يجحده الجاحد وهو ظاهر؟! يعني: النقطة عندما ينظر الكون إلى الباء الذي صدر منه، فلا يراه بالنقطة، ولا يوجده الآخر إلا بالنقطة وهي نقطة الإذن، في قوله لعيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ ﴾[المائدة: ١١٠]. فلولا النقطة ما تمكن للباء أثر ظاهر في الكون وهو قوله تعالى: "وكنت له يداً ومؤيداً" في الحديث الذي جاء فيه: "كنت سمعه" فلا يتمكن الجحد لوجوده، ولا يتمكن المعصية لتجليه وهو العلم الشاهد الذي له في كل تحريكةٍ وتسكينة، تشهد له بالأثر الوحداني، وإن الباء اقتضتها الحقائق فلا بد منها. فهي بالنقطة كما أنت بالنقطة.

وأما روحانية الإلصاق في الباء، ومعنى الإلصاق. هو أن تُلصق الأثر بالذي بسببه وجهُ الأثر فتقول: مررتُ بالمسجد.

فألصقتَ مرورك بالمسجد، كذلك يقول: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[البقرة: ١٧]، فألصق الذهاب بالنور، والنور هو الباء، الذي هو نور السماوات والأرض؛ لأَنها الحق الذي قام، ومعنى قام: ظهر في عينه، وثبت، ولهذا كنَّى عنه بالنور لظهوره. فلما كان فيه هذا الإلصاق المعقول المعنوي لهذا سمي بالباء، "لأن الباء" تعطي الإلصاق.

وأما روحانية الظرف فيها لكونها تنوب مناب فاء الباء، وهي من أعجب الحروف. تقول: نزلتُ بموضع كذا "ومعناه في موضع كذا" فالباء في هذا الموضع ظرف لأنها بدل من فاء الباء، والظرف للباء حكم صحيح فإنا صادرون من قوتها، وقد كنا موجودين فيها قبل "وجودنا في أعياننا لأن الأشياء لها في الوجود" أربع مراتب هذه الواحدة منها وهو الوجود في الذهن، ولهذا يقول: كنا في علم الله قبل وجود أعياننا، وكنا بحيث يعلمنا. فكانت الطريقة حقيقة في الباب، وقد تبين هذا بسلخ الكون من الباء، واندراجه فيه عند إحاطة النور في الاستواء بالباء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[الفرقان: ٤٥]، ولا يقع المد إلا في مطويّ مقبوض فكان مقبوضاً في ذات الباء وقال: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[الرعد: ١٥]، الميل فقد بانت الظرفية بهذا كله. ومما ذكرناه من فاء الباء، وشرف الظرفية في نفسه، وهو أنني كنتُ ببجاية في رمضان سنة سبعة وتسعين وخمسمائة، فأُريت ليلةً أني نكحت نجوم السماء كلها فما بقي نجمٌ في السماء إلا نكحته، بلذةٍ عظيمةٍ روحانيةٍ. ثم لما أكملت نكاح النجوم أُعطيت الحروف فنكحتها كلها في حال إفرادها وتركيبها، وشُخّصَ لي حرف "ف" الذي هو فاء الباء الظرفية. فأعطيت فيها سراً إلهياً يدل على شرفها، وما أودع الله من الجلال عندها وعرضت قصتي هذه على رجل عارف كان بصيراً بالرؤيا وعبارتها. وقلت للذي عرضتها عليه: لا تذكرني.

فلما ذكر المنام له استعظم ذلك، وقال هذا هو البحرُ الذي لا يدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح من العلوم العلوية، وعلوم الأسرار، وخواص الكواكب، وحروف ما لا يكون بيد أحد من أهل زمانه. ثم سكت ساعةً، وقال: إن كان صاحب هذه الرؤيا في هذه المدينة، فهو هذا الشاب الذي وصل إليها، وسماني. فبهت صاحبي وتعجَّب.

ثم قال: ما هو إلا هو فلا تُخفِ عني؟! فقال صاحبي: نعم هو صاحب الرؤيا. قال: ولا ينبغي أن يكون في هذا الزمان إلا له، فعسى أن تحملني إليه لأُسلّم عليه. فقال: لا أفعل حتى أستأذنه!

فاستأذنني، فأمرته ألا يعود إليه، فسافرت عن قريب، ولم أجتمع به. وإنما سُقنا هذه الحكاية من أجل فاء الظرف، التبعيض وإنها من أعجب الحروف فقد تبين حكم الاستعانة فيها أعني في الباء، وحكم الإلصاق، وحكم الظرف. فبقي حكم التبعيض، وذلك لما كانت الذات وإن كانت واحدة لها وجهان معقولان: غيبٌ، وشهادةٌ. وظاهر، وباطن. وأول، وآخر. ورداء، ومرتد.

صح أن يقول في الغيب إنه بعض الذات، لأني كشفت الذات من كونها "شهادة لا من كونها غيباً، وعلمتها من كونها غيباً لا من كونها شهادة" ولهذا يجوز أن يقول: رأيت زيداً كله.

فيؤكد بكل لجواز رؤية البعض. فمن اطلع على معنى واحد في ذات تدل على معنيين. فمن عاين منها سوى الوجه الذي يدل على ذلك المعنى الواحد الذي ظهر عليه وغاب عنه المعنى الآخر،

فغاب عنه الوجه الذي للذات. يدل على ذلك المعنى الغائب، فإذا ما شاهد هذا الشاهد سوى بعض الذات. ولهذا يرى الشافعي: مسحُ بعض الرأس في الوضوء للتبعيض الذي في الباء.

فإذا قلتَ: بالباء ظهرت الأشياء، وإنما ظهرت على الحقيقة بالله عند وجود هذا الباء. كالحياة في طائر عيسى عليه السلام "عن الإذن عند نفخ عيسى عليه السلام" فصار كأن الباء بعضٌ له عند ظهور الأشياء، وهو بعض لها لهذا الحكم خاصة، بكأن المشبّهة. فهذه روحانية التبعيض الإلهي الذي ظهر في الباء. وكذلك الكون لما كان مسلوخاً منها، لم يبعد أن يمشي عليها اسم البعضية فإنَّ الظلال كأنها بعضٌ لمن امتدت عنه، فتحقق هذا الشرف العظيم الذي في الباء.

وأما مرتبتها في كونها زائدة فجليٌّ جداً، وذلك أنه يستحيل مؤثر بين مؤثرين ولا يستحيل عندنا مقدور بين قادرين. فإن القدرة القديمة لها الأثر بالبرهان، والقدرة الحادثة ليس لها أثر بالدليل الواضح. فإذا وجد أثر في الشاهد عند القدرة الحادثة "قام الدليل عند العقل أن هذه القدرة الحادثة" التي ظهر عندها هذا الأثر "ونسب إليها أنها قدرة صحيحة ثابتة العين ولا نشك أن هذا الأثر" وقع عندها لا بها، وأن القدرة القديمة هي التي لها هذا الأثر. فقد بان زيادة الباء، ولما لم يكن لها أثر، وإنما الأثر للمؤثّر فالعين ثابتة لكنها ثابتة. نعني: زائدة في حضرة الفعل ولهذا قدمنا النقطة التي تحت الباء هي الأحدية رأس التوحيد هي من العالم الكوني، والباء فلو كان الأثر للباء لم يكن ثَمَّ هذه النقطة أصلاً، فثبت بوجود النقطة أن الأثر لها، وأن الباء زائدة ليس لها أثر. ولو كان لها أثر كانت تظهر مرتبتها بين النقطة والكون فلا تصل النقطة إلا بها ووجدنا الأمر على ما أعطاه البرهان. كما ذكرناه فقد بانت زيادتها لكل ذي عين سليم.

فانظر ما أودع الله فيها من الأسرار. والباء حرفٌ شريفٌ ذكرنا مراتبه وبسائطه، وأصل نشأته، وحركته، وسببه، ومزاجه، وما يعطي من الأمور، واتصالاته بالحروف على اختلافها في الفتوحات المكية في الباب الثاني. فلتنظر هناك وهو حرف سعيد يعطي المواصلة والمؤانسة والجود وهو نافذ الروحانية وله من المنازل بطين فانظر كيف جاءت الباء في أول اسم هذه المنزلة ويعطي من الأمور ما تعطي هذه المنزلة.

فانظر يا أخي فيما ذكرناه في هذا الجواب على ضيق الوقت وكثرة الأشغال بغير هذا من الأسرار. والله يفتح قفل هذه الأبواب والفصول التي أودعتها في هذا الجواب والسلام الطيّب المبارك عليكم ورحمة الله وبركاته.

تمت الرسالة

كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلّة الأسرار والعلوم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال العبد الفقير إلى الله مسترق الحضرة الإلهية ختم الله له بالحسنى: الحمد لله الحي القيوم، المقسم بمواقع النجوم، واهب الحكم الربانية أسرار الأرواح في غيابات الجسوم من الحضرات العلى إلى تحت التخوم، فيَّاض النور الفاصل من بين أهل الهمم والرسوم، يؤتي الحكمة من يشاء من عباده لا بشرط معلوم ولا بحد مرسوم بل رزق مقسوم، وخاصية يؤتيها من يشاء وهو العليم الحكيم.

والصلاة على الدُّرة البيضاء والزبرجدة الخضراء، والنور الإلهي الأبهر والضياء الأزهر، الإمام الأظهر صاحب الثوب الأطهر، والإكسير الأكبر، والكبريت الأحمر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المصطفى المعصوم، المعطى لواء الخلافة والتقديم، قبل إيجاد الكون والتقسيم بالمقام العظيم في حضرة الكريم حتى برز عالم التخطيط والتجسيم بأسرار التعذيب والتنعيم، فعاش بموجده العلي إلى أجله المسمى دون خليل، ولا حميم. ثم كرَّ راجعاً من عالم التركيب والتجسيم من غير مفارقة إلى موجده الكريم، وترك لواء الإمامة شورى بين أهل الأسرار والتفهيم. فمازال يتلقاه كل ذي حسب إلهي حميم، من كل ذي شرف إحاطي عميم، حتى ينتهي إلى الختم المعلوم، الجامع بين النبوة والولاية، المرسوم الخاتم أيضاً لدورة الفلك الترابي، المضاهي ذات الأب المجتبى المرحوم صلى الله عليه وعليهم وآله أفضل صلاة وسلم أعم تسليم.

مبادئ التوفيق ومواسطه وغاياته

واعلم يا بني أن التوفيق قائد إلى كل فضيلة، وهادٍ إلى كل صفة منجية، وجالب كل خلق رضي، يجلو البصائر، ويصلح السرائر، ويخلص الضمائر، ويفتح أقفال القلوب، ويزيل رينها، ويخرجها عن أكنتها، ويهبها أسرار وجوده، ويعرفها بما تجهله من جلال معبودها، هو الباعث المحرك لطلب الاستقامة، والهادي إلى طريق السلامة، ما اتصف به عبد إلا اهتدى وهدى، ولا فقده شخص إلا تردى وأردى.

نعوذ بالله من الخلاف.

وله مبدأ وموسَط وغاية.

فمبدؤه: يعطيك الإسلام. وموسطه: يعطيك الإيمان. وغايته: يعطيك الإحسان.

فالإسلام يحفظ الدماء والأموال.

والإيمان يحفظ النفوس من ظلم الضلال والإضلال.

والإحسان: يحفظ الأرواح من رؤية الأغيار، ويهبها المراقبة والحياء على الكمال

فالنفس تنعم بشهوتها في الجنان، والعين تنعم بلذة مشاهدة الرحمن، والروح تنعم بحقائق الامتنان.

فانظر يا بني ما أوصلك إليه التوفيق، فمن دعا لك بالتوفيق في جميع الأحوال فما ترك لك شيئاً من الخير إلا أعطاك إياه، فلا ترده.

مبدؤه: يعطيك العلم والعمل. ووسطه يطهر ذاتك من دنس الأعراض والعلل. وغايته: تمنحك أسرار الوجود والأزل، وليس وراء الله مأمول يؤمل.

مبدؤه: يغنيك عن حسّك. ووسطه: يغنيك عن نفسك. وغايته: تجود عليك بشمسك.

مبدؤه: يعطيك الكرامات. ووسطه: يغنيك عن الصفات. وغايته تنعّمك بالذات.

مبدؤه: يشهد لك بالجنان. ووسطه: يشهد لك بالعيان. وغايته: تشهد لك بفناء الأعيان.

فسبحان المتفضل به والمنان، إنه بعبيده رحمان.

الفلك اللساني

إن اللسان رسول الحق للبشر … بما قد أودعه الرحمن من دررِ
فيرتدي الصدق أحياناً على حذر … ويرتدي المين أحياناً على خطرِ
كلاهما عَلَمٌ في رأسه لهب … لا يعقل الحكم فيه غير معتبرِ
فانظر إلى صادق طابت موارده … وكاذب رائح غاد على سفرِ
مع اتحادهما والكيف يجهله … من سائل كيف حكم الحق في البشرِ

اعلم يا بني –وفقك الله وعصمك من آفات اللسان وزيادة الحديث– أن اللسانَ أملكُ شيء للإنسان، سريع الحركة، حركته أقرب إلى الهلاك منها إلى النجاة، كثير العثرات، قال ﷺ: "وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم". هو ترجمان إرادة الحق بما شاء أن يجريه في عالم الشهادة لا ترجمان الأمر إلا بالموافقة، فإمَّا صادقٌ وإما دجال، لكن الحكيم العارف يقول: ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك. وإن كان كاذباً أخذ الحكيم منه حكمته ويبقى على الكاذب كذبه على أنه ليس في الوجود باطل أصلاً، وإنما الوجود حق كله والباطل إشارة إلى العدم إذا حققته.

فاعلم أن اللسان قلم القلب تكتب به يمين القدرة ما تُملي عليه الإرادة من العلوم في قراطيس ظاهر الكون، إلى هذا المقام أشرت بقولي:

قلمي ولوحي في الوجود يمده … قلم الإله ولوحه المحفوظ
ويدي يمين الله في ملكوته … ما شئت أجري والرسوم حظوظ

وقلب العبد هو محلُّ الإلقاء الإلهي من خير وشر شرعاً، وهو لوح المحو والإثبات يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب، فيخطر للعبد خاطر بأن يفعل أمراً ما من الأمور ثم ينسخه خاطر آخر فيمحو الأول ويثبت الثاني، وهذا ما دام العبد متهماً لخواطره محجوباً عن كشف الإلقاء الإلهي الخصوصي فإذا أُيّدَ بالعصمة –إن كان نبياً– أو بالحفظ –إن كان ولياً– عاد قلبه لوحاً محفوظاً مقدساً عن المحو فإن ظهر ممن هذا مقامه محو في ظاهر الكون بعد إثبات –وهوعن أمر يقوم بالقلب من الحق– فلا يقال فيه أنه لوح محو وإثبات، لأنه صاحب كشفٍ وإنما وقع المحو في ظاهر الكون وبقيت حكمته في القلب، وإنما سمينا هذه المقامات بهذه الإسمية لكون الإنسان نسخة من العالم الكبير فأردنا أن نعرفك أين موضع اللوحين في الإنسان المقابلين لِلَوْحَي العالم الأكبر، وكيف يكون ومتى يكون، فالكلام –عافاك الله من موارده– عمل من الأعمال يحصيه الملك كما قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ثم يصعد به في المساء والصباح إلى الواحد جل جلاله فما كان خالصاً له سبحانه ألقاه في عِليين، وما كان غير خالص بنوع ما من أنواع الكدر مثل الزيادات في الحديث والكذب والرياء والمراء

والجدال في نصرة الباطل ألقاه في سجين قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، وقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٖ﴾ [المطففين: ٧].

وسأذكر منزلة الكتابين وبقية الكتب في آخر هذا العضو إن شاء الله وأين مراتبها في الوجود، وأنه حيثما كان كتابك نوديت يوم القيامة أن تقرأه حيث هو إلا أن يعصم الله وهو خير الحافظين.

واعلم أن اللسان إذا تحقق في مراعاة ما توجه عليه من الشارع، ووقف عندما حد له فاشتغل بالواجب عليه فيه كشهادة التوحيد، وقراءة القرآن في بعض المواطن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، وشهادة التعيين، وتدريس العلم، وإرشاد الضلال، ورد السلام إلى ما أشبه هذا كله من الترغيبات في النطق المقرب إليه كتلاوة القرآن، ودوام التسبيح، والتحميد، وجميع الأذكار والمواعظ، كما يجب عليه الكف عن التضريب بين الناس والفِرية والهجر من القول والنميمة والغيبة، وكل نطق مذموم شرعاً، فإذا تحقق العبد بهذه الأوصاف على ما حُدَّ له كان مالكاً للسانه، وشهاباً ثاقباً لشيطانه، ويسمى هذا صاحب لسان، وله كرامات ومنازل كما تقدم في أصحابه من الأعضاء. ومنازله العالية المرادة بالعبد منزلتان لا شيء فوقهما.

المنزلة الأولى: أن تتلو على الحق جل وعلا كتابه على حد ما وضعه ورسمه للعارفين المحققين كما سنُبيّن لك في داخل الباب.

والمنزلة الثانية: أن يتلو الحق عليك كتابه على حد ما يريده وأنت تسمع، وكان الأولى على ما اشترطنا أن تلقى هذه المنزلة في إدراك السمع، فإن العبد هنا سامع لا مُتكلم ولكن للاشتراك الإلهي في التلاوة التي تقف عليها إن شاء الله أخَّرناها إلى هذا الفصل وهو فصل الكرامات.

فصل الكرامات [اللِّسان]

فمنها: مكالمته للعالم الأعلى، ومحادثته لهم، فإن العبد قد يتحقق بالسماع فيكون ممن ينادى ويهتف به، وإذا تكلم لا يرد عليه، فإن صحت المكالمة بينه وبينهم، وتنازعوا الحديث فما كان من حديثه لهم فمن تحققه بلسانه، وما كان من حديثهم له فمن جهة تحققه بأُذنه، وما كان من مشاهدته لهم فمن جهة تحققه ببصره. وهكذا في جميع الأعضاء المذكورة وذلك للمناسبة التي بينهم وبينه، والترتيب الحكمي الاختياري فمن ترتب ورتب فذلك الحكيم.

ومنها أيضاً نطقه بالكون قبل أن يكون، والإخبار بالمغيبات والكائنات قبل حصول أعيانها في الوجود وهي عند القوم ﷺ على ثلاثة أضرب: إلقاء وكتابة ولقاء. وكان تقي بن مخلد رحمه الله قد جمعها، وكان صاحباً للخضر شُهِرَ هذا عنهُ، وعاينَّا من الرجال الذي صفتهم هذه جماعةً، وشاهدنا من ذاتنا غير مَرة. ومن هذا المقام ينتقلون إلى مقام كريم يقولون فيه للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى. مقام كريم، ومشهد عظيم ناله عيسى عليه السلام في إحيائه للموتى، وإبرائه الأكمه والأبرص، كل ذلك بإذن الله، وكذلك إبراهيم عليه السلام حين صاد الأطيار وجعل على كل جبل منهن جزءاً بعد ما قطعهن، ومزج لحومهن بعضها ببعض، ثم جعل على كل جبل جزءاً، ثم دعاهن فأتينه سعياً، كل ذلك بإذن الله، وليس في قضية العقل ببعيد أن يكرم الله ولياً من أوليائه بهذه الكرامة، ويجريها على يديه. فإن كل كرامة ينالها الولي أو تظهر على يديه فإن شَرَفَهَا راجع إلى النبي عليه السلام، فإنه باتباعه ووقوفه عند حدوده صح له ذلك الأمر، وهذه المسألة فيها خلافٌ بين العلماء، منهم من يثبت معجزة النبي كرامة للولي، ومنهم من ينفي

ذلك، ومنهم من يثبت للولي كل كرامةٍ لم تكن معجزة لنبي، وأما أصحابنا فلم يتمكن لهم أصلاً نفيها لمشاهدتهم إياها في أنفسهم وفي إخوانهم، فهم أصحاب كشفٍ لها وذوق، ولو ذكرنا ما شاهدنا منها وما بلغنا عن الثقة منها لَبُهِتَ السامع، وربما رمى به، وذلك لقصورِ بنظره لنفس من أظهرها الله على يديه وشخصه واحتقاره لَه، فلو تكمل بأن ينظر للفاعل القادر المُختار -سبحان الذي أجراها على يديه- لم يكن ذلك عنده بكبير. ولقد رأيت شخصاً من فقهاء زماننا يقول: لو عاينت أمراً من هذه الأمور على يدي أحد لقلت إنه طرأ فساد في دماغي، وأما أنه جرى ذلك فلا؛ مع جواز ذلك عندي، وأن الله تعالى إذا شاء أن يجري ذلك على يدي من شاء أجراه.

منازل هذا العضو [اللسان]

اعلم يا بني أنك لا تعرف منازل التلاوة ما لم تعرف الكتب المتلوة بأعيانها فإذا عرفتها حينئذ عرفت كيف تتلوها، وكيف تسمعها. ومن يتلوها عليك، فتحقق -والله المرشد-.

أسماء الكتب: الكتاب المنير، والمبين، والمحصي، والعزيز، والمرقوم الحكيم، والمسطور الظاهر، والمسطور الباطن، والجامع.

تعيين أربابها القائمين بها: فالمنير لأهل الحجج والمبين لأهل الحقائق، والمحصي لأهل المراقبة، والعزيز لأهل العصمة، والمرقوم الحكيم للمرسلين والورثة، والمسطور الظاهر تأويلاً واعتباراً لأهل الإيمان والمسطور الباطن اعتباراً أيضاً لأهل الإباحة، والجامع للروحانيين الملكيين.

علامات التالين بها على الحضور: فمن ادعى أنه تلا المنير علامته المكاشفة، ومن ادعى أنه تلا المبين علامته التمييز، والحكم والترتيب. ومن ادعى أنه تلا المحصي علامته الوقوف عند الحدود، ومن ادعى أنه تلا العزيز علامته أن يجهل مقامه. ومن ادعى أنه تلا المرقوم الحكيم علامته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتسليم لله في كل حال.

ومن ادعى أنه تلا المسطور الظاهر علامته المجاهدة. ومن ادعى أنه تلا المسطور الباطن علامته الزندقة. ومن ادعى أنه تلا الكتاب الجامع علامته الخروج عن البشرية ولحوقه بالرتبة الملكية كأبي عقال وغيره.

علامات من تلاها الحق عليه: وليس من هذا الباب وإنما هو من باب السمع. فاعلم يا بني أنه من تُلي عليه المنير قمع هواه. ومن تُلي عليه المبين شاهد معناه. ومن تُلي عليه كتاب المحصي سلك طريق هداه. ومن تلي عليه العزيز اجتبي وعصمه الله. ومن تُلي عليه المرقوم الحكيم بلغ مناه. ومن تُلي عليه ظاهر المسطور فاز برحماه. ومن تُلي عليه باطن المسطور كان الشيطان مولاه. ومن تُلي عليه الجامع لم ينظر إلى سواه.

المنزل الأول:

تلاوة العبد على الحق تبارك وتعالى، لعلك تشتهي يا بني أن تُرسمَ في التالين لهذه الكتب على الحق تعالى بأن تمر على حروفه وتكون فيه حالاً مرتحلاً وأنت لا تعقل معناه، ولا تقف عند حدوده أو تتخيل أن يقول لك الحق تبارك وتعالى عند قولك الحمد لله رب العالمين حَمَدَني عبدي. لا والله يا بني،

ما يراجع الحق سبحانه بقوله حمدني عبدي. وأثنى علي عبدي إلا أهل الحضور معه عند التلاوة بأنه المناجي نفسه بفعله، والمناجي بإحاطته وذاته أهل التدبُّر والتذكر.

لما أودع في كلامه العزيز من الأسرار والعلوم فهم كل عبد على قدر مقامه وذوقه وكشفه، قال تعالى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩].

وقال: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٦٠]، بل أقول إن من قعد على منهج الاستقامة وكانت حليته الطاعة وكان اللسان صامتاً عن تلاوة القرآن فإنه حامد لله بحاله، شاكر له بأفعاله، ويقول الله فيه: حمدني عبدي، فإذا كان اللسان يقول: الحمد لله، والقلب في الدكان أو في الدار أو في عرض من هذه الأعراض متى عرف من هذه صفته أنه يحمد الله؟! وكيف يكون ذلك والقلب غافل بما هو عليه عما جرى به لسانه؟! فإذا وفقك الله وتريد أن يسمع الحق جل اسمه منك تلاوتك ويرسمك في ديوان التالين، ويقول الله على الكمال: حمدني عبدي فاعلم منازل التلاوة ومواطنها وكم التالين منك وذلك بأن تعلم أن على اللسان تلاوة. وعلى الجسم بجميع أعضائه تلاوة. وعلى النفس تلاوة. وعلى القلب تلاوة. وعلى الروح تلاوة، وعلى السر تلاوة، وعلى سر السر تلاوة.

فتلاوة اللسان ترتيل الكتاب على الحد الذي رتب المكلف له. وتلاوة الجسم للمعاملات على تفاصيلها في الأعضاء التي على سطحه. وتلاوة النفس التخلق بالأسماء والصفات. وتلاوة القلب الإخلاص والفكر والتدبر. وتلاوة الروح التوحيد. وتلاوة السر الاتحاد. وتلاوة سر السر الأدب وهو التنزيه الوارد عليه في التلقي منه جل وعلا.

فمن قام بين يدي سيده بهذه الأوصاف كلها ونظر إليه جل اسمه فلم ير جزءا منه فرداً إلا مستغرقاً فيه على ما يرضاه منه كان عبداً كلياً، وقال له الحق إذ ذاك: حمدني عبدي، أو ما يقول على حسب ما ينطق به العبد قولاً أو حالاً. فإن كان فيه بعض هذه الأوصاف وتعلقت غفلة ببعض القالين فليس بعبد كلي ولا يكون فيه للحق من عبودية الاختصاص إلا قدر ما اتصفت به ذاته فثم عبد يكون لله فيه السدس ولهواه ما بقي، ولله فيه الخمس ولهواه ما بقي، والربع والثلث والنصف على قدر ما يحضر منه مع الحق من حيث هو ومن حيث نودي كما جاء في الصلاة أنه لا يقبل منها إلا ما عقل عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها فإن حضر بالكل حصل له الكل، فإن مجيء الحق لك على قدر مجيئك له، أليس الله يقول: من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يسعى أتيته هرولة. فالسعي إلى السعي هرولة، وفي هذا الحديث فائدتان: الواحدة أنه يعطي فوق ما يتمنى العبد مصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: "إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"، فقد أعطانا ما لم يدخل تحت علمنا، والإرادة شرط في العلم.

والفائدة الأخرى المتعلقة بما كنا بسبيله من أن مجيء الحق بالجود لك على قدر مجيئك له، فإذا تقربت إليه شبراً تقرب إليك بجوده ذراعاً، ولكن بمن تقربت إليه شبراً فهو الذي تقرب إليك عناية منه بك بهذا الشبر الذي تقربت إليه به ثم تقرب إليك ثواباً وجزاءً على ذلك الشبر الأول شبراً آخر فضلاً أيضاً فكان من كليهما ذراعاً، وهكذا ما بقي فهو المتقرب به إليه بفضله، فكأنه ينبهك ويقول لك بقوله تقربت إليك ذراعاً يا عبدي إذا تقربت إلي فاشهدني في تقربك مقرباً لك إليَّ آخذا بناصيتك

وأنت كالميت لا فعل لك، ثم أجازيك على ذلك بمثل ما جئت إليه، فإن جئت بك إليّ بخير جئت إليك بخير، وإن كان ما سوى ذلك فأنا الحكم العدْلُ وإنما أعمالكم ترد عليكم، وهذا الوجه غامض جداً يتصور عليه اعتراض، ولكن إذا حققت ما أشرنا إليه ارتفع الاعتراض فابحث عنه وحققه في نفسك، فإنه من أرفع المنازل في هذا المقام فانظر يا بني أين تجعل همتك؟ وكيف تكون مع الحق الذي إليه مردك؟ إنك لا تجد عنده إلا ما قدمت وقد علمت المنازل، فإما عبداً كلياً وإما جزء عبد فتدبر هذه التلاوة وألزمها نفسك في حركاتك وسكناتك، فلا تتحرك إلا بالله ولله ومع الله وفي الله وإلى الله وعن الله، ولا تسكن إلا على هذا الحد فبالله من حيث توليه لك في ذلك، ولله من أجله لا من أجلك، ومع الله من حيث المشاهدة والمراقبة، وفي الله من حيث الحكم والتدبير، وإلى الله من حيث التوجه والقصد، وعن الله من حيث التكليف. فهكذا فلتكن في تلاوتك، فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى، فلا يطلع عليك في سرك وعلانيتك على ما لا يرضاه منك، وإن كان هو الفاعل سبحانه الموجد لذلك الفعل فالزم ما كلفته من الأدب وما تقتضيه الحضرة الإلهية من الجلال والتعظيم.

واعلم أن الله تعالى خلق الأفعال كلها ثم قسمها سبحانه إلى مذموم وإلى محمود، فانظر حيث يقيمك، فإن أقامك في مذموم فاعلم أنك في الوقت ممقوت فاستدرك الإقالة، وتضرع في الإنابة. وإن أقامك في محمود فاعلم أنك في الوقت محبوب، فإن فعلت يا بني ما لا يرضي الحق منك فارجع على نفسك بالمذمة والتقصير، فإنك مأجور في هذا الشرك بل هو حقيقة التوحيد، فإن توحيداً بغير أدب ليس بتوحيد، فإنك إن لم تر العيب من نفسك ولا رجعت عليها بالذم ولا ندمت على فعلك لم تصح لك توبة، وإذا لم تُتب لم تكن محبوباً، وإذا لم تكن محبوباً كنت ممقوتاً محجوباً بنفس ما تدعي في ذلك التوحيد أنك صاحب كشف جعلك سوء الأدب في الحال محجوباً لا تنفعك تلك الحقيقة في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم لتعلم يا بني إذا كان فعلك الذي عبرنا عنه بتلاوتك بالله فأنت مشاهدٌ صاحب محو، وإذا كنت له فأنت محقق صاحب محو، وإذا كنت مع الله فأنت مؤيد صاحب حال، وإذا كنت في اللهِّ فأنت عالم صاحب إثبات، وإذا كان عن الله فأنت أديب صاحب وقت، وإذا كنت إلى الله فأنت عارف صاحب همة، جمع الله لنا ولكم هذه المقامات، وعصمنا من الآفات بكرمه.

منزل تلاوة الحق على العبد

لعلك تشتهي يا بني أن يتلوَ الحق عليك كتابه وأنت ملاحظ نفسك، موجود مع أبناء جنسك هيهات إذا أراد الحق أن ينزلك هذا المقام، ويسمعك تلاوته على حسب ما يريده إما من حيث صفته أو من حيث فعله على اختلافه. فمتى شاء هذا بك أفناك عنك، وجردك منك، وبقيت في الوجود شبحاً مفقوداً فإن فعل بك تلا عليك. وتلاوته عليك على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول إيجاد المحامد فيك، فإذا أوجدها فيك وظهرت أحكامها عليك وتحققت بكل صفة محمودة فكأن الحق قد قال لك بآثار فعله فيك: الحمد لك يا عبدي. فيقول العبد عند مشاهدة هذا الخطاب الحالي الوصفي: حمدني ربي. ثم يرجع العبد بالحمد على الله لما أولاه فيقول: الحمد لله رب العالمين. فيقول الله عند ذلك: حمدني عبدي. وهكذا تناسب الصفات مع الثناء صفة بعد صفة حتى تنتهي حيث ينتهي بك، فالحق الحامد والمحمود، والعبد حامد ومحمود، ومحمود ليس إلا اصطفائية إلهية،

وهذا المقام يفصل بين الرب والعبد فإن الحق تعالى ليس له حامد يحمده من ذاته محدث ما لم يوجد سبحانه في ذلك الحامد صفة الحمد الذي يكون بها حامداً، وإذا كان الأمر على هذا فيكون تعالى إذ ذاك الحامد نفسه بفعله لا العبد، فلهذا ما أثبتنا العبد هنا محموداً لا حامداً فإن الله يصفه وهو ليس بواصف في هذا المقام فتدبَّر هذا الضرب من التلاوة تَرَ عَجباً.

الضرب الثاني الذي يحصل للعبد بعد هذا الضرب الأول من التلاوة هي تلاوته عليه بما ينتجه في العبد عند حصول تلاوة المحامد التي ذكرناها من الأسرار والحكم وعلوم الترتيب، وتلاوته عليه بالاطلاع الاختصاصي بالتجليات السلبية الذاتية، فإذا اتصف بهذه الأوصاف أيضاً كأن يقول له الحق مثلاً: الرحمن الرحيم حالاً. فيقول العبد عند ذلك تخلقاً: أثنى علي ربي بأن وهبني ما يوجب الثناء والحمد مما لا تدركه العقول حتى ترتفع الهمة لطلبه اختصاصاً واصطفاءً ووجوداً مطلقاً جعل لي بذلك لسان صدق في الآخرين فهو الرحمن الرحيم على الحقيقة. فيقول الحق عند ذلك: أثنى عليَّ عبدي. فيصير الأمر دورياً بين العبد والحق.

والفرق بين التلاوتين في هذين الضربين أن التلاوة التي في الضرب الأول تلاوة تخلُّق، والتي في الضرب الثاني تلاوة تحقق، لا يجوز الاتصاف بها، فإن الحقيقة تأبى ذلك فهو وَهْبٌ رباني وجودٌ إلهي، وتدبَّر أيضاً هذا الضرب تَرَ عجباً.

الضرب الثالث، تلاوة خارجة عن الخلق والاختراع والإبداع، ينالها بعض العبيد في هذه الدار حقيقةً واطلاعاً، وينالها بعضهم في الدار الآخرة، وهذا فصل مُنعنا عن كشفه لقلة احتمال عقول بعض الخلق من العلماء له والعارفين فتركناه لك حتى تكشف عليه من نفسك إن كنت منهم. كمل الجزء الأول والحمد لله.

الفلك اليميني

لعلك تسأل عن يدك أين حظها في الوجود؟ وأين مرتبتها في حضرات الجود؟ فاسمع أيها الابن الموفق السعيد:

من كان يبطش بالرحمن فَهْوَ فتى ... كان التكرم من خير الذي فعلا
فاسأله أن يقبض الدنيا ويبسطها ... يداك تفعل؟ كلا ربكم فعلا

وهذه يا بني درجة شريفة لا تنالها أبداً ما لم تلحق، ولا تلحق حتى تمحق، ولا تمحق حتى تتحقق، ولا تتحقق حتى تتخلق، ولا تتخلق حتى توفق، ولا توفق حتى تصحب ذا الخلق الموفق، فإن صاحبته وفقت، وإن وفقت خلَّقت، وإذا خلقت حققت، وإذا حققت محقت، وإذا محقت ألحقت، وإذا ألحقت نفضت ما بيدك من الكائنات، وخرجت عن ملك يمينك وعن هذه الصفات، وكانت يدك يد الطول تعطي وتمنع بيد حق.

واعلم يا بني أن العبد الموفق المراد إذا تحقق في مراعاة التكليف الموجه عليه شرعاً في يده صرفها فيما أبيح له، وبسطها فيما وجب عليه أو ندب إليه، وقبضها عن ما حرم عليه أو كره له، أو أبيح له ورعاً وهمة. فمن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

فالواجب كإخراج الزكاة وما أشبهه، والمندوب كصدقة التطوع والمحظور كالسرقة ولمس ما لا يحل له لمسه، والضرب في غير حق وأشباه ذلك. والمكروه كلمس الذكر باليمين عند البول والاستنجاء به وغير ذلك. والمباح كجليس خياط أو نجار فيمد يده لبعض ما حوله ليمسكه في يده من غير حاجة إليه، أو تقليب ثوب وأنواع هذا كله، فإذا وقف عند الحدود ووفى بالعهد أثمر ذلك الوقوف السخاء والزهد، وبذل المال كما قال عليه السلام: "إلا من قال هكذا وهكذا" يعني بما له، ولا يفعل هذا ما لم يتخلق بأسرار أسماء يده وما جاورها فلذلك يؤدي إلى رمي الدنيا وأعراضها، وذلك بأن يثني بنانه بالتسبيحات ويظفر بأظفاره على ماله فيوجهه في سبيل البر ولو أعطي الكنزين لا يلتفت إليها تعشقاً، ويخرجها إن ملكها ويزهد فيهما كما فعل من سلك أثره أسوة به ﷺ حتى تبذل له أسرار الوجود، ويكف كفه عن المحارم، وبمعصمه يعتصم عن المحظورات والمكروهات، ويلاحظ فيها عصمة الله له ابتداء بالوجود من العدم. وتقلبه بالعصمة في أطوار وجوده بالإسلام من الكفر وبالتوحيد العام من الشرك العام، وبالتوحيد الخاص من الشرك الخاص، وبالإيمان من النفاق وبالإحسان من الحجاب، وبالإحسان من الإحسان، وبالإحسان الذي تراه من الإحسان الذي يراك، وبالحياة الخاصة والعامة من الموت الخاص والعام، وبالإنسانية من البهيمية، وبالصفات من الآفات، وبالعلم من الجهل، وبالزهد من الرغبة.

ثم إن ارتقى بالتخلق نظر إلى عصمته بالصبر من الجزع، وبالرضا من الصبر، وبالشكر من الكفران، وبالعدل من الجور، وبالانتباه من النوم، وبالذكر من النسيان، وباليقظة من الغفلة، وبالصحو من السكر، وبالرجاء من الخوف، وبالبسط من القبض، وبالوجود من الوجد، وبالأنس من الهيبة، وبالجمال من الجلال، وبالاعتدال من الجمال، وبالوصال من الشوق، وبالرضا من الضيق، وبالرجوع من الوقف، وهكذا في جميع الأحوال والمقامات، وأن يذرّع بذراعه ذاته مع التكليفات لإقامة الوزن، وإظهار العدل، وأن يرتفق باعتبار مرفقة بمولاه، ويعتضد به بعضده، وأن يساعده الأمر الإلهي بساعده، وأن يكتفي بمعرفته ومشاهدته بكتفه، وأن يتأيد في الأسباب الموصلة إلى سعادته بيده، وأن يتيامن في ذلك كله بيمينه، وأن يوسر على إخوانه بيساره، وأن يشمل جميع الخيرات والمحامد في نفسه بشماله. وهكذا إلى جميع أسرار ما يتعلق بأسماء يده من الحكم والاعتبارات الموصلة إلى السعادة الأبدية لصاحبها المتصف بها، فإن الله تعالى ما وضع شيئاً باطلاً ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [ص: ٢٧]. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

فما في الوجود شيء إلا لحكمة عَلِمَها من عَلِمَها، وجَهلَها من جَهلها. فالوجود كله ما انتظم منه شيء بشيء، ولا انضاف منه شيء إلى شيء إلا لمناسبة بينهما ظاهرة وباطنة إذا طلبها الحكيم المراقب وجدها. كما حكي عن الإمام أبي حامد الغزالي وهو من رؤساء هذه الطريقة وساداقم، وكان يرى المناسبة ويقول بها: فرأى يوماً بالقدس حمامة وغراباً قد لصق أحدهما بالآخر وأنس به ولم يستوحش منه، فقال الإمام: اجتماعهما لمناسبة بينهما فأشار إليها بيده فدرجا وإذا بكل واحد منهما عرج. وكذلك اتفق شيخ الشيوخ بمغربنا أبي النجا المعروف بأبي مدين اتفق له يوماً أن علق خاطره بالغير فماشاه شخص وهو على ذلك الخاطر، فاستوحش منه الشيخ، فسأله فإذا به مشرك بالله تعالى، فعلم المناسبة وفارقه. فالمناسبة في سياق الأشياء صحيحة، ومعرفتها من مقامات خواص أهل الطريقة

رضوان الله عليهم وهي غامضة جداً، موجودة في كل الأشياء حتى بين الاسم والمسمى. ولقد أشار أبو زيد السهيلي وإن كان أجنبياً عن أهل هذه الطريقة ولكنه قد أشار إلى هذا المقام في كتاب (المعارف والأعلام)، له في اسم النبي ﵇ محمد وأحمد، وتكلم على المناسبة التي بين أفعال رسول الله ﷺ وأخلاقه وبين معاني اسمية محمد وأحمد، فالقائلون بالمناسبة من طريقنا عظماء أهل مراقبة وأدب واشتغال بنفوسهم وبأحوالهم، ولا تكون إلا بعد كشف علمي، ومشهد ملكوتي، ولاسيما الملامتين من أهل طريقتنا كشيبان الراعي، وأبي يزيد البسطامي، ومن لقينا من المشايخ كالعربي .... وأحمد المرسي، وعبد الله البرجاني وجماعة.

فإذا تخلقت وفقك الله بكل ما قصصناه لك في أسماء يدك، وما أشرنا إليه آنفاً فيجب عليك التحقق بأمهات العطاء الذي هو أصل الجود الظاهر والباطن، وهو سبب كشف الغطاء عن عين العبد في هذه الدار وهي الجود والكرم والسخاء والإيثار فالجود عطاؤك ابتداء قبل السؤال، والكرم عطاؤك بعد السؤال عن طيب نفس لا عن حياء إلا عن تخلُّق إلهي، وطلب مقام رباني، والسخاء عطاؤك قدر الحاجة للمعطى إليه لا غير، والإيثار عطاؤك ما أنت محتاج إليه.

واعلم أن بالعطاء صحت الخلة على ما قيل لإبراهيم ﵇ وذلك أن الله أرسل إليه جبريل على صورة شخص فقال له: يا إبراهيم أراك تعطي الأودّاء والأعداء، فقال: تعلمت الكرم من ربي، رأيته لا يضيعهم فأنا لا أضيعهم، فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم أنت خليلي حقاً.

فإذا صح منك الزهد، وكان الله الملك وأنت العبد حصلت تحت الملك لا تملك، وتيقنت أنك واسطة فيما صرفت، تبين فيك سقوط الدعوى والافتقار، ويرقى بك إلى منازل المقربين والأبرار، فشاهدت من الأسرار على قدر ما وهب لك الواهب. قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ [طه: ٦٩].

فمن ألقى إرادة نفسه في بحر إرادة مولاه وميدالها تولاها بلطيف حكمته، وأجرى عليها سابق عنايته، فأحياها حياة السعادة والتمليك، فامتحق كل باطل وزور، وخنس من دلاه بغرور، وردت إليه بعد ما ألقاها، وحصل لها الشرف الكامل على أبناء جنسها، فتلك النفس المطمئنة الراضية المرضية الداخلة في عباد الاختصاص وفي الفراديس العلية جوار الرحمن، وكانت يداها مبسوطتين تنفق كيف تشاء لأنها في محل الكشف، لا تتحرك إلا عن الإذن.

ومن كرامات صاحب هذا المقام إدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء كان هذا لموسى ﵇، ونبع الماء من بين الأصابع، كان هذا لمحمد ﷺ، ورمى التراب في وجوه الأعداء فانهزموا، وقبض من شاء الله من الأولياء في الهواء فيفتح عن فضة أو ذهب إلى أمثال هذه المنزلة، ثم يرتقي العبد بعد تخلّقه بما وصفناه آنفا إلى عالم الغيب، فيشاهد اليمين ماسكة قلمها، وهي تخطط العالم في لوح الوجود المحفوظ حرفاً حرفاً مشكولاً منقوطاً لتمييز الحقائق بين المتماثلات الأشكال كالأنواع مثل الصنف الإنساني مثلا، والنوع ذوات الأربع، وذوات الجناح، وكذلك أصناف الجمادات مع الحيوانات، والحيوانات ما بين الناميات وغير الناميات، فأمثال مفترقة بذواتها لم تحتج إلى نقط، وما اشترك في النوع احتاج إلى فصل في الأشخاص بأمر عرضي كالعابد والزاهد والصوفي والفاسق والكافر والمؤمن، وفي طريقتنا كالرباني، والرحماني والإلهي، وفي المقامات كالملكوتي، والجبروتي والملكي، فلا يزال صاحب هذا المقام ينظر في ذلك التخطيط الشريف وإيجاد تلك الحروف على إبداع نظام بأحسن

رقم في أحسن لوح. فإذا طال عليه النظر في جزئيات الكون وهي كثيرة والعمر قصير، والوقت عزيز، والعبد مشغول بتحصيله له، بث الله في نفسه التضرع والابتهال، والرغبة إلى الله تعالى أن ينقله إلى مقام ينحصر له فيه جميع الموجودات كلها ليأخذ الحكم دفعة فيعيش بها في أوقاته، فإذا صدقت هذه الهمة منه وتعلقت بالحق لذلك، وقالت: مولاي لو اختصرت لي معانيه على الكمال في شيء محصور تحيط به العين في لحظة واحدة على الدوام لا أفقده، فإنك قد تردني لعالم الشهادة فأغيب عن هذه المنازل العلية، قال الله لها أيتها الهمة لك ذلك، فيفتح له باب إلى مشاهدة نفسه فيشاهد اليمين تصقل نفسه الزكية، ومرآة قلبه الكريم، فما زال يشهدها حتى إذا صقلت وزال صداها ورانها امتدت يد البسط إلى باب المشيئة، ففتحت له بابين: باباً جزئياً وباباً كلياً، وجعلت المرآة الكريمة الصقيلة تجاه الباب الكلي فانطبعت فيه الصور الكائنة خلف ذلك الباب الكلي وهي منازل العالم الكبير بأسره وحقائقه فتغفل عين البصيرة يتفرج في شيء واحد لا يتحير ولا يرد رأسه يميناً ولا شمالاً ولا إلى جهة من الجهات. فإذا قرن ما تجلى في مرآة القلب من المتجلي نفسه جاءت صورة المرآة ألطف وأحسن وأحكم وأبدع من ذوات المتجليات، وعلى قدر اللطافة والحسن والجمال تعظم اللذة في نفس المشاهد.

وأما الباب الجزئي هو باب حكم التجلي، وأسرار المتجليات، وما أبدع في طيها من المعارف القدسية، والمعالم الربانية المتعلقة بالحضرة الإلهية وهي لا تتناهى لكونها غير حاصلة في الوجود لأن ذلك راجع إلى فهمك وإلى ما يوجده الحق فيك عند مشاهدتك إياها لا إلى ذواتها فغايتها السببية في تحصيل الأسرار التي تدل عليه عندك فهي حروف وألفاظ جاءت لمعاني يوجدها الحق فيك مقترنة بشهودها، ولا يكون فتح ذلك الباب إلا على قدر ما يريده الواهب أن يمنح منها من شاء من عباده لكنه في المزيد على الدوام، فمقامات العوالم محصورة، ومعالمها وأسرارها غير متناهية، ثم لا يزال كذلك يأخذ من هذا العالم المواهب الإلهية على مراتبها ويدفعها للفقراء ممن دونه على مراتبهم ومنازلهم، وحجاب غفلة الكون دونه مسدول حتى تمتد له اليد المقدسة بكل شيء هالك إلا وجهه فيلوح له عند ذلك حجاب الكون، وسد الغفلة أمامه، فترتفع الهمة لخرق ذلك السد، ورفع الحجاب، فينادى من خلف الحجاب لا يصل إلينا من استمسكت يده بشيء من غير حضرتنا، فازهد تجد الغنى والراحة، واترك العالم وموجدهم -أي: لا تعترض عليه فيهم- أتريد أن تكون رزاقاً ثانياً فيثوب القلب عند سماع ذلك الخطاب ويستغفر، ويتضرع ويغمض عينه عن ملاحظة نفسها، ومشاهدة مرآتها فتطوي اليمين عند ذلك سماء القلب وتهبط عنه أكوانه، وتبدو العين السليمة، فإذا بدت شاهدت اليمين اليمين والنعت النعت والاسم الاسم والذات الذات، واجتمع الكل وانتظم الشمل، واطلع على الملك بأسره فوجده في قبضته مرتقماً في حقيقته، حقيقة ألطف منه في مرآة قلبه، لأنه شاهده في مرآة موجده فارتقم فيه من لطف إلى لطف، وهذا هو المقام الذي يشاهد فيه الخلق في الحق، وإلى هذا المقام أشرت بقولي في قصيدتي التي كتبت بها إلى أبي العباس الرفاس ﷺ، فمنها:

وجـــود الخلـــق فـــي الحـــق فاعتمـــد   عليـــــه ولا يبـــدو لـــــديك نفـــــور

وهذه الغاية القصوى، والمستوى الأعلى فمن حصل فيه ووقف على حقائقه ومعانيه فهو الذي تشد إليه الركائب، وتقطع لرؤيته السباسب، وهذا ميقات المبايعة الإلهية الذي قال الله فيه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[الفتح: ١٠]، وقد أفردنا لهذا المقام بما يجب كتاباً كبيراً

سميناه "مبايعة القطب" لم أذكر فيه سوى هذا المقام خاصة فيه، فيد هذا الإمام المرتقى به إلى هذه المرتبة حجره الأسود، وقلبه كعبته المقصودة، وجسده حرمه المطهر، وسره عرفاته، ونفسه محصَّبه.

الفلك البطني

في شهوة البطن سر ليس يعلمه	إلا الذي شاهد الرزاق رزاقا
لولا الغذاء ولولا سر حكمته	ما لاح فرع ولا عاينتَ أعراقا
فَكُلْ حلالاً إذا كان المحلل مو	جوداً بقلبك وهَّابا وخلاقا

اعلم يا بني أن الله جل ثناؤه لما أراد أن يرقي عبده الخصوصي إلى المقامات العلية قرب منه أعداءه حتى يعظم جهاده لهم، ويشتغل بمحاربتهم أولاً قبل محاربة غيرهم من الأعداء الذين هم منه أبعد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وحظ الصوفي وكل موفق من هذه الآية أن ينظر فيها إلى نفسه الأمَّارة بالسوء التي تحمله على كل محظور ومكروه، وتعدل به عن كل واجب ومندوب للمخالفة التي جبلها الله عليها وهي أقرب الكفار والأعداء إليه، فإذا جاهدها وقتلها أو أسرها حينئذ يصح له أن ينظر في الأغيار على حسب ما يقتضيه مقامه ويعطيه منزلته.

فالنفس أشد الأعداء شكيمة، وأقواهم عزيمة. فجهادها هو الجهاد الأكبر، فمن ثبتت قدمه في ذلك الزحف، وتحقق بمعنى ذلك الحرف انتهض بهم في العالم الملكوتي مليكاً، وكان له الملك جليسا.

غير أن هذه النفس العدوة الكافرة الأمّارة بالسوء لها على الإنسان قوة كبيرة، وسلطان عظيم بسَيفين ماضيين تقطع بهما رقاب صناديد الرجال وعظمائهم، وهما: شهوة البطن والفرج اللتان قد تَعبدتا جميع الخلايق وأَسَرَتَهم. ومن عظمهما وكبير فعلهما حتى أفرد لهما الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه كتاباً سماه "كسر الشهوتين" في إحياء علوم الدين له، وكذلك اعتنى بهما كبار العلماء رضي الله عنهم، والذي يتوجه عليك في هذا الباب فَلُّ غَربِ الحسام الواحد الذي هو البطن ثم يليه الفرج بكراماته ومنازله كما تقدم في الأعضاء التي ذكرناها.

فاعلم يا بني -أيدك الله بجنود التأييد ونصرك على إحياء كلمة التوحيد- أن الله تعالى قد سلط على هذا العبد الضعيف المسكين المسمى بالإنسان شهوتين عظيمتين، وآفتين كبيرتين، هلك بهما أكثر الناس هما: شهوتا البطن والفرج. غير أن شهوة الفرج وإن كانت عظيمة قوية السلطان فهي دون شهوة البطن، فإنه ليس لها تأييد إلا من سلطان شهوة البطن، فإن غلب هذا العدو البطني يقل التعب مع الفرج بل ربما يذهب ذهاباً كلياً، فهذه الشهوة البطنية تجعل صاحبها أولاً يمتلئ من الطعام مع علمها أن أصل كل داء البَرَدَةِ دينياً كان أو طبيعياً، فالداء الطبيعي الذي تنتجه هذه البَرَدَة هو: فساد الأعضاء من أبخرة فاسدة، يتولد منها آلامٌ وأمراض مؤدية إلى الهلاك، كما حكي عن سليمان ابن عبد الملك بن مروان، وكان ذا نهمة في الطعام فخرج يوماً فوجد دابة عليها زنبيل فيه بيض طبيخ فدعا بتين وهو راكب، فما زال يقرن التين بالبيض حتى أتى على آخر مكان ما كان في الزنبيل فوجد لذلك ثقلا في معدته أهلكه وأورثه القبر. فانظر هذه الشهوة كيف ساقت إليه حتفه. نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة.

قيل للشبلي رضي الله عنه: إن ابنك بُشم البارحة من كثرة ما أكل. فقال رضي الله عنه: لو مات ما صليتُ عليه، كأنه يقول: تعنيفاً له فإنه قاتل نفسه. فهذا هو الداء الطبيعي.

وأما الداء الديني الذي يؤدي إلى هلاك الأبد فكونه يوديك إلى فضول النظر والكلام والمشي والجماع وغير ذلك من أنواع الحركات المردية. وإذا كان الأمر على هذا الحد فواجب على كل عاقل أن لا يملأ بطنه من طعام ولا شراب أصلاً، فإن كان صاحب شريعة طالباً سبيل النجاة فيتوجه عليه وجوبا تجنب الحرام، والورع في الشبهات المظنونة.

وأما المحققة فواجب عليه تجنبها كالحرام. على كل حال من الأحوال، فإنه ما أُتي على أحد إلا من بطنه، منه تقع الرغبة، وقلة الورع في الكسب، والتعدّي لحدود الله فالله الله يا بني التقليل من الغذاء الطيب في اللباس والطعام، فإن اللباس أيضاً غذاء الجسم كالطعام به يتنعم حيث يحفظه من الهواء البارد والحار الذي هو بمنزلة الجوع والامتلاء والظمأ والري المتفاوت.

فَكُلْ واشرب والبس لبقاء جسمك في عبادتك لا لنفسك، فإن الجسم لا يطلب منك إلا سد جوعته بما كان، ووقاية من الهواء الحار والبارد بما كان سواء كان خبز بسمن ولحم أو قبضة بقل كلاهما تسد جوعته، وسواء كان حلة أو عباءة، ليس عليه في ذلك شيء إنما المراد أن يصان من البرد والحر.

وأما النفس فلا تطلب منك إلا الطيب من الطعام، الحسن الطعم والمنظر، وكذلك الشرب والمركب والمسكن والملبس إنما تريد من كل شيء أحسنه، وأعلاه منزلة، وأغلاه ثمناً، ولو استطاعت أن تتفرد بالأحسن من هذا كله دون النفوس كلها لم تقصر في ذلك، والذي يوديها إلى ذلك طلب التقدم والترأس، وأن ينظر إليها ويشار، وأن لا يلتفت إلى غيرها، ولا تبالي حراما كان ذلك أو حلالاً، والجسم ليس كذلك إنما مراده الوقاية مما ذكرناه، فصار الجسم في هذه طالباً لما يصونه خاصة من أكلٍ وشربٍ وملبس ومسكن وأشباه ذلك مما يصلح به، وصارت النفس أو العقل الشرعي الكاسية والمطعمة له.

فإن كانت النفس المغذية له والناظرة في صونه خاض في الشبهات، وتورط في المحرمات، لأنها أمَّارة بالسوء، ومطمئنة بالهوى، فهلكت وأهلكته في الدارين، لأنه ربما لا تبلغ هنا مناها وطِلبتها لأن الأمر الإلهي رزق معلوم مقسوم، وأجل مسمى محدود، وإن كان العقل الشرعي المغذّي له تقيد، وأخذ الشيء من حله، ووضعه في حقه، وترك الشهي من الطعام وإن كان حلالا كقبضة بقل أو كسرة شعير رغبة فيما هو خير منه. وآثر الجوع على الشبع، والخشن على اللين، ففراشه ثوبه، ووساده ساعده، وغذاؤه ما تيسر، وهمته فيما عند مولاه من رؤيته إلى ما دون ذلك مما يبقى بخلاف النفس، فإن همتها وإن تعلقت بما هو حسن في الحال. فانظر مآل ذلك، فإنها إن كانت في المنكح نظرت إلى ما يكون مآله إلى خربة موحشة، جيفةٍ نتنة قذرةٍ. وإن نظرت في الغالي من الملبس نظرت إلى خرقة مطروحة في مزبلةٍ إلى هذا مآلها، وإن نظرت إلى مسكن عالٍ مشرف حسن الصنعة والتنميق نظرت إلى ما يكون مآله إلى خربة موحشة. وإن نظرت إلى مطعم نظيِّف إلى ما يصير عُذرة نَتنة يسد أنفه حين يطرحها من شدة نتنها، وكذلك شربه وأمثال هذا. وليت لو وقفت الحال هنا ولا تبقَي عليه تبعات ذلك في الدار الآخرة حين يسأل مم كسبت وفيم أنفقت، ويسأل في الفتيل والقطمير بل في مثقال ذرة!

فانظر ما أهجن باطن الدنيا: مساكنها خراب، وملابسها خرق، ومناكحها ومراكبها جيف، ومطامعها ومشاربها عذر نتن، نسأل الله العافية.

والحجة علينا في هذا بينة، لأنه لو كان هذا خيراً لكان بعض عذر، وإنما هذا كله معاينة منا لتغير هذه الأحوال مشاهدة، فالحجة قائمة للعاقل على نفسه إن طلبت منه هذا وليت مع هذا كله لو تركت معه، وإنما الداء العضال، والطامة الكبرى، والداهية العظمى أنها في أسر ما تكون فيه من هذه الأحوال أن قضي لها به، ويعطيها الله مرادها كما شاءت تسلية عنه، وعن هذه الدار بالموت، وتنتقل إلى منزل لا تجد فيه شيء إلا ما قدمته في دنياها بعمل صالح عملته، وإلا تفعل ذلك فليس لها مسكن تأوي إليه إذا لم تشترِ في حياتها، ولا سعت في كسبه فبقيت مسجونة في البرزخ في مشيئة الله تعالى.

فإذا تقرر هذا يا بني: فاعلم أن ما يجب عليك في الطعام من اجتناب المحظور فيه والمتشابه، يتوجه عليك في اللباس، والتقليل من هذا كالتقليل من هذا. وهاتان المرتبتان يحتاج إليهما كل مريد، وما زاد من مسكن وغير ذلك فلا يحتاج إليه كل أحد، فإن الغيران والكهوف والمساجد قد أوجدها الله لهم، وإنما الحاجة التي تعم كل إنسان إنما هو اللباس والطعام، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، ولم يزد لأن الضروري ما ذكرناه، وما زاد فليس بضروري إلا في وقت ما إذا كانت الحاجة إليه بخلاف هذا، فسبحان الحكيم العدل.

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: للقمة تتركها من عشائك مجاهدة لنفسك خير لك من قيام ليلة. هذا إذا كان حلالاً، وأما الحرام فلا كلام فيه إذ لا خير فيه البتة، فما مُلِيء وعاد شر من بطن ملي بالحلال هذا قوله في القليل، وهو من رؤساء المشايخ في طريق النجاة.

وقال أيضاً في طيب المكسب: أَطِبْ مَطعمك ولا تبالِ ما فاتك من قيام الليل وصيام النهار، فالحلال -وفقك الله- طيب لا يفتح إلا طيباً.

قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

ففي هذا من الاعتبار للصوفي وأهل النظر الإلهي بعض ما نذكره الآن، وذلك أن من كان عند الله خبيثا فلا يغذيه إلا بالخبيثات من المطاعم، ولا تصدر الأفعال الخبيثات إلا من الخبيثين، وكذلك الطيبات من المطاعم وهي الحلال لا يغذي بها الله تعالى إلا من كان عنده من الطيبين، وكذلك الطيبون عند الله تعالى لا تصدر منهم إلا طيبات الأفعال أو تلك المطاعم بأعيانها، إنما أهلت الخبيثات التي هي الحرام للخبيثين كما أهلوا لها، وكذلك الطيبات مع الطيبين، فإنه من أهل لشيء فقد أهل له ذلك الشيء، فإذا اغتذى الإنسان بالحلال، وقلل منه كما قال عليه السلام: "بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه".

تنشطت الجوارح إلى الطاعة، وتفرغ القلب إلى المناجاة، وتفرغ اللسان للتلاوة والذكر، والعين للسهر، فذهب النوم لقلة الأبخرة المرطبة الجالبة للنوم، فيؤديه أكل الحلال إلى الطاعة، والتقليل منه إلى النشاط في الطاعة، ويذهب عنه الكسل، وأية فائدة أكبر من هاتين الفائدتين، فكما ينبغي لنا أن لا نسعى إلا في تحصيلهما، ونرغب إلى الله تعالى في دوامهما.

فالذي ينبغي لك أيها الابن المسترشد نفعني الله وإياك أن لا تأكل إلا مما تعرف إذا كنت موكلا لنفسك فإن رأس الدين الورع، والزهد قائد الفوائد، وكل عمل لا يصحبه ورع فصاحبه مخدوع، فاسع جهدك في أن تأكل من عمل يدك إن كنت صانعاً وإلا فاحفظ البساتين والفدادين، والزم

الاستقامة فيما تحاوله على الطريقة المشروعة والورع التام الشافي الذي لا يبقي في القلب أثر همة إذ أردت أن تكون من المفلحين وهذا لا يصح إلا بعد تحصيل العلم المشروع بالمكاسب، ومعرفة الحلال والحرام لابد لك منه، هذا إذا كنت موكلا لنفسك، فإذا كنت بين يدي شيخ محفوظ في عموم أحواله، ورع، قد شهد بفضله، وقيل به، وحاله تطابق ما يشاهد فيه، وتجد في نفسك الاحترام له والتعظيم لحقه الذي هو أصل منفعتك ونجاتك على يديه، فإن حرمت احترامه فاطلب غيره فإنك لا تنتفع به أصلاً ما لم تصحبه بالحرمة ولو كان أفضل الناس وأعلم الناس وتسيء الظن به فإنك لا تنتفع به أبداً.

فإذا وجدت من تحصل في نفسك حرمته فاخدمه، وكن ميتا بين يديه يصرفك كيف يشاء، لا تدبير لك في نفسك معه تعش سعيداً مبادراً لامتثال ما يأمرك به وينهاك عنه، فإن أمرك بالحرفة فاحترف عن أمره لا عن هواك فهو أعرف بمصالحك منك، وارغب الناس إلى الله في صلاحك على يديه منك، فإنك تكون من أنواره التي تسعى بين يديه ومن حيث الأخوة الإيمانية بالنصح المندوب إليه شرعاً الذي هو الدين، وكذلك أيضاً من حيث إنه يجدك في ميزانه ترجّح ما خف منه، ومن حيث إنه يكاثر بك تلامذة الشيوخ، ويكثر بك أتباعه، فإن العلماء ورثة الأنبياء.

الفلك السري وهو فلك الفرج

الفـــرج يحمـــل فـــي الأنثـــى وفـــي الـــذكر	علـــى الحقيقـــة لـــوح العلـــم والقلـــم
فـــذا يخـــط حـــروف الاســـم فـــي ظلـــم	وذا يخـــط حـــروف العلـــم فـــي همـــم
كلامهـــــا بـــــدلاً مـــــن ذات صـــــاحبه	عنـــد الوجـــود فـــلا تنظـــر إلـــى العـــدم

اعلم –وفقك الله يا بني– أن شهوة الفرج ضعيفة جداً في ذاتها إذ ليس لها حركة من نفسها، وإنما هو من خاطر يقوم بالقلب للنكاح ينتج ذلك الخاطر ويولده نظرة بعين، أو لمس بيد، أو سماع بأذن من منازعة حديث، وهذا كله مولود من الامتلاك والشبع، وهو أصل الأشياء المحركة لهذه الشهوة، فمتى ما وقع شيء من هذا حينئذ ثارت الشهوة وتقوى سلطانها فحركت العضو ذكراً كان أو أنثى، فطلب وقوع ما تحرك إليه، فإن عصم وأقدر عليه وقع حلالاً، وإن خذل وقع حراما، فإذا سدت له هذه المسالك لم تتحرك هذه الشهوة، وأصل هذا كله كما ذكرناه الامتلاء من الطعام، فإنه إذا امتلأ البطن قامت خواطر الفضول في النفس، فتحركت الجوارح بحسب حقائقها بأنواع فضولها. وإذا جاع البطن عميت العين، وخرس اللسان، وصم الأذن، وانقبضت اليد والرجل، وانعدمت شهوة الفرج، وفنيت خواطر الفضول.

ولهذا قال السيد الصادق الحكيم ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش". أي أن هذه الأشياء معينة له على ما يأمر به من السوء والفحشاء، وقال ﷺ: "عليكم بالباءة فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".

وقال ﷺ: "الصوم جُنَّة". فنبه ﷺ في هذه الأخبار كلها أن السبب المولد لثوران هذه الشهوة الخسيسة إنما هو الطعام والشراب، فإن كان جوع مجاهدة استنار القلب، وكشف له عن عالم الغيب، لأنه جوع عن همةٍ طالبةٍ غاية ما، فيشاهد من أسرار الله ما شاء الله سبحانه أن يشهده منها، ولا

يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وإن كان جوع اضطرار فليس هو مقصودنا في هذا الكتاب إلا أن يكون المضطر من أهل طريق الله فجوعه عناية من الله تعالى به، وهدية منه إليه.

قال بعض الشيوخ رضي الله عنهم: لو بيع الجوع في السوق للزم المريدين أن لا يشتروا سواه. ففائدة الجوع والفقر لا تدرك لهما غاية ولا تحد، ولا يعرفها وقدرها إلا من ذاقها.

فإذا كانت يا بني شهوة الفرج بهذا الضعف فلا يلتفت إليها، وليشغل نفسه بسد مالكها التي ذكرناها آنفاً.

تنبيه وتحقيق: واعلم -وفقنا الله وإياك لطاعته- أنك إذا نظرت لعالم الكون والفساد حيوانيه كله: أنسيه، وبهيميه حروفاً مخطوطة، قد خطها الحق تعالى عز وجل في لوح الوجود والقلم متخطط لهذا الشخص الإنساني، والجسم المتغذي الحساس قلمان: قلم يسمى النفخ [القلم الإلهي] والقلم الذي هو الذكر [القلم الطبيعي] وأول من كتب به أبو البشر في لوح أم البشر، ولكن خط هذا القلم المحسوس هيولائي، من غير تشكيل ولا تصوير، بل هو كما قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[الانفطار: ٧]، وهذا هو حده ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٨]، نسخة بأثر القلم الإلهي الذي هو المتوسط، وقد يعبر عنه بالطبيعي، ثم من بعد هذا القلم الطبيعي الذي هو لتشكيل ما ألقاه القلم المحسوس هيولائيا، وتفصيل ما ألقاه مجملا قلم النفخ فامتد كالفتيلة فخط فيه القلم الإلهي الروح المعبر عنه بالنفخ، وهذا هو الروح الحيواني ومنها مخلقة وغير مخلقة لتصح المشيئة لله تعالى في إيجاد العالم، وهذه كلها أسباب وأغطية على عين بصيرة العمى الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، والعلم هو الذي يوصلك إلى رفع هذه الأغطية عن عين بصيرتك، وتولي الحق تعالى لتلك الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب ليضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

فالقلم للرجل واللوح للمرأة، وقد يكون الرجل لوحاً الأب الأول وخاتم دورته، وقد تكون المرأة لوحا لغير القلم المحسوس لكنها تكون لوحاً للقلم المعبر عنه بالنفخ كمريم صلى الله عليهم أجمعين، فما سلم من خط هذا القلم المحسوس في اللوح المحسوس، والقلم المحسوس خاصة إلا ثلاثة وهو آدم عليه السلام خلقه الله بيده كما قال تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[ص: ٧٥]، وحوَّا وعيسى عليهما السلام من نصف هذا الخط إلا أن عيسى عليه السلام حصل له درجة النفخ الاختصاصي حين أحصن الفرج، كما قال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التحريم: ١٢]، وهذا هو الروح الاختصاصي ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وفي هذا رد على من يقول لا يوجد مولود إلا عن أبوين، فلو قال عن أمرين لصدق كما سنذكره فإنه عن مريم ونفخ. فهذا فصل ينبغي أن يتحقق، وممن حصل له درجة النفخ في الطير، فإن إلقائهم إنما هو رويحة تنبعث يكون عنها عصفوراً أو زرزوراً فمنزل الصوفي من تحقق علم هذا المقام أنه إذا حصَّن فرجه أعني من طهَّر لوحه ومحاه حتى يتركه مهيأ لقبول ما يخط فيه من الخط الاختصاصي، فإن الله سبحانه ينفخ له فيه روحا من أمره، وكلمة من كلمه يهبه في ذلك النفخ سر إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وترك كل ما يشغل عن الله تعالى وهذه كرامات هذا المقام.

وعلامات مُدَّعيه رفض الدنيا وأهلها، وتأثير كلامه، وموعظته في نفس أكثر المستمعين له لا في كلهم، فالطلبة والتلامذة للشيخ المتحقق في هذا المقام ألواح منحوتة منصوبة لرقمه وكتابه وفتائل

مستعدة لنفخه فلا يزال ينفخ فيهم أرواح الأسرار، ويخط فيهم حروف المعاني القدسية، فيكون إذ ذاك متصفاً باسمه الخلاق الحكيم، وهذا الاسم لهذا العضو وحضرته من الأسماء، وما في معناه فتحقق ترشد.

تتميم: ثم إني أقول إن الحيوان المذكور أجمعه ومحاله موجودان بين النفخ وهو القلم الإلهي وبين الفرج وهو القلم الطبيعي، فالقلم الطبيعي لتخطيط حروف أجسام الأرواح، والنفخ هو القلم الإلهي لتخطيط أرواح الأجسام. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[الحجر: ٢٩] على الإطلاق وهذا منزل لا يعرفه أبداً أحد إلا من وقف مشاهدة من نفسه على الحقيقة الآدمية والإسرافيلية، فمن شاهد هاتين الحقيقتين عرف هذين القلمين، وكيفية صدور الأشياء عنهما.

ثم إن النفخ على قسمين: نفخ إحصان وغير إحصان.

فالنفخ الذي على غير الإحصان يكون عنه الروح الحيواني.

والذي على الإحصان الروح القدسي يكون عنه مع حصول النفخ المطلق الحيواني.

فنفخ الإحصان ينتج المنازل العلية والاستشراف على الكائنات الانفعالية والمقامات الروحانية القدسية. والنفخ على غير الإحصان ينتج وجود الأرواح الجسمانية خاصة إلا أن هنا فرقاً آخر بين النفختين وهي شعيرة نفخ الإحصان ملحق بالملأ الأعلى والبقاء السرمدي في النعيم الأبدي، ونفخ غير الإحصان ملحق بعالم الكون والفساد مطلقاً.

ثم النفخ الإحصاني الاختصاصي على ثلاث مقامات: نفخ ولاية وهو على ثلاث شعب: شعبة منبأة، وشعبة مرسلة، وشعبة معلقة بالمرسلة لا غير. ولها شعب لا تحصى كثيرة. وأعلاها التي هي منوطة بالمرسلة من جميع الوجوه، ونائبة منابها إذا فقدت فتيلتها: هم الصوفية أهل الورث النبوي، والتخلق الرباني، والتحقق الإلهي، فتحقق ما مهدناه فلقد كشفنا كنوزاً في هذا الكتاب ما كشفها أحد من أهل طريقتنا إلا صانوها وغاروا عليها ولكني لما علمت أن الطفيلي ليس له منها إلا الذكر ومعرفة الاسم لم أبال بذكرها إذ نيلها حرام على من ليس بقلب سليم، وكنا نظهر هنا أموراً لكن في هذا تنبيه وغنية إفشاء ما ستر وفك معماه غيرة فحجبه.

اعلم وفقك الله أنك إذا أحصنت فرجك وتعففت نقلك من افتضاض أبكار الحواس إلى افتضاض أبكار المعاني على سرير المعاملات في جنة التخلق بالأسماء، ثم قد ترتقي من هذه المنزلة إلى نكاح الحقيقة الكلية على سرير التوحيد في جنة التنزيه فينتج لك أيضاً هذا المنزل منزلاً آخر تشاهد فيه الحقيقة المجردة عن الوجود المطلق المختارة ينكحها من شاء الله على سرير الفناء في جنة الأدب، وهذه الحقيقة المعبر عنها بالحرفين التي هي سبب في الموجودات وعلة للكائنات إذا قضى سبحانه أمراً سلطها عليه، وأوجد الشيء عند تسليطها عليه وتعلقها به فكان.

فإذا حصل العالم في هذه المنزلة واستوى على عرش الكائنات لم يشهد شيئاً في الوجود موصوفاً كان أو صفة، حساساً أو غير حساس، إلا نتيجة عن مقدمتين تنكح إحداهما الأخرى، وهو عبارة عن الرابط الذي بينهما فيتولد بينهما أمر زايد عليهما فالمولدات تنبعث بينهما علواً وسفلاً، فإن ذكَّرا اعتليا، وإن أُنِّثا انسفلا، غير أن العبارات اختلفت بحسب أصناف المولدات، فقيل هذا طفل بين رجل وامرأة، وهذه نتيجة عن مقدمتين، وفرع عن أصلين، ورسالة عن مرسل ورسول، وسنبلة عن زارع وأرض، وإحراق عن نار وخشب، وبيت عن آلات وصانع، وهذا موجود عن قادر وقدرة، وهكذا

جميع العالم بأسره نتيجة ازدواج ليصح على كل جزء من العالم الفاقة والاضطرار في وجوده إلى من يوجده حتى يقف الأمر للناظر المشاهد في العالم إلى أول الموجودات المقيدة، وتحصل له في هذا الطريق من الفوائد بحسب ما مشى عليه من المقامات، فإذا وقف عند هذا الموجود الأول المقيد عرفه بذاته، إذ وجوده نتيجة عن قدرة وقادر، واختصاصه عن إرادة ومريد، وإتقانه عن علم وعالم، فيصح اضطراره وفاقته إلى الحق سبحانه وهو الغني الحميد الموجود المطلق لا عن أصلين ولا عن مقدمتين، ولا عن أبوين، بل هو خالق الأصول والمقدمات والآباء والأمهات، المقدس المنزه من غير جواز ما ينزه عنه عليه بل هو تنزيه عن التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الروح أصل لكل خلق ... بحجة العالم الحكيم
لولا الذي فيه من حدوث ... ما دل خلق على القديم
إتقانه إذا نظرت فيه ... فرعٌ عن العلم والعليم
فانظر إلى عالم براه ... وانظر إلى المنهج القويم
ينتج نار الجحيم فيهم ... أو جنة الخلد والنعيم

فإذا حصل -وفقك الله- في هذا المقام، وشاهد الحق غاب عن جميع الخلق، وغاب عن مشاهدته وعن طلبته وعن كل الكون ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فمحق الرسوم ودكها، وأصعق الهمم فملكها. فبين المحق والصعق ما بين الخلق والحق.

عطس رجل بمحضر الجنيد رضي الله عنه فقال: الحمد لله. فقال الجنيد: أتممها كما قال الله، وقل: رب العالمين. فقال: يا سيدنا ومن العالم حتى يذكر مع الله، فقال الجنيد: الآن فقله يا أخي فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر. فهذا يا بني وفقك الله قد تبين لك أنه لم يظهر في العالم موجود محدث إلا عن مقدمتين هما أَصْلَا وُجودِه، فتفهم ما كشفناه لك من الأسرار المحجوبة في خزائن الغيرة عن الأغيار، وأزل رمد التقليد من جفنك، واكتحل بكحل الاجتهاد في المعاملات، والتخلق بالأخلاق السماوية، وطهر ثوبك ظاهراً وباطناً، فإذا تجلى البصر تقوى النظر، فأبصرت الأشياء على ما هي عليه، ووقفت عينا على ما قبلناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفلك القلبي

قلب المحقق مرآة لمن نظر ... لذات من أوجد الأرواح والصور
إذا أزال صدى الأكوان واتحدت ... صفاته بصفات الحق واعتبر
من شاهد الملأ الأعلى فغايته ... النور وهو مقام القلب إن شكر
ومن يشاهد صفات الحق فاعلة ... لكل أمر يكن في الوقت مفتكر
ومن يشاهد مقام الذات يحظ بما ... في الذات من سلب الأوصاف مفتقر
فكل قلب تعالى عن أكنته ... لم يدر في الملأ الأعلى ولا ادكرا
وكيف يدرك قلب بات محتجبا ... عن الوجود فما صلى وما اعتمر
وما يعرف العين إلا العين فاستمعوا ... ما قلب عين كقلب قلد الخبر

اعلم يا بني -وفقنا الله وإياك- أن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه، فإن أزاغه كان بيتاً للشيطان، ومحلا للخسران، وموضع نظر المطرود من رحمة الله، ومعدن وساوسه، وحضرة أمانيه، ومهبط مردته، وخزانة غروره.

وإن أقامه فذلك قلب المؤمن التقي الورع الذي قال فيه: ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن.

فقلت: قلب يسع القديم كيف يحسن بالمحدث (أن يرى باقيا) موجوداً! وفي هذا المقام تحقق شيخ الشيوخ أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه حين قال: "لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به" فقلب العبد الخصوصي بيت الله وموضع نظره، ومعدن علومه، وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، كعبته المقصودة، وعرفاته المشهودة، رئيس الجسم ومليكه، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون مع السلامة من الآفات وزوال الموانع، بصلاحه صلاح الجسد، وبفساده فساده، ليس لعضو ولا جارحة حركة ولا سكون، ولا ظهور ولا كمون، ولا حكم ولا تأثير إلا عن أمره، وهو محل القبض، والبسط، والرجاء، والخوف، والشكر، والصبر، هو محل الإيمان والتوحيد، ومحل التنزيه والتجريد، وهو الموصوف بالسكر والصحو والإثبات، والمحو، والإسراء والنزول، وهو ذو الجلال والجمال، والأنس والهيبة، والتجلي والمحق، هو صاحب الهمة، والمكر، والحديه، والوجود، وعين التحكيم، والانزعاج، والعلة، والاصطلاح، والتداني، والترقي، والتدلي، والتلقي، والأدب، والسر، والسنة، والوصل، والفصل، والغيرة، والحيرة. هو حامل المعاني، ومدبر المغاني، كما أنه أيضاً صاحب الجهل، والغفلة، والظن، والشك، والكبر، والكفر، والنفاق، والشقاق، والرياء، والعجب، والحسد، والشوب، والهلع.

ومحل الأوصاف كلها المذمومة إذا لم ينظر الله إليه ولا أدناه منه، وحرمه التوفيق والهداية، وخيبته في الأزل العناية، هو رسول الحق إلى الجسم فإما صادق وإما دجال، إما مضل وإما هاد. فإن كان كريما أكرم، وإن كان لئيما أسلم، فإن كان رسول خير وإمام هدى حرك أجناده بالطاعة، وتوجهت سفراؤه إلى أمرائه العشرة من عالم الغيب التي هي حضرته، وعالم الشهادة التي هي باديته بكتب الاستقامة على السنة والجماعة لكل أمير بما يليق به من التكليف، وما تقتضيه حقيقته وهو عشرة. خمسة ملكية، وخمسة ملكوتية. فالأمراء الملكوتيون يسمون أرواحاً. والأمراء الملكيون يسمون حواسا كحاسة البصر، وحاسة السمع، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس. والأمراء الروحانيون، كالروح الحيواني، والروح الخيالي، والروح الفكري، والروح العقلي، والروح القدسي، فإذا نفذ الأمر الإلهي إلى أحد هؤلاء الأمراء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته، وهؤلاء السفراء هم الخواطر المشهورة.

فصل: في كرامة ومنازل الأعضاء راجع إلى القلب

اعلم يا بني -وفقك الله ونور قلبك، وشرح صدرك، وطهر ثوبك، ونزه سرك- أن كل كرامة ومنزل ذكرناه فيما تقدم للأعضاء فإنما ذلك كله راجع إلى القلب وعائد عليه، ولولاه لم يكن من ذلك الشيء لتلك الأعضاء، فإن كل عمل صدر عنها إن لم يؤيده الإخلاص الذي هو عمل القلب وإلا فذلك العمل هباء منثور، لا يصح له نتيجة أصلاً، ولا يورث سعادة أبدية فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة: ٥]، وقال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

فتبين بهذا أن الأعمال الظاهرة والباطنة كلها يزكيها عمل القلب أو يجرحها، فليس للأعضاء إذاً حركة ولا سكون في طاعة شرعية ولا معصية إلا عن أمر القلب وإرادته، فإنه أول ما ينبعث الخاطر في القلب فإذا تحقق وعزم على إمضائه نظر إلى الجارحة المختصة بعمل ذلك الخاطر الذي قام به فيحركها بعمل ذلك الخاطر، إما طاعة، وإما معصية، وعليها يقع الثواب والعقاب، ألا ترى أن الله تعالى كيف جعل النظرة الأولى التي هي من غير قصد، ولا للقلب فيها نية توجه معفو عنها، والعبد غير مؤاخذ بها، وكذلك في النسيان إذا عمل عملاً من الأعمال ناسياً غير قاصد لذلك العمل فالله تعالى قد عفا في ذلك العمل، كما أنه أيضاً إن أراده القلب وهم بمعصية ما لم يكن إصراراً لا يكتب عليه ولا يحاسب به ما لم يعمل به أو يتكلم هذا في المعاصي. وأما في الطاعات فمأجور بنيته وهمته وإن لم يعمل، وكذلك إن لم يعمل المعصية التي هم بها كتبت حسنة.

قال رسول الله ﷺ: "إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما حدثت به أنفسها".

وقال ﷺ: "إذا هم العبد بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة، فإن عملها كتبت عشرا، وإن هم بسيئة فعملها كتبت سيئة، فإن لم يعملها لم تكتب شيء".

وقال تعالى لملائكته اكتبوها له حسنة، فإنه إنما تركها من جرائي - يعني من أجلي -. يقول الله: وكذلك أيضاً ما استكره عليه الإنسان ففعله مخافة الموت، فإنه غير مؤاخذ به عند الله تعالى، وذلك لأنه لم يقصد ذلك الفعل بقلبه، وإنما أكره عليه.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله ﷺ في حديث: "وما استكرهوا عليه".

فإذا تقرر هذا فقد ثبت أن القلب رئيس البدن، وهو المخاطب في الإنسان وهو العقل الذي يعقل عن الله تعالى وهو الملك المطاع الذي قال فيه رسول الله ﷺ: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب".

وإذا كان هذا كما ذكرنا فقد ثبت وصح أن جميع الكرامات والمنازل التي جعلناها للأعضاء، إنما هي راجعة إلى القلب، ومتعلقة به وعائدة عليه، ولكن مع هذا كله فله كرامات، ومنازل يختص بها في نفسه لا يصل إليها أحد من عماله أبدا، كما أن كل نعمة تظهر في ملك مَلك على رجاله، وخدمه، وحاشيته، ومقام رفيع، ومنزلة عليةٍ، راجعة إلى الملك، ومع هذا فله أيضاً نعم ومنازل ومقامات تختص بها ذاته، لا ينالها أحد في مملكته سواه، وقد ذكرنا هذا الفصل شافياً مستوفى في كتابنا الموسوم "بالتدبيرات الإلهية"، بيد أن لمنازل هذا القلب شروطاً ليست لغيره من الأعضاء، وذلك أن منازل الأعضاء قد تحصل لها من غير أن تحصل لها الكرامات المختصة بها، والقلب بخلاف ذلك لا يصح له منزل ما لم يصح له بعض الكرامات المختصة به، فمنازله موقوفة على بعض كراماته، ونحن الآن نذكر إن شاء الله كرامات هذا القلب ومنازله ممتزجة على حسب ما يعطيه المقام، فأذكر الكرامة والكرامتين، والمنزلة والمنزلتين، والثلاثة، ثم أرجع إلى الكرامات بخلاف ما تقدم في الأعضاء، فإن هذا يعطي مقام القلب، إذ بعض كراماته منازل لغيره من الأعضاء، فلعلوها وامتزاجها بالمنازل ولطافتها صارت كأنها هيئة، فلهذا يعسر فصلها عن المنازل.

منزل التجلي الصمداني الوتري

وما يتضمنه من الحضرات الإلهية والتجليات، والإسرار، والمقامات، والأنوار، وغير ذلك.

اعلم أيها المسترشد الموفق والسالك المتخلق أن هذا التجلي الصمداني الوتري المجهول العين المستور برداء الصون هو نتيجة عمر المحققين من أهل طريق الله الأنزه، والمقام الأنوه الأنبه، وقليل من ناله، ولهذا ما تجد أحداً من المحققين فعله ولا قاله فإن الطريق إليه عسير، والمشهد كبير، وهو من أعلى الأسرار وأسناها، وموورده أغلب الموارد الإلهية وأحلاها، وكشفه أوضح الكشوفات الأقدسية وأجلاها، فمن أراد من المحققين الصديقين نيله فليصم نهاره، وليحيي بالذكر ليله وخلوته عشرين صباحا بأمسائها على ترتيب الحكمة في إجرائها، فإذا كان بعد العشرين فارقب الوارد الأقدس، ونفس الرحمة الأنفس إلى أن تنقضي ثلاثون يوماً، ولا تكحل مقلتك فيها نوما، فإن ادعيت أنك ما تحصل في روعك نفثه، ولا أقام الحق بفؤادك بعثه، فاعلم أن الآفة طرأت عليك في المراقبة، فارجع على نفسك بالمعاتبة، واستأنف الخلوة من أول حالها فإنه لابد من حصول منالها إما كليا أو جزئيا، فإن تمم لك التجلي والمقام فستبدو لك جميع معانيه على التمام، وأنا أنبهك إن شاء الله في هذا الكتاب على جميع ما يحويه، فإن نقص لك منه شيء فارغب إليه سبحانه عسى تستوفيه.

فاعلم أن لهذا التجلي الصمداني الوتري ثلاثة وثمانين مقاما، وثلث مقام.

فأما قولي ثلث مقام: أي أنه لا ينال فيه إلا هذا القدر، وله من المنازل ألف منزل، ومن الحضرات أربع آلاف حضرة، ومن التجليات ثلاث مائة ألف تجلي وستون ألفا، النوريات منها مائة ألف وثمانون ألفا، والضيائيات مثل ذلك، وله من اللمحات تسعة آلاف لمحة، وست مئة ألف لمحة وأربعون ألف لمحة. والنوريات منها أربعة آلاف ألف لمحة، وثمان مائة ألف لمحة، وعشرون ألف لمحة. والضيائيات مثل ذلك، وله من الدرجات العلى والزلفى مائتا ألف ألف درجة، وتسعة وثمانون ألف ألف درجة، ومائتا ألف درجة. النوريات منها مائة ألف ألف، وأربعة وأربعون ألف ألف زلفةً، وستمائة ألف زلفة.

والضيائيات مثل ذلك، وله من الأسرار خمسمائة ألف ألف سر، وثمانية وتسعون ألف ألف سر، وأربع مائة ألف سر. النوريات منها مائتا ألف ألف سر وتسعة وثمانون ألف سر، ومائتا ألف سر، والضيائات مثل ذلك، وله من اللطائف ألف ألف ألف لطيفة، ومائتا ألف ألف لطيفة، وستة وتسعون ألف ألف لطيفة، وثمان مائة ألف لطيفة. النوريات منها خمس مائة ألف ألف لطيفة، وثمان مائة وتسعون ألف ألف لطيفة وثمان مائة ألف لطيفة. والضيائيات مثل ذلك، وله من الحقائق ألفا ألف ألف ألف حقيقة، وثلاث مائة ألف ألف حقيقة، وثلاثة وتسعون ألف ألف حقيقة، وستمائة ألف حقيقة. النوريات: منها ألف ألف ألف حقيقة ومائة ألف ألف حقيقة، وستة وتسعون ألف ألف حقيقة وثمان مائة ألف حقيقة، والضيائيات مثل ذلك.

ثم في كل فصل من هذه الفصول لكل شخص سر، أو حقيقة أو لطيفة، أو حضرة، أو منزل، أو تجل دقائق، ورقائق على عود ما يحويه الفصل من الأسرار أو اللطائف، أو ما كان. فتحقق أيها الطالب، وتخلق عسى أنك تلحق، واستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله يؤيدك في سلوكك، ويجمع لك بين ملكك ومليكك، آمين وعلى الله قصد السبيل.

منزل التنزّل الذاتي

اعلم يا بني أنه من أراد أن يكون قلبه بيت الحق جل وعلا، كما أخبر سبحانه على التنزيه، ونفي التشبيه فليعمد إليه، ويمط عنه كل أذى من كبر، وعجب، وما ذكرنا من الأوصاف المذمومة شرعاً، وعادة، فإذا أماط عنه هذه الأوصاف غسله بماء الإخلاص، والمراقبة، وفرشه بالذل والافتقار، وأسرج فيه سرج الأخلاق الإلهية السماوية حتى عمه النور، وأشرقت زواياه، وأقام على بابه بوابين: التوحيد والأدب، ينتظران نزول الرحمن، كما وعد لقلب هذه صفته، فنفذ الأمر المطاع لحضرة القلب، عند ذلك أن لا يبقى أمير إلا يبرز في صدر قومه بحلته وتاجه على رأسه، متقلدا سيفه بها للملائكة، وتعظيماً لورود الملك الحق وتجليه، فأخذ أجناد الخواطر مصافهم بالتحميد والتمجيد، فتقدم الأمير البصري في صدر قومه، وقعد على مرتبته، وقد تقلد بسيف الاعتبار، وعليه حلة الحياء، وتاج المراقبة وتقدم الأمير السمعي في صدر قومه، وقعد على مرتبته، وقد تقلد سيف المبادرة للأذن العالي، وعليه حلة الحضور، وتاج المحافظة. وتقدم الأمير الأنف المدرك للروائح في صدر قومه، وقعد على مرتبته، وقد تقلد سيف الخضوع، وعليه حلة الذلة وتاج الخشوع. وتقدم الأمير الذائق في صدر قومه، وقد تقلد سيف الصدق، وعليه حلة التلاوة، وتاج الذكر. وتقدم الأمير اللامس في صدر قومه، وقد تقلد سيف العفاف، وعليه حلة الكفاف، وتاج القناعة والزهد، فلما أخذ أمراء الجيش مراتبهم، واعتدلوا، ورجع الأمراء الروحانيون من ترتيبهم إياهم إلى مراتبهم فتقدم الروح الحيواني في صدر قومه متقلداً سيف الاستقامة وعليه حلة الإحصاء، وتاج التنَزل والألطاف. وتقدم الروح الخيالي في صدر قومه متقلدا سيف الأمانة وعليه حلة الاحتراس وتاج الانتظار، وتقدم الروح العقلي في صدر قومه متقلدا سيف الوجود وعليه حلة الجواز، وتاج الإحالة. وتقدم الروح الفكري في صدر قومه متقلدا سيف التقدم وعليه حلة التمييز وتاج الترجيح. وتقدم الروح القدسي في صدر قومه وعليه حلة الولاية وتاج النبوة متقلدا سيف الرسالة على كرسي التنزيه بيده قضيب الأدب. فلما أخذ الأمراء الروحانيون أيضاً مراتبهم صعد الكلم الطيب على براق العمل الصالح يرفعه إلى المستوى الأعلى، فلما وصل نزل عن متنه وخر ساجداً عند باب الحضرة الإلهية، فخرج إليه السر ففتح له الباب، ودخل وبايع وحمد، فقال له الحق: فيم جئت؟ فقال: إن قلب فلان الذي أمرت الكرام البررة بتطهيره قد طهر بما نفذ به الأمر المطاع على لسان الرسول الكريم محمد ﷺ، وقد تقدس المحل الزكي بالعبودية الاختصاصية، وأخذ العبيد المدبرون ملكه مراتبهم مسبحين وممجدين لا يخافون لومة لائم، قد غمرهم المنن الإلهية، والنعم القدسية، فإذا النداء: انزل وارجع إلى ذلك المحل الطاهر مبشرا بنزولي إليه، واحمل معك هدية الاحترام والاحتشام، فجاء ربك في ظلل من الغمام والملك صفا صفا، والنبيون فوجا فوجا بأيديهم أطباق الأسرار، وموائد العلوم، فيها صحن الأنوار، وأنزلوها في ذلك المحل الشريف المقدس، وقد تجلى الحق في سماء ليس كمثله شيء، وبسط يدي سبحان ربك رب العزة عما يصفون، واستدعى أمراء الخليفة المذكورين واحداً فواحداً، يتناولون من تلك الموائد والأطباق على قدر مراتبهم، وما تعطيه حقائقهم. فلما طعموا تناولوا أكواس المحبة، فلما شربوا أفرغ عليهم جل وعلا حلل البهاء الافتقاري، ثم أمر برفع الحجب البعد فتجلى الرب وفني العبد، فخروا سجدا فناداهم: أوليائي، ارفعوا رؤوسكم، هذا منزل تنعيم عبادي، انعموا بمشاهدتي، عبادي وهبتكم الصفات فقدستموها، وحملتكم أمانتي فأديتموها،

ونصبت لكم الصراط فلم تعرجوا عنه، وحددت لكم الحدود فلم تتعدوها. فقالوا: ربنا بك قدمنا، وبك حملنا وأدينا، وبك نهجنا، وبك وقفنا، ولولا تأييدك وعنايتك ما كنا. فناداهم عبادي: سقيتكم شراب اللذة بالمعاملات، فأنتم تسبحون الليل والنهار لا تفترون، هذه بشراي لكم في الدنيا كما أخبرتكم في كتابي العزيز ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[يونس: ٦٤] فانظر يا بني – وفقك الله– ما أشرف هذا المقام، وما أوصلك إليه إلا اتباع محمد ﷺ، فإن الله تعالى ما ضمن البشرى إلا لمن وصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾[يونس: ٦٣-٦٤] وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]. فما عسى أن أصف لك، أو يوصف، أو يحد ما يهبه الله لك من الأسرار في هذا التنَزل، جل عن الإحصاء والإحاطة. قلت:

كان لي قلب فلما أن رحل ... بقي الجسم محلاً للعلل
كان بدرا طالعا إذا أتى ... مغرب التوحيد ثم أفل
زاده شوقا إلى محبوبه ... صاحب الصعقة في يوم الجبل
لم يزل يشكو الجوى مع النوى ... ليلة الاثنين حتى اتصل
فدنا من حضرة لم يزل ... يهب الأرواح أسرار الأزل
قرع الباب فلما أن دنا ... قيل: من أنت تكن، قال: الخجل
قيل: أهلاً سعة ومرحبا ... فتح الباب فلما أن دخل
خر في حضرة ذاك ساجداً ... وانمحا رسم البقاء وانسجل
وشكا البعد فجاءه النداء ... يا عبيدي زال ذا وقت العمل
رأسك ارفع إن هذي حضرتي ... وأنا الحق فلا تبغي بدل
رأسك ارفع ثم سل ما تبتغي ... قلت: مولاي حلول للأجل
طال سجني، قال: مت بي واعلمن ... إن في السجن لتبليغ الأمل
يا فؤادي إن تواصلت له ... قل له قول حبيب قد أدل
لولا عرشي لم يصح الاستواء ... وبنوري صح لي ضرب المثل

منزل كيفية السماع من الحق

وهو من مقامات السالكين، وهو منزل عال، عظيم المنفعة وهو من منازل القلب، وله تعلق بحضرة السمع ولكن هذا موضعه، وهو مزلة قدم لمن لا تحصيل له، ولا شيخ يرشده، وكثير من أهل زماننا زلت بهم قدم الغرور في مهواة من التلف عند دخولهم في هذا المقام.

تنبيه: إن في هذا الطريق الشريف مقاما يخرج فيه المريد على أن يسمع من الحق ولا يرى أن أحدا في الوجود يخاطبه غير الله تعالى، فهو ممتثل لكل ما يأمره به، وممن تحقق في هذا المقام خير والنساج حين خرج بهذا الخاطر لنيل هذا المقام وتحصيله فابتلي من حينه بأن لقيه إنسان فقال له: أنت عبدي، واسمك خير: فسمع ذلك من الحق، واستعمله الرجل في النسج أعواما، ثم بعد ذلك قال له: ما أنت عبدي، ولا اسمك خير.

وأنا إن شاء الله أبين لك كيفية التحقق في هذا المقام حتى لا تزل فيه قدمك بيُمن الله.

اعلم يا بني أن هذا المنزل إذا وفقك الله لتحصيله، فإن كنت معك فقد كفاك الله مكره، وإن لم أكن معك فقد يسر الله على لساني تخليصك من مكر هذا المنزل، وذلك أن الإنسان يريد أن لا يسمع شيئاً من نفسه أصلاً، ولا مما يقوم في خاطره لكون ذلك الشيء من هواه، وهو غير متحقق في الطريق

فيكون أبداً أسير هواه وإن سعى في خير، ألا ترى ذا النون المصري كيف قال: كل فعل لا يكون عن أثر فهو هوى النفس. نعم ولو حملت الجبال الراسيات على أكتافك، وارتكبت من الشدائد ما لم يرتكبه أحد.

قلت: هناك لأنك ما تصرفت في ذلك كله إلا بإرادتك وعن هوى نفسك، وليس ذلك على النفس بشديد، وإنما الذي يعظم عليها ويعسر جداً انقيادها لغيرها لكونها جبلت على الرياسة، وطلب التقدم، فإذا تقدم عليها وصارت مرؤوسة تحت قهر غيرها وسلطانه، جارية في أمورها على إرادته، واقفة عند حده لها من أمره ونهيه، صعب عليها ذلك واشتد وإن كان يسيراً، وهذا المنزل الذي نحن بصدده هو للنفس موت عن إرادتها.

ومن شرطه وغيره من المنازل أن لا يفعله، ولا يدخل فيه من ليس له شيخ، فمن كان له شيخ فهو طبيبه لما فيه من العلل القائمة بهلاكه.

وقد تحقق في هذا المقام الشيخان الخليلان أبي عبد الله الغزال، الذي كان بالمريه رحمه الله، وأبي مدين الذي كان ببجايه.

واعلم يا بني أن الدخول في هذا المقام، وفي أي مقام كان إنما ذلك عقد يربطه الإنسان مع الله، ويلزمه نفسه، فالزم الوفاء به ولا تنقضه فتكون من الخاسرين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.

وحال الداخلين في هذا المقام على نوعين: منهم من يبتلى فيه، ومنهم من لا يبتلى، فمن لم يبتلى فيه فقد عصمه حاله واعتنى به. ويتخيل من ذوقه أن حقيقة المقام تعطي ذلك، وأنه لا يبتلى فيه أحد أصلاً فينكر الابتلاء فيه، وهذا قصور منه، ولكنه صادق، فإنه صوفي فلا يدعي إلا فيما ذاقه، وشاهده فقط، ولا ينطق إلا بحاله، وبهذا يجيبك إن سألته عن إنكاره، فيقال له: وجودك صحيح، وحكمك عليه بأنه كذلك ولا بد خطأ فاجتنبه وارجع عنه، وقف عند ذوقك، واسكت عما خرج عن علمك، وسلم كما سلم لك.

والذين يبتليهم الله على قسمين: منهم من يبتلى اعتناء، وتتميما، وبرا، وارتقاء مقام، وزيادة علم. ومنهم من يبتلى ليرد إلى أسفل سافلين. وصورة الابتلاء في هذا المقام، أن تتعرض له مثلاً جارية، تأمره بأن يواقعها، أو تأمره بشرب كأس من خمر، أو بقتل إنسان، أو بأمر ما محرم عليه شرعا، فإن فعل شيئاً من هذه فقد عصى، وغوى، وتردى في أسفل سافلين. وإن أبى عن فعل ذلك فقد ناقض عهده مع الله فهو بين نارين، ونحن إن شاء الله نبين في هذا المقام كيف يبقى على عهده مع الله تعالى الذي عقد معه، ولا يرتكب محرماً، ولا يأتيه فيسلم له المقام، ولا يتبعض له حتى يسمع من الحق في شيء، ولا يسمع في شيء آخر، وهذا لا يعطيه المنزل بل يسمع منه في كل شيء، فإن للقائل هنا أن يقول: إنما يخرج هذا الطالب ويعقد نيته على امتثال ما يخاطبه به الحق، ما لم يؤمر في الخطاب بارتكاب محرم، فيقال له: ليس كما تقول إنما يعقد نيته على السماع من الحق مطلقا من غير تقييد، فإن قال: كيف يصح هذا. فنقول: إن المريد إذا أراد أن يبقى على عهده في هذا المقام، ولا يرتكب محرما إذا إن ابتلاه الله به، فيقول للقائل له: اشرب هذا الخمر أو اِزْنِ بهذه الجارية، وإن أنت لم تفعل، فقد نكثت عهدك مع الله تعالى. فيقول له: هيهات، بل أنا متحقق بمقامي في سماعي من الحق من خارج لا من نفسي، وذلك أن الله سبحانه قد خاطبني، وكلمني على لسان نبيه محمد ﷺ أن لا أفعل ما ذكرت،

وقلت عند سماعي لهذا الخطاب النبوي: سمعت وأطعت، وعاهدت الله على هذا، فأنا مازلت في سماعي من الحق متحققا في مقامي، فإنه القائل وما ينطق عن الهوى، ولكني لما تحققت بهذا المقام في هذا السماع وادعيته، أراد الحق أن يبتليني ليقف من ذلك على نفسي بما فيها فوجدني —والحمد لله– قائماً بذلك العهد الذي كنت قد عاهدته عليه عندما سمعته منه، عندما سمعته منه، وهذا الخطاب الذي جاء باشرب هذا الخمر، وافعل ما حرمت عليك فعله، إنما سمعته من الحق، ولكن سماع ابتلاء منه إلي، هل أقف عند حده أم لا؟ فالذي أسمعنيه على لسان المعصوم. قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾[محمد: ٣١] وقال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك: ٢] فلا أبرح من هذا المقام، ولا أخرج عن عهدي فيهما معاً –أعني في الخطابين المتناقضين–، وجمعت بينهما، والحمد لله، ونظرت خطاب العصمة من أم الكتاب الذي عنده، ونظرت الخطاب الابتلائي من لوح المحو والإثبات، وكيف وقد قال تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾[ق: ٢٩] فلما قال لي هذا علمت أن كل خطاب مخالف لما قاله لي على لسان المعصوم إنما هو خطاب ابتلاء، ولولا ما أني في مقام السماع من الحق لقلت للشخص الذي خوطبت على لسانه بهذا المنكر: إنه شيطان في هذه المقالة، لكن حقيقة هذا المقام تمنع من هذا، فقد صح لي والحمد لله في الخطابين السماع من الحق، والوفاء بالعهدين، وإنما يسمع الصوفي في هذا المقام، ويتمثل ما سمع، إنما ذلك في الأمور المباحات كلها، فيكون في ذلك خارجا عن هوى نفسه بامتثاله لذلك عن أمر غيره، مثل أن يقول له رجل: احفر لي بئراً أو احفظ لي بستانا، أو خذ هذه الرسالة وسر بها إلى فلان إلى مدينة كذا، هذا كله مباح له فعله، وتركه شرعاً.

فيلزمه هذا المقام أن يفعله على هذا الحد، يسمع من الحق فيفعل.

ألا ترى خير النساج كيف قال له: أنت عبدي واسمك خير، فاستعمله في النسج أعواما، ثم سرحه، وكان ذلك مباحاً لخير، فلو أراد الرجل أن يبيعه لم يتركه خير، لذلك فإنه كان يقع في محرم وهو بيع الحر الذي لم يجوز الشرع بيعه، ولكن استعمله ثم أطلقه بعد ذلك، فهذا هو التخليص العلمي وهو أسنى من التخليص الحالي وأكمل، فتحقق هذا الفصل، فإنه من منازل القلوب العلية إذ لم ير فيه غير الله مناجيا، والحمد لله رب العالمين.

منزل الهبات والعطايا، منزل الميراث الإينابي خاصة

اعلم يا بني أن القلب إذا تخلص وصفا وارتقى من المنازل ما ذكرناه، ومن التجليات ما تقدم يوقفه الحق في غيبة، ويجذبه إليه فيها جذبا كليا. يوقفه في تلك الغيبة مائة ألف موقفا وثلاثة وعشرين ألف موقفا، وستمائة وستة وعشرين موقفا مختلفة. يعطيه في كل موقف من الأسرار ما قدره الله له في سربه، وهذه الأسرار من خزائن الغيرة، فهي مكتتمة عند القوم لا سبيل بأن يبوح بها أصلاً، ولا يعلمها أحد سواهم، وقد أخذ عليهم فيها ميثاق عظيم، ولكنه عندما تحصل له هذه الأسرار كما ذكرت لك، يتحقق بها في باطنه. والتحقق في الباطن نظير التخلق في الظاهر. فعمل الباطن تحقق، وعمل الظاهر تخلق.

والتحقق تحققان: تحقق كشف يكون عنه التخلق، وتحقق يحصل عن التخلق، ولكن ذلك التحقق الثاني إذا حققته وجدته ينتج تخلقا آخر لتحقق، فكل تحقق مشترك بين تخلقين، بين تخلق ينتجه،

وبين تخلق يكون التحقق نتيجة عنه. وهكذا هو السلوك حتى يصل إلى تحقق ليس وراءه تخلق، فذلك التحقق هو الذاتي.

منزل الأيام المقدرة

اعلم يا بني أن لكل يوم نبيا من الأنبياء ينزل لقلب المشاهد المحقق منه سر يلتذ به في أيامه، يعلم بذلك أمرا ما من الأمور التي يجب معرفتها، ولا تحصل إلا لأصحاب القلوب.

فيوم الأحد يوجه له إدريس عليه السلام فيه سراً يكشف به على علم علل الأشياء قبل وجود معلوماتها. ويوم الاثنين يوجه له فيه آدم عليه السلام سرا يعلم به ما السبب الذي لأجله تنقص المقامات، وتزيد في حق السالكين ويعلم به نزول الحق كشفاً. ويوم الثلاثاء يوجه له فيه هارون أو يحيى عليهما السلام سرا يعلم به ما يضر وينفع من الموارد الطارئة عليه من عالم الغيب. ويوم الأربعاء يوجه له فيه عيسى عليه السلام سرا يعلم به تتميم المقامات وكيفية الختم، ومن يكون. ويوم الخميس يوجه له فيه موسى عليه السلام سراً يعلم به المؤاخاة الدينية، وأسرار المناجاة. ويوم الجمعة يوجه له فيه يوسف عليه السلام سراً يعلم به أسرار الترقي في المقامات، والحكم وأين توضع. ويوم السبت يوجه له فيه إبراهيم عليه السلام سراً يعلم به مداراة الأعداء، كيف تكون وفي أي وقت تجب محاربتهم، وهذه حضرات الأبدال فافهم ترشد، واقنع بما عندك، وتأمل هذه الإشارات تسعد، وقد يوجهون له غير هذه الأسرار فاقتصرنا على هذه دون غيرها، إذ هي الأول التي ترد عليه.

منزل الشهور المقدرة

اعلم يا بني أن للقلب منازل عند الحق لا ينزلها القلب إلا في وقت ما، إما من جهة الزمان، وإما من جهة معناه. فإن كان من جهة معناه حصل له ذلك في أيام يسيره، وإن وافقت المعاني الأزمان، فتحصل بمرورها شيئاً بعد شيء حتى ينقضي العام، وقد تزيد على العام، وتكون في أعوام على حسب مجاهدته وطاقته وصفاته في جبلته.

فاعلم أن المحرم وهو للسنة محل الابتداء في معناه، يحرم على المريد ما كان فيه من الاعتداء.

وفي صفر يخلي أرضه من عشب المألوفات وشجر المخالفات، ويقلبها بالمجاهدات. وفي ربيع الأول ينبت في أرضه ربيع المعاملات.

وفي ربيع الثاني ينبت فيه ربيع الملاحظات، وهي أول مبادئ التجلي، ويعبر عنها أصحابنا بالذوق.

وثم في جمادى الأول يكون جموده على ما يرد عليه من الأسرار.

وفي الثاني جموده على ما يرد عليه من الأنوار.

وفي رجب تعظم الواردات من حيث الواهب لا من حيث ذاتها، وهو مقام الفردانية فلا يكون له فيه غير يحجبه فيلزمه أن يطرده، أو يقابله.

وفي شعبان تشعيب تلك الواردات في البرازخ، ليعلم مقاماتها، وأهلها فهو موضع التفصيل.

وفي رمضان خرق العادات لثبوت الآيات، إما للنبوة، أو للولاية على حسب مقامه، وأما في زماننا اليوم فلثبوت الولاية خاصة، إذ الرسالة والنبوة قد انقطعت.

وفي شوال رفع الحجب له عند الوصول عن أسرار العالم، فيعرف كيف يهديهم، ويدعوهم إلى الله تعالى.

وفي ذي القعدة قعوده للإرشاد والهداية.

وفي ذي الحجة حجه بهم من الأفعال إلى الصفات، ومن الصفات إلى الذات بما يجب من التخلق، والتحقق، وهنالك تبلغ الغايات، وتتحد الشاهدات، والغائبات، وتجتمع الهمم، والإرادات، ومن هنالك ابتداء نشأة أخرى في الحضرات الإلهية والله الموفق.

منزل قلب الذاكرة وما يخص به من الأسرار

اعلم يا بني -ذكرك الله فيمن عنده فذكرته- أن القلب إذا تعمر بالإخلاص، والتسليم لأمر الله والنظر في مجاري أحكام الله تعالى، والتفويض له سبحانه في كل حالة ترد منه عليه فهو عند الله ذاكراً، وإن كان بلسانه صامتاً لا بأن يقول: الله الله فقط. نعم لابد من ذكر اللسان على حسب أنواع الذكر في أول بداية الدخول إلى نيل هذا المقام، فمنهم من يدخله بذكر سهل بن عبد الله التستري، وهو: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهد علي.

وفائدة هذا الذكر أن من كان الله معه، وناظراً إليه وشاهداً عليه كيف يعصيه؟! ومنهم من يدخله باسم الذات خاصة، وهو مذهب الإمام أبي حامد، وجماعة من شيوخي، ولقيتهم على ذلك، وأمروني به فلا يزال على هذه الحالة في بدء مقامات الذكر حتى يتعمر الباطن كله، ولا يبقى فيه جوهر فرد إلا ينطق بذلك الذكر بعينه حتى يغلب عليه حال الذكر فلا يبصر في الوجود شيئاً يقع عليه نظره إلا معلناً بما هو عليه من الذكر. ولو كان في ذلك الوقت ألف شخص بألف ذكر مختلف، وغلب عليهم الحال لأبصر كل واحد منهم العالم ناطقاً بذلك الذكر الذي هو عليه، فلا يزال ذاكراً من أول مقامات ذلك السفر حتى ينتهي إلى المقام السابع، فإذا انتهى إلى المقام السابع وهو نهاية الذاكر ليس له وراء ذلك مرمى أصلاً.

فاعلم أن لله تعالى أسراراً مخزونة عنده بأيدي سفرةً كرام بررة يسمون الشهداء. فإذا حصل القلب في هذا المقام السابع الذي ذكرناه من الذكر وجه إليه الحق تعالى تحفة منه سبعين ألف سر ما بين ظاهرة وباطنة في كل يوم، ولكن بواسطة تلك الملائكة شهداء الله على قلب العبد، فعندما يمرون على قلبه يسمع حينئذ تسبيح الملأ الأعلى في نفسه، يدخل الشطر من هؤلاء الملائكة على باب عالم الملكوت بأسرار الظاهر، ويمرون على ساحته القلب حتى يخرجوا على باب عالم الشهادة. ويدخل الشطر الآخر على باب عالم الشهادة بأسرار الباطن، ويخرجون على باب عالم الملكوت، ثم لا يعودون أبداً بل يأتي الله تعالى بشهود أخر، بأسرار أخر على ذلك المهيع ليري الله تعالى هذا القلب من آياته، وعظيم ملكوته ما يزيد به تعظيماً وبنفسه معرفة. فإن ركن إليهم هذا القلب، وتأنس لهم، واتخذهم جلساء، بقوا معه، وبقي معهم، وهم الشهود عليه بالوقوف معهم إن طمع في نيل مقام أعلى من ذلك، فيقال له: لم ترتفع همتك إلى ذلك، وقد تحققت أن بالهمم الوصول، ولكنك حجبك التنزه في عالم الملكوت، فإن أنكر، ولابد له أن ينكر شهدت عليه تلك الملائكة النازلة له بتلك الأسرار، وكذلك تشهد عليه أسراره بتعشقه لها، وفنائه فيها، فشهادة الملائكة خزنة الأسرار نطقية، وشهادة الأسرار حالية، فهو مقهور بالحجة، ولله الحجة البالغة على كل أحد. فتأمل هذا الفصل يا مسكين، وانظر أين قلبك من هذه

القلوب؟ وأين مشهدك من هذه المشاهد؟ ومشربك من هذه المشارب؟ لقد أحياها وأحيا بها. جعلنا الله وإياكم ممن طاب مورده، وتعالى مشهده، آمين.

موقع نجم المشيئة

المشيئة إرادة الحق سبحانه اتصفت بها ذاته تعالى كعلمه وقدرته وكلامه وسائر صفاته. ويسمى متعلقها المراد، فمن تعلقت بهدايته إرادة الحق أزلاً يسرت أسبابه، وطوي له الطريق، وحمل على الجادة والمحجة البيضاء، ووهب سر تدبير نفسه، وحبب إليه كل شيء ونعم به، ولا يمقت إلا ما مقت الله تعالى أدبا وشرعاً، فهذه حالة المراد، وهي المعبر عنها بالعناية. ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ ﴾ [يونس: ٢].

مطلع هلاله:

أنا إن شئت شئت منك وإلا ... أنا إن شئت شاء من لا يشاء
عجباً شئت، والمشيئة غيري ... ثم إن لم أشاء فلست تشاء
بل أنا صاحب المشيئة فاعلم ... ومشيء بها وذاتي المشاء
كيف شاءت مشيئة المتلاشي ... ولها الحكم إن تشا والقضاء
بمشيء المشيء شاءت فأبدت ... كل شيء يصح فيه المشاء
عدم شاء والوجود بصير ... عميت عين كل من لا يشاء
كل من شاء بالوجود يشاء ... وله المجد في العلى، والثناء

فصل الصحبة

الصحبة نتيجة البسط، ولا يقوى عليها إلا الأقوياء من الرجال الذين لا تغيرهم الأحوال. وحدّها أن لا يقبل من صاحبه إلا ما يقبل منه ربه تعالى، فإن لم يفعل فقد خانه في الصحبة. فإن شرطها النصيحة، وأدبها كف جفائك عن خليلك، وتحمل جفاه.

ولها مراتب بحسب الأحوال، فإن كان فوقك فاصحبه بالحرمة، وإن كان كفؤك فاصحبه بالوفاء، وإن كان دونك فاصحبه بالرحمة، وإن كان عالماً فاصحبه بالخدمة والتعظيم، وإن كان جاهلاً فاصحبه بالسياسة، وإن كان غنياً فاصحبه بالزهد، وإن كان فقيراً فاصحبه بالجود. وإن صاحبت صوفياً فاصحبه بالتسليم.

واعلم أن صحبة الجليل سبحانه أولى من صحبة الخليل، فإن الجليل يحفظك والخليل تحفظه، الجليل يعطيك، والخليل تعطيه، الجليل يحملك، والخليل تحمله، الجليل يتولاك، والخليل تتولاه، الجليل يكون لك حيث تريد، والخليل يريد أن تكون له حيث يريد.

وعلامة من آثر صحبة مولاه أن لا يأنس بسواه، وأن يقف عندما أمره به ونهاه، وأن يعامل الخلق برُحماه، وأن يوالي من والاه، ويعادي من عاداه، ولو كان ابنه أو أباه، لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه.

من صاحب الحق لا يبالي ... من ذلة المنع والسؤال
من طمع الهجر في هواه ... أذاقه لذة الوصال

فصل في توقير الكبير

من الحكمة توقير الكبير، ورحمة الصغير، ومخاطبة الناس باللين، وإذا لقيت أحداً فالقه بالبشاشة، وإن لم تقدر عليها فالقه بما تدوم عليه من الخير لئلا تتغير أحوالك في التقصير بطول المجالسة فيتغير عليك فربما يؤذيك فاحذر.

فصل في الإنصات للحديث

أنصت لحديث الجليس ما لم يكن هجراً، فإن كان هجراً فانصحه في الله تعالى إن علمت منه القبول بألطف النصح، وإلا فاعتذر في الانفصال. وإن كان ما جاء به حسنا فحسن الاستماع ولا تقطع عليه حديث، وأشخص بالبصر إليه ما دام محدثاً لك. وإن كان ما يأتي به ليس بعظيم الفائدة، فإن لكل أحد عند نفسه قدراً خرج عقلك بأدب كل زمان.

فصل في التواضع

عليك بالتواضع، واعلم أنه سر من أسرار الله تعالى المخزونة عنده الذي لا يهبه على الكمال إلا لنبي أو صديق، فليس كل تواضع تواضعاً. وهو من أعلى مقامات الطريق، وآخر مقام ينتهي إليه رجال الله. وحقيقته العلم بعبودية النفس، ولا تصح مع العبودية رئاسة أصلاً لأنها ضد، ولهذا قال المشايخ آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة، ولا تكون إلا مع الجهل. وقال عيسى عليه السلام لأصحابه: "أين تنبت الحبة، قالوا في الأرض، فقال عليه السلام: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض" يشير إلى التواضع. وإلى هذه الإشارة يقول سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم: "ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه".

والينابيع لا تكون إلا في الأرض، وهو موضع نبع الماء، ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع، فليس بتواضع، وإنما هو تملق لسبب غاب عنك، وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه. التواضع شريف لا يسور عليه كل أحد، فإنه موقوف على صاحب التمكين في العلم، والتحقق في التخلق.

فصل في الزهد

وعليك بالزهد، فإنه صفة شريفة إذا قامت بشخص على الكمال حالت بينه وبين رؤية الأكوان، وشرطه أن لا يحن إلى ما زهد فيه، وأدبه أن لا يذم المزهود فيه لكونه من جملة أفعال الله تعالى، وليشغل نفسه بمن زهد من أجله، فإنه إذا اشتغل بذلك تولاه الحق بالحضور معه في بساط الأنس به في كل ما يطرأ من تفاصيل الكون، وقد يختبر يوماً ما ليعرف بمنة الله عليه في توليه إياه بأخذه مما تنافس فيه القلب المحجوب فإذا لم يلتفت لذلك الأمر العارض عرف حسن منة الله عليه وعنايته به، فيزيد شكراً ورغبة عن ما زهد فيه.

فصل في المعاشرة

لا تلق أحداً إلا بما ينشطه إليك، ووازنه في عقله تأمنه. قال الحكماء: عاشروا الناس معاشرة إن متم بكوا عليكم، وإن غبتم حنوا إليكم.

فصل في مذهب القوم

ليس في المذاهب أشرف من مذهبك لتعلقك بالله، فلا تغتم لمذهب أحد سواه، فإنه أشرف المذاهب، واستمر على حالتك، والزم الاعتدال، فإنه طريق الرجال.

فصل في الوقت

الوقت هدية الله إليك فخذ فائدته، وهو راجع إليه، فزينه بالتقوى، والعمل الصالح وإلا كان حسرة عليك إذا فاز غيرك به فاسمع لا يحجبنك مدح المادح لك عن معرفتك بنفسك، السياسة رأس الحكمة فالزمها.

فصل في الصحبة

لا تصاحب أحداً إلا من ترى معه الزيادة في دينك، فإن نقص فاهرب منه هروبك من السبع بل أشد، فإنه يهدم دنياك، ويعطيك الدرجات، والقرين السوء يحرمك الدنيا والآخرة، الورع في المنطق من الحكمة، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم.

فصل في حق الطريق

لا تجلس في طرق المسلمين، فإن اضطررت، وغلبتك النفس فغض البصر، وأرشد الضال، وأعن الضعيف، وأمط الأذى عن الطريق، ورد السلام، ولا تقعد وأنت تقابل دار أخيك، وتورع في مشيك على الطريق، وقعودك، وذلك أن لا تمسك من الطريق إلا قدر ذاتك، ووسع على الناس طريقهم، فإنه ليس لك إلا موضع قدميك إن كنت واقفاً.

ولقد حدثني أبو عبد الله بن محمد بن عبد الكريم أن بعض المتورعين أتى بقلتين، فأوقفه بعض الناس في كلام طويل وأقعد القلتين على وجوه رجليه.

فصل في الأدب مع الشيوخ

احترام الشيوخ واجب، ومن احترامهم أن لا تلبس ثيابهم ولا يقعد في مكانهم، ولا ينكح المريد امرأة شيخه إن طلقها، أو مات عنها، ولا يرد في وجوههم كلاماً، ويبادر لامتثال ما يقولونه، ومن احترامهم تعظيم من عظموه، فعظم من عظمه شيخك، وتلمذ له إن قدمه عليك، وإن كنت أعلم منه فإن الشيخ أعرف بالمصلحة لك منك، ولا يحجبنك ما ترى من نقصه عن تقديم الشيخ له وتقريبه.

فصل في حق المساجد

إذا أتيت المساجد فلا تأتها إلا طاهراً بنية احترامها وقدم رجلك اليمنى في الدخول، وأخرها في الخروج، واركع عند دخولك ركعتين، وإن استطعت أن تكون أول داخل وآخر خارج فافعل. وإذا سلمت فسلم على كل عبد صالح في السماء والأرض. من ذلك المقام يرد عليك، ولا تقل هجراً، ولا فحشاً، ولا تدخلها للنوم ولا للراحة إن كان لك عوض منه، فإن اتخذته بيتك وليس لك سواه فلا بأس.

فصل في توجه القلب لله

كما يحرم عليك في صلاتك التوجه لغير القبلة إذا عرفتها، وإن فعلت بطلت صلاتك، كذلك يحرم عليك التوجه بقلبك لغير الله من دار وأهل ودكان ومال. وكما يحرم عليك أن تتلو غير كلامه تعالى كذلك يحرم عليك أن تناجي في قلبك غيره، أو تشاهده إلى أمثال هذا. والزم الأدب، فإنه لا يقبل لك من صلاتك إلا ما عقلت.

فصل في حق الكلام

العاقل كلامه وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم به أمره على قلبه فينظر فيه، فإن كان له أمضاه، وإن كان عليه أمسك، والأحمق كلامه على طرف لسانه، وعقله في حجره، إذا قام سقط. روى عن مالك بن أنس أنه قال: من عد كلامه من عمله قل كلامه ألزم أربعة: الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وسلامة الصدر، وخدمة الفقراء. وكن مع كل أحد على نفسك.

فصل في الورع

الورع رأس الدين، وهو من صفات المحققين. قال بعض الصوفية: ما رأيت أسهل علي من الورع، كل ما حاك له في نفسي شيء تركته، إشارة إلى الزهد.

الإرادة ترك الإرادة، رؤية التوكل نقص التسليم غداً، التوحيد السخي من سخي بنفسه على العلم، النفس هدية العبد إلى الله تعالى.

تم كتاب مواقع النجوم بحمد الله ونعمته

كتاب لطائف أسرار القلب واللسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربِّ يسِّر لنا عويصات أسرار كتابك الكريم

الحمد لله الذي جمع بين القلب واللسان، وأوجب عليهما الإيمان، ودعاهما إلى الكشف والبيان بالعقل والترجمان، وفرض عليهما القرآن، وأنزل عليهما الحُجة والبرهان، وقسم الحيوان على الإنسان، والإنسان على الأعيان، و﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]، له كون في المكان، وفي غير المكان، و وزن في الزمان وفي غير الزمان.

أحمده حمداً يوافي ما في الإمكان من النِّعَم النازلة إلى الأذهان والأبدان والشرائع والأديان. وأشكره شكراً يدفع بوائق الدهر وشدائد الحدثان.

وأصلي على نبيّه الكريم الأكرم، الذي منه الأمن والأمان، وبمتابعته ومخالفته دخول الجنان والنيران وعلى آله صلاة تنشر بها ظلال الطاعات، وتطوى بها ظلال العصيان.

وبعد حمد الله الذي حفظ عهده، وأنجز وعده، وبيّن جدّه، وأبرز حدّه، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. اعلموا رزقكم الله رزقاً يزداد فيكم ثناؤه، وشكره، وحمده، ويعرفكم مجده أن لله تعالى:

- كتاباً عزيزاً: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[فصلت: ٤٢].
- وكتابا مكنوناً: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٧٩-٨٠]، وبين الكتابين معية في النور والوزن، المصورين في العقل والملك اللذين يشهدان للنفسين اللتين منهما تنزيل من حكيم حميد، وتنزيل من رب العالمين.
- ولله تعالى كلمتان: كلمة عربية: من كتاب مكنون، فيه قرآن كريم وكلمة أعجمية: من كتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، فيه فرقان مجرد عن الوصف اللازم المقيم، وهو المميز بين كلام الحديث، وحديث القديم.

وللكلمة العربية: حروف التهجي، ومن حروف الحمد التي يقع منها التمثل المتبطن للتبتيل.

وللكلمة الأعجمية: حروف المعجم، وهي حروف الثناء التي يقع منها التمثل المستبطن للتبتل.

وبينهما حرف الكلمتين، والكتابين وهو حرف الشكر الذي يقع منه الوضوح الكلي وفيه مجمع البحرين والكتابين والكلمتين، ومنه شهادة العقل، ورسالة الملك.

واعلم: أن الذكورة في الأشياء حمدية، والأنوثة ثنائية. والرجولية شكرية، والثناء زائد على الحمد لأن الثناء عليه، والحمد له قال ﷺ: أنت كما أثنيت على نفسك، و(لك الحمد حتى ترضى).

والشكر جامع بين الحمد والثناء لأن الشكر له، وفيه لهذا المعنى يكون تعديته باللام، وبنفسه. يقال: أشكره، واشكر له، ولله تعالى صورة الحمد، وصورة الثناء هو بيت القدر، وبينهما رداء الكبرياء على وجه صورته تعالى وتقدس، نزله إلى بيت حمده، ونزله على بيت ثنائه، ونزله في ردائه تعالى وتقدس. وبيت الفضل بيت الأفعال، وبيت القدر بيت الأقوال، وبينهما القدرة والقوة، والقوة والفعل،

والقول صورة عوده إلى عبده من سر " لا " ثم الخروج إليه بالقدرة، ثم نزوله من موعده الأول اللوح، ولوح الحول ليجمع بين عوده وموعده.

قال الله تعالى، إشارة: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾[القصص: ٦١].

ثم النزول من سر الذكورة إلى الشعوب، ومن سر الأنوثة إلى القبائل.

- والأسباط: بين الشعوب والقبائل.
- والشعوب: جمع شعب، وهو الحي العظيم، مثل مُضَر.
- والقبائل: دونها؛ كتميم من مُضَر.
- والشعوب: من العجم، والقبائل من العرب.
- والأسباط: من العجم والعرب.
- والسبط: في كلام العرب خاصة الأولاد.

وكان في الأسباط أنبياء عليهم السلام، والسبط في ولد إسحاق كالقبيلة في ولد إسماعيل. أدرج الله تعالى من في الشعوب والقبائل والأسباط لب طهارة السمع، وطهارة لب البصر، وجعل طلب الطهارة في السمع، وطهارة لب البصر مرتباً على تكميل الوجه، وشق سمعه وبصره. وشق السمع والبصر يكون بنشر الشعوب والقبائل والأسباط، وترقيق الذكورة والأنوثة والرجولة فيها.

والترقيق يكون لب. والطلب، والابتغاء، واللب من قِبَل العبد. ومنه الإجابة لقوله: اللهم لبيك. والطلب من قبيل السيد لطلبه حثيثاً، والابتغاء بين السيد والعبد والحق جل جلاله مكّن بهذا عبده في أرض الحمد والثناء. والشكر إعطاءه نظرة في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء. ونظرة إلى طعامه، ونظرة في مبدأ خلقه.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾[الاعراف: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾[عبس: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾[الطارق: ٥]، لما نظر في ملكوت السموات والأرض انشقت السموات، وفتح الله سبحانه وتعالى: ﴿أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ [القمر: ١١-١٢]، ونزل الملك السماء، وخرج العقل من الأرض، وخرج ذكر القدرة من بينهما ﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢﴾[القمر: ١٢]، والتقى الملك والعقل بينهما، وقام من سر الملك والعقل ذكر القدرة، وخرج من باب الحمد ودخل في بيت الثناء فتواضع كل شيء لعظمته، وتغير لهيبته، واكتسب لوناً من صبغته، ونزل إلى معالم كلمته، وجمع بين نبيه ووليه في نبوته، وولايته. وجمع بين أول فعله وآخر فعله، وهو جمع بين فطرة الحياة وعين الفطرة، ثم دعا الأول إلى الآخر والآخر إلى الأولى، طلباً لمتوسط فعله. وقال فطرة الحياة وعين الفطرة. ائتيا قالتا أتينا طائعين كما قال للسماء والأرض وعند ما نظر إلى طعامه حتى انفطرت السماء والأرض به فتح الله تعالى أبواب السماء بناء لحجرة، وكثر الأرض نفوساً ونزل الروح من السماء إلى الأرض، وصعد بالملك إليها، وحصل الالتقاء بين السماء والأرض، وخرج ذكر القوة من باب الثناء ودخل في باب الحمد، وقعد بين الروح والملك، فسجد كل شيء لعزته وتوارى من نوره في ظلمته، واكتسى لباساً من صنعته، وسجد بين يدي كلمته، وجمع بين نبيه ووليه في كتابه، وكلمته، وعند ذلك فرجت السماء والأرض بريح خجوح وهيأت الأرض وجوهاً، ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[الزمر: ٦٩]، واشرأبت الوجوه بنور الأرض. واصطف النوع بالجنس، والجنس بالنوع، ونزلت

الحور من السماء، وصعد الروح إلى السُّبُحات وحصل الالتقاء بين السماء والأرض، وخرج من بينهما ذكر القدرة، وهو ذكر الحبيب من باب الشكر، ورجع إليه ذكر القدرة من بين الذكرين فاستسلم كل شيء لقدرته، وخضع كل شيء بملكه وقوته وعند ذلك تاب الله على عبده، ورجع إليه بكليته وهداه إلى جنته، وبيَّن له سنة حمله حكمته، وسنة حمله محبته وطهارته بين صورة عبده وطينته وجبلته. واعلم أن الله تعالى (يتبين) ظاهره وباطنه، بذكر قدرته وذكر قوته، وينزل قلب جوفه بذكر الجنب، وهو ذكر الجمع من ظاهره وباطنه إلى متوسطه، وفيه هيئة الحق الناطقة بالتبيين والهداية والتوبة على عبيده المرتبة بهيئته التي منها المواهب، يفهم من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝﴾ [النساء: ٢٧-٢٨]، وبالتبيين والهداية والتوبة التي هي محل إرادات الحق جل جلاله نزول السعة في العبد. أعني بها السعة التي يضرب فرق الحق على اللسان والقلب المعبر عنه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [الزمر: ٦٧].

واعلم أن معية الكتاب العزيز، والكتاب المكنون، معية بين الصورة والسورة، وهما حور عين، وولدان مخلدون، من الكتابين ومعية النور والوزن اجتمع حور عين، وولدان مخلدون، وأزواج مطهرة، في العبد وهذا اجتماع خلقت منه حواء واستبطنت هذا الاجتماع الألواح الموسوية، ولوح الألواح، ومن اجتماع الألواح ولوح سر سر سواك رجلاً وسر سر السادس والرابع المذكورة في قوله تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، والكلام السري لا يتحقق وقوعه إلّا في المرتبة الرابعة، من البدل والعوض لأن لكل بدل عوضاً، ولكل عوض بدلاً. وكلام السر عوض العوض واقع بين البدلين، وهو الرابع. والكلام الجهري لا يتحقق وقوعه إلّا في المرتبة الخامسة ومن معية الكلمتين والقرآن والفرقان الأمر والدين والمقام، منها خلق آدم عليه السلام وأدرج الله تعالى في هذا الاجتماع اجتماع المرة، والأبد، والقوة، ومن هذا الاجتماع خروج القلم مقسوماً على ثلاثة أجزاء من الحول إلى اللوح. كما خرج مقسوماً من اللوح إلى الحول وبهذا التقسيم القلمي والنوني علّم موسى عليه السلام علم الكيمياء.

لـــ"يوشع "، و"كالب "، و" قارون "، و جعله ثلاثة أثلاث: علم ثلاثة ليوشع، وثلاثة لكالب، أخذ عنهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان ذلك سبب أمواله.

وقيل علّم الله موسى علم الكيمياء فعلّم موسى أخته فعلّمت أخته قارون. وعلى هذا التقسيم القلمي والنوني قسم الله تعالى العمل على ثلاثة أجزاء كما ورد في الحديث. وهو ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (قسم الله تعالى العقل ثلاثة أجزاء فمن كانت فيه فهو العاقل: حسن المعرفة لله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر لله).

واعلم أن صدق الورع من حسن المعرفة، وصدق اليقين من حُسن الطاعة، وصدق الحرص على البر والتقوى من حُسن الصبر لله.

واعلم أن بين حسن المعرفة لله، وصدق الورع صحة الإنسانية في العقل. ومن صحة الإنسانية صحة العقل لأن الإنسانية بين الجمادات والحيوانات نازلة لأن العقل بحسن المعرفة لله يدخل في الجمادات، ويفرق بين حقها وخلقها، ويجمع أجزاء الإنسانية المودعة فيها. وبصدق الورع يخرج من

الجمادات ويدخل في الحيوانات ويفرق بين حقها وخلقها ويجمع أجزاء الإنسانية المودعة فيها ولا يزال يدخل ويخرج في الجمادات والحيوانات بحسن المعرفة وصدق الورع حتى يجمع أجزاء الإنسانية ويجرها إلى نفسه فصار العقل صحيحاً رشيداً في الإنسانية فكأنه اكتسب صورة وهيئة صحيحة من حقيقة الجمادات والحيوانات.

واعلم أن:

بين حُسن الطاعة، وصدق اليقين صحة الرجولية المودعة بين الذكورة والأنوثة.

ومن صحة الرجولية صحة الروح في العقل الإنساني.

وبين حسن الصبر وصدق الحرص على البر والتقوى صحة الرسالة في القلب.

وبصحة العقل في الإنسانية وصحة الروح في الرجولية، وصحة القلب في الرسالة علم محل الإنسان بين الجمادات والحيوانات ومنزلته من الله تعالى.

وعلم محل الرجل بين الذكران والإناث، ومنزلته من الله تعالى.

وعلم محل الرسول بين الملائكة والبشر وقربه من الله تعالى.

وعلم عند ذلك أن الإنسان لا يقال له جماد ولا حيوان، ولا يقال للرجل ذكر ولا أنثى، ولا يوصف الملك بالذكورة والأنوثة، ولا يقال للروح ملك أو بشر بل يقال للروح أمري، أو إضافي ويقال للملك نبي أو رسول، ويقال للرجل لطفي أو قهري. ويقال للإنسان شأني أو قراري.

واعلم أن العقل إذا صار صحيحاً في الإنسانية صار ذاهباً في البيان وجامعاً للقرآن، يدافع مخلصاً عن قضاياه الثابتة بالحجة والبرهان. وإذا صار الروح صحيحاً في العقل الإنساني صار ذاهباً إلى البلاغ، وإذا صار القلب صحيحاً صار هدى للناس، وإذا صار العقل بياناً والروح بلاغاً والقلب هدى انفتحت عين الدين في دين العين ونزل على صاحبه بسم الله الرحمن الرحيم على عشر كلمات، واتصلت حروف بسم الله الرحمن الرحيم بعضها ببعض، ودخل بعضها في بعض والكلمات هي (أ ب بيرام حب حس بابي ته مس آن) واختار منها الحق جل جلاله ثلاثة كلمات وهي: اللب، والسر، واللام. وأودعها في عصا موسى عليه السلام: يشير إليها قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ولله تبارك وتعالى حجران: حجر القسطاس المستقيم، وحجر الميزان.

- القسط والقسطاس المستقيم لكتاب مكنون عزيز.
- والتقويم مودع في حجر الميزان

القسط والوزن مودع في بحر القسطاس المستقيم.

- وفي التقويم حياة الروح والعقل.
- وفي الوزن حياة النور والنار.
- وأحد الحجرين في بيت الفضل، والآخر في بيت القدر.

وبين الحجرين البحر لما أمر الله به موسى بضرب الحجر. فقال: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾[الاعراف: ١٦٠]، يعني حجر القسطاس المستقيم. فضرب موسى فدخل فيه الأمر المودع في العصا ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[البقرة: ٦٠]، وخرج في ضمن العيون الأشياء. ولما ضرب الحجر الثاني بعصاه دخل فيه

اللب المودع في العصا ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾ [الاعراف: ١٦٠]، وخرج في ضمن العيون لب الأشياء. وقد علم به كل أناس مشربهم من اللب، والأمر.

وظهر من بينهما سر السمع والبصر في البحر. فلما ضرب البحر بعصاه دخل فيه السر في سر الظاهر في البحر؛ فانفلق البحر. وانشق السمع والبصر بسمعه وبصره، وانفلق باء البحر وهو باء القلب، وظهرت البشارة والبشرى، ونزلت الصورة في السورة بينهما، وانفلق أيضاً حاء البحر وهو حاء الروح. وظهرت حالة الموت وحالة الحياة، ونزلت بين الحالتين حياة البقاء وبقاء الحياة. وانفلق أيضاً راء البحر، وهو راء السر، ووصل أصل الضرب، وأثر الأمر إلى القلب والروح والسر. وظهر السمع، وظهر البصر، واستوت السفينة، ونزلت السكينة، وعبر موسى عليه السلام في اليسر والعافية، ونزلت الساحة العاقبة، وضرب الله تعالى فيه البدن حتى سمع كلامه تعالى وتقدس بجميع ما اشتمل عليه موسى من أعضائه وأجزائه، وحقائقه، وملكه، حتى صار كله وجزؤه سمعاً، كما صار كله وجزؤه بصراً، وارتفع البدن من بين السمع والبصر وخرج الحق إليه من الاسم بالفعل فصار المعروف بالاسم معروفاً عنده بالفعل، وصار المعروف في اللسان معروفاً في اللسان.

إذا عرفت ما ذكرنا من الأسرار العظيمة و المقدمات الشريفة فاعلم أيّدك الله تعالى من عنده أن الله تباك و تعالى نزل من كاف كن، وكاف كن من الأمر و الفعل إلى كتاب عزيز ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، وإلى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠].

- وبنى بيت الفضل في كتابه العزيز، وبدأ فيه بنفسه، وبنفسه تعالى وتقدس، وبدأ بنفس نبيه ووليه، وبدأ بملائكته، وبدأ بأمر العادة.
- وبنى بيت القدر في كتاب مكنون وبدأ فيه بالخلق، وبدأ بالبشر، وبدأ بالصلاة في بيت القدر، وبدأ بفرض الصلاة في بيت الفضل، وبدأ بالحياة في بيت الفضل، وبدأ صورة الحياة في بيت القدر.
- وأرسل النفخة من بيت الفضل إلى صورة بيت القدر، وأرسل النفخة من بيت القدر إلى الحياة المودعة في بيت الفضل.
- وخلق الحروف والأصوات، وبدّل النفحة بالنفخة، والنفخة بالنفحة في الحروف والأصوات، وبلّغ الحياة إلى مبلغها، وغلب الصورة فوق غايتها، وسمى نفسه البادي إلى البادي.
- وبقدر ذلك يكون اجتماع بدء الخلق، وبدء الإعادة، وبدء الملك، وبدء البشر.
- وبقدر اجتماع بدء الخلق، وبدء الإعادة، وبدء الملك، وبدء البشر شمول الحياة، وظهور الصورة الإلهية تعالى وتقدس.
- وبقدر ذلك طهارة السمع، وطهارة البصر، بواسطة وصول طرفي النفي.
- وبقدر ذلك خروج الآيات الكبرى من بينهما.

وهذا المعنى يكون في قلب الإنسان ولسانه؛ لأن ترتيب الفضل في القلب، وسر بيت الفضل في اللسان. وبين القلب واللسان خروج الآيات إلى الصدور ووقوعها في شواكل الأفعال والأقوال الخارجة إلى عالم الشهادة.

اعلم أن الضرب ورد بمعنى الإظهار، وبمعنى السير، وبمعنى الفعل المؤثر في الإنسان نوع تأثير، وإذا ضرب الله تعالى الحق على قلب رجل يكون ذلك الحق حقاً من الحياة والقدرة على قلب رجل وسار ذلك الحق من قلبه ومشى، وذهب إلى لسانه حتى يكون له ضرباً في الأرض والخلق من لسانه، ويكون له رجوعاً إلى ما خرج منه، وإذا رجع سار بأهله إلى مستقره ومستودعه وآنس من جانب الطور ناراً فهذا رجل ضرب الله تعالى الحق على قلبه ولسانه، فإذا ضرب الله تعالى الحق على لسانه لكان ذلك الحق حقاً من الحول والقوة، ولسار هذا الحق، ومشى، وذهب من لسانه في قلبه حتى يكون له ضرباً من قلبه في فؤاده وأرضه، ويكون له رجوعاً إلى صدره مع آيات قلبه وفؤاده، وسار بأهله ما خرج منه، وآنس من جانب النور طوراً، وأنه رجل ضرب الله تعالى الحق على لسانه وقلبه.

والضرب على اللسان والقلب يكون بمعنى الإظهار والسير فإذا ضرب الحق بمعنى الفعل المؤثر الذي يقع منه الألم والنفع على الأبدال والأتباع الذين هم من أبناء جنسه، ومن دائرة إنسانه وأسبابه لكان ذلك الحق حقاً من اللوح والقلم سائراً وماشياً وذاهباً من الأبدال والأتباع إلى المتبوع والمبدل عنه، ويكن له ضرباً في أهل المتبوع وآله من نسبته، وبه ينزع الله سبحانه وتعالى السواد والبياض من بين إنسانه وأسبابه وعد ذلك على أعدائه، فعلى ما ذكرنا من التقرير يكون ضرب الحق على ثلاثة أنواع:

- ضرب على اللسان والقلب تبع لازم له.
- وضرب على النفس والنفس داخلة وخارجة، والقلب واللسان مراد منه. والضرب يكون بعد بس الجبال ورص الوصال، وضرب ما تجره إلى الضلال، ومن لوازم الضرب عرض الأمانة، والأمانة والعرض يكون بمعنى الإظهار، وبمعنى التصدي، وبمعنى عرض الشيء على الشيء.
- وضرب الحق على القلب واللسان والبيان مرتب على الإيمان واختلف الناس في حقيقة الإيمان.

اعلم أن الإسلام والإيمان حكمان: أخروي، ودنيوي.

أمّا الأخروي: فهو الإخراج من النار، ومنع التخليد. إذا قال رسول الله ﷺ: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان". وقد اختلف الناس في أن هذا الحكم على ماذا يترتب، وبنوا هذا على أن الإيمان:

- منهم: من قال مجرد العقل.
- ومنهم: من قال عقد بالجنان وشهادة باللسان.
- ومنهم: من قال عقد وشهادة وعمل بالأركان ولكل وجهة هو موليها.

فاعلم بأن من جمع بين عقد القلب، والشهادة والعمل. ولا شك أن مستقره الجنة، وإن وجد العقد والقول وبعض الأعمال بأن ارتكب كبيرة أو كبائر فقد قالت المعتزلة أنه خرج من الإيمان، و لم يدخل الكفر فهو فاسق، وهو منزل بين المنزلتين. وهو خلاف مذهب السلف. وإن وجد القول، والعقد صدق بالقلب وشهد باللسان ولكن الأعمال فقد قال قوم: لا يتم إيمانه دون العمل.

وهذا فيه نظر، فإن من صدق بقلبه واعترف بلسانه، وشهد بشهادة الحق، ومات عقيب ذلك لا شك أنه من أهل الجنة، ولو بقي حتى دخل عليه وقت الصلاة فلم يصلِّ. فإن قيل: إنه يخلد في النار بترك الصلاة فهو عين مذهب المعتزلة.

وإن قيل: إنه بقي زمانا، ولم يعمل فهو تحكم، إذ لا يهتدي إلى عدد الأعمال، أو إلى عدد المعاصي التي ارتكبها، وهذا يبين أن الأعمال ليست من الإيمان ولا شرطا في وجودهما، وأما إذا وجد التصديق بالقلب فقبل أن ينطق باللسان مات، وقيل: وقبل أن يشتغل بالأعمال فهل يقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى فهو ما اختلف فيه.

فمن جعل القول شرطاً لتمام الإيمان قال: مات قبل الإيمان، وهذا فاسد قال ﷺ: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان"، وهذا يظفر بالإيمان فكيف يخلَّد، ولم يشترط في حديث جبريل في الإيمان إلّا التصديق بالله، وملائكتهِ، وكتبهِ، ورسله.

وإمّا أن يصدق القلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوهها، ولكنه لم ينطق بها فهذا يمكن أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة. ويقال: إنه مؤمن غير مخلد في النار.

والإيمان: هو التصديق المحض، واللسان ترجمان الإيمان وهذا هو الأظهر، ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق، كما لا ينعدم بالسكوت عن العمل الواجب.

قلت، وبالله التوفيق: المختار من الأقوال الثلاثة القول المتوسط وهو: أن التصديق بالقلب والإقرار باللسان شَرط أصل الإيمان، وأن كلاهما شرط في النقل عن الكفر عند عدم العجز. والدليل على ذلك الكتاب والسنة والقياس والتحقيق.

أمّا الكتاب: قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[البقرة: ١٣٦] فأمر المؤمنين أن يقولوا آمنا وقال تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[الحجرات: ١٤].

فأخبر أن القول العاري عن الاعتقاد ليس بإيمان، وأنه لو كان في قلوبهم إيمان، لو كانوا مؤمنين لجمعهم بين التصديق بالقلب والقول باللسان.

وأما السنة: قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله".

وقال ﷺ: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه".

معناه: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه بالإيمان على الإيمان، ولا يستقيم قلبه بالإيمان على الإيمان، حتى يستقيم لسانه بالإيمان على الإيمان. أن يقول آمنا وصدقنا، لأن الإقرار باللسان إقرار بشرع الرسالة، والتصديق بالقلبِ إقرار بشرع النبوة والرسالة، وإنه يستنزل إيمان الله تعالى إلى صاحبه حتى يؤمنه عن عذاب الله آجلاً وعاجلاً. والإقرار بشرع الرسالة مع الإقرار بشرع النبوة ملازمة بين الظاهر والباطن وحق بين الدارين. فمن أقر بلسانه وجب عليه أن لا يكذب، ولا يغتاب، وأن يأمر بالمعروف وأن يقيم الشهادة لله، وأن يثبت الحق بلسانه، ويبطل الباطل فكل ذلك من شرع الإقرار باللسان، ومن صدق بقلبه وجب عليه أن يحب الله ورسوله، ويبغض أعداء الله، وأن لا يضمر إلاّ خيراً:

فالأول: استقامة اللسان بالإيمان على الإيمان.

والثاني: استقامة القلب بالإيمان على الإيمان.

وبهما يكون استقامة إيمان العبد.

وأمَّا القياس: أجمعنا واتفقنا أن القول والشهادة في الصلاة شرط في وجودها، وهو من عين الصلاة، فيلزم أن يكون القول باللسان شرطاً في وجود الإيمان، لأن الصلاة أيضا إيمان لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، أي صلاتكم.

- وأمّا قول القائل في حق من صدق بقلبه، ولم يقر بلسانه أنه مؤمن غير مخلد في النار قلنا لا مسلم.

- وأمّا التَّمسك بقوله ﷺ: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان"، وهذا عين النزاع.

وإنما يكون كذلك لو كان الإيمان عبارة عن مجرد التصديق بما جاء به الرسول ﷺ بل عبارة عن التصديق بالقلب بما جاء به الرسول مع الإقرار باللسان لأن الاعتراف من جملة ما جاء به ﷺ فوجب أن يكون داخلا في حد الإيمان. والدليل على أن الإقرار باللسان داخل في حد الإيمان، وهو في الحديث المروي عن النبي ﷺ قال: (وأعطاني نعليه، وقال اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد: "أن لا إله إلاَّ الله" مستيقناً بها قلبه فبشِّره بالجنة.

وفي هذا الحديث بيان ما يجب على العبد من الجمع بين معرفة القلب والإقرار باللسان. وكذلك روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "من كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله وجبت له الجنة".

وأما قوله: أن الممتنع عن النطق ممتنع عن أصل الصلاة، وعن كمال الصلاة، لأن أصل الصلاة الفاتحة، ومحل الفاتحة اللسان، والممتنع عن أصل الصلاة ممتنع عن كمال الصلاة لا محالة، ولا يلزم من الامتناع عن كمال الصلاة الامتناع عن أصل الصلاة، فمحل الصلاة، ومحل بدئها اللسان، ومحل أصل الإيمان أيضا محل أصل الصلاة لأن بدء التصديق من اللسان، لأنه لولا إخبار المخبر بما صدق به المؤمن لما وقع منه التصديق فكان لسان المخبر لسان المخبَر، والقرآن والصلاة، والبيان بعضها في بعض.

وأما التحقيق: اعلم – أيدك الله من عنده – أن لله تعالى غلبة ذاتية تغلب الذوات، وغلبة صفاتية تغلب الصفات، وهو تعالى وتقدس. بالغلبة الصفاتية غالب على أمره، كما نطق القرآن حيث قال: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]، وبالغلبة الذاتية، غالب على كل شيء، كما ذكر في محكم كتابه حيث قال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[المجادلة: ٢١]. وأمره أمر من قبل، وهو النازل في القلم حيث قال له: اكتب وأمر القلم للروح، وأمر من بعد وهو النازل إلى العقل حيث قال للعقل: (أقبل) وأمر العقل للب، واللب مشترك بين العقل والقلب وهو خيرهما، ومحل استواء أمر العقل اللسان، ومحل استواء أمر الروح الجنان. فإذا استوى أمر العقل على اللسان دخلت معرفة الأمر في الجنان لا محالة. وإذا استوى أمر الروح على الجنان ظهرت حكمة أمره على اللسان لا محالة. بيانه: وهو أن العقل يعلم كل أحد بصورة مثله ولسانه وبأمره بمعرفة لابد منها في حكمة التعليم كما يقول المعلم لتلميذه اقرأ كتابك، وارفع كذا، واصنع كذا، وغيره، عمّا يحتاج إليه، ثمَّ يأمره به فإذا غلب أمره على لسانه

دخل معرفته في قلبه وحفظ المتعلم أمر المعلم حفظ المأمور به، وعند ذلك صدق بقلبه، وأقر بلسانه وكرر عليه، وكذلك يلقى الروح بواسطة الملك في قلب كل أحد ما هو سبب بقائه، وكمال حياته، ويأمره الملك بذلك كما يأمر المعلم المتعلم. فإذا استوى أمر الروح على القلب، وغلب عليه ظهرت حكمته على اللسان، واعترف اللسان بما عرف القلب.

ومن اللسان مبدأ العبادة، كما أن من القلب مبدأ المعرفة، ثم تصير المعرفة حكمة على اللسان، والعبادة على فيِّ القلب، والعلم علما في الظاهر، والعمل فعلاً في الباطن العبادة.

وتمام المعرفة يتم ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٣] و﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، ويصل التنزيل من رب العالمين إلى التنزيل من حكيم حميد، ويدخل البحر في البر، والبر في البحر، وتتحقق الربوبية على سبيل الكمال بين كمال المعرفة وكمال العبادة. وإليه الإشارة في قول القائل: "المرء بأصغريه قلبه ولسانه".

فمن المحال يتخلف اللسان عن القلب، والقلب عن اللسان. لأن من عرف عَبَدَ، ومن عَبَدَ عرف. بقدر ذلك فلو دخلت المعرفة في القلب لاعترف اللسان به لا محالة.

ولو وقع الاعتراف والإقرار على اللسان لدخل المعرفة في القلب بقدر ذلك لا محالة. لهذا المعنى قال النبي ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذل به لسانه واطمأن بها قلبه لم تطعمه النار".

يعني من شهد بالحق وهو يعلم أن الله ربه. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦]، إذا عرفت هذه الإشارات فاعلم أن كمال الإيمان يتوقف على كمال نزول الأمر وكمال نزول الأمر يتوقف على الإنسان ؛ الرجل والمرأة فإذا صار العبد إنسانا بالحقيقة رجلا و امرأة نزل عليه الأمر كامل يصير مذكورا ومعروفا ومتصلا، لأن القرآن للإنسان في الجنان والبيان قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١-٤]، والذكر للرجل في اللسان، قال الله تعالى إشارة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، والمعرفة للمرء في الأبدان والأديان قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

والذكر والقرآن والمعرفة قدم الصدق وقدم القصد وسابقة الخير في العبد.

واعلم بأن الدعاء نازل في الذكر بقدر نزول الذكر من اللسان إلى الجنان، وبقدر ذلك وصول الدعاء إلى الرجل إجابته بلبيك، وبقدر صعود القرآن من الجنان والبيان إلى اللسان وصول السؤال إلى الإنسان وبقدر وصول السؤال إلى الإنسان جواب الإنسان بكلمة: "بلى"، وبقدر اجتماع بلى ولبيك اجتماع المعرفة والعبادة المذكورتين في قوله تعالى للعقل: "بك أُعرَف، وَبك أُعبد".

وبقدر اجتماع المعرفة والعبادة نزول: كن عبداً عاقلاً مستيقناً وكن روحا واسعاً معيناً. وبه دخل "كن" في "لن" وظهرت المحبة بصورته، والطهارة بطينته، وظهرت القراءة بين المحبة والطهارة. وقام الروح في القراءة، وركع العقل وهو الصلاة من الروح، وقام الإيمان بينهما بالتصديق والإقرار. وإظهار سر ما في ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. وبقدر وصول النداء إلى المرء التسليم المشتمل على سر لبيك وبلى في صورة سعديك وباجتماع الجواب والاستجابة والتسليم اجتماع الدعاء والنداء والسؤال في العبد وبه لبس العبد لباساً من لباس مجده تعالى وتقدس. وبقدر دخول السؤال والجواب

والدعاء والاستجابة والنداء والتسليم بعضاً في بعض وصول الخطاب إلى العبد الذي كان الإنسان والرجل والمرأة وبقدر فهم الخطاب يصير عامرا. والعامر اسم أسمائه من طرف وجوده كما أن العاقر اسم أسمائه من طرف نفسه وأهله. ثم يحن عن الخطاب بالتواضع في صورة حنانيك، وبقدر اجتماع سعديك وحنانيك اجتماع العطاء والأخذ المذكورين في قوله تعالى للعقل: (بك أعطي وبك آخذ) وبقدر اجتماع العطاء والأخذ سر كن، كما كان، وكن قبل ما كان في بعد ما كان.

إذا عرفت هذه الأسرار العظيمة الشريفة فاعلم أن:

- التسليم في الأعمال البدنية إيمان بالله، وأنه لا يصح بدون عمل القلب واللسان.
- والتسليم في الأعمال القلبية إيمان بالحق فإنه لا يتم إلاّ بعمل القلب.
- والتسليم في الأعمال القلبية إيمان بالإله، وأنه لا يتم إلا بعمل اللسان.

فمن وصل إليه الإيمان بالله ضرب الله تعالى الحق على لسانه، وقلبه، ونفسه، وأنه يحق الحق بكلماته ويبطل الباطل.

ومن وصل إليه الإيمان بالإله ضرب الله تعالى الحق على قلبه ولسانه.

ومن وصل إليه الإيمان بالحق ضرب الله تعالى الحق على نفسه، وقلبه، ولسانه.

والضرب يكون بعد وضع الحق على اللسان، ووضع الحق يكون بعد نطق الحق على لسان العبد. ومن ضرب الله تعالى الحق على لسانه ووضع عليه، ونطق وقال ضرب عقله على قلبه، وضرب قلبه على عقله، وجمع بين باء البنتية وألف الأبوة فيه ورمى بترتبه روح بنطفته، وصورة بكلمته، وصار بالتراب لهذا سمي المرتضى أبا التراب، ثم نور قلبه بالإيمان، وجعل الحق المنطوق على لسانه ناظرا إليه. ثم زين فؤاده بالإيمان وجعل الحق المقول على لسانه شاهدا، وله ثم كتب في قلبه الإيمان وجعل الحق الواضع على لسانه دليلاً عليه ثم حبب إليه الإيمان، وجعل الحق المضروب على لسانه يحيط به، ثم أظهر الكنز المخفي في نور الإيمان، وزينته، وكتابته، وتحبيبه. ثم قال: (كنت كنزا مخفيا فأردت أن أُعرف فعرفتني وعرفتك، وعلمتني وعلمتك).

واعلم أن كمال الإيمان يتوقف على القول باللسان، والعمل بالأركان، والمعرفة بالقلب. قال رسول الله ﷺ: "الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، ومعرفة بالقلب".

في الحديث دلالة على أن مبدأ الإيمان من اللسان ومنتهاه في القلب والإيمان سراج الغيب، وإنما يضيء ويزهر في القلب عند اجتماع هذه الأركان الثلاثة: اعتراف باللسان، وعمل بالأركان، ومعرفة بالجنان فكلما كان الجد والاجتهاد أكثر كان إيقاد السراج أتم. والأعمال الصالحة إذا واظب عليها العبد يظهر للإيمان إشراق في قلبه رأى بعين فؤاده من عالم الملكوت ما لا يراه غيره، ولا هو يراه قبل ذلك الإشراق، وصار على يقين، وثلج صدر في المغيبات، ثم صار عمله أرجح وأفضل من عمل غيره، حتى يرى قليل منه على أعمال غيره إن كانت كبيرة.

وقد ورد في الآثار: لذرة من ذي يقين أرجح في الميزان من أمثال الجبال من أعمال المخلط.

واعلم أن اللسان شهادة القلب كما أن القلب غيب اللسان. والبيان في اللسان ملك القلب، كما أن المعرفة ملكوت البيان.

والإيمان مضروب على القلب واللسان، كما أن المعرفة مضروبة على الإيمان. جعل الله تعالى بفضل رحمته، ولطيف حكمته وقدرته تعلقا وارتباطا وتلازما ورابطة بين الملك والملكوت.

- ونعني بالملك: عالم الشهادة المدركة بالحواس.

- وبالملكوت: عالم الغيب المدرك بنور البصيرة.

والقلب من عالم الملكوت، واللسان من عالم الملك. ولطف الارتباط ورقة بين العالمين. انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحادا أحدهما بالآخر.

وظن آخرون أن لا عالم إلا عالم الشهادة، وهو هذه الأجسام المحسوسة، والمحققون وهم الأولياء والأصفياء أدركوا الأمرين وأدركوا تعددهما، ثم ارتباط أحدهما بالآخر بتقدير العزيز العليم.

واعلم، أن في شهادة اللسان وملكه سكينة وهي سكينة الوجه. وفي غيب القلب وملكوته سكينة وهي سكينة السبحات. وإذا وصل القلب إلى اللسان، ووصل اللسان إلى القلب وقعت السكينة في السكينة وانشق إيمان الله في إيمان العبد وغرق فرعون وجنوده وهلك إبليس وجحوده وخرَّب الله تعالى حيطان الأوهام وأقام مقامها سور الكلام والسلام وأظهر جوهر الإنسان في شاكلة الإمام ويعامل به الخاص والعام وميز به الحق عن الباطل والطيب عن الخبيث.

واعلموا - أيدكم الله تعالى بتوفيقه - أن الإيمان ستة أحرف وهي في القلوب بحرفين أو بثلاثة أحرف والباقي عند الله، وعند روحه. وهي الاعتقاد في الجنان والقول على اللسان، والعمل بالأركان والصلاة أيضاً اعتقاد وقول وعمل. والإيمان صلاة. والصلاة إيمان عند الله كما أن الدين عند الله الإسلام وآخر الإيمان الهجرة، وآخر الإسلام الجهاد والهجرة والجهاد والإيمان والإسلام شعائر الله تعالى في شرائع جبريل وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل.

ونختم الكتاب على حديث مروي يشير إلى الإيمان والإسلام والهجرة والجهاد، وهو ما روى " أبو قلابة " عن رجل من أهل الشام عن رسول الله تعالى قال: سألت رسول الله ﷺ وسأله رجل عن الإسلام قال: (أسلم تسلم، قال: وما الإسلام؟ قال: أن يسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك. قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت. قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة. قال: وما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء. قال: وأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد. قال: وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، ولا تغل، ولا تحنق.

تم كتاب لطائف أسرار القلب واللسان

رسالة المقصود من الوصل المحمود

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسِّر وتمم بالخير

الحمد لله الذي ربط الظاهر على الباطن، وضرب الحق عليهما على التساوي، وأنقذهما من التخالف والتحالف والدعاوى، وحكم بينهما بالتعارف والتعاطف، ودفع عنهما واسطة الطبيب والتداوي، واستخرج بموافقتهما يوسف الحسن، وعزيز الملك، من غيابات الجب، ورفعه إلى العرش المساوي للجبت الحاوي، ودعا إليه من يحبه ومن يعاديه وينادي. ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

أحمده على جميل لطفه، وأشكره على جزيل رفعه، وأصلي على نبيه المصور بحقه على أحقه، والمرسل إلى خلقه، والواقف تحت ودقه، والجامع بين وصله وفرقه، صلى الله عليه وآله وأصحابه صلاة تجمع بين قدميه وفرقه، وبين صمته ونطقه.

وبعد حمد الله اللطيف، الراحم للقوي والضعيف، والرقيق والكثيف اعلموا جمعكم الله، وجمع أرزاقكم، وأصلح بالكم وأخلاقكم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم بفعل جامع يشتمل على الأمر، والروح، والخلق، والعقل، والرزق، والنفس، والعمل، والقلب والعلم، والسر، والمكان، والحُس.

- وجعل مخرج الروح الأمر.
- ومخرج العقل الخلق.
- ومخرج النفس الرزق.
- ومخرج العلم القلب.
- ومخرج السر العلم.
- ومخرج الحس المكان.

ثم جعل الفعل فعلين، وسمى أحد الفعلين عملاً، والآخر فعلا. منهما عين الفعل المودع بين الفوقية والاستواء، وبين القوة والإرادة. وسره بين الأفعال، والأقوال، والأعيان، والأحوال، إلى محله المودع في الولي الخاتم، وهو عين المجيء، والإتيان، والوضع.

والمجيء: مجيء الرسول إلى الولي المقبول. والإتيان: إتيان الله تعالى. والوضع: وضع الولي في الولي. بصفة الجمع ومن هذا العين البيان، والبلاغ، والهدى في عقول الخلائق وقلوبهم ونفوسهم.

واعلم أن أول الكلام الإرادة ثم العلم، ثم الفعل. لأن الإرادة إذا انبعثت فلتحقيق فعل أو تقرير كلام، فإذا اتصل العلم بها علم المريد ما أراد في الباطن، وصار ذلك كلاما مع غيره، وإن وقع الفعل الصادر منه في غيره، وإن وقع في وجوده فهو عمل منه إليه، يظهر منه أمره لا محالة. وبين الأمر والفعل معية في الإخراج والاستخراج، والرد والإعادة. لأن الأمر والفعل بعد الإخراج والاستخراج روح وعقل، وبعد الرد والإعادة نفس وقلب فإذا انبسط العلم على الكلام، والكلام على العلم رفع الفعل

الجامع في العبد وجرى فيه عينه الشامل، ويكون العبد على حكمة العين خارجا من الكتاب والميزان إلى عين الفعل، وبه يكون رؤية الشيء على ما هو عليه في نفس الأمر، والفعل بريء من النظر إليه لأن من نظر إلى شيء لا يراه على ما هو عليه، لأن بالنظر إليه صار هو متصرفاً عن حقيقته وإحاطته إلى جزئية وبعضية، فأنى يراه على ما هو عليه بالحقيقة. لأن النظر إلى عين نظر إليه بجزء من العين فلا يدرك عين ذلك إلا بالعين، ولا يحصل للناظر إلا رأي العين، والرأي يكون بالآراء لا بالعين قال الله تعالى إشارة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[ال عمران: ١٣].

وكانوا مثلهم ثلاثة مرات وإنما مثَّلهم الله تعالى في أعينهم بمثليْهم لأنه وعدهم الغلبة عليهم في ذلك المقدار، حيث قال تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾[الانفال: ٦٦].

واعلم أن:

- سر الكلام في " لا " النفي.
- وسر العلم في اسم " الإله ".
- وسر الكلام في العلم في لفظ " إلا ".
- وسر الفعل في حقيقة كلمة " الله ".

فإذا قلت: " لا إله إلا الله " كأنك لقيت كل متكلم وعالم في الوجود سوى ما دخل فيك، وما خرج منك، لأنك لقيت كل قائل بالنفي والإثبات، إلا من نزل من سر ذاته ونفسه إلى صفة كلامه وعمله متفرقا، ثم نزل جمعا ثم خرج إليك فعلا. وهو ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[طه: ٨]، فإذا عرفت هذه المقدمات الشريفة والأمور التي تتعلق بخلق آدم عليه السلام. فاعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾[الاعراف: ١٧٢]. والأخذ مسح، واستخراج، وردٌّ، وإعادة. وبحكمة الأمر المشتمل على المسح والاستخراج والرد وضع الأمر وصيغته وحقيقته في الخلق، وجعل لكل أمر مستقرا في الصيغة. قال الله سبحانه وتعالى إشارة: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾[القمر: ٣]، يعني يستقر بأهل الخير و وبأهل الشر إذا اتصل بصيغة وجعل لكل نبأ مستقراً في حقيقته، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٦٧﴾[الانعام: ٦٧]، أي لكل خبر يخبره الله تعالى مكان يقع فيه إذا وردت عليه حقيقته وجعل لكل نفس مستقراً في الأمر ومستودعا في حقيقة الأمر قال الله سبحانه وتعالى إشارة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾[الانعام: ٩٨].

فللعبد: ١- مستقر في المسح. ٢- ومستقر في الاستخراج. ٣- ومستقر في الرد والإعادة.

- والمستقر للنفس في الرد.
- والمستقر في المسح للروح.
- والمستقر في الاستخراج للعقل، والأمر، والنبأ.

والنفس رأس الإنسان، لأن له رأسا في النفس، ورأسا في الأمر، ورأسا جامعا للرأسين في النبأ العظيم. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في بيان المسح والاستخراج والإعادة. وهو ما قيل عن رسول الله

ﷺ سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾[الأعراف: ١٧٢].

فقال: (إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، ولعمل أهل الجنة. ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، ولعمل أهل النار يعملون.

فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟

فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة لا يموت إلا على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة. فإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار).

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: أخذ الله عز وجل للميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني: عرفة ما خرج من صلبه كل ذرية ذرأها بشرها بين يديه، فتلا قوله تعالى: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢] تلاها إلى قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧﴾[الجاثية: ٢٧].

وقال ابن عباس: لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فنودي يومئذ أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقال مقاتل: إن الله سبحانه وتعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون. فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ وقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي، وهم أصحاب اليمين. وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال. ثم أعادهم جميعا في صلبه وأهل القبور محبوسون حتى يخرجون أهل الميثاق كلهم من أصلاب وأرحام النساء.

اعلم أيها المقصود، وأيها المعقود في الوجود ويا شين الشاهد في دال المشهود، شد الله ملكك بجبال عصمته ومد شراع فلكك على متن رياح أرواح حكمته، وجعل لأرض عرضك رواسي أن تميد بك عند غلبات سطوات بطشته، وجعلك محفوظا بولايته وشهادته، ومنصوصا عليك عند تلاطم أمواج الدعاوى وتقابل البينات يوم يقوم الدعاء في أصل دعوته، وأعطاك قوة المسح وتأثير حالته، وقوة الاستخراج وتنفيذ حكومته، وقوة الرد والإعادة إلى مولاه الحق، وسعة رحمته، وراحة مغفرته، فلما مسح الله سبحانه وتعالى يمينه على ظهر آدم وصل حاء المسح إلى حاء حواء، وأدخلها في إحاطته وحياطته، وكون فيها ياءات الإضافة المنصوصة المنصوبة بمناسبته ونسبته، وهي ستة في العداد واحدة في الأحد وهي كراسي المقسم والمقسم به عند إنزال سر محبته وتصريفها إلى خير خلقته حيث قال: (وعزتي، وجلالي، وعظمتي وكبريائي، وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقا أحب إليَّ منك، ولا أكرم عليَّ منك بك أُعرف، وبك أُعبد). الحديث.

ولما وصلت تلك الياءات بحكمة المسح إلى حواء، وكونها فيها نزل الحي المحيي بالمناسبات والإضافات الستة في لوحة المودع في حواء في حجاب الغيرة صورة مبهمة لا يهتدي إليها، ولا يعرف ما في باطنها، وهي مشحونة بعجائب صنعه ولطائف صنعته، وسُبُحات وجهه تعالى وتقدس.

والنساء مَن في صورة الغيرة وكذلك السماع والمعارف والعبادات التي لا يعقل معناها، وإلى غير ذلك من الصورة المنكورة التي تنكَّرها الغافل الجاهل أليس الله تعالى على تلك المناسبات حالة الحيض وقت حيضها يعني وقت تصريفها وترجيعها إلى آدم عليه السلام وحالة الحيض حالة المنع والقربان، وهي حالة تنزل في كل شهر حتى يمد عليها سواء عالم الشهادة التي كانت تحتها أهل الجنة، وكانت متضمنة سواء عالم الشهادة والحكمة سكينة سكنت بها حواء إلى آدم عليه السلام وكانت بينهما ذرية هي بأجمعها ذات روح القدس وهي كانوا أهل الجنة فلما استخرج الله من ظهر آدم بعد مسح يمينه مطية تلك الذرية وقال: (خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون) رفع سواء عالم الشهادة وأسقط ذلك عن آدم وحواء سكنت حواء بسكنتها إلى آدم ووصلت المناسبات إلى آدم واتصلت تلك الياءات به من حواء، واتصلت أيضا دال آدم بحاء حواء ونزل بينهما روح القدس في صورة واو الوجه ولام اللقاء. ثم سار حاء الروح من بين الدال والحاء إلى الجهات، فصارت مصورة بالحور، والقصور، والنور، والظهور، ومشى راء الروح إلى الذرية المستخرجة بحكمة الاستخراج بطرف آخر ودخلت فيها فصارت مصورة بالردع والرجوع وما يتعلق بالشارع والمشروع. ولما سار الحاء ومشى الراء إلى طرفي الجنة والذرية ذهب الواو المتبطن سر الوجه واللقاء بأحد وجهيه في دال آدم وحاء حواء، وعند ذلك وجد آدم وحواء بالوجه واللقاء المندرج تحت كلمة "لو" يعني: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر: ٢١] ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾[الرعد: ٣١].

﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[لقمان: ٢٧].

ثم وجدت واو الروح في طرفيه. أعني بهما الخاء والراء المنبثين المنصرفين إلى الجنة والذرية اللتين تناديان بالنفث ويدعوان لحواء في الروح بالنفخ المنبث ويوصلان الرزق إلى النفس ويجمعان بين الظل والعكس وعند ذلك يقوم الروح صفا في الروع مصورا بالصبر الجميل، والفرح القريب ينطق على العبد بلب الحقوق، ورب الفروق، ومخ المنطوق. يُفهم من قوله صلى الله عليه وآله حيث قال: (ألا إن الروح الأمين نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ألا فأجملوا في الطلب).

واعلم أن النقط ثلاثة: ١- نقطة أبيضية. ٢- ونقطة أسودية. ٣- ونقطة أحمرية.

- فالنقطة الأبيضية: نقطة للعقل، وهي من نقطة ينطق على العبد بحق الآخرة وما يتعلق بها ويجر العبد إليه حتى تعطيه النقطة الملكية التي منها نقطة الفطنة الفطرية، وتحت هذه النقطة إرادة الآخرة، وعلمها، وكلامها، وتكليمها.

- والنقطة الأسودية: نقطة النفس، وهي من نقطة ينطق على العبد بحق الدنيا، ومن هو من لوازمها، ويجذب العبد إليه حتى تعطيه الانتباه الشريك التي منها الكياسة الكونية تحت هذه النقطة إرادة الدنيا وعلمها، وكلامها، وتكليمها.

- والنقطة الأحمرية: نقطة السر والروح، وبها الحياة وهي من نقطة ينطق على العبد بحق الله تعالى، وهو حق العاقبة وما يتعلق بها ويسحب العبد إليه حتى يعطيه سر الإفاقة الروحية الرحمانية التي منها الخلاقة اللونية وتحت هذه النقطة إرادة الله تعالى وإرادة العاقبة، وعلمه، وكلامه، وتكليمه.

وإذا وصل العبد إلى الحقوق الثلاثة وإلى متضمنيها رآه بالأفق المبين، وبالأفق الأعلى. ورآه كما رآه العلي الأعلى، ووقع سر من في: من، ومَنَّ الله على المؤمنين بوقوع سر "مَن" يعني سر من في السموات والأرض أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور. في سر "كل له قانتون". وظهرت المعرفة الحقيقية للعقل في أخص وجود العبد والوصلة الحقيقية للقلب في أخص دعاء الإنسان. والتجلي للسر والروح في أخص محل الآدمي، ونزل بالمعرفة والوصلة والتجلي الموت الحقيقي حتى يطير منه طائر العندية إلى وكر الجمعية، وتنطق بالوحدة الحقيقية على شجرة الجنود والشهادة. لأن بقدر خروج الشيطان الرجيم من صورة الشهادة دخول الجنود والروح فيها وخروج شجر الجمعية ونداءات السمعية يفهم من قوله تعالى: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ۝٤٧﴾[النمل: ٤٧] ويطير طائر المعية إلى وكر التفرقة ليشرح صدر ((....)) بالإسلام، ويميز الخبيث من الطيب في الأنام يفهم من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ۝١٩﴾[يس: ١٩] طائر الهوية والإلزام إلى وكر الجمع، والنشر، والحشر، والموت يفهم من قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ [الاسراء: ١٣]، وطائر العندية يطير في العلم. وطائر المعية يطير في العمل. وطائر الإلزام والهوية يطير في المشاهدة والأحوال.

وبهذه الحكمة العظيمة دخل خليل الرحمن في قلوب من سمع أذانه قبل الأذان بصفة التفرقة في الأعداد، وينتجهم إلى سبيل الرشاد.

ثم رجع بصفة الجمع إلى المعاد، وتوجه بصفة المشاهدة إلى المقصود والمراد، وهو ﷺ من عباده الموضوعات.

واعلم أن لله تعالى عباداً وضعهم الله تعالى بوضعه على وضعه لنفسه تعالى وتقدس وخلقهم بيده، ووضعهم من بين يديه على قدميه فهم حقيقة وضع الكتاب وحقيقة أكوان الخطاب في مكان الجواب، وهم علامات الغيوب، ونسابات القلوب وبهم وضع من وضعه، وبهم رفع من رفعه، وكما وضعهم لنفسه وضع الأرض منهم لخلقه.

وهم ستة: سيدهم ورئيسهم نبينا المصطفى ﷺ وهو موضوع أمره في موضوع الحكمة، وموضوع حكمه، (يسعى) خاتم الأولياء فهما موضوعان أحدهما في الآخر.

وإبراهيم خليل الرحمن، وموسى كليم الله عليهما السلام موضوعان أحدهما في الآخر.

وآدم و داود عليهما السلام موضوعان أحدهما على الآخر.

يفهم من قوله تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩] وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠﴾ [الرحمن: ١-١٠].

ولله تعالى عباد آخرين، وهم أيضا ستة: وهم بالحقيقة وضع الميزان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾[الرحمن: ٧].

- أولهم: عيسى عليه السلام صاحب الحكمة والبيان، المرفوع بوضعه إلى حقيقة الإنسان، والعبد الموضوع عبده ما يصدر منه فهو حق من الله الرحمن ظاهر على الجنان واللسان، يفهم من قوله تعالى

حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦]. والميزان موضوع من الكتاب لأهل الإيمان، والإسلام، والإحسان.

– وثانيهم: إدريس عليه السلام صاحب الشأن المرفوع بوضعه إلى شاكلته الإنسان المدرك مكان المكان . والعبد الموضوع عبد ما صدر منه فهو نور الله الرحمن الناطق بالحجة والبرهان. يفهم من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧].

– وثالثهم: نوح عليه السلام نجي الله صاحب الاستواء والتبيان والثبات والبيان، والهابط يرفعه إلى عيان الإنسان، والعبد الموضوع الهابط عندما صدر منه فعل الله، الرحمن. الواقع في الوجود بشواهد الإتيان والاستيقان، يفهم من قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[القمر: ١٣-١٤].

– ورابعهم: الخضر عليه السلام صاحب الدن في الأديان، المرفوع بوضعه إلى عين الحيوان، المشتمل على الإنسان، والعبد الموضوع عبد ما نطق إلا بسلطان، وما فعل إلا بإيمان.

– وخامسهم: ذو القرنين صاحب المقارنة والقرآن الداخل الخارج الواصل بوضعه إلى صلة الإنسان والعبد الموضوع عبد دخل الملك في قوله والقلب في قالبه ما قال شيئاً إلّا ملك وما ملك شيئاً إلّا قال به جمع الله تعالى فيه بين قوله وملكه وسببه، يفهم من قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[الكهف: ٨٤-٨٥].

– وسادسهم: مالك صاحب رضوان خازن الجنان المرفوع بوضعه في الميزان إلى جوهر الإنسان، المنزه عن مماسة النيران. والعبد الموضوع عبد جاء بالحق وأبرمه، وأوصل على المحق وألزمه إذا عرفت العباد الموضوعات الميزانية، والعباد الموضوعات الكتابية فاعلم أن العباد الموضوعات الكتابية عباد كمه الفائض من أثر مسح يمينه على ظهر آدم فلما وصل إليهم أثر ذلك جعلهم كراما عظاما أدركوا كرم ذاته تعالى وتقدس، وهم المذكورون في الخلق وهم أصحاب المد والكرّ الذين أدركوا أجزاء إنسانيتهم وأبعاض وجودهم لأن الله تبارك وتعالى لما دعاهم إلى الإثبات نثرهم بين يديه فأجابوه معا وسعوا إليه متعاقبا بعضهم بعضا فأدركوا أجزاء إنسانيتهم، وأبعاض وجودهم فصاروا أصحاب السبق والتعارف الواقع بين الأرواح في ذلك الوقت كان بقدر وصول النثر إليهم، والتباين بقدر عدم وصول سر النثر إليهم. وعلى هذه الحكمة أمر الله تعالى لخليله أن يأخذ أربعة من الطير ويجعل على كل جبل منهن جزءا ثم يدعهن ليأتينه سعيا حتى يعلم بذلك كيفية السبق من التعارف الواقع بين الأجزاء والأرواح يوم الاستخراج.

ثم اعلم: أن الله تبارك وتعالى لما خلق العباد "الست" الموضوعات على أثر أصابعه اليمنى ذكر ست مراتب ما جرى بينه وبينهم زمان السبق عند أطوار الخلقة فيسر لهم القرآن للذكر، وصاروا مذكرين لذلك لهذا المعنى ذكر ستة مرات في سورة القمر فهل من مدّكر، وجعلهم مراد العبادة ومرادا في مراده والعباد الموضوعات الميزانية باد كبريائه في أرضه وسمائه شرفهم بحمده وثنائه، وكرمهم بحملهم عند نزول بلائه وسطوات استلائه هذا الذي ذكرنا سر المسحة الأولى والاستخراج الأول.

وأما المسح الثاني لما مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: "خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون".

اعلم أن لآدم ظهرين: ظهر في وجوده. وظهر في وجود حواء.

وأن لحواء أيضا ظهرين: ظهر في وجودها. وظهر في وجود آدم.

وصلب آدم في ظهر المودع في ظهر حواء، وصلب حواء في ظهرها المودع في ظهر آدم عليه السلام والمسح على ظهر آدم بيمينه استخراج صلبه من ظهره المودع في ظهر حواء. واستخراج لب صوره. والمسح بشماله على ظهره به المودع في ظهر حواء عليهما السلام واستخراج رب صورهما والرد ردُّ صلب آدم إلى صلب حواء. وإعادة صلب حواء إلى صلب آدم، وجمع بين ظهرها وظهورهما لآن الصلبين والأظهر مورد سر الرب والبر، تعالى الله رب العالمين لما مسح ظهره المودع ظهر حواء، وصل حاء المسح إلى خاء الخليفة المجعولة في الأرض المضافة إلى الله تعالى التي خبر الله تعالى عنها حيث قال: (لا يسعني أرضي ولا سمائي).

ولأرضه تعالى وتقدس أرضان: ١- أرض الجنة، وهي أرض الآخرة. ٢- وأرض النار: وهي أرض الدنيا.

ولما وصل إليه الخاء أدخل الخليفة في جنة معنى، وفي خليفته صورة وإحاطته علما وفعلا وكون فيه ألفات الأمر التي فيها ألفات النسبة، وهي أيضا ستة في العدد، وواحد في الواحد، وهي:

- عرش الاستواء.
- وموقع الأنباء.
- ودار الحمد والثناء، المشير إليهما قوله تعالى: عند إصدار أمره، وإرسال لطفه وزجره إلى نبيه، وحجره حيث قال للعقل أقبل، أدبر، انطق، اقعد، اصمت، اسمع .

ولما وصلت تلك الألفات بحكمة المسح الثاني إلى الخليفة أعني آدم وكونها فيها نزل الذي أحيى وأمات، وأضحك وأبكى بالمناسبات الألفية الستة في لوحه المودع في الخليفة في حجاب الحشمة المنافية للغيرية. لأن الحشمة تنافي الغيرية ألبس الله تعالى على تلك الحقائق حالة المني والنطفة وقت المني. والنطفة يعني وقت تقديرها وتحويلها إلى حواء حتى يمد عليها سواد عالم الغيب التي كانت تحتها أهل النار، وكانت متضمنة سواد عالم الغيب.

والقدرة: سكينة سكن بها الخليفة إلى الخليفة، وإلى حواء، وكانت بينهما ذرية مني بأجمعها ذات البروج الأمين وهي كن أهل النار. فلما استخرجها الله تعالى من ظهر الخليفة المودع في ظهر حواء بعد المسح عليه وقال: (خلقت هؤلاء للنار ولعمل أهل النار يعملون).

دفع سواد عالم الغيب، وأسقط ذلك عن آدم وحواء، وسكن الخليفة بسكينتهما إلى حواء ووصلت المناسبات الألفية إلى حواء. واتصلت تلك الألفات بها من الخليفة، واتصلت حاء حواء إلى دال آدم خليفة الله في أرضه، وينزل بينهما الروح الأمين في واو هو الوجه وهذا الواو أحد طرفيه واو الوجه، وفي صورة راء الرؤية المودعة في لام اللوح ولام اللوح أحد طرفي لام اللقاء سار حاء هذا من بين الحاء والدال حتى الجنات فصارت مصورة بالروح والريحان والروض والرضوان والذكر والغفران ومشى راء الروح إلى هذه الذرية المستخرجة بحكمة الاستخراج الثاني ودخلت فيهن صارت مصورة بالحور والكور والغضب والنسيان لأهل الكفر والطغيان ومصورة لأهل الإيمان وبالازدواج والإجواز. ولما سار الحاء ومشى الراء لحقت حاء روح الأمين بحاء روح القدس واجتمعت الحاءان والراءان،

وانتشرت الحياتان والرحمتان في الآفاق والأطراف لأهل التعارف والأعراف والتناسب والأشراف وذهب واو الروح الأمين المتبطن سر هو الوجه واللقاء والرؤية بوجهه الباقي في دال آدم خليفة الله وحاء حواء عند ذلك وجد آدم وحواء (فقد) أولادهما يعني وجدا الله توابا رحيما. وجد آدم وحواء حين وجدا ثم ذهب واو الروح الأمين في واو روح القدس واجتمعا على التعين و التعيين، وحكم بالمكالمة والمعاينة، وجمع بين الكتاب والميزان والحديد وندب إلى وراء ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠﴾ [ق: ٣٠] حتى علم، النقطة البياضية في الكتاب كون الشهيد الحميد وهي التي تخرج في انتشائها من الكتاب إلى القول السديد والبطش الشديد ويكون من يريده من عباده في عز مديد وملك حديد وأن النقطة الأسودية في الميزان منة الله تعالى على الشقي والسعيد والأحرار والعبيد، وأن النقطة الأحمرية في الحديد حنانا من لدنه وزكاة لمن يجئ بالرضى وحسن الظن والصبر المفيد المستفيد والكتاب والميزان والحديد محك من ذهب إليه وفيه ومعه ذهابا بلا ترديد وتشديد.

ثم إن الحديد عند لينه كتاب الساعة وميزان القيامة، وبيت من نبت إذا عرفت المسح الأول والمسح الثاني.

واعلم أن المسح والأخذ لما فرغ الله تعالى من الاستخراج الأول والثاني أخذ للميثاق من ظهر آدم بنعمان فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه قبل، وقال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ثم مسح ظهره فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فوصل ألف الأخذ إلى ميم المسح، وميم المسح إلى ألف الأخذ، وصل ألف الأخذ وميم المسح إلى ألف حواء وميم آدم، وهو ألف الأنثى، وميم المني وأدخلها في شهادته وعبادته، ودعاهما إلى طاعته وكوَّن فيهما ميمات الجمع وهي سنة في العدد وواحدة في المدد زيدت عليها سمات الميل وهي ثمانية كما زيد على الألفات ألفات الإرادة وهي أيضا ثمانية، والمشير إلى سمات الجمع قوله تعالى: خلقكم، وذرأكم، وأنشأكم، ويجمعكم، ورزقكم، وهداكم ولما وصلت تلك الميمات بحكمة المسح والأخذ نزل البارئ المصور. بصفة الجمع في الوجه المودع في المرء والأنثى في حجاب السواد والبياض المؤدي إلى الأعراض، والمنافي بكلية الأعراض ألبس الله تعالى على صور الجمع لباس العادة وحالة الطهارة، وفي حالة الوقوف وانتظام الصفوف واتصال الواصف بالموصوف والعارف بالمعروف أعني لحجاب السواد والبياض سواد العقل وبياض القلب وسواد القلب وبياض العقل وبياض العقل المشير إليها قوله ﷺ في السجود: (سجد لك سوادي، وآمن بك فؤادي) وهذا السواد والبياض سواد وبياض خلقا وقاية للنور، وحماية للعبد الموضوع عن التفرقة في عالم الظهور والبياض نور ساكن مبسوط. والنور وهو الظاهر في نفسه والمظهر لغيره وهو المحرك المتحرك.

والسواد: ظلمة ليس للحس فيها مدخل.

والظلمة: سواد للحواس فيها مدخل. ومهما دخلت السيئة في الحياة المنتشرة غاية انتشارها بحيث شملتها سلمت الحواس عن التفرقة في عالم النور والظلمات ووقعت التسوية بينهما ؛ لأن الله تبارك وتعالى قادر على أن يسوي بنان الرجل والتناسب والمناسبة واقعة بين البنان والحواس، وغنما يطلب التفاوت بين الأصابع والأنامل ليميز بينها وبأشكالها فلما نزلت حالة الطهارة والعبادة على المرء والأنثى مسح الله تعالى صفحة ظهر آدم اليمنى، وأراد بآدم المرء، وكانت صفحة ظهره اليمنى في ذرية

ذرأها، ونثرها بين يديه قُبُلاً وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ وهي ذرية أخرجها بحكمة المسح والأخذ فلما مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الدر يتحركون، ومسح صفحة ظهره اليسرى التي كانت في نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فـــ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فنودي يومئذ: أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة وهي أيضا مخرجة بحكمة المسح والأخذ.

ولما مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج معه ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون. فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وهؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال.

وكانت صفحة ظهره اليمنى في ظهر أصلاب الأنثى وهي مضافة إلى آدم مخصوصة بحواء، وصفحة ظهره اليسرى كانت في أصلاب المرء وهي مضافة إلى حواء مخصوصة بآدم عليهما السلام.

ولما وصل ألف الأخذ، وميم المسح إلى ميم المرء وألف الأنثى وكانت بينهما ذرية بيضاء وسوداء، وكان فيها بياض البياض وسواد السواد وحركة الحركات وسكون السكنات وهي بأجمعها كانت ذات روح الله خلقها الله تعالى للجنة والنار بلا علة فهم دائمون في الجنة والنار من وقت الفصل والوصل.

ولما ظهر آدم سر آدم وحواء بالمسح والأخذ يعني سر المرء والأنثى ووقفا على الحد نصفه الطهارة ونزلت ميمات الجمع بينهما واتصلت التاءان والألفان بها على ترتيب معلوم ونزل بينهما روح الله في صورة واو الموجبة ولام الإحاطة الموجبة، وهو نازل بين طرفي واو الوجه تخبر عن تسوية بين الإخبار والمخبر عنه، حتى يصح أن يقال هو الوجه، والوجه هو. ثم سار حاكما الروح من بين ألف الأخذ وميم المسح، ومن بين ألف الأنثى وميم المرء إلى ذرية بيضاء وهي التي فيها بياض البياض، وصارت مصورة باللؤلؤ المكنون وبمعاني القلم والنون وبعيون في العيون وبروح في الحور وبنور في النور ومشى راء الروح إلى ذرية سوداء التي فيها سواد السواد ومدة لكر والعناد فصارت مصورة بالنار الكبرى وبغيوب في غيوب وبناء في نار وبرقوم في مرقوم والعياذ بالله وذهب الواو المتبطن سر الوجه والإحاطة وواو الوجه، وواو هو الوجه، وعند ذلك ظهر ولي الوجه وولى الوجهة لحق هذا الواو بواو الوجه، وبواو هو الوجه. واجتمعت الواوات، ووصل بعضها إلى بعض اجتمعت الحاءات والراءات وصلت بعضها إلى بعض وحصل بذلك المقصود من الوصل المحمود، وسار عن العقل سارية في الأعيان، ونزل العين بالمجيء والإتيان والوضع في أمر لب صلب آدم، ورب صلب حواء ومخ بطنهما وهو أمر مودع في أمر مودع. والاستخراج، والإخراج، والمسح، والرد، والإعادة.

والمسحات خمسة. والإخراجات خمسة. والاستخراج استخراجتان. والصلب صلبان. والظهر أربعة ظهور. والبطن أربعة وعشرون بطنا. والصفحة صفحتان. والرد على ثلاثة أنواع. والإعادة ثلاثة. والصفحة والظهر والصلب والبطن والتربة والأرز محال المطلان، وفيها عين الأعيان وهو عين فعل الله الجاري في أفعال الإنسان. وأصل فعل الإنسان فعلان: فعل وضوئه. وفعل صلاته.

– ففعل وضوئه يجري في صورة أفعال فعله وهي اثنتا عشرة صورة وهي: الأمر، والروح، والخلق، والعقل، والرزق، والنفس، والعمل، والقلب، والعلم، والسر، والمكان، والحس.

– وفعل صلاته أيضا يجري في صورة أفعال فعل صلاته وهي أيضا مثل صور أفعال فعل وضوئه وهي: الوضوء، والتكبير، والشهادة، والقراءة، والقيام، والقراءة، في التشهد، والقيام، والصلاة على النبي ﷺ والركوع، وإعطاء الواجبات، والسجود والسلام. وكانت في إحدى المسحتين أفعال فعل الوضوء وفي الأخرى أفعال فعل الصلاة. ولما اتصلت المسحتان إحداهما بالأخرى اتصل فعل الوضوء بفعل الصلاة، وفعل الصلاة بفعل الوضوء، وجرى بينهما اتصالهما عين فعل الله المركب من سر الإتيان والمجيء والوضع. لأن الله يأتي إلى عبده في ظلل من الغمام. والسواد المخصوص بالملائكة وتحية الرسول في البياض المخصوص بالبشر ثم يضع الله تعالى بالإتيان إليه والمجيء إليه نور في عينيه وطرفه وبصيرته وهو نوره والله متم نوره والعين والطرف والبصيرة تبع صحيح في طبعه وهو طبع الطبع فيه عكس وجه الله تعالى انطباعا منزها عن الحلول والمماسة التي تعرف فيما بين الأجسام والأعيان.

فإذا فنت النفسُ بفناء شهواتها، وعرِّيت عن لباس دعاويها فصارت فانية بورود معانيها على مسماة أساميها ارتد إليها طرفها ورجعت إليها عينيها وانفتحت فيها بصيرتها وبصارتها وبصرها فصارت النفسُ بحمليها غيبا فيها عين فعل الله وعينه تعالى وتقدس تجري في سفينة السكينة وسكينة السفينة بأعين الله تعالى في أفعال الوضوء وأفعال الصلاة وتصير أفعال فعل الصلاة، وأفعال فعل الوضوء مسجدين له يسجد فيها بعين الله تعالى سجودا مخصوصا بالذي خلق وجهه وشق سمعه وبصره لا في المكان، ولا في الزمان بل في المشافهة والعيان.

ومن أراد الله تعالى به خيرا من الأنام يشرح صدره على هذا الإسلام حتى يعلم أن النور إذا دخل في النفس الإنساني صارت النفس عينا وطرفا وبصيرة وبصارة ونظرا وناظرة ثم يرجع المرسلون.

واعلم: أن بحكمة المسح ظهر يمين المعبود في نفس العابد وبحكمة الاستخراج ظهر يقين العابد في يمين المعبود تعالى الله رب العالمين. وبحكمة الرد والإعادة قيام المقصود في القاصد بنعت القرار في مقام المحمود والمشهود بين اليمين واليقين على وجه عري عن الحد المحدود وكان في باطن الاستخراج حكمة السراج وهو محل الألفات والميمات والياءات وهو في الوضع والإرسال تقابل العين بالعين والنور بالنور والوجه بالوجه وفي الرفع ينبسط وينشر ويوسع. وفي الحمل يحيط ويدور ويطوف، وبه يطفح الأوعية نورا وظهورا وعلما ومعرفة وحكمة وفعلا.

اعلم – أيدك الله تعالى بتوفيقه – أن العلم الحقيقي الذي هو صفة المعلوم الذي هو عينه مقرون به غير العلم الذي هو صورة مطابقة للمعلوم لأن الأول ينافي الغفلة والجهل وهو إذا ظهر ظهرت الأفعال الربانية ووقع القول وثبت الحق ويحقه بكلماته، وينفي الباطل ويمحوه بغلباته، وكان هذا العلم تحت فعل المسح والاستخراج والرد في حجاب الجحود والكفر ثم سرى ودخل في حكمة الطوفان. وخرج فاء الفعل فرفع الخلق ووضع كما أراد ثم دخل فاء الفعل في ذرية نوح عليه السلام وفي أفعالهما فيرفع ويضع الكتاب والميزان أقواما بعد أقوام إلى زمن هود عليه السلام فسرى ودخل في الأشكال السحابية، وخرج لام الفعل، ودخل في ريح مودعة في عارض، وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في كتابه العزيز لنبيه ﷺ حيث قال: ﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ

وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢١-٢٥].

وكان متضمن لام الفعل حقيقة الإخلاص المنافي للرياء والإعراض، ولا يزال لام الفعل في الإخلاص يميز بين المعالي وأشكالها وبين الحق وأمثالها وبين الحقيقة والخليقة إلى أن أناخ جمال السير نفساً (يسعى) خاتم الأولياء فدخل فاء الفعل ولام الفعل أحدهما في الآخر، ونفذ أحدهما من صاحبه ودخل في أصحاب الظهر والبطن وخرج عين الفعل على خاتم الأولياء (يسعى) من طرفيه وجعل مصدر الأفعال والأقوال ونزل بحقه فيه وأحاط به في صورة الأسماء والأخلاق والقرآن والأحاديث والدعوات وأخرج في إصبع الملك، وإصبع الدعوى، وإصبع الشيطان، وإصبع النصرة، وإصبع العدل، وإصبع الفضل فإذا انكشفت غمته ظهر فيما بين الخلائق عزته وعظمته واستواء كلمته، وهي الكلمة المحمدية (صلوات الله تعالى عليه وسلامه) التي يقيم بها دعوته وتظهر بها شفاعته وتكثر بها جماعته ﷺ وعلى آله صلاة ترفع آله وعترته.

واعلم أن الله تبارك وتعالى يخرج فعله بنوح وهود ويسعى في هيكل اللطف والقهر والرفع والوضع والموت والحياة والجنة والنار حتى أحاط بفعله نبينا محمد ﷺ وبوليه (يسعى) ويجازي به المتبعين إحسانا، وينتقم به من المخالفين مهانا، والله تعالى ولي كل خير في الدنيا والآخرة.

واعلم أيها المشاهد الصائم أعانك الله وأحياك ورزقك ما أبقاك أن تمام السير تمام الحياة وتمام الحياة لمن لحق بعيسى، وإدريس، والخضر، عليهم السلام فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون في الدنيا والآخرة.

وتمام البصر تمام العين، وتمام العين تمام الفعل وتمام الفعل لمن لحق نبي من الأنبياء وصاحب مجمع ليلة الإسراء الذي عبر على مقامات السراء والضراء ولحق بأصل الفعل الذي منه كنه الغطاء وكشف الغطاء، وصارت الأفعال والأمور مستوية معتدلة بكلمة الاستواء ثم بعده خليل الرحمن وكليم الله إبراهيم وموسى عليهما السلام اللذان هما رجعا إلى الله تعالى بعمل من رفع سماء بوضع الأرض ووضع الأرض برفع السماء وهو الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى الذي نشر موسى عليه السلام في النداء والدعاء وبسط إبراهيم خليله ﷺ في الأذان والحمد والثناء في قلوب أهل القبلة والعهد والوفاء صلى الله عليه وآله صلاة تجمع بترتيب حق جميع الأنبياء في جميع الأولياء.

نهاية رسالة المقصود من الوصل المحمود

كتاب معقل العقول في انشِقاق القَبْر عن الرَسُول ﷺ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل معقل العقول معقول الرسول الذي ينشق عنه القبر قبل الخلق بحق القبول، الموجود في قلبه وعقله من قبل الأصول؛ الذي قلع القلوع المندفعة من الوصول إلى حقيقة كل دليل ومدلول، وعلة ومعلول، بعلق علق (..) وبقلب عقول ولسان، وهو القاصر الذي عقل كل عاقل بعقيلة درة بحره الممتد جداولها وأنوارها إلى المنقول والمعقول، حتى يعقل كل مناسب له في دفع مضاره وجلب منافعه بسيف مسلول، وبوعد مفعول وبحق مقول. هو الذي لعق له عقله بمطاق حكمته لعاق الانداق في أفواه المقادير، وأقداح النزول والحلول حتى أقلع الشيطان عن لعوقه بلا محصول، وهو به مقتول، أو قتل أشجاره من عقالته على قواحل الجبال لنيل نيل قهره من قلوع حاجته إلى القلاع المجدول المكفول وهو الذي يقع حتى أدرك القلعة وأمطرها على رياض الحكمة على وجه الشمول. أحمده، والحمد له علي كل الأمور؛ حمد كل حامل ومحمول، وفاضل ومفضول، وصلى الله على نبيه محمد وآله صلاةً جامعة بين الأبواب والفصول.

اعلم أيدك الله بتوفيقه وأعانك على ما أنت بصدده وتحقيقه — أني أنزلت هذه الخطبة على حروف العقول لإخراجها وتشقيقها على وجه معقول، ليتبين الحق على الخلق عن الحرف عند انشقاق القبر، واللحد والنعش، واللوح، والقلم، والدواة، وهي ستة في ستة.

لأن العقل بمعنى عقل – علق – قلع – لعق – لقع – قعل. مستعملات كلها وهي في القبر، والنعش، واللحد، والقلم، والدواة.

وينزل هذه الحكمة على ثلاثة أسماء مشتملة على الأسماء كلها وهي: القوي، والواسع، والظاهر.

وهي محيطات بكلمات البقاع، نازلات على المشرق والمغرب وما بينهما، وعلى بلاد مبيَّنة وعلى قرب منها(...)

واعلم أيدك الله وهداك ودفع عنك من عاداك، وحفظك عن جميع الآفات ودعاك، وأجابك من حيث دعاك، وجمع بين صورتك ومعناك – أن أسماء الله تعالى على ثلاثة أنواع:

- قسم منها أسماء الذات.
- وقسم منها أسماء الصفات.
- وقسم منها أسماء الذات والصفات.

أما أسماء الذات مثل: القدوس، والمتكبر، والعليم، والكبير، والجليل، والحي، والقيوم، والواحد، والظاهر، والباطن، والحق، والغني، والنور، والوتر.

والاسم الجامع لهذه الأسماء: اسم الواسع، لأنه ما من اسم من هذه الأسماء إلّا وفيه سِعَة، لأن الله تعالى وحده في الظاهر والباطن لأنه لا يتعدى منه إلى غيره بطريق الاقتصاد واللزوم.

وأما أسماء الصفات مثل: الله، والرحمن، والرحيم، والملك، والسلام، والمؤمن، والمهيمن، والعزيز، والجبار، والحكم، والعدل، والكريم، واللطيف، والحكيم، والوكيل، والحفيظ، والقادر، والمقتدر، والوالي، والمتعالي، والبر، والتّواب، والمنتقم، والصمد، والعفو، والرؤوف، ومالك الملك، والمقسط، وكل اسم يكون نفعه أو ضره راجع إلى غير الله في الظاهر بطريق العطاء أو البلاء.

والاسم الجامع لهذه الأسماء: اسم القوي، لأنه ما من اسم من هذه الأسماء إلّا ولله تعالى فيه قوة صرف النفع أو الضر الى غيره.

وأما أسماء فعل الذات مثل: السميع، والبصير، والعليم، والرقيب، والجامع، والخبير، والشهيد، والباعث، وكل اسم يكون الحق فيه على نسبة واحدة بينه وبين عباده. لأن الله تعالى كما يعلم نفسه يعلم غيره، وكما يبصر نفسه يبصر غيره، وكما يسمع من نفسه يسمع من غيره.

وأما أسماء فعل الصفات مثل: المحيي، المميت، والمقدم، والمؤخر، والقابض، والباسط، والغفور، والشكور، والولي، والحميد، والمحصي، والخالق، والبارئ، والرزَّاق، والفتَّاح، والخافض، والرافع، والمعز، والمذل، وكل اسم نزل من الحق إلى الخلق ومن العلو إلى السفل ومن النكرة إلى المعرفة ومن الكفر إلى الإيمان.

والجامع لأسماء فعل الذات وفعل الصفات: اسم الظاهر لأنه تعدى من حالة إلى حالة وتعدى منه إلى غيره. فصحَّ بما ذكرنا أن جميع الأسماء لا يخلو من الأقسام الثلاثة، واسم الواسع، والقوي، والظاهر جامع لجميعها.

اعلم أن القبر أول شيء انشق في الإنسان، وذلك يكون بفتق الرتق حتى يتشقق بأسماء ويخرج منها اسم القوي، الواسع، الظاهر، فيقوّيه ويوسِّعه، ويظهر عليه ويصير هذه الثلاثة طوقا في عنق قلبه، ويرى وجهه فيه يعني وجه قلبه يتلألأ من ورود سُبحات وجه الله عليه فيخرج قلبه أولا في هذه الإحاطة، ويجمع الله تعالى مع هذه الثلاثة أسماء أخرى وهي سبعة عشر اسما وافيا.

- اسم الواسع والقوي صورة، ومعنى، وحكما.
- واسم الظاهر معنى دون الصورة فإذا كمل الانشقاق دخل الظاهر فيه صورة وحكما، أحياء.

وهذه الأسماء فلك قلب الإنسان وصورة روحه الرفرفي، وعند ذلك يسرع عنه ظل العون الفرعوني حتى يهلك فرعون نفسه، ومعاه جيوش شيطانه وقرينه.

وتشقق الأسماء يكون على ثلاثة أنواع: تشقق الصورة. وتشقق المعاني. وتشقق المسمى.

أول من تشقق منه المسمى في اسم الباعث، ويظهر هذه لك صبغة الله تعالى. ثم تشقق الصورة في اسم القبور. ثم المعنى ... في همّته الله تعالى وترى الملائكة تَترى ... هو الله تعالى قلبه في الفلك المشحون.

ثم يشقق نعشه وذلك يكون بفتح عينيه، ورفع الغشاوة عن بصره بغشيان نور الخلّاق على غفلته ؛ فيتنبه الإنسان بقدر الغشيان، وانفتاح عينيه، ورفع الغشاوة عن بصره حتى يشقق أرض الوفاة عنه ويخرج منها هابيل، وشيث وفتى موسى، يوشع بن نون فينفخون فيه، ويسقونه القوى العقلية، ويبلغونه رسالات ربه ورسوله، ويبشرونه بالسلامة والعيش المرضي ويكون هذه الثلاثة: رشد عقله، ورشد عقله يرده إلى مولاه الحق، ويقطعه عما سواه من الخلق، وعند ذلك يرى وجه قلبه يسلم عليه، ويكلمه،

ويخبره عن وجه الله الباقي فيخرج عند ذلك عقله عليه في هذه الإحاطة، ويجمع الله تعالى مع هذه الثلاثة سائر الأنبياء عليهم السلام وهم المذكورون في القرآن، ويكونون سفينة عقله وروحه الأمري، وعند ذلك ينزع عنه خيانة النفس، وأنوثتها. وأعطي الديانة والرجولية.

- ثم يتشقق سماء الأسماء مرة أخرى، ويجمع بين قلبه وعقله، ثم يرفع الله تعالى كلمته.

- ثم يصعد بالأنبياء عليهم السلام معه حتى يصعد عقله في السفينة والسكينة ويعرج به إليه.

- ثم يشقق لحده بحملة العرش ويكون معهم الحجة والعهد، والشهادة، والسكينة. وعند ذلك يخرج وجهه، وروحه، ويدلان على وجه الله تعالى فيسجدان له بالحجة والسكينة، ويركعان له بالعهد والشهادة وعند ذلك يحمد الله تعالى يا رحيما بين الدلالة والرفع.

- وتتشقق بقية الأسماء. وارتفعت الجبال والحجب.

- ثم يتشقق بعد ذلك القلم ويتجلى عليه الله بالرحمانية.

- ثم يتشقق اللوح ويتجلى عليه بالرحيمية، ثم أظهره في بسم الله الرحمن الرحيم وأظهر عليه نفسه، وذاته، وصفاته، وغيبه، وعينه برحمته الواسعة رحمة بينه وبين نبيه في العافية والعاقبة وفتح عليه أبواب السجدات، وجمع فيه السجود والعبادات. وهذا لا يتوجه ولا يتضح إلَّا بأن يفتق ويشقق السماء بالغمام ويشقق الأرض من الرأس.

والمواضع التي ورد عليها حكمة التشقق، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾[الفرقان: ٢٥-٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾[ق: ٤٤]، وقد شق الله تعالى صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتين، حتى انشق القمر بإشارته صلى الله عليه وآله وسلم نصفين.

اعلم أن السماء يتشقق بالعمل الغالب البالغ، وباجتماع الماء والأم في السماء، ويتشقق سماء البروج

أولاً: بالعمل الغالب ثم ينشق سماء النجوم والكواكب.

ثانيا: بالعلم الغالب البالغ، ثم ينشق متوسط السماوات العلى باللام والماء ومواقع التشقق مواقع اجتماع النفسين، واجتماعها يكون على خمسة عشر صفة منه لنا عضو من الأعضاء، وللنفس صفة من الصفات مثل: اليد، والعين، والقدم، والرجل، والساق، والوجه، والإصبع، وغير ذلك من الصفات التي أحصيناها في الكتب وبعضها صفة لنا وركناً للنَّفْسين. والركن أتم من الصفة مثل أن العلم والنطق صفتان لنا ركنان في النفسين أعني بهما:

نفس العقل، ونفس القلب وهما من نفس الولي، ونفس النبي.

ونفس الولي من نفس الله — سبحانه وتعالى وتقدس. والمذموم من النفسين نفس الشيطان، والقرين، وإبليس. لعنه الله فافهم.

- فشقق في سماء النجوم والكواكب خمسة عشر كوكبا.

- وفي سماء البروج مواقع البروج، ومواقع العروج، والنزول، والبسط وفي السموات العلى مواقع خمسة عشر ملكا أعني بها حملة العرش، وحملة الكرسي، وحملة بيت الزيادة.

إذا عرفت هذه التشققات فاعلم أيضا تشققات الأرض وهي أيضا في ثلاثة أراضي:

في أرض المشرق. وفي أرض المغرب. وفي أرض الاستواء.

أول من تشقق عن الناس أرض الاستواء فتشقق خمسة مدائن منها:

وهي في الشام، أعني بها: القدس، وحران، وحلب، وحمص، وحماه ويكون دمشق. وقدس ذلك اليوم في حكمة مدينة واحدة.

ثم تتشقق من أرض المشرق أيضا خمسة مدائن، وهي:

بلاد تركستان وهي: ... وأنواء، وسفين، وكاشغر، وترمذ ثم يتشقق من أرض المغرب أيضا خمسة مدائن وهي في العراق، وهي: رِي، وقزوين، وهمدان، وساوه، وأصفهان. وينفتح في كل مدينة من المدائن التي ذكرناها ثلاث أبوابَ من السماء وجعلها الله أبواب السجدات، وموضع النزول، والعروج، والتحيات، واسم القهار من اسم القوي في أرض العراق. واسم الشهيد من اسم الواسع في أرض الشام، واسم العليم من اسم الظاهر في بلاد الترك. وفي هذه الأسماء حقيقة الشق واللعق. والله الموفق وعليه التكلان.

واعلم أن:

- نعش الإنسان في بني آدم: أولاده. وقبره: أهله. ولحدُهُ: ماله.

فمن خرج عن ولده، وأهله، وماله، بإخراج الله سبحانه وتعالى، فقد خرج عن قبره، ونعشه، ولحده، انشقت السماء ومدت الأرض، وتشققت السماء بالغمام، وتشقق الأرض عن الإمام، وانبسط من العلَّام إلى الغلام، وظهر الملك العلَّام العلَّام العلّام، وانشقَّ القبر، وخرج الظهر والأرز بعون الله العظيم، وانشق النعش، وبرز العرش بفضل الله الكريم، وانشق اللحد، وقام الإنسان بين يدي الله من المهد وعلى كل حد وجد، إلى أن وصل إلى حد الله تعالى بحمد الله ومنِّه.

ويخلص من القبر، والنعش، واللحد، واللوح، والنون، والقلم، وصار الحق عوضا له عن كل شيء وذكر الله على الحقيقة وأدرك بذكره كل شيء، وأدرك به كل غائب.

نهاية كتاب معقل العقول في انشقاق القبر عن الرسول

الرسالة الوجودية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه ثقتي وعليه اعتمادي

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، في معنى قول النبي ﷺ: "من عرف نفسه فقد عرف ربه" الحمد لله الذي لم يكن قبل وحدانيته قبل إلا والقبل هو، ولم يكن بعد فردانيَّته بَعْدُ إلا والبَعْد هو. كان ولا بَعْد معه ولا قبل، ولا فوق ولا تحت، ولا قُرْب ولا بُعْد، ولا كيف، ولا أين ولا حين، ولا أوان ولا وقت ولا زمان، ولا كون ولا مكان، وهو الآن كما كان.

هو الواحد بلا وحدانية، وهو الفرد بلا فردانية. ليس مركَّباً من الاسم والمسمَّى: هو الأول بلا أولية وهو الآخِر بلا آخِرية، وهو الظاهر بلا ظاهرية وهو الباطن بلا باطنية؛ أعني أنه هو وجود حروف "الأول" وهو وجود حروف "الآخِر"، وهو وجود حروف "الظاهر" وهو وجود حروف "الباطن". فلا أول ولا آخِر ولا ظاهر ولا باطن إلا هو بلا صيران وجود هذه الحروف وجوده، وصيران وجود هذه الحروف هو. فافهم هذا لئلا تقع في غلط الحلولية.

لا هو في شيء فيه، لا داخلاً ولا خارجاً. ينبغي أن تعرفه بهذه الصفة، لا بالعلم ولا بالعقل، ولا بالفهم ولا بالوهم ولا بالحسِّ، ولا بالعين الظاهرة ولا بالعين الباطنة ولا بالإدراك. لا يراه إلا هو، ولا يدركه إلا هو، ولا يعلمه إلا هو يرى نفسه بنفسه ويعرف نفسه بنفسه لا يراه أحدٌ غيره ولا يدركه أحد غيره.

حجابه وحدانيته، فلا يحجبه شيءٌ غيره، حجابه وجوده تستر وجوده بوحدانيته بلا كيف. لا يراه أحدٌ غيره ولا يدركه أحد غيره، لا نبي مرسل، ولا ولي كامل، ولا مَلَك مقرَّب يعرفه. نبيُّه هو ورسوله هو، ورسالته هو، وكلامه هو، أرسلَ نفسَه بنفسه من نفسه إلى نفسه، لا واسطة ولا سبب غيره، ولا تفاوُت بين المرسِل والمرسَل والمرسل به والمرسَل إليه. ووجود حروف الله وجوده لا غيره، ولا فناه ولا اسمه ولا مُسمَّاه ولا وجوده بغيره.

فلهذا قال النبي ﷺ: "مَن عرف نفسَه فقد عرف ربَّه"، وقال ﷺ: "عرفت ربِّي بربِّي". أشار ﷺ بذلك أنك لست أنت أنت، بل أنت هو بلا أنت، لا هو داخل فيك ولا أنت داخل فيه ولا هو خارج عنك، ولا أنت خارج عنه ما أعني بذلك أنك موجود وصفتك هكذا بلا غير له بل أعني به أنك ما كنت قط ولا تكون، لا بنفسك ولا به ولا فيه ولا معه ولا عنه ولا منه ولا له ولا أنت فانٍ ولا موجود. أنت هو، وهو أنت، بلا علَّة من هذه العلل. فإن عرفتَ وجودك بهذه الصفة فقد عرفتَ الله وإلا فلا.

وأكثر العارفين أضافوا معرفة الله إلى فناء الوجود وفناء الفناء وذلك غلط محضٌ وسهو واضح، فإن معرفة الله تعالى لا تحتاج إلى فناء الوجود ولا إلى فناء فنائه، لأن الأشياء لا وجود لها، وما لا وجود له لا فناء له؛ فإن الفناء بعد إثبات الوجود. فإذا عرفت نفسك بلا وجود ولا فناء فقد عرفتَ الله تعالى وإلا فلا.

وفي إضافة معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وإلى فناء فنائه إثبات للشرك، لأنك إذا أضفت معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وفناء الفناء، كان الوجود لغير الله ونقيضه وهذا شرك واضح، لأن النبي ﷺ قال: "مَن عرف نفسَه فقد عرف ربَّه"، و لم يقل: "مَن أفنى نفسه فقد عرف ربَّه." فإن إثبات الغير يناقض فناءه، وما لا يجوز ثبوتُه لا يجوز فناءه. ووجودك لا شيء، واللاشيء لا يُضاف إلى شيء، لا فانٍ ولا غير فانٍ، ولا موجود ولا معدوم.

أشار عليه السلام إلى أنك معدوم الآن كما كنتَ معدوماً قبل التكوين. فالآن لقوله عليه السلام: "كان الله ولا شيء معه..." الحديث الأزل، والآن الأبد، والآن القِدَم. فالله هو وجود الأزل ووجود الأبد ووجود القِدَم؛ بلا وجود الأزل والأبد والقِدَم فإن لم يكن كذلك ما كان وحده لا شريك له. وواجب أن يكون وحده لا شريك له، كان شريكه هو الذي يكون وجودُه بذاته، لا بوجود الله؛ فيكون إذاً ربّاً ثانياً وذلك محال، فليس لله شريك ولا ندٌّ ولا كفؤ. ومَن رأى شيئاً مع الله تعالى أو من الله أو في الله وذلك الشيء يحتاج إلى الله وبالربوبية فقد جعل ذلك الشيء أيضا شريكا محتاجاً إلى الله بالربوبية. ومن جوَّزَ أن يكون مع الله شيءٌ يقوم بنفسه، أو يقوم به، وهو فانٍ عن وجوده أو من فنائه، فهو بعد بعيد ما شمَّ رائحة معرفة النفس، لأن مَن جوَّزَ أن يكون موجوداً سواه، قائما به، وفيه يصير فانيا وفناؤه يصير فانياً في فنائه، فيتسلل الفناء بالفناء، وهذا شِرْك بعد شِرْك، وليس معرفة للنفس، لأنه شركُ، لا عارف بالله ولا بنفسه.

فإنْ قال قائل: كيف السبيل إلى معرفة النفس ومعرفة الله؟

فالجواب: سبيل معرفتهما أن تعلم أن الله عزَّ وجل كان و لم يكن معه شيء، وهو الآن كما كان.

فإنْ قال قائل: أرى نفسي غير الله، ولا أرى الله نفسي!

فالجواب: أراد النبي ﷺ بالنفس وجودَك وحقيقتك، لا النفس المسمَّاة باللوَّامة والأمَّارة والمطمئنة بل أشار بالنفس إلى ما سوى الله عزّ وجل جميعا.

قال عليه السلام: "اللهم أرِني الأشياء كما هي عياناً"، أشار بالأشياء إلى ما سوى الله تعالى، أي عرِّفْني الذي سواك لأعلم وأعرف الأشياء أيَّ شيء هي؟ أهي أنت أم غيرك؟ أم هي قديم أو حادث أو باقٍ أم فانٍ؟ فإن أراه الله ما سواه نفسَه بلا وجود ما سواه من الأشياء فرأى الأشياء كما هي أعني رأى الأشياء ذات الله تعالى بلا كيف ولا أين ولا اسم.

واسم الأشياء يقع على النفس وغيرها من الأشياء. فإن وجود النفس ووجود الأشياء سيَّان في الشيئية. فمتى عرف الأشياءَ عرف النفس، ومتى عرف النفسَ فقد عرف الربَّ، لأن الذي يظن أنه سوى الله ليس هو سوى الله، بل عين الله سوى الله تعالى ولكنك لا تعرفه وأنت تراه، ولا تعلم أنك تراه، ومتى كُشف لك هذا السر، علمتَ أنك لست ما سوى الله تعالى ، وعلمت أنك كنت مقصودك ومطلوبك في طلبك ربك، وعرفت أنك لا تحتاج إلى الفناء، ولا إلى فناء الفناء وأنك لم تزل ولا تزال، بلا حين ولا أوان، كما ذكرنا من قبل وترى جميع صفاتك صفاته، وظاهرَك ظاهرَه وباطنَك باطنَه، وأولك أولَه وآخرَك آخِرَه، بلا شك ولا ريب حين المعرفة؛ أما قبلها فلا ترى صفاتِك صفاتِه وذاتَك ذاتَه، بلا صيرورتك إيَّاه وصيرورته إيَّاك، لا بقليل ولا بكثير، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[القصص: ٨٨]، بالظاهر والباطن، يعني: لا موجود إلا هو؛ ولا وجود لغيره فيحتاج إلى الهلاك. **ويبقى وجهُه.**

أعني: لا شيء موجود إلا وجهه. فكما أن مَن لم يعرف شيئا، ثم عَرَفَه، فأفنى وجودُه بإفناء جهله، ما أفنى وجوده، بل أفنى جهله ووجوده باق بحاله من غير تبديل وجوده بوجود آخر، ولا ترك وجودُ المُنكِر بوجود العارف، ولا تداخَل بل ارتفع ًالجهل، فلا تظن أنك تحتاج إلى الفناء؛ فإن احتجت إلى الفناء فأنت إذا حجابه والحجاب غير الله سبحانه؛ فيلزم من غلبة غيره عليه بالرفع عن رؤيته له. وهذا غلط وسهو، وقد ذكرنا من قبل أن وحدانيته حجابه وفردانيَّته لا غيره. ولهذا جاز للواصل إليه على الحقيقة أن يقول: "أنا الحق" وأن يقول: "سبحاني". وما وصل واصلٌ إليه إلا ورأى صفاتِه صفاتِ الله، وذاتَه ذاتَ الله، بلا صيران صفاتُه ولا ذاتُه داخلا في الله ولا خارجا منه قط، ولا أنه فانٍ في الله أو ولا باقٍ في الله، ويرى نفسه أنه لم يكن قط ولا أنه كان ثم فني؛ فإنه لا نفس إلا نفسه، ولا وجود إلا وجوده. وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: "لا تسبُّوا الدهر، فإن الله هو الدهر" إشارة إلى أن وجود الدهر وجود الله، ونزَّه الله تبارك وتعالى عن الشريك والند والكفؤ.

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: "قال تعالى: يا عبدي، مرضتُ فلم تَعُدْني، وسألتكَ فلم تُعطِني"، وإلى غير ذلك إشارة إلى أن وجودَ السائل وجودُه، ووجودَ المريض وجودُه. فمتى جاز أن يكون وجودُ السائل وجودَه ووجودُ المريض وجوده جاز أن يكون وجودك وجوده ووجود جميع الأشياء من المكوَّنات -من الأعراض والجواهر- وجودَه، ومتى ظهر سرُّ ذرة من الذرات، ظهر سرُّ جميع المكوَّنات الظاهرة والباطنة؛ ولا ترى الذرات سوى الله تعالى، بل وجود الذرات، اسمهما ومسمَّاهما، ووجودهما كلها هو بلا شك ولا ريب.

ولا ترى أن الله سبحانه خلق الأشياء قط، بل ترى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن: ٢٩] من إظهار وجوده وإخفائه بلا كيفية، لأنه ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣] ظهر بوحدانيته وبَطُنَ بفردانيَّته، وهو الأول بذاته وقيوميَّته وهو الآخِر بديموميَّته. وجود حروف الأول هو ووجود حروف الآخِر هو، ووجود حروف الظاهر هو ووجود حروف الباطن هو؛ هو اسمه وهو مسمَّاه.

وكما يجب وجودُه يجب عدمُ ما سواه: فإن الذي يظن أنه سواه ليس سواه، لأنه منزّهٌ عن أن يكون غيره، بل غيرُه هو، هو بلا غيرية الغير، مع وجوده في وجوده، ظاهرا أو باطنا.

ولِمَنِ اتصف بهذه الصفة أوصافٌ كثيرة لا حدَّ ولا نهاية لها. فكما أن مَن مات بصورته وانقطعت جميعُ أوصافه عنها، المحمودة والمذمومة، كذلك مَن مات بالموتة المعنوية ينقطع عنه جميعُ أوصافه المحمودة والمذمومة، ويقوم الله تعالى مقامَه في جميع الحالات، ويقوم مقامَ ذاته ذاتُ الله تعالى ومقامُ صفاته صفاتُ الله تعالى.

ولذلك قال النبي ﷺ: "موتوا قبل أن تموتوا"، أي اعرفوا أنفسكم قبل أن تموتوا؛ وقال ﷺ: "لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبُّه، فإذا أحببتُه كنت سمعه وبصره ويده ورجله"، إلى آخره، فأشار إلى أن مَن عرف نفسه يرى جميع وجوده سبحانه وجوده، ولا يرى تغيرا في ذاته ولا في صفاته، ولا يحتاج إلى تغيُّر صفاته، إذ لم يكن هو موجوداً بذاته، بل كان جاهلاً بمعرفة نفسه. فمتى عرفتَ نفسَك ارتفعتْ أنانيتُك، وعرفت أنك لم تكن غير الله سبحانه. فإنْ كان لك وجود مستقل، لا تحتاج إلى الفناء ولا إلى معرفة النفس، فتكون ربّا سواه. تعالى الله أن يوجَد ربٌّ سواه.

ففائدة معرفة النفس أن تعلم وتحقِّق أن وجودك ليس بموجود ولا معدوم، وأنك لست كائنا ولا كنت ولا تكون قط. ويظهر بذلك معنى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥] إذ لا إله غيره، ولا وجود لغيره؛ ولا غير موجود سواه، ولا إله إلا إيَّاه. فإن قال قائل: عطَّلتَ ربوبيتَه، فالجواب: لم أعطِّل ربوبيته لأنه لم يزل ربّا ولا مربوب ولم يزل خالقا ولا مخلوق، وهو الآن كما كان.

أترى خالقيته وربوبيته لا تحتاج إلى مخلوق ولا إلى مربوب، ولم يزل خالق عن خالقيته ولا مخلوق عن مخلوقيته بل لله الحكمة البالغة فيفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بحكمه فهو قبل تكوين المكوَّنات كان موصوفا بجميع أوصافه، وهو الآن كما كان. فلا تفاوُت بين الحدوث وبين القِدَم فالحدوث مقتضى ظاهريته، والقِدَم مقتضى باطنيَّته. ظاهرُه باطنُه وباطنُه ظاهرُه، أولُه آخرُه وآخِرُه أولُه، والجميع واحد والواحد جميع. كانت صفته ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، وما كان شيء معه سواه، وهو الآن كما كان، ولا وجود سواه بالحقيقة، كما كان في الأزل و في القِدَم. ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن: ٢٩]، ولا يوم ولا شأن كما لو لم يكن في القدم لا شأن ولا يوم ولا شيء موجود فهو الآن كما كان فوجودُ الموجودات وعدمُها سيَّان وإلا لَزِمَ طريان طرأ في وحدانيَّته، وذلك نقص وجلّت وحدانيته عن ذلك.

فمتى عرفت نفسَك بهذه الصفة، من غير إضافة ضدٍّ أو ندٍّ وكفؤ وشريك إلى الله تعالى فقد عرفتَها بالحقيقة. ولذلك قال ﷺ: "مَن عرف نفسَه فقد عرف ربَّه"، ولم يقل: "مَن أفنى نفسَه فقد عرف ربَّه" فإنه ﷺ علم ورأى أن لا شيء سواه، ثم أشار إلى أن معرفة النفس هي معرفة الله تعالى أي اعرف نفسك، أي وجودك أنك لست أنت، ولكنك لا تعرف؛ أي اعرف أن وجودك ليس بوجودك ولا غير وجودك، فلست بموجود ولا بمعدوم، ولا غير موجود ولا غير معدوم، وجودُك وعدمُك

وجودُه بلا وجود ولا عدم، لأن عينَ وجودك وعدمك وجودُه، ولأن عينَ وجوده عين وجودُك وعدمُك.

فإنْ رأيتَ الأشياء بلا رؤية شيء آخر مع الله وفي الله إنها هو، فقد عرفتَ نفسَك. فإن معرفة النفس بهذه الصفة هي معرفة الله بلا شك ولا ريب ولا تركيب شيء من الحدوث مع القدم وفيه وبه، فإن سأل سائل: كيف السبيل إلى وصاله؟ فأنت تقول لا غير سواه، والشيء الواحد لا يصل إلى نفسه.

فالجواب: لا يشك أنه في الحقيقة لا وَصْل ولا فَصْل، ولا بُعْد ولا قُرْب، لأنه لا يكن الوصال إلا بين الاثنين: فإن لم يكن إلا واحد، فلا وَصْل ولا فَصْل. فإن الواصل يحتاج إلى شيئين متساويين أو غير متساويين: فإن كانا متساويين، فهما شيئان وإن كانا غير متساويين فهما ضدَّان؛ وهو تعالى منزَّه أن يكون له ضد أو ند أو شبيه. فالوصال في غير الوصال، والقُرْب في غير القُرْب، والبُعد في غير البُعد، فيكون وَصْلٌ بلا وَصْل، وقُرْب بلا قُرْب، وبُعْد بلا بُعْد.

فإن قيل: فهمنا الوَصْلَ بلا وَصْل. فما معنى القُرْب بلا قُرْب والبُعْد بلا بُعْد؟

فالجواب: أنك، في أوان القُرْب والبُعْد، أنك لم تكن شيئا سوى الله، ولكنك لم تكن عارفا بنفسك ولم تعلم أنك هو بلا أنت. فمتى وصلتَ إلى الله تعالى أي عرفتَ نفسَك بلا وجود حروف العرفان، علمتَ أنك كنت إيَّاه، وما كنت تعرف قبل أنك هو أو غير هو. فإذا حصل لك العرفان، علمتَ أنك عرفت الله بالله، لا بنفسك.

مثال ذلك: هَبْ بمعنى أنك لا تعرف بأن اسمك محمود أو مسمَّاك محمود فإن الاسم والمسمَّى في الحقيقة واحد وتظن أن اسمك محمد، وبعد حين عرفت أنك محمود، فوجودك باق، واسم محمود ومسمَّى محمد ارتفع عنك بمعرفتك نفسك أنك محمود. ولم تكن محموداً إلا بفنائك باسم محمد وهي نفس وجودك لأن الفناء يكون، بعد إثبات وجودك فإن إثباتك وجودك مع وجوده شرك بالله سبحانه وتعالى، فما نقص بهذا المثال لمحمود شيء، ولا محمد فني في محمود، ولا دخل محمود في محمد ولا خرج منه، ولا حلَّ محمود في محمد، فبعدما عرف محمودُ نفسَه أنه محمود، لا محمد، فقد عرف نفسَه بنفسه، لا بمحمد، فإن محمداً لم يكن أصلاً، بل هو محمود على أصله "كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان"، فكيف يعرف به شيئا كائنا؟ فإذا العارف والمعروف واحد، والواصل والموصول واحد، والرائي والمرئي واحد، والمحب والمحبوب واحد والعارف صفتُه والمعروف ذاتُه، والواصف والموصوف ذاته، والصفة والموصوف واحد. هذا بيان **"مَن عرف نفسه فقد عرف ربَّه"**، فمَن فهم هذا المثال علم أنه لا وَصْل ولا فَصْل، وعلم أن العارف هو المعروفَ، والرائي هو المرئي، والواصل هو الموصول. وما وصل إليه غيرُه، وما انفصل عنه غيرُه.

فمَن فهم ذلك خلص عن الشِّرْك. وإلا لا يجد رائحة الخلاص عن الشرك، وأكثر العارفين الذين ظنوا أنهم عرفوا أنفسهم وعرفوا ربَّهم، وأنهم خلصوا من علقة الوجود، قالوا إن الطريق لا يتيسر إلا بالفناء وبفناء الفناء، وذلك لعدم فهمهم قولَ النبي ﷺ ولظنِّهم أنهم يمحون الشرك بإشاراتهم طورا إلى نفي الوجود، أي فناء الوجود، وطورا إلى فناء الفناء، وطورا إلى محق المحق، وطورا إلى الاصطلام فهذه

الإشارات كلها شِرْك محض: فإن مَن جوَّز أن يكون شيءٌ سواه فيفنى بعد وجود فنائه، فقد أثبت شيئا ما سواه؛ ومَن أثبت شيئا ما سواه فقد أشرك بالله تعالى أرشدهم الله وإيَّانا إلى سواء السبيل بمنه وكرمه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قلت:

ظننتَ ظنونا بأنَّك أنتَ ... وما أن تكونَ ولا قط كنتَ
فإنْ أنتَ أنتَ فإنَّك ربٌّ ... وثاني اثنين، دَعْ ما ظننتَ
فلا فرق بين وجوديكما ... فما بانَ عنك ولا عنه بِنْتَ
فإن قلتَ – جهلاً – بأنَّك غيرٌ ... خشنْتَ، وإنْ زال جهلُك لنتَ
فوصلُك هَجْرٌ وهجرُك وَصْلٌ ... وبُعدُك قُرْب بهذا حَسُنْتَ
دَع العقلَ وافهمْ بنور انكشافٍ ... لئلا يفوتك ما عنه صنت
ولاَ تُشْرِكن مع الله شيئا ... لئلاَّ تهونَ وبالشرك هُنْتَ

فإنْ قال قائل: أنت تشير إلى أن عرفانك نفسَك هو عرفان الله تعالى، والعارف بنفسه غير الله، وغير الله كيف يعرف الله ومن لم يعرف الله كيف يصل إليه؟، فالجواب: مَن عرف نفسَه علم أن وجوده ليس بوجوده ولا غير وجوده، بل وجودُه وجود الله بلا صيرورة وجودُه وجود الله تعالى وبلا دخول وجودُه في وجود الله سبحانه ولا خروج وجوده منه. ولا كون وجودُه معه وفيه، بل يرى وجودَه لا محالة كان قبل أن يكون، بلا فناء الوجود، ولا فناء الفناء. فإن فناء الشيء يقتضي ثبوته أولاً وثبوت الشيء بنفسه يقتضي كينونيته بنفسه لا بقدرة الله تَعالى وهذا محالٌ صريح واضح. فتبيَّن أن عرفان العارف بنفسه هو عرفان الله سبحانه وتعالى نفسُه، لأن نفسه ليس إلا هو. وعن رسول الله ﷺ بالنفس الوجود. فمَن وصل إلى هذا المقام، لم يكن وجودُه في الظاهر والباطن وجودَه، بل وجود الله تعالى، وكلامُه كلام الله، وفعلُه فعل الله، ودعواه معرفة الله هو دعواه معرفة نفسَه ودعواه معرفة نفسه هو دعواه معرفة الله ولكنك تسمع الدعوى منه، وترى الفعل منه، وترى وجوده غير وجود الله كما ترى نفسَك غير الله، بجهلك بمعرفة نفسك، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فهو هو بعينه، أي بنظره؛ فإن عينَه عينُ الله، أي نظرَه نظرُ الله بلا كيفية: لا هو هو بعينك أو علمك أو فهمك أو وهمك أو ظنك أو رؤيتك، بل هو هو بعينه وعلمه ورؤيته. فإنْ قال قائل: أنا الله فاسمع منه لا من الغير فإن الله جلت قدرته يقول لنفسه بنفسه ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤] ولكنك ما وصلتَ إلى ما وصل إليه؛ فإنْ وصلتَ إلى ما وصل إليه، فهمتَ ما يقول، وقلتَ ما يقول، ورأيتَ ما يرى. وعلى الجملة، وجودُ الأشياء وجودُه بلا وجودهم. فلا تقعن في الشُبهة، ولا تتوهمنَّ بهذه الإشارات أن الله تعالى مخلوق. فإن بعض العارفين قال: "الصوفي غير مخلوق"، وذلك بعد الكشف التام وزوال الشكوك والأوهام. وهذه اللقمة لَمن كان له حلْق أوسع من الكونين؛ فأما مَن كان حَلقُه كالكونين فلا توافقْه، فإنها أعظم من الكونين.

وعلى الجملة فاعلم أن الرائي والمرئي، والواجد والموجود، والعارف والمعروف، والموجِد والموجَد، والمدرِك والمدرَك واحد يرى وجودَه بوجوده، ويعرف وجودَه بوجوده، ويدرك وجودَه بوجوده، بلا كيفية إدراك ورؤية ومعرفة، وبلا وجود حروف صورة الإدراك والرؤية والمعرفة. كما أن وجوده بلا كيفية، ومعرفة نفسه بلا كيفية، وإدراك نفسه بلا كيفية، فرؤيته نفسه بلا كيفية.

فإنْ سأل سائل وقال: بأيِّ نظر ننظر إلى المحبوبات والمكروهات فإذا رأينا مثلاً (روثا) أو (جيفة) فنقول هو الله؟!! فالجواب: تعالى وتقدَّس حاشا ثم حاشا أن يكون شيئا من هذه الأشياء وكلامنا مع مَن لا يرى الجيفةَ جيفةً والروثَ روثا، بل كلامُنا مع مَن له بصيرة وليس بأكْمَه. فإن من لم يعرف نفسه فهو أكْمَه وأعمى؛ وقبل ذهاب الأكْمَهية والعَمى، لا يصل إلى هذه المعاني وهذه المخاطبة مع الله لا مع غيره ولا مع الأكْمَه. فإن الواصل إلى هذا المقام يعلم أنه ليس غير الله. وخطابنا مع مَن له عزيمة وهمَّة في طلب العرفان وفي طلب معرفة النفس، لمعرفة الله وتطرُأ في قلبه صورة الطالب والاشتياق إلى الله تعالى لا مع مَن لا قصد ولا مقصد له.

فإنْ سأل سائل وقال: الله تعالى لا تدركه الأبصار وأنت تقول بخلافه، فما حقيقة ما تقول؟ فالجواب عن ذلك: جميع ما قلنا هو معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، أي ليس أحدٌ، ولا بصر معه يدركه. فلو جاز أن يكون في الوجود غيرُه، لجاز أن يدركه غيرُه. وقد نبَّهنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] إلى أنه ليس غيره سواه، يعني لا يدركه غيرُه، بل يدركه هو وهو الله، فلا غير إلا هو، فهو المدرك لذاته بذاته لا غير؛ فلا تدركه الأبصار إذ لا أبصار إلا وجوده. ومَن قال إنها لا تدركه الأبصار لأنهاَ مُحدَثَة، والمُحدث لا يدرِك القديم الباقي، فهو بعد بعيد لا يعرف نفسه إذ لا شيء ولا أبصار إلا هو. فهو يدرك وجودَه بلا وجود الإدراك وبلا كيفية لا غيره ولهذا قلت:

عرفتُ الربَّ بالربِّ	بلا شكٍ ولا ريبِ
فذاتي ذاتُه حقًّا	بلا نَقْصٍ ولا عيبِ
ولا غيران بينهما	فنفسي مظهرُ الغيبِ
ومن عرفتُه نفسي	بلا مَزْجٍ ولا شَوْبِ
وصلتُ وَصْولَ محبوبٍ	بلا بُعْدٍ ولا قُرْبِ
ونلتُ عطاءَ ذي قدمٍ	بلا منٍّ ولا سَلْبِ
ولا فنيتْ له نفسي	ولا تبقى لذوي ذوبِ
ولكن قد تعرت منك	عن عبدِ وعن ربِ

فإنْ سأل سائل وقال: أنت تثبتَّ الله تعالى وتنفي كلَّ شيء، فما هذه الأشياء التي نراها؟

فالجواب: هذه المقامات مع مَن لا يرى سوى الله شيئا. ومَن يرى شيئا سوى الله فليس لنا معه جواب ولا سؤال؛ فإنه لا يرى غير ما يرى. ومَن عرف نفسَه لا يرى غير الله، ومَن لم يعرفها لا يرى الله سبحانه؛ وكل إناء بالذي فيه يرشح فقد شرحنا كثيراً مثل هذا الكلام من قبل، وإنْ شرحنا أكثر من ذلك فمَن لا يرى لا يرى ولا يفهم ولا يدرك، ومَن يَرَ يرَ ويفهم ويدرك. والواصل تكفيه الإشارة، وغير الواصل لا يفهم، لا بالتعليم ولا بالتدبير ولا بالتقدير ولا بالعبارة ولا بالعقل ولا بالعلم الذي هو تحصيل الحاصل إلا بخدمة شيخ كامل واصل وأستاذ حاذق سالك فاضل ليهتدي بنوره ويسلكه بهمَّته ويصل به إلى مقصوده، إن شاء الله تعالى. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفَّقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه من القول والفعل والعلم والعمل والنور والهدى، إنه على كلِّ شيء قدير وبالإجابة جدير،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلّى على سيدنا محمد وآله وصحبه المحِّبين وسلَّم تسليما كثيرا.

في بيان الطريق وبيان السالك والمسلوك إليه، وبيان علاماتها ابتداؤها السلوك، وانتهاؤها الأول في انتهاء السلوك وابتدائها الآخر فإن لم تفهم هذه الإشارة ما شممتَ رائحة التوحيد وأصل المقصود وجود الدائرة المدوَّرة، لا خارجها ولا داخلها. ابتداء الدائرة انتهاؤها، وانتهاؤها ابتداؤها. والدائرة طريق السير في الوجود في معرفة النفس، الوجودُ هو المنزل سعة تبتدي الطريق، ولكنه لا يعرف ولا يعلم، ويرى وجوده غير الله فمتى وصل نفسه، أي وجوده، بلا شك ولا ارتياب، فتبيَّن له سعة أنه كان واصلاً في الابتداء أو موصولاً، ولكنه لا يعرف الوصول ولذلك قال النبي ﷺ: "مَن عرف نفسَه فقد عرف ربَّه" والنبي ﷺ عرف في الابتداء، وسلك الطريق بالمعرفة، ولهذا ابتداؤها انتهاءُ الصدِّيقين، وانتهاءُ الصدِّيقين ابتداؤه ﷺلأنهم عرفوا الأسرار في الانتهاء. وشتَّان بين مَن تقدَّم في الابتداء ومَن تقدَّم في الانتهاء فابتداء العشق وجود المقصود وشوق إرادة المقصود، العشق. العشق هو والعشق أنت، ابتداءُ العشق الشوق، وانتهاء العشق فافهم ذلك. ليس في المقام مقام أعلى وأجل في الابتداء من العشق، لأن جميع ما ذكرناه وجود العشق، واسم العشق، وصورة العشق ومعناه العشق ومقصود العشق، والدايرة وجميع ما داخلها وخارجها العشق، أعني العشق المعرَّى من العشق واسمه فافهم الشوق وجودُه، واسمُه ليس بمُحدَث ولا بقديم، بل هو هو، بلا حَدَثان. وقِدَمُ الشوق يصير في الابتداء عشقا. وصاحب الشوق، متى وصل إلى الانتهاء، يرى شوقه عشقاً، ويعرف أن شوقه كان وجود العشق، ولكنه لم يعرفه، ويرى جميع المكوَّنات وجودَ العشق والمعشوق والعاشق، ولا يرى بينه وبين جميع المخلوقات تفاوُتا، ويرى جميع المخلوقات وجودَه، ولا يرجِّح نفسه بالوَصْل على مَن لم يشم رائحة الوصول قط. ولا فرق بينه وبين الحيوانات والجمادات، وبين الشيء وضده؛ وهذه صفة مَن يكون وجوده الموصول، لا صفة الواصل والوصال والوَصْل، ولا صفة العاشق والعشق، بل صفة المعشوق، لأن التفاوت بين هذه الأشياء يكون في نظر مَن ليس له نظرٌ بعدُ. وأما مَن له نظر فلا تفاوُت بينهما، بل الجميع سواء عند الله والله أعلم بالصواب.

تَّمت الرسالة الوجودية بعون الله تعالى ومنَّة وكرمه ولطفه؛ وبالله التوفيق
والحمد لله وحده؛ وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآلِه وسلَّم.

كتاب شجون المسجون وفنون المفتون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

المقدمة

الحمد لله الذي ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝﴾[السجدة: ٧-٨]، ثم وهب منهم البالغين العاقلين قدرةً واختياراً ليمتحنهم في كل حين، فهم بالخير والشر مختبرون، ليجزيهم بما كانوا يعملون.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝﴾[الأنبياء: ٣٥]. وتقديره: فيجازيكم بما تكسبون، فكل من يقع عليه الجزاء فهو داخل تحت الفتنة، معامل في سائر أوقاته بالمحنة، من كافر وشقي، ومؤمن وتقي، وصدّيق ونبي وإلى هذه الثلاثة أقسام تنقسم الأنام.

قال تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝﴾[الواقعة: ٧_١١].

فهؤلاء كلهم ممتحنون، ولما كان هذا العالم يفنى، ومن كرم الكريم أن جعلهم يعملون فيه لما يبقى، صيرهم لأفعالهم فاعلين، وأرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، بعد أن مكنهم مما خلقه كسباً لهم، وجعله لهم بإرادهم واختيارهم إن شاؤوا مكتسبين. وشاء بمشيئته القديمة، أن تكون لهم مشيئة محدثة في كل حين، فوعدهم وتواعدهم على ما هم بمشيئتهم قد أصبحوا له عاملين. فهم في أفعالهم غير مجبورين، إلا ما شاء الله فهم عنه غير مؤاخذين، فآمن بقضائه وقدره جميع المقلدين من المؤمنين، واعترف بعدله وفضله سائر العلماء المجتهدين، فهم أئمة الدين، وورثة النبيين، والمهتدون الهادون بالكتاب المبين، فبينوا للناس ما به يعملون، إذا هم – ما داموا في الدنيا – ممتحنون. فأصحاب المشأمة بالخيرات الفانية مختبرون، وهم بها مستدرجون من حيث لا يعلمون، وبالشرور الدانية يفتنون، لعلهم يتوبون ويتذكرون، قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[السجدة: ٢١]. وأما أصحاب اليمين فإنهم مفتونون بالخيرات ليرغبوا في الأعمال الصالحات، وممتحنون بالشرور المختلفات لتكفير السيئات، وفي حقّ هؤلاء قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾[البقرة: ١٥٥]. وأما المقربون فإنهم مفتونون بالخيرات ليكونوا من الشاكرين، وبالشرور ليعودوا من الصابرين. وفي حق هؤلاء قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[محمد: ٣١]. فشرور أصحاب الشمال نقم وتنقيص، وشرور أصحاب اليمين تكفير وتمحيص، وشرور السابقين نعمٌ وتخليص، وخيرات أصحاب الشمال حجابٌ وبلبال، وخيرات أصحاب اليمين إعانة على الكمال، وخيرات السابقين مواهب وأفضال.

فقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾[فاطر: ٤٥]، خاص بأصحاب الشمال دون أصحاب اليمين. كقوله مخصصاً: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝﴾[البقرة: ٢٤]، وذلك من

باب العقاب لا التكفير. وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾[البقرة: ١٥٥]، فخاصٌ بأصحاب اليمين، وهو من باب التكفير لا العذاب، وإن كان حكمه حكم العقاب.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[محمد: ٣١]، فخاصٌ بالسابقين، وهو من باب تعظيم الثواب والفضل، كما لضدهم من باب توفير العذاب بالعدل، فمصيبة أصحاب الشمال تخسير وتدمير، ومصيبة أصحاب اليمين تطهير وتكفير. ومصيبة السابقين توقير وتوفير. وقد بين الله تعالى بفرقانه فرقاناً بين مصيبة التكفير ومصيبة التوفير، في آية يعقلها الخبير، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[آل عمران: ١٦٥]. فكل من عند الله بقضاء وقدر وعدل من الله. ومن يكفر بالله يضل قلبه بفتنته، ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه بمصيبته، والمغيرَّون يغير ً الله ما بهم من فتنتهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا ﴾ [الرعد: ١١] عقاباً لهم على ما قدموه من سوء الأعمال ﴿ فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: ١١].

فسائر أفعاله تعالى مع عباده؛ إما فضل، وإما جزاء بما كانوا يعملون، ذلك أن لم يكن ربك مهلِكَ القرى بظلم، وأهلها مصلحون، فسبحان من خلق الفتن المختلفات من الشرور والخيرات، وامتحن بها عباده في سائر الأوقات، ومكنهم من اجتناب السيئات، واكتساب الحسنات، ليفوزوا إن اختاروا وعملوا بالباقيات الصالحات، وهداهم بالعقول باطناً إلى أفضل السبل، وأرسل إليهم ظاهراً ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. فلينظر الآن هذا الإنسان المأخوذ بالافتتان في كل آن، الممكن من الاكتساب في كل مكان، وليذهَ نفسه عن الهوى ففيه الهوان، وليدعُ الله تعالى في سائر الأحيان، راغباً في الجنة والرضوان، راهباً من الغضب والنيران، والحمد لله المنان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه في كل زمان، من كل إنسان، بكل لسان.

أما بعد، فإني لما رأيت العالم بأسرهم مفتونين، وبكسبهم مثابين ومعاقبين، ورأيت من تمام النعمة عليهم، أن فتنوا بكل ما لديهم، وفوض أمرهم في الاكتساب إليهم، اعتراني دهشٌ في طرب، وعجبٌ في عجب، وكنت على حالة أظنُّ الفراق، ولا أجد لدائي من راق، فأوصيتُ من حضر ليكتب ما خطر، فليتأمل ذلك من يراه، ففيه له غنية إن شاء الله.

شعر:

وممتحنـــي فـــي كـــل آن وحالـــة	يرانـــي أُســـيءُ الصـــنع أو أحســـنُ الصـــنعا
فهـــذي حيـــاتي كلهـــا لـــي محنـــةٌ	فهـــل لـــذَّ لـــي يومـــاً معاشـــرةُ الأفعـــى
دعـــاني بـــأمر منـــه داعٍ إلـــى الهـــوى	وداعٍ إلـــى التقـــوى دعـــا وحيـــه شـــرعا
وأوجـــد لـــي مـــيلاً إلـــى كـــل واحـــدٍ	وقـــدرة مقـــدورٍ قـــديرٍ إذا يـــدعى
وقـــال: جعلنـــا مـــا علـــى الأرض زينـــةً	لنبلـــوهم فـــانظر لنفســـك مـــا تســـعى
فهـــذا وجـــود الامتحـــان فكـــن فتـــى	يجانبـــه ضـــراً ويصـــحبهُ نفعـــا
فمـــا فيـــه إلا مبتلـــى وبليـــة	فخـــذ بـــالتقى عقـــلاً وعـــاصِ الهـــوى طبعـــا
وذَرْ راحـــةً تفنـــى وخـــذ بنصـــيحتي	وشـــمّر لهـــا عزمـــاً وألـــق لهـــا ســـمعا
وإن ماطلـــت أو إن ونـــت نفســـك اســـتغث	بمـــن عـــن هواهـــا يســـتطيع لهـــا منعـــا

وسل باطناً منه الغنى عن غنى الورى	فلم يغنَ من لم يغنَ عن بالهم قنعا
ولا تنظرن إلاك ممتحناً بما	لديك وجاء الموت يقطعه قطعا

ثم بعد ذلك شفاني الله تعالى من ذلك المرض، فعدت إلى ما أعتقد أنه نهاية الغرض، وهو الاجتهاد في فهم معاني كتاب الله، من غير عدول إلى تقليد أو ميل عنه إلى شيءٍ سواه، فلما كمل ما ظفرت به منه، وفهمته عنه طلبني ملك الوقت ببأس شديد على خيل البريد، من مسيرة خمسة عشر يوماً، وطلب مني علماً لا قبلَ لي به، ثم سجنني عاماً بسببه، فجمعتُ لنفسي تذكرة بما وصل إلي، وفتح عليَّ، وسميتها: "شجون المسجون وفنون المفتون"، ولم أقيد الترتيب فيها على وفق الواجب بل جمعتها جمع الحاطب، ليكون كل فصل قائماً بنفسه، يستفيد الناظر له بحسب نظره وحدسهِ، وجعلتها ثلاث أبواب، لأنها زبدة ما فهمته من الكتاب. الباب الأول في العمل، الباب الثاني في العامل، الباب الثالث في المعمول له. وكل باب فيه مما قبله، وبذلت جهدي في كشف ما عندي نصيحة لمن يراه، وحسبي الله.

باب في العمل

اعلم أن الخواطر تعرض على القلب، وتنجلي بسرعة، فهي مما يخص القلب مما هو خارج عن قدرة الإنسان، فالخاطر هو ما لا يثبت إلا أن يربطه الإنسان. والراتب هو من الرواتب التي تلزم القلب لزوماً راتباً، لا تكاد تقلع عنه، والعقائب، هي ما تعقب أفعالاً من الإنسان. فالخواطر إذا مدت بالفكر تأدت إلى الرواتب، فإذا امتدت بالعزم تأدت إلى العقائب، فإن أعرض عن الخواطر مرّت كما تمر الريح، فلا يكون لها أثر، فالعقائب قد تحدث على سبيل الجزاء، لأنها تحدث بعقب الرواتب التي تربطها الفكر، ولقد كانت أولاً خواطر، وهذا يعطي وجوب ملازمة القلب، لأنه من باب الهدى والضلال وصاحب الكسب ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥].

ولما كان ابتداء كل شيء إنما هو من جهة القلب، وهو من جهة هذا الخاطر المتقلب الذي من أجله سمي القلب قلباً، وإن انضاف إلى ذلك غيره في سبب التسمية، فنقول: إن من الخواطر ما يعرض من جهة المزاج مميلاً إلى ما يوافق، فهذا إذا تمكن سمي شهوة، وضده نفرة، ومنه ما يعرض لنيل رتبة، فإذا تمكن سمي همة. ومنه ما يعرض باعثاً على فعل، فإذا تمكن سمي مشيئة. ومنه ما يعرض باستعجال اللقاء فإذا تمكن سمي شوقاً. ومنه ما يعرض بتثبت حكم، أو شيء على ما هو عليه. فإذا تمكن سمي علماً. وإن كان متردداً سمي شكاً، فإن عرض بذكر ما لا حقيقة له على سبيل الثبات سمي جهلاً. ولجميع الأخلاق والخصال خواطر، متى تمكنت سميت بأسماء تخصها.

واعلم أن منزلة الخاطر منزلة سماع صوت يقرع سمعك، ويمر، وتمر عنه، فكما لا يلزمك سماع ما يكون من كذب، أو محال إثماً، ولا يلحقك في ذلك لوماً، ولو كان ذلك بالعكس، فإنه لا يفيدك بمجرد سماعك إياه أجراً، إذ لم تقصد لشيء من ذلك، فكذلك الخواطر، إذا لم تبعثها ببالك، ولم تعد راتبة، لا يعقبها شيء، وإنما يجتهد الصدّيقون فيما يقوي فهم خواطر الخير، ويقطع عنهم خواطر الشر، لأنها أزمة القلوب، وفواتح الأعمال، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، أي اقتدوا بالذكر، وهو القرآن ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]، فإذا أبصروا نهوا نفوسهم.

والطيف أول النزعة مثلما يعرض منه بالطيف الذي هو خيال يُرى في النوم، لا حقيقة له يُنسب إلى المحبوب سوى صورة ما، فافهم هذا جيداً.

واعلم أن اللمة من قولهم: ألَمَّ بمكان كذا: إذا نزل به على غير إقامة، ولا يُقال ذلك لمن مر عليه، فافهم قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، فليس المراد بالاستثناء أنهم لا يجتنبون اللممَ، بل معناه أنهم يجتنبون الكبائر، لكن إن نزل أحدهم بصغيرة فإنه لا يقيم عليها، بل يقلع عنها عاجلاً، فالخاطر الذي يجر إلى حديث النفس هو لمة من الشيطان، إذ هو بمنزلة المنزلة التي لا إقامة فيها، ولا يقال ذلك على الخاطر الذي لا يُجر إلى حديث النفس، لأن ذلك مرور لا نزول، فإن نزل فهو إلمام. فإن أقام فهو إغواء، لأنه ممدود، ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾[الأعراف: ٢٠٢]، فقد صار بمنزلة العقائب، عوقب به صاحبه لربط الخاطر الأول، فليس لعاقل أن يستهين بأول خاطر فينقاد له، فإن ذلك يستدرج إلى ذهاب معرفة الله من قلبه، ويبقى رقّاً لشياطين شهواته ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾[سبأ: ٤١]، وعلامة ذلك أن يثقل عليه عمل الآخرة وإن خفَّ، ويخفّ عليه عمل الدنيا وإن ثَقُلَ. والدنيا عبارة عما يفنى فاعرفها، فمن أحس بشيء من ذلك فعليه بالحمية من جميع الخواطر كما يُحمى المريض المدنف، وليعد إلى حفظ قلبه وحراسة فكره ليلاً ونهاراً حتى يرجع، يجد هذه الحراسة دأباً له، نوماً ويقظةً، ويتحقق الشفاء كما كان يتحقق ضده، ثم يستمرّ حذراً، فمتى لم يدفع الخاطر بجهد شديد وحراسة دائمة كان أشد عدواً، وهذا أفضل جهاد وأبلغه. ومن أراد ذلك فليبتدر إلى ثلاث خصال:

الأولى: مبادرة كل خير يخطر بباله، فإنه بمنزلة البذر. **والثانية**: منع الشهوات والإسراف في الأكل والشرب والنوم. **الثالثة**: مجالسة العلم.

وأنت إذا اعتمدت على ما أوصيتك به من مراقبة الخاطر، علمت من هناك جميع ما تحتاج إليه، واستغنيت عن هذا الكتاب وعن مثله من كل وصية وعلاج. ومن جرب رأى وصدق، ومن عز عليه هذا الأمر فعليه بالذكر.

واعلم أن حديث النفس هو ذكرٌ من فعل الإنسان يطابق الخاطر، وأن في القلب ضروباً من الأذكار ليست بمنزلة حديث النفس، بل يحتاج الإنسان أن يتكلف لها من الحضور ما يشهد به حاله، فيصدق عند نفسه، لأنه يرى الكائنات تذكر معه بذكره، إذ يرى حاله فيها، فلا يحسبن الناظر في هذا الكتاب أن مجرى الأذكار كلها مجرى حديث النفس، فيشتبه عليه وجه الصواب فيكون ذاكراً ناسياً.

واعلم أن كل عمل لا بد أن يتقدمه علم، وأن باب كل علم إنما هو من القلب، وهو من هذا الخاطر، وإذ قد فهمت من الجملة المتقدمة أن الخاطر لا يعتد به، بل هو يمر أبداً، يحكي شيئاً وضده وغيره، حتى كأنه يحكي مرور العوالم من الخيرات والشرور، فمتى ربط الفكر خاطراً ما كان هذا من كسب القلب، ثم صار هذا الخاطر الأول المربوط بالاختيار من الرواتب، ومن هاهنا إن لم يقطع صار مؤدياً إلى العقائب فيعاقب به القلب أو يُثاب بحسب ذلك الاكتساب. فمن أول خاطر يبتدئ يجب أن تلحظ كسبك، فإن كان مما يفنى فهو عليك، وإن كان مما يبقى فهو لك. ومن عرف الكتاب العزيز عرف به الخواطر، فكان بهذا السير على صراط مستقيم لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فأول سلوك الصراط المستقيم هو اعتبار أول خاطر يخطر في القلب، فمتى لم تجده راجحاً في العقل بحكم الكتاب رجعت عنه، فهذا الرجوع سلوك في الصراط لأنه تذكر عند مسِّ طيف

من الشيطان، وهذا ينبوع الأعمال، وأول الكسب، وبدء النور والظلمة، ومنشأ كل خير وشر، وأول الإرادة والاختيار والمشيئة الذين من أجلهم كنت مكتسباً وبهم ظهرت ولولاهم ما أُمرت ولا نُهيت، ومن هاهنا ظهرت فضيلة الرسل والكتب، ولزم الامتحان، فكن أبداً واقفاً على صراط مستقيم، ملازماً حراسة قلبك أن تربط به خاطراً أولاً مذموماً فتجعله راتباً، فهذا أول كسبك، ومن هنا تبدأ العقائب ويستمر الأمر حتى يقع الطبع على القلب بالكسب، وسمي طبعاً لأنه يصير بمنزلة الطباع للإنسان. لأن الانتقال عن الطباع عسير جداً إن أمكن، فيكون هذا قد طُبع على قلبه بكسبه. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]، ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] فافهم هذا جيداً، وقف معه ولا تهمله، أو تغفله، أو تُسامح أو تنسى، أو تغلط، أو تتأول ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، واسأل الله تعالى ذلك بالتال والحال في كل آنٍ وحال.

محاسن باب الخير والشر، وأُسُّ النفع والضرِّ، وأصل الأول والآخر، وجملة الباطن والظاهر، منوط بالفكر من كل إنسان، نوماً ويقظةً في كل آن، فنزههُ عن الاشتغال في القول والفعال، والقطع والوصال، وفي سائر الأحوال، ولو في لمحة خيال. فالدّني الداني هو الأول الفاني. والسنيُّ هو الآخر الثاني، ولقد وضع المعاني تعلقها بالمباني، كما رفع المباني تضمنها للمعاني، وهنا يقال: نظم:

نــزهِ الفكــر عــن محــل الفنــاء	**إنمــا الفكــر ســلم للبقــاءِ**
حيــث فكــرت أنــت ذلــك فافقــه	**مــا الــذي فيــه فكــرة الفضــلاءِ**

موعظةٌ وعلاج:

كيف تستمد لطائف المعارف ووجهُ قلبك متوجهٌ إلى كثائف المآلف؟ وكيف ترحل إلى أوج المواهب والعوارف، وأنت مُثابر على حضيض العوائد والمتالف؟ وكيف تجول في ميدان السرائر، وفكرك محصور في سجن الظواهر؟ وقال: نظم:

اجــنح إلــى قلبــك واعمــل علــى	**أنــك لا تفكــر فــي الفــاني**
وغــص إلــى البــاطن عــن ظــاهرٍ	**لتعــرف الأول بالثــاني**

إيضاح ووصية:

الفكر سلم القلب، فإن رقي به إلى الظاهر انقطع، لأن حده الأجسام، والفاني وإن رقي به إلى الباطن فلا حدّ له، بل يستمر في إدراك المعاني، ويوصله إلى كل أول قطعه للثاني، فإذا بلغت هذا المقام ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وقال في المعنى: نظم:

ووجــه الفكــر إلــى داخــل	**واجعــل نصــيب القلــب قطــع النصــيب**
مــا بعــدَ المعشــوق مــن عاشــق	**وكــل قلــب فيــه مــأوى الحبيــب**
فــاقطع عــن القلــب جميــع الــذي	**يقطعــه عنــك وأنــت القريــب**

علاج:

الشهوة تطفئ نار الفكرة الرديئة، كما تطفئ نور الفكرة الصالحة، فاجتنبها داءً، واستعملها دواءً.

نبأ:

الملائكة يشهدون بالذهن ما يشاهده البشر بالفكر.

مضارع:

أول خاطر كأول نظرة ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[طه: ١٣١].

حماية:

كيف تغيب إذا جعلت ما يغيبك محضراً، وما ينسيك مذكراً.

معين:

هو الصبر في كل آن، قدرُك صبرك، صبركَ سِرك، إنما أتيت لتصبر.

نظم:

إذا مـــا حيـــاةُ المـــرءِ زينهـــا الصـــبر	**فقـد لــذ لــي عســرٌ كمــا لــذ لــي يســرُ**
وعــاد الرضــا فــي الســخط والقُــربِ والنــوى	**وفــي المــر حلــوٌ والــذي يشــتكى شُــكرُ**

إخبار:

مقدارُ كل امرئٍ حديثُ قلبه.

تيقُّظ:

قد يخطر بالبال في بعض الأحوال أنك كأحد الرجال بمجرد المقال، مع الغفلة عن المحاقَّة في الأفعال، فتظنّ من أجل معرفتك بما يجب أن تكون عليه من الحال أنك كامل في الأحوال، وهذه حالة الشعراء الذين هم ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾[الشعراء: ٢٢٥-٢٢٦].

حجة:

يا هذا! أنت إذا نمتَ ذهبت عنك هذه الدعاوى كلها، ولا تقدر أن ترى ما تريد، وسلك بك في مسلك من الكذب والأمثلة، أو في حالة عدمية مهملة، فكيف إذا متَّ.

وصية:

ما لك من عمرك إلا ما صفا، وليس مع أخلاط الجماعات صفوة، ولا مع كثرة المال فراغ.

لا تسمح بأوقاتك للبطالة، ولا للبطالين، ولو كبرت مرتبتهم. إن لم تخلُ من كل ما شغلهم لم تشرق فيك أنوار الصفاء.

ليس في هذه الدار موضع خلوة، فاتخذهُ في نفسك. ليست الشواغل بضارة لك إذا خلوت منها وأنت فيها، قد تحصل الخلوة في الجمع، لكن لمن قواهُ لا تفتر ولا تفترق، فلا تقفنَّ مع مألوف، ولا تثقنَّ بمعروف، ولا تتكلنَّ على أحد أو شيء، وانظر إلى كلّ كأنه عدوٌّ لك ولا بد من صداقته، فـــ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وكن واحداً كاتماً غنياً بذاتك لا من الخارج، واحذر أن يقيدك حال أو قال أو مال أو آل، فإنما تصل بالتجريد عن كل ما تريد.

واعلم أن كلَّ مرادٍ لك سوى رضوان الله تعالى هو بمنزلة إلهٍ، والسابق قد قطع العلائق، وإنما التقرب بالصور من شعار المشركين، إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زُلفى، ومن تبرأ من هواه شهد أن لا إله إلا الله، وهذا الفخار مصيره إلى الانكسار.

كشف مفضح ولفظ مفصح:

في سوس النفوس عشق كامن، هو سِرٌّ باطن، فمتى علقته بمعلوم سلبَ وجذبَ، حتى غلب وحجب، فاحذر التقيد بالصور مما بطن وظهر، ولو علا في حسنه وبهر ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧].

حديث:

قال رسول الله ﷺ: "إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه، وأزواجه، ونعيمه، وخدمه، وسرره، مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله تعالى من ينظر إلى وجهه بكرةً وعشية".

تحقيق:

اعلم أن المتأمل لهذا الحديث من المؤمنين به لا يرضى أبداً أن يكون أدنى، وهو يقدر أن يكون أكرم، وتحقيق ذلك أن ما هو هناك مبنيٌّ على ما هو هنا، فمن كان من المؤمنين هاهنا نظره إلى جنانه وأزواجه ونعيمه، وغير ذلك، فهو هناك كذلك، ومن كان قلبه مع الله تعالى، وهو دائم النظر إليه، معتمداً رضاه فيما فرض عليه، فهو أيضاً هنالك على مثل ذلك، فاختر لنفسك ما شئت، فسترد إلى ما رضيت، أو تهوي إلى ما هويت.

نظم:

يا ممتحناً بكل ما بين يديه	**والأمر من الآمر قد رد إليه**
مهما كسبت يداه في عالمه	**هذا فهناك يرجع الكسب عليه**

فصل:

اعلم أن إنساناً نام عن ورده، فرأى في منامه كأن ولده سقط من علوّ، فانزعج واستيقظ مبادراً إلى الحمد والصلاة شكراً لكونِ ما أصابه إنما كان في المنام، فضربَ له مثال اليقظة بما رآه في الأحلام، وتحقق أن مصائب الدنيا في الأهل والولد والمال، وفي سائر الأحوال، إنما هي جواذب ودواع أنعم الله بها على الغافلين ليجيبوا الداعي، وليس الأمر بالحقيقة في يقظته، إلا كما رآه في نومته، وكذلك حال من نبه من غفلته، في نومه أو يقظته، بنعمته أو نقمته، كل ذلك الشيء داعية إلى الله، وجواذب إليه عما سواه، وهذا مما يجب أن يشاهد في كل آن، فهو أنفع ما ولج في سمع إنسان، ولقد تكررت به أمثال كثيرة في القرآن.

نظم:

يا مَنْ شُغلتُ به عن الأشياء	**وحَلَتْ به لي في الهوى بلوائي**
كلٌّ إليك يقودني بجواذبٍ	**عني من السراء والضراءِ**
طاب انتهاكي في هواك ولذتي	**جمعي عليك بفرقة الأهواءِ**

مثال:

اعلم أنه كما تقدم علم الرائي في منامه ما سيقع قبل وقوعه، و لم يجز أن يُقال: إن العلم أوجب وقوع الواقع، أو الواقع تبع العلم، فكذلك فهم بهذا المثال أن الموجب لوقوع الواقع من الإنسان ليس هو العلم القديم، بل العلم القديم تابع للمعلوم، وإن تقدم، كما أن علم الرؤيا تابع للمعلوم، وقد تقدم. فاتخذ ذلك ميزاناً، واجعله لك برهاناً.

نصيحة شافية:

إذا اشتبه عليك أمر فلم تعلم هل هو مما يجب أن يُرغبَ فيه، أو عنه، فاخطر ببالك خطور باغت الموت، إذ لا محيص عنه، ولا مهلةٍ، فإن كان ذلك الأمر مما يبقى معك في ذلك الآن، فابق معه، أو مما يفارقك ففارقهُ.

نظم في مثل ذلك:

يا من تقضى عمره في ضلال ... ويدعي ما تدعيه الرجال

يسير سير القوم في زعمهِ ... وحالهُ من غير شك محال

عندي والله الدواء الذي ... يشفي من الداءِ الدويّ العضال

افرض بأن الموت عاينته ... وقد تقضى كلُّ قيلٍ وقال

وعادت الدنيا ولذاتها ... حقيقةً بالموت شبه الخيال

فكن على ذلك واعمل له ... في كل آن وعلى كل حال

تقوية:

إن عجزت عن ذلك لضعفٍ أو إلف أو غير ذلك، فعليك بالإخلاص في الدعاء إلى الله تعالى، الذي لا شك تعرفه إذا وقعت في خطب جسيم، وهول عظيم، وتقطعت بك فيه الأسباب، وغلقت دونك الأبواب، أوما تراك كيف تدعو بحضور لا غيبة به، وتوجهٍ لا التفات معه، ووجهةٍ لا شركة فيها، فإنك لا تدعو معدوماً، ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤١].

زيادة:

ادعُ الله الذي لم يتناه في الأوهام بتقدير، و لم يمثل في الأفكار بتصوير، و لم تستخرجه نتائج العقول بالأفكار، فتجعله شبحاً محدوداً لا شخصاً مشهوداً، ولا وقتتهُ الأوقات، فأجرت عليه الأزمنة، ولا أحاطته الجهات فتضمنته الأمكنة، بل هو الفاطر أبداً، ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠].

مَثَل وتفهيم:

الفكر كالعبد إذا لم تكده مردتهُ البطالة، وإنما تنقسم الأفكار بتقسيم المآرب. والموحد بالفكر من جعل الهموم هماً واحداً، ففكر فيه.

فأول ذلك: أن يفكر في عيوب نفسه ومساقط هواه، وما يحتاج إلى تكملتها به، فإن الغرض سلوك سبيل الأنبياء، وسبيلهم سياسة البلدان والسكان، ومن لم يسس نفسه كيف يسوس العباد، ومن لم يسس بدنه كيف يسوس البلاد.

الثاني: إذا خلا بنفسه بعد معرفتها وإصلاحها فلا يفكر في شيء من أمور الطبيعة وليمت نفسه عن كل رذيلة ليحيا بالفضيلة، وليعلم أنه إذا خلا بنفسه، وتخلى بسوسه، تختال الطبيعة في جذبه إليها، وكلما لاح لطيف روحاني باق جذبت بمثله إلى كثيف جثماني فانٍ، فليجذف ولا يظرف.

وليعلم المغلوب بكثرة الوَساوس والأفكار، أنه لا يفيده الهرب منها لأنه إنما يقطعها حيناً وتقطعه أحياناً وإنما يفيده الهرب من الحظوظ، فإذا قطعها انقطعت عنه الأفكار، ولا ينال ذلك إلا بحزم، وعزم صادق على الموت.

مثال:

الصدق له وجهان؛ أحد وجهيه ما كسبه بالمجاورة، والآخر كبقية الأحجار، وكذلك القلب.

تعليم:

صور الأمور الدينية كصور المشمومات، فلا تحصل من صور المشمومات مهما قدرت، وأنت لا تفرق بين رائحة كل واحد ورائحة الآخر، فإن المقصود بالصور الأرايج.

فصل:

إن وراء نطاق النطق ما هو أدق من أوتار العنكبوت.

نظم:

ألـــم تـــر أن البـــدر ينظـــر وجهـــه بصـــفو غـــديرٍ وهـــو فـــي أفـــق الســـما

مثال:

اعلم أن كشف الأولياء رضي الله عنهم يُمثل بالسراج في آحاد البيوت ليلاً، وكشف الأنبياء عليهم السلام بمنزلة نور الشمس العام على الموجودات نهاراً، والناس بمنزلة الطيور المستعلي بعضها على بعض بحسب القوة المعطاة لكل واحد منهم من حيث جنسه وخلقته، فشتان بين الناظر بالنور السفلي جزئياً، وبين الناظر بالنور العلوي كلياً، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝﴾ [النور: ٤٠]، ومرادنا بالجعلِ هاهنا يرجع إلى النور الخارج، لا إلى نور البصر، لأن نور النارِ هاهنا من جعلِ البشر، ونور الشمس من جعلِ خالقِ الشمس والقمر.

تلخيص:

الأبوةُ قسمان: أبٌ روحاني، وأبٌ جسماني، فلو كانت السعادة تحصل بالأب الجسماني لسعد بها اليهودي والنصراني، فالأب الروحاني على التمام هو النبي عليه الصلاة والسلام، ونحن في بطن الكون كالجنين، والتكاليف الشرعية تكمل الصورة الروحانية. ولهذا جعلت الصلوات الخمس على عدد الحواس الخمس، فلنحرص على أن تكون الصورة كاملة ليفرح بنا أبونا عند الولادة.

تخصيص:

الإنسان لوح تنتقش فيه الملكوتية وما تحتها وما فوقها، فالملك جزؤه، وله بالجسم ملك آخر هو المتصرف فيه بالاختيار، وبالعقل ملك آخر لا تحيط به الأفكار، يتصرف به في الجسمانيات، فبهذا

سخرت له، وتفضل به على الروحانيات، ولهذا أسجدت له، فهو بالذكر ملك، وبإحاطته لما دونه فلك. ولما فات الجسمانيات، وفاق الروحانيات، تخصص بأسماء الصفات، وبهذا شهد النبي الكريم، إذ ما في الملائكة من اسمه رؤوف رحيم، فسبحان من أبدع هذا البشر، وأقدره على التقمص بسائر الصور، ودل عليه بالعيان والخبر، فبطن وظهر، وكشف وستر، وضعف وقدر، ونهى وأمر، وأطلق وأسر، وغاب وحضر، وجحد وأقر، فقفا الأثر، فعلا وبهر، ودنا واستمر، فانقطع الخبر.

تعليق:

في بحث وقع مع من يدعي أنّ الوجود مظاهر الحق سبحانه، ويظن أنه فهم المراد، وذلك إنما قيل للإنسان: هو المحتجب بالقوة الناطقة، لكونها أدلّ عليه من غيرها من بقية أفعاله، والأدلّ على الشيء يبقى حكمه حكم الجائز له، فكان المجوز فيه من جهة الدلالة حال فيه كحلول الأجسام في الأجسام، أعني اللطيفة في الكثيفة، كالهواء في الإناء الفارغ، فأعلى العبارة هاهنا أن يقال: هو محجوب بالقوة الناطقة، لدلالة النطق على موجود حي ناطق بالإرادة من غير شك. ولهذا أقسم الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: ٢٣]، وهذه عبارة إنما جازت على الإنسان من جهة التوقيف الذي اضطررنا إليه ضرورة التعريف، ونفس المراد إنما هو غير ذلك، فالنطق حجاب للنفس من جهة أنه دالٌّ عليها لا من جهة حلولها فيه، إذ النطق صفة لها، وهو قائم بها، والشيء لا يحل في صفته، أو يقوم بها، فلا يجوز لعاقل أن يفهم من قول القائل: الإنسان هو المحجوب بالقوة الناطقة حلولاً بحيث يجعلها جسماً لروح، أو إناء لريح، بل بفهم المدلول من جهة أن النطق فعل ظاهر لفاعل بالإرادة، وكذلك احتجاب فاطر السموات والأرض تعالى مما برأ، بل مرادنا بهذه العبارة دلالة على الصانع لا حلول، إذ المحسوسات أظهر للحس، وأوقع في النفس، وأقرب إلى التعريف، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ولم يقل للسموات، أو لمن في السموات، وإن جاز أن يقال: إنه تعالى في كل شيء من ذرة أو خطرة، لكن جواز دلالة على مبدع، وافتقار إلى صانع، إذ كل ذرة باطنة أو ظاهرة، شاهدة ذاتها على ذاتها، بأن لها صانعاً، ولا شك أن الكتابة تدل على الكاتب، ولكن ليس الكاتب في الكتابة بوجه، ولا الكتابة في الكاتب، إلا بالقوة التي هي غيهب هذا، مع بعد المثل من الممثول لأنه فوق طور العقول.

وإذا كانت جزئيات الكليات دالة بأنواع الدلالات على صانع في سائر الحالات، وعلى افتقار مطلق إلى غنى مطلق ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠]، فلا غرو من هذا الباب أن يقال: هو المحتجب بخلقه، كما قلنا: إن الإنسان يحتجب بنطقه، وإنما جاز هذا التمثيل من جهة الدليل، لئلا يفضي الأمر من جهة التنزيه إلى التعطيل، فسبحان من ضرب بخلقه الأمثال، وتعالى عن المثال، وجل الذي جل عن الحلول محتجباً بفعله، وهو الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وإذا تنزه عن الاحتجاب بصفاته مخلوق ضعيف بهذا المثل الأجلى، فكيف لا يتنزه عن مثل ذلك خالق لطيف، ولله المثل الأعلى، فسبحان الباطن الخفي عن كل ما يلاحظه من الصفات والأسماء، وهو الظاهر الجلي بسائر جزئيات ما في الأرض والسماء، الذي لا تتسلط عليه أفكار العقلاء، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إيجاز:

الكل أبدع هاهنا من أَجْلِنا ... وهناك والدنيا هي المفتاح
حجب تشير إلى اللطائف فاختفت ... أرواحها وتبدَّت الأشباح
صوراً ففي أشباحنا أشباحها ... مثل وفي أرواحنا الأرواح

علاج:

يا ضعيفاً أعماله حجبته ... بهواه عن الإله تعالى
طهِّر الفكر عن سواه وقُلْ ... قولاً سديداً يُصلح لك الأعمالا

حال:

ما أقلقني الشوق إلى إيائي ... إلا ونظرت في زلال الماء
معنّاي مولّه على معنائي ... ما الكون وما وجوده لولائي؟

عاشق:

أوْدِعْ فؤادي حُرقاً أو دَعِ ... نفسك تؤذي، أنت في أضلعي
واحبس سهام اللحظ أو فارمها ... أنت بما ترمي مصاب معي
محلها القلب وأنت الذي ... مسكنه في ذلك الموضع

دعوى:

من تخلّى ثم استعدَّ رآني ... قد خرقت الأفلاك بالتحديق
وخلعت الأفلاك والملك جميعاً ... والهوى والحظوظ خلعي زيقي
وتوحدت بافتقاري غنياً ... وتركت الوجود عن تحقيقي
وجمعت المقال والحال والفعـ ... ـل وما يقتضون جمعي ريقي
وجعلت الجميع تحت حذائي ... في مقام للجَمع والتفريق
عبد حق والرب حق تعالى ... من جميع الوجود عن تدقيق
أنا لا أزال حيّاً عليماً ... حاكماً بالمجاز والتحقيق

عجيب:

ترى على يقظةٍ ما في المنام ترى ... أوّلْ فما في غد تلقاه في النوم
هذا وذاك منام أنت ناظره ... لكن نقلناك من نومٍ إلى نوم

بيان:

إذا نمت تلقى فيك ما كنت يقظةً ... تشاهده جهراً فتشهده سرّا
كذاك إذا ما متّ مغرى بحالةٍ ... تردُّ إلى ما كنت حياً به مغرى
فأنت كتاب فيك كل مسطر ... ألا فامح منك الكل إن شئت أن تقرا
وما ثم إلا أنت فافقه مقالتي ... فظاهرك الدنيا وباطنك الأخرى

أصل يجب علمه:

بيان القول في الله تعالى أراد من العالم ما هم فاعلوه، وهم مع ذلك غير مجبورين فيما يختارونه، نقول:

إن الله تعالى أبدع العالم، وأعني به ما سوى الله تعالى، وذلك لحكمة من أجلها كان ما لم يكن، والعالم محل الأضداد من خير وشر، وحلو ومر، ومثل ذلك، والكل مراد الله تعالى إذ لا يتصور في العقل أن يكون ما لا يريد، وأن لا يكون ما يريد كونه، فإن قيل: قد يريد العبد أموراً فتكون بإرادة العبد، وإن لم يرد الرب وقوعها، ولم يرد أيضاً أن لا وقوعها. قلنا: إرادته تعالى أن يكون العبد مريداً في بعض الأمور، وقد علم الله ما يريده العبد، فلم يمنع وقوع ذلك الأمر، وهو بعينه مراد لله، ولكن بإرادة زيد، فزيد غير مجبور عليه، وليس الأمر مفوضاً إليه.

واعلم أن أعمال العباد عشرة؛ اثنان بدنية، وهي: الحركة والسكون، وثمانية قلبية، وهي: العلم، والظن، والشك، والجهل، والفكر، والكلام، والنية، والاعتقاد.

وإيضاح ذلك أن الكسب عبارة عن اختيار القلب، لا عن مطلق الفعل، فإن الكافرين أحدهما قلبه مطمئن بالإيمان، لا يؤخذ لكونه غير مكتسب فعله بقلبه اختياراً بل اضطراراً. والحالفين أحدهما يؤاخذ لكونه مكتسباً قوله بقلبه اختياراً ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. فالكسب عبارة عن الاختيار لأنه مبدأ الفعل. فإن قيل: إنه تعالى جبر المختار على أنه يختار هذا بعينه، فقد عاد الاختيار جبراً، وهو محال شرعاً ولغة وعقلاً. بل نقول: إرادته أن يكون المختار مختاراً، وعلم ماذا يختار فلم يمنع وقوعه، فصار الواقع بعينه مراداً للرب، لكونه علم ولم يمنع، وكسباً للعبد لكونه لم يعلم مراد الرب فاختار، فقد بان أنه متى أراد العبد ما أراد الله وقوعه بفعل من العبد، كان العبد هاهنا مكتسباً، ومتى فعل العبد ما أراد الله وقوعه بفعل من العبد فوقع بغير إرادة من العبد لم يكن مكتسباً، بل العبد حينئذٍ إما مجزي بذلك الفعل الواقع منه لما تقدم أيضاً منه، وإما مجبور عليه لحكمة أرادها الله منه، والمجبور غير مؤاخذ إلا أن يكون ذلك الجبر أيضاً جبراً، كقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ﴾ [الأنعام: ١١٠].. الآية، ويتحقق ذلك كله من فهم قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨] الآية.

نظم في ذلك ليحفظ بسهولة:

من قَبلُ شاء الله ما شاءه ... في الكون من نفع ومن ضر
لحكمة من أجلها أبدع الـ ... أضداد من حلو ومن مر
فغير ما قد شاءه لم يكن ... ولو كمثقال من الذر
ففعله الأمر إذا اختاره ... لكونه بالأمر لا يدري
كسب له لا بد من كونه ... كصورة الجبر بلا جبر
فالكسب ما يختاره قلبه ... مما أراد الله أن يجري
في القول وفي الفعل في نفسه ... أو غيره في السر والجهر
وكل ما يصدر من فعله ... بلا اختيار كان في الصدر
لا إثم فيه وهو جبر له ... كعابد الأصنام بالقهر
وربما كان جزاء لما ... قدمه في سالف العمر
فهذه السنة قد أسفرت ... من ظلمة البدعة كالفجر

بيان:

مشابه في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[النساء: ٧٨]. ثم تلاه بقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[النساء: ٧٩]، الثاني مبين للأول، وذلك أنه يجب، أولاً أن تفهم الفرق بين قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾[النساء: ٧٩] فإنه متعد، وبين قوله لو قال: ما أصبت فإنه لازم. ثم اعلم أن الناس بين مؤمن وكافر، والواقع منهم أو عليهم خير أو شر، فالحسنة إذا صدرت عن المؤمن لا يجزيه الله عليها في الدنيا بل في الآخرة. والسيئة، دون الكبائر، إذا صدرت من المؤمن لا يجزيه الله عليها في الآخرة، بل في الدنيا لقوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾[النساء: ٣١]، والكافر بضد ما ذكرناه. دليل الأول: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾[فاطر: ٣٠]. ودليل الثاني: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[النحل: ٢٥].

ويجب أن تعلم أن جميع ما يعذب به الكافر في الدنيا لا ينقص عنه من عذاب الآخرة شيء. وجميع ما ينعم به المؤمن في الدنيا لا ينقص عنه من نعيم الآخرة شيء.

ولا شك أن من علم هذا وحققه وصدقه، تحقق أنه ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾[النساء: ٧٩]، لأن ذلك كله هبة في الدنيا لا جزاء ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[النساء: ٧٩]، لأن ذلك جزاء، ولا فرق أن يكون ما أصابك بيد الله، أو بيد العباد، من خير أو شر، فهذا قسم ما أصابك، بقي قسم ما أصبت، وقد بيناه من قبل نثراً ونظما والله الموفق.

زيادة فيما اشتبه من الألفاظ:

اعلم أن الأمر ينقسم إلى قسمين: أمر ندب يمكن مخالفته كقوله تعالى لإبليس: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾[البقرة: ٣٤]، وقوله لآدم وحواء: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[البقرة: ٣٥]، وأمر حتم، كقوله: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾[الأعراف: ١٨]، فلم يكن له أن يقول: لم أكن لأخرج، كما قال: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾[الحجر: ٣٣]. فمن ظن أن كل أمر حتم غلط، وكذلك إرادة ندب وتحسين، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾[البقرة: ١٨٥]. وإرادة حتم وجبر، كقوله: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾[يونس: ١٠٧]، فمتى لم تفهم من الإرادة الجبر في موضع الاشتباه فقد سلمت.

ومن قال: إن الكل بقضاء الله وقدره فهو صحيح، لأن الله ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾[الأنعام: ١٢]، فلا يظلم مثقال ذرة، وله أن يعفو ويجازي، فقضى بالفضل، والعدل، والحجة الكبرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[الرعد: ١١].

وقال: شعر:

لك من فؤادي رتبة لا تُدْرك	وسواك مني ذرّة لا يملك
ولقد كففت خواطري عن أنها	تومي إليك مخافة لا تشرك
وصرفت وجهي عن جنابك غيرة	مني إليك فلست نحوك أسلك
ووقفت عند الأمر معترفاً بلا	قصد اختيار لي لئلا أهلك
حسبي بأن عرضتني لرضاك لي	وهديتني كرماً فبان المسلك

غيرة، مناجاة:

شعر:

إن كان يونس قد ناداك معترفاً ... بذنبه عندما أدخلته الظلما
فالجهل كالليل، والبحر المحيط هو الد ... نيا، وجسمي هو الحوت الذي التقما
فكل حين أنا العاصي المغاضب في ... بحر الحظوظ غريق أشتكي الألما
فها أنا يونس والعفو يؤنسني ... أدعوك مبتهلاً فامنن وجد كرما

حل إشكال:

لما كان سبحانه دائم البقاء، لا يعرض له شيء من الفناء، صار من أجل هذا في جبلة الإنسان محبة البقاء وشهوته، وكراهة الفناء، وبغضه، لأن في جبلة المعلول توجد بعض صفات العلة، دلالة عليه، وإرشاداً إليه.

تفضيل التفضيل وتحصيل التنصيل:

يخاطبني لي في مواقف قربه ... وأشهدني غيري، وإياي أشهد
فقال ولا غيري يقول وإنني ... مناج، مناجى، واحد، متعدد
وما أنا غيري، غير أني غيره ... وأقرب بي منه وفي القرب أبعد
تعالى وأدناني إلي بوحدة ... يراه بها إياي، والغير يفقد
وما عدمت ذاتي بلى وجدت به ... ترقى بلا حد هناك وتخلد
هنا وقف السيار من غير وقفة ... فزاد وزيدَ، قال: لا يتزيد
بغير اتحاد قلت: إني موحد ... وإني بما وحدت ذاتي موحد
لأني به غيري إذا لم أكن به ... بذلك أشقى أو بذلك أسعد
ففي وحدتي بالذات ضدان جمِّعا ... ووحدته بالذات لا تتعدد
وتحقيق فصل الحكم بيني وبينه ... قريب إذا ما كنت من لا يقيد
نفيت مرادي أن أردت مراده ... فما هاهنا إلا المراد المجرد
فعدنا يقينا فاعلين كواحد ... مريدين موصوفين والفعل مفرد
فإن قلت: فعل الله فالقول صادق ... وإن قلت: فعلي، فهو صدق مؤيد
إرادته تجري بأيدي عباده ... فأفعالهم أفعاله وهو يشهد
رمى بيد الرامي فلم يرم إذ رمى ... سوى الله والرامي هناك محمد
ولا شرك بين الراميين ومن درى ... حقيقة إيضاحي بأحمد يحمد
ألا إن قطب الشان أن مراده ... بنفي إرادات العبادات مقيد
فمهما أرادوا لا عن الأمر أشركوا ... ومهما أرادوه عن الأمر وحدوا
وليس لعبد أن يريد إرادة ... ولا نفيها بل يأمر العبد سيد
فمن قام بالأمر استقام وهاهنا ... هو المطلب الأعلى الأتم المسدد
لهذا إذا ما الأمر فيه أقامني ... فما أنا بل غيري له القول واليد
وحين أقيم الأمر أني عبده ... تعالى بما قد قاله أتعبّد
فدأبي أقيم الأمر حتى يقيمني ... طريق قريب للجميع ممهد
فقم تحيا بالأمر الذي إن أقمته ... أقامك حيا حين تغنى وتوحد
فلا تك مقتولا بسيف خياله ... ألا إنما سيف الخيال مهند

قولنا: واحد سبحانه يلزم عنه أن لا يكون معه غيره، لئلا يلزم عنه التركيب، أو ما يغاير الوحدة أزلاً. والواحد: الأول له إطلاق الوجود والقدرة، والعالم بأسره مبدع لا من شيء، ولا يقال: من عدم، لئلا يظن أنه شيء. بل العدم سابق لكل شيء من العالم، وهو الواحد بالقدرة المطلقة، وكل شيء مقدور للقدرة الأحدية، والشيء في القدرة ليس ذاتاً، لئلا يكون من الواحد غيره قديماً، وتعود القدرة مقصورة على إبراز ما بها من الذوات للأعيان لا غير، وهذا حصر مناف للقدرة المطلقة، والوحدة المحققة. بل قولنا: العالم كان في القدرة، والقدرة محيطة بالمقدور، وهو عبارة عن الإعلام بأن لا عجز هناك، بل قدرة مطلقة على إبداع الذوات، والتعينات، وسائر الممكنات، وإبداع ما شاء القادر من شيء متى شاء، كيف شاء لا من شيء ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾[النحل: ٨]. والعلم محيط بما في القدرة لم يزل في الأزل، وإذا انتفى أن يكون المقدور في القدرة ذاتا، فقد انتفى أن يكون في العلم، فكما ليس القدرة غيرها، كذلك ليس في العلم إلا العلم بالشيء المقدور عليه، لا ذات المقدور، ولا معنى للعلم القديم إلا الإحاطة بالمعلوم المعدوم، علماً قبل وجوده موجودا ذاتا وعيناً، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وبهذا الاعتبار لزم أن يكون الله تعالى أقرب من الشيء إلى نفس الشيء، لأنه تعالى متقدم عليه، فهو أقرب منه إليه علماً، كما أنه أسبق منه له وجوداً، وأقدر عليه منه إيجاداً، فلما كان الشيء معدوماً، كان الشيء جاهلاً بإياه علما، وكان الله تعالى عالماً به إحاطة، فكما أن الله أقرب من الشيء إلى الشيء علماً، فكذلك هو أقرب إليه منه مطلقا، أعني بكل وجه أزلا وأبداً، إذ البعدية والقبلية من جهة البارئ واحدة في العلم والقدرة، ومن البين أن بالنور ظهر الوجود، ولكل شيء نورية باطنة، قابلها نور ظاهر، أظهر النور، عين الشيء، ودل الشيء على نوريته بعدت أم قربت.

ولما لزم عن نفس الأعيان نفس القدرة، كانت الأعيان مظاهر القدرة، ومحل تجلياتها، وألسن دواعيها ومخاطباتها، والقدر سبحانه هو المتعالي عن كل شيء بذاته، والمنزه عن الحلول بمصنوعاته، وعما يعقل من أسمائه وصفاته، لكنه تعرف بكل جزء من مخلوقاته. ولما كان المعرف أزليا لا ينحصر ولا يتناهى، عاد التعرف سرمديا لا ينقطع ولا يتناهى، فكل معلوم تصوراً أو نطقاً، وكل مشهود معاينةً أو ذوقاً بسائر تجلياته، وجميع مخاطباته، داخل في باب تعرفاته، وإليها الإشارة بأنواع العبارة، وهو الباطن بذاته، والظاهر بآياته وسائر مبتدعاته، فلما كان أدنى من قولنا: جل وعلا من قولنا: جل، قال له القائل واصفاً لمقامه في باب التعرف، كاشفاً بمقاله من باب التلطف:

تجلى بكل فلي ناظر	يرى أنه ناظري والنظر
فحل وجل فأين الحلول	وأين السوى عند أهل النظر
يخاطب بالكل حين الخطاب	وينظر بالكل حين النظر
فكل له ألسن في الخطاب	وكل له أعين في النظر
وطوراً يناظرني بالخطاب	وطوراً يخاطبني بالنظر
فعادت برؤيته رؤيتي	خطاباً وعاد خطابي نظر
وعدت خليفته لي علي	إذ عاد سمعي به والنظر
لهذا نظرت بنفسي الحجاب	وقد كان يحجبني بالنظر
تعرف بالكل في الحالتين	فرداً فوحدني بالنظر
أرى فأراه يراني بما	أراه به وبنفس النظر

فلســــــــت أرى نــــــــــاظراً غيــــــــــره ولـــــــم أر غيـــــــري لغيـــــــري نظـــــــر

وصية:

اعلم أن جماع الخيرات، وأسّ السعادات في التقوى، والتقوى هي عبارة عن ترك المخالفة. فالمتقي اتقى مخالفة مولاه في أمر أو نهي، ولهذا ضرب الله المثل بإبليس وآدم، فأمر إبليس، ونهى آدم فافهم هذا جيداً، وابسط في ذهنك هذا المختصر، وطالعه طول أيام حياتك، واعلم أنه لا تقوى على تقوى إلا بالصبر، فعليك به في كل آن، واسأل إعانتك بالصبر على ما تكرهه، وعما تهواه ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

نظم في ذلك:

سـبيل النجـــاة وأقصـــى المــــرامِ يكـــون بصـــبر علـــى المتعـــبِ
فـــأين النجـــاة وأيـــن المـــرام وكـــل يميـــل إلـــى الطيـــب

نهي:

لا تَرددْ إليه بالقدرة ما رده إليك بالكسب.

تعريف:

المجرد من الأهواء يستخرج ودائع العقول بفكرة خالصة.

وصية مخلص ونصيحة متخلص:

احضر الموت تنجُ من كل هم، وذرِ الافتكار في كل فان، والزم الصمت ما استطعت، وخذ بالصدق، واصبر في سائر الأحيان وإذا عزَّ أوَ تشابه أمر فتمسك بحكم القرآن.

زيادة:

من سوس النفس أنك كلما قتلتها بسيف المجاهدة، أحياها الله فنازعتك، وطلبت منك الشهوات لتعود فتقتلها ثانية، ثم تعود حيةً، فيكتب لك ثواب دائم.

وهذا هو الجهاد الأكبر، وهو معنى قوله عليه السلام: "الدنيا مزرعة الآخرة"، وباب جهادها الجوع، وغاية جهادها مخالفة الهوى.

تكملة:

شهوة النساء سبب لقيام الوجود، ولظهور الأفعال الإنسانية والإلهية، إذ لولا وجود الإنسان الذي له تظهر الموجودات، لكان حكمها حكم العدم بالنسبة إلى الإنسان المعدوم، فلولا الإنسان الموجود لما ظهر الوجود، ولولا الشهوة لما ظهر الإنسان، فتارك الشهوة ترك الوجود بأسره، وقوي على الوقفة في الوحدة بفكره، وأعظِم بها صفة لمن تركها لله بقوة دائما، ورقي بفكره في معارج التجريد ملازماً.

وصية:

صانوك فلا تتبذل، أغروك فلا تتذلل، جدوا بك ولا تكبل، واستخدموك فلا تكل، علموك فلا تجهل، أمنوك فلا تخن.

اكتحل بالفكر وحرم على بالك أن يلمَّ به الهوينا والفتور، واملك عنان الفكر كما تملك زمام الذكر، وعليك بالعلم المستفاد من النظر في ضمائر القلوب، ومواقع الخطرات، وما يتصل بكل خطرة وهاجسة، وما ينقدح في القلب من نور، وصفاء، وظلمة، ورين، مما لا يكاد ينشرح به صدر إلا عن موهبة إلهية. اللهم إلا أن تنكت من الله في قلب عبد مؤمن نكتة تفزعه لما هو الأهم، فيفزع حينئذٍ إلى النظر فيما راعه حتى يتدرج بذلك إلى أن ينال شرحا لصدره بعد الجهد الجهيد والتعب الشديد.

وليس يكاد التعجب ينقضي ممن يزن بالعقل، وينسب إلى العلم، ثم لا يغنيه النظر في ضروب ما يعرض في قلبه من الخواطر التي هي فواتح أفعاله، وبواعثها، ثم في منازل فكره.

وربما تشتد عنايته في تعرف أحوال عينه التي هي موضع بصره الظاهر، وقد علم أنه يعرض لقلبه ما يعرض لعينه من عَوَر، أو ضعف، أو عمى. كذلك يعرض لقلبه ما يعرض لسمعه من الآفات، وكيف يرى تعلّم ما يصلح به ظاهره من العلوم الظاهرة، وقلبه جاهل بحاله، ولو عمل على إصلاح سرّه، وإخلاص طويته بمراقبة قلبه لدحض آثار وساوس تحدث فيه بتردد واضطراب، إلى أن يقوى خاطر حق لا تردد فيه فسمي همة، فإن بعث على فعل جزم سمي مشيئة، وللأدعية أثر عظيم هاهنا، والله الممن بكرمه.

باب في العامل

يا من هو الأقرب إلي مني، يا قاطع كل قاطع، تكرمت عليَّ بنفسي فبخلتُ بها عليك، وأنت الذي تملكها دوني، كأنك من كرمك ذو حاجةٍ إليَّ، وكأني من بخلي ذو غناء عنك، أنت الأكرم عاود الأبخل وناجاه في سره، وأنا ابتليتُك ليؤنسه بما يوحشه متعرّفاً إليه بما يتوب به عليك.

قال: إن خفتُك فما عرفت، وإن خفتُ غيرك فقد أشركت، لكني لا أخاف إلا إياي، ولا أؤاخذ إلا بهواي، أسألك بعفوك سؤال الآمنين، ولذنبي سؤال الخائفين، أن تجعلني من الداعين المخلصين لك الدين ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] وتمام الفاتحة.

كلام في النفس وفيما هو من جملة الحكمة في إيجادها.

النفس مخلوق شريف لشرف موجدها سبحانه، أوجدها على هيئة قابلة لفيضه، يمكنها عرفانه بعرفانها إياها، ولا مطلقاً لأن لها أولاً كانت قبله عدماً بذاتها، ووجوداً في العلم، فهي باعتبارٍ ما، معاني الصور الظاهرة، وصور المعاني الباطنة، وإنما خلقت من عدم لتكون باقية من غير عدم، وإنما تبقى بمعرفتها؛ الواحدَ الأول سبحانه وتعالى، فلو أوجدها غير محجوبة بالجسم لحجبها رؤيتها إياها عن رؤيتها لمولاها، فتلطف لها بحكمته، وحجبها لرحمته، وأراها إياها فيما عداها فالتذت بها وتألمت في سواها ثم أمرها بشرائعه ونهاها.

فإذا تركت هاهنا لذاتها، وتجردت عن إرادتها، فذلك أخص حالاتها لأنها إنما تركت ذاتها فلم تحتجب هناك بها عن رؤية ربها، وذلك هو نهاية المرام، وتمام الكلام، وإن لها في عالم الجسم حالات لا

تحد، ومقامات لا تعد في دائرةٍ أبداً، ولا ترد، وكلما دارت دورة منها ظهرت لذاتها بذاتها، واختفت عنها لعلو صفاتها، فربما ظنت إياها فاعلا ومفعولاً، فلبست من الكبر رداء يرديها، ويحجبها بما فيها، فيطلع عليها بارئها فيهديها ويداويها، ثم يدبرها ويريها، فإذا دارت ثانياً رأت ما رأته بادياً، لكنه في رتبةٍ أعلى، ومحل أجلى وأحلى، فلما علت إذ دنت، قامت في مقامها وادعت، فعاد سبحانه عليها برحمته عليها، وهداها بما لديها، ثم سلم زمامها إليها، فلم تزل على هذا المنوال دائرةً بهذا الحال، وما ذاك إلا لأن من سوسها أنها متى انفصلت عن لذاتها، واتصلت بذاتها، ونزعت إلى كمالها، وبزغت في جمالها، وتحلت بصفاتها، وتجلت على ذاتها، شاهدت إياها في كل ما سواها، فاستلذت لذةً عجيبةً لا تحصرها الألسن، ولا تشاهد بالأعين، ومع هذا كله متى لم تكن معصومةً بالنبأ العظيم، مهديةً إلى الصراط المستقيم، فإنها على ما هي عليها محجوبةٍ عن معنى المعاني، قد اشتبه عليها الأول بالثاني، ثم إنها ربما رقت، فترقت، فدارت بادية، وعادت غادية، فدخلت من غير الباب، ولبست غير تلك الثياب، ثم نظرت فيما قطعت فوجدته الآن جرعةً من شرابها بل سنةً من سرابها، فتوارت في أحلامها، وقامت كما قامت قبل في مقامها، ولكنها فتنت بأنها تشاهد في سائر الصفات، ومجموع الحالات صور المثالات مجموعة ومفرقة، كلية وجزئية، ظاهرة وباطنة تنطق بالأحدية، وتشهد بالأزلية الأولية، فلما شهدت شهاداتها في مرآة ذاتها، مالت حينئذٍ إليها، ووقفت ذاتها عليها، فتقدمت أسماؤها، وتعالى علاؤها، وإنها في سائر هذه المثالات المضروبة، والحالات المحبوبة، مطرودةٌ بها، محجوبةٌ بسببها، ولا تزال كذلك في سائر المسالك، وكلما علت في الممالك هوت في المهالك، إلا إن دخلت من الباب، واعتصمت في الكتاب، فهنالك تواجلتها المحن، وتخالجتها الفتن، فإن استقرت في سائر الحالات مستمرة على الثبات، ربما عطفها عاطف عنها إليها، ثم أخذها منها وردها عليها، فرادها رائد من الشوق، وزادها مما يكاد لا يدرك إلا بالذوق، فتغيرت تلك الأغيار وطمست تلك الآثار، وحالت الحالات وانخلعت الصفات والهيئات، وهاهنا أيضاً ربما وقفت فانحرفت، أو انفصلت فاتصلت، فإن استقرت جاحدةً، واستمرت ساجدةً فهنالك لها الإيماء إلى ذلك، وقد كادت أن تقطع عنه المسالك. وعلى هذا التقرير يجب أن يكون التدبير، كلما ظهرت عزةٌ ذلت، وكلما بهرت كثرةٌ قلّت، وهي أبداً تخلع ملابس الكبرياء، وتتقمص بقمص الفقراء، وتتبع مواطن الإسقاط، وتسلك سبيل الانحطاط، إلى أن تصل إلى الحدود، وتحل محل المولود، فتكون على فطرة الإسلام، فتلك رتبتها والسلام.

وبعد هذا النظام والاعتصام بالإمام، قلبك أبداً إياها مردوداً عليها، وراجعاً إليها، لئلا تبرز اللطائف في الكثائف، والمعارف في المآلف، فتشتغل عن ورودها منها بما توره عنها، فإن من المعاني ما لا يدرك بالمباني ومن الباقي ما لا يمثل بالفاني.

نقل من الروض الأنف:

الروح هي النفس باعتبار، وهي العقل باعتبار. فالروح مشتقة من الريح، ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، ولم يقل: من نفسي، ومثلِ ذلك أن الماء الذي يسري في أصل الشجرة إنما هو ماء فإذا مازج جسمها صار حامضاً أو حلواً مثلاً، وكذلك نفخ الروح في الجنين. فإذا كبر واكتسب سُمِّي بعينه نفساً. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] ويعبر بالنفس عن جملة الإنسان.

تقول: عندي ثلاث أنفس، ولا تقول: ثلاثة أرواح وقد جاء في الكتاب العزيز مما يدل على هذا كثير. وكذلك الكلام في العقل، إذا اتصفت به النفس صارت عقلاً يعلم ذلك بالفكر مع الوقوف على مقتضى الألفاظ لُغةً.

صِلةُ:

شعر:

واشـــتق عقـــلٌ مـــن العقـــال كـــذاك	**الـــنفس مشـــتقة مـــن الـــنفس**
فالوصـــف كالـــذات قـــد أقـــيم كـــذا	**الوصـــف مجـــازٌ كـــالقبْس والقـــبَس**

بيان:

ليس العقل شيئاً سوى التصور والتَّمثل، وإذا عدمته النفس عدمت ذاها، فهي ميتة.

من رسائل إخوان الصفا

سريان قوى النفس في مفاصل الجسد واختلاف أعضائه، كسريان أجناس الملائكة، وقبائل الجن والإنس والشياطين في أطباق السموات والأرضين، من أعلى عليين إلى أسفل سافلين. فانظر إلى هذا الهيكل المبني بالحكمة، وتأمل هذا الكتاب المملوء من العلوم، وتفكر في هذا الصراط المستقيم بين الجنة والنار، وتأمَّل هذا الميزان الموضوع بالقسط. فكما أن حياة الأبدان بالتنفس، فكذلك حياة النفوس بالتفكر، وكما أن النَفَسْ لا يسكن في النوم واليقظة، كذلك النَّفْس في الفكر والجولان، وكما يتصرف المتكلم في النَّفَس الطبيعي، فيجعله إراديا، كذلك يتصرف في الفكر. ولما كانت الحركة في جملة العالم، لزم أن يكون محدثا للّزوم والاختلاف والتغير، فسبحان الذي لا يتغير ولا يحول.

أمر:

ليكن قصدك من الأفعال غاياها، فإن الزرع لا يطلب للعشب، بل لأجل الحب.

إيضاح شريعة بحكمة رفيعة:

إذا فارقت النفس هيكلها بقي لها ما اكتسبته من العلوم الربانية والأعمال الدينية، والأخلاق الصالحة الزكية، فلذها بها مستمرة، كلما لاحظت ذاها امتلأت سرورا، وإذا كانت بالعكس ورأت جوهرها مظلماً فاسداً، امتلأت ترحاً وغماً، وكيف الفرار لها من ذاها، فهذا خلود في جحيم، وعكسه خلود في نعيم، فاحذر أن تقتصر على هذا فقط، لكنه مثال ومن ورائه قبول ما بعده، وكل قابل إنما يقبل بحسبه، ومن جنسه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾[هود: ٢٠]، و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سبأ: ٣٧]، و ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾[غافر: ٥٢].

وقال: نظم:

تـــوخَّ ســـبيل الرشـــد واجـــنح إلـــى التقـــى	**وخـــلّ عـــن الآثـــام واجتنـــب الفحشـــا**
تفـــرّد عـــن القـــوم الـــذين اتخـــذتهم	**لأنســـك واســـتبدل مـــن الأنـــس الوحشـــا**
فلســـت تـــرى إلا مُسِـــرَّ عـــداوةٍ	**يعيـــرك نصـــحا وهـــو معتقـــد غشـــا**
أرى بـــاطن الـــدنيا ســـموم أراقـــم	**وإن مـــلأت للعـــين ظاهرهـــا نفشـــا**

مثال:

يجب أن تفقه من خاصية الدنيا أن القلب يميل إليها، فمتى قابلها عن قرب جذبته جذب المغناطيس للحديد، وشفاؤه في البعد، وكلما بعد أمن، ولا تنفعه شدته وبأسه، وكسره لسائر الأحجار عند القرب، وذلك لعلة عشقية، وإنما جعل القلب بهذه المنزلة ليميل بسهولة إلى الروحانيات عن الجسمانيات، وكما أن الحديد إذا لازمَ المغناطيس زمانا صار فيه قوته فجذب حديدا آخر، كذلك القلب إذا لازم الروحانيات فعل في غيره كفعلها فيه. وكما أن ملازمة الصالح تؤثر الصلاح، فكذلك ملازمة الفاسد تؤثر الفساد.

شريعة بحكمة:

النفس كالزجاجة الصافية، وقد ملكها الله اختياراً وإرادة تتمكن بهما من الميل إلى الشيء وضده، وهو سبحانه يمدها بما تريد لقوله تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠].

والثواب والعقاب إنما يقع على ذاتها من جهة صفاتها، والشيطان عبارة عن مجموع الصفات الرديئة، فمتى اتصف بها عادت كذابة، متكبرة، جاهلة، غلاظة، لا تحفظ عهداً، ولا تكتم سراً، ميالةً أبداً إلى الشهوات، فإذا استمرت غلبت عليها العوائد وألفت الفاني، وقيّدها حبُّ الراحة والتواني، فصارت هذه الأخلاق لها كالطبع، فلم تتأثر بوضع ولا شرع، وعلاجها في سائر الأمر بما تكره لتلبس الصبر.

نظم في ذلك:

للنفس وجهان لا تنفك قابلة	مما تقابل من عالٍ ومستفلِ
وجهٌ إلى الحق فيه الحق ثم لها	وجه إلى الخلق لا ينفك عن زللِ
كنحلةٍ طرفاها في مقابلة	فيها من اللسع ما فيها من العسلِ
والعقل يشهدها الأولى فكن أبداً	مقابلاً قابلاً في القول والعملِ

من رسائل إخوان الصفا:

النفس الكلية تُسمى عند الحكماء طبيعة، وعند المشرعين هي ملك من ملائكة الله الذين ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۝٦﴾ [التحريم: ٦]، وكما ينبثُ النور والحرارة من الشمس التي هي بوسط الأفلاك في جميع العالم، ويمد كلاًّ بحسبه، وبه يحصل التكوين وغير ذلك، كذلك في الإنسان من الحرارة الغريزية المنبثة من قلبه، المتصلة بجزئيات بدنه، ومن زحل في العالم الأكبر، كما من الطحال، ومن المريخ كما من المرارة [الصفراء] ومنه مالك، ومن المشتري كما من الكبد ومنه رضوان، وكما من الزهرة كما ينبثّ من جرم المعدة شهوة الملاذ ومنها روحانيات الحوت، ومن عطارد، كما من الدماغ، ومن القمر كما من الرئة، ويعاون بعضها بعضاً في الأمر الواحد، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ۝١٤﴾ [المؤمنون: ١٤].

نظم:

فالأرض كالبيت العتيق وحوله الـ	أفلاك والأملاك كالطوّافِ
وبه الخليفةُ ظاهراً وفؤادهُ	بيتٌ به ذاك الخليفةُ خافِ

حـــــــيٌّ علــــــــيم قــــــادرٌ مـــــــتكلمٌ	يختـــــار يبصـــــر ســـــامعٌ بتنـــــافِ
ولأجلــــــه كـــــان الجميـــــع لأنـــــه	هـــو صـــاحب الأســـماء والأوصـــافِ
فاعرفـــــه مخلوقـــــاً تعـــالى ربـــــه	عنـــه وهـــذا فـــي العمـــارة كـــافِ

موعظة:

العالم الغير عامل كالحاسب لغير حاصب، والتاجر إنما يفتقر إلى الحساب من أجل أن له المال، وعدم الأعمال أشد ضرراً من عدم المال.

تجربة وعلم:

إذا طالبته لاطفك بكل شيء، فإذا عرفته قطع عنك كل شيء، فإذا لم تر في كل شيء غيره، أعطاك كل شيء.

تعريف:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠].

النفس ملك بالقوة، يمكن أن يكون ملكاً بالفعل، وشيطاناً بالقوة يمكن أن يكون شيطاناً بالفعل، وأمرها إليك، وزمامها بيديك، فإن أطعتها عصتك، وإن عصيتها أطاعتك.

بيان وافٍ

سائر المحسوسات في العالم الأكبر أمثلة لما في العالم الأصغر، وهو صاحب الأسماء المسخر له ما في الأرض والسماء، الخادم لإياه، المخدوم فيما عداه. فكثيفه ظهر، ولطيفه استتر، وهو المبسوط في العالم الأكبر ليعرفه بما جلّ، والمجموع في العالم الأصغر ليثبته بما قلّ.

ولما بدا في المظاهر اختفى في الظاهر، فيظهر في الخارج، ويرى ما وجب ظهوره من الباطن مما لا يرى، كما تبين للإنسان من إنسان أو حيوان أو معدن أو نبات أو هيئة من الهيئات في سائر الأوقات ما يحبه ويكرهه، أو يعرفه أو ينكره، إعلاماً له في الظاهر بحالة الكامن في الباطن.

وكما أنه يدرك في النوم بحواسه الباطنة صورا في خياله، فكذلك يدرك بحواسه الظاهرة ما ينطق بحاله، ونتيجة المدركين هدى في المثالين ليظهر لأولي الألباب فضيلة الاكتساب، والأتقى يرقى، وسيجنبها الأشقى، فذو الفرقان بذاته ناظر في مرآته، مهدي إلى صفاته، في سائر أوقاته، فإن نظر إلى سواه، لم ير إلا إياه، مثاله حاذاه، مقاله ناداه، فعاله باداه، خياله عاداه، فليترفق بنفسه في عقابه، وليتلطف بإياه في سؤاله وجوابه، إذ عائد كل ذلك عليه، والأمر فيه إليه، والولد والآل، والحال والمال، فتنة في الخيال، والقال والفعال، والهجر والوصال، والحرام والحلال، والأضداد والأشكال، وبقية الأحوال ضربت له بها الأمثال، والحقائق على حالاتها، والدقائق على هيئاتها، وما خرج عن كيانه، أو تنحى من مكانه، فذلك بحسب رأيه لا لحادث حدث فيه، بل كل حقيقة قائمة بذاتها، ثابتة في هيئاتها وإنما يظهر لتغير مرآتها تغير في صفاتها، وصاحب الدارين هو المسمى باثنين أُنُثٌ أنثى.

فسائر المعاني للواحد الثاني، ولولا وجوب الأول لما انتهى السبر، ولولا تغير الثاني لما علم أنه غير.

زيادة:

كل مشاهد في عالم الكون تمثيلات معانٍ في عالم العقل، والحقيقة غير زائلة، ولا بائدة بزوال المثل، وإنما يصور العقل ذاته في الهيولى، ثم ينظر بذاته إلى معاني ذاته، فيلتذ لا بشيء خارج عنه لذة عجيبة سرمدية، ونعني بالعقل هاهنا النفس العاقلة، وهذا هو الترجمان الأعظم.

تتمة:

كما أن المرآة التي رسخ فيها الصدأ لا يؤثر فيها الصِّقال، إلا أن تعد إلى النار، كذلك النفس المغمورة في حبّ الدنيا، لا يؤثر فيها المواعظ، إلا أن تُرَد إلى المصائب.

كشف ردى وسبيل هدى:

لا معنى للظلم إلا أن تمنع الغير شيئاً يستحقه من الخير، فالذي ظلم نفسه هو الذي منعها حظها من الصلاح بميله إلى الفساد، وإنما خلق ميالا إلى الطرفين ليميل عن الشرور والشهوات إلى العقليات فمن حيث مال إلى الأدنى فقد ظلم نفسه بمنعها عن حظها من الأسنى، فهاهنا هو إنسان ظالم، وهنا هو إنسان عادل، وبهذا يعلم معنى قولهم: أول مراحلك أن ترحل عنك إليك، ثم ترحل إلى ما كنت به إليك عنك، ثم تصير إلى من به رحيلك، وهو الذي كان معك في الطريق، ولاطفك في كل حال وأخبرك عنك ثم نبأك بما لم يكن سره وعلانيته إليك، فلما صفاك واستصفاك صافاك، ولما صافاك قطع كل ما بينك وبين غيرك، ثم قطع كل ما بينك وبينه، ثم جمع كل ما قطعك به، فجعله وصلة لك.

زُهد:

الشوق إلى الأشباح شوق إلى الفاني، والعقل منزه عن ذلك لإيثاره الباقي وما لا بقاء له، فلا فرق بين كثيره وقليله، ومن خداع النفس أنها توهم الشوق إلى الأرواح بواسطة الأشباح، فيقال لها: إن من الجائز أن يكون المشتاق إليه قد مات، أو انقلب عدوا، أو هو حين الاجتماع به شيطان، أو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، فكيف يجوز الشوق إلى من لم يتحقق من حاله سوى صورة الجسم مع جواز عدمه، فلم يبق سوى ظن،﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم: ٢٨]، وما لابد من مفارقته فلا فائدة في مواصلته ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وإذا كان كل ما يفعله العبد مع غيره، أو يفعله غيره معه من خير أو شر، ليس له أثر في الآخرة إلا في فاعله، ولا يناله خير إلا من عمله، لقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩]. فما الحزم أن تعمل لسواك، ولا أن تشتاق إلا إلى إياك.

وصية:

اجعل جسدك بيتك، وقلبك خلوة في البيت، واجتهد أن لا تربح في خلوتك منتظراً لمحبوبك، فلعلّه أن يزورك فيجدك حاضراً، والمكان خالياً.

تعليم:

اعلم أن قيمة العمر ما يُكتسب فيه، فمن كسب الباقي فلا يقوم كسبه، ومن كسب الفاني فلا قيمة لكسبه، ولا كسب أفضل من علم، فكثير العمر مع الجهل قليل فانٍ، وقليله مع العلم كثير باق،

وتطويل قصيره إنما هو بالتجريد، وتقصير طويله صرفه فيما لا يفيد، ومن استفاد علماً، ولو في لحظة أو في نوم أو يقظة ندم على ما من عمره فات، واحترز على باقيه من الآفات، فطالت بالعلم أوقاته، وطابت بالطاعة حياته، والمعرضون عن الطاعة ﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾[الروم: ٥٥].

شيطان:

الشيطان اسم مشتق من شاط يشوط شوطاً في الأرض، وهو سرعة السير، وهو في الإنسان كناية عن الخاطر الذي لا يستقر به الفؤاد، بل يشوط دائماً في الأرض، ويهيم في كل وادٍ.

والخاطر خاطران؛ علوي: وهو الملكوتي، وينقسم إلى أقسام هُنّ بمنزلة الملائكة، وسفلي: وهو الأرضي الذي أُهبط من الجنة إلى الأرض، ومعنى الجنة مأخوذ من الاستتار للطفها وروحنتها، ومعنى الأرض الجسمانيات، وما يتعلق بها، فما كان من الخواطر علوياً فهو روحاني ملكوتي، وهو من الجنة، وما كان سفلياً فهو جسماني شيطاني، وهو من الجِنة.

يا عاقل! هو أبى أن يسجد لك سجدةً واحدةً وقد أُمِرَ، فكيف تسجد له دائماً وقد نُهيت.

إعانة وعلاج:

يُستعانُ على النفس بثلاث؛ الأول: بمنعها مشتهياتها، فإن الحمار إذا مُنع بعض قضمه انقادَ. الثاني: تحمل أثقال العبادة فإن الحمار الذي يذلل حرانه إنما يذل بثقل ما يُحمل عليه. والثالث: التضرع إلى الله من شرِّها دائماً.

ويستعان على الشيطان بثلاث: تعرُّف مكائده، وترك الاعتناء بوسوسته، وإدمان ذكر الله.

معراج:

القرآن فهرست الكل، فاستعرض من العوالم مهما أمكن بقرآن الفجر، مُترقباً ما يوحي إلى فكرك من المعاني بالمباني، فإذا تألق برق فكرك في معراج فاحفظ أول نهارك بالفكر فيما بدأت به، يحفظ لك النهار كلّه.

كشف:

كما أن مادة الحيوان الاسطقسات، كذا العالم السفلي مادّته من العالم العلوي، ومتى تشبّه المفعول بالفاعل صار واسطة بذاته في تدبير العالم، وإيجاد ما يجب وجوده فيه، وذلك بعد المفارقة، وله قبلها بحسب التشبّه بالصفات إيجاد تأليفي في الجسمانيات، وإبداع في بعض الروحانيات.

فالإنسان عالم سفلي، وسائر الأشياء قشوره، والجسم أرض، والنّفس نواة في أرض الجسم، يلحقها من نور الحق كما يلحق النواة في الأرض من حرارة الشمس، فمتى برزت النواة من الأرض صارت نخلة، ورأت العالم وعجائبه، وطلعت الشمس عليها كفاحاً. ولما كان النوم بعض الموت وقد رأينا النفس تدرك فيه من الغيب ما لا تدركه في اليقظة، علمنا أنها في الموت أشد إدراكاً، فلا مطلوب أبلغ من الموت، وكلُّ طريقٍ، ورياضةٍ، وتجريدٍ لا يؤدي إليه، فليس له ثمرةٍ.

شعر:

سعت تؤمُّ الموت أقدامُ	**قصداً به جدٌّ وإقدامُ**
الموت بباب الله لو لم يكن	**ما فاز بالمطلوب أقوامُ**

فراقب الموت ترَ واحداً   وكل ما في الكون أصنامُ
فالكون للإنسان بدءٌ إلى   غايته والموت إتمامُ

ومثله:

إذا رمتَ أن تحيا فمت عن علائق   من الحس خمسٍ ثم عن مدركاتها
وقابل بعين النفس مرآة عقلها   فتلك حياة النفس بعد مماتها

كمال:

الكامل من كان طريقاً لجريان النعوت الإلهية، وهو يعلم الفرقان بينها وبين العلم بها.

النفس:

للنفس مواطن؛ فهي في كل موطن غيرها في غيره. ومع ذلك هي هي، ومواطنها لا تُحصى، وحالاتها وأسماؤها لا تُستقصى، فهذا حالها مع موجود موجودات سواها، وواجب سوّاها. فإذا استقامت في موطن صدق، وقامت على قدم عشق، في باطل وفي حقّ، تجلت لها ذاتها، وقد تجلت بصفاتها، فخاطبها معناها كأنه سوَّاها، فظهرت في صورة جسمانية كثيفة، أو معانٍ روحانية لطيفة، فتراها في منامها، وتخاطبها في أحلامها بأنواعِ الغرائب، وتخبرها عن الغائب، وإذا قويت عوائدها، وأثمرت فوائدها، سمعت تلك المخاطبات يقظةً من الصور الإنسانية وغيرها جهرةً، فتارة يناطقها غيرها من الناس بما تفهم، والمناطق لها لا يعلم، كما أخبر المستيقظ العالم، إذا سأل فأجابه النائم. وتارة يخاطبها المستيقظ لأمر له عرض، فتفهم من خطابه ما لها فيه الغرض، كما نبه على ضيعة العمر أرباب القلوب.

نبأ عجيب ووعظ غريب:

المحصور في سجن رغباته، إذا مات في السجن، سجن فيها بعد الموت أبداً بصورة العطشان الذي كلما عطش شرب، وكلما شرب عطش، فاستمر أبداً في سجنه سرمداً، وإنما كان في الآخرة كذلك لأنه إنما كان في الدنيا قد يثنيه عن استمرار تناوله من تلك الشهور ضعف الآلة، كمن توجعه أسنانه من المضغ من وجود الشهوة، فلو فرضنا أن الآلة لا تكل لما تصور النزوع، فكيف والآلة تزداد قوة وضعفاً، فالقاطعون الشهوات في الدنيا يستمرون في الآخرة بمثل هذه الآلة لا تكل. فهم الخارجون من كل سجن، والداخلون في كل أمن، فهذا حالهم أبداً، ولهم ملكة الترقي سرمداً.

فيا من جعل قلبه بيتاً لشياطين شهواته، فهو يمدهم بما يطلبونه منه، حتى متى تعبد الجنّ، ومتى تخرج من السجن.

شعر:

السجن سِجن الشهوات التي   قد أوقعت في الهم والحزنِ
فكل من يخرج من سجنها   يخرج لا شك من السجنِ
والجن محجوبون فينا لهم   أغذيةٌ في الخوفِ والأمنِ
من شهوات النفس ذات الهوى   فقل لمن يفهم ما أعني
من كان موقوفاً على شهوةٍ   فذاك عندي عابدُ الجنِ

وخلق الله العالم، وشرع ترك الشهوات، وترك الوقوف مع الجسمانيات إلا ما لا بدّ منه، وهو الطريق الموصل إلى الغرض باللذيذ لا عين اللذيذ، فمن قويت نفسه هاهنا على ترك المنهي عنه كله، قويت هناك على ترك مثله، فقطعت فسارت، وهذا السير هو جنة النفس والواقفات جناها الشهوات التي وقفت معها، فمن لم يحتجب هاهنا لم يحتجب في الآخرة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فقد بان لك أن النفس تكون مترقبة أبداً، إذ مطلوبها ليس له آخر، وأن الشهوات حجابٌ، وظهر سرٌّ من أسرار الشريعة.

تنبيه:

اعلم إنما ترى الأشياء بحسب نظرك، فيقال: أنك الرائي والمرئي، وليس لاتحاد الحقيقتين. واعلم أن المرئيات كلها لها اعتباران، أحدهما من جهة الرائي، والآخر من جهة المرئي في ذاته، فالمرئي في ذاته له حقيقة غير حقيقته الحاصلة له وصفاً من حيث الرائي، فمن قطع إياه رأى الأشياء على حقائقها من جهة ذواتها، لا بحسب نظره. وهذا محلّ نظر الأنبياء عليهم السلام، وأما غيرهم من سائر الخلق فإنما يرى ما يراه باطناً وظاهراً، نوماً ويقظةً، بحسب نظره لا بحسب المرئي في ذاته، فدرجة العوام رؤية الواحد كثيراً، ودرجة الخواص رؤية الكثير واحداً، وأعني بالخواص هاهنا المنفردين عن الأنبياء، وكلاهما مرضٌ، إذ يعرض للبصيرة ما يعرض للبصر، كما يعرض من تغير المرائي لتغير لون الجليدية، فتارة يتغير المتغير ألواناً، والمرئي واحدٌ في لونه، وهو مثال درجة العوام، وتارة يثبت تغير على لون واحد، فيثبت المرئي ضرورةً، وهو مثال درجة الخواص، ومن هاهنا قالوا: إن الكل واحد، وقد علمت أنه من تغير لون جليدية عينه إلى الصفرة، فشاهد الأصفر أصفر، لا يقال: أنه صحيح النظر لكونه وافق لون المنظور إليه في ذاته، لون الناظر في صفاته إلا عند غير الحكيم المعتبر، فقد علمت أن مرض أرباب الدرجتين، وهو من قبيل واحد، وهو فساد النظر، ولا صحة إلا مع الأنبياء عليهم السلام، وأتباعهم الذين تركوا أهواءهم، إذ نظروا إلى اختلاف الأشياء في ذواتها وهو الاختلاف الذاتي للمنظور، لا الاختلاف العرضي للناظر، ورأوا للجميع فاطراً واحداً، ولم يروا الكل واحداً، بل عن واحد، ولهذا قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، واكتفى ذكرهما عن ذكر ما فيهما.

واعلم أن درجة العوام أشبه بدرجة الأنبياء من درجة الخواص بزعمهم وإن كانوا خواصاً بالنسبة إلى العوام، فلاختصاصهم بمرض واحد دون أمراض شتى.

صفتان:

رُبَّ عابدٍ هواه رأى خياله في المرآة وحسبه إياه، فترك ما عداه ولم يتعداه، ظناً منه أن ذاته مولاه، إذ لم يرَ شيئاً سواه، وقامت بشبهة شكوكه دعواه، فأعمته عن عماه، فقال: أنا الله. وإذا نام هذا المصاب تقطعت به الأسباب، فكيف به عند الانتباه، يوم كشف الغطاء، وزوال الاشتباه.

ورُبَّ عابد بايع مولاه على ترك ما سواه، والرضا برضاه، ورأى الإيمان بالغيب أولى من كشف الحجاب، فقطع الأسباب، ولم يطرق الباب، ومن أراد غير الله، فقد عبد هواه. ومن أراد رضاه لم يعبد إلا إياه، وإقدام ذي الإقدام على المقام بهذا المقام، قامت على قمة الاصطبار، وعلت على متون الجنة والنار.

نظم:

تحيَّنْــــــتُ وقتـــــاً إذ تخيـــــرت منـــــزلاً	**لتهيئـــــــةِ المصــــــــباح والزيـــــــت أولا**
وبالغـــــت فـــــي حجـــب الهـــواء محـــدقاً	**إليــــه زمانــــاً مـــــا بصـــــدقٍ فأُشـــــغلا**

تحقيق:

فما أنت به أنت هو، وهو بما هو به هو أنت، إلا أن إحدى الغايتين في الأخرى مدرجة مُدْمَجة، من حاول تميزها منها حاول عسيراً، ومن شعر بالوجد منها بقي حسيراً، وكل بشريّ نال هذه الحالة فقد برئ مما كان به منقوصاً ورقي إلى ما صار به مخصوصاً.

ضلال:

القلوب بمنزلة الأرض، تنبتُ ألواناً من العقائد، والقرآن بمنزلة الماء يمد الكل، فافقه جيداً.

في الميل:

إنما أنت ما ملت إليه.

نبأ:

وكما أنه لا سبيل للجنين أن يدرك ما في هذا العالم، كذلك لا سبيل للمتعلقين بالأجسام أن يدركوا ما في ذلك العالم، ولما غمض الأمر أُمرنا بالإيمان بالغيب، وإذا كان الترقي مستمراً في الكل من عدمٍ إلى وجود، ونسبة الثاني إلى الثالث، كنسبة الأول إلى الثاني، فكيف يدرك المعدوم وجوده قبل أن يوجد فيه، وهل إلا ضربُ المثل، فبهذا جاء الكتاب المنزل، والمراد من إبداع ما يفنى هو غاية تبقى، ومن رام أن يطلع على الغاية الباقية في الذاتية الفانية، فقد خرج عن الطريق، إذ سِرُّ الدُّنيا يعلم في الآخرة. فكيف يعلم سِرُّ الآخرة في الدنيا. ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧] وليست السعادة في اللذات، بل اللذات تابعة للسعادة، وإنما السعادة اللقاء، وليس اللقاء حقيقة المعرفة، بل أن تتلاقى في حقيقة الصفة، ومن اتصف فهو الذي عرف.

فكر:

الفكر السيال المبتدر هجماً في كل وادٍ، هو جاسوس الفؤاد الآخذ لصاحبه إلى الإلحاد، وهذا هو الأولى بالجهاد من سائر الأضداد، فانفه عن البلاد، واحذر منه الترداد، فإن عاد فقف له بالمرصاد، حتى تبلغ منه المراد، وإن عجزت عن طرده، فاشغله وإلا شغلك، واقتله وإلا قتلك.

موعظة في وقفة:

كل شيء يؤذيك فهو رحمة عليك، لأنه منبه من رقدة الجهالة والغفلة، ألم ترَ من رحمته العجاب في لدغ البراغيث وقرص الذباب. فما نبه النائم هو أولى أن ينبه اليقظان، فكم هذه السنة بالانتباه، وطلب الهداية بالاشتباه، وكم هذا النسيان بما يذكر، والغنى بما يفقر، والصحة بما يُعلّ، والعز بما يذل، والري بما يُظمي، والنظر بما يُعمي، اقلب النظر قبل أن ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ [الملك: ٤].

إذا أحببت الخروج من السجن، فقد أحببت الدخول إليه، وإذا كرهت الموت فقد كرهت الحياة، فيا عجباه من عقل مقلوب، يحب المكروه، ويكره المحبوب.

وصية:

يجب أن تكون تغذية البدن كعلف الدابة، إنما تطعمها لتحملك، ولا لتقضي شهوتها.

تحذير:

النفس خزانة إبليس فيها سائر أمتعته.

في الموت:

يا هذا أَخَطر ببالك كأنك تشاهد ذاتك مجردة خالصة في أمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر يليه، وقوة لا ضعف يخالجها، وقدرة لا عجز يمازجها، وعزّ لا ذلّ معه، وبقاء لا موت يقطعه، وكمال لا نقص يعيبه، وجمال لا شين يشوبه، في ساحة لا أفق لها، وراحة لا نصب بها، وهي ملتذة بذاتها لذاتها، تنظر بنور لازم، وسرور دائم، وعلم مستقر، وشهود مستمر، ونعيم مقيم، وأمرٍ عظيم. فكيف ترضى بعد هذا المقام في دار الآلام، وتقنع بظلٍّ زائل، ولهوٍ عاجل، وتستلذ سُمّاً قاتلاً في عيش باطل، مع صحبة الأموات، والتقيد بالفانيات، وعشرة الأضداد، والانهماك في الفساد، فعد عن هواك وأوِ إلى إياك، فما غيرك يرضيك، ولا فرصة لك إلا فيك.

نبأ:

ذاتك فيك غيب عنك، وذاته منك غيب فيك، فهو معك أينما كنت، وبرهانه عليك عجزك عنك، فإن لم تشهدك السَّرائر، فاشهدها بالنَّواظر.

شكر:

رؤية النّعم بنفس النّقم، شاغل بالشُّكر عن الصَّبر، فالعالم رأى العدل في العسر الذي وقع فيه، ومعه اليُسر، فضلاً عن بارئه، فاشتغل بالشّكر على اليسر فضلاً عن النظر إلى الصبر على العُسر عدلاً.

واعلم أن الصبر صبران، أحسنهما صبرك على ما ترجو عاقبته، والحلم حلمان: أشرفهما حلمك عمّن حزت رتبته، والصدق صدقان: أصحهما صدقك فيما خفت مغيبته، والوفاء وفاآن: أسناها وفاؤك لمن لا ترجو منفعته، ولا تخشى جريرته.

وقال:

فالصبر في منزلةٍ فوقها	رتبةُ عبدٍ مُبتلى شاكرِ

وقال أيضاً، نظم في اليُسر:

شغلت بالشكر عن الصبر	لرؤية اليسر مع العُسر
والعسر عدلٌ من إلهي لما	قدمت من معصيةِ الأمر
واليسر فضلٌ منه سبحانه	قابله العالم بالشكر
ومن رأى في العسرِ إصلاحهُ	فشكرهُ في العسرِ كاليسر

باب في المعمول

سبحان من أوجد من العدم موجوداً باقياً، وأبدع له عالماً يعبرُ فيه فانياً، لينقله منه إلى عالم البقاء ثانياً، وجعله من أول الإبداع مترقياً في العالمين دائماً سارياً، وزيّنه بالعقل فصار به مهدياً وهادياً، وجعل له الحواس الخمس مؤدية إلى النفس، فعاد بها الخفي عنه بادياً، وضرب له بكل أمثالاً، فجعل الكتاب العزيز أقوالاً، والمبين أفعالاً،

ليظهر له بهما ما كان عنه خافياً، وجعل هذا العالم الأول المدركة معشوقاته مثلاً متفانياً، وصير معشوقات العالم الثاني مثلاً أعلى مضاهياً، فهنالك أمثال معشوقات هي لطائف أشبهتها هنا معشوقات كثائف، فصار هذا لذاك محاذياً، ومن لدن الأول سبحانه فيض مشهود في ظلّ مبدعاته قد أصبح جارياً، حجب به المترقّي بمراقي الأذكار في سلّم الأفكار فانقلب إليه البصر خاسياً، وجذب به كليم الأسرار إلى نور الأنوار، فلما قال: ارق خر صعقاً متلاشياً، فسبحان من احتجب بمعشوقات العالمين، وجعلها أمثالاً وصير كلاً إليها داعياً، وتعالى في غيبه، وتفرد بالوحدانية فهو على صراط مستقيم ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، سبحانه وتعالى عالياً، وصلى الله على الرسول المعظم محمد، الحبيب المكرم صلاة دائمة وسلاماً وافياً.

أصل:

لا يجوز على الأول تعالى لفظ البسيط، ولا الانحصار في مثله، لأن ذلك إنما ظهر بالوجود، والله تعالى قبل الوجود، وقبل البسيط، فهو الواجب بضرورة العقل لزوماً. وأما العبارات فبه صارت، وكذلك كل ملحوظ، لأنه تعالى تقدم الملحوظ واللاحظ واللحوظ، والداخل والخارج، فحدّق وانجمع واجمع أنوارك إلى لبك، وانظر ممن تطلب حاجتك عند الاضطرار، فإنك لا تطلبها ممن هو معدوم.

إنجاز:

النفس معبودة للجسم، فإذا اتصف بصفاتها فهو هي، هو من غير اتحاد، والعقل معبود للنفس، فإذا اتصفت بصفاته فهي هو من غير اتحاد. والحق معبود للعقل، فإذا اتصف بصفاته فهو هو من غير اتحاد.

تعريف:

كما أن الخلق لما يكون في زمن، فكذلك الإبداع هو لما لا يكون في زمن، فالعقل فوق الحس، فلا يدرك إلا مخلوقاً، فإذا الإبداع فوق العقل، فعادت مدركات العقل كلها أصناماً.

نظم:

ميل القلوب إلى سواك حرامُ	ما كان غيرك كله أصنامُ
هذي المواهب باطناً أو ظاهراً	فِتَنٌ لديك وكلها أحلامُ
والعلم بالمعلوم جهلٌ شاغلٌ	عما يرامُ به فكيف يرامُ؟
سجدت لك الأكوان والأزمانُ وال	أفنانُ والأذهانُ والأفهامُ
أنت الذي وإليك كلُ إشارةٍ	وعلى الجميع تحيةٌ وسلامُ

مثال:

إذا كان التطهر هو المراد بالماء، فما دام الطهر حاصلاً، فالغنى عن الماء حاصل.

وهم:

لا يقال: بطلت فضيلة الماء عند من حصل له الطُّهر، بل هو الذي لم يفارق الماء، وإن فارقه الماء، إذ الغاية من الماء معه، فلا يحتاج إليه إلا إن رجع إلى الحدث، وكذلك الشريعة.

خيال:

ربما أخطر العلم بهذه الرتبة في بال العقل خيالاً شُبِّه له به أنه قد نالها، وسقط عنه التكليف، فإن حاقق إياه وجده في تلك الحالة مكلفاً، والتكليف حيث كان هو من الشريعة.

سلامة:

ما دام للعقل وجود مع المحسوس لا يسقط عنه تكليف الشريعة، ولهذا لا يسقط عنه من حيث هو في النوم، وإن سقطت من حيث الشارع. وإنما يسقط عن الميت.

محاققة:

إذا قال العقل: قد صحّ أنه إنما تنال الحياة في الموت بالموت في الحياة، وهذه رتبتي، فليقل له العقل: إنما حدّ العقل السماء، فما فوق السماء، فإما أنه يعترف أنه ما مات، وإما أنه ممن لم تفتح له أبواب السموات.

تجريد:

من لم يملك ملكة الموت عن المحسوس من كل متعقل ظاهراً وباطناً، لا يقال له: مجرّد.

بداية:

من أراد ذلك فليبدأ بالموت عن الحظوظ، فإنه ما دام حياً بها، فإما هارب أو عاطب.

سير:

من ماتت حظوظه فصبحها حيناً كان آمناً آنفاً، كما أراد أن يركب ترياقاً من لحوم الأفاعي، فإنه آمن من لسعها، ويأنف من مباشرتها.

تحقيق:

العبودية في تنزيه الربوبية.

نظم:

يهيم شوقاً وما تخفي سرائرهُ ... وفيك باطنه أضحى وظاهرهُ

عبدٌ بحبكَ قد أفنى أوائله ... وفيك يا سؤله تفنى أواخرهُ

يا من يشير إليه القلب معترفاً ... بأنه فوق ما تحوي ضمائرهُ

إن غبت عنك فعني لا تغيب وهل ... أنسى الذي أنا بالنسيان ذاكرهُ

من كان أقرب من ذاتي إليَّ ففي ... طرفي أراه وفي قلبي مخاطرهُ

يا فاطر الكون يهواه بفطرته ... مشاهداً وحجاب الكون ساترهُ

ظهرت في كل ما أظهرته فغدا | يراك بالعين طرف أنت ناظرهُ
وغبت عن كلّ ما أحدثتَ محتجباً | فلا يحقك قلب أنت فاطرهُ
لما تعرفت للأشياء أجمعها | قلنا بلا مريةٍ: كلٌّ مظاهرهُ
وهو المنزه عن كُنهِ الحلولِ وعن | طور العقول فقد جلت شعائرهُ
من حيثنا ظهرت أسماؤه وله الـ | ـتنزيه عنها فكل لا يجاورهُ
ألا تراها حديثاً قد تقدمها | إن القديم حديثٌ لا يخامرهُ
وعن تعالى، تعالى أن يقال له | من خلقه أبداً لولا أوامرهُ
يا من دنا وتعالى أن يُحاط به | فكيف تحويه من قلبٍ خواطرهُ
كل لقربك منه قائلٌ أنا هو | وبعده عنك يعطيه تغايرهُ
فبعدهُ عنك ساوى القرب منك له | فقد غدا جاهلاً تبدو معاذرهُ
وجهله بك ساوى العلم منك به | فالعلم عاذله والجهل عاذرهُ
لذاك أصبح لا يُخشى سواهُ ولا | يرجو سواك لكسر أنت جابرهُ

الله أكبر، الله تعالى غنيّ عما في السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وغني عن المحدث، وله المحدث، وغني عن أن يحدث وعن أن لا يحدث. وله أن يحدث وأن لا يحدث. وله الأسماء والصفات، وغني عن الأسماء والصفات، فغناؤه بذاته من حيث هو، وله ذلك من حيثنا، ولا يقال: اقتضت إلهيته الإيجاد، فإلهيته منفصلة عن الاقتضاءات، لأن لها الغناء المطلق، والإطلاق لا يثبت قيد الاقتضاء لإيجاد ولا لغير إيجاد، بل له الإطلاق عن التقيد بالإطلاق، أو بقيد ما. وإنما غلط العقل لما رأى مصنوعات الحق تعالى تقتضي اقتضاء ما، فظن أن ذات الحق تعالى اقتضاء ما، وليس كذلك إذ قد ثبت أنه الغني المطلق، فله إطلاق القدرة لزوماً عن إطلاق الغنى وله إطلاق الاختيار لزوماً عن إطلاق القدرة، وله إطلاق المشيئة فيما يختار، وإطلاق الاختيار فيما يقدر، وإطلاق الغنى عما يقدر ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهم:

ما ليس بجسم هو منزه عن الجهات، ولا يتصور أن تقع عليه الإشارات بالحسيات، والنفس ليست بجسم، فهي تدرك ذاتها وما دونها، ولا تدرك البارئ تعالى. ولما تفطن بعضهم إلى أنها غير جسم ظن أنها البارئ، فجعلها رهن الشهوات، تحكم عليها الحركات السماويات، والخواص الأرضيات، وكيف يمتاز بعضها عن بعض في الأزل، وهي واحدٌ في لا محل.

نظم قال فيه:

إليك إشارتي بنفي الإشارة | وعنك عبارتي بسلب العبارةِ
وكل مقامٍ أو مقالٍ ومشهدٍ | إليك وإن أومى فدون الإمارةِ

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، لأن من الأسماء ما عبر به مجازاً على صورة الاستعارة ليفهم به المقصود بصيغة من العبارة، خطاباً للناس على قدر عقولهم، كما عبر باليد والعين وغير ذلك، كالمعية والأين، ومن نورت بصيرته وطهرت من رؤية الأغيار سريرته، وصفت مرآته، واتحدت ذاته، رأى سائر أسماء الصفات كذلك، ونزه عما هنا ما هنالك.

تحقيق:

لما كانت ذاته لا تمثل ولا تعلم، وصفاته من لوازم ذاته، لزم أن صفاته أيضاً لا تُمثل، ونحن لا نعرف ما لا نعرف إلا بالأمثال، ولا مثل لصفة من صفاته، فنحنٍ إذا عارضنا إنما نعارض صفاتنا فنظن أننا قد عارضنا صفاته، وكذلك إن عرفنا ولا شك أن لنا قدرةً وعلماً وسمعاً وبصراً، وصفاتنا كلها مخلوقة مثلنا، فنظن بمشاركة الإسمية أنا فهمنا أنه سميع، بصير عليم، قادر، وعلمنا ذلك، وليس كذلك إنما علمنا صفتنا ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

نظم:

ما قلته قلت عني ... فلا أرى القول يغني
هيهات أدرك ذاتاً ... إلي أقرب مني
لما دنا وتعالى ... أصبحتُ عنه أكنّي
بغيره ولهذا ... أقول لي عنه: إنّي
ولا سواي وهذا ... حقيقة المتمني
فالصمتُ أولى ومهما ... نطقت إياي أعني

تصديق ما قبله:

يا من تخاطبه حقيقةُ ذاته ... من غيره لكنه لا يعلمُ
وهو المخاطب ذاته في غيره ... فهو المكلم عنه والمتكلمُ
مرآتك الأكوان عنها صادرٌ ... ما تستحق فنيرٌ أو مُظلِمُ
كن كيف شئت فلا سواك مُعامِلٌ ... ومعامَلٌ، ومُعلِّمٌ، ومُعلَّمُ
أو ما تراك بما تقول محدثاً ... عنا وأنت مكلِّمٌ ومكلَّمُ
وإليك عنك يعود ما أبديتهُ ... عنا ونحن حقيقةٌ لا نعلَمُ

سِرُّ السِّرِّ لا يكون أبداً إلا سِراً، فلو أمكن علمه لم يكن هو، وكذلك الغيب والجنة، ونحن إذا عظمنا أمراً استعرنا له من هذه الأسماء مجازاً.

إيضاح:

الأبرار يتّقون الجهل، والمقرّبون يتّقون العلم.

مثال:

ظِلّكَ محجوب بك، فكيف يدرك النور الذي يظهره وهو محبوسٌ في ظلمة كونه.

تعريف:

أعرفك بالصفات الافتقارية، فليس لها محل غيرك، واعرف من أنت عبده بالاقتدار النافذ فيك.

مثال:

ليس للشمس في مقابلة شيء من الأجسام كمال، بل هي في إشراقها كاملة، ومقابلها له من إشراقها نصيب بحسبه، وحسبه إليه لأنه هاهنا في هذا المثال الإنسان، وهذا مثال كافٍ، ومقالٌ شافٍ،

ومن كان في باطنه التوجه إلى ما هو فوق طور العقل، فلو أفيضت عليه المقولات كلها جملة واحدةً، لم تشفِ له غليلاً، بل ذلك كما لا يسكن الجوع بالماء والعطش بالخبز.

إظهار:

اعلم أن إظهار الفاعلية غير إظهار العقلِ، وإن دلَّ عليها، فأظهر الله الفعل بإظهار الوجود، وأظهر الفاعلية بإظهار فاعل مختار، ونضرب مثلاً بالشمس والقمر الذي نوره من نورها.

بيان:

نور القمر من نور الشمس، والحركتان مختلفتان، فكذلك فاعلية العبد من فاعلية الحق، لكن حركة القمر غير حركة الشمس، فهو بحركته التي لو كانت إرادية له كحركة الإنسان لأوجد النور حيث شاء، وإن كان من غيره.

تنزيه:

دل على وجوده بمصنوعاته، وتعزز في ذاته الأعلى ذاته، فهو المنزّه عن الكمال الذي لا يمكن إدراكه للخلق، فلما تقطعت دون إدراك حقيقته الأسباب، علم أنه هو بهذا الحجاب.

شعر:

عقلت لك العقلاءُ عنك عقولها ... بعثت إليها منك فهي رسولها
وتحققت منك القصور فأصبحت ... وقصورها عما تروم دليلها
ومتى رأتك لها رأت فوصولها ... عينُ الحجاب وفي الحجاب فصولها

نثر فيه:

العقول والأفكار محدثات، وكل محدث حجاب، فكيف الوصل إلى الواجب والمدرك هو الحاجب.

بيان:

الصفات عين الذات، إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي الذات وهي غير الذّات إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي انقسام الوجود إلى الأقسام المتعددة، ولهذا مثال أن العشرة قائمة بنفسها فهي بنسبة الثلاثين ثلثها والأربعين ربعها، مع أن العشرة واحدة، فالعزُّ والذلُّ مثلاً إنما هو لنا بنسبة شيء إلى شيء، إذ المتغاير كله للمحدث، فإذا نسب إليه سبحانه أهل العزّ يسمى مُعِزّاً، وأهل الذلِّ يسمى مُذِلاًّ، وإذا اعتبر ذلك المعنى مع نسبته إلى الماضي من الأزمنة استعير له لفظ الأزلية، وإلى الاستقبال استعير له لفظ الأبدية، فهو الموصوف بكلماته، والأحد المتعالي بذاته عن أسمائه وصفاته، فافهم كذلك سائر الصفات، وإعلام أن الذّات الناقصة تكملها الصفات، والذات الكاملة تكمل غيرها بالصفات، فمن حيث هو تعالى مكمل لنا بالصفات، صارت عندنا أسماء له وأما من حيث ذاته تعالى فهو لا تغاير بين ما تسميه له علماً وإرادة وقدرة، فذاته كافية للكل في الكل، وهي بالنسبة إلى المعلومات علم، وإلى المقدورات قدرة، وهي الموصوفة بالأحدية، ولا مغايرة هناك، بل كما لا يحتاج في شيء إلى شيء. وانطلاق هذه الأسماء عليه إنما هو من حيث الاصطلاح المعروف المألوف عندنا، المبني عن ذات مبدعة

عاجزة، ولولا قوله لنا عنه تبارك وتعالى لما جاز لنا ذلك، بل تعالى عن قولنا تعالى، فاعلم أنه تنمحق قوى العقول دون الوصول إلى إدراك أثر من آثار مبدعها، وكيف لا وعلمه الأول كان موجوداً قبل الزمان كما هو الآن، لكنها تدرك عجزها عن ذلك كما يدرك الوهم عجزه عن إدراك حقيقة موجود لا يكون داخل العالم، ولا خارجاً عنه، ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه، ولا يمكن أن يعبر عن حقيقة العلم الأزلي إلا بهذه العبارة، ولذلك تتشوش العقول دون إدراك ذلك، فهذا معتقدُ قوم اعتقدوا بضع سنين في العلم القديم ما يعتقده الضُّلال حتى هدوا فضلاً من الله، والله تعالى يزيدهم معرفة بعجز عقولهم، فمن طمع أن يحيط علمه وعقله بحقيقة علم كان موجوداً قبل الكون، وقبل القبل، فقد طلب بيض الأنوق، وقد طمع في تناول العيوق، وانخلع بالحقيقة عن غريزة العقل، وبالحري أن يُعَدَّ أمثاله من المجانين. فعقولنا أعجز عن إدراك العلم الأزلي من النمل، بل من الجماد عن إدراك علمنا بدرجات كثيرة، ونسبةِ علمه إلى علمنا كنسبة قدرته إلى قدرتنا التي هي بالحقيقة عاجزة عن إبداع شيء من الأشياء، فضلاً عن إبداع السموات والأرض من لا شيء.

ولما كان العقل يدرك الفرق بين القدرتين، ولا يدرك الفرق بين العلمين من أول وهلة تاه في الحكم ووقع في هذه الأغلوطة، فسبحان من أرسل محمداً ﷺ، وقال عز وجل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[البقرة: ١١٥]

فهذه إشارة صريحة إلى علمه بالجزئيات، منبهة بأن كل موجود له نسبة ما إلى وجهه سبحانه وتعالى، ولولا تلك النسبة لما وُجِدَ، فكل شيء يعانيه لأن وجهه إليه، فافهم.

شعر:

يا من تعالى عن الأفكار معناهُ	**لكن أشارت إليه وهي تخشاهُ**
ناجيت فكري وناجاني به فغدا	**مطهراً عن سواه فهو مأواهُ**
أنا أمثل في فكري أخاطبه	**خلقاً وفي الخلق ما خاطبت إلا هو**

تعليم:

الوجود يريد به هاهنا ما سوى الله تعالى، والقبليةُ والبعديةُ من حوادث الوجود، فلا يقال قبل إيجاده قبل ولا بعد حتى يقال: لو لم يوجد قبل، فإن القبل والبعد عارضان من عوارض المكان، وما سوى الله مبدع له، وهو من جهة المبدع لا نسبة له إليه، وهذا معنى قوله عليه السلام: "كان الله ولم يكن معه شيء وهو الآن على ما كان عليه"، فأزليته حاضرة مع أبديته. وحيث سلطانه فلا موجود غيره، وسبقه للوجود الماضي كسبقه للوجود المستقبل من غير فرق، بل هما كسبقه لما في هذا الطرس.

ونسبة الأزلية إلى الأزمنة كنسبة العلوم إلى الأمكنة، إذ لا توصف العلوم بكونها قريبة من مكان، بعيدة من آخر، بل نسبتها واحدةٌ إلى كل مكان، ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان، ولولا القول بالإبداع لكان الوجود فائضاً عنه. ومن زعم أن كلا القولين واحد، فليس كذلك، إذ لا إبداع إلا لما لم يكن، والمبدع فقير، فالإنسان أبدع له قدرةٌ على الكلام والسكوت، وتكون القدرة موجودةٌ مع عدم على الكلام، لأن ذلك مقرون بالمشيئة، والمشيئة من الإنسان مقرونة بغرض، ولما كان ذو الغرض، وهو الإنسان، فقير إلى غرضه، وقف العقل وانحط على إدراك مشيئته من فاعل قادر لا عبثاً، وهو غنيٌّ

إذ ذاك فوق قوة العقل، وليس في قوته أن يدرك ما ليس في قوته، ومن هاهنا تقدم الأنبياء على العقول، فليتأخر العقل هاهنا وليسجد.

مثال:

كما أن البصر عاجزٌ عن إدراك كثير من الموجودات كالمسموعات والمشمومات مع قدرته على ما خلق قادراً عليه من المبصرات من حيث هو هو، فكذلك العقل يعجز عن إدراك كثير من الموجودات مع قدرته على ما خلق قادراً على إدراكه من حيث هو هو، فلا تغتر، فإن العقل مجبول على التحلي بكل كمال من منع التعرّي عنه، فلا يعترف بالعجز، بل يخوض فيما يجوز، وفيما لا يجوز له الخوض فيه.

برهان على ما تقدم:

العقل عاجز عن إدراك عجزه الحقيقي، وأين هذا من إدراك العلم الأزلي.

زيادة:

اعلم أن جميع الموجودات بالإضافة إلى العرش كالذرة، بل والذرة بالإضافة إلى العرش شيء ما، والموجودات كلها بالإضافة إلى العلم ليست شيئاً أصلاً، فما للعميان والسّؤال عن حقائق الألوان؟

عذر وتفهيم:

قد علمت أن كل ما يدرك العقل بالألفاظ المشار بها إلى الصفات الذاتية فكذلك بعيد عن حقائقها أي بعد وإنما لولا هذه العبارات لتاه العقل وانقطع لأنه في أسر الزمان، وما لم يخلع صورته لا يخرج من ذلك الأسر، فجاءت الأنبياء بما هو فوق طوره، فكأنه إن تبعهم قد خلع صورته في بعض الأمر، وخرج من الأسر ولا يتم له ذلك إلا بالإيمان بالغيب، وهذا هو المراد، لأن شجرة المعرفة هي التي أكل منها آدم، وذلك أنه مال إلى العقل عن الشرع، والذي أغواه بها هواه أكل منها قبله، إذ خالف الأمر بما ظن أنه حق في العقل، فافهمه جيداً.

واعلم أنه لما كانت المعاني جواهر، والألفاظ أصدافها، والحكم معادن والقلوب أهدافها وجب على كل من فتحت اليقظة عين بصيرته وجلت الموعظة عين سريرته أن يتبع من الكلام معانيه ومن الحكم ما يبلغ به أمانيه ولا يقنع من المعدن بدون كنزه، ولا من لفظ إلا بفهم رمزه.

نبوءة:

واعلم أن الإيمان بالنبوءة إيمان بالغيب فإن شبه العقل هذا الغيب بشيء من الحاضر فليس هو هو، فإن حصل لك مثل هذا الإيمان، وإلا فحرام عليك أن تأكل وتشرب أو تنام حتى تعرفه.

وصية:

إذا تجردت عن الصور والجهات، ووقفت معه بالذات، وأحضرك حالك لديه، وغيبك عن سواه إليه، فأصبحت مجاب الدعاء، مكاشفاً بغيب الأرض والسماء، مخاطباً بسائر الأسماء، فلا تدع إلا إياك إليه، ولا تستدل بغيره عليه: نظم:

كـــــن حاضـــــراً فـــــي كـــــل آنٍ دائمـــــاً مستحضـــــراً إيــــاك بـــــين يديـــــه
متجـــــــرداً ممـــــا ســـــواه داعيـــــاً إيـــــاك عنـــــك وعـــــن ســـــواه إليـــــه

احتجاج:

لو جمع بين الواجب والممكن من وجه لجاز عليه الدثور والاضمحلال من ذلك الوجه، لأن الإحاطة بالمعلوم تقضي بتناهيه، والتناهي على الحق الأول محال، فالإحاطة مُحال، ومن علم أمراً من وجه ما لأمن جميع وجوهه فما أحاط به، ولا يمكن أن تنسب إلى الذوات صفات إلا بعد معرفة الذوات، وحينئذٍ تعرف كيفية النسبة، فلهذا لا جائزٌ أن يوصف سبحانه بما لم يصف به نفسه، كما يقال: القديم، وإن جاز عقلاً.

اعلم أن الممكن لا يعلم موجوده إلا من حيث هو لا غير، فنفسه علم، وأما من حيث هو معلول عنه فغير ذلك، ولا يصح أن تكون هذه العلة معلولة لمعلولها، لأن العلم بالشيء يؤذن بالإحاطة به، والفراغ منه كما تقدم. وهذا في ذلك الجناب محال، فالعلم محال، ولا يصح أن يعلم منه، لأنه لا يتبعض، فلم يبق العلم إلا بما يكون منه، وهو أنت، فأنت العالم والمعلوم هاهنا.

فإن قيل: علمنا بليس هو كذا علم به، قلنا: هي نعوتك جردته عنها فتميزت أنت عندك عن ذات مجهولة لك من حيث ما هي معلومة بنفسها.

وما تميزت لك هي، وذلك لعدم الصلات الثبوتية التي لها في نفسها فافهم ما علمت، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت، فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته، فهو هو له لا لك، وأنت أنت لك وله، فأنت مرتبط به، وما هو مرتبط بك، والوجود هو الخير المحض، ومقابله العدم وهو الشر المحض، وله وحدة إطلاق الوجود، ولا لسواه، والضدان لا يجتمعان.

تفهيم وإيضاح وتفهم:

أنت معنى الكون كله، وأول القرب من المكون بعدك عن الكون.

نظم:

أخفيـــــت إذ أظهـــــرت معنـــــى كائنـــــاً مـــــا لـــــم يكـــــن فخفيـــــت فـــــي الإعـــــلان
فـــــإذا أردت ظهـــــور مـــــا أخفيتـــــهُ فـــــاخف الـــــذي أظهرتـــــه فترانـــــي

تم الكتاب

كتاب تهذيب الأخلاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأخلاق المذمومة:

فأما الأخلاق المذمومة، فإنها موجودة في كثير من الناس، كالبخل، والجبن، والظلم، والشر.

فإن هذه العادات غالبة على أكثر الناس، مالكة لهم. بل قلما يوجد في الناس من يخلو من خلق مكروه، ويسلم من جميع العيوب. ولكنهم يتفاضلون في ذلك.

وكذلك في الأخلاق المحمودة، قد تختلف الناس ويتفاضلون إلا أن المجبولين على الأخلاق الجميلة قليلون جداً.

وأما المجبولون على الأخلاق السيئة، فأكثر الناس، لأن الغالب على طبيعة الإنسان الشر. وذلك أن الإنسان إذا استرسل مع طبعه، ولم يستعمل: الفكر، ولا التمييز، ولا الحياء، ولا التحفظ، كان الغالب عليه أخلاق البهائم، لأن الإنسان إنما يتميز عن البهائم بالفكر والتمييز.

فإذا لم يستعملها، كان مشاركاً للبهائم في عاداتها، والشهوات مستولية عليه، والحياء غائب عنه، والغضب يستنفره، والسكينة غير حاضرة له، والحرص والأحقاد ديدنه، والشر لا يفارقه.

فالناس مطبوعون على الأخلاق الردية، منقادون للشهوات الدنية.

ولذلك وقع الافتقار إلى الشرائع والسنن، والسياسات المحمودة، وعظم الانتفاع بالملوك الحسنى السيرة، ليردعوا الظالم عن ظلمه، ويمنعوا الغاصب عن غصبه، ويعاقبوا الفاجر على فجوره، فيقمعوا الجائر حتى يعود إلى الاعتدال في جميع أموره. فالأخلاق المكروهة في طباع الناس. إلا أن فيهم من يتظاهر بها، وينقاد لها، وهم شرار الناس.

وفيهم من ينتبه بجودة الفكر، وقوة التمييز لقبحها، فيأنف منها، ويتصنع لاجتنابها، وذلك يكون عن طبع كريم ونفس شريفة. وفيهم من لا ينتبه لذلك، إلا أنه إذا نبه عليه أحس بقبحه، فربما حمل نفسه على تركه. وفيهم من إذا انتبه لما فيه من النقائص، أو نبه عليها، ورام العدول عنها: تعذر عليه ذلك، ولم يطاوعه طبعه، وإن كان مريداً للعدول عنها مجتهداً في ذلك.

وهذه الطائفة تحتاج أن ترشد إلى طريق التدرب والتعمل للعادات المحمودة، حتى يصير إليها على التدريج. ومن الناس من ينتبه للأخلاق الردية أو ينبه عليها، فلا يحن إلى تجنبها، ولا تسمح نفسه بمفارقتها، بل يؤثر الإصرار عليها، مع علمه برداءتها وقبحها.

وهذه طائفة ليس إلى تهذيبها طريق، إلا بالقهر والتخويف والعقوبة، إن لم يردعها الترهيب.

في الأخلاق المحمودة

فأما الأخلاق المحمودة فإنها وإن كانت في بعض الناس عزيزة، فليست في جميعهم، وإن الباقين قد يمكن أن يصيروا إليها بالتدرب والرياضة، ويترقوا إليها بالاعتياد والألفة. ومع هذا الحال فقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة، ولا الخلق الجميل، وذلك يكون لرداءة جوهره، وخبث عنصره.

وهذه الطائفة من جملة الأشرار، الذين لا يرجى صلاحهم، وكثير من الناس من يقبل كثير من الأخلاق المحمودة، وينبو طبعه عن بعضها وليس يعد هذا شريراً، ولكن رتبته في الخير بحسب محاسنه.

فأما العلة الموجبة لاختلاف الأخلاق، وهي النفس، فللنفس ثلاث قوى، وهي تسمى أيضاً نفوساً، وهي: النفس الشهوانية، والنفس الغضبية، والنفس الناطقة.

وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوى فمنها ما يختص بإحداهن، ومنها ما يشترك فيها قوتان، ومنها ما يشترك فيه القوى الثلاث. ومن هذه القوى ما يكون للإنسان وغيره من الحيوان.

ومنها ما يختص به الإنسان فقط.

في النفس الشهوانية

أما النفس الشهوانية، فهي للإنسان ولسائر الحيوان، وهي التي يكون بها جميع اللذات والشهوات الجسمانية، كالإقدام إلى المآكل والمشارب، والمباضعة. وهذه النفس قوية جداً، متى لم يقهرها الإنسان، ويهذبها ملكته، فاستولت عليه. فإذا هي استولت عليه خسر تهذيبها، وصعب قمعها وتذليلها. فإذا تمكنت هذه النفس من الإنسان وملكته، وانقاد لها كان بالبهائم أشبه من بالناس، لأن أغراضه ومطلوباته وهمته تصير أبداً مصروفة إلى الشهوات واللذات فقط، وهذه عادات البهائم.

ومن يكون بهذه الصفة، يقل حياؤه، ويكثر خرقه، ويستوحش من أهل الفضل ويميل إلى الخلوات وينقبض عن المجالس الحفلة، ويبغض أهل العلم، ويشنأ أهل الورع والنسك، ويود أصحاب الفجور، ويحب الفواحش، ويكثر ذكرها، ويلذ له استماعها، ويسر بمعاشرة السفهاء، ويغلب عليه الهزل، وكثرة اللهو. وقد يصير من هذه حالة إلى الفجور، وارتكاب الفواحش والتعرض للمحظورات.

وربما دعته محبة اللذات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها، وربما حملته نفسه على الغضب والتلصص، والخيانة، وأخذ ما ليس له بحق، فإن اللذات لا تتم إلا بالأموال والأعراض.

فمحب اللذة إذا تعذرت عليه الأموال من وجهها، جسرته شهوته على اكتسابها من غير وجهها. ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحد، فهو أسوأ الناس حالاً، وهو من الأشرار، الذين يخاف خبثهم، ويستوحش منهم، ويستروح إلى البعد عنهم، ويصير واجباً على متولي السياسات قمعهم وتأديبهم، وإبعادهم ونفيهم، حتى لا يختلطوا بالناس، فإن اختلاط من هذه صفته بالناس مضرة لهم،

وخاصة لأحداثهم، فإن الحدث سريع الانطباع، ونفسه مجبولة إلى الميل إلى الشهوات، فإذا شاهد غيره مرتكباً لها، مستحسناً للانهماك فيها، مال هو أيضاً إلى الاقتداء به، وإلى مساعدة لذته.

وأما من ملك نفسه الشهوانية وقهرها، كان ضابطاً لنفسه، عفيفاً في شهواته، محتشماً من الفواحش، متوقياً من المحظورات محمود الطريقة في جميع ما يتعلق باللذات، فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم، وعفة بعضهم، وفجور بعضهم، هو اختلاف أحوال النفس الشهوانية، فإنها إذا كانت مهذبة مؤدبة، كان صاحبها عفيفاً ضابطاً لنفسه، وإذا كانت مهملة مرسلة، مالكة لصاحبها، كان صاحبها فاجراً شريراً. وإذا كانت متوسطة الحال، كانت رتبة صاحبها في العفة كرتبتها في التأدب.

فمن أجل ذلك وجب أن يؤدب الإنسان نفسه الشهوانية، ويهذبها حتى تصير منقادة له، ويكون هو مالكها، فيستعملها في حاجاته التي لا غنى عنها، ويكفها عما لا حاجة له إليه من الشهوات الردية، واللذات الفاحشة.

في النفس الغضبية

وأما النفس الغضبية، فيشترك فيها أيضاً الإنسان وسائر الحيوان. وهي التي يكون بها: الغضب، والجراءة، ومحبة الغلبة.

وهذه النفس أقوى من النفس الشهوانية، وأضر بصاحبها إذا ملكته وانقاد لها. فإن الإنسان إذا انقاد للنفس الغضبية كثر غضبه، وظهر خرقه، واشتد حقده، وعدم حلمه ووقاره، وقويت جراءته، وأسرع عند الغضب، إلى الانتقام والإيقاع بمغضبه، والوثوب على خصومه، فأسرف في العقوبة، وزاد في التشفي فأكثر السب وأفحش فيه. فإذا استمرت هذه العادات بالإنسان كان بالسباع أشبه منه بالناس. وربما حمل قوماً على حمل السلاح. وربما أقدموا على القتل والجراح.

وربما وثبوا بالسلاح على إخوانهم، وأوليائهم، وعبيدهم، وخدمهم عند الغضب من اليسير من الأمور. وربما غضب من هذه حاله، ولم يقدر على الانتقام من خصمه، فيعود بالضرر والسب والألم على نفسه.

فمنهم من يلطم وجهه، وينتف لحيته، ويعض يده، ويسب نفسه، ويذكر عرضه. وأيضاً فإن من تملكه النفس الغضبية يكون محباً للغلبة، متولياً على من آذاه، مقدماً على كل من ناوأه، طالباً للترؤس من غير وجهة.

فإذا لم يتمكن من الرياسة من وجهها، توصل إليها بالحيل الخبيثة، فاستعمل كل ما يمكنه من الشر. وهذه الأفعال تورط صاحبها، وتوقعه في المهاوي والمهالك.

فإن من وثب على الناس، وثبوا عليه، ومن خاصمهم خاصموه، ومن أقدم عليهم أقدموا عليه، ومن تشرر عليهم قصدوه بالشر.

وربما تسفه الإنسان على خصمه، وكان الخصم أسفه منه، فإن ناله بسوء، قابله ذلك بأكثر منه. وقد يغلب على من هذه حاله: الحسد، والحقد، والقحة، واللجاج، والجور. وقد يحمل هؤلاء محبة الغلبة وطلب الرئاسة على اكتساب الأموال من غير وجهها، وأخذها بالغلبة والظلم.

وربما قتلوا على محبة الغلبة من يناوئهم. وربما فعلوا ذلك من غير روية، فيؤول الأمر بهم إلى البوار والاستئصال. فأما من ساس نفسه الغضبية، وأدبها وقمعها: كان رجلاً، حليماً، وقوراً، عادلاً، محمود الطريقة.

فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في غيظهم وسفاهة بعضهم، هو اختلاف أحوال النفس الغضبية. إذا كانت مذللة مقهورة: كان صاحبها حليماً وقوراً. وإذا كانت مهملة، مستولية على صاحبها، كان صاحبها: غضوباً، سفيهاً، غشوماً. وإذا كانت متوسطة، كان صاحبها متوسط الحال، رتبته في الحلم كرتبة نفسه الغضبية، حتى تنقاد له فيملكها ويستعملها في المواضع التي يجب استعمالها فيها.

فإن لهذه النفس فضائل محمودة، وذلك لأن الأنفة من الأمور الدنية، ومحبة الرئاسة الحقيقية، وطلب المراتب العالية، من الأخلاق المحمودة، وهي في أفعال النفس الغضبية.

فإذا ملك هذه بالتأديب والتهذيب، واستعملها في الأمور الجميلة، وكفها عن الأفعال المكروهة، كان حسن الحال، محمود الطريقة.

في النفس الناطقة

وأما النفس الناطقة، وهي التي بها تميز الإنسان من جميع الحيوان. وهي التي بها يكون الذّكر والتمييز، والفهم. وهي التي بها شرف الإنسان وعظمت همته، فأعجب بنفسه.

وهي التي بها يستحسن المحاسن، ويستقبح القبائح، وبها يمكن الإنسان أن يهذب قوتيه الباقيتين، وهما: الشهوانية والغضبية، ويكفهما ويضبطهما وبها يفكر في عواقب الأمور، فيبادر باستدراكها في أوائلها. ولهذه النفس أيضاً فضائل ورذائل.

أما فضائلها فباكتساب العلوم والآداب، وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش، وقهر النفسين الآخرين، وتأديبهما، وسياسة صاحبهما في معاشه ومكسبه ومروءته وتجمله، وحث صاحبها على: فعل الخير، والتودد، والرقة، وسلامة النية، والحلم، والحياء، والنسك، والعفة، وطلب الرئاسة من الوجوه الجميلة.

وأما رذائلها: فالخبث، والحيلة، والخديعة، والملق، والمكر، والحسد، والتشرر، والرياء.

وهذه النفس هي لجميع الناس.

إلا أن منهم من تغلب عليه فضائلها، فيستحسنها ويستعملها. ومنهم من تغلب عليه رذائلها فيألفها ويستمر عليها. ومنهم من يجتمع فيه بعض الفضائل وبعض الرذائل.

وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجية وطبعاً لا بتكلف.

فأما المطبوع على العادات الجميلة، فمنها ما يكون لقوة نفسه الناطقة عنصرياً. وأما المطبوع على العادات المكروهة، فلضعف نفسه الناطقة، وسوء جوهره. وأما الذي يجتمع فيه فضائل ورذائل، فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال.

وقد يكتسب أكثر الناس هذه العادات، وجميع الأخلاق جميلها وقبيحها اكتساباً.

وذلك يكون بحسب منشأ الإنسان، وأخلاق من يحيط به، ويشاهده، ويقرب منه، وبحسب رؤساء وقته، ومن يشار إليه بالنباهة، ويغبط على رتبته فإن الحدث الناشئ يكتسب الأخلاق ممن يكثر ملابسته ومخالطته، ومن أبويه، وأهله وعشيرته.

فإذا كان هؤلاء سيئي الأخلاق مذمومي الطريقة، كان الحدث الناشئ بينهم أيضاً سيء الأخلاق، مكروه العادات.

وإذا لحظ الحدث أيضاً أهل الرئاسة، من فوقه، وغبطهم على مراتبهم: آثر التشبه بهم والتخلق بأخلاقهم.

فإذا كانوا مهذبي الأخلاق حسني السيرة، كان المتشبه بهم حسن الأخلاق مرضي الطريقة. وإن كانوا أشراراً جهالاً خرج الغابط لهم، السالك طريقهم شريراً جاهلاً.

وهذه حال أخلاق أكثر الناس، فإن: الجهل، والشر، والخبث، والشره والحسد، غالب عليهم.

والناس بالطبع: يقتدي بعضهم ببعض، ويحتذي التابع أبداً سيرة المتبوع. وإذا كان الغالب عليهم الشر والجهل، كان واجباً أن لا يقتدي أحداثهم وأولادهم وأتباعهم بهم.

فالعلة الموجبة لاختلاف قوة النفس: اختلاف الناس في سياساتهم وفضائلهم، وغلبة الخير والشر عليهم، من اختلاف قوة النفس الناطقة فيهم إذا كانت خيرة، فاضلة، قاهرة للنفسين الباقيتين، كان صاحبها خيراً عادلاً حسن السيرة، وإذا كانت شريرة، خبيثة مهملة للنفسين الآخريين، كان صاحبها شريراً خبيثاً جاهلاً.

فمن أجل ذلك، وجب أن يعمل الإنسان فكره، ويميز أخلاقه، ويختار منها ما كان جيداً مستحسناً جميلاً، وينفي منها ما كان مستنكراً قبيحاً، ويحمل نفسه على التشبه بالأخيار ويتجنب كل التجنب عادات الأشرار. فإنه إذا فعل ذلك صار بالإنسانية متحققاً، وللرئاسة الذاتية مستحقاً.

تم كتاب تهذيب الأخلاق

كتاب مراتب علوم الوهب

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

قال نفع الله الكافة ببركاته:

الحمد لله منقح الفهوم، وفاتح مغالق العلوم عن السر المكتوم، المنزل في المقام القديم إلى حضرة التعليم بالقدر المعلوم، والقدر المحتوم، فهو الرزق المقسوم، بلسان التفهيم، على قوالب الجسوم، وهياكل الرسوم مساقط النجوم.

فمنها الخالص العميم، ومنها الممزوج بالتسنيم، ومنها ما يصلح للنديم، ومنها ما يودع في الضروع للولي الحميم، والنبي الكريم، ومنها ما تحمله النحل للنظير والقسيم.

أحمده حمد من آمن به وصلى، وسبق ما صلى فهو العرش العظيم، والصلاة على المنعوت بالرؤوف الرحيم، والرسول العلّام الحكيم، والسلام الطيب المبارك الجسيم وعلى آله في الخصوص والعموم.

اعلم أيها السالك بالهمة العليا، ومزاحم الروحانيات العلى أن العلوم وإن كثرت أصنافها بحسب معلوماتها فهي ترجع إلى ضربين:

علوم تنتج.

وعلوم لا تنتج.

- فالعلم الذي ينتج أصلاً فهو العلم بالذات المقدسة، التي تجل وتتعاظم عن الإدراك، بشبكة الأفكار، وشرك العقول والاعتبار. علمنا بها علم عين عليه رداء صون لا يتمثل فينقال، بل هو التنزيه على الإطلاق. لا يتنزه بالسلوب كما لا يتعين بالإضافات، حجابه الألوهية المدركة بالدلائل العقلية، والبراهين الوضعية، فهذا هو الريح العقيم، لا يدل على غير لعدم المناسبة من كل وجه، فهو الواحد بكل معنى ليس له وجوه، ولا يترتب عليه أحكام، فأحرى أن تقوم به صفة، أو يجري عليه لسان غيب.

- وأما العلوم التي تنتج فعلوم الأدلة. تنتج مدلولاتها. وتلك المدلولات أدلة يتوصل بها إلى مدلولات أُخَر. هكذا صاعداً إلى العلم بالإله من كونه إلهاً، لا من كونه ذاتاً، فيصير هذا العلم أيضاً دليلاً على العلم بأسرار الكون، التي لا تستقل العقول بإدراكها، وربما لا تخطر على فكرها، وإن لم تزل عن أحكامها، وإنها من قبيل الإمكان. ولكن لا ينتج هذا العلم الإلهي شيئاً، ولا يكون دليلاً أبداً حتى

يكون للعالم به لساناً، وسمعاً، وبصراً، ويداً، ورجلاً، ومعنى، ورسماً، فيكن العالم به كأنه هو وما هو هو. ومهما لم يتحقق العبد بهذا المقام، فأنى له بدرك الحقائق. والعوائق موانع، والعلائق دوافع. فنسأل الله أن يجعل لنا كل عائقة دليلاً، وكل علاقة برهاناً. ولا يقطعها عنا قبل معرفتنا بوجه الحق منها، فنكون من الجاهلين.

والطريق إلى هذه الحالة ملازمة نوافل الخيرات مطلقاً كما قال الله تعالى في الخبر الصحيح، باللسان المترجم الفصيح:

"ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ..."، الحديث بكماله.

هذا ما تعطيه محبة النوافل المبنية على عبودية الاختيار. فانظر مع هذا الحجاب ما أنتج له من الأسرار، وما تجلى له من خالص الأنوار، فكيف ما تعطيه محبة الفرائض وعبودية الاضطرار. هم أهل السبحات المحرقة، والمقامات المحققة، هم عكس المقام الأول، وفي صورته يكون التنزل، فهم سمع الحق الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي يتكلم به، فيهم يسمع، وبهم يبصر، وبهم يبطش إلى غير ذلك، هذا لسان الخصوص، كما هو لسان العموم في حقه، فيهم يمطر، وبهم يرزق، وبهم ينصر. فهذا مدرك الإيمان وذلك مدرك الأعيان، فلا أمر يتردد بين الردا والمرتدى فيظهر هذا بصورة هذا ويظهر هذا بصورة هذا دوراً مقدساً منزهاً حقيقة في مقامها لا تختل ولا ينحل نظامها. لكن ليست بالغاية فإنها نتائج التكليف. والغاية لا تُنال بالسعايات، وقد تقدم ذكرها، فهذه علوم الإنتاج.

وهي تنقسم إلى أقسام جاءت بها الأمثلة القرآنية، والتشبيهات الفرقانية بلسان النور، فتقررت في الصدور المشروحة، والقلوب المفتحة أبوابها، فإذا نزلت هذه العلوم في الصور المائية. فإذا كان الماء خالصاً فهو العلم العقيم.

وإن كان ممتزجاً أو خالصاً بعد المزج بما طرأ عليه التردد في أطوار الاستحالات فإنه ينتج. فإن كان من الخالص بعد المزج؛ فإنه العلم بالإعادة والنشأة الآخرة، وتمييز طبقات ذلك العالم، كل طبقة على انفرادها مخلصة من المزج والتداخل. فلا يظهر الكافر في صورة المؤمن ولا المؤمن في صورة الكافر، ولا السعيد في صورة الشقي، ولا الشقي في صورة السعيد، ولا الكلب في صورة الإنسان ولا الإنسان في صورة الكلب. بل الكلب كلباً، والإنسان إنساناً ويزول حكم الأوصاف العرضية وتبقى الصفات الذاتية اللازمة متميزة، لا تمتزج بعد بأمر، ولا تظهر في صورة عرضية أبداً، بل يتردد في ذاتها بين لوازمها منها إليها بما عليها في ذاته إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً أبدالاً بدين لا يتناهى أمدها ولا ينقضي، أبدها نعيم محقق وعذاب مطلق، ولا تلتبس الصور على ناظرها ولا يحجب أولها بآخرها. قد ظهرت في العين فلا تبدل ولا تحويل، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[الأحزاب: ٦٢]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[فاطر: ٤٣].

وإن كان من الماء الممزوج بمياه الأنهار والعيون بعد التخليص، فإنه يعطيك العلم بتنزل المعاني الروحانية، المنشأة من القوالب الجسمانية، وهي اللطائف الإنسانية والحيوانية، والملائكة المخلوقون من الأنفاس، فستعرف مراتب هذه الأرواح المدبرة لهذه الأجسام، وكيفية تعلقها بتدبيره، والنظر إليها وكيفية قبضها عنها، وأنه ليس قبضاً كلياً. فإنه لا يصح أن يكون قبضاً كلياً، فإنه نتيجته. فالرابط يمنع من القبض الكلي، ولهذا تكون الإعادة فيها المعبر عنها بالحشر والنشر بذلك الأمر الرابط ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

تسوية إلهية ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾[الفرقان: ٤٥].

نفخة روحانية ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾[الفرقان: ٤٦].

ولم يقل كلياً، ولا يصح فيه القبض الكلي، كما ذكرناه. فإن نشأته تعطي ذلك. فلا بد من ظل الأم السفلية. فهو النور من حيث أبيه. وهو الظل من حيث أمه. فهو الممزوج في ذاته تخليصه عرضي، فلا يثبت إنما هي لوائح، وهجوم، وحالات فناء عن هذه الجسوم، ثم يرجع العود على البدء، ويخرج المخبوء من الخبء، وقد يقبضه قبضاً أقل من ذلك، وهو قبض النوم، فينزهه في عالمه. وهو أوائل الوحي النبوي بها بدئ رسول الله ﷺ، وبها كان أمر الذبح من إبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

والقبض الأعظم هو قبض الفناء المطلق. فيفنى عن ذاته، فيفنى عن ظله.

فيتحقق بالحق للحق في الحق لكنه في ذاته على ظله من حيث ذاته، لا من حيث مشهده فلا يقيم إلا قليلاً، ويسرع بالرجعة إلى قصره، وقسره. فبذلك الضرب من العلم المتنزل في صورة المزج إذا شربه حصل له معرفة هذا النوع من الوجود.

تم كتاب مراتب علوم الوهب

رسالة اللمعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فصل

المعلول: صورة العلة وظاهرها.

والعلة: حقيقة المعلول وباطنه.

لأن المعلول من حيث هو ممكن الوجود، وليس له إلا قبول الوجود، فإذا أوجده العلة فجميع ما يشاهد منه من الكمالات هو أوصاف العلة.

وكمالاته: تجلى في مظهر ماهية المعلول على قدر ما كان قابلاً له، فإذا نظر إلى المعلول من لا يعلم أنه معلول لغيره، أو يعلم و لم يتفطن لكونه معلولاً حال النظر إليه. نسب كمالاته المشاهدة إلى المعلول. ومن تفطن لمعلوليته ونظر إليه حال التفطن يشاهد كمال العلة على الحقيقة. وكان ماهية المعلول من حيث صور المثل هي المرآة المصقولة، فإنه ليس للمرآة سوى استعداد حكاية صورة المحاذي، وكمال العلم بهذا الشخص المحاذي للمرآة.

فمن نظر في المرآة، وغفل عن كونها خالية عن جميع الصور، من حيث ذاتها نسب الصور المرئية فيها إلى كونها صور المرآة.

ومن علم حال المرآة، وخلوها في ذاتها عن الصور، نسبها لا محالة إلى شخص خارج عن المرآة. فاجعل جميع الممكنات وما يرى فيها من الكمالات المحسوسة والمعنوية صوراً لمرايا. بل اجعل جميعها مرآة واحدة لتصير من أهل المشاهدة.

فصل

ثم ارقَ إلى رتبة أعلى من هذه. وهي:

بأن تنتبه لأن مدركَكَ غير خارج عن ذاتك، لأن المدرَك محاط بالمدرِك من حيث إنه مُدرَك. والمدرِك محيط بالمدرَك من حيث إنه مدرِك. ولا شك أن هذه الإحاطة إحاطة علمية والعلم غير منفك عن ذات العالم.

فجميع معلوماتك محاطاً بذاتك محيط به. فإذا كل ما أدركته فهو في ذاتك ظرفية معنوية. فإن ذاتك من عالم المعاني. فلا بد من كونها محيطة بشيء أن يكون لها إحاطة معنوية، فإذا انكشف لك هذا المقام رأيت نفسك محيطة بجميع معلوماتك، وكل ما حضر لك فتصير نفسك المرآة المذكورة.

وهذه مشاهدة أخص من المشاهدة الأولى. فإن كنت تشاهد الموجود الحقيقي قبل هذا في غيرك فالآن تشاهده في ذاتك. وبين الرتبتين مسافة فادحة وبون بعيد.

فصل

ثم فوق هذه المنزلة رتبة أخرى أعلى منها وهي:

بأن تتفطن لإمكان ذاتك، وكونها غير موجودة من حيث هي هي فترفعها من البين فتدرك الأشياء كلها من حيث هي تجليات الحضرة الأحدية فتغفل عن ذاتك من حيث هي هي محل لرؤية الأشياء فيها بل ترى كلها منسوبة من حيث القيام إلى المطلوب الحقيقي، فتبقى أنت مشاهداً للتجليات فقط، فترى الأشياء كلها قائمة بالحق تعالى وتقدس، وترى نفسك متبجحة بمشاهدتها، وإذ تعلم أنها حالات للحق تعالى، فيتأكد المشاهدة غاية التأكيد فيتضح المطلوب وضوحاً يبهر البصيرة.

فصل

ثم إذا أمعنت النظر في هذا المقام، وجدتك غير خارج عن المقام الذي فارقته، وذلك لأنك كنت تجد الأشياء في ذاتك من حيث أنك كنت تدركها، ولهذا النظر كنت تجدها في ذاتك.

وأما الآن فقد قطعت نظرك عن ذاتك من حيث هي محل للأشياء وكون الأشياء قائمة بها، ولكنك في مقام تثبت فيه كونك مدركاً للأشياء فيفيد كونك محلاً لها، وقد بان لك استحالته، فإذاً كونك مدركاً لها يلزمه المحال فيكون محالاً، فيتفصّل في هذا المقام عن كونك مدركاً للأشياء، فيظهر لك أن المدرك في الحقيقة هو الحق تعالى والله أعلم بالصواب.

تمت الرسالة بعون الله تعالى، والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

رسالة في أسرار الذات الإلهية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم إلى يوم الدين.

وبعد: فإن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي هي امتدادها. أعني مدة بقائها غير مضبوطة لأنها من حيث هي كذلك. لا وصف لها ولا اسم ولا رسم. فهي في عماء كما جاء في الحديث. إذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه ما لم تتعين بصفة.

وأول التعينات علمها بذاتها. فهذه الصفة تَنزُّلها من الحضرة الأحدية التي لا نعت لها، إلى الحضرة الواحدية التي هي حضرة الأسماء والصفات وتسمى الحضرة الإلهية وهذه الحضرة أثبتت للحضرة الأولى أزلية الآزال بهذه النسبة الاعتبارية بين الذات الأحدية وصفاتها. إذ لا تعقل النسبة إلا بعد اعتبار الإثنينية. وسميت تلك النسبة السرمد، وتحققت بهذه النسبة أزلية الآزال أعني: تقدم الأحدية على الواحدية.

والواحدية هي الحضرة التي لأزليتها أول، وهي أزلية الآزال وذلك ابتداء السنة السرمدية. وقد اقتضت الحضرة الإلهية، بهذه النسبة حقائق الأعيان بحكم العالمية فتحدث لها بحدوث الأعيان نسبٌ أُخرْ، بين الحقيقة الأولى وتلك الأعيان.

كقادريته على إيجادها ومشيئته لها، والتكلم إياها بخطاب ﴿كُن﴾[البقرة: ١١٧] والسميعية لدعائها بطلب الإيجاد على الوجه الذي عينته المشيئة المسماة بالعناية الأولى البصيرية بشهودها على تلك الصفات المتباينة. والعالمية تحكم على الذات بالحياة فجعلت هذه السبع مع الذات أئمة الأسماء لأنها أسماء أولية متقدمة على سائرها.

وفي الحقيقة صفة العالمية تقتضي أن الاسم "العالم" إمام الأئمة السبعة. لتحقيق تقدم العلم على الإرادة وسائرها سوى الحياة المصححة للعلم. لكن الحي وإن تقدم بالوجود لا يستحق الإمامة لتقدم العالم بالشرف. فإن الحياة لا تظهر إلا بالعلم والإدراك فهي كالشرط والاستعدادية.

ولما كانت هذه الصفات السبع أموراً اعتبارية مقتضية لربوبية الرب المطلق لجميع الأشياء بواسطتها. وكانت أزليات هذه الأسماء متقدمة على أزلية الربوبية مطلقاً. فحضرة الربوبية متأخرة عن الحضرة الإلهية تأخرها عن حضرة الذات.

فأزلية الآزال هي الأولية المطلقة التي لا تعدد فيها. وأزلية الإلهية متعددة بتعدد الأسماء. والأسماء لا تحصر كثرتها. لكنها مع تناميها تنحصر في السبعة لأنها جزئياتها وفروعها المتشعبة منها فلا تخرج عن إحاطتها فلكلّ من السبعة حضرة من حضرات الأسماء فيها طائفة من هذه الأسماء الغير المتناهية.

فتحت كل اسم منها أسماء غير متناهية يتوسط بين الذات ومربوباتها في الربوبية بالأفعال. فحضرات الأسماء تنحصر في هذه السبعة كلها سابقة على حضرة الربوبية.

والحضرة الربوبية هي التي: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن: ٢٩] فالامتداد الأول أي امتداد بقاء الأحدية من أزل الآزال إلى أبد الآباد ليس فيه نسبة ولا قسمة، وهو عند اعتبار التعينات الوصفية ينفصل إلى الامتدادات الأسمائية، والأسمائية إلى الامتدادات الربوبية.

وتسمى الدهر ونظيرها في الزمان امتداد الدور الفلكي. فإنه إذا اعتبرت الحركة الأولى وامتداد مقدارها الذي هو الزمان المطلق. مع قطع النظر عما تحتها لم يكن لها ابتداء ولا انتهاء ولا قسمة.

فإذا اعتبرت محاذاة الشمس لنقطة منها أي نقطة كانت ابتدأت السنة التي كل دورة فيها وصول الشمس إلى تلك النقطة بحركتها التي تحتها نقطع بها أجزاء فلك البروج. وينفصل الامتداد بها إلى السنين وتنفصل السنة باعتبار قطعها للبروج إلى الشهور. والشهور باعتبار وصولها إلى النقطة الأولى بالحركة اليومية إلى الأيام والأيام إلى الساعات. والساعات إلى الدقائق والدقائق إلى الثواني ثم إلى الثوالث حتى الآن. وهو في الزمان منزل النقطة الهندسية من الخط ويفسر بالزمان الحاضر وهو أقصر من الزمان وهو الذي لا ينقسم من غاية الصغر إلا في الوهم.

وقد تطلق الأيام على كل واحد من الأجزاء مجازاً باعتبار أنه حيز محدود في الزمان. فأقصر الأيام هو الآن. وأطولها بحسب الزمان هو السنة.

ولا شك أن الأقل عاد فالأكثر عدا الواحد للأعداد والأكثر متعدد بالأقل. تقدر المائة بالعشرات. وكما أن الساعات تقدر الأيام والأيام الشهور والشهور السنين والسنون مطلق الزمان. فكذلك الزمان الذي هو أقصر الامتدادات الأزلية يقدر الباقون أي الدهر والسرمد.

ولنرجع إلى المقصود فنقول: إن الله يقتضي الربوبية بأسمائه. والأسماء لدوام تأثيرها تقتضي وسائط في ربوبيتها لما في هذا العالم وهي الأثيريات. فاقتضى الأئمة الكواكب السبعة السيارة مع أفلاكها وجعلتها الرؤساء والسادة في تدبير أمور الدنيا. وسخرها بأمر الله تعالى.

كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾[النحل: ١٢].

أي الأمر الواحد الإلهي في قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾[القمر: ٥٠].

أي سخرها على التدابير الجارية في هذا العالم التي هي الشؤون الإلهية في أيام الدنيا. كما أشار إليه في قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن: ٢٩].

ولما كانت أيام الدهر أيام الربوبية الممتدة مرآها أزلية الحضرة الإلهية. إلى أزلية الربوبية ويمتد الربوبية إلى انتهاء التغيرات الزمانية. كانت أيام الدهر أطول من الزمانيات التي هي امتدادات منحصرة في امتداد مقدار الحركة الأولى أعني: الزمان فيتقدر بالمقاييس الزمانية مقدراً بالعدد التام منها وهو الألف. فكل يوم منها ألف سنة. وهي أيام الربوبية وأيام التدبير، كما أشار إليه في قوله: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[الحج: ٤٧].

وهو يوم الرب المدبر الذي وقّت به العذاب وإنجاز الوعد. في قوله: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[الحج: ٤٧]

والتدبير في قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[السجدة: ٥]، والسموات سبع على مقتضى الأئمة السبعة كان مقدار الدنيا سبعة. من تلك الأيام أسبوعاً واحداً. لكل رئيس دور تام في الأدوار الزمانية. ومن هذا ينكشف من انشقاق القمر وختم النبوة، فإن ظهوره ﷺ في اليوم الآخر الذي هو جمعه الأسبوع

المذكور كظهور آدم عليه السلام في اليوم الأول. وسر قيام الساعة بانقضاء اليوم السابع الذي نحن فيه. وسر تعظيم الجمعة في الشرع المحمدي. ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن استقامت فلها يوم وإن لم تستقم فلها نصف يوم".

وفي الحديث بشارة لنا بالاستقامة حيث جاوزنا النصف.

ولما كانت أيام الآخرة أيام الألوهية الممتدة من ابتداء أزلية الآزال إلى انتهاء الربوبيات الأسمائية كانت أطول من أيام الربوبية. فتقدر بالمقاييس التي هي أيام الربوبية.

والربوبية تحصل بأي اسم كان. وأما الألوهية فلا تتم إلا بالأئمة السبعة. فالربوبية في الحقيقة سُبْعُ الألوهية. فأيام الدنيا سُبع أيام الآخرة. وهي الحاصلة من ضرب أيام الدنيا في عدد الأئمة السبعة. فيكون تسعة وأربعين ألف سنة. وينتهي الأمر فيها إلى الله العلي ذي المعارج الأسمائية العُلى. وبانقضائها في اليوم التالي لهذه المدة من أيام الربوبية. ينتهي المعارج كلها إلى الفناء في الذات. فيتم الخمسون ويتحقق معنى قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

فإن انقضاء التسعة والأربعين واحدة إنما تكون بالخمسين وهو يوم القيامة الكبرى فاصبر صبراً جميلاً إن كنت من أهل هذه القيامة. وإذا كان طول هذا اليوم خمسين ألف سنة. كانت القيامة الصغرى أول موطن من مواطنها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: "من مات فقد قامت قيامته". وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "القبر أول منزل من منازل الآخرة".

والوسطى هي أوسط مواطنها. وفيه مواطن مختلفة، وأحوال لأهلها متباينة كموطن الجمع وموطن الفصل وموطن فيه: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] وموطن يقال فيه: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] وموطن فيه: ﴿تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] وآخر فيه: ﴿يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥].

وإذا تحققت الحضرات الثلاث وامتداداتها تحقق معنى قول من قال: (أنا أقل من ربي بسنتين).

وإن من امتداد أول التعينات ابتدأت السنة، التي كل يوم منها ألف سنة. وكما أن كل أسبوع من هذه السنة سبعة آلاف سنة، وكل شهر ثلاثون ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون ألف سنة. فكل أسبوع من السنة الأولى ثلاثمائة ألف وخمسون ألف سنة. وكل شهر ألف وخمسمائة ألف سنة.

وكل سنة ثمانية عشر ألف عام. وهي الأحقاب المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣].

ومن ترقى إلى الحضرة الواحدية خرج من أيام الربوبية إلى الأيام الإلهية في السنة السرمدية. ومن بلغ الحضرة الأحدية جعل تحت قدمه الأوقات العددية. وكان وقته واحداً. وكان عن كل رتبة صاعداً.

والله الباقي بعد الخلق. وذلك يوم الحق.

تم بعون الله الوهاب والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

نسخة الحق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد

فإن الله تعالى لما أوجد العالم أوجده على ثلاثة أنواع من الإيجاد.

-فنوعٌ أوجده بكُن لا غير، وهو أكثر العالم.

-ونوعٌ أوجده بكُن واليد الواحدة كجنة عدن، والقلم، وكتبة التوراة وغير ذلك.

-ونوعٌ أوجده بكن ويديه، وهو الإنسان خاصة ولذلك خرج على الصورة كما قال عليه السلام: "إن الله خلق آدم على صورته".

فلما أبدع تركيب جسده من كل حقيقة في عالم الكون المركب وحطت فيه قوى عالم الأفلاك والأركان وليستعد لقبول الفيض الروحاني نفخ فيه الروح فنطق بالثناء والحمد لله، ولكن بعدما انتشر فيه النور وخرق مسالك ظلمته فعطس فحمد الله فقال الله: "يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك".

فسبقت رحمته به غضبه. أي نتيجة الغضب بخروجه من الجوار الأدنى إلى الجوار الأقصى، من عالم الراحة إلى عالم المكابدة والمجاهدة والاستحالات الردية، وجمع له بين يديه تشريفاً وابتلاءً ولهذا قال تعالى تنبيهاً على التشريف: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥].

فأول مقام حصل فيه مقام الأعراف ومنزل الوسط وقيل له: مهما ملت إلى جانب ووفّيته نقصت الآخر ولا يصح لك المشي على حكم الوسط لأنك خلقت للإنتاج فرياحك لواقح فلا بد من الميل. فإن كنت فلابد مسائلاً فهذا تبيين لك لأي الجانبين تميل. فأبرز له الأنوار على الجانب الأيسر وأبرز له الظُّلَم على الجانب الأيمن. وقال في الأيمن: هذا صراط ربك مستقيماً. فإن دخلت في هذه الظُّلَم فستحصل أقصى ما يكون من الأسرار والحكم. هذه الظلمة هي غيب الغيب وحضرة إلهية والجلال لا تسلك أبداً إلا بنور السالك. فإن كان السالك ذا نور دخل ومشى قدر ما تعطيه قوته ثم يرجع إلى موقفه وقد حصل من المعارف المشهدية مالا يعرفه إلا هو خاصة، وتنبعث من هذه الظلمة ريح شديدة تطفي سرج الأفكار فلا يدخل فيها ذو فكر أبداً.

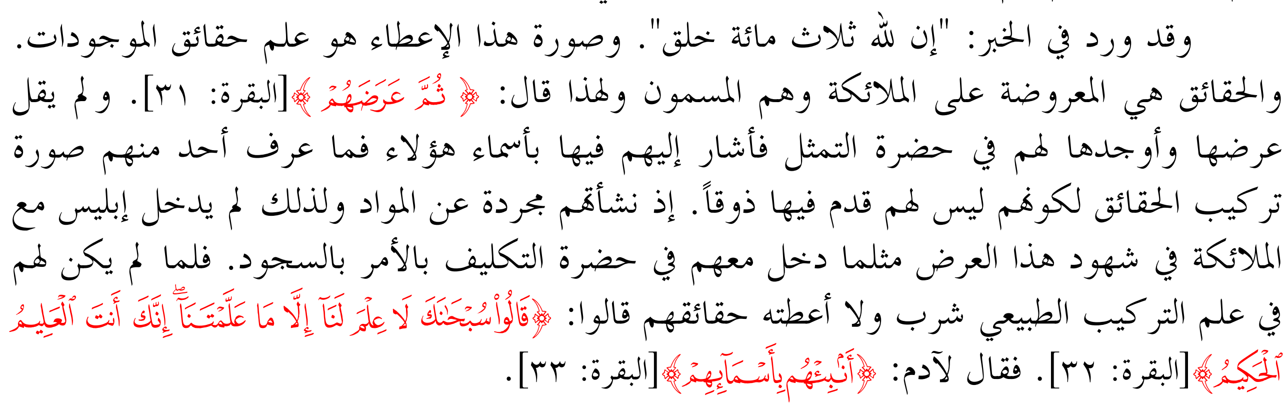
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذاته".

وقد ذكرنا في غير ما موضع من كتبنا، لما منع من التفكر في الذات وكذلك كل مالا يستقل العقل بإدراكه بهذه المثابة. ثم قيل للإنسان وهذه الأنوار على الجانب الأيسر أنوار الهداية يبصر بها طريق النجاة من طريق الهلاك، وهو قوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٣]، ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠].

فإذا مشى الإنسان على يساره فإنه لا يمشي حتى لا يستقبله. فإذا استقبله رجعت الأنوار على يمينه فرأى انفهاقها من الجانب الأيمن، ويرتمي لها شعاع على الجانب الأيسر فتعاين ما بين الجانبين من التفاوت. وغاية كل جانب. فلتسلك الوسط هنا ولابد. ولا تميل لأحد الجانبين فإن الميل إلى الجانب

الأيمن يرمي بسالكه في بحر البهت والسكون فيخسر عمره فتنقص مرتبته عن مرتبة غيره. فإن دار التكليف والترقي بالأعمال إذا لم يعمل فيها الإنسان ما يليق بها لم يجنِ ثمرة. أي لم يغرس ما يجني وأنف من ذلك رجال الله.

والميل أيضاً إلى الجانب الأيسر يلقيه في بحر التلف وهلاك الأبد والنجاة في ثبوتك على الطريق الوسطى من غير ميل إلى أحد الجانبين. وهذا هو الطريق الذي قال فيه رسول الله ﷺ وخط بيده في الأرض، وخط خطوطاً عن يمين الخط ويساره هكذا: (الشكل)



وتلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣].

ولما أُنشأَ الإنسان الأول هذه النشأة، ونفخ فيه الروح كانت نشأته أكشف النشآت الإنسانية، فأعطي علم الأسماء في أصل نشأته. جُبل على ذلك، ولو ترك حتى يعرفها بطريق الكسب من باب المجاهدات والرياضات لم يصل إلى ذلك إلا بعد قطع ثلاث مائة قاطع، والذين هم اليوم على قلب آدم هم ثلاث مائة لثلاث مائة خلق إلهي.

وقد ورد في الخبر: "إن لله ثلاث مائة خلق". وصورة هذا الإعطاء هو علم حقائق الموجودات. والحقائق هي المعروضة على الملائكة وهم المسمون ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾[البقرة: ٣١]. و لم يقل عرضها وأوجدها لهم في حضرة التمثل فأشار إليهم فيها بأسماء هؤلاء فما عرف أحد منهم صورة تركيب الحقائق لكونهم ليس لهم قدم فيها ذوقاً. إذ نشأتهم مجردة عن المواد ولذلك لم يدخل إبليس مع الملائكة في شهود هذا العرض مثلما دخل معهم في حضرة التكليف بالأمر بالسجود. فلما لم يكن لهم في علم التركيب الطبيعي شرب ولا أعطته حقائقهم قالوا: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢]. فقال لآدم: ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾[البقرة: ٣٣].

فأخذ حقيقة الجسم وحقيقة التغذي وحقيقة الحس وحقيقة النطق.

فقال هذا الإنسان وأزال حقيقة النطق وركب على ما بقي حقيقة الصهيل فقال: هذا فرس. وهكذا في جميع الحقائق فعلمهم صفات الاشتراك والصفات التي بها يتميز كل نوع عن نوع آخر. وذلك لأنهم من عالم الحل والتركيب وهذا صادر من تركيبات النسب الإلهية من هناك صدرت. وكذلك النسب الروحانية، والوجوه وترتيب التركيبات في الأولاد مشهد من ترتيب الموجودات الأمهات وكما وقع التولد عن ذلك الترتيب كذلك وقع التوالد هنا فرجعت الملائكة بعد قبولها لهذا العلم الآدمي فوجدت أنفسها على ضرب من التركيب في ترتيب وجوهها ونسبها وتوقف بعض وجوهها على بعض فعلمت أنها بذلك الأمر قبلت تعليم هذا الصنف من المعارف لكن لما كان الأغلب عليها كونها بسائط كان الحكم للأغلب فلم يعرف التركيب، ولما كان الأغلب على النشأة الإنسانية التركيب الطبيعي كان الحكم للأغلب فكان له التأييد في تركيب الحقائق وذلك من الاسمين المدبّر والمفصّل اللذين هما من رؤساء الأسماء.

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[يونس: ٣] هو عالم الأرواح.﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾[يونس: ٥] في عالم الجسوم.

فقد جمع الإنسان في حقيقته بين العلمين:

العلم الضروري: وبه يشارك الملائكة. والعلم النظري وبه تميّز عنهم.

ومما تميز الإنسان عنهم به أيضاً بتصور المعلومات ذوات الصور وليس للروحانيين من هذا التصور شيء، وإن كان لهم العلم.

وهذا كله راجع إلى اختلاف النشأة، وكذلك إذا وقفت يا وليّ على نشأة هذه الجسوم على طبقاتها كما ذكرناه في كتاب "الجسوم الإنسانية".

وإنما هي خمسة أنواع يعطي كل نوع منها ما لا يعطيه الآخر وهو جسم آدم، وجسم حواء، وجسم عيسى عليه السلام وأجسام بني آدم، والأجسام المدركة للمتصور في عالم الخيال والتمثل، وأجسام التعفين إذا اتفق أن يعطي نشأة الإنسان من جنس آدم عليه السلام. والتعفين المشروط فإنه قد جاء في الخبر: "إن الله قد خمّر طينة آدم".

والخميرة: هي تعفين العجين ليغلب عليه الجزء الهيولاني وهو الحرارة والرطوبة، وهو طبع الحياة، فانظر هذا الفصل في ذلك الكتاب نظر منصف مستفيد، ثم لتعلم أن قول الصوفي في الفلك إنه يدور بأنفاس العالم. يريد العالم المتنفس أي علة دورانه وجود الأنفاس. أي عند دورانه يحدث الله الأنفاس. فإذا لم يبقَ فيه حركة تعطي نفساً في متنفس لم يعطِ حياة، وإذا لم يعط حياة فقد ذهبت الحياة منه، وإذا ذهبت الحياة عنه لم يبقَ له شوق وإذا لم يبقَ له شوق لم تكن له حركة وإذا لم تكن له حركة انفطرت الكرة وذهب العالم العنصري بأجمعه. وقد ذكر هذه المسألة "أبو طالب" وما فسرها في باب الأوقات. فهذا نوع واحد من الأنواع التي يقال من أجلها إن الفلك يدور بأنفاس العالم.

وميثاق آخر في ذلك وهو أن الفلك لما دار أعطى المولدات ابتداء في أول دورانه وعدد دورانه بعدد الأنفاس الكائنة في المولدات فهو يدور بعدد ذلك فإذا انتهى انخرم النظام وانتقل العمارة إلى الآخر بالحركة العظمى المحيطة التي قد يشاء الحق أن لا تنخرم أبداً شرعاً وحكماً، ولذلك لا ينخرم العالم انخرام عدم، وإنما انخرامة انخرام انتقال وتحول وتبدل. فصور تخلع من الجوهر وصور تخلع عليه وبتلك الدورة الكبرى يبقى العالم في البرزخ وفي الدار الآخرة أبد الآبدين لا يزول ولا يفنى، واستمداده من حضرة الديمومية وبهذا يتعشق وهي المبقية لعينه، ولهذا كانت حركات العالم شوقية كلها من أجل التجلي على البعد الذي ظهر للعالم فانزعجت الأرواح للحوق بذلك المحل الأشرف انزعاجاً روحانياً مقدساً فانزعجت الهياكل من عالم التركيب لانزعاج الأرواح فظهرت الحركات في الأجسام لقبول الجسم للحركة ولطول المدى عرضت الآفات في الطريق للكل بتجلي صور الأعراض لهم فاختلفت المقاصد بعدما كان الأمر واحداً، وبقي الشوق على وحدانيته فما في الوجود حركة إلا شوقية وإن اختلف المشوق إليه بحكم الصور وإن كانت العين واحدة فيظهر بصورة اللذة، وصورة النجاة والنور، وصورة الجمال الأثري الهارب من الموت يتخيل أن حركته حركة خوفية وهي حركة شوقية إلى صورة بقاء الحياة لا إلى الحياة فإنه ملبوس بها فإن الحركة ليس سببها إلا ما هي إليه نهايتها لا ما هي منه بدايتها فإن الفراق يناقض الاشتياق.

والشوق طلب الوصلة بالمشوق إليه فالحركة له لا لغيره. وهذا الباب وهذه الحضرة عجيبة ذكرناها في غير هذا الكتاب على ما يعطيه التحقيق في الأمور. فافهم.

وأما كونه أن جعل خليفة في الأرض، دون السماء، ودون الجنة والنار فلما يذكره. وذلك أن الأرض محل الجمع ومنزل المزج والاختلاط. فهي الجامعة لأصناف الموجودات المختلفات والمتضادات من أهل المخالفة والموافقة. عالم الرحمة وعالم الغضب وعالم القهر وعالم العفو وعالم الذلة وعالم العز وعالم الفقر وعالم الغنى وعالم الحق وعالم الدعاء وعالم الخلق وعالم الأمر وعالم الجن وعالم الشياطين إلى غير ذلك من العوالم فهي الدار الجامعة، والحضرة الشاملة بجميع ما أعطته جميع الأسماء والخليفة من حيث ما هو خليفة لابد أن يظهر بصورة المستخلف له. ولهذا قال: "إن الله خلق آدم على صورته" وجمع له بين يديه لما أنشأه ليكون قوياً في سلطانه بتأمل جبلته حيث ظهرت عن اليدين ثم إنه حصل علم الأسماء بحقيقته أيضاً فلم تتعين خلافة في العالم إلا له. فالإنسان الكامل هو حاجب الحق في عالمه والنائب عنه فيهم فيصرف فيهم أسماءه بحسب ما يعطيه المحكوم عليه، فهو يتجلى للعالم في صورة مختلفة.

فتارة يظهر في صورة العزيز وهو ظهور ذاتي له شامل وتارة في صورة الرحمة وتارة في صورة الشدة والقوة، وتارة في صورة الانتقام والقهر، وتارة في صورة المغفرة والحلم وفي صورة العفو، وفي صورة اللطف، وفي صورة الفرح، وفي صورة التعجب، وفي صورة البشاشة.

والمقصود أن الحضرة الجامعة الشاملة لجميع الأسماء الإلهية كما هو جامع بحقائق الأكوان كلها. فبجمعيته لحقائق الأكوان يعرف مصادر الأكوان ومواردها، وكيفيات حركاها وسكناها، وأنفاسها وما يكون لها ومنها لأنها هو وهو هي.

ولجمعية الأسماء الإلهية كان له الحكم عليها والتصرف فيها وكان لها الانقياد إليه والالتفات لجنابه كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾[الجاثية: ١٣] فقوله: "منه" من جهة الأسماء ولم يوجد هذا الأمر في غير الأرض. فإن السموات العلى عالم تقديس وتنزيه لا عالم تدنيس وتشويش. وعالم دار الجنة عالم سعادة وكشف. وعالم دار النار دار شقاوة وحجاب. وعالم البرزخ عالم مثال لا عالم حقيقة، وما ثم محل آخر أصلاً إلا دار الدنيا. فإن الأرواح المفارقة لا تصلح لعالم الأجسام ولا يظهر كمال الأسماء إلا بالروحانيات والجسمانيات فلا بد من السطوتين، ولا بد من الرحمتين. ففيهما كمال الوجود من حيث الخلافة. فلابد من الأرض أن تكون مسكن الخليفة إلى أن يخلع هذه الخلعة، وينزل عن كرسي النيابة ويتولى الحق تعالى عباده على الكشف منهم لذلك.

فلهذا كان جعله خليفة في الأرض دون السماء. وأما إطاعة الملائكة الله والامتثال للأمر بالسجود دون إبليس وقد شمله الخطاب معهم بعد قولهم فيه ما جاء به نص القرآن في قوله: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾[البقرة: ٣٠]

لكونهم رأوه مركباً من الأضداد ولا بد للضد أن ينازع ضده فقالوا حقاً ونطقوا صدقاً، وكذا وقع في الأمر في عالم الأنس لكن غاب عنهم سر القتل المشروع والفساد المشروع من غير المشروع والصورة واحدة والحكم مختلف من أجل الوضع ومن أجل النزول الحق. ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾[البقرة: ٢٥] في الصورة، فإذا ذاقوا عرفوا الفرق والميز. وما حجب القلب عن دركه سواك فحكموا بما تعطيه النشأة وغابوا عن الاختصاص، وظهر ما قالوه من الفساد في الأرض وسفك الدماء على يدي هذه النشأة. فلما صحت لهم التلمذة وصحت لهم الشيخوخة والأستاذية عليهم دون إبليس حيث لم يحضر

معهم هذا الموطن كان هذا من الأسباب المعينة لسرعة الامتثال عند ورود الأمر بالسجود له، ولأن حقائقهم لا تعطي المنازعة والمخالفة، ولذا ربما سموا عالم الأمر، وليس عندهم نهي أصلاً حتى لا تختلف الكلمة فيهم. فهم الأمر المحض والخبر المحض وهم في اللذة المحضة، خلقوا في مقاماتهم المعلومة فلم يكن لهم نزق فإن في النزقي تشوش ومكابدة فهم المصونون فلم يكن مانع يمنعهم من المبادرة لامتثال الأمر ولم يكن أيضاً هذا المأمور له بالسجود من جنسهم كما قال تعالى: ﴿لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٥]، وقال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ [الأنعام: ١٠] يعني الرسول.

فلا يكبر على غير الجنس خدمة من ليس من جنسه فإنه ليس فيه حظ في مرتبته وعلى قدر ما يقرب المشاركة في الجنسية تقع الإباية والحسد. هذا هو المعروف من الحقائق فيما يعطيه عالم الأمشاج والظُّلَم. فاجتمع لإبليس أمرين:

- الواحد: أنه لم يحضر موطن التعليم فيلزمه الخبر به بحكم العلم.
- وهو في الجنس لأنه من العالم العنصري وإن كان الغالب عليه النار وغلب ناره على نوره. فإن له في التوراة صورة من حيث النفخ الشامل له ولغيره من عالم العناصر. كما أن آدم في العالم العنصري وإن كان الغالب عليه الطين فنوره غالب على طينه. فكان العالم المطيع. فلهذا القرب النسبي والجنسية وقعت الإباية والحسد. وأخذ يفضل بعض العناصر على بعض ولا مفاضلة فيها أَلْبَتَّة من حيث الذات لأن كل ذات على حقيقتها وإن كان بينهما الأمر الجامع وهي اليبوسة ولكن لما لم يجعله تراباً وجعله طيناً وهو امتزاج الماء بالتراب. نظر إلى عنصر الماء الذي هو نقيض ما افتخر به فأخذ يصادمه مصادمة الضد. فلهذا وقعت الإباية منه، ولحق بالآخرين إلى يوم الدين فهو العدو بالطبع الناصح بالعَرَض. فانظروا يا إخواننا ما لشرف الإنسان.

وأما المخالفة التي وقعت من هذا الخليفة فلم تقع منه من حيث ذاته، ولا من حيث مرتبته. وإنما وقعت من حيث أنه كان حاملاً للموافق وللمخالف، وقبضه جامع للطائع والعاصي فتحرك النسب المخالف منه بالمخالفة لأن الجنة ليست موطنه فهو يتضرر بها كما يتضرر رياح الورد بالجعل فكانت سبباً لخلافته وتميز القبضتين منه في دار المزج فانقلب فريق السعادة إلى الجنة وفريق الشقاوة إلى النار حتى لو رام أهل النار الذين هم أهلها أن يدخلوا الجنة ما استطاعوا ولسارعوا على النار مسارعة الحديد إلى المغناطيس وكذلك أهل الجنة وهذا لا يعرفه إلا طائفتنا لا غير.

وقد أشار النبي ﷺ إشارة لطيفة إلى ذلك علمها من علمها: "إنكم لتقحَّمون في النار وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تائبون". وأخبرنا ثقات أن ببلاد اليمن طائفة يسمون أولاد أم عيسى إذا عاينوا الضبع لا يتملكون أن يرموا أنفسهم عليه حتى يأكلهم.

ورأيت من صلاحهم بمكة رجلاً وهو انزعاج يقتضيه طبعهم المناسب المنجذب إليه كذلك أصحاب النار. فافهموا فإن الأسرار لا تحتمل فوق هذا الكشف رتبة فكانت مخالفة حكمة لنهي حكمة، لا مخالفة حكم لنهي حكم.

وانتهى الغرض بمنّه. والله يتولانا وإياكم بما يتولى به عباده الصالحين

رسالة كشف الستر لأهل السر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القيوم السرمد، الأول والآخر، والباطن والظاهر، وهو بكل شيء عليم، وسع كل شيء برحمته، ودبّر كل شيء بحكمته، وخلق (آدم) على صورته، وأسجد له ملائكته، والصلاة والسلام الأبديان السرمديان على سيدنا (محمد)، أكمل المظاهر الإلهية، وأجمع البرازخ الإنسانية، وعلى آله وصحبه وورثته وأولادهم، أهل المراتب العرفانية والمناصب التوحيدية.

أما بعد: فلما فتح لنا الحق سبحانه أبواب الحقيقة، بعد أن منحنا أسباب الطريقة، وهدانا لكشف أسرار التوحيد، ولكل مسترشد سعيد، فكشفتُ في هذا المختصر، لمن شرح الله صدره ووسّع قلبه وأشهده سر قوله: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"، ولذلك أشار سيدنا علي كرّم الله وجهه، حيث قال: "من عرف نفسه فقد عرف ربه فقد أحبه، ومن أحبه الحق فقد جذبه، ومن جذبه فقد قرّبه، ومن قرّبه أفناه عن وجوده، وأبقاه بشهوده، ومنحه كمال مشهوده وأطلعه على حقائق جوده".

وسميتها بكشف الستر لأهل السر، مستمداً من الله هداية طريقه، وبيان الحق بتحقيقه، إنه بمقاصدنا ولي كفيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، اعلم أيها المسترشد السعيد أرشدنا الله وإياك إلى الصراط الحميد، أنّ من أراد الخوض في بحر التوحيد، والعبور على قنطرة التفريد، لا بد له من التحقق بالفناء، إما بالذوق الصحيح الحالي، أو بالكشف الصريح العالي، ومن لم يكن له قدم صدق في الفناء، لم يجز له أن يحوم حول هذا الفناء، ومن توجه بغير دليل إلى الحمى، لم يزدد إلا ضلالاً وعمى، وقال:

متى ما شئتَ تطلب دار ليلى ... بغير طريقها وقع الضلال
ومرآة البصيرة كيف يبدو ... بها شيء وما حصل الصقالُ

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨] لأن لكل مقصد سبيلاً، ولكل وجه مولياً ودليلاً، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الفناء هو اضمحلال ما سوى الحق سبحانه وتعالى، وذلك بأن لا ترى موجوداً غيره، ولا وجوداً إلا له وما سواه هالك، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ۝٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦]، فيتحقق لك عدمك الأزلي، فتكون لله كما لم تكن، فيكون لك كما لم يزل، ولا ترى الكون إلا خيالاً، لا حقيقة له في نفسه، وإنما حقيقته الحق، ووجوده من حيث هو هو، مع عدم الإطلاق والتقيد، وجود الحق سبحانه وتعالى:

هذا الوجود وإن تكثر ظاهراً ... وحياتكم ما فيه إلا أنتمُ
أنتم حقيقة كل موجود بدا ... ووجود هذي الكائنات توهمُ

إنمـــــــا الكـــــــون خيـــــــال وهـــــو حـــــق فـــــي الحقيقـــــة
والـــــــذي يفهـــــــم هـــــــذا حـــــاز أســـــرار الطريقـــــة

وبعد تمهيد هذه المقدمة نشرع في المقصود، والله يبلغ المقصود؛ لأنه هو المقصود الموجود المعبود.
اعلم أرشدنا الله وإياك أن من تحقق بمعرفة نفسه، فقد تحقق بمعرفة ربه، والتحقق بمعرفة النفس، هو أن يحقق الله سبحانه للعبد المؤمن، والإنسان الكامل، الوارث للخلافة الإلهية من معدن الرسالة المحمدية، أنّه مخلوق على صورته، وهو (آدم) عصره ووقته، لقوله عليه الصلاة والسلام: "إنّ الله خلق آدم على صورته"، وفي رواية: على صورة الرحمن، وجاء في أول التوارة "نريد أن نخلق إنساناً على مثالنا وشكلنا وصورتنا"، أو كما قال سبحانه.

ولما صحت الخلافة للإنسان الكامل، أراه إنشاء صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وصورته الباطنة على صورته تعالى ولذلك قال تعالى: "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به"، ولم يقل: كنت أذنه وعينه وحيث أوردنا هذه الكلمات وجب أن نبيّن معنى الصورة وأقسامها، ومعنى الصورة المخلوق عليها (آدم)، فالصورة: هيئة اجتماعية من أوضاع مخصوصة شكلية، في أي مادة فرضت، وأي أجزاء قُدرت ومُثلت، وتنقسم الصورة إلى: عقلية، وعلمية، وخالية، وذهنية، ونورية، وروحانية، وإلهية، فالصورة المذكورة في الحديث هي صورة إلهية نورية ذاتية قائمة بجناب الله تعالى وتقدس، وهي جمعية صور الربوبية، والحقائق الوجوبية، التي مادتها وهيولاها عماء الرب، والحقيقة الفعالة لها أحدية جمع ذات الألوهية، وظاهر الطبيعة الكليّة، التي يُعبَّر عنها في مشرب التحقيق بالحقيقة الإلهية الكلية، الحاصرة لقوابل العالم كله، ومواد عينها الفعالة للصور كلها، وهذه الحقيقة تفعل الصور الأسمائية بباطنها في المادة العمائية، كما ذكرنا، وهي منها وعينها، ولا امتياز بينها وبين العالم، إلا في التعقل، لا في العين فإن النشأة واحدة جامعة بحقيقتها للصور الحقانية الوجوبية العلوية، والصور الخليقة الكونية السفلية الإمكانية، من الحقائق الكيانية، وأمهات الحقائق ثلاث:

الأولى: حقيقة مطلقة بالذات، فعالة مؤثرة عالية، وجودها واجب لها بذاتها، وهي حقيقة الحق وهو الله سبحانه وتعالى واحدة شائية.

والثانية: حقيقة مقيدة، منفعلة سافلة متكثرة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض الأقدس، والتجلي الأنفس، وهي حقيقة العالم الممكن بذاته، واجب بغيره، يعني: واجب بالمظهر له، والمتجلي به، وهو واجب الوجود الحق سبحانه.

الثالثة: حقيقة أحدية جامعة بين الإطلاق والتقييد، والفعال والانفعال، والـــتأثير والتأثر، فهي مطلقة من وجه ونسبة، مقيدة من أخرى، فعّالة من وجه، منفعلة من آخر، وهذه الحقيقة هي: أحدية جمع الحقيقتين، ولها مرتبة الأولية الكبرى، والأخروية العظمى، والبرزخية الشاملة المثلى، وهي للبرزخ الجامع، والإنسان الكامل، التي صورة الله مستوية على عرش قلبه كشفاً وتحقيقاً، وشهوداً وتدقيقاً، وإيماناً وتصديقاً، وحقاً موجوداً كما قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عزّ وجل: "ما وسعني أرضي ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن"، فالعبد المؤمن هو القابل الكلي، والكون الجامع الأزلي، الذي تظهر به الأسماء والصفات، والأفعال والذات، على ما هي عليه من الكمال، فيؤمن

بقابليته الكليّة المحيطة، ويعطي الأمان لصور الذات، والأسماء والصفات، والأفعال والآيات الظاهرة في مظهريته عن التغيير والتحريف والتبديل، فتظهر صورها في مرآته الكاملة الشاملة كاملة، ويؤمن أيضاً أن يعطي الأمانة لصور النسب وحقائقها أيضاً، من عدم ظهور آثارها من خفاء حكم الغيب والعدم، بإظهارها في محال ظهور أحكامها وأسرارها في حقائق مظهرياته المعنوية والروحانية، والطبيعية، والعنصرية، والمثالية، فالإنسان الكامل هو المظهر الكلي، والمقصد الغايتي الأصلي، حامل الأمانة الإلهية، وصاحب الصورة النزيهية عن المثلية.

ولما كان المراد الكلي المطلوب، والمقصد الغايتي المحبوب من إيجاد العالم، كمال الجلاء والاستجلاء، وظهور الحق، وإظهاره نفسه لنفسه، ظهوراً وإظهاراً فعلياً تفصيلياً، كما اقتضت ذاته المطلقة تكميلاً لمرتبتي الجمع والفرقان، والعلم والقرآن، والإخفاء والإعلان، والرحمة والرضوان، لإظهار الغيب والشهادة، وتفنّن القدرة والإرادة، وكان الحق سبحانه في كماله الذاتي، يرى ذاته في ذاته بذاته، رؤية ذاتية، غير زائدة على ذاته ولا متميزة عنها، لا في العقل والتعقل، ولا في الواقع والخارج ويرى أسماءه وصفاته ونعوته وتجلياته، وأفعاله وآياته أيضاً، كذلك نسباً ذاتية، لها شؤون عينية غيبية مستهلكة الأحكام، تحت قهر الأحدية، غير ظاهرة الآثار، ولا متميزة الأعيان بعضها عن بعض، منطمسة في حيطة جلال الصمدية، مضمحلة في أنوار الواحدية، كامنة كائنة في عين الفردية، وكينونتها فيها وكمونها ككينونة النصفية، والثلثية، والربعية، وغيرها من النسب في الواحد، هذا من حيث كماله الذاتي الأحدي، ولكنه شاء أن يظهر من حيث الكمال الأسمائي التفصيلي، بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، في مظاهرها ومجاليها ومراتبها، التي يرى الحق فيها نفسه: "لأن رؤية الشيء نفسه في نفسه ليست مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، فإنه تظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه، مما لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل ولا تجليه له"، فلا تكون رؤية الحق نفسه في كون جامع للأمر على ما هو عليه، وهي رؤية ذاته في ذاته، كرؤيته سبحانه وتعالى في كون غير جامع للأمر على ما هو عليه؛ لأنّ الأسماء الإلهية كانت في قبض قهر الأحدية الجمعية الإلهية الذاتية، أحدية في الحضرة الأحدية، لا ظهور لها لعدم مظاهرها، وهي العوالم وكلها عالم: "كان الله ولا شيء معه".

وكانت كثرة الأسماء مستهلكة مكمونة مجملة في أحدية عين الذات، ولسان تعينه بكنى حرف التاء، وهو تعينه في ذات اللاهوت، كنزاً جامعاً لجواهر حقائق الأسماء والمسميات، إذ الكنز ذهب وفضة وجواهر مجتمعة في الغيب، فالذهب صورة الذات، والفضة صورة الصفات، والكنز مخفي عن الأغيار، فأحب الحق بمشيئته من حيث الأسماء أن يعطيها التحقق في أعيانها بالوجود والإيجاد وتحقق في حقائقها للشهود والإشهاد على رؤوس الأشهاد، كما قال سبحانه: "كنت كنزاً مخفياً لا أعرف، فأحببت أن أعرف"، أي أن يعرفني كل تعيّن من تعيناتي في مظاهري ومجالي ومراتبي، التي ليست ذات الألوهية، بل بسببها يظهر السر الكامل بالتجلي الحق، التجلي التعرفي، في قوله: "فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم بالنعم فبي عرفوني".

فلما شاء الحق سبحانه، وأحب إظهار سرّه الكامن، وجلاء حسنه الباطن، وإبداء كماله المستحسن، بجميع المحامد كلها والمحاسن كقوله:

ظهر بالكون الجامع الإنساني، والكتاب الأكمل الفرقاني، والمظهر الشامل القرآني وصورة الاسم الرحماني الحاصر للأمر الإلهي الكياني، لأنّ الإنسان أول بالحقيقة، والآية في البداية، آخر في الغاية والنهاية ظاهر بالصورة باطن بالسر والسورة جامع الأولية والآخرية، والباطنية والظاهرية وجمعيته؛ لكونه برزخاً جامعاً بين بحري الوجوب والإمكان، ولما كانت مرتبته جامعة بين الحقية والخلقية، والربانية والعبدانية، تعين الوجود الحق في مظهريته بحسبها تعيناً كلياً جمعياً أحدياً فالمرتبة منحصرة بين الحق الواجب والخلق الممكن، معمورة بهما، فالحق أبداً حق على بقاءه وغنائه ووجوبه الذاتي، الخلق خلق أبداً على فنائه وفقره وعدمه الذاتي ، فالوجود للحق، وهو في مرتبته الحقية حق، وفي مرتبته الخلقية خلق، وفي النشأة الإنسانية الجامعية خلق جامع بينهما، مطلق عن الجمع بينهما أيضاً، فالدائرة الوجودية محيطة بقوسين، ومتنصفة بشطرين على قطرين، فالشطر الأعلى للحقية والوجوب، والشطر الأدنى للكون والخلق، والبرزخ الجامع يظهر بالتعيين ويصدق على إطلاق الحكمين وله الجمع بين البحرين، وليس له نعت ذاتي سوى الجمعية والإطلاق، فله أن يظهر بمظهرية الأسماء والمسميات والذات على الوجه الأوفى، فعند مشيئة الحق ومحبته من حيث الأسماء الحسنى، والتجليات العليا، أن يتعين بتعيناته القصوى، تجلت تجلياً جمعياً، وانبعثت انبعاثاً حبياً إلى المظهر الكلي، الجامع للأمر الإلهي، فامتدت رقائق النسب إلى متعلقاتها، واشرأبت حقائق الوجوب إلى متعلقاتها، وطلبت الربوبية المربوب، والإلهية المألوه، والمحبوبية المحبوب فقامت بظاهرياتها مظاهر لباطنها، وبشهاداتها مجالي لغيبتها، فالظاهر لمظاهر هي عينها الناظرة بمناظر هي عينها، وفيها أنّيها ظهرت الحقائق الوجوبية، والنسب التي اقتضتها الربوبية في متعلقاتها ومظاهرها ومجاليها، وزهرت أنوار التجليات الفعلية في مراتبها ومرائيها، فرأت أنفسها متمايزة الأعيان والآثار، متغايرة الظلم والأنوار، وتعينت أحكامها ولوازمها ممتازة، وثبتت عوارضها ولواحقها إلى أحيازها منحازة، فأعيان الموجودات المعلومات العلوية، وأشخاص المخلوقات السفلية مظاهر النسب الوجوبية، ومجالي تعينات أسباب الربوبية، فيرى الحق فيها حقائق الأسماء، وأعيان صفات الاعتلاء على عروشها، ومحتوية على جنودها وجيوشها، فما منا إلا له من الحق مقام معلوم، ومن الوجود ذوق مقسوم.

واعلم أنّ المناظر، والمجالي، والمظاهر، والمرائي التي يرى الحق فيها نفسه، لو لم يكن لها حيثية متعينة، وخصيصة واستعداد معين تمتاز بها عن الظاهر فيها لكان الظاهر فيها وهو الحق غير متعين عن غيبته ، فظهور الحق وتجليه في مرتبة من المراتب، جزئية كانت أو كلية، إنما يكون بحسب المحل، ويقبل بقدر ما أعطاه الحق من الاستعداد، وما هيأ له من القابلية، وليس ذلك بحسب الحق لأنّ ذلك لا يسعه قلب المؤمن، ولا يسعه شيء أبداً، وذلك تجلي الحق بذاته على ما هي عليه لذاته، وإنما وسع قلب المؤمن التجلي الأسمائي، وهو تجلي الحق بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا كلها، ويسمى تجلي الألوهية للمألوه الذي هو صورة جمعيتها، ومظهر شؤون حكمتها لأنّ الحق أوجد العالم وجود شبح بلا روح، فكان كمرآة غير مجلوة فجلاها بالإنسان الكامل الجامع لحقائق العالم وصورها وأسمائها ومسمياتها بكمال مظهريته ذاتاً وصفاتاً، وصورة ومعنى جمعا وتفصيلاً ظاهرا وباطناً وأولاً وآخراً، ولا يحصل

كمال العالم، وأسماء الحقائق والأعيان، إلا بنشأة (آدم) في عين العالم، ووجود الإنسان الظاهر بصورة الرحمن، فكان الإنسان الكامل روحا لذلك الشبح العالمي فكان قبول الإنسان الكامل للتجلي الإلهي أكمل قبول، لأنه ما من قابل من القوابل يقبل فيض الحق على نحو من القبول، ويتعين بتجلي من التجليات وصورة من مظاهره، إلا وفي الإنسان الكامل مثل ذلك القابل على الوجه التام من حيث أن التجلي على جميع الأشياء وعلى كل القوابل كامل وفي الإنسان الجامع أكمل، فروحانيته أتم الروحانيات وأكملها وطبيعته العنصرية أجمع الأمزجة وأعدلها ونشأته أوسع النشآت وأفضلها وأشملها واستعداد مظهريته لظهور الحق أعم المظهريات والاستعدادات و أقبلها وأعظمها وتعين صورة الحق والخلق في مظهريته أكمل التعينات وأجلها وأشرفها وأكبرها، وبه حصل كمال الجلاء والاستجلاء، وبه اتصل كمال فيض الذات بالأسماء، فهو مظهر الفيض الجامع، والبرزخ الشامل المحيط المانع، وبه تميز الوجوب عن الإمكان وظهر كمال حقائق الأسماء والأعيان، فكان (آدم) بصورته العنصرية جلاء مرآة العالم وكان العالم شبحا لا روح فيه قبل وجود هذه النشآت الإنسانية الجامعة للكمالات الإلهية، فكان روح العوالم الكلية والجزئية، لأنه رابطة فيض شؤون الحق الذاتية والأسمائية والصفاتية، على حقائق العالم الكلية والجزئية، فجلى الحق سبحانه عن هذا العالم الصدأ، الذي كان فيه بصورة آدم وتجلى الحق سبحانه على هذا المجلى الأتم، والمظهر الأعم تجليا كاملاً، وتحققا شاملاً، فرأى نفسه فيه رؤية ذاتية، وإحاطة كلية شاملة للأسمائية الإلهية، لأنه سواه مرآة لذاته ليرى فيه علما وعيناً جميع كمالات أسمائه وصفاته، وأفعاله وآياته، فظهر لنفسه فيه ظهورا جامعا بين الكمال الأسمائي والكمال الذاتي، وكمل به نشأة العالم، وخصصه بحقائق الأسماء وسماه آدم، فالعالم كله كالعين الجامعة للأعيان، ونور تلك العين وسرها الإنسان، لأنه صورة الرحمن الجامع لحقائق الأسماء والأعيان، وصور الموجودات والأكوان، فكان قابلية العالم مظهر صورة آدم، وجلاء قلبه الأعظم جمعية الإنسان الأكرم وروحه القائم بقلبه وصورته وقابليته وجلائيته، عين تجلي الرحمن على قلب الإنسان بالفيض الأقدس والتجلي الأنفس، فقلب الإنسان الكامل مظهر الكمالات الإلهية، وصورته روح الحقائق الكلية، واستعداده سر الجمعية الإنسانية، فروحه مرآة الذات الأحدية، وقلبه مجلى الكمالات الواحدية، وعقله جلاء العوالم الكلية، وجسمه روح الموجودات الحسية، فهو صورة الحق الظاهر، ومرآة اسمه الباطن، والمقصد الأول، والمظهر الآخر، فهذا معنى قوله ﷺ: "إن الله خلق آدم على صورته"، ومن كشف الحق له هذه الأسرار، وأفاض على قلبه من هذه الأنوار، ووهبه الله من خصائص هباته، وكشف له ما طبع في مرآته، وتحقق بمعرفة نفسه التي توجب له التحقق بمعرفة ربه كشفا وشهودا، فعرف حينئذ من هو، وما هو المقصود منه ما هو، حققنا الله بحقائق معرفته وهدانا إلى سبيل توحيده وهدايته، إنه بأحوالنا عليم كفيل يهدي الله لنوره من يشاء، والله يتولى الحق وهو يهدي السبيل.

ثم اعلم أن معرفتك للحق، إنما هي معرفتك لنفسك ومعرفتك بنفسك لها مرتبتان في مشرب التحقيق: الأولى: معرفتك بربك من حيث أنت، الثانية: معرفتك بربك من حيث هو، لا من حيث أنت فالمتحقق بالمعرفة الثانية مرضي عند ربه منادى بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[الفجر: ٢٧-٢٨]، فما أمرها أن ترجع إلا إلى ربها، الذي دعاها فعرفته من الكل راضية مرضية، فادخلي في عبادي من حيث ما لهم هذا المقام،

وهم كل عبد عرف ربه، واقتصر عليه، و لم ينظر إلى رب غيره، مع أحدية العين، فالنفس المطمئنة لا بد أن تدخل فيهم، فإن المقام بينها وبينهم، لكونهم راضين مرضيين مخاطبين، وادخلي جنتي التي بها أسترك، وهي ستري، وليست جنتي سواك يا عبدي، فإذا دخل العارف جنة ربه حيث ظهر فيه وعرف به، مستترا عن الأفعال والآثار المذمومة عند من لا يرضاها من الأرباب والعبيد، لأن لكل اسم عبدا هو ربه، وذلك العبد جسم وهو قلبه، فصار وقاية لربه عن ألسنة أهل المذام والعيب، والمذام هي بالإضافة إلى العبد آثار لربه، وجعل ربه وقاية وجُنَّة له في جميع المحامد، فأضافها جميعها إلى ربه فلا تضاف المحامد إليه من حيث هو، بل إلى ربه، واستتر بربه عن الإضافة والمحامد كما استتر ربه به عن المذام فكما أن العبد لا يوجد إلا بربه وكذلك الرب لا يكون ظاهراً متعيناً في عينه إلا بعبده، فهو مُظهره ومَظهَره، والناظر فيه وبه، وإذا ثبت أن الله لا يعرف بالحقيقة، لأن التجلي الأحدي ممتنع، لأنه تعالى بالذات غني عن العالمين، فتجليه الأحدي لا يُبقي غيراً متجلياً له، فلا يكون تجليه الأحدي إلا بذاته لذاته، فلا يعرف حقيقته إلا هو، بل من حيث ظهور الأسماء عن البطون، وبروزها عن الكمون، افتقرت إلى المظاهر، وأثبتت أن الحق هو الأول والآخر، كما هو الباطن والظاهر، وإذا ثبت أن الله لا يعرف بالحقيقة، فعبده الذي هو مظهره لا يعرف بالحقيقة، فإذا نادى كل رب عبده إليه، وأمره بالدخول في جنته والوقوف عليه، فيدخل العارف نفسه ويعرف أنه مظهره ومجلاه، هو عبده، وهو ربه ومولاه وهو عرشه ومستواه، فلا ينفك ربه يحبه ويرضاه، ولا يزال عبده يعرفه ويهواه، فلابد لكل منهما عن الآخر كما قيل: شعر

فمـــا انفـــك يرضـــاني بكـــل محبـــة	**ومـــا زلـــت أهـــواه بكـــل مـــودة**
فممتنـــع عنـــه انفصـــالي وواجـــب	**وصـــالي بـــلا إمكـــان بعـــد وقربـــة**

فحينئذ يعرف العبد نفسه بربه، وبه عبر المعرفة الأولى، وفي هذه المعرفة يضاف إليه كل ما يضاف إلى ربه من الكمالات ويضاف إلى ربه كل ما يضاف من المظهريات، فيعرف نفسه بربه، بعد معرفته ربه بنفسه، طرداً وعكساً، جمعا وفرادى، دائما أبداً، لأن دخول الجنة دخول مخلد مؤبد فيعرف نفسه وربه، من حيث ربه لا من حيث هو، وكان يعرف ربه من حيث نفسه، فحصل له الجمع بين المعرفتين، والتحقق بالحُسنَيَين وفي هذا المقام قلت:

فلأنـــــــت عبـــــــد وأنـــــــت رب	**لمـــــن لـــــه فيـــــه أنـــــت عبـــــدُ**
وأنـــــــت رب وأنـــــــت عبـــــــد	**لمـــــن لـــــه فـــــي الخطـــــاب عهـــــدُ**

فأنت عبد له من حيث هو وسلطانه عليك، وأنت رب له من حيث ظهور سلطانك فيه، على من دونك وعليه أيضاً، من حيث إجابته لك ولسواك حين تدعوه، فما أنت على كل حال إلا تعيين من تعيناته، وتجل من تجلياته، وأنت أيضا رب من حيث ظهور الربوبية بك وفيك، لرب خاطبك بخطاب: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقلت بلى، بين العباد الراضين بربوبيته، المرضيين حين قالوا ما قلت، ونالوا ما نلت، وما توجه خطاب من الأحدي الذات إليك خاصة، فلهذا قيل:

فكـــل عقـــد عليـــه شـــخص	**يحلـــه مـــن ســـواه عقـــدُ**

فإن عبد اللطيف والرؤوف على قد يحله عقد وعزيمة عليها القهار المعز، وعبد الظاهر على عقد يحله الباطن، وبالعكس فهذا حكم جميع المربوبين والأرباب من غير تخليط ولا تخبيط بين المقامات والعقائد، فكل مرضي عند ربه، فرضي الله عن عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه، فهو مرضي، فتقابلت حضرات الأرباب، وحضرات العباد تقابل الأمثال، لأن كل واحد من الحضرتين مرضية عند الأخرى، راضٍ بها، فالمثلية بين الحضرات تامة، فالتضاد كذلك، فقابلت كل واحدة غيرها، الضد الضد.

إذ المثل الحقيقي كالضد لعدم اجتماعه مع ضده، يعني بمثله حقيقة، إذ لا تميز، لأنها فرضت على الأخرى، لأن حقيقتهما واحدة، وإذ لا تميز فلا بينية ولا إثنينية، فلا ضدية ولا مثلية، فما ثم إلا وجود واحد، فهو هو لا غيره، فالوجود حقيقة واحدة تعينت في مراتب متميزة عقلاً، فما ثم عقل إلا متميزاً، وأيضا فما ثم مثل يوجب الإثنينية فالمظهر عين الظاهر، والظاهر عين المظهر، فانظر تشهد الخلق في مرآة الحق، والحق في مرآة الخلق، فترى العجب العجاب:

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائنُ	**فما ثم موصول وما ثم بائنُ**
بذا جاء برهان الحديث فما أرى	**بعيني إلا عينه إذ أُعاينُ**

ذلك لمن خشي ربه أن يكونه، لعلمه بالتميز يعني: لما ثبتت مرتبة الرب عن مرتبة العبد، خشي العبد ربه، أن يكون بحصول العلم في العقل بالتميز، فوقف على مركز عبدانيته، مرضيا عند ربه، لكونه راضيا بربوبيته له وعليه، ورضي به الرب غاية الرضى بعبوديته، به وله وعليه وفيه، وقد دلنا على التميز جهلنا أعيان في الوجود بما أتى به عالم فوقع التميز بين العبد وبين الأرباب، لتفسر الاسم الواحد الإلهي بجميع الوجوه من جميع وجوهه، وذلك من حيث الذات الأحدية، فالمعز لا يفسر بالمذل، والأول لا يفسر بالآخر، والرحيم لا يفسر بالقهار، من حيث خصوصيات الأسماء، ولكنه يفسر بضده وغيره من حيث عين تلك الذات الأحدية المتجلية بجميع الأسماء، لأنه تعالى من حيث ذاته لا ضد له، ولا ند له في الحضرة الأحدية، وفي الحضرة الواحدية باعتبار كثرة الأسماء وتعددها، فالأسماء أضداد وأنداد، ولما كان لأسماء الحضرة لكل اسم دلالتان: دلالة على الذات المسماة بالأسماء كلها، فيوضع ويحمل عليه سائر الأسماء، لأنه عين تلك الذات المتجلية به، وبالأسماء كلها، ودلالة مخصوصة هي مفهومة، يمتاز بها عن غيره من الأسماء كالحي من العليم، والقاهر من اللطيف، وكل اسم له خصوصية وحقيقة، وكل حقيقة لها ظهور وآثار في العلم والعين:

فلا تنظر إلى الحق	**وتعريه عن الخلقِ**
ولا تنظر إلى الخلقِ	**وتكسوه سوى الحقِ**

يعني أن الحقية تستلزم الخلقية، استلزام الرب للمربوب، والخالق للمخلوق، والإله للمألوه، لما بينهما من التضايف، فلا يلاحظ أحدهم بدون الآخر، وكذا عكسه، لأن الاستلزام من التضايف من الجانبين، ولأن الخلق إذا نظرته من غير خلعة الوجود الحق، بقي على عدمه الأصلي، لأنه إن نظرته كذلك، رجع إلى عدميته الأصلية، فإن الخلق لفظ مفترى على الحق فإذا عريته عن الحق لم يبقَ ما سميته به، وما الخلق إلا اختلاق وبهتة على الحق: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[النور: ٣٩]، وإنما هو تجلي

وجوده في بعض مراتب شهوده، فلو نظرت بخِلع الخلع الوجودية الحقية عنه، لم يبقَ شيء، فعند ذلك تجد الله هناك، يعني تجد الله عنده، لأنه يستحيل وجود الخلق بدون الحق ، ويستحيل حصر الحق في الخلق:

ونزهــــــــــــــــه وشـــــــــــــــــبههُ	**وقـــــــم فــــــي المقعـــــــد الصــــــــدقِ**
وكــــــن فـــــي الجمــــــع إن شـــــئتَ	**وإن شـــــــئت ففــــــــي الفـــــــرقِ**

يعني نزه عن أن يكون متعينا بتعين، فيشبه متعينا آخر، فإذاً يلزم الشرك وشبهه بالخلق من حيث الحقيقة، فيكون عين كل متعين، إذ لا موجود سواه، فهو هو، كان ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، فاجمع بين التنزيه والتشبيه، بنفي ما سواه مطلقاً، فتقوم بمقعد الصدق في مقام التوحيد الذاتي، والجمع بين المطلق والمقيد، فكن بالجمع ناظراً إلى الحق بدون الخلق، فإن الوجود ليس إلا له بل هو هو وإن شئت لاحظت الحق في الخلق في الحق، بتعدد الواحد بالذات، الكثير بالأسماء والتعينات، فكن في الفرق باعتبار التعينات الخلقية، واندراج الهوية الحقية في الهوية الخلقية:

تحـــــــــز بالكـــــــــــل إن كـــــــــــل	**تبـــــــــــدى قصــــــــــــب الســــــــــبقِ**
فــــــــــــلا تفنـــــــــــى ولا تبقـــــــــــى	**ولا تُفنـــــــــــــــــــي ولا تُبقــــــــــــــــي**

يعني: إذا كنت في الجمع وفي الفرق بعد الجمع بحسب المشيئة تحز قصب السبق بالكل منهما، لأن الكل جمع وفرق، كل منهما تبدّى لك، بحيث لا تحتجب بأحدهما عن الآخر، فتشهد الخلق حقاً، والحق خلقاً، والحق حقاً، والخلق خلقاً، فلا يحجبك أحد الشهودين من الآخر، ولا يفتك شهود، لأن الكل ليس إلا هو، ولا يختلف إلا بالاعتبارات، فلا تفنى عند كونك حقاً عن الخليقة، ولا تبقى حقاً بلا خلق، لأن الحقيقة واحدة، فلك أن تكون حقا بلا خلق، أو خلقا بلا حق، وخلقا وحقا معاً، ولا يفنى الخلق عند تجلي الحق، فإنه فانٍ حقيقةً في الأزل، فكيف يفنيه، ولا يبقى الحق فإنه باقٍ لم يزل، ولك أن تشهدهما وتبينهما كل في رتبته واحدا في وجود واحد لا معاً:

ولا يلقى عليك الوحي في غير ولا تُلقي

لأن معنى الوجود واحد لا غير، فإن كنت عبداً يلقى عليك الوحي منك وفيك، لا من غيرك، ولا في غيرك، وإن كنت رباً فلا تلقي من غير، وما ثم غير، لأن الوجود واحد، أُحدٌ في المدد كثير في العدد، وله الأزل والأبد، والدوام والسرمد، فهو الأول والآخر والباطن والظاهر، وهو بكل شيء عليم، وبتجلي ذاته العزيز، وبأسمائه وصفاته وأفعاله الحكيم، وسبحان الله وما أنا من المشركين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين.

تمت الرسالة

رسالة الأنوار

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله واهب العقل ومبدعه وناصب النقل ومشرعه له المنة والطول ومنه القوة والحول.

لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

وصلى الله على من أقام به أعلام الهدى، وأنزله بالنور الذي أضل الله به من شاء وهدى، وعلى آله الأكرمين وأصحابه الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أجبت سؤالك أيها الولي الكريم والصفي الحميم في كيفية السلوك إلى رب العزة تعالى، والوصول إلى حضرته، والرجوع به من عنده إلى خلقه من غير مفارقته.

بأنه ما ثم في الوجود إلا الله وصفاته الظاهرة وأفعاله. فالكل هو وبه وإليه ومنه، لو احتجب عن العالم طرفة عين لنفي العالم دفعة واحدة، فبقاؤه بحفظه ونظره إليه.

غير أنه من اشتد ظهوره في نوره بحيث تضعف الإدراكات عنه يسمى ذلك الظهور حجاباً.

فأول ما أبينه لك وفقك الله، كيفية السلوك إلى الله، ثم كيفية الوصول إليه والوقوف بين يديه والجلوس في بساط مشاهدته، وما يقوله لك، وكيفية الرجوع من عنده إلى حضرة أفعاله به وإليه والاستهلاك فيه، وهو مقام دون الرجوع.

فاعلم أيها الأخ الكريم أن الطرق شتى والطريق إلى الحق مفرد.

والسالكون طريق الحق أفراد، ومع أن طريق الحق واحد، فإنه تختلف وجوهه بحسب اختلاف سالكيه، من اعتدال المزاج وانحرافه، وملازمة الباعث ومغيبه، وقوة روحانيته وضعفها، واستقامة همته، وصحة توجهه وسقمه.

فمنهم من تجمع له، ومنهم من يكون له بعض هذه الأوصاف.

فقد يكون مطلب الروحانية شريفاً، ولا يساعده المزاج، وكذلك حكم ما بقي.

فأول ما يتعين علينا أن نبينه لك معرفة أمهات المواطن، وما تقتضي مما أريد منها هاهنا.

والموطن عبارة عن محل أوقات الوارد، الذي يكون فيه، وينبغي لك أن تعرف ما يريده الحق منك في ذلك الموطن، فتبادر إليه من غير تثبط.

والمواطن وإن كثرت، فإنها ترجع إلى ستة؛ الأول: موطن ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقد انفصلنا عنه بوجودنا العنصري.

والموطن الثاني: موطن الدنيا التي نحن فيها.

والثالث: البرزخ الذي نصير إليه بعد الموت الأصغر والأكبر.

والرابع: موطن الحشر بأرض الساهرة والرد في الحافرة.

والخامس: الجنة والنار.

والسادس: موطن الكثيب خارج الجنة.

وفي كل موطن من هذه المواطن مواضع، هي مواطن في المواطن، ليس في القوة البشرية الوفاء بها لكثرتها.

ولسنا نحتاج في هذا الموضع، الذي نحن فيه إلى أن نبين منها إلا موطن الدنيا، الذي هو محل التكليف والابتلاء والأعمال.

فاعلم أن الناس منذ خلقهم الله تعالى، وأخرجهم من العدم إلى الوجود، لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حط عن رحالهم، إلا في الجنة أو في النار، وكل جنة ونار بحسب أهلها.

فالواجب على كل عاقل، أن يعلم، أن السفر مبني على المشقة وشطف العيش والمحن والبلايا وركوب الأخطار العظام.

فمن المحال أن يصح فيه للمسافرين نعيم أو أمان أو لذة، فإن المياه مختلفة الطعم، والأهوية مختلفة التصريف، وطبع كل منهل يخالف طبع المنهل الآخر.

ويحتاج المسافر لما يصلح لتلقي كل عالم في منزله، فإنه عندهم صاحب ليلة أو ساعة وينصرف، فأنى يعقل حلول الراحة فيمن هذه حالته.

وما أوردنا هذا رداً على أهل النعيم في الدنيا، العاملين لها والمنكبين على جمع حطامها، فإن أهل هذا الفعل عندنا أقل وأحقر من أن نشتغل بهم، أو نلتفت إليهم، وإنما أوردناه تنبيهاً لمن استعجل للذة المشاهدة في غير موطنها الثابت، وحالة الفناء في غير منزلها، والاستهلاك في الحق بطريق المحق عن العالمين.

فإن السادة منا أنفوا من ذلك لما فيه من تضييع الوقت، ونقص المرتبة، ومعاملة الموطن بما لا يليق به. فإن الدنيا سجن الملك لا داره، ومن طلب الملك في سجنه من غير ترحيل عنه رحلة كلية، فقد أساء الأدب، وفاته أمر كبير.

فإن زمان الفناء في الحق زمان ترك مقام أعلى مما هو فيه، لأن التجلي على قدر العلم وصورته، فما حصل لك من العلم به منه في مجاهدتك وتهيئك في الزمان الأول مثلاً، ثم شهدت في الزمان الثاني، فإنما تشهد منه صورة عملك المقررة في الزمان الأول.

فما زدت سوى انتقالك من علم إلى عين، والصورة واحدة، فقد حصلت ما ينبغي لك أن تؤخره لموطنه، وهو الدار الآخرة التي لا عمل فيها، فإن زمان مشاهدتك، لو كنت فيه صاحب عمل ظاهر وتلقي علم بالله باطن كان أولى بك لأنك تزيد حسناً وجمالاً في روحانيتك الطالبة ربها بالعلم الذي تلقته منه بالأعمال والتقوى، وتزيد حسناً في نفسانيتك الطالبة جنتها.

فإن اللطيفة الإنسانية تحشر على صورة علمها، والأجسام تحشر على صورة عملها من الحسن والقبح، وهكذا إلى آخر نفس، فإذا انفصلت من عالم التكليف، وموطن المعارج والارتقاءات، فحينئذ تجني ثمرة غرسك.

فإذا فهمت هذا، فاعلم وفقنا الله وإياك: أنك إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق، والأخذ منه بترك الوسائط، والأنس به.

إنه لا يصح لك ذلك، وفي قلبك ربانية لغيرك، فإنك محكوم لمن حكم عليك سلطانه، هذا لا شك فيه.

فلابد لك من العزلة عن الناس وإيثار الخلوة على الملأ ثانياً، فإنه على قدر بعدك من الخلق يكون قربك من الحق ظاهراً وباطناً.

فأول ما يجب عليك، طلب العلم الذي تقيم به طهارتك وصلاتك وصيامك وتقواك، وما يفرض عليك طلبه خاصة لا تزيد على ذلك شيئاً، وهو أول باب السلوك، ثم العمل به، ثم الورع، ثم الزهد، ثم التوكل.

وفي أول حال من أحوال التوكل، يحصل لك أربع كرامات، هي علامات وأدلة على حصولك في أول درجات التوكل:

الأولى: وهي طيّ الأرض.

الثانية: والمشي على الماء

الثالثة: واختراق الهواء

الرابعة: والأكل من الكون، وهو الحقيقة في هذا الباب.

ثم بعد ذلك تتوالى عليك المقامات والأحوال والكرامات والتنزلات إلى الموت.

فالله الله لا تدخل خلوتك حتى تعرف أين مقامك وقوتك من سلطان الوهم، فإن كان وهمك حاكماً عليك، فلا سبيل إلى الخلوة إلا على يد شيخ مميز عارف.

فإن كان وهمك تحت سلطانك، فخذ الخلوة ولا تبالي، وعليك بالرياضة قبل الخلوة، والرياضة عبارة عن تهذيب الأخلاق وترك الرعونة وتحمل الأذى، فإن الإنسان إذا تقدم فتحه قبل رياضته، فلن يجيء منه رجل أبداً إلا في حكم النادر. فإذا اعتزلت عن الخلق، فاحذر من قصدهم إليك مع إقبالهم عليك، فإنه من اعتزل عن الخلق لم يفتح بابه لقصد الناس إليه، فإن المراد من العزلة ترك الناس ومعاشرتهم، وليس المراد من ترك الناس ترك صورهم، وإنما المراد أن لا يكون قلبك، ولا أذنك وعاء لما يأتون به من فضول الكلام، فلا يصفو القلب من هذيان العالم إلا بالبعد عنهم، فكل من اعتزل في بيته وفتح باب قصد الناس إليه، فإنه طالب رياسة وجاه، مطرود عن باب الله، والهلاك إلى مثل هذا أقرب من شراك نعله، فالله الله تحفظ من تلبيس النفس في هذا المقام، فإن أكثر الخلق هلكوا فيه، فأغلق بابك دون الناس، وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك.

واشتغل بذكر الله تعالى بأي نوع شئت من الأذكار، وأعلاها الاسم الأعظم، وهو قولك: الله، الله، لا تزيد عليه شيئاً. فتحفظ من طوارق الخيالات الفاسدة أن تشغلك عن الذكر، وتحفظ في غذائك، واجتهد أن يكون دسماً، ولكن من غير حيوان فإنه أحسن، واحذر من الشبع، ومن الجوع المفرط، والزم طريق اعتدال المزاج، فإن المزاج إذا أفرط فيه اليبس أدى إلى خيالات فاسدة وهذيان طويل، وإذا كان الوارد هو الذي يعطي الانحراف، فذلك هو المطلوب، تفرق بين الواردات الروحانية النورية الملكية، والواردات الروحانية النارية الشيطانية، بما تجده في نفسك عند انقضاء الواردات.

وذلك أن الوارد إذا كان ملكياً، فإنه يعقبه برد ولذة، ولا تجد له ألماً ولا تتغير لك صورة، ويترك علماً. وإذا كان شيطانياً، فإنه يعقبه هريس في الأعضاء، وألم وكرب وحيرة وذلة، ويترك تخبيطاً، فتحفظ، ولا تزل ذاكراً بقلبك حتى ينزعه الله عن قلبك، وهو المطلوب.

واحذر أن تقول ما ذا؟ وليكن عقدك عند دخولك خلوتك أن الله ليس كمثله شيء.

فكل ما يتجلى لك من الصور ويقول لك: أنا الله، فقل: سبحان الله آمنت بالله.

واحفظ صورة ما رأيت والهِ عنها، واشتغل بالذكر دائماً، هذا عقد واحد. والعقد الثاني: أن لا تطلب منه في خلوتك سواه، ولا تعلق الهمة بغيره، ولو عرض عليك كل ما في الكون فخذه بأدب، ولا تقف عنده، وصمم على طلبك، فإنه يبتليك. ومهما وقفت مع شيء فاتك، وإذا حصلته لم يفتك شيء.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الله تعالى يبتليك بما يعرضه عليك، فأول ما يفتح لك أن أعطاك الأمر على الترتيب كما أقوله لك.

وهو كشفك العالم الحسي الغائب عنك، فلا تحجبك الجدران والظلمات عما يفعله الخلق في بيوقم، إلا أنه يجب عليك التحفظ أن لا تكشف سر أحد عند أحد إذا أطلعك الله عليه، فإن بحت به، وقلت هذا زانٍ، وهذا شارب، وهذا سارق، وهذا مغتاب، فاقم نفسك، فإن الشيطان قد دخل عليك، فتحقق باسم الستار وإن جاءك ذلك الشخص فافهه ما بينك وبينه على الستر، وأوصه أن يستحي من الله، ولا يتعدى حدود الله، والهِ عن ذلك الكشف جهد طاقتك واشتغل بالذكر.

وأما التفرقة بين الكشف الحسي والخيالي، فنبينه لك، وذلك إذا رأيت صورة شخص، أو فعلاً من أفعال الخلق أن تغلق عينيك، فإن بقي لك الكشف فهو في خيالك، وإن غاب عنك فإن الإدراك تعلق به في الموضع الذي رأيته فيه.

ثم إذا لهيت عنه، واشتغلت بالذكر، انتقلت من الكشف الحسي إلى الكشف الخيالي فتتنزل عليك المعاني العقلية في الصور الحسية، وهو تنزل صعب، فإن علم ما أريد بتلك الصورة، ولا يعرفها إلا نبي أو من شاء الله من الصديقين، فلا تشتغل به.

وإن سيقت لك مشروبات، فاشرب الماء منها، فإن لم يكن فيها ماء، فاشرب اللبن، وإن جمعت لك، فاجمع بين الماء واللبن، وكذلك العسل اشربه. وإياك أن تشرب الخمر إلا أن يكون ممزوجاً بماء المطر، فإن كان ممزوجاً بماء الأنهار، أو العيون فلا سبيل إلى شربه.

واشتغل بالذكر حتى يرفع عنك عالم الخيال، ويتجلى لك عالم المعاني المجردة عن المادة، واشتغل بالذكر حتى يتجلى لك مذكورك.

فإذا أفناك عن الذكر فتلك عين المشاهدة، أو النومة. وسبيل التفرقة بينهما، أن المشاهدة تترك شاهدها، وتقع اللذة عقيبها. والنومة لا تترك شيئاً، فيقع التيقظ عقيبها، والاستغفار والندم.

ثم إن الله عز وجل يعرض عليك مراتب المملكة ابتلاء، بأن رتب لك الفرض، فإنك ستكشف أولا على أسرار الأحجار المعدنية وغيرها، وتعرف سر كل حجر وخاصيته في المضار والمنافع.

فإن تعشقت بذلك، أبقيت معه، وطردت، ثم سلب عنك كل شيء حفظته، وخسرت. وإن استغنيت عنه، واشتغلت بالذكر، ولجأت إلى جانب المذكور، رفع عنك ذلك النمط، وكشف لك عن النباتات، ونادتك كل عشبة بما تحمله من خواص المضار والمنافع، فليكن حكمك معها كحكمك أولاً، وليكن غذاؤك عند الكشف الأول ما كثرت حرارته ورطوبته، وفي الكشف الثاني ما اعتدلت حرارته ورطوبته.

وإذا لم تقف معه، رفع لك عن الحيوانات، فسلمت عليك، وعرفتك بما تحمله من خواص المضار والمنافع، وكل عالم يعرّفك بتحميده وتسبيحه.

وهنا نكتة عجيبة، وذلك أن تنظر ما أنت مشتغل به من الأذكار، فإن رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بهذا الذكر الذي أنت عليه، فكشفك خيالي لا حقيقي، وإنما ذلك خيالك أقيم لك في الموجودات. وإذا شهدت في هؤلاء تنوّعات أذكارهم، فهو الكشف الصحيح.

وهذا المعراج هو معراج التحليل على الترتيب، والقبض مصاحب لك في هؤلاء العوالم.

ثم بعد ذلك يكشف لك عن سريان عالم الحياة السببية في الأحياء، وما تعطي من الأثر في كل ذات بحسب استعداد الذوات، وكيف تندرج العبارات في هذا السريان.

وإن لم تقف مع هذا، رفعت لك اللوائح اللوحية.

وخوطبت بالمخاوف، وتنوعت لك الحالات، وأقيم لك دولاب تعاين فيه صور الاستحالات، وكيف يصير الكثيف لطيفاً، واللطيف كثيفاً، وما أشبه ذلك.

وإن لم تقف مع هذا رفع لك نور متطاير الشرر، فتطلب الستر عنه، فلا تخف، ودُم على الذكر، فإنك إذا دُمتَ على الذكر لم تصبك آفة، وإن لم تقف معه رفع لك عن نور الطوالع، ورفع لك عن صورة التركيب الكلي، وعاينت آداب الدخول إلى الحضرة الإلهية، وآداب الوقوف بين يدي الحق جل وعلا، وآداب الخروج من عنده إلى الخلق، والمشاهدة الدائمة بالوجوه المختلفة من الظاهر والباطن، والكمال الذي لا يشعر به كل أحد.

فإن كل ما نقص من الوجه الظاهر، أخذه الوجه الباطن، والذات واحدة فما ثم نقص.

وتعلم بعد هذا كيفية تلقي العلوم الإلهية من الله تعالى، وما ينبغي أن يكون عليه المتلقي من الاستعداد، فاعلم.

ومن آداب الأخذ والعطاء والقبض والبسط، وكيف يحفظ القلب، الذي هو مورد الأحوال من الهلاك المحرق، وأن الطرق كلها مستديرة، وما ثم طريق خطي، وغير ذلك مما تضيق هذه الرسالة عنه.

فإن لم تقف معه، رفع لك عن مراتب العلوم النظرية، والأفكار السليمة، وصور المغالط التي تطرأ على الأفهام، والفرق بين الوهم والعلم، وتولد الممكنات بين عالم الأرواح والأجسام، وسريان السر الإلهي في عالم العناية، وسبب من ترك الكون عن مجاهدة وعن لا مجاهدة، وغير ذلك مما يطول شرحه.

فإن لم تقف معه، رفع لك عن عالم التصوير والتحسين والجمال، وما ينبغي أن تكون عليه العقول، من الصور المقدسة والنفوس النباتية، من حسن الشكل والنظام، وسريان الفتور واللين والرحمة في الموصوفين بها، ومن هذه الحضرة يكون الإمداد للشعراء، وهي قبله يكون الإمداد للخطباء.

فإن لم تقف معه، رفع لك عن المواضع القطبية، وكل ما شاهدته قبل هذا، فهو من عالم اليسار لا من عالم اليمين، وهذا الموضع هو القلب.

خاتمة

فإذا تجلى لك هذا العالم علمت الانعكاسات ودوام الدائمات وخلود الخوالد وترتيب الموجودات وسريان الوجود فيها، وأعطيت الحكم الإلهية والقدرة على حفظها والأمانة على تبليغها إلى أهلها، وأعطيت الرمز والإجمال والقوة على الستر والكشف.

فإن لم تقف معه، رفع لك عن عالم الحمية والغضب والتعصب للحق والباطل، ومنشأ الخلاف الظاهر في العالم، واختلاف الصور والعداوة والبغضاء.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك عن عالم الغيرة، وكشف الحق على أتم وجوهه، والآراء السليمة والمذاهب المستقيمة والشرائع المنزلة، وترى عالماً قد زينهم الله في المعارف القدسية بأحسن زينة.

وما من مقام يكشف لك عنه إلا وهو يقابلك بالتعزيز والتوقير والتعظيم، ويعرب لك عن مقامه ورتبته في الحضرة الإلهية، ويعشقك بذاته.

فإن لم تقف معه رفع لك عن عالم الوقار والسكينة والثبات والمكر وغامضات الأسرار، وما شاكل هذا الفن.

فإن لم تقف معه رفع لك عن عالم الحيرة، والقصور والعجز، وخزائن الأعمال، وهو علّيون.

فإن لم تقف معه رفع لك عن عالم الجنان، ومراتب درجته، وتداخل بعضه في بعض، وتفاضل نعمه، وأنت واقف على طريق ضيق. ثم أشرف بك على جهنم، ومراتب دركاتها، وتداخل بعضها في بعض، وتفاضل عذابها، ورفع لك عن الأعمال الموصلة إلى كل واحد من الدارين.

فإن لم تقف معه رفع لك عن أرواح مستهلكة، في مشهد من مشاهدهم فيه سكارى حيارى، قد غلبهم سلطان الوجد، فدعاك حالهم.

فإن لم تقف معه لدعوته رفع لك نور لا ترى فيه غيرك، فيأخذك فيه وجد عظيم وهيمان شديد، وتجد فيه من اللذة بالله ما لم تكن تعرفها قبل ذلك، ويصغر في عينك كل ما رأيته، وأنت تتمايل فيه تمايل السراج.

فإن لم تقف معه رفع لك من صور على صور بني آدم، وستور ترفع وستور تسدل، ولهم تسبيح مخصوص، تعرفه إذا سمعته، فلا تدهش، وسترى صورتك بينهم، ومنها تعرف وقتك الذي أنت فيه.

فإن لم تقف معه رفع لك عن سرير الرحمانية في كل شيء عليه فإذا نظرت في كل شيء فترى جميع ما اطلعت عليه فيه وزيادة على ذلك، فإذا وقفت عليك فيه وعرفت، أين غايتك ومنزلتك

ومنتهى رتبتك وقدرك، وأي اسم هو ربك، وأين حظك في المعرفة وما حظك من الولاية وصورة خصوصيتك.

فإن لم تقف معه رفع لك عن العقل الأول، أستاذ كل شيء ومعلمه، فعاينت أثره، وعرفت خبره، وشاهدت انتكاسه وتلقيه وتفصيل مجمله من الملك النوني.

فإن لم تقف معه رفع لك عن المحرك يمين الحق.

فإن لم تقف معه محيت، ثم غيبت، ثم أفنيت، ثم سحقت، ثم محقت، حتى إذا انتهت فيك آثار الماحي مع إخوانه، ثم أثبت، ثم أحضرت، ثم أبقيت، ثم جمعت، ثم عينت، فخلعت عليك الخلع التي تقتضيها، ثم ترد إلى مدرجتك، فتعاين كل ما رأيته مختلف الصور، حتى ترد إلى عالم حسك المقيد الأرضي، أو تمسك حيث غبت. ومقدار كل سالك التي عليها سلك.

فمنهم من يناجي بلغته، ومنهم من يناجي بغير لغته، وكل من نوجي بلغة -أية لغة كانت-، فإنه وارث لنبي ذلك اللسان، وهو الذي تنسبه على لسان أهل هذه الطريقة أن فلاناً موسوي وإبراهيمي وإدريسي، ومنهم المناجي بلغتين وثلاثة وأربع فصاعدا، والمكمل من يناجي بجميع اللغات، وهو المحمدي خاصة.

فما دام في غايته فهو الواقف ما لم يرجع. فإن منهم المستهلك في ذلك المقام كأبي عقال وغيره، وفيه يقبض ويحشر. ومنهم المردود، وهو أكمل من الواقف المستهلك بشرط أن يتماثلا في المقام.

فإذا كان المستهلك في مقام أعلى من مقام المردود، فلا نقول إن المردود أعلى، ولكن شرطنا التماثل، ويعيش المردود النازل عن مقام المستهلك حتى يبلغ مرتبة المستهلك، ويزيد عليه في التداني فيزيد عليه في التدلي، ويفضل عليه في الترقي، فيفضل عليه في التلقي.

وأما المردودون فهم رجلان: منهم من يرد في حق نفسه، وهو النازل الذي ذكرناه، وهذا هو العارف عندنا، فهو راجع ليكمل نفسه من غير الطريق الذي سلك عليها. ومنهم من يرد إلى الخلق بلسان الإرشاد والهداية، وهو العالم الوارث. وليس كل داع ووارث على مقام واحد، ولكن يجمعهم مقام الدعوة، ويفضل بعضهم على بعض في مرتبته كما قال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فمنهم الداعي بلغة عيسى وموسى وإسماعيل وآدم وإبراهيم وهارون وغيرهم، وهؤلاء الذين هم الصوفية، وهم أصحاب الأحوال بالإضافة إلى السادة منا.

ومنهم الداعي بلغة محمد ﷺ، وهم الملامية أهل التمكين والحقائق.

وإذا دعوا الخلق إلى الله تعالى، فمنهم من يدعوهم من باب الفناء في حقيقة العبودية وهو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة العبودية، وهو الذلة والافتقار وما يقتضيه مقام العبودية. ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الرحمانية. ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق القهرية. ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الإلهية، وهو أرفع باب يدعى منه الخلق وأجلّه.

واعلم أن النبوة والولاية يشتركان في ثلاثة أشياء: الواحد في العلم من غير تعليم كسبي.

والثاني في الفعل بالهمة فيما جرت العادة أن لا يفعل إلا بالجسم، أو لا قدرة للجسم عليه.

والثالث في رؤية عالم الخيال في عالم الحس.

ويفترقان بمجرد الخطاب. فإن مخاطبة الولي غير مخاطبة النبي. ولا تتوهم أن معارج الأولياء على معارج الأنبياء ليس الأمر كذلك، لأن المعارج تقتضي أموراً، ولو اشتركوا فيها بحكم العروج عليها لكان للولي ما للنبي، وليس الأمر عندنا على هذا، وإن اجتمعا في الأصول وهي المقامات. لكن معارج الأنبياء بالنور الأصلي ومعارج الأولياء بما يقتضي من النور الأصلي. وإن جمعهما مقام التوكل، فليست الوجوه متحدة، والفضل ليس في نفس الحصول، وإنما هو في الوجوه، والوجوه راجعة للمتوكلين، وهكذا في كل حال ومقام، من فناء وبقاء وجمع وفرق واصطلام وانزعاج وغير ذلك.

واعلم أن كل ولي لله، فإنه يأخذ كل ما يأخذه بواسطة روحانية نبيّه الذي هو على شريعته، ومن ذلك المقام يشهد. فمنهم من يعرف ذلك، ومنهم من لا يعرفه، ويقول: قال لي الله، وليس غير تلك الروحانية، وهنا أسرار لطيفة، تضيق هذه الأوراق عنها، لما أردناه من التقريب والاختصار.

غير أن الأولياء من أمة محمد ﷺ الجامع لمقامات الأنبياء، قد يرث الواحد منهم موسى عليه السلام، ولكن النور المحمدي لا النور الموسوي، فيكون حاله حال محمد ﷺ، وحال موسى منه.

وربما يظهر من ولي عند موته ملاحظة موسى، فيتخيل العامي أو من لا معرفة له أنه تهوّد أو تنصّر، لكونه يذكر هؤلاء الأنبياء عند موته، وإنما ذلك من قوة المعرفة الحاصلة له بمقامه ومن قوة الاتّصاف به. إلا القطب فإنه على قدم محمد ﷺ.

ولقد لقينا رجالاً على قلب عيسى عليه السلام، منهم أول شيخ لقيته، ورجالاً على قلب موسى عليه السلام، وآخرين على قلب إبراهيم، وغيرهم عليهم السلام. ولا يعرف هذا إلا أصحابنا.

واعلم أن محمداً ﷺ هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل ومقاماتهم في عالم الأرواح حتى بعث بجسمه عليه السلام، وتبعناه، والتحق بنا من الأنبياء في الحكم من شاهده، أو نزل من بعده من أنبيائهم، وأنبياؤهم يأخذون عن محمد ﷺ.

فأولياء الأنبياء الذين سلفوا يأخذون من أنبيائهم وأنبياؤهم يأخذون عن محمد ﷺ، فشاركت الولاية المحمدية الأنبياء في الأخذ عنه، ولهذا ورد في الخبر: "علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل" وقال تعالى فينا: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال في حق الرسل ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [النحل: ٨٩] فنحن والأنبياء شهداء على أتباعهم.

فاصرف الهمة في الخلوة للوراثة الكلية المحمدية، واعلم أن الحكيم الكامل المحقق المتمكن هو الذي يعامل كل حال ووقت بما يليق به ولا يخلط، وهذه حالة محمد ﷺ، فإنه كان من ربه بقاب قوسين أو أدنى.

ولما أصبح في قومه وذكر ذلك للحاضرين لم يصدقه المشركون لكون الأثر ما ظهر عليه ووافقوه في ذلك بخلاف موسى حين ظهر عليه الأثر فكان يتبرقع.

ولكن لا بد لكل سالك من تأثير الأحوال فيه وخلط العوالم بعضها ببعض ولكن ينبغي له الترقي من هذا المقام إلى مقام الحكمة الإلهية الجارية على القانون المعتاد في الظاهر وأن يصرف خرق العوائد إلى سره حتى يرجع له خرق العوائد عادة لاستصحابه.

ولا يزال يقول في كل نفس: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ما دام الفلك يجري بنفسه، ويجتهد أن يكون وقته نفسه.

وإذا ورد عليك وارد الوقت يقبله، وليحذر من التعشق به ويحفظه فإنه يحتاج إليه إذا ربى فإن أكثر الشيوخ إنما أتى عليهم في التربية لما فرطوا في حفظ ما ذكرناه وزهدوا فيه ويطول الوقت ويقتصر بحسب حضور صاحبه فمنهم من وقته ساعة ويوم وجمعة وشهر وسنة ومرة واحدة في عمره.

ومن الناس من لا وقت له، فإنه من حافظ على الأنفاس فالساعات في حكمه إلى ما فوق ذلك، ومن كان وقته حضور الساعات فاتته الأنفاس، ومن كان وقته الأيام فاتته الساعات، ومن كان وقته الجمع فاتته الأيام، ومن كان وقته السنين فاتته الشهور، ومن كان وقته عمره فاتته السنون، ومن لم يكن له عمر لم يكن له وقت وخسر آخرته، ولم تتعدّ همّته البهيمية، وعلو الشخص يدل على وقته وضيقه وقلة علومه، والذي لا وقت له إنما حرم لأجل علة.

فإن باب الملكوت والمعارف من المحال أن يفتح وفي القلب شهوة من عالم الملك والملكوت.

وأما باب العلم بالله من حيث المشاهدة فلا يفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت.

واعلم أن هذه الأمور الوضعية إذا سلك عليها الإنسان وقام بها ولم تكن له همة بأمر وراءها إلا الجنة خاصة فذلك هو العابد صاحب الماء والمحراب كما أن الهمة لو تعلقت بما وراء العبادات من غير استعداد لها لم يكشف له شيء ولا نفعت همته بل صاحبها أشبه شيء بمريض سقطت قواه بالكلية وعنده الإرادة والهمة للحركة والآلة متعطلة فهل يصل بهمته إلى مطلوبه فلا بد من الاستعداد على الكمال بالهمة وغيرها.

فإذا وصل إلى عين الحقيقة وامتحقت همته وليس لوصول البقية حدّ فيقول الواصل لا ينبغي إلا هكذا وإنما للدهش الذي يقع به عند رفع الحجاب فإن العلم الذي يحصل له عند المشاهدة يلقي عنده التوجه إلى ما هو فوق ما ظهر في حقه لا فيما ظهر فإن الظاهر وإن كان واحد العين فإن الوجوه منه غير متناهية وهي آثاره فينا، فلا يزال العالم متعطشاً دائماً أبداً.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

تمت رسالة الأنوار

كتاب الفتوحات المدنية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من رسالة المُشْرِقَاتُ المَدَنِيّةُ فِيْ الفُتُوْحَاتِ الإِلهِيّةِ

لقطب دائرة الوجود الشيخ محي الدين ابن العربي قدس سره

شعر:

يا سيد الهادين يا خير الورى	حبا وأوسعهم ندًا وتكرما
يا خاتم الرسل الكرام ومن له	الآيات تحكى في السماء الأنجما
وله انشقاق البدر والجذع الذي	أبدى حنينا والجماد تكلما
والماء ينبع في الأنباء ومن دعا	زمرا إلى النذر اليسير وأطعما
ودعا بأشجار الفلات فأقبلت	وغدا له الحجر الأصم مسلما
وعلا على متن البراق مشرقا	وسرى إلى أعلى السماء معظما
يا صاحب الوجه المنير كأنما	القمر المنير إليه في الحسن أنتما
صلى عليك الله ما انهمل الحيا	وكسى الرياض تفوقا ومتمما

قوله ﷺ: إن الله تعالى كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي أو قال سبقت غضبي وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. كأن الله تعالى يقول عبدي كتبت وثيقتين أحدهما عليّ والآخر لي عليك فأما التي علي فهي وثيقة الرحمة ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وأما التي عليك فهي وثيقة الصيام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وأنت أوفِ بعهدك وهو أداء صومك أوفِ بعهدي وهو إيثار رحمتي ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] الخدمة التي كتبها عليكم وهي الصوم جعل من كان قبلكم شركائكم فيها فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣] ثم أردف ذلك بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] والرحمة التي كتبها لكم لم يشرك فيها غيركم حيث قال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فسأكتبها للذين يتقون ثم أودع في طي ما كتبه من الصوم أنواعا من الرحمة فرفع وجوبه عن الصبي والمجنون ورخص في الفطر للحايض والمسافر والمريض وعوض عن الصوم الشيخ الهرم العاجز عن الصوم بصدقة الفدية فقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. كل ذلك رياح رياحين بساتين رحمته وأزهار رياض ربيع نعمته جعل القرآن رحمة لكم فقال تعالى يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ثم جعل الرسول ﷺ رحمة لكم فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وفي حال الرّجاء رحمته لكم فقال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨]. فبذلك فليفرحوا هو خير وفي حال الشدة رحمته لكم فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨] وفي حال الإيمان

رحمته لكم: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وفي حال العصيان رحمته لكم ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣]. وفي حال الإحسان رحمته لكم ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وفي حال الإشارة رحمته لكم ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]. وفي حال الصلاة رحمته لكم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وفي حال الصوم رحمته لكم قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قَسَمَ عبادة العبد ثلاثة أقسام: قسم للعبد وقسم للرب وقسم مشترك بينهما. فالذي للعبد الزكاة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. والذي للرب الصوم قال تعالى: الصوم لي وأنا الذي أجزئ به. والمشترك بين العبد والرب الصلاة قال قسمت الصلاة بيني وبينك يا عبدي نصفين فالذي يختص للعبد وهو الزكاة أوجبها الله تعالى عليك في حال صحتك ومرضك وسفرك وحضرك لأن حقوق العباد مبنية على المشاحجة. والذي يختص به تعالى وهو الصوم خفف عنكم ثقله في حال المريض والسفر فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر والذي بينك وبينه وهو الصلاة أوجبها عليك بكمالها في حال الإقامة فأسقط عنك شطرها في حال السفر رخص لك القصر.

ذكر أبو جعفر ابن أبي شيبة في كتاب العرش قال: قال الله جل جلاله يا موسى بن عمران: إني آمر حملة العرش أن يمسكوا في العبادة إذا دخل شهر رمضان وأن يقولوا كلما دعا صائم رمضان آمين فإني أكتب على نفسي أن لا أرد دعوة صائم رمضان، من ..... بذنوبه فليأت في نفس رمضان باب طيبة. فخلوف هذا الصوم يا قوم أشهى من المسك السحيق وطيبه أو ليس هذا القول قول مليككم الصوم لي وأنا الذي أجزئ به.

وتكلم أهل الحكمة في معنى قوله الصوم لي وأنا الذي أجزئ به. فقال بعضهم معنى إضافة الصوم إلى نفسه دون الصلاة والزكاة والحج والجهاد وساير الطاعات والعبادات إن الطاعات من العباد تقع عليها حواس الخلق لأن الذي يصلي رآه الناس ويعرفون وكذلك الذي يزكّي ويضحّي ويجاهد ويحج إلى بيت الله الحرام والصوم لا يقع عليه حواس أحد بل هو سر بين العبد وبين الرب جل وعلا فلذلك قال الصوم لي وأنا الذي أجزئ به.

وقال بعضهم كل طاعة يطيعها العبد المسلم ربه تعالى فإنها طاعة مشتركة غير الصوم لأن العبد المسلم إذا صلى لله تعالى فإن العبد الكافر صلى للشمس والقمر والصليب والنار وإن ذبح المسلم لله تعالى فإن الكافر يذبح للأصنام وإن تصدق المسلم لله فإن الكافر يتقرب بالصدقة للأصنام إلا الصيام فإنه ما ورد أن كافراً صام للأصنام فالصوم طاعة خالصة لله تعالى فلذلك قال الصوم لي وأنا أجزئ به.
وقال ابن عباس بن عطا في قوله الصوم إذا كان يوم القيامة يجئ العبد وله خصوم فيأخذ أحدهم صلاته ويأخذ الآخر زكاته ويأخذ الآخر حجه ويأخذ الآخر جهاده ويبقى على العبد مظالم فيريد الخصوم أخذ صومه فيقول الرب تعالى للخصوم الصوم لي ليس هو لله فلا سبيل لكم على شيء منه ولو لم أدّعِ

الصوم لنفسي لأخذ من العبد معك من الطاعات ولكني جعلت الصوم لي رحمة مني على عبادي الصالحين وقوله تعالى وأنا أجزئ به أي على كرم الربوبية لا على استحقاق العبودية لأنه لو كان على استحقاق العبودية لم يستحق الجزاء بذلك لأن العبد لا يراعي الصوم حق رعايته لكن أعطيه الجزاء بفضلي وكرمي وقال بعض الصوفية معنى قوله تعالى أنا الذي أجزئ به أي أنا الجزاء للصائم لا حوري ولا جناتي ولا نعمتي وحسبه بذلك جزاء وقوله ﷺ: للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره يعني لانفطاره وتناوله الطعام ولكن فرحة بتوفيق الله تعالى له إذ صام يومه ذلك إلى حين إفطاره قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذلك عند إتمام الصلاة وعند فعل كل طاعة من الطاعات يفرح بتوفيق الله تعالى له إن وفقه وأهله لفعلها وأحياه إلى إتمامها وفرحة عند لقائه ربه إلى حيث يبيحه النظر إليه بلا كيف ولا أين بل كما يليق بجلاله وعظمته ليس كمثله شيء فاشكروا الله الذي أحياكم ولإكمال رمضان أبقاكم. كم من صاحب لكم مات فانقطع عمله وخاب من الدنيا أمله يتمنى لحظة من أوقاتكم يوجد فيها إذ تقدم خيرات يتعقبها. أين من كان يتردد إلى المساجد في الظلم سافر عن داره منذ زمان و لم أين من صبر على مشقة الجوع والظمأ غاب كما آب ومضى فما أين الذي ارتفعت أصواتهم بالأدعية وحب تلك الجواهر من تلك الأدعية كم من أناس صلّوا معكم في عام أول في هذا الشهر التراويح وأوقدوا من المساجد طلبا للأجر المصابيح اقتنصهم الصايد فقهروا وأسرتهم المصايد فأسروا وَعَمّهُمْ التلف من بحره فقلّوا و لم ينفعهم المال والآمال لما تقلّوا أدارت عليهم المنون مرصادها وحلت وجوههم في الدنى فمحاها فأعدمتهم صوما وفطرا وزودتهم من الحنوط عطر ليس للميت في قبره فطر ولا أضحى ..... (نسخة: ولا عشرا تاماً) عن الأهل على قربه كذلك من مسكنه القبر.

روي في بعض الأخبار أن في أيام العيد تقف أرواح الأموات على أبواب قبورهم ويقولون هل من أحد يذكرنا هل من أحد ترحم علينا هل من أحد يذكر غربتنا يا مَن سكن بيوتنا ويا من سعد بما به شقينا ويا من أقام في أوسع قصورنا ونحن في أضيق قبورنا ويا من استدل أيامنا ويا من نكح نساءنا هل منكم أحد يتفكر في غربتنا وفقرنا كُتبنا مطوية وكُتبكم منشورة.

وروي في خبر آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: أهدوا إلى موتاكم قالوا يا رسول الله ما نهدي قال الصدقة والدعاء فإن أرواح المؤمنين تأتي كل ليلة إلى السماء الدنيا حِذاء دُورِها وبيوتها وتنادي كل واحد منهم بصوت حزين باكٍ يقول يا أهلي يا ولدي تَعطّفوا علينا بشيء رحمكم الله واذكرونا ولا تنسونا وارحموا غربتنا وقِلّة حيلتنا فقد أُلقينا في سجن فارحمونا يرحمكم الله ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة فلعل الله يرحمنا قبل أن تكونوا مثلنا وا حسرتاه وا ندامتاه تعطفوا بدرهم أو برغيف أو بكسرة قال فبكى النبي ﷺ وبكينا لبكائه قال ثم تبكي الأرواح وتنادي لو كنا أنفقنا ما في أيدينا في طاعة الله ورضوانه ما كنا نحتاج أن نسألكم.

ولو قيل لأهل القبور تمنّوا لَتَمنّوا يوماً من أيّام رمضان فعل فعل ما ذكرنا في معنى قوله الصوم لي وأنا الذي أجزئ به الصوم أمانة عند العبد وإنّ مَن يؤدي الأمانة ويشير إلى ذلك قوله تعالى في آخر آية

الصوم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] أوصى بالتقوى في مواضع كثيرة من كتابة العزيز منها في الصوم والتقوى مطلوب منك في كل عضو بمفرده فتقوى العين الغض وتقوى الكف الكف وتقوى القدم الحبس وتقوى الفرج العفة وتقوى البطن أكل الحلال وتقوى القلب الصيانة وتقوى اللسان قلة الكلام إلا في خير أو ذكر الله تعالى.

اعلم يا هذا الصوم الحقيقي ليس ترك الطعام والشراب إنما هو تقييد الجوارح فصوم اللسان ولا يغتب بعضكم بعضا وصوم العين قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وصوم الأذن وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا، وصوم اليد ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم، وصوم الرجل ولا تمشي في الأرض مرحا، وصوم البطن ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، وصوم الفرج ولا تقربوا الزنى، فإذا صامت هذه الجوارح كان جزاؤها لكل جارحة خلعة، الرِجل ادخلوها بسلام آمنين، وخلعة اليد يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تأثيم، وخلعة الفرج وزوجناهم بحور عين، وخلعة اللسان دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وخلعة البطن كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية، وخلعة السمع لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما، وخلعة العين وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، أين من يعرف قدر حرمة الصوم.

إخواني إنما شرع الصوم ليقع التقلل فأما بعض الناس إذا قرب قدوم شهر رمضان وأذن رحيل شعبان تنكسف شمس سروره بعقدة الهم ويمطر على عرصة قلبة من الحزن ويقول قد جاء شهر رمضان ويعد أسباب الطعام والشراب ويضاعف ما جرت به العادة ولا يخطر بباله الناهب أن رمضان إلا بإعداد الأكل فإذا كان يوم الصوم كان شغله التردد بين دكان الخباز والقصاب والسمان وإعداد ألوان الطعام والشراب وكل طعام يكون بخاطره وطول العام يريد أن يأكله في شهر الصيام فإذا قرب غروب الشمس وقع في هاوية الانتظار فإن صلى وقف في الصلاة وقلبه في غيرها فيؤديها وهو إلى الأكل أعجل ومن تأخير العشاء وَجِل فتكون صلاته من ضعف أركانها وخلوها عن الخشوع والخضوع كأنها سخرة لا أجر لها ولا جرم ثم يجلس ويفتح عدل البطن ويكيل فيه من أنواع تلك الأطعمة فيتكدر عليه الليل بالمنام ويكسل عن القيام إلى الطاعة فإذا جاء وقت السحور فعل كذلك فيحيط النهار عليه بالكسل وإنما شرع السحور ليقوى المتعلل من العشاء وليتنبه الغافل ليذكر ربه وما ترى رمضان زاد هذا وأمثاله إلا شبعا وغفلة والمصيبة العظيمة إن كان لا يدري من أين اكتسبها ولا من أي وجه اصطنعها فإذا امتلأ من ذلك الطعام والشراب بقيت صفته كصفة البهايم والدواب فإذا كان يوم القيامة وقفلت قافلة الصائمين يعجز عن موافقتهم وينقطع عن مرافقتهم فهنالك تكشف الأستار وتظهر الأسرار ويوقف ذلك المسكين الذي كان في غشوة نشوة قهرة شهوة نفسه وقيدهم طعامه وشرابه ويسال عن صيامه فيقول إلهي صمت رمضان فتقول شهود الأعمال إلهنا كان مشغولا بنفسه يفرجها في بساتين الشهوات ويمزجها في ميادين اللذات فلم يكن من صومه في خبر ولا من عين عبادته على أثر فيقول إلهي صمت فيقول اللسان لم يصم كان طول غيبة نهاره في المسلمين والعجز من الكلام وتقول اليد لم يصم كان

أبدا يده الحرام وتقول الرجل لم يصم كان يسعى إلى مساطب الغفلات وتقول الأذن لم يصم كان يصغي إلى سماع المنكرات وتقول العين لم يصم كان ينظر إلى الأغيار ويقول القلب لم يصم كان غافلا في جميع النهار يوم يشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

يحكى عن سري السقطي رحمه الله أنه كان ذات يوم قد وضع شربة الماء على السطح ليبردها بنسيم الأصيل أي وهو بعد العصر إلى آخر النهار قال الله تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ويطفئ بشربها ما ألهبه صوم النهار الطويل فرأى تلك الليلة في منامه الحور العين يرفلن بين يديه في خلع الجمال وحلل الكمال فجعل يسألهن ويقول بالله عليكن لمن أنتن فقالت وإحدانا لفلان، فقالت أخرى أنا لفلان، وقالت أخرى أنا لفلان، وقالت أخرى أنا لفلان، وكل واحدة أثبتت اسمها في جريدة واحد فقامت واحدة منفردة قال فسألتها لمن أنت قال كنت لسري السقطي والآن قد محي اسمي من جريدته قال: ولِمَ مُحيتِ من ديوانه، قالت: لأنه في سخرة خدمة نفسه واقف وحول كعبة عشق روحه طائف وعلى تربة جسده بالشهوات عاكف وليست هذه سمة المحب ولا صفة العارف من برد الماء ليفطر عليه فأي شغل له عندنا، فاستيقظ من نومه وجلس يبكي ومد يده إلى الكوز فكسره وأراق ذلك الماء وبدره.

أين من يعرف حرمة الصوم ويهجر النوم والراحة ما كل طائر يصلح لحمل البطاقة ولا له على أداء الأمانة من طاقة. قال رسول الله ﷺ: رُبّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر فإن قلت هل يبطل صومه بالرفث والكذب واللغو والغيبة قلت لا يبطل صومه عند أكثر العلماء ولكن ينقص أجره ويكثر وزره وليس له من صيامه إلا إتعاب حسه.

وروى ابن أبي شيبة عن جابر قال إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم ودع أذى الخادم وليكن عليك سكينة ووقار ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء وثبت أن رسول الله ﷺ قال: إن العبد ليتكلم بالكلمة ما تبين فيها ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب هذا عتاب الكلام فكيف يكون حال المفطر على الحرام وهذا الثواب الموعود به الصوّام إنما هو على الصوم الذي يرضى به الله ورسوله وهو المطهر من الدنس والآثام فكم من صائم عن الطعام والشراب يظن أن ذلك يكفيه وقد أكل الميتة وهو لا يشعر من لحم أخيه فالويل لنا إن لم يسامحنا أترى أحدا من هذه الأعمال يسلم منا والله إن لم نجد في طريقنا معدية للسبيل وإلا وقعنا في العريض الطويل أستغفر الله من صيامي طول زماني ومن صلاتي ونسأل الله أن يعاملنا بما يليق بكرمه ولا يعاملنا بما يليق بتقصيرنا فقد ورد أنه سئل بعض الحكماء عن الأجير إذا قصر في العمل هل يعطي له الأجر بكماله جائزة فأجاب الرب كريم والعبد لئيم فإذا قصر العبد اللئيم في العمل وقصر الرب الكريم في العطايا فأي فرق بينهما بل إذا كان من العبد التقصير ومن الرب التوفير فعلم الخلايق قدر ذلك أن المولى إله كريم. قال رسول الله ﷺ: شهران عند (الله) لا ينقصان شهر رمضان وذو الحجة.

وسئل أبو الحسن العلوي عن ذلك فقال معناه ينقصان في العدد والحساب ولا ينقصان في الأجر والثواب فإن نقص يوم من العدد و لم ينقص من الثواب شيء بل الرب يكتبه كاملا لأنه جل جلاله يقول إن نقصت عنك العدد تحقيقا لم أنقصك من الأجر تفضيلا وكرما وإن نقص من العدد والحساب لم أنقصك من الرحمة والثواب لأني ملك كريم وهاب.

واعلموا أن من علامة قبول الطاعة التوفيق لطاعة أخرى بعدها وعلامة عدم قبولها الوقوع في معصية بعدها من علامة عدم قبولها فمن عزم على المعصية في شوال فما صام رمضان وإنما هو مُصر على المعصية أليس الناهي عن المعصية في رمضان هو الناهي عنها في شوال فإن كان شهر رمضان قد انقضى كأنه طيف خيال فإن رمضان ليس له زوال.

اشترى رجل جارية فقال لها قومي حتى نهيئ أمورنا لدخول رمضان فقالت يا سيدي ردني على مولاي فلقد اشتريتني من قوم الدهر كله عندهم رمضان فمن كان منكم تائبا فليستمر على التوبة ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن كان عارفا على معصيته فليغير نيته وليجدد توبته فإن الرب كريم يقبل العثرات ويرحم العبرات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات يا من ضرب بالذنوب قلبه وأغضب من كثرة العيوب ربه ما الدار إلا بالأنيس فإذا خلا منها الأنيس فما بعيد الدار أقبل فعسى يقبل منك العذر.

سئل الدقاق عن التوبة فقال التوبة أن تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له قفا بلا وجه.

سئل ذو النون عن القوم فقال جارحة توبة فتوبة القلب النية على ترك ما كان يريد من المحظورات وتوبة العين الغض عن الحرام وتوبة اليد ترك البطش وتوبة الرجل ترك السعي وتوبة السمع ترك الإصغاء والأصل في ذلك كله عزم القلب.

وروى أبو أمامة الباهلي قال؛ قال رسول الله ﷺ: "كاتب الحسنات على اليمين وكاتب السيئات على الشمال وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل العبد الحسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال أمسك عنه فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر منها لم يكتب عليه شيئا وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة" الحراري عبادي الرحمن أن شهر رمضان قرب رحيله رازق تحويله وهو ذاهب عنكم بأفعالكم وقادم عليكم بأعمالكم فيا ليت شعري ماذا أوعدتموه وبأي الأعمال ودعتموه أتراه يرحل حامدا صنيعكم أو ذاما تضييعكم ما كان أعظم بركة ساعاته وما كان أحلا جميع طاعاته كانت لياليه ليالي عتق مساهاة وأسحاره أوقات خدم ومناجاة ونهاره زمان قربة ومصافاة وساعاته أحيان اجتهاد ومعاناة، فبادروا البقية بالتقية قبل فوات البر ونزول البرية فيا سعادة من رحل عنه بتوبة ناصحة وشهد بأعماله الصالحة وقبل منه صيام أيامه وقيام لياليه ويا خسارة من غفل عن عمل صالح بقدومه فيه.

السلام عليك يا شهر الصيام السلام عليك يا شهر القيام، السلام عليك يا شهر الإنعام السلام عليك يا سيد شهور هذا العام، السلام عليك يا مبارك الليالي والأيام السلام عليك يا ربيع الموالي

والخدام، السلام عليك يا شهر الصيام السلام من موجع القلب قتيل الغرام، جرى على خديه ما قد كفى من أدمع يخجل صوب الغمام، يخاف أن تمضي عنه وما أدراك من نيل قبول الحرام، كم من سعيد نال فيك المنا وفقه الله فصلى وصام، ومن شقي لم ينل غير ما قاساه من آلام منع الطعام، شهر عظيم القدر أيامه مشرقة الأنوار ذات ابتسام، على لياليه سنا رونق وبهجة يحجب عنها الظلام، وليلة القدر التي قدرها معظم المقدار في كل عام، شهر التراويح التي روحها قد عم بالخيرات كل الأنام، ترى بيوت الله في ليلة من كثرة العباد ذات ازدحام، تزاحموا إذ لاح ورد الرضى والمنهل العذب كثير الزحام، تغلق فيه النار أبوابها وتفتح الجنة دار السلام، وبابه الريان باب فما يدخل منه غير أهل الصيام، طوبى لمن صام وصان الحشا في صومه عن كل شيء حرام، وصف في الطاعة أقدامه وقام من الليل إثم القيام، فيا عباد الله لا تقعدوا وبادروا التوبة بالاغتنام، صوموا وقوموا واعملوا صالحا واجتنبوا في الصوم لغو الكلام.

ونسأل الله لنا توبة عروتها ليست بذات انفصام بحق شهر الصوم والمصطفى محمد المختار بدر التمام صلى عليه الله سبحانه ما غردت في الروح ورق الحمام.

واعلموا رحمكم الله أن الليالي والأيام من حيث دوران الأفلاك ورجوعها وغروب الشمس وطلوعها لا يختلف كونها ولا يتنافى لونها فهي شيء واحد وإنما تفضل بعض الأيام وبعض الليالي على بعض بوظائف العبادات والطاعات وتزين بالإخلاص في القربات فهي حضرة العبادة موفقا صحيحا سليما معافا مسلما تائبا نادما وكل الأيام يوم عيد موقوفا وكل الليالي ليلة قدر.

وكان جعفر الصادق عليه السلام يدعوا في آخر رمضان فيقول: اللهم رب رمضان منزل القرآن هذا شهر رمضان ولي عندك ذنب تريد أن تعذبني به يوم ألقاك يا إخواني قد كنت سببا لحضور قلوبكم فمن نجا منكم يوم القيامة وكانت لي شفاعة فليذكرني فما أخوفني أن يحج الركاب ويقطع بالجمال اللهم انفعنا بما نقول ولا تجعلنا من الذين يقولون مالا يفعلون ووفقنا لما يرضاك عنا وتب علينا توبة نصوحا من كل ما لا ترضاه آمين اللهم صلي على سيدنا محمد واله وصحبه والحمد لله كما يرضاك والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الفهرس